عدد ممتاز

ربيع الآخر ١٤٠٦هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦

العربي

وجهاً لوجه مع :

محمّد حسنين هيكل

الصحافة .. والسلطة .. والحريّة

■ نتيجة مسابقة القصة القصيرة

■ هدية بالألوان : المعادن والأحجار الكريمة

● ١٠٠ جائزة قيمة تنتظر طفلك شهريًا في مسابقة "العربي الصغير"



العدد ٣٢٦ السنة التاسعة والعشرون يناير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. : 326 Jan. 1986 P. O. Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٣٩٧٤٣-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران



١٥
يناير
موعدك مع
كتاب العربي
١٠
كتاب العربي
الكويت...
ربع قرن من الاستقلال
بقلم مجموعة من الكتاب

عزيزي القارئ

في مطلع هذا العام الذي نرجو ، نحن أسرة العربي - أن يكون عاما مختلفا عن الأعوام القليلة الماضية التي سبقته ، من حيث توحيد كلمة العرب والمسلمين ، وتماسك صفوفهم ضد أعدائهم ، في هذا العام نقدم لك حدثين الأول هو أسماء جديدة أسهمت العربي في إضافتها إلى ملف الثقافة العربية المتجددة ، منها : سحاب محمد نوري الصمصام ، وفاروق حسان السيد وفاضل محمد مشالي ، نذكر فقط ثلاثة أسماء من عدد كبير من الأسماء التي شاركت في مسابقة القصة العربية القصيرة وفازت ونحن اذ نقدم القصة الفائزة الاولى في هذا العدد فإننا بذلك نضيف جهدا ونفتح بابا ونرتاد اتجاها صحيحا لاثراء الابداع العربي المعاصر . وسوف نقوم بتقديم القصص القصيرة الفائزة تباعا في أعدادنا القادمة ان شاء الله .

وهذا العام لم نقتصر في إسهامنا الثقافي على استحداث مسابقة القصة ، فقد بلغ مشروعنا في إصدار مجلة للفتيان والفتيات العرب مرحلة الاكتمال والنضوج بعد أن بذلت له أسرة العربي جهدا أسعدها جميعا أن تقدمه لهذا المشروع الجليل ، فقد جاءت الأصداء إيجابية على عدد الصفر (رقم واحد) وعندما طبعنا عدد الصفر (رقم اثنين) في منتصف نوفمبر بعد أن أخذنا بمعظم الملاحظات الجادة على التجربة الاولى ، كانت الاصداء على عدد الصفر الثاني رائعة في استجابتها ، فريدة في تميزها

لذلك فإننا نزف لأبنائنا وبناتنا خبر الاصدار الجديد الذي سيصافح عيونهم وقلوبهم حينما يوزع مع بداية فبراير من هذا العام ، وهو بذلك يحقق إسهاما آخر في مسيرة الثقافة العربية الجادة ، يصدر من الكويت - التي احتضنت كثيرا من مشاريع الثقافة العربية - في وقت تحتفل هذه الأرض وشعبها بالعيد الخامس والعشرين لاستقلالها ، مستقرة آمنة طموحة إلى غد أفضل يجمعها في عقد منتظم مع أشقائها من الأقطار العربية ، حتى تتوهج أمتنا العربية بأنبل معاني العزة والمعرفة لصالح الانسان العربي في كل مكان .

ومنه التوفيق والسداد

المحرر

محتويات



فتاة من نيبال سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير ان ابتسامتها تحكي قصة شعب
« طالع الاستطلاع ص ٣٦ »

استطلاعات ومقابلات

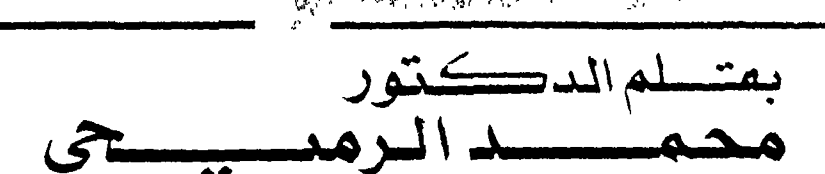
أبـواب العـربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

وفرص السلام في العام الجديد

أكثر القضايا الساخنة بعد الحرب الثانية لم تحل ولا يبدو أنها ستحل على مستوى القمة.
واشنطن: التدخل السوفيتي في العالم الثالث يسبب التوتر.
لينين: الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، وسقوط النموذج الرأسمالي يبدأ بخلاص المستعمرات.

هذا العام هو العام الدولي للسلام . تلك الكلمة المحببة لقلوب البشرية جمعاء ، فقد أصبح السلام والأمن أمنية عالية يعيش العالم - كل العالم - على تمنيها وانتظارها

ولعل الاجتماع الذي عقد في نهاية شهر نوفمبر الماضي بين زعيمي أكبر قوتين في العالم اليوم رونالد ريجان وميخائيل جورباتشيف ، لعل ذلك اللقاء هو مقدمة منطقية لمحاولة إحلال السلام على الأرض ، وطمأنة البشرية أنها لن تصحو فجأة في صباح أحد الأيام تقربه ، لتصدم بأن العالم الذي نعيش فيه قد أصبح - أو كاد - هباءً منثورا .

ولكن قصة السلام قصة طويلة ، والوصول اليه في كل بقاع العالم محاولة شبه مستحيلة ، وهي أقرب في استحالتها ـ في تقديري ـ الى إمكان أن يقفز الانسان منا على ظله .

لا أدري لماذا شعرت ـ أنا وربما ملايين غيري ـ ونحن نتابع التمهيد للقاء الزعيمين العالميين ، ثم وقائع لقائهما ، ومن بعد ذلك التحليلات الكثيرة التي انهمرت في الصحافة العالمية تفسر وتبرر ما وصلا اليه وما تعثرا فيه من قضايا العالم . . .

لا أدري لماذا شعرت وأنا أتابع كل ذلك ، أن الزعيمين ـ في محاولتهما لحل مشكلات العالم ـ كانا في الحقيقة يحاولان التقفز على ظلهما

ولكن لنبدأ القصة من البداية .

اثنتا عشرة قمة

□ القصة تبدأ هنا أيضاً بسؤال منطقي ـ

هل يشعر العالم حقيقة بالخطر الماثل أمامه ، وهو خطر جائح يتهدده بالفناء عن بكرة أبيه نتيجة هذا المخزون الهائل من السلاح النووي ، أو أن العالم يعيش في صراعاته الجانبية دون الالتفات بشكل جدي لذلك الخطر وكأنه غير قائم ، هذا الخطر مرتهن في وقت ما بحسابات بضعة رجال هنا أو هناك ـ قابعين في احدى الحجرات الموغلة في التحصين الى أمتار كثيرة تحت الأرض ـ وفي حساباتهم واقتناعهم بما يمكن الخيار بين استمرار الحياة والحضارة على كوكبنا ، أو شلها على أقل تقدير شللا قد لا تشفى منه .

والسؤال الأكثر تحديداً ودقة . هل يشعر القادة الكبار ومعاونوهم ـ خاصة قادة الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ـ بأن هذا الخطر المحدق بالانسانية قائم ومؤكد الوقوع أو أن المصالح الأنية والقومية الضيقة نسبياً هي التي سوف يكون لها الكلمة العليا ، كما كان لها دائماً الكلمة العليا في تاريخ البشرية الحزين والمليء بالمآسي ؟

لقد كانت قمة جنيف في نهاية نوفمبر الماضي هي القمة الثانية عشرة في سلسلة لقاءات الزعماء الغربيين ، وقد أسهمت في بعض منها قوتان أخريان بجانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هما بريطانيا وفرنسا ، ومع مرور الزمن وتضاؤل فعالية القوتين الأخريين على المستوى الدولي ، أصبحت القمة تعني على الأرجح لقاء زعيم الولايات المتحدة مع زعيم الاتحاد السوفيتي فقط لا غير .

إحدى عشرة قمة خلت منذ أن توقف التحالف بين الاشتراكية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأصدقاء الأمس أعداء اليوم يبحثون عن طرق مقبولة لكلا المعسكرين لتثبيت السلام بينهما ، أو على الأقل لعدم التورط في حرب شاملة ، وان تسربت بين فترة وأخرى حروب صغيرة هنا وهناك سواء أكانوا طرفاً مباشراً فيها أم غير مباشر .

بين التفاؤل والتشاؤم

□ تلك القمم الإحدى عشرة ـ ومعها القمة الأخيرة ـ لم تكن كلها ايجابية كما لم يكن طريق التفاهم فيها سهلاً مذللاً ، بل أفرز بعضها نتائج سلبية أدخلت العالم في خوف دائم ، ولكن كل تلك القمم ـ عدا الأولى والثانية ثم الأخيرة ـ كانت لقاءات جرت تحت تهديد المجابهة بين الشرق والغرب . كان اللقاء الأول في يوليو ١٩٤٥ في بوتسدام

وكان الغرض ـ هو تقسيم المانيا بعد الحرب ، وكان اللقاء الأخر بعد عشر سنوات في يوليو ١٩٥٥ في جنيف والذي حضرته القوى الأربع : بريطانيا وفرنسا بجانب الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وقتها تفاءل العالم هذا التفاؤل الذى انعكس على الاعلام والرأي العام العالمي في المؤتمر وسمي هذا التفاؤل « بروح جنيف » حيث بدا للعالم وقتها أن القوى الكبرى مقدمة على فترة استرخاء ، خاصة بعد تعادل ميزان القوى ووقوف الاتحاد السوفيتي موقف الند للولايات المتحدة ، فقد سقطت الحصانة الاستراتيجية للولايات المتحدة بعد ان طور الاتحاد السوفيتي قوته النووية . هذا التفاؤل ما لبث أن تلاشى ، فدخل العالم في أزمة سميت وقتها « قضية برلين »عقد من أجلها ثلاث قمم في سبتمبر ١٩٥٩ في « كامب ديفيد » بين أيزنهاور وخروتشوف ، ثم في مايو ١٩٦٠ في باريس ثم في يونيو ١٩٦١ في فيينا .

وبعد مشكلة برلين انتظر العالم ست سنوات تقريباً ليشهد قمة أخرى هذه المرة بسبب قضية الشرق الأوسط واشتعال أزمته ونتائج « حرب الأيام الستة » بين العرب واسرائيل وهي القمة التي عقدت في يونيو ١٩٦٧ بين جونسون وكوسيجين في جلاسبورو-نيوجيرسي في الولايات المتحدة . وبعد ست سنوات أخرى انعقدت القمة التاسعة هذه المرة في موسكو بين نيكسون وبريجنيف في مايو ١٩٧٢ وكان من نتائجها الاتفاق على المعاهدة الأولى للحد من الأسلحة الذرية . وأعقب ذلك في السنة التي تليها في يونيو ١٩٧٣ لقاء نيكسون وبريجنيف في واشنطن وهي القمة التي وضعت فيها معاهدة الانفراج الدولي . وفي يونيو ويوليو ١٩٧٤ تم لقاءان بين نيكسون وبريجنيف أيضاً في موسكو ويالطا وكانت المحادثات تدور حول الحد من الأسلحة الذرية ، وفي نفس العام في نوفمبر عقدت قمة أخرى في فلاديفستك في الاتحاد السوفيتي ـ وبعد خروج نيكسون من الحكم في الولايات المتحدة ـ وكانت بين جيرالد فورد وبريجنيف . ثم جاءت القمة الحادية عشرة بين جيمي كارتر وبريجنيف في فيينا في يونيو ١٩٧٩ وأخيراً قمة « مدفأة النار » في جنيف بين ريجان وجورباتشيف في نوفمبر الماضي

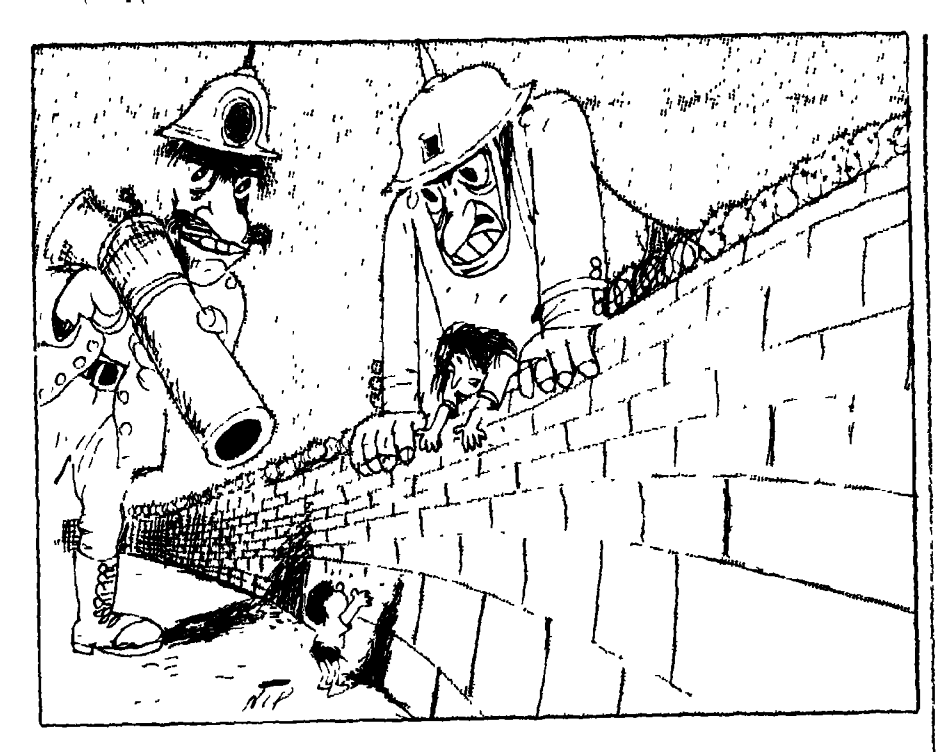
قمة مدفأة النار

☐ لم يتابع العالم قمة من قمم اجتماع الزعماء الكبار كما تابعها في اجتماعات جنيف الأخيرة ، والتي أعادت الى البعض ذكرى روح جنيف المتفائلة قبل ثلاثين سنة على وجه التقريب (قمة يوليو ١٩٥٥) .

فقد كانت هذه القمة ـ كما كانت قمة جنيف الأولى ـ قد عقدت دون وجود أزمة حادة يراد حلها بشكل سريع ، بل كانت لاستطلاع آفاق سلام ممتد بعد قطيعة طويلة ، وفي أجواء توازن دولي .

لقد استمر اللقاء بين الجانبين في محادثات طويلة الى ما يقارب الخمس عشرة ساعة ، كان من بينها ستة اجتماعات خاصة لم يرافق الزعيمين فيها غير المترجمين المعتمدين ، وبلغ مجموع ساعاتها خمس ساعات . أي أن ثلث وقت الاجتماع قد قضاه الزعيمان يتحدثان الى بعضهما بعضاً دون جدول أعمال مسبق .

سبق هذا الاجتماع في جنيف حملات اعلامية متبادلة أحيط فيها ميخائيل جورباتشيف بهالة الرجل القوي ذي المظهر الممتاز الذي استطاع أن يشق طريقه الى

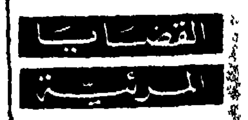


قمة السلطة في بلاده ، في وجه مزاحمة حادة وفي سن صغيرة نسبياً ، بنجاح غير مسبوق ، مستنداً الى فهم واسع لمشكلات العالم . تسبقه تصريحاته للصحافة الأمريكية التي لم تخف إعجابها الشديد بطريقته في معالجته لمشكلات بلاده الاقتصادية والسياسية ، مشيدة بمرونته وصدق نواياه . كما أن رونالد ريجان نفسه ـ الذي كان البعض يتخوف من أن غريمه سوف يسيطر عليه وهو بمعزل عن مستشاريه وبرغم تقدمه في السن ، وانصراف اهتمامه الى تصفح القضايا الشاملة دون تفاصيلها ـ استطاع أن يشن حملة اعلامية مضادة مظهراً التشدد في كل القضايا المحتمل طرحها للنقاش .

وبعد يومين من المناقشات والاجتماعات أسفر الاتفاق بينهما ـ في حدود ضيقة ـ عن اتفاقية مكتوبة للتبادل الثقافي وتصريح للصحافة قالا فيه : اننا أصبحنا على درجة من الفهم المتبادل أكثر مما كنا في السابق !

ولكن هذا ما ظهر على السطح أما ما ترسب في الأعماق فقد ظهرت منه مؤشرات قليلة سوف يتلاحق ظهورها على مر الأيام ، فإن لم يكن أحد يستطيع أن يقفز على ظله ، فلا بد اذن من التعايش مع هذا الظل ولنقفز على ظل الآخرين !!

الرجلان فقط ريجان وجورباتشيف ومعهما مترجمان مؤتمنان . . هؤلاء الأربعة فقط يعرفون على وجه الدقة كيف سارت الأمور وما على الجميع ـ قريبين وبعيدين ـ الا قراءة النتائج التي تظهر شيئاً فشيئاً ، وكل ما نعرفه الآن ليس سوى تلك التفاصيل الظاهرة لما سوف يكشفه التاريخ في وقت لاحق عن قمة مدفأة النار في جنيف .



□ ثلاث قضايا رئيسية دار حولها النقاش ، وربما صار اليها اتفاق اذا وضعت بين أيدي الخبراء في أوقات لاحقة ، تلك القضايا في خطوطها العريضة هي : سباق التسلح وخاصة تسليح الفضاء الخارجي (المبادرة الدفاعية الاستراتيجية) أو ما يسمى

شعبيا « بحرب النجوم » ، ثم موضوع حقوق الانسان ، وأخيراً الصراعات في العالم الثالث ـ التي يقف كل من الطرفين حيالها إما مؤيداً وإما معارضاً . .

ومن الملفت للنظر أن القضية الأولى (سباق التسلح) والقضية الثانية (حقوق الانسان) هما القضيتان الأسهل معالجة رغم كل الضجة الاعلامية والتهويل حولها

فالقضية الأولى « سباق التسلح » خاضعة لحقيقة عرفها الطرفان منذ مدة طويلة وعلى وجه التحديد منذ اغسطس ١٩٤٩ ، عندما فجر الاتحاد السوفيتي أول قنبلة نووية ، وامتلك بذلك التوازن الاستراتيجي . عندها أصبحت القضية قضية كمّ أكثر منها قضية كيف ، فقد حكمت العلاقة بين القوتين حقيقة انه لا الاتحاد السوفيتي ولا الولايات المتحدة يستطيع أى منهما مهاجمة الاخر دون أن يواجه البادىء بالعدوان انتقاما مؤثرا ، كما أن أيا منهما لا يملك القدرة على توجيه الضربة الاولى وأن يأمن دمار الضربة المضادة

تلك الحقيقة هي التى جعلت لقاء القوتين ممكنا وأصبحت محاولة الوصول الى اتفاق بهذا الشأن هي الشغل الشاغل لكلتيهما .

المبادرة الدفاعية الاستراتيجية الامريكية أو « حرب النجوم » وفكرتها هي الوصول الى قدرة تحطيم أية قوة معادية هجومية وهي في الفضاء قبل وصولها الى هدفها ، وبالتالي ابعاد تأثيرها عن أهدافها الأرضية ، هي بمثابة مظلة فضائية لحماية الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من البلايين من الدولارات التى سوف تنفق على هذا البرنامج شبه الخيالى فإن الاتحاد السوفيتي الذي يتخوف في الأساس من الدخول من حديد في سباق تسلح باهظ التكاليف ، قد قدم اقتراحه الذي درس في القمة الأخيرة ، وهو انه في مقابل وقف مبادرة الدفاع الاستراتيجية (برنامج حرب النجوم) يجرى خفض خمسين بالمائة من المخزون النووى الاستراتيجي . وفي حقيقة الأمر فإن الموضوع المعروض هو تخفيض امكانية تدمير العالم عشرين مرة الى عشر مرات فقط !

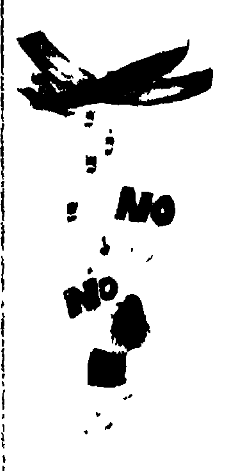
أى أن القوة على التدمير ستبقى كبيرة ، والمطلوب فقط هو الاكتفاء بما أهدر حتى الآن من ميزانية القوتين وتوجيه الجهود للانماء .

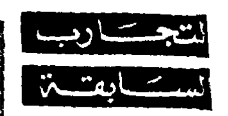
ساسة الولايات المتحدة لهم رأى آخر ، فهم أولا مقتنعون بنجاح برنامج « حرب النجوم » ، وهم فوق ذلك يعتقدون أن تمكين الاتحاد السوفيتي من النمو الاقتصادى وتحويل مبالغ أكبر من ميزانيات السلاح الى الميزانية الانمائية ، يعجل له بقدرة اقتصادية أكبر !

أما القضية الثانية (قضية حقوق الانسان) فهي في حقيقة الأمر تعنى وضع اليهود السوفيت وتمكينهم من الهجرة الى الغرب أو الى اسرائيل . تقول لنا التقارير إن رونالد ريجان قد ذكر ذلك لميخائيل جورباتشيف في أحد لقاءاتهما المنفردة ، ورد عليه الأخير بأن حقوق الانسان في أمريكا مازالت بحاجة الى عناية أكبر .

وهكذا انتهت القضية الى أن تصير مجرد استعراض شفوى لخدمة الاعلام لا أكثر

ولكن بيت القصيد انما هو في القضية الثالثة وهي حروب العالم الثالث ونزاعاته والتى ليست بعيدة عنا نحن العرب .





□ حتى نعرف كيف ستسير الأمور في اطار النزاعات في العالم الثالث ، لا بد أن نعرف كيف سارت الأمور في المنازعات السابقة

قضية برلين مثلا ، التي عقد حولها ثلاثة لقاءات قمة ، وكانت قاب قوسين أو أدنى من التفجر ، حلّت عن طريق ترك الشرق يسور برلين الشرقية مع ترك برلين الغربية مفتوحة على المانيا الغربية ثم يأتي فيلي برانت بمبادرته السياسية « الاتجاه الى الشرق » (أوست بوليتك) في الستينيات وبداية السبعينيات ، لتخمد الجذوة من بعد ذلك وتتحول بؤر الصراع الى أماكن أخرى . وهذا السيناريو بشيء من الاختلاف ، ينطبق على مناطق صراع سابقة مثل كوريا ، وفيتنام ، وانجولا ، وكمبوديا

في معظم هذه المناطق الساخنة السابقة والتي كان يبدو لأول وهلة أن مشكلاتها غير قابلة للحل ، حلّت بشكل أو بآخر من خلال استخدام العناصر النشيطة المحلية عن طريق السياسة أو عن طريق السلاح

ولكن الحقيقة الأخرى البادية للعيان هي أن الخلاف بين القوتين ظهر أكثر ما يكون بروزا في مناطق العالم التي تسمى بالعالم الثالث ، هذه الدول وشعوبها قدمت عددا من الضحايا في حروبها المحلية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، يعتقد المراقبون أنه يفوق عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية

ففي الأربعين سنة الماضية بين ١٩٤٥ والعام الذي ودعناه قبل أيام شهد العالم حوالى مائة وعشرين حربا محدودة معظمها فيها بين الدول النامية أو على أرضها ، وحتى اذا كانت الأرقام المعلنة غير دقيقة فاننا نتحدث هنا عن عشرات الملايين من الضحايا في مناطق مختلفة من العالم ، هذه الحروب والمنازعات أضرمتها أو شجعتها بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل ، او كانت حروبا اهلية أو مقاومة شعبية كانت نتيجة لتدخل دولة كبيرة مثل الاتحاد السوفيتي كما في افغانستان اليوم . هذه الحروب بمجملها استخدمت فيها جميع المعدات الحديثة للحرب ، ومن جرائها سقط ملايين القتلى والجرحى ـ وحتى السلاح النووي فقد هدد باستخدامه تكتيكيا من قبل كل من اسرائيل وجنوب افريقيا في وقت من الأوقات .

والمشكلة أن الأطراف المتداخلة في هذا النزاع تبرر هذا التدخل تبريرا أيديولوجيا وهو في حقيقته تسابق على اكتساب المواقع في العالم الثالث .

تبريرات التدخل

□ ستظل الاتهامات بالتدخل في منازعات العالم الثالث متبادلة بين القوتين الامريكية والسوفيتية ، كل تتهم الأخرى بالتوسع وبسط نفوذها على دول العالم الثالث ، ساحة الصراع الحقيقي ومجال المناورة وتحقيق الانتصارات أو الهزائم ، ولعل الساحة الاعلامية قد شهدت أهمية هذا النوع من الصراع ، فقد صدرت في العامين السابقين مجموعة كتب من الجانبين تدلل على أن هذا التدخل أو ذاك في العالم الثالث مدفوع من هذه القوة أو تلك .

وفي كتابين صدرا أخيرا ـ من جملة كتب كثيرة ـ أحدهما سوفيتي ألفه الكاتب السوفيتي ف . أ . كريمنيوك وعنوانه « أمريكا وحركات التحرر الوطني (١٩٨٣) » . والآخر بعنوان « الاتحاد السوفيتي وصراعات العالم (١٩٧٤) » من تأليف بروس بورتر ، يدلل الكاتبان على اشتداد حدة الاتهامات من جهة وتبرير

التدخلات من جهة أخرى .

منذ ١٩٤٥ وحتى اليوم شهدت استراتيجية القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، تواجدا متصاعدا على أراضي العالم الثالث وأقطاره ، فالقاعدة الايديولجية التي ينطلق منها الاتحاد السوفيتي في مساعداته للعالم الثالث هي أفكار لينين قائد ثورة البولشفيك المنتصرة في ١٩١٧ ومؤسس الدولة السوفيتية الحديثة . وقبل أشهر من انتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ أصدر لينين مؤلفا غدا مشهورا بعد ذلك بعنوان « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » أضاف فيه لينين اضافات أخرى الى نظرية كارل ماركس حول تطور الرأسمالية وذكر فيه أن الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على النظام الاقتصادي الرأسمالي ستدفع بالدول الرأسمالية الى البحث عن مناطق جديدة لتكون منافذ للاستعمار والربح ، وأن هذه (الامبريالية) يمكن أن تؤجل الى حد ما سقوط النموذج الرأسمالي في الانتاج من خلال التدفق الاقتصادي الجديد من تلك المستعمرات والذي يؤخر بدوره انتشار حدة الصراع بين الطبقات المختلفة في تلك الدول الرأسمالية ، لذلك فاذا كان من الصعب مواجهة الامبريالية في عقر دارها فلماذا لا نواجهها في مستعمراتها الجديدة ؟ !

على هذه القاعدة الايديولجية سارت الدولة السوفيتية خاصة بعد أن أيدت بعض الحوادث التاريخية صحة المقولة ، فقد فشلت بين ١٩١٩ و ١٩٢٤ مجموعة من الانتفاضات الاشتراكية العمالية في مناطق مختلفة من أوروبا ، لأنها دول كبيرة وقوية نسبيا .

الدولة السوفيتية الوليدة نشطت في البداية في محاولة الالتفاف على (الامبريالية) المتوسعة بتشجيع الحركات الثورية المعادية للتوسع الاستعماري ، وكانت الخطوات الاولى هي تسليح كمال أتاتورك بعد معاهدة مارس ١٩٢١ بينه وبين الاتحاد السوفيتي ثم تلا ذلك الدعم الذي أعطي لحركة الصين الوطنية (صن يات صن) بين ١٩٢٣ ـ ١٩٢٧ الا أن هذا الخط الايديولوجي لم يتطور بل انتكس أثناء حكم جوزيف ستالين في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن ، وقد عكس ستالين القاعدة بعد أن شهد الدعم السوفيتي لبعض الحركات الثورية انتكاسات متعددة كما حدث على سبيل المثال في اسبانيا ابان الحرب الاهلية ونتيجة أيضا لانشغاله في برنامج اقتصادي داخلي للتطوير ، ظهر جوزف ستالين في تلك الفترة بوجهة نظر تقول « إن العالم يتكون من معسكرين فقط : المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي ، وان الدول حديثة الاستقلال في العالم الثالث ليست سوى « مخلب قط » للاستعمار وأن قادتها البرجوازيين هم أعداء لحركة التحرر ولا يستحقون دعم الاتحاد السوفيتي !

هذه السياسة أدت الى تضييق حركة الاتحاد السوفيتي في دول العالم الثالث حتى دخوله الحرب العالمية الثانية .

بعد الحرب ـ وخاصة بعد انتصارات الحزب الشيوعي في الصين ١٩٤٩ والتي أشعلت بدورها سلسلة من الحركات الوطنية في جنوب شرق آسيا ـ رجع الاتحاد السوفيتي الى مقولة لينين من جديد حول زيادة التناقض لدى الامبريالية عن طريق تقليص ممتلكاتها في الخارج .



ولكن أضيف الى تلك المقولة بعد آخر هو أن الاستغلال الامبريالي لهذه الدول في العالم الثالث زاد من حدة الصراع الاقتصادي والاجتماعي في مجتمعاتها ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن تطلب الانعتاق من هذه التبعية ، وما الاتحاد السوفيتي الا صديق ومعاون لتلك الشعوب ، وهي الفكرة تقريبا التي قيل إن جورباتشيف قد استخدمها في رده على ريجان عندما أثار الاخير موضوع تدخل الاتحاد السوفيتي في مناطق الصراع الحديثة ، خاصة أمريكا الوسطى وأفغانستان . لقد ذكر أن جورباتشيف قال ان مشكلة العالم الثالث ليست في تدخل الاتحاد السوفيتي في شؤونه ، فهناك قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية خلف ما يجري هناك ، ومن يرى أن يد موسكو خلف المشكلات الاقليمية فإن هذا الرأي غير مسئول ، ومن الطبيعي أن يوصف أصحاب هذا الرأي بتهمة الغباء !!

أطروحات الولايات المتحدة

□ ومنذ منتصف الخمسينيات أصبحت قوى التحرر في العالم الثالث قوى جديدة محبة للسلام ، وتبع ذلك ظهور فكرة الحياد لدى تلك الدول بين المعسكرين الشرقي والغربي . ومنذ ذلك الوقت فإن مناطق النزاع تتغير ، ولكن القوى الفاعلة هي هي ، ولعل قمة التصعيد كانت حرب فيتنام التي منيت فيها الولايات المتحدة بهزيمة منكرة أجبرتها على التراجع وتغيير تكتيكاتها بشكل جذري .

وعلى قاعدة أيديولجية مشابهة سارت الولايات المتحدة ، فهي حتى الحرب العالمية الاولى في ركن قصي من العالم ، وكانت اهتمامات قيادتها في ذلك الوقت لاتتعدى القارة الاوروبية منبع المهاجرين الامريكان على أقصى حد ، كما أن نقاط ولسون الأربع عشرة ابان الحرب الاولى كانت تدعو لتقرير المصير وتحرير المستعمرات وأصبح لها صدى ايجابي لدى كثير من زعماء العالم الثالث ، الا أن الحرب العالمية الثانية وبعد التوسع الشديد الذي شهدته المؤسسة العسكرية الأمريكية تهيأ لأمريكا دور جديد في العالم ، فقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها انعاش أوروبا التي خرجت من الحرب شبه خربة عن طريقين : اقتصادي وعسكري ، فبجانب التزام الولايات المتحدة بحلفائها في حلف شمال الأطلسي أصبح لها حتى الآن أكثر من خمسين التزاما لمساعدة حلفاء مختلفين بين أنحاء العالم ، بعض هذه الالتزامات مات ميتة طبيعية (كما في حلف بغداد) وبعضها مازال قائما ، وكان « النضال ضد الخطر الشيوعي » هو القاعدة الايديولجية المشتركة لكل تلك الالتزامات . نظرت الولايات المتحدة بعد الحرب الى كثير من حركات التحرر الوطني في العالم الثالث على أنها ثورات تخريبية - خاصة تلك التي تعتبرها أمريكا ثورات متطرفة . ونجد أن جون فوستر دلاس - أحد أشهر وزراء الخارجية الامريكان في الخمسينيات (٥٣ - ٦١) وحتى قبل تعيينه في وزارة الخارجية عام ١٩٥٣ - أعد مذكرة خاصة للحكومة الامريكية ومجلس الشيوخ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٠) وقد أوصى في تلك المذكرة بالنظر الى جميع الأحداث (الثورية) دون استثناء بما في ذلك حركات التحرر الشعبية سواء في بلدان أوروبا أو الصين أو جنوب شرق آسيا أو أفريقيا على أنها (فصول في برنامج أعمال التخريب المستقل الذي توجهه موسكو) . وكان هذا التحول ابتعادا عن أطروحات الولايات المتحدة اللبرالية فيما بين الحربين ، التي كانت تدعو الى الغاء الاستعمار ، وعلى أقل

تقدير كانت تقف موقفا ترقبيا من حركات التحرير الوطنية . هذا الموقف الترقبي تحول الى معاداة ابان حكم ايزنهاور - دلاس ، والاستثناء الوحيد هو موقف الولايات المتحدة من الاعتداء الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ ، أما بعد ذلك فقد أعيدت الأمور الى سيرتها الأولى

الاستجابة المرنة في حرب النجوم

◻ وفي بداية الستينيات عندما وصل جون كينيدي الى سدة الرئاسة الاولى في الولايات المتحدة وشهد نتائج السياسة الخاطئة في الدعم المتواصل للأنظمة المتسلطة في العالم الثالث . وان تلك السياسة تعود على الولايات المتحدة بالخسران قرر اعادة النظر في العلاقات القائمة مع البلدان المتحررة وعدم مساواة حركات التحرر في المستعمرات في العالم الثالث مع « الدول الاشتراكية » فتلك (غلطة سياسية كبيرة) . يمكن أن يدفع تلك الحركات التحررية الى (احضان الشيوعية) ، وحلت في حكم كينيدي سياسة « دعم التطور » بدلا من سياسة « دعم الأمن » التي تبناها جون فوستر دلاس سابقا من منظور « الهراوة الغليظة »

وقد وضع كينيدي برنامجا نشيطا لدعم السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة ، لهذا الغرض أعيد تنظيم نشاط وكالة الاعلام الامريكية (USIA) وتزايد استخدام الذراع الاقتصادي وتوسيع برامج المواد الغذائية ، ولم تكن الآلة العسكرية بعيدة عن اطار هذا البرنامج فأعلن البرنامج العسكري (الاستجابة المرنة) ويعني عدم التدخل العسكري المباشر ، ولكن المرن غير الملحوظ ، وقد كان درس الفشل في كوبا هو أحد الدوافع لكينيدي لوضع ذلك البرنامج .

مقتل كينيدي المبكر ووصول جونسون الى الرئاسة والتطورات العالمية الأخرى جعل جونسون يفرط في استخدام برنامج (الاستجابة المرنة) ثم تحول هذا البرنامج الى « تدخل شامل » منذ منتصف الستينيات ، الامر الذي أدخل الولايات المتحدة - وبعض حلفائها - في نزاع مسلح وبشكل مباشر على أرض بلد من بلدان العالم الثالث « فيتنام » ، وكان المشهد المركزي لسياسة الولايات المتحدة طوال عقد كامل (٦٥ - ١٩٧٥) هو مشهد الجندي الامريكي في فيتنام

هزيمة أمريكا في فيتنام هي مفصل مركزي جعلت الولايات المتحدة تعيد النظر في التنافس التاريخي للنظامين العالميين ومن هنا شهد العالم لقاءات مكثفة على مستوى القمة (بين ٧٢ - ٧٤ أربعة لقاءات قمة) وأعلنت سياسة « الانفراج الدولي » . الا أن هذا الانفراج لم يلبث أن شهد حملة ضده - وزعم مناهضو الانفراج في الولايات المتحدة أن السوفيت استخدموا الانفراج للتدخل في شؤون البلدان المتحررة حديثا في العالم الثالث - فهو - أي الانفراج - كما وصفه أحد الكتاب الأمريكان (شارع ذو اتجاه واحد يسمح للاتحاد السوفيتي بتحقيق أهدافه في الدول المتحررة حديثا دون التخوف من ردة فعل جوابية من الولايات المتحدة) عقدة فيتنام هي التي حكمت هذه الفترة - خوفا من التدخل الامريكي المباشر - استبدل بها مبدأ نيكسون القائل بدعم قوي للحلفاء الاقليميين المحليين ثم جاء بعد ذلك تشكيل قوات « الانتشار السريع » التي قال بها كارتر سنة ١٩٧٧ .

وجاءت أحداث أفغانستان (ديسمبر ٦٩ ـ يناير ١٩٨٠) لتوقف قطار الانفراج ورفض الكونجرس التوقيع على المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة النووية الموقعة بين كارتر وبريجنيف في فيينا يونيو ١٩٧٩ ، وقاطعت الولايات المتحدة الألعاب الاولمبية التي أقيمت في موسكو صيف ١٩٨٠ ، وقبل ذلك بقليل أقامت علاقات مع الصين وقررت تزويدها بصفقات من الاسلحة الامريكية كما تصاعدت الحرب الكلامية والضغوط المختلفة حتى وصل ريجان الى السلطة في الولايات المتحدة بسياساته الجديدة التي أدخلت العالم في مفاهيم عسكرية وسياسية جديدة سُمّي بعض منها « بحرب النجوم » و « ارهاب الارهاب » . وانطبقت على ذلك الى حد لا يصدق كلمة الفيلسوف الامريكي ب . اندروس عندما كتب (عندما يبدأ مجتمع بالشعور بأنه منهك بسبب بعض النذر الشريرة . . سيظهر شخص بنظرة زائغة في العيون اللامعة ويقول ها هو المخرج ! وسيتبعه العديد منا طالما انه يخيل لنا أنه يعرف الى أين يسير)

يبدو أن البحث عن بطل لإزالة آثار هزيمة فيتنام قد وجده الأمريكيون في شخص رونالد ريجان الذي انتخبوه مرتين والذي جعل أحد دهاة السياسة الامريكية المعاصرين وهو كيسنجر يصفه بالقول : (انه ليس مفكرا ولكن من جهة أخرى نراه يسيطر على كل عملية سياسية شارك فيها ، وغالبا ما يقدم مقترحات غير مرضية من الناحية العملية ، ولكن غالبا ما يتضح ان هذه المقترحات صحيحة !)

□ من أي منظور ننظر في علاقاتنا ـ نحن العرب ـ بالقوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فإن مصالحنا ليست بالضرورة هي من أولويات أعمال الجبارين ، والصراع الذي خلفه خروج الاستعمار من آسيا وأفريقيا والشرق الاوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية برز الى الوجود بعد ظهور الدول الصغيرة والضعيفة التي فتحت شهية التوسع الاستعماري ، وكان أفظع أشكال التوسع هو التوسع الاستيطاني في فلسطين

كما أنه من غير المنطقي ألا نهتم بالعلاقات بين القوتين العظميين لأن موقفهما يؤثر بدرجة كبيرة على الموقف العام في العالم ، وعلى تطور العلاقات الدولية اجمالا ونحن جزء من هذا العالم .

الموقف الصحيح هو أن نعرف بالضبط أن حلول مشكلاتنا يكمن فينا أولا ، في رغبتنا وقدرتنا على رص صفوفنا ، وعلى فهم صحيح لرغبة شعبنا العربي الذي رفض في السابق ، ويرفض في الوقت الحالي ، أن يقع تحت أي من النفوذين خارج علاقات التعامل المتكافىء . واذا كنا كعرب نريد أن نسهم اسهاما حقيقيا في سنة السلام هذه . . فلا بد أن نبدأ بأنفسنا . قبل كل شيء . □

محمد الرميحي



بقلم : يوسف الحسن
ـ واشنطن ـ

في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية المنعقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وصل القس البروتستانتي (وليام هشلر) الى قاعة المؤتمر بصحبة هيرتزل . وهتف بحياة الزعيم الصهيوني المؤسس قائلا « يحيا الملك » ، وخطب في المؤتمرين مطالبا بأن « استفيقوا يا أبناء اسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة الى وطنكم القديم في فلسطين »

كان [illegible] من أوائل دعاة الصهيونية في [illegible] عشر وجمع الأموال [illegible] في فلسطين ، [illegible] . وكان أول من قدم [illegible] فلسطين داود وسليمان الموعوده [illegible] »

وبعد ٨٩ عاما [illegible] في نفس مدينة بازل ، وفي [illegible] ١٩٨٥ أول [illegible] مسيحي دولي ، [illegible] اكثر من ٦٠٠ [illegible] مسيحي ، وقد هتفوا بحياة اسرائيل الكبرى ، وصلوا من أجل « عاصمتها الموحدة الأبديه » القدس وقرروا الانتشار في الأرض ـ تنظيما وحركة وفكرا ـ لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيوني ومن أجل « ارضاء الرب » أيضا !

شيء من التاريخ

قلة من المتصدرين للعمل العربي العام وخصوصا العمل الفكري منه يعرفون أن أول من رفع الشعار القائل عن فلسطين « إنها ارض بلا شعب . . لشعب

ـلا أرض » هم قيادات مسيحية أصولية أوروبية وأمريكية ، وكان ذلك قبل بلوغ هيرتزل نفسه سن الرشد . وأن أول جماعة ضغط (لوبى) صهيونية بهدف دعم اقامة دولة لليهود فى فلسطين قد أسسها كسيون أصوليون فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٧ ، بزعامة القس (وليام بلاكستون) ، حينما أنشأ فى شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن اسرائيل) ، ودعا لأول مؤتمر دولى لمناقشة (أوضاع الاسرائيليين ومطالبهم فى فلسطين كوطن تاريخى لهم) وقدم هيرتزل نسخة من (العهد القديم) واضعا خطوطا وعلامات تحت النصوص التى تشير الى استعادة فلسطين ، ولقد حفظت هذه النسخة فى ضريح هيرتزل بالقدس

لقد استمدت الصهيونية مقوماتها منذ نشوئها حتى الآن من مصادر متنوعة يهودية وغير يهودية ، وجمعت بين بواعث عديدة سياسية، واستراتيجية ، وعنصرية ، واستعمارية ، ودينية الخ ولقد كتب الكثير حول هذه المقومات والبواعث ، لكن ميدانا هاما من الصهيونية ظل غائبا ومجهولا ، ألا وهو دور فكر ومؤسسات الأصولية المسيحية (أو ما تسميها بعض المدارس الكنسية الأمريكية بالصهيونية المسيحية) فى فتح الطريق وتمهيد الجو النفسى والفكرى الملائمين لولادة الحركة الصهيونية ، ودعمها فى تنفيذ مشروعها وحمايته ، ودعم تحقيقه وتوسيعه وهيمنته ، بالاضافة الى تعميق النزعة المتحيزة « لاسرائيل » لدى بعض شعوب أوروبا وأمريكا ، التى تجاوزت المسائل السياسية والاستراتيجية ، لتصبح « التزاما اخلاقيا وروحيا وثقافيا » والتى تدفع بالعقل الثقافى الشعبى وأحيانا الرسمى - وخصوصا فى الساحة الامريكية - لأن يتحدث عن « اسرائيل » المعاصرة ، على أنها « اسرائيل » العهد القديم وبعبارات دينية سياسية ، وأن يؤمن بتشابه تجربة مطاردة مهاجرى الغرب لهنود أمريكا الحمر ، مع تجربة مطاردة اليهود للكنعانيين فى الماضى وللفلسطينيين فى الحاضر ، لتصبح هاتان التجربتان فلسفة وقناعة أمريكية - اسرائيلية مشتركة . وأن يعتبر المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة « ليست غير شرعية »

فالاستيطان تجربة مشتركة أنتجت وحدانا أمريكيا اسرائيليا واحدا

الصهيونية أنشودة مسيحية

ولم يكن (كينين) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية المعاصرة مبالغا حينما كتب فى كتابه (خط الدفاع الاسرائيلى) يقول :- **كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية »** ، وقد استمرت هذه الأنشودة الأصولية المسيحية طوال القرون الثلاثة الماضية ، وتجسدت بأشكال مختلفة ، كان من أبرزها مرحلة « تهويد » المسيحية البروتستانتية فى أوروبا ، حيث فسر الأصلاحيون الحرفيون مسألة ذهاب اليهود الى فلسطين بعد النفى ، الواردة فى التعاليم الأولى للكنيسة ، على أنها « عودة اليهود كأمة الى أرض فلسطين من أجل التحضير « **للعودة الثانية** للمسيح »

كما ساعد كثيرا فى منتصف القرن السابع عشر ، وخصوصا فى عهد كرومويل ، الاتجاه العام الذى ساد فيه المذهب البيوريتانى والمتعلق **بفكرة «اعادة** فلسطين لأسلافها العبرانيين » وذهب البعض الى اعتبار أن « العبرية » هى اللغة الملائمة للصلاة فى الكنائس ولقراءة الكتاب المقدس

وفى مطلع القرن التاسع عشر ظهرت مجموعات كنسية أوروبية ، تنادى « بضرورة استعادة اليهود للأرض المقدسة » وأن اليهود هم « مفتاح الخطة الالهية للعودة الثانية للمسيح **المنقذ»**. وحلقت الصلوات والمواعظ والمؤلفات حوا نفسيا ملائما فى أوروبا ، لولادة الصهيونية السياسية فى أواخر القرن التاسع عشر

وقد كان التأثير الفكرى والدينى وخصوصا عقيدة « الحركة البروتستانتية المؤمنة بعودة المسيح » كبيرا على مستقبل الموقف البريطانى السياسى نحو الصهيونية ، واقامة دولة اليهود فى فلسطين ، حتى أن بلفور صاحب الوعد المشئوم ، وبرغم اعجابه وقناعته السياسية باقامة دولة لليهود فى فلسطين ، فإن أطروحات « شعب الله المختار » ، و « حقه فى أرض الميعاد » و « تحقيق النبوءة التوراتية بتجميع اليهود فى

دولة اسرائيل [illegible] معتقداته التي [illegible] في [illegible] الجانب الايجابي [illegible]

[illegible] (اسرائيل في العقل الأمريكي) [illegible] الصهيونية [illegible] ومؤرخة حياته (بلانش دوغديل) « لقد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس ،

الغيمة وعمود النار

[illegible] الصهيونية المسيحية من [illegible] الى الولايات المتحدة الأمريكية [illegible] التي [illegible] الصهيونية [illegible] اليهود الى فلسطين .

[illegible] الصهيونية المسيحية في أمريكا [illegible] فهي موجودة منذ [illegible] الأمريكية ، [illegible] الذين [illegible] في تلك الحقبة ، أن الله [illegible] لعبادة [illegible] « [illegible] العربية » [illegible] المتحدة [illegible] في [illegible] السحاب [illegible] (وقد [illegible] ٥٧) من [illegible] الذي اقترحه [illegible] والنص الوارد في [illegible]

وكان الرب يسير أمامهم نهارا . في عمود سحاب ليهديهم في الطريق . وليلا في عمود نار ليضيء لهم

[illegible] هذه الصهيونية

المسيحية منذ طفولته . فقد نشأ وترعرع في بيئة تقية ، فحذاه شأن من رجال الكنيسة الانجيلية المسيحية ، ورأى نفسه ـ من خلال خطبه العديدة ـ **« بأنه قد أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه للبرنامج الصهيوني » وكان التزامه بالصهيونية ودعمه لوعد بلفور عميقا جدا .**

ونشأت في النصف الأول من القرن العشرين العديد من المنظمات الصهيونية المسيحية ، وقد كان لها دور كبير في السياسة الخارجية الأمريكية ، خصوصا فيما يتعلق بقضية فلسطين ، واقامة دولة لليهود فيها . فلسطين عند التيار الأصولي المسيحي خصوصا التيار الرئيسي البروتستانتي الأمريكي ، الذي يصل تعداده اليوم لأكثر من ٧٥ مليون نسمة هي **« الأرض المقدسة التي كانت مسرحا لأحداث العهد القديم » « وان إنشاء « اسرائيل » واستعادة اليهود للقدس هما اشارتان رئيسيتان لتحقيق النبوءة نهاية الأزمنة ، وبرهانا على صلاحية وصحة التوراة » .**

ومع مطلع السبعينات ، واستخدام الكنيسة ومنظماتها الأصولية لوسائل الاعلام الحديثة وخصوصا الاذاعة المسموعة والتلفزة والكمبيوتر والنشرة والمنبر سجلت ولادة جديدة لحركتها ، ووصلت الى أن يكون عام ١٩٧٦ هو عامها ، كما اطلقت عليه مجلة (التايم) بادئة مرحلة نشطة منظمة ومؤثرة في اتجاه السياسة الامريكية . وقد أثر في تطور وتنامي حركة الصهيونية المسيحية صعود مناحم بيغن الى السلطة في « اسرائيل » ، وحرصه باستمرار على استخدام التعابير التوراتية في حركته السياسية ، وجهده في اقامة علاقات شخصية عميقة مع قيادات الحلف المسيحي الأصولي في أمريكا ، وتحول هذا التيار الصهيوني المسيحي في الثمانينات لتصبح أبرز وأسرع القوى الصاعدة النامية في الحياة السياسية الامريكية في القرن العشرين ، طارحا شعاره بأن **« الوقوف ضد « اسرائيل » هو وقوف ضد الرب »** وبمختلف وسائل التأثير على الرأي العام وصنع القرار وبقوة ، وبمقدمات فاشية خطرة ساعية لأن تكون « **تيار المستقبل** » الحاكم في الولايات المتحدة .

السفارة المسيحية الدولية

وتعتبر منظمة (السفارة المسيحية الدولية) التى نظمت مؤتمر بازل الأخير هى أكثر التنظيمات والقوى الصهيونية المسيحية المعاصرة انتشارا ونموذا فى الساحة الدولية

وقد ولدت هذه المنظمة فى نهاية سبتمبر ١٩٨٠ ، حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحى ، جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة ، فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيرا عن الدور المركزى لهذه المدينة المقدسة ، فى فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة . وقد جاء تأسيسها اثر رفض المجتمع الدولى لقرار الحكومة الاسرائيلية اعتبار القدس « عاصمة موحده أبدية » لاسرائيل » وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس الى تل أبيب .

وافتتحت مكاتبها فى القسم العربى من القدس بحضور عمدة المدينة وكبار قادة الكيان الصهيونى وفى الوقت نفسه أعلنت عن افتتاح (قنصليات) لها فى أكثر من ٣٧ دولة فى أوروبا وآسيا وافريقيا وكندا واستراليا ، وأحد يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون للصهيونية ، وممن يحملون مشاعر العداء تجاه المسلمين والعرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص

وقد اتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية مقرا لها ، وافتتحت فروعا لها فى عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية ، وتقوم هذه المراكز بجمع التبرعات لأسرائيل ، وعقد المؤتمرات وتسيير المظاهرات وحشدها ، وبيع المنتجات الاسرائيلية ، وتنظيم الرحلات السياحية اليها ، وممارسة الضغوط السياسية على صانعى القرار فى دول العالم لصالح « اسرائيل » ، ويؤمن أعضاء وأنصار هذه السفارة بأن « الله قد وهب أرض فلسطين لابراهيم وأبنائه من بعده » كما يعارضون بشدة فكرة ممارسة الضغوط على « اسرائيل » للانسحاب من الأرض العربية المحتلة ، ويؤمنون بأنه « على « اسرائيل » أن تمتد من نهر الفرات الى النيل » . ويقول رعيم هذه المنظمة وهو رجل دين هولندى ان « اسرائيل » بحاجة الى الضفة العربية وغزة لتوفير أماكن ليهود الاتحاد السوفيتى للاستيطان فيها » .

وقد حددت هذه المنظمة ـ السفارة أهدافها فى منشور أصدرته هذه العرص فى عام ١٩٨٠ على الشكل التالى :

١ ـ الاهتمام البالغ بالشعب اليهودى ودولة « اسرائيل »

٢ ـ تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة ، من أجل القدس وأرض « اسرائيل » وتحريضهم لممارسة التأثير فى بلادهم لصالح « اسرائيل »

٣ ـ انشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية فى « اسرائيل » .

صهاينة أكثر من الاسرائيليين

وقد اختصر رعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله « **اننا صهاينة أكثر من الاسرائيليين أنفسهم** » . ويدير الآن عددا من المشروعات والبرامج فى « اسرائيل » والخارج ، وتصل موازنة **منظمته الى** أكثر من مائه مليون دولار ، وملايين من الأتباع ، وعشرات الالاف من الأعضاء فى جميع أنحاء العالم ، وقد نظمت هذه السفارة على مدى الأعوام الماضية مهرجانات ومسيرات حاشدة فى شوارع القدس ، احتفالا بتأسيس « اسرائيل » ، وبالأعياد الدينية الاسرائيلية مثل (عيد العريش) الذى يعتبره اليهود عيدا للحصاد . وتحشد السفارة بحشد الالاف من رجال الدين المسيحيين للمشاركة فى هذه المهرجانات سنويا . ويحرص قادة الكيان الصهيونى على حضور هذه الاحتفالات ودعم تنظيمها وتشجيعها

ففى احتفالات عام ١٩٨٣ التى استمرت لأكثر من أسبوع ، شارك فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسيحى أصولى ، وتنوعت خلالها البرامج وشملت زيارات للمستوطنات ، وزراعة الأشجار ، وتلقي دروس اللغة العبرية .. الخ ، بالاضافة الى اقامة الصلوات المسيحية التى يقول عنها رعيم هذه المنظمة فى منشور لها وزع عام ١٩٨٢ .

« ان الصلاة الحقيقية من أجل « اسرائيل » تتطلب

الدفاع عنها . . . وسواء كنا نصلي للقدس الموحدة تحت الحكم اليهودي ، أو من أجل الافراج عن اليهود السوفييت ، فإننا يجب أ... ملك الشجاعة للتحدث بصوت عال أمام حكوماتنا ، وكل رسالة نبعث بها الى قيادات دولنا ستعود بالعائدة على الشعب الاسرائيلي »

وفي احتفالاتها في اكتوبر ١٩٨٤ ، حشدت السفارة سبعة الاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من اكثر من ٥٠ دولة ، وقد تجمعوا في القدس وزاروا المستوطنات وسيروا المظاهرات تأييدا « لاسرائيل » ودعما لها

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩٨٤

« لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء « اسرائيل » وقادتها ، وكان عنوانها « القدس كعاصمة أبدية « لاسرائيل » و « أقيمت الصلوات المسيحيه من أجل هذا الهدف »

فرقة أغاني صهيون

وتستخدم السفارة شبكة واسعة من أجهزة الاعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها في كيفية خدمة القضايا الاسرائيلية فهي تصدر مجلة اخبارية ربع سنوية اسمها (المراجعة) بالاضافة الى عشرات من الأوراق والنشرات والبيانات الدورية ، وانتجت فيلما صهيونيا ، وشكلت لجانا للعمل السياسي ، ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية الى صانعي القرار في عدد من دول العالم ، وصارت تدعى لجلسات الاستماع في الكونجرس الأمريكي ، وفي نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدم دعما لجنود « اسرائيل » اثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، وأنشأت فرقة للغناء أسمتها (فرقة أغاني صهيون) وجمعت لمساعدات المالية ، وشجعت بيع السندات الاسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية .

ويستشعر مسيحيو فلسطين المحتلة مدى خطورة هذه السفارة ، ففي مؤتمر صحفي عقده المطران (ايليا خوري) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (الذي أبعدته سلطات الاحتلال عام ١٩٦٩) في نوفمبر ١٩٨٤ قال

« ان وراء قيام هذه السفارة مجموعة من المسيحيين المهووسين ، وباعتراف من القيادة الصهيونية ، وبتشجيع منها بدعاوى الحفاظ على المصالح المسيحية في فلسطين ، وانني أؤكد ان المسيحيين هم براء من هذه السفارة وعلى رأسهم المسيحيون العرب » .

ولعل أبرز نشاطات هذه السفارة مؤخرا ، ذلك المؤتمر الدولي الذي حرصت على عقده في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية في مدينة بازل بسويسرا ، وقد عقد مؤتمر بازل الجديد في ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ م بحضور أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية ، قدموا من ٣٧ دولة ، اضافة الى أكثر من هذا العدد من المراقبين ، حضروا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب افريقيا والجابون وساحل العاج وزائير بخلاف ممثلين عن المنظمات الصهيونية اليهودية والمؤسسات الاسرائيلية كما لوحظ مشاركة عدد من رجال الدين الكاثوليك الذين هاجموا موقف الفاتيكان من عدم اعترافه « باسرائيل »

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر يوم ١٩٨٥/٨/٣١ على لسان القس (ديفيد لويس) أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية :

« ستشهد الكنائس العالمية في المرحلة القادمة أعظم نقاش شهده العالم المسيحي » حول موقف الكنيسة من « اسرائيل »

اعلان بازل الجديد

وقد تركزت قرارات هذا المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية التي أبرزها :

١ - الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي « باسرائيل » كدولة لليهود ، ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصا من الاتحاد السوفيتي ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات الى النيل ، تحقيقا للنبوءات التوراتية .

٢ - مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الاسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات اذا ما طردت منها « اسرائيل » .

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية « لاسرائيل » ، وبالتالى نقل سفاراتها اليها

٤ ـ ادانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر

٦ ـ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين (يسميهم المؤتمر اللاجئون من « اسرائيل ») فى الوطن العربى ، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب فى « اسرائيل »

٧ ـ دعم ومساندة الاقتصاد الاسرائيلى وانشاء « صندوق استثمار مسيحى دولى » لهذه الغاية مقره فى أمستردام وبرأسمال مبدئى قدره مائة مليون دولار ، ويخصص للصناعات التقنية والسياحة فى « اسرائيل » .

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية « لاسرائيل »

٩ ـ تعبئة الكنائس لنصرة « اسرائيل » وانشاء تنظيمات بحدود شعبية لهذه الغاية ، ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالاعتراف بالرابط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه الموعودة ودولته « اسرائيل »

١٠ ـ الصلاة انتظارا للمجىء الثانى للمسيح ومملكته القادمة فى القدس

ما العمـــل ؟

لا بد ان يشكل انتشار الصهيونية المسيحية الأصولية ، وصعودها على المسرح السياسى والثقافى والاعلامي ، وتأثيرها فى عقل المجتمع المدنى المؤسسى الدولى بشكل عام والأمريكى بشكل خاص ، خطورة وقلقا بالغين .

فهذا التيار يشكل « هرطقة » دينية تسىء الى المسيحية الصحيحة ، وستؤدى الى فتح امكانيات حدوث صدام دينى فى القادم من السنين ، خصوصا مع تصاعد وتنامى الانبعاث الدينى فى الوطن العربى والعالم الاسلامى ، وانتشار الاقتتال الطائفى فى أنحاء متفرقة من العالم . وتزايد الدعم الأمريكى « لاسرائيل » وخصوصا فى استكمال مشروعاتها التهويدية وتدمير الأماكن المقدسة فى القدس ، وما تلعبه المنظمات الصهيونية المسيحية من أمثال السفارة المسيحية الدولية ، ومنظمة بناء المعبد ومنظمة (الاغلبية الاخلاقية) ، وغيرها الكثير في تدعيم السياسات التوسعية والتهويدية الاسرائيلية ، وما تمارسه هذه المنظمات من استفزاز للمشاعر الوطنية والقومية والدينية للعرب والمسلمين في شوارع المدن العربية المحتلة أو في الساحة الدولية .

كل ذلك مدعاة للمتصدرين للعمل العام الرسمي والشعبي في الوطن العربي وخارجه لاقتحام هذا الميدان ، والتعامل معه والحيلولة دون استمرار استغلال الصهيونية للكنيسة سياسياً ودينياً

ان مقترحات عديدة ومثمرة يمكن طرحها في هذا المجال ، ابتداء من انشاء مؤسسة لحوار اسلامي ـ مسيحي دائم ، وزيارات متبادلة ، وحضور مستمرة من اللقاءات والأعمال المشتركة يلعب فيها مفكرون ورجال دين مسيحيون عرب يعون ويدركون هذه المسائل دورا أساسيا ، وانتهاء بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السوداء ، وبعض الطوائف البروتستانتية ، ممن ترفض « صهينة » الكنيسة المعاصرة في أوروبا وأمريكا والوعي بهذا الميدان هو الخطوة الأولى نحو التعامل معه

ان الصهيونية الأصولية المسيحية ليست مجرد صلوات كنسية تدعو لخدمة « اسرائيل » وسياساتها كجزء من تحقيق « رضاء الله » كما يقولون ، بل تشكل تياراً رئيسياً وثقل شعبي لا يجوز معالجته بالتجاهل أو بالتقليل من تأثيره وقوته فقد وصلت رسالة الصهيونية المسيحية بفعل ما ملكته وأدارته من وسائل اعلامية وخصوصا التلفزيون ، الى عقول وجيوب الملايين من الأمريكيين ، مستثمرة بفعالية عالية ما اتسمت به الثقافة الأمريكية في عصر الصناعة من صبغة « شخصية » و « تقنية » ، وتعدت الى خارج حدود الكنيسة الى التأثير في الفكر والثقافة الشعبية وسارت مع اليمين السياسي التيار الحاكم في الثمانينيات من هذا القرن وفي أقوى دولة على الأرض ويخطيء من يعتقد أن الكنيسة في أمريكا لا دور لها ، بسبب ما يقال عن علمانية المجتمع الأمريكي والصحيح أنها تحظى بدرجة عالية من الثقل والتأثير . □

أوراق مطوية



*

بقلم : الدكتور عبدالوهاب حومد

الشخصيات العامة كانت وما زالت محل خلاف . . مع ذلك فإن التاريخ يقول كلمته في النهاية

هنا في هذه الأوراق جانب جزئي عن موقف شخصية عامة ، لعبت دورا كبيرا في حياة الأمة حول قضية تتعلق بحياة أو موت بعض الأفراد !

فما الذي تحتويه الأوراق ؟

حين تقرر اعلان قيام الوحدة الثنائية عام ١٩٥٨ بين مصر وسورية شعرت براحة نفسية غامرة ، لاعتبارات داخلية خاصة بأوضاع بلدنا ، ولأنني كنت على ثقة راسخة بأننا ـ نحن السوريين ـ وضعنا عبء الأمانة القومية ، على ثقله وخطورته ، فوق كتف القائد القوي ، وأرسينا الأساس المتين للصرح القومي الشامخ ، الذي طالما حلمنا بقيامه ، وعملنا له منذ أن كنا أحداثاً في المدرسة الثانوية ، نلقى ـ جميعا ـ عنت جنود الاحتلال الفرنسي

واستقبلت الوحدة في المحافل الرسمية بالمشاعر الملتهبة ، كحدث جليل من أحداث التاريخ الكبرى ، كما استقبلتها الأوساط الشعبية ، على مختلف شرائحها الاجتماعية بالأهازيج والمسيرات المتفجرة ، مما لم تشهده عين على امتداد العشرينيات الى الستينيات، فقد كانت أول وحدة تتم بين قطرين عربيين على أساس من التفاوض والرضا المتبادل ، تنازلت فيها سوريا ، راضية مرضية ، عن مظاهر

* وزير العدل في وزارة الوحدة ، استاذ ورئيس قسم القانون الجنائي في جامعات دمشق والرباط والكويت ما بين ١٩٤٦ - ١٩٨٣

الدولة ، لتصبح الشقيق الأصغر في الدولة الكبرى ، المتشامخة .

وبقيام هذه الوحدة ، برئاسة الرئيس عبدالناصر ، تنامت هيبة القائد الخالد في المصطرع العالمي ، وأدرك العدو الصهيوني أنه أصبح بين فكي كماشة ، قادرة على أن تطبق عليه ذات يوم ، من الشمال والجنوب ، بعد أن كان يستفرد كل جهة على حدة فيوجعها ويثخنها جراحا ، فيما تنتظر الجبهات الأخرى دورها .

ومن حق التاريخ أن أقول ان هذه الوحدة ، اذ جاءت تلبية لنداءٍ قومي كامن في النفس العربية منذ الأزل ، فإنها ظلت حبيسة في الضمائر ، مشاعرَ جيَّاشة وأمنياتٍ متوثبة . حتى جاء عبدالناصر وأطلقها من محبسها ، فاندفعت تتدفق كالسيل العرم ، لا يقف في وجهه ، لا المؤلفةُ قلوبُهم ولا المتربصون في أوكار التآمر .. لذلك كانت هذه الوحدة نصرا شخصيا له توج بها انتصاراته الباهرة ، في اخراج الانكليز من مصر ، وتأميم القناة ، وسحق العدوان على السويس ، وتساقط الحكومات المعادية ، من غي دى موليه في فرنسا ، الى انطوني ايدن في بريطانيا .

مظروف غامض

وفي هذه الأجواء المعبقة بالأمجاد القومية الخالدة ، دعاني مفجرُها الى تولي مقاليد وزارة العدل في دولة الوحدة الفتية . ولقد أحسست ، وأنا أقبل التكليف ، بشعور غامض من العزة بهذا التكريم الشخصي ، ولكني ، للأمانة ، شعرت أيضا بكثير من الحرج ، لأن القيادة الجديدة ستعمل بزعامة رئيس كان اسمه يرنُّ في أسماع الدنيا كلها ، حتى أنه اذا أراد زعزعة كيان منحرف ، كان يكفيه أن يصرح على أجنحة الأثير ، بأنه يتركه لشعبه .. ولقد عرف عبدالإله ونوري السعيد ما يعنيه هذا القول على الطبيعة .

وكنا مازلنا في أجواء النشوة الغامرة ، حين دخل علي مديرُ مكتبي ، ذاتَ صباح ، يحمل الي مظروفاً كبيراً ، أصفر اللون ، مختوما بالشمع الأحمر ، ومكتوبا عليه (سري ويفتح باليد) ..

وربما جال في خاطري ، وأنا أفتحه ، كلُّ احتمال ، الا احتمالَ ما وجدته فيه ... فقد كان يضم بين جانحتيه على أربعة ملفات كئيبة المنظر والمخبر ، تتضمن تصديق رئيس الجمهورية على خمسة أحكام صادرة عن القضاء السورى ، بإعدام خمسة من المجرمين ... ولم يكن ما قرأت بالنبأ المبهج ، لأنه يعني أن علي أن أصدر الأمر الى النيابة العامة بنصب خمس مشانق في الساحات العامة ، لانتزاع أرواح خمسة من التعساء ..... وإنها لمهمة شاقة ، ينقبض لها الصدر ، وتضيق بها النفس ، لأن الحياة بذاتها مكرمة ، ولو كان القضاء عليها مبرراً في كتاب الله ، وبنص القانون وحكم القضاء .. وفي المساء حملت المظروف الى بيتي ، دون أن يكون أحد قد عرف بمضمونه ... فقد علمتني أحداث الحياة ، أن من المفضل أن يتكتم المرء بعض الأمور الصعبة والدقيقة ، لعله يستطيع أن يحوِّل مجراها الى ما هو خير وأبقى .

وجلست في مكتبتي المنزلية أقرأ الملفات ، في هدأة الليل ... ومن نافلة القول ، أن أعترف بأني لا أملك حيال هذه الحالة الفاحثة أي سلطة . فحق التصديق على أحكام الاعدام أو الامتناع عن التصديق عليها ، يعود الى رئيس الجمهورية وحده ، باعتباره المرجع الأعلى والملاذ الأخير لكل محكوم عليه بالموت ، بموجب أحكام الدستور (المادة ٧٣ من دستور ١٩٣٠ والمادة ٨١ من دستور ١٩٥٠ والمادة ١٠٥ من دستور ١٩٧٣) . وحين يستريح ضميره الى إعدام المجرم ويوقع على المرسوم ، يكون آخر باب للحياة ، قد أغلق في وجهه ، ولم يعد من حق أي مسئول أن يفعل شيئاً ، لا سيما اذا كان هذا المسئول هو الذي أوصى بإصدار هذا المرسوم . صحيح أنني لم أكُنْ ، شخصيا ، قد أوصيت بشيء ، لأن هذه الأحكام صدرت قبل قيام الوحدة ، وأُرسِلتْ الى رئاسة الجمهورية السورية إذ ذاك ، واحتفظ بها الرئيس السابق في مكتبه ، فقد كان المعروف عنه أنه كان لا يحب اتخاذ هذا النوع من القرارات بل كنت أجهل وجودها بالمرة .... فقد أُرسِلتْ من قِبَل وزراءَ سابقين للعدل ، غير أن من شأن الدولة أن تساس أمورها من قبل الأجهزة الثابتة ، جرياً على

قاعدة غير مألوفة ، مفادها أن ما جرى صحيحا قبلا ، يظل كذلك الى أن يلغى

ثارات العائلات

ولقد استقر في روعي أن ثلاثة من الخمسة يستحقون أن يموتوا جراء ما اقترفت أيديهم من إزهاق أرواح بريئة حرم الله قتلها الا بالحق . وهؤلاء قتلوا ضحاياهم في ظروف دنيئة ، بعيدة عن الحق فكان اصدار الأمر الى النيابه بإعدامهم ، تنفيذا لحكم الله فيهم « ولكم في القصاص حياة » ، حدثاً عادياً لم ترتجف له يدي ومع بواكير الفجر في اليوم التالي ، اهتزت ثلاثة أجسام ، عدة هزات عنيفة ، ثم همدت ، ليلاقي أصحابها وجه ربهم يوم العرض عليه في الحياة الأخرى . .

ولكني وقعت في حيرة كبرى أمام تنفيذ الموت في المحكومين الاثنين الباقيين . . ومصدر الحيرة طبيعة جريمتهم التي ارتكباها معا ، والظروف الشاذة التي احاطت بارتكابها فهما من اسرة بينها وبين أسرة تجاورها في الحي عداوة قديمة ، من جراء تنافس موروث على الزعامة . وتعد كل أسرة بضع عشرات من شبان أشداء ، لقنوا صباح مساء ، أن الثار حق ، مطلق بواجب . وأن الكرامة الجريحة ، لا تستعاد الا بدم مراق . وقد حدث أن قتل واحد من الأسرة الأولى ، أحد كبراء الأسرة الثانية ، وبدل أهل الاصلاح في الخلاف ، وحلوه صلحا ، بدية متعارف عليها ولكن كان معروفا لكل ذي بصيرة أنه صلح هش ، ليس في مقدوره أن يطفىء جذوة الحقد وظل الناس يترقبون بكثير من التوتر ، قتل شخص يكافىء المقتول الأول في مقامه و شاره . . لهذا لم يفاجأ أحد بإزهاق روح أخ للقاتل بعد فترة قصيرة . . وعاد المصلحون يتدخلون - على عادتهم - لاطفاء النار وتم صلح جديد ، على دية في حجم الدية التي دفعها ذووه . . واستدعي الشهود لأداء الشهادة فأقسموا جميعا على أنهم لم يروا شيئاً ، وفصلت المحكمة في الدعوى بأدنى ما يمكن من الأضرار القانونية ، لعلها تساعد في ذلك على ترسيخ السلام وقنع الناس بالحكم ظناً منهم أن كل جانب حصل على ترضية حفظت كفتي التوازن الزعامي متماثلتين . غير أن ولدي المقتول الثاني بيّتا أمراً في النفس ، وراحا يتربصان بوالد من قتل أباهما . . . وحين وضعه القدر ذات يوم في مرمى نيرانهما ، صاحا به ينذرانه - على عادة الفرسان الذين لا يقتلون غدراً - وفتحا عليه فوهتين من أبواب جهنم ، فمزق الرصاص جسده بإحدى عشرة رصاصة نافذة . ولكن الله كان لطيفاً به فأنقذه بفضل تقدم الجراحة الطبية . . . . وقبض على الفاعلين ، فأنكرا علمهما بشيء مما حدث ، وأحيلا الى محكمة الجنايات ، بقرار اتهام محكم التعليل من قبل قاضي الاحالة . وحاكمتهما المحكمة على جريمتهما المنكرة ، وأدانتهما بجريمة الشروع في القتل وحكمت عليهما بالاعدام . . فطعنا بالحكم لدى محكمة النقض ، فنقضته الغرفة الجنائية من ناحية شكلية ، واعيدت القضية إلى المحكمة التي أصدرته بتشكيلها السابق ، لأن القانون يقتضي ذلك ، وأصرت على حكمها السابق باعدامهما . وصدقت الغرفة الجنائية في محكمة النقض على هذا الحكم بإجماع أعضائها ، ورفعته النيابة العامة الى وزير العدل . ومن أسف أنه ليس في التشريع السوري ما يوجب على محكمة الموضوع أخذ رأي المفتي على غرار التشريع المصري ، ولو كان القضاء المصري لا يعتبر هذا الرأي ملزما ، ولكنه قد يرجح جانب اللين في عاطفة الرئيس قبل إصدار الحكم بالموت حين اتخاذه قراره الأخير . . كذلك ليس في قانوننا ما يوجب اصدار الأحكام بالإعدام بإجماع أعضاء المحكمة ، وهذه ضمانة أخرى وأن كانت موضع نظر ، الا أنها قد تكون مفيدة في بعض الحالات [1]

لم تأخذه العزة بالاثم !

ولكن القانون يشترط عرض الحكم على لجنة من القضاة في وزارة العدل ، مؤلفة من خمسة قضاة من المرتبة الأولى يعينون بمرسوم (المادة/ ٤٥٩/ أصول جزائية) ، لتبدي رأيها فيه قبل أن يرفع الى مكتب

(١) المادة/ ٣٨١/ من مجموعة الاجراءات الجنائية ، المعدلة بالقانون رقم/ ١٠٧/ لسنة ١٩٦٢ التي تشترط الاجماع .

الرئيس . كذلك فإن مكتب الرئيس يضم مستشارين قانونيين يعاودون دراسة هذه الأحكام الخطيرة ، وينصحون الرئيس بما انتهى اليه رأيهم . . . وتعود الكلمة الأخيرة للرئيس ، فإن شاء صدق عليه ، وإن شاء أبدل بالاعدام عقوبة أخرى ، دون أن يكون ملزماً بأي تعليل . . . ولقد اتخذ الرئيس قراره بالتصديق على الحكم ، وبذلك تكون القضية قد ختمت نهائياً ـ ويقضي التعامل أن يظل هذا القرار سرياً الى أن ينفذ ، رحمة بالمحكوم عليه ، وإشفاقاً على ذويه ، ومراعاة لحاجات الأمن العام . . . وبالتالي لم يعرف به أحد سواي . وظني أنه نبأ لو تسرب خارج مكتبي ، لكان للموضوع وضع أكثر صعوبة ، لأن التلكؤ في تنفيذه ، سيفسر بأنه نوع من الاعتراض غير المألوف على رأس الدولة ، وصاحب الحق . . . وقد يرين له بعض أعوانه بأنه تطاول على مقامه وعرقلة لأحكام القضاء ، بل ومساس بمبدأ فصل السلطات ، كما أن أصحاب الثار يسهرون على متابعة أنباء التنفيذ ، بأعين يقظة ، ويحصون على المسؤولين حركاتهم وسكناتهم لارواء غليلهم . وفي مثل هذا الجو ، كان الأسهل عليّ أن أنفذ الحكم . ولكن المشكلة أنني اذا كنت مقتنعاً بسلامة الاجراءات القانونية من الناحية الشكلية ، فإني لم أكن مقتنعاً بسلامة الحكم من الناحية الموضوعية ، أي أنني إذا كنت مقتنعاً كقاض للقضاة ، فإني لم أكن مقتنعاً كإنسان ، كما كانوا يقولون في مرحلة القناعة القانونية . وبقيت طوال الليل في صراع بين واجبي كمسئول وبين حقي كإنسان . . وكان أكثر ما يحز في نفسي هذا التطبيق الجامد للمساواة القانونية بين الشروع وبين الفعل الناجز ، على الرغم من أن القانون نفسه أجاز للمحكمة أن تخفض عقوبة الشروع في القتل الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، أو الى الشاقة المؤقتة مدة تتراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة ، ولكن القضاء جنح في هذه القضية الى التشبث بالعقوبة الأكثر شدة ، ربما لأنه ظن أن الشدة المتناهية تمنع اندلاع الفتن ، وتجتث جذور الشر . وكان هذا مذهباً غير صائب في ظني . أولا لأن الذي اعتديا عليه لم يمت ، ثم لأنهما في العرف المحلي موتوران يطلبان ثأراً ، ومجتمعهما ظالم، لا يتسامح معهما في تقاعسهما عن الأخذ بثأر والدهما . . ولذلك فإنهما مجرمان من نوع خاص ، فكان من الانصاف أن يكون ظرفهما سبباً في نظرة عطف .

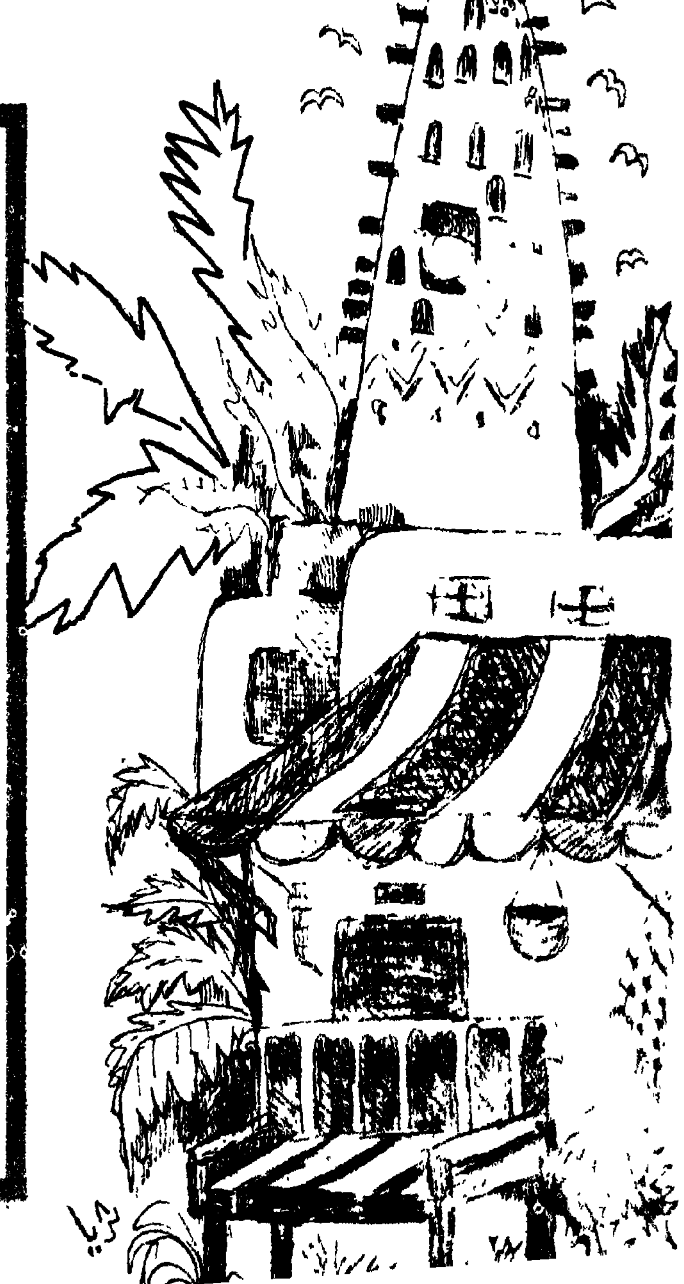
وثالثة الأثافي أن إعدامهما . . سيكون سبباً لاشعال نار ، سيكون وقودها الجثث والهام . . . ومن الجائز أن تستمر الأعمال الثأرية ، جيلاً بعد جيل ، حتى يرتقي المستوى الثقافي ، الى درجة يقنع فيها كل إنسان بقول الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . وواقع الحال ينبىء بكل بلاغة ، بأن هذا اليوم ليس بقريب مع الأسف . . واتخذت قراري الذي اطمأنت اليه نفسي بالتوقف عن تنفيذ الحكم ، وبتوجيه رسالة سرية مباشرة الى الرئيس بينت له فيها رأيي ، بضعف شرعية هذا الحكم من الناحية القانونية ، وبالذيول الخطيرة التي سوف تترتب على تنفيذه ، وبصحته باعتباري مستشاره على مسائل العدل ، أن يعيد النظر في قراره ، ويبدل بهذا الحكم عقوبة حاجزة للحرية ، مهما كانت مدتها . . . ولم يمض على هذه الرسالة عشرون يوماً ، حتى أعاد الي مكتب الرئاسة الملف وفيه قرار جديد يتضمن عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بدلاً من الاعدام . . وهذا يعني أن الحياة كتبت لهما من جديد . وكنت فرحاً حقا ، لأني ساهمت في إنقاذ شخصين لا يستحقان الموت في نظري . وكنت أكثر فرحاً لأن الرئيس لم تأخذه العزة بالاثم ، فلم يصر على قراره السابق حفاظاً على هيبة موهومة . . . فرجع ، بوحي من ضميره ، الى جانب الحق والرحمة .

وحين قابلته بعد فترة ، أشار الى الموضوع إشارة أثلجت صدري ، وأقنعتني أن النصيحة البريئة تلقى الترحيب الجميل ، من أصحاب القلوب الكبيرة . . .

ولقد كان الله في عوننا ، نحن الاثنين . فقد أثبتت السنوات التالية ، أننا كنا على صواب ، فيما اجتهدنا ، فقد ساد الصلح بين الأسرتين المتناحرتين ، واستفاد المحكوم عليهما من قانوني عفو شامل ، صدرا تباعاً ، ثم أفرج عنهما لثبوت حسن سلوكهما وعادا الى ذويهما ، منهكين من سنوات ما وراء القضبان ، الا أنهما عادا مواطنين سويين . . وحتى يومنا هذا ، لا يعرفان ، ولا يعرف غيرهما ، كيف فك الله برحمته من عنقيهما حبلاً من الليف مُغار الفتل . . □

حمام زاجل

شعر :
يوسف
عبدالعزيز



حائرٌ فيكَ ،
فى شغبِ الولدِ الفوضويِّ
وفى سَفرِ النسر للقممِ العالية
كيفَ بدَّلت سترَتك البالية
بقميصٍ أنيق
وغادرتَنا
تاركاً في (الشَّهرزاد) (١)
عُلبةَ التبغِ ، والقهوةَ الساخنةَ ؟
كيفَ أسلمتَ قلبَكَ للذئبِ ،
والشِّعرَ للموجةِ الخائنة !!
انّنى حائرٌ
حائرٌ في الصَّديق
حائرٌ فى الرَّفيق
حائرٌ فى الذى كانَ يبكى
خرابَ الفضاءْ
وذبولَ الحريقْ
حائرٌ فى طعينِ الرصيفِ
وبرجِ الحمامِ
أين تمضى ؟
لقد أولموا دمنا للسَّلامْ



أين تمضى ؟
الى فندقٍ فى أقاصي المياهِ
وما أنتَ بالسَّائحِ الأجنبى
أيُّها الولدُ الفوضوى
انتَ نصفكَ طينٌ ونصفكَ
مجزرةٌ وسهام
أنتَ من نسلِ قُبَّرةٍ فى شقوقِ
المخيَّم ،
سوفَ أعودُ الى (الجلزونِ) (٢)
وأسألُهُ :
عن فتى كانَ يجمعُ ماء الوطنْ
فى ثنايا النَّشيدْ
عن شبيه الدّوالي ،
وقوسِ الحديدْ .
عن أميرَ الصعّاليكِ ،
عن نجمةٍ ساهرة
في ظلام المقاهى
وعنِ ثعلبٍ حائمٍ فى الشَّوارع
يبحثُ عنِ خصرِ سيّدةٍ
ويرى أنَّ أيّامهُ
دفترٌ طافحٌ بالجنون
أيُّها الولدُ الفوضوى
من تكونُ !؟
مُهرَ هذي الشّعابُ
أم طيوراً بعيدة ؟
شاعراً أم بقايا قصيدة ؟؟

---

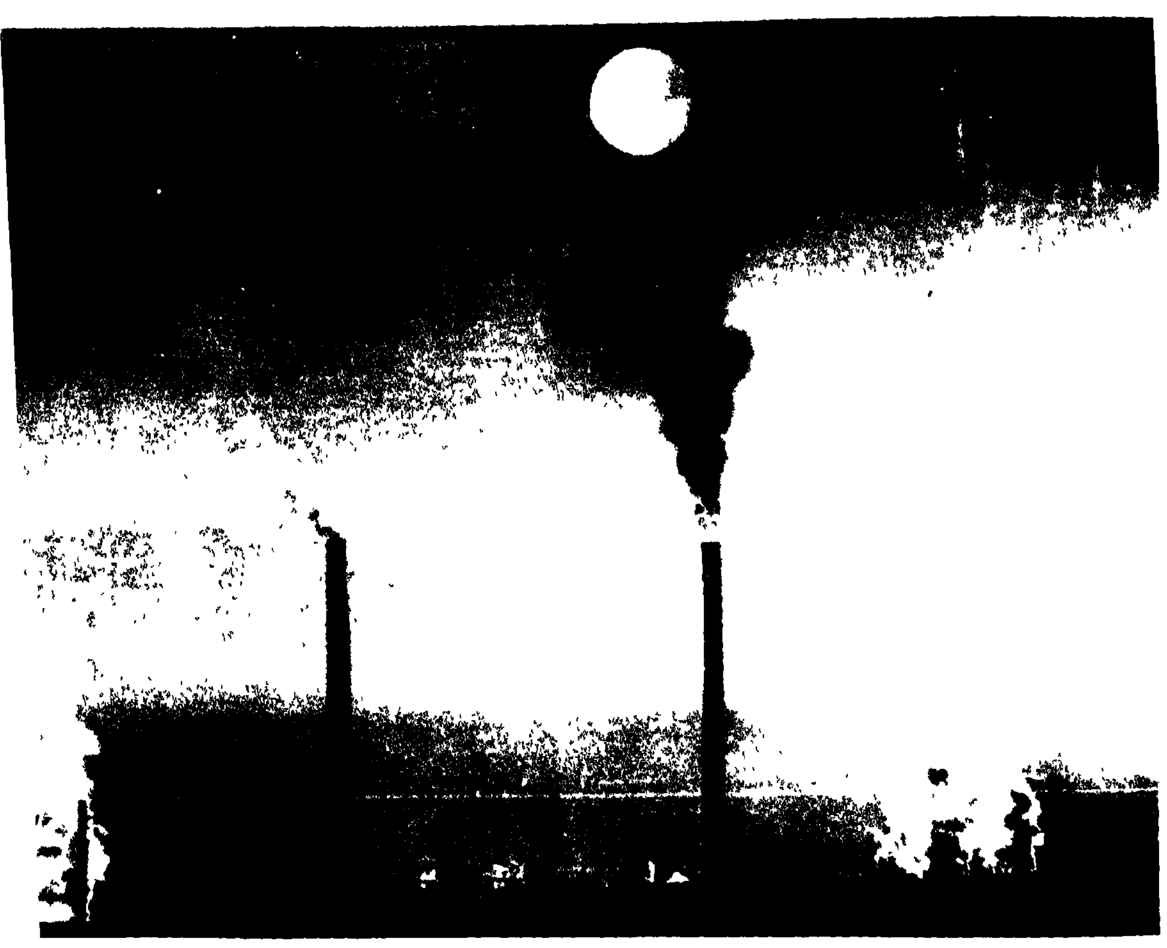
١ ـ الشهرزاد مقهى فى مدينة عمان
٢ ـ الجلزون . مخيم فلسطيني بالقرب من مدينة رام الله المحتلة



بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

يبدو أن كارثة مصنع شركة يونيان كاربايد في مدينة بوبال الهندية في أواخر عام ١٩٨٤ ، التي توفي فيها أكثر من ألفي شخص ، وأصيب مائة ألف آخرين بإصابات بالغة ستكون بداية عملية مراجعة شاملة لموقف الدول النامية من قضية حماية البيئة ، التي شغلت الدول الصناعية منذ عقد الستينيات حتى الآن .

[illegible]بدا الاهتمام الملحوظ على المستوى العالمي [illegible] بقضية حماية البيئة في دول الشمال الصناعية في [illegible] ، عندما ثارت مسألة الأمطار الحمضية التي [illegible] مصادر المياه العذبة في السويد وأثرت على [illegible] وعندما تبين من الدراسة أن مصدر هذا [illegible] البيئي هو الغازات المنبعثة من مداخن المحطات والمصانع في أمريكا الشمالية ، على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي وبهذا اكتسبت المسألة بعدا عالميا يتجاوز الحدود السياسية للدول والاعتبارات الجغرافية المحلية . ولقد سبقت هذا بسنوات قلائل ظواهر « محلية » لتدهور البيئة نتيجة أنشطة التنمية الاقتصادية - الاجتماعية ، وعلى رأسها التصنيع المكثف والتجمعات الحضرية التي غزت الريف وغيّرت معالمه . وكان لكتاب واحد لمؤلفة أمريكية أثر درامي في إثارة اهتمام الجماهير العريضة بقضية الحفاظ على البيئة . ونتج عن هذا الاهتمام



غيوم من دخان احدى اخطار هذا الزمان .

المتزايد أن قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر عالمي عن البيئة في ستوكهولم في صيف عام ١٩٧٢ . وفي إطار الاعداد للمؤتمر عقدت عدة لقاءات تمهيدية في الأشهر السابقة لانعقاده . وكان من بينها اجتماع ، يعتبر الآن علامة تاريخية في تطور حركة الحفاظ على البيئة ، في مدينة فونيه بالقرب من جنيف في سويسرا . ففي هذا الاجتماع برزت فروق جوهرية بين موقف دول الشمال الصناعية من الموضوع ، وموقف الدول النامية التي ما زالت تسعى لتطوير مجتمعاتها وتحسين نوعية الحياة لمواطنيها . فقد كانت وجهة نظر هذه الأخيرة أن المشاكل التي وردت ليست مشاكل الدول الآخذة بسبيل النمو ، وأن القضية بالصورة التي تطرح بها ليست من بين أولويات اهتمامات هذه الدول ، التي ما زالت تخطو خطواتها الأولى في التصنيع . وأبرزت المناقشات وجها آخر جديدا تماما للقضية ، ركز على أهمية اتساع مفهوم البيئة ، ليشمل البيئة الاجتماعية ، إلى جانب البيئة الطبيعية . ورُفع لأول مرة الشعار القائل بأن « الفقر هو أكبر ملوث للبيئة » . وعلى هذا الفهم الجديد شاركت الدول النامية في المؤتمر بفعالية واضحة . وفي الساعات الأخيرة للمؤتمر تفجرت أزمة داخلية قادتها الصين التي كانت ترى أن انتشار الملاريا بشكل وبائي أشد خطرا وفتكا مما يمكن أن يحدثه استخدام المبيد (DDT) من آثار بيئية ضارة وأخطار صحية ، وإن أمكن في نهاية الأمر تجاوز الأزمة . وانتهى المؤتمر إلى تأسيس « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » ليُكَوِّن أول منظمة من منظمات الأمم المتحدة تتخذ من إحدى عواصم العالم الثالث ، نيروبي ، مقرا لها . وانتخب عالم عربي ، هو الدكتور مصطفى كمال طلبة ، نائبا لأول مدير تنفيذي للبرنامج ، ثم أصبح بعد سنوات قلائل مديره التنفيذي حتى يومنا هذا .

البيئة والعوامل الاجتماعية

ومع بدء نشاط البرنامج باعتباره عاملا وسيطا ، أو عنصرا حفّازا ، لمختلف أجهزة الأمم المتحدة للتعاون في الحفاظ على البيئة ، كل في مجال عمله ، تبلورت عدة مفاهيم جديدة وجرى العمل في عدد من البرامج الطموحة لمتابعة الأحوال البيئية على المستوى العالمي ، والسعي المتواصل لفهم أفضل للأخطار البيئية ، طبيعتها ومصادرها وطرق درئها. وتلاحمت الاعتبارات البيئية مع هموم العالم الثالث التنموية ، في رباعية مشهورة هي « الناس - البيئة - الموارد - التنمية ». وخلال سنوات معدودات عُقد مؤتمر الأمم المتحدة عن التصحر ، وتزامن عقده مع مأساة الجفاف في منطقة الساحل بغرب إفريقيا. وتأكدت من واقع الممارسة الفعلية صحة أخذ العوامل الاجتماعية في الاعتبار ، وصدق مقولة أن الفقر مدمر للبيئة. وبرزت أيضا مشكلة الخلل البيئي الذى نجم عن بناء السد العالي في جنوب مصر ، دون اتخاذ بقية الاجراءات الكفيلة بمواجهته في الوقت المناسب وبالأسلوب الأمثل. وغدا واضحا أن كثيرا من الآثار البيئية للأنشطة التنموية لا يتضح مباشرة بكل أبعاده ، وأن لا تتفق بعد أساليب تحديدها ، وأنه عندما تكتمل الصورة في شأنها ، يكون الضرر قد وقع فعلا ، وتكون فرص تداركه قد تضاءلت كثيرا ، بينما تكون تكلفة درئها - لو كان هذا ممكنا - باهظة. وما زلنا حتى الآن نسعى لبلورة منهجيات موثوق بها لتقييم وقع الأنشطة التنموية ، والتقنيات المستحدثة بالذات ، على البيئة ، ومعايير اقتصادية - اجتماعية متفق عليها بحد أدنى من إجماع الآراء. وبدأنا نتحدث عن « الحدود القصوى » لقدرة البيئة على استيعاب الملوثات ، والنفايات وتدويرها في عجلة [illegible] استخدامها لغرض أو [illegible] الآخر ، ألا وهو عزل تلك المواد [illegible] بطرق مأمونة ، كما [illegible] النفايات السووية أو [illegible]

مشاكل الشمال الصناعي

[illegible] وقد تركز الاهتمام على تلوث البيئة وهدر الموارد الطبيعية المحدودة نتيجة للنشاط الصناعي المكثف ، والتطورات التقنية المتسارعة ، التي تدخل حيز التطبيق ، قبل أن نستبين بوضوح وقعها على البيئة . وتواترت أمثلة في الشرق والغرب لتجاهل الصناعات - والكيماوية بالذات - لاعتبارات حماية البيئة ، فكانت مأساة التسمم بالمعادن الثقيلة في اليابان التي هزت ضمير الشعب الياباني بقوة ، وكارثة تسرب مادة كيماوية سامة من مصنع في مدينة سيميزو في شمال إيطاليا ، ومشكلة العطب الذى أصاب محطة الطاقة النووية في ثرى مايل أيلاند شرق الولايات المتحدة وغيرها كثير. ونشطت الحكومات في إقامة أدوات ضبط الأحوال البيئية والرقابة عليها ، وفي إصدار التشريعات التي تحدد مستويات التلوث المسموح بها وإجراءات الرقابة والعلاج. وأصبح الاستثمار في معدات درء الأخطار البيئية من أكثر الأنشطة الاقتصادية إدرارا للربح ، وزيادة في تكلفة تشييد وتشغيل المنشآت الصناعية. وكان من الطبيعي ألا يحظى هذا التوجه برضا رجال الصناعة ، الذين انتهزوا فرصة المد الرجعي في الولايات المتحدة ، مع انتخاب ريجان رئيسا ، فكادوا أن يقضوا كلية على وكالة حماية البيئة ، وإن نجحوا في تقليص نشاطها وتقليم أظافرها .

الدول النامية والبيئة الصناعية

وفي هذه الأثناء اندفعت الدول النامية ، في سعيها للتنمية المتسارعة ، إلى التصنيع كسبيل لتحقيق هذا الهدف. وحظيت المشروعات الصناعية بأولويات متقدمة في الخطط الانمائية لغالبية هذه الدول ، بينما لم تلق الاعتبارات البيئية اهتماما كبيرا في تخطيط وتنفيذ المنشآت الصناعية ، انطلاقا من أن الأخطار البيئية الناجمة عن التصنيع ليست ملحة ، في واقع دولة نامية تخطو خطواتها الأولى في هذا الطريق . وفي العقد الماضي ظهرت نغمة جديدة تدعو إلى إعادة توزيع الصناعات على الصعيد العالمي ، بما يساعد الدول النامية على أن تحظى بنصيب عادل من إجمالي الانتاج الصناعي في العالم. وحدد مؤتمر عالمي للتنمية الصناعية عقد في مدينة ليما عاصمة بيرو عام ١٩٧٥ هدفا لنصيب العالم النامي من إجمالي الانتاج الصناعي

قدره ٢٥٪ منه ، يتحقق بحلول عام ٢٠٠٠ . وفي خضم الاندفاع نحو تحقيق هذا الهدف ، تكشفت تدريجيا توجهات لتوطين الصناعات الملوّثة في الدول النامية ، وتركيز الصناعات المعتمدة على التقنيات الحديثة كثيفة رأس المال ، قليلة العمالة ، في الشمال ، باعتبار أن هذا هو التوزيع الراشد للنشاط الصناعي في العالم . ورويدا رويدا بدأت آثار التلف البيئي الناتج عن الصناعة في الظهور في العالم الثالث . وتحولت مثلا ضاحية حلوان جنوبي القاهرة ، - التي كانت منذ أيام قدماء المصريين منتجعا صحيا ، ويؤمه الناس من مختلف بقاع العالم منذ منتصف القرن الماضي - للاستشفاء بمياهه المعدنية ، والاستمتاع بهوائه النقي ، وسمائه الصافية ، وحديقته « اليابانية » الشهيرة ، التي جعلته مقرا لأكبر مصحة للمصدورين مثلا ، تحولت إلى « قلعة صناعية » فيها أعلى نسبة لتلوث الهواء وتدهور البيئة الطبيعية من ناحية ، بينما تعاني في نفس الوقت من ازدحام سكاني وتدهور في مرافقها الأساسية وارتفاع حاد في نسبة الأمراض والجرائم ، أي من تدهور البيئة الاجتماعية أيضا . وبعد ذلك بقليل ، ومع تطوير منطقة الشعيبة ، في جنوب الكويت إلى « قلعة صناعية » أخرى ، فيها كثير من الصناعات الكيماوية ، بحكم كون الكويت دولة نفطية تسعى لتصنيع النفط بدلا من تصديره خاما غير مصنع ، برزت مشكلة تلوث الهواء وآثاره الصحية الضارة بشكل حاد ، واتخذت الحكومة إجراءات سريعة لوقف تسرب الملوثات . إلا أنه يمكننا القول بشكل عام أن الأضرار البيئية الناجمة عن التصنيع لم تلق اهتماما كبيرا حتى الآن في دول العالم الثالث ، تأسيسا على موقفها في أوائل السبعينيات ، أثناء الاعداد لمؤتمر ستوكهلم وانعقاده ، واعتبارها أن هناك أضراراً بيئية أكبر وأولى بالاهتمام من أضرار الصناعة الناشئة ، التي توفر فرص العمل وزيادة الناتج القومي وحتى في أواخر العام الماضي ، صرح وزير العمل في الهند بأن على مكتب العمل الدولي في جنيف أن يعيد النظر في توجهاته ، آخذا في الاعتبار واقع الحال في كثير من الدول الأعضاء فيه ، بحيث لا تكون لمتطلبات الحماية البيئية آثار سلبية على التنمية الاقتصادية ، وبحيث لا تنجم عنها توترات اجتماعية

الكارثة التي هزت ضمير العالم

ثم وقعت كارثة بوبال بعد هذا التصريح بأقل من شهرين !! وكانت نتيجة تسرب مادة ميثيل الأيزوسيانيت هي وفاة ما بين ألفين وثلاثة آلاف شخص ، وإصابة زهاء مئة ألف آخرين ، وتلف المحاصيل ، ونفوق المواشي في مساحة عريضة حول المصنع ، الذى أنشأته شركة يونيان كاربايد الأمريكية ، لانتاج المبيدات الحشرية في هذه المدينة بالهند . وكان من الطبيعي إغلاق المصنع وتوقفه عن العمل ، الأمر الذى أدى إلى تعطل قوة العمل فيه ، وإلى فقدان أعداد غفيرة من العمالة الطارئة والمؤقتة ، التي كانت تكسب قوت يومها وتقيم أود عيالها من عائد عملها في المصنع أو حوله

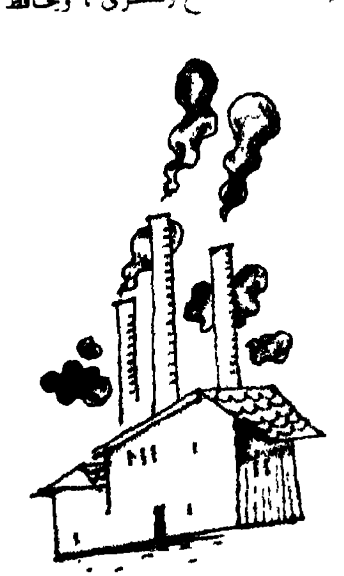
ولم يكن غريبا ، إذن ، وبعد أن تكشفت أبعاد الكارثة التي هزت ضمير العالم ، شماله وجنوبه ، أن ينادى من بقى حيا معافى من أهل المدينة بإعادة تشغيل المصنع ، وأن يمارسوا ضغطهم على الحكومة لتحقيق ذلك رغم هول المأساة وحجم الكارثة .

وكشفت هذه الكارثة عن وجه جديد وخطير لاشكالية الحفاظ على البيئة في العالم النامي هو الخطر البيئي للنشاط الصناعي ، كمسألة مختلفة في هذه الاشكالية المعقدة عن مسألتي التلوث وهدر الموارد الطبيعية . والخطر البيئي وضع كامن في النشاط الصناعي ذاته ، أو في إحدى مكوناته ، لا ينتج عنه عادة ضرر في ظروف التشغيل الطبيعية ، بينما يؤدى الخلل في هذه الظروف إلى كارثة تتعدى محيط المنشأة الصناعية ، وتمتد إلى البيئة المحيطة بها . فقد تبين من التحقيقات أن إجراءات الوقاية من الأخطار البيئية في مصنع الهند دون مستواها في مصنع مماثل له تملكه نفس الشركة ، مقام في مقاطعة فرجينيا الجنوبية في الولايات المتحدة ففي المصنع الأمريكي نظام يعمل بالحاسب للانذار المبكر بوقوع أية انحرافات في عمليات التصنيع تهدد البيئة ، بينما المصنع الهندى يكتفي بنظام بدائي يدوى لمواجهة مثل هذه الأخطار . وحتى في هذا النظام ، تبين أنه من بين ثلاثة أجهزة للسلامة يحترق فيها الغاز المتسرب حتى لا يسبب ضررا ، كان أحدها معطلا كلية ، والاثنان الباقيان لا يعملان بشكل مرضٍ . وثار هذا

جدل ، ظل يدور بصوت خافت حول دور الشركات المتعددة الجنسية في التنمية الصناعية في الدول النامية ، إلى مستوى جديد من الحدة ، واتضحت حقائق جديدة ، بل على الأصح برزت إلى السطح ووصلت إلى وسائل الاعلام الجماهيري ، وبحيث أصبحت المسألة الآن هي تحديد مسئولية كل من الدولة النامية التي تنشأ فيها المصانع ، وبين الشركات متعددة الجنسية التي تقيم هذه المصانع . ولقد غدا واضحا الآن أن يونيان كارباید ليست الشركة متعددة الجنسية الوحيدة التي تمارس مثل هذا الأسلوب ، وأن هناك أمثلة أخرى كثيرة لشركات بريطانية وألمانية وأمريكية ويابانية ، بل ربما كانت الشركات اليابانية أسوأ الجميع في تجاهلها للاعتبارات البيئية في سعيها المحموم - بعد فضيحة تسمم الزئبق في اليابان ذاتها التي أشرنا إليها آنفا - لنقل الصناعات الملوثة إلى دول أخرى من بينها حتى كوريا الجنوبية !!

عبر وعظات كثيرة

وفي الجدل الدائر حول هذا الأمر عبر وعظات كثيرة للدول النامية في الجنوب في تعاملها مع الدول المصنعة ، والشركات المتعددة الجنسية بالذات ، في الشمال . ولنذكر بداية أن هذه الشركات هي صاحبة التقنيات المطبقة في المنشآت الصناعية ، التي تسعى الدول النامية لاقامتها على أراضيها ، وهي العالمة بأسرارها ، وبما يكمن فيها من مخاطر ، بحكم التعريف . ولنذكر أيضا أن التقنية في عالم اليوم ، وكل يوم ، سلعة تباع وتشترى ، ويحافظ على أسرارها ، كي تحقق الربح المنشود من الاستثمار في الانفاق على تطويرها وتطبيقها وبيعها للراغبين في الاستفادة منها . والشركات صاحبة التقنية تقول إنها ملتزمة دوما بالاشتراطات الصحية والبيئية التي تضعها الحكومات النامية ، بل تضيف إلى هذا ملاحظة أخرى تبدو لأول وهلة وكأنها طعنة في الصميم لهذه الحكومات . فالشركات تشير إلى أن ما تسببه أنشطتها من أضرار أقل مما تسببه الأنشطة التنموية المختلفة المحلية والتي ليست هي طرفا فيها .



ولكن إعمال الفكر ، ولو قليلا ، يكشف عن أن هذه الشركات مطالبة بتطبيق اشتراطات للوقاية من الأخطار البيئية في الدول النامية ، أكثر صرامة ودقة مما تطبقه حاليا ، وبمراعاتها بحزم أكبر وانضباط داخلي أشد لا تفرضه تعليمات الحكومات وأجهزتها الرقابية ، وذلك لسببين رئيسيين . أولهما أنها تطبق هذه الاشتراطات في بلادها والبلاد الأخرى المصنعة . وهي بهذا لا تفعل أكثر من مجرد الكيل بنفس الكيل ، بدلا من الكيل بكيلين ، أحدهما للعالم « المتقدم » والثاني للعالم « المتخلف » . ولقد اتضح من دراسات هيئات إقليمية في الشمال ذاته ، وأخرى دولية ، أنه لا توجد معايير مقننة تلتزم بها أفرع هذه الشركات في الدول النامية فيما يختص بالاعتبارات البيئية . بل إن شركة يونيان كارباید في دفاعها عن نفسها ، ومحاولتها إبعاد المسئولية عنها ، ألقت باللوم على الادارة الهندية لمصنع بوبال متهمة إياها بالاهمال المتعمد ، أو حتى التخريب ! وكان رد الحكومة الهندية أن الشركة مطالبة ، بل ملزمة ، بتدريب مديريها المحليين والرقابة على أدائهم ، لأنها صاحبة المعرفة التقنية ، والعالمة بحقيقة وحجم الأخطار البيئية .

ضرورة المراجعة

ومن هنا يجيء السبب الثاني لتحميل الشركات المتعددة الجنسية المسئولية كاملة . فهي صاحبة التقنية ، وهي التي تعتبرها أسرارا صناعية لا يمكن الافصاح عن دقائقها وتفاصيلها للعاملين المحليين ، بل إن جميع تعاقدات الحصول على المعرفة الفنية تتضمن موادا خاصة بالحفاظ على سرية أساليب التشغيل وإجراءاته . فأنّى للمديرين المحليين أو

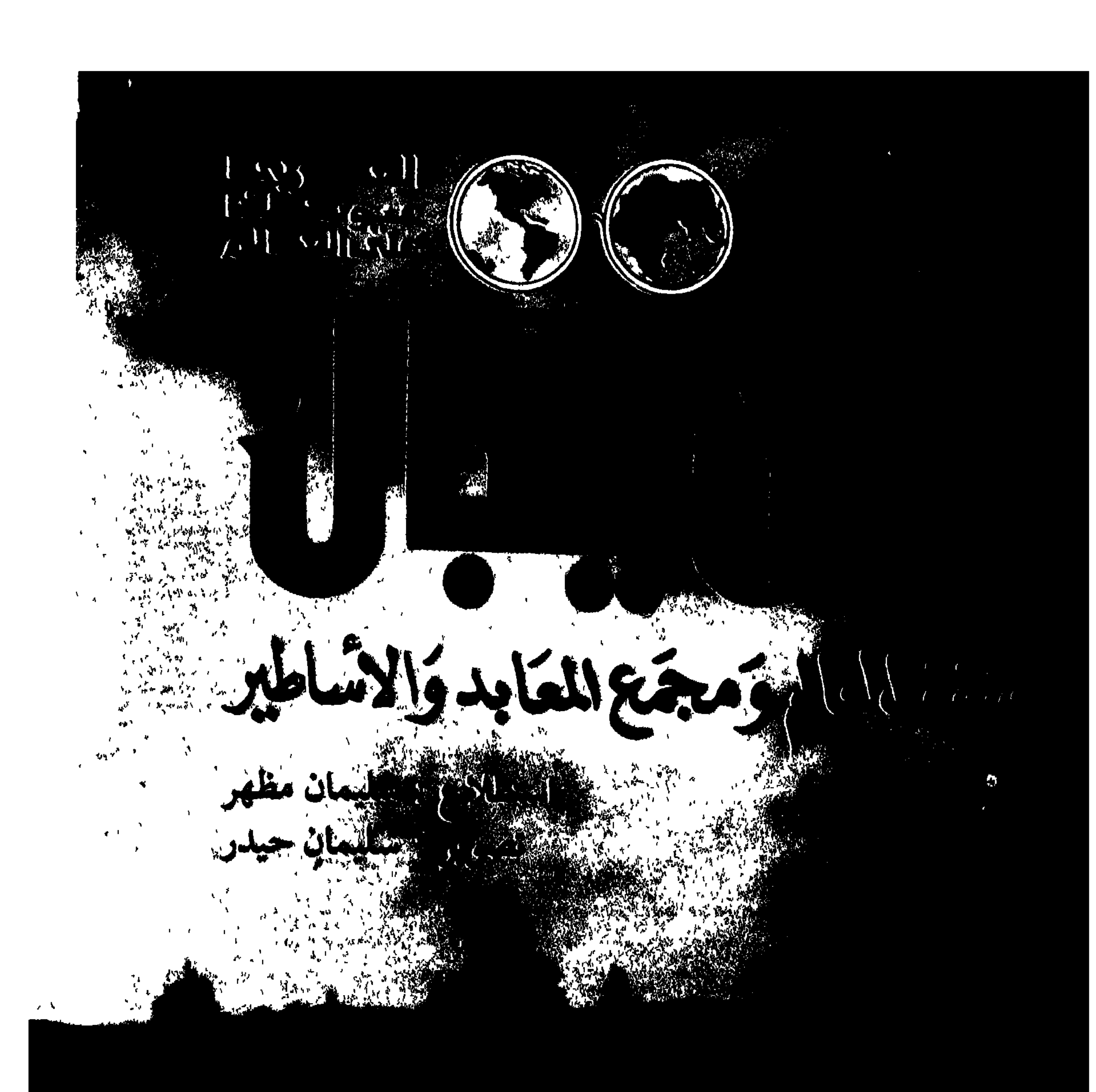


هل يمكن ان يبقى اي شيء حي في ظل هذا الدخان ؟

السلطات المحلية ، إذن ، المعرفة والقدرة على صياغة الاشتراطات البيئية الكفيلة بدرء أخطار لا يعرفون كنهها بوضوح ، ولا تستبين حقيقتها ، دع عنك سبل مواجهتها ، والطرق السليمة لمعالجة الطوارىء الناجمة عن خلل في المنشآت . إلا أن الأمانة تقتضينا هنا أن ننبه إلى أن ما تضعه الدول الصناعية من اشتراطات في مصانع مناظرة ليس سرا ، ولا هو مما يصعب التعرف عليه والحرص على تطبيقه . بل إن الواقع المرّ هو أن الدول النامية ، بشكل عام ، قد نحَت نحو تجاهل الأضرار البيئية المحتملة لاقامة صناعات معروفة خطورتها ، في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية ، والشركات متعددة الجنسية صاحبة التقنية المطلوبة لاقامتها . ولقد كشفت تحقيقات بوبال عن أنه قد سبقت الكارثة الكبيرة في نهاية العام الماضي عدة حوادث أقل خطورة ، لم تتخذ حيالها الحكومة أو الشركة إجراءات رادعة .

وهناك اليوم العديد من الدراسات التشخيصية والعلاجية لعدد من منظمات الأمم المتحدة حول هذا الموضوع ، يحتل برنامج الأمم المتحدة للبيئة مركز الصدارة بينها . ومنها أيضا مكتب العمل الدولي ، ومركز الأمم المتحدة للشركات متعددة الجنسية . والغريب في الأمر ، أن نشاط هذا المركز الأخير ، المتواضع في حجمه ، والبالغ الأهمية في مغزى نشاطه ، غير معروف على نطاق واسع في العالم النامي ، وأن حكومات الدول النامية لا تهتم كثيرا بعمله . وأذكر أن المركز ، الذى كان قد جمع قدرا ضخما من البيانات التفصيلية عن هذه الشركات في دولها الأم ونَشَرَها أملا في أن تستفيد منها الدول النامية ، وبالذات تلك التي لم تكتسب بعد خبرة كافية في التعامل معها ، قد شكا منذ بضع سنوات من أن محاولاته للحصول على حد أدنى من المعلومات عن ممارسات الشركات الفرعية في الدول النامية لم تحقق نجاحا كبيرا .

فهل يكون من المقبول ، بعد هذا كله ، أن يظل موقف الدول النامية من قضية البيئة على ما كان عليه في مطلع العقد الماضي ، وأن يقوم هذا الموقف على مقولة أن الاهتمامات البيئية رفاهية لا قبل للدول النامية بالتمتع بها ، وهى الساعية للتنمية ، اللاهثة وراء فرص العمل لأهليها ، ومن ثم ، الاستثمارات الأجنبية والتقنية الصناعية ؟ يبدو أننا ، في العالم الثالث ، قد صحونا الآن إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، وأنا على عتبة مرحلة جديدة ، تكتسب فيها قضية البيئة أولوية متقدمة في مشروعات التنمية بشكل عام ، والتنمية الصناعية بشكل خاص . □



ومجمع المعابد والأساطير
سليمان مظهر
سليمان حيدر



● سهول وادي كاتمندو .. وقمم جبال الهيمالايا .. يلتقيان في وقت واحد في نيبال .. وينصب المتسلقون خيامهم كلما هبط عليهم الليل وهم ينطلقون نحو قمة ايفرست ومعهم حمالو الشيرباس .

يقولون . . ثلاثة في حكم المستحيل الغول . . والعنقاء . . والخل الوفي ! ولكن اذا كان هذا الحكم مازال ينطبق على المستحيلين الاخيرين . . الا أن الأول لم يعد مستحيلا بعد ؟

أهل نيبال يؤكدون لك ذلك ، فالغول ، - وهو بالنسبة لهم « الجيتي » أو « اليتي » كما ينطقونه ويعني « انسان الثلج الوحشي » - ما زال يعيش في أعالي جبال الهيملايا . وهم ينسجون حوله الاساطير ، ويتناقلون عنه الحكايات ، خلال جلوسهم حول نيران المدفأة في ليالي الشتاء ، يملأون بها أسماع متسلقي الجبال المرهقين ، والفلاحين الذين يؤمنون بالخرافة والأوهام . ولم يكن هؤلاء وحدهم من يحكون ويصدقون ، ولكن حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال الهيملايا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف « الوحش البشري ذي الشعر الأشعث » الذي التقى به جندي أوروبي عام ١٤٠٠ قبل حوالى ستمائة سنة ، تماما كما رآه عام ١٩٢٠ المستكشفان البريطانيان الميجور واديل والكولونيل هوارد بري حيث كانا يرأسان حملة من المتسلقين في الجانب الشمالي من قمة افرست وذكر الاثنان انهما تبعاه وتوقفا عند آثار اقدامه البشرية الضخمة على ثلوج السفح . ويقول عنه النيباليون ان جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس الى أخمص القدمين ، وانه يسير معتدل القامة ، وأن أظفار أصابع كفيه وقدميه لاتختلف عن مخالب الوحوش .

ويقولون أن الحفل كان مليئا بعدد كبير من هذه الوحوش البشرية ، وان رهبان التبت تآمروا للتخلص منهم ، فاتفقوا على أن يقيموا حفلا على السفح حيث يختفي المئات من هذه الوحوش خلف المغارات وخلال الحفل راحوا يتظاهرون بتناول الخمر المصنوع من منقوع الارز ، وحين بدا كأنهم سكروا حتى الثمالة ، راحوا يتبادلون الطعان بسكاكين زائفة ومع انتهاء الحفل بدأوا يبتعدون واحدا وراء الآخر متسترين وهنا خرجت الوحوش البشرية من جحورها ، وراحوا يقلدون الرهبان في اكتراع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا ، ثم راحوا يضربون بعضهم بالسكاكين الحادة الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع قتلى ، ولم ينج منهم سوى واحد فقط ، هو الذي ما يزال يجوب سفوح الهيملايا ويشاهده الناس بين الحين والحين !!

حكى لنا أحد الحمالين من قبائل « الشيرباس » الذين يرافقون المتسلقين أسطورة أخرى عن « انسان الثلج الوحشي » قال : ان أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي ، حين فوجىء بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه الى مغارة في عمق الجبل ، حيث كانت انثاه تستلقي وهي تصرخ بعد أن سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تعذر عليها التنفس . وطلب الوحش من التاجر أن يشفيها والا قتله . وفي رعشة الخوف مد الرجل قبضة يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة ، فانقذفت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء . ومكافأة له أعطاه الوحش كيسا أغلقت فوهته ، وطلب منه الا يفتحه الا بعد أن يصل الى داره . واذ فتح الكيس وجده مليئا بروؤس بشرية ، ومن كل شعرة تتدلى حبة فيروز . وكانت الحصيلة هائلة كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة . ومن أجل الحصول على ثروة

مماثلة يجوب رجال « الشرباس » سفوح الجبل حاملين أحمال المتسلقين ، على أمل أن تتاح لهم فرصة مماثلة بلقاء انسان الثلج .. وأن تكون أنثاه قد أصابها ما أصيبت به من قبل !!

ومازال عدد من المغامرين يستهدفون من رحلات تسلق الهيملايا البحث عن انسان الثلوج ، حتى أن أحدهم أعلن عن اعتزامه القيام بحملة مسلحة للقبض عليه حيا أو ميتا . وقد أثار ذلك سكان الجبل الذين أعلنوا أنهم سيتصدون بكل قوة لأي انسان يحاول ارتكاب هذه الجريمة !!

التشكيلة السكانية :

كل ذلك بعض من الاساطير التي يتداولها الناس في نيبال ، التي تستلقى على السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الهيملايا ، وتقع الى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية ، وتحدها الصين وهضبة التبت من الشمال ، وسيكيم وبنجلادش من الشرق ، بينما تحدها الهند من جنوبها وكشمير من غربها . وبذلك فان نيبال بحكم موقعها الجبلي الداخلي ليس لها حدود تشرف على البحار ، وتمتد أراضيها الجبلية على شكل سلاسل عريضة من المرتفعات العالية . ويفصل بين السلاسل التي تمتد من الغرب الى الشرق اما مناطق مستنقعية مثل مستنقعات تيراي ، أو مناطق غابية مثل غابات مرتفعات سواليك . وتبلغ مساحة المملكة حوالي ١٤٥ ألف كم ، وعدد سكانها حسب احصاء (١٩٨٤) حوالي ١٦،٥ مليون نسمة ، نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث ، أغلبهم جماعات قبلية يتحدث ٥٨٪ منهم اللغة النيبالية وهي اللغة الرسمية و ٣٪ بالنوارية و٢٠٪ باللغات واللهجات الهندية ، بالاضافة الى لغات ولهجات أخرى متباينة . وهم ينقسمون حسب العقيدة الى ٩٠٪ من الهندوس و٨٪ من البوذيين و٢٪ من المسلمين ، وان كانت الاحصاءات التقديرية الأخيرة تقلل من نسبة الهندوس وترفع من نسبة البوذيين .

يتشكل سكان نيبال من مجموعات مختلفة من القبائل ذات الأصول البدائية ، يبلغ عددها أكثر من ٢٥ قبيلة .. وينتسب السكان الى أصول من الجنس



* هكذا تخيل الرسام « الجيقي » إنسان الثلوج .. أو الوحش البشري ذا الشعر الاشعث .. على ضوء الوصف الذي أدلى به المغامرون الذين تبعوه على سفوح الهيمالايا .

الهندو آرى والجنس المغولي اللذين امتزجا على مدى القرون .

ينتمي البرهميون الى الهندوآريين الذين جاءوا البلاد في القرن الرابع عشر مع الراجبوتيين، تماما كما فعل المنتسبون الى طائفة الاكشترية المحاربين الذين جاءت منهم أسرة رانا التي حكمت طوال مائة سنة انتهت مع عام ١٩٥١ . أما مختلف القبائل النيبالية الأخرى فقد جاءت من الهند ، بالاضافة الى البوذيين الذين ينتمي اليهم عدد آخر من سكان نيبال .

الجوركا من السكان الذين ينتمون الى أصول قبلية . وكانت لهم شهرتهم الواسعة كجنود مرتزقة يسمون « أشجع الشجعان » في القوات البريطانية . وكان القسم الرئيسي من الموارد المالية « الخارجية » لنيبال يأتي مما يحصل عليه جنود الجوركا من أجور عالية .

واذا تتبعنا السكان في مختلف الاقاليم الرئيسية في نيبال ، فسنجد أن سكان الوادي الأوسط بعاصمته كاتمندو ينتمون الى البورميين التيبتيين والهندوآريين ، وهؤلاء هم البراهمة والاكشترية والنور .. وبينما



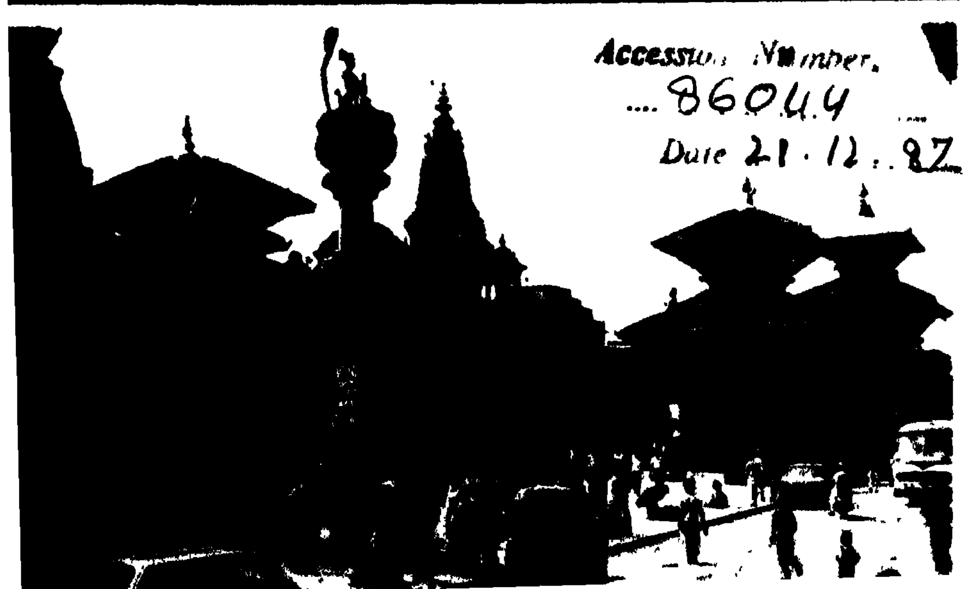
● ... في موكبه وقد بلغ الثمانين .. استعدا
لا... في جسد وليد جديد ...



• المسجد في الطريق الرئيسي المسلمون في نيبال يمثلون ٢/ من السكان



• القصر الملكي مقر الملك بيرندرا ماهندرا . الحاكم المطلق في نيبال



• غابة المعابد في ساحة دربار . وتمثال الملك مالا يتجه بأنظاره نحو غرفة العبادة في معبده الخاص .

البراهمة والاكشترية ينتشرون في جميع انحاء البلاد فان النور يتركزون في وادي كاتمندو والمدن والقرى المحيطة . أما سهول الدون ومستنقعات التيراي فيسكنها البراهمة والراجبوت والتارو وآخرون بينهم المسلمون .

أما « الشيرباس » . . أفراد أشهر القبائل التي تسكن جبال الهيملايا فهم ينتمون الى الجنس المغولي مثل قبائل النور الذين يسكنون في كاتمندو وتنتمي أصولهم الى معول التبت .

هؤلاء الشيرباس هم أشهر من يلتقي به القادمون الى نيبال ، والراغبون في رحلة تسلق للصعود الى سقف العالم . جبال الهيمالايا .

الصعود الى القمة :

رحله التسلو الى قمم الهيملايا لايقدر عليها الا من حاه حصيصا لهذا العرص ، ولديه من الوقت ما يزيد على شهر ، ويتمتع باستعداد حثماني يمكنه من احتمال تقلبات الحو وقلة الاكسحين والحياة وسط الثلوح أما نحن - وبصرف النطر عن الشروط الأحيره - فلس امامنا سوى أيام قليلة لاتتيح لنا الوصول الى القمة على الاقدام بينما الفرصة متاحة للطيران فوق القمم كلها على متن طائرة سياحية تطير لمدة ساعة فوق السلاسل الحلبية جميعا ولم نكن نملك ان نرفض العرض حتى يمكننا التحليق فوق جبال الهيملايا بكل قممها ، وارسال نظرة على الأرض من فوق سطح العالم

الطائرة تنثني في بسط جناحيها كأنها تناشد القمم الثلجيه ان تكون رفيقة لنا فالهبوط الاصطراري هنا لايترك مجالا للعودة الى حياة ثانية فوق سطح الأرض وخلال الرحلة يسمح قائد الطائرة بدقيقة واحده لكل راكب لالتقاط الصور من الكابينة الامامية وهو مكان يسماه زميلي المصور فهي فرصه لاتعوض مرتين

المشهد رائع انه القمم الشاهقة تخترق مسيرة السحب وهي تواصل رحلتها وكأنها رغد الصابون يغسل سقف العالم العيون كلها مشدوهة مصوبة تبحث عن قمة افرست حيث أعلى نقطة على سطح الارض

يعتقد الشيرباس أن جبال الهيملايا هي مقر الآلهة » . وهم يتصورون أن قمة افرست انما هي الاله « شومولونجما » يركب أسدا ثلجيا يخترق به موكب السحب الراحفة . ومنذ مئات السنين والنيباليون يعتقدون أن الآلهة تطل من قمم الهيملايا لمراقبة شئون العباد . . فتثيب المحسنين وتعاقب المسيئين وتنزل غضبها بالمفسدين وهم يتطلعون دائما الى « قمة شنكار » حيث يقيم الاله « شيفا » وزوجته « برافاتي » وابنه الاله الفيل « جانيش » وابنته ربة الخير « أنا بورنا »

وهنا أيضا - وكما يبدو المشهد من الطائرة - ترتفع أعمدة الجليد بطريقة لايوجد لها مثيل في العالم . . ايفرست أعلى قمة في العالم (٨٨٤٨ مترا) وحولها قمم لوتس (٨٥٠١ م) وبونتسي (٧٩٠٦م) وأمادابلام (٦٨٦٣م) وشاملانج (٧٣١٩م) وما كانوا(٨٤٧٥ م) وكانشين حونجا (٨٥٩٨ م) . .

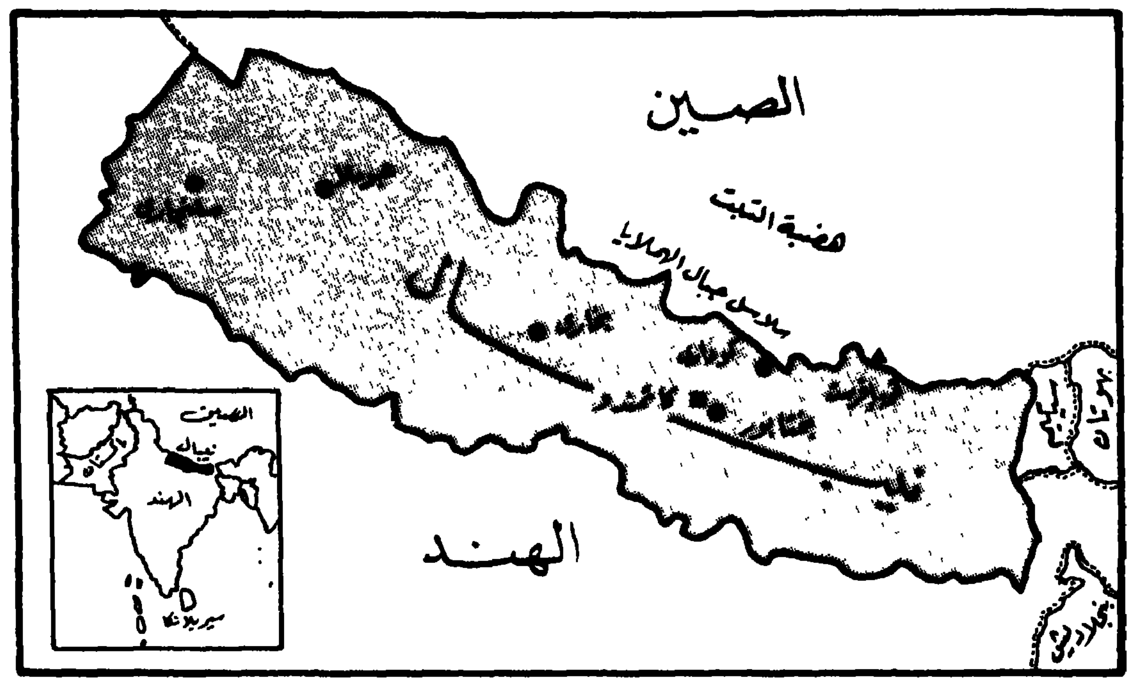
مشهد لايمكن للانسان أن ينساه . .

لقاء مع المتسلقين :

التحليق فوق قمم الهيملايا لايمنعنا من الانطلاق مرة اخرى الى احدى المناطق على سفوح الجبال حيث يبدأ المتسلقون رحلة الصعود

كانت البداية عندما دعتنا السيدة فيجاي فايديا مديرة وكالة ييتي للسياحة - بعد جولة لنا في أنحاء كاتمندو - للذهاب الى أحد المراكز التي تبدأ منها رحلات التسلق . وكان العرض مغريا لاتاحة الفرصة لنا للقاء مع المتسلقين وهم يبدأون رحلة الصعود الى القمة

قطعنا الطريق من كاتمندو بالطائرة الى منطقة الهبوط في « سولوحومبو » الواقعة على السفح على ارتفاع لايقل عن ٣٩٠٠ متر . واستغرقت المسافة سيرا على الاقدام من مهبط الطائرة الى فندق افرست حوالي ساعة الفندق بني بأموال يابانية بتكلفة عالية في أوائل السبعينيات ، ويكاد يكون أعلى فندق في العالم . . وهذه هي مشكلته الرئيسية مع الزائرين والسواح . . فهؤلاء أغلبهم من سكان المدن كبار السن والعجائز ومتوسطي العمر الذين لم يجيئوا بهدف



● خريطة نيبال .. يتوسطها وادي كاتمندو .. بينما سلسلة جبال الهيمالايا تحدها على طول المنطقة الشمالية .. وهي تبدو معزولة عن البحار من كل الجوانب .

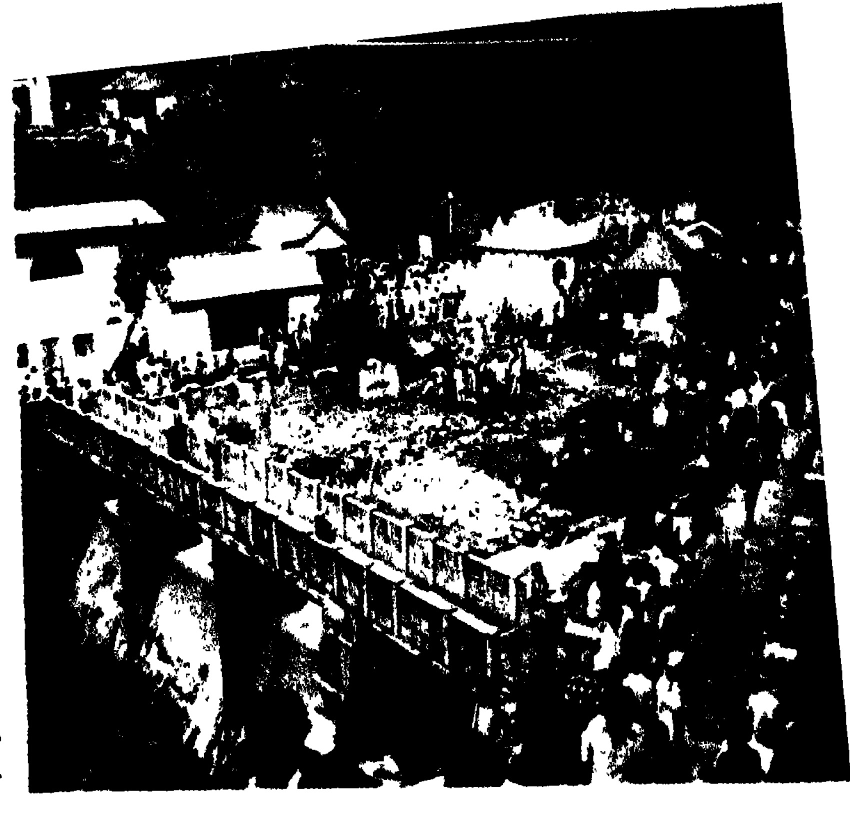
التسلق ولكن لـلاقامه على سفوح الهيملايا طالما يستطيعون دفع مصاريف الاقامة الباهظة .. وهم بالطبيعة غير مؤهلين لاحتمال البرد القارس والارتفاعات الكبيرة ، فهم معرضون لامراض المرتفعات وضيق التنفس . ولمواجهة هذه المشكلة زود الفندق كل الغرف بالأوكسجين . وكانت تعليمات الفندق لنا حين قررنا السير قليلا على ممرات الصعود مع المتسلقين أن نصعد ببطء شديد حتى لا نصاب بالدوار وامراض المرتفعات التي يصاب بها من يتسلقون بسرعة كبيرة .. فأمراض المرتفعات قد تكون مهلكة .

في الصباح انطلقنا الى قرية « نامس بازار » موطن قبائل « الشيرباس » ـ اشهر الحمالين المرافقين لحملات التسلق ـ حيث اتخذوا لهم مقرا لاستقبال من يقصدونهم للاتفاق معهم على حمل حاجاتهم في رحلة التسلق .

على مدى البصر كانت تحيط بنا صور بانورامية رائعة . سفوح جميلة خلابة ولكنها لاتكاد تصلح لاقامة الانسان . وغير بعيد يخترق السفح ممر كان منذ القدم طريقا للتجارة مع التبت قبل أن تقفل الحدود مع نيبال . وكان الانطلاق على هذا الممر بالنسبة للشيرباس اختبارا للجلد والقوة يجب أن يمارسه الشباب قبل أن يصبحوا في عداد الرجال .

حدثنا مرافقنا ونحن جلوس في مقر الشيرباس عن مسيرة الحياة كما يعيشونها فقال : كان الشيرباس في الاساس تجارا ورعاة . وكانت هذه المنطقة كما يدل اسمها سوقا ومدينة تجارية حيث يتبادل الشيرباس وتجار التبت البضائع الاساسية التي يحتاجها سكان المنطقة ، مثل الملح والاصواف والحبوب من المناطق الأكثر اعتدالا في الجنوب .

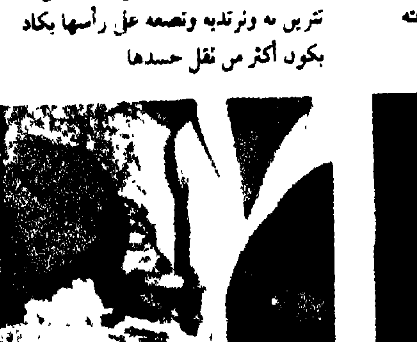
وكان الناس هنا يربون الثيران المهجنة ويبيعونها لمزارعي التبت الجبليين . ولكن التجارة توقفت قبل جيل كامل عندما دخل الصينيون بلاد التبت واضطر الشيرباس للبحث عن مصادر اخرى للتجارة . وحاول الشيرباس بجهد كبير الحصول على مستوى معيشي يفوق مصادرهم الضئيلة الى أن جاءتهم الفرصة عندما تحول كثير منهم من التجارة الى تسلق الجبال ومرافقة المتسلقين . فطوال عشرات السنين جاء الكثير من فرق التسلق الى منطقة خوميو لصعود ايفرست وغيرها من القمم . وكانوا جميعا يحتاجون الى حمالي الشيرباس الذين يملكون ميزة وراثية يتفوقون بها على من يعيشون على مستوى سطح البحر.



● مذبحة القرابين في معبد كالي وأصحاب النذور يطلقون حاملين قرابينهم ليسحوا دمها على مذبح الربة التي لاترضى بغير الدم القاني على جدران معبدها لترضى عن البشر

● راهب المعبد يصب عليك لعناته اذا لم تعطه ويدعو لك إذا منحته ببركة كالي !

● الإلهة الحية الكوماري نقل ما تتزين به وترتديه وتضعه على رأسها يكاد يكون أكثر من ثقل جسدها







... البشر . ...
على شكل علامة استفهام ناصعة
تؤكد أن « الكل في واحد » . .
وحلقات ثلاث عشرة تمثل درج
الصعود الى النيرفانا . . .

محاولات تسلق ايفرست :

قدم لنا مرافقنا قائد الشيرباس في المنطقة واسمه « انج تسيرنج » انه واحد من مئات الشباب الذين يكسبون عيشهم من العمل الخطر بحمل المؤن لحملات التسلق قال لنا انج · منذ بدأ تسلق جبال الهيمالايا كان للشيرباس دور في هذا العمل . وكانت أول محاولة ناجحة لتسلق ايفرست هي التي قام بها نيوزلندي وشيرباسي يدعى تيرينج نورجاي . . وهو من تعلمت منه حرفة التسلق . كان والدي حمالا ومرشدا في الثلاثينيات عندما كانت حملات التسلق البريطانية تبدأ من « دار جيلنج » في الهند وكان الدخول الى نيبال ممنوعا في تلك الأيام . فكانوا يتسلقون ايفرست من الناحية الشمالية في التبت . ومازال أبي العجوز يتذكر أمجاد وكوارث الايام المثيرة

ويواصل الاستماع الى ذكريات الفتى الذي أصبح الان في الاربعين ، من خلال حديثه يبدو أن لديه طموحات أكبر فهو يريد الوقوف على قمة ايفرست مرتين اخريين على الاقل وهو يقول في ذلك : « في هذه الايام وبعد أن وصل الكثيرون الى هذه القمة فان مرافقتهم لم تعد تحقق الكثير من الشهرة والغنى كما كان يحدث في البدايات ، برغم أن الاخطار لم تتغير : العنف والرياح العاتية والانهيارات والعواصف الثلجيه ومع هذا فان على الشيرباس القبول بالعيش في كل الأحوال والاعتياد على هذه الحياة » .

جاء الشرباس من التبت قبل ثلاثة قرون ، ولم يكن لديهم سبب يدعوهم لتحدي الجبال وتسلق القمم الشاهقة فعبور ممر مرتفع بقصد التجارة شيء وتسلق الجبال شيء آخر

على كل الأحوال فان الجبال - بالنسبة لهؤلاء السكان الذين يعود أصلهم لقبائل بوذية قديمة - تسكنها الآلهه والأرواح والعفاريت وقد جاء الرهبان البوذيون الى هذه الأماكن البعيدة ليمارسوا عباداتهم بعيدا عن صخب العالم في حصم المادة وبين أمواج العواطف والرغبات وقد أقاموا في هذا المكان معبد « تاي انجبوش » على مقربه من ايفرست حيث تساعدهم طبيعة الجبل على تركيز الفكر في نظرية الخلود . .

وكان الشيرباس في غاية الفقر قبل عشرات السنين . . ولم تتغير الصورة بالنسبة لمواردهم الزراعية الا حين اهداهم احد الرحالة البريطانيين تقاوى البطاطس مما ضمن لهم محصولا زراعيا وافرا وأرباحا مكنتهم من بناء معابدهم . واعتادت الأسر البوذية أن تهب ابنها الثاني لبوذا فترسله قبل سن المراهقة ليصبح راهبا . وكان البعض يرسلون بناتهم أيضا ليصبحن راهبات ، وتدفع هذه الأسر جميع نفقات المعيشة .

مزيد من حملات التسلق :

نتوجه مع الفتى الشيرباسي الى المعسكر الذي يبدأ المتسلقون عنده رحلاتهم ، حيث يجري فحص أحوال الثلوج ويحدد أفضل مكان لاقامة المركز الرئيسي للحملات القادمة . ونمر في الطريق على نصب لستة من الشيرباس قتلوا في انهيار جليدي وهو على صورة شلال مائي متجمد منحدرا من قمة ايفرست . وكان هؤلاء الحمالون يرافقون حملة يابانية عام ١٩٧٠ عندما اخذ التهور بأحد المتسلقين فراح يتزلج بطريقة مبالغ فيها . وعندما حدث الانهيار أنقذ الرجل بمعجزة بينما مات الحمالون تحت الجليد .

ومثل كل الرجال المغامرين فان انج المؤمن بالخرافات رفض ان يقترب من النصب التذكاري حتى لايقاسمهم حظهم العاثر .

والذي لاشك فيه أن الشيرباس - كونهم بوذيين - لايهابون المخاطر ويمتلكون صفات تجعلهم يواجهونها وهم يبتسمون ويمزحون دون حدة أو غضب أو ضيق صدر وهم بعيدون عن أي صفات عدوانية أو أنانية

ويقول الفتى ان أعظم يوم في حياته هو وصوله الى القمة عام ١٩٧٥ ففي ذلك العام وبعد عودة الحملة الناجحة جرى استقبال كبير للمتسلقين في كاتمندو ، وأجريت مقابلات صحفية ، وسردت قصص كثيرة نشرت في عدد كبير من الصحف في جميع أنحاء العالم ، وقد تلقى بعضا منها وهي تحمل صورته فزادت من سعادته . يعترف انج صراحة بأنه يشعر بالخوف والرهبة في الوقت الذي يكون فيه صاعدا على الجبل ولكنه يعتقد ان الأمر يستحق المجازفة .

ان الاعتراف بالخوف جزءمن الشجاعة . . والشيرباسي مشهور بعناده وشجاعته وتصميمه على النجاح .

مجمع المعابد والأساطير :

الآن عودة الى الوادي . .

الى كاتمندو . . العاصمة . . مجمع المعابد ومبع الاساطير . . كان لابد في البداية من زيارة لوزارة السياحة لنتعرف على نيبال الحديثة . . وعاصمتها كاتمندو . .

قال لنا وزير السياحة بالنيابة « شيلندرا راج شارما » عندما استقبلنا في مكتبه : نيبال مملكة مستقلة وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن الهندوسية دينا رسميا للدولة . الملك بيرندرا ماهندرا بريكام شاه يحكم البلاد بمعاونة الجمعية الوطنية . ولا توجد في البلاد أحزاب سياسية برغم أنه قبل عام ١٩٧٥ كانت هناك خطوات أولى لقيام نظام حزبي . والايجابيات الرئيسية للنظام البرلماني القائم الآن انه يتيح الفرصة لمشاركة أكبر عدد ممكن من الجماهير لتكون لها كلمتها في أمور الحكم . ويجري تشجيع التمثيل الشعبي في الجمعية الوطنية حيث يختار الوزراء من بين أعضائها البالغ عددهم ١٤٠ عضوا يتم احتيار ١١٢ منهم بالانتخاب بينها يعين الملك ٢٨ عضوا ، وتبدأ العملية الانتخابية بالتصويت الشعبي لاختيار مجالس القرى ، وينتخب اعضاء هذه المجالس مجالس الاحياء الذين يختارون من بينهم أعضاء مجالس الاقاليم . . وهؤلاء هم الذين ينتخبون أعضاء الجمعية الوطنية . ويختار الملك رئيس الوزراء من بين أعضاء الجمعية وكذلك الوزراء الذين يكونون مسئولين أمامها . ومع حظر الأحزاب شكل مجلس الدولة عام ١٩٧٥ ليتولى الشئون السياسية والتخطيط وإبداء المشوره للملك .

وحين نسأل الوزير عن الموقف الاقتصادي في نيبال يقول : « ان البلاد تعتمد على مصدرين رئيسيين للدخل القومي هما الزراعة والسياحة اما التصنيع فما يزال في مراحله الأولى . ان ٨٥٪ من النيباليين يعملون في الزراعة سواء زراعة الارز أو الذرة وغيرها وكذلك في زراعة التبغ والجوت ، كما أن مناطق التيراي تزرع القطن والفلفل والفاكهة الاستوائية . ولان نيبال بلد مغلق لايطل على البحار فانه يعتمد على علاقاته الطيبة مع جيرانه . وما بين ٨٠ و ٩٠٪ من تجارته يمر عبر الهند وخاصة ميناء كلكتا . وصادرات البلاد أغلبهامن الأرز والجوت الى جانب المشغولات اليدوية والهدايا المعدنية . أما دخل الفرد فهو منخفض جدا حيث لايتجاوز ٦٦ دولارا في السنة . وكل محاولات النهوض بالبلاد انما هي سعي لتحسين مستوى الدخل والمعيشة لابناء الشعب الذي عاش تاريخه كله من خلال المعاناة . . ولكن في عزة وكرامة واستقلال .٠.

ان ذلك في الحقيقة تاريخ يحتاج الى متابعة . . ويمكن معرفة الكثير منه عندما ترجعون الى رئيس قسم الاعلام السياحي . . . وستجدون انه دائرة معارف حية . . »

أساطير كاتمندو :

ما الذى سنسمعه وكيف سنشهد التفاصيل ؟

قال لنا السيد « أمادير » الذي يؤكد عن نفسه أنه دائرة معارف يرجع اليها المسئولون في كل مناسبة : نقطة البداية تبدأ مع ما تحكيه الاساطير القديمة من أنه قبل آلاف السنين كان وادي كاتمندو عبارة عن بحيرة فيروزية . وفي وسط البحيرة كانت هناك زهرة لوتس كبيرة رائعة . . ينبثق منها لهب أزرق مهيب يبعث الرهبة في النفوس . . انها الصورة المرئية « لوسوايامبو » . . البوذا الأول الاصيل . ماكان أروع البحيرة وأقدس الشعلة . لقد كان الناس يأتون من جميع الانحاء ليقيموا أكواخا لسكناهم على ضفاف البحيرة . . يتعبدون ويحصلون على البركة المقدسة .

ومن الصين جاء راهد صيني هابطا من سفح الجبل اسمه « مانشوسري » ومن أجل أن يؤدي العبادة عن قرب امام شعلة اللهب المقدسة . . فقد ضرب بسيف حكمته الصاعق جدار البحيرة فشقه ، مما أدى الى تسرب ماء البحيرة الى أعماق الأرض واستقرار زهرة اللوتس على قاع البحيرة التي جفت وتحولت الى واد اطلق عليه اسم « وادي كاتمندو » . وفي نفس المكان أقام الزاهد هيكلا للعبادة ظل يتنامى بعد ذلك ليصبح معبد « سوايامبونات » أي معبد بوذا

● البحيرة والجبل .. في بخاري .. القوارب ليست للصيد وإنما لنزهة السواح ..

● غرس شتلات الارز قبل هطول الامطار الموسمية .

● في الطريق الى القمة في أحد الممرات الجبلية الصاعدة من مدينة بخارى .



. ..يا حياة الناس في نيبال

* هل يمكن لهذا الصغير تصور معاناة أمه وهي تحمله في الطريق الى مزرعة الارز .

الاصيل . . وغير بعيد من المعد أقام مدينة من الخشب والطين سماها « مانحوباتان » ونصب واحدا من أتباعه المخلصين ملكا على الوادي .

وهناك أسطورة اخرى ، مماثلة ، ولكنها تسب الأمر كله الى الاله كرشنا الذي قذف صاعقة على جدار البحيرة ليزيح ماءها وسواء كان السيف أو الصاعقة هو الذي شق الجدار ، فما من شك في أن هذا الشق يمثل حتى اليوم ممرا طبيعيا على طريق شوبار ، وهو يبدو ضيقا متخذا شكل شق ناشىء عن ضربة سيف ضخم . وأسفل هذا الممر يقبع حجر ضخم يشبه الى حد كبير شكل حانيش . . الاله براس ميل ويعتقد الناس أنه هو الصاعقة التي قذفها كرشنا .

وفي الحقيقة ان كلتا الاسطورتين تكادان أن تكونا مقبولتين علميا وقد اثبت الجيولوجيون أن وادي كاتمندو كان مغمورا بالماء ذات يوم . .

ويقال ان كرشنا أسكن .الوادي جماعات الجوبال من رعاة البقر الذين شيدوا مدينتهم ليبدأ عصر السلالة الحاكمة الجوبالية وبعد الجوباليين جاءت موجات متلاحقة من المهاجرين من بورما والتبت كما جاءت جماعات أخرى من مناطق النغال الشمالية لتتابع عصور الحكم وفي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد جاءت جماعات الكيراتت غازية من الشرق وأقاموا مملكتهم في وادي كاتمنده .

تولى الحكم من الكيراتيين ٢٨ ملكا . وخلال حكم الملك السابع يعتقد أن جاوتامابودا - وهو البودا السابع اذ سبقه ستة آخرون الى بلوغ النيرفانا - جاء لزيارة الوادي ومعه حواريه أناندا . وهناك حكايات تروى حول اقامة بودا في مدينة باتان حيث قام بتحويل طبقة الحدادين الى طبقة الصياغ ، وأطلق عليهم اسم الطبقة التي جاء منها الساكيا .

بين المالا . . والرانا :

نعرض آخر الملوك الكيراتيين للغزو من الراجبوتيين الراجعين سنة ٣٠٠ ميلادية من بيهار وأوتار براديش في الهند ومع الغزاة الجدد بدأ العصر الذهبي للفن في نيبال ولكن بدأ معهم أيضا التقسيم الطبقي للمجتمع حسب ما تقوم عليه العقيدة الهندوسية .

تتابعت العصور الملكية المختلفة على وادي كاتمندو حتى كان عام ١٢٠٠ حين تولى الحكم الملك « آري ديفا » الذي اطلق على نفسه بعد ذلك اسم « ماللا » اى المصارع . وأقام ديفا مملكة قوية موحدة ليتوالى من بعده سلسلة الملوك الذين حملوا اسم « ماللا » واستمر حكمهم من القرن ١٣ حتى ١٨ م . . وهي فترة تسمى بالعصر الوسيط لنيبال .

ثم جاء التوسع الانجليزي الزاحف عام ١٨١٤ فى آسيا ، مما أدى الى وقوع الحرب بين نيبال والجيوش الانجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية . وانتهت الحرب بتوقيع اتفاقية تنازلت نيبال بمقتضاها عن بعض أراضيها . وفى خضم الموقف الضبابي الذى تلا ذلك استطاع بهادور رانا ان يصبح صاحب النفوذ الاول عندماتولى رئاسة الوزارة التى استمرت وراثية فى اسرته فيما بين عامى ١٨٤٦ و ١٩٥٠ بينما كان الملك يحكم بالاسم فقط .

وفى نوفمبر ١٩٥٠ قاد الملك تريبوان ثورة شعبية ضد أسرة رانا ، مما أدى الى سقوطها بعد ١٠٤ سنوات من السيطرة والنفوذ . وبعد وفاة الملك تريبوان عام ١٩٥٥ خلفه ابنه الملك ماهندرا ليتولى العرش من بعده عام ١٩٧٢ ابنه الملك الحالى بريندارا شاه ، وقد ظلت مملكه نيبال باستمرار مملكة مستقلة لم تقع ابدا فى براثن الاستعمار . .

كومارى . . الآلهة الحية :

وبدأ جولتنا فى شوارع كاتمندو . . ولعل أغرب بداية هى لقاؤنا مع الآلهة الحية . . التى تعيش على الارض . !

الآلهة الحية يسمونها هنا . . « كومارى » . . اى العذراء . . وحين رأيناها لم نصدق ان تلك التى امامنا يمكن ان يعبدها قوم يعيشون فى أواخر القرن العشرين فى عصر بلغ قمة العلم والتقدم والمعرفة ، ولكنهم لم يأخذوا من نوره الا قبسا واحدا . .

الديمقراطية . . فهم يختارون إلهتهم . . لفترة واحدة . . بالانتخاب . . !!

اما طريقةانتخاب الكومارى فلها طقوس لابد من تنفيذها بدقة لدى هذه الطائفة من طوائف

الهندوس . فهم يعتقدون ان « كومارى » تجسيد حى للالهة برافاتى زوجة الاله شيفا . .

سار بنا مرافقنا الى حيث تقيم الألهة الحية . باب القصر الخشبى يحيط به من الجانبين تمثالان لأسدين يكشران عن انيابهما . وصعدنا الدرجات القليلة المؤدية الى الساحة الداخلية حيث يقوم بناء من ثلاث طبقات كل جدرانه مزينة بتماثيل منحوتة لمختلف آلهة الهندوس . النوافذ الخشبية التاريخية التى تطل من كل طابق على الساحة تعلوها تماثيل لحمائم يتوسطها طاووس .

وقفنا وسط الساحة وعيوننا متجهة الى نوافذ الطابق الثانى . ونادى مرافقنا على طفل كان يطل من النافذة ، واستعطفه أن يخبر الكومارى أن فى الساحة زوارا جاءوا من بلد بعيد على أمل أن تمنحهم بركتها . ومضت فترة . . أطلت علينا بعدها من النافذة طفلة لا يتجاوز عمرها خمس سنوات . . رافعة الرأس فى اعتداد من يعرف قدر نفسه . على رأسها تاج مثقل بالمجوهرات الذهبية . . وعلى صدر ردائها الزاهى الالوان نقوش مشغولة بالذهب . . وحول عنقها قلادة ثقيلة يتوسطها هلال ذهبى تزينه مجموعة من الأحجار الكريمة . نظرنا اليها بإمعان وهى تشرف علينا من موقعها لننال شرف رؤية وجهها . . وأشارت الصغيرة بيدها فى حركة مليئة بالثقة بالنفس ، ثم تراجعت وراء النافذة بعد أن منحتنا بركتها الالهية . . !

هذه الطفلة إذن هى الألهة الحية . . وقد نصبت فى مكانها هذا العام بعد ان نحيت الألهة السابقة إذ بلغت سن الحلم وجردت من القداسة .

كيف تنتخب الألهة ؟ !

قال لنا مرافقنا ان من النادر ان تستجيب الكومارى لمن يجيئون فى انتظار أن تطل عليهم وتمنحهم بركتها . . فالعادة أنها تطل من الشرفة لتبارك أتباعها مره واحدة كل عام . . فيهتفون وينحنون إجلالا واحتراما بينما يلتصق بعضهم بالارض تقديسا وتعظيما . . فتلك بعض الطقوس التى تمارسها منذ اختارها الرهبان لتكون آلهة .

تجرى عملية انتخاب الكومارى من بين مجموعة من الاناث من عائلة بوذية معينة بشرط ان يكونوا من طبقة الساكيا ويعمل آباؤهن فى صناعة الذهب . البنات المختارات يشترط الا تتجاوز أعمارهن الرابعة او الخامسة ويكن متميزات بالذكاء والشجاعة والفطنة . ويختار الكاهن الهندوسى الاكبر وخمسة من مساعديه من بين الفتيات من تنطبق عليهن مجموعة شروط منها التميز بالجمال والخلو من أية عيوب جسدية بالاضافة الى علامات قدسية معينة . وتتعرض الفتيات المختارات لاختبار فى غاية القسوة يتم فى الظلام الداكن بالقاعة المقدسة ، حيث يجرى إثارة فزعهن بوجوه وحوش مخيفة وجماجم ينطلق من عيونها الشرر وشياطين وعفاريت يتظاهرون بالانقضاض عليهن . وحين ينتهى الاختبار المثير يقع اختيار الكهنة على الطفلة التى بدت أكثر ثباتا وثقة وشجاعة لتكون هى التجسيد الحى للآلهة برافاتى ، باعتبار ان هذه الميزات لا تكون إلا فى طفلة تليق بالروح الألهية المقدسة ان تتجسد فيها .

تخضع الطفلة بعد ذلك لامتحان آخر عسير ، لمعرفة مقدار طهارة روحها وسلامة طويتها ، وللتأكد من أن احدا لم يدفعها الى ذلك السلوك . وحين يثبت أحقيتها بالمهمة المقدسة تجرى احتفالات ضخمة لتنصيبها إلهة . فيسير موكب دينى ترتفع خلاله دقات الطبول والاهازيج فى الطريق حتى القصر الذى ستقيم فيه طالما استمرت قداستها وطهارتها . وتنتهى هذه القدسية إذا بلغت سن الحلم وخرج من جسدها دم الطمث أو لو حدث ان تعرضت لاصابة دامية . فعندئذ تنحى عن الألوهية وتسقط قدسيتها ويتجهون الى اختيار من تؤهلها صفاتها لتكون إلهة أخرى حية . . كومارى . . وتذهب الالهة السابقة بعد تنحيتها الى بيت اسرتها محملة بالهدايا والعطايا . ولكن حظها يكون سيئا بعد ذلك . . إذ انها تعجز عن الحصول على زوج لانها ستكون شؤما على الرجل الذى يتزوجها إذ سيكون اقرب الى الموت .

ويقول لنا مرافقنا ان هناك حكايات كثيرة تدور حول الكومارى ، فيقال انه حدث فى القرن الثامن الميلادى ان ادعت احد فتيات الساكيا ان روح الآلهة برافاتى قد تجسدت فيها . فأمر الملك بنفيها وطردها من البلاد . ولكن الملكة ثار غضبها وأصابتها علة لم



• انهم يصنعون الفخار في محاتور الاواني من كل صنف تصنعها الايدي الماهرة المدربة

• المعاناة لاتستطيع أن تمحو من وجهها البسمة بر الحمل الذي على ظهرها . والرباط على رأسها

• متسلقان في طريقهما الى القمة انهما لايحتاجان الى حبال الشيرباس



• مزامير البوص .. انهم يفتنون في حلها لإثارة إعجاب المشترين ..

تبرأ منها إلا بعد أن أمر الملك باعادة الفتاة ووضعها معلقا عليها داخل المعبد

وهناك حكاية أخرى تقول ان احد ملوك « المالا » تعود أن يلعب النرد مع الالهة « تاليجو » التى كانت تبدو فى هيئة بشرية وذات ليلة حاول الملك اغتصابها لكنها تملصت منه وأقسمت ألا تعود الى البلاد ثم اختفت وكأنما تبخرت فى الهواء وأدرك الملك أنها لم تكن امرأة عادية بل كانت إحدى الآلهات ، فأعلن توبته وندمه ورغبته فى التكفير عما ارتكبه وجافاه النوم طوال شهور . واستجابت الالهة فى النهاية لتوسلاته ، ورضيت بتوبته ، فأسلمت عينيه للنوم ثم ظهرت له فى الحلم ، وقالت له انها ستعود ولكن فى صورة طفلة لتختبره وترى الى اى مدى كان صادقا فى توبته

وهكذا أصبحت الالهة تتجسد فى طفلة عذراء صغيرة تطمئن الى طهارتها ونقائها . وتقوم بمباركة الملك فى احتفال دينى مرة كل سنة وهو تقليد مازال مستمرا حتى الآن ، حيث تذهب فى ذلك اليوم ـ وقد تحلت بأجمل الثياب وغطت رأسها وعنقها بالحلى والمجوهرات ـ الى قصر الملك فى موكب مهيب ، تركب فيه عربة تجرها جياد مزينة بالذهب والورود ويتقدمه الكهنة ، ويستقبلها الملك لتضع على جبهته علامة « التيكا » الحمراء المقدسة رمز البركة الإلهية .!

غابة من المعابد :

نغادر قصر الآلهة الحية . ونحن نتنفس الصعداء ونظل حولنا نحن فى اعماق غابة زاخرة بالمعابد المختلفة الاشكال والالوان والطقوس والرهبان والتماثيل

انها ساحة « دربار »

فى وسط الساحة يقوم معبد نارايان الذى بنى عام ١٦٧٠ وهو اكبر معبد من الخمسين معبدا التى تتناثر بارتفاعات واشكال متباينة . تختلف باختلاف العادات والعقائد والطوائف والآلهة . اما ارصفة الساحة فيتزاحم فيها باعة الخضراوات والفاكهة والعاديات والتماثيل والملابس والاحذية والزهور سوق غريب يختلط فيه الحابل بالنابل الباعة والمشترون والسياح والرهبان والمتعبدون والزهاد والنساء والعجائز والاطفال والمتسولون . . حتى شرفات المعابد يعتلى طبقاتها واركانها وافاريزها نساء يمارسن حياكة الملابس واصلاح الاحذية وجدل السلال وحفر الخشب وكل ما يمكن تصوره من الصناعات والمشغولات اليدوية . وبين هؤلاء واولئك تتنقل الفلاحات حاملات سلال جوز الهند والسجر والطماطم والبصل والسمك المملح والفواكه والحلويات وهن يبحثن عن مكان خال يبسطن عليه بضاعتهن ويبدأن تسويقها والنداء عليها لاجتذاب المشترين والمتجهين الى المعابد لتقديم النذور والقرابين .

فى هذا الزحام ، وكل شىء هنا فى زحام ، غرقنا فى دوامة من الالوان والروائح المنبعثةمن الاجساد المتلاحمة بعضها ببعض . . وتهنا بين الوجوه التى تختلط فيها الملامح الهندية والمغولية والصينية والتبتية .. واضطربت خطواتنا لتفادى روث مئات الابقار التى تنفح الأرض بمخلفاتها على اتساع الطرقات دون ان تحفل بالجالسين والسائرين. . . فهى تعلم انها هنا آمنة مطمئنة مقدسة باعتبارها رمز الخصوبة والحياة . لهذا تسير فى دلال تتبختر فى سعادة وتتردد اى شىء يطيب لها من سلال الباعة دون ان يجرؤ اى انسان على إبعادها او المساس بقدسيتها .

فجأة تضج من بعيد طبول وصنوج وموسيقا صاخبة . ونطل الى بعيد فاذا موكب عرس كبير تتقدمه فرقة موسيقية وراقصون يتمايلون على الانغام وهم يهزون اعلاما ملونة يرفعونها فوق الرؤوس . ويستعد زميلى المصور ، ولا يكاد يصوب عدسته الى العريس الذى يتربع فوق محفة محمولةعلى الاكتاف ، حتى يماحا بعجوز يحيى الجماهير عن يمين وشمال ، وقد توج رأسه بالورود والرياحين وأحاط عنقه بعقود كبيرة من الزهور ، والفرحة الغامرة تملأ وجهه وعينيه . ولا يكاد العجوز يقترب على محفته حتى يشير بيديه لحاملى المحفة ورجال الموكب ليتوقفوا حتى يلتقط المصور صورته ويرد على تحيته فى سعادة . وكان لا بد من تساؤ ل : وأين العروس ؟

ويجىء الجواب : العجوز لا يحتاج الى عروس . فالموكب الاحتفالى ليس موكب عرس ، ولكنه احتفال

وداعى للرحل وقد بلغ سن الثمانين فبعد ذلك الاحتفال ستنطلق روحه بعيداعن جسده ، لتتقمص جسد طفل وليد تواصل معه مسيرة الحياة . !

أما هو . . فلا أحد يدرى كيف سيواصل الحياة بغير روح ، بعد ان تكون روحه قد تقمصت سواه ، كل ما يدرونه أن دور الرحل قد انتهى ، وان حياة جديدة ستبدأ داخل جسد جديد !

ويواصل الموكب طريقه ونلتفت نحن الى عمود طويل من حجر يشبه المسلة ويتوسط الساحة . وحين ترتفع أبصارنا الى قمته نجد تمثال الملك « بارتاب مالا » الذى شيدت فى عهده غالبية المعابد فى ساحة دربار ان وجه الملك يتجه نحو غرفة العبادة التى كان يؤدى فيها صلواته فى الطابق الثالث من معبد « ديجوسلاجو » حيث يقوم تمثال كرشنا فى الركن الايمن يسدل فوقه ستار يحمى وجهه عن العيون والستار لا يزاح الا خلال المهرجان الدينى الكبير المسمى « اندراجاترا » ففى ذلك اليوم يكشف النقاب عن الوجه القاسى للاله وهو محاط بباقات وعقود الورود والازهار وسنابل الارز . ومنذ اللحظة الاولى تنطلق من بين شفتى التمثال نافورة من العصير المسكر ينساب من جرار يقبع وراء الرأس ، ويتزاحم المتعبدون لينهلوا من السائل الحمرى حتى يرتوى الجميع !

باتان . . والقصر الملكى القديم :

ونترك دربار لنتجه الى ساحة باتان . . هنا نجد انفسنا فى مواجهة القصر الملكى القديم . عند مدخل القصر يقوم تمثال الآله القرد هانومان الذى يقدسونه لأنه أنقذ الأميرة سيتا زوجة الأمير راما من ملك الشر رافنا كما جاء فى الرامايانا الهندية المقدسة . التمثال أقيم فى عام ١٦٧٢ عند مدخل القصر وتحوطه عباءة حمراء لا تخلع عنه الا فى ايام المهرجانات الدينية والمناسبات الرسمية . ويعتبر « هانومان » رمزا للتفاؤل والخير والنصر . وحينما كنا وقوفا نطل اليه كنا نرى المتعبدين يقدمون اليه قرابين الارز ويلقون تحت قدميه النقود المعدنية ويشعلون اعواد البخور ، كما يلقى اليه البعض رسائل مكتوبةعلى قطع صغيرة من الورق تحمل أمنياتهم او تعبر عن توبتهم .

بوابةالقصر الملكى التى يقف امامها جنود « الجوركا » بملابسهم السوداء يقوم على جانبيها تمثالان لاسدين من الحجر الاول يعتليه شيفا ، والاخر تمتطيه زوجته بارافاتى وفوق بوابةالقصر تماثيل مجموعة من الالهة يتوسطها تمثال كرشنا والى جواره الملك بارتاب مالا . . وهما معا تجسيدان للاله فشنو . وفشنو عند الهندوس واحد من ثالوث الالهة الذين يسيطرون على الكون ، وهم براهماالخالق ، وفشنو الحافظ ، وشيفا المدمر اما براهمافهو القوة الخالقة فى الطبيعة وان كانت عبادته مهملة واما فشنو فهو اله الحب الذى يتقلب كثيرا الى انسان يقدم العون للبشر ، وأعظم مايتجسد فيه هو شخصيةكرشنا البطل الاسطورى الذى ولد فى السجن واتى بكثير من اعاجيب البطولة ومغامرات الغرام وكان يشفى الصم والعمى ويذود عن الفقراء ويبعث الموتى من القبور . ويرسم الواحد من أتباعه على جبهته كل صباح بالرماد الاحمر علامة الفشنو . وهى شوكة ذات اسنان ثلاث ، بينما الشيفى المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته برماد من روث البقر . وينظر الأتباع الى شيفا على أنه إله القسوة والتدمير وانه تجسيد للقوة الكونية التى تعمل على تخريب جميع الصور التى تتبدى فيها حقيقة الكون .

يقول لنا مرافقنا : اليوم ستزهى فرصتكم لتذهبوا الى معبد الالهة كالى زوجة شيفا ولتشهدوااحتفالات تقديم القرابين وذبائح الدم .

وتنطلق بنا السيارة لأكثر من ساعة جنوب العاصمة وخلال الطريق نتوقف عند الممر الضيق الذى يذكر الجميع بضربةسيف بودا الاول او صاعقة كرشنا التى شقت جدار البحيرة لتغيض المياه ويظهر وادى كاتمندو . وبعد مسيرة حوالى عشرين كيلو مترا نصل الى معبد كالى . وننحدر سيرا على الاقدام فى طريق طويل لنهبط فى نهايته على درجات لا يقل عددها عن مائة . ونفاجأ بزحام شديد يمتد على مرمى البصر . طوابير طويلة من اتباع كالى يحملون الاضحيات والقرابين التى نذروها لها . . مئات من الماعز والخراف والخنازير والبط والاوز والدجاج

وغيرها من الحيوانات والطيور كلها ذوات رؤوس سوداء يحملها او يجدبها اصحاب النذور وفى اعماق كل منهم الامنية التى سيبتهل بها الى الآلهة كالى اثناء تدفق دم الذبيحة ، بعد ان يكون قد همس فى أذنها لتكون مستعدة للتضحية بنفسها قربانا لارضاء زوجة شيفا ويتقدم الجميع واحدا وراء الآخر الى فتحة تنتهى بدرجات قليلة ، تنحدر الى ساحة تشبه البئر الواسع تحت اقدام تمثال كالى على ارض الساحة يقف رجال ، غرقت سيقانهم الغارقة فى بحر من دم القرابين التى يتلقونها من أصحاب النذور ليقوموا بذبحها بطريقة غريبة فهم يدفقون كمية من الماء على رأس الضحية ، ويتبعون ذلك بضربة على الرأس بمطرقة ، يليها الذبح بسكين حاد بينما العنق المذبوح يستند الى الجدار الذى تحول الى اللون الاحمر القانى لتدفق عليه الدماء بقوة ، بينما صاحب النذر يهمس بأمنيته ويديره نحوها بوجهه ناحية التمثال الاسود للالهة كالى القائم فى صدر الساحة

يحكى لنا احد اصحاب النذور ماوراء اعتقادهم فى كالى انها زوجة شيفا الاله المدمر تركزت فى جسدها قوة الآلهة لتصبح مصدر القدسية والعظمة لكل المخلوقات وعندماتكون كالى غاضبة فانها ترقص فى وحشية وترتعش فوق شيطان وتصب نقمتها على المدنسين أما عندما تكون راضية فهى بدوشانة جميلة تمنح الحب والتسامح والخير

ونطل من بعد متأملين وجه كالى وجه بشع بفم فاغر ولسان متدل ، وهى تتزين بالافاعى وترقص على جثة ميتة بينما اقراطها رءوس رجال موتى . وعقدها سلسلة من الجماجم ، والدم يلطخ وجهها وثدييها ، ومن بين ايديها الاربعة يدان تحملان سيفا و[illegible] . بينما الاخريان ممدودتان رحمة [illegible] الى جانب انها رمز [illegible] كما ان فى [illegible] هى وزوجها شيفا [illegible] الرعب فى قلوب [illegible] ، وقد تكون هذه البشاعة كلها قد [illegible] فى نفوس العباد فيحوزون [illegible] !!

الانوف المقطوعة والشفاه والممزقة :

فى طريق العودة من معبد كالى دارت فى رؤوسنا افكار كثيرة . اذ كيف يفكر هذا الخضم البشرى ممن يعبدون ويقدسون عشرات الالاف من الآلهة فى بلاد كثيرة من هذه الارض ؟ وكيف يؤمنون بكل هذه الآلهة وهم يعيشون فى أواخر القرن العشرين بعقلية دينية ما تزال تعبد التماثيل وتقدس الابقار وتنحنى امام بشر وأوثان من دون الله بينما بلغ عدد كبير منهم قمة التعليم وذروة التقدم وشاركوا بفكرهم وجهدهم فى كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع . . بل والوصول الى الفضاء !

وانتبهنا فجأة من هذا الاستغراق فى التفكير الى ان السيارة قد توقفت بنا عند قرية « كيريتبور » ونزلنا من السيارة عند بداية سطح التل لنصعد على الاقدام وندخل القرية التى تشتهر فى كل انحاء نيبال بانها مدينة « ذوى الانوف المقطوعة »

التسمية لها قصة حقيقية هذه المرة

فعندما انقضت جيوش الجوركا بقيادة الملك « بريثوى شاه » لغزو وادى كاتمندو ، فوجئوا بمقاومة عنيفة من سكان قريةكيريتبور واضطرت جيوش الجوركا الى الالتفاف من وراء القرية والانحدار الى الوادى بعد ان ترك الملك قوة ضخمة ظلت تحاصر القرية ثلاث سنوات قبل ان تضطرها الى الاستسلام وفرض الملك عقوبة رهيبة على سكان القرية الذين قاوموه باستبسال كبير فجمع كل الرجال فى الساحة وأمر قواته بجدع انوفهم التى شمخوا بها فى مواجهته ، وتمزيق شفاههم التى شجعوا بها بعضهم بعضا وهكذا التصق اسم اصحاب الانوف المقطوعة بالقرية التاريخية التى ما تزال قائمة بمبانيها الشامخة وسكانها الذين يعتزون بماضيهم وعنف مقاومتهم ، رغم أن القريةتركت منذ ذلك الحين بعيدة عن عجلةالتطور حيث تبدو حياة السكان كما شهدتهم وكأنهم ما زالوا يعيشون فى ظلمات القرون الوسطى

هنا . . ولد بوذا .

الآن ثمةزيارة لا بد من القيام بها لكل من يزور وادى كاتمندو فهنا . كان مولد البوذية .



• إطلالة الطفل من نافذة البيت ونظرة حزينة الى المستقبل





• وجه معبر لنيبالية حسناء . ونظرة الى بعيد



• خليط من الوجوه يؤكد تباين الاجناس التي يتكون منها شعب نيبال .

والواقع أن سال رص معدسة عند البوديين فميها ولد حاوتاما بودا وعلى سفوحها تلقى الحكمة ، وفى ظل اشجارها اكتسب استنارته ، والى واديها كانت زيارته الاخيرة قبل الصعود الى النيرفانا

نحن الان على مسافة قصيرة من مدينة « لومبيى » فى المنطقة العربية من تيراى ، نقف ومن حولنا الحجاج والرهبان البوديون ، فى نفس الموقع الذى شهد مولد حاوتاما بودا حوالى عام ٥٤٣ قبل الميلاد

فى وسط هذا الحضم البشرى من الرهبان والحجاج البوديين نتوقف عند معبد « مايادبفى » أم البودا وهو معبد تجدد عدة مرات للاحتفاظ به كأثر دينى وتاريخى يشير الى مولد الحكيم الذى لم يدع أبدا أنه إله ، ولكنهم بعد موته نسبين ألهوه وعبدوه من دون الله

ويحكى الرهبان هنا قصة ميلاد حاوتاما فى اسلوب اسطورى مثير

فبينما الملكة مايا نائمة على فراشها إذ رأت فى الحلم أربعة من الملائكة فى ثياب بيض ، يتقدمون منها ويحملونها بكل محتويات غرفة نومها ويطيرون بها . الى أعلى قمة فى جبال الهيمالايا ، حيث تقوم شجرة باسقة خضراء وضعوها تحت ظلها

واقتربت من الملكة أربع ملكات أدخلنها حماماوالسبهانيانا حيلة وعطرنها بعطور زكية الرائحة ، ثم حملنها الى منزل آخر شيد كله من الفضة ووضعنها على فراش احر يشع بالنور وهناك هبط فيل ابيض من فوق جبل ذهبى وتقدم منها وفى خرطومه غصن من نبات الشنين ، ودار الفيل حول الفراش ثلاث دورات ، ثم مس جانب الملكة الايمن ودخل فى رحمها واضطرب الملك وهو ينصت الى زوجته وارسل يستدعى حكماء الساكيا للحضور الى قصره فى كابيلافستا ليفسروا له الحلم .

قال الحكماء لا يشغلن سالك شىء ايها الملك السعيد فالملكة قد حملت بغلام سيصبح ملكا على البلاد إذا استقر فى بيته أما إذاغادره هائما على وجهه فى الارض ، فعندئذ سيصبح هوالبودا كاشف نقاب الجهل عن وجه هذا العالم

ولم تمض ايام حتى تحقق ما قاله الحكماء ، وأحست الملكة بالحمل وكان هناك شىء عجيب ، فقد كان الجنين يبدو واضحا وهو قابع القرفصاء فى رحم أمه ، وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع . وطلبت الملكة أن تسافر الى اهلها لتضع مولودها هناك . واذ هى فى الطريق فوجئت بالمخاض وهى تحت شجرة سال فى بستان يسمى « لومبينى » . وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست الملكة القرفصاء بعد ان حجبها الخدم عن الانظار .

ولما ارادت النهوض مدت يدها الى غصن الشجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها . ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته ايدى اربعة من البراهمة فى شبكة نسجت خيوطها من اسلاك الذهب . ووقف المولود فجأة وتقدم الى الامام سبع خطوات ثم صاح فى صوت عذب : « انا سيد هذا العالم . وهذه الحياة هى آخر حياة لى . . . »

شجرة الحكمة ومعبد البرج :

موقع آخر له قدسيته عند البوديين انطلقنا اليه ونحن فى طريق العودة هناغير بعيد من اقليم بيهار الهندى وفى داخل منطقة باتان ، وتحت شجرة لم يبق منها سوى رمز مكتوب على لافتة امامه « تحت شجرةبو المقدسه - شجرةالحكمة - بلغ الامير حاوتاما فى مملكة الساكيا مرتبة البودا . واصبح المستنير »

وعندما هجر الامير قصر ابيه ليصبح راهبا متسولا وهو فى سن التاسعة والعشرين ، راح يتجول فى الغابات والقرى باحثا عن الحكمة وحقيقة الحياة . وعندمابلغ منه الجهد جلس تحت شجرةوهو يقول لنفسه « هنا سأجلس وافكر فى كل ما تعلمت ، وفى كل ما رأيت فى حياتى ، ومن كل هذا سأكسب الحكمة فليجف جلدى وتضمر عضلاتى ويهن العظم منى كما يشاء ولكنى سوف لا ابرح مكانى هذاقبل ان تنكشف لى الحقيقة وأحيط بأسرار الحياة »

واستمر حاوتامامنقطعا الى حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة وفجأة تألق وجهه ابتهاجا وهو يقول « اخيرا وجدت مفتاح الحكمة إنه اول قانون للحياة . . من الخير يجب ان يأتى الخير . . ومن الشر يجب ان يأتى الشر » .

وتبين حاوتاما انه اوشك على نهاية بحثه الطويل عن الحكمة وانه الان اصبح البودا المستنير .

تلك هى حكمة بوذا . . نتذاكرها ونحن نلهث على درجات السلم الحجرى الطويل الصاعد على السفح الشرقى للجبل للوصول الى معبد البرج

بوذاالاصيل :

البرج يطلق عليه اسم معبد « سوايامبونات » وهو احد أروع المنشئات فى كل نيبال ، وواحد من اقدم المعابد البودية فى العالم على الدرجات الصاعدة الثلاثمائة التقينا باحد الدارسين البوذيين ، لمحناه يقرأ كتابا بالانجليزية ، واقنعناه ان يسمح لنا بمرافقته خلال جولتنا بين انحاء المعبد

ووقفنا امام البرج الرباعى العريب الذى لاتخطئه العين من أى مكان من وادى كاتمندو على كل جانب من الجوانب الاربعة للبرج التاريخى الذى ترتفع فوقه قمة هرمية ، تطل نظرتان ثاقبتان من عينين رسما باتقان بحيث تتجه نظرات بوذاالى قلب وادى كاتمندو النظرات المشرقة على العالم من كل اتجاه تمتزج فيها الرحمة باتساع مدى الرؤية تحت حاجبين اسودين كثيفين . وبين العينين رسمت عين ثالثة غامضة تعبر عن الحكمة الصادقة اما الانف الذى يبدو فى شكل علامةاستفهام ناقصة - وهى تشبه رقم ١ فى اللغة النيبالية - فهو يعبر عن ترابط البلاد وان « الكل فى واحد » . قال لنا الراهب البوذى

لقد اتبعت فى تشييد البرج قواعد دقيقة حتى ليعد نموذجا بارزا من نوعه وكل جزء او قطعه منه لها معناها فلون الجدران الناصع الباهر يمثل العناصر الاربعة فى العالم : الارض والنار والهواء والماء ، والحلقات الثلاث عشرة التى تحيط بقمة البرج هى درجات المعرفة الثلاثة عشر ، وتمثل درج الصعود الى النيرفانا التى تمثلها المظلة القائمة فوق ذروة البرج . وحول قاعدةالبرج تبرز عجلة الصلاة المستديرة التى كلما أدارها أحد الاتباع المخلصين على مدار الساعة ، تمثلت دورة الحياة والموت على الارض .

وهناك طقوس يتبعها البوذيون كلما جاءوا الى المعبد . فالأب يأتى وقد أحاط رقبته بمنديل احمر . ويخلع حذاءه ثم يركع على ركبتيه امام الهيكل الرئيسى عدة مرات . وتتبعه زوجته وابناؤه الذين ارتدوا ازهى الملابس والمجوهرات ثم يتجه الجميع ليصبغ الراهب على جباههم علامة التيكا الحمراء رغم انها علامة هندوسية . . كل ذلك بينما مئات القرود تقفز هنا وهناك بين الزائرين وتخطف من ايديهم كل ما يسهل اختطافه ، وخاصة إذا كانت فاكهة لذيذة . .

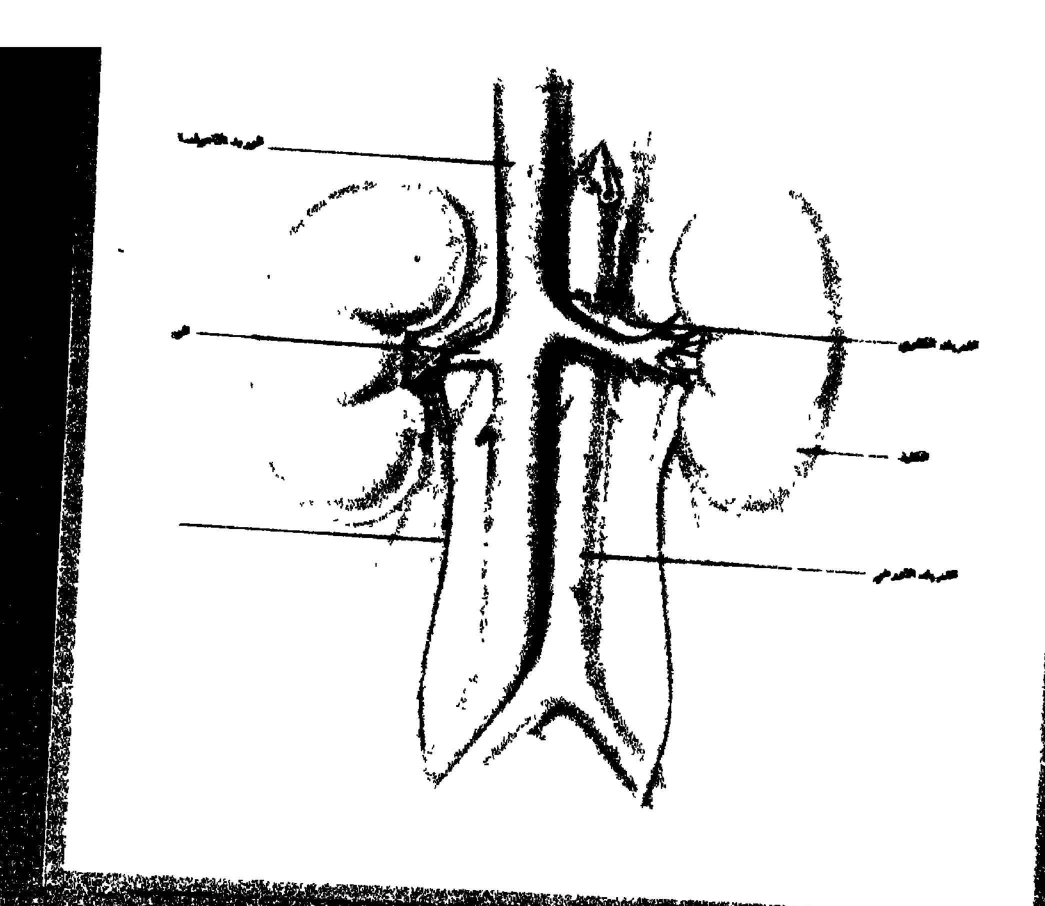
ثم ماذابعد ؟

ليس من الممكن تجاهل الجهود الحثيثة التي يبذلها الملك وحكومته لرفع مستوى حياة الشعب ، وتطوير المجتمع المتعدد الاعراق المتباين العادات المغرق فى الفقر الذى يستعين عليه الغالبية العظمى بالخرافات والاساطير

ولكن هذه المحاولات لا تحول دون قيام حركات معارضة تطالب بالمزيد من الاصلاح وبذل الجهد من اجل نهضة اجتماعية واقتصادية وسياسية شامله فى البلاد

وبرغم ان الاحزاب ممنوعة فى نيبال ، الا ان الجماعات المعارضه تظهر على السطح فى كثير من الاحيان وتشتد المعارضة ضد الحكومةورئيس وزرائها حول الاصلاح الاقتصادى ، وقد كان سقوط رؤساء الحكومات يتو الى تحت ضغوط المعارضة التى تستطيع فى كثير من الاحيان أن تستقطب جماهير الشعب للمطالبة بتغيير الوزارات حتى ان الملك اضطر قبل ثلاث سنوات الى إقالة الحكومة . وهى اول اقالة فى تاريخ الحكم فى نيبال

وليس أدل على فاعلية هذه الحركات المعارضة من اننا فوجئنا ونحن فى طريقنا الى المطار لمغادرة كاتمندو ، بثلاثة تفجيرات عنيفة تمت فى وقت واحد ظهرا .
كان اولها انفجارا على مدخل الجمعية الوطنية بينما كان موكب الملك بيرندرا فى الطريق لحضور حفل افتتاح الدورة الجديدة والاستماع الى بيان الحكومة ، وكان الانفجار الثانى وسط الميدان الرئيسى فى قلب العاصمة . . اما القنبلة الثالثة فقد فجرت بالقرب من القصر الملكى برغم ان الملك هو نفسه تجسيد للاله فشنو . . موضع تقديس الجميع . . ! □



...صيات الكلوية

حصاة واحدة .. نوبة واحدة ..

بقلم : الدكتور غسان حاحت

تأتي النوبة الكلوية على غير موعد ، وتذهب فجأة دون وداع .. لكن آلامها لا توصف إذا جاءت وتمكنت ، وحتى وقت قريب كانت الجراحة وشق البطن لاستئصال الحصاة الكلوية هي العلاج الوحيد ..

أما الآن ، ومع تقدم الطب فقد أصبحت العملية سهلة سريعة ، وأصبحت النوبة الأولى هي الأخيرة .. فما الذي حدث ؟

[illegible] شق البطن جرحا [illegible]
على الشعر [illegible] (عرفته مريضا هذه المرة لا طبيبا). بل كل ما تتطلبه جرحا يسيرا ثم ادخال منظار الى الكلية بعد تحديد موضعها وموضع الحصاة فيها بالاشعة والأمواج فوق الصوتية . وتستخرج الحصاة ويخرج المريض من المستشفى بسرعة . بعد ايام قليلة . ويعود الى عمله وكأن ما كان لم يكن .

ونقرأ من الملاحظة الجديدة ان النوبة الأولى يجب ان تكون النوبة الأخيرة . وان الحصاة لا ينبغي لها أن تتشكل ثانية .

ولئن كانت النوبة الأولى أتت على غير ما موعد ، ولا سبيل الى توقع حدوثها أو الوقاية منها فان طرق [illegible] من [illegible] تشكل حصاة جديدة [illegible] ممكنة [illegible]

[illegible]

[illegible] الناس الى تشكل [illegible] أو كالات . لذلك [illegible]



عن تناوله دوائيا بأي شكل من الاشكال عندما تكون لديهم زيادة في طرح الاوكسالات

تتشكل الحصيات بصورة رئيسية من الكلس والاوكسالات وحمض البول والنشادر والفوسفات بعضها او كلها وبالتالي فان الوقاية منها يجب ان تتركز على هذه المواد وأن أية اضطرابات ولو جزئية في زيادة هذه المواد او تغير نسبها قد تؤدي الى تشكل الحصيات

وان ٩٠٪ من الحصيات تحوي الكلس ، بينما جزء قليل منها يحوي الفوسفات الثلاثية (الكالسيوم والأمونيوم والماغنزيوم) وهذه الحصيات الاخيرة تنشأ بسبب تكرر حدوث الالتهابات البولية الناجمة غالبا عن وجود انسداد في المجاري البولية

ان فحص كافة الحصيات سواء النازلة تلقائيا او المستخرجة جراحيا يساعد على تبين نوعها وتركيبها ، ولابد من اجراء فحوص اخرى

ويأتي في مقدمة هذه الفحوص تحري مقدار كلس الدم ، وقد ظهر ان ٣ ـ ٥٪ من الحصيات تنشأ عن زيادة في كلس الدم سببها فرط نشاط الغدد المجاورة للدرق واستئصال هذه الغدد يمنع تكرر حدوث الحصيات .

ولابد من فحص كلس البول واوكسالات البول وحمض البول ، وذلك في البول المجموع خلال ٢٤ ساعة بينما المريض على حمية عادية

فاذا كان حمض البول مرتفعا فيمكن له ان يشكل نواة يتوضع عليها الكالسيوم ، وباعطاء مذيبات هذا الحمض وبعض المدرات يمكن منع تشكل الحصاة .

اما من يطرح الكلس في البول بكثرة ، وتشاهد هذه الحالة لدى ٥٠٪ ممن لديهم حصيات ، فهنا نميز ثلاث حالات ، فاذا كان مقدار الكلس في الدم مرتفعا ايضا كان لابد لنا من التفكير في حالات فرط نشاط مجاورات الدرق كما اسلفنا ، اما اذا كان مقدار الكلس في الدم طبيعيا ، يكون الاطراح البولي ناجما اما عن زيادة الامتصاص المعوي للكلس ، او زيادة الاطراح الكلوي بسبب آفة كلوية ، ويتم التفريق بين هاتين الحالتين بمنع المريض عن الطعام لفترة معينة بمعاير الكلس في البول بعدها فاذا كانت الزيادة ناجمة عن اضطراب في الامتصاص في المعي نقص مقداره ، بينما اذا كانت ناجمة عن فرط اطراح في الكلى لم ينقص المقدار ، ومثل هذا التمييز ضروري جدا ، اذ يجب في الحالة الاولى تحديد تناول الكلس بينما لا يجوز ذلك في الحالة الثانية اذ يؤدي الى نقص مخزون الكلس في العظام .

توصيات وقائية عامة :

ثمة وصايا هامة ينصح بها للوقاية من الحصيات الكلوية :

أولها واهمها هو شرب الماء بكثرة ، فالماء يغسل المجاري البولية غسلا ميكانيكيا ويذيب الاملاح التي يمكن ان تترسب .

وثانيها اتباع حمية مناسبة ، فمن كانت حصياته او رماله كلسية يستفيد من الامتناع عن الحليب ومشتقاته ، ومن كان في حصياته اوكسالات لابد له من الامتناع عن تناول كل ما يحوي هذه المادة كالخضار والفواكه غير الناضجة والبندورة والسبانخ والكرز والخوخ وما اشبه . وعدم تناول الفيتامين C دوائيا كما اسلفنا .

اما من كان في رماله او حصياته حمض البول فلا بد له من الامتناع عن تناول اللحوم والسواقط بكثرة وهنا تفيد أيضا مذيبات حمض البول وبعض المدرات الخاصة .

واشير الى ان اهمية الحمية في هذه الحالات في تذبذب بين صعود وهبوط لكن الدراسات الحديثة توحي بارتفاع أسهمها .

ثم لابد من الوقاية من التهابات المجاري البولية ، واصلاح أي تشوه في الكلية او المجاري يمكن ان يؤهب لحدوث الحصيات .

وان الحياة النشيطة الحافلة بالحركة ، واللجوء الى التمارين الرياضية اللطيفة تؤدي الى الوقاية من تشكل الحصيات .

ونستبشر خيرا ، فالابحاث الطبية مستمرة ، ومن كان يظن أنه سيأتي يوم تستخرج فيه الحصيات من شق لايكاد يزيد عن قطرها الا قليلا ؟ .

ونتطلع بأمل الى ما يعدنا به طب عام ١٩٨٥ والمستقبل ، من أن النوبة الأولى ينبغي أن تكون النوبة الاخيرة ، وان الحصاة الأولى يجب ان تبقى الحصاة الوحيدة ، وان اقتضت الحصاة جراحة فالجراحة سهلة هينة . □

هدية العربي

المعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية

مع هذا العدد الممتاز تقدم « العربي » لقرائها « هدية العدد » ، وهي لوحة بالألوان للمعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية .. وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن ننشر المعلومات عن كل معدن أو حجر كريم في المساحات التي تتناسب معها .. ورغم ذلك فقد ضاقت المساحة عن كل المعلومات التي كان علينا تقديمها للقارىء ، ....

وهنا نورد بعض الايضاحات عن معيار القيراط وقياس صلابة الأحجار .. وأسماء المراجع التي استعان بها الكاتب في تقديم هذه المعلومات .

القيراط

القيراط معياران مختلفان لامعيار واحد . فهو معيار وزن فيما يتصل بالماس والأحجار الكريمة ، ويساوي القيراط المترى ، وهو الذى أقروه دوليا سنة ١٩٣٢ ، خُمس الغرام أى ٢٠٠ ملغرام . والقيراط معيار نقاء فيما يختص بالذهب فيقال ذهب ٢٤ قيراطا اذا كان الذهب خالصا ١٠٠٪ ، ويقال ذهب عيار ١٨ اذا كان مخلوطا بمعدن آخر بنسبة ١٨ قيراطا ذهبا و٦ قراريط من المعدن الآخر .

الصلابة

الصلابة هى خاصية الأحجار الكريمة المميزة .. ونعنى لغة القسوة والصلابة وبالانجليزية hardness وتعنى اصطلاحا مقاومة الحك أو التآكل او الانسحاج (abrasion) .. ويجرى قياس الصلابة بجهاز اسمه (Sclerometer) وهو يقيس مقدار الضغط اللازم لحك المعدن المراد معرفة صلابته .. ويتم ذلك وفقا لمعيار أو جدول موه Moh's scale .. ويعطى هذا الجدول مقدار صلابة المعادن الرئيسية كالتالى :

١ - بودرة تلك ٢ - الجبس ٣ - الكلسيت ٤ - الفلورايت ٥ - الاباتيت ٦ - اورثوكليز ٧ - الكوارتز ٨ - توباز ٩ - الياقوت ١٠ - الماس .

فالتلك اذن هو أقل المعادن صلابة ، وتقدر صلابته ، برقم (١) والماس هو أصلبها بلا نزاع وتقدر صلابته برقم (١٠) ، ويفحص المعدن الذى يراد تحديد صلابته بحكه بهذه المعادن العشرة ، فاذا استطاع المعدن حك الفلورايت بلغت صلابته (٥) أى أكثر من الفلورايت بمرتبة .

المراجع

المراجع التالية هى التى اعتمدناها شاكرين فى تحديد أسماء ومصطلحات المعادن الكريمة فى اللغة العربية . . .

* موسوعة بهجة المعرفة - دار المختار جينيف
* معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، احمد الخطيب ، مكتبة لبنان - بيروت .
* . لسان العرب ، دار اللسان بيروت وخصوصا المعجم الملحق به ، وهو مجلد رائع اعداد يوسف خياط ... فهذا معجم قيم يورد المصطلحات العلمية العربية وما يقابلها فى اللغات الأجنبية ، ويعتمد فيما يعتمد وفيما يختص بالأحجار الكريمة ، كتاب الجماهير في معرفة الجواهر المعروف ، وكتاب نخب الذخائر فى معرفة الجواهر (للتيفاشي) : □

وجهاً لوجه





محمد حسنين هيكل و محمود المراغي

* لا حرية صحفية في غيبة الوقائع !
* على الصحفي أن يختار أين يقف : قريبا من رأس السلطة أم . . من ذيلها
* الخبر هو المعرفة . . والرأي هو التوجيه
* برحيل عبد الناصر . . انتهت الثورة . . وبقيت السلطة
* المشاركة في صنع القرار . . تهمة لاأدفعها . وشرف لاأدعيه .

لا يحتاج محمد حسنين هيكل الى تعريف ، فهو الأبرز بين الصحفيين العرب،وهو من أبرز الكتاب الصحفيين في العالم . ولكن . . لأن الحوار يختار جانبا من الشخصية ، فإننا نستطيع القول اننا نحاور شاهدا على العصر .

بدأت شهادته من موقع الأحداث الكبرى في الاربعينيات وبداية الخمسينيات : الحرب الكورية ، الثورة الايرانية التي قادها مصدق ، حرب فلسطين ، ما صنعته من تفاعلات في القاهرة انتهت الى الثورة ، ونقلت موضع الشاهد ليصبح أكثر التصاقا بالأحداث . بل . . أكثر اندماجا في فصولها بحكم قربه من زعيم الثورة جمال عبد الناصر

لكن . .

محمد حسنين هيكل مشاهد غير عادي ، كان دائما في الدائرة السياسية ، لكنه رفض الاشتغال فيها ، دخل الوزارة ورفض الاستمرار ، حاول الكثيرون جذبه الى مجالات العمل الحزبي والنقابي ، لكنه آثر أن يكون بالدرجة الأولى كاتبا صحفيا . . يرى . . ويسمع . . يقرأ ويكتب ويقول .

من خلال ذلك كله أصبح أحد أعمدة التحديث في الصحافة العربية ، وأحد رواد مدرسة يمكن أن نسميها . . . . . « مدرسة صحافة المعلومات » .

وهي نفس المدرسة التي يعتقد محاوره ـ محمود المراغي ـ أنه ينتمي اليها ، مع فارق بسيط . أنه بينما كان المدخل عند هيكل . . السياسة والحرب كان مدخل محمود المراغي ومنذ أن بدأ عمله الصحفي عام ١٩٥٧ هو . . . الاقتصاد والأرقام وعالم المال .

وبينما كان هيكل عازفا عن أن يلعب السياسة بشكل مباشر ، شارك المراغي في قيادة وتأسيس أحد أحزاب المعارضة المصرية في السبعينيات ، كما شارك منذ الستينيات في العمل النقابي كعضو ، ووكيل نقابة للصحفيين المصريين لعدة دورات ، وكأمين مالي لاتحاد الصحفيين العرب في دورة واحدة .

وأخيرا ، فبينما كانت التجربة العريضة لمحمد حسنين هيكل في بلاط صاحبة الجلالة . الصحافة اليومية مخبرا ومحررا ورئيسا لتحرير أكبر صحيفة عربية وهي الأهرام .

كانت التجربة الرئيسية للمراغي في الصحافة الاسبوعية كمخبر ومحرر اقتصادي ـ ونائب لرئيس تحرير روز اليوسف ، مع انعطافة صغيرة بالصحافة اليومية كمدير لتحرير جريدة الوطن الكويتية

المراغي . . ٢٨ عاما من العمل الصحافي و ٦ كتب في الاقتصاد والادارة يحاور محمد حسنين هيكل (٤٠) عاما من العمل الصحفي و (أكثر من ٣٠ كتابا . . . . . .

وجها لوجه . . . . يبدأ الحديث

الصحفي والسلطة

المراغي : فلنبدأ حيث تتجه الانظار الى محمد حسنين هيكل . صحفي كبير أتيحت له الظروف أن يكون قريبا من السلطة ، وكانت معظم التجربة مع عبد الناصر ، وهو زعيم من طراز خاص ، وكانت السلطة في عهده أقوى ما تكون السلطة .

والسؤال : هناك وجهتا نظر . . . واحدة تقول ان الاقتراب من السلطة ضروري للصحفي ، لأنها مصدر المعلومات ، والثانية ترى أن الاقتراب منها يلغي حرية الصحفي ، ويؤثر على رأيه . أستاذ هيكل . . على ضوء التجربة

ماذا تقول ؟

يجيب هيكل . .

أولا لا يجب أن نتكلم عن الصحفي بالوصف الشائع الذي يشمل كل العاملين في المهنة . لابد أن نفرق بين ثلاثة أنواع من الصحفيين . . . .

×× مخبر صحفي .

×× صاحب الرأي وهو المقصود من السؤال .

××ثم الفنيون

وأيضا . عندما نتكلم عن المخبر الصحفي فلا بد أن نتكلم عن ثلاث مهام . . . .

×× جمع الأخبار .

××تقديم الأخبار بحيث تصل الى فهم القارىء وادراكه

×× التعليق على الأخبار . . أي مجال ابداء الرأي والسؤال ـ ومازال الكلام للاستاذ هيكل ـ من يملك المعلومات ، من هو صانع الخبر ؟

بالطبع هو الذي في موقع السلطة أيا كان.من هنا لابد للمخبر الصحفي أن يكون على علاقة وثيقة بمصادر الأخبار . الصحفي من وجهة نظري ليس الا مجموعة مصادر ، أنا لا أتكلم عن مخبر يربن الخبر أو يحوره أو يختلقه ، لكني اتحدث عن المخبر الصحفي كما ينبغي أن يكون .

أي المخبر الذي مهمته الرئيسية هي العثور على الخبر الصحيح ، هنا . . لابد أن يكون للصحفي علاقة وثيقة بالسلطة . وهي علاقة بين طرفين ، أحدهما وهو صاحب القرار ، يريد أن يحتفظ بالخبر ، ولو أن مصلحته في أن يصل الخبر الى الناس بشكل معين

والطرف الثاني ، وهو الصحفي ، يريد الوصول الى الحقيقة ، كل الحقيقة ، وأن ينشرها كما هي

انا أقول ليس هناك صحفي يستطيع أن يبتعد أو يعادي من يحكم أو يصنع القرار .

من تجربتي الخاصة التي هي في نفس الوقت تجربة الصحافة في العالم الثالث يمكن القول . . إنه كلما اقترب الصحفي من السلطة اقترب من صنع القرار .

وعندما تكون السلطة وطنية والموضوعات لاخلاف عليها ،لايكون التناقض عميقا بين الصحفي وصانع القرار .

نعم . . يوجد خلاف لكنه بسيط .

هذا النوع من العلاقة ، وهذا النوع من الصحفيين وكتاب الرأي البارزين ، موجودون في العالم كله ، بشكل أو بآخر بجوار من يصنع القرار .

حتى أصحاب الرأي . . لابد أن يكونوا حريصين على اقترابهم من السلطة ، اذا أرادوا أن يقدموا رأيهم في قضية ما . هذا . الا اذا كنا نتكلم عن مخبر صحفي في صحيفة معارضة ، وهنا يتأثر عمله بحكم وجوده الحزبي ، وبحكم تأثره بعملية توظيف الواقع من خلال هذا الحزب ـ فهو . . يهتم بأخبار معينة ، ويهتم باتجاهات معينة .

وبصفة عامة لايمكن فصل السياسة عن الصحافة ، لأن الصحافة هي جزء من العمل السياسي .

الاستاذ هيكل مازال يتحدث . .

ان تجربة العالم الثالث بصفة عامة ، بل تجربة العالم كله تؤكد على أن الصحافة جزء من الحياة السياسية ، وبالتالي اذا كانت هناك تعددية في الحياة الاجتماعية ، سواء كان ذلك عن طريق اعادة توزيع الثروة أو الوصول ، لكن . . في مجتمع يمر بمرحلة نمو معينة ، أو لم يكتمل فيه نمو طبقاته ، لانجد فيه تعدد سلطات ، بل سلطة واحدة ، في العالم الثالث لايمكن أن تقول بوجود تعدد السلطات ، ومهما تعددت المؤسسات فالسلطة في النهاية واحدة . . أي لاتوجد صحافة حرة .

حتى في انجلترا . . لاتوجد صحافة حرة . لاأحد يقول رأيه في المطلق . . فكل رأي ينتمي الى شيء ، سواء كان هذا الشيء تنظيما أو حزبا .

بعد ذلك يعود الأستاذ هيكل الى الحديث عن الصحفي وعلاقته بالسياسة ، فيسأل أو يتساءل . . . .

من الذي كتب اعلان ويلسون بنقاطه الـ ١٤؟ انه والترليبمان . اذن منذ أول القرن وحتى في المجتمع الامريكي ، حيث الصحافة المتقدمة والمتنوعة والصحفيون الكبار في مواقع صنع القرار . ولقد وجد « ليبمان » نفسه ليس فقط قريبا من مواقع صنع القرار ، بل يكتب للرئيس نقاطه الاربع عشرة

ويعاوص في فيتنام ، أو على الأقل يحضر لصلح فيتنام .

المشكلة في وطننا العربي أننا نملك ألفاظا كبيرة تتكلم عن حرية الصحافة وحرية المعلومات وكأننا نتكلم في المطلق ، ذلك انه عندما يعجز الانسان عن الفعل يعوض هذا العجز باللفظ ابتعاد الصحفي عن مصدر صناعة الخبر عير عملي ، والمهم هو الا يزيف أو يكون أداة في يد صانع الخبر

والحقيقة انه في العالم الثالث ، حيث نمر بمراحل من التطور السياسي ، يكون فيها الخلاف بين المحرر الصحفي وصانع الخبر ليس كبيرا ، والتناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس حادا والصحفي يجد نفسه مشدودا الى مجال صنع القرار ، وهنا عليه أن يختار أين يقف هل يقف قريبا من ذيل السلطة أم من رأسها

سلطتان مختلفتان

المراغي ليسمح لي الاستاذ هيكل بوقفة قصيرة

تقول ان التناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس كبيرا ، ومن هنا فالاقتراب لايشكل قيدا على الصحفي ، ولكن ماذا اذا كانت السلطة غير وطنية ، أو غير متوافقة في الاتجاه مع ما يعتقده الصحفي .

أقول ذلك وعيني على تجربتين خاضهما محمد حسنين هيكل : الأولى مع سلطة وطنية تمثلت في عبد الناصر . والثانية مع طراز آخر هو أنور السادات ، وفي الفترتين عمل صحفيا وشارك بدرجة أو بأخرى ، ولفترة أو أخرى في اتخاذ الكثير من القرارات الهامة .

هيكل : بالنسبة للنقطة الأولى . . نعم كنت مشاركا ، فعندما تكون في مجال صنع القرار لايمكن أن تكون أبكم . . . صانع القرار الوطني يتكلم مع كل من حوله ، والحصول على الأخبار ليس فقط جلب الخبر ، ولكنه أيضا بالدخول طرفا في الحوار .

وعمق هذا الحوار هو الذي يحدد مدى مشاركتك ، وكلما كنت مهتما بالقضايا المطروحة تعمقت درجة المشاركة بالضرورة

وعندما تقول . اني شاركت في صنع القرار ، أقول كما قال سعد زغلول تهمة لا أدفعها ، وشرف لا أدعيه

نعم . كنت موجودا وكنت سعيدا بذلك

لكن عندما تقول سلطة وطنية وأخرى غير وطنية

أقول . **عندما تبين لي ، أو عندما شعرت بالشك في نوايا أنور السادات . . اختلفت وابتعدت عنه**

أنا لا أعتبر أن السلطة قد تغيرت في ١٤ مايو ١٩٧١ لم تتغير السلطة لا في الشكل . ولا في الجوهر ، ذلك أني أفرق بين **الثورة والسلطة والاتجاه**

انتهت ثورة يولية ١٩٥٢ برحيل عبد الناصر اي في تمام الساعة الخامسة وعشر دقائق من الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠ . توقفت الثورة ، أكره أن أقول هذا ، لكنها الظروف

انتهت الثورة وبقيت السلطة فاختلفت عناصرها التي تركها عبد الناصر . لايجب أن يقول أحد ان هذا قد حدث بأثر رجعي ، ولأسباب لا علاقة لها بالاتجاه ، وكان ١٤ مايو هو الفيصل . وما يثبت بعد ذلك ليس دليلا .

في البداية . . **أيد الجميع ١٤ مايو ، حتى خالد محيي الدين** الذي أسس حزبا معارضا فيما بعد ، أيد ما حدث في ١٤ مايو ، وطبعا لا أستطيع أن أحكم بالنوايا أو الاتجاهات الخفية .

يكفيني من أنور السادات حتى ٦ اكتوبر . ثم اختلفنا معه بعد ذلك .

بعد فصل القوات قلت إننا نسير الى الكارثة ، وإننا نسير الى صلح منفرد . كتبت ذلك في مقالات نشرت بالاهرام ، وكانت سبب الانفصال النهائي بيننا .

اذن ، شاركت في صنع القرار مع سلطة وطنية لاشك فيها ، وحتى الآن اعتقد أني مارلت مخبرا نشيطا .

شاركت مع عبد الناصر وبعده ، لأني كنت أعتقد أن الحرب هدف لا يحتمل أي لعب . كنت أتصور أن

الحرب هدف يجمع بين كل الناس ، قمت ... أمر القتال للمشير أحمد اسماعيل ، كتبت ... أنور السادات التي القاها في مجلس الشعب . اشركت في وضع الخطة الاعلامية والسياسية لحرب اكتوبر وموقفنا في مجلس الأمن

كان ذلك آخر ما فعلته في عهد السادات ثم اختلفت الاتجاهات فاختلفت الطرق فاصبحت لاأشارك ولا أعبر عنه ولا حتى كمحرر صحفي .

أعلنت خلافي أكثر من مرة بعد حرب اكتوبر كتبت مجموعة مقالات بعنوان « عند مفترق الطرق » ثم قلت رأيي في كتاب ـ الطريق الى رمضان ـ وهكذا أعلنت الخلاف بيني وبين السادات .

الصحفي .. والوزير

المراغي قبل أن ننتقل من قضية الصحفي والسلطة أقول لقد مررت بتجربتين في هذا المجال

تجربة أطول وأعرض وهي . التجربة الصحفية

تجربة قصيرة لم تستمر عاما ، وهي تجربة الوزير المشارك في السلطة مشاركة مباشرة من خلال التجربتين أيهما أكثر تأثيرا في رأيك الصحفي ومهمته القول أم الوزير ووظيفته الفعل ؟

هيكل . أقول · الصحفي اكثر تأثيرا كوثيقة يجب العودة الى خطاب الاعتذار عن الوزارة بعنوان « ايضاح » ففي هذه الوثيقة وضعت أسباب ترددي في قبول الوزارة ، حدث ذلك أربع مرات

الأولى في عام ١٩٥٦ ، وكانت في أول وزارة شكلها عبد الناصر

الثانية في وزارة الوحدة عام ١٩٥٨

وكانت الثالثة عام ١٩٦١ بعد الانفصال ، وأخيرا في عام ١٩٦٧ بعد الحرب ، في كل ذلك قلت لا حتى كان عام ١٩٧٠ ، حيث أعلنت الوزارة ، وعلمت بها من الراديو ولم أكن أعرف



جمال عبد الناصر

بعد رحيل عبد الناصر بأربعة أيام كتبت خطاب اعتذار عن الاستمرار ، وكان ذلك في يوم الجمعة ٢ اكتوبر وكانت مناقشة طويلة قبل اجتماع مجلس الوزراء ، ويومها قال لي وزير الدولة سامي شرف .. ماذا تريد للناس أن تقول ؟ . واحد فقط عنده وفاء ، ولا يستطيع العمل بعد عبد الناصر . ؟

وكان ردي . لا .. أنتم تقومون دائما بأعمال تنفيذية ، أما أنا فقد قبلت الوزارة بشروط ، والى شخص معين ، أما وقد حدث ما حدث فأنا في حل من وعدي . أنا عائد الى مكاني الأصلي .

المهم أعود الى اجابة السؤال فأقول ان الصحفي أكثر أهمية من الوزير .

لأن أي قرار يفقد أهميته اذا لم يفهمه ويستوعبه الناس وقد قلت من قبل ان مهمة الصحفي هي جلب الخبر .. وعرضه بطريقة مفهومة .... وتحليل خلفيته ، أي أن يضع الصحفي القارىء في موقع الخبر على الخريطة العامة . من هنا أؤكد على أن أي تصرف لاقيمة له الا اذا استوعبه الناس ، ووضع الجماهير في كامل أجواء الخبر والصورة .

المراغي : هل أفهم من ذلك . . أنك تعتقد أن الرأي العام أكبر من السلطة ؟

هيكل . حتى اذا لم أقل هذا . أعتقد أن الرأي العام ليس أكبر من السلطة بهذا التصور . أنا ضد الثنائيات المتعسفة . . الرأي العام والسلطة . . لابدمن تكامل بين الفعل والقول . وقضية الصحافة ليست الكلمة وحدها ، ولكن قضيتها هي كلمة قادرة على الفعل الكلمة الانشائية تنتهي في لحظتها ، والاستمرار للكلمة المعبرة عن حقيقة واقع هو جزء من تصور الناس

حرية الرأي وحرية التوجيه

المراغي نعود الى الأصل . الصحفي والسلطة . الى أي حد يمكن أن تكون علاقة الصحفي المشتغل بالرأي مع السلطة قيدا عليه ؟

هيكل القيود موجودة داخل كل الناس وبالتالي فهي قائمة في العمل الصحفي أيضا ورغم أي صداقة أو ود بين الصحفي والسلطة فالصراع بينهما موجود ، والتناقض قائم ، وهذا طبيعي ، بسبب وجود ضرورات تقتضي في مجال السلطة عدم القول بكل شيء بينما يريد الصحفي أن يقول الحقيقة ، أي يقول كل شيء

أروي لك تجربتي في هذا المجال .

لقد ظللت أقاوم في مصر فكرة تنظيم الصحافة حتى عام ١٩٦٠ **وكنت أعتبر التأميم خطوة الى الوراء** وان ملكية الدوله أمر غير مستحب ، لذا فقد تم اختيار صيغة أخرى أقرب الى الصيغة التعاونية . حينذاك صدر قرار تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ ، وهو ينص على أن نصف العائد للعاملين في الصحيفة ، والنصف الآخر ، للاصلاح والتجديد ، بينما يحتفظ المالك - الاتحاد الاشتراكي - بالرخصة فقط

وتقدمت بفكر الصحافة العربية المتحدة ، لأوائم بين صيغة الملكية وفكرة الاستقلال ولم يكن ذلك نكوصا عما كنت اعتقد

ملكية الصحافة في العصر الحديث أمر غير مجد ، ليس في مصر وحدها بل في العالم كله . جريدة الأوبزرفر البريطانية تعبير مباشر عن مصالح صاحبها .

جريدة « التايمز » ظلت حتى عام ١٩٤٠ متمسكة بفكرة مهادنة المانيا . وظلت افتتاحياتها الى ما بعد الحرب تعبر عن ذلك ، مخالفة الاتجاه العام ومعبرة عن أصحابها .

في مصر ، كانت معركتي مع الاتحاد الاشتراكي ، من أجل تجنب الوضع الآخر ، وهو سيطرة الدولة أو التنظيم السياسي الرسمي للدولة ، هم يريدون ملكية الصحافة وتنظيمها ، وأنا أطالب بالتعاونية كحل وسط بين التأميم والملكية الفردية . وأظن أن البحث عن حل وسط ظل هاجسا لدى الكثيرين ، من بعد محاولتنا في مصر كانت هناك تجربة « الموند » التعاونية ، وجاءت مناقشات اليونسكو التي تبنت عن طريق آخر غير التأميم وغير الملكية الفردية

على أي حال ان ما أريد التأكيد عليه هو **أن الرأي يتصل بالملكية** وأن الرأي في الجريدة اضافة **فالجوهر الحقيقي في الجريدة هو الخبر** . هو ما جرى .

المخبر رجل يحصل على خبر ، وهذا هو صميم الديمقراطية ، جوهر الصحافة هو الخبر ، أنت تقول مخبر صحفي ، أستطيع أن أعيش اذا قلت لي كل ما يجري وبدون آراء ، لكن كيف أعيش بالآراء وحدها دون أن أعرف ما جرى ؟!

ان ما يحدث الآن في الصحافة هو آراء . آراء لكن لم يقل أحد ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟ حتى يمكن التعليق عليه .

حرية الصحافة هي حق الناس في أن تعرف حقيقة ما جرى ، وقد تقدمت هذه القضية في العالم كله ما عدا العالم المتخلف هذا العالم لا يمنع الآراء ، ولكنه يحجب الأخبار أي يحجب معرفة ما يجري .

ان كتابة الرأي في الجريدة يساعد على الحكم على ما يجري ، لكن ما أكون به رأيا فيما يجري هو حقيقة أن أعرف ، لذلك فإن حرية الصحافة متعلقة بمهمة المخبر الدقيق ، الذي يقول لقارئه ما يجري . ولكن

مع الاسف ان النظم حتى ... سمح منها لاتمانع في ابداء الرأي لكنها تحكم في حجب الأخبار والرقابة الحقيقية في العالم ... هي اخفاء الأخبار وليس في الحذف لهذا فالحرية في تصوري هي حرية المعرفة وليست حرية التوجيه

المراغي بهذا المقياس أين نضع الصحافة العربية ؟

هيكل : كلها آراء غير مسموح في العالم العربي كله بتداول المعلومات ، أو معرفة ما يجري ، ولكن المسموح هو إبداء الرأي في كل شيء من المريخ حتى أصغر الاشياء والسبب بساطة أن الآراء لا تخيف أحدا ، لأنها مرتبطة بمن يبديها أما الخبر فأخطر ما فيه هو المعرفة الخبر هو المعرفة - والرأي هو التوجيه

الثورة والثروة . والصحافة

المراغي استاذ هيكل لننتقل من العام الى الخاص ، لأوضاع الصحافة ، من النظرية الى التطبيق ، الى قضايا محددة في أوضاع الصحافة العربية . ولنأخذ الثروة ، والثورة وتأثيرها على الصحافة خلال ثلث القرن الماضي

لقد كانت أبرز وقائع هذا الثلث من القرن . العديد من الثورات التي تميزت على الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكان من أبرز الملامح أيضا نمو في الثروة في العديد من البلدان ، وهو نمو مفاجيء ، ترك بصماته على الحياة العربية كلها من المحيط الى الخليج

في رأي الاستاذ هيكل أيهما كان أشد تأثيرا على الصحافة العربية الثروة أم الثورة ؟

هيكل : الثروة بلا شك كانت أكثر تأثيرا ، فالثورة صاحبة مصلحة في تحريك ناسها ، حتى وان تعسفت أحيانا في مجال ابداء الرأي ، أو حجبت بعض الأخبار ، لأن تدفق المعلومات يظل دائما

فالثورة كما قلت صاحبة مصلحة في كسب الجماهير . مثال على ذلك ، كان جمال عبد الناصر يخطب في الجماهير بالأخبار ، كل خطبته أخبار ، لأنه يريد من جماهيره أن تقف معه .

الثروة تريد العكس . . الثروة تريد أن تقف بمفردها ، والسبب واضح . فالفرق بين الثورة والثروة كبير . الثورة تريد المشاركة ، بينما الثروة تريد الانفراد

الثورة تبعات ومسؤوليات والثروة غنائم لهذا تطلب الأولى المشاركة وتحاول الثانية الانفراد

المراغي : لكن الصورة تبدو غير ذلك ؟

هيكل : الصورة العامة غير ذلك ، لكنها واضحة حدا في مجال ابداء الرأي ، بحيث يكون التوجه الى المجال الانشائي ودون تعرض لجوهر ما يجري . حينما يحدث هذا تقل المعلومات ، وهذه هي أزمة العالم العربي وعجزه عن الفعل

الصحافة العربية مليئة بالآراء والوعظ والارشاد ، ولأن احدا لايعرف مايجري انعزلت الجماهير فاتجهت الى السلبية

المراغي في المنطقة العربية هل نبالغ فيما يسمى باسرار الدولة ؟

هيكل في العصر الحديث لايوجد أسرار . بعد أن أصبح كنيدي رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية صرح بقوله الشهير انه كان يعرف . عندما أصبح رئيسا لم تضف اليه الرئاسة إلا ٥٪ من المعلومات عن طريق الأجهزة السرية .

جزء من زعامة عبد الناصر كان قائما على اذاعة كثير مما يسمى بأسرار الدولة . والسؤال هو . . ماهي الأسرار الآن ؟ خصوصا في ظل الأوضاع الراهنة ، والأسطول السادس يحل كل شفرة .

ثم يضرب الاستاذ هيكل المثل بتجربته قائلا . . .

أنا عملت صحفيا . ليس عندي الا ما أقرؤه في الصحف ، واقتربت من السلطة فقرأت كل التقارير السرية لوزارة الخارجية والمخابرات ، وأنا الآن بعيد لكني ما زلت متابعا . والأخطر أن التقارير لاتحوى شيئا هاما . وأقول ان هناك مبالغة فيما يسمى بأسرار الدولة ، انه جزء من كهنوت الدولة الضعيفة .

المراغي . أعتقد أن قضية المعلومات التي تواجهها الصحافة العربية هي جزء من قضية أكبر هناك تخلف عربي عام . وأحد سمات هذا التخلف عدم ادراك أهمية المعلومات ، سواء في الحصول عليها أو تدقيقها ، أو في اتخاذ القرارات على أساسها ، أو اطلاع الرأي العام عليها . من المعلومات لدينا الشخصي هو الأهم ، وما يتصل بالافراد قد يكون أكثر استحوادا على اهتمام الحاكم ألست معي في أن ما تعانيه الصحافة جزء من مشكلة أكبر وليس مجرد قضية صحفية ؟!

هيكل أتفق في دلك . وأقول انه عندما تكون أكبر أسلحة السلطة أن تحمي عن الناس ، فإن منطق الاخفاء يمتد ولا يعرف أين يقف .

لابد أن يكون هناك وعي بأهمية المعلومات ، وأنت لا تستطيع أن تتابع شيئا متابعة حقيقية ، الا اذا وضعته في اطاره ، وهو ما لايتوافر الا بمتابعة المعلومات

انت لاتستطيع أن تصنع تكتيكا ، الا اذا كانت هناك استراتيجية ، واهمية المعلومات أن الجديد فيها يربط بسبق ما قبلها وتكون صورة متكاملة . فاذا لم أقبلها كنسق تصبح المعلومات شرادم وشظايا متناثرة

الثروة وتقنية الصحافة

المراغي : لنعد قليلا الى قضية الصحافة العربية بين الثورة والثروة وأقول .. انه اذا كان للثروة سلبيتها فإن لها ايجابياتها أيضا هناك نقله تقنية واسعة شهدتها الصحافة العربية في الأونة الأخيرة ، وكان أساس هذه النقلة وفرة المال .. الا ترى أن لذلك التطور التقني أثره الايجابي على الصحافة العربية .؟!

هيكل : التقنية أداة محايدة .. تخدم معلومات . فالأساس هو المعلومات ، ونحن في استخدامنا للتقنية لعبنا فقط على اختصار الوقت الضائع ، احتصرنا المساحة الزمنية اللازمة لنقل الأخبار وللطباعة وللتوزيع ، ولكن . ماذا اضفنا للمضمون ، وماذا أضفنا للقارئ عير الوصول اليه مبكرا ؟ !

المراغي .. هناك نقطة أخرى ، وهي ان التقنية سلاح ذو حدين ، فكما أنها تضيف تسهيلات للعمل الصحفي ، فأنها تضع عليه قيدا ، ذلك أن ما تكلفه من أموال تحتاج لاقامة مؤسسات اقتصادية وحين يكون الأمر متعلقا بمؤسسة ورأسمال كبير ، تكون فرصة الخلاف مع السلطة أقل ، والرغبة في أرضائها أكبر ، خوفا على المصالح الاقتصادية للمؤسسة

هيكل في دلك أيضا أعود الى قضية الملكية ، فوسائل الاعلام العربية في معظمها مملوكة لتنظيم ، وهذه تخص الأشخاص من الذين يشترون التقنية ، وليس لزيادة مساحة حرية الرأي ان التقنية لمن يستعملها

صحافتنا العربية .. الى أين ؟ !

المراغي : .. على ضوء ذلك كله .. هل نستطيع الاجابة على سؤال يقول .. الى اين تتجه الصحافة العربية ؟ !

هيكل . قبل أن نقول ذلك لا بد أن نسأل الى أين تتجه السياسة العربية ؟ الصحافة جزء من السياسة ، كل مجتمع متحرك ، وأزمة العالم العربي هي السياسة ولا أظنني أبالغ حين أقول انه لن يحدث جديد هام في الصحافة العربية ، ما لم تتغير السياسة العربية ، يوجد بها ما ليس موجودا الآن .

وأقول .. انني لا يمكن أن أفصل بين الأشياء ، فنفترض أن الجامعة تتطور بمفردها .. والقانون أو الاقتصاد يتطور بمفرده ، والصحافة تتطور بمفردها ، وفي معزل عما حولها ، هذا مستحيل .

المراغي : هل يفسر ذلك ما يقال عن أزمة الثقة بين الصحافة والرأي العام ؟

هيكل : لأن الصحافة جزء من الحياة السياسية ،

ولأن الحياة السياسية في العالم الثالث سلطة .. سلطة احتلال . أو متعاونة مع الاحتلال .. أو سلطة مجتمع رأسمالي .. فالقارىء العادي يشعر أن الأخبار التي تقدمها الصحافة أقرب لجهة ما ، وهذا احساس صادق . فالقارىء يثق بقدر ما يعرف عن طريقك . أنا هنا أتكلم عن الصحافة بشكل عام ، لا عن الصحافة الحزبية أو الدينية

أقول ـ ان أحدا لايريد الآراء والتوجيهات . أو في المسائل القارىء يريد أن يعرف أولا ، « ماذا جرى » وقد كانت تجربتي في ذلك أن القارىء ينتهي من مقالي « بصراحة » وهو يتساءل « ماذا يريد هيكل أن يقول » ، وردى أني لاأريد أن أقول شيئا ، لكني أريد احاطة القارىء علما بما يجري ، وأساعده على المهم والتحليل ، اني أحترم عقلي وعقله

مصر والتعدد السياسي

المراغي يكاد حديثنا يقتصر على قضية أساسية واحدة ، هي « الحرية » حرية الصحافة في مواجهة السلطة ورأس المال حرية المعلومات وحرية ابداء الرأي والتطور التقني
أظن أنه قد حان الوقت لتتأمل تجربة محددة ، هي تجربة الصحافة العربية المصرية في الأونة الأخيرة
لقد تعددت المنابر والأحزاب السياسية وتعددت معها فرص ابداء الرأي ، ألا ترى معي أن ذلك يمثل خطوة للأمام ونحن بصدد الحديث عنه ؟ أليس التعدد السياسي على أي حال سندا لحرية صحفية أكبر ؟

هيكل مصر تسبق ما حولها ، تسبق بقية أمتها بسبب ضعف ظروفها والناس حتى بالانكسة حجم ما هو متداول همسا ، أكبر من حجم ما هو منشور نحن نحسن حالا من أخرين في العالم الثالث لكني لا أستطيع أن أسلم بحرية الصحافة لا معرفة ... أو على الأقل أكبر ... وعية ... صحافة

الصحافة المطبوعة هل تندثر ؟

المراغي : سؤال أخير هناك رأي يقول ان التطور الصحفي في العالم مواجه بتحد أكبر ، هو تحدي تقدم وسائل المواصلات والاتصالات .. ويقولون أنه قد يأتي يوم يستغني فيه القارىء عن الصحيفة المطبوعة ، ويلجأ للصحيفة المرئية التي يستدعي معلوماتها حين يشاء . وحيث يشاء بواسطة جهاز في منزله أو سيارته ، ستتراجع الكلمة المطبوعة وتتقدم الكلمة المرئية وتتوسع في تقديم المعلومات والآراء والصور بما يمثل صحيفة كاملة في متناول القارىء دون قراءة ما رأيك ؟

هيكل بالتأكيد حجم ما هو مرئي أكبر مما هو مسموع أو مقروء ، لكنه لم يسحب من رصيد الصحافة المقروءة ، سيظل ما هو مقروء يرسم بالتصور أكثر مما تعطيه الصورة في التحليل مثلا الصورة تعطي ظاهر موقف معين وقد يستطيع محرر صحفي تلفزيوني أن يكمل الصورة بالكلمة . **لكن تبقى الكلمة المقروءة مهمة جدا** في عديد من بلدان العالم لم يؤثر التلفزيون على الصحافة،بالعكس



يريد عدد القراء في العالم كله . فقد خلق التلفزيون الاهتمام الأوسع . نقل العالم الى جهاز لم يكن يصل اليه فخلق اهتمامات متعددة .

ان توزيع الصحف العالمية والعربية يزيد ، لأن التلفزيون أوجد اهتمامات بما يجري ، ودفع الناس الى أن تستكمل المعرفة ، الأزمة في الصحافة هي عندما تكرر الصورة . . . عندما تعالج سطح ما يجري فإنك تكرر الصورة بطريقة باهتة خذ مثلا . أخبار الرؤساء . سافر الرئيس ، وذهب الى المطار ، واستعرض حرس الشرف . كل هذه المعلومات قدمها التلفزيون بالصورة وهنا يأتي دور الصحافة ، وهو الانتقال من سطح الاحداث الى عمقها وذلك بالاخبار . .

حتى لو استدعيت المعلومات بأجهزة منزلية خاصة فهي في النهاية أرسلت بالتلفزيون ، ولا يتوفر لها الاستمرار ، فهناك وقت محدد . أما الكلمة المكتوبة فهي تحت تصرفك . وأنت مسترخ أو مستريح . في أمريكا مثلا يوجد ٢٤ ساعة اخبار تلفزيونية . . لكن ذلك لم يغن عن الجريدة ، وتوزيع الصحف يزيد . الناس تريد أن تقرأ . . وان تختار وقتها ، « الجورنال » ما زال أقرب جليس ورفيق يقول لك ماحدث .

انتهى الحوار . . . .

أصبحت الصورة أكثر وضوحا . أصبحت الصحافة أكثر استحقاقا للبراءة ، وأصبحت قضية الحرية الصحيفة معلقة برقاب آخرين .

انتهى الحوار . . واستأنف هيكل عمله في كتابه الجديد « السويس » بمناسبة مرور ثلاثين عاما على معركتها الشهيرة ، عاد هيكل الى أوراقه التي أثر الالتزام بها ، عاكسا أزمة الصحفي العربي . . فالأبرز بين الصحفيين العرب غير راغب في الاشتغال بالصحافة السيارة . ومنذ أحد عشر عاما وصناعته الكتاب . فقط أو الادلاء بآرائه على شكل أحاديث بين وقت وآخر . □



طالعنا من حين لآخر ، صحف ومجلات وكتب تحمل عناوين كبيرة ، تدغدغ مشاعر الناس وعواطفهم ، وتستغل تلهفهم لاستطلاع الجوانب المحجوبة من نفوسهم ، وتفسير الأنماط المعقدة من سلوكهم ، كمثل « اعرف نفسك ، تعرف على شخصيتك ، من أي الطراز أنت ، أي نمط من الناس أنت » الى اخر هذه السلسلة من العناوين تتبعها بضع عشرات من العبارات أو الاسئلة أو الصفات من اجاب على عدد منها يتمتع بشخصية قوية مسيطرة ، أو مرحة بسيطة أو حساسة منطوية ، وغيرها من التوزيعات التي تعود بنا الى الاجواء الاولى لنظريات الشخصية

بين الكهانة والعلم

قد تكون العرض من هذه الاشكال من الاستفتاءات التسلية وتمضية الوقت ، واضفاء لون من الدعابة والمرح في جو اجتماعي معين ، لكنها لاترقى لأن تكون اختبارات علمية يعتمد عليها في تحديد شخصية الافراد ، وابراز السمات الاساسية التي تميز كلا منهم ، أو تكشف عن الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية ، اضافة الى الخطورة التي تنشأ عنها ، حين يسلم كل فرد هويته النفسية ، [illegible] كشف أو استبصار لم يكن [illegible] ، وما يتصف به من صفات ، ويتخذ اساليب من السلوك قد يودي بها نفسه ويؤذي غيره من الناس ، وان جاءت تلك الصفات على غير ما يهوى كانت بمثابة احباط لعزيمته ومعنوياته ، يتحول بعدها إلى نوع من الانطواء أو التمركز على الذات وغيرها من الصفات ، تكون قد اسهمتا في توجيه الفرد اليها عن غير قصد منا ، وتسببنا في تثبيت أوتنمية مجموعة من الصفات لديه

ان كل هذه الممارسات وان اختلفت مسمياتها لاتعدو ان تكون نوعا من المحاولات اللاعلمية لتفسير السلوك الانساني وكشف اللبس والغموض اللذين يكتنفان شخصية الافراد ومناحي تصرفاتهم ونشاطهم ، وهو ما سعى اليه البشر منذ اقدم العصور عن طريق الكهان والعرافين والعلماء مستعينين بأساليب معرفية متنوعة شملت التنجيم والفراسة والفرنولوجي (وهي دراسة شكل الجمجمة للاستدلال منها على شخصية الفرد وملكاته العقلية) والغرائز وطرز الشخصية وانماطها ، وغير ذلك من البحوث والدراسات وهي وان تخبطت احيانا ، وجنحت ونأت احيانا اخرى عن المنهج العلمي الصحيح ، لكنها مالبثت أن وصلت الى توضيح كبير لمعالم الشخصية ، وتحليل النشاط الانساني بالدأب والاستمرار وسلوك طريق البحث العلمي الصحيح ، من استعانة باسانيد ومعطيات وادوات يستخدم كل في مجاله وضمن ظروفه وتحت الشروط المصاحبة وبالايدي المدربة الخبيرة التي تنأى عن الارتجال وتتمتع بالنزاهة والموضوعية .

الشخصية القوية والشخصية الضعيفة

[illegible]

... الاختبارات والاستبيانات ... الشخصية ... على ... عدد من ... [illegible]

اختبارات واستبيانات

[illegible]

... على بعض الأفراد

[illegible]

الاختبار لا يعني أن نعتمد عليه وحده وخصوصاً في ... الشخصية وتشخيصها، إذ لا بد من أدوات أخرى مصاحبة كالملاحظة والمقابلة ودراسة تاريخ الحالة. وغير ذلك مما له دلالته وأهميته □



والتعدد الحضارى المعاصر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

ما المقصود بالتعدد الحضاري المعاصر ؟ وما المراحل الحضارية التي سبقته ؟ وما وضع الاسلام كحضارة في هذا المسار ؟ ثم كيف يستطيع الاسلام ـ في عالمنا المعاصر ـ أن يجمع بين مقوماته التي بها يتميز ، وتفاعلاته التي يستطيع بها أن يشارك في الحياة ويبدع ؟

ولنبدأ بتقسيم ثلاثي أو مراحل ثلاث للحضارة الانسانية تكون لنا عونا في أمر التعدد الحضاري

المرحلة الاولى :

ظل من فجر التاريخ الى نهاية القرن الخامس عشر

وكان فيها أفقان حضاريان ، بينهما المحيط الاطلسي ، وكان ويمتد حاجزا حضاريا ، أطلقوا عليه اسم « بحر الظلمات » وحدثت محاولات لعبوره ، أو الاتصال بجزائر قريبة منه ، كان للمسلمين محاولات في عروضه الوسطى ، وللفايكنج محاولات في عروضه العليا ، ولكنها كانت محاولات لم تصل الى أهدافها الكبيرة وهي كشف أرض ، واتصال انسان بانسان

ومع أن التراكم العلمي في الاندلس ، والابداع الفكري فيها ، جعل منها منارة حضارة اسلامية تشع على أوروبا . الا أن جانبا كبيرا من هذه الحيوية استنزفته الصراعات الداخلية من ناحية ، وما وراءها من تأييد أوروبي من ناحية أخرى .

ولم يكن هناك من تعاون بين قوتين اسلاميتين في القرن الخامس عشر : قوة زاحفة صاعدة ، هي الدولة العثمانية ، التي استطاعت فتح القسطنطينية

عام ١٤٥٣ ، وقوة منسحبة ، هي الاسلام في الاندلس ، وكان غروب شمسه هناك عام ١٤٩٢ ، ولندع الآن الدولة الصفوية في ايران ، والمغول في الهند ، في مشكلات البناء الداخلي والدفاع عن الذات .

وقبل أن ينتهي هذا القرن كان الاسبان والبرتغال قد اكتشفوا العالم الجديد والطريق الى الهند حول رأس الرجاء الصالح . ومع انتهاء الربع الاول من القرن السادس عشر تمت الرحلة الاولى البحرية حول العالم والتي بدأها ماجلان عام ١٥٢١

في هذه المرحلة الاولى كانت الحضارات الانسانية « جزائر » متباعدة أو متقاربة ولكل منها خصوصيتها ونموها الداخلي وعلى الخريطة العالمية نرى مواطن الحضارات الصينية والهندية والاوروبية (البيزنطية والرومانية في دورها الوثني ثم المسيحي) والحضارة الاسلامية ، وقد امتدت من مهد الجزيرة العربية بجناحين فوق أرض فارس والهند والروم ، ووصلت الى شواطيء المحيط الهندي ، وكونت هلالا اسلاميا يمتد قرناه في أوروبا من الشرق والغرب ، وأطلت على المحيط الاطلسي ، وامتدت في قلب آسيا وجزائرها الشرقية ، وفي قلب أفريقيا وغربها

كانت الروابط الداخلية في كل من هذه الحضارات أقوى من الروابط الخارجية التي تربط بينها ، من هذه الحضارات ما حصرها توزيعات الناس والماء في مواطنها كالهند ، ومنها ما أعطتها مجالا للامتداد كحضارات الشرق الاوسط وعالم البحر المتوسط ووسط آسيا ولكن هذا الامتداد أيضا كانت له عواقبه على الاطراف أولا ، حيث ضعفت السيطرة عليها ، وأدى الامتداد الى تفكك الدولة وقيام وحدات حضارية محلية ، لكل منها عمقها التاريخي ، وان ربط بينها جميعا رباط حضاري مرن ، والنموذج الاسلامي والمسيحي هنا واضحان .

هذا هو « التعدد الحضاري » الأول ، وهو تعدد نرى فيه مستويين مستوى الحضارة الشاملة . ومستويات الحضارات المحلية أو الأقليمية في اطار الحضارة الشاملة

المرحلة الثانيـــة :

وتبدأ مع عهد الكشوف الجغرافية وقد أخذت القيادة العالمية فيها تتركز شيئاً فشيئاً في غرب أوروبا :

لقد دمر طريق الرجاء الصالح اقتصاديات تجارة العبور في العالم الاسلامي ، وكان وسيطا بين الشرق الأقصى وأوروبا وتراجعت أهمية موانيء الخليج ، والبحر الأحمر ، والبحر المتوسط وبدأ مركز الثقل يتحول الى المحيط الأطلسي واندفعت الدول والشركات التجارية للسيطرة على هذه الثروات الجديدة والأرض الجديدة .

واكتسحوا في طريقهم حضارات ، لم تبق منها الا آثار محدودة وخصوصا في العالم الجديد · حضارات المايا والانكا والازتك ولم يكن أمام الأسبان والبرتغال في العالم الجديد الا نهب الثروات وتدمير الآثار ، واقتلاع السكان من الأرض . وجاء الانجلو ساكسون واللاتين فأخذوا في ابادة الهنود الحمر ومطاردتهم ، واصطياد حيواناتهم . . ولم تبق منهم الا بقايا « تاريخية » تدل على آثار مجد قديم

واصطلت أفريقيا وآسيا بنفس النيران ، وان ظلت المقاومة هنا أشد ، والحجم السكاني أكبر من أن يباد ، ونقل الأمريكيون الملايين من الافريقيين ليكونوا زراعاً وعمالاً في العالم الجديد ، لا يطالبون بحق في الأرض ، ولا في الحكم . واستطاعت التجارب الأوروبية في الحرب والفتح والصراع والكشف الجغرافي ، والشعور بالخطر العثماني من ناحية وبالرغبة في التوسع الاستعماري من جهة · استطاع هذا كله أن يضع أوروبا في مركز القيادة العالمية في القرن التاسع عشر ، وأن تمسك بيدها الزمام الذي يحرك زراع غرب أفريقية ، ورعاة نتاجونيا في أمريكا الجنوبية ، وزراع وأمراء الصين ، وراجات ومهراجات وزراع الهند ، ومنتجي القطن في مصر ، وشعوب ثوار شرق أوروبا في وجه العثمانيين . وأن تدفع بالتقنية الأوروبية الى ميادين الحرب سلاحاً ، والى خطوط المواصلات قطارات ، وعبر المحيطات سفنا ، وفي الحياة اليومية إبداعاً وانتاجاً ومواد مصنوعة ، وأن تجعل من بقية العالم حقولاً ومناجم ومراعي للمواد الخام ، وأسواقاً

لعصر ... الانتاج ... حضارية الى ... وتحول ... من ... حضاري ... أوروبا

المرحلـــة الثالثـــة

[illegible]

... المعقدة الحضارية

... الحضارة الأوروبية ، ولا غرب أوروبا ...

الحضارة العربية ، النموذج الوحيد ... الأمثل

وظهرت بدائل حضارية تمتد من ... الى ...

... الولايات المتحدة ... الخصوصيات الحضارية والعقائدية ...

... المعدلة في ... والتوجه ... الولايات المتحدة ... أوروبا ... صور ...

[illegible]

... قرية عالمية ...

[illegible]

... جهة ما حظرها من جهات الاستقلال والمحافظة على الذاتية الحضارية

٢ - وأصبحت معايير التقدم العلمي والتقني ، من أدق المقاييس على قوة الدول ، والتقدم العلمي هدفه الابداع ، ولا ابداع دون تكوين قاعدة علمية ، قدرة أولا على الاستيعاب ، ثم المشاركة ، ثم الانطلاق . ولا تستطيع أي قاعدة علمية الآن أن تعيش بمعزل عن القواعد الأخرى ... ذلك أن الابداع العلمي الآن أصبح تعاونا وتنافسا في نفس الوقت ، ... والذين خارج الساحة متفرجون ، ...

٣ - وهذا الابداع العلمي ... اخلاقياته ... الأبعاد ... ، والنسق الذي يقوم عليه ، وتوزيع الأعباء ، والصبر والدقة ، وأدب الحوار وتكامل الذات ، والنظر الى صالح الجماعة أو الانسانية ، حسب أفق البحث الذي يعمل فيه مجموعة الباحثين .

٤ - أما أساس ... في الخصوصيات الحضارية لكل من هذه الحوافز ... الحضارية ... ويبدو هذا ... الفلسفية والدينية والسوفيتية ... أوروبا ... وهي ... قدر الابداع العلمي من الناحية الكمية ... الكيفية ... ، وتحدث ... سؤال : كم عددي ومدى عددي ؟ ... مدى ... من خيبة ؟

٥ - ... تحدث ... وخدمة الآخرين والسعادة ... ترفرف في ... طلت الى ... وخسارة ... لذات صورة ... الآخرين ... الحضور ... والاحترام

[illegible]

ولكن يبدو من النماذج التي عرضناها على امتداد الحضارة الانسانية زمانا ومكانا ، ومن الصورة التي نحياها أن التعددية الحضارية حقيقة قائمة ، وأنها ثمرة جهود تفاعلت مع العوامل الطبيعية والبشرية التي تحيط بها من قريب ، أو تتصل بها على الصعيد العالمي

ان هذا النمط هو صورة من « صناعة التاريخ » وان الواقع الذي نعيشه في مجتمع انساني حتميا، وإنما له فكاك منه . وانما نستطيع أن نصور ، ثم نصور نحد ، في عالم تعددت فيه التصورات والصور

ملامح الحضارة الاسلامية

والآن ما أهم ملامح الحضارة الاسلامية في عصر التعدد الحضاري ؟

فلنأخذ اولا العناصر الاساسية التي يمكن أن نلتقي عليها ، ونسند فيها [illegible]

الربانية ، الاخوة الانسانية ، الشمول ، المنهجية العلمية بمفهومها الاسلامي الذي جمع بين الوحي والعقل

لقد وجدت في القرون الاسلامية التي شهدت قيام الحضارة الاسلامية ، [illegible] هذه العناصر في الدوائر الأربعة الاساسية متفاوتة [illegible] ، ولكنها جميعها قامت في حضارة الاسلام

- فالربانية صلة بين الانسان وربه
- والاخوة صلة بين الانسان والانسان
- والشمول صلة بين الانسان والكون ومكونات البيئة

والمنهجية العلمية صلة [illegible] بين الوحي والعقل ، مع الكون والانسان

اذا نقصت في المرحلة الثانية بين القرنين السادس [illegible] بعض هذه العناصر [illegible] وبعضها [illegible]

[illegible]

الى الصراع المرير بين الدولتين العثمانية والصفوية ، والدور الذي قامت به بعض الدول الأوروبية عن طريق الخبراء الاداريين والعسكريين في اذكاء هذا الصراع

ثم الصراع في الأمبراطورية العثمانية بين الأتراك والعرب ، وخصوصا في المشرق العربي ، حيث ارتفعت موجات القومية العربية ، تقابلها ـ في نفس الوقت ـ موجات القومية في شرق أوروبا

لا نستطيع اذن أن نقول إن الركائز الأربعة كانت تعمل بنجاح على الصعيد الاسلامي في المرحلة الثانية والا فكيف نفسر هذه الحروب العنيفة بين قوميات العالم الاسلامي المغول الصفويين الأتراك العثمانيين العرب فعصر الاحياء أخلى الطريق للعصبيات العنصرية ، والشمول حلت محله اهتمامات ضيقة تستهدف السيطرة والتمتع، والمنهجية العلمية تراجعت أمام الأحقاد والثارات والمطامع

وجاءت المرحلة الحالية من التعددية الحضارية ولكن هل اختفت العصبيات القديمة ؟ هل اختفى الصراع بين العثمانيين والصفويين ؟ أو استمر تحت أسماء جديدة وقيادات جديدة ، وشعارات جديدة ؟

فلنعترف أن العالم الاسلامي لا يعاني من [illegible] ، [illegible] الاستعمار الحديث بعد أن انحسر الاستعمار [illegible]

وأصبحت [illegible] جديدا العالم الثالث [illegible] العالم الثالث ، وعالمنا الاسلامي جزء منه

لعل أقرب تعاريفه ـ عمليا ـ أنه الأقطار والأقاليم التي [illegible] أصبح «السوق الاقتصادية العالمية» واذا كان أهم ما [illegible] أقطار العالم الثالث ، هو [illegible] مستوى المعيشة عن مستوى [illegible] في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية [illegible] ، الا أن عناصر أخرى [illegible] في [illegible] ، [illegible] الطرق التي [illegible] وهي [illegible] عن [illegible] ، [illegible] حتى [illegible] على [illegible] الذي [illegible] . [illegible]



تصور وتصوير .

وهـذا ينقلنا الى الأهداف المستوحاة من التقدم الاسلامي المعاصر ، والعودة مرة أخرى الى الركائز الأربع لنحاول الافادة منها ماديا وبشريا ويقتضي هذا

١ - أن نعترف بالوحدة والتعددية الحضارية في اطار الوجود الاسلامي ، وأن ندع التفكير الوحدوي الاحادي هناك اطار عام من الايمان بالله والاخاء الانساني والتعامل مع الكون والبيئة بمنهجية علمية فلنجعل هذه العوامل تتفاعل ايجاباً

٢ - ولنضع أمامها التحدي الحضاري الكبير الذي يقابل العالم الاسلامي الآن وهو التخلف فليس الاستقلال السياسي وحده ، ولا الاستقلال الاقتصادي معه يكفيان ، وانما العالم الاسلامي في حاجة الى « الاستقلال العلمي » الاستقلال ، لا الانعزال ، ولا التبعية ولا يتوافر هذا الا بتكوين القواعد العلمية المتعاونة على الصعيد الاسلامي فيما بينها أولا ، ومع الدوائر العلمية العالمية آخرا والاستقلال قدرة على الاختيار ، وعلى تنفيذ القرار

٣ - ونحن محتاجون الى تأكيد مفهوم « التعايش » في الحياة الاسلامية ، كما تعايش المسلمون الأوائل ، وكما تتعايش المذاهب في اطار العالم المسيحى المعاصر بغرب أوروبا وسوقه المشتركة وبرلمانه نموذج أمامنا لنصرف جهودنا الى التحدي العلمي

٤ - هل نستطيع تصور مناطق حضارية متعددة ومتكاملة داخل نطاق الحضارة الاسلامية الكبيرة ؟ تصوُّر نكتبه ونتحاور فيه ، ونحاول اقناع بعضنا بعضا به ، ثم نحاول تصويره .

وان المفكر لا يملك الا قلمه فلنحرك الأقلام نحو هذا الهدف والطريق اليه ليس سهلاً

٥ - هذه المناطق الحضارية الاسلامية لكل منها خصوصيتها التي تبرز - كمثال - في الانتاج الأدبي والفني والري والعمارة ولها تعاونها الوثيق في مجال البحث العلمي ، وهو بطبيعته عالمي النزعة واللغة والهدف ، وإن من قدر الأرض التي يسود فيها الاسلام أن اختصت كل منها ناحية أو أكثر من نواحي القوة ، ولم تتوافر جميع العناصر أو أكثرها في واحدة منها ، كما نجد في الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حيث حجم السكان كبير ، والتخصصات المتنوعة المتكاملة متوافرة وموارد البيئة الطبيعية بحكم الامتداد والتكوين الجيولوجي وموارد الماء متوافرة ومن أجل ذلك كان قدر العالم الاسلامي التعاون ، ولا يزال

٦ - يأتي بعد ذلك - أو قبله - عامل تاريخي عميق الأثر ، وهو التنوع الحضاري في الأقليم : وتعدد السلالات البشرية والأديان والمذاهب . ومن الممكن - عن طريق التعايش - أن تكون هذه مصدر إثراء فكري وحضاري ، ومن الممكن عن طريق التنافر والصراع أن تصبح نزفاً دائماً لحيوية أقطار الاسلام ولقد جربنا ومارسنا تجرب الصراع والحروب ، وتخطاها غيرنا وأصبح الميزان عندهم الكفاية واعطاء الفرصة للموهبة في اطار الوحدة الوطنية فما ننادي به ليس معجزة ولا خيالاً ، وانما هو أمر مارسه غيرنا ونجحوا فيه وعلينا أن نمهد له ونمارسه ، وننجح فيه اذا أردنا لأنفسنا ولأبنائنا أن نصنع تاريخاً جديداً ، وحضارة اسلامية متقدمة ، في اطار التعدد الحضاري الذي تعيشه الانسانية في مرحلتها الحالية . □

العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال العقل رأس الأشياء فيه قوامها ، وبه تمامها ، وهو سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجد ، وزينة كل أحد ، لاتستقيم الحياة الا به ، ولا تدور الأمور الا عليه



البترول.. والسينما

بقلم : أحمد رأفت بهجت

اذا كان التاريخ يؤكد أن الاحتكارات البترولية بمساندة الصهيونية العالمية كانت وراء العديد من الأحداث السياسية والانقلابات والعمليات المشبوهة . . . فهو يؤكد ايضا أنها لعبت دورا بالغ الخطورة منذ بداية الثلاثينيات ، في جعل السينما تواكب أهدافها الاقتصادية والسياسية .

يأتي فيلم (زيت من أجل مصابيح الصين) الذى انتجته شركة (وارنر) عام ١٩٣٥ واخرجه (ميرفن ليروي) ليلعب دورا رائدا في مساندة الاحتكارات البترولية الأمريكية في الصين ، في وقت كانت فيه ضروب السياسة والمنازعات والحروب تزداد اشتعالا في المنطقة الصينية .

ودون ان نصور الأشياء في غير أحجامها

[illegible] الأفلام التي العلمية ، فإن من الواضح موضوع [illegible] صورة موضوع العرب [illegible] كانت تصنع في مقدمة أهدافها ضمنه كل مرحلة ، ففي مرحلة ما قبل ١٩٧٣ كانت صورة الشخصية العربية في الأفلام [illegible] إلى حد [illegible] الإ [illegible] المعاصرة للمستشرقين ، [illegible] على [illegible] [illegible]

بعد أكتوبر

ثم كان من شأن الصدمة المدهشة حرب ١٩٧٣ [illegible] وتحول العرب إلى قوة [illegible] شأنها أن شخصت [illegible] العربية الانتقال إلى مرحلة [illegible] الأفلام [illegible] الاهتمام بظواهر اقتصادية في المجتمع العربي [illegible] الاهتمام بأبطال العرب [illegible] الشخصية العربية ، [illegible] في المعاملات العربية [illegible]

[illegible] ١٩٥٥ [illegible] ١٩٦٧ [illegible] ٣٥٢ [illegible] ١٩٦٧ [illegible]

[illegible] الأفلام [illegible] الأمة العربية [illegible] الإسرائيلي [illegible] السياسة العربية ، في [illegible] بالاعتبارات الاحتكارية . [illegible] على المواد البترولية لا [illegible]

وعندما ننظر إلى ملامح الخريطة السينمائية العالمية ، سنكتشف أن ما بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ظهرت أغلب الأفلام التي تحدثت عن الشرق العربي ، وهاجمت شراسة الشخصية العربية ، وهو ما يتوافق تماما مع قوانين الجامعة العربية ، فأفلام هذه الفترة كما سيوضح في الفقرات التالية لم تقدم بشكل عفوي وبدون تخطيط مسبق ، وعندما نربطها بطبيعة الأوضاع السياسية التالية لظهورها ندرك أنها كانت تمهيد بشكل مدروس لحرب الأيام الستة ، وهي الحرب التي كان من أهدافها بالإضافة إلى مشروع إسرائيل الكبرى ، استغلال صمت البترول التي [illegible] في سيناء عام ١٩٥٦ ، وموقع شرم الشيخ [illegible] على المحر الأحمر في مجموعة [illegible]

وقد كشفت أفلام [illegible] عن الدور الخطير الذي لعبته الصهيونية ، في حشد آراء العالم ضد الحكام العرب ، وصورت كيف أن هؤلاء الحكام يستغلون ثروات البترول لمصالحهم الذاتية على حساب شعوبهم المعدمة ويأتي فيلم « هروب من الطهران » (١٩٦١) ليمثل بداية في هذا المجال ، فبطله المتمرد العربي المطارد من نصف قوات الجيش في بلده ، يؤمن بأن أعداءه يخافونه ، لأنهم يعلمون أنه على حق ، لأن ما يهمه هو الناس المقهورة جوعا وفقرا وجهلا ، رغم أنهم يعيشون في بلد غني بالبترول .

ومن الطبيعي أن يشاهد المتفرج هذا المتمرد ، ويبعث دور الممثل الشهير « يول براينر » في سحطه وغضبه في البحث عن قضيته ، ويتصويره في صورة الشخص الذي اضطهده حكامه ، فدفعته رغبة حقيقية لعمل الخير لشعبه . وبذلك يحاول الفيلم عدة حقائق مؤكدة . أهمها أن ما كانت تحصل عليه البلدان العربية في فترة أحداث الفيلم عن كل برميل برول يستخرج من أراضيها - إلى ١٠٪ فقط من السعر الذي يدفعه المستهلك ، و العمال العرب كانوا يعملون في ظل أقسى شروط الاستخدام والتعسف من قبل الاحتكارات البترولية ، وأن أجورهم لا تزيد على ٧٪ من أجور العمال الأجانب في نفس الموقع



لقطة من فيلم «حفلة سكرية» ١٩٦٦م

وهذه السريعة في العوالم الدقيقة ... في عصر الافلام الصهيونية ، التي حاولت ان تعرض ... الرومنسية ... حدث الصريح ، ... الأمة ... شخصيات ... وتدخل ... الصهيوني المراد ... لد الأمة العربية

منطقة مضطربة

... حرب ١٩٦٧ ، ... مصر ، بعمة الخدمة والأثرياء ... في تحسين حال البشرية ، او في ... عصر الخدمة ومنطلقه . ومنها (حونة ... هد سوطنك) ١٩٦٥ ، (حفلة تكسرية) ١٩٦٥ ، (مسورة) ١٩٦٦ (موديستي بليس) ١٩٦٦ (ابيسك) ١٩٦٦ وغيرها

وليس في هذه الأفلام أعماق يستطيع المتفرج الواعي أن يسبر أغوارها ، فهي تركز على شخصية البطل العربي - وغالبا ما يكون يهوديا اما بوصفه ضحية لشخصية الثرى العربي ، واما كمغامر ماكر يستخدم مواقفه الحادقة بمعرض للهجاء والتعليقات الساخرة

ومن الملامح الرئيسية لابطال فلمي (حفلة سحرية) لبلارين ديودس و(ابيسك) لستانلي دونين يلقي ضوءا عن سمة من سمات السينما اليهودية المعاصرة ، ومظهرا هاما من مظاهر الانتاج السينمائي ، تميل نحو مثلا مترايدا او اعصابه ساقطة من حساب ، وهو عدم التفريق بين البطل اليهودي والبطل الامريكي او الأوروبي العادي فقد كان - ولايزال - الاثنان بالنسبة لي شيئا واحدا ، وهذا يرجع في الواقع الى جهد ملامح السمة اليهودية ، والأسماء اليهودية والموضوعات المفصلة لكتاب اليهود ، والعلاقة بين الموضوعات اليهودية والموضوعات التي تعالج مشاكل الأقليات في أمريكا وأوروبا ، وأشياء أخرى ترتبط أساسا بطبيعة الدعايات اليهودية والصهيونية

ان اليهوديين دافيد فرارر بطل الفيلم الأول ، ودافيد بولاك بطل الفيلم الثاني خبيران من النوع النادر فيما يخص امور الشرق الأوسط ، وهما شديدا الوعي والشعور بكل الخصائص التي يمتازان بها ، فالأول كان خبيرا في شئون الشرق الاوسط

السياسية ، درس ما يدور فيه من أحداث ، وتعرف على سمات الشخصية العربية بعمق ودقة ، بالاضافة الى دوره العسكري الهام خلال الحرب العالمية الثانية . اما الثاني فكان استاذا للغات الشرقية في جامعة اوكسفورد ، وخبيرا في اللغة الهيروغليفية .

كان تاريخ حياة كل منهما من الناحية المهنية حصسا مثمرا . بحيث يصبح وجودهما في الشرق الأوسط له أهمية قصوى للاخبار عن أنباء هذه المنطقة ، فالأول يستدعيه الكولونيل دركستل المستشار الانجليزي في ولاية حضرموت الغنية بالبترول ، لكي يحمي الأمير العربي حميل ، المساند للسياسة الانجليزية ، في استغلال البترول ، بعد أن ثارت العناصر المناوئة للانجليز بقيادة الشيخ الشرير أحمد بن فايد على الاتفاقية البترولية بين انجلترا وحضرموت . والثاني يحضر الى الشرق الأوسط بناء على دعوة من رئيس وزراء احدى الدول النفطية العربية ، ليفك رموز رسالة غامضة باللغة الهيروغليفية لها علاقة بثروات المنطقة

وفي سبيل انجاز المهام الموكلة اليهما يواجه الاثنان دوامات لاتنتهي ، يتساقط خلالها القتلى والضحايا فالعصابات تختطف الأمير العربي حميل قبل اسبوعين من بلوغه السن القانونية لحكم بلاده ومن ثم يبدأ البطل اليهودي في صراعه من أجل انقاذ الأمير الصغير والاستاذ الأمريكي يجد نفسه معرضا للموت في الصراع المميت بين رجال رئيس الوزراء ومنافسيه

ويدخل البطلان اليهوديان في صراعات العلاقات العربية والدولية المتشابكة ، ويتطلعان الى سياسات تتميز بالتشاحن والخصام والبغضاء ، والميل الى السلب والنهب والجشع والاستغلال انها منطقة مهمة ولكنها ترتكز على قاعدة من الصراعات ، ورغم دورهما الايجابي في تحقيق المهام التي أوكلت اليهما الا انهما عجزا عن مسايرة المفاهيم والمعتقدات التي يتعلق بها معظم الناس في المنطقة العربية !

الأبوة الزائفة

وفي عام ١٩٧٢ أثيرت ضجة حول الفيلم الايطالي « قضية ماتيه » بعد فوزه بالجائزة الكبرى في مهرجان كان عام ١٩٧٢ . . واعتبره بعض نقادنا العرب ارتكازة قوية للأفلام الغربية المناصرة للقضايا العربية . . على اعتبار الأفكار المطروحة من خلال تداعي قصة رجل البترول الايطالي (أنريكوماتيه) رئيس مؤسسة ايني الايطالية للبترول ، الذي لقي مصرعه عام ١٩٦٢ ، تعتمد على شعاره الشهير : « سوف أحارب الاحتكار في كل مكان . . وان لم أنجح فسوف تنجح الشعوب التي تمتلك البترول .

والواقع ان مواقف ماتيه سواء من العرب او من غيرهم . كانت مواقف انتهازية تتلاءم مع مواقفه السياسية،فقد كان في تعامله مع العرب . . يحاول زعزعة شركات البترول الأمريكية في البلاد العربية ، من منطلق « أن ايطاليا في حاجة الى البترول العربي ، وعلى هذا الأساس تحدد سياستها » ويعطي الجزائريين السلاح ليحاربوا القوات الفرنسية « انني ايطالي ولست فرنسيا انتم لا تخونون العرب لأن هناك بعطآبي الجزائر ، ان وجهات نظرنا مختلفة » . . وعندما يجعل شركته تدفع نسبة الحكومات العربية من عائد بترولها اكثر مما تفعل الشركات الأمريكية ، تكون حجته « أن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي نكسب اصدقاء جميعا في يوم ما ان نعاملهم كبشر وليس ككائنات اقل !! »

١٩٧٣ . . وأزمة الطاقة

وبعد حرب ١٩٧٣ اقترن تعبير « أزمة الطاقة » بالشخصية العربية . . وانقلبت هذه الأزمة بشكل أو بآخر الى سلاح أكيد المفعول في يد الصهيونية ، فقد حققت لهم وللمرة الأولى التحاما ماديا حقيقيا مع مشاكل الانسان الاوروبي والأمريكي نتيجة ارتفاع اسعار البترول . وبدأ مزيد من البحث عن الأساليب المؤثرة في الهجوم على العرب . وتطلب ذلك ان يتم الانتاج في مناطق من العالم . . لا لمجرد توزيع العمل بين السينمائيين الأمريكيين والأوروبيين ، ولكن للقيام بعملية خلق ما يمكن تسميته « رأي عام سينمائي » . . بحيث اصبح عنصر المكان في احداث بعض الأفلام يفصح عن جانب مضلل من مكونات الأفكار المناوئة للعرب .

وبدون استثناء رفعت اغلب الأفلام راية



وجوه مصبوغة وازياء مستعارة . والتشويه هو الهدف احيانا

التحـريض عـلى الانتقـام من العـرب عـلى كـل المستويات . الحكومي (أيام الكـوندور الثـلاثة) ١٩٧٥ ، الشعبي (شبكـة التلفـزيون) ١٩٧٦ ، الفردي (ملف الذهب الأسود) ١٩٧٨ والاقتصادي (رجـوع) ١٩٨١ ، العالمي (الخـطأ والصـواب) ١٩٨٢ . . الخ .

وفي سبيل ذلك تم تغيير أحداث مؤلفـات أدبية شهيرة عند تحويلها الى السينما ، وكتبت افلام للشاشة مباشرة بواسطة اهم كتـاب السينـما الأمـريكيـة ، واستغلت امكانيات مجموعة من المخرجين الأمريكيين الكبار من أمثال سيدني بولاك وسيدني لوميت ، ألان باكولا ، ريتشـارد بروكس . وجميعهم من اليهـود الذين جندوا لتعميق مشاعر السخط ضد العرب .

في فيلم (أيام الكوندور الثلاثة) تتبدل أحداث الرواية التي أخذ عنها الفيلم ، ويقول مخرجه سيدني بولاك « توصلنا الى حبكة جديدة تغلب عليهـا السياسة وعلى الأخص احداث الشرق الأوسط »

واذا كان فيلم (الكوندور) يتستر خلف مبادىء يحاول ظاهرها ادانة عمليات المخابرات الأمريكية . . فهو من ناحيـة اخرى يؤكـد الحتمية المنطقية لهـذه العمليات لصالح المواطن الأمـريكي العادي !! . . ويتخذ فيلم « شبكة التلفزيون » نفس المنطق . فهو يهـاجم شبكات التلفـزيـون التجـاريـة ، ويكشف تسلطها على الانسـان الأمريكي ، الى ان يظهر المذيع المتمرد « هوارد بيل » الذي يقوم بدوره بيتر فيش) على الهواء ليحذر الجمهور من تسلط البترول العربي على مقدرات الحياة الأمريكية ، ومن خلال المزج بين لقطات عن أخبار اجتماعات الأوبك لرفـع اسعار البترول ، ولقطات لمسئول عربي له شهرتـه في مجال البترول : يتردد صدى صراخات هوارد بيل « لست في حاجة الى ان اقـول لكم ان موجـة كساد تنتشـر الدولار ينهار . . . ولا احد يعرف ماذا يفعل » .

حرائم القتل تزيد . كـل شيء مخبول . . والعـالم مخبول ، أريد أن أعيش وحدي .

لا أريد منكم احتجاجا أو تمردا ،

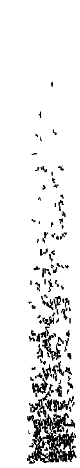
أريد منكم ان تنهضوا وترفضوا قبول هذا .

وحينئذ ، سنفكر في الكساد وأزمة البترول .

اخرج وقل لن أقبل هذا بعد الآن !»

ويحقق تحـريض هوارد بيـل نتائجـه . . وتخـرج الجماهير وسط الأمطار وبرد الشتاء القارص ، في ظل أزمة الطاقة . . وهي تردد في صوت واحد : لن نقبل هذا بعد الآن !!

ومع تجاوب الجماهير مـع بيل يتشجـع في فضح تسلط العرب على الشركات الأمريكية . . وكيف أن الأثـريـاء العـرب أصبحـوا يتحكمـون في اقتصـاد أمـريكا ، ممـا يعني ان تحـدى العـرب يعـد كـارثـة اقتصـادية . . وتواجه كلمات بيل بالسخرية من رئيس الهيئة المشرفة على التلفزيون . . فهو يفسر له طبيعة العلاقات الجديدة في ظل المتغيرات التى فرضها رجال



البترول العرب !

ويستكمل المخرج ألان باكولا في فيلمه « رجوع » الأفكار التي طرحها فيلم « شبكة التلفزيون » فالحضارة العربية يتعقد كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي امام ازدياد الثروات العربية البترولية ، ويحدد الفيلم في تفصيل اكبر الأخطار الناتجة عن تضخم الثروات العربية البترولية في السوق العربية ويصف افتراضا خياليا عن حال المجتمع الغربي ، لو قرر العرب سحب ثرواتهم فجأة من السوق الأمريكية والأوروبية ومن خلال علاقة بين أرملة ثرية (جين فوندا) وأحد رجال المال في وول ستريت (كريس كريستوفرسون) يكتشف ان زوج هذه الأرملة قتل في ظروف غامضة وانها معرضة هي الأخرى للقتل ، لأن زوجها اكتشف كيف أن أصحاب الثروات من رجال البترول العرب قرروا سحب ثرواتهم من وول ستريت

ويعدد ألان باكولا من خلال هذا الحدث البوليسي تلك المسائل الملحة بالنسبة لأغلب الدول في العالم العربي ، المرتبطة اوثق الارتباط بالبترول العربي مثل الافلاس الذي يهدد بعض اجزاء العالم العربي القوة المالية العربية غير المسئولة !! التعاون الدولي الحفاظ على موقف موحد تجاه العرب ويحاول ان يلم بكافة التفاصيل التشريعية والمالية والأدلة الرائعة ، ليثبت الخطر العربي ، وكيف يسعى على الانسان العربي مواجهته ومقاومته

نغمة جديدة

وعندما خفت حدة ازمة الطاقة ، بدأت في الأفق نغمة جديدة ، حاولت ان تربط بين الثروات العربية والارهاب وجاء فيلمهم « الخطأ والصواب » لرتشارد بروكس ليسهم بدوره في هذه الحملة فقصة الفيلم تدور حول الارهابيين العرب المتعصبين بزعامة احد القادة العرب يقتلون واحدة من نساء المخابرات الأمريكية . وفي اللحظة التي اكتشف فيها ان واحدا من كبار مهربي الأسلحة على وشك ان يبيع قنبلتين ذريتين الى قائد عربي يعيش بلده فوق بحيرة من النفط !!

ويصل القائد العربي ويتهم الارهابيون رئيس الولايات المتحدة بأنه وراء الاعيبل يدخل الحادث في لعبة الانتخابات الأمريكية ، ويظهر شون كونري ـ جيمس بوند سابقا ـ ليلعب دور محرر صحفي يجري وراء الاحداث ، ويحاول ان يعرف الحقيقة وان يكشف معرى الصراع بين المخابرات الأمريكية والروسية . ودور منظمة الاوبك والارهابيين العرب . وازمة الرهائن ، وواقعة موت « بوبي ساندر » اول ضحايا الرهائن الأمريكيين في ايران .

والدور الذي يلعبه شون كونري في هذا الفيلم يقترب من دور بيتر فينش في شبكة التلفزيون فهو واحد من كبار مذيعي التلفزيون الأمريكي ، يحاول من خلال تحقيقاته الميدانية ان يكشف مدى تعرض محطات التلفزيون للضغوط العربية في توجيه الاعلام الأمريكي !! وبطبيعة الحال يتجاهل الفيلم الحقيقة الأزلية التي تؤكد ان هذا الاعلام تهيمن عليه الصهيونية بشكل كامل وان اموال العرب غالبا ما تكيف كي تخدم اغراض الاتجاهات الاعلامية والسياسية والاقتصادية !!

العودة الى التهكم

ومع تشبع سوق البترول العالمي وقلة الطلب على النفط دوليا لم يعد منطق التهويل والاثارة والتحريض في مواجهة العرب سينمائيا له فعاليته السابقة وبقي الهجوم المغلف بالتهكم والسخرية هو الوسيلة الفعالة للعودة الى النيل من الشخصية العربية فالدول النفطية قد تملك المال لشراء الأسلحة المتطورة ، ولكنها تفتقد القدرة على استعمالها (افضل دفاع) ١٩٨٤ ، وهم رغم ثروتهم مازالو يعيشون في ظل الحياة البدائية ، التي لا يقدر عليها الانسان العربي المتحضر (سياحة مع الريح) إيطاليا وثرواتهم هي التي تتحكم في اتخاذ قراراتهم الاقتصادية (بترول بترول) فرنسا الخ

واخيرا ، فإن هذه الأفلام وغيرها تمثل ملامح حرب نفسية مخططة ومدروسة بعناية وذكاء . والمطلوب من الأقطار العربية المنتجة للبترول هو اكثر ما يمكن من الحكمة والصبر الجميل وأقل ما يمكن من المبالاة بدعايات الحرب النفسية التي تروج لها مختلف عناصر الاعلام العربي □



العلم والتعليم في الأرض المحتلة

بقلم : توفيق أبو بكر

عند افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٤ ، قال الزعيم الصهيوني حاييم رايزمن « الآن تم بناء الدولة »

وبالطبع فإن من يعرف هذه الحقيقة عن أهمية العلم والتعليم بالنسبة لنفسه يفعل كل ما في وسعه لحرمان عدوه من أهم عناصر التقدم فكيف تخطط الدولة الصهيونية لابقاء عرب الأرض المحتلة حطابين وسقائين « كما يقول أحد مستشاري تلك الدولة ؟ » .

المقالة التالية محاولة للاجابة عن هذا التساؤل

كان المحتلون الصهاينة لديهم وعي كامل بخطورة المؤسسات التعليمية والجامعية في وسط الشعب الفلسطيني على أرضه وحين شيدوا جامعتهم العبرية في القدس سنة ١٩٢٤ « قال حاييم وايزمن أحد مؤسسي الصهيونية السياسية « الآن تم بناء الدولة اليهودية » ولم يكن المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل بسويسرا في أغسطس سنة ١٨٩٧ قد حدث في ثلاث من

ضمن البنود الأربعة التي ساوقها الاعلان الصهيوني عن ضرورة حماية الثقافة اليهودية والتعليم اليهودي جاء ذلك بعد التأكيد في البند الأول على بناء وطن قومي لليهود مباشرة ولذلك فهم يعرفون من تجربتهم المباشرة والتاريخية المعاصرة ، أهمية هذه المدارس والمعاهد العليا والجامعات التي تنتشر في كل مكان داخل الضفة العربية وقطاع غزة المحتلين فهذا بالضبط فهم يعملون بوعي كامل وتخطيط طويل

المدى ، على تخريب معاقل العلم في فلسطين المحتلة ، حتى لايصبح الميدان الاول الذي تتحرج فيه القيادات السياسية والثقافية والفكرية للشعب الفلسطيني . وبدون مثل هذه القيادات ، يصبح المجتمع الفلسطيني في الداخل منزوع الأسنان ، ويسهل عدها ترويضه ، والتحكم فيه بشكل كامل .

حطابون وسقاءون

عندما ، بدأت مأساة شعب فلسطين ، قال اول مستشار للشئون العربية لدى رئاسة الوزارة الصهيونية أورين لوبراي (الذي يعمل الأن مستشارهم لشئون لبنان) وكان ذلك في مطالع الخمسينيات .

لو بقي العرب حالي حطب وسقائين لكان الوضع خيرا وأبقى ، لكن الأمور لاتخضع للرغائب دائما .

وبعد أكثر من ثلاثة عقود مرت على تلك الأمنية الصهيونية التي لم تتحقق ، رغم كل سياسة التجهيل التي بذلوا فيها جهدا كبيرا ، قال المستشار الحالي للشئون العربية لدى الحكم العسكري الصهيوني (وبعد أن فشلت سياسة التجهل) .

« ان الهدف الأساسي للجامعات الفلسطينية في الداخل هو تنمية طبقة من المثقفين ، وذلك لخدمة احتياجات الدولة الفلسطينية القادمة » . وحين اغلقت جامعة بير زيت لمدة طويلة في بداية الثمانينيات ، قال ماحم ميلسون البروفيسور في الأدب العربي ومسئول ما كان يسمى بالادارة المدنية لوفد من الاكاديميين الأمريكيين ، جاء يحتج على اغلاق الجامعة ، لأسباب علمية صرفة ، « ان هذه الجامعة وأمثالها خطر علينا ، لانها النواة الاولى للدولة الفلسطينية التي يحلم بها هؤلاء الشباب . شباب الجامعة »

ان اسرائيل تتبنى سياسة محكمة طويلة النفس في مواجهة مسيرة العلم الفلسطيني في الداخل منذ السنة الدراسية الأولى ، هذه السياسة بمقاييس الجهد المبذول فيها ، لم تحقق كل النجاحات لكنها تمكنت بالتأكيد من منع عملية التعليم الفلسطيني أن تأخذ مداها ، لاكمال الدورة الحضارية للشعب الفلسطيني ، وللمساهمة في التنمية الفلسطينية العامة .

العلم والتحديات

الحقائق والأرقام المنشورة تقول انه مازالت هناك تحديات كبيرة تواجه التعليم والمعلمين في بلادنا .

هناك أولا . النزيف البشري المتواصل الذي يتعرض له الشباب في داخل وطننا ، ويدفعون معه للهجرة للخارج . في العام الماضي على سبيل المثال كان عدد خريجي التوجيهية في الضفة والقطاع ١٧٥٠٠ طالب والجامعات الفلسطينية في الداخل ، تستوعب حسب احصاءات مجلس التعليم العالي في الضفة الغربية ٢٥ ـ ٣٠٪ من هؤلاء الطلاب ، وتستوعب المعاهد المتوسطة التسعة الرئيسية : وهي معاهد الزراعة والفندقة والبوليتكنيك وتدريب المعلمين ، تستوعب ألف طالب تقريبا وتبقى هناك مشكلة لحوالي عشرة آلاف طالب سنويا يلتحق جزء منهم بسوق العمالة الصهيونية ، وينضم الى جيش البطالة المتزايد في الضفة والقطاع ، بينما يغادر بعضهم للدراسة في الخارج

وسلطات الاحتلال بدأت منذ عامين بفرض اجراءات قاسية لوضع أكبر العراقيل الممكنة في وجه عودة هؤلاء المغادرين ، حيث تمنع عودتهم قبل ستة شهور من تاريخ المغادرة ، وهذا له أثر نفسي ومادي على الطلاب وعائلاتهم . كما تعمد هذه السلطات الى التحقيق المتواصل والسجن الاحترازي للعائدين منهم لقضاء اجازات الصيف،في محاولة لدفعهم لعدم العودة نهائيا . تقول محامية اسرائيلية تقدمية في حديث نشرته مؤخرا واحدة من كبرى الصحف الايطالية ، انه منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن حققت اسرائيل مع مايقارب ٣٠٠ الف طالب وشاب فلسطيني

في فلسطين المحتلة ، يأخذ الأمر طابعا أكثر قسوة . إذ من النادر ان يصل أكثر من ١٠٪ من الطلاب الثانويين للحصول على الشهادة الثانوية

(المحروث)،ومن النادر أن يسمح لهم بدخول الجامعات الصهيونية . اذ أن عدد الطلاب العرب في جامعات اسرائيل حسب احصاء عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ م ، هو ٢٦٧٤ طالبا فقط ، يدرس أغلبهم الانسانيات ، ويعيشون حالة عزلة ، وتمييز قاتل عن الطلاب اليهود وهذه النسبة لاتشكل ١/ من طلاب الجامعات ، رغم أن العرب داخل الكيان الاسرائيلي يصلون الى نسبة ١٤٪ حسب الاحصاءات غير الرسمية .

خميرة الحركة القومية

كان (اسرائيل كينج) حاكم لواء الشمال الذي تتبع له منطقة الجليل حيث التمركز العربي الفلسطيني الكثيف قد اقترح مد أواسط السبعينيات دفع الطلاب العرب من الجليل والمثلث والنقب للدراسة في الخارج ، ثم وضع العراقيل أمام عودتهم ، وقال في وثيقة تسربت للصحافة ان مجتمع الطلبة المثقف في أوساط العرب يشكل الخميرة لكل حركة قومية ، وان على المسئولين في اسرائيل حسب زعمه توقع هذا الاحتمال والتخطيط الدقيق له بين الأجهزة المختلفة

ولذلك منعت اسرائيل قيام جامعة في الناصرة ومنعت قيام جامعة في نابلس للطلاب العرب من داخل «اسرائيل» فقط ، وردت على ذلك بتنشيط الاقتراح الداعي لاقامة جامعة صهيونية في المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، تكون مشابهة في مناهجها لجامعة اكسفورد وجامعة كمبردج

ولذلك فإن الرقم المنشور حديثا والذي يقول ان ٤٠/ من الطلاب العرب ليس في الضفة والقطاع فحسب ، وانما من داخل اسرائيل ، يدرسون الآن في الخارج أمر مذهل حقا،وهذا يعني أننا سنواجه منذ الآن فصاعدا مشكلة النزيف البشري من مناطق جديدة لم تكن تعاني من هذه المعضلة

ان نسبة السكان ، من تقل أعمارهم عن عشرين سنة في الضفة والقطاع ، تصل الى ٥٠ - ٦٠٪ حسب احصاءات مختلفة ، وهي من أعلى النسب في العالم وتشير الى فقدان جيل الشباب من سن ٢٠ - ٤٥ سنة ، كقوة يجب أن تحتل نسبة عالية من سكان المجتمع ، كما هو الحال لدى غالبية العالم .

هناك أيضا الاجراءات المباشرة في سلك التعليم الذي تم اغراقه بأعداد كبيرة من غير المؤهلين ، ولاعتبارات تتصل بالولاء للسلطة العسكرية وتتصل بخطط التجهيل للفلسطينيين .

الأرقام المنشورة عن مجلس التعليم العالي في الضفة والقطاع تقول ان ٢٤٪ من معلمي المرحلة الابتدائية ، ٨٪ من مدرسي المرحلة الاعدادية ، ٤٣٪ من مدرسي المرحلة الثانوية بحاجة الى رفع المؤهلات الاكاديمية والتربوية وبحاجة الى دورات تأهيلية ويتعرض المعلمون للنفي القسري والابعاد وانهاء العمل ، دون مبرر سوى المبرر الأمني الذي لا تقوم السلطات بتقديم أي تفسير له . وقد تعرض مئات المدرسين لمثل هذه الاجراءات التعسفية على امتداد سنوات الاحتلال

وتبقي السلطات الصهيونية مستوى دخل المدرس متدنيا على الدوام حتى تدفعه الى ترك عمله والالتحاق بسوق العمالة الصهيونية ، أمام عدم قدرته على الوفاء بالتزاماته الأسرية والعائلية ، أو تدفعه للهجرة وقد نشرت هذا العام اللجنة العامة للمعلمين في الضفة الغربية جدولا لرواتب المعلمين ، وكانت فيه أرقام مرعبة حقا ففي عام ١٩٨٣ - حسب هذه الجداول ، كانت الرواتب المتوسطة أو نسبة الرواتب ١٢٥ دينارا اردنيا رغم انخفاض قيمة العملة الصهيونية وارتفاع الأسعار وازدياد التضخم،ورغم الزيادات المحدودة في الرواتب التي انتزعتها اللجنة ، فقد كان متوسط الرواتب مع بدء العام الحالي هو ٨٧ دينارا ، أي بنقص قدره ثمانية وثلاثون دينارا وهذا يعطي فكرة واضحة عن وضع المعلم داخل الارض المحتلة

ووضع المعلمين داخل فلسطين المحتلة ، أسوا كثيرا من وضعهم في الضفة والقطاع ، حيث ترداد نسبة محاولات التجهيل في صفوفهم ، وتزداد محاولات دفع الطلاب للالتحاق بسوق العمل.وبناء عليه فان رابطة المعلمين العرب في « اسرائيل » تقول أن ٣٧٪ من الطلاب من سن ١٤ - ١٧ يغادرون المدارس ، بينما لاتتجاوز هذه النسبة ١٠٪ لدى الطلاب اليهود .

والمصادمات في الوسط الجامعي أكثر حدة، وأشد قسوة. وخصوصا في جامعات بيرزيت ونابلس وبيت لحم والخليل وغزة والقدس. فهي الطلائع الوطنية المشعة في مواجهة الاحتلال وعبر التاريخ المعاصر للمنطقة، فقد شكلت معاهد العلم في مواجهة الاحتلال [illegible] الطلائع الحصينة [illegible]

[illegible] السلطات الصهيونية [illegible] هذه الجامعة [illegible] لأنه [illegible] إغلاق جامعة [illegible] الماضي [illegible] أسلحة [illegible] الجامعة

ولم تكتف السلطات [illegible] العمل [illegible] المؤسسات الأكاديمية في العمل لإعادة فتح جامعة النجاح الوطنية، لأنه يعرف أن أكثر أشكال القمع قسوة [illegible] نحو الجامعات

أشكال من التضييق

وفي العام الماضي تم إغلاق نفس الجامعة قبيل الامتحانات النهائية مباشرة لتعطيل عملية تخريج الطلاب والطالبات. والأمر تكرر بصورة مختلفة مع [illegible] جامعات الداخل

إضافة إلى ذلك فإن القانون رقم ٨٥٤ المعروف [illegible] بعد أن [illegible] الصحة العالمية حوله، يمثل أحد محاولات شل المؤسسات الجامعية في المناطق المحتلة، وفرض أقسى القيود عليها ومنع تماسكها، وأنه يحظر نقل طالب من منطقة لأخرى، ونقل مدرس من منطقة لأخرى، إلا بموافقة السلطات العسكرية، ويجبر الجامعات على الحصول على تصريح سنوي للعمل

ثم جاء نموذج الإقرار الذي رفضه المدرسون الجامعيون العرب والأجانب، وأدى لإبعاد عدد من مدرسي الجامعات في الضفة والقطاع، وهو إقرار يتعهد بموجبه الأستاذ الجامعي بعدم ممارسة نشاط قد يكون في النهاية معاديا لإسرائيل وبعدم السكوت عليه

وانعكس هذا الوضع على ظروف التعليم الجامعي [illegible] من بين ٥٩٧ محاضرا في جامعات الداخل، فإن نسبة الحاصلين على الدكتوراه تتراوح حسب إحصاءات متباينة لسنوات متعددة بين ١٨١ - ٢٢٠، أي ٣٠٪ فقط من هيئة التدريس وهي من أقل النسب الموجودة في الجامعات، فهناك حامل دكتوراه واحد لكل ٥٠ طالبا في جامعات الداخل [illegible] وهي نسبة [illegible] وفق المعايير العصرية، وخصوصا في الكليات [illegible]

والصعوبات [illegible] على [illegible] استيراد الكتب والدوريات [illegible]. وعن نقص المباني [illegible] يقول مدير الجامعة الإسلامية في غزة في تصريح رسمي نشرته صحيفة القبس الكويتية، إن الجامعة هناك تستخدم عشر خيام كقاعات للدراسة بسبب نقص الأبنية، الأمر الذي لم يسبق أن حصل في العالم من قبل

كل هذه المشكلات [illegible] مشكلات الريف البشري [illegible] ومشكلات النزوح ومشكلات مصادرة [illegible] المعلمين ومشكلات دفع الطلاب للتسرب والدخول إلى سوق العمالة الصهيونية. ومشكلات مصادقة [illegible] الجامعي وإقفال الجامعات المستمر أضيف إليها مؤخرا مشكلة جديدة سبق أن درسها مجلس التعليم العالي في الضفة، والمجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم التابع لمنظمة التحرير والذي عقد آخر دورة له في عمان في يونيو الماضي وهي ازدياد البطالة في أوساط الخريجين - حيث [illegible] أنه يوجد في الضفة الآن ٣٥٠٠ خريج عاطل عن العمل. وفي القطاع ٤٥٠ خريجا [illegible] عدد كبير قياسا بعدد السكان. وسيكون احتياطا جاهزا للنزوح متى ما شعر هؤلاء الشباب أن الممكن توفر العمل في الخارج

كل هذه المشكلات، لايمكن لها أن تلغي [illegible] المواجهة الباسلة التي يقودها قطاع المثقفين في [illegible] سلطات الاحتلال [illegible] فرغما عنهم تحولت جامعة [illegible]

هي بيرزيت عام ١٩٦٧م الى جامعة كبيرة نشأ معها ورافقها نشوء وتأسيس خمس جامعات أخرى تضم الان ١٢٧٠٠ طالب وطالبة ، وأقيمت معاهد عديدة للتعليم المتوسط ، وخفت حدة تسرب الطلاب لسوق العمل في السنوات الأخيرة ، وازداد تمسك الفلسطينيين بالعلم ، كواحد من السبل الأساسية لمقاومة الاحتلال،واضراب المائة يوم ، الذي قام به المعلمون في أوائل الثمانينات مازال شاهدا على التحدي والصمود

لكن ذلك يضع على عاتق المؤسسات الفلسطينية كل في موقعها دراسة هذا الوضع ، دراسة شورية ووضع الحلول الممكنة في اطار التصدي الشامل للاحتلال

ان دعم المؤسسات التعليمية في الداخل ، هو الذي يعطي لدعوات الصمودمضمونها الحقيقي . وهو الذي يوقف الى أقصى حد ممكن هذا النزيف البشري المتواصل ، ويمكن هذه الجامعات من توسيع امكاناتها وامكان قبولها لأعداد جديدة من الطلاب وهو يتطلب مساهمة طوعية من الجامعيين حملة الدكتوراة من الشباب الفلسطيني

وان بناء المؤسسات الانتاجية ، وتوفير امكانات صمودها هو الذي يوفر الأساس الموضوعي للازدراع في الأرض ، وتخفيف البطالة بعيدا عن صيحات الصمود العاطفية والعامة

ولابد من سياسة مركزة لقبول الطلاب الفلسطينيين في جامعات الخارج وتوفير كل السبل أمامهم للعودة للوطن

ولابد من فلسفة وطنية متماسكة يخضع لها التعليم الفلسطيني في الحدود الممكنة ، وتأخذ في الاعتبار جامعات الشعب الفلسطيني أولا وقبل كل شيء وهذه مسئولية كبيرة لابد أن تنهض منظمة التحرير الفلسطينية لأدائها ذلك أن المنظمة تقوم بحكم ظروف خارجة عن ارادتها بمهام الدولة والثورة في وقت واحد والى حد كبير .

ان الفلسطينيين يشكلون ٢,٥٪ من سكان الوطن العربي ، ويقدمون له ١٠٪ من الخريجين ، ونسبة التعليم العالي في أوساطهم تتجاوز النسبة المنشورة للعديد من الدولة الأوروبية المتقدمة لكن هذا الكم الواسع يجب أن يكون في خدمة معركة التحرر الوطني الفلسطيني ، وفي خدمة التنمية الفلسطينية ، أولا وقبل كل شيء

يقول تقرير منشور لوكالة الغوث ، حول هذا الموضوع « ان هدفنا من تعليم الفلسطينيين هو تمكينهم من متابعة حياة مفيدة ومنتجة ، بغض النظر عن المكان الذي يمكن أن يعيشوا فيه ، كما تهدف لتعزيز الاستقرار العام في الشرق الأوسط ، وهذا بدوره سوف يؤدي لخلق مناخ يمكن القوى التي تعمل على تشكيل مستقبل الشرق الأوسط من العمل بشكل أكثر انتظاما .

ان الاستثمار في الانسان ومن الانسان هو هدف التنمية التعليمية والاجتماعية في العالم . والمعركة الشاملة مع العدو لا يمكن أن يتم فيها النصر دون تقدم حضاري شامل ، وتلعب فيه البندقية والسياسة والتنمية الشاملة علميا واجتماعيا ، أدوارا متكاملة □

أكبراه ومعظماه

كان العتابي شاعرا من كبار شعراء الدولة العباسية ، وقد قضى حياته زاهدا لايهتم بهندام ، ولا يركن الى ناعم العيش ، مع أنه اتصل بكبار رجال الدولة العباسية وخلفائها ، حكي أن يحيى بن خالد البرمكي عاتبه على لباسه فقال : أبعد الله رجلا همته أن يكون جماله في لباسه وعطره ، انما ذلك حظ النساء وأهل الاهواء . حتى يرفعه أكبراه : همته ولبّه ، ويعلو معظماه : لسانه وقلبه

مسابقة العربي للقصة القصيرة

استجابة لمسابقة القصة القصيرة التي أعلنت عنها مجلة « العربي » في عددها الصادر في شهر يناير ـ كانون الثاني ـ من سنة ١٩٨٥ فقد وصل الى المجلة حتى نهاية شهر نيسان ـ ابريل ـ من سنة ١٩٨٥ ، ٢٩٨٥ قصة قصيرة من جميع أقطار الوطن العربي

وقد تم تشكيل لجنة فرز أولية في مجلة « العربي » تكونت من : ـ

سليمان الشيخ ، حسن عباس ، محمود عبد الوهاب ، ريم الكيلاني

وقد قامت هذه اللجنة بقراءة جميع القصص التي وصلت الى المجلة ، بحيث أتيح لكل قصة مشتركة أن تقرأ من كل عضو من أعضائها ، واستبعدت اللجنة القصص التي لاتتوفر فيها مقومات القصة القصيرة ، وأنهت مهمتها باختيار ١١٨ قصة كي تعرض على لجنة التحكيم الأساسية المكونة من : ـ ابو المعاطي أبو النجا ، اسماعيل فهد اسماعيل ، عبد العزيز السريع ، سليمان الخليفي ، ليلى العثمان ، سليمان الشيخ ـ مقررا ـ .

وقد قامت لجنة التحكيم الأساسية بقراءة جميع القصص المختارة من قبل لجنة الفرز الأولية ، واعطائها درجة من عشرة وبمقارنة جميع الدرجات المعطاة من كل عضو من أعضاء اللجنة لكل قصة ، تبين أن القصص التالية قد حصلت على أعلى الدرجات وفقا لشروط الجوائز التي تم الاعلان عنها من قبل

والقصص هي : ـ

ـ « تيمو » لسحاب محمد نوري الصمصام وفازت بالجائزة الأولى

ـ « الجردان » لفاروق حسان السيد وفازت بالجائزة الثانية

ـ « العرس »للدكتور فاضل محمد مشالي وفازت بالجائزة الثالثة .



سحاب محمد نوري الصمصام
الاولى



فاروق حسان السيد
الثانية

- « الخوف » لمحمد رضا محرم وفازت بالجائزة الرابعة
- « أغنية للخريف »لعاطف فتحي حسن وفازت بالجائزة الخامسة
- « وجهه خلف الجدار »لفردوس فتحي ندا وفازت بالجائزة السادسة
- « الضريح »لأحمد محمد على وفازت بالجائزة السابعة

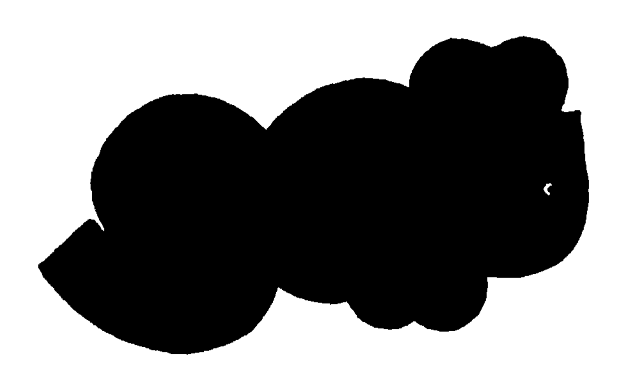


الدكتور فاضل محمد المشالي
الثالثة

وقد حصلت القصص الأربع التالية على تقديرات متساوية ، مما أهلها للحصول على الجوائز الباقية وهي -

* « عملية استثمار » (أ ش) لسعد الدين ابراهيم محمد
* « القمر يرحل عن المحيم » لأمين يوسف عودة
* « السيدة العجوز » لخميس محمد بدر
* « عشق »لأكرم عز الدين الصغير . □

القصّة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة العربي للقصّة القصيرة



بقلم : سحاب محمد نوري الصمصام

سيدي القاضي

لم يكن يخطر لي ابدا على بال ، أني سأقف بين يدي القضاء فأنا أحتكم دائما الى ضميري أعطي كل ذي حق حقه ، وأعامل الناس بالحسنى

يمكنك أن تسأل عني تجار المدينة ، وكل فقرائها ، وكل المتسولين فيها ولابد أن يكون جوابهم أن الحاج عبد الصبور ، رجل مستقيم وشريف

وأحمد الله الذي أعطاني وأنعم علي ، لكي أستطيع أن أعطي الناس وأعينهم . أرحم من في الأرض ، ليرحمني من في السماء

لقد ضحك زميلي الحاج أحمد - وأكد الشهود ذلك - ضحك عندما سمع بمثولي بين أيديكم متهما بالسرقة !!

السرقة - ياسيدي القاضي - تهمة كبيرة لا أستطيع أن أحمل ثقلها ووزرها . وسرقة ماذا ؟ عيادة طبيب بيطري !! .

لا أعتقد أن اللص المحترف نفسه يقدم على سرقة عيادة طبيب بيطري ، وماذا يسرق منها ؟ حقنة ؟ مبضع ؟ شريط لاصق ؟ لا لا أعتقد أن أحدا يفكر - ولو مجرد تفكير - فيها

تقول أن الحارس الليلي فاجأني وأنا أحاول فتح باب العيادة هذا صحيح أعترف به ولكني لم أكن أسرق وأستغفر الله أن يكون ذلك قد جال في خاطري ولو للحظة واحدة

ساشرح لك قصتي من بدايتها

تزوجت منذ عشرين عاما ، وقدر الله أن تكون زوجتي عاقرا ، فلم تنجب أطفالا عرضتها على عشرات الأطباء هنا وفي فرنسا ، والمانيا ، و ولكن الطب أعجز من أن يطول قدرة الله سبحانه وتعالى .

وكنا نرغب بولد أؤكد ياسيدي أن زوجتي لاتستطيع أن ترى طفلا دون أن تبكي أو تتحسر . طفلا يضحك أو يبكي أو يلعب أو ينام ، أي طفل كان وفي أية حالة . وقلبي يتفطر ألما عندما أرى زوجتي تبكي أو تتحسر

كنت أستطيع أن أتبنى طفلا من ملجأ الأيتام . ولكني لم أيأس من رحمة الله تبارك وتعالى ، وبعد عشرين عاما من العيش على أمل . أمل أن نرزق بطفل . تبنيت كلبا صغيرا أرى سيادتك تبتسم . لابأس .. لابأس . ربما كان الأمر مضحكا فعلا .

وتعلقت زوجتي بالكلب . كان صغيرا . أسود اللون ، ذا شعر أجعد ولكنه أنيق .. حسنا .. حسنا !

سأختصر . ولكني مضطر الى الحديث عن تيمو

و(تيمو) هو اسم الكلب هكذا خطر لزوجتي أن تسميه أقول انني مضطر الى الحديث عنه لأنه هو السبب الذي أوصلني الى عيادة الدكتور عبد الفتاح ، تعهدناه بالرعاية والحنان ، وكأنه ابن لنا تماما .. مواعيد طعامه



منظمة   وفراشه في الصالون مرتب ونظيف   ونزهته
اليومية ، وحمام مرتين في الأسبوع ودرسه اليومي   نعم
درسه اليومي   كنا نعلمه كيف يتصرف ، كيف يفتح
الباب ، وكيف يغلقه ، وكيف يشتري الخضار والفواكه
واللحم . كنت أعلق على رقبته سلة صغيرة ، وأرسله
الى دكان عبدو اللحام بعد أن اوصيه بما أريد هاتفيا

سل عبدو يخبرك . كان يضع اللحم في السلة ، مع
كمية من العظام كطعام لتيمو ، فيعود بها الى البيت دون أن
يمسها ، مع علمه ـ وأوكد ذلك ـ بأن هذه العظام له   لم

يحدث أبدا أن أحذ نصيبه بنفسه ، كان ينتظر حق نقدمه له بأيدينا

أرجوك ياسيدي القاضي دعني أكمل . ان تيمو هو صلب الموضوع ، ولن تفهم دافعي مالم تعرف حقيقة تيمو شكرا شكرا ياسيدي

ومرض تيمو مرض منذ حوالي سنة لم يعد يأكل ولم يعد يذهب الى دكان عبدو اللحام أو يفتح الباب انزوى في المطبخ يئن ويتوجع ، ولعلك ياسيدي القاضي ـ تقدر مدى الألم الذي شعرنا به أنا وزوجتي .

أصبح هزيلا شاحبا يموي بين الفينة ، والفينة بصوت ضعيف متقطع ، وكأنه يتوسل الينا أن نعالجه !

وأخذته الى عيادة الطبيب البيطري ـ الدكتور عبد الفتاح دهبت بتيمو اليه وأغلقت دكاني وكأني أطرد رزقي ان التجارة تعرض عليك أن تعامل الناس بالأدب وبالرقة وبالهدوء ، وبابتسامة لاتختفي من شفتيك ولقد شعرت بأني لا أستطيع أن أعامل الناس بالأدب وبالرقة وبالهدوء ، ولا أستطيع أن ابتسم طالما أن تيمو مريض ولعل توحعي عليه سيحكم تصرفاتي فأحطىء مع الناس وأنا لا أريد أن أحطىء ، لأني أحاف الله الحبار القدير

وعاينه السيد الطبيب ووصف له دواء ، فذهبت الى الصيدلية لأشتريه صيدلية الحكمة باعت آحر علبة منذ اسبوع . صيدلية الشفاء لاتبيع أدوية للحيوانات صاحب صيدلية الأمل لم يسمع باسم الدواء من قبل محزن الأدوية مغلق بسبب التصليحات وتغيير الديكور ! ذهبت الى جميع الصيدليات في المدينة والى مركز الطب البيطري ، وأرسلت الى حلب ، وحمص ودير الزور وكل المحافظات ، ولم أجد الدواء !

فعدت الى الدكتور عبد الفتاح ، لعلي أجد عنده ماأريد أو يصف لي دواء آحر متوفرا في السوق ، فقال لي ـ وهو هنا يسمع كل كلمة أقولها قال لي ـ لدي علبتان منه ، ولكني لا أستطيع أن أعطيها لك ، لأني أحتفظ بها لقطة ابنة العقيد موسى الأزهري !

وقطة ابنة العقيد موسى الأزهري ـ ياسيدي القاضي ـ لم تكن وقتها مصابة بالمرض ، بل انها مازالت صحيحة سليمة حتى هذه اللحظة

وحاولت ان اشتريه دفعت حمسين ليرة وسبعين ومائة ومائتين تصور مائتي ليرة سورية ثمنا لعلبة دواء واحدة !

والدكتور عبد الفتاح يرفض أليس كذلك يا دكتور ؟ حسنا حسنا ياسيدي القاضي

فهمت سأوجه كلامي اليك ولا علاقة لي بغيرك

عدت الى البيت حزينا مهموما العن الطب والدواء والصيدليات والكلاب ، ولكني لم ألعن الدكتور عبد الفتاح والله لم ألعنه .

ورأيته رأيت تيمو . . الوقت ليل وزوجتي تبكي وتنتف شعرها كان متمددا على الارض ، والزبد يملأ شدقيه ، وصدره يعلو ويهبط في حركة عنيفة . .

وتوسلت الى زوجتي أن أفعل شيئا وماذا أستطيع أن أفعل ؟ انها مشيئة الله عز وجل ، ولا اعتراض على مشيئته . . (فاذا جاء أحلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون)

ولكن منظر تيمو يؤلمني ، أن تتصور ـ ياسيدي القاضي ـ كيف كان شعوري ماهو شعور الأب الذي يراقب ابنه وهو يموت ؟ نعم ابنه كان تيمو ابني . أراك تضحك ياسيدي القاضي ولكني برغم كل شيء أفتخر بأبوتي لتيمو

وقمت الى غرفتي فصليت ركعتين ، وبقيت أستغفر الله وأدعوه وقتا طويلا لم أشعر به يمضي وعندما فرغت كان الليل قد انتصف

وسمعت عواء ضعيفا ، وكأنه بكاء طفل جائع ، يستجدى أمه لترضعه وسمعت زوجتي تشهق فخرجت حرحت من البيت . لم أستطع أن احتمل أكثر من ذلك وهمت على وجهي .

قلت انه لااعتراض على مشيئة الله ، ولعل مشيئة الله هي التي دفعت بي الى شارع (الحريقة) وأمرتني بطَرْق عيادة الطبيب البيطري .

لااعتقد أنك تصدقني . أليس كذلك ياسيدي القاضي ؟ ولكني أقسم لك بأني لم أفكر لحظة واحدة باقتحام العيادة . . أبدا وكنت كالطفل الذي يرابط أمام شاشة التلفاز قبل بدء البرامج لانه يعلم أن افلام الكارتون التي يتشدها موجودة في هذا الجهاز الذي أمامه أو كنت . لاأدري ماذا يسمون وضعي في علم النفس ، ولكني لم أكن أفكر بالسرقة . وبطفولة حقيقية حاولت ادارة أكرة باب العيادة عله ينفتح وأجد الدواء أمامي . أجد صحة ولدى تيمو . وفي تلك اللحظة ، جاء الحارس الليلي وأمسك بي أعتقد أن كل أب سيتصرف مثلما تصرفت لوحدث له ماحدث لي . .

هل كنت لتفعل غير ذلك لو كنت مكاني ياسيدي القاضي ؟

اعرف أنه لابد من عقوبة توقعها علي ، وأنا مستعد لها مستعد لأية عقوبة . . للسجن والغرامة وكل شيء ولكني أرجوك . أرجوك أن لاتحكم بها علي بتهمة السرقة □

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد فبراير ١٩٨٦

ملف خاص بالألوان

حافل بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمناسبة مرور ربع قرن على استقلال الكويت

الكويت والبعد العربي	كويت الكلمة الطيبة	مأزق النمو الحضري في العالم الثالث
عبدالعزيز حسين	عبدالرحمن سالم العتيقي	د. فضل الأيوبي

- وهم بالبوصلة مهتدون / د. عبدالمحسن صالح
- في رحاب المغرب العربي / د. صالح الخرفي
- وجهاً لوجه : الفريد فرج وعبد العزيز السريع
- السياسة الخضراء / جمال وردة
- أطفال العالم يغنون للسلام في بلغاريا / استطلاع : حسن عباس
- البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية .

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. فؤاد زكريا - عبدالعزيز جعفر
د. عبدالرؤوف لولو - د. حكم المأمون - محمود الريماوي - عبدالملك عبدالرحيم

قاموس العربي

ح

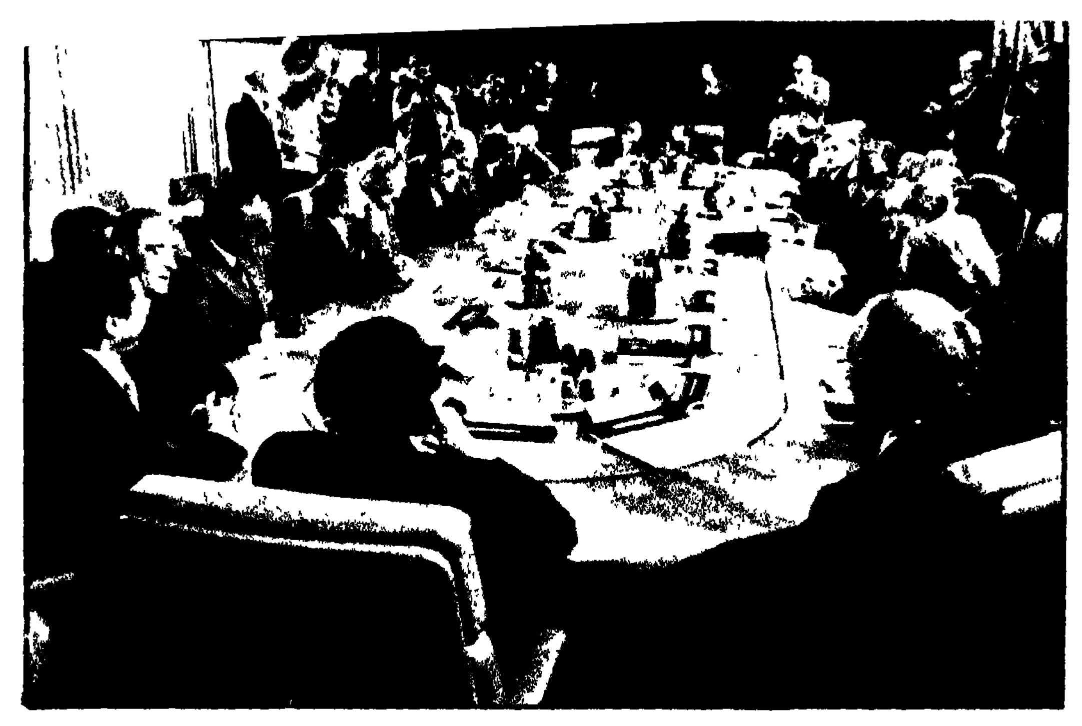
حِوارُ الشَّمالِ وَالجَنُوبُ

تعبير سياسي واقتصادي تجاوز معنى اسمه ومناسبة اطلاقه ، ليستخدم كتعبير عن أزمة النظام الاقتصادي الدولي الحالية ، وضرورة البحث عن نظام اقتصادي جديد .

ولقد كانت مناسبة اطلاق الاسم هي « عقد مؤتمر باريس حول التعاون الاقتصادي الدولي من أجل الحوار بين الشمال والجنوب » ويقصد هنا بالشمال دول الغرب الرأسمالية والدول الأوروبية الاشتراكية ، وبالجنوب دول العالم الثالث الفقيرة النامية

ورغم أن الدعوة الى حوار الشمال والجنوب تبلورت في أوائل السبعينيات ، وكثرت حولها المؤتمرات والدراسات - برغم هذا - الا أن فكرة الحوار نفسها تعود الى زمن أبعد من ذلك ، فالظلم والغبن اللذان يصيبان اقتصاديات دول العالم الثالث من نظام اقتصادي عالمي يحتكر التقنية والاختراعات ، ويستنزف الموارد الأولية ، ويسوق أردأ السلع بأغلى الأسعار ، ويكرس التخلف والتبعية ، ويعوق خطط التنمية والتطور ، هذا الظلم هو الذي دفع العديد من القادة الوطنيين في العالم الثالث الى المطالبة بانتهاج سياسات مستقلة عن التبعية ، الى الكتلتين الأعظميين في العالم ، وجاء مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) ليؤكد هذا المعنى وما نتج عنه من ظهور تكتل مجموعة عدم الانحياز ، ولقد ظلت هذه المجموعة تمثل موقفا سياسيا لايؤدى الى نتائج اقتصادية وسياسية ملموسة ، رغم أن المؤتمر قد أعلن في توصياته عن ادانة النظام الاقتصادي الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية ، وطالب بضرورة اعادة النظر في هذا النظام الذي ألحق الظلم باقتصاديات البلدان النامية كلها .

وأثمرت دعوات القادة الوطنيين عقب مؤتمر باندونج - في فترة المد الوطني في العالم الثالث - وأدت الى ظهور تكتل الدول النامية في القارات الثلاث لمواجهة الدول الغربية ، عندما انعقد مؤتمر الامم المتحدة الاول حول التجارة والتنمية « أونكتاد » عام ١٩٦٤ . ويعد هذا المؤتمر بمثابة جرس الانذار الذي دفع الامم المتحدة الى الاهتمام بمشكلات وقضايا التنمية والتخلف في العالم . وقد ظلت الدول النامية تحافظ على هذا التكتل ، الذي أصبح وسيلة ضغط ومساومة لدى الدول النامية ، الأمر الذي أضفى على المفاوضات بين الجنوب والشمال طابعا جماعيا ، ومع استمرار انعقاد دورات مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية ، أخذت دول المجموعة الـ ٧٧ التي شاركت في أول مؤتمر ، والتي تزايد عددها بعد ذلك الى ١١١ بلدا ، أخذت في طرح وتناول قضايا اقتصادية خطيرة مثل دور الشركات المتعددة



مؤتمر حوار الشمال والجنوب عام ١٩٧٧

الجنسية ، اصلاح نظام النقد الدولى ، نقل التقنية ، ولكن ظلت هذه القضايا وأمثالها فى دور النقاش والدراسات وأوراق العمل عديمة الجدوى

وعقب زيادة أسعار النفط فى أوائل السبعينيات ، نشط الغرب فى الدعوة الى حوار عربى أوروبى وحوار بين منتجى ومستهلكى النفط ، ولكن توصيات مؤتمر عدم الانحياز الرابع دفعت بالأمم المتحدة الى عقد دورة استثنائية لمناقشة مشكلة التنمية والحوار بين الشمال والجنوب ، وقدمت دول الجنوب فى هذا المؤتمر برنامجا يحتوى على مجموعة مبادىء ينبغى على النظام الاقتصادى العالمى الجديد أن يحترمها ، وكان أهم مافى البرنامج مطالبته بـ : تنظيم دور الشركات متعددة الجنسية ، ونظام علاقات عادلة ومنصفة بين أسعار المواد الخام والمنتجات الصناعية ، واصلاح النظام الاقتصادى المالى ، وحل المشكلات المترتبة عليه ، كما قدم البرنامج تصوره لمشكلات التجارة والتنمية والتصنيع وتمويل التنمية وتنظيم الشركات المتعددة الجنسية ، وقد عارضت الدول الغربية البرنامج ، وبدأت سلسلة سياسات وتصريحات تهدف الى الالتفاف حول فكرة الحوار ، ونسفها من خلال اتهام دول الأوبيك ، بأنها سبب أزمة العالم النامى ، وبالفعل فشلت محاولات توفيقية للقاء بين بعض دول الشمال وممثلين لدول الجنوب ، وانتهى الحوار الى إصرار دول الشمال على ضرورة اتباع الدول النامية لسياسات اقتصادية منفتحة على الغرب والسوق العالمية لتحقيق الازدهار للطرفين !! .

وبرغم هذه المغالطة الواضحة التى لن تزيد الجنوب الا مزيدا من التبعية والفقر والاستنزاف ، فإن الغرب مازال يصر عليها ، ورغم أزمة الديون العالمية وعجز كثير من الدول النامية عن سداد قروضها ، ورغم عجز النظام الاقتصادى العالمى الحالى فى حل مشكلات النمو للشمال ومشكلات التنمية للجنوب ، فإن دول الغرب تصر على تجميد الحوار ، أو السير به فى طريق مسدود . □

●

برجال حيوانات غريبة ، انهم يعلمون أن حصانا ما يستطيع ان يركض أسرع من حصان آخر ، ومع ذلك فإنهم يبعثرون الملايين من الدولارات والدنانير سنويا ليروا هذه الحقيقة البسيطة تتكرر المرة تلو الأخرى .

*العربي - العدد ٣٢٦ - يناير ١٩٨٦

تحـــولات

من قصور الحكام إلى كهوف العلماء

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب*

هل كان العلم .. هو غايه ابن خلدون .. أم كانت غايته هي علم الحياة ؟ وهل عشق الأسفار نفسها لا كتابتها كان الدافع الى رحلته الى المشرق والمغرب .. أم أنه لم يجد سبيلا بعد ذلك الا التفرغ للفكر والتأليف ، طالما ترددت فى الصدر أنفاس .. ؟

تتحدد الملتقيات التى تعقدها وزارات الثقافة والمراكز العلمية فى أقطار المغرب العربى الثلاثة باستمرار حول العلامة العربى « ابن خلدون » . والدافع الى هذا التجدد المستمر هو انتماء العلامة العربى اليها ، والدور الذى لعبه على مسرح أحداثها التاريخية فى عصره . فهو ينتمى بالمولد الى تونس التى كانت تعرف بالمغرب الأدنى ، وبالمقام والمصاهرة الى الجزائر ، وكان يطلق عليها المغرب الأوسط ، كما كتب فيها مقدمته . أما المغرب الأقصى فقد عرفته فاس العاصمة القديمة فى مختلف المناصب التى تولاها [illegible] الى علاقته الوثيقة بالاندلس التي كانت امتدادا [illegible] ، وفى رحابها تنقل بين عاصمة وأخرى فى عصر ملوك الطوائف ، مواصلا نشاطه السياسى والوظيفى .

وآخر المؤتمرات التى نظمت فى الوطن العربى حول فكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، هو الملتقى العلمى والثقافى الدولى الذى نظمته ولاية تيهرت ، الواقعة على مسيرة ثلاثمائة كيلومتر تقريبا من عاصمة القطر الجزائرى .

وقد وقع الاختيار على عقد الملتقى فى هذه المنطقة نظرا لاهميتها فى حياة ابن خلدون العلمية ، إذ تضم أطلال قلعة بنى سلامة التى اتخذها مقرا لخلوته بضع سنين قضاها فى تأليف المقدمة . فكانت بذلك منعطفا حاسما فى تلك الحياة الخصبة ، ومتجولا من السياسة

* أستاذ مادة القانون فى جامعة وهران ، كاتب وشاعر



إلى الدلفين ، ثم منطلقا بعد أن فرغ من كتابة المقامة إلى المشرق .

وإذا كان لمقدمة ابن خلدون فضل اجتذاب الأنظار إلى منطقة تفروت وتيهرت ، فإن لها من المكانة التاريخية ما يجعلها جديرة بالذكر ، إذ كانت تيهرت عاصمة للرستميين وهم من الخوارج الاباضية الذين انتشروا فى المغرب العربى ، بعد أن ذاع مذهبهم الدينى والفكرى ، وأسس زعيمهم عبد الرحمن بن رستم دولة قاعدتها تيهرت ، وقد استمر حكمها منذ ١٤٤ هـ - ٧٦١ م حتى ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م تمكنت خلالها من السيطرة على معظم المغرب الأوسط [illegible] وهران ، وعلى نصف تونس الجنوبى وأغلب ليبيا ، وأسهمت بقيام الدولة الفاطمية .

وتحتوى تفروت على معالم تاريخية تمثل شواهد على الحضارات التى تعاقبت عليها . والمعالم الوحيدة الباقية منها بعد اندثارها هى الكهوف المحفورة فى أحشاء الصخور ، ومنها المغارة أو الكهف الذى أوى إليه ابن خلدون عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٨ م ، ليخلو فيه إلى التأمل والبحث ، وكتابة مقدمة كتابه التاريخى الكبير ، الذى أطلق عليه اسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) .

لقد كانت خلوة ابن خلدون على مدى أربعة أعوام

(١٣٧٤ - ١٣٧٨) فى قلعة بنى سلامة - حيث أبدع تلك الدراسة التى أحدثت ثورة علمية وفلسفية ، تميزت ببعدها وطابعها الفكرى العالمى - ختاما للمرحلة الاولى من مسيرة طويلة ، طوّف فيها بمعظم الممالك التى قامت فى عصره شرقا وغربا ، تطواف سياسى ودبلوماسى يمتاز بالقدرات العقلية النادرة ، والمرونة فى السلوك ، والطموح الى بلوغ أعلى مراتب السلطة . كما يتصف بقوة الارادة والعمل الدؤوب وسعة الحيلة ، والمغامرة فى كثير من الأحوال فى سبيل تحقيق تطلعاته ، التى لم يثنه عنها حتى السجن الذى ألقى فيه ، بعد فشل احدى المؤامرات التى اشترك فيها بتهمة العمل على قلب نظام الدولة ، والاستيلاء على الحكم بالقوة أو الخديعة أو كلتيهما ، كما يسمى فى مصطلح عصرنا . ولولا ما قدر من حظ عظيم للانسانية عامة وللحضارة العربية خاصة لكان هذا العلامة النابغة ، ورجل الدولة الطموح قد لقى حتفه فى احدى مغامراته ، وما كان أكثرها ، مثلما كان مصير كثير من الزعماء واصحاب السلطان فى ذلك العصر وفى غيره من العصور .

واذا كان من المسلم به أن ابن خلدون قد سبق زمانه بعبقريته وابداعه المتمثلين فى مقدمته اكثر منهما فى تاريخه ، بالنظر الى عدم التزامه فى بعض الأحوال بالمنهج والأفكار والقوانين التى جاء بها فى المقدمة ، لأسباب لا محل لمناقشتها فى هذا المقال ، فإنه من الصحيح أيضا أنه كان ابن عصره ، فيما اتسم به من تحولات من موقف سياسى الى آخر ، دون مراعاة الجانب الاخلاقى أحيانا ، وخصوصا الوفاء للصديق أو صاحب الفضل ، الأمر الذى يأخذه عليه كثير من الباحثين . وكأنه - من هذه الوجهة - مرآة انعكست عليها صورة ذلك العصر المتقلب المتفجر قلقا واضطرابا . فما تكاد أن تنشأ سلطة وتقوى حتى تثب عليها قوة معادية فتمحقها ، ثم تدور الدائرة على الغالب ، والويل دائما للمغلوب والمعاناة للشعوب . ويستمر الصراع فى دوامة من الأحداث العنيفة ، حتى يستشرى الوهن فى المغرب العربى وفى الأندلس ، وينتهى الأمر بتلك المنطقة المعروفة بتفاعلها الحضارى الى التردي فى هاوية التفكك والتخلف بعد مجد دام عدة قرون .

عشق المجـــد

رحلة مذهلة حقاً تلك التى قطعها ابن خلدون فى ذلك الزمن البعيد ، الذى لم يكن فيه المسافر يملك غير جواده أو راحلته ، ليقطع بهذه الدابة الفيافى والسهول والبرارى الشاسعة ، وقد يعوزه ما يكفى من الزاد والماء والمتاع . لقد استقبل الحياة ، وتفتحت عيناه على العالم فى تونس ، اذ كان مولده بها سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م ، وودعها فى مصر اذ مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م . وبين هذين التاريخين أمضى عمره الحافل بالتجارب المثيرة ، والعبر المستخلصة ما بين مغرب الوطن العربى ومشرقه ، من أقصاه على المحيط الى ادناه قريبا من الخليج . فاتسمت حياته بكثرة التنقل والترحل ، مما يصدق فيه قول الشاعر القديم (ما آب من سفر الا الى سفر) ، وذلك مثلما تميز مجراها بكثرة التحولات . ولما كان المجد والمعرفة رائديه ، فلا غرو أن كان مشاركا فى الحياة العامة أينما استقرت به النوى .

لم يطل مقامه فى تونس ، اذ هاجر منها الى بكرة بالمغرب الوسيط (الجزائر) ، وتحول عن بكرة ليلقى عصا الترحال فى تلمسان ثم فاس بالمغرب الاقصى ، متقلبا فى هذه البلدان جميعا ، بين مختلف الملوك والحكام ، عاملا فى الوظائف الادارية والسياسية والدينية والعلمية من كتابة للسر والانشاء والتدريس والخطابة والامامة والقضاء والسفارة والادارة - خبيرا بأساليب الاعلام والدعاية لمن يوليه من هؤلاء ثقته فيوليه منصبا مرموقا ، معرضا عمن يأفل نجمه ، أو منقلبا عليه محرضا ومؤلبا للزعماء والشيوخ ، حتى تخلعه عن عرشه وتدين بالولاء لخصمه الذى توسم فيه ابن خلدون القوة ، وتطلع الى العلا فى ركابه ، فدبر معه تدبيرا . فاذا قال قائل معرضا بالرجل : (شنشنة نعرفها من أخزم) ، فإن الرد على ذلك أن العصر كان فى جانبه السياسى المظلم عصر سوء ، فنضح بعض من معينه على شخصية ابن خلدون كما أسلفنا ، وليس هو بنسيج وحده فى هذا التناقض بين العلم والخلق فى بعض الأحيان ، وان ظل حتى الآن متفردا بما حصّله من معرفة متنوعة الآفاق ، وما كشفه من قوانين تحكم الجماعات

البشرية . وكم من عالم بلغ القمة بعطائه الفكرى وانحدر بسلوكه الشخصى الى السفح ، بل الى الحضيض أحياننا ، ولا سيما اذا كان قد ربط حياته مثل ابن خلدون ببلاط السلطان وصار من حاشيته ، أو كان له مثله من الآمال الكبار ، ما يجعله لا يبقى على أحد فى سبيل تحقيقها ، مهما لقى من عناء ومحن . لقد كان هذا المفكر العبقرى يعرف قدر نفسه معرفة الواثق والمعتد بمواهبه وقدراته ، فأراد أن يجد له مكانا لائقا ، فأخطأه الطريق حينا فالزمن كان صعباً وقد خلق الانسان ضعيفا ، والواقع أقوى من المثال فى نفوس الكثرة الغالبة من الرجال . وتلك احدى المعادلات التى استعصى حلها على علماء النفس البشرية ، وذلك العالم الصغير الذى انطوى فيه العالم الأكبر كما قال شاعر قديم حكيم :

أتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وتتابع تحولات ابن خلدون ، فتراه يشد الرحال معجلاً من مدينة فاس التى كانت تحتل مكان الصدارة بين مراكز الاشعاع الحضارى العربى قاصدا الاندلس ، بعد أن حامت آماله فى السلطان الذى تولى بموازرته العرش . ولم تكن الاندلس عنده بالبلد الغريب ، اذ ينحدر من أصلاب أسرة يمانية حضرمية ، نزح فرع منها قديما الى الحجاز ، ومنها الى بلاد المغرب فى أثناء فتح الأندلس أو بعده ، ثم الى اشبيلية ، وذلك فى القرن الثالث الهجرى ، طبقا لأرجح الروايات التاريخية ، بالاضافة الى ما قاله ابن خلدون فى سيرته الذاتية ، التى ضمنها كتابه التاريخى ، اذ عدد فروع شجرة النسب التى ينتمى اليها . وما لبث أجداده أن عادوا الى تونس ، بعد أن انحسر مجدهم فى أشبيلية ، وكانوا قد تقلدوا فيها مراكز رفيعة فى قمة السلطة .

هجرة الى ارض جديدة

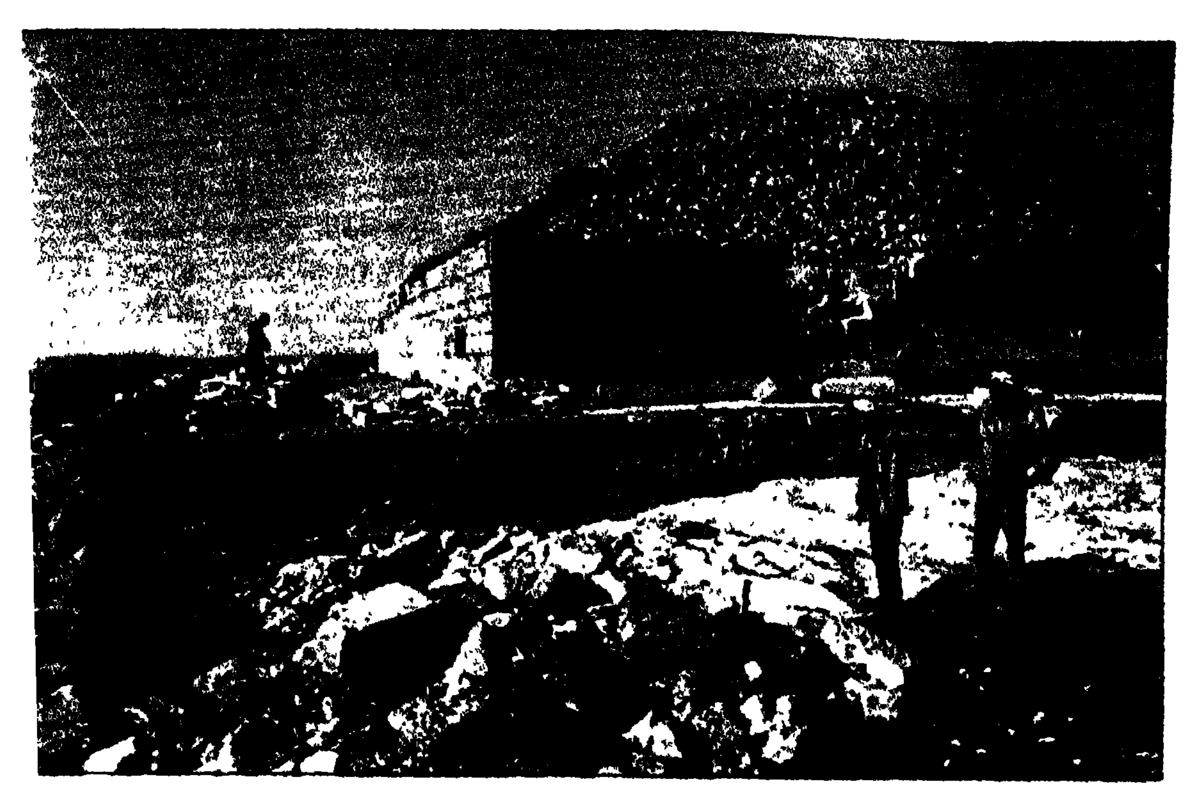
فلم يكن رحيل ابن خلدون اذن الى الاندلس ابتغاء العودة الى الجذور ، أو بدافع الحنين الى وطن الأسلاف والاستقاء من ينابيعه ومبادلته العطاء ، بل كان هجرة الى أرض جديدة تسع أحلامه المجنحة . وهكذا نلتقى بالعالم السياسى الذائع الصيت فى مدينة (سبتة) المغربية الواقعة على البحر الأبيض (استولت عليها اسبانيا ، وكذلك على مدينة مليلة الساحلية ، بعد اضمحلال الدولة العربية بالمغرب وتمزقها ، ومازالت تحتلها الى اليوم) عابرا منها الى غرناطة . فى عصر ملوك بنى الأحمر ، والوزير لسان الدين بن الخطيب صاحب الموشح المشهور .

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس

وأبى طموح ابن خلدون الا أن يودع الفردوس الأندلسى عائدا الى بجاية احدى العواصم الزاهرة فى المغرب الوسيط ، حيث بلغ مأمنه ومطمحه معاً ، اذ استوزره أميرها الحفصى . وكانت الوزارة أخطر المناصب وأجلها قدرا ، وكانت تسمى أيضا الحجابة وصاحبها الحاجب ، وهو من نسميه اليوم الوزير الأول . بيد أن استيلاء والى (قسنطينة) على بجاية كان ايذانا بفرار ابن خلدون الى (بسكرة) . ثم هرب الى ثغر هنين من أعمال ولاية تلمسان ، وتحول عنها مرة أخرى الى بسكرة ، وكأنه الفارس المحاصر ، فلا سبيل له غير الكر والفر ، حتى يجد مخرجا ثم مستقرا . ومن أين لابن خلدون أن يعرف الاستقرار ، وهو يحمل بين ضلوعه فؤاداً متمرداً جسوراً ، وأعباء عالم حّول قُلّبٍ فى فورانه لا يقر له قرار ، وغليانه لا يخمد له أوار .

لقد أمضى فى بسكرة حينا من الزمن عاملا فى مناصرة سلطان المغرب الاقصى . ولكن المقام لم يطب له لكثرة ما جرته عليه المؤامرات وتعاقب الانقلابات من هموم ، وما جلبه عليه اشتراكه فيها من خصومات . وكان رحيله ـ عودا على بدء ـ الى فاس ثم الى غرناطة ، التى كان قد حل بها ثم فارقها منذ سنوات .

وضاقت به السبل فى الحاضرة الأندلسية المتألقة على رحابتها ، حين ضاق به سلطانها ، وتنكر له بعد أن وشى به الواشون ، وأفلحوا فى سعايتهم ، فولى مدبرا الى تلمسان ، وقد فاضت نفسه بالسأم من العمل السياسى ، وما ترتب عليه من اضطراب حياته ، وتغربه الدائم فى آفاق الأرض . فأعمل فكره فى البحث عن موطن يكفل له السكينة ، ويتيح له أن يتفيأ بعض ظلال الأمن النفسى الذى يفتقده . ولا سيما أن التفرغ للتعبير عن خلاصة تجاربه وما اكتسبه



صرائح في منطقة اعتكاف ابن خلدون

من معرفة بالمجتمعات وطبائع الحاكمين والرعية أصبح هاجسه وشغله الشاغل . ولم يكن ذلك التعبير أو التأليف المنشود ليتسق عليه اذا توافر له مقام هادىء . فقد اطلع على نظم الحكم المختلفة وأساليب الادارة والسفارة ، وعرف ماكان يحاك في القصور من دسائس ، بل تمرس بهذه الأساليب جميعا كما أتاح له عمله في القضاء الوقوف على شتى المشكلات الاجتماعية ، من خلال القضايا التي نظر فيها

انقطاع عن الحياة

واسعفته الذاكرة اللمامة والألمعية والخبرة ، فقصد حمية أصدقاء له يسمون بني عريف ، كانوا أصحاب قلعة تسمى قلعة بني سلامة ، وتقع في منطقة تفروت التي أشرنا اليها آنفا ، فأكرموا وفادته ، وأنزلوه بينهم . وهنالك في قمة تلك القلعة كانت نهاية مطاف مضى في عالم السلطة ، وبداية رحلة تأمل وتدوين في عالم الفكر ، أكسبت العالم الجليل نفسه بعد أن كادت تشرد عنه في متاهات السياسة ، كما أكسبت العلم والثقافة والانسانية ذخيرة قيمة كان ومازال لها أثرها في تطور الفكر . وفي هؤلاء الذين أسدوا فضلا الى ابن خلدون باستضافتهم إياه واعتذارهم الى السلطان أبي حمو موسى الزياني في تلمسان نيابة عنه ، اذ كان قد وعده باللقاء في بلاطه ريثما يرتب له بعض المهام ، يقول ابن خلدون في سياق سيرته الذاتية .

« وأحسنوا العذر الى السلطان مني في العجز عن قضاء خدمته ، وانزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين ، فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل ، وشرعت في تأليف هذاالكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة » .

وفي شأن تاريخ تلك القلعة وأصحابها يحدثنا المؤرخون القدامى أن بني سلامة الذين بنوها هم بطن من بطون قبيلة توجين الزناتية في المغرب ، استقروا في عهد عبد القوى التوجيني . واختط زعيمهم « سلامة بن علي » تلك القلعة في عهد محمد بن عبد القوى . وقاوم أبناؤه من بعده سلاطين بني

عبد الواد ، المعروفين بالزيانيين ، وعاصمتهم تلمسان ، الى أن اعترفوا بهم ، فدخل بنو سلامة فى طاعتهم . وآلت القلعة أثناء الاحتلال المرينى الى قبيلة سويد التى أقطعها اياه السلطان أبو عنان ، والحق سليمان بن سعد بن سلامة بجيشه . ثم عادت القلعة بامتيازاتها الى أصحابها فى عهد السلطان أبى حمو موسى الثانى . وأصبحت فى نهاية الأمر لبنى عريف ، اذ خصهم بها هذا السلطان مقابل مؤازرتهم له وما قدموه اليه من خدمات .

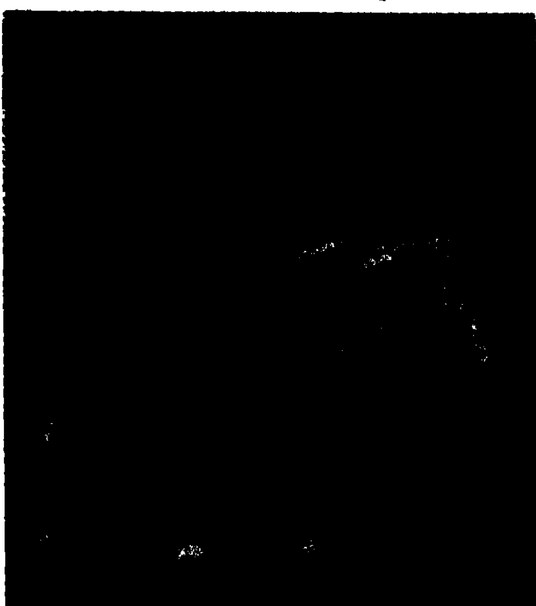
لقد استكمل ابن خلدون (المقدمة) وشرع فى كتابة سفره التاريخى ، ولكنه يفاجئنا كعادته بقطع رحلته العقلية ، قبل أن يتم تاريخه فيستأنف الرحيل ، كأنما يستأنف الحياة ، أو كأنما لم يكفه عالم الفكر الذى يعدل الحياة ويستحق أن يبذل فى سبيله العمر كله . ورحيله هذه المرة كان الى عالم جديد لم يكن له به عهد فقد أراد المزيد من التجارب ليكتمل علمه ، وعيا منه بأن المعرفة بحر لا ساحل له ، وأن المجتمعات التى أولع بدراستها لا تقف عند حدود المغرب العربى والاندلس ، بل هناك مجتمعات أخرى فى المشرق منها ما ينتمى اليه أجداده الأقدمون .

الرؤية الشاملة

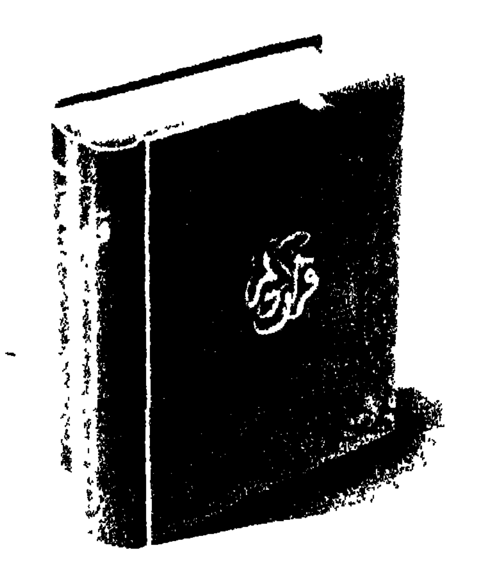
انها شعلة الحياة التى لا تنطفىء فى نفسه ، والرغبة العارمة فى التماس الجديد ، والنزوع الى الرؤية الشاملة ، تلك هى العوامل التى لم تترك له مجالا للاختيار . لا شك أنه يضاف اليها شغفه بالسياسة ، وطموحه الى تبوّء المناصب الرفيعة ، فهو كما تدلنا سيرته ـ لم يكن يجد نفسه الا فى التجربة بل المغامرة ، وهو ابن الحياة المتجدد بتجددها، العاشق لمسراتها وآلامها ، فهدفه هو الحياة ذاتها ، ولا علم عنده الا من خلال الحياة ، منها لا من الابراج العاجية ، التى يلوذ بها بعض المفكرين والمتصوفين بقبس المعرفة والحقيقة . ولولا ذلك لما جاءت المقدمة على هذا المستوى المتفرد من الابداع وسداد الفكر ، ولما حدث بها ثورة علمية وفلسفية ما زالت تستقطب الباحثين فى العالم حولها ، لاستيعاب جوانبها المختلفة والارتواء من معينها الذى لا ينضب . ولولا ذلك أيضا لما بزغ هذا الشهاب الساطع فى ظلمات العصور الوسطى ، وظل من حداة قافلة الثقافات الانسانية ، وهداتها ، حتى نهايات القرن العشرين ، وربما تبقى كثير من أشعته الوضاءة لتنير الطريق لمن بعدنا ، اذا قدر لاهل هذه الكرة الأرضية أن ينجوا من لعنة الجحيم النووى ، التى يلهو بها العابثون من أعداء الحياة والانسان والعدالة والتقدم .

على أن هذا الدرس الذى يقدمه لناابن خلدون فى فهمه للعلاقة بين العلم والحياة ليس هو القول الفصل المستفاد من مسيرة حياته ، فثمة عبرة بالغة الأهمية نستخلصها من هذه السيرة . فلقد عاصر مرحلة تاريخية اتسمت بفرقة الملوك والحكام ، وتصفيتهم بعضهم لبعض ، حتى فى الاسرة الواحدة بين الأخ وأخيه والولد وعمه فى سبيل الاستحواذ على السلطة . ولكن الشعوب العربية الاسلامية التى حكمتها الفرق والأسر والعروش المتصارعة ، لم تعرف فيما بينها الانقسام والتفكك ، فى ظل الدويلات التى تحولت الى فسيفساء من فرط تشرذمها ، حتى استقل كل حاكم بمدينة ، ونصب عليها نفسه ملكا ، وولاها أولاده من بعده حتى جاء الطوفان . والظاهرة الخلدونية فى التنقل شرقا وغربا بين أفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى والأندلس كأنها تشكل دولة واحدة لا عديدا من [illegible] ، ثم السفر منها الى مصر ثم دمشق تمثل [illegible] على هذه الحقيقة التاريخية ما أحدرنا أن [illegible] عبرتها الآن وقبل أن نعود القهقرى لنتحول الى فسيفساء عربية يغمرها الطوفان [illegible] أخرى ، وهذا درس التاريخ وعبرته . □

الغار الذي يعتقد ان ابن خلدون اعتكف به







بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) النحل ١٢٥ ـ ١٢٧

هزم جيش المسلمين في وقعة أحد ، وشرعوا في حمل قتلاهم لدفنهم ، وشُغلت النساء بسقاية الجرحى ومداواتهم ، وجاءت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم الى أبيها تداوي جرحا أصاب وجهه ، وتنثر الرماد عليه حتى يستمسك الدم فاذا به يهتف بحنان : « ما فعل عمي ؟ ما فعل عمي حمزة ؟ » .

فمضى علي بن أبي طالب يبحث عنه ، حتى وجده مقتولا في بطن الوادي ، وقد بُقر بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه فلما قدم الى رسول الله بالخبر ، مشى الى مكان الجثة حتى وقف عليها ، فأجهش بالبكاء . ثم قال . « ما وقفت موقفا قط أغيظ الي من هذا الموقف ، ولن أصاب بمثله أبدا . لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم ! » كذلك فانه لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم من تبقير البطون والمثلة السيئة ، قالوا : « لئن أظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ونفعلن » .

فأنزل الله على رسوله هذه الآيات الكريمة تبين أنه مما لا يليق بالمؤمنين أن يحذوا حذو المشركين في سلوكهم الهمجي ، وتنهى عن المثلة ، وتأمر بالصبر على الأذى ، والتجلد عند النوازل .

بل ان الآيات لتمضي الى ما هو أبعد وأخطر من ذلك . فالنبي صلى الله عليه وسلم محنق غاضب ، كما لم يحنق أو يغضب من قبل ، والمسلمون قد ملأ صدورهم الغيظ مما صنع أعداؤهم من أهل مكة ، والجميع قد غلبت عليهم الرغبة في الانتقام ، مما أصاب أحباءهم وأقرباءهم واخوانهم في الدين ، ثم

تأتي الآيات لتذكرهم ان كانوا قد نسوا بأن الأحقاد الشخصية لا ينبغي أن يكون لها مكان ، وهم في سبيل تحقيق الهدف الأسمى الذي حدده سبحانه وتعالى لهم ، وهو نشر مبادىء الدين القويم ، ولا ينبغي أن تنسي المؤمنين - مهما بلغ غيظهم وضيقهم بمكر الكافرين - أن خير طرق الدعوة الى هذا الدين هو الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن .

وقد نسي مسلمو زماننا هذا ، من بين ما نسوه مما أمرنا به الله عز وجل ، ورغم تلاوتهم القرآن غدوة وعشية ، وما تضمنته هذه الآيات الكريمة من تعاليم ، لا تجاه من يخالفهم في الدين فحسب ، بل وتجاه غيرهم من المسلمين أيضا . فما من خلاف في الرأي يثور حول مسألة تتصل بالدين ، الا كان من الصعب على عامة الناس عندنا وعلى علمائهم وفقهائهم على السواء أن يناقشوا الأمر في هدوء ، ودون انفعال ، ودون سباب وتخوين ، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن وقد أضحى من النادر أن يصبر مسلم على الاستماع الى وجهة نظر دينية من مسلم يخالفه ، وأن يعرض قضيته عرضا موضوعيا نقديا . وغدا الأسلوب الشائع عندنا في الجدال والنقد هو أن يتهم الكاتب صاحب الرأي بأنه جاهل أو مبتدع أو كلاهما . أو يتهمه بأنه يحاول الكيد لهذه الأمة في دينها وعقيدتها وأنه يعمل على تمكين الأعداء من النيل من المسلمين ، وتدمير كيانهم واستباحة أوطانهم وحرماتهم . .

لقد استقر في المجتمعات المتحضرة منذ أمد بعيد ، مفهوم يرى المفكر ونقاده شركاء في مهمة واحدة ، هي توسيع مدارك القراء وفهمهم وتنمية معارفهم ، وتمكينهم من تكوين نظرة سليمة الى الأمور . والمفكر في تلك المجتمعات يدرك عادة - ما لم يكن مفرط الحساسية - أن عليه أن يكون شديد الامتنان للمساعدة التي يقدمها النقاد له ، بتنبيههم اياه الى أخطاء وقع فيها ، أو أوجه قصور تعتور فكره ، كذلك يدرك الناقد أن الافتقار الى الموضوعية في مجال الفكر أمور كفيلة بأن تهدم سمعته لا سمعة موضوع النقد . أما في بلادنا فان القاعدة التي لا يستثنى منها غير القليلين ، فهي أن الناقد المادح مأجور ، والناقد القادح مسحور . فأما المدح الناجم عن اعتراف بفضل جاء أو توقع لفضل قد يجيء ، فأمره يسير العزم . وأما القدح المسعور ، والسباب غير المأجور ، والتشنج ازاء الفكرة الجديدة ، والمبادرة الى الاتهام بفساد العقيدة ، والانتقال من تسفيه الفكرة الى الطعن الشخصي دون مبرر ظاهر غير اختلاف الرأي ، فأمر يتعذر فهمه الا على ضوء طبيعة تكويننا ، واغفالنا لمقاصد القرآن الكريم ، وعصياننا لوصيته تعالى أن ندعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل من يخالفنا في الرأي بالتي هي أحسن .

لقد سبق للشيخ محمد عبده أن وصف الأوروبيين بأنهم قوم غير مسلمين ، قد ألزموا أنفسهم بما أوصى الاسلام به ، ووصف أهل أقطارنا بأنهم مسلمون قد حادوا عن تعاليم الاسلام . وما أحسبه الا كان مصيبا فيما ذهب اليه . □

لاتشاور هؤلاء

قال قس بن ساعدة الايادي

لاتشاور مشغولا وان كان حازما ، ولا خائفا وان كان فهما ، ولا مذعورا وان كان ناصحا .



الثروة السمكية وقانون البحار

كانت الشركات الأجنبية توهم الدول النامية
بأن مواردها من الثروات السمكية غير محدودة
ولا تتأثر بالاستغلال ، وتقوم تبعا لذلك
بالتمركز على سواحلها وممارسة الصيد دون
رقابة تذكر ، فهل حقا ان الثروة السمكية غير
ناضبة ؟ والى أي مدى يصدق هذا الافتراض ؟



بقلم : علي عبد الأمير*

* باحث في علوم الأسماك ومصادر الثروة البحرية
بوزارة الثروة السمكية ـ عدن

ان ما شهدته السنوات الماضية أثبت عدم واقعية هذا الافتراض ، وذلك من خلال انخفاض معدلات الصيد في الكثير من المناطق ، وتدهور مخزونات بعض الموارد البحرية بشكل كبير ، بحيث وضعها على حافة الانهيار .

استهلاك .. وافراط

ان هذا الانخفاض في معدلات الصيد السنوية يأتي انعكاسا لسببين رئيسيين هما :

ـ التركيز على اصطياد الأسماك التقليدية ، وعدم البحث عن أنواع جديدة أخرى ، بحيث ان اجمالي الكمية المصطادة سنويا من الأسماك التقليدية تقدر بحوالي (٥٠) مليون طن من اجمالي الانتاج السنوي الكلي ، الذي يبلغ حوالي (٧٣) مليون طن ، أي أن نسبة الأسماك التقليدية المصطادة تساوي (٧٠٪) من اجمالي الانتاج الكلي .

ـ تجاوز الكميات الثابتة السنوية ، بحيث يتم تكثيف الاصطياد على مناطق محددة ، وبالتالي ينتج تدهور مراعي الأسماك وتعرية بيئتها ، نتيجة استخدام قوارب الجر الحديثة والكبيرة .

وعلى سبيل المثال انخفض انتاج منطقة شمال غرب المحيط الاطلسي ، من ثروته عام ١٩٧٣ ، حيث بلغ (٤,٥) مليون طن الى (٣) ملايين طن عام ١٩٧٧ .

وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ، انخفض اجمالي الانتاج من (١,٣) مليون

طن عام ١٩٧٦ الى (١٫٢) مليون طن عام ١٩٧٧ وبنسبة (٩٪)

وفي منطقة شمال غرب المحيط الهادي تكالبت الشركات الاحتكارية لاصطياد - بلوق الاسكا - والذي ازدادت كميته المنتجة بشكل انفجاري ، من (مليون) طن عام ١٩٦٥ الى (أربعة) ملايين طن عام ١٩٧٣ ، ويعتبر ذلك أقصى استغلال لهذه المسامك ، حيث تدهور الانتاج في السنوات اللاحقة لعام ١٩٧٣

وهناك نموذج واضح للاستغلال المفرط ، وهو ما جرى في مصايد - الروبيان - على طول سواحل الخليج العربي ، حيث قدر محصول - الروبيان - في المنطقة الذي ازداد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ من (٣) آلاف طن الى (٣٠) ألف طن في عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، وبسبب كثافة عمليات الاصطياد فقد انخفض اجمالي المحصول الى (١٣) ألف طن (الوزن مع الرأس) وذلك لزيادة عدد قوارب الصيد ، وتجاوز الحد الاقصى الممكن اصطياده ، ونتيجة لهذا التدهور في الانتاج فقد اضطرت القوارب العاملة الى الاصطياد في مناطق بعيدة ، وصفّت بعض الشركات أعمالها نتيجة الخسائر الناجمة ، عن تدني الانتاج

ان هذا التدهور في مخزونات معظم الأسماك والأحياء المائية وبالأخص التجارية منها كان نتيجة طبيعية للاستغلال الجائر الذي لم يراع بناء المخزونات ، أو التأثير السلبي على الاحتياطي عند تجاوز الحد الاقصى المقرر اصطياده ، وهذا يتسق مع الزيادة السنوية السريعة للفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٩ حيث بلغت الزيادة السنوية حوالي (٧٪) ، أما في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى الآن فإن الزيادة السنوية لا تتجاوز (١ - ٢٪) فقط ، بل وتتأرجح في هذه الحدود .

ان هذا الوضع يعطي مؤشرا واضحا على أنه لم تعد هناك مخزونات كبيرة غير مستغلة استغلالا كاملا من الأصناف التي اعتيد صيدها بسهولة ، وتسويقها بطرق ملائمة ، والتي كانت تتيح فرص التوسع السريع في الخمسينيات والستينيات .

ان التوسع الحالي في أساطيل الصيد الحديثة يطرح بشدة ضرورة التوسع في مجالات الأبحاث والتنقيب عن أنواع أخرى من الأحياء البحرية ، واستغلال ما هو غير مستغل ، اضافة الى ضرورة تنمية مشاريع تربية الاسماك .

بين البحار والأنهار

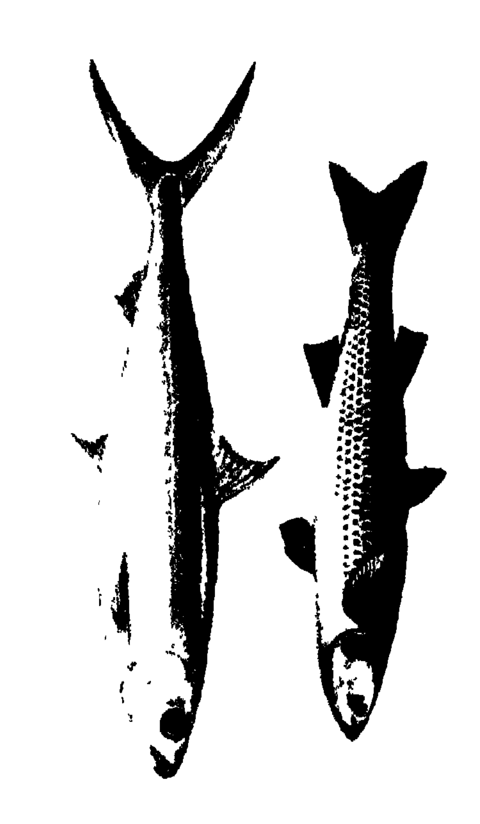
وعند تمحص طبيعة الانتاج السمكي في العالم ، يتضح أن حوالي (٨٥٪) من الانتاج يتم الحصول عليه من البحار ، وتشكل الأسماك السطحية مثل (الانشوجة ، الرنجة ، الماكريل ، التونة) حوالي الثلثين ، أما الأسماك التي تعيش في الأعماق ، والتي تسمى بالأسماك الراقدة مثل : (القد ، البهمك المفلطح . . السخ) فتشكل الكمية المتبقية من الانتاج ، مع نسبة حوالي (٨٪) من اللافقريات ، كالرخويات (الحبار) و (الأخطبوط) و (الصيدج) ، والقشريات (الحمبري ، اللوبستر والسرطان البحري) .

وتوجد معظم الموارد السمكية البحرية ضمن نطاق (٢٠٠) ميل من الشاطىء ، غير أن القليل من الموارد الحية في المحيطات هو الذي يستغل ، ومعظمها من التونة والحيتان ، كما يوجد بعض من هذه الموارد ضمن حدود الـ (٢٠٠) ميل أيضا ، ويبلغ الانتاج من المياه الداخلية كالأنهار وروافدها والبحيرات والخزانات حوالي (١١) مليون طن سنويا ، وهو لا يزيد الا بشكل بطيء جدا ، لأنه يتأثر كثيرا من استخدام أحواض الأنهار في توليد الطاقة ، وبناء السدود وأغراض الري .

وقد شهدت سنوات ما قبل عام ١٩٧٠ توزيعا غير عادل لكميات الانتاج السنوية ، ضمن اجمالي بلدان العالم المنتجة للأسماك ، والبالغة (١٦١) بلدا ، فإن هنالك بضعة بلدان تحتكر الكمية الأكبر من الانتاج ، ومعظمها من البلدان الصناعية .

- على سبيل المثال - بلغ نصيب البلدان النامية من اجمالي الانتاج نسبة (٢٧٪) ، أما مساهمة البلدان الصناعية (التي لا تتجاوز سبعة بلدان) والتي تحترف الصيد تقليدا فقد شكلت نسبة (٦٣٪) وذلك عام ١٩٧٠ .

ومنذ مطلع عام ١٩٧٧ بدأت الفجوة تتقلص



الاسماك   ثروة وغذاء !



صيد الأسماك بالتحليق أثبت جدواه في البلدان النامية

بشكل تدريجي ، ففي عام ١٩٧٧ كان نصف البلدان العشرة الأولى في مجال صيد الأسماك من البلدان النامية ، وتحصل البلدان المتقدمة بصيد الأسماك على نسبة (٥٤٪) من اجمالي متوسط الانتاج العالمي من الأسماك ، رغم أن الفجوة ما زالت قائمة نسبيا ، وذلك عند المقارنة بين انتاج الاتحاد السوفيتي واليابان مع البلدان الأخرى ، حيث يحصل الاتحاد السوفيتي واليابان على أكثر من (٢٧٪) من الانتاج العالمي .

وعند مقارنة بيانات (الجدول رقم ١) مع اجمالي انتاج العالم من الأسماك والأحياء المائية ، تتضح مرة أخرى اختلافات التوزيع . حيث بلغ مجموع انتاج تسعة عشر بلدا الموضحة في (الجدول رقم١) (٥٤,٧)مليون طن ، أي بنسبة تزيد عن (٧٦٪)من اجمالي الانتاج العالمي ، والبالغ لنفس العام حوالي (٧٢) مليون طن . وتساهم البلدان الاخرى والبالغة (١٤١) بلدا بمقدار (١٤) مليون طن ، وبنسبة أقل من (٢٠٪) من اجمالي الانتاج العالمي ، ومعظمها من البلدان النامية .

تجارة الأسماك

يتم اصطياد اجمالي المحصول العالمي بواسطة (٢٠) ألف سفينة صيد ، يتراوح اجمالي الوزن المسجل لكل منها ما بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن ، ويبلغ اجمالي الأطنان المسجلة (١٢) مليون طن .

وتشكل السفن التي تتراوح حمولتها من (١٠٠) الى (٤٩٩) طنا نسبة (٨٠٪) من الأسطول العالمي ، ويتألف الباقي من حوالي (٣) ملايين سفينة وزورق صغير ، يقل الوزن الاجمالي المسجل لمعظمها عن خمسة أطنان ، وأغلبها غير مزودة بمحركات .

وتوفر مصايد الاسماك في العالم فرصا للعمل لحوالي عشرة ملايين صياد ، وليس ذلك فحسب ، بل هنالك العديد من النشاطات المتصلة بصيد الاسماك ـ كالتصنيع والتسويق ـ التي تمتص أعدادا كبيرة من العمالة ، خصوصا في المناطق الساحلية .

وتتبع معظم سفن صيد الأسماك التي يتراوح وزن كل منها بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن الى البلدان الصناعية ، أما البلدان النامية فإن نصيبها الجزء الأكبر من القوارب الصغيرة التي تكون غالبا بدون محركات .

كما أن البلدان المتقدمة بصيد الأسماك لا تسيطر على مناطق الانتاج في العالم فحسب ، وانما على التجارة الدولية للأسماك ومنتجاتها ، ففي عام ١٩٨٠ أصبحت كندا أكبر الدول المصدرة لمنتجات الاسماك ، اذ اقتربت قيمة صادراتها من (١٠٠٠) مليون دولار أمريكي ، تلتها الولايات المتحدة الامريكية التي زادت صادراتها بنسبة (٧٧٪) عن عام ١٩٧٩ ، وتحتل اليابان المرتبة الرابعة بعد النرويج

وتصدر بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما قيمته (٢٠٠٠) مليون دولار من منتجات الاسماك سنويا .

وفي نطاق الواردات فإن اليابان تتربع على المركز الأول في العالم ، حيث أنفقت عام ١٩٨٠ ما قيمته (٣٠٠٠) مليون دولار على واردات الأسماك ومنتجاتها وتلتها الولايات المتحدة الامريكية في المرتبة الثانية كما استوردت بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية (٣٧٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك للعام ذاته

ويبدو من خلال هذا العرض الموجز أن بضعة بلدان تحتكر انتاج الأسماك ، وتسيطر على تجارتها الدولية

قانون البحار

من المتوقع في السنوات القادمة أن يرتفع الانتاج لدى البلدان النامية ، بينما يتأرجح انتاج البلدان التي تعمل أساطيلها في المياه المفتوحة وسواحل البلدان النامية

وانسجاما مع ذلك فإن انتاج الأساطيل الأجنبية التي تعمل على سواحل البلدان النامية سوف يهبط بشكل ملحوظ ، بعد أن كان هذا الانتاج يعادل حوالي (٩٪) من اجمالي المحصول السمكي العالمي

فقد بلغ اجمالي الكمية المصطادة من الأسماك والأحياء المائية لجميع بلدان العالم (٦٣٫١) مليون طن ، وذلك عام ١٩٧٢ ، منها حوالي (١٦٫٥) مليون طن ، تم الحصول عليها من مصادر غير محلية ، أي خارج المناطق الاقليمية للبلدان المنتجة ، وبلغت الكمية التي تم اصطيادها من سواحل البلدان النامية (٥٫٥) مليون طن (وهذا يعادل حوالي أربعة أمثال انتاج البلدان العربية مجتمعة في الوقت الحاضر) .

ان ذلك يوضح بشكل لا يقبل الشك مدى النهب الذي تمارسه الشركات الأجنبية لثروات البلدان النامية ، وهو جزء من الموقف الاستعماري الاستغلالي ، سعيا لاستنزاف المزيد من موارد البلدان النامية وتجويع شعوبها

وتسعى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٥٨ لايجاد تسوية عادلة بشأن استغلال الموارد المائية الحية على النطاق العالمي ، وحماية سواحل وثروات البلدان النامية .

وكان أول مؤتمر للأمم المتحدة حول قانون البحار هو المؤتمر الذي عقد في (جنيف) عام ١٩٥٨ ، وأسفر عن عقد خمس معاهدات ، تشكل عنصرا هاما في قانون البحار الحالي ، وتتعلق هذه المعاهدات بما يلي :

١ ـ المياه الاقليمية .
٢ ـ أعالي البحار
٣ ـ الصيد
٤ ـ حماية الثروات الحية لأعالي البحار .
٥ ـ الجرف القاري

اضافة الى معاهدة سادسة حول التسوية الالزامية للمنازعات .

الا أن هذه المعاهدات لم تجد الأرضية الصالحة للتطبيق ، بحكم التبعية التقليدية للبلدان الاستعمارية ، واشتداد حدة السعار بين الشرق والغرب .

الا أن مفترق الطرق برز بوضوح في الستينيات من القرن الحالي ، حيث حصلت العديد من البلدان النامية المستعمرة على استقلالها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ففي مطلع السبعينيات أصبحت مشكلة نقص امدادات الأغذية من أهم المشاكل التي تطرح في المؤتمرات واللقاءات الدولية ، نتيجة تحكم حفنة من البلدان في انتاج وتسويق المواد الغذائية ، ورفع الأسعار بشكل جنوني ، سعيا للضغط وارضاخ البلدان النامية ، في هذا الصدد قال وزير الزراعة

الامريكي بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين البلدان العربية والكيان الصهيوني « ان العداء هو السلاح الأكثر فعالية بيد الدبلوماسية الامريكية ، ولا يستطيع العرب أن يقاوموه » !

وإزاء هذا الوضع المتأزم ، وانتهاء بالمصادمات وتوتر بعض العلاقات الدولية ، بسبب الانتاج السمكي ، وأبرزها الحرب التي نشبت بين بريطانيا وايسلندا ، التي سميت بـ (حرب السمك) ، في هذا الوقت بالذات ، اجتمع مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار في (كاركاس) عام ١٩٧٤ ، واستمرت المفاوضات للتوصل الى معاهدة بشأن قانون البحار ، لضمان الوصول المتكافىء الى الثروات الواسعة في البحار والمحيطات ، التي تشكل الثروة السمكية احدى مكوناتها الأساسية

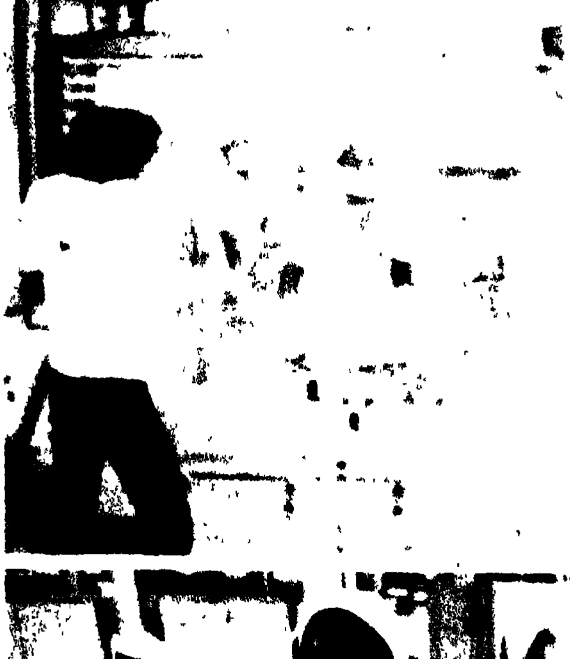
وفي عام ١٩٧٧ تكللت الجهود بصدور قانون البحار ، الذي أصبح معترفا به من جميع بلدان العالم تقريبا

ولقانون البحار أهمية كبيرة من خلال اتاحة الفرص للبلدان النامية ، لاستغلال ثروتها المائية الحية بنفسها

وقد أشار الامين العام للامم المتحدة في خطابه الافتتاحي ، للدورة السادسة لمؤتمر قانون البحار ، المنعقد بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، الى أنه (ينبغي النظر الى المؤتمر ، باعتباره جزءا من النشاطات الجارية في منظمة الأمم المتحدة ، لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، والبحث عن نظام اقتصادي أكثر انصافا على النطاق العالمي)

ومنذ صدور قانون البحار وقف العديد من البلدان النامية في وضع تحدّ أمام استغلال الموارد السمكية في مياهها الاقليمية بنفسها ، فبعضها لا تمتلك في الوقت الحاضر لا القدرات الفنية ولا الخبرات اللازمة للاستفادة من الفرص المتاحة أمامها بشكل كامل ، حيث تعاني من النقص الشديد في المعلومات المرتبطة بأهم المجالات ، وبالأخص تقدير المخزونات وأساليب وطرق الصيد الحديثة . وكذلك النقص الشديد في الخبرات المرتبطة بادارة المصايد ، اضافة الى افتقار بعضها الى الرأسمال اللازم لبناء أساطيل الصيد الحديثة ، ومعامل التصنيع والمنشآت السمكية







في الأونة الأخيرة بدأت صناعة تعليب الاسماك تشق طريقها في البلدان النامية

الأخرى ، أي عدم القدرة على بناء القاعدة المادية الضرورية للتطور اللاحق

حذار من الشركات الأجنبية

وفي خضم هذه الأوضاع اتجهت البلدان التي تملك أساطيل الصيد في المياه البعيدة للدخول في نشاطات مشتركة ، أو للحصول على تراخيص للاصطياد على سواحل البلدان النامية

الا أن طبيعة وأبعاد هذا الاستغلال الجديد لا تنفصل عن النهج السياسي ، وطبيعة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدى أي من البلدان النامية

فالبلدان التي تنتهج طريق التغييرات الاقتصادية والاجتماعية لصالح شعوبها ، استطاعت ادارة واستغلال مواردها بشكل رشيد ، وحققت وتائر مرتفعة في الانتاج السنوي ، انسجاما مع نهجها في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية

كما أن العديد من البلدان النامية ذات النهج الجذري في الاستفادة من مواردها السمكية ، غير قادرة لهذا السبب أو ذاك على الاستفادة من جميع الموارد الحية المتاحة في سواحلها ، وطالما أن هذه الموارد تتجدد باستمرار فهي تحقق الاستفادة من منح تراخيص للاصطياد للبلدان الأخرى ، للعمل على سواحلها ، أو العمل المشترك في المرحلة الراهنة على الاقل ، وللأنواع السمكية غير المستغلة ، أو التي لم تستغل بشكل كامل ، وتسعى دائما الى ايجاد السبل الكفيلة لتنمية مصايدها المحلية وقدراتها الذاتية ، من أجل الاستغناء عن تلك البلدان أو الشركات

الا أن بعض البلدان النامية التي لا تمتلك الرؤية السليمة لتحديد مسارها السياسي والاقتصادي ، فتحت سواحلها كاملة أمام الشركات ، ويجري استغلال ثروتها المائية الحية بشكل أشد ضراوة من السابق مقابل عوائد بسيطة لا تكاد تذكر

كما تحاول هذه الشركات استغلال الموارد السمكية على سواحل بعض البلدان النامية تحت واجهات وحجج مهلهلة ، منها ـ على سبيل المثال ـ أن هذه البلدان لم توسع نطاق حمايتها على سواحلها الاقليمية لمسافة (٢٠٠) ميل

ان هذه الشركات ذات الطبيعة الأخطبوطية قادرة بسبل مختلفة على النفاذ والتغلغل الى العديد من البلدان النامية ، بما فيها المتحررة سياسيا بأشكال ووجهات مختلفة ومتنوعة

وهي تستهدف بأي حال من الأحوال تحقيق أقصى الأرباح على حساب الغير ، وتحت ستار تقديم بعض القروض والمشاريع العقيمة للبلدان النامية ، من أجل استمرار نشاطها وتوسعها ، وبقاء البلدان النامية بشكل خاص في قبضتها . وتزيد الشركات الاستغلالية عبر فروعها المتعددة والمنتشرة في معظم أنحاء العالم على تركيز نشاطها واستغلالها للموارد السمكية في بلدان أمريكا اللاتينية ، بحكم موقعها على مشارف المحيط الهادي ، الذي يعتبر أغنى محيطات العالم اكتنازا بالموارد السمكية ـ حيث يساهم المحيط الهادي بنسبة (٥٠٪) من اجمالي الانتاج العالمي سنويا

الأسماك والتغذية

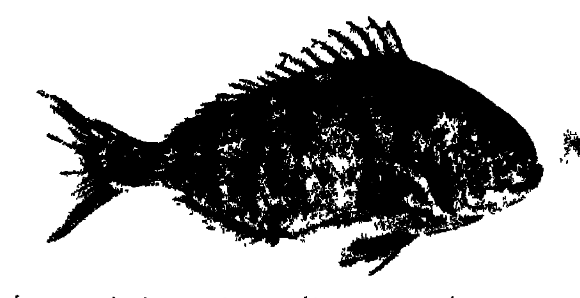
لا تشكل الأسماك في الوقت الحاضر سوى دور ضئيل في اقتصاديات معظم البلدان ، ولكنها تسهم بدرجة كبيرة في امدادات الاغذية ذات القيمة الغذائية العالية ، وأيضا في عمالة سكان المناطق الساحلية ، وايرادات النقد الاجنبي .

واذا كانت البحار والمسطحات المائية تشكل حوالي ثلاثة أرباع الكرة الارضية ، فان الأغذية المستخرجة من هذه البحار لا تساوي سوى (١٠٠٠/١) من كمية الأغذية المستخرجة من اليابسة .

ويبلغ متوسط الزيادة السنوية لانتاج الأغذية في العالم خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ حوالي (١,٦٪) أي أقل بكثير من معدل نمو السكان .

ان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام امكانية انتاج المزيد من الغذاء ، بل هناك امكانيات كبيرة جدا تسخر لأغراض أخرى غير أغراض انتاج الغذاء وأهمها سباق التسلح .

وبالمقابل فقد أشار المسح الغذائي العالمي الرابع



الذي أجرته منظمة الأغذية والزراعة العالمية ، على أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية في بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى والأدنى قد واصل ارتفاعه من حوالي (٣٦٠) مليون انسان في الأعوام ١٩٦٩ - ١٩٧١ الى (٤١٠) ملايين في الفترة ما بين ١٩٧٢ - ١٩٧٤ والى (٤٢٠) مليونا في الفترة ما بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ، ويلاحظ أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية (الجوع الظاهر) يزداد بشكل مطرد سنويا ، وأشار هذا المسح أيضا الى أن نسبة هؤلاء السكان تشكل (٢٢٪) من مجموع سكان تلك البلدان ، أما بالنسبة الى السكان الذين يعانون من سوء التغذية فيشكل عددهم نسبة أكثر خطورة

ويخفي هذه الأرقام في طياتها المحنوة الواسعة داخل كل بلد على حدة ، حيث يوجد جزء كبير من السكان محروم من الغذاء ، بسبب عدم تعادل توزيع الحصص الغذائية وتفاوت الدخل ، كما يزداد خطر الجوع الظاهر والجوع المستتر مع زيادة حجم الأسرة ، ويتناسب عكسيا مع دخل الفرد

ان المواصفات الغذائية الفريدة التي تتمتع بها الأسماك أكسبتها أهمية خاصة في مكافحة سوء التغذية ، والافتقار الى البروتين والطاقة ، لا سيما في فترات الطفولة وقد قدرت بعض الدراسات أن جسم الانسان يحتاج الى حوالي (١٨) كيلو غراما سنويا من البروتين الحيواني ، لكي يحافظ على صحته البدنية والعقلية ، ولهذا السبب يلاحظ أن العديد من البلدان المتقدمة تعطي اهتماما كبيرا لزيادة توفير الأسماك للمستهلكين

وتعد الأسماك المصادر البروتينية المهمة في تغذية الانسان

وتساهم الأسماك في بعض البلدان بنسبة (٥٠٪) الى اجمالي البروتين المستهلك في الغذاء ، وتقدم الأسماك حوالي (٦٪) من امدادات البروتين في العالم ، وحوالي (٢٤٪) من امدادات البروتين الحيواني ، مقابل (٤٠٪) من البروتين الذي يتوفر في جميع أنواع اللحوم على النطاق العالمي .

وتختلف مساهمة بروتينات الأسماك باختلاف البلدان ، حيث تبلغ (١٦٪) من البروتين الحيواني في البلدان الاشتراكية ، وحوالي (٣٦٪) في بلدان الشرق الاقصى ، وحوالي (٢٢٪) في بلدان التخطيط المركزي في آسيا

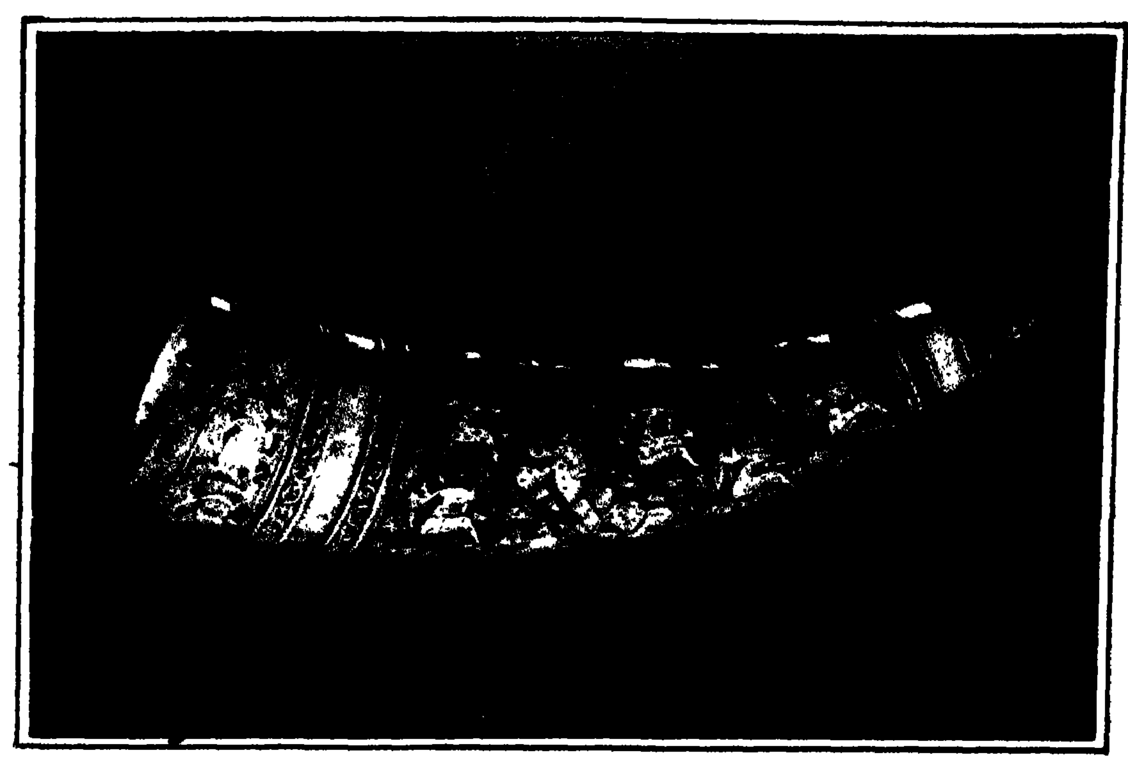
وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من البروتين تتراوح بين (٢٠٪) الى (٩٠٪) من الوزن الجاف ، وبذلك تحتل الأسماك مركز الصدارة في ارتفاع كمية البروتين في محتواها ، عند مقارنتها بمصادر البروتين الأساسية ، فهي كل (١٠٠) غرام من لحوم الأسماك تحتوي على (١٨,٥٪) بروتين ، وفي لحوم الأبقار (١٦,٥٪) ، وفي البيض (١٣,٥٪) ، أما اللبن فيحتوي على (٣,٨٪) من البروتين

ويعتبر بروتين الأسماك ذا قيمة حيوية عالية نظرا لاحتوائه على الأحماض الأمينية ، التي تحتوي على نسبة عالية من الليزين والكبريت الأساسيين في تغذية الانسان ، وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من الدهون تتراوح بين (٠,٣٪) الى (٢٥٪) ، وهي تختلف تبعا لنوعية الأسماك ، فمثلا تشكل نسبة الدهن في الساردين حوالي (٧٪) ، وفي القرش (٩٪) وفي الرنجة (١١٪)

وفي دهن الأسماك نسبة عالية من الأحماض المتعددة غير المشبعة ، ومن مميزات هذه الدهون كونها لا ترفع كمية (الكولسترول) في دم الانسان وتحتوي دهون الأسماك وكبدها على كميات مهمة من الفيتامينات الضرورية لجسم الانسان ، كفيتامين (أ) و (د) و (ب) ، كما تعتبر لحوم الأسماك من المصادر الغنية بالعناصر المعدنية ، وخاصة الكالسيوم والفوسفور والحديد وغيرها

ومع هذه الأهمية الغذائية التي تكتسبها الأسماك ، فقد ازدادت الكمية المخصصة للغذاء البشري ، على حساب الصناعات الأخرى ، وهي تشكل أساسي صناعة مسحوق وزيت الأسماك

فقد ازدادت الكمية المخصصة للاستهلاك البشري من الأسماك من (٣٢) مليون طن عام ١٩٦٠ م ، الى (٤٠) مليون طن عام ١٩٧٠ ، والى (٤٩) مليون طن عام ١٩٧٩ ، وأخيرا (٥٠,٥) مليون طن كمعدل للسنوات الثلاث الاخيرة . □



بوق (أوليفان) من العاج صنع في صقلية .



عام للفنون والحضارة الإسلامية في السويد

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

« في أقصى الشمال .. في بلاد الحرية والصقيع والتقدم .. في السويد .. أقيم مهرجان كبير للاحتفال ببدء عام الفنون والحضارة الاسلامية . ولماذا الاحتفاء به ، وكيف كان الاحتفال ، وماذا قدم فيه ؟

كل ذلك يعرضه كاتب هذا المقال .

ما الذي نعرفه عن السويد وما الذي تعرفه السويد عن حضارتنا وفننا ؟ :



مدخل المعرض الرئيسي ، وترى أعلام الدول العربية والاسلامية تغطي سماء المدخل .

ما الذي نعرفه عن السويد . . ؟ سؤال لابد أن يطرح ، وقد يكون الجواب مرتبطا بما علق بذهننا من ذكريات الدراسة التاريخية أو الجغرافية .

ما الذي نعرفه عن السويد التي تعد واحدة من أهم أعضاء المجموعة السكندنافية ، المؤلفة من خمس دول ، والتي بلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف ، وتبلغ مساحتها ٤٥٠ الف كم مربع ، وعاصمتها استوكهولم المؤلفة من عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة .

ما الذي نعرفه عن السويد منذ بداية تاريخها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين . . ؟

عندما أقام فيها « الفايكنغ البرابرة » ، ثم عندما ظهرت فيها بعد قرن الكتابة المأخوذة عن الالمانية ، وظهر الدين المسيحي الذي انتشر عن طريق انجلترا .

حديث طويل لابد من متابعته عبر المصادر والكتب ، ولكن السويد الحضارة ترى واضحة أمام من زارها : شعب دمث يحترم الواجب والقانون ، ويهتم بالثقافة والفنون والرياضة . وبلد يتمتع بطبيعة رائعة ، الماء فيها أكثر من اليابسة ، والاشجار فيها أكثر من البشر ، والثلج والصقيع يغطي الأرض والماء أكثر أيام السنة ، والشمس عزيزة مكرمة لاترى الا في صيف قصير .

هكذا السويد بكلمات متقاطعة سريعة ، نستطيع أن نتبعها دون اكتفاء ، ونستمر نسأل ماذا عن السويد ؟ تماما كما يسأل السويديون ماذا عن العرب وماذا عن الاسلام ؟ ماذا عن الحضارة التي يحتفظون منها بآثار مهمة ؟ ماذا عن الفن الاسلامي الذي عرف جيدا في الغرب الأوروبي ، ولم يعرف بما فيه الكفاية في الشمال الأوروبي ، كان هذا السؤال هو الدافع الى اقامة مهرجان كبير في استوكهولم العاصمة يستمر من أيار ١٩٨٥ حتى حزيران ١٩٨٦ .

لم تكن فكرة الاحتفال بالثقافة الاسلامية والفنون ، مجرد تخطيط سياسي أو اقتصادي سويدي رسمي ، يهدف الى تقوية العلاقات مع الدول العربية والاسلامية ، بل كانت وليدة الشعور بضرورة سد

ثغرة كبيرة في الثقافة الشعبية السويدية ، وافساح المجال للتعرف على الاسلام والحضارة الاسلامية من خلال الآثار الموجودة في المتاحف وفي المجموعات الخاصة السويدية ، ولم يكن المتحف التاريخي في استوكهولم الذي بادر الى هذا الاحتفال قد تصور الابعاد التي يمكن أن يصل اليها ، ولكن وقد أقدم على قرع أبواب حضارة ضخمة ، كان لابد أن يتسع مشروعه ويصبح مظاهرة ثقافية متنوعة ، هي واحدة من أضخم المظاهرات التي شهدتها استوكهولم عاصمة السويد .

ذروة الاحتفال هو معرض الحضارة والفنون الاسلامية الذي اقيم في المتحف التاريخي

ويقول مدير المتحف السيد « ايراكسون » ان هذا المعرض هو أكبر معرض أقمناه على الاطلاق ، ولقد كان واحدا من أصعب المهام ، وخلال عشرين عاما من عملي رئيسا لهذا المتحف التاريخي أعترف أن عملية اعداد هذا المعرض كانت أكثر اثارة واهمية من أي مرة أخرى .

لقد قوبلت مبادرتنا في السويد بترحاب كبير فاق ما توقعناه ، تم ذلك من السلطات والهيئات والأفراد على حد سواء ، وانه ليسعدني أن يسهم في هذه المظاهرة لفيف كريم من الباحثين السويديين المختصين في فروع الحضارة العربية والاسلامية ، في توضيح معالم هذه الحضارة ضمن حدود اختصاصهم ، فيقدموا أبحاثا أغنت معارف الشعب ، وقد تداولها من خلال كتب ومجلات ومحاضرات

« وثمة خمسون الفا من المواطنين السويديين يدينون بالاسلام ، كان من حقهم أن يسهم المتحف الوطني التاريخي في التعريف بتراث الاسلام ان هذا التعريف يعزز دورهم في تقويم علاقة السويد مع العالم الاسلامي ، كما يعزز دورهم في المجتمع السويدي نفسه الذي اكتشف لأول مرة أن هذا التراث الانساني له عمق تاريخي متصل بهم ، وان الواقع العربي الاسلامي أضخم بكثير مما حفظته الذاكرة ، فثمة ما يقرب من مليار مسلم في انحاء العالم ، في آسيا وافريقيا ، بل في أوروبا وأمريكا واستراليا ، وثمة مئة وخمسون مليون عربي تسيّر حكوماتهم أحداث السياسة والاقتصاد التي أصبحت تمس العالم أجمع »

الآثار الاسلامية في السويد :

لقد عرف السويديون أن في خزائنهم وثائق تؤكد الصلات التاريخية الوثيقة مع العالم العربي والاسلامي . ان المكتشفات الاثرية قد أبانت أنه منذ عهد الفايكنغ (القرنين التاسع والعاشر) ، كان العرب قد وصلوا الى السويد ، وكانت لهم علاقات تجارة وتعاون ، ان ثمانين الفا من القطع النقدية المحفوظة في دار المسكوكات الملكية ومتحف الآثار ، والتي تم اكتشافها في موقعي بيركاو وهيلغر مع غيرها من التحف الاسلامية تبقى دليلا قاطعا على حقيقة هذا الاتصال ، وعلى قوة التعاون ، كذلك أمر الوثائق المكتوبة والتحف التي عثر عليها في السويد ، وقد انتقلت مع القادمين الأوائل منذ الف عام ، هي شاهد بليغ على الأواصر التاريخية بين الشعوب الشمالية والشعوب الاسلامية .

ولقد استمرت العلاقات الثقافية قائمة باشكال مختلفة ، وها هي آثار هذه العلاقات متمثلة في قطع أثرية مهمة انتقلت الى السويد ، كالجرة الرائعة التي انتقلت من قصر الحمراء في غرناطة الى المتحف الوطني للفنون الجميلة في استوكهولم ، أو السجادة الحريرية الشهيرة التي تعود الى القرن السادس عشر ، والتي انتقلت من ايران الى المجموعات الملكية ، ولقد تجمعت حصيلة طيبة من الآثار جمعت من المتحف الوطني التاريخي ، ومن المتحف الوطني للآثار ، ومن متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط ، وآثار دار المسكوكات الملكية وغيرها ، لتصبح نواة لمعرض كبير .

لقد انتقلت المجموعات الاثرية الى المتاحف السويدية خلال الف عام عن طريق الدبلوماسيين ودارسي اللغات ، وتحفل مكتبة جامعة « أوبسالا » العريقة ، بمجموعات مهمة من المخطوطات والمنمنمات التي تحوى مصاحف منمقة ودواوين شعر مزينة بالمنمنمات وكتب علوم مرفقة بصورة ايضاحية

ومن كبار جامعي الآثار الاسلامية والسويدية ، العالمان « فريدريك مارتان » و « كارل جون لام » اللذان أغنيا بدورهما الثقافة بدراساتها العربية والاسلامية .

والسيد مارتان (١٨٦٨ - ١٩٣٣) أسهم مع العالم (ساره) في تنظيم أضخم معرض اسلامي في ميونخ ، وأصدر كتابه الشهير عن « تاريخ السجاد الشرقي » ١٩٠٦ ثم كتابه عن « المنمنمات والمنمنمين الفرس والاتراك والهنود » والكتابان مازالا مرجعين للباحثين ، ولقد انتقل مارتان عبر اسطنبول والقاهرة وآسيا الوسطى ، واقتنى مجموعات من التحف المعدنية والخزفية والسجاد والنسيج التي نراها اليوم في متحف آثار حوض البحر الابيض المتوسط ، ومتحف الفن الحديث ، ومتحف التقاليد الشعبية في استوكهولم

أما (لام) (١٩٠٢ - ١٩٨٢) فلقد عرف عالميا من خلال كتابه بالالمانية عن « الزجاج الاسلامي » (١٩٣٠) ثم كتابه عن « الزجاج في ايران » وكتب دراسات كثيرة عن المجموعات الاسلامية في المتاحف السويدية ، وقدم محاضرات خلال ثلاثة أعوام عن الفن الاسلامي في جامعة القاهرة ، وخلالها استطاع الحصول على مجموعة من الأقمشة النادرة

ان المتاحف السويدية حافلة بالآثار التي وردت اليها عن طرق مختلفة اما عن طريق التنقيب كالمسكوكات التي اكتشفت في (بيركا) والمجموعة البرونزية التي اكتشفت في أحد المواقع الأثرية ، والمحفوظة في المتحف الاقليمي في (عاقل) والتي تعود الى القرن التاسع الميلادي واما عن طريق الجمع من الكنائس والأديرة ، ومنها أثواب تركية وفارسية وقطع من البروكات والمخمل والحرير الطبيعي ، جاءت الى السويد في بداية القرن السابع عشر

من أبرز الآثار المحفوظة في متحف الآثار سجادة ماربي في القرن الخامس عشر صنع الأناضول والبوق العاجي صنع صقلية في العهد الاسلامي ، وهو من روائع الصناعات العاجية الاسلامية ، ومن مجموعة القصر الملكي سجادة من الحرير صنع قاشان ، القرن السادس عشر

وفي مجموعة متحف السلاح الملكي أكثر من الف قطعة أثرية اسلامية هي من أثمن المجموعات السويدية وفي قلعة سكوكلستر مجموعة من السجاد الذي يعود الى القرن السابع عشر ، وثمة ثلاث خيمات تركية من نفس العهد ، ومن أهم المقتنيات السويدية الحرة التي تسمى « جرة الحمراء » والمصنوعة في مالقا في القرن الرابع عشر .

وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة مجموعة من المنمنمات الفارسية ، التي تشكل مع غيرها من المنمنمات في المجموعات السويدية معرضا كاملا للمنمنمات الفارسية والهندية المغولية .

ومن أظرف القطع المحفوظة في المكتبة الوطنية ، كتاب صغير فيه رسوم وصور بالالوان المائية لنماذج شعبية تركية ، كان السفير السويدي لدى الباب العالي قد أحضرها من استانبول عام ١٦٥٨ .

وفي دراسة معمقة قامت بها بعثة المتحف الاسلامي في متحف الآثار في استوكهولم ، عرض واسع للمجموعات الاسلامية الموجودة في المتاحف السويدية ، والمكتبات ودور - الوثائق ، تقدم نقدا عميقا جدا لهذه المظاهرة الثقافية الناجحة .

آثار اسلامية من متاحف عالمية

ان ما بين أيدي أمناء هذه المتاحف السويدية قد لايكون كافيا لتوضيح معالم حضارة ضخمة توزعت آثارها في جميع أنحاء العالم ، لذلك اتجهت آراء القائمين على هذا المعرض نحو الكنوز الاسلامية في المتاحف الكبرى وفي المجموعات الخاصة الشهيرة

ولأول مرة يوافق الاتحاد السوفياتي ممثلا بمتحف الايرميتاج في ليننغراد ، باخراج خمسين قطعة رائعة من كنوزه الاسلامية لتعرض خارجا ، كذلك أسهم المتحف البريطاني باعارة المعرض مجموعة مهمة من الآثار الاسلامية ، ولم يتردد المتحف الوطني في مدريد باعارة السويد بعض الآثار الاندلسية الرائعة التي زينت معرضا للفنون والحضارة الاسلامية .

قدم متحف الكويت - دار الآثار الاسلامية - مجموعة من القطع الجميلة التي تعود الى مجموعة الصباح ، بلغ عددها ست قطع ، منها ابريق نحاسي من صنع ايران يعود الى عام ١٠٠٠ ميلادي ، ومنها الوعاء البرونزي المزخرف - العصر المملوكي صنع مصر أو سورية ١٣٠٠ م ، قبعة الدراويش الايرانية ١٦٠٠ م وبعض الصور ومجموعة جاسم الحميضي في الكويت ، وقد زين المعرض بقطع جميلة تقرب من عشر قطع ، من أبرزها الصندوق العاجي المزخرف

بكتابة ورقش وهو من صقلية ١١٠٠ ـ ١٢٠٠ ، وثمة صندوق معدني مزخرف بكتابة نسخية وطيور ورقش هو من صنع مصر في العصر الفاطمي ، وشمعدان صنع شمالي العراق ١١٠٠م مصنوع من معدن مضغوط ، واستعيرت من دول الخليج الأخرى صور ووثائق تاريخية وشواهد شعبية .

ولقد برزت في المعرض القطع الفنية الاسلامية التي أعارها متحف الايرميتاج في ليننغراد ، ومن هذه القطع تمثال فضي رائع يمثل بقرة يرضع منها عجل صغير ، وقد بدا من الكتابة المنقوشة أنها من صنع محمد بن أبي القاسم النقاش من ايران ، وهي مؤرخة في ٦٠٣ / ١٢٠٦ م ، والمزهرية المحززة المشغولة ١٣٠٠ م ، والمزهرية المصرية المملوكية ، والشمعدان المملوكي ، أيضا ، والمزهرية الخزفية الايرانية الصفوية ١٦٠٠ م ، ومن أبرز المعروضات طائر عليه كتابة ونقوش من صنع المعلم سليمان (١٨٠هـ / ٧٩٦ م) ، وابريق برونزي يعود الى نهاية العصر الأموي من صنع العراق ، والاناء الزجاجي المصري (١٠٠٠م) الذي اضيفت له زخارف معدنية سويدية (١٦٠٠م)

كذلك أغنى المتحف بقطع شهيرة من مقتنيات المتحف البريطاني ـ كالرصيعة البرونزية الاناضولية ١١٠٠ ـ ١٢٠٠م ، والاناء النحاسي الفارسي (١٣٠٠م) ، والكرة البرونزية الشهيرة الشامية ١٢٦٨ م ، والصندوق الشامي ١٢٠٠م عدا مجموعة من المنمنمات

ومن المتحف الوطني في مدريد عرض عشر قطع من أبرزها مخطوطات قيروانية فاطمية ٩٥٢ م .

وتعتبر مجموعة ساملينغ في كوبنهاجن من أغنى المجموعات الاسلامية الدنمركية في كوبنهاجن ، ولقد استعير منها أربعون قطعة تعود الى كارل واخيه دافيد . والقطع الأخرى المعروضة هي من مقتنيات المتاحف السويدية ، في استوكهولم وفي عوتبورغ ومالمو

الثقافة الشعبية والحياة في البلاد العربية :

تحت هذا العنوان نستطيع أن نرى صورة من الحياة للمجتمع العربي ، فلقد استعيرت من متحف قطر غرفة كاملة تعبر عن (المجلس) ، ولقد أضيف الى ذلك صور فوتوغرافية عن الحياة في عمان وصور عن البحرين وتاريخه .

وثمة قاعة أخرى تبين العلاقة التاريخية التي كانت قائمة بين أجداد السويديين وهم الفايكنغ وبين المسلمين في عهد الخلافة خلال القرنين التاسع والعاشر ، وفي هذا الجناح بعض القطع والنقود التي اكتشفت في مغائر سويدية .

وفي جناح مستقل عرضت بعض المخطوطات والمصاحف والمنمنمات ، وهي من الاعمال الفنية المهمة ، حلت من أطراف العالم الاسلامي ، وفي هذه القاعة مصحف يعود الى القرن العاشر ، هو واحد من أقدم المصاحف التي كتبت بالخط الكوفي .

ومن بين المخطوطات نوادر المنمنمات الفارسية التي تحكي قصة الشاهنامة (تاريخ الملوك) والتي كتبها الفردوسي خلال القرن العاشر .

ولقد خصص جناح مستقل لعرض النسيج الرائع الصنعة ، الذي جاء الى السويد مع الدبلوماسيين والجنود " ائدين من البلاد الاسلامية ، وثمة مجموعة من السجاد الشرقي الذي يعود الى القرن السابع عشر والتاسع عشر عرضت مع بعض القطع الرائعة من البروكار صنعت في تركيا خلال القرن السابع عشر .

لقد نجح مصمم المعرض في تخصيص بناء مستقل تابع لابنية المتحف لكي يكون سوقا مستطيلة مؤلفة من واجهات مفتوحة على جانبي الزائر ، مخصصة لعرض الصناعات التقليدية والبضائع الشرقية والافاوية ، والتوابل والعطور ، وينتهي السوق بقاعة ضخمة رتبت لكي تكون حرما لمسجد اسلامي ، وقد حلي بمحراب ومنبر رمزيين .

المنظمة العربية ومعرض الحضارة :

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كانت ذات حضور واضح في مظاهرة الفن والثقافة الاسلامية في السويد ، وتحت عنوان (الكسو) وهو الاسم المختصر للمنظمة افتتح جناح خاص واسع لألواح كبيرة تحمل صورا ملونة أحسن اختيارها ، توضح معالم الحضارة العربية بمختلف وجوهها ،



ورافق هذا المعرض دليل باللغة السويدية أعدته المنظمة لهذه المناسبة .

ويعتمد المعرض على ابراز مبادىء الاسلام وتطوره ومظاهر الفن الاسلامي ، وقد قام مصمم مختص بتنظيم المعرض ، فجاء معبرا عن الحياة في المجتمع الاسلامي بشكل تعليمي جذاب ، ولزيارة المعرض لابد أن نبتدىء بهو الدخول الذي يحمل عنوان ـ عبر مكة المكرمة ، وهو القسم المخصص لاعطاء فكرة عن الدين الاسلامي والقرآن الكريم والصلاة ، وثمة لوحات ضخمة وصور فوتوغرافية مأخوذة من القمر الصناعي تحدد موقع الكعبة في مكة المكرمة والعالم الاسلامي ، وهي أول صورة من نوعها .

ونختار بهو الدخول من أحد بابين لندخل الى غرفة مخصصة لبيان حياة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، ويلي ذلك لوحة ضخمة مقسمة الى مربعات كل مربع عليه اسم سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة والغرفة التي تلي مخصصة للتعريف الرمزي عن مدى انتشار الاسلام في زمن الخلفاء الراشدين

ثم نصل الى القاعدة الاساسية المخصصة للفن الاسلامي ، وقد عرضت القطع الفنية مرتبة بحسب تواريخها ، وأول قطعة هي نسر برونز مستعار من متحف الايرميتاج صنع في ايران عام ٧٩٦ م وتمتد قطع أخرى تعود الى العهد الاموي والعباسي عرضت بشكل فني في مواجهة دائرية طويلة يقابلها عرض مفتوح لقطع أخرى ، وتنتهي المعروضات بقطع تعود الى عهود متأخرة (القرن التاسع عشر)

عام لم ينته بعد

وما زال عام الفنون والحضارة يتألق اشعاعه في استوكهولم عاصمة السويد منذ أن افتتحه « أولف سالم » رئيس وزراء السويد وشاركت فيه غالبية المؤسسات الثقافية والمتاحف والجامعات والمكتبات العامة ودور المسكوكات ولم يكن كما اسلفنا معرضا للحضارة الاسلامية عبر الف عام فقط بل الى جانب هذا المعرض ، اقيمت معارض اخرى هي :

ـ معرض الخزفيات المكتشفة في الفسطاط ـ مصر ، وبعض القطع الفخارية التي جمعت من مصادر أخرى ، وأقيم هذا المعرض في متحف حوض البحر المتوسط

معرض المسكوكات الاسلامية في المتحف الملكي للمسكوكات ، وفيه عرضت مجموعة المتحف الى جانب مجموعات مستعارة من مصادر سويدية ومن لندن ولينينغراد والكويت

ـ معرض الكنوز الملكية . وفيه عرضت الهدايا الثمينة التي قدمت الى ملوك السويد ، كالمطرزات والبروكار والأسلحة والسروج المرصعة .

ـ وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة أقيم معرض خاص للسجاد التركي من القرن العاشر والخامس عشر ، كانت من مقتنيات الملك « كارل الثاني عشر » .

ـ وفي أنحاء السويد سيتجول معرض في المدارس الرسمية يضم معروضات مختاره من المتاحف السويدية ، مع شرح عن الحياة الاجتماعية الاسلامية .

وفي خريف ١٩٨٥ افتتح معرض عربي ـ اسلامي للعلوم الفلكية في القرون الوسطي ، مع بيان أثرها وأهميتها بالنسبة للعلوم الفلكية الحديثة .

ـ وينظم المتحف الوطني تحت عنوان « الاسلام والموسيقا » برنامجا للحفلات الموسيقية تقدمها عدة فرق من مختلف الدول الاسلامية .

وينظم المركز الثقافي في استوكهولم معرضا عن الحياة التقليدية في قرية تركية ومعرضا عن الحياة وأسباب الهجرة

وهكذا كان ـ وما يزال ـ احتفاء علميا بحضارة اسهمت في تنوير العالم وقفوا أمامها ليناقشوا اسهاماتها بالعقل والتحليل بعيدا عن فوران العاطفة وممارسة الوجدان . □

■ اننا نستهلك ثمرات الكون ونحن أول ثماره . (عبد العزيز البشري)

العلم والمال

قيل للخليل بن أحمد أيهما أفضل العلم أم المال ؟
قال العلم
قيل له فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الأغنياء ، والأغنياء لايزدحمون على أبواب العلماء ؟
قال ذلك لمعرفة العلماء بحق الأغنياء ، وجهل الأغنياء بحق العلماء

نوادر ابى العيناء

□ من نوادر أبي العيناء وكان ضريرا قال له المتوكل يوما . هل رأيت طالبيا حسن الوجه قط ؟
قال يا أمير المؤمنين هل رأيت أحدا قط يسأل ضريرا هذا السؤال ؟
ويروى أن رجلا على حماره زحمه أبو العيناء على الجسر ، فضرب أبو العيناء بيده على أذن الحمار قائلا له . يافتى قل للحمار الذى فوقك ينبه من في الطريق
وسأله أحدهم عندما سرق حماره ، ياأبا العيناء كيف سرق حمارك ؟ قال لم أكن مع اللص فأخبرك !

★★

نعوذ بالله

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامة بجحا ، رجلا فاضلا فيه دعابة وفيه عقل وكان يحلو له دائما أن يخلط بين المزاح والجد ، ويصارح محدثه برأيه فيه في فكاهة مستملحة وذات يوم التقى بالطاغية تيمورلنك فقال له
يانصر الدين ، انى شديد الاعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التى تختتم دائما باسم الله ، كالواثق بالله والمظفر بالله ، والمستنصر بالله وأريد أن تختار لى اسما من هذا النوع فالتفت اليه جحا وعلى شفتيه ابتسامة ساحرة وقال « اختار لك نعوذ بالله »
فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام !



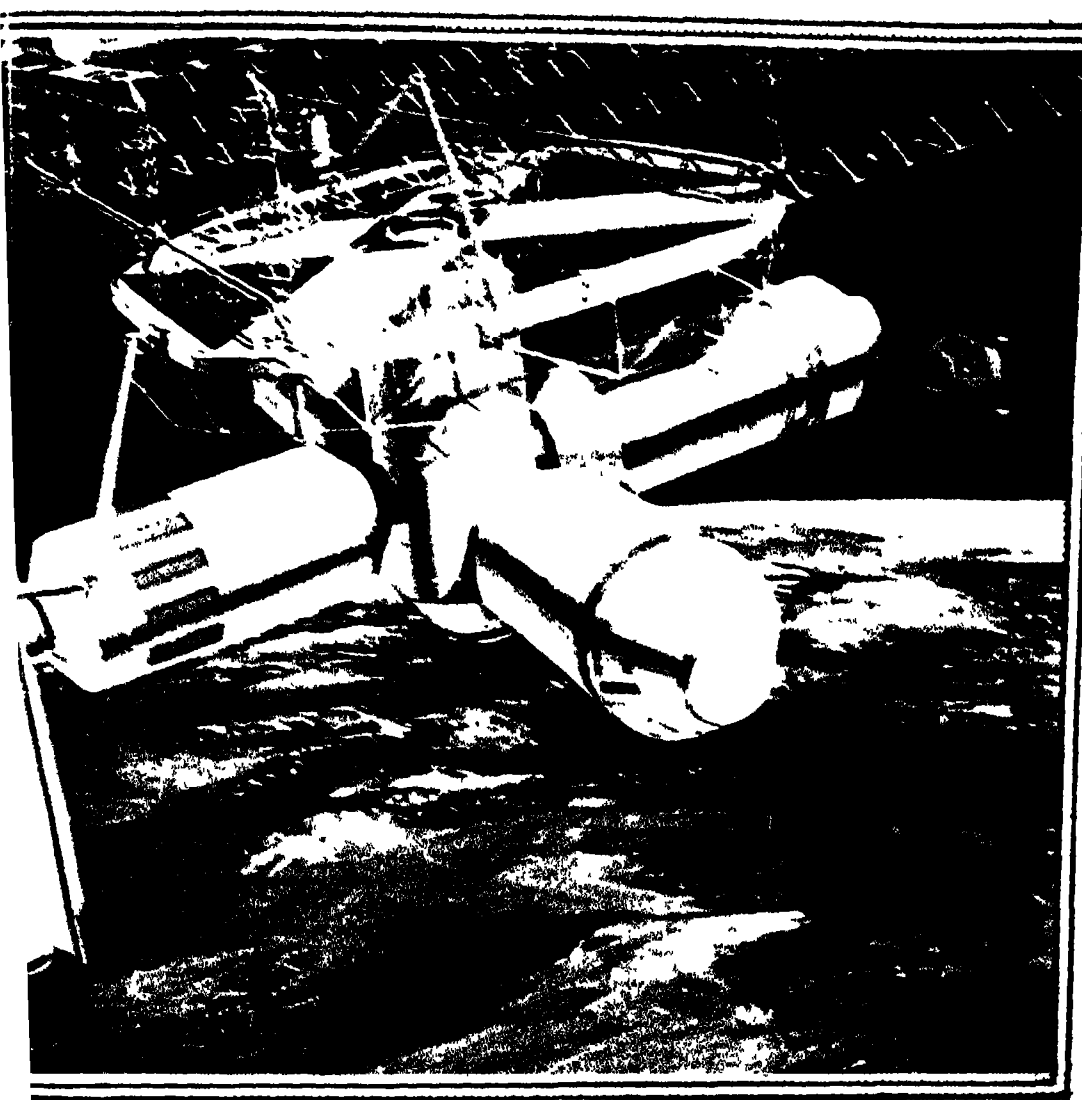
كرم الكريم

من دعاء الحسين بن على رضى الله عنهما :
« الهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أدمت الشدة بترك الصبر الهى مايكون من الكريم الا الكرم »

حسن الاستماع

□ تعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضى حديثه ، والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم ، والوعى لما يقول

« ابن المقفع »



أسلحة الفضاء

رعب القرن الحادي والعشرين

بقلم رؤوف وصفي









أطلق الخبراء العسكريون اصطلاح « حرب النجوم » على مبادرة نظام الدفاع الاستراتيجي الأمريكي الذي يهدف الى استخدام أسلحة الفضاء ، لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات ، والاقمار الصناعية المعادية وتدميرها ، قبل أن تصل الى أهدافها . .

ان ما كان يعتبر خيالا علميا منذ سنوات أصبح اليوم حقيقة واقعة ، فقد أخذ العلماء في تصميم أسلحة فضاء ذات قوة تدميرية مروعة . .

أسلحة الليزر . . الأقمار الصناعية القاتلة . . أسلحة الجسيمات الذرية . . أسلحة الطاقة الحركية . محطات الفضاء الحربية . .

هذه بعض أسلحة الفضاء التي يتوقع الخبراء استخدامها في المستقبل القريب . عندما تنتقل العمليات الحربية الى طبقات الجو العليا . . حيث يتلوث نقاء الفضاء وطهارته . .

ما هي أسلحة الفضاء ؟ وكيف تعمل في معارك الفضاء ؟

القمر الصناعي .. عبارة عن أجهزة متطورة ، تطلق الى الفضاء بواسطة صواريخ ضخمة ، وما ان يصل الى الفضاء عند ارتفاع محدد حتى يتخذ له مدارا ، وليس له محرك نفاث يسيره ، بل انه يعمل وفق الجاذبية الأرضية لقد بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٧ ، عندما أطلق أول قمر صناعي « سبوتنيك » ، ومنذ هذا التاريخ أطلق الى الفضاء ما يزيد عن ٢٠٠٠ قمر صناعي حربي ، وهذا يعني أنه بين كل أربعة أقمار صناعية يوجد ثلاثة منها للأغراض العسكرية

ويطلق كل عام حوالي ١٠٠ قمر صناعي حربي ، منها حوالي ٨٥ قمرا صناعيا سوفيتيا ، وحوالي ١٥ قمرا صناعيا أمريكيا ، والفرق الكبير بين العددين يرجع الى أن الأقمار الصناعية الأمريكية تبقى في الفضاء عادة لمدة أطول من الأقمار الصناعية السوفيتية فالقمر الصناعي الأمريكي (بيج بيرد) على سبيل المثال - يمكث في الفضاء حوالي ٢٠٠ يوم ، بينما يبقى نظيره السوفيتي (كورموس) حوالي ٣٠ يوما فقط

وتقوم الأقمار الصناعية بالعديد من المهمات الحربية ، منها الاستطلاع والارصاد الجوية والملاحة والاتصالات .

وتعتبر أقمار الاستطلاع بالتصوير بمثابة « عيون لأسلحة الفضاء ، بينما تعتبر أقمار الاستطلاع «الالكتروني» آذان هذه الاسلحة ، حيث انها مزودة بأجهزة الكترونية متطورة لتقتفي أثر اشارات رادارات العدو ، واتصالاته اللاسلكية ، وحتى اتصالاته الهاتفية ، وتعتبر مهمات أقمار الاستطلاع الألكتروني ، أكثر المهمات سرية في حروب الفضاء .

كما قد تحمل الأقمار الصناعية قنابل تصيب بها الأهداف الاستراتيجية للأعداء ، بهجوم خاطف قد لا تتمكن أجهزة الدفاع من صده ، ويطلق على هذه الأقمار (فوبز Fobs)وهذه الحروف اختصار لعبارة Fractiand Orbitat Bombardment) System) وتعني بالعربية نظام القنابل المدارية .

وتعتمد القوتان العظميان على الأقمار الصناعية الحربية في أي حرب فضاء في المستقبل ، ومن ثم تنظ

كل منها الى الأقمار الصناعية للطرف الآخر كأهداف حربية ، ومن ثم يعكفون على تصميم الأسلحة الكفيلة بتدميرها بدقة وفى أقصر وقت ممكن . وهذا النوع من الأسلحة يطلق عليه آسات (Asat) وهذه الحروف اختصار لعبارة (Anti - Satellite) تعنى بالعربية الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية

وتضم هذه الأسلحة الأقمار الصناعية القاتلة Hunter Killer التى تعترض وتدمر الاقمار الصناعية المعادية ، وهى فى المدار - وأسلحة الليزر ذات الطاقة العالية التى تنطلق من محطات فضاء حربية تدور فى الفضاء

جواسيس فى الفضاء

تعتمد الدولتان العظميان على أقمار الاستطلاع بالتصوير للتجسس والتعرف على الأهداف الاستراتيجية ، وتدور هذه الأقمار فى مدارات على بعد حوالى ٢٠٠ كيلو متر من سطح الأرض وحتى وقت قريب كانت تلك الأقمار مصممة بحيث توضع الأفلام - بعد تصويرها - داخل كبسولات معلقة ، ثم تلقى الى مناطق محدودة فوق المحيط . وما ان تقترب الكبسولة من سطح المياه حتى تفتح مظلة لتخفيض سرعة الهبوط ، ثم ترسل طائرة حربية خاصة لالتقاط الأفلام قبل أن تهبط في المحيط وكانت هذه العملية تستغرق وقتا طويلا

وحدث تطور فى أجهزة أقمار الاستطلاع بالتصوير ، بحيث أمكن أن يحمض الفيلم آليا داخل القمر الصناعي ، ثم يتم فحصه الكترونيا ، وترسل المعلومات باشارات لاسلكية الى محطات المراقبة فوق الأرض ، تتحول هذه الاشارات الى صور مرة أخرى وتتميز هذه العملية بالسرعة الفائقة الى حد أنه يتم فحص الصور بعد أن تلتقط مباشرة

وتستخدم هذه الأقمار نوعية من آلات التصوير، الأولى ذات مدى واسع . وتلتقط صورا لمناطق شاسعة قد تتمركز فيها معدات أو حشود عسكرية ، أما أقمار النوع الثانى فتلتقط صورا دقيقة محددة مثل سلاح عسكرى متطور .

وليست أقمار الاستطلاع بالتصوير هى الوحيدة التى تقوم بالتجسس ، فهناك التفتيش والبحث عن الأهداف الحربية فى المحيطات مثلا ، وهى التى تختص بمراقبة السفن الحربية بالمحيطات ، وتستخدم هذه الأقمار الرادار المزود بمفاعل نووى صغير يزوده بالطاقة .

التنصت على الأعداء

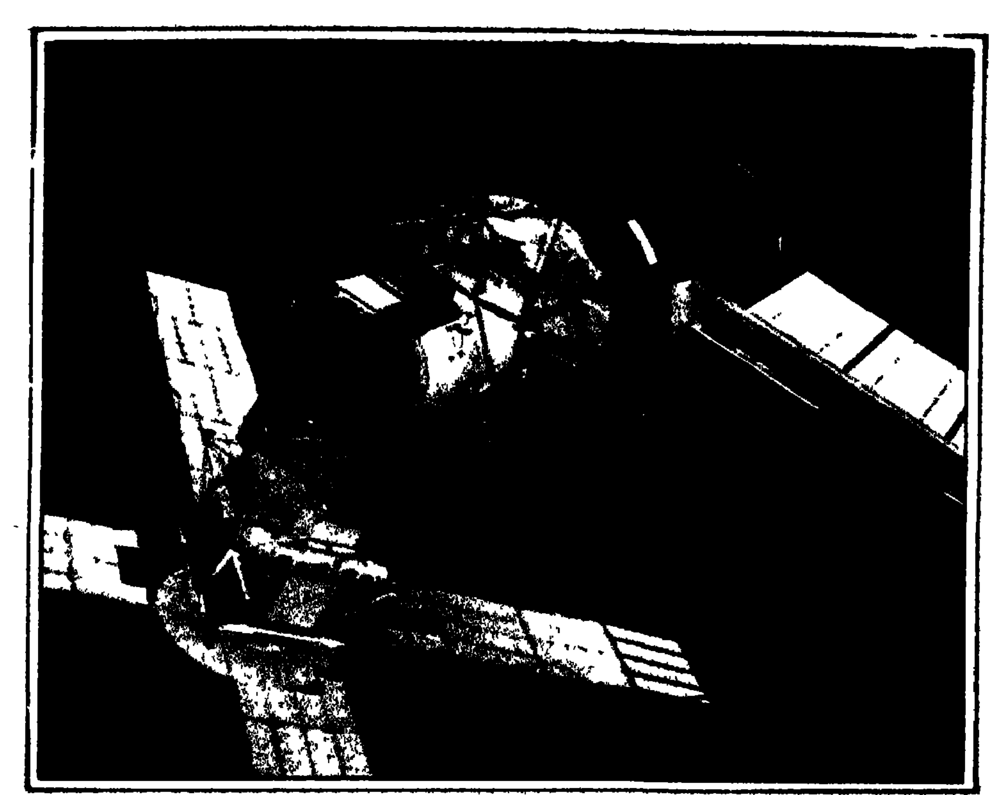
تعتبر أقمار الاستطلاع الاليكترونى من أكثر الأقمار الصناعية تقدما ، فهى تحوى معدات الكترونية متطورة ، وتختص بجمع وتحليل الاشارات اللاسلكية المتعلقة بالقوات المسلحة ، ومن أهمها تلك التى يتم تبادلها بين الوحدات العسكرية ، وكذلك تلتقط هذه الأقمار كافة اشارات الرادار الخاص بنظم الدفاع الجوى ، ومن السفن الحربية ، ومن نظم التحكم فى القذائف الموجهة ، ومن نظم الانذار المبكر وغيرها .

ويكمن الهدف من اطلاق أقمار الاستطلاع الالكترونية ، فى اكتشاف مصادر هذه الاشارات الالكترونية الصادرة عن القوات العسكرية المعادية ، ولتحليل المعلومات التى تحتويها وتفيد هذه المعلومات فى تصميم أسلحة للتغلب على خطوط دفاع العدو

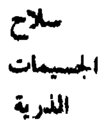
وتدور أقمار الاستطلاع الالكتروني على بعد حوالى ٥٠٠ كيلو متر ، ومنها أقمار (فيلا) Vila الأمريكية ، التى تقوم بمهمة اكتشاف الانفجارات النووية فى الغلاف الجوى للأرض ، وهى تدور عاليا فى أعماق الفضاء .

الأقمار الصناعية .. القاتلة

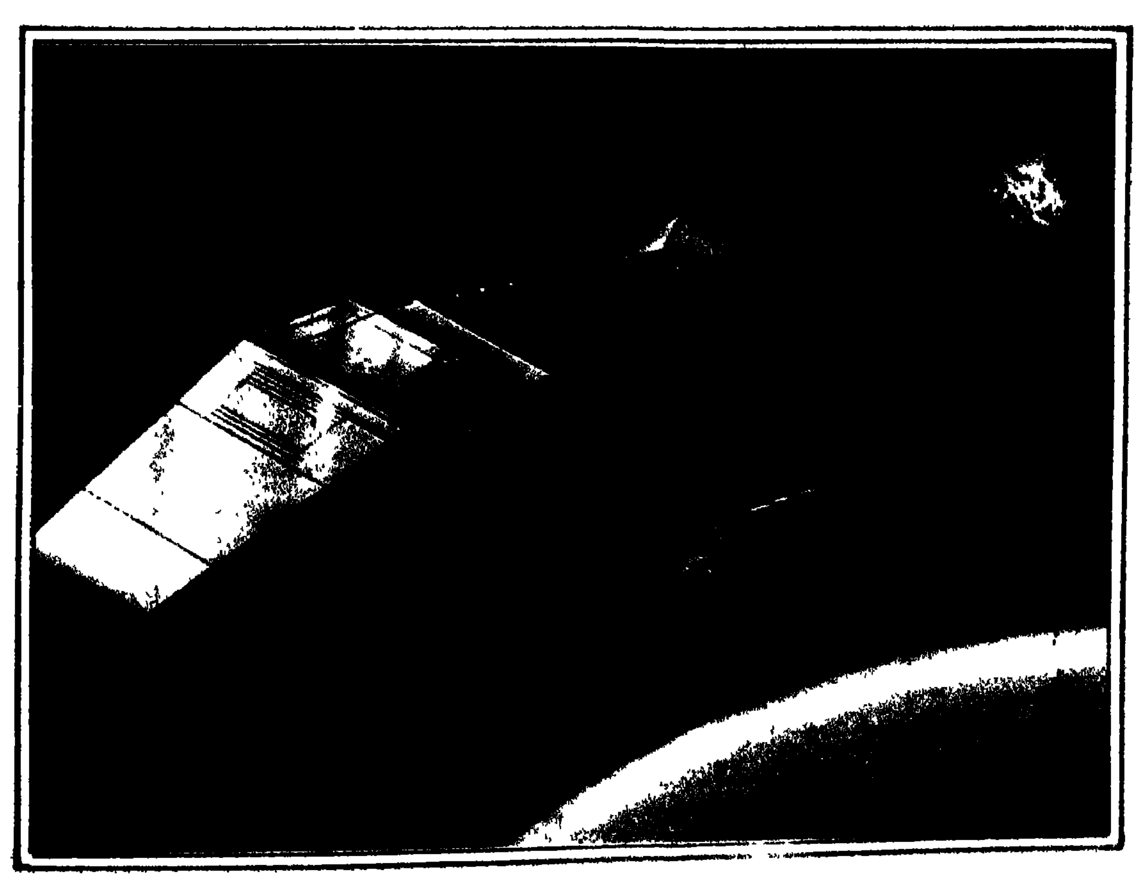
أطلق الاتحاد السوفيتى الى الفضاء أقمارا صناعية قاتلة ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تقترب من القمر الصناعي المعادى ثم تنفجر بالقرب منه فتدمره . ويقترب القمر الصناعي القاتل من هدفه بعد أن يكمل دورتين حول الأرض ، وعندئذ يتلقى تعليمات من مركز المراقبة فوق الأرض ، فيقترب من هدفه ثم يستخدم راداره للاقتراب الى حد معين ، ثم تتم « قبلة الموت » وينفجر القمران معا . وقد قام



نموذج في الفضاء لسلاح الليزر



سلاح الجسيمات الذرية



السوفييت بتجربة ناجحة للأقمار الصناعية القاتلة فى يونيو ١٩٨٢ بالقمر الصناعي (كوزموس ١٣٧٩) .

أما الخبراء العسكريون فى الولايات المتحدة فقد صمموا أسلحة مضادة للأقمار الصناعية تختلف عن الاسلحة السوفيتية ويتمثل السلاح الأمريكي بقديفة صغيرة ، تحملها طائرة مقاتلة نفاثة متطورة (ف ـ ١٥ ايجل) وتطير على ارتفاع ٢١ كيلو مترا ، ثم تطلق القذيفة التى تحمل رأسا نوويا نحو القمر الصناعي المعادى ـ وبعد فترة ينفصل الرأس النووي ، ويتجه نحو الهدف ، حيث يستخدم جهاز استشعار فى مقدمته ، يكون قادرا على اقتفاء أثر الأشعة تحت الحمراء ، التى تصدر عن القمر الصناعي المعادى ، وهو اما ينفجر فيدمره ، أو يصيبه بشكل مباشر ، وفى هذه الحالة الأخيرة قد لا يحتاج لمواد متفجرة ليحقق هدفه ذلك ، ان الأقمار الصناعية يمكن ان تفقد فاعليتها اذا اصطدم بها أي جسم معدني بسرعة كبيرة وقد طور الأمريكيون سلاحا بهذه المواصفات ، أطلقوا عليه « الاسلحة الدقيقة المضادة للأقمار الصناعية »

عصر الصواريخ العابرة للقارات

بدأ عصر الصواريخ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما اخترع الألمان سلاحا مروعا هو الصاروخ ف ـ ٢ ، الذى كان يطلق على أهداف محددة داخل انجلترا وفرنسا وكان هذا الصاروخ يرتفع الى حوالي ١٠٠ كيلو متر فى الفضاء .

وكان نجاح الصاروخ ف ـ ٢ حافزا للقوتين العظميين فى تطوير صواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوسا نووية ، وهى قذائف ذاتية الدفع ، ويطلق عليها IBM وهذه الحروف احتصار لعبارة تعني بالعربية الصواريخ العابرة للقارات وبينما كان مدى الصاروخ ف ـ ٢ حوالى ٣٠٠ كيلومتر ، فإن مدى الصواريخ العابرة للقارات حوالى ١٣٠٠٠ كيلومتر ، وهى ترتفع فى الفضاء الى [illegible] ١٦٠ كيلو مترا

وهذه الصواريخ [illegible] بالمعسكرين الشرقي والغربي ويقدر [illegible] العسكريون عندها [illegible] أكثر من ٤٠٠٠ صاروخ

الليزر أشعة الموت

الليزر مجرد شعاع من الضوء ان المصباح الكهربى عندما يضىء تتوزع أشعته فى كل الاتجاهات ، وينير الحجرة كلها ، أما الضوء الذى ينتج عن جهاز الليزر ، فهو ينطلق فى اتجاه واحد فقط ، ومن ثم توجد طاقة هائلة فى شعاع الليزر حتى أنه يكفى لثقب لوح من الصلب سماكته عدة سنتيمترات .

واذا أمكن لشعاع الليزر أن يصطدم بقديفة عابرة للقارات أو برأسها النووى ، فإنه يتمكن من أن يفجرها أو يجعلها غير ذات فاعلية ، كما يمكن لشعاع الليزر أن يدمر قمرا صناعيا للعدو وهو يدور فى الفضاء ، كما تزود محطات الفضاء الحربية بأشعة الليزر ليكون سلاحا فعالا ضد أى هجوم بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية

وقد اقترح بعض العلماء الأمريكيين نظاما للدفاع ضد الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات باستخدام أشعة الليزر .

ويتلخص هذا النظام فى اقامة سلاح ليزر على قمة جبل ، يرتفع عن سطح الارض بحوالى خمسة كيلومترات أو اكثر ، وتطلق الى الفضاء ـ على قمر صناعى ـ مرآة هائلة تعكس أشعة الليزر الصادرة من قمة الجبل ، لتوجه الى الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات فتدمرها ، وذلك عند حدوث أى معركة فضائية .

ولكي يمكن لأشعة الليزر أن تؤثر فى الهدف المعادى ، يجب أن تكون شديدة التركيز ، حتى تصبح طاقتها عالية ومدمرة ، ومن ثم يحتاج الأمر الى معدات ثقيلة لتوليد مثل هذه الأشعة المركزة . ولن يكون اطلاق هذه المعدات الى الفضاء أمرا سهلا ، وستكون التكاليف باهظة

ووضع سلاح الليزر على قمة جبل فوق الأرض سيكون أكثر سهولة وأقل تكلفة ، كما انه بالطبع يمكن صيانة واصلاح الأجهزة بشكل افضل ، ومن المشكلات التى تصاحب استخدام أشعة الليزر كسلاح فى المعارك الحربية هو أن هذه الأشعة عندما تنطلق خلال الهواء الجوى تتشتت ، ومن ثم تصبح أقل فاعلية فى تدمير أهدافها ، ولهذا يفضل العلماء

وضع أسلحة الليزر في محطات فضاء حربية ، ذلك انه لا يوجد هواء في الفضاء ، فتبقى لاشعة الليزر قوة تركيزها وطاقتها المدمرة

وربما كان وضع هذه الأسلحة فوق قمة جبل مرتفع يخفف من تشتتها بسبب تأثرها بالهواء الجوى .

أسلحة الجسيمات الذرية

تعتمد هذه الأسلحة على تدفق تيار من الجسيمات الذرية المشحونة كهربيا [1] بسرعة هائلة من مدفع خاص ، فتخترق أهداف العدو وتدمرها ، ويطلق على هذا المدفع (المسرِّع) (Accelerator) وفى المختبرات أمكن زيادة سرعة هذه الجسيمات الذرية الى أكثر من ٩٩٪ من سرعة الضوء ، [2] بواسطة أجهزة ضخمة قد يبلغ طولها حوالى ثلاثة كيلو مترات ، ومحيطها حوالى ستة كيلومترات .

أما الأجهزة التى يمكن أن تسارع بالجسيمات الذرية الى نصف سرعة الضوء فقد يبلغ وزنها حوالى خمسمائة طن ، ومن ثم يكون من الصعب وضع مثل هذه الأسلحة فى الفضاء .

كما أن الجسيمات الذرية تتأثر بالمجالات المغناطيسية والكهربية ، ومن ثم تنصرف عن أهدافها ، وحيث انه تحيط بالكرة الأرضية مجالات مغناطيسية هائلة ، فقد وجد العلماء أنه من غير العملى وضع مثل هذه الأسلحة فى مدارات حول الأرض ، ولكنهم ما يزالون يجرون التجارب للتغلب على هذه الصعوبات ، ومن أهم أسلحة الجسيمات الذرية المشحونة شعاع الألكترونيات ، حيث يمكن أن يعمل فى طبقات الجو العليا ، ولو فى نطاق قصير المدى ، وتقوم فكرة العلماء حاليا على وضع مدفع هائل فوق سطح الأرض بالقرب من الأهداف الاستراتيجية المطلوب حمايتها ، وعند إقتراب الصواريخ النووية للعدو تطلق الاشعة الالكترونية فتدمرها ، قبل أن تصل الى أهدافها .

ويخطط الخبراء العسكريون لاستخدام مدافع تطلق أشعة كهرومغناطيسية على الأهداف المعادية فتدمرها ، خصوصا تلك المدافع التى تستخدم الموجات الدقيقة المعروفة بالمايكروويف .

أسلحة الطاقة الحركية [3]

تتكون تلك الأسلحة من قذائف سريعة جدا ، تطلق على الصواريخ النووية المعادية فتدمرها لمجرد الاصطدام بها ، وهى ذات فاعلية سواء عند اطلاق هذه الصواريخ من أراضى العدو أو عند الرجعة ، أى العودة الى جو الأرض بعد رحلة فى الفضاء الخارجى ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن يتم استخدام هذا النوع من الأسلحة فى التسعينيات من هذا القرن .

ولكن يعاب على هذه الأسلحة بأن مداها لا يتعدى الكيلومترات ، كما أن سرعتها لا تتجاوز أربعين كيلومترا فى الثانية ، وبالمقارنة بسرعة أشعة الليزر أو أسلحة الجسيمات الذرية ، فإن أسلحة الطاقة الحركية بطيئة جدا .

ويمكن استخدام هذه الأسلحة بواسطة أقمار صناعية ذات مدارات منخفضة ، حيث تطلق صواريخها على القذائف النووية المعادية ، وتتسارع تلك الصواريخ لتصل الى قرب الأهداف المعادية ، حيث تطلق قذائف يتم توجيهها بواسطة أجهزة استشعار (Sensors) لتصطدم بالقذائف النووية وتدمرها .

كما يمكن اطلاق صواريخ من قواعد فوق الأرض الى طبقات الجو العليا ، ويمكن لكل صاروخ اطلاق سيل من القذائف يطلق عليها اسم « الصخور الذكية

---

(١) الذرة/أصغر جزء من المادة وهى تتكون عادة من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنة كهربية موجبة) ونيوترونات (متعادلة الشحنة) وحول النواة تدور الكترونات (ذات شحنات كهربية سالبة) أما الجسيمات الذرية فيقصد بها محتويات الذرة ، أى الالكترونات والبروتونات والنيوترونات .

(٢) سرعة الضوء حوالي ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية ، وبالتحديد (٢٩٩٧٩٢ كيلو مترا) .

(٣) الطاقة الحركية هى الطاقة التى يكتسبها الجسم بسبب سرعته .

Smartrocks ذلك أنها عبارة عن قذائف صغيرة مزودة بأجهزة دفع نفاثة ـ وتوجهها أجهزة استشعار دقيقة جدا لتدمر الصواريخ عابرة القارات المعادية ، كما يمكن اطلاق الصخور الذكية من مدافع ضخمة مثبتة فوق محطات الفضاء الحربية

محطات الفضاء الحربية

يقوم السوفييت منذ عدة سنوات بانشاء عدة محطات فضائية ، مستخدمين الأقمار الصناعية في نقل رواد الفضاء والمعدات بين الأرض والفضاء ، وهذه المحطات الفضائية اطلق عليها اسم سويوز

ويفكر الولايات المتحدة في بناء محطة فضاء ضخمة بواسطة معدات يتم نقلها في رحلات للمكوك الفضائي

ويمكن ان تستخدم محطات الفضاء للأغراض حربية ، حيث تتم فيها تطوير أسلحة الفضاء وحربها ، بالاضافة الى اقامة أفراد القوات المسلحة ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن تصبح محطات الفضاء الحربية منتشرة في طبقات الجو العليا في القرن الحادي والعشرين

مكوك الفضاء العسكري

يتوقع الخبراء أن تستخدم رحلات مكوك الفضاء في أغراض عسكرية ، حيث يمكن أن ينقل مكوك الفضاء أفراد القوات المسلحة الى الفضاء لأداء مهمات حربية معينة في طبقات الجو العليا ، كما قد يستخدم في نقل المعدات الى مدارات محددة لبناء محطات الفضاء الحربية ، ثم توصيل الأسلحة المتطورة اليها فيما بعد

● يطير مكوك الفضاء الأمريكي في مدار يرتفع حوالى ٢٥٠ كيلومترا في الفضاء ، وهو مجهز بحيث يمكنه أن يسترجع الأقمار الصناعية المعادية من مداراتها ، كما يتمكن من اصلاح وصيانة الأقمار الصناعية الأمريكية وهي في مداراتها

وحيث ان مكوك الفضاء الأمريكي يمكنه أن يختطف قمرا صناعيا سوفيتيا ، فهو اذن يمكن اعتباره أفضل سلاح للأقمار الصناعية ، الا اذا فطن السوفييت الى هذا الأمر فوضعوا قمرا صناعيا ضخما أو كما يطلق عليه « لغم فضائى » فبمجرد أن تمتد الذراع الآلية لمكوك الفضاء نحو القمر الصناعي لاختطافه ، سينفجر فيتمزقان معا وتتناثر اشلاؤهما في الفضاء

حرب الفضاء

تقوم حرب الفضاء على استخدام الأسلحة المحتلفة في ثلاثة خطوط للدفاع ، تمتد من سطح الكرة الأرضية حتى أعماق الفضاء

وتبدأ المعركة على سبيل المثال برصد صاروخ سوفيتي عابر للقارات ، يحمل رأسا نوويا ، ويتجه الى هدف في الفضاء ، يصدر أوامره الى خطوط الدفاع العليا في أعماق الفضاء (خط الدفاع الأول) بمهاجمة هذا الصاروخ بمجرد اطلاقه من القاعدة السوفيتية ، أى وهو مازال في الغلاف الجوى ، قبل أن يصل الى الفضاء الخارجي ، واذا استطاع هذا الصاروخ النجاة من اسلحة خط الدفاع الأول ، فإن أسلحة خط الدفاع الثانى تهاجمه ، وان لم تتمكن من تدميره ، فإن خط الدفاع الثالث ـ المتمركز على الأرض ـ يهاجمه ويدمره عندما يهبط الصاروخ من الفضاء الخارجي الى الغلاف الجوى ، محاولا الوصول الى أهدافه

وتتكون الأسلحة في خطي الدفاع الأول والثاني من محطات فضاء حربية تحمل أسلحة الليزر ، أما خط الدفاع الثالث فيتكون من أسلحة متطورة مضادة للصواريخ عابرة القارات ، ويجب أن تكون الاسلحة ذات سرعة فائقة حتى تتمكن من تدمير الصواريخ المعادية ، قبل أن تصل الى أهدافها في الولايات المتحدة

وخلال هذه المعركة الفضائية ، يتم رصد كل تحركات الصاروخ السوفيتي بواسطة أجهزة رادار متطورة تعمل بالكمبيوتر ، كما أنها ستقوم بتوجيه اطلاق الأسلحة بدقة بالغة

هذه ملامح بعض أسلحة ومعارك الفضاء كلنا أمل الا تحدث وقائعها . وأن يسود السلام فوق الأرض .. وفى الفضاء .. □



طقوس بيع وزير سابق

بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت الأندلس إبان الحكم العربي ـ على أمجادها ـ مسرحا لمآسي الحاكمين والطامحين في ملكهم ، ومن هؤلاء المنافسين من كان على قدر كبير من الدهاء والمضاء في مصانعة الملوك ، والتسلل إلى تحقيق مآربه ، وفي هذه السبيل قد تتعثر خطواته ، ويعاجله حتفه من يد طالما التصق بها ، وتصرف في أمورها .

وبأسلوب شيق نتبين ذلك في هذا الموضع .

لم تكن هناك ريح تهب في الاندلس الا وتحمل خبر بيع ابن عمار عبر السهول المنبسطة كالحلم ، والحصون التي ضاعت بلا ثمن ، والممالك التي تمتت ثم هوت كالشهب المحترقة ، والتلال التي تحمي مقابرها تحت زهور النرجس ، والجبال الصامدة تحت رذاذ المطر كانت الريح تحمل الخبر فمن الذي يرغب في شرائك يابن عمار ومن الذي يملك ثمنك ؟

مشتر حقيقي .. ولكن .. !

وصل الخبر الى ذي النون حاكم طليطلة وهو في مجلس حكمه .. حدق في الرسول مندهشا وهو يستمع الى كلماته :

ابن عمار وقع أسيرا في يد أصحاب حصن شقورة وسوف يبيعونه لمن يدفع الثمن ، قال ذو النون على الفور .. ما دام أسيرا فهو لا يساوي خردلة .. ثم

صمت قليلا قبل أن يتساءل . .
كم يطلبون ؟ . .
قال الرسول :
سوف يعقدون مرادا في الحصن . ومن يدفع اكثر مهو له . . ضحك دو النون في سخرية . .
ـ مزاد . . يالها من نهاية لا تليق الا بابن عمار
اما المعتمد بن عباد فقد كان نائما ، وكان اليهوديّ الذي حمل اليه الخبر معوصا بالدخول اليه في اي وقت مادام يحمل خبرا عن ابن عمار ، وكان المعتمد اسير كابوسه اليومي . وعندما استيقظ ورأى اليهودي على رأس فراشه حسب انه امتداد لهذا الكابوس .
صرخ فيه :
ـ انت تلاحقني
قال اليهودي بهدوء
ـ احمل خبرا عن ابن عمار
وقبل ان يفيق ابن عباد كان اليهودي يواصل كلماته اصطجع ابن عباد وظل ينظر الى وجه اليهودي وهو يتحدث بنوع غريب من التشفي
ـ حاول ان يخدع اهالي « شقورة » كما خدع اصحاب حصن « سرقسطة » ولكنهم أوقعوه في الفخ فاقت حيلتهم حيلته
وفوجيء ابن عباد بنفسه وهو يقول في أسى
ـ هناك اذن من هو اذكى من ابن عمار !
رفع عينيه وقال لليهودي
ـ كنت انت ايضا الذي احضرت القصيدة التي يهجوني فيها ابن عمار ويهتك عرض زوجتي اليس كذلك ، لماذا كنت تكرهه الى هذا الحد ؟
نحى اليهودي
ـ اني اكره كل اعدائك يا مولاي
قال ابن عباد كمن يحدث نفسه
ـ كلا انت دائما تكرهه . اما انا . . فقد احببته ذات يوم . احببته كثيرا ، قال اليهودي هل اشتريه ؟
قال المعتمد : اشتر الحصن كله اذا لزم الامر .
ووصل الخبر متأخرا الى قرية « شلب » ، ولم يخطر ببال احد ان في تلك القرية النائية غرب الاندلس من يهتم بمصير الوزير ابن عمار . . ولكن المرأة العجوز التي تسكن بيتا صغيرا في اسفل التل لم تنسه لحظة واحدة ، كانت جالسة تحيك ثوبا له . وعندما سمعت الخبر انحدرت من عينيها دمعة وهي تتمتم : كنت اعرف . .
ذهبت الى السوق . . . حملت كل الثياب التي قضت السنين في حياكتها . وآخر ما بقي من حليها ، وسيف الاب الذي رحل وسرج حصانه . ومصباحا عتيقا وشالا مزركشا . واحذية ودواة واقلاما مقصوفة وعمائم موشاة وعباءة وسجادة للصلاة . . وانوالا للغزل . . وظلت جالسة ثلاثة ايام متواصلة حتى باعت كل هذه الاشياء ، ولم يبق الا ثوب واحد كانت واثقة من انه سيرتديه ، وسارت الى حصن « شقورة » .

الدموع لا تشتري شيئا . .

بدأ المزاد ذات صباح بارد . وكان الحصن رابضا فوق تل صخري لاتؤدي إليه إلا طريق وعرة يصعد فيها المسافر وحيدا اما بوابة الحصن الرئيسية فلا يدخلها احد الا مصعدا بالحبال . .
وقد تقرر عقد المزاد اسفل الحصن ، فلم يكن اهل الحصن يريدون اي غرباء بأية صفة ، وكان الحضور كثيرين . ثلاثة ملوك من ملوك الطوائف ، ومبعوث من ملك الفرنج ، وسمسار متجول ، ويهودي صامت ، وحارس سجن ينمق في سخاء ، وقائد عسكري مرتزق ، وثلاثة من البربر ، ونحاس واحد ، وبعض التجار الذين يريدون استبدال بضائعهم في مقابل اي سلعة ، وامرأة عجوز حضرت متأخرة قبل بداية المزاد بقليل ، وظلوا جميعا واقفين في الجو البارد والريح تهب بعنف لتلف الحصن اليتيم بصوت اشبه بالنحيب . .
في البداية هبط اصحاب الحصن في قفص خشبي ، ثم اجتازوا الممر واحدا تلو الآخر . . ثم هبطوا الى المجتمعين ، كانوا ثلاثة اخوة من بني سهيل ، متشابهين تماما ، رحبوا اولا بالحكام ثم بالقادة ولم يعيروا التفاتا للبقية بعد ذلك ، ثم اشاروا للحراس ان يهبطوا « بالبضاعة » .
وتدلى ابن عمار من اعلى الحصن وهو مربوط من قدميه ، ورأسه الى اسفل ، وشهقت المرأة شهقة عالية . . وغمغمت : « ياولدي . . ياكبدي » . . ولم يلتفت اليها احد ، كانوا مشغولين به وهو يهبط مثل

ظل طويل نحيف وسمعوا بوضوح صوت ارتطام رأسه بالممر الصحري ، ثم تلقفه الحراس وفكوا قيوده وقادوه الى اسمل .

رغم الدم الذي كاد يغطي وجهه كان هو ابن عمار دون شك ، هزيلا اشعث اللحية نتن الرائحة ، حين تركه الحراس لم يستطع الوقوف وحده فانهار على الأرض وانكشفت ساقاه فبدت فيهما آثار القيد واضحة ، وتقدم واحد من اخوة بني سهيل وهو يقول

- ها هو ابن عمار عدو الجميع وقد اوقعه الله بين ايدينا

وكانت المرأة العجوز هي اول من افتتح المزاد فقد اسرعت وارتمت تحت اقدام ابن سهيل وهي تهتف

- دعه لي ياولدي اليك كل ما تطلبه مائتا درهم هي كل ما املك سوف آخذه معي الى « شلب » ولن يسمع احد منكم عنه بعد الآن

وفتح ابن عمار عينيه بصعوبة وصوت المرأة يرن في اذنيه . يالله مازالت على قيد الحياة حاول ان ينهض ان يتحرك ، ولكنه كان متعبا مقهورا ، وسمع ابن سهيل وهو يضحك ، ثم بقية الضحكات وهي تتصاعد قال ابن سهيل

- لقد افتتحت هذه المرأة المزاد دون ان تدري ها قد بدأنا مائتا درهم وتقدم المأمون حاكم طليطلة فقال

- عشرة اضعافها بل مائة ضعف

وقبل ان يفكر أحد فيما يزايد به عن هذا المبلغ ، تقدم حاكم سرقسطة وقال في صوت صارخ متوتر

- الف ضعف

وتلاقت عيناه بعيني ابن عمار في نظرة خاطفة ، وانتفض صاحب سرقسطة كأن ابن عمار يحاصره من حديد تماما كالمرة الاولى عندما جاء بجيوش ابن عباد وفرض عليه حصارا قاسيا حتى ارغمه على ان يشرب بوله ، من يومها ورائحة النحاسة لا تفارق فمه . .

وتقدم الحاكم الثالث وضاعف الثمن ، ووجد النخاس ان الصفقة سوف تكون ناجحة فتدخل في المزاد وظل يتصاعد والمرأة العجوز حائرة ، كانت قد قالت منذ اللحظة الأولى آخر رقم لديها ، كذلك تدخل الحارس وبدأ عليه التوتر الشديد ، وشارك قائد الافرنج بتحفظ وبدا كأنه يريده بلا ثمن .

وصرح للمرة الاولى انه قد خدع الملك ذات مرة حين اعطاه الجزية ذهبا مزيفا ، وقال لهم الحارس المتوتر . . انه يحمل وصية رجل يحتضر امنيته الاخيرة ان يخنق ابن عمار بيديه قبل ان يموت ، وعاد اليهودي يزيد المبلغ ، وانسحب النخاس بعد ان اخذ مقابلا مناسبا ، وكشف البربر لأول مرة اللثام عن وجوههم واخذوا يطالبون بثأر المرابطين ، وتدخل واحد من اخوة بني سهيل فجأة في المزاد واعلن انهم احق بقتله لانهم آخر من عانوا من مؤامراته . . واحضر اليهودي صفا من البغال محملة بصناديق الدراهم الفضية ، وانتهز القائد المرتزق فرصة الفوضى وتسلل الى داخل الحصن . كذلك انتهزت المرأة العجوز الفرصة ولمست جبهة ولدها وحاولت ان تعطيه بعضا من الماء ، ولكن حارسه دفعها في خشونة وثار ملوك الطوائف الثلاثة وقالوا انهم سيعلنون الحرب على بني سهيل . وصرخ فيهم اليهودي . .

من منكم احق بقتله من ابن عباد . .

فصمتوا جميعا ورفع ابن عمار رأسه ببطء ، وتقدم اليهودي وفك الصناديق في حركة سريعة فسقطت على الارض وتناثرت الدراهم وصاح بصوت عال :

- هذا هو الثمن اكبر من قيمة حصن « شقورة » بكل ما فيه .

زمن البراءة والخوف . .

كان ابن عباد واقفا بحيث يرى بوابات قرطبة . وحين جاءوا به لمست اعتماد الرميكية ذراعه وقالت في رفق .

- انت ترتعد يا مولاي . .

هتف في ضيق . .

- لم اكن اتوقع ان آراه هكذا أبدا . .

كان ابن عمار مربوطا من قدميه ومن يديه . . ومعلقا مثل صيد نتن ، وقرطبة كلها خرجت الى الشوارع . . نفس الشوارع التي شهدت مجد انتصاراته ، شهدت كل الذين تسابقوا للسير في ركابه او لمس ذيل ثوبه او القاء التحية بين يديه ، كانوا يصيحون في همهمات غاضبة ويقذفونه بالحصى والطين والقاذورات . . لا ورود . . عندما تحل اللعنة علينا فلا ورود . .

كم لطمة اخذها على وجهه . كم نصفة كانوا اكثر غضبا من ابن عباد نفسه كأنه خاسهم هم . وهجاهم هم ، المدينة كلها في سعار غريب ، ثلاث سنوات مرت منذ ان جاءها فاتحا . منذ ان دانت له اسوارها ونودي عليه باسم سيده ابن عباد حاكما لقرطبة واشبيلية وما يتأتى من المدن المفتتة وسمعته الرميكية وهو يقول من بين اسنانه ·

ـ لماذا حنثني يابن عمار ؟ لماذا خلعت طاعتي ؟

حين افترقا للمرة الأخيرة كان ابن عمار على رأس جيش ضخم اصبحه جيش جهزه ابن عباد طوال عروانه كان في طريقه لفتح مرسية ، وحين وقفا وجها لوجه رأى في عينيه نظرة غريبة ووجد نفسه يقول له

ـ ان الجيش كبير يابن عمار اكبر من مرسية وحصونها واني لمخدوع وقال ابن عمار وهو يبتسم في صرامة

ـ ابن لست مخدوعا انت مضطر

كان يجب ان يعرف انهما وصلا معا الى نهاية الطريق ، كان يجب ان يعرف انه حين خلع طاعته بعد فتح « مرسيه » كان هذا امرا طبيعيا ، لقد تباعدت الطرق كثيرا يابن عمار

امير آفاق وآفاق يطمح للامارة . وكان تواقق الانجم غريبا . والاندلس ثروة . ومغامرة كل مدينة مملكة وكل وال ملك وكل من على ارضها مغلوب ، ولا غالب إلا الله ، وعندما توجه ابن عباد وهو مازال وليا للعهد ليفتح قرية « شلب » كان قدره ان يقابل ابن عمار ويرتبط مصيرهما معا تركا الجيش وضربا في الأرض معاً وصلا الطريق حتى اوشكا على الموت جوعا ، وعبرا النهر فقبض عليهما الحراس وتظاهرا أنهما شاعران صعلوكان ، أخذا جارية واحدة وناما على فراش واحد في حانة مروية وتبادلا طريقهما على جواد أعرج ، وتقاسما درهما مريعا وألّفا قصيدة واحدة ، وحين وصلا الى أسوار اشبيلية كانا قد أصبحا شيئا واحدا ، وصرخ فيه أبوه

ـ أنت ولي عهدي وسوف ترث عرشي فابتعد عن هذا الافاق .

فلم يقدر ، وتجولا ليلة كاملة في المدينة يكتشفان



مواقع الايام المقبلة ، وفي الصباح أصدر « عباد » أمرا بنفي ابن عمار عن المدينة حتى لا يفسد ابنه

وكانت ايام المنفى طويله على الاثنين معا ، وزهد ابن عباد في العرش حتى أوشك ان يتركه لولا ان الموت عاجل الاب المحزون ، وعاد ابن عمار الى اشبيلية وزيرا ونامت اشبيلية وهي تتحدث عن عشق ابن زيدون لولادة ، واستيقظت وهي تتحدث عن مجد ابن عمار وغارت انجم وتألقت انجم واحضر ابن عباد وسادة من حرير وقال له

ـ نم بجانبي على نفس الوسادة ليكون رأسك لصيق رأسي

كانت المودة صافية . . والزمن مليئا بالبراءة ، ولكن لعن الله الخوف ، نام ابن عباد ولم يستطع ابن عمار النوم . صاح فيه هاتف مجهول ·

ـ لا تغتر ايها المسكين . . سيقتلك ولو بعد حين .

يا لها من نبوءة مريرة أيها الهاتف الاندلسي ، وحاول ابن عمار ان يطرده ولكن بلا جدوى ، مات النوم على الوسادة الحريرية ، وقرر ابن عمار

الهرب . . لو أنه نجح لتغير كل شيء ولما اصبحت النهاية بهذه المرارة ، تجرد من ملابسه والتف في حصير فقير ، وعزم التسلل من بوابات القصر ولكن ابن عباد استيقظ ولم يجد وزيره فنادى الحرس وانتشروا في القصر يبحثون عنه . وأمسك ابن عباد شمعة وقادته المصادفة أو الغريزة الى الحجرة التي كان يختبىء فيها ابن عمار ملفوفا بالحصير ووقف يتلفت حتى سمع أنفاس ابن عمار اللاهثة وقال :

ـ اني أعرف انك مختبىء في هذا المكان . . نفسي قادتني الى هنا ولم يجد ابن عمار بدا من الخروج عاريا وقال دون موارية

ـ حلمت انك سوف تقتلني بيديك .

نظر ابن عباد الى عريه والى ارتجافه فقال وهو يضحك .

ـ يابن عمار هذه أضغاث أحلام (ثم حدق فيه قليلا وقال في حدية)

ـ كيف أقتلك أرأيت أحدا يقتل نفسه ؟

وها هي النفس قد انقسمت على نفسها يابن عمار فمن الذي غدر؟ أي شق في هذه النفس المسكينة يراقب وأي شق يتلقى اهانات الغوغاء ؟

دخل الوزير ابن زيدون وقال :

ـ جئنا بالخائن يا مولاي هل تريد ان تراه

قال ابن عباد دون ان يلتفت اليه حتى لا يلمح اختلاجات وجهه

ـ ليس الآن . احملوه على هذه الحالة الى اشبيلية دورة أخرى من دورات العذاب عندما دخل نفس المدينة ليتسلم الوزارة ، فرش الطريق من بواباتها حتى القصر بالورود والرياحين ، وخرجت أجمل الفتيات يلوحن له وقالت له اعتماد الرميكية ضاحكة

مرحبا أيها الوزير ظل زوجي يحدثني عنك حتى ظننت أني تزوجتكما معا . فاسطريني الآن يا أشبيلية انظري اهانتي وموتي المتكرر . فمتى تنتهي دورة العذاب ؟

من الذي يقتل . . ؟

كان السجن مظلما ـ مثل كل السجون ـ ولكن كل واحد منهما كان يرى الآخر بوضوح . لم يكن معهما أحد وعندما نظر ابن عباد في عينيه . أدرك انه طوال هذه الايام الماضية لم يكن يزيد في عذاباته بقدر ما كان يخشى لقاءه ، لقد اختار ان يهبط اليه في هذا المكان ، في هذه الساعة من الليل ، بعد ليال طويلة من الارق . . حتى إن الرميكية قالت له .

ـ اقتله ونم . .

ولكنه لم يقتله ولم ينم ، أخيرا أراد ان يراه في السجن ، في أشد حالات الاهانة ، أخيرا صرح في وجهه بالسؤال الذي آلمه طويلا :

ـ لماذا خنتني . . لماذا تمردت علي . لقد اعطيتك كل شيء . ؟

ونهض ابن عمار حاول ان يكسب وقفته بعضا من الاعتداد وان ينفض عن كتفيه اهانات الايام الماضية ، أدرك ان ابن عباد لن يقتله الليلة على الاقل . قال :

ـ أنا ايضا أعطيتك الكثير . المملكة التي تحكمها . . والمرأة التي تحبها

أهوى ابن عباد على رأسه بالعصا التي يتوكأ عليها فشج رأسه . . جرح جديد آخر لم يتأوه منه ولكنه سقط على الارض . وتردد ابن عباد قليلا ثم جلس بجانبه ومد يده يتحسس الجرح .

ـ هل كانت مؤلمة . .

ـ جرح فوق جرح لا أدري أيهما أشد ايلاما .

قال ابن عباد وقد انكسرت نفسه :

ـ أكانت « مرسية » مغرية الى هذا الحد ؟

قال ابن عمار :

ـ لم تفرقنا مرسية يا مولاي . . ولكننا افترقنا قبل ذلك . تحت اسوار قرطبة .

ما أبعدك يا قرطبة . كان الاستيلاء على قرطبة هو حلم المعتمد ، وحلم أبيه . . ولكنها مثل غيرهما من ملوك الطوائف وقفا عاجزين أمام اسوارها ، كانت المدينة قد تخلصت من أمثال هؤلاء الملوك واختارت من بينهم أفضل القضاة والفقهاء ليحكموها . وعندما جاءها ابن عمار أدرك ان هذه المدينة يجب ان تخترق من الداخل أولا ، وبدأت رحلة الوقيعة بين الذين يحكمون . . والذين يملكون . . وعندما استولى على المدينة رجل واحد أدرك ان لحظته قد حانت . . ذهب

الى ذي النون حاكم طليطلة وأغراه بغزو المدينة ، ودهب الى حاكم قرطبة وأغراه بطلب المساعدة من ابن عباد ، وفي وقت واحد جاء الجيش الذي يريد الغزو والجيش الذي ينوي الانقاذ وتلاقيا أمام أسوار المدينة المغلقة . وابتلع ذو النون الطعم أولا حين جمع جيوشه وقرر الانسحاب والتراجع . فاذا بالجيش يمشي ويقتحم المدينة الآمنة على غرة وابتلعت قرطبة

لم يكن ابن عباد يتصور انه ينال قرطبة بهذا الثمن الرخيص وعندما قال لابن عمار . لقد انتصر جيشي رد عليه مصححا

- بل انتصرت حيلتي وانتصر عقلي

وصمتا كانا سعيدين لدرجة لا تسمح لهما بالتناقض وكانت المدن تتهاوى بين ايديهما كأوراق الخريف والمملكة تتسع وكان هناك ثمن يترعه ابن عمار مع كل غزوة ناجحة واصبح ابن عباد الرجل الاول في الاندلس وظل ابن عمار الرجل الثاني دائما الثاني

هتف ابن عباد في مرارة

- كنت تريد ان تصبح ملكا

قال ابن عمار

- ولم لا لقد جربت عقلي أهو من عقول الرعاع ؟؟

عاشا معا عصرا غريبا يحتاج الى مهارة خاصة مهارة تجعلهما يدفعان فدية من ذهب مزيف لينقذا ابن المعتمد من أسر الفرنجة ، ظروف جعلته يلعب الشطرنج حول مملكة ، ومهارة تجعلهما يوقعان المعاهدات بصدق ويتحليان بنفس العزيمة ، وكان ابن عمار يفكر دائما ما دامت هذه الرقعة الصغيرة من الارض ممتلئة بالملوك الى هذا الحد فلماذا لا أكون ملكا أنا الآخر مثلهم

قال ابن عباد

- لكنك أهنتني مثلت بعرضي كتبت القصائد تهجوني فيها أنا وزوجتي . !

قال ابن عمار

- كانت حربا بيننا يا مولاي وطوال عمرنا معاً لم نخض حربا شريفة واحدة

ورفع ابن عباد العصا مرة أخرى وأهوى بها على رأسه

- بل أنت الذي جررتني الى ذلك حروبي كلها كانت شريفة قبل ان أراك .

تأوه ابن عمار وانسال خيط جديد من الدم وهذه المرة لم يسأل ابن عباد بل وقف غاضبا وهو يقول .

- كف عن الثرثرة . لن اقتلك الليلة مهما حاولت عليك ان تعتذر وان تبدي قليلا من الندم .

قال ابن عمار .

- وهل كنت ستتراجع عن قتلي . .

قال : لا أعرف لا أعرف

واسرع يغادر الزنزانة . وبينما يصعد الدرج فكر في انه غير قادر بالفعل على قتله

طقوس مقتل وزير سابق . .

في صباح اليوم التالي أصدر ابن عباد أوامره فأعد السياف سيفه واخرجوا ابن عمار مقيد اليدين ومزقوا الثياب حول رقبته ثم غير ابن عباد رأيه في اللحظة الاخيرة ، لا يدري كيف تذكر فجأة تلك الليلة التي نام فيها وإياه على وسادة واحدة ، صعد الى غرفة الرميكية ونام في حجرها وكان يرتعد تذكر رحلات الصيد . وكل القصائد التي ألقاها بيتا بيتا وكل المؤامرات والنزوات الصغيرة . قال للرميكية في صوت مشحون بالأسى :

ماذا أفعل ؟ اني عاجز عن قتله وعن العفو عنه .

قالت الرميكية فجأة

- من الصعب ان تجد صديقا يا مولاي

نظر اليها في دهشة وتساءل .

انت تنصحيني بالعفو عنه لقد كنت تغارين منه . تتهمينه بأنه يأخذني منك دائما

قالت الرميكية ربما لأنني لم أرك ترتجف من قبل يا مولاي .

كان ابن عباد عاجزا عن التفكير ؟ ذات لحظة اعتقد انه ملك كل شيء . المرة الاولى حين تبعه ابن عمار . والمرة الثانية حين قال بيتا من الشعر عجز الشعراء عن اتمامه حتى جاءت اعتماد الرميكية واكملت البيت وسلبت لبه وخيل اليه انه قد ملك

الحب والصداقة والعرش . عبر اسمه الى « المعتمد » من أحلها وعبر كل طموحاته الشخصية من أجل ابن عمار

والآن ماذا يعمل ؟ أعيان اشبيلية وعلى رأسهم الوزير الشاعر ابن زيدون يلحون في قتله ، ذو النون أرسل له رسالة ساخرة يقول له فيها اذا كنت عاجزا عن قتله أبعث لك خادماً يقتله ، حتى الافرنج يهددون وعندما يخرج الى الاسواق يسمع همهمات الناس كلها تحرضه اقتله . اقتله ولكنه لم يعد يستطيع .

بدأ ابن عمار يرسل له قصيدة كل يوم . كل صباح يستيقظ على قصيدة جديدة لا يدري كيف يحصل على الورق والاقلام داخل السجن ولا هذه الكلمات المؤثرة داخل ظلمة السجن لا يخاطب الملك ولا الصديق انما يخاطب ذلك الشاعر الحائر الموجود في داخل ابن عباد القصائد تحاصره والآخرون يلحون عليه والسياف يسمع أمر القتل ونقيضه في لحظة واحدة قصيدة في الصباح وكوابيس في الليل

من الصعب ان يكون لك صديق صدوق في هذا الزمان الخائن ، كانت الرميكية تلح عليه أن يراه مرة أخرى ، ولم يستطع مقاومتها فأخرجه من السجن . وجاء به الى مجلسه مقيدا نفس المجلس الذي تعود أن يدخله وزيرا ومستشارا ، الشيء المدهش أنه بكى تحطمت البقية اللعينة من كبريائه ، لم يكن لديه رد حاضر ولا إجابة ذكية ونظر الى وجه الرميكية موجدها أيضا وقد اغرورقت عيناها بالدموع ولم يتمالك ان قال له عدة كلمات كلمات قصيرة ولكنها ودودة لعلها كلمات الود الوحيدة التي سمعها ابن عمار منذ بداية محنته ، وأمر برده الى حبسه في الصباح ، وعندما التفت الى الرميكية للمرة الثانية أدرك كلاهما ان ابن عمار قد أفلت بحياته

في اليوم التالي تأخر ابن زيدون في المجيء الى القصر لم يأت الا بعد ان ارسل اليه المعتمد وسأله عن سبب تأخيره فانحنى قائلا

- حسبتك قد استغنيت عن خدماتي يا مولاي . .

قال ابن عباد في دهشة . .

- ماذا تعني . ؟

قال ابن زيدون :

- المدينة كلها تتحدث عن أنك سوف تفرج عن ابن عمار وتعيد اليه كل مناصبه

- من الذي قال هذا . . من الذي أشاع الامر ؟

- كتب بذلك ابن عمار لأحد أعوانه

واخرج ابن زيدون رسالة من جيبه نفس الخط . ونفس ورق القصائد . كانت الرسالة تروى تفاصيل ما حدث في المجلس ليلة أمس . . ويأمر تابعه بأن يجهز قصره وجواده وملابس الوزارة . كان يروى له كيف سعت الرميكية في رجوعه لأنها ترد بذلك دينا قديما حين وضعها في طريق ابن عباد . وحين زودها ببيت الشعر الذي تكمل به بيته

يا لله . خديعة أخيرة . الا تنتهي تلك الخدع أبدا يابن عمار ؟ حتى الحب الوهم الذي عاشه بزواتها الصغيرة التي أسرت قلبه ، كانت خططا مدبرة عندما اشتاقت للمشي حافية في الطين كالفلاحات عجن لها المسك بماء الزعفران وتركها تسير فيه . وكان هذا اقتراحا من ابن عمار حين اشتاقت لتساقط الثلوج . زرع لها اشجار اللوز على الجبال المواجهة للمدينة وبدت الأزهار البيضاء وهي تتساقط أشبه بندف الثلج

اقتراح آخر من ابن عمار . يا لله أي شيء آخر لم يكن خدعة

كان يلهث وهو يهبط درج السجن الحجري وفي يده مطرقة ذهبية ، وقف أمامه للمرة الاخيرة . . ما أكثر اكاذيبك يا بن عمار . حتى الشعر . لم تبق شيئا . . أهوى على رأسه . وحاول ابن عمار ان يتحرك . ان يقبل قدميه . أهوى على رأسه . تفجر الدم . أهوى . . ضربة للخداع . وضربة للخيانة . وضربة لفقدان الثقة في كل شيء . وصرخ ابن عباد :

- اقذفوه خارجا . .

كان الجسم ساكنا . والملامح مشوهة مكسوة بالدم . وكانت المرأة العجوز في انتظاره . تحمل الثوب الذي غزلته بيديها . ضمت جسده . ومسحت الدم الغزير . . ولفته في الثوب . . وعانت حتى حملته على حمارها الهزيل وسارت بعيدا . . . عن اشبيلية . □

حكايات شرق وغرب

صحوة الضمير

عادت الصحف لنشر نبأ السيدة العجوز التي تلقت ... عامل النظافة ... لأول مرة بأن الـ ... تعويضه عن الحرمان الذي عاش فيه ... . فقد ذهب بالثروة التي خرج بها من ... على ... أحد ... التي ما يوازي نصف الأقل ... مركبي ...

وكانت مشكلة الوحيدة التي واجهت النص اودسيوس فدعاس (١٩ سنة) هي أين يخفي هذه ... حتى ... الصحفية . وبعد ... إلا أن يضعها في لفافة ... في ظلال شجرة ... أحد ... العامة في ...

... اودسيوس فوق الكنز الذي حمله دون أن يشعر بأي عطف على السيدة العجوز . التي جردها من كل ما تملك . فقد كانت أمه معاناته من الفقر والوحدة يعيش معه ، وهو يرى مظاهر الثراء التي تمر أمامه في موكب الحياة مع صباح كل يوم

ولكن ما كادت تمضي أيام ... في اليوم التالي حتى كان أودسيوس ... يبكي ... وهو ... صحف الصباح التي كانت تحمل ... بأنه ارتكب شنيع جريمة يمكن أن ... عليها بشر

كان قد قرر أن ... عشاء في أحد مطاعم المدينة . وأن يشتري لنفسه بدلة جديدة . ثم يخرج في نزهة بحرية ... فيها جزر اليونان التي كان يحلم أن يراها وهو صبي صغير ... ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا . فقد بقي في مكانه حتى غابت الشمس . ثم حمل اللفافة التي تحوي النقود ، وأسرع الى بيت العجوز التي سرق منها أموالها ، ووضعها هناك فوق الدرج . ثم راح ينتظر في الظلام بعيداً عن البيت . حتى اذا ما رأى الباب يفتح ، ويد العجوز تمتد الى اللفافة وتفتحها ثم تعود بها الى الداخل ، أسرع يبتعد عن البيت بهدوء دون أن يشعر به أحد

ماذا حدث ؟ ماذا قرأ اللص في الصحيفة ؟ كيف استيقظ ضميره فجأة ؟

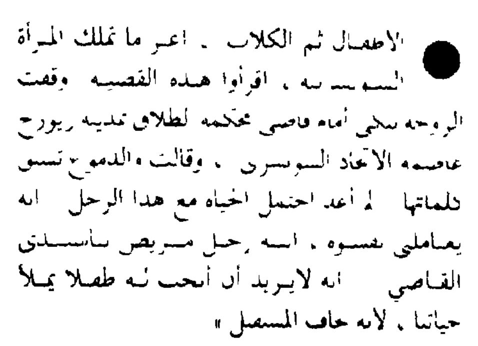
قال أودسيوس لرجال الشرطة الذين تمكنوا من القاء القبض عليه بعد ان اطلعوا على رسالة الاعتذار التي بعث بها الى صاحبة المليون دراخما « أحسست براسي يدور عندما قرأت في الصحيفة أن هذا المبلغ كان من المقرر أن تنقله السيدة العجوز الى أحد ملاجيء الايتام في المدينة ... وقرأت اسم الملجأ فاذا بي أكتشف أنه نفس الملجأ الذي دخلته طفلاً صغيراً منذ أكثر من خمسة عشر عاماً . عندما قتل والداي في حادث سيارة . ولم يقبل أحد من أسرتي أن يؤويني ... لقد كان هذا الملجأ بيتي الذي وجدت فيه الدفء والحنان وسط مئات الأطفال من أمثالي ... ولم أحتمل مجرد التفكير في حرمانهم من مال كان من الممكن أن أنعم به معهم »

وقدم اوديسوس للمحاكمة واطلع القاضي على

اعترافاته كاملة ، ثم انتقل بصره الى حيث كان اللص التائب يقف في قفص الاتهام ، وقد تهلل وجهه بابتسامة تحمل كل معاني الرضا والارتياح ، وقال القضاء كلمته « ان صحوة ضميرك يا بني قد شفعت لك ، ولذلك سوف نعاقبك لمدة ستة أشهر ، ولكن مع وقف التنفيذ »

وفي الخارج ، كانت مديرة الملجأ تنتظر أوديسوس ، لتعرض عليه وظيفة سكرتير للملجأ الذي دخله طفلا جائعا يتيما .

عندما رق قلب القاضي



● الأطفال ثم الكلاب .. أعز ما تملك المرأة السويسرية ، اقرأوا هذه القصة .. وقفت الزوجة تبكي أمام قاضي محكمة لطلاق بمدينة زيورخ عاصمة الاتحاد السويسري ، وقالت والدموع تسبق كلماتها « لم أعد احتمل الحياة مع هذا الرجل .. انه يعاملني بقسوة ، انه رجل مريض .. يا سيدي القاضي .. انه لا يريد أن أنجب له طفلا يملأ حياتنا ، لأنه خاف المستقبل »

وحكم القاضي لوتر سنام للزوجة بالطلاق .. ولكنه ماكاد يترك قاعة المحكمة في طريقه الى مكتبه حتى فوجيء بالزوج « رولف ماير » يجلس على مقعد صغير في الردهة ، واقترب منه فاذا به يجده يبكي ، كما يبكي الأطفال .. وتوقف القاضي ليقول للزوج الحزين .. « اذا كنت تحبها بهذا القدر فلماذا تسيء معاملتها ؟ » .

وكانت مفاجأة عندما قال الزوج .. « لا ياسيدي ، اني لا أبكي من أجلها .. وانما أبكي حزنا على « ريكي » الصغير الذي حكمت بحضانتها له .. اني لا أحتمل فراقه ، فقد كنت أجد فيه دائما الصديق الوفي »

ولم يكن ريكي هذا سوى الكلب المدلل الذي



عاش مع الزوج وزوجته رحلة زواجهما القصيرة التي لم تدم لأكثر من أربع سنوات

وراح القاضي يربت على كتف الزوج الحزين ، ويحاول أن يخفف عنه ، ثم مضى في طريقه الى مكتبه

وفي اليوم التالي تلقى الزوج مكالمة تليفونية من مجهول يعرض فيها عليه قبول هدية صغيرة قد يجد فيها ما يعوضه عما فقده . وقبل « رولف ماير » الهدية .. وانقضت بضع ساعات قبل أن يسمع طرقا على باب بيته ، وعندما ذهب ليفتحه فوجيء برسول يحمل سلة صغيرة ، بداخلها كلب من نفس النوع الذي حكم للزوجة بحضانته

ولم يكن صاحب الهدية سوى القاضي نفسه الذي رق قلبه للزوج الذي حرم من صديقه وجلس يبكيه !

حدث ذات يوم منذ ٤٢ عاما

● لم تعرف جلاديس بير يوما لماذا وضعوها في هذا المكان الذي كان بالنسبة لها سجنا بلا قضبان .. كانت وقتها شابة في التاسعة والعشرين من عمرها ، وكانت تعيش مع اسرتها في احدى مدن ولاية كونكتيكت بأمريكا ، عندما قرر الأطباء أنها مصابة باضطراب عقلي ، وأنها متخلفة ذهنيا .

وحملوها الى احدى دور رعاية المعوقين التي تشرف عليها الدولة .. وهي تضم بين اقسامها مدرسة

للمتخلفين عقليا وفي هذه الدار عاشت جلاديس ٤٢ عاما

وخلال هذه الأعوام الطويلة كتبت الفتاة عدة رسائل ، تستعطف فيها المسؤولين ، ملتمسة اطلاق سراحها وكانت كلها تحمل صرخة انسانية تشعر بالظلم الواقع عليها . ويقول محاميها : « لقد كانت بعض رسائلها قطعا أدبيه رائعة ، يعجز عن كتابتها أديب موهوب » ومع ذلك لم تستطع المسكينة أن تحرك ضمير أحد من المسؤولين عن هذا السجن الذي وضعوها فيه . حتى عندما كتبت مرة بدموعها تشكو الضرب والتعذيب الذي تتعرض له بلا سبب واضح !

ومضت الأعوام والمحامي الذي يقف بجانبها لايكف عن محاولاته لاطلاق سراح موكلته من سجنها المظلم . الى ان جاء عام ١٩٧٨ . عندما اكتشف المسؤولون في الولاية بعد ٤٢ عاما أن جلاديس المسكينة لم تكن في يوم من الايام مضطربة عقليا ولا متخلفة ذهنيا . وقرروا أن يعيدوا اليها حريتها ، ويعيدوها الى الحياة الطبيعية التي حرمت منها ومع هذه الحرية حكم لها القضاء بتعويض قدره ٢٣٥ الف دولار عن السنوات التي حرمت فيها من حقها في الحياة

ولكن المحامي لم يعجبه هذا الحكم الجائر ، لقد رفع دعوى ضد حاكم الولاية يطالبه فيها بتعويض لموكلته قدره ١٢٥ مليون دولار ، لحرمانها من حقوقها المدنية . وتعريضها لاشنع الوان العبودية والاذلال وقال في دعواه : « لايجب أن تنسوا أيها السادة أنكم حرمتم هذه الفتاة من أن تعيش أجمل سني عمرها ترى من الذي يستطيع أن يعيد لها اليوم اثنين وأربعين عاما أمضتها موكلتي في هذا السجن الكئيب ثم انها كانت فتاة جميلة . وكان من الممكن الآن أن تكون أما وجدة لعدد كبير من الاطفال والاحفاد لقد قتلتم جلاديس بيرن فتلتم روحها وشبابها وحريتها »

والدعوى تجد تأييدا كاسحا من مواطني الولاية والقضاء في حيرة أمام أغرب حادث من نوعه في أمريكا

روميو وجولييت

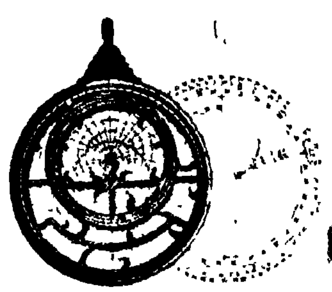
● حبها فأعطته قلبها وكان حبا بريئا ، فقد كان الحبيبان ما زالا يخطوان أولى خطواتهما في الحياة بدأت قصة حبهما مع بداية الربيع ، قبل أن يبلغا العام الخامس عشر وكانا يعدان الايام التي ستظل تقف بينهما حاجزا قبل أن يجمعهما عش الزوجية فلابد ان ينتهيا من دراستهما أولا ولا بد ان يجد الشاب عملا حتى يستطيع أن يستقل بأسرته الصغيرة الى آخر الطريق الذي يسير فيه كل الشباب قبل الزواج

ثم حدثت المفاجأة عندما علمت أسرتاهما بما يحمله كل منهما في قلبه نحو الآخر وكانت الأسرتان متخاصمتين وتكررت قصة روميو وجولييت . ولكن النهاية جاءت مختلفة تماما

لقد افترق الحبيبان الصغيران وذهب كل في طريقه . ولكنه لم يكن وحده ، كان يحمل معه وفي قلبه صورة حبيبته . وقصة الأحلام التي قتلها الخصام والنزاع بين أسرتيهما

وانقضى الربيع ومرت السنون ثم كان اللقاء في خريف العمر بعد خمسة وستين عاما وعرفها من اسمها فقط . فقد كان هو الشيء الوحيد الباقي الذي يؤكد له أنها هي الفتاة الصغيرة التي ما زال يحمل صورتها في جيبه وعرفته أيضا من اسمه انه سير رونالد جولد الرئيس الأسبق لاتحاد نقابات المعلمين في بريطانيا وكان لقاء حارا

وفي حفل صغير وقف الحبيبان يحتفلان بزواجهما الذي تأخر نصف قرن من الزمان احتفلا به مع الكعكة الكبيرة التي كانت تحمل ثمانين شمعة ، هي عدد سني عمرهما الآن قال العريس . « غدا سوف نسافر لنقضي شهر العسل ، ونبحث في هدوء مشروعاتنا للمستقبل ، بعيدا عن زحام المدينة وضوضائها »



الجديد في العلم والطب

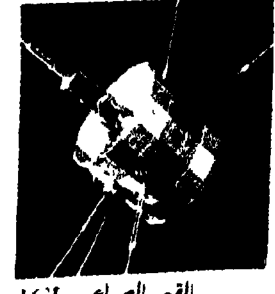
اعداد : يوسف زعبلاوي

لقاء بين قمر صناعي أمريكي والمذنب جاكوبيني - زنر

المذنبات في الفضاء كثيرة ولا سبيل الى حصرها. منها مذنب هالي الذي يزداد اقترابا من الأرض يوما بعد يوم. والذي سيلتقي في شهر مارس القادم خمس سفن فضاء. اثنتين باسم مجس Vega اطلقهما الاتحاد السوفيتي واثنين يابانيتين والخامسة اوروبية باسم جيوتو (Giotto) اطلقتها وكالة الفضاء الاوروبية، ايسا ESA، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة ليست بين الدول المستقبلة لمذنب هالي. ذلك ان السلطات المعنية في واشنطن حرمت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) المخصصات المالية التي يتطلبها الاعداد لاستقبال هالي. وهي كبيرة أصلا. وقد بدت اكبر بكثير مما هي نظرا لان طلبها جاء في اعقاب (العشرة آلاف مليون دولار) التي انفقتها ناسا على صنع مكوك الفضاء !

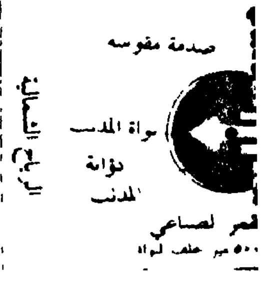
وصعب على (ناسا) أن تكون متخلفة في نفس المجال الذي طالما تزعمت عروه وريادته. مجال الفضاء. وذكر أحد مهندسيها أن ثمة مذنبا آخر عبر هالي أحدا للاقتراب من الارض، هو مذنب جاكوبيني - زنر Giacobini- Zinner فهذا المذنب الذي يقترب من الارض مرة كل ٦.٥ سنوات والذي تحدد انه مر شهر سبتمبر ١٩٨٥ الماضي أي قبل اقتراب هالي من الأرض ستة شهور. أضف الى ذلك أن مذنب (جاكوبيني زنر) هذا أصغر بكثير من مذنب هالي، وانه يقترب كثيرا من الارض حتى لاتزيد المسافة التي تفصله عنها على (٤٤) مليون ميل. اي نحو نصف المسافة التي ستفصل بين هالي والأرض في شهر مارس القادم.

وذكر مهندس وكالة الفضاء الأمريكية واسمه روبرت فركوهار (Farquhar) احد الاقمار الصناعية الامريكية العاملة في الفضاء واسمه الجديد ICE. فهذا قمر صناعي جرى اطلاقه في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٨ مع قمرين اخرين وذلك للقيام بدراسة الرياح الشمسية واثرها على مجالات الارض المغناطيسية. وذكر أيضاً أن هذا القمر الذي اطلقوا عليه اسم (ISEE-3) في السابق قد قطع نحوا من ٣٠ مليون ميل. وانه صغير الحجم ولا يزيد على ٥ اقدام طولا و ٥,٥ أقدام قطرا. وذكر المهندس ان محاولة اعادة توجيه القمر الصناعي بحيث ينطلق في مسار جديد ليلتقي بمذنب جاكوبيني في شهر سبتمبر محاولة عسيرة للغاية، وقد لايكتب لها النجاح نظرا للوهن الذي حل بأجهزة القمر الصناعي، وقد مضى على اطلاقه نحو ثماني سنوات. ولكنه قرر في النهاية



القمر الصناعي ICE





صوب التحدى والقيام بتلك المحاولة

وكانت الخطوة الاولى في حزيران سنة ١٩٨٢ فقد عمد فركوهار ورملاؤه الى اطلاق بعض الصواريخ الصغيرة التي تحملها القمر الصناعى ICE وذلك بأوامر أصدرها اليها بالكمبيوتر واحدثت تلك الصواريخ تحركات في مسار القمر الصناعى قربته من القمر الطبيعى ٥ مرات (انظر الرسم) ولم ترد المسافة التي فصلته عن القمر الصناعى في شهر دسمبر ١٩٨٣ على ٧٥ ميلا فقط وهكذا نجح مهندس الفضاء الامريكى في استغلال جاذبية القمر الطبيعي لمضاعفة سرعة القمر الصناعى ICE حتى بلغت ٤٥٠٠٠ ميل في الساعة فأصبح في مقدوره التوجه الى مذنب جاكوبيني والالتقاء به

وتم اللقاء في حوالي منتصف شهر سبتمبر الماضى ولكن كيف جرى وما هي حصيلته ؟

تسلل القمر الصناعى عبر موجة قوسية (bow wave) وهي احدى موجات الصدمات التي يطلقها المذنب لدى تعلقه في الرياح الشمسيه وكان القمر على بعد ١٧٠٠٠ ميل من نواة المذنب حين اقتحم تلك الموجة

وراح القمر الصناعى بعد ذلك يخترق مقدمة المذنب حتى اصبح على بعد ٥٠٠٠ ميل فقط من النواة . حينئذ اكتشف القمر فيما اكتشف أن عرض ذنب المذنب بلغ ٣٠٠٠ ميل لا ستمائة كما سار الاعتقاد سابقا وتبين له وجود ذرات من الماء وغاز أول اكسيد الكربون وان تلك الذرات مشحونة بالكهرباء . وأخيرا وليس آخراً ثبت للقمر الصناعى ICE أن المذنب لايعدو كونه كرة ثلجية قوامها الغازات والغبار

والطريف أن مهمة هذا القمر لم تنته بعد وانه سيواصل رحيله حتى يقترب من مذنب هالي في شهر مارس القادم ثم ينطلق في فلك حول الارض ليقترب منها ثانية بعد ٣٠ عاما .. وعندئذ يجرى استرداده الى سطح الارض في ٢ اغسطس من سنة ٢٠١٢ على وجه التحديد ، وذلك لكي يفحص العلماء الغبار الذى لا بد ان يكون على سطح القمر الصناعي لدى اختراقه المذنب فهذا الغبار هو بيت القصيد من اهتمام العلماء بالمذنبات عامة ، وبمذنب جاكوبيني وهالي خاصة فهم يعتقدون انه من الغبار الذي سد الفضاء بادىء ذى بدء . وقبل ان يتم خلق المجموعة الشمسية

مكتشفون ومخترعون

الأخوان رايت Wright واختراع الطائرة

ولد ولبور رايت سنة ١٨٦٧ في مدينة ملفيل في ولاية أنديانا ووُلد أخوه أورفيل بعد ذلك بأربع سنوات سنة ١٨٧١ ، وذلك في مدينة دايتون بولاية أوهايو وكان أبوهما قسيسا ، وقد الحقهما باحدى المدارس ، ولكنهما سرعان ما طردا منها ولم يلتحقا بأية مدرسة أخرى بعدها الا أنهما واصلا المطالعة والدراسة بالاعتماد على جهودهما الذاتية ، ودون مساعدة من عالم أو معلم ولعل ما نجحا في غرسه في أنفسهما من شغف بالمعرفة واقبال على طلب العلم ليضاهي كل ما تنمي غرسه في النفوس شتى المدارس والجامعات

أضف الى ذلك ما فطر عليه الأخوان من دأب وجلد فقد كانا على استعداد لإعادة تجربة ما مئات المرات ، حتى يتخطيا ما وقعا فيه من خطأ وتيسر لهما استكمال ما بدأ صنعه أو اختراعه على أكمل وجه

وقد فطر الاخوان أيضا على الميل الى صنع الآلات والأدوات وفكها وتركيبها واصلاحها في حالة تلفها ، لا عجب اذن ان كانت صناعة آلات المطابع هي العمل الأول الذي مارساه وصناعة الدراجات - فضلا عن الاتجار بها - هو العمل الثاني الذي احترفاه سبيلا الى طلب الرزق

ثم كان التحول الجذري عن الدراجة الى الطائرة وعن صنع الدراجة الى اختراع الطائرة فقد حقق العلماء الفرنسيون نجاحا في اختراع البالون ، وهو يقوم على مبدأ الطيران في الهواء بما هو أخف من الهواء ونجح الالمان في اختراع الطائرة الشراعية التي تطير بدون محرك معتمدة على الهواء وضغطه وأولى الأخوان رايت هذه الطائرة الشراعية جل اهتمامهما ، فانصرفا الى الاحاطة بأعمال أوتو ليلنتال وتجاربه اذ كان هذا العالم الالماني المعاصر هو رائد الطيران الشراعي ، وقد صنع ما يزيد على ألفي طائرة شراعية ، تحطمت احداها به ، فاودت بحياته سنة ١٨٩٦ .

واتفق أن ظهر في أمريكا في تلك الاثناء كتاب بعنوان التقدم في صنع الآلات الطائرة Progress in Flying Machine وكان مؤلفه العالم الأمريكي المعاصر أيضا أوكتاف شانوت . . وقد بلغ من اهتمام هذا العالم بأعمال أوتو ليلنتال ومبتكراته أن ضمن كتابه تفاصيل ما نجح في تحقيقه العالم الألماني ، وتفاصيل ما أخفق في تحقيقه أي الطائرة ذات المحرك .

وأقبل الاخوان رايت على التهام ذلك الكتاب وهضم محتوياته ، واتصلا بمؤلفه ، وطلبا منه المزيد من المعلومات حتى اذا فرغا من ذلك الكتاب اتخذا قرارهما الخطير . قرار اختراع الطائرة ذات المحرك تلك التي عجز عن صنعها الكثيرون ، والتي مثلت حلم البشرية المنشود

وفطن الاخوان الى ضرورة الافادة من معلم آخر غير ليلنتال وشانوت . ولم يكن ذلك المعلم سوى الطيور . والصقور منها على وجه التعيين . وهكذا انطلق أحد الاخوين (ولبور) يراقب الصقور في طيرانها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وذلك سنة ١٨٩٩ وظل يتابع مراقبتها ودراسة حركات أجنحتها حتى أدرك السر في قدرة الصقور على الاحتفاظ بتوازنها في الهواء

وعمد الاخوان بعد ذلك الى العمل على تنفيذ قرارهما الخطير وقد اتضح لهما منذ البدء أن ذلك





العمل يقسم الى مرحلتين   مرحلة الطيران ، مجرد الطيران واستيفاء شروطه بحيث يتسنى لهما صنع طائرة شراعية متقنة (بدون محرك ومروحة) ، ومرحلة لمحرك والمروحة اللذين يضافان الى تلك الطائرة ، فيضمنان لها الاندفاع في الاتجاه الذى تريد ، والسفر وقطع المسافات حسبما تشاء

واستغرقت المرحلة الأولى بضع سنوات (١٩٠٠ ـ ١٩٠٢) ، وقد نجح الاخوان في نهايتها بصنع طائرة شراعية مجهزة بأجنحة مزدوجة ، تكفل لها الاقلاع والهبوط ، ومزودة بدفة في الذيل تضمن للطائرة الانحراف أو الاستدارة ذات اليمين وذات اليسار ، هذا الى جانب الرفراف في الأجنحة الذى يساعد الطائرة على التحكم بتوازنها في الهواء

ثم كانت المرحلة الثانية   وقد بادر الاخوان الى صنع المحرك والمروحة المناسبين ، وقد تعذر العثور عليها في الأسواق   وتكللت تلك المرحلة بصنع الطائرة الاولى التى سمياها (فلاير ١) Flyer I والتي طار بها أحد الأخوين في كيتي هوك في كارولينا الشمالية بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطائرة الرائدة أن وزنها لم يزد على ٧٤٥ رطلا انكليزيا ، وقوة محركها لم تجاوز ١٢ حصانا   وان ارتفاعها في الجو لم يبلغ اكثر من (١٠) أقدام ، وان المسافة التى قطعتها بلغت ١٢٠ قدما فحسب . وكانت كالطائرة الشراعية التى سبقتها ، ذات أجنحة مزدوجة علوية وسفلية وبلا دواليب

ومهما يكن من أمر فقد كانت (الفلاير ١) هى نواة الطائرات المحسنة التى صنعها الاخوان رايت بعد ذلك ، وسمياها (فلاير ٢) و (فلاير ٣) ، وكذلك نواة الطائرات النفاثة والصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ، ولو ذكرنا أن تقنية الطيران لم تكن بحاجة الى أكثر من ٦٦ عاما ليتمكن الانسان من الهبوط على سطح القمر سنة (١٩٦٩) لادركنا مدى التقدم الهائل الذى أحرزته تلك التقنية

وتجدر الاشارة الى أن بيع طائرات الأخوين تأخر حتى سنة ١٩٠٨ ، حين وقعا عقود الشراء مع سلاح الجو الأمريكى واحدى الشركات الفرنسية . ولعل أهم العوامل التى أدت الى ذلك التأخر كان حرص الأخوين على التكتم على سر اختراعهما ، والامتناع عن عرض طائراتهما قبل ضمان بيعها ، ومات ولبور رايت بحمى التيفوئيد سنة ١٩١٢ ، ومات أخوه أورفيل سنة ١٩٤٨ □



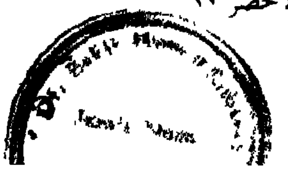
البيئيون من رجال (الجرين بيس) والتجارب النووية الفرنسية في المحيط الهادى

منذ العاشر من شهر يولية الماضى والمجابهة قائمة بين السلطات الفرنسيه وبين أنصار البيئة فهؤلاء يصرون على ضرورة وقف التجارب الذرية والنوويه ، الفرنسيه وغير الفرنسية سواء كانت في المحيط الهادى أو في سائر المحيطات والقارات . وأولئك يصرون على حقهم باجراء التجارب التى يشاءون ، حيثما يشاءون من المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسى دون السماح لأي كان بمراقبة تلك التجارب

وقد أدت تلك المجابهة الى غرق سفينه (ووريز WARRIOR) أى المحارب ، وموت أحد ملاحيها وكان مصوراً هولندى الجنسيه وتبين أن غرق السفينة في مياه نيوزيلندة الاقليمة ، وفي اوكلاند احدى موانئها بالذات كان نتيجة القنابل والمتفجرات التى وضعها في السفينة بعض رجال الاستخبارات الفرنسيه والقت السلطات النيوزيلندية القبض على أولئك العملاء(وكانوا رجلين وامرأة) بتهمة القتل والتآمر والتخريب وترتب على تلك الأحداث أزمة سياسية كبيره في العاصمة الفرنسية شهدها بأزمه ووسرحيت الأمريكيه ، وأدت تلك الأزمة الى استقالة وزير الدفاع الفرنسي ، وطرد رئيس المباحث والمخابرات الفرنسية ، وتردد اسم (جرين بيس) (Green peace) او السلام الأخضر منذ نشوب تلك الأزمة ومازال يتردد فما هو هذا السلام الأخضر ؟؟

انه الاسم الذي يطلق على احدى المنظمات البيئية التى لاهمَّ لها الاحماية البيئه وبذل الجهود في سبيل وقف صيد الحيتان ومنع التجارب الذرية والنووية ومكافحه التلوث بكافه صوره على أن منظمة الجرين بيس تتجنب العنف ، ولاتسعى الى تحقيق أهدافها بالقوة

والمنظمة بريطانية ومقرها الرئيسي قائم في بلده لويس في انكلترا وقد تم تأسيسها قبل ١٥ سنة في كولمبيا البريطانية وفي مدينة فانكوفر بالذات وبلغت ميزانيتها (١٦) مليون دولار لهذه السنة (١٩٨٥) وهى تعتمد على التبرعات ، تبرعات الأفراد ، الى حد كبير ، وتعتمد أيضا وبقدر محدود ، على ماتجنيه من بيع السلع التى تصنع لحساب المنظمة وتحمل اسمها (الجرين بيس) ، وللمنظمة فروع عديدة منتشرة في ١٥ دولة من دول العالم . منها الولايات المتحدة ، وهي التي تمد منظمة السلام الأخضر بتبرعات تقدر بنحو ثلث ميزانيتها وتملك المنظمة حاليا ست سفن . . كانت سبعا ، حتى العاشر من شهر يوليه الماضى ، حين أغرقت السلطات الفرنسية سفينة المحارب السالفة الذكر. ذلك أن أهداف المنظمة تكاد تكون محصورة بالبحار والمحيطات . فهى تسعى من أجل وقف تلوث البحار عامة ، وتلوثها بالمواد الكيمياوية السامة ، بصفة خاصة وهى تعمل أيضا من أجل حماية الأحياء البحريه وخصوصا الحيتان ، وقد تعرضت





قارب مطاطي تابع لمنظمة حرين بيس في مجابهة ودية مع احدى السفن الحربية الفرنسية

للابادة والانقراض في مناطق عديدة في المدة الأخيرة ، وذلك بسبب صيدها العشوائي الجائر

وتهدف منظمة السلام الأخضر كذلك الى وضع حد للاسلحة النووية ووقف تجاربها في شتى البحار والمحيطات

أما الجهود والأجراءات العملية التي بذلتها هذه المنظمة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية فكثيرة جدا ، ولا سبيل لحصرها وحسبنا الاشارة العابرة الى بعض تلك الجهود والأعمال

* سنة ١٩٨٣ هبط فريق من أعضاء الحرين بيس في سيبيريا ، وذلك بقصد لفت النظر على نطاق عالمي الى أعمال صيد الحيتان العشوائية في تلك المنطقة التي هبطوا فيها وقد اعتقلتهم السلطات السوفياتية لدخولهم البلاد بصورة غير شرعية ثم أخلت سبيلهم بعد احتجازهم طوال ٥ أيام

* وفي سنة ١٩٨٣ أيضا حاول بعض أعضاء المنظمة منع تصدير ٢٤ طنا من الخامات النووية ، وذلك في ميناء شربورغ في فرنسا والقت السلطات الفرنسية القبض على القارب المطاطي الذي قام بتلك المحاولة

* وأوقفت السلطات الأمريكية (الولايات المتحدة) احدى سفن الحرين بيس في فصل الربيع الماضي (١٩٨٥) وعند شواطىء (بوينت بلزانت) في ولاية نيوجرزي ومنعت رجال المنظمة من القيام باغلاق أحد الأنابيب الذي كان يحمل النفايات ويقذفها في البحر فيسبب تلوثه

* وفي سنة ١٩٨٢ أطلقت احدى سفن المنظمة ٢٠٠٠ بالون ، وذلك أثناء رسوها في ميناء لينيجراد ، وبقصد الاحتجاج على التجارب النووية التي كان السوفيات يقومون بها ومازالوا

* والآن (اي بين شهري اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥) تقف بعض سفن وقوارب منظمة الحرين بيس في عرض المحيط الهادى وعلى بعد ١٢ ميلا من الجزر المرجانية (موروروا وفانجتوفا) الخاضعة للنفوذ الفرنسي ، والتي تنوي السلطات الفرنسية اجراء تجاربها النووية الجديدة فيها ، جريا على عادتها ولايعرف بالضبط متى ستجري هذه التجارب ، ولا ما قد يترتب على هذه المجابهة الجديدة بين الفرنسيين والبيئيين وأعلن النظر أن السفن الحربية الفرنسية الموجودة في المنطقة لن تتعرض لقوارب المنظمة وسفنها بسوء ، مادامت هذه السفن والقوارب لاتتجاوز حدود المياه الاقليمية الفرنسية ، ولاتقترب من الجزر المرجانية أكثر من ١٢ ميلا وتجدر الاشارة الى أن البيئيين والفرنسيين تبادلوا الزيارات ، وقد قدم الضباط الفرنسيون لرجال السفن والقوارب البيئية بضعة صناديق من النبيذ الفرنسي □





بقلم : علاء الدين محسن

عام ١٩٨٥ هل هو عام الرواية فى المغرب ؟ لقد صدر أكثر من عشر روايات الى الآن « اكتوبر ١٩٨٥ » وهكذا فبعد افتتان طويل بالقصة القصيرة ، والنقد والتنظير وفق أحدث المدارس الغربية ، يظهر أن هوس الرواية قد استبد بالكتاب المغاربة .

ان الكم لايعنى دائما مؤشرا صحيحا على حيوية مسار الحركة الثقافية وغناها ، وتنوع اتجاهاتها فى بلد ما ، الا أن اللافت للانتباه أن نسبة الأعمال الجيدة وسط هذا الكم الروائى المغربى الذى صدر هذا العام ، هى نسبة هامة ، واللافت للانتباه أكثر أن أغلب الأعمال الروائية جودة تعود لكتاب يقدمون رواياتهم الاولى . وهو أمر يحيلنا مباشرة الى التساؤل . هل بدأت ادن ملامح الجيل الروائى المغربى الجديد بالتبلور أو التشكل ؟ ويستتبع ذلك تساؤل آخر عن تفاصيل هذه الملامح

يمكن اعتبار عبدالجبار السحيمى ومحمد زفزاف وادريس الخورى ومحمد شكرى وعز الدين التازى وأحمد بورهور الأسماء التى ظلت الأكثر اشعاعا وتمثيلا طوال الخمسة عشر عاما الماضية ، لجيل القصاصين والروائيين المغاربة ، الذين ظهروا بعد عبدالكريم غلاب وعبدالمجيد بنجلون والحبابى ومبارك ربيع ، الذى يمكن الحاقه بهم دون خوف من مجازفة . هذه الأسماء الجديدة التى جاءت لتبحث عن كتابة روائية وقصصية جديدة ، مغايرة لكتابات أولئك الرواد ، ظهرت بعد استقلال المغرب « ١٩٥٦ » وكانت انطلاقتها أساسا من الصحافة الثقافية ، ويمكن لمؤرخ أدبى مدقق أن يلاحظ كيف كان ملحق جريدة العلم الثقافى خلال الستينيات ولغاية منتصف السبعينيات يجمع على صفحاته هذه الأسماء الجديدة كلها . فقد كانوا فى هذه المرحلة موحدين فى هموم ابداعية وثقافية متشابهة ، ولم يتشتتوا ثقافيا وسياسيا الا بعد ذلك ، عندما عرفت الساحة السياسية فى المغرب استقطابات جديدة ، وتحديدات لم تكن موجودة من قبل لليمين

واليسـار ، استـدعت ظهـور استقـطابـات ثقـافيـة جديدة ، فقد ظهر ملحق جـريدة المحـرر الثقافي ، ومجلات ثقافية ذات توجه يسـاري ، ووجد عدد كبير من هذه الأسماء أنفسهم أكـثر قربـا من هذه المنـابر الجديدة فالتحقوا بها ، حتى أصبح لكل مجلة ثقافية ، وملحق ثقافي كتابه . نخلص من هذا الاستطراد الى القول ان عبدالجبار السحيمي مثلا عنـدما أصـدر مجموعته الاولى « مولاي » عام ١٩٦٥ من القاهرة ، ومجموعته الثانية « الممكن من المستحيل » عام ١٩٦٩ من الرباط ، لم يكن اسما ظهر فجأة أو لاتاريخ له ، فهـو قد بدأ بالنشـر عام ١٩٥٧ في جـريـدة العلم « مغربيا » والأديب والآداب البيروتيتان « عـربيا » ، والملاحظة ذاتهـا يمكن ايرادهـا بصدد محمـد زفزاف الذي صدرت مجموعته « حوار في ليل متـأخر » من دمشق عام ١٩٧٠

أما الأسماء التي شكلت أعمـالها مـلامح ١٩٨٥ الروائية ، فهي أسماء في عالمها ليس لها حضور ثقافي قبل اصدارها لأعمالها الاولى هذه . هل هو اذن جيل ثقافي لاتستوعبه المنابر الثقافية المغربية الموجـودة حاليا ، والمغرقة في العمى عن اختيارات سياسية ، أم هو جيل لاترصده هـذه المنابر واختياراتهـا الثقافيـة والسياسية ؟ من السابق لأوانه - ونحن ازاء ظـاهرة كهذه لاتزال في طور التشكل - تقديم اجابة قاطعة عن هذه الأسئلة . فقد أصدر « نور الدين عامر » روايته « لعنة الأرض دون أن يكون اسمه قد ظهر أو تردد في الحياة الثقافية المغربيـة ، و « أيام من عـدس » هي الرواية الاولى لكاتب لم ينشر في الصحافة الثقافية من قبل هو بهوش ياسين ، والحمدوش عبدالإلاه » الذي كتب « احالم » هو الاخر اسم يتقدم الى الساحة دون مقدمات ، وكذلك ادريس بلمليح الذي صدرت له روا... الوردة والبحر »

ان هذه الملاحظة قد توحي بأن هـنـاك نوعـا من القطيعة بين جيلين اختارا طريقتين مختلفتين للظهور ولكن هذا الايحاء هو مجرد وهم ، فـالقراءة المتـأملة لأعمال هذه الأسماء الجديـدة الروائيـة تكشـف عن استمـراريـة ، مثلما تكشـف في بعض الأعـمـال عن ظـلال أسماء لاتـزال حاضـرة من الجيل السـابق ، كمحمد زفزاف وادريس الخوري وبالطبع ، فهذه الاستمرارية وهذا التأثر ليس بالاكتشـاف ولا بالأمر



المدهش ، نظرا لحداثة الابـداع المغربي المكتـوب بالعربية بمجمله .

ان قراءة روايات - هي الاعمال الاولى لكتابها - تكاد تشكل مغامرة ، فنحن هنا إزاء شخصية كتابية لاتزال في طور التشكل ، الأمر الذي يجعل من اصدار احكام نقدية عملية محفوفة بالمحاذير ، الا أن ضرورة اضـاءة مختلف التفاعـلات والمستجدات والـظواهـر الفاعلة على السـاحة الثقافية المغربية اليوم تدفـع الى خوض مثل هذه المغامرة .

لقد اخترنا هنا قراءة روايتين لكاتبين جديدين ، ورواية أخرى لكاتب ثالث ، هو محمد صوف ، سبق له أن أصدر عددا من المجاميع القصصية والروايات من قبل ، كشفا للمشترك والمتغاير في كتابة جيلين ، وينبغي الاشـارة هنـا الى أننـا - نـظرا للتحفـظات والأسئلة التي وردت سابقا ،وكانت تصعب الاجابة عنها - سنكون فيها يـلي بصدد انطباعات طموحها أن تتبلور من بعد الى تحليل وبحث .

الوردة والبحر

يمكن لعنـوان هذه الـرواية لادريس بلمليـح أن يذكرنـا بعنوان روايـة « المرأة والـوردة » - ١٩٧٢ - لمحمد زفزاف ، الا انه تشابه يظل محصورا في اطار العنوان فقط . فبلمليح يختار كتابة روائية مختلفة عن

كتابة زفزاف . كتابة تبتعد عن مجرد الوصف الخارجي والرصد الفوتغرافي لأحداث وشخصيات بلغة محايدة باردة ، وتجنح نحو كتابة أصعب تعيد بناء الواقع الروائي ، وتشغل بتركيب التفاصيل ، لترقى بالفضاء الروائي عن ملامسة الواقع البسيط . ولغة ادريس بلمليح متأملة وموحية وذات ايقاع ونفس شعوري .

ان الثنائية التي يحملها عنوان « الوردة والبحر » تتحول في الرواية الى ثنائية نقيضة : « الضحية والجلاد » فنحن ازاء رواية تتركب من قصة شخصيتين تلتقيان في لحظة ذروة التصعيد الروائي ، وتتورع من حولهما عدة شخصيات أخرى ثانوية ، تعمق من دلالة هذا اللقاء ، عندما نكتشف أن كلا من السجين والسجان ، الضحية والجلاد ، هما في سجن أكبر .

في الرواية ثنائية أخرى معتادة في الأعمال الروائية المغربية ، هي ثنائية الريف والمدينة . فالخمار يهاجر من أرضه الى المدينة مع زوجته فاطمة ، التي تجهض بجنين مشوه بسبب ماء ملوث تركت به . المدينة تفترس الخمار ، وعلى اتساعها ورحابتها وازدحامها يعجز عن العثور على عمل ، وفي النهاية وعن طريق زبائن مومس من أقربائهم ، يعثر على عمل كحارس في السجن ، عمله يعيد اليه حريته التي استلبتها منه البطالة ولكن المفارقة أن عمله سيكون على حساب حرية آخرين « السجناء » يجيد إدريس بلمليح استغلال هذه المفارقة وتصعيدها دراميا . ففي صبيحة عثور الخمار على عمله الجديد تصاب زوجته ـ الذكرى الباقية من ماضيه ـ بالشلل ، وللترميز الى هذه القطيعة مع ماضيه يغير الخمار اسمه الى بالحسن . الا ان هذه القطيعة مع الماضي تظهر كطموح مستحيل ، فبلحسن لايمكنه الا أن يكون سجانا مختلفا في تعامله مع مسجونيه ، فهو يتعاطف معهم ، يستمع اليهم ويتعلم منهم ، ويرتبط بعلاقة حميمة مع أحدهم ، سيكون مكملا لثنائية الجلاد والضحية التي تنهض عليها الرواية . انه سجين مبهم الاسم ، جذوره في الريف ايضا فأبوه يبيع أرضه ليوفر له امكانية دراسة الحقوق لكنه يُشغل عن دراسته باشتغاله بالسياسة ، التي تؤدى به الى السجن ، حيث يتعرف على سجانه بلحسن . حبيبته عائشة تنتهي أحلامها أيضا ، وتدخل الى سجن ظلام الحانات الليلية ، حيث تعمل ساقية ، صديقه يفقد احدى عينيه خلال مشاركته بتظاهرة ، وفي غمرة هذه الانكسارات تظل امه وأخته خديجة ومضة الضوء الوحيد الآتية من عالم فيه مسحة من النقاء . ويكرس بلمليح خديجة اخت السجين رمزا لأمل ينبثق من الظلمة التي تدور فيها أحداث روايته ، فهي تلتقي بفاطمة زوجة السجان ، وتكون بالنسبة لها بشارة ولادة طفل جديد لها بدل طفلها الذي مات مشوها . انه طفل يوحي بالتغيير ، فنحن ازاء شخوص كالعنقاء تنبعث من رمادها ، أو كما تقول خديجة « كتب علينا أن ننهار ونبعث لننهار ثم نبعث » . دورة حياة الشخوص هذه هي نفسها دورة حياة الرواية ، التي تتخذ نسقا تركيبيا متداخلا ، حيث تفضي نهاية كل فصل من فصولها الى بدايتها التي تنتهي بدورها الى نهاية مفتوحة على فضاء الحياة ، والرموز التي اعطاها بلمليح القدرة على استنشاق هواء واقعي محسوس .

الحالم

وبقدر ما كانت الوردة والبحر رواية متعددة الشخصيات وغنية بالاتجاهات ، تتقاطع فيها مستويات الروائي وتتعدد ، يختار الحمدوشي عبد الإلاه في عمله الأول « الحالم » كتابة رواية أحادية الشخصية ، تتوالى فصول حكايتها بتسلسل وسلاسة ، اضافة الى بساطة موضوعها ان ضمير المتكلم فيها كأداة للسرد ، وحميمية العديد من تفاصيلها يجعلها أشبه بسيرة ذاتية .

تتحدث الحالم عن « مجيد » الذي يعمل أبوه عاملا في مقهى ، « في رأسه أحلام ، وعيناه تتطلعان الى حياته التي يتصورها ، تكمن في مكان آخر غير حياته اليومية التي يعيشها . انه يحلم بدور عظيم سيلعبه ويغير العالم وقوانينه وعاداته البالية . الا أن موت أبيه يجعله يعيش قسوة الواقع ، ويترك أحلام الزعامة ليذهب للدراسة في « تطوان » في مركز لتكوين المعلمين

وفي هذه المدينة يعيش تجربته العاطفية الأولى التي يغادرها خائبا ، عندما تتزوج زميلته التي لاتأبه بحبه



من أستادها وتستغرق قصة حبه هذه عددا كبيرا من صفحات الرواية القليلة العدد في الأساس وذات القطع الصغير، وبعد تخرجه يشتغل مجيد معلما في قرية معزولة عن العالم، على قمة جبل، يقول له المدير وهو يسلمه قرار تعيينه «بيني وبينك مائة كلمة ثلاثون منها بين جبال شاهقة، هاهي حصتك من الطباشير لمدة سنة لايمكن أن أزورك أبدا، وضميرك هو مديرك. انت أول معلم في التاريخ سيصل الى قبيلة «بني هرطيق».

ويشكل هذا الجزء من الرواية الذي يتناول تفاصيل حياة بطلها في قريته المعزولة الجزء الأكثر جمالية وعمقا في رواية الحالم انه يتحدث بمثل هذه التلقائية عن سكان العالم الجديد الذي دخله «كانت علاقتي بسكان القبيلة تتميز بنوع من الجفاء والقطيعة، ولم يكن ذلك ناتجا عن عداوة أو حقد، وإنما لكوني أشعر بالملل، وأنا أحاورهم احاديثهم المضجرة المتكررة، التي تنتهي عادة بالرحاء المعبق باليأس كنت أجد دائما عذرا لأمارس عزلتي، حيث أتيه بين الجبال، أخاطب الأشجار والأحجار والطيور، أبثها لوعتي وعذابي، وكان الفراغ الهائل الذي يجثم على حياة الجبل يجعلني متلهفا لمقابلة أي شخص متمدن، وبما أن هذا الشخص غير موجود، فقد توجب على خلقه. الا أن علاقته السلبية بمحيطه الذي يبعد مائة كيلو متر عن أقرب حضري متمدن، تتحول نحو الايجاب، عندما يمرض ويحس بعواطف سكان القرية المتعاطفين معه في أزمته فيبدأ بالاندماج في حياة القبيلة، يحل مشاكلهم البسيطة، ويقدم لهم ارشادات صحية، يفتح صفا لمحو أمية الأبناء والبنات وتثير شعبيته وسط السكان حقد شيخ القبيلة الذي يدبر له مؤامرة يجال بسببها على التحقيق ويوقف عن عمله، يعود الى تطوان مفلسا، ليتبع امرأة يعتقدها حبيبته القديمة، تصحب طفلا «أحس مجيد أن ذلك الطفل كان يجب أن يكون طفله بل اعتبره فعلا ـ طفله الذي سرق منه، كما سرقت أحلامه في أن يكون روحا صالحا وبلا شعور وبحركات متهورة هرول نحو الطفل ورفعه من عربته واحتضنه بقوة مدهشة، حتى أن أمه من فرط الصدمة صرخت صرخة مدوية، جعلت جحافل المتأنقين تهب مسرعة متدافعة لتحيط بالمرأة التي تبكي بحرقة، وتحاول نزع طفلها من حضن رجل غريب، يبدو كمجنون فار من «المرستان». وعند هذا المشهد تنتهي رواية «الحالم»

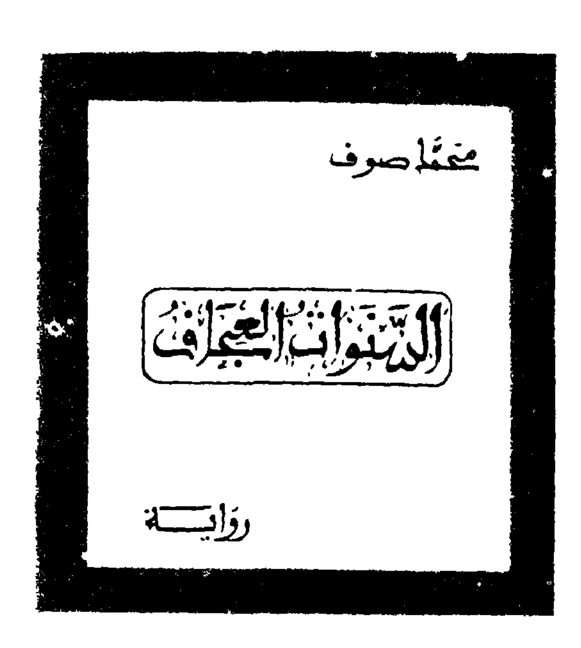
انها رواية بسيطة وسلسة ولعل في هذا يكمن تميزها فهي تحمل عبق الاعترافات التي تتتابع بتلقائية، وينبغي أن توجه اشادة خاصة الى لغة الحالم التي حافظ عليها الحمدوشي عبد الإلاه، وهو يلخص احباطات الجيل المغربي الشاب بعد الاستقلال متألقة ونقية

السنوات العجاف

طبعت رواية «السنوات العجاف» عام ١٩٨٤، الا انها وزعت خلال الأشهر الاولى من عام ١٩٨٥. وولد مؤلفها محمد صوف عام ١٩٥٠، وبدأ النشر أواخر الستينيات، الا أن أول مجموعاته القصصية صدرت عام ١٩٦٨ بالدار البيضاء، وكان عنوانها «تمزقات» ثم أصدر بعدها مجموعتين قصصيتين وروايتين. نحن اذن امام كاتب غزير الانتاج،

ومتمرس في الكتابة القصصية والروائية ، « والسنوات العجاف » هي روايته الثالثة . الا ان المثير للانتباه أن اعماله نادرا ما حظيت باهتمام النقاد والدارسين المغاربة ، لدرجة أنه يكاد أن لايكون معروفا خارج المغرب ، رغم أنه من مجايلي أسماء أصبحت نجوما الى حد ما ، كمحمد شكرى وزفزاف والخورى والمديني ، والمثير للانتباه أكثر أن هذا التجاهل أصابه رغم تميزه بين مجايليه المغاربة ، على صعيد تقنيات الكتابة والموضوعات التي تشكل عالم قصصه ورواياته

يفتتح محمد صوف سنواته العجاف بمشهد ولادتين في كوخ الضاوية تولد مسعودة التي يأخذها عمها لتربيها زوجته التي لاتنجب ، وفي منزل خديجة تولد ابتسام التي تغمرها الهدايا والزغاريد ، وتسير الرواية في متابعة هاتين الولادتين في عالمين مختلفين طبقيا مسعودة تتعذب على يد زوجة العم ، وابتسام تدرس الفرنسية وتسافر لاكمال دراستها في باريس ، نحن الآن في مغرب ماقبل الاستقلال عم مسعودة يعمل مع الوطنيين ضد الاستعمار المدينة تشتعل بدوى الرصاص ، وتتعلم الصغيرة أول دروس الوطنية عندما يعود العم من معتقله وقد فقد احدى عينيه تترك المدرسة ويزوجها أهلها من معلم لاتحبه ، فيما تعيش ابتسام حياة الطبقة الراقية الحافلة بعلاقات من نوع آخر مسعودة تمزقها علاقة ثلاثية تحب الحسين شقيق زوجها ، ومصطفى الشقيق الأخر للزوج يحبها الا ان الحسين يرحل الى فرنسا ، أما مسعودة فتقرر أن تتعلم القراءة والكتابة ، في باريس تلتقى ابتسام بالحسين الذى يبدأ بالعمل من أجل التعريف بقضية استقلال المغرب ان العالمين الذين ظهرا منفصلين وسارا في الرواية بتواز الى ان يأخذا بالالتقاء . وقد استقل المغرب الآن ، ويموت زوج مسعودة في موجة التصفيات التي سادت بين فرق الوطنيين اثر الاستقلال ، فيقرر الحسين مغادرة باريس والعودة للوطن لإعالة عائلته ، وهو بذلك يغادر وقصة حبه مع ابتسام في بدايتها . في وطنه يعيش الحسين وضعا كافكويا ، فهو مطالب بالثأر لأخيه الذى لايعرف لماذا قتل ومن قتله ؟ ، ولكن انصار أخيه يريدون منه الانتقام بتصفية أحد خصومهم وفي وطنه أيضا يتعرف على « اشراق »



التي يتحول حبه اليها بدلا من ابتسام التي تعود في زيارة للمغرب مع اصدقائها ، على أمل اللقاء بالحسين الذى لايجدونه في استقبالهم بالمطار : لقد ذهب للثأر لأخيه ، ذلك الثأر الذى لايريده ، ولكنه وجد نفسه محاصرا بمن يدفعه للقيام به ، والا اعتبر خائنا وصُفّي . غيابه يعني الموت الحتمي الذى لا تصرح به الرواية ، ولكن نهايتها المفتوحة توحي به .

السنوات العجاف التي يتناولها محمد صوف روائيا اذن هي تلك السنوات التي تلت استقلال وطنه ، وحفلت بتصفيات سياسية لم تقدم حولها وجهة نظر محايدة الى الآن . وهي بذلك تنضم الى مجموعات روايات مغربية تناولت المرحلة والموضوع نفسه . وتميز صوف هنا هو في اجادته التعامل الروائي مع موضوع صعب وسهل في نفس الآن . سهل لأنه يتناول مرحلة قريبة من تأريخ المغرب ، غنية بالاحداث والتفاصيل ، وصعب لأنه موضوع يتضمن جوانب سياسية لاتخفى ، يمكن أن تذهب بالعمل الروائي باتجاه معالجة ايديولوجية مباشرة . الا أن السنوات العجاف عبر قصص حب شفافة ومتداخلة قدمت بأصوات متعددة استطاعت الاحاطة فنيا باشتغالات شخوص هذه المرحلة الحساسة في تأريخ المغرب المعاصر ، دون السقوط في لغة افتتاحيات الصحف أو في مجرد التوثيق . □

قضيّة

الكتابة فنّ ولكنها أنبل الفنون وأخطرها

بقلم : الدكتور أديب نصور

جاء في قول سقراط قبل أن يتجرع كأس السم : « ان حياة لا تنتقد ولا تمتحن غير جديرة بأن تعاش . وأنا كالذبابة التي تلسعكم ، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة » .

فهل الكتابة لسع فقط ؟ لنقرأ معا هذه القضية .

« عندما كنت شابا ، كنت اكتب لاعيش . والآن اكتب لكي لا اموت مثل شهرزاد ، أستمر في الحياة ما دامت لديّ قصة اخرى لتروى » .

ذلك اعتراف الكاتب البرازيلي كارلوس فوينتس . هناك الكتابة كعمل لتحصيل الرزق ، وهناك الكتابة من اجل الحياة ، أو كمبرر للبقاء على قيد الحياة ولنصرع ، منذ البدء ، من الدافع المادي . والعنصر المادي في الموضوع يطبق اكثر ما يطبق على الكاتب المحترف . مثل ممارسة الطب او الهندسة ، قد تكون الكتابة صناعةً او احترافاً وإذا كان الكاتب يتقاضى أجرا كبيرا على عمله فذلك مما يدفعه الى الكتابة ويشجعه على الانتاج

بعد الحرب العالمية الثانية كان ونستون تشرشل يتقاضى دولارا على كل كلمة تنشر له في الصحافة الاميركية ، مما دعا الزعيم العمالي موريسن ان يقول في مجلس العموم ، جادا في المداعبة « ان الجنتلمان المحترم - زعيم المعارضة يومذاك - هو أكبر محصل للنقد النادر في بريطانيا » . وان بعضا من الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة اليوم يأخذ نحو أربعة عشر الف دولار على محاضرة واحدة لساعة من زمان . ذلك هو أجر كيسنجر ، وزير الشؤون الخارجية للرئيس نكسون وللرئيس فورد ، وذلك فوق ما تدرّ عليه مذكراته من ملايين .

أما الكتابة للادب والفن والجمال ، أما الكتابة

---

* أستاذ قانون وكاتب عربي سوري له العديد من المؤلفات منها وطنيون واوطان ، قبل فوات الأوان ، النكسة والخطأ ، حل الدولة وغيرها .

للحق والخير ، أما الكتابة للحياة وللقضايا الحساس في الحياة ، فذات شأن آخر

الكاتب أسير فنّه

ويخيل اليّ أن الكاتب الأصيل ليس مطلق الحرية في ان يكتب أو لا يكتب انه لا يملك وحده كل أمره ، وانما الموهبة و « الحالة » هي التي تملك عليه الأمر كله ، وربما فصت عليه وهو يؤدي دوره المحتوم على الكاتب أن يكتب كما على الطائر أن يطير بجناحيه ، وكما على النحل ان يجني الجني وفي الحديث الشريف
« كل مُيسّر لما خلق له »

أرسل مكيافللي ، صاحب كتاب « الأمير » و « المطارحات » ، رسالة الى صديق يقول فيها ، بعد أن صرفته حكومة فلورنسا من خدمتها والسفارة لها « أني لا اهتم بتجارة الصوف أو الحرير ، فاما أن أكتب في السياسة أو أختنق »

ثم انه في كل زمان حر فكري أو روحي يغشى البلاد ، وفكرة كبرى أو فكرة رئيسية تهيمن على العصر في هذه الحالة لابد للفكرة الدافقة من ان تجد لها تعبيرا ، ومن يمهد لها أو يشرحها للناس فكرة الحرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا وأميركا ، والديمقراطية البرلمانية أو التمثيلية ، وفكرة القومية ، والدستور المكتوب ، وسيادة القانون فكر ومبادىء تطوعت لها أقلام كبار المفكرين السياسيين ، من لوك الانكليزي ، الى جفرسن الاميركي الى جان جاك روسو مواطن جنيف الفرنسي

تلك الأفكار سبقت ، أو رافقت ، الثورات الثلاث الكبرى في انكلترا وأميركا وفرنسا

وقد يكون الكاتب أكثر من معبر بليغ عن أفكار العصر في المنعطفات التاريخية الكبرى يكون مفكرا مبدعا أو مجتهدا رائدا ، يعالج قضايا العصر ومشاكل البلاد ، كأنه أول من فكر أو عالج أو كتب ويسهم في نقل الحالة الاجتماعية من طور الى طور والوضع السياسي العام من مرحلة الى مرحلة ، متقدمة او متخلفة

وفي بعض الأحيان يبدو الكاتب وكأنه ضمير الشعب أو الأمة ، ويعبىء عن « أفكار قلوب كثيرة » يحلل ويقيم ويوجه ويقود بالرأي والبيان

في أيام نابليون بونابرت والهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية ، وجد في المانيا مفكر سياسي ـ استراتيجي أسمه فردريك فون غانتز كان يعد من أحسن العقول وأقدر الكتاب في أوروبا وكان يمثل الرأي العام السائد عند الخاصة من الأوروبيين وقد سجّل هو نفسه ما يلي « أود أن أقول ، وأستطيع القول بدون خيلاء ، اني واحد من الذين يمثلون العقل العام في القرن الحاضر »

بروسي الأصل ولد في بريسلو سنة ١٧٦٤ وبدأ دراسته في برلين وأنهاها في جامعة كونيغزبرج حيث تتلمذ على الفيلسوف (كانت) ، وقد عصب للانتصارات العسكرية التي أحرزتها الثورة الفرنسية ، وأقام في فيينا منذ سنة ١٨٠٢ احتجاجا على سياسة بروسيا المتسامحة مع فرنسا وبرز بكتاباته ضد امبراطورية نابليون ، كواحد من أقدر الكتاب السياسيين في أوروبا كلها ، ان لم يكن أقدرهم على الاطلاق وقيل في أدبه أنه رفع تأليف الرسائل السياسية والتعليقات الصحفية الى مستوى الفن ، وقيل انه كان يصوغ ويصقل التقارير أو المذكرات السياسية كما لو كانت قصيدة شعر

و مصير دول عصره

لم يكن لغانتز سلطان سياسي ، ولا كان يحتل في الدولة منصبا قياديا . أقصى ما بلغه في الحكومة النمساوية أنه كان سكرتيرا للمستشار الشهير مترنيخ انما استطاع تلميذ (كانت) أن يحلل تحليلا عميقا الواقع الأوروبي ، ويقدر تقديرا صحيحا خطر نابليون والامبراطورية الفرنسية على حريات أوروبا واستقلال دولها وكان يرى أن فرنسا الثورة وسيفها نابليون قد قلبا ميزان القوى في أوروبا ، وأن على دول أوروبا أن تتحالف ضد العدو المشترك لترد التوازن الدولي الى نصابه وقام بحملة فردية متواصلة الى ان تألف الحلف الكبير الذي هزم نابليون ولم يخف امبراطور الفرنسيين حنقه على « هذا الشقي ومنشوراته . »

وفي مؤتمر فيينا (١٨١٤ ـ ١٨١٥) غدا مفكر

أوروبا أمينا عاما لمجمع الدول ، وعرف بسكرتير أوروبا ونال أعلى وسام روسي مع كتاب من القيصر اسكندر الأول أطلق عليه فيه لقب (فارس أوروبا) واقترح مرة الوزير الفرنسي تاليران ان تؤسس أمانة أوروبية دائمة في فيينا ، وان يعهد الى غانتر بادارتها وكتب عنه مؤلف معروف يقول . « غانتر مكّر أفكار زمانه ـ كانت له مسحة من العظمة ، وربما من العبقرية هنا كان ديموستين الأوروبي وهذه كانت ساعته . »

ولعب غانتر ذلك الدور الخطير دون تكليف من أحد،كانت للقلم عنده سالة تلزم صاحبها كسالة الفرسان أو سالة الرهبان ـ أصحاب السيف وأصحاب الوشاح الم يتحدث المتحدثون عند العرب عن أرباب السيف وأرباب القلم !

بهذا المعنى كان على الكاتب واجب ومسؤ ولية مثل واجب الطبيب نحو المرضى والجندى على حدود الوطن بدافع عن الأرض والاهل والكرامة

وعلى الكاتب أن يمضي في أداء الواجب فلا يهرب من القيام بما خلق له فان المواهب لا تعطى لكي تهدر وتأتي عندما تأتي بتقيس شديد ، لتقوم بوظيفة اجتماعية لا بد منها ، كأنها القدر

حرية النقد .. في أثينا

عندما رأت أثينا (المدينة ـ الدولة) ان أسئلة سقراط تحدث اضطرابا في المدينة و « تفسد الشباب » وتنال من آلهة الدولة ، أرادت أن يرحل عنها سقراط أو ينفي نفسه ، فلما أبى اشترطت عليه الصمت ، فلما أبى أتاحت له فرصة الهرب من السجن ، فلما أبى ذلك حكمت عليه بالاعدام وشرب سقراط السمّ مختارا ، اطاعة للقوانين قال لقضاته « ان حياة لا تُنتقد ولا تمتحن غير جديرة بان تعاش ، والموت أحب اليّ من الهجرة الى بلد غريب . واذا كنتم أنتم أهل مدينتي العظيمة لا تطيقون كلامي فكيف يتقبله الآخرون ؟ وأنا كالذبابة التي تلسعكم ، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة . » وبقي سقراط أياما أمام محكمة الشعب ينتقد حكومة أثينا يسخر من رجالها ، في معرض الدفاع عن آرائه .. ان ذلك سنه ٣٩٩ ق م .

الكاتب شاهد على عصره وشهيد . ليس له أن يصمت في موضع الكلام . ليس له أن يتجنب الخطر ويغيب عندما يكون الحضور قضية موت أو حياة ، حرفيا ، بالنسبة الى قومه وبلاده .

هناك من يأثم أو يخون بالصمت، وهناك من يأثم أو يخون بالقعود . (اذهب انت وربك فقاتلا.. انا ههنا قاعدون)

في سنة ثلاثمائة وثلاثين قبل الميلاد القى ديموستين خطبة التاج أمام الجمهور الأثيني صاحب السيادة في الدولة مدافعا عن سياسته في مقاومة الملك فيليب المكدوني ، ومهاجما منافسه آخيين،وكان الخطيب الثاني بين خطباء أثينا الذى خطب ليحرم ديموستين من تقدير الشعب الأثيني ويعتبر النقاد خطبة التاج لديموستين خطبة لأعظم خطيب في التاريخ

وكان الخطيب عند الاغريق رجل دولة ، مثل (المدره) عند العرب (سيد القوم وخطيبهم)

وكانت الخطابة تدرس عندهم كما يدرس القانون وعلم السياسة في زماننا ، وموضوعها الأحلّ هو الدولة والشأن العام وحجة ديموستين انه بينما كان يجمع المدن اليونانية ضد توسع فيليب ، وبينما كان يحشد الجيوش للدفاع عن حرية أثينا واليونان ، كان آخيين غائبا متواريا أو متفرجا يترقب « أهناك أمر حار فيه الخير للشعب ؟ آخنين أخرس أبكم أعمى . أهناك حظا ، أزمة ، أو كارثة ؟ الى الأمام يتقدم آخنين ، شأنه شأن الجراثيم تنشط عندما يضعف جسم الانسان »

وبعد انتصار فيليب النهائي ، انتحر ديموستين لكي لا يقع في يد الاعداء

الكتابة .. سبيل الى البناء والبقاء

ويعلم الكاتب ان كلامه المفعم بالمسؤ ولية ، المليء بالمعنى ليس مجرد كلمات . وانما هو فعل من الأفعال . كان كلام شارل ديغول مقدمة للعمل ، او هو الفعل التاريخي ، أو وسيلة رجل الدولة في الحرب والسلم جميعا . ورجل الدولة العصري يخطب ويكتب ويقود ويسوس مثلما كان يفعل تشرشل في الحرب العالمية الثانية ، وهو رئيس الوزراء في بريطانيا ، ومثل جواهرلال نهرو في الهند بعد

استقلالها .

وهناك دائما أكثر من طريقة واحدة لقول الشيء الواحد . وعند العرب أرفع الآداب هي المناظرة والجدل ، وتلك القواعد القرآنية الخالدة ، والحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة و « جادلهم بالتي هي أحسن » ولعل أول تعليمات « دبلوماسية » معروفة ، وقد ورد فيها نص ، اعطيت لموسى وهرون أخيه : « اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى . »

وتعرف الفلسفة ، وتعرف الآداب العالمية ، كُتّابا لم تتح لهم فرصة العمل في الحياة العامة ، أو لم يكن لهم سلطان ، أو انهم لم يجدوا دولة ، فلجأوا الى الوسيلة المتبقية لهم وهي الكتابة والتأليف . يمثلهم جان جاك روسو حيث كتب : « يقولون لي أأنت ملك أم أنت أمير حتى تكتب في السياسة ، وأجيب لو كنت أميرا لما أضعت وقتي في الكتابة ، ولكنت فعلت قبل أن أقول »

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وجد أفلاطون أن أحوال أثينا لا تناسبه ، بعد اعدام معلمه سقراط ، فانصرف عن السياسة ، ترفعا وصيانة لنفسه ، وأنشأ الاكاديمية ، نواة أول جامعة في التاريخ ، وراح يكتب ويعلّم

ثم لاننسى أن فريقا من الكتاب والشعراء ، في عصور مختلفة ومن حضارات شتى وجدوا في الكتابة طريقة للتغلب على الموت بالأثر الباقي ، ونوعا من الخلود .

وفي المثل اللاتيني القديم « الكلمة المكتوبة تبقى وتدوم » وقد تردد هذا المعنى في الشعر العربي بصيغ مختلفة ، مثل قول أحدهم :

وقافية مثل حدّ السنان تبقى ، ويذهب من قالها

لكن المتنبي تحطاهم جميعا على عادته :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وأخيرا ، أليس في الكلمات المكتوبة تحملها الصحف ، وفي الكلمات المسجلة المحكية تحملها موجات الأثير ، صفة مثل النسيم العليل وريح الصبا الذى كان يحمل التحيات والأشواق عبر المسافات والحدود ، ليبلّغ أهل الحي أن المحب « هنا » وأنه مازال « على العهد . »

ان الذى كان يحدّث بحق « اوتيت جدلا » « وأعطيت جوامع الكلم » ، هو الذى استطاع في خطبة الوداع أن يرسل الكلمات الهائلة المدوية في التاريخ . « ألا هل بلّغت ؟ .. اللهّم فاشهد »

□

منتدى العربي
تعقيبات

قسطنطين الأفريقي ١٠٢٠ ـ ١٠٨٧م

قرأت مقال « ساليرنو . جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى أوروبا » بقلم الدكتور حسن فريد أبو عرالة في العدد ٣١٩ من « العربي » لشهر حزيران ١٩٨٥ (ص ١١٩ـ١٢١)

وقد استغربت كيف أن الاستاذ الباحث لم يف قسطنطين الافريقي حقه في تأسيس مدرسة ساليرنو الطبية ، مع أنه كان العمدة في تأسيسها ، ولولاه لما كانت مدرسة طبية في ساليرنو ، واستغربت كذلك

من اضطراب وغموض الندة التي أوردتها الموسوعة البريطانية عنه فلم يكن « مغامرا » بالمعنى الذى قصدته الموسوعة علماً بأن هناك بعض الاساتذة والباحثين في الجامعات البريطانية ممن يرفضون قبول « الموسوعة البريطانية » كمرجع في الدراسات العلمية وكتابة البحوث للدرجات الاكاديمية، وربما كان السبب هو عثورهم على امثال هذه المغالطات في ثناياها !

لقد كان قسطنطين رحلا عربيا من تونس ، اشتغل بالتجارة ، وقيل انه كان في الأصل مسلما ، فاعتنق المسيحية ، وتسمى بقسطنطين الافريقي ، ولم نعثر على اسمه الحقيقي يوم كان مسلما ، وربما كان « عبد الله » أو « عطاء الله » على ما ورد في بعض الروايات ، وكلا الاسمين شائع في الشمال الافريقي ، وانخرط قسطنطين في سلك الرهبان البندكتيين

واعتكف في ديرهم في « مونتي كاسينو » وبقى هذا الدير الى الحرب العالمية الثانية ، حيث هدمته قنابل الألمان ، أثناء المعارك التي جرت في المنطقة ، مع ذلك فأنا أشك في أنه مرتد عن الاسلام ، كما يحلو للمستشرقين أن يزعموا ، بل انه في الأصل من مسيحيي العراق المهاجرين الى الشمال الافريقي ، وجرفه تيار التجارة الى جنوب ايطاليا ، ولكنه استبدل باسمه العربي اسما افرنجيا لترويج أعماله في الغرب ، على نحو ما يفعل بعض العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة فتأمركوا « وتأمركت » معهم أسماؤهم العربية ، وعندما استبدل قسطنطين باسمه العربي اسما لاتينيا ذهب الوهم بالباحثين العربيين الى أنه كان مسلما فتنصر !

ولما وجد قسطنطين أن الاوروبيين متخلفون طبيا ، عاد الى الشرق العربي فدرس الطب لسنوات في بغداد وحلب وجمع العديد من المخطوطات الطبية ، وقفل راجعا الى ساليرنو ، وفي طريقه اليها هبت أعاصير أتلفت العديد من كنوز المخطوطات التي جمعها ، مع ذلك فإن ما تبقى منها كان كافيا لايجاد نهضة طبية في جنوب ايطاليا ، وبالتالي في اوروبا برمتها ، وقيل انه ترجم ٦٧ كتابا الى اللاتينية التي كان يتقنها ، بالاضافة الى اليونانية ، وقد نسب اليه الكثير مما ترجمه من مؤلفات ابن سينا والرازي خاصة وقد عاش فترة في صقلية ، وتقول بعض الروايات

أنه من مواليد قرطاجنة بتونس ، وهو ما نستبعده ، ونرجح كونه من مسيحيي المشرق أصلا ، وربما مولدا أيضا ، وان كانت ثمة روايات مضادة كما سنذكر فيما بعد .

ولعل ما وقع فيه الدكتور أبو غزالة من استصغار شأنه بعض الشيء يرجع الى المستشرقة زيغفرد هونكة ، التي جعلته رابع أربعة في تأسيس المدرسة الطبية بساليرنو ، مع أنه كان شيخهم ومرشدهم جميعا .

وكان نودي لو أن الاستاذ الباحث ذكر الاسم الكامل لمؤلف كتاب « كامل الصناعة » الذى ترجمه قسطنطين الافريقي ، وهو علي بن العباس وليس مجرد « المجوسي » مما يوحي للقارىء انه لم يكن مسلما ، وقد اعطى الاستاذ أبو غزالة ـ سامحه الله ـ روجر الساليرني أهمية أكبر من قسطنطين في المرتبة ، من حيث الاطلاع وتدريس الموضوعات السريرية

وقد أشاد المستشرق العلامة ادوارد براون بذكر قسطنطين الافريقي في كتابه الشهير « الطب العربي »

(المطبوع بكمبرج سنة ١٩٢١) فقال في الصفحة ٦٨ ما يلي

« عندما كان ابن سينا في ذروة شبابه ولد في شمالي افريقيا وربما في تونس ، رجل لا نعرف الا القليل من تاريخ حياته ، ولكنه قيض له أن يصبح مشهورا باسم قسطنطين الافريقي ، كأول من عرَّف أوروبا الغربية على علوم العرب عن طريق اللغة اللاتينية ، وقد التحق بمدرسة طب ساليرنو الشهيرة ، وتوفي في مونتي كاسينو بعد حياة حافلة بالفعالية العلمية ، وذلك حوالي سنة ١٠٨٧ ، قبل ظهور المترجم جيراردو كريمونا بقرن كامل بالضبط ، والى هذين الاثنين والى الطبيب فرج بن سالم الذى أكمل ترجمة (الحاوي) للرازي سنة ١٢٧٩ ، تدين أوروبا في القرون الوسطى بصورة خاصة بمعلوماتها عن الطب العربي »

وباعتقادي أنه بقدر ما يمكننا أن نقول ان الحضارة العربية مدينة لترجمة حنين بن اسحق للطب اليوناني الى العربية فإن الحضارة الأوروبية مدينة لترجمة قسطنطين الافريقي للطب العربي الى اللاتينية

وقد أشار اليه الدكتور عبد اللطيف البدري في

كتابه القيم « الطب عند العرب مما يلي .

وقيل ان تاجرا من قرطاجنة موهوبا في الطب وفق لتوثيق اتصاله بأمير ساليرنو ، أكمل دراسته في الطب في وطنه ، وجمع كتبا كثيرة تتعلق بمه » . ولا ندري بالضبط ما يقصده الدكتور البدري بلفظة ـ « وطنه »

هل يقصد « قرطاجنة » التي قيل أنه ولد فيها ، أو بغداد التي (على الأرجح) هاجر أبوه منها ، لأن قرطاجنة يومذاك لم تكن مشهورة بالطب قدر بغداد وحلب اللتين درس فيهما قسطنطين، ولعله يقصد بالكتب الكثيرة تلك المخطوطات التي ابتاعها من بغداد وحلب ويستأنف البدري كلامه ليقول

« ثم أبحر الى جنوب ايطاليا احدا معه الشحنة النفيسة من المخطوطات ، الا ان عاصفة هوجاء صادفته في البحر فأغرقت قسما من كنوزه الأدبية ، فلما قدم الى ساليرنو اعتكف في الدير البندكتي في مدينة مونتي كاسينو ، وسمي نفسه قسطنطين ، وانهمك في ترجمة ما تبقى معه من العربية الى اللاتينية وقدمه للأمير ولا شك في أن عمل هذا التاجر كان نواة لمدرسة ساليرنو الطبية ، التي اتجهت فجأة الى دراسة الطب العربي ، فحصلت بسببه على شهرة أكبر من ذي قبل ، ودفعت جميع مدارس الطب الأخرى الى التجديد »

لم تكن مدرسة ساليرنو الطبية موجودة في اعتقادنا قبل قدوم قسطنطين الى ايطاليا ، فهو الذي وضع أسسها ، وأنشأها من العدم ، لذلك بدأت بداية عربية ، ولم تتجه فجأة الى دراسة الطب العربي ، ونستبعد جدا وجود مدارس طب أخرى يومذاك في أوروبا لتندفع معها الى التجديد ، بل نشأت بعدها وعلى غرارها .

ويستأنف الدكتور البدري بحثه القيم فيقول /

« لقد ذكر أن قسطنطين ترجم قسما « كبيرا من (الكتاب الملكي) لعلي بن العباس ، وكتاب (المسافرين) لابن الجزار ، وكتاب (طب العيون) لحنين بن اسحق ، وكثيرا من كتب اسحق في (البول) و (الحُميات) والحِمْية و (الادوية المفردة) ، كما ترجم من العربية كتبا ذات أصل يوناني ، مثل تقدم المعرفة والصناعة الكبيرة والاثارة ، وذكر بطرس دياكونس ٢٤ كتابا طبيا آخر من ترجمة قسطنطين

وقد أثر قسطنطين في أحد تلامذته (يوسف الفاسي) وهو من أصل عربي أيضا ، فساعده في ترجمة (الكتاب الملكي) وفي يوحنا بلاتوريوس الأصغر ، فصنف كتابي (الصناعة الصغيرة) و (تدبير البول)

ومن تأثير العرب في مدرسة ساليرنو الطبية اعتماد كتاب (العرض التشريحي للحيوان) وكتاب (التشريح) وهما من ترجمة قسطنطين أيضا

لقد مضينا في ذكر رأينا ورأي الآخرين في قسطنطين الافريقي ، مع ابداء بعض الملاحظات والتعليقات ، وما ذلك الا لقرب حلول ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته ، وذلك في سنة ١٩٨٧ ، ويعود الفضل في ذلك الى الدكتور حسن فريد أبو عزالة ، الذي حفزنا بمقاله القيم على التعليق والنقاش ☐

الدكتور صفاء خلوصي



العجلة أمّ الندامة

قال بعض الحكماء : اياك والعجلة ، فان العرب كانت تكنيها أمّ الندامة ، لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الاصحب الندامة واعتزل السلامة



للكاتب الليتواني* : جيوزاس بالتوسيس

ترجمة : المحامي سهيل أيوب

كانت قد بلغت من الكبر عتياً ، واستوت هنالك جالسة على مقعد مريح بسطت يديها فوق مسنديه ، واستفسرت في عذوبة

ـ ماذا يمكن أن أفعل من أجلك ؟

أخبرتها أني أصبت بمرض عضال منذ زمن مديد ، وأني عرفت أن هنالك في الحقيقة أملاً ضعيفاً في نجاتي ، وأني سمعت عنها الكثير الكثير ، هي التي مارست الطب على مدى ستين عاماً ، وأني وددت استشارتها .

قالت :

ـ كففتُ عن ممارسة الطب . انقطعتُ عن ذلك من طويل زمن . أما اليوم متقاعدة . أفما عرفت ذلك ؟

ـ بلى . عرفتُ ، أيتها الطبيبة . ولكني لا أرغب في الموت ، لا أرغب فيه وأنا عارف أن هنالك من يمكن أن يمدَّ لي يد العون .

افترت شفتاها عن بسمة . واسترسلت ، وقد غلب على صوتها الوقار :

ـ ثمة وفرة من الأطباء هذه الأيام . وثمة عدد كبير من العيادات والمستشفيات والمستوصفات . ولكنك

---

* ليتوانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي تقع على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة فيلينوس .

جئت لرؤيتي أنا . لماذا ؟

جهلت ما أقول ، وكيف أشرح لها الأمور . وجنحتْ ، هي الأخرى ، الى الصمت ، ويداها على مسندي مقعدها . كانت لها جبهة سارزة شامخة ، وشعر أبيض كالثلج ، وعينان ررقاوان صافيتان لم تمسسهما الشيخوخة ، وهي أشياء أصبغت الى وقار مظهرها . ليس ثمة عطرسة بل وقار أرغمت نفسي في جهد على النهوض ، وانعطفت ناحية الباب .

نبرت :

- حسبك من تعجل قل لي ماذا كان تشخيص الداء .

- ذبحة صدرية حادة .

- حادة ؟

- نعم ، أيتها الطبيبة .

اهمت ضاحكة

- يدهشني عدد الناس المتضلعين في أمور الطب هذه الأيام هلاّ ناولتني عصاي ، رجاءً

كانت العصا في زاوية الغرفة ، نحيفة كثيرة العقد مصنوعة من خشب التفاح . اتكأت عليها متثاقلة ورمتني بنظراتها

- تفضل بخلع قميصك

راحت تدور حواليَّ ، مستندة على عصاها ، قارعة بها الأرض مع كل خطوة من خطواتها أصغت الى قلبي ، ورئتي ، ونقرت على صدري وظهري ، وجسّت بطني ، وجعلتني أقف ، وأجلس ، واستلقي ، وأنهض من جديد ، وأشدُّ من قامتي ، واسترخي

- في مقدورك ارتداء قميصك الآن .

احتمت في غرفة مجاورة وهي تضرب الأرض بعصاها ، وغسلت يديها ونقلت بعض الأواني المحاربة هنا وهنالك وقفلت عائدة متشحة بالغموض مثلها قبلاً

قلت ، وأنا أحاول التظاهر باللامبالاة :

- أيتها الطبيبة . . . لن أموت ، أليس كذلك ؟

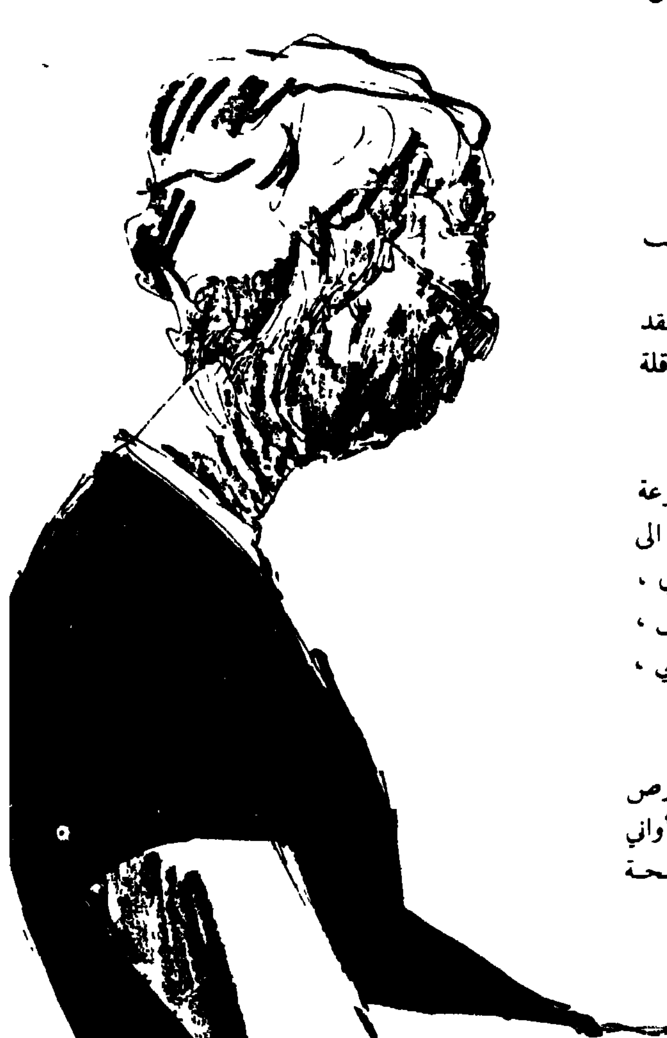
- بلى ، ستموت

- أأموت ؟

- نعم .

كنت أعرف أنني لو كنت في سرهة أخرى فقد أصاب بنوبة ، نوبة أخرى من تلك النوبات الرهيبة التي لا تطاق ، والتي تحملني الى شفير الموت .

وشعرت في الوقت ذاته بغضب متفاقم ضد هذه المرأة . أفلم تكن تعرف ، وهي الطبيبة الخبيرة ، أن



المريض يرغب في كتم الحقيقة المريرة عنه ؟ ما أهمية أن أكون مصاباً بمرض عضال ميؤوس منه ، والموت نفسه يشحذ منجله وراء ظهري ؟ وأنت ، أيتها الطبيبة ، يسعي على الدوام أن تقولي لي سرعان ما تتحسن حالى من جديد ، وان عمري سيكون مديداً وبعد هذا كله ، فما أسهل أن تموت وأنت مؤمن الايمان كله الى آخر لحظة أنك ستبقى على قيد الحياة أفلا تعرف هي هذا ؟

أعادت القول ، وكأنما جُنت ما يطوف في خلدي

- بلى ، لسوف تموت

- لكن ، أيتها الطبيبة .

- جميعنا صائرون الى الموت .

رجعت الى مقعدها ، ومدت يديها على مسنديه مرة أخرى

- ليس هنالك من يموت بدلاً منك ، أو بدلاً مني

لجأت الى الصمت برهة ، ثم أضافت

- اذهب الآن وارجع اليَّ بعد أسبوع أحتاج الى وقت للتفكير

- للتفكير ؟

- نعم فالأطباء يفكرون أحياناً والمرء يحتاج الى زمن يفكر فيه لا تنس أن تحضر معك جميع التحاليل وتخطيط القلب أريد أن ألقي عليها نظرة الأطباء لا يفكرون وحسب أحياناً هم يلقون النظر أيضاً

- لكن ، أيتها الطبيبة ، أفلا تؤمنين بأطبائي الآخرين ؟

- أمؤمن أنت بهم ؟

وابتسمت ، وهي تشاهد ارتباكي

- كل ما أعرف هو أني لا أعرف شيئاً ، كما قال ذات مرة سقراط أو حكيم آخر يجب ان ألقي نظرة نفسي فالطبيب انسان أيضاً وهو بدوره ، يمكن أن يرتكب الأخطاء

على هذا القرار تعارفنا بعيد أسبوع درست جميع وصفاتي الطبية دراسة متمعنة ، وقرأت جميع نتائج الاختبارات مرات عديدة ، وفي النهاية كوّمتها بعضها فوق بعض ، وأبانت :

- تستطيع أخذها الى بيتك وغسلها بالأسلوب الذي يطيب لك

- لكن ، يا دكتورة .

أعلنت ، وهي ترفع اصبعها :

- تمهل لحظة . لنوضحْ بحلاء شيئاً واحداً منذ البداية . ففي ممارستنا الطبية نجد على الدوام مثلثاً : المريض ، ومرضه ، والطبيب اذا وحّد المريض والطبيب قواهما يتغلبان على المرض . أما حين يعارض المريض الطبيب وينحاز الى جانب مرضه ، فلسوف يبقى الطبيب وحيداً . وعندها تذهب موهبته كلها هباء وما أطلب معرفته هو في جانب من تقف أنت في جانبي ، أم في جانب مرضك ؟

- يا له من سؤال ! تكلمي وحسب ، سأفعل كل ما تعينين مي

- رائع - لنتناولْ جرعة اذن .

- جرعة ؟

وذهبت بي الأفكار مذاهب شتى .

- هذا أول شرط من شروطي قبل أن نشرع في علاجنا

لم أستطع أن أصدق أذنيّ

كان هنالك مجموعة من اثنتي عشرة درجة توصل الى شقتها في الطبقة الثانية من بناء خشبي من طابقين ، وكان عليّ أن أتوقف أربع مرات خلال صعودي أتلمس أنفاسي اللاهثة ، وقد هدني الضنى ، وجعلت دوائر سود تسبح أمام عينيّ

- أتريدينني أن أموت ، أيتها الطبيبة ؟

- أبداً لا أحبّ سماع مثل هذا الحديث

نهضت ، وضربت الأرض بعصاها ، ودلفت الى الحجرة الأخرى وسرعان ما انثنت عائدة تحمل قدحين طويلين من البلور الصافي ، ثم جاءت بزجاجة من الخمرة وقليل من السكوت في طبق صبت السائل المحمر في القدحين ، ورفعت أحدهما ، وقالت :

- والآن ، لنقرعْ قدحينا ونشرب .

- أيتها الطبيبة ، أواثقة أنت أن ما نفعل هو عين الصواب ؟ لا بدّ أن أقع مغشياً عليّ كلما نهلت جرعة

- اشرب ما في قدحك

بدا أن قرقعة قدحينا تتدلى معلقة في الهواء وألقيت الى حافة القدح فمي .

من دون ريب بقيت حياً ! انتشر في جسدي دفء

لذيذ ، وما أسرع أن طافت في ذهني مرة يوم كنت لا أبرح في أحسن حال ، حين ألفت قضاء أيام العطلة مع أصدقائي ، أشرب نخب المستقبل ، نخب حياة طويلة ، رائعة ، عامرة بالفرح والمغامرة وشعرت عندها ، على حين غرة ، أن هاتيك الأيام لم ترحل بعيداً أو يمكن تعويضها

ـ أيتها الطبيبة ، ساحرة أنت !

ـ والان ينبغي أن تعشق !

ـ ماذا ؟

ـ هذا هو ثاني شرط من شروطي قبل أن نبدأ علاجنا

تحدثت في هدوء ، وشككت أن بسمة طفيفة ارتسمت على شفتيها ، لكنها لم تكن تمزح كانت عيناها الصافيتان تنظران اليّ باستقامة ولم تكن هيئتها تنطق عما يثير الريبة في كلماتها

ـ لكني ، أيتها الطبيبة ، لكني رجل متزوج

ـ لا علاقة لزواجك بالموضوع هذا ما كان ينبغي أن يكون لكنه ينبغي أن تعشق من جديد

واسترسلت قائلاً

ـ ولديّ أطفال ، أيتها الطبيبة ثلاثة أطفال

ـ هذه أول مرة أسمع فيها أن الأطفال يكونون حجر عثرة في طريق سقوط المرء في الحب

فقدت كل قدرة على الكلام فهذه المرأة لا تشبه في شيء أي طبيب عرفت أو أي انسان آخر ووسائلها في العلاج لم تكن أبداً غير قويمة .

ـ وفضلاً عن ذلك ، فإن قلبي ضعيف ولا يفترض فيّ أن أثار عاطفياً لا يحق لي ذلك

ـ ليس قلبك ما يزعجك

ـ ليس قلبي ؟ ولكني مصاب بذبحة صدرية

طافت على شفتيها بسمة

ـ يدهشني عدد الناس المتضلعين في الطب هذه الأيام !

لم أستطع الامتناع عن الابتسام لسماعي هذه الكلمات

ـ لنكن صريحين ، يا دكتورة .

فقالت

ـ هذا هو السبيل الوحيد الذي يتيح لنا متابعة العمل

ـ لنفترض أني اتبعت نصيحتك وعشقت

ـ أجل ، افعل هذا .

ـ لكن من هي الفتاة التي يمكن أن تعشقني ؟ قطّ لم أكن وسيم الطلعة ، وهذا أنا الآن مريض وهزيل العود . وقد تخطيت سن الشباب وتجاوزت الخمسين كما تعرفين .

ـ لا أفهم بالضبط أي فتاة تقصد ؟

ـ حسناً ، لنقل اني عثرت على . لنقل أني عملت بنصيحتك وعثرت على من تستهويني لكن ، ماذا بشأنها ؟ أيمكن أن تحبني هي أيضاً ؟

ـ لكني لم أشر الى فتاة معينة

ـ لم تفعلي ذلك ؟

ـ تحدثت عن الحب وحسب . يجب أن تعشق

ـ ومن أعشق ؟

ـ تلك هي مشكلتك

ـ أوه !

ـ ولا يحتاج عشقك أن يجد من يبادله وداً بودّ يا للطريقة الجشعة في النظر الى الأمور : أعطيك شيئاً ، ويجب أن تعطيني شيئاً لقاءه . أنت من ينبغي أن يعشق . وهذا كاف

وهكذا بدأ علاجها طريقه كان مذهلاً لا يصدق وكلما تقدمنا فيه ازدادت الوصفات اذهالاً . أدّت الموصى في أسلوب حياتي ، وعاداتي ، وجدول أعمالي وألقت من النافذة بطعام حميتي .

ـ كلْ ما تشتهي وتستطيب ، وبقدر ما يروق لك أن تأكل

قالت انه يجب أن أكون حيوياً قدر المستطاع ، وأن أعملْ قدر ما أشعر أن العمل في طوقي . طبيعي أنه وجب عليّ أن ألجأ الى الراحة بين حين وحين ، وأن أقوم بجميع التمرينات في الهواء الطلق يجب أن أستنشق هواء نقياً على مدى ست ساعات في كل يوم وأن أنام والنوافذ مفتوحة .

ـ ولكن النوافذ تقفل في الشتاء .

ـ اذن افتحها . هل تقوم بالألعاب الجمبازية في الصباح ؟

ـ لا يمكن أن تكوني جادة ؟

ـ سيكون لدينا متسع من الوقت للمزاح فيما بعد . وفي هذه الأثناء ينبغي أن تقوم بالتمرينات كل صباح تبدأ بخمس دقائق وتزيدها تدريجياً الى عشر . وسأخبرك بالتمرينات التي تقوم بها

ـ لكن ، يا دكتورة ، لا يفترضنّ فيّ أن أرفع ذراعيّ أعلى من كتفيّ .

ـ هذا صحيح تماماً . يجب أن ترفعها أعلى من ذلك . ستشرع في ذلك بإشرافي وتتابع ذلك في مستوصف العلاج الجسدي في فيلنوس . واثقة أنا أنك سمعت به .

تحدثت في صوت لا يمكن الاعتراض عليه أو الارتياب فيه . لم تعطني أى وصفات ، ولكنها دأبت على زيادة جرعات الأدوية التي وصفها أطباء آخرون . قالت :

ـ الجسد البشري يعرف كيف يدافع عن نفسه ضد المرض . لكن الجسد يجب أن يُمَدَّ بالعون . أن يمدّ بالعون ، لا أن يصعق بجرعات صاعقة من الأدوية ، على ما يبدو أن بعض الأطباء يرونه ضرورياً . فهم يعالجون أحد الأعضاء ويدمرون دستة أخرى !

ـ لكن هذا ما يقوله « المداوون المثليون » ، أليس كذلك ؟

فقاطعتني قائلة :

ـ وهكذا فإن أفواجاً كبيرة من الناس متصلعون في الطب هذه الأيام ! لا تتحمل انتقاد « المداواة المثلية » فثمة شيء جيد في هذا العلم القديم

ـ أنا آسف

ـ على المرء أن يلتمس أعذاراً لمرضاه .

كانت ، في كل مرة أزورها ، تعمد الى فحصي فحصاً شاملاً ، وتتمشى حواليّ ، قارعة الأرض بعصاها وتبادرني عند الفراق .

ـ ارجع في غضون أسبوع .

رجعت . وفي كل مرة كنت أجد تلك العجوز الوحيدة الشائبة جالسة في هدوء على مقعدها ، ويداها على مسنديه . كانت الغرفة بسيطة الأثاث وثمة رفوف ملأى بالكتب على الجدران ، ومنضدة وطاولة للقهوة تنوءان بصحف ومجلات محلية وأجنبية . فهي تجيد عدة لغات ، مثل كثير من الأطباء ، كما أنها قارئة نشيطة ، متأهبة لمناقشة الكتب التي قرأت وفي العشية تصغي الى المذياع أو تشاهد التلفاز ، وقد حملت في يدها ليثاً يابانياً من العاج . كان مخلوقاً عريب الطلعة : صغير الحجم ، له طلعة حيوان ضخم مرعب ، وأنيابه الحادة تبرز من فمه المفتوح ، في حين انقذف ذيله الى الوراء .

سألتني مرة ، وقد رأتني أطيل النظر اليه :

ـ أيضايقك هذا الليث ؟

أجبت في شيء من ارتباك :

ـ أبداً ، على الاطلاق !

ـ يسرني أنه لا يضايقك .

وأضافت بعد برهة من صمت :

ـ انه ليث ثمين ثمين .

ران عليها الصمت مرة أخرى ، وما لبثت أن أعلنت في شيء من غضب مكتوم :

ـ ما أقل ما يستوعب ذهنك !

ثم باغتني سؤالها :

ـ هل سترت على فتاة ؟

ـ فتاة ؟ لكن ، يا دكتورة ، أنت لم تقولي . . .

ـ قلت ينبغي أن تعشق .

وأضافت في حدة .

ـ ان لم تستطع العثور على امرأة مناسبة ، فاعثر على فتاة في مقتبل العمر .

وأضاءت وجهها ابتسامة بعد هنيهات :

ـ ينبغي أن أستسلم لمرضاي بين فترة وأخرى .

وهكذا انقضى شهر كامل ، وأعقبه أسبوعان آخران . وذات يوم حلقت في عيني بعد أن فحصتني فحصاً شاملاً دون أن تبس بحرف ، فرأيت ذقنها يرتجف ارتجافة خفيفة ، ودمعة تتجمع في أهدابها .

قالت بلطيف نغمة :

ـ ثمة تبدل نحو الأفضل .

كنت أحسست بذلك . انه تبدل طفيف ، ولكنه موجود . ففي مكان ما من أعماقي ، ولعله في لا وعي،ثمة شيء جديد يتحرك ويشرع في التطور ، شيء غير عادي يصعب وضعه في كلمات كان أشبه بمرح سري ، أشبه بهاجس من سعادة مقبلة . وهبّت في داخلي رغبة في الحركة ، في العمل ، رغبة قوية في الاختلاط بالناس ومخاطبتهم من جديد .

نهضت ، وضربت عصاها الأرض ضربة قوية ، وأطالت التحديق في عينيّ من جديد . نبرت :

ـ ارجع في غضون أسبوع .

ورجعت . مكثت على هذه الحال أسابيع طويلة . كنت أصعد كل مرة الدرج الخشبي أسرع مني قبلاً . وبدا أن دماً جديداً يتدفق في شراييني ، وأن قلبي

ينبض بصورة منتظمة ، وأن عيني ازدادتا إشراقاً ولمعانا .

ـ أيتها الطبيبة ، أنا في أحسن حال تقريباً !

ـ ارجع بعد أسبوع .

ـ ولكنني أحسن ، أيتها الطبيبة . ألا تفهمين ، اني أحسن !

ـ وهكذا فإن أفواجاً كثيرة من الناس متضلعون في أمور الطب هذه الأيام .

ومهما يكن الأمر ، فقد أشرق أخيراً اليوم الذى بدت فيه ، بدورها على شيء من شجاعة . قالت :

ـ لنشربْ قدحاً من القهوة .

ـ بكل سرور . لكن ، هل يفترض فيّ تناول القهوة ؟ انها تسيء الى قلبي .

ـ أوه ، أهي كذلك ؟ قط . . لم ألحظ هذا الأمر . كنت أشربها طوال حياتي ، غير أنني لم ألحظ هذا الأمر قبلاً .

وما أسرع ان وُضع قدحان من القهوة على المنضدة ، صبت لي قدحاً وصبت لنفسها قدحاً . لحظت أنها ترتدي بلوزه بيضاء لم يسبق أن ارتدتها ، وأن شعرها الأبيض جُمّ بصورة مختلفة أمسك به جميعاً مشط منحوت صبت القهوة في قدحينا وأمالت وجنتها على يدها وابتسمت لي ابتسامة فاتنة يصعب على المرء أن يصدق معها أن ههنا امرأة ذرفت على الثمانين،ودعت منذ زمن طويل جميع أصدقائها الى قبورهم ، وأنها تعرف أن اليوم الذى سترحل فيه الى الأبد عن هذا العالم لم يعد بعيداً . وبدا أن ما ينشر النور في كل مكان ليس قميصها الأبيض وابتسامتها وحدهما ، بل عيناها الزرقاوان الصافيتان ، وجسدها بأسره صارا منبعاً للضوء . بدت فتية الطلعة ، جميلة السيماء ، خجولاً كصبية في ريعان الشباب .

ـ ارجعْ بعد أسبوع . لا تنسني .

مرت سنة كاملة . نسيت تماماً أني اضطررت مرة للتوقف والتقاط أنفاسي على درجها الخشبي . لقد ذهب قلق الماضي الرهيب حيث كل نوبة تصيبني بالذعر ، وتعرّفني انه ليس أمامي من مفر ، وأن الموت يتربص بي في كل مكان ، وأنني أحمله في داخلي وهذا كله بسبب من هذه المرأة ، هذه المرأة الوحيدة الغامضة .

قالت مبتسمة :

ـ هذا ليس صحيحاً . أنت نفسك رغبت في الحياة . هذا هو الجواب .

ـ أفلا يرغب كل انسان في الحياة .

ـ لا .

ـ أنا لم ألتق ، مرة واحدة من لم يرغب في الحياة .

ـ وأنا التقيت . وأعداداً كبيرة أيضاً .

مرت سحابة على وجهها . أراحت خدها على يدها وغرقت في لجة من الصمت .

استرسلت تقول مستغرقة في التفكير ، وكأنها تخاطب نفسها :

ـ ما ان يشبوا عن الطوق حتى يعجلوا بتقصير حياتهم .

ـ من يفعل ذلك ؟

قالت في أسى :

ـ الناس . يدخنون ويشربون أكثر من المألوف ، ويعملون في الليل ، وينامون في النهار ، ويأكلون بسرعة ، ولا يبالون بما يأكلون ، يكفيهم أنه مجرد طعام . وينتحرون جميعاً !

ـ لكن . . .

قالت ، باترة حديثي ، وفي صوتها رنة الغضب :

ـ وأنت واحد منهم . بل أنت أسوأ واحد فيهم





أنت رفضت أن تعيش .
ـ هذا ليس صحيحاً .
ـ عد بفكرك الى الماضي . يوم جئت اليّ للمرة الأولى كنت هزيلاً مرعوباً ، وأسوأ من هذا كله لم يكن قد تبقى لديك شيء من الحب لأقرانك البشر ، بل لنفسك . وكان من الجلي أنك ـ إنْ لم تتبدل ـ صائر الى الموت ، وفي خلال فترة قصيرة من الزمن .

أتعبها حديثنا ، فجلست في صمت زمناً طويلاً ، وذراعاها ، مثلها أبداً ، يرتاحان على المقعد . وأخيراً أضافت في نبرة رقيقة :

ـ الموت يفتش دائماً عن أمثال هؤلاء الناس ، يفتش عن أولئك الذين فقدوا الرغبة في الحياة . هذا هو الوقود الذي يدفعه الى التحرك .

وأضافت في شبه توسل لا في صوت آمر على مألوف عادتها :

ـ زرني بين حين وحين . مرتين في الأسبوع ان أتيح لك ذلك .

ـ أفعل هذا بكل سرور . ولكنني كنت أشعر بالتحسس محطر لي أنه لم تبق هنالك حاجة لإضاعة مزيد من أوقاتك .

ـ أنت لاتضيع أوقاتي طبيعي اذا تعذر ذلك عليك ، فلا ضرورة له .

ورمتني بأنظارها

نهضت من بعد ، وهبطت عصاها على الأرض بضربة قوية .

في كل مرة كنت أزورها أجد غلاية القهوة تغلي برفق تحت غطاء كثيف من القماش . وأجد هنالك طبقاً صغيراً من البسكوت وطبقاً آخر من الفواكه . وأجدها جالسة الى المنضدة وقد ارتدت أبهى ثيابها ، وارتسم الخجل في سيماها . لم تكن تنظر اليّ مباشرة ، بل تشرع في صب القهوة . وكنا نتبادل الحديث . فقد كان ثمة أمور كثيرة نتحدث عنها . وكائناً ما كان موضوع الحديث فهي تعلن عن وجهات نظرها بخصوصه بصورة مقنعة . وكان هنالك موضوع واحد لم تتطرق اليه على الاطلاق . حياتها الخاصة ، ماضيها . كانت تدعى ناتاليا تولفايشين . وناتاليا اسم روسي . وسألتها مرة :

ـ أروسية أنت ؟

ـ وهل لهذا أهميته ؟

وحين لمحت ارتباكي ، أضافت :

ـ اشرب قليلاً من القهوة . والبسكوت لذيذ . سأنتظرك يوم الثلاثاء أيضاً . هل تجيء ؟

كان العثور على وقت أزورها فيه يزداد صعوبة بالنسبة اليّ . لقد اشتد عودي الآن ، انقطعت عن أسلوبي القديم نصف المعتل في العمل ، ووجدت أشياء كثيرة ينبغي انجازها في هذه الأيام ، أشياء كثيرة لها أهميتها . ودخل حياتي أشخاص جدد وعاود أصدقاء قدامى ظهورهم . واضمحلت حاجتي لزيارة الطبيب تدريجياً وبصورة ملحة . وتأكدت مرة أخرى والخجل يغمرني أن أول ما يخطر على بال المريض المتعافى الدَّين المترتب بذمته تجاه الطبيب الذى أبلّه من مرضه . ولكنها تترقب زورتي . في صمت ، وفي صبر . وهي على الدوام ترتدى أبهى لبوسها ، وتجلس الى جانب غلاية القهوة وطبقي البسكوت والفواكه .

قالت مرة بعد أن تغيبت عنها زمناً طويلاً :

ـ نسيت عني كل شيء . وقد بردت القهوة الآن مرة أخرى .

لم نستطع تبادل الحديث في ذلك النهار . ومر أسبوع ، وأسبوع آخر ، وأسبوع ثالث ، دون أن يتاح لي الوقت لزيارة تلك المرأة ، التي أنارت لي طريق العودة الى الحياة مجدداً .

في النهاية حلّ الربيع . وتغطت أشجار الزيزفون كلها في فيلينوس بأوراق خضر لطيفة . وتغطت الحدائق والساحات بضباب رقيق أخضر . وراح الحمام يهدل في الساحة المركزية ، وبدت السماء سامقة سامقة فوق المدينة . وبدت النسوة جميعاً جميلات في ثيابهن الربيعية . وكان الربيع يتخطر عبر الشوارع والساحات ، يمسح كل ما كان موحشاً وكئيباً ، وينادي طالباً ضحكات الأطفال وابتسامات الشيوخ ، موقظاً في فؤاد كل انسان موجات من الفرح .

في مثل ذلك النهار طرقت بابي امرأة غريبة . وقفت في منتصف الغرفة ، وأسامت نظرها اليّ مربدة الوجه ، وقالت :

ـ تطلب اليك ناتاليا تولفايشين أن تزورها ان استطعت .

يقع أحياناً أنك تلتقي شخصاً لم تقع عليه عيناك

زمنا طويلاً ، ويتأكد لديك على حين بغته أنك تنظر الى غـريب ، الى شخص لا يـربـطه أي ربـاط بـالشخص الـذي تعرفـه ، الشخص الـذي كـان صديقك ، الشخص الذي جئت لرؤ يته . وهذا ما جرى معي

صعدت الدرج الخشبي فرأيت امرأة عجوزاً يحمل وجهها ظلال الموت السوداء . حملقت فيّ بعينيها المرمدتين الجامدتين وهمست .

ـ شكراً .

عمغمتُ ، وقد هربي منظرها .

ـ أيتها الطبيبة ، أرجو أن تصفحي عني .

انعصرت أصابعها وكأنها تقول : لا ضروره لأي تفسيرات .

تناولت صفحتين من الورق عن المنضدة كانتا معطاتين بالكتابة وقالت ، وشفتاها لا تكـادان تتحركان حلال حديثها

ـ كتبتُ هنا كل شيء . ان وجدت بهرة من وقت فاقرأهما فتعرف ما يسعي أن تعمل .

آه ، لا ، أيتها الطبيبة لست في حاجة الى هده التعليمات سوف أحيء بصورة منتظمة لرو يسك واستشارتك .

عمعمت بهده الكلمات مسرعاً حائفاً من النظر في عينيها الحريتين اللتين لمحت فيهما ما يندر بالسوء

ـ لن تأتي مرة أخرى

ـ لماذا ؟ لماذا لا آتي ؟

صمتت كمن يطيـل التفكـير في شيء ، كمن يصغي الى هاتف داخلي ، واستوضحت في خجل :

ـ أتستطيع . . . أن تقبلني ؟

انحنيت وقبلت جبهتها ووجنتيها ويـديها اللتـين أغرقتاني حناناً ولطفاً .

قالت ، وقد أشرقت طلعتها على غير انتظار :

ـ اذهب الآن ، وشكـراً لك شكـراً على كـل شيء .

ـ أتشكرينني ؟

ـ اذهب .

لم يكن المـرء يقوى عـلى عصيان أمـرها . حينـما وصلت الى الوصيد شعرت أن عليّ أن أعود . كانت ناتاليا تولمايشين تنظر الي ، وحاولت بسمة طفيفة أن تشق لنفسـهـا طريقـاً خـلال الـظل الأشهب المنـذر

بالوعيد المتربص على وجهها . صرخت :

ـ دكتورة !

ـ اذهب !

هبطت عن الدرج ، هذا الدرج ذاته الذي ما أكثر ما عانيت من الصعود عليه في المرة الأولى . وتوقفت فجأة ، وقد سيطر عليّ ضعف غريب ، وجهلت ما اذا كان عليّ الاستمرار في الهبوط أم العودة اليها .

دلف اليّ صوت واهن ضعيف من الأعلى :

ـ لا أستطيع سماع خطواتك . أريد أن أسمـع خطوات رحيلك . اذهب .

فذهبتُ .

في ذلك النهار عينه ، النهار المشبع برائحة الكرز المزهر والنسـائم المنحدرة عن التـلال ، زارتني تلك المرأة الغريبة زورة أخرى . نظرت اليّ في جهمة مثلها قبلا ودون أن تنطق بحرف ، ثم ناولتني رزمة صغيرة وقالت :

ـ هده لك .

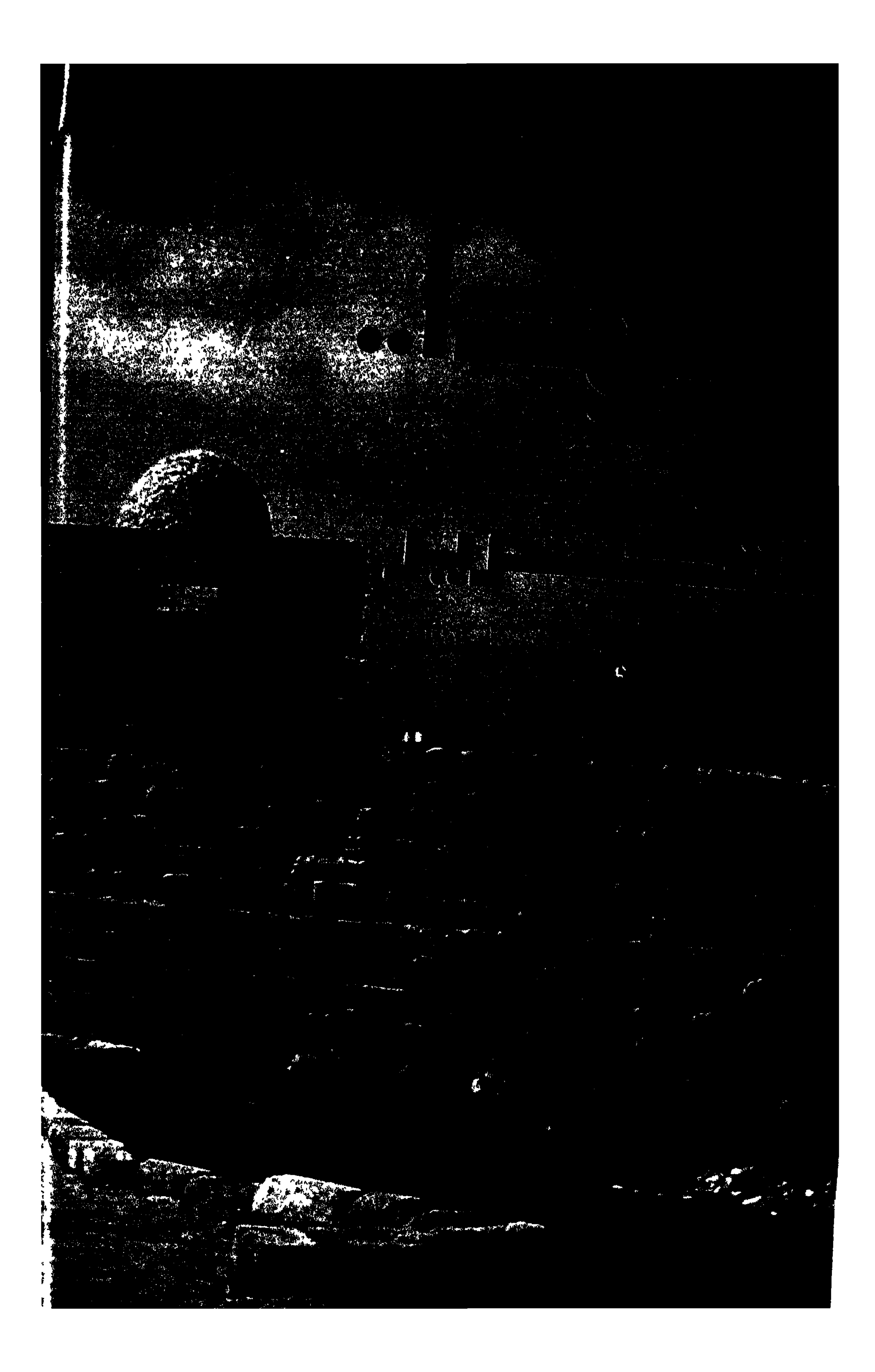
فتحت الرزمة وأجفلت . كانت عبارة عن ليث . ذلك الليث الياباني العاجي النـاتيء الأنياب القـوى الذيل . وكانت معه رسالة بخط مألوف لديّ

« أعطاني هدا الليث قبل ستين عاماً رجل شيخ . عجوز مثلي الآن . ناداني فرحه الأخير . وطلب اليّ أن أعطيه الى فرحي الأخير ، الشخص الذي ألتقيه عندما أبلغ العمر الذي بلغـه . ولديّ الآن سؤلـة أرتجيهـا . خذ هـذا الليث ، وعش سعيـداً الى شيخـوخة مكتنـزة ، ومن بعـد أعـطه الى فـرحـك الأخير ، الى آخر شخص في حياتك يجعلك ترغب في الحياة ، والعمل ، والحب . وليرافقنا مثل هذا الفرح من جيل الى جيل مثلما ترافقنا الشمس ونسائم الربيع والأنهار والجبال » .

رفعت عيني . كانت المرأة الغريبة قد ذهبت . ولم يبق أمامي غير الليث ، ليث غريب ، هادىء ، قوي البأس .

وعندها عرفت أنى سأنفذ رغبة ناتاليا ، وأن في يوم من الأيام سأعطي الليث الى شخص آخر . لسوف يكون هنالك من أعطيه اياه ، ذلك أن الحياة لا تبرح مديدة أمامي ، بخيرها وشرها ، بسعادتها ومرارتها ، وبأحزانها .

كل شيء لا يبرح مديداً أمامي . □



في السادس من [illegible]
الإسرائيلية لبنان ، وبعد أن [illegible]
احتلال الجنوب اللبناني [illegible]
[illegible]ـنا طويلا ، إلى أن [illegible]
[illegible] سنة ١٩٨٥ .
كيف عاش الناس تحت كابوس الاحتلال ؟
وكيف كانت المقاومة ؟

منار « الزيرة » القريب من القلعة البحرية

« مايبقى فى الوادي الا حجارهُ »

أى لايبقى فى الأودية بعد السيل الا حجارتها .

هكذا اختزل الأمر ، وكثفه الكاتب الجزائري (الطاهر وطار) فى روايته الشهيرة

« اللاز »

وهذا القول يفيد بأنه مهما تجبر المستعمر وظلم ومارس كل صنوف الارهاب ، فإنه

سيجلو عن الأرض مهما طال الزمان ، وانها ستبقى لأبنائها . . وحجارتها ومداميك بنيانها

وأديم أرضها . وان سيله مهما تعاظم وخرب ودمر ، فإنه سيمضى ويزول بعكس حجارة

الوادى التى تبقى وتستمر !

تذكرت الرواية ، وهذه الجملة بالذات وأنا فى قلب « وادى جهنم » فى بقايا معسكر (أنصار) الذى كان مدرسة للكثيرين من مناضلى الشعب اللبنانى والفلسطينى وغيرهم . (تم الانتهاء من اقامة المعسكر أو السحن على أرض بلدة أنصار ، بتاريخ ١٩٨٢/٦/٢٨ ، وأنصار تقع فى محافظة النبطية فى الجنوب اللبنانى ، وتبعد عن بيروت ٨٠ كم . وقد أزيل المعسكر بتاريخ ١٩٨٥/٤/٣) .

لم يبق من آثارهم الا الأسلاك الشائكة ، وكتابات عبرية على بعض الصخور والمبانى ، وأرض حرثتها الجرارات « والبلدوزرات » . كى يتم اخفاء معالم المعسكر المرعب ، الذى حشر فيه آلاف المناضلين ، منذ الغزو الصهيونى للبنان فى شهر يونيو ـ حزيران من عام ١٩٨٢ الى نهاية الربع الأول من سنة ١٩٨٥ م .

● نسأل خضر سكيتى ، المسؤول العسكرى فى التنظيم الشعبى الناصرى ، الذى يتخذ من مدينة صيدا قاعدة له ، عما تبقى من الغزو الاسرائيلى .

ـ فيجيب . .

لقد تركوا بضعة جواسيس وبصمات تعذيب على أجساد آلاف الشبان ، وقهرا وغيظا واصرارا على المقاومة فى نفوسنا ، وخراباً فى الاقتصاد ، وارهاباً مقيتا يلوحون به ـ كالفزاعة كل يوم اسمه « جيش لبنان الجنوبى » عميلهم ومنفذ مخططاتهم . وتركوا أيضا كتابات على بعض المبانى ومفارق الطرق ، كى ترشد قوافلهم خوفا من أن يضلوا الطريق ويقعوا فى كمائن المقاومة .

● وغير ذلك ؟

ـ ايماننا أكيداً بتحرير كل شبر احتلوه ويحتلونه .

لقد مضى على انسحاب الاسرائيليين حوالى سنة من مدينة صيدا والمنطقة التى تحيط بها (انسحبت القوات الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨ من المدينة) .

ومن حق صيدا عاصمة الجنوب اللبنانى علينا متابعة رحلة نضالها وكفاحها ضد الغزاة ، ومحاولة استرجاع أيام وأشهر السنوات الثلاث التى أمضاها الناس تحت كابوس ونير الاحتلال .

نزهة لم تستمر !

اعتقدوا فى البداية أنها نزهة . . . لكنهم ذاقوا أهوالا من الرعب ، وتوالت طائرات « الهليوكبتر لتنقل قتلاهم وجرحاهم ، صحيح انهم احتلوا صيدا . لكنهم دفعوا ثمناً غالياً ، واضطروا أخيراً للخروج منها .

هكذا قال لنا الدكتور نبيل الراعى سكرتير اللجنة المركزية للتنظيم الشعبى الناصرى فى صيدا .

وأضاف : اقرأ جيدا شهاداتهم ـ وستجد

اعترافاتهم لاتنقصها الصراحة والوصوح جاء فى كتاب « أطفال الآربى حى » من اعداد خليل السواحرى مايلى

« الرائد « بيى » من سلاح الدروع أصيب بحروح خطيرة فى صيدا ، يعلق على المعارك بقوله معارك الشوارع التى دارت داخل صيدا كانت معارك عنيفة حدا ، أقول ذلك وأنا واثق تماما مما أقول ، لقد شاركت فى عدة حروب وأعمال عسكرية فى السابق ، لكن هذه كانت أول حرب احوص فيها قتالا فى مناطق مأهولة »

ويعلق الدكتور الراعي فيقول ·

صحيح أن القوات المشتركة الفلسطينية واللبنانية أبدى بعضها استبسالا فائقا ، الا أن المدينة سقطت أخيرا فى قبضة العدو ، وسيق الكثير من شبانها وفتياتها وشيبها الى المعتقلات ، واصطر بعضهم الى مغادرة المدينة

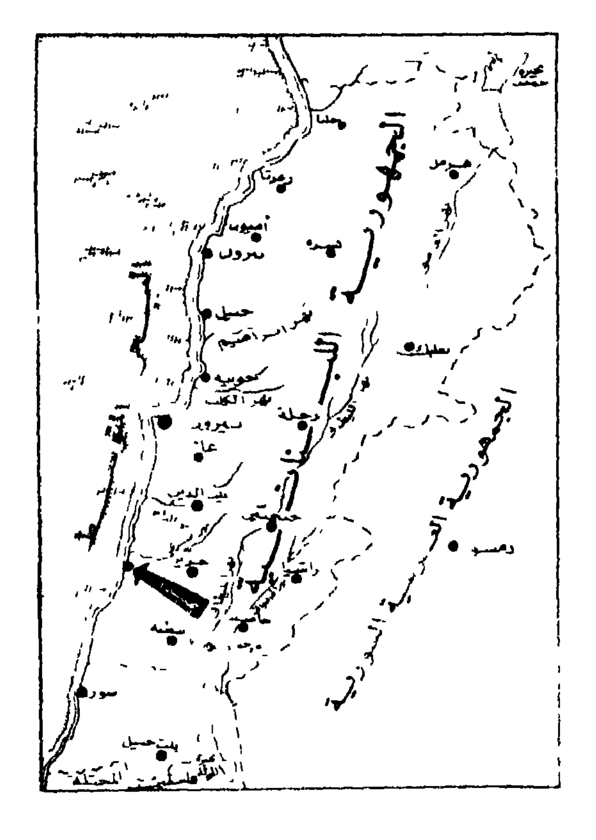
تحرك الاسرائيليون فى الأيام التالية براحة ، وأخذوا فى تمشيط المدينة ، وتابعوا حصارهم للمخيمات الفلسطينية التى بقيت فيها بعض المقاومة ، بل ان الاسرائيليين المدنيين جاءوا بالسيارات الكبيرة كسياح ، وأخذوا يتنقلون من مكان أثرى الى اخر ، معتقدين أن الأمر قد استتب لهم تماما

لكن الصدمة ، أعنى صدمة الاحتلال وقوته وحبروته ، كان هناك من يحاول تجاوزها ، ويلتقط الأنفاس من جديد

جاء فى كتاب « المقاومة الوطنية فى الجنوب اللبناني » مجموعة من الكتاب مايلى

« فى ٨ تموز نقل مراسل وكالة رويتر ديفيد روجرر تقريرا من صيدا حول « معاناة » جنود الاحتلال من السكان المحليين ، جاء فيه « بعد شهر من احتلال الجنوب تجد القوات الاسرائيلية المقاتلة أن وجودها كجيش احتلال فى هذه المنطقة التى تتواجد فيها فئات مختلفة ، هو أمر مرهق ، بل انه محطم للأعصاب

ويروى روجرر حادثة يقول إنه شاهدها بأم العين هى عندما كان الرقيب الاسرائيلي يقود شاحنة خفيفة من دون أبواب أصيب بحجر بينما كان يمر الى جانب احدى محطات المحروقات ، وعندما سأل عن سبب رميه ومن فعل ذلك ؟ أجيب أما عن السبب



صيدا عاصمة الجنوب اللبناني في خريطة مليئة بالصراعات

فيكفى أن تكون اسرائيليا . أما الفاعل « فهو نحن جميعا » .

الحرق لا التسليم !

تعتبر صيدا من اهم المدن الفينيقية ، ولعبت دورا مهما في التاريخ القديم ، ويقال انها اول مدينة أسسها الفينيقيون سنة ٢٨٠٠ ق م

والفينيقيون من الشعوب السامية التى أحدثت تتوالى هجراتها من اليمن والجزيرة العربية والجزر القريبة منها ، ابتداء من ٣٥٠٠ ق م

وقد تقلبت على صيدا خلال حقب التاريخ قوى كثيرة ، فتارة كان الفينيقيون وحكام صيدا بالذات يفرضون قوتهم وسطوتهم على غيرهم من مدن وشعوب ، وفي أحيان أخرى فانهم كانوا يخضعون للقوة الصاعدة ، ويوظفون مهاراتهم التجارية والبحرية في خدمة تلك القوى .

لكن التاريخ يسجل للمدينة موقفاً يجدر بنا ذكره .

الزمان زمان القوة الفارسية المنطلقة من الهضبة الايرانية في القرن السادس قبل الميلاد . والفينيقيون خضعوا كغيرهم لهذه القوة المندفعة التي وصلت سيطرتها الى مصر .

الا أن بعض ولاة الفرس أساءوا معاملة الشعوب التي حكموها .

والفينيقيون كانوا من بين تلك الشعوب ، كما أن الفرس أخذوا يستريبون بالشعوب التي حكموها ، ومنهم الفينيقيون الذين شكوا بهم ، واتهموهم بأنهم لم يلعبوا الدور المناسب في حربهم ضد أثينا فشددوا الخناق عليهم وساموهم سوء العذاب .

وقد أعلن ملك صيدون استراتون الأول استقلاله التام عن الدولة الفارسية سنة ٣٦٢ق.م وشكل قوة حربية أطلق عليها اسم « جيوش التحرير » .

كما أعلنت مصر استقلالها أيضاً ، مما دفع الفرس الى تجريد حملة لاخضاع الولايات الثائرة . فترأس ملك الفرس ارتحشستا الثالث الحملة ، ونوى الانتقام من صيدا شر انتقام .

وبينما كان الصيداويون يتدربون ، ويدربون حتى فتيانهم الصغار على فنون القتال ، فإن مليكهم كان يعد عدة الاستسلام ، الا أن الملك الفارسي لم يقبل استسلام المدينة ، وقتل خمسمائة من رجالها ، جاءوا يتماوصون لأجل تقديم الطاعة .

عند ذلك ، وعندما رأى الصيداويون الخطر المحدق بهم وأن خيانة مليكهم جعلتهم فريسة لأعدائهم أحبوا الموت بأيديهم وفضلوه على الموت بيد المنتصر العاتي « فبادروا باحراق سفنهم حتى لا يتمكن أحد منهم أن يهرب فيها ، ثم اجتمعوا ودخل كل بيته بنسائه وأولاده وأمواله ، وأشعلوا النار ، فماتوا بها حرقاً بعد أن صارت أتونا من النار المتقدة ، واحترق فيها زهاء اربعين ألف نسمة مع كنوزهم وأموالهم ، فكانت هذه الحادثة الانتحارية أعظم ما دونه التاريخ في صفحاته المجيدة لبطولة شعب» كما جاء في كتاب منير الخوري « صيدا عبر حقب التاريخ » .

حصلت هذه الواقعة سنة ٣٥٠ ق.م وبعدها لم يعمر الفرس في البلاد ، فجاءهم غاز آخر هو الاسكندر المقدوني ، فسقطت دولة الفرس أمام جحافله ، ودانت له الولايات التي كانت تابعة لها .

وموجـــات أخـــرى

ويختزل حمزة عليان في كتاب « المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني » تاريخ المدينة اللاحق على تلك الفترة فيقول :

استسلمت للاسكندر المقدوني الكبير سنة ٣٣٣ ق.م ، ثم حكمها السلوقيون والرومان والبيزنطيون .

استولى عليها يزيد بن أبي سفيان بلا عناء ، وفتحها العرب سنة ٦٣٨م ، وألحقوها بجند دمشق ، وكانت الميناء العسكري لهذا الأقليم .

استولى عليها الصليبيون عام ١١١١م . واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م . ، ثم استولى عليها الصليبيون ثانية سنة ١٢٢٨م . وفي سنة ١٢٥٢م ملكها لويس التاسع ملك فرنسا ، وحصن قلاعها وحصونها ، (أطلق اسم لويس على القلعة البرية بعد أن رممها ، وكانت فيما مضى تعرف باسم قلعة المعز نسبة الى المعز لدين الله الفاطمي ، الذي حصن القلعة ورممها في زمن سابق) .

استعادها المسلمون عام ١٢٩١ لآخر مرة بعد سقوط مدينة عكا ، ودمروا تحصيناتها وجعلوها على الأرض تماماً .

أعاد بنائها الأمير فخر الدين الثاني المعني الكبير (بعد أن سيطرت على الشرق الدولة العثمانية ، اعتباراً من سنة ١٥١٦م .)

وفي هـــذا القـــرن

ويضيف حمزة عليان في اختصاره لتاريخ المدين فيذكر سيرة بعض رجالاتها فيقول :

« شهدت صيدا في بداية القرن العشرين مواق وطنية وقومية ازاء الهزات التي تعرضت لها السلد العثمانية ودخول الانتداب الفرنسي ، وبرز في رجال وطنيون عرفوا بمواقفهم واسهاماتهم العل


د ـ نبيل الراعي
...مر السكيني

والوطنية ، نذكر منهم توفيق البساط (الذي شنقه جمال باشا السفاح في ساحة البرج مع غيره من وطنيي بلاد الشام الذين طالبوا بحرية واستقلال العرب عن الدولة العثمانية سنة ١٩١٦م) .

والشيخ أحمد عارف الزين الذي انشأ فيها مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ (ما زالت تصدر حتى الآن) وكان من الذين نشروا الوعي العربي واليقظة الوطنية من خلال كتاباته ، ورضا الصلح وولده رياض أول من رفع العلم العربي على سارية الحكومة الموالية لقائد الثورة العربية الشريف حسين أمير مكة (رأس حكومة الدولة العربية في المدينة حوالي ٨ أيام قبل أن يسيطر عليها الفرنسيون وأصبح رئيساً لوزراء لبنان بعد الاستقلال) وقامت فيها مظاهرات وطنية تهتف احتمالاً باستقلال سوريا وبتتويج فيصل ملكاً عليها وتطالب بجلاء الفرنسيين عن البلاد . وأثناء إعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وضم الأقضية الأربعة الى الدولة ، رفضت صيدا مع بقية الأقضية هذا الالحاق مطالبة بالعودة للوحدة السورية

وقامت المظاهرات الصيداوية في الأعوام ١٩٢٦ و ١٩٢٩ تجاوباً مع الشعب الفلسطيني ، ودليلاً على مواقفها القومية ، حيث خرجت المسيرات تهتف وتؤيد الشعب العربي وانتفاضته ضد الانجليز واليهود .

وتابعت صيدا مواقفها القومية والوطنية ، فشارك بعض رجالاتها وعلى رأسهم معروف سعد في ثورة سنة ١٩٣٦ ، عن طريق منع الشاحنات من التوجه من لبنان لنجدة اليهود ، وفي حرب ١٩٤٨ شارك سعد في معركة المالكية مع الشهيد محمد زغيب وغيره من المقاتلين .

وتابعت المدينة وأبناؤها بعد ذلك تجاوبها مع كل معارك العرب التحريرية ، في قناة السويس ، وحروب التحرير الجزائرية ، واحتضان الثورة الفلسطينية ، وسقط قائدها الشعبي معروف سعد شهيداً بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ ، بعد أن أطلقت عليه النار قبل ذلك بحوالي ثمانية أيام ، أي بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٦ . وهو على رأس مظاهرة لصغار الصيادين ، كانت تحتج على منح احتكار شركة البروتين لصيد السمك ، ومصادرتها لأرزاقهم (أصحابها من كبار المتمولين في لبنان) .

وقد كانت الرصاصات التي أطلقت على هذا القائد هي الشرارة الأولى لقيام الحرب الأهلية ، التي لم يخمد أوارها حتى الآن في لبنان .

رحلـــة في المكان

تقع مدينة صيدا خلف رأس ممتد في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وتبعد عن مدينة بيروت حوالي ٤٥ كيلومتراً ، وتشتهر ببساتينها الغنية بالبرتقال والليمون والأسكيدنيا والموز والخضروات ، وتشتهر بصناعة الحلويات وماء الزهر والمفروشات ، وتعليب الفاكهة وتصديرها ، وصناعة السفن الصغيرة ، كما يشتهر ميناؤها بتصدير الحمضيات والزجاج والفخار والأسماك وغيرها من منتوجات الجنوب ، ويكرر البترول السعودي في ميناء الزهراني الذي يبعد حوالي عشرة كيلومترات عن المدينة ، ويستقبل ميناء صيدا مواد البناء والسيارات والقمح وغيرها ، وقد أخذ الميناء بعد أن تحررت مدينة صيدا ، باستقبال السفن متوسطة الحجم ، بعد أن تم بناء جزء من كاسر للأمواج قرب القلعة البحرية ، والحركة ناشطة لبناء ميناء ثان جنوب المدينة .

من أشهر الأماكن الأثرية في المدينة ، القلعة البرية والقلعة البحرية ، ويوجد بالقرب من الأخيرة جزيرة صغيرة يطلق عليها اسم « الزيرة » أي تصغير جزيرة .

بُني عليها فنار المدينة ، وهي غير مسكونة وتعتبر مقصداً لبعض صائدي الأسماك وعشاق السباحة أيام الصيف .

وتذكر المصادر أن القلعة البحرية يعود نشوؤها الى عصور قديمة ، قام مكانها في الماضي هيكل الاله ملكارت الفينيقي ، وقد أقام عليها الصليبيون قلعة سنة ١٢٢٧

ورممها بعد ذلك المماليك سنة ١٣٥٠م ، وأضافوا اليها البرج الذي ما زال قائماً حتى الآن ، وأصلحها الأمير فخر الدين المعني ، وأضاف اليها مسجداً في القرن السابع عشر ما زالت قبته قائمة حتى الآن أيضاً .

شوارع المدينة القديمة ، وعلى الأصح سكيكها ضيقة وملتوية ، ويتداخل بعضها مع البعض الآخر ، وتفضي الى بعض الساحات المكشوفة ، وهي مغطاة قلما تنفذ اليها الشمس ، وبيوتها متلاصقة ومتشابكة ومدعمة بقناطر وعقود ، عجز الاسرائيليون عن إحكام سيطرتهم عليها في البداية ، الا أنهم وظفوا جواسيسهم لمراقبتها ، ومع ذلك فان المقاومة الوطنية عندما اشتد ساعدها ، سيطرت على هذا القطاع من المدينة خصوصا في الليل .

يحد المدينة من الشمال نهر الأولي ، وينبع من مرتفعات جبال الباروك ، وطوله ٣٥ كيلومتراً ، ويحدها من الجنوب نهر سينيق ، وهو من الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، وهناك أنهار أو جداول صغيرة في شمال المدينة وجنوبها مثل « البرغوث والقملة » . عدد سكانها يصل الى حوالي مائتي الف نسمة

عودة الى الزمان

يقول الدكتور نبيل الراعي . هل تصدق أن العدو كان يخشى حتى أعشاش الطيور على رؤوس الأشجار بل يخشى الأشجار نفسها ، لقد كان يخشاها مخافة أن تكون مملوءة بالقنابل !

وهل تصدق أنه كان يخشى أية كومة تراب ، خوفاً من أن تكون كميناً .... لذلك فإنه كان .. وبالعرابة الاجراء يبدأ صباح كل يوم باطلاق النار على طول شارع معروف سعد .... وقد ذهب بعض الضحايا من جراء هذا الاجراء الغريب ، كما أنه جرف الكثير من البساتين وخربها ، كي لا تكون مأوى لرجال المقاومة . ومع أنه جند القوى الانعزالية في المنطقة ـ واشترى بعض ضعاف النفوس في المدينة ، وجندهم تحت اسم الحرس الوطني ، واعتقل آلاف الشبان وفرزهم على شاطيء البحر ، وحقق معهم في معمل صفا ثم نقل الكثير منهم الى معتقل أنصار ، أو حتى الى فلسطين المحتلة ، مع ذلك فإن دورياته كانت هدفاً سهلاً لرجال المقاومة .

لقد ركزت المقاومة على ضرب أفراد الجيش الاسرائيلي ، لأنهم هم العصب الموجع في آلتها ، وأبقت حسابها مع العملاء الى ما قبل خروج الاسرائيليين بأشهر قليلة .

وبما أنها الحرب ، لذلك فإن العدو أو عملاءه أرادوا حرمان صيدا من قيادتها وارباكها ، خصوصا أنهم اطلقوا العنان للقوات الانعزالية بشن حربها على المدينة بعد خروجهم منها . فوضعوا سيارة مفخخة أمام بيت الأمين العام للتنظيم الشعبي الناصري المهندس مصطفى معروف سعد ، بعد أن أزعجوه كثيراً باستدعاءاتهم وتحقيقاتهم المتكررة هو ومعظم القيادات الصيداوية التي كانت متواجدة في المدينة أثناء الاحتلال ، ففجروا السيارة قبل خروجهم بأسابيع قليلة (في ١٩٨٥/١/٢١ أي قبل خروجهم بحوالي شهرين) .

صحيح أن عيني القائد أصيبتا واستشهدت ابنته ناتاشا ، وأصيبت زوجته .. لكن الله سلم وها هو قد عاد الى ممارسة أعماله النضالية ضمن تنظيمه وضمن المجلس السياسي لمدينة صيدا ، الذي يرأسه نائب صيدا الدكتور نزيه البزري ، والذي يضم كل القوى والتنظيمات الفاعلة في المدينة .

وهذه التجربة ، أي تجربة المجلس السياسي للمدينة ، ووجود جيش موحد لها ، من التجارب التي تفخر بها مدينة صيدا ، وهي التي جنبتها حتى الآن المعارك الداخلية ، وجعلت جيشها ، جيش التحرير الشعبي ـ قوات الشهيد معروف سعد يتف

لمعاركه مع القوى الانعزالية التي هجمت على شرق صيدا في نهاية شهر آذار مارس وبداية شهر ابريل نيسان سنة ١٩٨٥ ، وقد استطاع دحرها بمساعدة الحلفاء ليتوقف عند حدود قريتي لبعا وعين المير بمواجهة القوى الانعزالية والصهيونية المتمركزة في كفر فالوس ، وقد تم التوقف عند هذه المواقع لاتاحة الفرصة لحل مشكلة بلدة جزين وجوارها سلمياً ، إلا أن الانعزاليين ومن ورائهم الاسرائيليين ، لا يودون حل الأمور بالطرق السلمية .

بعض الوقائع

■ في ١٩٨٢/٩/٢٦ أي بعد الاحتلال بحوالي ثلاثة أشهر وعشرين يوماً شهدت مدينة صيدا تظاهرة نسائية هي الثانية منذ الاجتياح ، انطلقت من مخيم عين الحلوة ، وضمت أمهات وزوجات المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في معتقل أنصار ، وقد حاولت اختراق الحواجز الاسرائيلية فما كان من عناصرها - أي عناصر الحواجز - الا أن أطلقت تجاههن القنابل المسيلة للدموع ، واعتدت بالضرب على من استطاعت القبض عليهن .

■ في ١٩٨٣/٣/١٧ انطلقت داخل شوارع صيدا تظاهرة ضمت ألف امرأة وطالب ، وعدداً من الشيوخ رددوا شعار « لا اله الا الله بيغن عدو الله » وقد أطلق جنود الاحتلال النار على المتظاهرين ، مما أوقع سبعة جرحى من بينهم .

■ نقلت وكالة فرانس برس الفرنسية أن القوات الاسرائيلية اعتقلت أكثر من مئة لبناني وفلسطيني ، بالاضافة الى اعتقال ٥٠ امرأة في سجن النساء في النبطية ، وقد ربطت الوكالة بين حملة الاعتقالات ، وتصاعد العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال التي اعترفت بتعرضها لثلاث وثلاثين عملية عسكرية خلال شهر مايو « أيار » من سنة ١٩٨٣ ، وأدت الى مقتل ٨ جنود وجرح ٢٣ آخرين .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٣ ، ورداً على الاجراءات القمعية التي تمارسها قوات الاحتلال ، وتعبيراً عن الرفض المطلق لوجودها ، أعلن الاعتصام العام في صيدا والجنوب . واستمر لمدة يومين ، وانتهى بمهرجان خطابي أكد على مقاومة الاحتلال .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٩ نفذت مدينة صيدا إضراباً عاماً شجباً للاعتقالات وتدنيس مراكز العبادة ، وحدادا على شهداء ملحمتها البطولية ، الشهداء حبال والشريف وزهرة الذين سقطوا في معركة خاضوها وجهاً لوجه مع قوات الاحتلال في أحد شوارع مدينة صيدا الرئيسية .

والجدير بالذكر أن مدينة صيدا عاشت منذ ١٢/٢٣ وحتى ١٩٨٣/١٢/٣١ حالة غليان شديدة ، كما شهدت عدة عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال .

■ ظهر يوم ١٩٨٤/١/١٩ وفي شارع رئيسي من شوارع صيدا تصدى الفتى نزيه القبرصلي (١٤ سنة) برشاشه لقوات الاحتلال فقتل منها وقُتل .

■ أعلنت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية أن مجموعاتها المقاتلة في الجنوب والبقاع الغربي نفذت خلال شهر آذار - مارس - من سنة ١٩٨٤ ، ٣٩ عملية فدائية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي ، أدت الى إصابة ٥٧ جندياً بين قتيل وجريح ، اعترف العدو بـ ٣٦ منهم .

■ اعترف الناطق الرسمي باسم العدو الاسرائيلي أن المقاومة الوطنية قامت بـ ٨٩٢ عملية عسكرية ضد مواقعها في الجنوب اللبناني ، وذلك في سنة ١٩٨٤ ، أما عدد القتلى الاسرائيليين منذ الغزو حتى خروجها من منطقة صيدا فقد بلغوا ٧٣٢ قتيلاً اسرائيلياً .

شهــــادات حيــــة

الشيخ يوسف مسلماني أمين سر لجنة معتقلي أنصار في مدينة صيدا الذي اعتقلته القوات الاسرائيلية مرتين : الأولى بعد غزوها مباشرة ، وأمضى حوالي سنة وأربعة أشهر في معتقل أنصار .

وأطلق سراحه مع آلاف المعتقلين الذين تم تحريرهم بعد عملية تبادل الأسرى التي تمت بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤ .

ثم تم اعتقاله بعد ذلك وأمضى في المعتقل حوالي سنة وشهرين ، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٨٥/٤/١٨ من معتقل عتليت في فلسطين المحتلة .

كتب الشيخ في إحدى رسائله التي وصلت الى أهله ودويه عن طريق الصليب الأحمر والمؤرخة في



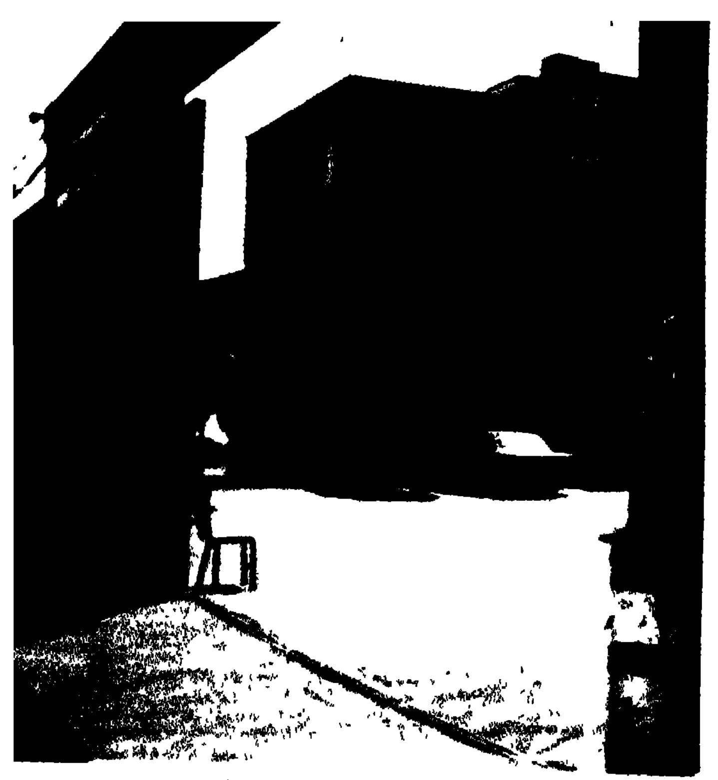
تمثال الشهيد القائد معروف سعد



القلعة البرية هاجمتها الطائرات الاسرائيلية اكثر من مرة . . وبقيت صامدة .



ات عبرية . وصخور مجروفة . هذا ما تبقى
معسكر انصار



معمل صفا للحمضيات .. كان مركزا لاعتقال
المناضلين

كبك صيدا
مازالت كتابة
اضرة في
ان .

٢٨/٦/١٩٨٣ ما يلي :
« أيها الأحبة ، ان الدم الذي سال ويسيل من أبناء شعبنا هو المحرقة التي ستحرق الخونة والعملاء والمتساقطين ، [illegible] النور الذي يضيء الطريق للأجيال القادمة [illegible] تحول معتقل أنصار الى مدرسة لرفض الذل [illegible] معتقل الكرامة والشرف [illegible] في إيمانهم ، وصلابة في مواقفهم ، [illegible] في معنوياتهم .
ان طريقنا التي نسير عليها مليئة بالأشواك ، وطريق النضال والكفاح والتحرير كانت هكذا على مر التاريخ » .

سألت الحاج خليل صاحب محل الكهربائيات المواجه لمقبرة صيدا عما حدث بالضبط .... قال :-
هي أيام تذكر .. وأرجو أن لا تعاد .... كانوا كالكابوس . ... وأيامهم كانت أيام رعب حقيقي .... لا أذكر متى حدثت العملية الفدائية بالضبط ، لكنها ربما حدثت قبل خروجهم بأسابيع ....
لم نره .... وربما كانوا أكثر من واحد ، المهم أنه في ظهيرة ذلك اليوم خرج أو ربما خرجوا من بين القبور المواجهة . وأطلقوا النار على دورية اسرائيلية فوقع أحدهم من السيارة مضرجا بدمه ، وبقي الثاني قتيلا فيها .. أما الثالث فإنه اخذ يصيح من خلال جهاز يحمله . أصيبت المنطقة برعب وارتباك .... واخذ الاسرائيلي الثالث يطلق النار كيفما اتفق ، ... لم أستطع لحظتها اغلاق المحل خوفا من تهمة ما .. فبقيت مسمرا في زاوية المحل ، الى أن جاء مجموعة من الجنود الاسرائيليين فجمعوا كل من وجدوه في المنطقة ، وأركعونا وأيدينا الى فوق بالقرب من جدار المقبرة الذي تراه ... اعترض طبيب أعرفه يعاني من مرض في القلب ، فما كان من الجنود الا أن أوسعوه ركلا وشتما ، وأجبروه على الركوع في منتصف الشارع .. كانوا مرعوبين وعصبيين ومستفزين ... لكنهم ..... خرجوا وأيامهم تذكر .. لكن أرجو ألا تعاد .
هكذا تتابعت العمليات الفدائية ، وتتابعت ثورات القرى في الجنوب واحدة اثر الأخرى ، أو مع بعضها البعض ، وهكذا فان حجارة الأرض قاومت سيول جيش الاحتلال فذهب السيل وبقيت الحجارة !

عين الحلوة .. وطائر الفينيق

طائر الفينيق هو طائر خرافي .... تقول عنه الحكايات إنه كلما احترق ، فان رماد موته يجدد حياته من جديد .
وعين الحلوة .. أعني مخيم عين الحلوة فيه بعض صفات طائر الفينيق .
لقد دكته الطائرات والزوارق البحرية والدبابات الاسرائيلية ، اعتبارا من يوم ٦/٦/١٩٨٢ بآلاف الأطنان من القنابل . وتذكر المصادر أن أكثر من ٨٠٪ من بيوت المخيم لم يبق فيها حجر على حجر .
مع ذلك فان هذه الحمم لم تفت في عضد بعض الفتيان الذين ردوا للاسرائيليين بعض النار التي كانوا يقذفون بها المخيم .

وقد بثت اذاعة الجيش الاسرائيلي بتاريخ ١٦/٦/١٩٨٢ الخبر التالي .. حسب ما جاء في كتاب أطفال الآر بي . جي الوارد ذكره من قبل .
« العريف اسحق » وهو مصاب بجروح وحروق يقول معلقا على المعارك التي دارت قرب صيدا .
« في البداية قيل لنا بأنهم يجلسون في عشرات الملاجيء المقامة داخل المخيم - المقصود مخيم عين الحلوة - كان ذلك خلال القصف العشوائي على المخيم من الجو والأرض ، ولم يكن أحد منا يعلم بالضبط كم كان عدد رجالهم ، الا أن بعض رفاقي الجنود سمعوا من القائد بأن هناك ما يزيد على الالف فلسطيني مسلح ما زالوا يتمترسون داخل الملاجيء ، ولكن حين دخلنا المخيم واصطدمنا معهم وجها لوجه كان عددهم يقل كثيرا عما قيل ، اذا كنت تسألني اذا كان هؤلاء الفلسطينيون قد قاتلوا فاعلم أن قتالهم كان رائعا ، لقد كانوا جميعا من المحاربين الجيدين ، وكل الاحترام للمحارب الجيد ! » .

واستمر الكر والفر .... وتبادل الحمم غير المتكافئة حتى تاريخ ٢٤/٦/١٩٨٢ .
أرسلوا من يتوسط بالاستسلام ، أو حتى الخروج من المخيم دون استسلام ، المهم أن يخرجوا ....

فكان الجواب : « لولا أنكم كبار فى السن .. لكُنا أبدناكم كما نبيدهم » .

استعملوا الحروب النفسية بواسطة المناشير ومكبرات الصوت ...... ، الا ان ذلك لم يفدهم فى شىء ، ضاق الحصار وشح زاد البشر والسلاح ، فبلعتهم الأرض فى شقوقها وشعابها .. فدخلوا بعد ذلك ليجدوا أن المخيم مجرد ركام تساقط على الكثير من الجثث !

ومن بين الشقوق والركام نبتت مع الأيام أياد تتحسس بقايا الحطام ..... وتقاوم ، ساقوا جميع من تبقى حياً الى شاطىء البحر ، وبدأت عمليات الفرز ... هذا « مخرب » من هذا التنظيم ... ومن ذلك ... ومن غيره ... هكذا كانت هزة رأس المقنع العميل تذهب بمئات وآلاف الشبان والكهول الى المعتقلات والسجون . فى أحد الأيام .... يقول محدثي . كان العميل جالساً بين الاسرائيليين ليتولى فرز الناس وهو مقنع ، فما كان من امرأة من المخيم بعد أن غلى الدم فى عروقها الا أن هجمت عليه وكشفت قناعه وبصقت عليه . صحيح أنه نالها رفس وشتم . لكن العميل سقط مضرجا بدمه بعد أيام .

اعطوهم خياماً فأحرقها الأطفال والنساء

قالت امرأة من عين الحلوة لأحد الصحفيين .

« يريدون منا العودة الى الخيام كالحيوانات .. حتى الحيوانات لا تقبلها اليوم ، نريد منازل كمنازلنا التى دمرت ، لقد شيدناها بعرق وكد رجالنا وأبنائنا »

شيء من الجغرافيا والتاريخ

يقع مخيم عين الحلوة جنوب شرق مدينة صيدا على مسافة لا تتجاوز ٥ كيلو مترات ، ويبلغ عدد سكانه حوالى أربعين الفا ، خاصة وانه استقبل بعض سكان المخيمات الفلسطينية اثر مجازر تل الزعتر وصبرا وشاتيلا ، أو الاعتداءات الاسرائيلية على المخيمات الفلسطينية بالقرب من مدينتي النبطية وصور . أنشىء المخيم سنة ١٩٤٩ ، ومعظم سكانه من قرى وبلدات الشمال الفلسطيني ، الذين أجبرتهم القوات الصهيونية على النزوح من أرضهم وديارهم . تولت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة الاشراف على المخيم ، ووزعت الوكالة الخيام على الناس فى البداية وسكنوها فترة .

الا أن الخيام كانت قلما تصمد فى مواجهة حر الصيف أو قر الشتاء . فلجأ سكانه الى بناء بيوت من طين ، وصولا الى البناء بحجر الباطون وسقفها بألواح « الزينكو » ثم لجأ البعض الى سقف بيوتهم بالباطون ، فجاءت القوات الاسرائيلية لتدمره على رؤ وسهم . جاء فى صحيفة علهمشمار بعد ان رافق محررها القوات الصهيونية أثناء الغزو سنة ١٩٨٢م ما يلى : « من يعرف كم من أطنان القنابل القيت على هذا المخيم يقدر حجم الكارثة ! والآن أشاهد أيضا الجرافات والبلدوزرات العبرية الضخمة تكمل هدم ما تبقى من مخيم عين الحلوة ، انها عملية دمار وابادة منظمة » .

لكن ذلك زمن مضى وانقضى ، صحيح أنه يمكنك أن ترى بعض البيوت المدمرة حتى الآن فى المخيم ، خاصة وأن القوات الانعزالية استمرت فى قصفه ، بل حاولت اقتحامه بعد انسحاب الاسرائيليين فى ١٩٨٥/٢/١٨ . مع ذلك فان « طائر الفينيق » خرج من رماد دماره وانقاضه وأعاد بناء الكثير مما تم تدميره .

عمل الكثير من سكانه فى المرحلة الاولى من لجوئهم فى البساتين المجاورة أو فى البناء ، ثم عملوا بشتى الورش الصناعية الصغيرة فى مدينة صيدا

شارك سكان المخيم فى شتى النضالات الوطنية والقومية . وقامت فى المخيم تنظيمات وطنية فلسطينية ، أو فروع لتنظيمات عربية لعبت دورها فى شتى مراحل حياة المخيم . وتبنت مطالب سكان المخيم الحياتية وصولا الى امتشاق السلاح ، والمشاركة في العمل الفدائي ، خصوصا وان اتفاقية القاهرة المعقودة سنة ١٩٦٩م . بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية ـ التى ولدت فى مؤتمر القمة العربى الاول الذى انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٤ ـ قد نصت فى بنودها على تنظيم العلاقة بين الطرفين ، وتنظيم حمل السلاح خاصة .

جانب من مخيم عين الحلوه (لاحظ حضارة الدمار التي جاء بها الاسرائيليون)



ابو حيط ـ نموذج لجيل ما بعد الغزو



ما زال الدمار شاهدا على وحشية ما حدث



قادة وشهداء   رموز المرحلة

بعد الغزو

قال لى الكثير من سكان المخيم الذين التقيت بهم من النساء والأطفال والرجال : كان كل شيء على الأرض ، ولم يبق فى المخيم أحد ، معظم الرجال فى المعتقلات (حوالى ٥ آلاف شاب وفتاة) ومن بقى حياً من النساء والأطفال والشيوخ توزعوا على المناطق المحيطة ، كقرية الغازية ، ومدينة صيدا وحارة صيدا ، ومخيم المية ومية ..... وصولا الى قرى اقليم الخروب أو الشوف .... اللبنانيّين .

ضاعت معالم المخيم وغطاها الركام ، لكن طائر الفينيق نفض الركام .... تدريجياً .

عادت بعض النسوة الى المخيم .... والأطفال والشيوخ وبعض الكهول من الرجال ....

أحضروا لهم بعض الخيام ، فأحرقها الأطفال والنسوة ، قالوا نريد رجالنا وشبابنا .

أحضروا لهم بيوتا خشبية جاهزة .. رفضوها هى أيضـا . ثم انطلقوا الى مدينة صيدا يضجون بالهتاف : « نريد شبابنا لحمايتنا » فأطلقت على بعضهم النيران .

وسلط عليهم العدو الصهيونى القوات الانعزالية ، فحرموا على بعضهم العمل ، ومنعوهم من مبارحة المخيم ، وطلبوا من كل الفلسطينيين فى المنطقة العودة الى المخيم حتى لو كانت لهم أملاكهم الشخصية خارجه ، بل تم قتل من لم يستجب للأوامر :

جاء فى تقرير نشر فى شهر آذار ـ مارس ـ من سنة ١٩٨٣ « انه تم العثور على ١٥ جثة لفلسطينيين من أبناء عين الحلوة ، وجدوا مقتولين فى مناطق تحيط بالمخيم فى شهر شباط ـ فبراير ـ من عام ١٩٨٣ » .

ونصب العدو أيضا حرسا وطنيا من بين ضعاف النفوس من الفلسطينيين واللبنانيين داخل المخيم .. فاعتقل كل من وجد فيه أدنى بادرة للمقاومة ، ثم لجأ الى النهب والسلب ... وحتى الاعتداء على الأعراض !

انتفض طائر « الفينيق » فألقيت قنبلة يدوية على

دورية اسرائيلية راجلة . . . . فتم استدعاء من عاد من شبان وكهول المخيم للتحقيق وتم اعتقال بعضهم .

في ليل الخامس والعشرين من شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٨٢ اطلق الرصاص على فيصل أبو سليم المعروف بأبي عصام . . ووزع بيان يومها جاء فيه أن أبا عصام كان عميلا للاسرائيليين .

تحسس العملاء رؤوسهم . . . وزادوا من تسليحهم ، وازدادت دوريات الانعزاليين والصهاينة .

اطلق ملثمون النار على دورية اسرائيلية في جهة المخيم الشرقية . ثم تم تفجير عبوة ناسفة موجهة لاسلكيا أثناء مرور دورية للعدو عند مدخل عين الحلوة . . . .

ازدادت العمليات . . وكثرت المظاهرات والاضرابات .

خرج أفراد الحرس الوطني « عملاء الصهاينة » من المخيم ليبدأوا بمهاجمة أهدافهم في الليل .

نشط بعض الجواسيس السريين لنقل أخبار حركة المقاومة في الداخل .

ثم قتل الأول والثاني والثالث من العملاء . . . . وتوالى بعد ذلك قتلهم .

ليل المقاومة

أصبح الليل ليل المقاومة . . . . في النهار اختفاء وتخطيط ، وعمليات قليلة أو نادرة . . نظرا لكثافة الدوريات الاسرائيلية . وفي الليل . . ما أروع تلك الليالي . . هكذا قال لي الكثير من الذين التقيت بهم.

- لماذا هي رائعة ؟

هل تصدق أننا كنا نتجمع في حي معين حسب أوامر المقاومة التي كانت تعلنها « بالميكروفونات » لنبدأ بالغناء وترديد الأهازيج ونعقد الدبكات .

عدم التصديق يظهر في عينيك . . . صدقني أن ذلك حدث وعشرات الناس على ذلك شهود ومشاركون . . هكذا أكد محدثي .

كان أفراد المقاومة يلبسون أزياء غريبة ويتقنعون ، ويغيرون أصواتهم ومشيتهم ، قسم منهم كان يشاركنا الغناء والدبكة ، وآخرون كانوا يرصدون أية حركة غريبة وبسلاحهم الواضح !

والاسرائيليون والانعزاليون والعملاء ؟

كانوا لا يجرءون على التدخل . والا فان معركة كبيرة ستقع !

وقد إزدادت قوة المقاومة بعد ان خرج معتقلو أنصار بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤ . . . وعاد الشبان ليعاودوا سيرة الكفاح والنضال .

لقد قمنا بمظاهرات حاشدة يحرسها المسلحون أي مسلحو المقاومة الملثمون في المخيم بمناسبات كثيرة . . منها :

- المطالبة باعتاق المعتقلين .
- رفض الخيام ومباني الخشب الجاهزة .
- الاحتجاج على ممارسات العملاء والخونة .
- المطالبة بتأمين ما يكفي من مؤ ن .
- وأخيرا الاحتفال بمناسبة انطلاق الثورة . أو ذكرى وعد بلفور ، أو ذكرى التقسيم ، أو حتى الذكرى المشؤومة الأولى والثانية للغزو الاسرائيلي .

لكنني قرأت أن الأهل كانوا ينكرون أبناءهم اذا ما استشهدوا ؟

لطمت أذني الأصوات المحتجة . . . قائلة صارخة :

تلك أيام الأشهر الأولى من الاحتلال . . ولنضرب لك مثلا :-

دوى انفجار كبير في احدى ليالي الشتاء . . . لم يجرؤ أحد على الوصول الى المكان . . . وفي صباح اليوم التالي . . . كانت جثة مطروحة قرب أحدى السيارت . . . بقيت على وضعها لمدة تزيد على ست ساعات . . . . والاسرائيليون يحققون ، والعملاء يستقصون ، يريدون معلومات عن الشاب

● ما هي حكاية ذلك الشاب ؟

- تلك قصة يمكن أن نرويها الآن لكنها بقيت غامضة في تلك الأيام .

وملخصها ذهب الشاب مع أحد زملائه لتفخيخ سيارة أحد العملاء ، الا أن المتفجرة انفجرت بالشاب فقتلته واختفى زميله . إلا انه في صباح اليوم التالي . . شوهدت امرأة متوسطة العمر . . . . تروح وتجيء بالقرب من ذلك المكان ، كانت تختلس النظر الى حيث تقبع الجثة . . ولا تقوى على الاقتراب منها !

يومها كان الرعب والموت ينشران ظلهما على المخيم .... وأية اشارة الى أن أحدا له علاقة بالمقاومة فان البيت كان ينسف ، ويتم اعتقال أهله للتحقيق ثم يسوقونهم الى السجن .

لقد عرفنا فيها بعد ... أنها كانت أمه ... فتصور مأساوية الحدث والمنظر والواقعة !

أبــو حيــط

حملت مه وكالات الأنباء الأجنبية أسطورة ، صوّرته وصوّرت مجموعاته .. وهم يزحفون ويتدربون ، بل وهم ملثمون أيضا وبيدهم « الكلاشكوفات » .

لم يكن ذلك فى زمن ما قبل الغزو ، ولا فى زمن ما بعد الانسحاب الاسرائيلى ، بل كان فى زمنهم زمن الاحتلال ، فكيف حدث ذلك ؟ ولماذ ؟ وهل هو عميل ومتعاون مع القوات الاسرئيلية أم هو حالة جديدة من حالات الانبعاث التى يتميز بها « طائر الفينيق » ؟

حاه وعلى ثيابه بقع من تراب البناء ... وعلى محياه عرق وغبار ، فتى لوحت بياضه وشقرته الخفيفة شمس المخيم ، فأعطته لونا فيه مسحة البرونز ، جلس خجولا ! رحبت به وتمعنت فيه مليا ... ... فيه شقاوة وقسمات الهم الذي يجعل ملامح الرجولة تأتي مبكرة ، قال : انني أساعد بعض أقاربى فى بناء ما هدمه الأعداء .

سألت :

هل قرأت ما كتبته عنك الصحافة الأجنبية ، وما ترجمته الصحافة العربية عنها ، وهل رأيت صورك وصور مجموعاتك ؟

ازدادت ملامح الخجل على محياه وتكاثف العرق .

- قال : لم أقرأ ذلك ... بل قيل لي .

- ولماذا : لم تقرأ ؟

- ارتبك ثم قال : لقد انتهت علاقتى بالمدرسة بعد الصف الثالث ابتدائى ، وها أنا آكل يدي ندما على ذلك ، عملت مصلحا للسيارات ولحام أوكسجين فى ورش عدة

كنت صغيرا !

أنا من مواليد سنة ١٩٧٠ .... واللقمة تحتاج الى كد .

● لماذا لم تلتحق بالمقاومة قبل الغزو .

- كنت صغيرا !

- ما هى حكايتك مع المجموعات التى كنت تدربها فى قلب المخيم أو خارجه ، مع أن الاسرائيليين والعملاء موجودون ؟

حاول اللف على السؤال ، حرك الكرسى الذى يجلس عليه ،شبك كفيه على مؤخرة رأسه ، وتحدث فى شؤون أخرى ،ازداد عرقه وخجله .. كان يريد التملص وعدم الاجابة ، كررت السؤال .... وبدأ بعض الحضور يذكرونه ببعض الأفعال .

سرح قليلا .... تململ .... ثم قال :-

- كنت صبياً .

● ضحكت .. وعلقت : لا زلت كذلك !

- قال ... نعم لكننى كنت أصغر .. كان عمرى ١٢ عاما عندما حدث الغزو الاسرائيلى ....

- قطعت عليه ما كان ينوى قوله وسألته : ما هى حكاية اسم « أبو حيط .. هذه » ؟

- قال : اسمى جمال مفلح علاء الدين من قرية صفورية فى الشمال الفلسطينى .

● وأين ابو حيط فى هذا الاسم ؟

- أجاب : كانت أمى متزوجة قبل أبى من رجل آخر ينتمى الى عائلة « أبو حيط » وعندما توفى ، تزوجها والدي فجاءت ومعها ولد من زوجها السابق ، وعندما ولدت أنا وكبرنا معا أنا وأخى من أمي فانه التحق بالمقاومة ، وبعد الغزو الاسرائيلى قُتل ، فبقى اسم عائلته عالقا بى لأننا كنا دائما معا ، وعرفنا نحن الاثنين باسم عائلته .

● وحكايتك مع المجموعات ؟

- اخذ الاسرائيليون شبان المخيم الى السجون ، ولم يبق الا القليل منهم فى المخيم ، بيوت المخيم تهدمت ، والقليل منها بقى صامدا ، ونشروا الخوف والرعب فيه .. يومها .. فكرت .... وتمعنت فى حالنا فبكيت عليها .. ثم قررت أن أفعل شيئا ...

وجدت لعبة كبيرة فدهنتها وأخذت أدور فيها بالمخيم جامعا حولى صبيانه وفتياته الصغيرات .... أرفه عنهم وأنكت . الحزن ، والخوف كانا سيفا مسلطاً على الرقاب .... فقلت فى نفسي : لماذا لا

أرفه عن الناس وأعيد لهم البسمة ؟!

عزيزي القارىء .... ان ما أسجله قاله ذاك الفتى حقيقة ، وانا هنا لم أتدخل الا في صياغة الجمل والالفاظ فقط .

المقنعون الصغار

● وبعد ذلك يا جمال ؟

- وجدت بين الأنقاض رشاشات كثيرة معطوبة وخربة ، فأصلحت بعضها ودهنتها .. ثم وزعت ما وجدته على بعض أطفال حينا ، وأخذت أدربهم عليها .

● هل أصبحت الرشاشات صالحة ؟

- لا .. كانت خشبا وحديدا معطلاً .

● لماذا فعلت ذلك ؟

- كما قلت لك ... أريد أن أعيد بعض الثقة للناس .

- أعدت السؤال كي أتأكد من الجواب .

● فأعاد التوكيد على الجواب وأضاف .. ثم بدأت أخرج بالأطفال والفتيان الى شارع السوق .. فيتجمع الناس ويضحكون . وبعضهم كان ينصحني بألا أفعل ذلك خوفا من أذى الاسرائيليين وعملائهم .

● ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- لبست القناع ولبسه أطفال غيري ... وخرجنا نتدرب خارج المخيم .

● والاسرائيليون ؟

- جاءوني في احدى الليالي .. طرقوا الباب وسألوا والدي عني فأجاب: هو صبي نائم .. أزاحوه من دربهم ، وكشفوا عني الغطاء فقمت مرتعبا ، وسألوني عن اسمي .. فذكرته لهم .

- ثم سألوني : الست أنت ابو حيط ؟

● قلت : نعم هو انا .

- نظر بعضهم إلى بعض ... وقال أحدهم هو طفل .... ومضوا .

● وماذا فعلت أيضا ؟

- اتصل بي بعض رجال المقاومة ، وأصبحوا يطلبون مني المساهمة في الدعوة الى الاضرابات والمظاهرات في أيام يحددونها لي .

● والعملاء والاسرائيليون .. ألم تكن تصلهم التقارير عنك ؟

- جاءوني مرة ثانية وفي الليل أيضاً .. وكرروا نفس ما فعلوه في المرة السابقة .... فوجدوني طفلاً أيضاً .

● كم عدد الأطفال الذين كنت تتعامل معهم ؟

- عشرة ربما عشرين أو ثلاثين ... وفي أحيان أخرى أكثر من ذلك .

● هل اقتصر نشاطكم على ما ذكرت فقط ؟

- كنا نتقنع ونخيف العملاء في الليل ، الى درجة أننا إصطدمنا في احدى الليالي بدورية اسرائيلية ، فأطلقت النار علينا وقتلت احد الفتيان .

● وغير ذلك ؟

- كنا نقوم بتوزيع المنشورات وتخريب بعض المنشآت للعدو ، أو نوصل بعض الرسائل لرجال المقاومة ، وغيرها من أعمال .

ولقد ساهمنا في رد هجمة الانعزاليين التي قصدوا فيها احتلال المخيم بعد خروج الاسرائيليين ، صحيح أن السلاح كان قليلا أيامها بين أيدينا . لكن الشبان والفتيان خرجوا بكل ما ملكوه لمواجهة القوة المعتدية . وكنا من بينهم ، فأندحرت القوة الغازية وتخلص المخيم من كابوسهم .

● ما هي حكاية الحمار الذي ركبته بالمقلوب ودرت فيه بالمخيم ؟

- ضج الحضور بالضحك ... شاركهم جمال ، ثم قال ...

● أحببت ان أفرّج عن هموم الناس .... فأمتطيت الحمار بالمقلوب وكتبت على يافطة وضعتها عليه : قوات الأعداء .... فضج الناس بالضحك وتبعني أطفال كثيرون .

● والآن يا جمال ؟ .. ماذا تفعل .. بعد أن كبرت ؟

● إنني أسعى لاستعادة ما فاتني من تعليم ، كما أنني أصبحت عضوا في احدى المنظمات الفدائية .

● عزيزي القارىء ... في الأساطير حكاية ... عن طائر ينفض جناحي الانبعاث والحياة اذا ما احترق ... تماما كما هي حكاية المخيم الفلسطيني الذي لو رأيته في هذه الأيام فانك لن تصدق انه ومنذ سنتين فقط كان ركاما وانقاضا ! .... □



وتسألني ؟

شعر : جهاد السالم



وَتسألني طفلةٌ حلوةٌ ... أتعشقُ - مثلَ الصِّغار - الصَّدى
وتتبعُ مِثلى فراشَ الحُقول ... وتضْحكُ كالطَّيْر لو غرَّدا
وَتكتبُ اسمى بصدرِ الجدار ... وترْسمُني جَيِّدا جَيِّدا
وَشعرُك يرعى صراعَ البقاء ... وَقدْ أخرجَ الأبيضَ الأسودا
كأنَّك قلبانِ : قلبُ الهوى ... وقلبُ الهموم وجسمٌ سُدى
فقلتُ أنا مثل هذا الوجود ... بهِ الحلوُ والمرُّ قدْ عربدا
ولسْتُ أرى المرَّ أشقاهما ... ولا الحلوَ أحلى ولا أحمدا
فكم أصْلح المرُّ بعضَ النفوس ... وكم أفسدَ الحلوُ كم أفسدا
اذا الدَّهرُ ألقى عنانَ الصِّعابِ ... مَدَدْتُ لذاك العنانِ اليدا
وإن هُو أهدى إليَّ الرِّداء ... رداءَ المحبِّ قبلتُ الرِّدا
بعيدٌ عن المرء كرهُ الحياةِ ... اذا كانَ كُرْهُ الورَى أبْعدا
وكلٌ سعيدٍ بهذا الوجودِ ... يكونُ الوجودُ به أسْعدا
نهايةُ أجسامِنا حفرةٌ ... ظلامُ الليالى لديها هُدَى
غداً إنْ غدوْنا إلى جوفها ... سيختنقُ فيها الظَّلامُ الغدا
أنيروا مصابيحَ هذى القلوبِ ... بحُبٍ وأذكوا بها المُوقدا
اذا ما مضى الحبُّ من كوننا ... فقدْ قاربَ المُنتهى المُبتدا





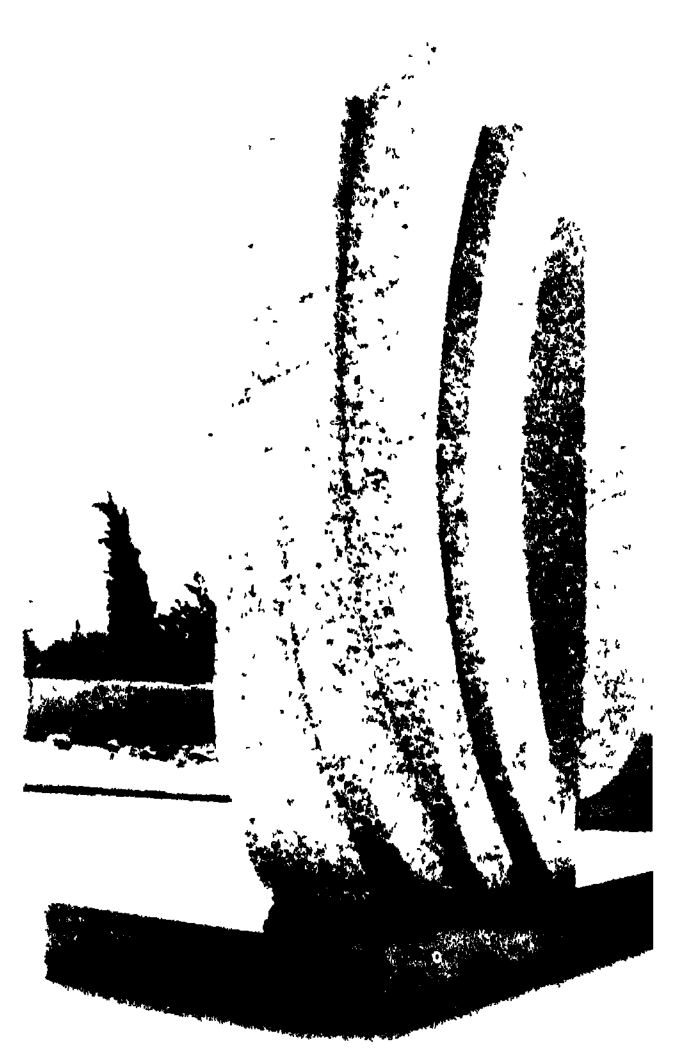
منى السعودي:
الفنانة التي كشفت سر الحجر

بقلم : صلاح حزين

منذ عشرين عاما غادرت منى السعودي الى باريس لبلورة هوية فنية خاصة بها . هناك بدأت علاقة منى الحارة مع الحجر . ومن خلال هذه المادة الصلبة الارضية صاغت أعمالها النحتية الجميلة وامتلكت شخصيتها الفنية التي يحاول هذا المقال القاء ضوء عليها

[illegible]

[illegible]



نمو - ١٩٨٣ - غرانيت - ارتفاع ٢,٧٥
الدوار السادس - عمان

ويدهش مشاهد منحوتات منى السعودي من محدودية مفرداتها الفنية والتشكيلية وغناها الفنى فى الوقت نفسه . أما قصة العلاقة بين الفنانة والحجر الذى تصوغ منه أعمالها النحتية فتعود الى عشرين سنة مضت ، عندما ذهبت منى السعودى الى باريس لتدرس الفن وتكشف سر الحجارة .

فى معظم معارضها تحرص الفنانة منى السعودى أن تعرض بعض لوحاتها الى جانب أعمالها النحتية التى تنتشر بانتظام قدسى داخل قاعة المعرض ، وعند النظر الى مجموع تلك الأعمال يتكون لدى المشاهد الانطباع الفورى بأنه أمام نحات ، فحتى اللوحات المعروضة تبدو كأنها تخطيطات لأعمال نحتية قادمة .

الفجر الأسود :

ومن بين أعمالها جميعا يلفت النظر ذلك العمل النحتى المصنوع من الرخام الاسود بحجمه الصغير الذى يميز أعمال الفنانة كما ذكرنا ، وبتلك الخطوط البسيطة التى تخترق الجسم الأملس المحدب بخفة . وقد أعطت الفنانة لذلك المزيج الفنى اسم (الفجر الأسود) .

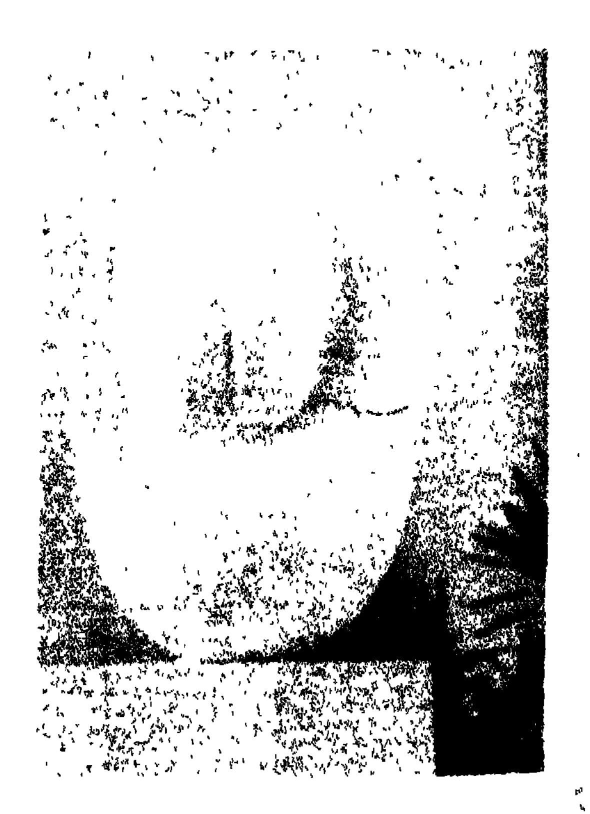
تدور معظم أعمال منى السعودى حول فكرة مركزة واحدة هى فكرة الأمومة التى تشمل أفكارا فرعية أخرى مثل النماء والاخصاب والانبلاج ، وهى تعتقد بأن أسماء اللوحات لا تعنى الكثير بالنسبة للعمل الفنى ، الا أنها تعرف أن الأسماء التى تتراوح بين الأمومة وأمومة الارض هى تنويعات على فكرة الخصب التى هى أصل كل شىء . وهى فى هذا نموذجية الى حد كبير من حيث محدودية مفرداتها ، فهذه المفردات الكلامية المختصرة هى جزء من محاولات منى لاختزال العالم المحيط الى مفردات فنية ينطلقها العمل الفنى ، فتخرج على شكل خط منحنى أو دائرى ، ولكن ليس متعرجا . وهذه الخطوط تأخذ أشكالها المختلفة المحدودة فى الوقت نفسه ، وتتوزع على جسم العمل ، ثم تتبادل أمكنتها واتجاهاتها وأدوارها على أجسام الأعمال الأخرى ، وهكذا تتمكن منى من اختزال العالم عبر مفرداتها الفنية هذه بحيث يبقى محافظا على تناسقه وانسجامه وغناه . وتفسر منى السعودى ذلك بقولها : « ان لكل فنان مفرداته الخاصة وعناصره التشكيلية ، التى قد يعمل عليها طوال حياته . قد تتجدد ، وقد تختلف بطريقة ما ، لكنها تبقى لتعطى الفنان خصوصيته وشخصيته » .

الدائرة والخط المنحنى

ولكن لماذا الخط المنحنى والدائرة ، وليس الزوايا أو الخطوط المستقيمة المباشرة الحادة ؟ تجيب منى « الخط المنحنى ، الذى تحول فى أعمالى الأخيرة الى دائرة مكتملة هو محاولة من جانبي للوصول الى مطلق

الاختصار ، ومطلق البساطة ، وهذا لا يكون الا من خلال الخط البسيط » .

والخطوط المنحنية وأنصاف الدوائر والدوائر المكتملة التي تبدو وكأنها تلملم جسم المنحوتة بدل أن تطلقه في الفضاء الرحب ، تتكامل وتتناسق مع الحجم الصغير لمعظم تماثيل منى السعودي . لكن الوحدة والتداخل بين انحناء الخطوط وبساطتها المطلقة وبين حجم المنحوتة هي اختصار آخر لمفهوم الشكل والمضمون ، المظهر والجوهر وما الى ذلك من أسماء تطلق على هذه المشكلة الفنية ، وليس انكفاء على الذات وتقوقعا وعودة الى الرحم ، رغم أن أي تفسير لتلك الخطوط لا يمكن أن يهمل هذه الجوانب ، وتدرك منى مغزى التساؤل الذي لم يوجه اليها مباشرة ، وتجيب « الانحناءة في الأعمال الصغيرة الحجم نتيجة منطقية للطابع الحميمي لتلك الأعمال ، انها ليست من تلك الأعمال الضخمة الكبيرة ، التي تنصب في الشوارع والساحات والحدائق العامة . بل ربما كان أفضل مكان لها هو حديقة خاصة ، تشعر المتردد عليها بالراحة والاسترخاء » ، وتضيف « لكن تطورا حدث أخيرا على أعمالي استدعى تغيرا في الأسلوب نفسه . وقد بدأ ذلك عندما خرجت أعمالي الى الشارع ، ووضعت في أماكن أخرى . وطبيعة المكان الذي تعرض فيه الأعمال مهم جدا في التكوين الفني للعمل النحتي » .



تكوين - ١٩٨٤ - حجر اردني

وهكذا وبمثل بساطة أعمال منى السعودي ، ومن خلالها نجد أنفسنا ننتقل من تلك الملاحظة العابرة لندخل في محاولة لحل المشكلة الأزلية لفن النحت ، مشكلة تناسب حجم المنحوتة مع الفراغ . الفضاء فسيح ممتد ، والمنحوتة عالم مختصر ضمن هذا الفضاء المترامي .

ليس هناك أبلغ من العبارة الشهيرة القائلة (كلما اتسعت الرؤ يا ضاقت العبارة) هذا ما قالته منى وهي تعلق هذه الجملة في مكان بارز من مرسمها في عمان بالاردن .

بين الساحات العامة والمتاحف

ورغم اعتزاز منى بأعمالها النحتية الصغيرة هذه ، فانها ترى فيها ما يشبه المقدمات لأعمال كبيرة الحجم ، تنتصب في الساحات والشوارع والأماكن العامة . وقد كان أحد أحلامها على الدوام أن ترى أعمالها تلك في الأماكن التي ذكرتها . وعلى أي حال فان هذا في الواقع هو مفهومها لفن النحت ، أي أن يكون العمل نصبا كبير الحجم ، يسهم بخلق نوع من التواصل مع المشاهد الذي قد يكون عابرا أو متأملا أو طالبا لبعض الراحة ، « اعتقد أن أفضل معرض للأعمال النحتية هو الشارع ، وليس المتحف أو المعرض الذي قد يضفي على الأعمال الفنية نوعا من القداسة ، لكن وجودها في الأماكن العامة يعطي نوعا من تعميم الجمال والفن ويمنح غنى نفسيا وجماليا أكبر » .

وترى منى أن هذا الانتقال من مرحلة الأعمال الصغيرة الحميمة ذات الأنحناءات الدائرية السائرة باتجاه مركز العمل ، الى الأعمال الكبيرة تتطلب تغيرا في الأسلوب وفي المعالجة . لقد بدأت مرحلتها الجديدة منذ نحو عامين ، عندما نصب العمل الأول

بها في الدوار السادس في العاصمة الأردنية كما قالت ، ولم يكن صدفة ان هذا العمل كان تكبيرا لنموذج صغير من أعمالها الأولى . وكأن في ذلك تأكيدا لعنصر الاستمرارية ، ونفيا لأي انقطاع بين المرحلتين .

لكن التغيير في الأسلوب والمعالجة يتطلب بدوره تغييرا في المفردات اللغوية والفنية . وهكذا نخرج من اطار اللوحات الحميمة الصغيرة ذات الأسماء الموحية مثل (أمومة) و (أمومة الأرض) الى أعمال مثل (النهر) و (نمو) التي تأخذ فيها الخطوط المنحنية أبعادها ، وتشكل أجزاؤها البارزة مشروع حوار مع الفضاء ، منطلقة من حالة الالتحام التي تميز معظم أعمالها .

سر الحجر

لقد كشفت منى السعودي سر الحجر ، بعد أن اكتشفت سر النحت ، واعتبرته هو الاساس ، فليس في الحجر أسرار كما تقول « السر في النحت ، وعندما تكتشف سر النحت تنكشف أمامك أسرار الحجر بمختلف أنواعه » .

وربما كان من عناصر المفارقة أن هذا الفن الذي يتعاظم دوره في حياتنا ، كلما تقدم الزمن وتطورت الحياة أمكن الوصول اليه من خلال أقدم الأدوات التي



منى السعودي ... وملك سر الحجر

اخترعها الانسان ، وهي الازميل والمطرقة ، أما مادة ذلك الفن فهي الحجر القديم نفسه . الذي صنع منه المصريون تماثيلهم وأهراماتهم ، كما صنع منه الأشوريون والكلدان آلهتهم ذات الرؤوس الحيوانية والأطراف المجنحة . تقول منى السعودي « الازميل والمطرقة اليدوية والحجر هي عناصر النحت الاساسية ، وحتى المطرقة الحديثة التي تعمل بقوة الضغط تقوم على فكرة المطرقة اليدوية القديمة ، أما عوامل الحفر الأخرى فكلها عوامل مساعدة ، ويحدث أحيانا أن أصنع عملا نحتيا بكامله مستخدمة الازميل نفسه دون أن أغيره) .

علاقة حارة مع الجماد

وألاحظ في أثناء حديثي مع الفنانة منى السعودي أنها تتحدث عن تلك المادة الصماء الصلبة بحرارة غريبة . وأسأل عن سر تلك العلاقة ورؤيتها لها . وتتحدث منى بمعرفة عن مادة عملها الحجرية ، « الحجر هو أقدم مادة وأغناها ، ورغم اختلاف الحجارة فان لكل منها خصوصيته وجماله ، وعندما يأخذ الفنان تلك المادة الأرضية التي يمكن العثور عليها في أي مكان يبدأ بينهما نوع من العلاقة الحميمة . فقد يضع الفنان الحجر في مكان ما من مرسمه فترة من الزمن يمر به ويراه ويتأمله كل يوم قبل أن يبدأ العمل به . وعندها تبدأ مرحلة جديدة من العلاقة مع الحجر نفسه . يأخذه الفنان ويضع فيه كل تجربته الفنية والفكرية السابقة ، وربما القادمة ، ويصبح للحجر قيمة خاصة به ويبدأ له تاريخ جديد « وتضيف منى » ولا تنتهي العلاقة هنا ، بل يصبح الحجر جسرا للتواصل بين الفنان والناس من خلال عيونهم التي تراه بمنظارات مختلفة ، وتعيد اكتشافه كل يوم وتتكرر عملية الخلق الفني هذه الى مالا نهاية) .

هكذا تحدثت منى السعودي ، الفنانة التي ولدت في عمان بالاردن ، ثم رحلت الى باريس لتدرس فن النحت ، وعاشت في بيروت سنوات حرب لبنان ، ودخلت تجربة الحصار عام ١٩٨٢ ، وبعدها عادت الى عمان ، الى حيث انطلقت قبل عشرين سنة لتصنع التماثيل من الحجارة التي فتحت لها مغاليقها فكشفت سرها الخبيء . □



مجلة الأسرة والمجتمع
التدخين
اختراع



التدخين

اختراع نسائى

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون

أسهل شىء فى الدنيا هو أن تترك التدخين ، لقد تركته مائتى مرة على الأقل . . هذا ماقاله بين-الجد والسخرية-الكاتب الكبير مارك توين ، ليدلل على صعوبة اتخاذ القرار بالحرمان من مرافقة السيجارة التى يصفها العلماء بلقب « القاتلة »

ومشاهير العلماء يؤكدون اليوم على أن التدخين يسبب سرطان الرئة والشفاه والفم والبلعوم والمرىء ، وحتى المثانة البولية . كذلك فإصابات القلب والأوعية الدموية الناجمة عنه قد وصلت الآن لمعدلات تثير القلق .

ثم إن قرحة المعدة والاثنى عشر ، والتهاب القصبة ، والأضرار التى تصيب العيون ، الى جانب الخسائر الأخرى الكثيرة ، أجبرت جميعها الاتحاد الطبى البريطانى على شن حملة واسعة النطاق ، مطالبا حكومة بلاده بوقف جميع أنواع الدعاية للتدخين .

وقد أكد الاتحاد فى رسالته التى بعث بها لوزير الصحة والضمان الاجتماعى ، على أن اكثر من ٢٧٠ شخصا يموتون كل يوم بشكل مبكر بسبب الأضرار الناجمة فى صحتهم من التدخين .

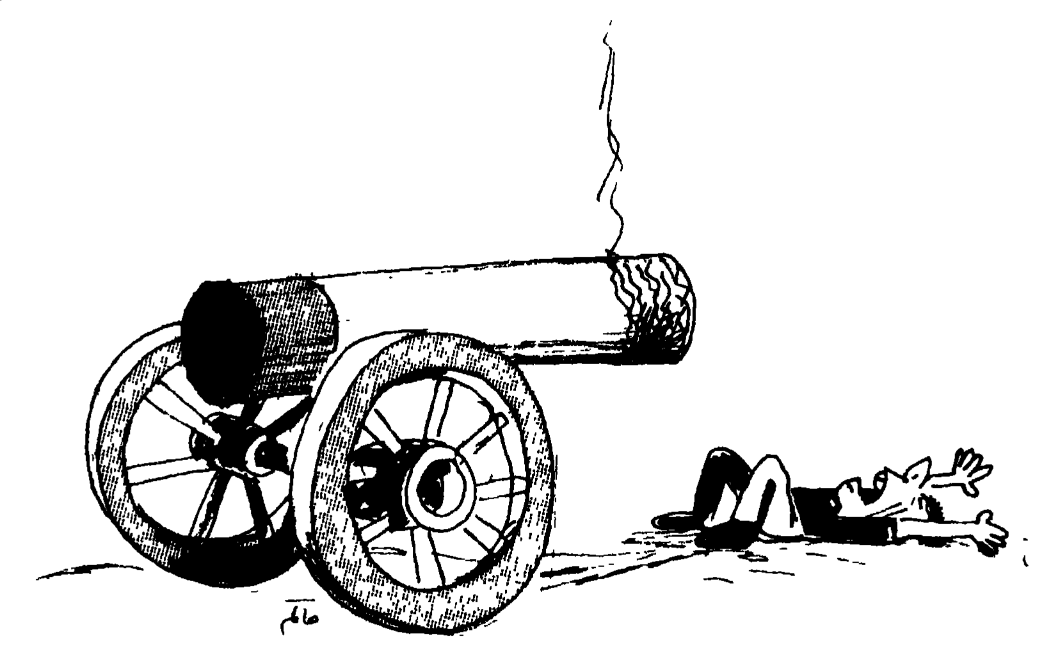
لكن حين تقرر ترك التدخين فما عليك الا أن تلقى بسجائرك ، وتوقف القهوة والمشروبات الروحية « ان كنت من الشاربين » كما يقول السيد بيرانيس مسئول منظمة حملة مكافحة الدخان الدولية ، الذى يعد بأن باستطاعة الشخص أن يضع نهاية لهذه القصة خلال سبعة أيام ويقول : -

قبل النوم عليك بأخذ حمام دافىء ، وأن تستلقى على فراشك مبكرا فى هذه الليلة عما كنت قد اعتدت عليه كى تريح أعصابك . وفى اليوم الثانى (اليوم الاول) انهض فى الصباح وخذ « دوشا » قبل تناول الوجبة .

وخلال الوجبات عليك تناول الكثير من الفاكهة (الطازجة) ، وعصير الفواكه التى تحتوى على نسبة عالية من فيتامين ج (الطماطم والحمضيات) وان تتجنب الفلفل والأطعمة التى تحتوى على البهار والخل والطرشى ، واللحوم التى تحتوى على البهار كذلك وكل أنواع الحلوى الثقيلة التى تصنع بكثير من البيض والزبدة .

واذا شعرت بالحاجة للطعام أكثر من الفاكهة والساندويش ، فيمكنك تناول الشوربا الخفيفة والسلطة مع قليل من الزيت والليمون او حتى من غير ذلك .

واذا ثنى عزمك ودخنت بعض السجائر فهذا لايعنى أنك لاتستطيع ترك التدخين ، فمن اليوم الثانى وحتى السابع يمكنك تقليل السوائل واضافة أطعمة أخرى لوجباتك . لكن عليك أن تتجنب اللحم والأطعمة الثقيلة ، وأن تلجأ أكثر



للحضراوات وكثير من الفاكهة .

وحلال تلك الأيام التى ستحاول فيها ترك التدخين ستشعر بالعصبية ، القلق ، الملل والاغماء ، الدوحة ، القىء وتغير النكهة .

كذلك فقد تشعر بالتحدير وألم العضلات ، التعب ، الارهاق ، النعاس ، والرغبة فى التدخين .

والشىء الذى يجب أن يثير قلقنا هو نتائج الاحصائيات والاستفتاءات الأخيرة التى أثبتت أن النساء يتفوقن على الرجال فى عادات التدخين (بينما فى الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ كانت نسبة المدخنات منهن ١٠ ـ ١٥٪ بينما كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٥٪) وهنا علينا ان لاننسى أن لعنة التدخين هى اختراع نسائى . وقد قدرت بعض الأبحاث أن كمية مايستنشقه المدخن من سيجارة واحدة تعادل نفس كمية المواد الكيميائية السرطانية التى كان يمكن أن يستنشقها لأسبوع أو أسبوعين فى احدى المدن الكبرى الملوثة ، وهو أمر يعنى أن من يدخن ٤٠ سيجارة يوميا يستنشق يوميا منها مايستنشقه خلال عام كامل فى احدى المدن الملوثة .

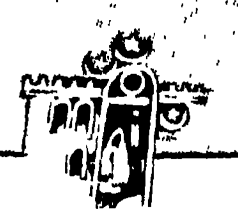
ويحتوى دخان السيجارة الذى يستنشقه المدخن على اكثر من ٢٠٠ اتحاد كيماوى وسرطانى سام مثل أول أكسيد الكربون ، النيكوتين ، أكاسيد النتروجين ، الفينول وغيرها .

وفى اليونان فقد ارتفع معدل تدخين الفرد من ١٧٠٠ سيجارة سنة ١٩٦٠ (لمن هم فوق سن الخامسة عشرة) ليصل الى ٣٦٠٠ سيجارة سنة ١٩٨٣ . أما فى النرويج وبعد عشر سنوات من تنظيم حملات المكافحة فقد هبط استهلاك السجائر بمعدل ٢٥٠٠ سيجارة للفرد الواحد ، ونفس الأمر يسري على الولايات المتحدة حيث هبطت نسبة المدخنين من ٤١٪ سنة١٩٦٥ الى ٣٢,٦٪ سنة ١٩٨٠ ، بينما سجل هبوط عام في الاستهلاك بمعدل ١٥٪ كذلك ثبت بأن احتمال تدخين الابناء فى حالة تدخين أحد الأبوين يصل الى ٥٠٪ ، بينما يرتفع حتى ٧٠٪ فى حالة تدخين كلا الأبوين .

وهكذا فلم تكن مضحكة العبارة التى يمكنك قراءتها فى سيارات الأجرة فى الولايات المتحدة ، والتى تقول « حريتك تنتهى حيث يبدأ أنفي » .

وقد أثبتت الأبحاث بأن التدخين السلبى أو الثانوى أى الاستنشاق غير الارادى لدخان المدخنين يمتلك كذلك عواقب سلبية وخيمة على الصحة تصل حتى حدود سرطان الرئة .

وحتى لايكون قولنا مبالغا فيه نوضح هنا بان المدخن يستنشق خلال تدخينه لسيجارة واحدة فقط ما



مجموعه ٢٠ ثانية ، لكن الدخان ومحتوياته تتحول فى الهواء لعشر دقائق كامله . وهو أمر يعنى أن الدخان المتسرب يفوق الممتص بكثير

وقد أثبتت أبحاث أجريت فى اليوبان ، بأن الدخان السلبى يحتوى على كمية أكبر من المواد التى تعتبر ضارة ، وخصوصا النتروزامين التى تعتبر أكثر مادة مسببة للسرطان ، حيث يزداد تركيزها فى الدخان السلبى بمقدار ٥٠ مرة لمن يعملون أو يعيشون مع المدخنين »

وبالطبع فذلك يعتمد على عوامل أخرى مثل المسافه التى يبعدها الشخص المعرض للدخان ومعدل تهوية المكان . ونفس الأبحاث تقريبا قد أكدتها دائرة حماية البيئة فى واشنطن التى قدرت بأن ٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ شخص من غير المدخنين يموتون سنويا فى الولايات المتحده من سرطان الرئة الذى يسببه التدخين غير المباشر ، بينما يموت ١٠٠٠ شخص وبنفس السبب سنويا فى بريطانيا . كما أعلن ذلك البروفيسور مايكل راشيل

وقد أكد بحث أخرى فى بريطانيا على أن خطر الاصابة بالسرطان يزداد لكل شخص بازدياد أعضاء العائله الذين يدخنون فى منزله . وبالنسبة للأطفال فالتدخين يسبب عندهم أمراضا تنفسية وأخطاراً بالاصابة بأورام الأطفال وسرطان الرئتين

كذلك فالخطر كبير على البالغين للاصابة بنفس الأمراض ، لتعرضهم خلال سنين طفولتهم لتدخين أعضاء عائلتهم . كذلك فمن الجدير بالملاحظة هنا ذكر القابلية الكبيرة للاصابة بهذه الأمراض للأجنة ، ممن كانت أمهاتهم يدخن خلال فترة الحمل ، وذلك لأن المواد السرطانية يمكنها اختراق المشيمة

وقد خلصت هذه الأبحاث للقول . « اذا كان المدخن السلبى يستقبل كميات أقل من الدخان من تلك للمدخن الفعال الا أنه مع ذلك يمتص نوعيا مواد دخانية أكثر . وقد عثر على بعض مشتقات الدخان فى دم ولعاب وبول الأطفال والبالغين والأجنة ممن تعرضوا لدخان الآخرين »

وبالطبع فالشقاق بين المدخنين وغير المدخنين يعتبر حتميا ، فى الوقت الذى يدافع فيه الأولون عن حقهم فى تسميم أنفسهم ، يرفض الآخرون النيكوتين وعواقبه . ولاحل لهذه المشكلة حتى الآن ، وأحد المواقف غير المعتادة بهذا الشأن كان ذلك الذى نشرته الصحافة حول قيام احدى طائرات « ايستيرن » بهبوط اضطرارى خلال رحلة لها بين نيويورك وواشنطن ، بسبب خلاف دب على متنها بين الركاب ، وقد ابتدأ الاشكال حين اضطر أحد الراكبين ممن لم يعثر له على مقعد « ممنوع التدخين » للجلوس مع المدخنين ، حيث طالبهم بعدم اشعال سجائرهم فكان ما كان .

وأحد المواقف الأخرى ، أن الامريكى فيرنر بيتركى طلب من مكتب الموظفين الفيدراليين تعويضا له على اضرار لحقت بعيونه ، وميل للقىء لديه ، واضطرابات فى الرئة بسبب أدائه لعمله بين موظفين جميعهم من المدخنين ، ولأول مرة فى التاريخ فقد دفع المكتب مبلغ ٧٨٠ دولارا عن الخمسة عشر يوما

ومثل هذه المحاكمات قد أجريت فى السويد ، لدرجة أن الخطوط الجوية السويدية قد نظمت رحلات داخلية خصوصا لغير المدخنين ، كذلك فالحكومة السويدية هى الأولى فى العالم التى وصفت التدخين بانه خطر عام ، وبالطبع فقد سنت القوانين الصارمة بحق من يدخنون فى الأماكن العامة ، وكان من نتائج الاجراءات فى السويد هبوط نسبة المدخنين من ٧٠٪ سنة ١٩٦٣ الى ٣٠٪ الآن .

ولنفس السبب تقوم بعض الشركات الأمريكية بتقديم « بريم » لموظفيها الذين يقلعون عن التدخين ، بينما تحتوى المطاعم على قاعات خاصة بغير المدخنين ، ومن المعروف أن نقطتين من النيكوتين تكفيان لموت الانسان ، بسبب شلل تحدثه فى مركز التنفس ، وأن دخان المائة سيجارة يحتوى على غرام واحد من النيكوتين ، يبقى منه ٢٦٪ فى عقب السيجارة ، بينما يمتص المدخن ٢٨٪ منه ، ويتوزع الباقى ٤٦٪ فى الهواء الجوى .

وهذا الأمر دليل على أن التدخين لايسبب مشكلة لمن يختارونه بارادتهم فقط □

البدانة
صحة.. أم مرض؟

بقلم. الدكتور سامي محمود علي

« مشكلة . لايخلو حديث عن آخر أخبارها . . والكل يسأل ويبحث عن علاج · ترى ماهي أسباب السمنة وهل هي صحة أم مرض ؟»

هل يمكننا اعتبار البدانة مرضا ؟ واذا كانت مرضا فكيف يمكن للمرء أن يشفى من أعراضه التي تثير استمرار وقلق الكثيرين ؟ في الواقع أن هناك جانباً ضئيلاً من البدانة يمكن اعتباره مرضيا ، ولكننا دون أي مغالاة نقول ان الجانب الأكبر من البدانة لايعدو أكثر من كونه استعمالا غير صحيح لآلة الجسم ، بالاضافة الى الفوضى الكاملة لطرق التغذية ومن الأبحاث التي أجراها « بريل » وجد أن نسبة الوفيات قبل سن الخامسة والعشرين تكون متساوية عند البدينين وغير البدينين ، ولكنها تزداد عند البدينين الذين تتراوح أعمارهم مابين ٢٥ و ٥٠ سنة . اذن يمكن وضع النتيجة بتلخيص شديد ، ان ازدياد الوزن بعد سن الخامسة والعشرين ينذر بالخطر ، فكلما تقدم الانسان في السن زاد الخطر من ازدياد وزنه . كما أن البدين عرضة أكثر من غيره للاصابة بمرض السكر . بالطبع نحن لن نستطرد في ذكر هذه الحقائق التي مفادها أن البدانة شر لابد من التخلص منه . ولكن نتساءل ماهي البدانة وما هي أهم أسبابها ؟ وما هي طرق معالجتها ؟ . . وماذا عن الوصفات الشعبية التي تعالج البدانة . ؟ . . الحقيقة أنها أسئلة كثيرة تتردد لدى الكثيرين ، وسنحاول هنا الاجابة عنها جميعا

أسباب البدانة

البدانه هي زيادة في شحوم البدن ، خصوصا في النسيج الخلوى تحت الجلد ، وكما يبدو ذلك واضحا في تراكم الدهون تحت جلد البطن ، فيما نسميه « الكرش » كذلك تزداد الشحوم في المسافات بين الحشوية وحول أعضاء الجسم الداخلية كالكلية والقلب

أما أسباب البدانة فقد ظهرت في الأونة الأخيرة عدة بحوث تعدد الأسباب التي تنجم عنها الاصابة بالبدانة ، ولعل من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة التي قام بها دكتور « جون هوبكنز » بالاشتراك مع الدكتورة « ماريا سيموسون » صاحبة كتاب « علاقة الصحة بالوزن » . . وفي هذه الدراسة نلمح بوضوح الأثر العصبي الذي يدفع البعض الى



تناول الطعام بشراهة ، فيؤدي بالتالي الى زيادة الوزن . . فالمرأة الحامل التي تتناول المزيد من الطعام ، خوفا من اصابة الجنين بالضعف ، وكذلك المرأة في سن اليأس التي تعاني من اضطرابات نفسية نتيجة انقطاع الدورة الشهرية ، فتلتهم الطعام بشراهة كنوع من التعويض . . أيضا الرجال الذين يفرطون في تناول الأطعمة في فترة حمل زوجاتهم ، كنوع من أنواع التعبير عن الاستياء والاهمال من جانب الزوجات . كذلك أوضحت هذه الدراسة أن المرض وبعض حالات الحوادث التي تدفع البعض الى الراحة لمدد طويلة تقلل من نشاطهم ، في الوقت الذى يزيد فيه التهامهم للطعام، مما يصل بهم في النهاية الى الاصابة بالسمنة ، وهناك البعض الذي يقبل على تناول الأطعمة في أثناء الليل أو قبيل النوم أو في فترة الاسترخاء أمام التليفزيون في المساء هذه هى الأسباب التي أوردتها هذه الدراسة كأسباب للبدانة ، الا أننا يجب ألا ننسى الأثر الوراثي في البدانة ، فالبعض بدين لأنه من عائلة كل أفرادها من أصحاب الأوزان الثقيلة ، أضف الى ذلك البيئة ، فبعض العائلات تهتم بأمور الطعام وتعطيها أهمية كبرى ، فينشأ أفراد هذه العائلات وهم يعانون من البدانة

اذن يمكننا وضع كل هذه الأسباب في جملة واحدة هي . . أن السبب الجوهرى للبدانة هو افراط شديد في تناول الطعام ، خصوصا الأطعمة النشوية والسكرية ، وذلك في مقابل نشاط أقل وفترات راحة طويلة .

قبل أن تبدأ العلاج . .

أولا قبل أن نشرح طرق علاج البدانة علينا أن نعرف أن العلاج لن يتأتى في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة وكفاح مستمرين . . ان انقاص الوزن سوف يهبط في بداية العلاج بسرعة ، ولكنه سيبقى ثابتا لفترة طويلة قبل أن يبدأ مرة أخرى في الانخفاض ، لذلك علينا ألا نصاب باليأس فنقلع عما بدأناه ، ونحن نشير بالمناسبة الى أن قياس وزن الجسم في أثناء العلاج يجب أن يكون كل أسبوع لا كل يوم كما يفعل البعض . . وفي الحقيقة أن العلاج يقوم أساسا على التغذية ونوعية الطعام ، وهو لا يهدف فقط الى انقاص وزن الجسم ، ولكن أيضا الى تعديل العادات الغذائية للمريض . . وهناك نصائح عامة نقولها لكل بدين . .

- يجب أن يكون الانسان البدين نشيطا لكى يحرك جسده ، ويجب عليه أن يمشي مسافة معينة في كل يوم
- تحديد أوقات الطعام وتحديد كمية الطعام في كل مرة .
- يستحسن عدم النوم بعد الطعام مباشرة .
- تخفيض نسبة السكريات والنشويات وملح الطعام في الغذاء . . مع ملاحظة أن الامتناع التام عن تناول السكريات والنشويات وملح الطعام له ضرره النفسى ، وهو شيء غير مرغوب فيه ، فالمطلوب اذن التقليل فقط من هذه المواد .
- الأغذية البروتينية كاللحوم والأسماك يمكن أن يتناول منها حتى ٢٠٠ جرام يوميا ، فهي أقل الأطعمة تحولا الى شحوم .

كيف تتخلص من البدانة . . ؟

ان علاج البدانة والتخلص منها يعتمد في الأساس على طريقة التغذية ونوعية الطعام ، فهناك نظام تغذية يشمل وجبات الطعام في الافطار والغداء والعشاء وهو كالاتي . .

الافطار : عصير الجريب فروت من أجل فيتامين ج ، وفنجان قهوة ، وعند الشعور بالجوع تناول بيضة نصف مسلوقة .

وفي منتصف النهار يتناول البدين قطعة من الجبن المنزوع الدسم وكوب زبادي .

الغداء : سلطة خضراء ، شوربة خضار بدون ملح ، ومضاف اليها عصير الليمون . . كما يمكن تناول كوب من الزبادي عند السادسة مساء .

العشاء : فرخة كاملة مسلوقة مع الجزر والبصل بدون ملح أو أي مادة دسمة ، ويمكن تناول بدلا من ذلك كيلو ونصف من السمك ، أو ما يعادل ذلك من



أي نوع من البروتين (البقوليات كالفول والعدس يمكنها أن تحل محل اللحوم ، بشرط عدم استخدام الملح ، أو اي مادة دسمة كالزيت أو السمن) .

● قبل النوم : كوب من اللبن ٤ مرات في الأسبوع

كما يمكن ملاحظه الآتي :

ـ تناول كوب من الماء كل نصف ساعة .

● ـ يجب أن يخصص يوم للصيام مرة شهريا ، ويومين أو ثلاثة يتناول فيها الفاكهة فقط . كما يمكن تناول ملعقة عسل نحل خلال أيام تناول الفاكهة فقط .

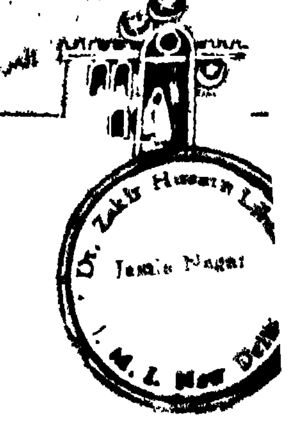
أما اذا كان الشخص يريد انقاص عدد قليل من الكيلوات فقط من وزنه ، فيمكن اضافة الفاكهة الى وجبة الأفطار او الغذاء ، لكن بشرط تناولها بعد ثلاث ساعات من تناول وجبة البروتين ، وانتظار ساعتين قبل تناول أى نوع من أنواع الأطعمة الأخرى.

وصفات شعبية تعالج البدانة . .

حاول الانسان أن يجد من الطبيعة ما يعالج به ما أفسده هو بافراطه وبهمه على الطعام ، وركونه الى الكسل والدعة . والحقيقه أن الطبيعة أم رحيم لا تبخل على الدوام بتقديم ما يمكنها به مساعدة الانسان وشمائه . . وهنا يمكن أن نذكر الوصفتين التاليتين كوسائل لمعالجة البدانة ونكرر القول بأن العلاج لن يؤتي ثماره في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة ومداومة ، فكما أن البدانة لم تظهر فجأة بل تراكمت يوما بعد يوم ، فإن العلاج كذلك سوف يستغرق وقتا للتخلص منها . والوصفتان هما .

● ورق العنب : ينقع ٥٠ جراما من الأوراق اليابسة في ليتر من الماء البارد ، ثم يوضع على النار حتى يغلي لمدة نصف دقيقة ، ثم يترك لمدة ١٥ دقيقة قبل أن يصفى ويحلى ، ويؤخذ بمعدل ثلاثة فناجين في اليوم قبل الطعام ، ويمكن تناول كمية محدودة من العنب في الصباح حتى يرتفع تدريجيا ، وخلال أسبوعين الى كيلو واحد .

● خل التفاح : يستخدم خل التفاح لانقاص الوزن ، وذلك بشرب ملعقتين صغيرتين من الخل في كوب ماء مع كل وجبه طعام ، أما اذا تعذر شرب مزيج الخل مع كل وجبه طعام لاي سبب يتعلق بالعمل اليومي ، فيمكن شرب كوبين من المزيج يوميا . الأول في الصباح بعد النهوض من الفراش والثاني مساء قبل الذهاب الى النوم . . فالخل هنا يحرق الدهن الزائد في الجسم ويمنع تراكمه . . أما طريقة اعداد خل التفاح فيصنع بتقطيع ثمار التفاح دون نزع البذر ، ثم وضعها في الماء وتركها عدة أيام الى أن يتم التخمر ، ثم تصفى ، ويستخدم الخل الناتج من التصفية بالطريقة التى شرحناها . . . □



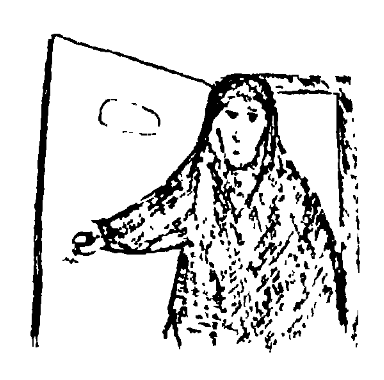
هـو....
بلا أسرار

أصبحت حياتي جحيما ، وصارت أيامي دارا مهونه وسترا مفضوحا ، العيون تنتهك أسرارها وتفقدها خصوصيتها ، الأنوف تندس تبحث عن أخباري ، كل الألسنة تشاركني مشكلاتي وحياتي

صعب أن أحدد البداية ، ولكنني فتحت بابا لم أكن أظن أنه سيصعب اغلاقه ، وأن نتائجه ستكون بهذه الآثار التي تقلب حياتي وتفسدها

كنت صغرى شقيقاتي الثلاث لأم هي أكبر شقيقاتها ، ومن هنا فقد كنا نحن الشقيقات الثلاث بمثابة الصديقات لخالاتنا . نشأنا معا وتربينا معا ، كانت بننا علاقه أقرب الى الصداقه منها الى القرابة

وتزوجت وكانت فرحتهن بي لاتوصف ، وبدأت حياتي مع زوجي ، وبدأت زيارتهن لي شقيقاتي وخالاتي ولأني أنا الصغرى المحبوبة والحمد لله - فقد كانت الاستشارات المجانية تقدم لي دون طلب والمساعدات تنهال علي واحدة تعد لي طعاما وترسله وأخرى تدخل المطبخ وتقف مكاني . وثالثة ترتب معي المنزل وعندما نجلس تبدأ الأسئلة والنصائح والملاحظات . وأعترف بأني كنت سعيدة غاية السعادة بهذه القلوب التي تحيط بي فرحة بأن الآخرين يقدمون خبراتهم ورصيد تجاربهم مجانا،ويحتشدون لي بنتائج وعقبات حياتهم كي أتجنبها ولكن بعد فترة اكتشفت أني أحيا كعروس في مسرح عرائس فهن يعرفن دخلنا كم ننفق وكم ندخر وكم علينا من ديون وكم لنا وماذا سنشتري ، ومن أين ، وبكم ، وماذا نأكل ، وماذا نحب وماذا نكره ولماذا نؤجل الانجاب الآن ، وأي وسيلة منع حمل نستخدم اكتشفت أن حياتي منتهكه وسري مذاع وخصوصيتي مفتقدة وجدت أنني لم أستطع أن أوقف هذا التدخل وأنا في منتصف البحر لا أستطيع العودة . ولا أستطيع أن أتخذ موقفا حادا فهم أهلي ولا أشك في حبهم لي وأنا حريصة على علاقتي معهم ، ولكني أحيا في جحيم من الانتهاك . أعرف أن الحل الوحيد هو أن أقف يوما وأطلب منهم جميعا أن يكفوا عن نصائحهم وتدخلهم . ولكن هذا موقف لاتسلم عواقبه



لأزمة أن زوجي طرف في اللعبة . وكثيرا ما يثور لنقاش هم يدافعون عن آرائهم ووجهه نظرهم ، وهو يبرر ويشرح أفكاره . ولماذا فعلنا كذا ولم نفعل كذا،فراح حجم الاستقلال والخصوصية واحده لامة صرت الحياة مشاعا وملكا لكل العيون والأنوف

هند

هي....

اقتحام

● منذ أول يوم وأنا أدرك خطورة الاقتراب الشديد . وحاولت أن أدافع عن حياتنا دون أن أمس مشاعرها أو أسبب لها احساسا بأن هناك موقفا من أهلها

وكانت فكرتي بسيطة أن كل علاقة انسانية لها قانونها الخاص ، وان التجارب الانسانية ليست متماثلة ، ولو وضعت شخصين في نفس الظروف والبيئة ، وعرضناهما لذات العلاقات ، والمواقف ، لجاءت النتائج مختلفة لأننا في النهاية بشر ، بيننا فروق واختلافات ، ولا يوجد في هذا العالم اثنان متطابقان في العمر والثقافة والبواعث النفسية والوجدان والوعي وعديد من التفاوت بيننا نحن البشر

وقلت لها طالما أنت آمنة معي ، وتثقين في أننا لدينا الرغبة الصادقة ، في أن نصنع حياتنا بنوايا طيبة فدعينا ننسج أيامنا وفق ما نرى ، ستكون هناك أخطاء فليكن ، ولكنها ستظل أخطاءنا نحن ونستعلم منها ، ونستفيد ، فلاشيء يعلمنا قدر تجاربنا وأخطائنا وأسوأ ما في الحياة نصائح البعض للبعض ، فالنصائح كشمس الشتاء تشع نورا ولكنها لاتمنح دفئا ، وحاولت كثيرا دعيا من آرائهم ، والتزمي بقدر من الصمت وقدر من الدكاء في توجيه النقاش بعيدا عن لانحس . وكان نصحي لها رقيقا لينا ولكن دون جدوى فبدأت الامور تتعاظم الشورى تصبح تدخلا والنصح يصير اقتحاما ووجدت نفسي في وسط لعبة أرفضها واتحفظ عليها صارت المناقشات تمتد معي لماذا لم تفعل كذا . لم لا تشتر كذا . لماذا لاتبيع كيت وكيت و

وغير منطقي أن ألوذ بالصمت ، وسيل الكلمات يحيط بي ، وهذا خطأ وذاك صواب حاصرني ولم يكن من اللباقة أن أرد ردا جافا ، وهكذا انسحبت الى اللعبة وصرت طرفا فيها

صارت الحياة مشتركة بيننا ، زوجتي وأنا وأقاربها ومن بعدهم ؟ فقد تمتد لتشمل الأصدقاء والصديقات والمعارف ولادري لعدات أن يكون للانسان بلا خصوصية ولا ذاته . حاولت كثيرا مع زوجتي أن نجد موقف حاسم نعيد به حياتنا من هذا لاقتحام ، فقصص في تأكيد نسب الموقف من ضيق أو [illegible] حتى على [illegible] قبل أن [illegible]

هو





من الحياة

وخفق قلبه بحب الدنيا والناس!

بقلم : منير نصيف

امتلأ قلبه بالحقد .. كان يحقد على الناس وعلى المجتمع .. ثم اكتشف فجأة أجمل وأعظم عاطفة في الحياة .. اكتشف الحب !

نحن نعيش فى عالم امتلأ بالاحقاد .. لقد أصبح الحقد مرضا من أمراض هذا العصر .. فنحن نحقد اذا تخلى عنا الحظ .. ونحقد اذا فاتنا قطار الحياة .. ونحقد اذا شعرنا بأن الناس الذين يعيشون قريبين منا لايقدرون « التضحيات » التى نبذلها من أجلهم .. ونحقد اذا أساء الينا صديق ، أو اغتابنا فى غيابنا .. ونحقد بعد هذا لأى سبب ولأتفه سبب . وأسوأ أنواع الحقد هو الذى يملأ صدر المرء رجلا كان أو امرأة ، بلا سبب ، أو ربما لأنه يشعر بأنه ما زال صغيرا !

وهذه قصة زوج عرف الحقد وتعلم الحب

***

كان يعيش وحده بعد أن هجرته زوجته التى شاركته حياته سنوات طويلة ، فى معاناة مستمرة مع ذلك الشعور الغريب بالحقد ، الذى كان يملأ قلبه .. الحقد على الناس وعلى الحياة ، وعلى كل رجل يعرفه أو لا يعرفه لمجرد أنه يعلم أنه سعيد فى حياته ، وأنه حقق قدرا من النجاح فى عمله ..

ولم يكن هو فاشلا .. كان موفقاً فى حياته وفى عمله .. وكانت زوجته الشابة تتألم وهى ترى الحقد فى عينيه ، وفى صوته وفى تصرفاته ، كلما جلس اليها يحدثها عن هؤلاء الذين يلقاهم ويلقونه خلال رحلته فى الحياة .. ولكنها كانت تشفق عليه ، فقد كانت تراه يحترق أمامها ، ولكن لا كما تحترق الشموع التى تضىء الطريق ! كانت تحس أنه يذوب فى بحر من الظلام الذى يسبح فيه وحده ، مع تلك الانفعالات التى يمتلىء بها صدره خلا ساعات النهار .. فإذا جاء الليل تحولت الى كابوس يعلن عليه الحرب فى نومه !!

وعبثا حاولت الزوجة أن تنتزع هذا الشعور من رأسه المضطرب وتفكيره المريض، الذى كان يصور له



العالم كله ، كما لو كان جيشا من الأعداء الذين يتربصون به ، ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه ، رغم أن أحدا من كل هؤلاء الذين عرفهم لم يحاول مرة واحدة أن يسيء اليه ، أو يقف فى الطريق الذى يسير فيه ، والذى اختاره لنفسه وحده !

وحملت الزوجة المسكينة متاعبها ، وقصدت طبيبا فى الأمراض النفسية تسأله النصح والمشورة ، وكانت قد انتوت أمرا .. لا بد أن تغيب عن حياته فترة ، تتركه فيها يعيش وحده ، فربما ينجح فى اكتشاف أسباب المرض الذى يعانى منه ، بعد أن عجزت تماما عن أن تضع اصبعها على موطن هذا الداء !

وجلست الزوجة تتحدث : « ماذا أفعل يا سيدى .. ؟ لم أطق الحياة مع رجل يحقد على الناس والدنيا وعلى كل ماحلته وتحمله له .. ! اننا لسنا فقراء ، ولا يعوزنا المال ، وهو يشغل وظيفة محترمة ، ولكنه غير قانع برزقه ، انه يتعجل الثراء ، ويحقد على كل رجل ناجح استطاع أن يصل الى هدفه بعرقه وجهده ! انه لا يحتمل أن يرى انسانا سعيدا مبتسما ، فهو يجد الراحة الكبرى فى الاستماع الى شكاوى التعساء ومآسيهم !!

وقال الطبيب : « ان زوجك مريض يا سيدتى ، أو انه يعانى من عقدة نفسية لازمته منذ طفولته .. ربما يكون قد نشأ في جو مليء بالحقد والكراهية عندما كان طفلا صغيرا ، لم يتمكن معه من رؤية الجانب الآخر للحياة .. الحياة التى تمتلىء بالحب والتعاطف مع الآخرين ..

وان الشعور بالحقد لايأتى هكذا بغتة ، لأنه نتاج لحمل ثقيل من الضغينة ، يذكر المرء بصورة دائمة بما سبق أن تعرض له من اذلال ومهانة !

قد تدهشين يا سيدتى اذا قلت لك ان الباحثين أحصوا حوادث الطلاق فى عام واحد ، فوجدوا أن أكثر من نصفها كان نتيجة لأن الزوج لا يريد ولا يستطيع أن يطرد من ذهنه الأحداث التى أدت الى وقوع الخلاف بينه وبين زوجته ، رغم رغبة الزوجة الصادقة فى تناسى ما حدث ، ومحاولتها رأب الصدع الذى أصاب حياتها مع زوجها ، من أجل أطفالها الذين تحبهم ، وبيتها الذى لا تريد أن تفترق عنه !

زوجك يا سيدتى يضيع حياته فى التفكير فى أحداث ومشاكل ما زالت بصماتها محفورة فى رأسه ، ولو أنه طواها كما يطوى المرء صفحات الكتاب الذى فرغ من قراءته ، لاستطاع أن يتخلص من هذا الشعور الذى يحترق معه طوال ساعات يومه ! » .

وماذا أصنع اذن ؟

اتركيه مع نفسه بعض الوقت ، خذى أطفالك واذهبى معهم بعيدا .. فقد يكتشف من وحدته أنه يحترق ، وربما ينجح فى تحويل تلك الطاقة الضخمة التى يبذلها فى الحقد على الناس ، الى مسار آخر قد يلتقى فيه بالحب الذى افتقده !!

* * *

ومرت بضعة أعوام والزوج يعيش فى وحدته مع هذا الشعور الذى يلازمه فى كل تصرف يصدر عنه .. فى كل عمل يقوم به مع نفسه ومع الآخرين ..



الى أن جاء يوم سقط فيه الرجل مريضا وحملوه الى المستشفى لاسعافه بالعلاج . كان في غيبوبة عندما وصل الغرفة التي أعدوها له . . وعندما فتح عينيه وبدأ يستعيد وعيه . نظر حوله فوجد مجموعة من أطباء المستشفى والممرضات يحيطون بفراشه .

وأجفل واستبد به الذعر . ما هذا ؟ من كل هؤلاء . لماذا جاءوا به الى هذا المكان ، وكيف عرفوا بمرضه الذى أخفاه عن كل من له علاقة به ؟

وعرف القصة لقد كانت الصدفة وحدها التى أنقذت حياته ، فقد ذهب في غيبوبة منذ ثلاثة أيام وحاول زملاؤه في العمل الاتصال به تليفونيا ، للاطمئنان عليه . فقد كانوا يعلمون أن الرجل يعيش في أزمة منذ أن تركته زوجته ورحلت ، لتعيش بعيدا عنه مع صغارها وعندما لم يتلقوا ردا ، ذهبوا اليه في بيته ، وكان الباب موصدا ، فاستعانوا برجال الشرطة ، وفتحوا باب البيت ، وفى غرفة نومه وجدوه راقدا على فراشه بلا حراك !

* * *

وبدأت رحلته الجديدةمع الحياة كانت رحلة صعبة مليئة بالشكوك والحيرة انه لا يشعر بالاطمئنان على نفسه بين هذه الأيدى الممدودة اليه ، وهو راقد على فراش المرض وكيف يطمئن اليها وهو الذى اردحم قلبه بالحقد على كل الناس ! ؟

كان ينظر الى الأطباء الذين يشرفون على علاجه نظرته الى الأعداء الذين يتربصون به للقضاء عليه حتى الممرضات بملابسهن البيضاء كان يصرفهن عنه ، ويأمرهن بالابتعاد عن فراشه ! ولكنهن كن يستقبلن تصرفاته الشاذة بابتسامة لا تخلو من العطف المشوب بالحيرة

وعندما قرر الأطباء في نهاية الأمر اجراء العملية الجراحية وفيها كانوا يعدونه لها ، صرخ في ذعر لا لن أسمح لأحد منكم بأن يقترب منى لن أسلم نفسى لكم ، لكى تمرقوا جسدى بمشارطكم أريد أن أعود الى بيتى لأموت على فراشى في هدوء !

ولكنهم لم يتركوه كانوا يدركون أنهم أمام حالة شاذة لا بد من علاجها بحكمة . . وانتظروا حتى ذهب في اغفاءة ثم حقنوه بالمخدر ونام ، وحملوه الى غرفة العمليات وأجريت له الجراحة بنجاح

وبقى الرجل تحت تأثير المخدر ثلاثة أيام فقد حرص الأطباء على ألا يتركوه يعود الى حالته الطبيعية قبل أن يطمئنوا على الجرح حتى لا تحدث أية مضاعفات كانوا يخشون أن يقدم المريض على حماقة قد تؤدى الى عدم التئام جراحه

وصحا الرجل من نومه أخيرا . وعاد ينظر حوله من جديد ولكن بوجه آخر وبعينين تحملان معانى جديدة لم يروها من قبل ، ولم يعهدها هو في نفسه . وراح يتفحص الوجوه التى أحاطت به وهو راقد في فراشه . . لقد ذهبت الآلام التى كانت تزعجه في صحوه وتؤرقه في نومه بدأ يشعر بالحياة تدب في أوصاله من جديد . . قلبة المريض بدأ يخفق بمشاعر لم يألفها قبل اليوم

وسأله الطبيب كيف حالك اليوم ؟

ولم يجب أسرع يقترب بشفتيه محاولا أن يلثم اليد التى كانت قريبة منه . ثم قال في همس « أشكرك يا سيدى أنا لا أعرف كيف أرد لكم هذا الصنيع لقد أعطيتمونى أكثر مما أستحق ، أرجو أن تصفحوا عنى ، فأنا واثق أننى قد أسأت اليكم جميعا أين زوجتى . أين أبنائى الصغار أتوسل اليك يا سيدى أن ترسل في استدعائهم انى في لهفة على لقائهم !

وجاءت الزوجة تحمل صغارها الى المستشفى . جاءوا لزيارة الزوج والأب الذى استعاد صحته واستعاد معها ثقته بالحياة

قال وهو يدعوها الى الاقتراب منه ويطبع قبلة على يدهاالتى راحت تداعب بها رأسه

« سامحينى يا حبيبتى . . اصفحى عنى ، فقد أسأت اليك وعذبتك !

وبكت . ولكنها أحست أنها تبكى في هذه المرةفرحا ، لأنها استعادت زوجها !

وخرج الأب والزوج من المستشفى . خرج وقد امتلأ قلبه بحب الدنيا والناس كل الناس ! □

طبيب الأسرة

الصّيدليّة المنزليّة

محتوياتها وتنظيمها ورعايتها

بقلم : الدكتور عبدالكريم ابو شويرب

« لا يخلو بيت من خزانة للدواء أو على الأقل من بعض الأدوية والمطهرات » ورغم أهمية الصيدلية في المنزل الا أن أحداً لم يقل ماذا يجب أن تحتوي ؟ وكيف ترتب ؟ وهذا ما يحاول هذا الموضوع الاجابة عنه ؟

لايوجد في الموسوعات المتداولة أية معلومات حول الصيدلية المنزلية وبالتالي فنحن لانعرف أول من أنشأ صيدلية منزلية ، أو وضع لها شروطا ومواصفات ، ولكن كان الأمر مجرد شكل من العادات المتعارف عليها وتقاليد كل اسرة أن يخصص ركن في المنزل للأدوية التي يستعملها الكبار والاطفال في تلك البيوت

والخطوة الطبيعية التي تلي ذلك هي تخصيص خزانة أمينة ذات أرفف أنيقة لوضع الأدوية والمعدات الطبية بداخلها ، أما اذا قام صاحب البيت بتوزيع هذه المحتويات حسب أنواعها . أي ركن للحبوب وآخر للمراهم أو الاشربة أو القطرات مثلا ، فان ذلك يدل على ذوق رفيع واهتمام خاص من رب أو ربة البيت

وربما أدرك قيمة صيدلية المنزل كل من ألم به مغص مفاجيء في احدى الليالي أو وجد أحد أطفاله يشكو من سخونة وهو في الهزيع الاخير من الليل وغيرها من الحالات الطارئة الفاجئة ، أو حتى الامراض العادية التي لاتستلزم استدعاء الطبيب ، وفي هذه الحالات تبرز لنا أهمية صيدلية المنزل ، ومايجب أن تضم من أدوية واسعافات أولية حتى يتسنى مراجعة أو حضور الطبيب .

انشاء الصيدلية المنزلية وتنظيمها :

اذا قام رب البيت بجولة عامة في بيته وجمع خلالها كل مايصادفه من أدوية مهما كان نوعها بدءا من حجرة النوم والمكتب وحجرة الجلوس والمطبخ وحتى خزانة



أدوات الحلاقة ، فإن الحصيلة تكون مجموعة لابأس بها من الأدوية التى تحتاج لفرز واستخلاص الصالح منها للاستعمال ، وهو ماسيكون نواة لصيدلية المنزل .

وطبعا لابد من رمى الأدوية المجهولة الاسم أو القديمة ، أو تلك التى لانعلم استعمالاتها ، ويلى ذلك أن يعد صاحب البيت خزانة متوسطة الحجم ويجد لها مكانا مناسبا فى المنزل ، اى بعيدا ومرتفعا عن متناول الأطفال وأقرب الى حجرات الكبار فى المنزل .

يفضل توزيع ارفف صغيرة داخل هذه الخزانة وترتيب الأدوية بها حسب نوعها : حبوب ، اشربة ، مراهم ، قطرات ، تحاميل ، حقن .... الخ وتوضع المعدات الطبية كالقطن والضمادات فى اسفل الرف ، كما توضع المواد السامة كالكحول وصبغة اليود مثلا فى أعلى هذه الارفف لتفادى استعمالها من قبل الاطفال .

ويستطيع رب البيت كتابة بعض التسميات على زجاجات الأدوية نفسها وتضم هذه التسميات : اسم الدواء ، اسم صاحب الدواء ، تاريخ الصرف ، وعدد الجرعات فى اليوم ومدة استعماله . كما توضع بطاقة حمراء عليها العلامة الدولية للسموم ، وتلصق على الزجاجات أو علب الأدوية السامة أو الخطيرة .

ونفهم من ذلك أن استعمال هذه الصيدلية سيكون من قبل الابوين او الاخوة الكبار ممن يستطيعون القراءة ، وذلك لتمييز علاج كل فرد فى الاسرة عن الأخر ، ونود الاشارة الى أن كثيرا من شركات الادوية تستخدم ألوانا وخطوطا معينة على كل منتجاتها مما يحدث ارباكا عند من لايستطيع قراءة اسم كل علاج على حدة ، ويحتفظ كثير من كبار السن بأدويتهم فى حقائب صغيرة قرب أسرّتهم وهذا أمر بَدِهيّ لانهم يستعملونها كل بضع ساعات من اليوم ، وربما تحتوى أدوية عاجلة حسبما تستوجب حالتهم ويمكن أن تقوم صيدلية المنزل بدور تخزين الاحتياطى من ادوية كبار السن حتى توفر لهم مايلزمهم عند الضرورة .

محتويات الصيدلية المنزلية :

قد تختلف المحتويات من بيت لآخر أو حتى من منطقة لاخرى ولكن عموما يمكن أن نقسم كل المحتويات الى نوعين :

أولا : الادوية التى تستعمل للحالات الطارئة كالسخونة او القيء او السعال او مغص البطن او الامساك الحاد او وجع الرأس او أوجاع المفاصل . ومعظم هذه الأدوية يمكن أن تشترى من الصيدلية حتى بدون وصفة طبية ، ولكننا نعلم جميعا أننا قد نحتاج الى استشارة الطبيب فى حالة عدم تحسن الحالة فى اليوم التالى .

يجب أن ننبه هنا الى أن هذه الأدوية رغم كونها عامة وشائعة الاستعمال ، ولكن يجب أن نفرق بين أدوية الكبار وتلك المخصصة للاطفال حتى لو كانت لنفس الاعراض كالسعال مثلا . وكذلك التفريق بين الادوية الخاصة بالآلام : كألم المعدة ومغص الكلية ووجع المفاصل حيث ان الاخيرة قد تزيد آلام المعدة اذا أخذت خطأ لتسكن الأم المعدة .

وتعتبر تحاميل الاطفال التى تستعمل لعلاج ارتفاع حراراتهم من ضروريات الصيدلية المنزلية ، ولكن يفضل حفظها فى الثلاجة نظرا لتلين هذه التحاميل اذا بقيت مدة طويلة خارج الثلاجة .

ثانيا : الادوية التى تستعمل للحالات المرضية الخاصة والتى تستوجب من المريض تناولها بجرعات معينة وتحت اشراف طبى مستمر ، كالادوية التى يتناولها مرضى القلب والمصابون بقرح المعدة أو الاثنى عشر أو داء السكر او ارتفاع ضغط الدم وغيره من الامراض المزمنة .

وتقوم صيدلية المنزل هنا بوظيفة حفظ وتخزين الاحتياطى اللازم لمدة اسبوع او شهر من هذه الأدوية وكذلك لتوفير كمية جديدة اذا لاحظنا انها قاربت على الانتهاء .

وكذلك تعتبر بعض المعدات الطبية من مستلزمات صيدلية المنزل نظرا للحاجة لها فى الحالات العاجلة كالجروح والحروق وغيرها من الاصابات المنزلية ،

ومن هذه المعدات نذكر : القطن ، الضمادات والشاش المعقم ، أو من الآلات : المقص والملقط وجهاز قياس درجة الحرارة (ترمومتر) وحقن اللدائن المعقمة .

ولتطهير الجروح والحروق الجلدية نحتاج لبعض السوائل المطهرة كالكحول وصبغة اليود ، بالاضافة الى المراهم المخصصة لهذه الحالات .

وظائف أخرى لصيدلية المنزل :

تعتبر أهم وظيفة لصيدلية المنزل هي تقديم الاسعاف الاولى اللازم للحالات الطارئة كحوادث المنزل وأهمها جروح الجلد بالآلات الحادة والقروح وتوقيف النزيف او رعاف الانف أو الفتح على الدمامل والخراجات الصغيرة . ومن الوظائف الاخرى المهمة لها هي اسعاف الاصابات المفاجئة كأزمات القلب أو الربو الصدرى او الذبحات أو التشنجات العصبية .

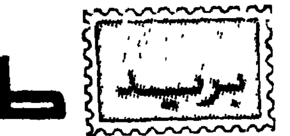
كما انها مكان لتجميع كل أدوية البيت والتى تستعمل باستمرار كحبوب منع الحمل مثلا أو تلك الخاصة بمرضى الصرع أو العصاب .

طرق العناية بصيدلية المنزل :

الدواء كالغذاء هناك فترة زمنية لتناوله ثم يصبح بعدها عديم الفائدة ، وربما ضارا ، ولذا يجب تفقد الصيدلية المنزلية من فترة لاخرى وفرز مابداخلها علبة علبة ، ورمى مافسد منها ، وذلك بقراءة مدة صلاحية استعمال العلاج كما هو موضح على غلافه ، كذلك التخلص من زجاجات أشربة الادوية التى استعملنا جزءا منها و احتفظنا بالباقي .

وخلال هذا الكشف الدورى على صيدلية المنزل يمكن أن نتعرف على الادوية التى استهلكت ، والضرورية اللازمة منها ، وذلك للتعويض بغيرها والاحتفاظ به لحين الحاجة .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆



طبيب الأسرة

ردود سريعة :

● السيد أ. ب. ج. الزرقاء ـ الاردن .

ـ ان قصر القامة يعود الى أسباب وراثية أصلا ، وربما كان للتغذية والنشاط دور فيها ، أما اضطراب الغدد يصاحبه أعراض أخري لا تخفى على عين الطبيب ، فلا حاجة به الى علاج هرموني نظرا لخطورته .

● السيد أبو أيمن ـ عُمان ـ حلالة :

ـ من الأجدر عرض الأمر على طبيب مختص في الأمراض الجلدية للأهمية .

● السيد ممدوح مغايرى ـ حلب :

ـ اذا كان البيض والمعجنات يؤلمان المعدة فلا تأكلها ، والنصيحة هي اجراء فحص للمعدة .

● السيد م. م. س. القاهرة :

ـ لا بد من معرفة السبب في التهاب الخصية ، وهذا يتأتى بالفحص الطبي والتحليلات ، والمختصون في الأمراض التناسلية عديدون في القاهرة ، وننصحك بمراجعة أحدهم بسرعة .

● السيد عبدالعالى محمد ـ مدينة الرشيد ـ المغرب :

ـ من الأفضل عرض أذنيك على طبيب مختص آخر ، ما دام طبيبك الأول قد فشل في العلاج بالرغم من مرور ثلاث سنوات على علاجه . □

مساحة وُدّ

أصدقاء المقعد

شق طريقه في الحياة بسرعة غير عادية ، اجتاز كل الحواجز والعقبات . بدأ مشوار الحياة العملية مع عدد من زملائه وأبناء جيله ، ولكنه تفوق عليهم جميعا ، وأثبت تمايزا مهنيا وفنيا غير عادى ، بالاضافة الى موهبة متوقدة لامعة

ولم يكن تمايزه على مستوى عمله فقط ، بل امتد ليشمل صفاته الاخلاقية ، فقد كان أمينا عفيفا . . شهما . . ذا مواقف متميزة مع أصدقائه يتحمل معهم وعنهم

وكان حضوره فى أى مكان كفيلا بأن يضفى عليه وعلى الجميع الكثير من المرح والبهجة وكان ذكاؤه رغم صغر سنه علامة فارقه .

مجمل القول ان تمايزه كان على كل المستويات ومن تمايزه هذا بالذات بدأت مشكلاته ، فقد بدأ كل الفاشلين والعجزة وأنصاف الموهوبين فى اطلاق سيل من الشائعات وطوفان من الهجوم عليه ، وتفاوتت الاتهامات بدءاً من تحميل غيره مسئولية تفوقه ولمعانه ، وانتهاء بنقد كل ما يتمتع به من صفات ومواهب وتجريده منها .

وظلت الحياة تسير به كثير من الهجوم وقليل من الصدق ، الى ان جاء يوم أصبح مسئولا في جريدة عربية يومية متخصصة يومها كأن الدنيا انقلبت رأسا على عقب فقد ازداد عدد المهاجمين . . وكثر عدد المنافقين ، وتبرع كثير منهم بأن يصبحوا عيونا له وآذانا على الاخرين ، وتطوع كثير ليوقعوا بينه وبين أصدقائه القدامى . . وكلما ازداد تألقه ولمعانه ، زاد العاجزون من نقدهم وشائعاتهم ، وزادت بطانة السوء فى عرض خدماتها ، إلا انه على الرغم من كل شيء . . . كان يقول : انني ازداد نجاحاً كلما زاد العاجزون من نفث سمومهم ، وكلما تطوع - أصدقاء المنصب - وليس أصدقائي من تقديم سوء مشورتهم لى !! والمضحك أنني أفهم عجز هؤلاء ومرض أولاء وأصبر وأرضى . . لكن الى متى ؟ . . قلت له : هذه فاتورة يجب أن تسددها انها فاتورة نجاحك وتفوقك ، ولن يكف الناس عنك حتى تنضم اليهم الى طابور العجزة والفاشلين ! وقتها فقط سيكفون عنك . . وسيتخلى عندها عنك كل اصدقاء المنصب لكن طالما انك متألق وناجح ، فإن عليك ان تدفع ثمن النجاح والتميز والتفوق !

محمود عبد الوهاب



النفس الأخرى

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

جاءتني سيدة فاضلة ، وشكت لي من حال زوجها . . قالت « منذ عام وأنا لا أدري ما جرى له . نغص عيشتي وحيرني حاله ، لم يتغير في ظاهره ، ولكن في داخله شيء فيه تغير ولا أتبينه ، هو زوجي الذي عهدته منذ ثلاثين عاماً ولكن . ليس هو زوجي الذي نعمت به حياتي ، قريب وفي نفس الوقت بعيد ، حاضر وغائب . لا يبدو عليه مرض أو هم ولا شكا علة . لم يهن نشاطه أو اضطرب نومه ولم يهمل عمله ، بل على العكس زاد اهتماماً به . خشيت أن تكون في حياته امرأة ولكني واثقة أنه لا توحد امرأة غيري .

وبعد أن أخبرتني بحال زوجها ثم طلبت مني أن أزوره لأتبين ما جرى له .

وتقابلنا في بيته كنت أسمع عنه ، فهو مشهور في مهنته ، وله مكتب معروف محسن سمعته .

رحب بي في ود غير متكلف . قال انه يسمع عني ويكاد يعرفني أنت الدكتور الكاتب ، وشكرته على مجاملته وبادلته مزاحه . أعالج مجاناً . . وأبيع الكلام بفلوس .

وضحكنا .

ثم دخلت في الموضوع وشرحت له السبب من زيارتي ولم يعترض ولم يبد تحرجاً من صراحتي قال

أنا مقدر لشعور زوجتي . ولكني أؤكد لك أنه لا أساس لمخاوفها ، وأشفقت عليه فلم أكثر حتى لا أمس شعوره ، فمثله يتحرج من اظهار عواطفه ، وخصوصا عاطفة الحزن

سألته اذا كان مكتئباً ؛ فمتوسطو العمر أحياناً يصابون بنوع من الاكتئاب فلا يحسون به . . وبالتالي لا يشكون منه ؛ داء دفين . . شديد الخفاء ، وبعض الأطباء جزاهم الله على اجتهادهم يطلقون على من يصاب به ، المكتئب المبتسم .

قال : إنه لا يعتقد .

وابتسم . . ولكن ابتسامته لم تتناسب مع وجهه أو عينيه .

أنهيت زيارتي بهذا القدر . . واستأذنت منه راجياً أن يزورني اذا شاء ، ومر شهران ثم فوجئت به في العيادة .

قال ان زوجته تتألم . . ولكن . . صدقني أني لست مريضاً ولا أشكو من علة أو هم . ولست في حاجة الى علاج .

أصدقك . . فاذا كان ذلك كذلك ، فلماذا تطلب زوجتك معالجتك ، ؟

ضحك . ثم قال مسترسلاً !

- وما هو المطلوب مني اذن حتى تتحقق من مرضي . هذا اذا كنت مريضاً حقاً .

- أن تفتح لي قلبك . وتعبر عما في نفسك . هذا اذا أمكنك

- التحليل النفسي ؟

- نعـــم .

واتفقنا على العلاج .

الجلسة الرابعـــة .

قال ملخصاً الجلسات السابقة :

عجيب أن تعالج الناس بالتحليل النفسي لكي تصل الى سر مرضهم . وكأنه الوسيلة التي تبرر الغاية ، والأعجب منه كيف تعينهم على فهم رموز ما يعتمل في نفوسهم ، وهو العلاج النفسي ، ليس كما يظن الكثير خضوع واستسلام ، بل هو اسلوب في الصداقة والحب غير المشروط ، ليقول المريض لطبيبه أي شيء يخطر على باله ، دون تردد أو مقاومة . .

والحب كما تقول ، أعلى مراتب الصداقة . وليس أن تتحد الميول وتتوافق الأمزجة فغالباً ما تتجاوب نقيضان . . ويتنافر شبيهان .

وأنت تعتقد أن في كل انسان نفسين . يعرف عن واحدة ويجهل تماماً عن الأخرى ، وأن النفس الخافية



تحمل خصالا هي عكس خصال النفس الظاهرة ، لذلك يحب المرء في غيره نفسه الأخرى . . وان أنكرها منه أو اعترض عليها قلت : هو ذاك . . تقريباً .

وسألته : كيف حالك ؟ قال :

المفروض أن أسألك أنا عن حالي !

وضحكنـــا .

في تلك الجلسة عرفنا سر شفائه ، قال :

كان لي صديق ملء الحياة ، ومنذ أكثر من عام ، رحل عن الدنيا فجأة ، فأحسست من وقتها بفراغ في دنياي . كنا صديقين بالمعنى الذي عنيته بالصداقة ، لم تتفق مشاربنا أو تتحد ميولنا .

جمعتنا منذ الصغر جيرة في المسكن . كنا - ونحن طفلان - نلعب ونمرح معاً نتعقب الأراجوز في الحارات . ونتحلق ونقلد الأولاد الكبار . كنا نسرق الفاكهة من حدائق الجيران في الصيف ، فيحميني من غلظة البوابين الأجلاف .

كان شجاعاً وكنت جباناً . . أخاف من خيالي .

دهبنا الى مدرسة واحدة .. ابتدائي وثانوي . فلما بلغنا مرحلة المراهقة والشباب كنت المتأمل الجاد ، وكان الضاحك اللاهي . كنت قصير النظر ، شديد الحساسية ، وكان حاد النظر واسع الصدر كنت منطوياً على نفسي ، وكان هو منبسطاً ودوداً كنت أخجل من البنات وأتحاشاهن ، وكان يغرم بهن فيأنسن له .

كان دليلي اذا أعوزني الدليل الى ساحات الرياضة وأماكن اللهو . وباعدت الجامعة بيننا ؛ اختار كلية صريفة خفيفة ، واخترت أخرى جافة مملة ، ولم نبعد . وان ظل يتلمس التسلية والمرح ، وأتلمس القراءة والجد ، اذا اجتمعنا والشلة ذكرت (لامرورو) وما سلف وما خلف . وقال هو نكتة أو ملحة أو إشاعة .

وتخرجنا في الجامعة فلم يفرق بيننا العمل واتصلت صداقتنا وتعمقت ، لم أعرف في حياتي امرأة غير زوجتي . وكانت في حياته نساء كثيرات ، تزوج من واحدة أحداً بمشورتي ، ثم لم يلبث أن طلقها ، عادت عليه من حياته ومن الشلة

وكنت لا أسعى الى الشلة لأرى الأصحاب الا نادراً . فكان ينقل اليهم أخباري ، وينقل الي أخبارهم ، كان كل يوم في بيت صديق . وما أكثر البيوت وأكرمها معه . حتى صار يلمع من الندامة والشياكة ، وقد اعتاد حياة الترف والأبهة ، زين لي شرب الخمر ولم أشربها ، حبب لي لعب القمار ولم ألعبه . نصحني بالحرص على المال وأنا صاحب عيال ، فلم أحرص عليه .

وشرب هو ، وقامر ، جمع مالاً وبدده على ملذاته .. ولمن يقتصد . أحب مني ما لم أحبه في نفسي . وألفت منه ما لم يألفه في نفسه ، وكبرنا وتمرسنا لصروف الحياة . وكبر رصيد صداقتنا وان قلت لقاءاتنا ، كان كل ما يسعى الى الآخر لسويعات قليلة متباعدة نختلسها من الزمن ، قدر ما تسمح به شواغلنا . ومن العجيب أننا كنا نتصالح . ونتخاصم لنتصالح ، كان ينصحني فلا أعمل بنصائحه ، وإن وددت أن أعمل بها . وأنصحه ليعتدل في حياته وقد كبر وترهل ، وأصيب بالضغط والسُكر ، وكان يحتد عليَّ وقد أصبح سريع الغضب فيقول

- من عينك وصياً علي ؟

وظل هذا حالنا حتى جاءني خبره . وكنت أترقب زيارته

وهنا بكى المريض - لم يبك أبداً . ثم قال

- كان مرآة نفسي . وكان واقعي الذي وددت أن أكونه ، فلما رحل فقدت نفسي بعده .

ثم قال معقباً

الويل لمن مات له عزيز . وكان نفسه الأخرى

واستمرت الجلسات . ولكنها لم تطل . □

●

بالقراءة والمطالعة



يقول اندريه موروا الكاتب الفرنسي : ان الحضارة الانسانية إنما هي مجموعة المعارف والذكريات التي تجمعت وتراكمت على مرّ الأجيال ، وان الانتماء اليها والاسهام فيها لايكون الا بالتفاعل بها والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوي عليه الحضارة من أفكار السلف .

وإن السبيل الوحيد الى ذلك الانتماء وذاك الاسهام وهذا التفاعل والتجاوب انما هو القراءة والمطالعة



بقلم : محمد خليفة التونسي

تمييز الفاعل من المفعول

تمييز الفاعل من المفعول سهل غالبا ، وندر أن يقع بينهما اشتباه ، فالفاعل يدل على من فعل الفعل ، أو من وقع منه الفعل ، كقول شاعر كان يطارده حاكم ظالم ، فهرب الى الصحراء خوفا على نفسه :

عوى الذئبُ ، فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوَّت إنسانٌ ، فكدت أطير

فالفاعل هنا « الذئب » و« إنسان » .

وقد يدل الفاعل على من اتصف بالفعل ، مثل : « هلك الذئبُ » ، « طلع القمرُ » ، «وأزهر البستان » ، و« أينع الثمرُ » ، فالفاعل ، هنا « الذئب » لأنه اتصف بالهلاك ، و« القمر » لأنه اتصف بالطلوع وهكذا « البستان » و« الثمر » .

وأما المفعول فهو الذي يقع عليه فعل الفاعل كما في قولنا « يكرمُ العربُ الضيفَ » ، فالمفعول هنا « الضيف » لأن الاكرام واقع عليه ، ولم يقع منه .

ولا بد في تمييز الفاعل من المفعول حين يقعان في جملة واحدة أن تقوم قرينة عقلية ، وقد يحتاج معها إلى قرينة أو أكثر سواها ، كما في الآية « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » فالفاعل « هنا العلماءُ » والقرينة عقلية ، لأن العلماء - بفضل علمهم - هم الذين يخشون الله ، أو تقع منهم الخشيةُ له ، وهو - لكماله - منزهٌ عن خشية أحد .

وكذلك الآية « وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ ، فأتمهنَّ » فالمفعول هنا « إبراهيم » لأن الابتلاء (الامتحان) واقع عليه ، و« ربُّه » فاعل مؤخر ، لأن الابتلاء واقع منه ، وهو منزه عن أن يمتحنه أحد

ومن المحازفات اللغوية في العربية الاعتمادُ على القرينة العقلية مع إهدار الاعراب ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، ولكن قد يعكس بعض العرب ذلك شذوذا ، ومن أمثلة ذلك قولهم « خرق الثوبُ المسمارَ » مع أن المسمار هو الخارق ، والثوب هو المخروق . ومن شعر الفرزدق في هجاء قوم قولُه :

مثلُ القنافذِ هدّاجون ، قد بلغت
نجرانُ ، أو بلغت سوءاتهم هجرُ

وعلة ذلك ما قاله العلامة ابن جنى « القوم كانوا يعتبرون المعاني ، فإذا حصّنوها تساهلوا في العبارة عنها » ، واعتبار المعاني هو القرينة العقلية . ومثل هذا لا تخلو منه لغتنا الدارجة ، فنحن نقول مثلا : « وضعت القفازَ في يدي » «ووضعت الجورب في رِجْلي » مع أن اليد هي التي توضع في القفاز ، والرِّجل هي التي توضع في الجورب ، بل هما يدان توضعان في قفازين ، ورجْلان توضعان في جوربين ، ولكن المفرد في عبارتنا الدارجة وفي الفصحى يستعمل كالمثنى ، فيفهم المقصود .

وهناك أفعال المشاركة التي تقع بين طرفين أو أكثر ، مثل « صَاحب » في قولنا « صاحب محمودٌ سعيدا في الرحلة » ، فكلٌ منهما صاحَبَ الآخرَ ، فهو فاعل ومفعول ، ولهذا يجوز أن نقدم أيَّ واحد منهما أو نؤخره ، مع رفع أحدهما ونصب الآخر ، اعتماداعلى قرينة الاعراب ، وهي واضحة ، فالمرفوع هو الفاعل ، والمنصوب هو المفعول ، فالاعراب هنا صنعة شكلية ، لمجاراة نظام اللغة نحويا

وقد يكون أحد الطرفين أرفع أو أفضل مقاما ، فمن اللائق أن نجعل المفضول فاعلا ، والفاضل مفعولا ، مثل : « صاحب الوزيرُ الأميرَ » أو « صاحب الابنُ الأب » سواء تقدم في الكلام أو تأخر ، لأن الفاعل تابع ، والمفعول متبوع

وقد ينعكس وضع الطرفين لنكتة بلاغية متعمدة ، كما في القصة الاتية : في نحو سنة ١٩٣٠ قام أحمد فؤاد ملك مصر برحلة الى اوربا ، ومعه - كما يسمى - وزير خارجيته محمد محمود باشا الذى كان يعتز بنفسه ، وبجاه اسرته ولاسيما ابوه محمود سليمان باشا الذى كان الانجليز قد عرضوا عليه ملك مصر فرفضه قبل تمليكهم احمد فؤاد ، وعند السفر من الاسكندرية سأل صحفى بريطانى الوزير : « هل ستصاحب الملك فى الرحلة ؟ » فأجابه : بل سيصاحبنى الملك » .

وقد يتساوى الطرفان في الفعل ، فأيّهما جعلناه فاعلا صلح لذلك ، ويكون الطرف الثاني مفعولا ، مثل « تزوج حاتم هندا » أو « تزوج هندا حاتم »

ولكن قد تأتي قرينة لفظية فتحدد الفاعل والمفعول ، مثل « تزوجت هند حاتما » أو « تزوجت حاتما هند » لاقتران الفعل بتاء التأنيث .

ولكن قد يقع الاشتباه بين الطرفين في غير أفعال المشاركة ، ومن أمثلة هذه الأفعال : سرّ ، وأفرح ، وهمّ (وأهمّ) وأسعد ، وشاقَ ، وأعجب ، ووسِعَ ، وعاود ، وساء . فإذا قلنا : « سرّ الرحل الفوز » أو « سرّ الفوز الرحل » حدث الاشتباه ، فأيّهما الفاعل ، فيكون الآخر مفعولا ؟

إن أيّا من الطرفين يمكن أن نضع مكانه أحد ضمائر النصب المتصلة ، فيستقيم المعنى معه - يكون هو المفعول ، ويكون الطرف الآخر هو الفاعل ، فنقول في الجملة السابقة مثلا : « سرّني الفوزُ » أو « سرّهُ الفوز » أو « سرّهم الفوزُ » فالفاعل هو « الفوزُ » ، وهكذا مع بقية الأفعال السابقة ، فنقول « أفرحني النصرُ » و « همّني الأمرُ » و « أسعدني النجاحُ » ، و « شاقني البستانُ » و « وأعجبني الكتابُ » ، « ووسعني الكرسي » و « عاودني المرض » ، و « ساءني الفشل » .

ولكن إذا عكسنا الوضع ، فجعلنا بدلا من هذا الطرف ضمير رفع متصلا لم يستقم المعنى ، فلا يصح حينئذ جعل هذا الطرف فاعلا ، ولذلك لايجوز أن نقول « وسعت الكرسيَّ » ولا « عاودتُ المرض » ولا « سُؤتُ الفشل »

وهناك أفعال مثل أدرك ، وأصاب ، وأخطأ - يصلح أن نضع معها مكان أحد الطرفين ضمير نصب متصلا ، فيستقيم المعنى ، فنقول « أدركني الحظ » و « أصابني الفوز » - و « أخطأني الصواب » ، كما يصلح أن نضع مكان هذا الطرف ضمير رفع متصلا ، فيستقيم المعنى أيضا ، فنقول « أدركتُ الحظَّ » و « أصبتُ الفوز » و « أخطأتُ الصواب »

ونقول أخيرا - مما يدخل في نطاق موضوعنا هذا - إن العرب يستعملون أحيانا صيغة الفاعل للمفعول فيقولون « بيْتٌ عَامِرٌ » أو « مَكانٌ آهلٌ » أي مَعْمُورٌ ، ومَأْهُولٌ ، وفي القرآن الكريم « عيشة راضية » أي مرضية ، و « لا عاصم اليوم من أمر الله » أي لا معصوم . وقد يستعملون صيغة المفعول للفاعل ، كما في القرآن « إنهُ كان وعده مَأْتِيَا » أي آتيا ، و « حجاباً مستورا » بمعنى ساترا □



رثـاء الأندلس

« لأبي البقـــاء الرنـدى »

ابيات هذه القصيدة الاندلسية ٤٢ فى الأصل (نفح الطيب للمقرى) ، وهى اشهر القصائد العربية فى رثاء الدول ، وبها وحدها اشتهر صاحبها ، وهو ابو البقاء او ابو الطيب الرندى (٦٠١ - ٦٨٤هـ) (نسبة الى رندة من بلاد الاندلس ، وبها ولد ونشأ ، وقد عاش فى عصر اضطراب وفتنة ، اذ تمزقت فيه الاندلس دولا ، ووثب على كل منها احد المغامرين تهالكا على التسلط ، ولذلك سموا فى التاريخ « ملوك الطوائف » وكان بعضهم - وكلهم عرب مسلمون - يقاتل بعضا لانتزاع ملكه منه ، ولا يبالى أن يحالف بعض ملوك القوط المسيحيين ضد اخيه العربى المسلم ، حتى سقطت كلها فى يد القوط بعد أن ملكها المسلمون اكثر من ثمانية قرون (٩٢ -٨٩٨هـ) ، وكان آخرها سقوطا مملكة غرناطة فى الجنوب ، ومن مدنها رندة ، وفيما بين سنة ٦٢٥ وسنة ٦٤٦ سقطت من قواعدها الكبرى قرطبة واشبيلية وبلنسية ومرسية وشاطبة ودانية وجيان وغيرها . . . . والشاعر يصور فى ابياته محنة الاندلس الاسلامية قبيل سقوطها نهائيا .

لكل شيءٍ ، اذا ماتمّ ، نُقصانُ ... فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ

هى الأمور كما شاهدتُها دولٌ ... من سرّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لاتُبْقِى على احد ... ولايدومُ على حالٍ لها شانُ

اين الملوكُ ذَوُو التيجانِ من يمنٍ ... وأين منهمْ أكاليلٌ وتيجانُ

وأين ماحازه قارونُ من ذهب ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطان

دار الزمانُ على «دارا» وقاتله ... وأمَّ «كِسْرَى» فما آواهُ إيوانُ
أتى على الكل أمرٌ لامردَّ لهُ ... حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا
وصار ماكان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكى عن خيال الطَّيف وسنانُ
فجائعُ الدهر أنواع مُنوعةٌ ... وللزمانِ مسرَّاتٌ وأحزانُ
وللحوادثِ سُلوانٌ يسهِّلُها ... وما لِما حلَّ بالاسلامِ سُلْوانُ
دهى الجزيرةَ أمرٌ لاعزاء لهُ ... هَوَى لهُ أُحُدٌ ، وانهدَّ ثَهْلانُ(1)
اصابها العينِ فى الاسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسيةً ماشأنُ مرسيةٍ ... وايـنَ شاطبةٌ ام أين جَيَّانُ
واين قرطبة دارُ العلومِ ، فكم ... من عَالِمٍ قد سما فيها ، لهُ شأن
واين حمصٌ وماتحويه من نُزَهٍ ... ونهرُها العذبُ فيَّاضٌ وملآنُ
قواعد كنَّ اركانَ البلاد ، فما ... عسى البقاءُ اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفيَّةُ البيضاء من اسفٍ ... كما بكى لفراقِ الألفِ هَيمانُ
على ديارٍ من الاسلام خاليةٍ ... قد اقفرتْ ، ولها بالكُفْرِ عُمرانُ
حيث المساجدُ قد صارت كنائس ما ... فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكى وهىْ جامدةٌ ... حتى المنابرُ ترثي وهى عِيدانُ
ياغافلاً ، وله فى الدهر موعظةٌ ... ان كنت فى سِنَةٍ فالدهر يقظانُ
وماشياً مرحاً يُلْهيه موطنُهُ ... أبعد حمص تغر المرء اوطانُ
تلك المصيبة أنست ماتقدمها ... وما لَها مع طول الدهر نسيانُ
ياراتعين وراء البحر فى دعة ... لهم باوطانهمْ عزٌ وسلطانُ
اعندكُم نبأ من أهل اندلسٍ ؟ ... فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث صناديدُ الرجالِ وهم ... قتلى وأسرى ، فما يهتزُّ إنسانُ
ماذا التقاطعُ فى الاسلام بينكمُ ... وانتم ـ يا عبادَ الله ـ إخوانُ
الا نفوس أبيَّاتٌ لَها هِمَمٌ ... أما على الخيرِ انصارٌ وأعوانُ
يامنْ لِذلَّةِ قومٍ بعد عزِّهمُ ... أحالَ حالَهمُ جورٌ وطغيانُ
بالامس كانُوا ملوكًا فى منازلهم ... واليومَ ، همَ فى بلاد الكفرِ عُبْدانُ(2)
فلو تراهم حيارَى ، لادليل لهم ... عليهمُ من ثيابِ الذل الوانُ
ولو رأيت بكاهُمْ عند بيعِهمُ ... لهالك الأمرُ ، واستهْوتْك احزانُ
ياربَّ امٍّ وطفلٍ حِيلَ بينهما ... كما تَفرَّقُ أرواح وأبدان
وطَفلةٍ مثلِ حسنِ الشمس اذ طلعتْ ... كأنما هى ياقوت ومرْجانُ(3)
يقودها العِلْجُ عند السبى مكرهةً ... والعين باكيةٌ ، والقلب حيران (4)
لمثلِ هذا يذوبُ القلب من كمدٍ ... إن كان فى القلب إسلامٌ وايمانُ

---

(١) أجد وثهلان : جبلان بالحجاز ٢ ـ عبدان : عبيد . ٣ ـ طفلة : فتاة ناعمة . ٤ ـ العلج : الاعجمى



إنهم يخطفون الأدباء!

آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي

بقلم : عبدالقادر عقيل

هل عرفت آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي الكاتب الأرجنتيني المخطوف ؟ ماذا حدث له ؟ وكيف كانت نهايته ؟ وهل استطاع - كإنسان - أن يختار بنفسه مصيره ؟

يقول الاديب الارجنتيني حابرييل جارسيا ماركيز الذى تابع موضوع هارولدو كونتي انه تلقى منه وهو في بوغوتا بكولومبيا رسالة يصف فيها حالته المتوترة في تلك الفترة ويقول فيها : « عمليا نعيش - مارثا وأنا - كاللصوص . . نخفي تحركاتنا ، وأماكن اقامتنا ، ونتكلم بالرموز » . وذكر في نهاية رسالته : « ان بقيت حيا فعنواني مدون أدناه » والعنوان كان ١٢٠٥ كالي فترروى ، فيللا كريسبو . وهو البيت الذى استأجره ليواصل العيش فيه دون أية حراسة حتى اقتحم بواسطة ستة من المغاوير المسلحين في منتصف الليل بعد مضى تسعة شهور من التحذير الاول . أخذوه معهم معصوب العينين ، موثوق اليدين والرجلين ، وحملوه يختفي الى الأبد

كان هارولدو كونتي آنذاك يناهز الحادية والخمسين من العمر . وخلال هذه السنوات أصدر سبعة كتب ممتازة ، ولم يكن يخجل أبدا من اظهار حبه الكبير للحياة بيته في المدينة كان ذا طابع ريفي : يحب القطط والحمام والكلاب والاطفال ، ويزرع الخضروات والزهور في قطعة أرض صغيرة . ومثل كثير من كتاب جيلنا كان قارئا متواصلا لهيمنغواي الذى تعلم منه الكثير . تفكيره السياسي كان واضحا ومعروفا ، سواء عبر عنه بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة في « لاأوبنيون » (كبرى الجرائد اليومية الارجنتينية) ، أما تعاطفه مع الثورة الكوبية فلم يكن سرا يخفى على أحد

الانسان يختار مصيره

منذ أول تحذير تلقاه حصل على دعوة للذهاب الى الاكوادور ، ولكنه فضل ان يبقى في وطنه . وكتب الى صديقه حابرييل جارسيا قائلا : « ان الانسان هو الذى يختار مصيره » . وقد كانت حجته الرئيسية ان مارثا حامل في شهرها السابع ولن يسمح لها بصعود الطائرة . ولكن الحقيقة هى أنه لم يرد ان يخرج من

بلاده : « سأبقى ماظللت حيا ، وبعد ذلك سيكون الامر بيد الله » « وسأتوقف عن كل شيء ما عدا الكتابة - وأخشى ألا أكون مجيدا فيها - فانني لا أعرف كيف أعمل شيئا آخر » .

فى فبراير ١٩٧٦ أنجبت مارثا طفلا أسمياه أرنستو ، وبعد ولادته وضع هارولدوكونتى ملاحظة فى مواجهة مكتبه تقول : « هنا مكان المقاومة ، ولايمكن ان أتزحزح من هنا » . لكن الذين اختطفوه لم يعرفوا أبدا ماتقوله الملاحظة لأنها كتبت باللغة اللاتينية .

فى ٤ مايو ١٩٧٦ يمضى هارولدو كونتى الصباح فى حجرة الدراسة منهيا قصة « الى اليمين » التى كتبها فى اليوم السابق . يرتدى معطفه وربطة عنقه ليذهب لاعطاء دروس فى مدرسة محلية . يعود الى البيت قبل الساعة السادسة . يغير ملابسه فى حين يبدأ الظلام فى الانحدار . يساعد مارثا على وضع ستائر جديدة فى حجرة الدراسة . يلعب مع ابنه البالغ ثلاثة شهور . يساعد مريام ، احدى بنات مارثا من زوجها السابق ، فى أداء واجباتها المدرسية . فى التاسعة يتناول مع مارثا قطعة من اللحم المشوى . يذهبان لمشاهدة فيلم « الأب الروحى » - الجزء الثانى - ، وكانت تلك هى المرة الاولى التى يذهبان فيها الى السينما منذ ستة شهور . أما الطفلان فقد تركا فى رعاية صديق كان قد وصل فى تلك الظهيرة من قرطبة .

وتم الاختطاف

عندما رجعا ، فى الثانية عشرة وخمس دقائق ، وجدا رجلا مسلحا يرتدى ثيابا مدنية يفتح لهما الباب . ووجدا بالداخل خمسة رجال آخرين ، مسلحين أيضا . وبدأوا فى ضربهما باعقاب البنادق حتى سقطا على الارض فاقدى الوعى . صديقهما كان مرميا على الارض فاقد الوعى ، معصوب العينين ، موثق اليدين ، ووجهه كان قد تشوه بفعل الضربات التى تلقاها . أما الطفلان فقد كانا فى حجرة نومهما لايعرفان شيئا عما حدث لأنهما خدرا

هارولدو ومارثا أخذا الى حجرتين منفصلتين ، بينما نهب المغاوير كل شيء ذى قيمة فى البيت ، ومن ثم قاموا باستجوابهما بطريقة وحشية . مارثا ، التى لاتزال تتذكر تلك الليلة المرعبة بكل تفاصيلها الدقيقة ، كانت تصغى الى الأسئلة التى تطرح على زوجها فى الحجرة الثانية . كل الأسئلة كانت تدور حول رحلتين قام بهما الى هافانا . وهو بالفعل كان قد سافر الى هناك مرتين - فى ١٩٧١ و ١٩٧٤ - انما فى كلتا المناسبتين كان مشاركا كعضو فى لجنة التحكيم الخاصة بمنح جوائز « كاسا دى لاس امريكاس » الأدبية ، ولكن الذين كانوا يحققون معه أرادوا استخدام هاتين الرحلتين كذريعة لاثبات ان هارولدو كونتى كان عميلا كوبيا .

كان زوجها قد ضرب حتى فقد القدرة على الوقوف ، وفقد العديد من أسنانه ، وبدا كما لو أنه معصوب العينين فقد كان يقوده أحدهم من ذراعه بينما كان آخر يراقبه ويتساءل ساخرا : « هل أنت ذاهب للرقص مع سيدة ؟؟ » قبّل هارولدو مارثا قبلة الوداع ، وحين فعل ذلك أدركت مارثا أنه لم يكن معصوب العينين ولكن الاحساس الذى ارعبها هو انها كانت تعرف بأن هؤلاء الذين سيرسلون للموت يسمح لهم بمشاهدة وجوه معذبيهم . لقد كانت تلك هى المرة الاخيرة التى يكونان فيها معا

بعد مرور ستة شهور على الاختطاف ، والانتقال من مكان سرى الى آخر مع طفلها الصغير ، التجأت مارثا الى السفارة الكوبية وهناك أمضت عاما ونصف بانتظار حصولها على جواز المرور . ولم يتحقق لها ذلك الا بتدخل الجنرال البيمى عمر كوريجوس الذى التمس من الادميرال اميليو ماسيرا السماح لها بمغادرة البلاد .

بعد أسبوعين من الاختطاف دعا الجنرال جورج فيديللا أربعة من كبار الكتاب الارجنتينيين لمأدبة غداء فى قصره ، وقبل هذه الدعوة كل من خورج لويس بورخيس ، وارنستو ساباتو ، وارنستو راى (رئيس رابطة الكتاب الارجنتينيين) ، والقس ليوبولد كاستيلانى وهؤلاء الاربعة تسلموا ، كل بطريقة مختلفة ، طلبات لاثارة مأساة هارولدو كونتى مع فيديللا .

الا أن التوضيح الرسمي الأول الذي جاء على لسان الجنرال فيديللا هو أن كونتي قد مات !! □



مفاهيم الحرب

THE GESTALTS OF WAR
Sue Mansfield
An Inquiry into Its Origins and Meanings as a Social Institution

دراسة في أسباب الحرب ومغزاها كمؤسسة اجتماعية

في ضوء نظريات "الجشطلت"

تأليف : سومانسفيلد

عرض وتلخيص : بيومي قنديل

كثيرون كتبوا ضد الحرب باعتبارها آلة تطحن البشر ، وحاول آخرون التنظير لها باعتبارها فعلا بشريا ملازما لتاريخ الانسان ، أو باعتبارها فنا له قواعده وأصوله ، لكن هذا الكتاب ينطلق من نقطة أخرى ترى الحرب مؤسسة ظهرت في مرحلة محددة من مراحل النشاط الانساني ، وهو نشاط منظم يحظى بقبول اجتماعي وله أهدافه المحددة . فماذا يقول هذا الكتاب ؟

تبدأ البروفيسورة « مانسفيلد » بتحديد معنى الحرب كمصطلح محدد فتقول : الحرب نشاط ، منظم متعمد ، مقبول اجتماعيا ، تقوم به جماعات معينة من الرجال ، في اطار عمليات معقدة نسبيا من الهجوم والدفاع ، وتستمر فيه بشكل منطقي لاحراز أهداف معينة . ولكن هذا لايعني أن الحرب لاتنطوي على اخطاء ، مثلما هو الحال في سائر أشكال الأنشطة الانسانية ، بيد أن الاتجاه العام ينحو نكل تأكيد نحو شن الحرب بشكل منطقي وظيفي ، بغية رفع فرص احراز هدف الحرب المنشود الى أقصى حد ممكن .

وتمضي البروفيسورة « مانسفيلد » فتقول ان القبول الاجتماعي العام الذي يكتنف الحرب بصفة تقليدية هو حقيقة تاريخية . وهذا القبول ينطوي على اهمية بالغة ، حيث انه يحدد مايعد ومالا يعد حربا ، ولهذا السبب على وجه الخصوص لم يكن الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون يقصد المعنى الحرفي من لفظ الحرب في وصفة لبرامجه الداخلية بأنها « حرب على الفقر » بل كان يعول على القبول العام الذي يصاحب اللفظ في كسب التأييد لهذه البرامج على الصعيدين السياسي والاجتماعي . وتضيف « مانسفيلد » ان القول الذي يذهب الى أن الحرب ليست سوى « قتل جماعي » يغفل أمرا أساسيا الا وهو هدف الحرب الذي لايعدو أن يكون فرض ارادة طرف على طرف آخر ، وليس مجرد التقتيل في حد ذاته .

فطرة . . . أم غريزة

وحول موضوع حتمية الحرب تقول « مانسفيلد » انه يثير مشاكل عديدة ، على رأسها بطبيعة الحال ما اذا كان الانسان مفطورا على شن الحرب « فلفظ » فطرة غامض للغاية ، ويستخدم عادة بطريقة معيارية ، ثم تتناول « مانسفيلد » لفظ « غريزة » وتصفه بأنه أكثر تحددا ، فضلا عن أنه مصطلح « وصفي » محض ويحمل في طياته هالة الحجية العلمية وجدارة الاحترام ، ومع ذلك تقف « مانسفيلد » موقف النقد من استخدام هذا اللفظ في مجال الحرب ، تقول : حقا مكن « كونرادلورنز » العالم الكبير في طبائع الشعوب لدى قاعدة واسعة من القراء للقول بوجود « غريزة عدوانية » (بمعنى نزعة أو دافع) ورثها الجنس البشري عن ماضيه في سلسلة التطور . ويؤكد « لورنز » أن مثل هذه النزعة تلقائية ، وتسعى بصفة دائمة الى الانطلاق والتحقق - وتشتمل على مايسميه « بالحماس الدؤوب » الذي يعد أقوى دافع غريزي يحمل الانسان على خوض غمار الحرب . الا أنها تضيف : رغم أن أغلبية الحضارات في الأزمنة التاريخية خاضت الحروب ، فإن أغلبية السكان في تلك الحضارات لم تشترك في الحرب . وتقارن « مانسفيلد » بين نسبة الجنود ونسبة الذين « يعانون » ويلات الحرب ، وتؤكد أن نسبة الذين تزيوا بأزياء الجندية منذ عام ١٩٤٥ ، أي منذ غداة الحرب العالمية الثانية حتى الآن لم ، تتجاوز على نطاق العالم واحدا في المائة على أكثر تقدير .

الحرب والبورصة والكنيسة

وتناقش « مانسفيلد » العلاقة بين غريزة العدوان والحرب ، تقول مامن حيوان كان ليستطيع البقاء على سطح المعمورة سواء كفرد أو كنوع بدون القدرة على العدوان ، مادامت هذه القدرة ضرورية ، على الاقل ، في تأمين مأكله (حفاظا على الذات) وتراوجه (حفاظا على النوع) ، فضلا عن أن عدوانية الجنس البشري ، سيرا على هدى أسلافه الأولين ، كانت في الأصل ، شفاهية ويدوية : التقاط الأكل وقضمه واصطياد الرفيق الآخر ، والدفاع عن النفس ضد سائر الحيوانات الأخرى . وبمرور الوقت ، ومع ذلك ، تعلم الجنس البشري أن يفتت الهياكل النباتية والصخرية ، في سبيل تشكيل الأدوات ، مثلما تعلم أيضا أن يفتت كتلة المعلومات غير المميزة ، التي تنقلها الحواس الى مخه في سبيل خلق الرموز وأنماط المفاهيم المختلفة . وأدت هاتان الخطوتان الجبارتان الى توسيع نطاق قدرته على الخلق والتربيط (اكتشاف علاقات جديدة بين الأشياء والظواهر) ، وبناء عليه فإنه على الرغم من أن النوع البشري ليس أكثر الأنواع عدوانية من الناحية

كتاب الشهر

الجسمية ، فإن بني الانسان هم الذين استحدثوا ، على وجه اليقين ، وأوسع نطاق من الوسائل المتنوعة التي يتوصلون خلالها الى العدوان . وتقول البروفيسورة ان الثابت أنه مامن أحد يرغب في استئصال القدرات العدوانية للجنس البشري ، والا فإنه لن يستطيع عندئذ أن يبني المعابد أو يقاوم الأمراض أو يصوغ النظريات العلمية ، ولكن الطرق التي استخدم بها الانسان هذه القدرات في الوصول الى مايريد أو الكيفية التي حدد بها مايريد هي التي لاتزال موضع جدل . فالطاقة العدوانية لدى الانسان يمكن استخدامها في شق قناة في قلب الصخر ، مثلما يمكن تسخيرها لبناء مصنع ، أو شن حرب ضروس . بيد أن البروفيسورة « مانسفيلد » تلاحظ أن قوننة الطاقة العدوانية والانسانية نحو مجال الاقتتال لم يكن عملا سهلا في كافة الأحوال ، حتى باعتراف القادة العسكريين أنفسهم . ولما كان البشر مختلفين عن الكائنات الدنيا ، فإن الهم الأكبر لأي جيش هو تدريب الجنود على الانضباط الذي يصل حد الطاعة العمياء . ولكن جماعات البشر تظل باستمرار غير أسراب النمل ، فهم يعرفون أن القتل خطيئة ، وفي هذا الصدد يشير البريجادير جنرال اس . ان . مارشال في كتابه « الانسان والنار » الى أن الجندي العادي يميل الى اطلاق الرصاص على حائط أو شجرة أكثر من ميله لاطلاقه على انسان ، وذكر أطباء نفسانيون شهدوا الحرب العالمية الثانية ، أن خوف الجنود من ازهاق الروح الانسانية وليس خوفهم من الموت هو الذي يقف وراء خسارة المعارك . وتخلص البروفيسورة « سو » من وراء ذلك الى هذه النتيجة : **قد يكون البشر عدوانيين بالقوة والاحتمال ، ولكنهم ليسوا محاربين بالفطرة والضرورة .**

والحرب ليست ، في واقع الأمر ، حاجة ، بل قدرة،وبعبارة أخرى مؤسسة لاشباع حاجات يحددها المجتمع سلفا ، وهي في هذا تتشابه مع سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالدولة والبورصة والكنيسة .

طقوس الحرب

يتعين على كل محاولة جادة لفهم أسباب الحرب ، ومغزاها أن تبدأ بالاعتراف بأن هذه المؤسسة (الحرب) ظهرت في مرحلة محددة من مراحل التطور الانساني ، وفي اطار بيئي معين ، فرغم أن البشر حازوا ودون جدال « القدرة على قتل كل الآخر بسهولة نسبية ، بعد أن اخترعوا في مطلع العصر البلستوفيني الأوسط (منذ حوالي ١٠٠ ألف عام) أدوات الصيد مثل البلط اليدوية والعصى ، ورغم انهم امتلكوا القدرة كل على قتل الآخر بقدر من الأمان والسهولة ، بعد أن اخترعوا خلال المراحل المتأخرة من العصر البلستوفيني الأعلى (أي منذ حوالي ٣٥ ألف عام) القوس والسهم والحراب ذات الرؤوس الحجرية المدببة ، فإننا لانملك دليلا حاسما على أنهم كانوا قد شرعوا في ذلك الحين في صنع الأسلحة بصورة عمدية (أي أدوات مصنوعة ومصممة بشكل خاص للاستخدام ضد بني البشر) ، وبعبارة أخرى حاز الانسان ـ الصياد لمدة تصل الى ١٩٠ ألف عام على الاقل القدرة التقنية لصنع (أسلحة الالتحام) ، كما حاز لمدة تصل الى ٢٦ ألف عام القدرة على صنع (أسلحة القذف) ولكن فصيلة البشر لم تصنع ـ في ضوء ماتحت أيدينا من معلومات أيا من هذه الأدوات بصورة عمدية لشن الحرب خلال تلك العهود الطويلة من فجر التطور الانساني ، رغم امكانية استخدام أدوات الصيد هذه في بعض الاحيان في قتل الغرماء .

على أن أقدم دليل يقدمه لنا علم الآثار (الاركيولوجيا) والانثروبولوجيا يكشف لنا أن الحرب لم تبدأ في التحول الى مؤسسة اجتماعية الا

عندما هجرت قطاعات بشرية القنص والجمع كنمط للحياة ، وتحولت الى البستنة والفلاحة ، ولكن الحرب ظلت في تلك العهود الضاربة في أعماق الزمن ، بمثابة معارك « يخوضها محاربون لاجنود » على حد تعبير المؤرخ الروماني الشهير « تاسيتوس » ، فلقد افتقرت معظم المجتمعات البستانية للهياكل الاقتصادية والسياسية التي تعطي الحرب خصائصها المحددة كمؤسسة اجتماعية : قيادة هرمية ، تجنيد اجباري . انضباط صارم واعالة منتظمة .

وتضيف « سو » أن الحرب لم تستهدف أهدافا سياسية في معظم مجتمعات العصر الحجري الحديث (النيوليثي) فلم تكن تلك المجتمعات لتملك أي هيكل سياسي ، من أي نوع فضلا عن هيكل سياسي تستطيع فرضه على الجماعات البشرية التي تلحق بها الهزيمة ، وفي نفس الوقت لم تكن الحرب لتستهدف أهدافا اقتصادية . وليس أدل على ذلك من أن الأطفال والنساء الذين كانوا يقعون في الأسر ، كانوا يواجهون مصيرين اثنين لاثالث لهما ، اما القتل واما التبني داخل القبيلة الغالبة ، بمعنى أنهم لم يكونوا يواجهون عملية التحويل الى عبيد منتجين ، مثلما حدث في عهود لاحقة ، ولكن لماذا تحولت الحرب الى مؤسسة اجتماعية ؟

تقدم « سو » وصفا لحرب بدائية ، تقول انه قبل الاقدام على أي عمل من أعمال العنف ، تقيم القبيلة احتفالا طقسيا يشمل تقليد المحاربين أنواع مختلفة من الزينات ، وآداء رقصات معينة مصحوبة بالغناء ، ويبدأ عند هذه النقطة التزام أبناء القبيلة المعنية بعدد من التحريمات على بعض أنواع الطعام والشراب ، وقد تمتد هذه التحريمات في غالب الأحيان لتشمل اتصال الرجال بالنساء . وعندئذ يتوجه المحاربون الى ميدان القتال ، يتقدمهم شيء مقدس وفي وقت لاحق قائد عام . أما الموقعة ذاتها فلا تزيد عن غارة أو كمين أو التحام وجها لوجه ، وما أن يقتل المحاربون أحد الأعداء بصرف النظر عما اذا كان رجلا أم امرأة ، عجوزا أم صبيا ، يقفلون عائدين الى ديارهم ـ وهنا تنخرط القبيلة التي « تكبدت » الموت في طقوس الحداد التقليدية ، بينما تقيم القبيلة التي ـ الحقت ـ الموت احتفالا شعائريا حول الجسد المسجي ، قد يتضمن التحديق طويلا فيه ، أو أكله أو تحويل جمجمته الى موضوع شعائري .

وتخلص « مانسفيلد » من هذا الوصف الى أن الحرب كانت لدي البدائيين طقسا من الطقوس ، وتقول أن مغزي هذا الطقس يكمن في موضوعين « الموت و الخصب » حيث يسيطر الموضوع الأول على الخطوات الأولى والوسطى من الطقس ، ثم ينمو الموضوع الثاني ـ الفرعي ليسيطر على النهاية .

انتقام العصر الحجري

لايستطيع البدائيون أن يفرقوا بين النشاطات الطقسية وغير الطقسية ، فالبدائيون لاينهمكون في التفكير فيما يحيط بهم من واقع ، ولايؤسسون عنه النظريات ، ويكتفون بممارسة النشاطات الطقسية لانهم تقليديون طبيعيون ، بمعنى أنهم غير منفصلين عن الطبيعة . وهم لايتفكرون في هذه النشاطات بل يحسونها . . . ويرجعون هذه الظاهرة « الحرب » الى غضب الموتى والحاجة الى الانتقام اطفاء لهذا الغضب ، وبذلك يمزجون ـ كما يذهب علماء الانثروبولوجيا بين الأسباب الايديولوجية والطقسية ، والوظائفيون من هؤلاء العلماء يميلون الى تفسير هذه الحروب بصفتها وسائل لفرض القانون ، بالمقارنة مع النظم القضائية التي تعرفها المجتمعات المتحضرة ، ومن هذا المنظور تعد الحرب بمثابة جزء من النظام القانوني ، أي الوسيلة الوحيدة لفرض القواعد التي يتبناها مجتمع لايزال يفتقر الى سلطة مركزية قوية .

ولكن هذا التفسير ينطوي على أن الانتقام يعادل العقاب أو الرادع ، وهو بذلك يتجاهل فروقا جوهرية بين هذا وذاك ، فالرادع بادىء ذي بدء يتضمن نهجا وظيفيا وعلى وجه التحديد نفعيا . اذ يتحتم على رد الفعل ازاء فعل سيء أن يكون الحاق تكدير كاف ، أو قل تعزيز كاف بالمخالف الفعلي ، وأي مخالف محتمل آخر ، حتى يمنعهما من العودة اليه . أما الانتقام فيولي جل اهتمامه للارتياح الشخصي الذي ينبغي لمن لحقه الأذى أن يستشعره خلال استعادة التوازن المختل بين الغبطة والألم . وفي المقام الثاني نجد أن المجتمعات البدائيّة نادرا ماتهتم لفكرة الرادع أو تلقين الطرف الآخر أي درس من الدروس .

كتاب الشهر

تدمير الفوضى

تضع الأساطير التي ينسجها القبليون حول الحرب ، بصورة ضمنية ، عامل الثأر موضع الاهتمام ، والحقيقة أن العاطفة والعقل والحدث القصصي تكشف جميعا عن وحدة شديدة التماسك بين أبناء القبيلة الواحدة ، تحسدهم عليها سائر المجتمعات الأكثر تقدما والأكثر ديمقراطية وجماعية في العصر الحديث .

يحكي شعب « يانومامو » وهو شعب معروف بعدوانيته الشديدة ، يعيش في أمريكا اللاتينية ، أحال الحرب الى مؤسسة ، وجعل منها محورا رئيسيا لحياته الاجتماعية ، هذه القصة حول نشأة هذا الشعب ذاته ، ونشأة الحرب في آن واحد .

في البدء لم يكن هناك سوى كائنات أصيلة ، وهي التي انتجت معظم النباتات والحيوانات والأشياء . وبعد أن اكتسح الفيضان معظم هذه الكائنات الأصيلة لم يبق سوى « بيربور » الذي قرر الهبوط الى الأرض ، كي يتغذى على الأجزاء الروحية من الأطفال ، وكان قد أكل طفلا لدى أول هبوط له ، وذلك بأن وضع روحه بين شطرتين من خبز « الكاسافا » وابتلعه ، وعاد في المرة الثانية ليأكل طفلا آخر بنفس الطريقة السابقة ، وأخيرا وفي المرة الثالثة استبد الغضب بكل من « أوديما » و « سوهيرنا » وهما شقيقان ، وصمما على قتله . بدأ « أوديما » أضعف الاثنين بارسال سهامه ، ولكنها أخطأته ، ثم ثنى « سوهيرنا » فالتقط سهما مدببا برأس من قصب البوص وأطلقه نحو « بيربور » في اللحظة التي كان يطير فوق رأسه تماما فأصابه في بطنه ، اخترق طرف السهم جسم « بيربور » بالكاد ، ولكن الدم تدفق بغزارة وساح حول « هوثيري » بالقرب من الجبال المعروفة باسم « نيو » وسرعان ما تحولت قطرات الدم الى اناس يدبون ويسعون بمجرد امتزاجها بالتراب ، الأمر الذي أدى الى انبثاق عدد هائل من البشر هم شعب « يانومامو » .

وتعلق البروفيسورة « سو » قائلة ان الأسطورة تذهب الى أن الحياة الانسانية بدأت بعمل من أعمال العنف ، وبواسطة هذا العمل تمت السيطرة على الفوضى أو الموت غير الطبيعي وغير المنطقي معا . واذا كان لأحد أن يبحث في هذه القصة عن مغزى تاريخي - موضوعي أو بيولوجي ، فإن بحثه يعد ضربا من ضروب العبث ، ولكنها تنطوي مع ذلك على تصوير شعري - أسطوري لحقيقة مدركة . فالأسطورة تشير الى ايمان شعب « يانومامو » بالاعتماد المتبادل بين الحياة والموت ، والاعتقاد بأن أفعالا طقسية معينة يأتيها البشر ، تستطيع السيطرة على الاحتمال العوضوي لهذا الاعتماد المتبادل . وتضيف « سو » ان هناك أسطورة مماثلة سائدة في قارة أخرى بعيدة هي قارة أفريقيا بين شعب « هو تيتوت » وهو شعب رعوي محارب في منطقة أفريقيا الجنوبية . وتستطرد « مانسفيلد » ان كل هذا يعني ، دون شك ، أن الانسان صاغ نمط الحرب الطقسية منذ وقت طويل - وان الانسان هو بطل الحضارة الأول الذي قام بتفكيك بنية الفوضى والتدمير ، وجعلها خادمة لحاجياته ، ومن خلاله انبثقت المؤسسات والقواعد الاجتماعية لحياته .

وتمضي « سو » الى القول بأن الرومان أحالوا الأساطير الى تاريخ ، وبذلك قادوا الفكر الانساني ، من الزمن غير المحدود الى الزمن المحدد . وتؤكد « سو » أنه في اللحظة التي انطلقت فيها الحرب . من حدودها الطقسية واكتسبت هدفا ماديا مباشرا ، أصبح من المستحيل أن تقتصر على نمط غير متغير . ولم تعد نتائجها تنطوي على خسائر ضخمة في الارواح والممتلكات فحسب ، بل انطوت على تغيرات في التنظيم الاقتصادي والسياسي ، بالاضافة الى نزوح شعوب جديدة وثقافات جديدة ، ولم تعد الحرب ، من ثم ، تأكيدا مكررا على الطابع الرجعي اللازمني

للواقع ، بل أصبحت عوضا عن ذلك واحدة من أعظم تجارب الانسان الأشد حيوية من التحول والتغير والانقلاب .

حدود القوة

كافة الحيوانات بما فيها فصيلة البشر ، تملك قدرات عدوانية ثمينة كوسائل فى سبيل اطراد البقاء وازدهار الفرد والنوع . . . وعلاوة على هذا فإن البشر على وجه الخصوص ، وبسبب طول مرحلة الطفولة لديهم ، والنزعة الى الخلق ونقل الثقافة ، وهى نزعة قائمة على عوامل وراثية ، قادرون على فصل هذه القدرة العدوانية عن اشباع الحاجات الفسيولوجية البسيطة . . والواقع ان كافة المجتمعات البشرية تفرض تحريمات على بعض أنواع الاطعمة ، والعلاقات الجنسية وتوزيع السلع ، وبالتالى تكبح ، بشكل رئيسى ، اطار التلقائية الجسدية للبالغين ، وفى نفس الوقت تخلق هذه المجتمعات ، صورا كلية « جشطلتات » محددة تقود القدرة العدوانية نحو قنوات رمزية ونفعية ترى هذه المجتمعات انها تحقق صالحها ككل . ولأن الطفل الانسانى قابل للتعلم من الناحية الوراثية ، ويستمد راحة كبيرة من ممارسة قدرته على التقليد ، فإن ميلنا لدمج التحريمات الاجتماعية بالاهداف التى تحددها الثقافة السائدة كجزء من بنائنا النفسي الأساسى ليعتبر جزءا لا يتجزأ من قدرة النوع الانسانى على البقاء . وفى حالة تقنين الطاقة العدوانية فى بناء سد ضخم ، أو الزام الناس بالامتثال لمثال من التقشف والزهد وإلحاق بعض الضرر بالفرد ، فإنه يكون وظيفيا بالنسبة للجماعة .

ولعله أمر مثير للدهشة حقا أن معظم المجتمعات تعتبر الحروب مشاريع بناءة اجتماعيا ، رغم المخاطر التى تنطوى عليها بالنسبة للأفراد . ومثل هذا الحكم على الحرب يستند الى سمتين نفسيتين من سمات النوع الانساني ، ففى المقام الأول ، نرى أن الوعى الانسانى ينطوى على استعداد كامن ، لكى يخلق من المعلومات المتنوعة التى تنقلها الحواس عن الحياة اليومية ، أنماطا تفرض النظام أو البناء المعنى على فوضى الواقع المعاش . فالاحلام والطقوس والرموز واللغة والأسطورة (بما فى ذلك الفن والأدب والموسيقا والنظريات العلمية) كل ذلك يشهد على قوة هذا الاستعداد والأغراض الجميلة والنافعة التى يخدمها .

ويبدو أن الحرب ليست واحدة من هذه الحاجات الأكثر الحاحا والاوسع قسمة بين البشر ، أى الحاجة لخلق « الجشطلت » النمط واشباعه فحسب ، ولكنها أيضا واحد من الاعمال التى استطاع الانسان أن يواجه بها وبصورة محددة الرعب وعدم التوازن الرئيسيين ، اللذين ينجمان عن الموت والدمار اللذين يحلان دون سابق انذار . فالانسان ينظر الى الحرب منذ بدايتها الأولى فى العصر الحجرى الحديث باعتبارها طقسا حاسما فى سبيل اعادة التوازن الى العلاقات بين البيئة غير البشرية والجماعة الانسانية . ففى عالم يتعرض فيه البشر ، سواء أكانوا أفرادا أو أعضاء منتظمين فى مجتمعات لضربات الأحداث الأليمة التى تبدو مفتقرة للنمط وخلوا من المعنى ، نهضت الحرب كمحاولة فذة لاقامة نمط محدد انسانيا عن طريق رد هذه الضربات ، وبناء عليه فإن الطابع الناقص بالقوة ، غير المتوازن بالاحتمال ، والفوضوى بالكمون للتجربة الحية بات يكتسب تناسقا واكتمالا وتوازنا . وقد لا ينتهى الموت والتدمير ، ولكنهما يثيران بالقسر ، نمطا أو « جشطلتا » منظما يستطيع الوعى الانسانى أن يحيط بها .

أبيدوكليس وفرويد

يتساءل العالم « جلين جراى » عما اذا كان الحق قد حالف كلا من الفيلسوف الاغريقي « ابيدوكليس » (القرن الخامس ق . م) و « سيجموند فرويد » فى تصورهما أن الصراع والموت يبلغان من القوة والالحاح مبلغ الحب والجنس لدى البشر . والجواب من الناحية البيولوجية : نعم . ولكن نفسية الجندى - القاتل ليست نفسية متوازية ، اذ تكشف عن شخصية مركبة ، تهيمن فيها القدرة العدوانية والتدميرية على قدرة الخلق والتواصل مع الآخربل تزيحها كلية . وفى ضوء نظرية « الجشطلت » فإن الدوافع العدوانية لمثل هؤلاء الجنود القتلة قد انكفأت وارتدت ضد الذات ، بحيث تحرمهم من القدرة على - ناهيك عن أن يجد أدنى متعة فى - أن يكون تلقائيا عطوفا أو

كتاب الشهر

متوحدا مع الآخر . هؤلاء الجنود يريدون ، في حقيقة الأمر ، أن تحيق بهم الهزيمة ، فالرغبة في تدمير كافة المخلوقات ليست سوى انعكاس غير واع لكراهية الذات الراسخة في الأعماق . ومثل هذا الجندى ليس سوى رجل انتحارى عاجز عن توليد احساس مناسب بالحدود التى تفصل ذاته عما يحيط به من بيئة بشرية » . . ومثلما يكون بعض الأفراد انتحاريين تكون أيضا بعض المجتمعات . وعند هذا الحد الذى يبدأ فيه العدوان الاجتماعى فى التهديد بالرجحان على الخلق الاجتماعى يكف العصاب الانسانى ، دون جدال ، عن أن يكون شكلا من أشكال التعديل التكيفى ، ويصبح مرذولا ودون قيمة اجتماعية أو بيولوجية . ولسنا نعرف على وجه اليقين عدد المجتمعات الانسانية التى أوقعت نفسها فى مثل هذه المعضلات المميتة فى الماضى ، ولكن ثمة ما يدل دلالة واضحة على أن ذلك حدث فعلا ، ومع الأسف يبدو أن مجتمعنا المعاصر القائم على التقنية قد ولد مثل هذا الاتجاه الانتحارى ، فى وقت بلغت فيه قدرتنا التدميرية مبلغا هائلا ، يتمثل فى استطاعتنا أن ندمر الجنس البشرى ، بل وان نقضى على كافة أشكال الحياة على ظهر المعمورة فى كارثة بيئية مروعة

وتردف البروفيسورة « سو » أن كافة طقوس الحرب التى تناولتها بالتحليل فى كتابها هذا تنطوى على محاولة - سواء على صعيد عدم الوعى أو الوعى الكامل - للسيطرة على الطبيعة فى سبيل سعادة الانسان ، واطراد البقاء ، وبناء عليه فإن أجدادنا الذين عاشوا فى العصر الحجرى الحديث اعتقدوا انهم يستطيعون خلال الحرب أن يعيدوا بناء الفاعلية المنظمة لزمن الحلم الأصلى . ومن ثم يستطيعون قسر الموت على لزوم قنواته المرغوبة ، المناسبة .

ولعل ما يدعو للأسف أن انهيار الحوار يؤدى الى فقدان أى احساس بالحدود ، وبالتالي بحقيقة الواقع المحيط بنا . وهكذا يتصور « صاموئيل بيكيت » الكاتب المسرحى الشهير ، الانسان كأسير للانتظار اللانهائي على مسرح خال ، حيث لم يعد للارادة الانسانية أو الكون الحى أى وجود حقيقى . وفى ضوء مصطلح الفسيولوجيا ثمة دائما حدود من ناحية للكيان العضوى ، وتداخل من ناحية اخرى بين هذا الكيان ، والبيئة المحيطة ، فالفرد فى نفس الوقت ، كيان ذو حدود جسدية واضحة وعملية نابضة ، تأخذ الانعكاسات الحسية والهواء والغذاء ، وتخرج المشاعر والزفير والفضلات ، وبدون هاتين العمليتين تغدو الحياة بصفتها المعروفة مستحيلة .

جنود . . ام محاربون

وفى ختام الفصل الأخير تتوقف البروفيسورة « سو » لتقول : اذا كان تحليل التاريخى صحيحا ، وكان كذلك المنهج الجشطلتى ، فإن مطلبا غاضبا اخلاقيا ، سوف يطرح نفسه مع ذلك ، وكرد فعل ، فى سبيل نزع السلاح النووى . فحقيقة الأمر أن الرجال والنساء الذين يبنون ويمولون تلك الترسانات النووية الضخمة ما هم الا أفراد يستشعرون الخوف فى أعماقهم ، ويبحثون عن الأمان خلف هذا الدرع الدفاعى ، وكلما شعروا باقتراب الهجوم فإنهم يتحصنون على وجه الاحتمال بدفاعهم الذى يتخيلونه ضد رؤيا مخيفة ، هى رؤيا التمزق ، وفقدان معنى الأشياء ، واذا كنا لا نستطيع أن نأمل فى تفكيك الرؤوس النووية فورا . فينبغى لنا ان نحاول على الأقل اعادة تنظيم الجيش ، بصورة تسمح لمثل هذه المخاوف أن تعالج بأسلوب أكثر واقعية ، أسلوب يقوم على تحويل الجنود مرة أخرى الى محاربين بدلا من الوجود المخيف للغواصات النووية التى تملأ البحار والمحيطات من حولنا . ولكن البروفيسورة « مانسفيلد » تستدرك الى القول بأن العمل الأهم ليس نزع السلاح النووى في حد ذاته ، بل كيفية ازالة المؤسسات والأيديولوجيات العسكرية التى استقرت فى أعماق ثقافتنا وأغوار نفوسنا . □

من المكتبة العربية





حكايات من مصر

صلاح عيسى

عرض وتعليق : عبد الرحمن أبو عوف

حكايات من مصر وهوامش المقريزي جزءان من كتاب واحد ، حمل اسم الجزء الاول المؤرخ الفنان صلاح عيسى . وقد اختار المؤلف من تاريخ مصر الثري الطويل ما رأته عينا الفنان فيه ، وصاغها بطريقة تمزج بين جلال التاريخ وجمال العمل الفني .

حكايات من مصر ، الجزء الاول و (هوامش المقريزى) ، وهي المجموعة الثانية من(حكايات من مصر) للمؤرخ الفنان (صلاح عيسى) ، عمل تاريخى أدبى له تفرده وصوته الخاص ، يثير قضية علاقة التاريخ بالفن ، كيف يصبح المؤرخ قادرا على استعادة الحدث التاريخى من الماضى نظريا ، كما كان تماما أو قريبا مما كان ، وبقدر ما يتمكن المؤرخ من تقديم أو اعادة لتركيب الصورة التاريخية للحدث التاريخى كما حدثت تماما بقدر ما يكون علميا ، أي بمعنى أن المؤرخ عليه دائما أن يردد ذلك السؤال الذي يخالج فكر المؤرخ الألمانى الكبير (ليبولدرانكا) كيف ؟ فمنهج البحث التاريخى مهمته أن يوصل الباحث بالأدوات العلمية التى يقدمها الى الاجابة عن هذا السؤال : كيف حدث التاريخ بالفعل ؟ .

ولكننا هنا أمام ـ مؤرخ وفنان ـ اختار في السرد لغة روائية ، تبعث في الحدث الحياة ، وترسم الشخصيات بتعدد جوانبها ، وتستلهم من جزئياته سريان القانون العام ، وهو قانون الصراع بين الشعب والطغاة ، والكشف عن أصالة المقهورين

وقدراتهم التي لا تنفد في الدفاع عن حقوقهم ، مهما سقط منهم الشهداء ، وهزمتهم شراسة قوانين الصراع الطبقي والاستعماري .

الرواية الوثائقية

لقد ساهم صلاح عيسى في تقديم شكل من الرواية الوثائقية ، ربما كان أبرزها روايته (مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا) وهي تستحق تقييما خاصا

يعترف (صلاح عيسى) ، انه وفق تكوينه ، كان التاريخ بؤرة اهتمامه ومثار شوقه ، فيه انغمس وقرأ . قرأ المؤرخي مصر الكبار : ابن تغري بردى ، وابن اياس والجبرتي خاصة ، وغيرهم كثيرون . وحينما عثر في تلك الأيام على كتاب أحمد بهاء الدين (أيام لها تاريخ) التهمه في ليلة شتوية (كان التاريخ في هذا الكتاب شيئا آخر تماما ، غير الذي كان يستفزني لقص الصور من كتبه وتعليقها على جدران حجرتي الناحلة ، كنوع من العقوبة لمؤلفيها ، كان تاريخا حيا ونابضا ودافئا أحسست رجالا لم أعرفهم قط ، وبكيت على مصير بعضهم ، ولمست خوفا وقلقا واشفاقا ، وأما أتابع الآخرين وهم يواجهون الخطر ويتحدونه ، ويصدون الرمي ويعانون التشريد في المنافي والسجون) ، ان صلاح عيسى من جيل عاصر انهيار النظام الملكي في سنواته الأخيرة ، ووعى بالغريزة وتربيته الأسرية مكانة حزب الوفد ، ثم قامت الثورة ، وعاش أزماتها وتناقضاتها وانتصاراتها وانهزاماتها ، ودفع من حريته ثمنا غاليا ، ليدرك قانون التوحد بين الكاتب والمؤرخ،والمناضل السياسي الملتزم برؤية فكرية تنتمي للشعب والتقدم . كان التاريخ يكتب من وجهة نظر المحتلين ، كاللورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة) ، أو أنصارهم ، ثم يكتب من وجهة نظر الموظفين ، ثم اطلع على موسوعة المؤرخ الكبير (عبدالرحمن الرافعي) ولكنه لاحظ تحيز تاريخ الرافعي وعلى الأخص في أحداث الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ الى وجهة نظر الحزب الوطني ، وظل يمارس الاطلاع على مدارس أخرى كشفيق غربال (مدرسة التاريخ الوثائقي) ثم (مدرسة التاريخ الاجتماعي العلمي) لمحمد أنيس ، ثم استقر على وجهة نظر الاشتراكية العلمية في تفسير التاريخ وتغييره ، وقدم عملا متكاملا يعتبر انجازا جديدا في تفسير العرابية وتوثيقها ومرجعا موثقا عن هذه الثورة الخطيرة في حياتنا .

ثم اكتشف نفسه في كتابيه (حكايات من مصر) الجزء الأول سنة ١٩٧٣ و (هوامش المقريزي) ، حكايات من مصر الجزء الثاني سنة ١٩٨٣، وقد كتب الكتابين بين ١٩٧١ - ١٩٧٥ واضطر الكاتب للتوقف فترة قهرا في الجزء الثاني

لكن المجموعتين تختلفان من حيث الشكل ، فقد اختارت المجموعة الأولى لحظات أكثر تفجرا وأطول نسبيا ، بينما تلتقط الثانية ومضات تاريخية قصيرة ومركزة ومكثفة تبرق بسرعة ، ولكنها لا تنطفيء قبل أن تضيء عقل من يقرؤها بوعي بكل دلالات عصرها ، ولكن كلتا المجموعتين موضوعهما واحد ، فهما تتقصيان تلك الجزئيات الصغيرة التي تصب في مجرى التاريخ ، وتتبلور فيها قوانين تطوره .

حكايات من مصر

وتتميز المجموعة الأولى بحوادث غريبة ربما يسرقها تراكم الزمن ، غير أنها أثرت في مجرى أحداث تاريخ مصر المعاصر أبلغ تأثير ، وهي تقدم بشكل روائي في نبرة شاعرية تدفع الحدث ، وتتقصى دلالته ومغزاه ، وتكشف عن عمق في دراسة كتب نادرة ووثائق مدفونة ، عانى صاحبها حتى يضعها أمام القارىء والأحداث هي عن .

الأمير سيف الدين يحاول اغتيال أحمد فؤاد ، مقتل المليونير علي فهمي برصاص زوجته الفرنسية ، ست جوار يثرن أزمة في السياسة المصرية ، مؤامرة ضد زعيم الأغلبية مصطفى النحاس ، مغامرات عبد الله بالمر في سيناء ، مأساة ابراهيم الهلباوي جلاد دنشواي ، البطريرك في المنفى ، السلطان والزنا وقضاة الشرع ، مقتلة الأحد الدامي .

انها ملحمة تراجيدية وكوميدية ، فيها تختلط الفضيلة بالرذيلة ، العفة بالنذالة ، الخيانة بالوطنية ، الشهامة بالجبن ، مناخ صنعه الاحتلال في سنواته الأولى ، وعاشه الشعب المصري بصبر وقدرة على الصمود ، تبهر القارىء وتؤكد ان معدن الشعب

الوطنى تصهره المآسى ، وتصلبه الأحـزان ، وتجعله دائما ناظرا الى أمام فى انتظار الخلاص .

زيـادة على ذلـك فالاشيـاء مركبـة ، فمجموعـة الوثائق تحقق حجما من الدلالة لا ينفد لانها تشكـل عـددا غير محـدود من الاسئلة تنهض هذه الـوثـائق للاجابة عنها . كذلك سيقوم الابتكار عنـد المؤرخ على اكتشاف الانحراف الذى تكـون عليه مجمـوعة معينة من الوثائق من قبل اعتقـد الانتفاع بهـا جيدا يمكن ان يكون متدفقا من نشوء سؤال جديد .

وسنختار من الحكايـات أبرزهـا تمثيلا لهـذا الجو التاريخى الفنى ، ودلالته السياسية على تطور الحركة الوطنية المصرية .

مأساة جلاد دنشواى

كـانـت حياة ابـراهيم الهلباوى ـ وهـو واحـد من أعـظم المحـامـين الـذين أنجبتهم مصـر ان لم يكن أعظمهم على الاطلاق ـ تراجيديا مصرية فـاجعة ، نمـوذج للبطل الـذى يخطىء مـرة واحدة فتـودى به خطيئته ، ويظل يجاهد العمر كله لكي يحصـل على الغفران ، فيوصد الشعب قلبه دونه ولا يرق لـه . رغم طيبة الشعب الذى طالما غفر لكثيرين ، وكانت خطيئته التاريخية التى ظلت نقطة سوداء لم ينسها ضمير الشعب ، انه قبل أن يصبح المدعى العمومى الذى يثبت التهمة على فلاحي دنشواى ، ويلف المشنقـة حول أعناقهم ، بعد أن كلفه رئيس الوزراء مصطفى فهمى الذى تعاون مع اللورد كرومر مدة طويلة وهو (أبـو زوجة سعـد زغلول) . لقـد اسقـطه ـ وهـو المحامى اللامع وابن البرجـوازية الصغيـرة والفلاح البسيط ـ فـلاحون بسـطاء . استخـدمـه الانحليـز وعملاؤهم فى شنق الفلاحـين وتعذيبهم أمـام أهل قريتهم وهم : زهران ، ودرويش ويوسف وفلاحـة اسمها أم محمد .

ولكن كيف نشأ الهلباوى ؟ وكيف تمت عمليـة الصعود ؟ ككل الجيـل ، ولـد الهلبـاوى فى أسـرة مستورة) . كان والده مغربى الأصل ، تمصر وأقام بلدة (العطف) بمديرية البحيرة ، وفى الثانية عشرة من عمره ذهب الى مـركـز العلم فى هـذا العصـر الأزهر) ، وفى بداية السبعينيات من القرن الماضى عرف قهوة (متاتيا) حيث يجلس شيخ غريب (يوزع السعـوط بيمنـاه والثـورات بيسـراه) يجلس حـولـه رجال ، قدر لهم فيها بعد أن يلعبوا أخطر الأدوار فى تاريخ مصر ، منهم أحمد عرابى ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وسعد زغلول وغيرهم ، وتمر سنوات وهو يتعلم من الأفغـانى الفلسفة والمنطق وعلم الكـلام والسياسة وتنظيم الامم والشورى ، والسنـوات تمر ويؤجـل دخول الامتحـان بالازهـر ، وفجأة يتـرك الأزهر فى تلك السنة خلع الخديوى اسماعيل عن العرش بارادة الدول الأوروبية ، وتولى (الخديـوى تـوفيق أريكة الخـديـويـة) وأصـدر رئيس الـوزراء (مصطفى رياض) بعد شهور من نفى الأفغانى قرارا بتعيين الشيخ محمـد عبده فى منصب رئيس تحرير الوقائع المصريـة ، ويختار الشيـخ عددا من مـريدى الأفغـانى ليساعـدوه منهم : عبد الكـريم سلمان ، وسعـد زغلوا ، ، وابراهيم الهلبـاوى . ويكتب فيها الهلباوى ، ولكنه بعد فترة يثير المتاعب نتيجة ضآلة مرتبه بـالنسبة لمـرتب سعد زغلول ، ويتـرك العمل ويذهب إلى قريته ، وينافس اليونانيين وتجار القطن فى التجارة ، ثم يكتب مقالة ملتهبة عن واقعة استغلال نفوذ لوكيل المديرية ، ويرسلها الى جريدة التجارة ، وهاج رياض باشا وقبض عليه ، واستطاع باستخدام التلاعب باللغة والمنطق أن يتملص من تهمة السب فى الحكومة التى كادت تودى به الى السجن .

المنتمى لنفسه

ويسقط رياض فى مظاهرة ١٨٨١ ، وتضىء مصر طوال عام ونصف بشرارات الثورة العرابية العظيمة ، ويتكلم النـاس ، وينظرون فى أمـل وخـوف ، أين الهلباوى الطويل اللسـان ، تلميذ الأفغانى ؟ لا جدال انـه اهتز بـالثـورة ، ولكن ، هنـاك المتفـرجـون ، وبعضهم تنكروا لها وخانوها عندما حان وقت الجد ، كان الهلباوى حذرا فى البداية ، انه حدد موقفه من البداية ، انه مع نفسه فقط ، وكما يقول عبد الحليم الجندى (كان كذلك فى العشرين ليس مع الثوار ولا مع خصوم الثـوار انه مـع نفسه . كـان كذلـك فى العشـرين وفى الخمسين وفى الستـين والثمانـين يوم مات . . ليس مع أحد وقد يكون معه كل الناس) .

وتفشل الثورة ، والغريب أن الذى قبض عليه هم الثوار ، وعند الهزيمة بقي في السجن عن طريق الخونة لكي يستشهدوا به على أن الثوار عذبوه في السجن ، وأفرج عنه بسرعة ، وتنقل في وظائف كبيرة ، سكرتير السلطان الخائن الأكبر ، ثم سكرتير للبرنس حسين كامل فيما بعد - وفي يناير ١٨٨٦ وهو في الثامنة والعشرين احترف الهلباوى المحاماة . لقد كان الأمر مصادفة ، فصله البرنس من عمله فوكل محاميا عنه ، وبينما هو في مقاعد المتفرجين قرر مصيره بنفسه ، ان يستغل بلاغته وطول لسانه وأن يصبح قبلة الانظار ، فاختار المحاماه مهنة ، وفي تلك السنوات كانت المحاماة مهنة السفهاء ، وكان اسم المحامي مساويا للمزور ، لدرجة أن (سعد زغلول) قال في احدى خطبه بعد سنوات (انى اشتغلت بالمحاماة متنكراً عن أهلي وأصحابي ، وكلما سألني سائل . هل صرت محاميا اقول معاد الله أن أكون كقوم خاسرين) . الغريب انه عمل مع سعد زعلول - صديقه اللدود - في المحاماة ، واشتبك مصير الرجلين سنوات ، وتناقض سوات في حظهما من المجد والشهرة ، طريق سعد طريق الثورة ، وطريق الهلباوى ان يصبح انجح المحامين ، لدرجة أن شهرته وصلت الى ان يقول القائل (والله لاقتلك وأجيب الهلباوى) . وغير الاحتلال النظم والقوانين ، واضطربت الحياة وظهرت طبقات جديدة ، واختلط الأجنبي بالمصرى في مجالات الحياة ، ولمع الهلباوى ، وقبض الثمن ، حتى سقط البطل ، ووقف يستخدم كل ما تعلمه من منطق وفلسفة على يدى (الأفغاني) في اثبات الجريمة على فلاحين سطاء ، فلاحي دنشواى ، غير أنه دفع الثمن غاليا ، ولم يغفر الشعب له ، سقط بعد ان ارتفع شأنه وذاع صيته ، فلقد قتل الهلباوى شعبه كله ، وبعدها بدأ رحلة التوبة . وفي مذكراته التي أملاها عام ١٩٢٩ - ولكن لم تنشر - حاول ان يزيف الموقف ، ويدعى أنه كان ينوى الدفاع عن فلاحي دنشواى لولا ضغط تعرض له من بطرس غالي رئيس المحكمة ، ولم تكف الصحافة الوطنية عن الهجوم على جلاد دنشواى ، وفي سنة ١٩١٠ حاول أن يكفر عن جريمته ، فتقدم للدفاع عن ابراهيم الورداني الذى قتل بطرس باشا غالي ، رئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواى سابقا ، وفي المحكمة صال الهلباوى وجال ، واتهم بطرس باشا غالي بالعمالة للانجليز ، وفي عام ١٩١٢ دافع عن المتهمين في قضية مقتل السردار ، لم يَكُفّ طوال هذه المدة عن طلب الغفران من الشعب والشعب يرفض ، ولم يبق من ذكرى الهلباوى كما صورها يحيى حقي بسخرية مرة (الا ان يصبح كمسارى الاتوبيس في خط النيل بمدينة القاهرة ، وهو يعدد المحطات فينادى محطة الهلباوى) .

هوامش المقريزى

ذلك كتاب متفرد يجمع بين التاريخ والفن في أرقى صوره ، والهوامش بأبسط تلخيص ممكن في هذا المجال تتخير لحظات لها دلالتها السياسية والاجتماعية والاخلاقية من فترات حكم الولاة العباسيين ، والدولة الطولونية ، والدولة الاخشيدية ، والخلافة الفاطمية والدولة الايوبية والمملوكية والعثمانية ، ثم الحملة الفرنسيه ودولة محمد على حتى ثورة ١٩١٩ ، حيث تفجر الشعب المصرى في أعظم ثورة شعبية قومية استرد فيها جزءا من حقوقه ، وهذا الركام اليومى من الحكايات والقصص عن هذه الفترات انتقاها (صلاح عيسى) بوعى من كبار المؤرخين : كالمسعودى وابن تغربردى وابن اياس والجبرتي والرافعي ، وعبد الرحمن زكي وكتب أخرى ووثائق ومخطوطات كادت تغرق في التراب ، حتى يستخلصها ويقدمها للقارىء كدليل على أن روح النضال لم تمت ، وأن قانون الصراع يأخذ طرقا مختلفة ، ولكن يظل الشعب هو المنتصر في النهاية ، وهذه المجلدات في التاريخ ليست ميسرة للقارىء العادى ، ربما يقرؤها المثقفون ، ولكن الشعب الكادح لا تتيسر له ومن هنا خطورتها . □

يقول شاسا جيترى : لايوجد في العالم من هو مخطىء على الدوام ، فحتى الساعة الواقفة تكون على حق مرتين في اليوم الواحد .

مكتبة العربي

مختارات



الكتاب : في الحرية والمساواة .
المؤلف · د. حازم الببلاوي .
الناشر : دار الشرق ـ القاهرة .
عدد الصفحات · ٢٦٠ من القطع المتوسط

تحت هذا العنوان اختار استاد الاقتصاد د حازم الببلاوي أن ينشر بعض مقالاته عبر الأكاديمية التي نشر أغلبها في الصحف والمجلات العربية ، وتشكل فصول الكتاب الخمسة : العلاقات الدولية والاقتصاد العالمي والحكم الاقتصادي المصري ، العلاقات العربية موضوع الكتاب الذي يعتبره المؤلف بالغ الخطورة في اللحظة التاريخية الراهنة ، وهي لحظة البحث عن الهوية السياسية لبلادنا .



الكتاب : مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن .
المؤلفة . سهير سلطي التل .
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
عدد الصفحات : ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط

تحاول الكاتبة الأردنية سهير التل في كتابها هذا ن تتجاوز الصرف المحدود للدراسات المتفرقة ، التي كتبت للتعريف بتاريخ الحركة النسائية في الأردن . والبحوث الأكاديمية أو رسائل الماجستير الدكتوراه ، وتدخل موضوعاً جديداً يتميز بندرة راجع والأرقام والاحصائيات التي تعين أي باحث في موضوعه . وتمهد الكاتبة بعقل يضع الخلفية التاريخية للعمل النسائي في الأردن وتطوره الى أشكال تنظيمية راقية ، ومعركة الحصول على مكتسبات حقيقية لها ، ثم نظرة مستقبلية في ضوء ما طرحت .



الكتاب · اللآلىء ـ من النصوص الكنعانية
ترجمة وتعليق : مفيد عرنوق .
الناشر · منشورات مجلة فكر ـ بيروت .
عدد الصفحات · ١٨٨ من القطع الكبير .

يقدم مفيد عرنوق في هذا الكتاب ترجمة وتعليقاً لما جاء على لسان كهنة أوغاريت ايلي ميلكو كما وصفتها مكتشفات رأس شمرا (أوغاريت) القديمة على الساحل السوري الشمالي في بدايات هذا القرن .

والترجمة التي يضمها الكتاب هي جزء من مؤلف ضخم كتبه الباحث الايطالي وعالم الآثار الشهير هـ. ي. ديل ميديكو بعنوان « التوراة الكنعانية » والمادة المترجمة هي الكتابات الموجودة على اللوحات الفخارية لكبير الكهنة المذكور

مادة مهمة لا بالنسبة للمختصين بالحضارات القديمة فحسب بل للمثقفين الذين يودون الالمام بشيء من التفاصيل في هذا المجال .



الكتاب : الفلاشا خنجر في ظهر الأمة .

المؤلف : مصطفى بكري .
الناشر : ٠ دار لجنة القدس القاهرة
عدد الصفحات : ٦٦ من القطع المتوسط .

متابعة صحفية لعملية نقل اليهود والفلاشا من السودان الى الأرض المحتلة ، يرويها الصحفي مصطفى بكري .
في كتيبه هذا يسجل الكاتب قصة واحدة من أكثر عمليات التهجير الصهيوني اثارة منذ انشاء الكيان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ . ويتضمن الكتاب أيضاً الوجه الآخر للعملية الذي يمثل تهرؤ وفساد النظام السوداني السابق ، وتغلغل الأجهزة الخارجية فيه ، ومن ضمنها الأجهزة الصهيونية والأمريكية .



الكتاب . الخروج من الكهف ـ رواية .
المؤلف : عماد الدين عيسى .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع المتوسط .

في هذه الرواية وهي الأولى بعد أربع مجموعات قصصية ، يرسم المؤلف صوراً لمجموعة من الشخصيات ، لا يربط بينها في الظاهر رابط فني ، لكن هناك رابطاً موضوعياً يجمع بين هذه الشخصيات وأحداثها وخلفياتها الاجتماعية ، ليكتمل البناء الروائي لهذا العمل الأدبي .



الكتاب : وردة البيكاجي .
المؤلف : عبد الكريم كاصد .
الناشر : مطبعة دار العلم ـ دمشق .
عدد الصفحات : ١١٠ من القطع المتوسط .

في ديوانه الشعري الرابع هذا يخطو عبد الكريم كاصد خطوة أخرى نحو تكثيف الجملة والقصيدة ، ومد الكلمة الشعرية بالعمق والايحاء في الوقت نفسه .

ونجد أن كتبه الشعرية الأولى التي ترسم جواً شديد المحلية والخصوصية ، يصوغ كاصد في قصائد ديوانه هذا تجربة تمزج عمق التجربة بمرارة الاغتراب في لغة شعرية رائعة تميز بها الشاعر الشاب .



الكتاب : البيروقراطية النفطية .
المؤلف : د. أسامة عبد الرحمن .
الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت .
عدد الصفحات : ١٩٢ من القطع الكبير .

على غير المألوف اختار مؤلف الكتاب الدكتور أسامة عبد الرحمن أن يكون مدخله الى موضوعه الذي يتسم بالجدية والجفاف مدخلاً يلين من جفاف المادة ، ويبقى على جديتها ، فكان ـ شكل « الصور » التي قدم للقاريء ـ ستين منها ترسم صورة البيروقراطية في بلادنا كما يراها المؤلف .
ورغم تركيز د. عبد الرحمن على البيروقراطية النفطية ، الا أنه يربطها بصور البيروقراطية الأخرى « اذ تتشابه سلبياتها وأوزارها في أقطار الوطن العربي » كما يقول .



الكتاب : انا اريد النهار ـ مجموعة قصصية
المؤلفة : ليانه بدر
الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع ـ اللاذقية ـ سوريا .
عدد الصفحات : ١٠٤ من القطع المتوسط

مجموعة قصصية جديدة للروائية والقاصة الفلسطينية ليانه بدر . اجواء بيروت ، القصف والسراديب والقذائف ، والكهولة والحكمة المبكرتين تشكل خلفية قصص المجموعة التى تتميز منها قصتا الصورة والفراشة اللتان يمكن قراءتها كقصة واحدة او قصتين منفصلتين . □

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

عزيزي القاريء .

كل عام وأنت بخير ، وعلاقتك بمجلتك العربي أكثر عمقاً ، وحوارك معها أكثر غنى وثراء ، ودورك في تنميتها وتطويرها أكثر فعالية ، فرسائلك الينا هي واحدة من أهم المؤشرات على طريقنا للتطور . هي مرآة نثق في صدقها ونقائها .

وربما لا نملك أحياناً في هذه المساحة المحدودة لباب حوار القراء أن نرد على جميع الرسائل التي تصل الينا ، ولكن المعيار الذي نحتكم إليه في اختيار هذه الرسائل ، أن تغطي الموضوعات أو الجوانب التي تلمسها أكبر مساحة من اهتمام القاريء ، أو تحقق له أكبر فائدة ثقافية .

واذا كنا نؤكد هنا ـ اننا في حاجة دائماً الى حوارك الجاد ، والى ملاحظاتك النافذة ، فنحن أيضاً في حاجة الى شيء قليل من تسامحك وصبرك ، وكل عام وأنت بخير .

لا وراثة في الجنوح

● أرسل لكم رداً على موضوع « أمراض العيون هل تورث ؟ » المنشور في العدد ٣٢١ لما فيه من خطأ مناف للمفهوم القرآني .

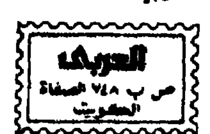
١ ـ أرادت الكاتبة أن توضح كيف أن العرب المسلمين كانوا من أوائل من فكر « بعلم الوراثة » فاستشهدت بالآية الكريمة (ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفَّارا) سورة نوح .

وهذه الفكرة منافية تماماً لروح الاسلام ، الذي يؤكد على استقلالية الارادة في السلوك لكل شخص بالغ عاقل ، وهذه الاستقلالية مناط التكليف وأساس العدالة ، ولو كان السلوك وراثياً لحاجَّ الكافر ربه يوم الحساب ، ولحمل أوزاره الى الجد الأول الذي ورثه هذا السلوك

وفي القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

ومن الشواهد العلمية والتاريخية التي تنفي دور الوراثة في السلوك .

١ ـ نوح عليه السلام نبي مرسل وابنه من صلبه كافر .





٢ ـ آزر كافر وابنه ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل .

وأما الآية التي اتخذتها الكاتبة شاهداً لها ، فهي لا تقرر حقيقة قرآنية ، بل هي دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد غضبه عليهم ، وبعد أن أعلمه الله تعالى . انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن »

٣ ـ وردت في المقال تعابير طبية لم تعد مقبولة وفق المعجم الطبي الموحد لاتحاد الأطباء العرب لعام ١٩٨٤ لا بد من تصحيحها :

- اسدال الجفن صوابه تدلي الجفن (Ptosis)
- قصر البصر صوابه حسر البصر (Myopia)
- نمط غالب أو مسيطر صوابه نمط سائد (Dominant).
- هيموفيليا صوابه الناعور (Hemophelia).
- البرص صوابه البهق (Vititigo).

الدكتور ضياء الدين الجماس
دير الزور ـ سوريا

العربي

ـ نشكر للاستاذ الكريم اهتمامه ومتابعته ، ونعتذر عن عدم ذكر تصويبات أخرى وردت في خطابه ، لأنها وردت في تعليقات أخرى لبعض القراء ، نشرت في العدد السابق من العربي

وللنثر القديم أيضاً صفحة . .

● وفي نهاية هذه الرسالة يسعدني أن أتقدم لكم باقتراح أرجو أن ينال حظه من الدراسة ، وهو الا تقتصر المجلة على نشر الشعر القديم « صفحة شعر » فتزاملها أو تناوبها « صفحة نثر » ، ففي الأدب العربي القديم روائع من النثر لا يطلع عليها كثير من المتأدبين ، مثل رسائل الامام علي الى الأشتر ، وطاهر ابن الحسين الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الشام ومصر ، ومن الرسائل العربية رسالتا النفس الزكية محمد بن عبد الله العلوي الى أبي جعفر المنصور العباسي ، ومن قبلهما رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه خالد بن عبد الله القسري ، ومن هذه الرسائل ما يعد دستوراً من دساتير الاسلام .

السيد حسن قرود
حدائق شبرا / القاهرة

العربي

نشكر للأخ الكريم اقتراحه الجيد ، ونعده بأن يكون محل دراسة واهتمام من المسئولين بالمجلة ، واذا كنا قد اكتفينا بنشر هذا الجزء من رسالته فإن بقية الرسالة كانت موضع التقدير ، وندعوه الى أن يواصل متابعته الأمينة ، وملاحظاته الواعية ، وكتابته الجادة .

رسالة من قارىء يمني

الى شجرة القات

● لأول مرة أكتب اليك أيتها الشجرة اللعينة ، وفمي خال من أوراقك الخبيثة ، ولطالما كتبت لك وأنا تحت تأثير مفعولك ، وكنت أعيش في مملكة الأحلام أحدك ، أما الآن فأنا ألعنك . كم أنت مضرة ومخجلة للشعب اليمني ، وكم هي مخيفة جذورك التي تحرق التراب اليمني ، تاركة وراءها جهلاً ومرضاً وفقراً !

إنني أكرهك ولا أحبك ، لأنك تقتلعين شجرتنا المحبوبة « البن » بل تجاوزت الى أن تقتلعي جذور القمح والذرة وأشجار الرمان والعنب ، وسرقت

الكثير الكثير من مال ووقت الشعب اليمني ، لقاء سويعات قليلة من النشوة المليئة بأحلام اليقظة والذهول وعدم المبالاة ، بما يجري في أنحاء المعمورة .

واليوم يحاول أعداء الأمة العربية أن يحيكوا مؤامرة جديدة ضد العرب في المهجر ، وذلك بالسماح لك بالدخول الى أوروبا الغربية ، وخصوصاً بريطانيا ، لدفع المهاجرين العرب وخصوصا اليمنيين منهم الى دوامة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ولابعادهم عن موكب العلم والحضارة والمدنية .

يحق لي أيتها الشجرة الدخيلة (القات أصله من الحبشة) أن أطلب من أبناء بلدي عندما يعلنون دولة اليمن الواحدة ، أن يكون أول قرارات هذه الدولة هو تحريم القات واقتلاع أشجارها .

يحق لي أيتها الشجرة الخبيثة ، أن أشكر كل الدول العربية بعامة والخليجية بخاصة على أنها تحرم دخولك الى أراضيها ، وهي بذلك تقتلعك من خارج أسوار اليمن ، وبذلك تساعد اليمنيين على التخلص من هذه العادة القبيحة والمكلفة .

للمرة الثانية أنا أكرهك ، وفراقك لن يؤثر على حياتي يا وريقات الخيال المريض .

علي صالح علي

أبو ظبي ـ دولة الامارات المتحدة

العربي

ـ هذه الرسالة ضمن رسالة من القارىء يعلق فيها على موضوع « الفزع من القات في العاصمة البريطانية » وقد رأينا أن نكتفي بنشرها لأنها تنطوي على خلاصة تعليقه ، ولما فيها من نبرة صادقة وساخرة نأمل أن تصل الى القارىء . . . . وان كنا لم نفهم جيداً (الا في إطار السخرية) تعليقه طلب اقتلاع الشجرة من أبناء بلده عند قيام دولة اليمن الواحدة !

بلاد تتكلم السريانية

● كانت مجلة العربي ولا تزال تهتم بدقة المعلومات التي تقدمها للقارىء ، وبصفتي من المتابعين لمجلتكم الحريصين على صحة ودقة المعلومات الواردة بها ، يهمني أن أصحح معلومة وردت في العدد ٣٢١ في فقرة « حل مسابقة العدد ٣١٨ » ورقم السؤال (٥) وقد ورد فيه :

اسم البلدة السورية والوحيدة التي ما زالت تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وهي بلدة « معلولا » وأريد أن أشير الى أنه توجد قرى أخرى تتكلم هذه اللغة القديمة منها بلدة « جبعدين » وهي مجاورة « لمعلولا » وأكبر منها مساحة وسكاناً ، وبلدة « صرخة » وهذه القرى الثلاث تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وليست معلولا فقط ، وأنا أدعوكم لزيارة قرية « جبعدين » والتأكد من صحة هذه المعلومات ، وزيارة ما في القرية من آثار ، وهي تبعد عن العاصمة دمشق ٦٠كم شمالاً .

خالد بكر ـ دمشق / سوريا

تكريم كبار كتاب العربي

● كلنا نعرف أن لمجلة العربي تاريخاً قديماً حافلاً ، حاور ربع قرن في خدمة المسيرة القومية والمسيرة الثقافية ، والكل يعرف ما قدمه الأخوة العلماء والمفكرون والأدباء والشعراء الذين واكبوا المجلة في تاريخها الطويل من خدمات للأمة العربية ، في مجالات الثقافة والعلم والأدب .

أقترح عليكم أن تنشر المجلة لمحات عن تاريخ كل كاتب من كتابها القدامى ، وعن تطور علاقته بالمجلة ، وعن أهم كتبه ودراساته مثل الدكتور أحمد زكي ، والأستاذ أحمد بهاء الدين ، والأستاذ حسان حتحوت وغيرهم .

أليس في هذا نوع من التكريم لهؤلاء الكتاب يستحقونه بالإضافة الى ما فيه من فوائد للقراء ؟

ياسر عبد الوهاب جعيدة

دير الزور / سوريا

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم اقتراحه واهتمامه بتعريف الأجيال الجديدة بكتاب العربي الذين واكبوا مسيرتها ، ولعله يرى معنا أن في إصدار سلسلة كتاب العربي ما يحقق ما يهدف اليه اقتراحه □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٢٦
ينـــاير ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربى الثقافية » العدد ٣٢٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو مارس ١٩٨٦ .

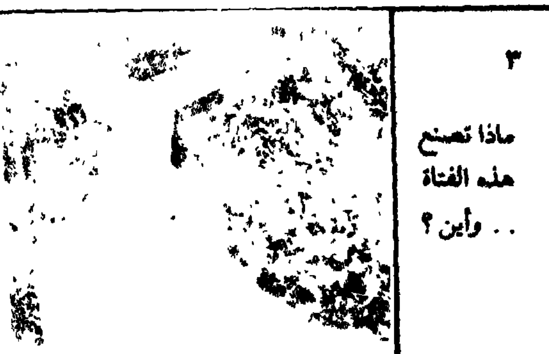
أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٢٦

١
فى أى المدن يوجد هذا المسجد ؟



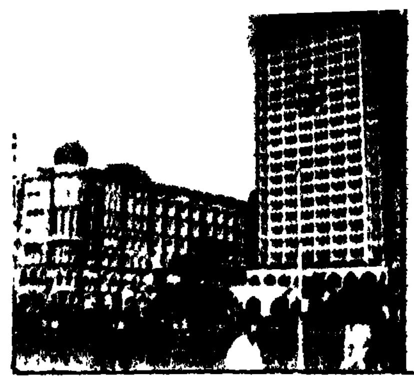
٢
تمثل الصورة زمانا ومكانا على وجه التحديد .. فهل تستطيع تحديدهما ؟



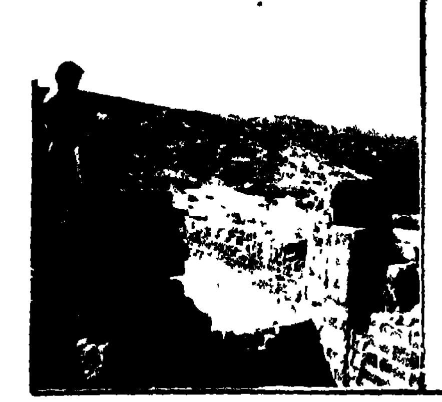
٣
ماذا تصنع هذه الفتاة .. وأين ؟



٤
هل هى طائرة تدريب أم طائرة قتالية .. وأين تصنع ؟



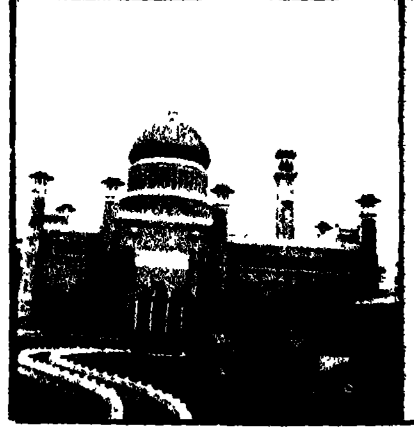
ن هذا
لمدن ؟



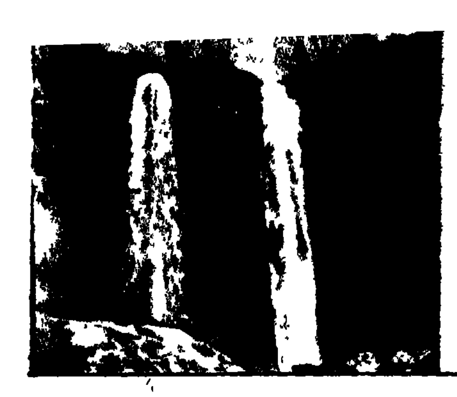
ايا وآثار
نحوه في
البعيد
صخور
ار ..
د هذا ؟



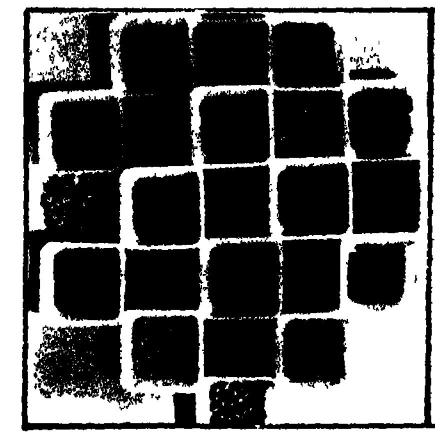
كبير يقع
دينة تالين
عاصمة
مهوريات
ر البلطيق
سوفياتية ؟
جمهورية
؟ .



ذا مسجد
لطان عمر
ف الدين
أين يقع ؟



٩
أين تقع هذه
الشلالات ؟
وما اسمها ؟



١٠
نماذج من المواد
الغذائية .. ما
اسم المركز الذى
تولى أمر هذه
النماذج ؟



١١
فلاح عربي
ولاريب ..
ولكن الى أى
الدول العربية
ينتمي ؟



١٢
حسناء .. في
ألبستها التقليدية
.. ترى ماهى
جنسيتها ؟

١ ـ مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . . انها اسماء بنت عميس (ت ٦٦٠م) وهي صحابية من تميم ، هاجرت الى الحبشة ـهجرتها الاولى ، وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب . وتزوجها أبوبكر الصديق بعد أن قتل زوجها الأول شهيدا ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب لما توفي أبوبكر

٢ ـ جزر ملفينا هي نفسها جزر فوكلاند . . فأهل الارجنتين وسواهم يسمونها ملفينا . . والانجليز وسواهم يسمونها فوكلاند . .

٣ ـ هنيبال (٢٤٧ ـ ١٨٢ ق . م) احتل أجزاء واسعة من ايطاليا ، وكان بحكم المستعمر لها طوال ١٣ عاماً . الا أنه لم يحتل روما بالذات ، وانما سعى الى احتلالها عن طريق محاصرتها . . لتفادى الخسائر .

٤ ـ النّهي جمع ومفرده النّهية من النهى . . وتعني غاية الشيء وآخره .

٥ ـ اميلين بانكهارست (١٨٥٨ ـ ١٩٢٨) هي زعيمة الحركة النسوية في بريطانيا . تلك الحركة التي تكللت بفوز المرأة الانكليزية بحق التصويت ، وقد بدأت بانكهارست حركتها هذه سنة ١٩٠٦ ، في نفس السنة التي ماتت فيها نظيرتها الامريكية سوزان انتوني

٦ ـ افريقيا هي موطن خراف المارينو الأصلي ، وقد نقلت استراليا هذه الخراف اليها وعملت على اقلمتها ، حتى انتشرت فيها انتشارا عظيما . . وتجدر الاشارة الى ان الاسم مارينو مأخوذ عن اللغة الاسبانية . فهو الاسم الذى أطلقه الاسبان على مراقبي مراعي الأغنام عندهم . ولعل اللفظ المذكور يردد أصداء أصوله العربية . . مرعى أو مراعي .

٧ ـ جزيرة فيليه Philae والاسم يوناني . . وهي غير جزيرة فيلة القريبة منها . . والتي لاعلاقة لها البتة بالمعابد ، معابد ايزيس التي انشئت على جزيرة فيلية سنة ٣٥٠ ق . م . .

٨ ـ اقترن اسم الاسمنت باسم بورتلاند ، نظرا للشبه الكبير من حيث اللون بين الاسمنت بعد جفافه ، وبين حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا . . ذلك ان مكتشف الاسمنت هو البناء البريطاني جوزف أسبن

٩ ـ الحروف : هـ . ق . غ ترمز الى الأرقام ٥ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ على التوالي .

١٠ ـ صناعة السكر تحتاج الى ٩ أطنان من الماء ، وصناعة سماد النترات الأزوتي تحتاج الى ٦٠٠ طن من الماء ، وذلك لانتاج طن واحد من كل منهما .

١١ ـ التسمية نسبة الى أنقرة عاصمة تركيا .

١٢ ـ الفخار هو الأقوى فهو طين مشوي بالنار . . بينما الصلصال طين غير مشوي بالنار . . انه طين يابس يصلّ من يبسه ، أي يحدث صوتا .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٣ اكتوبر ١٩٨٥

ئزة الاولى . محمد مصطفى السمري / الابراهيمية / الاسكندرية مصر .
ئزة الثانية · يوسف حسين حسن عبد الله / معهد تدريب المعلمين ـ السودان
ئزة الثالثة · امل سعيد محمد / الرياض ـ المملكة العربية السعودية

فائزون بالجوائز التشجيعية

- وليد سليمان السلوم / دمشق / مؤسسة معامل الدفاع ـ سوريا .
- زين العابدين اكريم / سوق البساط / الرباط ـ المغرب
- الهادي بن الطاهر بنبراهيم / آزمور نابل ـ الجمهورية التونسية
- نزار محمد عبد الواحد / الشركة السعودية الموحده للكهرباء في المنطقة الغربية / جدة ـ المملكة ربية السعودية .
- عبد القادر عثمان البنا / كريتر / عدن اليمن الديمقراطية .
- احمد بشار خالد بركات / دائرة القضاء الشرعي / ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
- يوسف عبد الله الشبعان / المحرق ـ دولة البحرين .
- عبد الله السلمي / كوتيل / منكدا / كيرال ـ الهند .

معركة بلا سلاح

□ بطولات عربية

أخيراً انتهت مباراة العصر بفوز جاري كاسباروف على بطل العالم السابق أناتولي كاربوف (١٣ - ١١) ليصبح أصغر بطل للعالم في تاريخ اللعبة .

يعتبر الأولمبياد السادس والعشرون للشطرنج المقام في مدينة سالونيك باليونان في الفترة ما بين ١٨ نوفمبر و ٥ ديسمبر من أضخم التجمعات الشطرنجية لعام ١٩٨٤ ، وقد بلغ عدد الدول المشتركة في هذا المهرجان الشطرنجي الكبير ٨٨ دولة منها عشر دول عربية والتي نذكرها حسب تسلسل نتائجها في المهرجان . الأمارات العربية المتحدة ، المغرب ، مصر ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، البحرين ، ليبيا ، الاردن ، وفلسطين .

ومن الابطال العرب الذين برزوا في هذا التجمع الشطرنجي الضخم اللاعب المصرى عاصم عبد الرازق عفيفي وهو يحتل المرتبة الثالثة بين اللاعبين المصريين بعد محمد عماد عبد النبي واسطوان سعد وكلاهما من مدينة طنطا ، غير انه تألق تألقا كبيرا في هذا الاولمبياد وَبَزّ جميع أقرانه من أبطال الكنانة ، وحاز على تصنيف دولي بتقدير ٢٣٥٠ نقطة والذى يؤهله لـلقب أستاذ اتحادى Fide master (٢٢٥٠ - ٢٣٥٠ نقطة) ، ويضعه على عتبة الترشيح للقب أستاذ دولي International Master (٢٣٥٠ - ٢٤٥٠) .

وقد لعب هذا البطل العربي على الرقعة الأولى في الاولمبياد المذكور وكان ترتيبه السابع بين ٨٨ بطلا من مشاهير أبطال الشطرنج في العالم . ومن الأدوار المميزة التي تألق فيها هذا اللاعب المصرى القدير الدور الذى فاز فيه على الاستاذ الدولي الكبير سوتلز من كندا (٢٤٢٥ نقطة) الذى ألف كتابا سديدا عن دفاع « بيرك Pirc » ومما يدعو للاعتزار بانتصار بطلنا العربي انه هزم اللاعب الكندى في هذه الافتتاحية بالذات والتي قضى سنوات طويلة في دراستها وتحليلها والكتابة عنها

والدور التالي من دفاع بيرك بين البطل المصرى عاصم عبد الرازق (أبيض) والبطل الكندي سوتلز (أسود) وهو أحد أدوار الجولة الثالثة عشرة

عاصم عبدالرازق (مصر)	سوتلز (كندا)
١ . د ٤	د ٦
٢ . هـ ٤	ر ٦
٣ . ح - جـ ٣	أ ٦
٤ . أ ٤	ف - ز ٧
٥ . ح - ٣ و	ح ٦ و
٦ . ف - هـ ٢	ب ٦
٧ . ت	ف - ب ٧
٨ . هـ ٥	ح (٦) - د ٧
٩ . هـ × د ٦	جـ × د ٦
١٠ . ف - ز ٥	حـ ٦
١١ . ف - هـ ٣	ت
١٢ . و - د ٢	م - حـ ٧
١٣ . د ٥	ح - و ٦

١٤ . حـ ٣	ح (١) - د ٧
١٥ . ر (و) - هـ ١	ر - جـ ٨
١٦ . ف - و ١	ر - جـ ٧
١٧ . ز ٣	و - أ ٨
١٨ . ف - ز ٢	ر (٨) - جـ ٨
١٩ . ر - أ ٣	ح × د ٥
٢٠ . ح × د ٥	ر × جـ ٢

الموقف بعد النقلة ٢٠

٢١ . و - د ١	ف × د ٥
٢٢ . ح - ز ٥ +	ح × ز ٥
٢٣ ف × د ٥	و - ب ٨
٢٤ . ف × و ٧	ح - هـ ٥
٢٥ ف - د ٥	ر × ب ٢
٢٦ . ف × ز ٥	ر (٨) - حـ ٢
٢٧ ر × هـ ٥	د × هـ ٥
٢٨ . و - ز ٤	و - و ٨
٢٩ . و - حـ ٤ +	يستسلم
(لو ٢٩ . .	ف - حـ ٦
٣٠ ر - و ٣	و - ز ٧

٣١ . ر - و ٧ مهددا الوزير ومن ثم كش مات في النقلة التالية)

حل المسألة رقم (٣٥)

١ ح - جـ ٣	٤ . ح - و ١
٢ . ح - هـ ٤	٥ . ح - ز ٣
٣ . ح - د ٢	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم

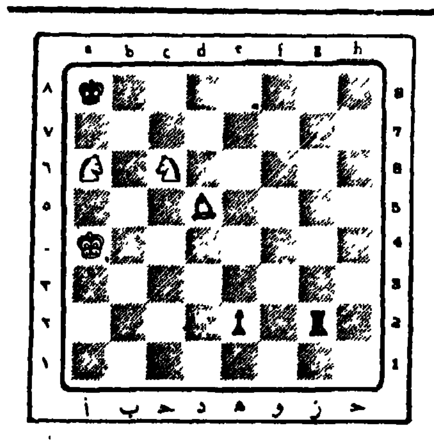
(٣٤)
اكتوبر ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - ايمان شاكر - الجيزة/ ج . م . ع
٢ - وانيس يعقوبيان - حلب/ سوريا
٣ - روز فرح - حولي/ الكويت
٤ - محمد ادريس - الخرطوم/ السودان
٥ - نبيل اسماعيل - عمان/ الاردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - سعيد عبدالله - الدواسر/ السعودية
٢ - عادل أمين - ابو ظبي/ الامارات
٣ - فهد الصغير - الجيزة/ ج . م . ع
٤ - عصام محمد - عدن/ اليمن
٥ - فكرية سليمان - سبها / ليبيا



مسابقة العدد
مسألة رقم (٣٧)

مات ٣
مهداة من القارىء
حسين الرفاعي



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير ١٩٨٦م



الغرب والعالم

"القسم الثاني"

تأليف : كافين رايلي
ترجمة : د. عبدالوهاب المسيري
د. هدى حجازي
مراجعة : د. فؤاد زكريا



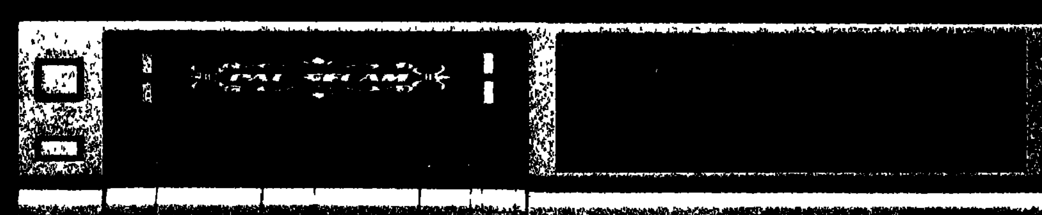
الكتاب السابع والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت


جمادى الأولى ١٤٠٦هـ - فبراير (شباط) ١٩٨٦
دستور
الكويت



الڤيديو السهل الإستعمال بلمسة واحدة



الصورة بالألوان. وعندما تحضرلنا امي الأطايب والمرطبات

SANYO سانيو

عزيزي القارئ

يبدو أنه كلما تنفس الوطن العربي الصعداء . وقلنا جميعا الحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه . وجدنا أنفسنا ـ نحن العرب ـ مرة أخرى نتردى في هوة سياسية عالمية أكثر سوءا ، لا يدرك كل أبعادها الا المتخصصون في فهم الشئون الدولية متعددة الأبعاد

ففي الوقت الدي ظهر فيه للأمة العربية أن هناك تقاربا وشيكا بين قطرين أو أكثر من أقطار العروبة ، وأن القضايا العربية الرئيسية بدأت تطرح على بساط النقاش الجاد ، من أجل الوصول بالأحوال الى تماسك ووفاق ، يقفان أمام الاعداء الدين يزدادون شراسة .

في هذا الجو تتصاعد التهديدات الموجهة من بعض القوى الى جزء أو آخر من أقطار الأمة العربية ، فيشتد الضيق بكل مخلص . ويتضاءل الأمل في جدوى أي لقاء او وفاق

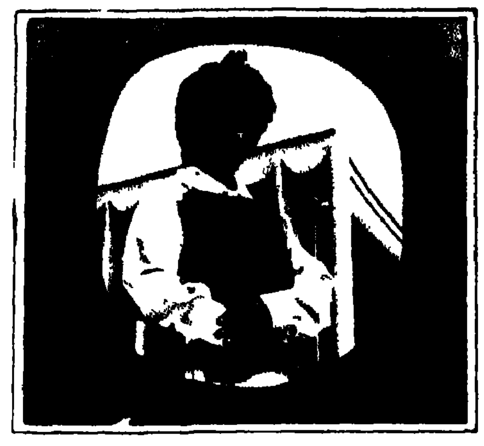
ويعود الشعب العربي ـ رغم الألم والكدر ـ حالما بمستقبل أفضل يظلل أبناءه هذا الأمل هو الذي نرجو أن نجسده في هذا العدد من « العربي » وهو عدد خاص . . نقدمه تحية وتهنئة للشعب العربي في الكويت . الذي رعى الثقافة العربية ومن بينها مجلة العربي ، وتعريفا بالكويت للقارىء العربي . وعرفانا من أسرة العربي لقادة الكويت وشعبها بهذه الرعاية

ونحن في « العربي » اذ ننتهز هده الفرصة ، وهي احتفال أهلنا هنا بعيدهم الوطني الخامس والعشرين ، نرجو من الله ان يسبغ نعمه على الكويت ، ويحفظ شعبها من كل مكروه ، ويسدد خطى قادتها لما يحبه ويرضاه . كما نرجو للأمة العربية أن تتحد وتتماسك على الخير والنماء والتحرير

ويسعدنا بهذه المناسبة ـ عزيزى القارىء ـ أن تجد بين صفحات هذا العدد من العربي باقة من الموضوعات العلمية والثقافية الشيقة ، التي نعتبرها جسرا للمعرفة من أجل التقدم .

المحرر

محتويات العدد



الديمقراطية هي التي تعطي لانطلاقة الحياة في الكويت الهدف والنظام والقدرة على التجدد (أقرأ ص ٢٢).

استطلاعات ومقابلات

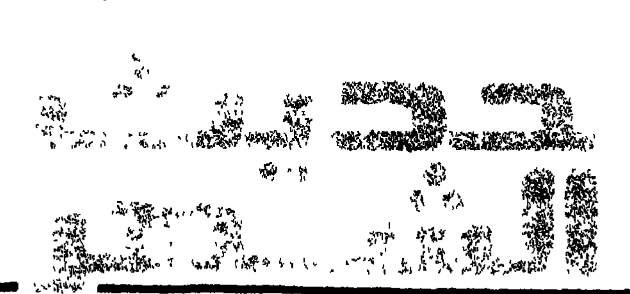
أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الكويت تستقبل هذا الشهر ذكرى عزيزة على قلوب أبنائها وقلوب العرب والمسلمين جميعا . . هي ذكرى مرور خمسة وعشرين عاما على استقلالها الناجز من تحت المظلة البريطانية ، وخروجها الى عالمها الرحب في الوطن العربي والاسلامي والعالم .

وإذا كانت سنوات الشعوب لا تعد ولا تقارن بأعوام الانسان ، فان ربع قرن من الاستقلال لا يبدو للوهلة الاولى انه زمن يمكن ان يتحقق فيه الكثير على طريق التنمية والتقدم . ولكن الشعب الكويتي تقدم في هذه السنوات القصار بخطوات واسعة . وعندما تذكر الكويت للناس - عربا أو غير عرب - فغالبا ما يتبادر الى ذهنهم « النفط » ، ولكن لمن يعرفون الكويت فإنهم يدركون ان سر تطورها لا يكمن في النفط فقط - وان كان عاملا مهما في قدرة التطور - الا ان رغبة التطور والنماء واندفاع عزيمة أهل الكويت حكاما وشعبا الى تحقيقها كل ذلك قد وصل بالكويت الى ما صارت اليه الان .

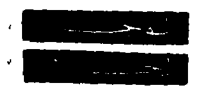
فمن السهل ان تبرز تجربة الكويت الانمائية من خلال ارقام الميزانيات المرصودة ، ومن السهل ان تظهر هذه الانجازات بوضوح عندما نحصي أعداد المساكن

وكيلومترات الطرق المرصوفة . ولكن كل ذلك على أهميته لا يعدو ان يكون منشآت مادية من السهل انجازها ولا ينبغى أن يكون مدعاة لافتخار ، اذا تم فى عزلة عن تطور الانسان ونمائه ، أو تحقق بأسلوب عشوائى تلقائى بعيد عن مشاركة الشعب من جهة وتفهم الحكم من جهة أخرى .

لذلك عندما ننظر الى الكويت اليوم ـ البقعة الصغيرة من الارض فى الركن الشمالى الغربى من جزيرة العرب ـ نلمس فيها أول ما نلمس التحام الشعب وحكامه فى أسرة واحدة ، تستظل بدستور حديث ، ليس نصوصا جامدة ، ولكنه واقع معايش ، انها المشاركة الشعبية من مجلس الأمة الذى جاء اعضاؤه من خلال تجربة ديمقراطية ناصعة تميزت بوعى الناخب ونضج النواب ، ومن خلال الصحافة المتطورة القادرة على ممارسة وظيفتها فى صدق ونزاهة فى ظل الانحسار الشديد الذى اجتاح كل مواطن عربى من الخليج الى المحيط ، وفى غمرة عزوف الانسان العربى بشكل عام عن الاسهام الايجابى فى كثير من احداث الامة المصيرية التى مرت وتمر على الوطن العربى ، فى ظل هذاالجو يتعاظم الحديث عن الديمقراطية فى كل مكان حتى يصبح التشبث بها ضربا من المعاناة والمخاطرة ، ولكن الشعب العربى فى الكويت يتمتع بها ، رغم الانواء والاعاصير التى تعصف بمنطقتنا العربية من كل حدب وصوب .

الاصرار من الحاكم والمحكوم على السواء فى توجيه السفينة الكويتية وقيادتها عن طريق المشاركة ، فى هذا الجو العربى والعالمى الملبد بالغيوم ، هذا الاصرار يعنى شيئين لاثالث لهما ، الايمان المطلق بحكمة القيادة السياسية وبعد نظرها وقدرة الشعب عن طريق ممثليه فى الحفاظ على هذه السفينة والمضى بها الى وجهتها الآمنة الغانمة .

هذا فى نظرى أبرز ما يميز توجه الكويت اليوم وأهلنا هنا يحتفلون بحبور وتفاؤل ، بمناسبة مضى ربع قرن من الزمان على استقلالهم ، بعد ان امتلكوا زمام وطنهم وظفروا باستقلال سواعدهم وارادتهم وانطلقت طاقاتهم فى ادارة دفته ، وتمكين حريته ، وتحقيق نمائه وازدهاره .



☐ اذا كان أهل السياسة المحدثون يقولون لنا فى شبه مسلمة منطقية : انه كلما تعمقت المشاركة فى الداخل استقل القرار الخارجى ، وبَعُدَ عن التبعية ، فان حالة الكويت تعتبر أصدق برهان لاثبات هذه المقولة والتدليل عليها ، فمن أبرز معالم السياسة الكويتية ـ بعد المشاركة والعمل البرلمانى ـ ما تتمتع به مواقفها الخارجية من استقلالية فى المجال الدولى ، فلقد رفعت شعار « العلاقات المتوازنه بين الشرق والغرب » وطبقته فأحسنت تطبيقه ، وأصبحت أول دولة فى الخليج العربى تتمتع بتوازن منطقى وعقلانى فى علاقتها بين الشرق والغرب ، فكانت الكويت من أوائل البلدان فى الجزيرة العربية التى تقيم علاقة مع الاتحاد السوفيتى ، الأمر الذى حفز بعض الأقطار الأخرى فى أوقات لاحقة ان تحذو حذوها وتتبع مسيرتها .

واذا كان من الانصاف أن ينسب الفضل الى أهله فانه عندما نتحدث عن السياسة الخارجية فلا بد ان نعطى لكل ذى حق حقه ، فنذكر مهندس السياسة الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر والذى يعد اليوم ـ بعد اعتلاء جروميكو سدة

الرئاسة فى الاتحاد السوفيتى ـ أقدم وزير خارجية فى العالم ، فقد أدى دورا مميزا فى التقارب والتقريب بين اطراف عربية أو غير عربية فى العالم الثالث عندما اشتدت الخطوب وتأزمت المشكلات ، فكثيرة هى تلك الوساطات الناجحة التى انجزها أبو الدبلوماسية الكويتية بين أطراف متنافرة ـ وفى بعض الأوقات متحاربه ـ للتقريب بين وجهات النظر ، أو على الأقل للتخفيف من حدة التوتر ، حتى أن يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة قال عنه مرة :

(صديقى واخى الشيخ صباح الأحمد كان دائما معينا لا يقدر بثمن فى كل مرة نواجه فيها مشكلة مستعصية خلال السنوات الطويلة التى عملت فيها فى الامم المتحدة ، فقد أثبت انه رجل دولة يحق للعالم العربى والعالم الثالث ان يفخر به) .

لقد توسطت الكويت أكثر من مرة لرأب الصدع بين الشقيقات العربيات ، يدفعها حرصها على الأرواح الغالية أن تزهق ، وعلى الأموال العربية أن تهدر ، وعلى الجهود المضنية ان تضيع وتتبدد ، وقد تجلى كل ذلك باتجاه قضية العرب الاولى وهى « فلسطين المحتلة » التى كانت دائما تحظى باهتمام السياسة الداخلية الكويتية وكذلك الخارجية .

لقد قال عنها الشيخ صباح الاحمد فى احدى خطبه على منبر الامم المتحدة ·

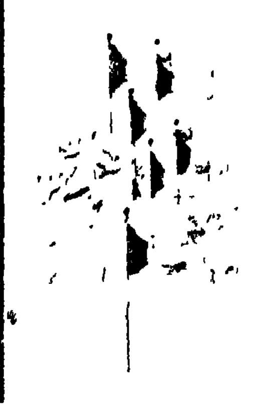
(انه من الواضح للعالم ان قضية فلسطين هى المفتاح لقضية الشرق الاوسط واساس الصراع العربى الاسرائيلى ، فلن يكون هناك سلم أو حل أو أمن فى هذا الاقليم حتى يحصل الشعب الفلسطينى على حقوقه ويحقق مطلبه فى دولة مستقلة) .

وفى ست السنوات الأخيرة أصبح هناك هاجس آخر للسياسة الكويتية الخارجية ، وهوالحرب العراقية الايرانية التى ترجو لها الدبلوماسية الكويتية والشعب الكويتى ، نهاية عادلة بين الجارتين المسلمتين .

السياسة الخارجية الكويتية هى ـ كما قلنا ـ الوجه الآخر من المشاركة الداخلية ، وهى مستقلة القرار والتوجه شأنها شأن القرار السياسى الداخلى ، لا سلطان عليها من أية قوة أوفئة غير مصلحة الكويت العليا ومصلحة الشعب الكويتى العربى المسلم .

ولا غرو ان نجد هذه السياسة مؤيدة من جميع الأطراف مهما اختلفت اجتهاداتها فى امور داخلية محلية ، الا اننا فى السياسة الخارجية نجد الكويتيين جميعا على قلب رجل واحد متفقين ومؤيدين للسياسة المستقلة المحايدة التى تنتهجها جماهيرهم وقيادتهم .

ولعل من نافلة القول ان الكويت فى دعمها لهذا التوجه فى السياسة الخارجية تسعى دائما لخلق أفضل مناخ لتقارب العرب ووحدة كلمتهم ، وامتدادا لهذا الموقف البناء كان اسهامها فى قيام مجلس التعاون الخليجى الذى يضم بجانب الكويت خمسة اقطار عربية شقيقة فى الجزيرة العربية هى المملكة العربية السعودية ، عمان ، الامارات ، قطر ، والبحرين ، ولقد كشفت روح البيان التأسيسى الصادر عن اجتماع القمة فى ابو ظبى عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٥ مايو ١٩٨١ ، ان المجلس يشكل مرحلة فى مسيرة العمل العربى ، يكمله ويؤازره وينخرط فى سلكه

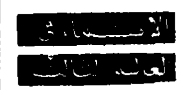




مع حلقاته الأخرى التى نرجو لها ان تتواصل وتتكامل ، ولقد شُدد على هذه النقطة فى تصريحات رسمية لاحقة ، كما أن العمل الميدانى أثبتها دون ان يشوبها أدنى شك ، فقد كانت القضايا العربية من القضايا الاساسية التى تطرح على اجتماعات القمة فى مجلس التعاون الخليجى الذى اريد له ان يكون درعاً فى الجناح الشرقى للامه العربية

مجمل هذه السياسات الخارجية المستقلة للكويت ، عادة ماتصدم بمصالح اخرى تريد ان تخضع المنطقة العربية فى الخليج لسيطرتها واستغلالها ، ولعل فى موقف الولايات المتحدة من بعض القضايا مؤشرا مهما على استقلال القرار السياسى الكويتى الخارجى وعدم خضوعه لأى نمط من الضغوط

وهذه الحقيقة مدعاة لاعتزاز أهل الكويت وافتخارهم



□ ولعل من ضمن ماتفخر به الكويت بعد التنظيم السياسى الداخلى القائم على الشورى المؤسسية ، والسياسة الخارجية المتوازنة ، قضية أخرى هى رائدة فيها وإن قل الحديث عنها وتوارى تحت أثواب التواضع الأصيل ، تلك هى سياسة الدعم المالى للعالم النامى ، فلقد قدمت الكويت من خلال الصندوق الكويتى للتنمية ـ الذى برز الى الوجود مواكبا للاستقلال ١٩٦٢ ـ دعما ماليا لدول فى العالم الثالث تفوق نسبة الـ ٠,٧٪ من الدخل السنوى الذى وضعته وحدّدته الأمم المتحدة ولجنة برانت الدولية كحد معقول للمساعدات الخارجية ، وكانت رائدة فى قيام هذا الصندوق التنموى الذى ما لبث ان أصبح نموذجا وقدوة فى أثره ونفعه ، واقتفت اثره صناديق عربية مماثلة حينما اقيمت بعده .

هدف الصندوق الكويتى هو « مساعدة الدول النامية لتطوير اقتصادها ولتقديم مساعدات مالية وتقنية لتنفيذ مشاريعها » .

ومن ٥٠ مليون دينار كويتي كانت رأس مال للصندوق في بداية الستينيات واصل مسيرته المظفرة حتى أصبح ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي في بداية الثمانينيات. ولقد طبقت الكويت سياسات العون الاقتصادي والتنموي كقروض أو مساعدات الى دول في العالم الثالث قبل سنوات طويلة من مسيرة ظهور مبدأ تعاون « الجنوب مع الجنوب »

لقد كان الاحساس العميق بالمصير العربي المشترك هو الركيزة التي بنى عليها الصندوق الكويتي للتنمية حتى يوليو سنة ١٩٧٤ التزامه بتعاون عربي/عربي ، وبعد ذلك الوقت توسع عمل الصندوق ليصل الى افريقيا وامريكا اللاتينية وآسيا

وحتى عام ١٩٨٤ وبعد أكثر من عشرين سنة من انشاء الصندوق بلغت قيمة القروض حوالي ١٢١٤,٢٢٨ مليون دينار كويتي لتمويل ٢٥٧ مشروعا مقسمة كالتالي : ١٣٣ مشروعا في البلاد العربية ، و ٦٥ مشروعا في افريقيا ، و ٥٤ مشروعا في آسيا ، وخمسة مشروعات في دول اخرى متفرقة ، بالاضافه الى حوالي ١٢ مليون دينار كويتي مساعدات إلى ٢٩ دولة أو مؤسسة تابعة للامم المتحدة .

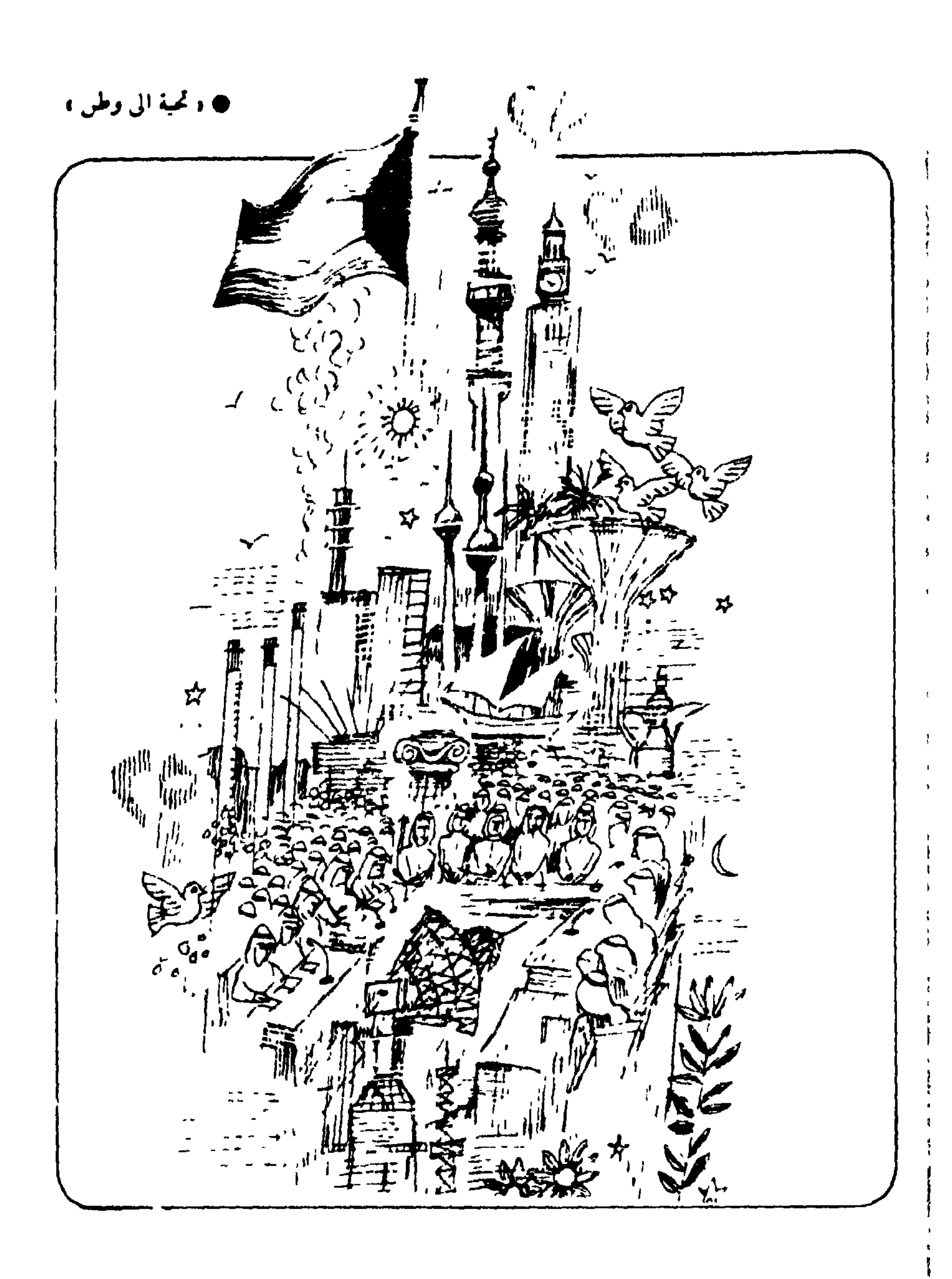
□ من خلال عمل الصندوق الكويتي - وتقديم الكويت للقروض والمساعدات - فان اهميتها الكبرى لا تكمن فقط في الحجم المالي لهذه القروض والمساعدات ، ولكن تبرز هذه الاهمية في طبيعتها وروحها ، ففي معظم الأحوال نرى مايقدم من قروض ومساعدات من الدول الغربية الصناعية لدول في العالم الثالث قد ارتد اليها لشراء بضائع أو خدمات من تلك الدولة المقرضة ، الا ان القروض والمساعدات الكويتية لاتستهدف الترويج لصادراتها كما تستهدف قروض العالم الصناعي ، فالقروض الكويتية في حقيقة الامر تؤدي دورين مزدوجين ، الاول مساعدة الدوله النامية ، والآخر هو الترويج للدول الصناعية التي تبيع البضائع والخدمات لبرامج التنمية أو المشروعات .

وهذه القروض التي تقدمها الكويت وجدولتها ملفتة للنظر ، فهي بحد أدنى من الفائدة وتدخل في حسابها مستوى معيشة الدوله المقدم اليها القرض ، فتتراوح بين ٠,٥٪ الى ٥,٥٪ مع فترة سماح تتراوح بين عامين واحد عشر عاما .

وفوق ذلك كله فان التمويل يهتم بدرجة عالية بالمشروعات ذات الأثر الاجتماعي مثل تطوير القطاعات الزراعية والمناطق المحرومه من العناية التمويلية ، وتمكين القطاعات الاجتماعية الشديدة الحاجة من مصادر العيش الكريم .

بجانب المساعدات والقروض من الصندوق الكويتي للتنمية تهتم الكويت باستخدام جزء من دخولها النفطية للاسهام في مؤسسات مالية ذات طابع اقتصادي اجتماعي مثل الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والبنك العربي الافريقي للتنمية ، وصندوق التنمية الزراعي ، وصندوق الأوبك .

بيت القصيد في كل ذلك أن هناك سياسة واضحة المعالم موجهة الى التنمية الشاملة في اطار التعاون المالي والاقتصادي الذي تريد له الكويت أن يشمل الناس عربا



أو افارقة أو آسيويين فى العالم الثالث من أجل تطوير اوضاعهم المعيشية والانتاجية . .
وذاك مدخل مهم نبيل الهدف يكمل تلك الهالة المشرقة المتمثلة فى سياسة الكويت الداخلية الرشيدة والخارجية المتوازنة .

□ وأهل الكويت يحتفلون بعيد استقلالهم الخامس والعشرين ينظرون بأمل الى المستقبل ، فربع القرن الماضى كان للنفط ، وارض الكويت ـ بشىء من المجاز ـ تطفو على بحيرة من النفط الا أن سياساتها فى التنمية تهتم بالانسان ، فهو لديها هدف التنمية ووسيلتها فى آن واحد .

انتاج النفط وأسعاره العالمية يتجهان الى الهبوط ، وكانت الكويت من المبادرين فى معركة الاستقلال النفطية فى الفترة بين منتصف الستينيات ، ومنتصف السبعينيات

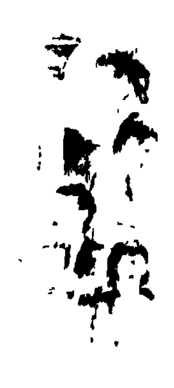
عندما أحكمت قبضتها فى ذلك الوقت على انتاج النفط وتصديره ، الا ان الفائدة العظمى من كل ذلك ان الكويت قد انصرف - ومنذ زمن - الى الاستثمار المالى فى القطاعات الاجتماعية خصوصا فى قطاعات التعليم والخدمات الصحية والاسكان ، كما تبنى نظاما متطورا فى الضمان الاجتماعى يكفل لأجيال المتقاعدين مزيدا من الارتياح والاكتفاء .

عقل الانسان وصحته وأمنه من الحقوق الأنسانية التى أضافها الفكر الحديث على حقوق الانسان المدنية والسياسية . هذه الحقوق الاجتماعية التى أصبحت مألوفة فى الممارسات اليومية على هذه البقعة من الارض اكتسبت رسوخها من دخل النفط وارتبطت به ، تلك حقيقة ثابتة ولكنها احتاجت ايضا فى الوقت نفسه الى قلوب بشرية تنبض بالمعانى الانسانية ، وقادة سياسيين يحسنون التفكير والتدبير كى تتحول من حلم متخيل الى واقع معايش .

فالتعليم من الحضانة الى الجامعة وما بعدها حق للراغب والقادر غير منازع فيه ، والخدمة الصحية واجب يؤدى للمواطن والمقيم ، واذا كانت هناك - كما قلنا - علاقة موجبة بين السياسات الداخلية الراشدة وبين السياسات الخارجية المتوازنه ، فهناك ايضا علاقات موجبة بين الدخل وبين مستوى الاستثمار فى العنصر البشرى ، ومن هنا فأن زيادة الاستثمار فى العنصر البشرى يعنى ايضا زيادة فى الدخل القومى ، ويعنى فوق ذلك شعبا حضاريا مسهما بتفتحه وطاقته فى التطور الناضج على المستويين الاقليمى والقومى .

وعلى الرغم من الانجاز الكبير الذى تحقق فى التعليم والتدريب فى كويت مابعد الاستقلال فان القطاعات المهتمة بالتطور الاجتماعى الشامل تقف اليوم على مشارف ربع قرن آخر مستضيئة بنظرة نقدية واضحة هادفة الى تخطيط مستقبلى لمسار التعليم ومخرجاته سواء كان العام أو العالى أو المهنى .

والشعب الحى المتطلع الى التقدم ينظر أول ما ينظر فى نظامه التعليمى ، فالعنصر البشرى هو أغلى أداة من أدوات التنمية وأهمها ، منذ اوائل الخمسينيات استطاعت الدوله ان تدفع بقوة عجلة التعليم ، وفى نهاية عقد الستينيات تمكنت الدوله من وضع كل قطاع التعليم تحت اشرافها ، وكان قد تقرر فى عام ١٩٦٧ ان تكون المراحل الثلاث فى التعليم اجبارية ، وافتتحت فى الوقت نفسه جامعة الكويت التى بدأت بعدد متواضع من الاساتذة والطلبة ،واليوم عدد الطلبة والطالبات فيها ثمانية عشر الف طالب وطالبة ، بينما بلغ عدد المدارس فى المراحل التعليمية المختلفة ٦٥١ مدرسة بها من الطلبة والطالبات اكثر من ٣٦١ ألفا ، كما بلغ عدد المدرسين والمدرسات اكثر من ٢٥ الف مدرس ومدرسة ، ولم يحرم غير القادرين صحيا من التعليم فأصبح للمعاقين مدارسهم الخاصة ، وأصبح مركز تعليم الصم والبكم فى الكويت مكانا لتعليم المحرومين من هذه النعمة ليس من ابناء الكويت وحدها ولكن من جاراتها العربيات ،

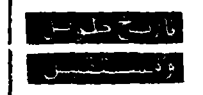


وأصبحت هذه المعاهد بجانب ذلك مركزا لتطوير رموز عربية للتخاطب بين المعاقين فى هذا المجال ، الأمر الذى لفت نظر اليونسكو فطلبت تفاصيل عنه لتعميمه على المدارس المماثلة فى الوطن العربى .

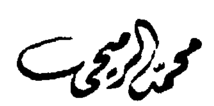
فان كانت الديمقراطية فى القطاع السياسى تعنى انتخابات دورية ومجلس أمة ، فان ديمقراطية التعليم فى الكويت تأخذ مسارا أوسع ، فديمقراطية التعليم تعنى عدم حرمان أى شخص قادر وراغب فى التعليم دون نظر الى وضعه المالى أو حق جنسيته ، الى درجة ان الدولة تقوم ببذل الاعانات للمدارس الخاصة التى أتيح للجماعات الأجنبية ان تفتحها لتعليم ابنائها

ولعل قطاعا اجتماعيا آخر شهد تطورا واضح المعالم هو وضع المرأة وتطورها ، ففى خلال عقود قليلة من الزمن احتلت المرأة وضعا حضاريا فى الكويت اصبح من مكتسبات هذا الجيل ، واليوم قد أخذت المرأة فى الكويت مكانها على مقاعد التعليم وفى مجالات الخدمات والانتاج ، وفى معامل البحوث ومراكز الصحة ، والمؤسسات النسوية الاهلية

وتتجلى مظاهر « دولة الرعاية » اكثر عندما نقترب من الخدمات الصحية التى تأخذ الشريحة الثانية من الانفاق فى الميزانية العامة بعد التعليم على مدى فترة طويلة ، وهناك فى المتوسط سرير لكل ٣٠٥ نفس فى الكويت ، وطبيب لكل ٥٩٠ شخص وقد وصل عدد الاطباء الى ٣٠٠٠ طبيب وطبيبة منهم ٦٠٠ كويتى وكويتية ، كمابلغ عدد المستشفيات والمصحات ٢٣ مستشفى ومصحا كما بلغ عدد المستوصفات والمراكز الصحية ٧٨٢ مستوصفا ومركزا صحيا ويبلغ عدد الأسرة ٥٤٧٩ سريرا
وكل ذلك يضاهى فى نسبته اكثر دول العالم تقدما وازدهارا .



☐ اذا كانت الكويت فى الخمس والعشرين سنة الماضية قد جالت بجرأة وشجاعة فى غمار بحار لم تألفها قط ، واستطاعت سياستها الخارجية والاجتماعية والاقتصادية أن تصل بها الى بر الأمان ، فان من حقها ان تنظر ـ كجزء من الوطن العربى ـ الى المستقبل نظرة ثقة وتفاؤل ، فالمئتان الاخيرتان من سنوات تاريخ الكويت برهنت على أن عزيمة الرجال وحكمتهم هى ما يُعوّل عليه فى بناء الاوطان والحفاظ عليها ، والانسان العربى فى الكويت الذى وسعه ان يُكوِّن مجتمعا مفتوحا ، وتنامى ديمقراطيا ، لا يعزعليه ان يتخطى صعاب الحاضر بحكمته وصلابة ارادته ، وان يواصل ابحاره الى آفاق أوسع وأرحب . ☐



كويت الكلمة الطيبة



بقلم :
عبد الرحمن سالم العتيقي *

« ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء »
قرآن كريم

ظننت وأنا أبدأ الكتابة في موضوع كان من صلب عملي ، أن الأمر في غاية السهولة ، وأن الموضوع محدود بزمان وبوقائع ، وعندما أمعنت النظر اتسعت الصورة ، وتشعبت الأفكار ، حتى بدأت أشعر بالتيه ، من أين أبدأ وكيف ؟

لقد انتهى عصر الأحلام الذهبي ، انتهت أيام المدرسة ونشيدها

بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن
الى مصر فتطوان

جاء دور العمل والشقاء من أجل لقمة العيش ، والكويت بلد فقير في موارده ، الا من ايمان أهله بالله مقسم الأرزاق ، وايمانهم بالجد والعمل المتواصل ، والمغامرة بكافة أشكالها وصورها وهكذا عرفوا الله فلم ينسهم ، ووعوا سنة الحياة وهي العمل ، فحفظ الله لهم بلدهم . وما أن مرت سنوات الحرب مُرَّةً ثقيلة ، حتى بدأ أهل الكويت يتحسسون موضع

* الكاتب مستشار سمو أمير دولة الكويت له خبرة كبيرة في الشؤون المالية والاقتصادية ، شغل عدة مناصب رفيعة في الكويت ، كان وزيرا للمالية والنفط بين ١٩٦٧ الى ١٩٧٤ ، ثم وزيرا للمالية بين ١٩٧٤ و ١٩٨١

أقدامهم على اليابسة ، ويتذوقون حلاوة الشمس بعيدا عن السمن وأمواج البحر

بعد الحرب ، والناس لا تزال مشاعرهم حية نابضة بالحب والوطنية ، بدأ العمل لاستخراج الذهب الأسود ، وبدأ الخير يتدفق برفق فترة ، ثم ينهمر بحرارة ، والأرض عطشى للعمران ، والأهل عطاش للاستقرار والتعلم ، وبناء حياة جديدة

ولكن النسمة انطفأت ودبلت وهي في بدايتها ، لم لا ؟ والعدو طغى في بلادنا وغيرها من أرض الله ، لم يترك أرضا الا وسمّمها وهو يبتعد عنها،فهذه مأساة فلسطين ٤٨ وبعدها حرب السويس ٥٦ ثم مأساة الكويت وجارتها العراق ٦١ ، وحرب العرب مع اسرائيل ٦٧ ثم عام العبور ٧٣ وما تلاه من نكسات

كلها ماس جعلت المسئول في هذه البلاد يعيش في دوامة وحيرة تخرج الحليم من حلمه (وكما يقول المثل البدوي حاك الديب وجاك وليده)

هناك مسئوليات داخليه كبيرة بناء انسان وأرض ، ومسئوليات خارجية نحو الأشقاء في كفاحهم ، ومسئوليات دولية كعضو في هذا المجتمع الدولي ، للحفاظ على حقوق البلاد وسيادتها ، ومد يد العون في حدود الامكان للمكويين أمثالنا اذن لم تكن الأمور والحالة هذه بالشيء السهل ، بل كانت فترة بركانية ان صح فيها التعبير ، فترة مرت فيها حروب ، وتحديات وصراع مع شركات نفط ، وتهالك دولي على تدوير الفوائض البترولية ، وبحث حاد عن مجالات استثمار جيدة لحفظ هذه الفوائض

الوطن العربي يمر في فترة حرجة ، تمزق في العلاقات أوجده الاستعمار ، وشك وريبة في القريب ، وانفتاح مع كل غريب ، وقوانين وضعية صيغت على مدى حقب متعددة من الزمن تبعد كل عربي عن أخيه ، وتجعل تحرك العربي في بلاد العرب ضربا من الخيال ، فمثلا بين كل بلد عربي والآخر ستار حديدي (على حين أنه لا حاجة بالعربي الى تأشيرة دخول لبريطانيا وايطاليا ودول أخرى) أما قوانين الاستثمار وقيوده وتحويل العملة فتفقد العامل عقله ، حتى تجعل الباحث عن تعاون عربي يكفر بالساعة التي فكر بها في تعاون كهذا ، ويندم على الجهد والوقت المهدور .

العمل في الحقل العربي :

في ظل هذه الظروف الصعبة المأساوية ، شاء الله سبحانه أن يكون لي دور بسيط عابر في الحقل العربي ومن خلال عملي كوزير للمالية والنفط ٦٧ - ٧٤ ووزير للمالية ٧٤ - ٨١ وجدت أن العمل في الحقل العربي ، يأتي من ناحيتين

١ - ثنائي

٢ - جماعي من خلال الجامعة العربية ومنظماتها

لقد كان للكويت نادره نادرة فريدة من نوعها ، نبعت من الذات الخيرة للمسئولين فيها ، وهي انشاء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية سنة ٦٢ ، لينم عن حس قومي وأصالة وتسارعت زياده رأسماله ليعم غير العرب دون تمييز عنصري أو سياسي

وهذا في ذاته حدث هام في أسلوب علاقات الكويت العربية والدولية ، أكسبها كبير اهتمام وتقدير في المحافل الدولية

ثم تلت ذلك نادرة طيبة أخرى حيث بادرت الكويت بعد حرب ٦٧ بطرح مشروع الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية العربية ، برأسمال قدره مائة مليون دولار ، تقدم ثلث راسماله واذا بلغ رأس المال المكتتب به ٥٢٪ يعتبر قائما ، وذلك لجمع العرب في عمل مسئول يشد بعضهم الى بعض ولكن - بعد جهد جهيد ودفع متواصل - تأخر قيام هذا الصندوق حتى عام ١٩٧٤ وها هو اليوم يؤدي دوره الخلاق ، والكويت خلفه تدفعه وتؤازره

عندما خضعت التجربة العربية من خلال المجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوحده الاقتصاديه العربية ، فوجئت بأن جداول الأعمال متضخمة بما نقل اليها من مواد كانت معلقة لسنين خلت ، ولم يبت في شيء منها ، خصوصا في حقل التعاون الاقتصادي الجماعي آمال كبيرة ، وطموحات كثيرة ، وارادة معطلة ، وتفاوت في تقدير واحترام الأشقاء بعضهم لبعض ، وتضارب عجيب في الفكر السياسي وأسلوب العمل الاقتصادي

وازاء هذه الظروف المعقدة ، لم يكن هناك من سبيل للعمل - والوقت يمر سريعا - الا أن تضع

الكويت ثقلها عام ٧٤ لقيام شركات عربية مختلطة حفل بها جدول أعمال المجلس الاقتصادي والاجتماعي منذ قيامه ، وذلك بعد أن زادت ايرادات النفط زيادة ملحوظة

قلت وقتها في المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي اجتمع في هلتون القاهرة في منتصف ٧٤ : اننا أمام مطر صيف سيذهب الى البحر قبل أن ترتوي منه الأرض ، ما لم نبادر ونسرعه الى قيام شركات عربيه مختلطة وباتفاقيات خاصه ، لأن العالم لن يترك هذه الثروة لنا ، وسوف نقيم هذه الشركات من خلال مجلس الوحدة الاقتصادية ونترك الباب مفتوحا لغير الأعضاء في مجلس الوحده للمشاركة فيها ، لأن الأمر يتعلق بالتكامل العربي والتعاون المشترك بصورة عامة ، أكثر مما هو تعاون بين كتل ومجموعات

وهكذا توفرت العزيمه وقامت أربع شركات هي

١ ـ الشركه العربية للتعدين (رأس مالها ١٢٠ مليون دينار كويتي ، تأسست بقرار مجلس الوحده الاقتصاديه رقم ٦١١ بتاريخ ٧٤/٦/١٠ ، ومقرها عمان المملكه الاردنيه الهاشمية وبدأت أعمالها عام ٧٦

٢ ـ الشركة العربيه لتنميه الثروة الحيوانيه تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصاديه رقم ٦١١ ٧٤/٦/١٠ ، وقامت بتاريخ ٧٥/٨/١٥ ، برأسمال ٦٠ مليون دينار كويتي ومقرها دمشق ، وبدأت نشاطها عام ٧٧

٣ ـ الشركة العربية للصناعات الدوائية والمستلزمات الطبية

تأسست بقرار مجلس الوحدة الاقتصاديه رقم ٦٩٨ ، بتاريخ ٧٥/٦/٤ ، وقامت بتاريخ ٧٦/٣/٦ ، ورأسمالها ٦٠ مليون دينار كويتي ومقرها مدينه عمان بالمملكه الاردنية الهاشمية

٤ ـ الشركه العربيه للاستثمارات الصناعيه تأسست بقرار مجلس الوحده الاقتصاديه رقم ٧٤٤ ، بتاريخ ٧٦/٦/٧ ، وقامت بتاريخ ٧٨/١١/٢٢ ، ورأسمالها ١٥٠ مليون دينار عراقي ومقرها بغداد

وتتمتع هذه الشركات باستقلاليه كاملة ، وتدار من قبل جمعياتها العموميه ومجالس ادارتها ، وتمارس نشاطاتها وفقا للأسس التجاريه

ولك أيها القارىء أن تدرك مدى تأثير المشروع العربي المشترك في خلق التشابك الاقتصادي بين الافكار العربية ، وما يترتب على ذلك من انشاء قاعدة للتكامل الاقتصادي العربي

ولنا أمل كبير على المدى البعيد أن يبرز هذا الدور العظيم الذي تلعبه هذه الشركات ، رغم المعوقات والمتاعب التي تواجهها

وفي اعتقادي أن خير من يفهم هذا الدور الذي لم يلمسه المواطن العربي بعد ، ولم تظهر نتائجه بشكل واضح فعلي ، هو مجلس الوحدة الاقتصادية

التلاحم العربي

كان أمامي جعل الاتفاقيه الاقتصادية التي وقعت مع مصر عام ٦٤ واقعا حيا فلم نوفق في ذلك حتى دب اليأس من تحقيقها ثم بذلنا جهودا مضنيه لنحصل ما تم الاتفاق عليه بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢ ، بين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح ، والدكتور عبد العزيز حجازي رئيس وزراء جمهوريه مصر العربيه ، ويتمثل الاتفاق في استثمار ٤٠٠ مليون دولار في تمويل مشروعات الاسكان الشعبي ، والتوسع العمراني ، والاسكان الاداري ، والمراكز التجاريه ، وقطاع السياحه ولكن النتائج كانت مخيبه للآمال ، لصعوبه اتخاذ القرار في الوقت المناسب ، والمعوقات التي لا نهاية لها ومع هذا وحتى اليوم لم تهبط عزيمة القائمين على هذه المهام

لم ييأس واستمر الجهد متواصلا ، حيث أن التلاحم العربي هو شغل الكويت الشاغل ، ولذا استمر سعي الكويت حثيثا لتوظيف ما أمكن من احتياطاتها في الوطن العربي ، على هيئة مشاريع ثنائية مشتركة في ميادين الزراعة والصناعة ، والسياحة ، والاسكان ، فكانت المعوقات لا حد لها ، بسبب اختلاف التفكير في أسلوب العمل وقيود القوانين المطبقه ، وصعوبة اتخاذ القرار على صعيد المسئولين كما أسلفت

فمثلا ، رغم الجهود المتواصلة مع الشقيقة مصر ، لم ينجح سوى مشروع البنك العربي الافريقي ، وكان

ك عام ٦٢ ، ثم تلا ذلك المشروع الرائد وهو
شروع خط أنابيب النفط (سومد) من السويس
للاسكندريه ، وقد تبنته الكويت سنة ٧٣ منذ
بداية ، حتى لا يضيع في دهاليز الجدل ، على أن
ساهم مصر بنسبة ٥١٪ ، والكويت بنسبة ٤٩٪ ،
لما تمت جميع الخطوات الأساسية لبناء المشروع ،
زعت الكويت حصتها الى أربع حصص متساوية ،
سوقتها على الاشقاء في المملكة العربية السعودية
الامارات وقطر ، حتى تعم الفائده وسعد شبح
لاستئثار ، وهذا الخط - « خط سومد » - وهو رافد
هام من روافد وزارة الخزانة في مصر ودليل على
لتعاون الصادق بين الأشقاء ، وهو فوق هذا قد
استقطب عماله كبيره ، وأسهم في اعداد فنيين
وخبراء ، يحتاج اليهم الوطن العربي وسطا

وثما يحز في النفس أن نعلن في الصحف المصريه
عن تدشين المرحلة الأولى من قبل السيد رئيس وزراء
مصر في شهر أغسطس ٧٦ ، ووزراء ماليه الدول
الاربع المساهمه في المشروع موجودون في مصر للتوقيع
على اتفاقية هيئه الخليج للتنميه في جمهوريه مصر
العربيه ، ولم يدع الوزراء لحفلة التدشين هذه ، كما لم
يعط المشروع حقه من الاعلام كدليل على التعاون
العربي الصادق المخلص

هيئة الخليج للتنمية

ورب سائل يسأل ما هي هذه الهيئة (هيئه الخليج
للتنمية في جمهورية مصر العربيه) لأنها قامت وماتت
دون أثر والجواب هو أن دولا أربع هي المملكة
العربية السعودية ، ودولة الكويت ، ودوله قطر ،
دولة الامارات العربيه ، تنادت في عام ٧٦ لدعم
مصر في مسيرة التنمية ، وأسست فيما بينها هيئة
برأسمال قدره ألف مليون دولار أمريكي ، حصصها
على التوالي ٤٠٪ ، ٣٥٪ ، ١٠٪ ، ١٥٪
وأغراض هذه الهيئة هي (ادارة كل ما يمكن أن
تشارك به الدول المساهمة خلال سنوات خطه التنمية
الاقتصادية والاجتماعية لجمهورية مصر العربية (٧٦
- ٨) والاستثمار في مجال التنمية الصناعية والزراعية
والتجارية وتطوير قطاعي المواصلات والخدمات
وغيرها من المشاريع الاستثمارية والانمائية ،
والمساعدة في توفير التسهيلات الائتمانية ، وقد وقعت
هذه الاتفاقية في ٢١/٦/٧٦ ، ويعلم الله لو أن هذه
الهيئة قد قامت بدورها كمؤسسة وسيطة ، وكما خطط
لها لكانت قد استقطبت أضعاف أضعاف رأسمالها

ولكن رأسمالها سحب بالكامل ، وتحت ضغوط
متنوعة ، على دفعات نقدية دفعت لتلبية حاجات مصر
في السلع الاستهلاكية ، دون النظر الى الأهداف
الرئيسية الساميه التي أنشأت من أجلها الهيئة سابقا

وفي السودان بذلت الكويت جهدا منقطع النظير ،
وكم كانت قائمة المشروعات المقدمة للشقيقه مصر
طويلة وهامه ، كذلك كان خط السودان وكما كانت
حصيلة الجهد مع مصر قليلة ، كانت في السودان
كذلك فمن خلال جهد بدأ سنة ٧١ ، وقفت
الكويت في الاسهام بثلاثه أعمال هامه ، الأول
« مشروع الرهد » وهو استصلاح ٣٠٠ ألف فدان
بالتعاون مع البنك الدولي ، تم انجازه بأياد سودانية
وخبرات سودانيه على خلاف العاده بالنسبه لمشاريع
البنك الدولي ، وهذا بفضل جهد الكويت ، وضغط
الكويت ليتجاوز البنك عن خططاته المعتاده ، وكان
دور الصندوق الكويتي للتنميه بارزا في هذا الصدد

أما مشروع « سكر كنانة » الذي بلغ رأسماله
٥٨٨ مليون جنيه سوداني ، فهو مشروع عربي حصة
الكويت فيه ٣١٪ ، ودور الكويت فيه دور الفاعل
المتفاعل ، وهو يحقق مشروع من منشئه الأمن
الغذائي الهامه ويعتبر في المقاييس الدوليه من المشاريع
الكبرى الرائدة حجما ونوعا وهو اليوم يعاني متاعب
كثيرة أما خط نقل النفط من ميناء بور سودان الى
الخرطوم فهو اضعاف للوضع الذي كان قائما قبله ، اذ
انه أمن حاجة الخرطوم من المحروقات بيسر ، وخفف
العبء على الخطوط الحديدية التي كانت تشغلها
الصهاريج ، وخفض كلفة نقل الوحدة الى حد كبير
جدا

وبعد هذا الجهد توقفت عجلة التعاون في مقترحات
الاسكان الشعبي ، وتنمية الثروة الحيوانيه ، والتنميه
الزراعية ، والسياحية ، (باستثناء فندق هيلتون
الخرطوم الذي بنته شركة الفنادق الكويتية)

تحرك جاد :

لقد كان الجهد الكويتي الرسمي ، وشبه الرسمي جهدا متواصلا وتحركا جادا يدق الأبواب بلا كلل ، وأذكر بالخير جهود الشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والاستثمارات الخارجية ، برئاسة الاخ عبد الوهاب التمار (محافظ البنك المركزي حاليا) وجهود المجموعة العقارية الكويتية برئاسة المرحوم أحمد علي الدعيج . فآثارهم موجودة في المغرب ، وموريتانيا ، وتونس ، وجمهورية اليمن العربية ، وجمهورية مصر العربية

ولقد أبلوا بلاء حسنا ، وصبروا صبرا فريدا من أجل تحقيق طموح بلدهم القومي ، من أجل تعاون وثيق مع الاشقاء العرب ومع ذلك فالحصيلة ليست بحجم الطموح

لم يكن لليأس سبيل الى نفوس العاملين في الكويت من أجل التكامل العربي ، والتعاون العربي المطلق ، ولكن (مالا يدرك كله لا يترك جله) ولهذا استمر العمل ، فوفقنا مع أشقائنا في ليبيا لايجاد مجالات للتعاون عربيا ودوليا كان منها

١ ـ البنك العربي الاسباني في مدريد

٢ ـ البنك العربي اليوناني في أثينا

٣ ـ البنك العربي العملاق في البحرين ، ومعنا الامارات العربية التي اشتركت مؤخرا (المؤسسة العربية المصرفية) رأسمالها المدفوع ٧٥٠ مليون دولار أمريكي والمصرح به ألف مليون تأسس في ١٩٨٠/١/١٧

٤ ـ الشركة العربية الكبرى للتأمين (أريج) ومعنا فيها الامارات العربية تأسست في ١٩٨٠/٥/٢٢ رأس مالها المصرح به ثلاثة آلاف مليون دولار والمدفوع ١٥٠ مليون دولار

٥ ـ البنك العربي اللاتيني في (البيرو) وتشترك فيه مجموعة من دول أمريكا اللاتينية ، ومجموعة من مؤسسات عربية رسمية وشبه رسمية تأسس سنة ١٩٧٦

كل هذا الجهد بذل بدوافع خيرة ، أساسها الايمان المطلق بحتمية المصير العربي المشترك ، وضرورة المشاركة في السراء والضراء ، وتسليم أبنائنا ريادة أعباء العمل من خلال مؤسسات متحدة .

مواقف أمير البلاد :

واذا كان هناك مجاهد صامت وراء هذا الجهد كله يشد أزر القائمين عليه ويشجعهم ، فهو سمو الأمير المفدى الشيخ جابر الأحمد الصباح حفظه الله ، وما دمنا في ذكر سموه كدافع مثمر ، أسوق للقارىء القصة التالية للذكرى

وصلت القاهرة ـ في مطلع أغسطس ١٩٦٠ ـ بطريقي الى تونس في مهمة رسمية ، وكنت وقتها مديرا عاما للصحة ، فقمت بزيارة الشيخ جابر ، وكان هناك في زيارة رسمية بدار الضيافة في الجيزة ، وكان وقتها رئيسا لدائرة المالية وأثناء وجودي عند سموه ، دخل علينا فيصل المزيدي ، وهو أحد المدراء المهتمين بالمالية آنذاك ، وموضع ثقة الشيخ جابر ، دخل فيصل المزيدي وعلامات الالم والامتعاض بادية عليه ، وقبل أن يستقر في مجلسه سأله الشيخ جابر (ها بشر) فأجاب فيصل الامر متوقف على الكويت والحل عندك فسأله كيف ؟ فأجاب

قررت لنا حصة في الشركة ١٤٪ ، والنصاب بالنسبة لرأس المال لم يكتمل ، وليس هناك أحد من الاخوان مستعد أن يزيد حصته ، وحتى يتم النصاب نحتاج الى ٢,٥٪ ، اذا أخذتها الكويت كزيادة على حصتها تحل المشكلة وتقوم الشركة ، والا فليس أمام المشروع غير الفشل

وبسرعة رد الشيخ جابر نحن عندنا شركة تحتاج الى دعمنا في هذه الظروف الصعبة ، والدخول في شركة منافسة ليس في مصلحتنا ، ومع هذا فاني أوافق على أخذ الـ ٢,٥٪ في هذه الشركة العربية زيادة على حصتنا ، لأن المصلحة العربية تهمنا ، عد الى اجتماعك وخذ هذه الزيادة ، اذا كان ذلك يدفع بالشركة الى الوجود

فرح الاخ فيصل المزيدي ، وشكر الشيخ جابر لموقفه ، وفي اليوم التالي عاد فيصل وكنت وقتها أيضا عند الشيخ جابر ، أقول رجع فيصل مطرقا وابتسامته الساخرة تعلو شفتيه . وردا على سؤال من الشيخ جابر (ها بشر) قال : فشلنا ، فسأله : وما السبب ؟ أحد الأشقاء الاعضاء الدائمين اعترض على أخذ الكويت الـ ٢,٥٪ ، لأن هذا يجعل حصتها أكثر وتصويتها أقوى ، وبهذا أسدل الستار على المشروع

لا أرحمك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك !)
بقي أن تعرف أن المشروع كان انشاء ناقلات نفط عربية ، قدر لها أن ترى النور بعد خمسة عشر عاما ، على يد منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول
(أنشأت شركة ناقلات النفط الكويتية سنة ٥٦ شركة كويتية مساهمة ، علما بأن الكويت في سنه ١٩٦٠ لم تكن عضـوا في الجامعـة لكنهـا دعيت لاجتماعات هذا المشروع)

الغريب قبل القريب !

اذ أستذكر هذه الحادثة يجول في خاطري هاجس وهو أن السر الكامن وراء المرض الخبيث الذي أفقد ويفقد العمل العربي الجماعي أو الثنائي قدرته على الحركة والتطور ، هو هذه الروح الشريرة نظرة عدم التكافؤ
لقد لفنا الاستعمار برداء من التأخر كثيف وأحكم طوقه وأعمل معوله فيما يربطنا من أواصر ، حتى اذا ما عدنا نستنجد بها ، انعاشا من أحاسيسنا أيام الطفولة والمدرسة ، وتوكيدا لتاريخنا ، وجدناها اوهى من خيوط العنكبوت ، واذا هي شعارات تقال ولا مكان لها في التطبيق ، « الغريب أولى من القريب » !

ولكن تبقى الكويت صادقة وأهلها كذلك
لقد مرت عوائد النفط العالية خلال السنوات ٧٤ - ٨١ كسحابة صيف كما توقعت ، ضاع معظمها هدرا أو بقي في خزائن الغرب رغم ارادتنا ، وكما خطط له الغرب . القرش العربي لا يذهب في تنمية حقيقية في الوطن العربي ، بل في طريق يذوب فيها ويضمحل دون أثر ، واذا وجد طريقه الصحيح تخلق له المعوقات من كل جانب ، وتكفي العودة الى محاضر [illegible]ارة المالية والى محافظ المجموعة الاستثمارية العقارية [illegible]كويتية ، والشركة الكويتية للاستثمارات [illegible]مقاولات والتجارة الخارجية ، لنجد عبرة ودرسا [illegible]نفاد منه من أجل أسلوب أفضل وتحرك أعم [illegible] عمل وعزيمة أكثر مضاء

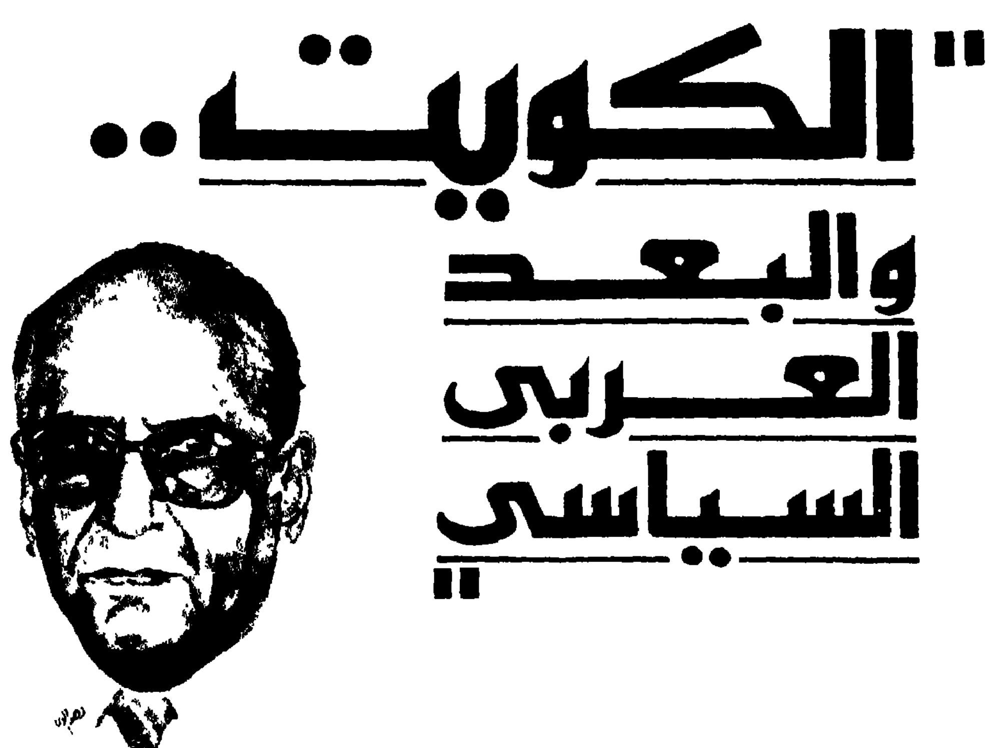
وضاعت مكانة النفط كقوة اقتصادية وسياسية [illegible] عظة بعد أن أصر الرئيس الراحل أنور السادات [illegible] بريل ٧٤ على الغاء المقاطعة البترولية التي فرضتها الدول العربية المنتجة للبترول حال قيام حرب أكتوبر ٧٣ . وتم بالفعل الغاء المقاطعة البترولية في الشهر السادس ٧٤ ، وكان الأكثر ايلاما على نفوس الدول العربية التي قامت بفرض المقاطعة ، هو تخلي الدولة المسؤولة عنهم واصرارها على الغاء المقاطعة وكأنهم قد ارتكبوا اثما ، وفوق هذا ادعاء بسبب زيادة سعر النفط الى حرب السويس ٧٣ ، وكأن الحرب مازالت مستمرة حتى اليوم ، وكأن الدول الاعضاء في منظمة الدول المصدرة للبترول لم تكافح ولم تدخل في عراك مرير مع شركات الامتياز مدة طويلة ترامت بوادر نتائجها مع انفجار حرب أكتوبر وهكذا نرى أن الكبير في الاخوة ، لا يقدر ولا يقيم وربما لمساندة اخوته حتى تضيع المروءة !

هكذا فلا أمل عدائي تحقق ، فالسودان لم يدفع بالمشروع العربي هيئة التنمية الزراعية في السودان - كدولة مضيفة - الى المسار الصحيح ولا صناعة ثقيلة كانت ، فالعرب بعيدون عن ذلك والبلاءات كثيرة ، والمستقبل قاتم ، ما لم يدركنا الله برحمته
وبعد هذا ، لك أن تدرك - أخي المواطن العربي - أن الكويت قد بذلت قصارى جهدها ، في ظروف عربية صعبة ، وربما صارت الان أكثر صعوبة ، جو سياسي متنافر ، وفكر متضارب ، ومؤامرات تحاك من كل جانب ، والكل يدرك معنى البيت العربي التالي

ويردده

كونوا جميعا يا بني ، اذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح - اذا اجتمعن - تكسرا
واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولكن المرام بعيد ، ومع هذا لا يزال لنا أمل كبير في تحرك جديد فعال ، من خلال مجلس التعاون الخليجي ، ليدركنا الله برحمته في هذه المنطقة ، والله الموفق وهو المستعان
هذا قليل من كثير بقدر ما يسمح به المجال ، ودون الدخول في تفصيلات قد تحتاج الى حيز كبير □



"الكويت.. والبعد العربي السياسي"

بقلم : عبد العزيز حسين *

في تصفحي لمجلة « الكويت » الشهرية التي أصدر العدد الاول منها المؤرخ الكويتي المرحوم عبد العزير الرشيد عام ١٩٢٨ م واستمر صدورها لمدة عامين ، لفت نظري الافق الواسع الذي احاطت به المجلة في جميع اعدادها فهي رغم ما تؤكده من أنها مجلة للكويت وشئون الكويت ، فانها نظرت الى الخليج العربي باعتباره وحدة متكاملة ، وللجزيرة العربية باعتبارها كيانا موحدا ، وللبلاد العربية على امتدادها الشاسع باعتبارها وطن الامة العربية الواحدة فيها تقرأ للشيخ رشيد رضا وللامير شكيب ارسلان وللاستاذ محمود شكري الالوسي والاستاذ عبد العزير الثعالبي ولسواهم من كتاب الوطن العربي ، ونحس من خلال ذلك أن الكويت منذ ذلك الحين وقبله تعيش مشكلات الامة وتطلعاتها وقضاياها المختلفة ولم تكن الكويت في تلك الفترة الا مجتمعا صغيرا يحيا آخر فورة استخراج اللؤلؤ وتجارته ، واول انشطة التجارة البحرية والبرية .

---

* سياسي وكاتب واديب ، متعدد الاهتمامات ، شغل عدة مناصب مهمة بالكويت ، تولى ادارة المعارف (وزارة التربيه) قبل الستينيات ، ثم تولى وزاره الدولة لشئون مجلس الوزراء حتى سنة ١٩٨٥ ، وهو الان مستشار في الديوان الاميري في الكويت

لم يكن النفط وما صاحبه من رخاء مادي قد حطمت امكانات دوره ومؤثراته على بال احد من ابناء الكويت ، ولكننا شهدنا رغم ذلك العديدين من رجال العلم والفكر يطرقون الكويت ويثيرون في مجتمعاتها نقاشات دينية وادبية وسياسية ، ويجدون من ابنائها الترحيب واللهفة في اللقاء - وكانت الديوانيات - وعلى الاخص تلك التي تحتوي مكتبات خاصة ، مركزا لهذه اللقاءات - وكان منها ما يجتلب صحفا ومجلات من الاقطار العربية ، ومن مصر بصفة خاصة ، تتخاطفها الايدي ، على ما في بريد ذلك الزمان من بطء واناة - وكان للديوانية [1] شأن كبير في الحياة الاجتماعية في البلاد ، ولا تزال ، وقد اهتم بعضها باقتناء الكتب ومتابعة ما يطبع وينشر في الاقطار العربية القريبة والبعيدة،ولعل من علامات الاهتمام بالكتاب اني وجدت ضمن عدد من المخطوطات في مكتبة والدي ، مخطوطا انيقا لكتاب « الموطأ » للامام مالك،رواية يحيى بن يحيى الليثي ، كتب بخط جميل في جزيرة فيلكا في السنة الرابعة والتسعين بعد الالف من الهجرة،اي قبل حوالي ٣٣٠ عاما

الانتماء العربي :

اتاح المجتمع الكويتي المتفتح على العالم منذ نشأته الفرصة لأبنائه لمتابعة احداث العالم والاتصال بتغييراته ، والانفعال بتطوراته ، وكان الاحساس والشعور المسلم به لديهم ان اقرب انتماء لهم خارج حدودهم الضيقة ، هو الى المجتمعات العربية في الخليج العربي والجزيرة العربية ، وقد ترجموا هذا الاحساس بتلقائية ، ومن خلال سلوكهم العاطفي والعملي

فعندما كان الغوص على اللؤلؤ وتجارته مهنتهم الرئيسية كان النظام الذي يحكم هذه المهنة الشاقة نظاما خليجيا في جميع اسسه وتفاصيله ، وعندما كانت التجارة البحرية مصدرا اساسيا للعمل كانت موانىء الخليج اهم المراكز التي ترتادها سفن الكويت

ومن حيث الحدود الصحراوية فقد كانت قبل تثبيتها حدودا رمزية قابلة للتمدد والانكماش ، ينطلق الناس عبرها حسب حاجاتهم المعيشية وارتباطاتهم الاسرية ، وعندما بدأت النهضة التعليمية في الكويت في السنين العشر السابقة لاعلان الاستقلال عام ١٩٦١ ، كان من بين الأولويات التي اهتمت بها ادارة المعارف (وزارة التربية الان) اذ ذاك ، دعم التعليم وتنشيطه في امارات ساحل عمان ويجدر بنا هنا ان نذكر بالخير سفيرا كويتيا متطوعا بذل الكثير من جهده ووقته لتنمية علاقات تربوية متميزة بين الكويت وساحل عمان قبل قيام دولة الامارات العربية المتحدة ، هو المرحوم مرشد العصيمي الذي اعتبر نفسه مواطنا خليجيا ذا رسالة قبل أن يكون تاجرا كويتيا في الخليج

وعندما اعلنت الكويت استقلالها الرسمي في ١٩/٦/١٩٦١ كان لهذا الاعلان ردوده السارة في الاقطار العربية بالخليج،وكان جانبا مهما لما تلا من تحركات سياسية كانت بدورها موضع اهتمام ومتابعة ومشاركة من الكويت ، وكان ابرزها التخلص من شبح المطالبة الاجنبية بحقوق سياسية في البحرين ، وقيام دولة الامارات العربية المتحدة وعندما انشىء المجلس التأسيسي بالكويت لوضع الدستور في يناير عام ١٩٦١ وتلاه قيام اول مجلس منتخب للشعب باسم « مجلس الامة » على اساس الدستور الذي اعتمده الامير المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح ، كان لذلك صداه القوي والسريع في المجتمع الخليجي ، فقامت دولة بعد ذلك باجراءات متفاوتة لنمط او اخر من المشاركة في الحكم ، قابلة للتطوير

مجتمعات متماثلة :

على أن الكويت كانت تطمح الى أبعد من هذه العلاقات الاخوية والتاريخية والتلقائية ، كانت تريد تنسيقا محكما وتنظيما حديثا واداة ادارية ، بحيث يتم من خلال كل ذلك تحقيق صلات دائمة اقوى ، واندماج جذري افضل ، وتكامل عملي امثل ، بين

---

(١) « الديوانية » هي مكان يلتقي فيه الرجال ليتسامروا ، وهي عادة جزء من المنزل الكويتي

دول ترتبط بوشائج خاصة ، وسمات متماثلة ، وتؤمن بمصير مشترك وتدرك اخطار الحاضر والمستقبل وقد تبلورت هذه التوجهات والافكار في لقاء بين وفد الكويت الى اجتماع مؤتمر القمة العربي الذي عقد في عمان عاصمة المملكة الاردنية ، في الفترة من ٢٥ـ٢٧ نوفمبر ١٩٨٠

ونتيجة لقناعه تامة من صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح [٢] ، اعدت مذكرة مختصرة ، تتكون من مقدمة وسبعة بنود ، طبع منها نسخ ست ، قام صاحب السمو بتسليم نسخة منها لكل من احوته رؤساء دول الخليج الذين يحضرون جميعا اجتماع القمة العربية المشترك وقد لقيت المذكرة استجابات بعضها سريع مباشر وبعضها متأن مترو ، على أنها التقت كلها آخر الامر الى القناعة بأهمية انشاء منظمة توحد وتقرب الجهود،وكانت مبرراتها وحدواها مغروسة في ضمير الجميع باحساسهم العربي الاسلامي وتوقهم لايجاد قناة حديثة توحد جهودهم وهكذا كان قيام « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » وقد عقد اول اجتماع لوزراء خارجية هذه الدول الست في قطر يوم ٤ فبراير ١٩٨١ وفي ختام الاجتماع وقع الوزراء الستة على وثيقة قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وبعد اجتماعات تمهيدية اخرى عقد اول مؤتمر لقمة دول الخليج في دولة الامارات العربية المتحدة في ٢٥ مايو ١٩٨١ وبذا بدأت المسيرة العملية للمجلس ، بعد ان كانت مجرد فكرة قبل بضعة أشهر

وقد اكدت الكويت مرارا ان مجلس التعاون ليس تكتلا ، وليس محورا سياسيا ، ولكنه مجلس تنسيق وتعاون بين مجتمعات متماثلة اجتماعيا واقتصاديا ، ومتقاربة جغرافيا ـ يعمل في نطاق الخط القومي لجامعة الدول العربية ، ويدعم انشطتها ، ولا تناقض أو ازدواج خطواته مع خطواتها ولعل الظروف التاريخية التي مرت بالكويت تؤكد دائما استقلالها ، فلم تحكم الكويت في تاريخها من سلطة احنبية مباشرة ، وخلال سريان المعاهدة التي ابرمها الشيخ مبارك الصباح مع الانجليز في نهاية القرن الماضي ، كانت الكويت تسمى في الدوائر والوثائق البريطانية « محمية مستقلة » على ما في هذه التسمية من تناقض ـ وعندما اكتشف النفط عام ١٩٣٩ ثم بدأ استغلاله بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ كان الاستعمار بشكله القديم قد بدأ يشد رحاله حيث كان

كان غياب السلطة الاجنبية المباشرة احد الاسباب المهمة في تمتع المجتمع الكويتي بقدر كبير من حرية التعبير والاتصال والتطلعات المستقبلية ، سواء فيما يتعلق بالشئون الداخلية أو الخارجية تجلى ذلك في التجاوبات العديدة لقيام المؤسسات الشعبية ، وفي ردود الفعل القوية للاحداث العربية ، نذكر منها ردود الفعل بالنسبة للقضية الفلسطينية بجميع تسلسل احداثها ، وبالنسبة للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وقيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وثورة الجزائر وانتصارها وغير ذلك من الوقائع السالفة والموجة التي عبر عنها الشعب ماديا ومعنويا بقوة تفوق ما كان ينتظر من مجتمع صغير لم يقم له كيان سياسي دولي بعد ، وقد تجاوز التعبير النبضات الشعبية الى الاجراءات الادارية ، نذكر مثلا على ذلك أن ادارة المعارف كانت تستضيف طوال الخمسينيات عديدا من الطلاب يقدمون اليها حلسة من بلاد عربية كانت لا تزال ترزح تحت قبضة الاستعمار الغربي الثقيلة ، أو تخوض ثورات وطنية في سبيل الاستقلال ، ونتذكر في هذا المجال الجهد الذي بذله المجاهد التونسي المرحوم يوسف الرويسي ، الذي كان يدير مكتبا للمغرب العربي الكبير في دمشق ، يعنى بين امور اخرى بتهيئة سبل التعليم العربي والاسلامي لشباب المغرب العربي في المشرق العربي

مشاركات في مسيرة طويلة :

كان للكويت مشاركات واسعة في المحافل والمنظمات الاقليمية والدولية قبل اعلان الاستقلال ،

(٢) كان لدى سموه تفكير دائم ومنذ فترة طويلة بلم الشمل وتوحيد الكلمة على اسس متينة لخدمة مصالح ابناء الامة العربية في هذا الجزء من الوطن العربي وهو الخليج

مما اكسبها مكانة بين مثيلاتها خاصة ، شاركت في عديد من انشطة المنظمات الدولية التابعة للامم المتحدة ، من بينها منظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة العمل الدولية ومنظمة البريد العالمي كما شاركت في كثير من نشاطات جامعة الدول العربية ، بل ان احد مؤتمرات جامعة الدول العربية عقد بالكويت في الفترة من ١ - ٧ مارس ١٩٥٨ ، وهو المؤتمر الرابع لخبراء الشئون الاجتماعية،لم تكن الكويت غريبة عن جامعة الدول العربية عندما تقدمت للالتحاق بعضويتها فور اعلان الاستقلال عام ١٩٦١ ، ولولا وجود عبد الكريم قاسم على رأس الحكم في الجمهورية العراقية ، لكان ذلك مجرد خطوة اجرائية لا تلفت الانظار ، فقد اضطرت الكويت ازاء تهديدات قاسم الى استقدام قوة عسكرية بريطانية لدعم جيشها الناشيء تطبيقا لاتفاقية كانت قائمة اذ ذاك بين البلدين ، وقد كان وجود هذه القوة الاجنبية الى جانب مطامع قاسم ذريعة للمحاولة التى بذلت للحيلولة دون التحاق الكويت بالجامعة العربية على أن الامر تم حسمه بسبب العلاقات الطيبة القائمة بين الكويت ومعظم الدول الاعضاء بالجامعة ولاعلان الكويت عن استعدادها لان تطلب الى القوة البريطانية الانسحاب حال زوال الخطر عنها عبر حدودها الشمالية وقد كان موقف مصر برئاسة الرئيس عبد الناصر يحوطه الغموض والحرج في البداية ، لولا قرار عملي من قراراته الملهمة ، فقد ارسل وزير خارجيته الاستاذ محمود رياض لمقابلة مندوب الكويت بالقاهرة ، وذكر له ان الرئيس عبد الناصر يطلب تعهدا بجلاء الانجليز عن الكويت فور غياب التهديد او احلال قوة عسكرية عربية محل القوة الاجنبية ، وقد اكد له المندوب الكويتي أن العزم معقود على ذلك ، ويمكن اعتبار هذا الوعد التعهد المنشود بعد هذا الحديث اعتبر مندوب الكويت ان الموضوع قد انتهى ، لما يعرفه عن وزن مصر ونفوذها في الجامعة العربية وفي الوطن العربي ، وشرع فور ذلك في اعداد الكلمة التي سيلقيها في اجتماع مجلس الجامعة باعتبار الكويت العضو الجديد فيها وهكذا نتج عن دخول الكويت الجامعة العربية قيام اول تجربة في التاريخ العربي ، هي انشاء قوة عسكرية من عدد من الدول العربية بقيادة موحدة لصيانة استقلال دولة عضو في الجامعة وقد تم انشاء صندوق للانفاق على هذه القوة العسكرية التابعة للجامعة والمعسكرة على الحدود الكويتية الشمالية والتى حلت محل القوة البريطانية في تنسيق جيد وكانت القوة العربية في تكوينها ونظامها وحضورها مثلا لما يمكن ان تقوم به جامعة الدول العربية من اجراء فعال

شاركت الكويت بحماس في جميع نشاطات جامعة الدول العربية بعد ذلك ، وفي كل منظماتها الفرعية وفي الظروف السياسية المؤسفة التي يمر بها الوطن العربي اليوم ، والتي تحد من قدرة الجامعة على اداء رسالتها المأمولة ، فان الكويت مع ذلك لا ترى عنها بديلا ، ومن رأيها ضرورة ادخال تعديلات على نظامها الاساسي يتيح لها امكانية اكبر في ايجابية التحرك والانجاز كما انها ترى ان دعم العمل في منظمات الجامعة المعنية بالتربية والثقافة والاقتصاد وتشجيعه وتكثيف الانشطة الشعبية بوساطتها ، سيكون له مردود ايجابي بعيد المدى يحقق الكثير من اهداف الجامعة القومية ، رغم الظروف الأنية التي يصعب معها ان تنجز خطوات سياسية ذات بال

ومع تحول الهيئات والمنظمات الدولية والاقليمية الى منابر للخطابة ومراكز للدعاية للانظمة المختلفة ، ومع استهانة كثير من الدول الاعضاء بتوصياتها وعدم الالتزام بقراراتها ، برزت اصوات تدعو الى ايجاد السبل الكفيلة بحل النزاعات بالطرق السلمية ، واضفاء صفة الاحترام ، ان لم يكن الالتزام بالتوصيات والقرارات ، لكن هذه الاصوات لم تجد الصدى المطلوب ، وقد قدمت الكويت في شخص اميرها الشيخ جابر الاحمد مشروع محكمة العدل الاسلامية للمؤتمر الاسلامي والذى هو خلاصة الحكمة وبعد النظر لحل المشكلات الراهنة سلميا بل لان نصف الدول الاعضاء فيه دول عربية وبالرغم من ان المشروع قد تمت دراسته من قبل علماء متخصصين بعمق وروية ، فانه لم يعط حقه من البحث في اجتماع قمة المؤتمر الاسلامي الاخير بالمملكة المغربية . والمأمول أن يقدم مرة اخرى بعد مزيد من الدراسة الى القمة الاسلامية التي ستعقد بالكويت عام ١٩٨٧ ، وان يحوز اهتماما وقبولا اكثر من ذي قبل

دور الصندوق الكويتي للتنمية : ـ

لعل من اهم القرارات التى اتخذتها الكويت بعد اعلان استقلالها ، انشاءها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية (تأسس فى ١٩٦١/١٢/٣١) فقد اسهم الصندوق الكويتى فى عشرات من المشروعات الاقتصادية الاجتماعية ، فى البلاد العربية ، ما كانت لترى النور لولا ذلك الاسهام وقد اتسع نطاق عملياته بعد ان زيد رأس ماله لتشمل عملياته دول العالم الثالث ، فاتسعت رقعة مشاركاته واستطاع الى جانب ذلك أن يجرى او يشارك فى دراسات اقتصادية لمشروعات انمائية لدول لم تكن قادره على اجراء هذه الدراسات ، بله القيام بالمشروعات وقد اسهم الصندوق فى توطيد العلاقات بين دولة الكويت والدول الاخرى ، فكانت مشروعاته فيها رموزا للصداقة والتعاون ، وكان الصندوق من الجدوى بحيث نسجت دول عربيه اخرى على منواله ، كما قامت الدول العربية بانشاء الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعى الذى اتخذ الكويت مقرا له منذ مباشرته لعمله فى ١٩٧٢/٧/١٠ . هذا وبانتهاء السنة المالية ١٩٨٥/١٩٨٤ اصبح عدد القروض التى التزم بها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية منذ بداية نشاطه ٢٨٨ قرضا توزعت على ٦٤ دولة بينها ١٦ دولة عربية و ٢٨ دولة افريقية و ١٥ دولة اسيوية و ٥ دول اخرى اما القيمة الاجمالية للقروض المقدمة حتى ذاك التاريخ فقد بلغت ١٣٠٥,٤ مليون دينار كويتي كان نصيب الدول العربية منها ٤٩,٦٪ والدول الافريقية ١٩٪ والدول الآسيوية ٣٠,٢٪ والدول الاخرى ١,٢٪

دور هيئة الجنوب العربي والخليج :

ويجدر بنا هنا ان نشير الى مؤسسة اخرى تختلف فى تكوينها واسلوب العمل فيها عن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، وهى الهيئة العامة للجنوب العربي والخليج التى انشئت عام ١٩٦٦ ، وهى هيئة مستقلة ذات ميزانية خاصة ضمن الميزانية العامة للدولة ، معظم نشاطها يتم فى شطرى اليمن الشقيق ، وبعض الاقطار الخليجية وتهتم بالدرجة الاولى بانشاء المدارس والمشافى بالاتفاق والتنسيق مع الدول المستفيدة ، وربما قامت بانشاء مشروعات كبيرة متميزة للحاجة الماسة اليها كجامعة صنعاء ومستشفاها والمعهد الاسلامى بتعز وكالمكتبة المركزية وكلية الطب بعدن هذه المشروعات والمنشآت قدمت وتقدم هدية من الشعب العربي بالكويت الى شعب عربي آخر ، بعيدا عن الاجراءات المعقدة او تدخلات السياسة ، مما اعتبر نموذجا رائعا للتعاون وللعمل العربي المشترك

كانت العلاقات الطيبة التى تربط الكويت بالاقطار العربية جميعا ، مبررا لكى تتطوع ببذل محاولات التوفيق فيما قد يشجر بين بعضها من خلاف،فقد رأيناها تبادر منفردة أو مشتركة مع غيرها فى كثير من تلك المحاولات ، حتى لتكاد تكون قاسما مشتركا اعظم فيها ـ ومازلنا نذكر دعوة سمو الامير جابر لاخويه رئيس اليمن الشمالى ورئيس اليمن الجنوبي للاجتماع به فى الكويت عندما تأزمت العلاقات بين البلدين ، وكم كان مؤثرا ان تلتقى القمة الصغيرة فى قصر السلام فى جو اخوى حميم لكى يصدر عن رئيسي البلدين « بيان الكويت » يحدد مسيرة العلاقات الاخوية المستقبلية بين البلدين وينهى مواضيع الخلاف ويكون اساسا للتعاون القائم بينهما حتى اليوم

والعلاقات الطبيعية والمتوازنة بين الكويت ودول العرب والشرق معا ، وجه آخر من وجوه السياسة الكويتية المستنيرة فالثقة بالنظام القائم والحرية فى التعبير عنه والقدرة على تطويره ، اكسبت المجتمع قناعة بعدم التخوف من نظام اجنبى قد لا يتفق مع القيم والمثل التى تعتنقها البلاد .

وقد اتاح لها هذا الموقف فرصا للعمل الدولى بفاعلية افضل فيما يتعلق بقضايانا العربية

هذه لمحات عن دور الكويت العربي ومكانتها العربية وتوجهاتها السياسية ، قبل الاستقلال وبعده ، قبل النفط وبعده ، تعطى ملامح بسيطة ويسيرة من ذخيرة لا تنفد ، قد تثير لدى القارىء الرغبة فى البحث والاستقصاء طلبا لمزيد من المعرفة فى هذه الساحة المهمة □


صدر العدد الأول من
مجلة
العربي الصغير
للفتيان والفتيات العرب
٦٤
صفحة
بالألوان
مع مجلة
داخلية خاصة
في ٨ صفحات للصغار
في الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة
١٠٠ جائزة
قيمة
تنتظر طفلك
شهرياً في مسابقة
العربي الصغير

تجربة ثقافية فريدة في الكويت

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

عرف العالم ، منذ بداية القرن العشرين ، نوعين متباينين من التجارب الثقافية اذ تأخذ بعض البلاد بمبدأ تدخل الدولة في الثقافة ، على حين تتمسك بلاد أخرى بالمبدأ القائل ان الثقافة من الشئون الخاصة التي ينبغي أن تترك للنشاط الفردى والخاص ، ولا شأن للدولة بها على الاطلاق .

ترتكز كل تجربة من هاتين التجربتين على فلسفة خاصة ، تعمل على تبريرها واظهار المزايا التي تعود على الثقافة من تطبيقها فأنصار تدخل الدولة في الثقافة ينطلقون من مقدمة أساسية هي أن الثقافة ليست ترفاً ، وانما هي حق أساسي لكافة فئات المجتمع . وهم يؤكدون أن الدولة وحدها هي التي تستطيع توصيل الثقافة إلى الفئات الضعيفة في المجتمع ، وإلى المناطق المنسية والنائية ، وهي التى تستطيع أن ترعى أعمالاً جادة لا تجلب ربحاً ، لأن جمهورها بطبيعته قليل ، وهي القادرة على تقديم النواتج الثقافية بأزهد الأسعار للجمهور العريض الذي تثقله أعباء الحياة اليومية وتكاليفها .

وفي مقابل ذلك تهاجم مجتمعات أخرى فكرة تدخل الدولة في شئون الثقافة ، بحجة أن هذا التدخل سيؤدى حتماً إلى فقدان صفة الحرية التى هي ألزم اللوازم للثقافة ، ولا بد ان يترتب عليه فرض الاتجاهات التى تخدم مصالح الدولة أو النظام الحاكم ، ومحاربة التجديد المبدع اذا كان يشكل خطورة على الأوضاع القائمة

خصوصية الثقافة

وربما بدا للوهلة الأولى أن هذا التقابل بين نظرتين إلى الثقافة يوازى التقابل بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي ، لأن مبدأ تدخل الدولة هو جزء من الفلسفة العامة للنظم الاشتراكية التى تأخذ بمبدأ التخطيط الشامل في جميع المجالات ، على حين أن التمسك بأن تكون الثقافة نشاطاً حراً انما هو مظهر لمبدأ عام يسود الأنظمة الرأسمالية ، هو الاقلال من تدخل الدولة إلى الحد الأدنى ، وترك أهم القطاعات للنشاط الخاص . ولكن المسألة في حقيقة الأمر ليست بهذه البساطة ، وقد أثبتت التجارب أن قطاع الثقافة له خصوصيته التى تضفى عليه استقلالاً نسبياً ، بحيث لا يتعين أن يكون موقف المجتمع منه انعكاساً مباشراً لمواقفه في ميادين الاقتصاد والسياسة ، أو تطبيقاً مباشراً لنوع النظام الاجتماعي الذى يسود فيه .

ولعل الدليل الواضح على ذلك هو أن دول العالم الثالث تتجه بوجه عام إلى الأخذ بمبدأ تدخل الدولة في

الثقافة ، على الرغم من التباين الشديد بين أنظمتها الاجتماعية ويعبر هذا الموقف عن وعي متزايد بأن الثقافة ، ولا سيما لدى الشعوب التي تناضل من أجل التحرر والتنمية ، أخطر من تُترك للأيدي التي تتحكم فيها من أجل تحقيق مزيد من الربح . فهي الكفاح من أجل التنمية ، تقوم الثقافة بدور أساسي في تشكيل عقل الانسان ، وهو دور لا يمكن أن يُترك للمصادفات أو لتلاعب في السوق ، وانما يسعى أن تدخل فيه الدولة بكل ثقلها ، كيما تحمي العقول من المؤثرات السلبية التي تدغدغ أحط مشاعرها ، وتستغل جوانب ضعفها ، لتحقيق مآربها الخاصة

سمات تجربة الكويت

وأستطيع أن أقول ان التجربة التي خاضتها الكويت في ميدان الثقافة ، تعد تجربة ذات سمات فريدة ، تثبت بوضوح قاطع قدرة الثقافة على تجاوز الخواجز الأيديولوجية ، والسير في طريقها المستقل فالكويت بلد نفطي يتمتع مواطنوه بمستوى من أعلى مستويات المعيشة في العالم ، والمتوقع نظرياً في بلد كهذا هو أن يسود النشاط الحر ، المستقل عن الدولة ، في كافة الميادين ولكن تجربة الكويت في ميدان الثقافة ارتكزت في واقع الأمر على التدخل النشط للدولة في هذا القطاع ، وكانت ثمار هذا التدخل ايجابية إلى حد بعيد

فقد استطاعت الكويت أن تستغل الثروة النفطية استغلالاً شديد الذكاء في ميدان الثقافة ، واتبعت سياسة تؤدي في المدى الطويل الى أن تصبح الكويت مركز اشعاع ثقافي يمتد في أرجاء الوطن العربي كله وهكذا عملت الدولة على رعاية مشروعات ثقافية ناجحة ، أشرف عليها جهازان اكتسبا خبرة طويلة في الشئون الثقافية ، هما وزارة الاعلام من جهة ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من جهة أخرى وكانت السمة المميزة لهذه المشروعات هي أنها تخاطب ، منذ بدايتها ، المواطن المتطلع الى المعرفة في أي بلد عربي ، أي أنها حرصت منذ بدايتها على الا تصطبغ تلك المشروعات بصبغة محلية ضيقة ، أو تخاطب الانسان في البلد الأم وحده ، وانما قررت أن تخرج عن الاطار المحلي ، وتوجه رسالتها إلى الانسان العربي أينما كان .

وهكذا ظهرت تلك المجموعة الرائدة من المطبوعات الثقافية ، التي تصدر في هذا البلد الصغير ذي الطموحات الكبيرة فمن وزارة الاعلام عرف الوطن العربي كله منذ أكثر من ربع قرن ، مجلة ثقافية ناجحة هي « العربي » ، كما اعتاد أن يقرأ على مستوى أشد تخصصاً ، أبحاث مجلة « عالم الفكر » ، وسلسلة « مسرحيات عالمية » ومن المجلس الوطني للثقافة لا يكاد يوجد شاب مهتم بشئون الأدب والفكر ، في أي بلد عربي ، إلا ويتابع سلسلة كتب « عالم المعرفة » ، ومجلة « الثقافة العالمية » ، بينما يتابع المتخصصون سلسلة كتب التراث باهتمام بالغ

والأمر الذي يلفت النظر حقا في هذه المجموعة الفريدة من المطبوعات ، هو أنها قد استطاعت بسرعة غير عادية ، أن تجتذب أعداداً ضخمة من الشباب المتطلع الى المعرفة في كافة أرجاء الوطن العربي ، في الوقت الذي عجزت فيه مشروعات ثقافية أخرى ، تنفق عليها دولها بسخاء ، عن تجاوز النطاق المحلي الا على نطاق ضيق ، وبصعوبة بالغة ذلك لأن القارىء العربي قد وجد في هذه المطبوعات مادة منتقاة بعناية بالغة ، رفيعة المستوى في الشكل والمضمون ، تقدَّم اليه بأسعار تكاد تكون رمزية وكلما ازدادت ثقة القارىء العربي بهذه المنشورات ، واكتسبت سمعة أرفع ، اتسع نطاق المثقفين المبدعين الذين يتعاونون معها ، وتمكنت من استكتاب أفضل العناصر في وطننا العربي ولا أكون مغالياً اذا قلت ان نسبة لا يستهان بها من الزاد الثقافي للأجيال الجديدة في أرجاء كثيرة من الوطن العربي ، أصبحت الآن مستمدة من كتب ومجلات تصدر في الكويت ، وأغلب الظن أن هذه النسبة ستزداد ارتفاعاً على مر الأيام

وعلى عكس ما يتوقع خصوم مبدأ تدخل الدولة في الثقافة ، فان الانتاج الأدبي والفكري الذي تصدره وتموله الدولة في الكويت ، لم يُستخدم على الاطلاق من أجل فرض وجهات نظر معينة ، يتبناها نظام الحكم أو تخدم مصالحه اذ تنعكس على هذا الانتاج معظم ألوان الطيف الثقافي ، من اليمين واليسار ، ومن المحافظين الى التقدميين واذا كانت هناك رقابة

فـإنها تسرى عـلى تلك الأمور المحـظورة في معـظم المجتمعات العربية ، وتطبق بصورة أكثر استثارة في معظم الاحيان(ومن هنا فان تشديدالرقابه السبي على الكتب المسموح بها في معرض الكتاب السوى ، في السنتين الأخيرتين ، يشكل ظاهرة غير مألوفة ، وغير متمشية مع التيار العام ، وهي احدى السلبيات التى آمل أن تتخلص منها الهيئات المسئولة عن الثقافة في الكويت في أقرب فرصة)

المواطن والوافد والحرية

ومن السمات البارزة في الحياة الثقافية الكويتية ، ازالة الحد الفاصل بين المواطن والوافد . فقد كان من الطبيعي ، في بلد كبير الامكانيات واسع الطموحات ، وفي الوقت ذاته قليل السكان ، أن تُفتح الأبواب للاستعانة بالوافدين في عدد كبير من المشروعات الثقافية . ومن الجوانب المضيئة في التجربة الثقافية الكويتية أن هؤلاء الوافدين قد وجدوا في هذا البلد جواً « ليبراليا » متسع الآفاق ، يتيح لهم أن يعبروا عن أنفسهم بحرية ، وأن يقدموا أفضل ما لديهم ، فيضيفوا أبعاداً جديدة الى هذه التجربة الثقافية الخصبة . ويكاد معظم الوافدين يتفقون على أنهم يجدون في الكويت مجالاً للتعبير عن أفكارهم ، حتى في المسائل الحرجة والشائكة، ربما لا يجدونه في بلدانهم الأصلية ذاتها. ولو كان لى أن أتحدث في ضوء تجربتي الخاصة ، لقلت إن اطار « الليبرالية » والتسامح والتعددية الفكرية في الكويت أوسع من معظم الأقطار العربية الأخرى . صحيح أن هناك أقطاراً أخرى تستعين بخبرات كثير من الوافدين ، ولكنها تفرض عليهم ألف قيد وقيد ، وترسم لهم اطاراً حديدياً يستحيل عليهم أن يتجاوزوه . أما في الكويت فان اتساع الأفق ، والتعددية الفكرية ، ورحابة الصدر ، هي الطابع الغالب على التعامل الثقافي بين المجتمع وبين الوافدين اليه من شتى الأقطار العربية ، وحصيلة هذه السياسة الذكية هي أن ينصهر الجميع في بوتقة واحدة . تعود ثمارها بالخير على الوطن العربي بأسره

ولعل القارىء قد لاحظ أنى قد اقتصرت في حديثي على ميدان واحد من ميادين الثقافة ، هو ميدان المطبوعات ، من كتب ومجلات ، ولم أتطرق الى أنواع أخرى هامة من النشاط الثقافي ، كالمسرح ، والفنون التشكيلية ، والندوات ، واللقاءات . والحق أنني اذا كنت قد ركزت اهتمامى على الميدان الأول ، فذلك لأنه هو الميدان الذي أتعامل معه تعاملاً مباشراً ، فضلاً عن أنه ، في اعتقادى ، هو الذي يدوم إشعاعه أمداً أطول ، ويمتد إلى مسافات أبعد . ومع ذلك فان النمط العام الذى استخلصناه عند الحديث عن النشاط الثقافي في ميدان الكتابة والنشر ، ينطبق بغير شك على كافة الميادين الأخرى

الجمع الموفق

إن في الكويت ، إذن ، تجربة ثقافية جديرة بأن ينتبه إليها كل من يحرص على رعاية العقل العربي وتنويره . في هذه التجربة أمكن الجمع ، بطريقة موفقة ، بين مبدأ تدخل الدولة ، وبين ضمان قدر لا يستهان به من الحرية للمبدع الثقافي (ربما كان أفضل قدر تسمح به الأوضاع الراهنة في الوطن العربي)

وفي هذه التجربة أمكن استغلال الثروة في نشر نتاجات ثقافية زهيدة التكاليف ، تعم فائدتها على الأجيال المتطلعة إلى المعرفة في كافة الأقطار العربية . إنه نوع من « التوزيع العادل للثروة الثقافية » يفيد منه الشاب الطموح ، الذي يعانى من قسوة الحياة وضآلة الدخل ، في أى بلد عربي أقل ثراء . وفي الوقت الذى تستهدف فيه هذه النتاجات الثقافية الانتشار الكمى على أوسع مدى ممكن ، فإنها لا تتجاهل الكيف أو المستوى الرفيع . فالثقافة التى تحقق مطالب الجماهير الواسعة ، تسعى في الوقت ذاته إلى إرضاء تطلعات النخبة المتميزة

إن مجتمعات النفط ، التى قفزت خلال حياة جيل واحد من صعوبة العيش إلى الثراء الهائل ، لم يكن في وسعها أن تتجنب سيطرة القيم الاستهلاكية ، والبحث الدائم عن المزيد من الترف . ولكن الاشعاع الثقافي الذى ينشره واحد من أصغر هذه المجتمعات النفطية ، أعنى الكويت ، يمثل نقطة مضيئة ، وعلامة هامة على طريق الافادة من الثروة النفطية ، فيما هو أبقى وأنفع من المتع الزائلة والملذات العابرة . □

[illegible] له فخراً نفسي
[illegible] التي [illegible] سوروري

[illegible] أنا [illegible]
[illegible] الكواكب في عقود الغيدِ

يارب ترفع [illegible] ألفه
بأكف أبطال الجهادِ الصيدِ

وتحل له من كل ضيق مخرجاً
وتمده بالنصر والتمجيدِ

. . . .

أنا [illegible] أمة أجدادها
كم [illegible] بحور قصيدِ

[illegible] رحاب الأرض بالتـ
ـكبير والتسبيح والتحميدِ

لو أن أهل الأرض صانوا عهدها
لأتى إليهم دهرهم بمزيدِ

لكنهم كل يكيل مظالماً
يرمون أنفسهم بكل صعيدِ

تمضي الزمان ولم يزل يلقي بهم
في قائم من ظلمهم وحصيدِ

...ويت

شعر : عبدالعزيز جعفر

فلتشهد الصحراء أنا لم نزل
نلقى الحياة بعزم كل شهيد

...

فبمثل «جابر» الحياة رجية
[illegible] يوما [illegible]
و«سعد» الأيام أزل [illegible]
[illegible] من [illegible]
وغدا سيشرق للبلاد [illegible]
[illegible]
في الكتب [illegible] «جابر»
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أرقام

بقلم : محمود المراغي

سُكّر.. وَعُجُول.. وَنظام اقتصَادىّ حرّ!

مازالت الانسانية تبحث عن طريق تدير به شؤونها لذا سوف يظل الصراع طويلا بين الرأسمالية والاشتراكية وسوف يظل السؤال قائما : حرية لرأس المال . أم توجيه وتدخل من جانب المجتمع ؟

وبينما حدث استقرار نسبي لذلك الصراع في العالم المتقدم ، فاستقرت الاشتراكية في الشرق ، واستقرت الرأسمالية في الغرب ، فإن الصورة في العالم الثالث تختلف .

في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن شهد العالم الثالث أكبر حركة للتحرر والاستقلال ، وبات على الدول المستقلة حديثا أن تحدد مسارها الاجتماعي والسياسي ، فاختار الكثير منها طريق الاشتراكية أو التخطيط والتوجيه الاقتصادي كحد أدنى

ربما كان ذلك ايمانا بأنه في ظل الفقر وضعف الموارد تكون الاشتراكية هي الأنسب لإحداث قفزة في المجتمع .

ربما كان الاختيار ايمانا بأنه قد حان وقت العدالة الاجتماعية ، بعد سنوات من التمايز والتفاوت الطبقي اللذين صنعهما الاستعمار .

و . . ربما كان الأمر مجرد اختيار لنقيض ماكان عليه المستعمرون ، وكلهم من الرأسماليين .

على أي حال فقد كان هناك ذلك الاختيار الذي طفا على السطح بدرجات مختلفة ، ابتداء من التجربة الكوبية الى تجارب غانا وغينيا والهند ومجموعة الدول العربية : مصر والجزائر والعراق وسوريا واليمن و غيرها .

ولكن . .

وعندما جاءت السبعينيات ، واشتدت الأزمة المالية في العالم الثالث لأسباب خارجة عنه بعد ثورة أسعار النفط . . عندما حدث ذلك جاءت صيحة الغرب : لابد من جرعات مالية خارجية توازن « المختل » وتسد « العجز » وتعين « المحتاج » حتى يستغني . . و . . وحتى يتم فلابد من اقتصاد مفتوح وحرية مضمونة . . لابد أن تتراجع يد الدولة وتترك حرية الأسواق . . في الداخل . . ومع العالم الخارجي .

وللحق . . فقد كان شعار الحرية الاقتصادية شاملا العالم الثالث والعالم المتقدم في وقت واحد . .

ونشبت المعركة تلو الأخرى بسبب نظم الحماية التجارية والجمركية التي تفرضها الدول الصناعية ، خوفا على منتجاتها من الآخرين . .

ولكن . . وبينما استجابت كثير من الدول النامية لنصيحة المنظمات الدولية (كالبنك الدولي وصندوق النقد) ، وبينما كانت توجيهات دول المركز الرأسمالية

كعوائق [illegible] الحواجز التجارية ، وفتح الأسواق الفقيرة أمام سلعها التي تصنعها الدول الصناعية [illegible] حدث [illegible] في عالم الفقراء ، احتفظ الأغنياء [illegible] الأسوار والحواجز ونظم الحماية [illegible] من المخاطر [illegible]

* * الظاهرة بالأرقام

[illegible]

[illegible] حدث في حجم الانفاق ، التي [illegible] في أعوام (٧٩ ، ٨٠ ، [illegible]) [illegible] مليون

في المنطقة كانت أمريكا اللاتينية هي أكبر [illegible] ، وكانت على رأس القائمة البرازيل [illegible] ومن خارج أمريكا اللاتينية [illegible] هناك [illegible] واحد . وهما دولتان [illegible]

* * ملاحظات أساسية

يلاحظ هنا أن رقم الخسائر في سلعتين اثنتين فقط يكاد يقترب من حجم المعونة التي تقدمها جميع البلدان الصناعية للعالم الثالث

والأرقام أيضا ، فقد بلغت معونة الدول الصناعية للدول النامية خلال عام ١٩٨٣ ـ على سبيل المثال (٢٢,٥) مليار دولار

الملاحظة الثانية أن الدول الخاسرة بسبب سياسات الحماية والقيود التي تعرقل تدفق سلعها الى الأسواق [illegible] من كبار المقترضين في العالم [illegible] بالطبع [illegible] في ظل ظروف أفضل للتبادل كانت الحاجة للاقتراض سوف تصبح أقل

أما الملاحظة الثالثة فهي أن الحواجز قد وضعت بدرجة أكبر في وجه السلع المنتجة في العالم الثالث ، [illegible] سوف [illegible] أن الأقوى يفرض سياسته

لقد كان السكر وكانت لحوم الأبقار مجرد مثالين [illegible] مجموعة السلع الأولية [illegible] قد عانت من [illegible] أسعارها في ظل نظام السوق الحرة [illegible] وبعض السلع الصناعية ـ كالمنسوجات والبتروكيماويات [illegible] تحد التوسع في تصديرها من العالم الثالث [illegible]

[illegible]

ولم يعرف العالم حربا [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية

وعرفت [illegible] مقصلة السلع الزراعية في السوق الأوروبية المشتركة

ولكن ؟

هل [illegible] العالم [illegible]

وهل أثار المهتمون والباحثون في الاقتصاد الدولي وجود منطقين [illegible] احدهما يدعو للحرية دون ضغط في عالم الفقراء [illegible] والثاني يصبح [illegible] والقيود [illegible] في عالم الأغنياء ؟

لا أظن أن الأمر قد نال الاهتمام الكافي [illegible] ولا أظن [illegible] سوف يتوقف ما لم تصنع الدول النامية السياسات التي تلائمها ، [illegible] الى نظام اقتصادي عالمي جديد

والسكر والأبقار أمثلة لمجموعات أوسع من السلع [illegible] والخسائر [illegible] والعلاقات غير المتكافئة التي يفرضها الأقوياء [illegible] لصالح الأقوياء □

مهرجان الع[illegible] في الكويت



استطلاع : منير نصيف
تصوير : طالب [illegible]





سمو امير دولة الكويت يرأس اجتماع مجلس ادارة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بقاعة الاجتماعات بقصر السيف

الحياة علم ومعرفة . وقد كنا ومازلنا أقطارا مستوردة لكل ما هو جديد من هذا العالم المتغير من حولنا ، ما دام الذي نأخذه منه لا يتعارض مع تقاليدنا وعاداتنا الموروثة في الغرب والشرق نهضة علمية وثورة تقنية كنا - نحن العرب - في الماضي البعيد نحمل لواءها ، ثم دارت الأيام وتبدل الحال وتغير

لقد كان العرب دوما وعلى مدى قرون طويلة أمة قوية متحضرة أو كما قال المقريزي .

« كنا أمة حضارة وعلم ومعرفة ، لم تتقاعس يوما عن تكريم أبنائها ، هؤلاء الذين رفعوا راية العلم وحملوها معهم وهم يعبرون الحدود الى عالم جديد تأثر بنا ونقل عنا أكثر مما نقلنا نحن عنه ! »

كنا في الماضي اذن نعطي أكثر مما نأخذ . فقد كان عندنا هنا وفوق أرضنا أساطين العلماء وأهل الفكر والأدب . .

ولقد كان هذا هو أحد عوامل قوتنا ، تلك التي فتحت أمامنا أبواب الاندلس ، ووصلنا بها ومعها الى قلب القارة الاوروبية غربا حتى فرنسا ، والى مشارف الصين شرقا وربما تجاوزناها كما تقول الكتب في عهد قتيبة بن مسلم !

مقدمة قصيرة نسوقها قبل أن نبدأ الحديث فيما نحن بصدده اليوم . . ولكن قبل أن نمضي فيه نتوقف قليلا . لنتساءل : هل قمنا بدورنا الجديد في هذا العالم المتطور الذي يخطو بسرعة الى مشارف القرن الجديد ؟ والجواب بالنفي ولقد كان وراء الصحوة التي نعيشها اليوم مع الفكر العربي المتجدد رجال آمنوا بأن لا سبيل الى اللحاق بالقافلة المنطلقة الا بالعلم ، والعلم وحده .

الايمان بالعلم

ولعلنا نجد في كلمات سمو أمير الكويت ، امام ممثلي الشعب الكويتي في افتتاح دورة الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي السادس لمجلس الأمة في أواخر شهر أكتوبر من العام الذي انقضى بكل ما حمله من آلام وأحزان للبشرية جمعاء

لعلنا نجد في هذه الكلمات المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الكلام ، فقد قال الأمير في كلمته السامية

« اذا كان الواقع العربي والاسلامي قد مرقه الصراعات واستنزف الكثير من طاقاته البشرية والمادية ، فان الطريق الوحيد هو استمرار السعي ليحل الاخاء محل العداوة ، ويتحقق التعاون على بناء الحياة في عالم أصبح العلم فيه قوة ، والقوة علما واذا تخلفنا عن ركب العلم والقوة أصبحنا معزولين عن بناء الحياة ، وان كنا من الشاهدين » .

ولقد جاءت كلمة سموه معبرة كل التعبير عن واقعنا ، ومعبرة أكثر عما يجيش في صدره من مشاعر أو ما آمن ويؤمن به وهو يرقب أثر العلم وتأثيره في حياة الشعوب وتقدمها وحضارتها ورفاهيتها .

ولقد اختار سموه هذا المنبر الحر لينقل من فوقه هذا الايمان القوي الذي ظل يلازمه طوال رحلة الكويت بعد أن انتزعت استقلالها الذي تحتفل اليوم بعيده الفضي ، وربما قبل الاستقلال ، وهي تكافح بسواعد رجالها من أجل حياة أفضل ، ومن أجل بناء أجيال من الشباب المسلم الواعي بأمور دينه ودنياه

ولهذا الايمان قصة ، قد تكون فصولها الأولى قد بدأت قبل مولد أول مؤسسة من نوعها في وطننا العربي ، تلك التي اختارها « العربي » بوصفها أحد الانجازات الهامة على طريق بناء حياة أفضل ومستقبل أكثر اشراقا للكويت ولبقية أقطار الأمة العربية .

انها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي قامت في عام ١٩٧٦ ، والتي تحتفل هذا العام بمرور عشر سنوات على مولدها

الوالد والرئيس

لقد كان أمير الكويت هو والدها وراعيها ، وقد كان وقتها وليا للعهد ورئيسا لمجلس ادارتها الذي يضم ستة أعضاء .

وما كادت الفكرة تتبلور ، حتى سارعت غرفة تجارة وصناعة الكويت الى دعم المؤسسة الوليدة بكل الجهد المتاح لها وحتى غير المتاح . . فقد كان الهدف من قيامها ، وما زال ، يستحق كل تأييد ومساندة . . وخاصة بعد أن اتضحت معالم الصورة أكثر وأكثر مع مضي الوقت . صورة الدور الكبير الذي تضطلع به وقد تجلت أولى خطوات هذا الدعم في مساهمة الشركات الكويتية بنسبة خمسة في المائة من صافي أرباحها سنويا للمؤسسة العلمية الجديدة ليس هذا فحسب بل ان العديد من الأفراد والهيئات العامة والخاصة بادرت بدورها الى المساهمة في دعم المؤسسة التي لم يقتصر نشاطها على الكويت وحدها ، بل خرجت عن هذه الحدود الضيقة لتشمل برعايتها كل أهل العلم والفكر في مختلف الأقطار العربية والاسلامية

وعلى مدى الأعوام الاخيرة الماضية تحددت أهداف مؤسسة التقدم العلمي وأصبح شعارها يتمثل في تشجيع القائمين على التنمية الفكرية وتقديم العون والدعم للباحثين في شتى فروع العلم والمعرفة ، وتخصيص المنح الدراسية والدورات التدريبية ، في صورة جوائز مادية وشهادات تقديرية للباحثين والمؤلفين والمترجمين في مختلف المجالات العلمية . الى جانب قيام المؤسسة بالمشاركة في سبيل التقدم الحضاري في الكويت وفي بقية الأقطار العربية والاسلامية ، كل هذا من خلال برنامج سنوي يضعه المسؤولون فيها ، وينفذ بعد موافقة مجلس الادارة

تمويل البحوث

فالمؤسسة اذن مؤسسة تمويلية أيضا تقوم بتمويل البحوث العلمية التي ترد من الهيئات وتأتي المبادرة للحصول على منحة لتمويل بحث معين أو دراسة محددة من جانب الهيئة التي تطلب المنحة ، وبعد الموافقة تصبح المنحة بمثابة التزام من جانب المؤسسة بتمويل البحث المقدم جزئيا أو كليا . على أن هذه الموافقة لا تتحقق الا بعد تقييم مبدئي من جانب المؤسسة أولا ، ثم تقييم هيئة تحكيم خارجية بعد أن تتضح أمامها صورة المشروع كاملة من حيث الهدف والموعد التقريبي لانجازه والنفقات التقديرية لاتمامه !

مجلس ادارة مؤسسة الكويت للتقدم العلمى

سمو أمير دولة الكويت رئيسا

الاعضاء :

- **عبد الرزاق الخالد**
  من رجال الاعمال
- **سعد على الناهض**
  العضو المنتدب للبنك العقارى
- **خالد عبد الله الصقر**
  رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب - شركة مطاحن الدقيق
- **الدكتور فهد محمد الراشد**
  مدير عام الهيئة العامة للاستثمار
- **انور عبد الله النورى**
  رئيس مجلس ادارة البنك الصناعى
- **حمد يوسف العيسى**
  رئيس جمعية المحامين الكويتية

ويشارك الدكتور على عبد الله الشملان في اجتماعات مجلس الادارة بصفته مديرا عاما لمؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، وكذلك المهندس سليمان العوضى الذي يقوم بأمانة السر .



الاستاذ عبد العزيز حسين والسيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت والدكتور على الشملان
فى الحفل الذى اقيم لتكريم عبد العزيز الصقر تقديرا للخدمات الجليلة التى قدمها للبلاد



شعار مؤسسة التقدم العلمى . . يدان تحتضنان صورة من صور الحياة فى كويت الأمس.. « اليوم » . (وإلى اليمين » ، الميدالية الذهبية التى تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمى مع الجائزة المالية وشهادة التقدير للفائزين بجائزة الكويت .



في حفل تكريم السيد عبد العزيز الصقر . وزير الاعلام الشيخ ناصر محمد الاحمد الجابر ومجموعة من رجالات الكويت



سكرتارية مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . . . وقريبا سوف تنقل كل المعلومات التي يحويها ارشيف المؤسسة الى الكومبيوتر او الحاسب الآلي .

وقد كان للشباب نصيب كبير من تشجيع المؤسسة ودعمها لجهودهم ومساندتها لهم في رحلة الدراسة والتحصيل إيمانا منها بأن الشباب هو عماد الأمم وأملها

دعم قدرات الطلبة

يتعاون المؤسسة مع وزارة التربية في تهيئة طلبة المدارس العربية للمشاركة في مسابقة أولمبياد الرياضيات التي تقام سنويا عن طريق دولي ، وترمي هذه المسابقة الى تعزيز قدرات الطلبة في الرياضيات وتشجيعهم على الاهتمام بهذه المادة العلمية التي تعتبر قاعدة أساسية للدراسات في مختلف فروع المعرفة ، وقد اشتركت دولة الكويت في هذه التظاهرة العلمية ، مما يساعد على التعريف بالكويت وجهودها في مجال التعليم والثقافة

وتهتم مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتشجيع الاطلاع بين الشباب من الطلبة والطالبات والمواطنين

من خلال مسابقتها التي تنظمها سنويا بعنوان « اقرأ » والتي تهدف الى تلخيص أو تحليل أو نقد أحد الكتب العلمية أو كتب التراث العربي ، كما ترمي الى شغل أوقات فراغ الطلبة خلال العطلة الصيفية وتدريبهم على التحليل العلمي وتنمية مواهبهم الثقافية

وتقوم المؤسسة بالتعاون مع

وتتبنى المؤسسة ... « ... وكتاب » ، وذلك ايمانا منها بحاجة الامة العربية الى ... وأساليبها في شتى مختلف ... ، ويقينا منها بأن القراءة أقوى أداة في نشر الوعي بين الشباب .

وقد قامت المؤسسة باصدار العديد من الكتب التي تخدم الشباب والشبيبة ، وأصدرت كتابا بعنوان « دليل الآباء والمعلمين في مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين » والكتاب يمثل اتجاها نفسيا تربويا معاصرا لتقديم وصفة تربوية نفسية مبسطة لكل من الآباء والمعلمين

بالاضافة الى العديد من الكتب التي تخدم الشباب ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب خبرة من أسيا رعاية الحصين ، فضاء المعرفة ، التقنيات التربوية ، زيادة النبات في الكويت وبلغ عدد اصدارات المؤسسة ٤٣ كتابا حتى الآن

[illegible]

في الكويت نهضة [illegible] المكتبة الاهلية هناك [illegible] المدارس المباركية والنبيلة ، وهي [illegible] ما تشمر العلوم والآداب [illegible] في سوريا ومصر [illegible] الينبوع التي لا تصل [illegible] والمحلة ، ولا ينفع فيها الكتب [illegible] ليس فيها اليوم مدارس

[illegible] بعض الكويت الشراعية [illegible] في الأماكن التي [illegible] البواخر الكبيرة . وكذلك [illegible] في اختلاطهم مع البدو [illegible] داخل البلاد العربية يستطيعون أن ينشروا روح العلم والتهذيب ، روح القومية السليمة في العشائر والبوادي وفي المدن الكبيرة »

والشيخ أحمد الجابر هو والد سمو أمير الكويت راعي النهضة العلمية الحديثة في البلاد

العلم للناشئة

كما تشارك المؤسسة مع مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الكويت ، ووزارة الاعلام ، ووزارة التربية ، النادي العلمي في انتاج سلسلة (العلم للناشئة) وذلك بهدف تنمية التفكير العلمي لدى الناشئة خاصة والمجتمع بصورة عامة ، وابراز دور الحضارة العربية الاسلامية وأثرها في تطوير العلوم والمعرفة ، والتأكيد على أهمية التفاعل المتبادل بين العلم والمجتمع ، وربط العلم بالايمان والخير وقدرة الخالق ، وكذلك لابراز دور العلوم في تطوير الوطن العربي

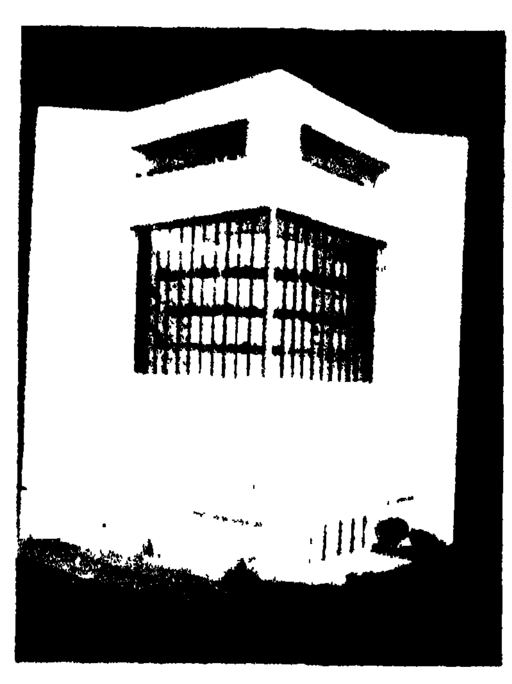
وشاركت المؤسسة كذلك مع مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك في انتاج سلسلة أفلام (كنوز الخليج) ، وهذه الافلام تخدم نشر الثقافة العلمية بين المواطنين ، وهي تظهر علاقة سكان الكويت بالخليج من الناحية الترفيهية والتجارية وكمصدر للمواد الكيماوية لتهيئة الشباب للاهتمام بالخليج علميا والمشاركة في الهوايات المتعلقة بالأنشطة البحرية

تطوير التعليم

وتشارك المؤسسة في العديد من المشاريع العلمية بالتعاون مع الجهات الرسمية في البلاد التي تخدم تثقيف وتطوير قدرات الشباب كمسابقة الشباب الدولية ، وكذلك مشروع بحث تطوير نظام التعليم بالكويت الذي يهدف الى وضع خطة مستقبلية لتطوير واقع التعليم من كافة جوانبه التي من شأنها مواكبة التقدم الاقتصادي والاجتماعي والطموحات



والرحيل الاول ، كانوا فى مقدمة الذين كرمتهم المؤسسة . الاستاذ عبد العزيز حسين يصافح الاخ الكبير خليل القلاف احد بناة السفن الشراعية



المبنى الجديد لمؤسسة التقدم العلمى بشارع أحمد الجابر سوف يتم الاحتفال بافتتاحه فى شهر مارس القادم



راشد الراشد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء يسلم جائزة الكويت لكريمة احمد بشر الرومى الذى فاز بالجائزة بعد رحيله



الشباب هم امل الشعوب ومستقبلها وقد اولتهم المؤسسة اهتماما خاصا فحرصت على تكريم المتفوقين وتشجيعهم ماديا وادبيا وفي الصورتين طالب وطالبة وتهنئة حارة من المدير العام للمؤسسة ومن السيد احمد المرروعي المدير العام السابق للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

المستقبلية لدولة الكويت، وبخاصة ما يتعلق في دراسة الطلبة، واعدادهم للحياة المهنية وتحمل المسؤوليات الاجتماعية ، وهناك مشروع « ظاهرة عزوف الشباب الكويتي عن الثقافة العلمية ودور النادي العلمي الكويتي في التغلب عليها » ، وهذا المشروع تموله المؤسسة بهدف دراسة مظاهر هذا العزوف وحجمه وأبعاده والاسباب التي أدت الى ذلك وكيفية تطويره لدعم النادي العلمي حتى يمكن القيام بدوره المرتقب في التغلب على هذه الظاهرة

خمس جوائز

ولعل أبرز ترجمة لنشاطات المؤسسة هي تلك التي تتمثل في تقديم الجوائز والمكافآت على مستوى دولة الكويت والوطن العربي كله ، وعلى المستوى العالمي حيث تقوم بالاعلان عن الجوائز المتقدمة لمن يستحقها على المستويات العالمية والعربية والمحلية في مناسبات يتم فيها تكريم ومكافأة الدارسين والباحثين، وتمنح المؤسسة حاليا خمسة أنواع من الجوائز أما الجائزة الاولى فهي التي تحمل اسم الكويت وهي على مستوى الوطن العربي ودولة الكويت وتمنح سنويا في مجالات العلوم الاساسية والعلوم التطبيقية والتراث العربي والاسلامي والفنون والآداب والعلوم الاقتصادية والاجتماعية .. ويقبل الترشيح للحصول على هذه الجوائز من الجامعات والمراكز الاكاديمية والعلمية ومن الافراد ، ولا يقبل الترشيح عن طريق الهيئات السياسية .

أما الجائزة الثانية فهي تلك التي تقدم للمؤلفين والمترجمين في معرض الكتاب العربي ، وهي مرة

الفائزون بجائزة الكويت

* الدكتور رؤوف شاكر ميخائيل « مصر » (العلوم الاساسيه ـ الكيمياء)
* الدكتور علي الراعي « مصر » والدكتور محمد يوسف نجم « لبنان » (الفنون والآداب ـ الحركة المسرحية المعاصرة في الوطن العربي)
* المرحوم صقر الرشود « الكويت » (الفنون والآداب ـ الحركة المسرحية المعاصرة في الوطن العربي)
* الاستاذ سمير رضوان « مصر » (العلوم الاساسية ـ البيولوجيا)
* الشاعر أحمد رامي « مصر » (الشعر الغنائي العربي) .
* الدكتور احمد سليم سعيدان « الاردن » (التراث العربي الاسلامي ـ تاريخ الرياضيات عند العرب) .
* الدكتور محمد الرميحي « الكويت » (العلوم الاجتماعية والاقتصادية ـ التطور الاجتماعي في الوطن العربي خلال العقدين الماضيين)
* الدكتور علي حسن نايفة « الاردن » (العلوم الاساسية ـ الفيزياء)
* الدكتور خالد عبدالسلام الشاذلي « مصر » (العلوم التطبيقية ـ موارد الغذاء)
* الدكتور يوسف عبدالله الصايغ « فلسطين » (العلوم الاجتماعية والاقتصادية ـ التنمية الاقتصادية في الوطن العربي)
* الدكتور خالد بن عبدالله « الجزائر » والدكتور احمد رمزي سرور « مصر » مناصفة بينهما (العلوم الاساسية ـ الرياضيات) .
* الدكتور موسى راسم كمال « الاردن » والدكتور عادل فارس صاروفيم « مصر » مناصفة بينهما (في العلوم التطبيقية ـ الهندسة التروكيماوية) .
* الدكتور مدبولي حامد نوير « مصر » (العلوم التطبيقية ـ العلوم البيئية التطبيقية) .

أخرى على مستوى الوطن العربي ويقام هذا المعرض كل عام على أرض الكويت والهدف منه هو اتاحة الفرصة لتبادل المعلومات من خلال الانتاج الفكري في الاقطار العربية . والمؤسسه في هذا المجال انما تعبر عن رغبة صادقة في تشجيع المؤلفين في الاقطار العربية واعطاء حركه التأليف والترجمة مزيدا من الدعم الاقتصادي والادبي وهي في واقع الامر أربع جوائز ، لا جائزة واحدة ، فهناك جائزة سنوية لأحسن كتاب مؤلف في العلوم باللغة العربيه ، وأخرى لأحسن كتاب في العلوم مترجم الى اللغة العربية من الكتب التي تعرض في معرض الكتاب العربي في نفس العام الذي يقام فيه معرض الكتاب

وهناك أيضا جائزة تقدم لأحسن كتاب مؤلف في الفنون والاداب ، كما تقدم جائزة أخرى لأحسن كتاب مترجم في هذا الحقل

ثم جائزة ثالثة لأحسن كتاب مؤلف عن الكويت ، ورابعة لأحسن كتاب مؤلف عن الطفل العربي ، سواء كان من الكتب التي شاركت في معرض الكتاب أو في مهرجان كتاب الأطفال ولعمهم الذي يقام في نفس السنة

وفي الزراعة أيضا

والزراعة التي ثبتت بداية استقرار الانسان على الأرض ، كان أيضا لها نصيب من تشجيع المؤسسة التي أخذت على عاتقها رعم هذا المجال الحيوي عن طريق تقديم ثلاث جوائز سنويا للعاملين في الحقل الزراعي في ميادين استخدام الاساليب العلمية والتكنولوجية لزيادة المحاصيل الزراعيه . أو تنويع

* الدكتور ابراهيم شحاتة « مصر » والدكتور حازم ببلاوي « مصر » ، مناصفة بينهما ، (في العلوم الاقتصادية والاجتماعية - الاستثمار في الوطن العربي)
* الدكتور عز الدين اسماعيل «مصر» والدكتور محمد زكى العشماوى « مصر » مناصفة بينهما في الفنون والآداب - تاريخ الأدب العربي الحديث)
* الاستاذ خالد سعود الزيد « الكويت » (تاريخ الادب العربي الحديث)
* الدكتور عبدالحميد يونس « مصر » والمرحوم الاستاذ احمد بشر الرومى « الكويت » مناصفة بينهما ، (في الفنون والاداب - المأثورات الشعبية)
* الاستاذ حسن صالح شهاب « اليمن الجنوبي » (احياء التراث العربي والاسلامى - الملاحة عند العرب)
* الدكتور انور عبدالعليم « مصر » (العلوم الأساسية - بيولوجيا البحار) .

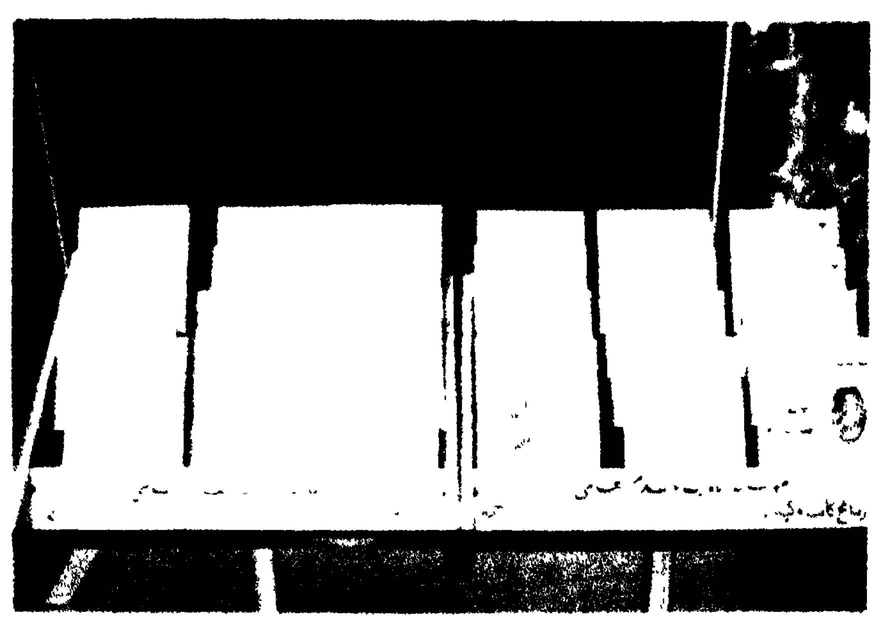
وقيمة جائزة الكويت عشرة آلاف دينار كويتي وميدالية ذهبية وشهادة تقديرية



المقر الجديد لمؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، اقيم في شارع احمد الجابر ، والد سمو الأمير ولم يكن مجرد صدفة ، وانما كان تكريما لجابر الاب الذى شهد عهده اول نهضة ثقافية فى الكويت .

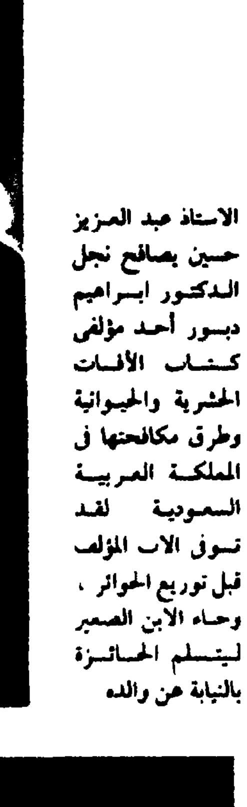


راشد الراشد والدكتور علي الشملان يقدمان جائزة الكويت للدكتور عبد الحميد يونس من مواطني جمهورية مصر العربية



جانب من اصدارات مؤسسة الكويت للتقدم العلمي غير الدورية وقد اعلن مدير عام المؤسسة عن قرب صدور العدد الأول من مجلة العلوم الامريكية باللغة العربية .





الاستاذ عبد العزيز
حسين يصافح نجل
الدكتور ابراهيم
دبور أحد مؤلفى
كتاب الآفات
الحشرية والحيوانية
وطرق مكافحتها فى
المملكة العربية
السعودية لقد
توفى الاب المؤلف
قبل توزيع الجوائز ،
وجاء الابن الصغير
ليتسلم الجائزة
بالنيابة عن والده



الدكتور العوضى يهنىء الدكتور نبيل خليل من مواطنى العراق على فوزه بجائزة الكتاب العربى



في آخر حفل اقامته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، فازت خمسة كتب بالجائزة واصحابها من اليمين د. عمر فروخ ، د. رشد

هذه المحاصيل وهذه الجوائز مقصورة على المستوى المحلي وحده.

ثم جائزة السرطان التي تقدمها المؤسسة على المستوى العالمي بالتعاون مع الاتحاد الدولي للسرطان وهي تقدمها للعاملين المبرزين في أحد مجالين ، الاول في البحوث الاساسية لمرض السرطان ، والثاني التطبيقات العملية لهذا المرض الذي ما زال يفتك بملايين البشر كل عام ، وما زال العلم يقف أمام انتشاره عاجزا رغم البحوث المضنية المستمرة التي تجري في كل أنحاء العالم من أجل اكتشاف دواء لهذا الداء القاتل .

لم تترك مؤسسة الكويت للتقدم العلمي مجالا من مجالات العلم والبحث لم تشارك فيها مشاركة أدبية ومادية ساعية من أجل حياة أفضل للأجيال القادمة .

فهذه رسالتها ، كما يلخصها مديرها العام الدكتور علي الشملان .. ولعلنا نجد في جوائز الطب الاسلامي التي تقدمها المؤسسة على المستوى العالمي ، المعنى الذي قدمنا به لهذا الانجاز الذي تحقق بفضل تشجيع أمير الكويت الذي يحمل اليوم لواء النهضة الفكرية والعلمية في بلده وفي بقية أقطار الأمة العربية كلها

فالعالم اليوم يشهد عودة حثيثة الى أساليب العلاج التي عرفها أجدادنا عندما كانوا يعتمدون على الأعشاب الطبية منذ مئات السنين ، ولقد كان لهم الدور الرئيسي والمؤثر في انتشار هذه الاساليب التي اعترف بجدواها علماء الشرق والغرب ، وتقوم منظمة الطب الاسلامي بتمويل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتقديم جوائز سنوية في هذا الحقل الذي يشتمل على انجازات الحضارة الاسلامية في الطب وفي العلوم المتصلة به ، وكذلك في البحوث التطبيقية الطبية لذخائر تلك الحضارة ، وتمنح المنظمة جوائزها في مجالي الممارسة والتطبيق ، بشرط أن يكون انتاج من يحصل على الجائزة جديدا ومبتكرا وله أهميته في هذا الحقل ، أو أن يكون قد أدى خدمات جليلة في هذا الميدان

كيف تصل الجوائز لمستحقيها

ثم ماذا . ان الحديث عن المؤسسة ونشاطاتها يطول ، ولن نستطيع بما اوجزنا ، أن نلم بكل أوجه النشاطات التي تمارسها وتشارك فيها على هذه



موح .ودكتور سعد صايغ ودكتور حازم عصفور . ودكتور فؤاد زكريا وقام الاستاذ راشد الراشد بتوزيع الجوائز على الفائزين

الصفحات القصيرة ، ولكن تبقى بعد هذا ناحية هامة لم نعرض لها وهي أسلوب التحكيم الذي يصل في النهاية بالجوائز الى مستحقيها ... اذن ولا بد من وقفة قصيرة هنا

بقول الدكتور علي الشملان

« ان مجلس الجوائز بالمؤسسة يتألف من لجان تحكيم من العلماء البارزين في كل حقل من الحقول المعلنة ، وتقوم كل لجنة من هذه اللجان وعددها خمس ، بدراسة انتاج المتقدمين ، وتقييمها بصورة دقيقة وفق معايير علمية محددة أهمها الابتكار والاستقلالية والاعداد والأصولية والغزارة وتبادل الافكار والخبرات مع الآخرين والتطبيقات العملية وأخيرا تأثير الانتاج المقدم على فروع العلوم المختلفة ، وهي ترفض من يحصل على أقل من ٨٥٪ . ثم تعيد النظر في المرشحين الذين حصلوا على نفس هذه الدرجة أو أكثر ، وتفاضل فيما بينهم لتقدم تقييما نهائيا على شكل تقرير مرفوع الى مجلس الجوائز بالمؤسسة . ويتضمن التقرير الأسس التي اتبعت في التقييم والأسباب التي تبرر الترشيح

وعلى اثر ذلك يتم عرض التقارير الواردة من لجان التحكيم على مجلس الجوائز ويتخذ بشأنها التوصيات المناسبة ، وبعدها يقدم مجلس الجوائز ، الذي يرأسه مدير عام المؤسسة توصياته الى مجلس ادارة المؤسسة لاتخاذ القرار النهائي بشأنها

وتتولى المؤسسة الاعلان عن أسماء الفائزين ، ويتم تبليغهم بذلك ، كما تخطرهم بموعد الاحتفال بتوزيع الجوائز عليهم وتدعوهم لحضوره ضيوفا عليها لمدة أسبوع ويقوم كل واحد من الفائزين بالقاء محاضرة عامة تتناول شرحا للبحوث والنتائج التي رشحته للفوز بالجائزة

الكتب الفائزة

والعودة الى كل الكتب التي فازت بالجوائز على مدى السنوات الماضية لن يكون سهلا في هذا المجال المحدود ، واذن سوف نكتفي بآخر حفل أقيم لتوزيع الجوائز على الكتب الفائزة في العام الماضي

ففي شهر ديسمبر من عام ١٩٨٥ ، وزعت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي جوائزها على الفائزين بجوائز معرض الكتاب العاشر الذي أقيم في عام ١٩٨٤ ، وقيمة كل جائزة هي ثلاثة آلاف دينار كويتي وشهادة تقدير من المؤسسة للمؤلف الفائز ،



راشد الراشد والدكتور على الشملان وتهنئة للسيد حسن صالح شهاب من مواطني جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، بمناسبة فوزه بجائزة الكويت

الى جانب ألف دينار مكافأة لدار النشر التي تولت طبع الكتاب وتوزيعه .

وقد فاز بجائزة أحسن كتاب مؤلف في العلوم مناصفة، كل من الكتابين « القلب في الصحة والمرض » تأليف الدكتور سعيد الصايغ . « وأساسيات في علم الفسيولوجيا » تأليف الدكتور رشدي فتوح عبدالفتاح ، من منشورات جامعة الكويت .

أما في مجال الآداب والانسانيات ، فقد فاز بجائزة أحسن كتاب - مناصفة أيضا كل من الكتابين : « تاريخ الادب العربي » تأليف عمر فروخ ، و « المرايا المتجاورة » ، تأليف الدكتور جابر عصفور والاخير من منشورات الهيئة العامة للكتاب بجمهورية مصر العربية .

وكان أحسن كتاب مترجم الى اللغة العربية في مجال الفنون والآداب والانسانيات هو « حكمة الغرب » ترجمة الدكتور فؤاد زكريا وهو من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .



خالد سعود الزيد فاز بجائزة الكويت . عن بحثه فى تاريخ الأدب العربى الحديث .

وقد حجبت جوائز أحسن كتاب مؤلف عن الكويت وأحسن كتاب مؤلف للطفل العربي ، وأحسن كتاب مترجم في العلوم ، لعدم رقي الانتاج المقدم لمستوى الجائزة .

هكذا تزدهر الحضارات

وفي الحفل الذي أقيم لتوزيع الجوائز وشهده عدد كبير من رجال الفكر والعلم والأدب تحت رعاية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ، ألقى الوزير كلمة معبرة قال فيها : « لا يمكن لحضارة أن تنمو وتزدهر دون الاعتماد على البحث الأصيل والتأليف المبتكر والترجمة المبدعة فبالبحث تنفتح آفاق جديدة ، وتكتشف وسائل خلاقة ، وبالتأليف تترابط النظريات المبتكرة وتتوضح تطبيقاتها لتأخذ مكانا متكاملا في عالم المعرفة . وأما الترجمة المبدعة ففيها تنقل الأفكار من حضارة الى أخرى ، فتمتزج الآراء وتتفاعل النظريات، وبذلك تمهد السبيل الى بحث أعمق وتأليف أحدث . وهكذا كان شأن الحضارة العربية في عصرها الذهبي »

مناسبة عزيزة

أما الدكتور علي الشملان مدير عام المؤسسة فقد قال في كلمته « لقد دأبت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، على اقامة مثل هذا الاحتفال كل عام بمناسبة عزيزة هي افتتاح معرض الكتاب على أرضنا الطيبة وتشترك في هذا المعرض دور النشر الكبرى في الوطن العربي الكبير بما تنشره من كتب قيمة في فروع المعرفة المختلفة ، ويسعى المعرض الى تيسير سبل الاتصال بين القراء والمؤلفين والكتاب والمترجمين والناشرين وذلك عن طريق الكتب المنشورة ، كما يهدف المعرض الى تسويق هذه الكتب من خلال الجهود المتواصلة للقائمين على المعرض ، وأصبح من المؤكد الآن بعد مرور عقد من الزمن على اقامة أول معرض ، أنه يأخذ مكانة مرموقة في عالم الطباعة والنشر ولقد أحدث المشاركة فيه نموا سنة بعد أخرى مما يشير الى نجاحه المستمر ، ويبعث على الأمل في مزيد من المشاركة والنجاح »

نموذج يحتذى

وفي الكلمة التي اختتم بها الدكتور فؤاد زكريا الحفل بالنيابة عن نفسه وعن زملائه الفائزين بالجوائز نستطيع أن نستخلص المعنى الكبير لهذا المهرجان الثقافي ، فقد قال .

« في يوما هذا يلقى الكتاب تكريما مزدوجا : اذ تشهد الكويت تلك التظاهرة الثقافية السنوية الكبرى ، التي يقام فيها معرض للكتاب يقدم للجماهير الواسعة أحدث ما أنتجته المطابع العربية والأجنبية من نتاج العقل البشري

« والحق أن الاقبال الهائل الذي يلقاه معرض الكتاب في كل عام ، والذي جعل أيامه أشبه بعيد ثقافي تنتظره كل أسرة وتحرص على ألا تفوتها فرصة المشاركة فيه ، لهو أوضح دليل على أن جذوة الثقافة ، برغم كل ما توحي به المظاهر ، وبرغم كل مصاعب الحياة الخاصة والعامة ، لم تخمد بعد في نفوس الناس

وفي هذا الوقت من كل عام ، يشهد الكتاب تكريما آخر ، هو تلك السنة الحميدة التي استنتها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، بتقديم جوائز لأحسن الكتب التي ظهرت في العام الأسبق تأليفا وترجمة في ميادين مختلفة للآداب والعلوم

ولقد أثبتت المؤسسة أن نظرتها الى الثقافة قومية شاملة ، فجعلت لكل فرع جائزتين إحداهما تخص الكويت ، والأخرى تخص سائر البلدان العربية ، وهو تأكيد لمعنى رفيع هو أن الثقافة العربية وحدة لا تتجزأ ، وأن العمل القيم يستحق أن يلقى التكريم حتى خارج حدود وطنه

اني أحيي جميع المسؤولين عن معرض الكتاب ، تلك التظاهرة التي تنقل شعبا بأكمله ، أياما معدودة في كل عام ، من مشاغل الحياة اليومية الى عالم الابداع والمعرفة والخيال ، وأحيي مؤسسة التقدم العلمي على برنامجها السنوي في تشجيع الناشرين والمؤلفين والمترجمين ، ولا يخالجني شك في أن هذا التشجيع نموذج رائد جدير بأن يحتذى في كافة أرجاء وطننا العربي »

والى يوم يتحقق فيه هذا الأمل فنرى مهرجانا للعلم في كل قطر من أقطار وطننا العربي الكبير □



من أجل قطتيـــــه !

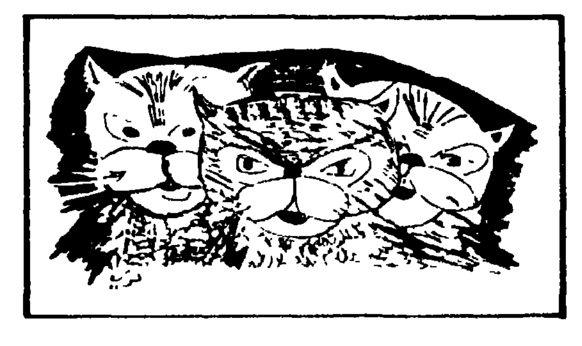
كان شابا عندماقبض عليه رجال الشرطة فى مدينة هامبورج الألمانية ، وقدم للمحاكمة بتهمة قتل سيدتين فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة !

وفى العام الماضى أتم القاتل هيربرت سولف مدةالعقوبة التى حكم عليه بها ، واقترب الافراج عنه ، فخطر له أن يطلب الى مدير السجن أن يسمح له بالخروج لمدة ٢٤ ساعة ، يجرب فيها حظه فى العثور على عمل يرتزق منه ، عندما يعود لمواجهة الحياة . .

وخرج سولف الذى كان قد اقترب من عامه الخمسين الى الشارع ، وبهرته شمس الحرية التى حرم منها ربع قرن من الزمان ، وقرر الا يعود الى السجن مرة أخرى ، ليقضى الأيام الباقية قبل أن يستعيد حريته كاملة !

وبدأت الشرطة على الفور حملة واسعة النطاق للبحث عن سولف ، لكنه كان قد اختفى تماما !

ولكن مدير السجن لم ييأس . . تذكر القطتين الصغيرتين اللتين شاركتا سولف زنزانته فى السجن ، عند منتصف رحلته وراء القضبان ، وكيف كان يتقاسم طعامه معهما فأسرع يدعو الصحفيين لحضور المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مكتبه وقال : « سوف



أضطر آسفا الى اعدام القطتين ، اذا لم يعد سولف الى زنزانته خلال اليومين القادمين !

ولم يكد تصريح مدير السجن يظهر فى الصحف ، حتى دق جرس التليفون فى مكتبه ، وكان المتحدث على الجانب الآخر هو سولف السجين الهارب : « أتوسل اليك الا تنفذ تهديدك . سوف أعود الى السجن خلال ساعات ! »

وعاد سولف وتجمع الصحفيون حوله فى الزنزانة التى كان يقف فى ركن منها ، وقد ضم قطتيه الصغيرتين الى صدره « انى لن أنسى هاتين الصديقتين الصغيرتين اللتين كانتا سلواى فى أقسى سنى حياتى فى السجن . . هل تتصورون أننى رجل بلا قلب ، حتى أترك قطتىّ تموتان من أجلى ! ؟ .

. . وأخيرا تكلم الببغـــــاء !

احتدم النزاع بين الأرملتين . . كل منهما تقسم على انها صاحبة الببغاء الهارب . ! والببغاء فى قفصه يرفض الكلام منذ عام ١٩٨٢ ، عندما عثر عليه أحد سكان مدينة بون عاصمة المانيا الغربية ، وحمله الى عمدة المدينة فى قفص جديد اشتراه له !

ولكن اقامة الببغاء فى بيت العمدة لم تطل ، فقد تقدمت الأرملة الأولى السيدة جريتا ماير التى بلغت الخامسة والخمسين ، وقالت للعمدة : ان الببغاء الذى يحتفظ به هو ملك لها ، وأنها جاءت لتستعيده ، وحملت جريتا طائرها المدلل ، وعادت

به ، حيث وضعته في شرفة البيت الذى تعيش فيه .

ولم تكد تمر بضعة أيام حتى بدأت المتاعب ، فقد شاهدت الأرملة الثانية وتدعى كريستين شميدت الببغاء في الشرفة ، فأسرعت تتقدم ببلاغ الى الشرطة تقول فيه ان السيدة « مارثا قد سرقت ببغاءها .

ولم يكن هناك مفر من عرض الأمر على القضاء .

ووقفت السيدتان في انتظار الحكم الذى سيصدره القاضي ولكن الرجل ما لبث أن وجد نفسه في حيرة . . فلم تستطع احدى السيدتين أن تقدم دليلا واحدا على انها صاحبة الببغاء

وأخيرا قرر القاضي اعادة الببغاء الى بيت العمدة حتى يتم الفصل في النزاع الذى احتدم بين السيدتين ، وشغل الصحف والرأى العام

ومرّت ثلاث سنوات ، وكلما تحدد موعد لنظر القضية قرر القاضي تأجيلها لعدم توافر الأدلة .

وأخيرا ومنذ أسابيع قليلة مضت ، جاءت السيدتان كما تعودتا الى قاعة المحكمة ، فقط كانت هناك مفاجأة تنتظرهما ، فقد . . رأى القاضي أن يحضر الببغاء أيضا الجلسة ، فحملوه الى القاعة في قفصه ، وما كادت الجلسة تبدأ ، وتظهر السيدتان أمام القاضي ، حتى تكلم الببغاء ، قال . « كيف حالك يا جريتي ، لقد افتقدتك كثيرا ! وجريتي هو اسم الدلع الذى كان ينادى به صاحبته جريتاماير !!

وأغلق القاضي ملف القضية التى حيرته أربع سنوات !!

قصـــــة وفـــــاء

كان عمله كنواصع يستغرق كل وقته ، فقد كان يعمل « كناسا » في شوارع مدينة نيس بفرنسا . وكان يعود الى غرفته التى لا يشاركه فيها أحد ، منهكا متعبا في نهاية النهار ، فيمضى جانبا من الليل ، وحده يفكر في هذه الحياة الرتيبة المملة التى يحياها ، وكيف يستطيع أن يخرج منها ، وماذا يفعل ؟

وفي أحد الأيام خرج جان ريكو الى عمله في الصباح يكنس الشارع ، عندما فوجىء بكلب صغير جائع يرقد بجوار صندوق القمامة ورق قلبه لهذا المخلوق الضعيف ، واقترب منه يداعبه ، واذا بالكلب يترك مكانه ويتبع صديقه الجديد طوال رحلته

خلال النهار ، حتى جاء موعد الغداء ، فجلس بجواره يتقاسمان الطعام الذى تعود الكناس أن يحضره معه !

وعندما انتهى يوم العمل ، لم يكن جان وحده وهو عائد الى غرفته ، فقد كان يرافقه صديقه الذى اختار أن يسميه « زوزو » ولأول مرة أحس العامل البسيط أنه لم يعد يعيش وحده ! وتزوج جان ، وانتقل الى العيش مع عروسه في بيت مستقل ومعهما « زوزو » ، ولكن الكلب الوفى ، لم يتوقف عن مرافقة صاحبه الى عمله كل صباح ، رغم كل المحاولات التى كانت تبذلها الزوجة لاقناعه بالبقاء معها في البيت

بدأت هذه القصة منذ سبعة عشر عاما . . وفي هذا الأسبوع مات جان . أصيب بنوبة قلبية أثناء تأدية عمله ، ونقلوه الى المستشفى ، ولكنه فارق الحياة قبل أن يصل اليها !

وعلى مدى أسبوع كامل ، ظل « زوزو » يخرج من البيت في نفس الموعد الذى كان يخرج فيه صاحبه ، فيذهب الى نفس الشارع الذى كان يقوم بكنسه وتنظيفه ، حيث يقف حائرا يبحث عن صاحبه الذى ذهب ! . حتى اذا جاءت لحظة العودةالى البيت ، قفل راجعا ، وقد بدا حزينا مكتئبا .

وفي نهاية الأسبوع ، لم يخرج « زوزو » كعادته كل صباح في رحلة البحث عن صديقه الذى افترق عنه ، ولكنه خرج الى الشرفة في الطابق الرابع ، ثم ما لبث أن قفز منها الى الشارع ومات !

قالت أرملة جان : « لقد انتحر زوزو » حزنا على سيده . . انه لم يقرب الطعام منذ أن رآه يسقط أمامه في الشارع ، عندما فاجأته النوبة القلبية ، فقرر أن يضع هو الآخر نهاية لحياته في الشارع أيضا . . لقد انتحر « زوزو » !

قصة

بقلم : محمود الريماوي

كنت قد نجوت بأعجوبة وفزت بالحياة مرة أخرى . وفيما كنت أغالب الاختناق الذي لم يلبث أن تبدد تدريجيا .. اكتشفت أن ذلك بحد ذاته مدعاة للاغتباط أيضا . لقد دفعت ثمنا باهظا من أجل أن أفوز فقط بما كنت فائزا به في الأصل !

بعد أن هدأ كل شيء ، وبقيت حيا ووحيدا (تماما كما كنت من قبل) رأيت فجأة شيئا يتحرك كشبح ضئيل ، وقد بدا لي ظهوره عشوائيا ، كأن الحطام تمخض عنه فأخرجه حيا يسعى . تصورته في البدء قطا ، ثم خلته كلبا . فاذا به ذئب . ذئب حقيقي يتهادى فوق الحطام بتؤدة وخفة . يرفع رأسه الى السماء .. ويتشمم نسمة غريبة .. يثب ، يرفع جذعه وقائمتيه الأماميتين حتى يلامس شبه التراب . ثم يترك القدمين وشأنها ، ويخفض رأسه ليتشمم ما تحته وما حوله على عجل . ذئب أرضي لا شأن له بالسماء العالية ، وهو فوق ذلك ذئب جبلي ، وعلى شيء من الوداعة . هكذا رأيته في ساعة الهول . لعله نسي أنه ذئب ، أو أنه تخلى عن طبيعته ، في هذا الظرف العصيب الذي يتحدانا أن نتكر غرائزنا ، لقد ذهبوا ولم يبق هناك من يحتمه الشقاء سوانا : الذئب وأنا . القائمة الخفيفة تعلو الحطام وتعبث به بنزق .. تجرد الصمت . وحينئذ يقفز جذلا تحت الشمس ، حتى يستوي ثانية ويتثاءب ثم يعتدل رشيقا ، كما يتثاءب ذئب حاذق يحوم حشد من الأغنام الغافلة .

لم أر في الحق ذئبا جميلا كهذا تحت سماء صافية كهذه . كان الحطام شاملا ـ لم يتركوا شيئا الا وجعلوه حطاما ـ ولم يكن هناك أثر لبشر : اذن ليس هناك أعداء يقطعون على الذئب طريقه ، وينغصون عليه حياته . ثمة فقط مشاهد غريبة : شظايا أغصان ، مواسير مياه متفجرة ، سيارات مقلوبة ، أوراق مبعثرة ، بيوت خربة ، طارت أبوابها وشبابيكها ، أثاث منزلي ملقى في الطرقات ، وروائح كريهة تنبعث من هنا خفيفة ومن هناك شديدة .. وأصداء بشرية أقل خفوتا من صوت الهواء .

يمشي الذئب بملء وحدته وسطوته : كل الوقت وكل الأمكنة له ، يتدرج كغزال ، ينكش الحطام كدجاجة ، يتثنى كقطة ، يقتعد الأرض كبورجوازي مظلوم سرقوا سيارته . يرفع عقيرته بعواء أبح ، يشبه غناء أحدنا في الحمام ، وكان يكفي أن يراني لكي يصبح هذا الذئب ذئابا ، وأصير لقمة سائغة له و .. بالفعل فقد استدار فجأة اذ أدرك بغريزته وحواسه أن مخلوقا آخر يتحرك ويشاركه المكان . كنت أقف على شرفة أرضية لبقايا بيت يجاور الطريق ، أستطلع نتائج الهول ، وأفكر بماذا يتعين علي أن أفعل . رآني على الفور ، فاندفع طائرا مذعورا بالهلع ، مخلفا وراءه عواءه الجريح . أدرت وجهي عنه في الحال اتقاء لشر داهم ، فاذا هو قد تجاوز في لمح خاطف .

انقطعت أنفاسي حين رأيته يبتعد ، ثم يتوقف عند نفس المسافة التي كانت تفصلني عنه من قبل ، ولكن في الاتجاه المعاكس ، وقد لاحظت في تلك الأثناء أنه هرب دون أن تتلاقى نظراتنا أبدا . توقف لبرهة . أدار رأسه نحوي في التفاتة سريعة ، ربما ليتأكد مرة أخرى من صحة ما رأى ، ثم استأنف مشيه على نحو أسرع قليلا من قبل . لم يعد يتثنى ويتمايل ويتهادى ، لقد رأيته يمشي بتثاقل وضجر رغم سرعته الظاهرة ، لكأنما أصيب بصدمة : فمازال ثمة فساد في الأرجاء ، على غير ما تعود في بادىء الأمر . وفيما أخذ يزداد ابتعادا هبط قلبي وكدت أهتف .. كدت أصرخ .. وكدت أعوي ، بل حاولت ذلك ، ولما لم أستطع . هممت أن أعدو وراءه ، كنت في حاجة رغم أي شيء رغم أي خطر ، لأن أراه عن قرب ويراني ، لكن نهاية الطريق سرعان ما ابتلعته ، ولم أعد أرى حولي سوى الحطام وقد ازداد هولا ووحشة . □





بقلم : الدكتور فضل أيوبي

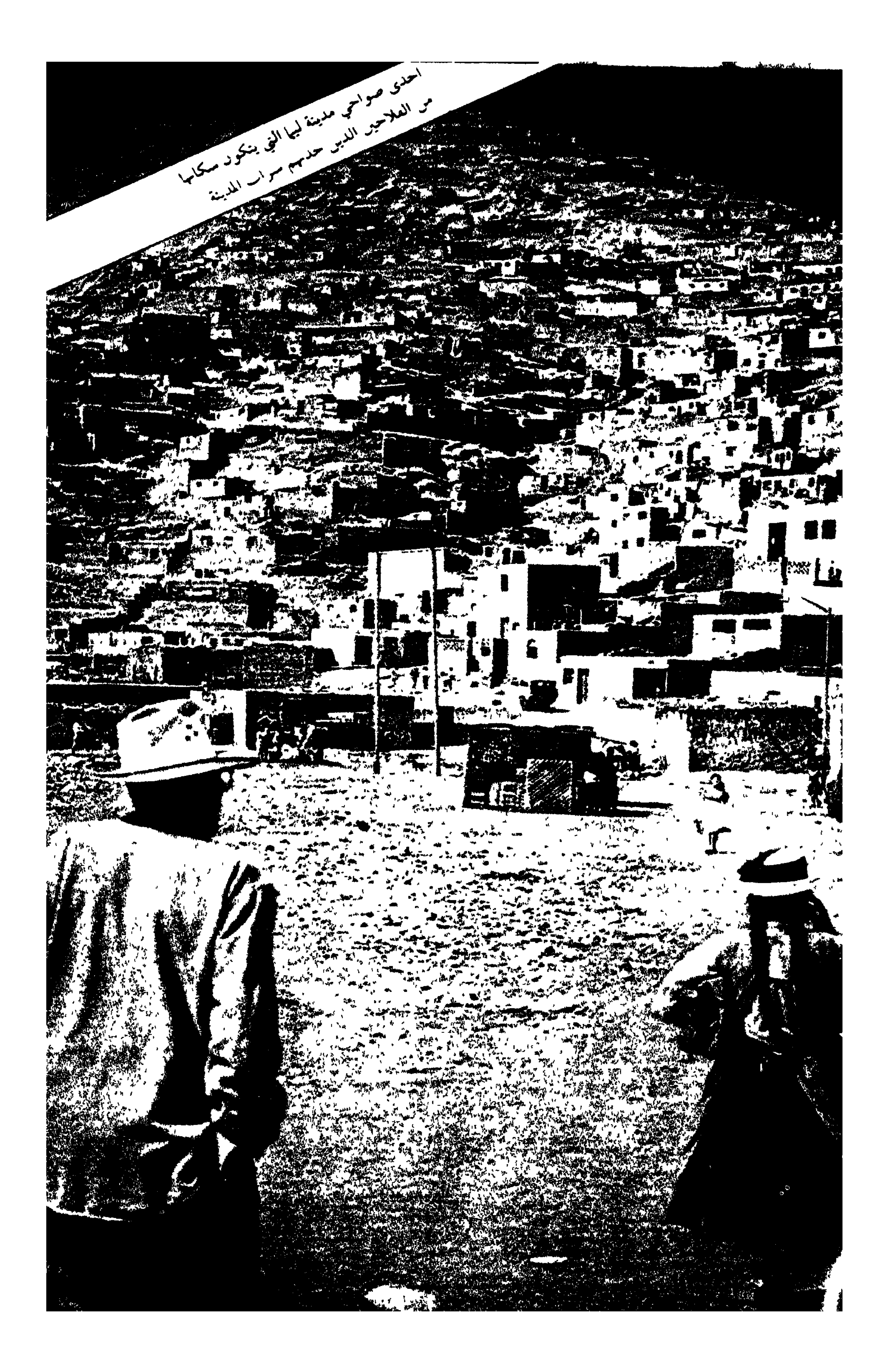
شهدت معظم المدن في العالم الثالث نموا حضريا كبيرا - أي زيادة المدن عددا وحجما - خلال العقود الثلاثة الماضية ، وسوف تعرف نموا جديدا من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ ، وهذا ما يشكل قلقا بالغا ، ليس فقط بالنسبة لحكومات الدول النامية ، بل للمجتمعات الغربية .

هل التحضر ظاهرة أوجدتها الثورة الصناعية ؟ ماهي الأسباب المكونة لها ؟ وهل يمكن مقارنة النمو الحضري الحالي في البلدان المتخلفة مع النمو الذي عرفته مدن العالم المصنع ؟ وما هي النتائج التي يمكن أن تشكلها هذه الظاهرة على كل من الريف والمدينة ؟ وكيف يمكن معالجة اثارها السلبية . ؟

الاجابة عن هذه التساؤلات تشكل محور الموضوع في هذه الدراسة .

لن يمر عام ألفين على بلدان العالم الثالث بسلام ، بل سوف يترك لها مشكلة معقدة قوامها : الزيادة السكانية السريعة ، والنمو الحضري الخرافي ، أي نمو المدن عددا وحجما .

وسوف يخضع أربعة أخماس العالم لهذه الظاهرة الخطيرة ، وستشهد بداية القرن الواحد والعشرين - ولأول مرة في تاريخ المجتمع العالمي ذي الغالبية الريفية - تغيرا نوعيا في بنيته ، اذ سيتحول أكثر من



احدى ضواحي مدينة ليما التي يتكون سكانها
من الفلاحين الذين جذبهم سراب المدينة



أسر بكاملها تحيا في هذه المواسير المعدة لجر المياه القذرة ،أي عدالة في هذا العالم ؟



بومباي في الهند
العالم هناك عالمان متجاوران . أحدهما للأغنياء . والآخر للفقراء



حياة أحياء الصفيح على هامش حياة المدينة المستوردة في البلدان النامية !!

ينتظرون توزيع الغذاء لمكافحة سوء التغذية !!
صورة مأخوذة لأحد مخيمات اللاجئين في الهند

نصف سكانه الى حضريين يعيشون في المدن ، لذلك فان مدن الصفيح - مدن اليأس وعواصم الفقر التي تضم سكانا مازالت بينهم وبين البروليتاريا مراحل يجب قطعها - تعتبر النقاط الساخنة التي ستنفجر منها الاضطرابات الاجتماعية والأحداث السياسية .

لقد تجاوزت بلدان أوروبا والولايات المتحدة ، وكندا واليابان واستراليا ونيوزيلندة الجديدة هذه المرحلة ، واليوم ، يعتبر كل ثلاثة من أصل أربعة من سكان هذه البلدان من ساكني المدن ، غير أن خصائص البلدان المذكورة مختلفة تماما عما هو عليه الحال في العالم النامي فهي أقل سكنى من باقي المناطق ، وقليلة بعدد سكانها . والأهم أنها الأكثر غنى وإزدهارا ، فاذا كان النمو الحضري يبدو وكأنه ثمرة طبيعية للامكانيات الصناعية والغنى الاقتصادي بالتالي فان كل تطور للتمركز الحضري يعبر عن ظاهرة تقدم في حياة أي شعب من الشعوب .

لكن مايجري الآن في البلدان السائرة في طريق النمو شيء لايصدقه العقل ، انه هجمة مجنونة لسكني المدن لدرجة أن معدلات التحضر فيها بلغت حدا أعلى من مستوى النمو الحضري لدى البلدان المتطورة ذاتها .

لقد بقي مستوى النمو الحضري في العالم الثالث حتى ثلاثين سنة خلت , ضعيفا جدا ، غير أن مسيرة الشعوب باتجاه المدن بدأت منذ ثلاثة عقود تقريبا ، فانطلقت حركة هجرة ضخمة تتسع من يوم لآخر ، وأخذت كتل ضخمة متعاظمة من البشر تتوافد على المدن والتجمعات الكبيرة ، لتصبح جزءا منها ، ولتواجه فيها أسوأ الشروط غير الانسانية ، لدرجة أن كثافة السكان في أحياء الصفيح في مدينة مانيلا بالفلبين على سبيل المثال تصل الى ١٨٠ الف نسمة/ كم٢ . انه بدون أدنى شك تمركز لايطاق ، حيث لايزيد المجال الحيوي للشخص الواحد عن ٥ م٢ بما فيها الشوارع .

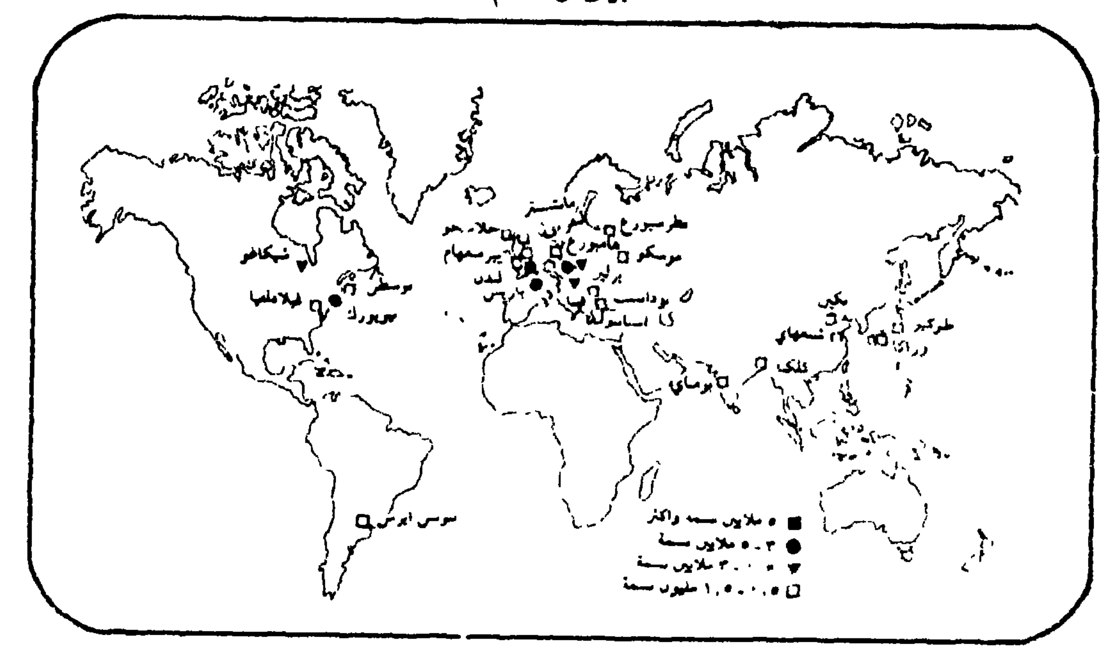
في هذا الوقت يجتاز النمو الحضري في البلدان المصنعة مرحلة معكوسة ، اذ يتجنب الناس سكنى مراكز المدن الكبرى ، ويفضلون الابتعاد عنها والعيش في الارياف ، وخصوصا وانه يمكنهم الارتباط الدائم بحياة المدينة عن طريق شبكات كثيفة ومتعددة للاتصالات والنقل . وعلى الرغم من أن ردة الفعل هذه لايمكنها أن تخفض من تركيز التجمعات البشرية الكبرى ، الا أنها شجعت على النمو شبه الحضري . فقد امتدت الشبكات ، والمدن الفطرية ، وتولدت الضواحي الأخطبوطية لتتصل بطلائع المدن الأخرى المتوسطة ، وانتهت جميعها الى تأليف صبات حضرية ذات أبعاد ضخمة ، ونذكر في هذا المجال : الواجهة الساحلية الشمالية الشرقية للولايات المتحدة التي تشكل شريطا معمورا دون انقطاع يسميه الأمريكان - الميغالوبوليس Megalopolis الذي يبدأ من مدينة بوسطن وينتهي بواشنطن ، ويمر عبر نيويورك وفيلادلفيا وبالتيمور ، منطقة طولها ٨٠٠ كم ، وعرضها يصل الى ٥٠ كم ، ويعيش فيها حوالي ٤٠ مليون نسمة . وهناك تجمع هائل آخر تمثله مدينة لوس انجلوس ، يمتد على مسافة ١٠٠ كم من الشرق الى الغرب ، وعلى ٥٠ كم من الشمال الى الجنوب ، ويعمره حوالي ١٠ر٥ ملايين نسمة .

لقد أدى انفجار العواصم الكبرى الى أن اسما واحدا لم يعد كافيا لتمييزها ، بل يجب استعمال أسماء مركبة فطوكيو ليست الا واحدا من الأقطاب لمنطقة اشغال حضرية واسعة ومستمرة (طوكيو - يوكوهاما) ودور تماند Durtmund هي النواة في مركب الرين - الرور ، والقاهرة أصبحت مجرد حي من : القاهرة - الجيزة - امبابة ، وبانكوك لم تعد توجد الا من خلال امتدادها بانكوك - توربوري .

النمو الحضري ولد في الشرق

لم تستطع الثورة الصناعية ونظامها العالمي الجديد أن تنسينا أن حضارة التمدن لم تولد في أوروبا خلال ثلاثة آلاف سنة الأخيرة ، بل انها ولدت في الشرق ، ولم تقم في أوروبا عبر العصور عواصم العالم الكبرى الرئيسية ، فلقد ظهرت المدن أولا في أودية الأنهار الكبرى في مصر والعراق والباكستان ، في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وذلك عندما ازدهرت الحضارات الزراعية فيها ، وهكذا وجدت مدن زاد عدد سكانها عن ٢٠ الف نسمة مثل . بوتو ، ممفيس ، بابل ، نيبور ، سوسة ، أوركيش ، موها نجو - ارو . حتى

المدن الكبرى في العالم سنة ١٩٠٠



ان مدينة طيبة في مصر وصل عدد سكانها الى ١٠٠ الف نسمة سنة ١٢٦٠ ق م ، هذا الى جانب المدن العديدة التي ظهرت في حوض المواسح - هو في العصر

[illegible] وفي الالف الثانية قبل الميلاد ظهرت المدن [illegible] مثل [illegible] على بحر ايجه ، [illegible] وترشاسة في [illegible] مثل دمشق وحلب [illegible]

[illegible] ازدهرت روما في القرن الثاني قبل [illegible] للامبراطورية الرومانية [illegible] الخرمن ، انتقل الثقل [illegible] بعد ذلك نصعة [illegible] الاسلام [illegible] العمران في بلاد [illegible] ، وقد [illegible] في ظهور مدن كبيرة [illegible] والرباط والبصرة [illegible] في الوقت الذي لم تكن [illegible] خرجت بعد من [illegible]

[illegible] المتوسطي [illegible] خسارة [illegible] في أوروبا

وتبعها الميركانتيلية التجارية ، وفي القرن التاسع عشر ولدت الثورة الصناعية التي كانت بمثابة المحرك الهائل للنمو الحضري ، الذي فرح المدن والشبكات الحضرية ، فاذا كان صحيحا أن زوال العواصم الكبرى كروما وأثينا في القدم سمة الحضارات الكبرى ، فانا نستطيع القول بأن العالم المصنع اليوم مليء بعوامل التفسخ

سباق التحضر . الماراتون

في سنة ١٨٧٥ وصلت مدينة لندن سكانها البالغ عددهم ٤,٢ ملايين نسمه الى رأس العواصم الخمس الكبرى (المليونيه) في العالم ، التي كانت جميعها أوروبية باستثناء (بكين) وحتى عام ١٩٢٥ بقيت كل من لندن ونيويورك وباريس تتنافس فيما بينها على المرتبة الثالثة وفي عام ١٩٧٠ احتضنت مدينة نيويورك من زميلاتها الأوروبيات لقب المدينه الأكثر سكانا على سطح الارض ، بمواطنيها البالغ عددهم ١٦,٣ مليون نسمة غير أننا الآن نرى أن مدينتي لندن ونيويورك تفقدان افواج سكانها لصالح محيطيها البعيدين



أي مستقبل ينتظر الجيل الجديد ؟ هذه هي الحياة في بيوت الصفيح في أمريكا الوسطى بؤرة التو

العدد ٣٢٧ السنة التاسعة والعشرون فبراير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي و[illegible] للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 327 Feb. 1986 .P.O.Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٣٩٧٤٢ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة:

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

ان التفوق السكاني للمدن الأنجلو ـ سكسونية لم يدم أكثر من قرن ، وعلى المدى القريب فان أوروبا نفسها لن تستطيع المنافسة في هذا المضمار ، ولن تقيم في سوق المدلولات الحصرية على الاطلاق ، اذ انه حسب توقعات الأمم المتحدة فان المدينة الوحيدة الأوروبية بين الـ ٢٥ عاصمة عالمية الأكثر سكانا سنة ٢٠٠٠ ستكون باريس . ومع ذلك فسوف تحتل آخر المراتب

لقد تجاوزت مدن ... بوينس ايرس ، ريو دوجانيرو ، القاهرة ، حاجز المليون نسمة منذ سنة ١٩٢٥ . ولكن لأول مرة في الأزمنة الحديثة تصل مدينة من مدن العالم الثالث (مكسيكو) الى رأس القائمة ١٨ مليون نسمة ، انه بلاشك رقم قياسي وتاريخي . في عام ٢٠٠٠ سيرتفع عدد سكانها الى ٢٦ مليون نسمة على الأقل أما مدينة ساوباولو في البرازيل والتي تعد ١٦ مليون نسمة حاليا ، فانها ستتضخم بمقدار النصف خلال الخمس عشرة سنة القادمة ، بحيث تأخذ الدرجة الثانية مكان طوكيو

وليس غريبا أن تكون هاتان الميغالوبوليس (مكسيكو ساوباولو) مسرحا لكارثتين صاعيتين رهيبتين في السنوات الأخيرة فقد أدى انفجار مركز توزيع للغاز في مدينة مكسيكو في شهر تشرين الثاني ١٩٨٤ الى مقتل أكثر من ٣٠٠ شخص ، وبقاء الآلاف بدون مأوى وقبل ذلك بعدة أشهر أدى انفجار انبوب للزيت في ساوباولو الى مقتل ٥٠٨ أشخاص أغلبهم من الأطفال ، بالتأكيد ليست المدن في البلدان المتقدمة بمنأى عن مثل هذه الكوارث (مثال معمل التكرير في ليون سنة ١٩٦٦) غير أن الحادث يأخذ أبعادا درامانيكية اذا وقع في مناطق كتجمعات الضواحي في امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا ، فالزلزالان اللذان ضربا مدينة مكسيكو يومي ١٩ ـ ٢٠ ايلول ١٩٨٥ اديا الى اصابة حوالي ٥٠ الف من سكانها بين قتيل وجريح ومفقود ، وبقاء الآلاف أيضا مشردين دون مأوى ، ثم ألم يكن حادث معمل انتاج مقاومات الحشرات في بهوبال في الهند في شهر كانون الأول ١٩٨٤ ، الذي ذهب ضحيته خمسة آلاف انسان على الأقل مثالا حيا لما نريد قوله ، وذا مغزى بليغ لنظام شاذ تطبقه الدول الغنية على الفقيرة؟ ان الاتحاد الكاربيد الذي ينتمي اليه المصنع لم يجد أنه من الضروري اقامة التجهيزات اللازمة لحفظ حياة السكان المسحوقين بفقرهم ، وصيانتهم من المواد والغازات السامة

خلال الخمس عشرة سنة القادمة سيربح العالم الثالث سباق الماراثون في مجال النمو الحضري ، وسوف يضم حوالي ٨٠٪ من سكان العالم . واذا كان للاوروبين والأمريكان أوهام حول سيادتهم اللغوية في العالم ، فان التوقعات الاحصائية تخفف من غلواء هذه الأوهام اذ تشير هذه التوقعات الى أن اللغة الأكثر نطقا في مدن العالم الكبيرة سنة ٢٠٠٠ ستكون اللغة الهندية ، متبوعة بالاسبانية فالبرتغالية .

أما الشيء الجديد بالملاحظة فهو وتيرة النمو الحضري المستقبلية في القارة الافريقية ، فحاليا يوجد على مستوى العالم ٤٢ مدينة ، يقطن الواحدة منها أكثر من ٤ ملايين نسمة ، وسوف تكون الريادة السكانية في هذه المدن مستقبلا أكثر من غيرها ، ذلك أن الناس يستدعي بعضهم بعضا ، اثنتان منها فقط تنتميان للقارة الافريقية هما . القاهرة ولاغوس ، وسوف تنضم مدينة كينشاسا (زائير) قريبا الى القائمة ، ووفقا للافتراضات الحالية فانه في سنة ٢٠٢٥ سيصبح عدد هذه المدن ١٣٥ مدينة ، ٣٦ منها تنتمي للقارة الافريقية ، وسوف تقفز نسبة المدن الكبرى في القارة المذكورة من ٥٪ الى ٢٧٪ خلال الأربعين سنة القادمة ، كما أن أهمية القارة السكانية ستتضاعف أكثر من خمس مرات قبالة أجزاء الأخرى

بشكل عام يمكننا القول أن معدل الزيادة السنوية لسكان المدن التي تعد أكثر من ٤ ملايين نسمة هو في المتوسط ١٪ في البلدان المصنعة (٦ فقط بالنسبة لباريس) وفي البلدان النامية ٣٫٥٪ علما بأن بعض المدن في هذه البلدان سجلت زيادة وصلت الى ٧٪ سنويا ، وهذا يعني مضاعفة عدد السكان في فترات زمنية وجيزة ، الحضريون منهم خاصة ، وهنا تبرز المشكلة المعقدة التي تسبب الذعر الحالي ،سيأتي ١٫٣ مليار نسمة للعيش في المدن . والبحث عن السكن والعمل فيها . فكيف يمكن لمدن العالم الثالث الحالية أن تستوعب هذا العدد ، وأن تقدم له الخدمات اللازمة . كالتموين والمياه والطاقة والتعليم والنقل والاتصالات والامن؟ ثم اذا كانت معظم حكومات

الدول [illegible] مواجهة الآن [illegible] مثل هذه المشاكل ، ذلك أنه في بعض المناطق يعيش ٥٠٪ من سكان المدن في أحياء الصفيح ـ فكيف سيكون عليه الحال سنة ٢٠٠٠ ، حيث [illegible] أن يعيش في مثل هذه الظروف السوداء أكثر من نصف سكان العالم ؟

كما نستطيع دراسة ظاهرة النمو الحضري في العالم النامي والاتجاهات المختلفة للسكان نحو التجمعات البشرية الأخرى [illegible] من خلال عاملين [illegible] العامل الأول [illegible] بالزيادة الطبيعية في [illegible] السكان ، والعامل الثاني [illegible] وحضور [illegible] العاملين [illegible] حضري [illegible] والشقق .

١ ـ الزيادة الطبيعية وهي [illegible] الناجم عن الولادات والوفيات [illegible] [illegible] وهي تشكل العامل [illegible] في النمو الحضري [illegible] هذه الزيادة [illegible] النامية [illegible] الولادات في [illegible] فقر الأرياف الشديد [illegible] [illegible] على الرغم من [illegible] اليها ، الا انها يمكن أن تؤمن [illegible] من [illegible] خصوصا فيما يتعلق بالمواد الغذائية ومياه الشرب والخدمات الصحية ، وتبقى في ذلك [illegible] الأرياف أي بعبارة أخرى يختار المهاجرون [illegible] [illegible] الأقل سوءا ، [illegible] للكثيرين في العالم النامي تبقى [illegible] على الرغم من الظروف [illegible] القصديرية ـ ولو حظا بسيطا [illegible] الحياة ، مقارنة بالمناطق التي قدم منها هؤلاء [illegible]

على اية حال سوف تبقى [illegible] العالم [illegible] محافظة على تفوقها في الزيادات [illegible] القرن الحالي ، حيث من المحتمل [illegible] الى الانحصار سواء في الأرياف أو المدن [illegible] بهذه الآلية البلدان المصنعة نفسها خلال [illegible] السكاني ، وهي المرحلة المهمة في تطور المجتمعات البشرية ، يتم الانتقال بعدها من النظام القديم (ولادات كثيرة ـ وفيات كثيرة) الى نظام حديث (قليل في الولادات ـ وقليل في الوفيات) فرنسا على سبيل المثال : (١٣٧٫١ ولادات ، [illegible] ٢٠٫١ وفيات) حيث لا يزال هذا النظام [illegible] الزيادة [illegible] عدد السكان [illegible] على الرغم من [illegible] [illegible] [illegible] الولادات [illegible] يسمح [illegible] زيادة سكانية [illegible] [illegible] ما حدث في [illegible] [illegible]

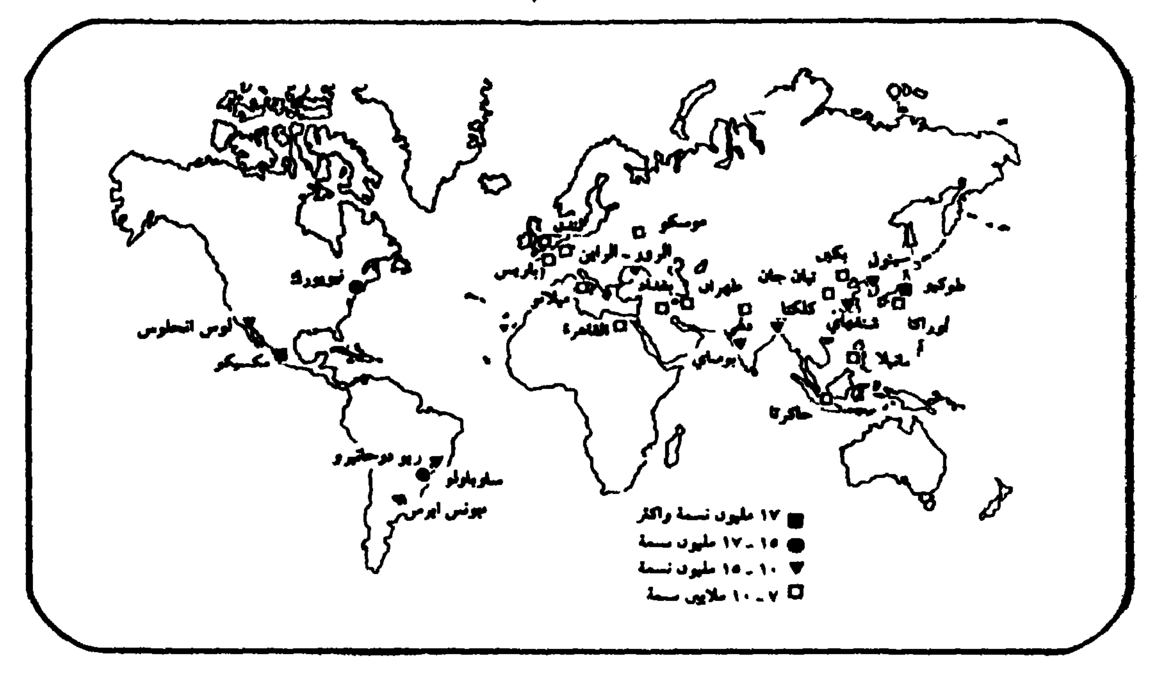
[illegible]

[illegible] التطبيعية [illegible] الجماعات وحدها [illegible] تستطيع [illegible] هذه التحولات .

٢ ـ الهجرات [illegible] وهي [illegible] سكان المدن [illegible] بحث عن المنال [illegible] الأكثر ملاءمة [illegible] [illegible] ، واستقلالا ، [illegible] حضرية [illegible] النامية ، والعامل [illegible] والأكثر أهمية في [illegible] النمو الحضري لتلك البلدان [illegible] [illegible] الاقتصادية والاجتماعية [illegible] [illegible] المهاجرين الى المدينة [illegible] [illegible] من [illegible] الفقر والعدم [illegible] والمجاعات والحروب الاقليمية والمذهبية [illegible] انها حركات تعكس صورة مأساوية [illegible] ـ الاقتصادي للتطور في هذه البلدان

ولم يعد الآن أمام عشرات الألوف من [illegible]

المدن الكبرى فى العالم سنة ١٩٨٥



والسودانيين والتشاديين والهنود والباكستانيين والكمبوديين والبرازيليين من مكان لاستقبالهم غير المخيمات المؤقتة ، بينما كل الدول تتدافع في اغلاق حدودها في وجوههم كأنهم الوباء ، وبعد المخيمات لاخيار لهم سوى أحزمة البؤس في ضواحي المدن ، حيث الأكواخ القصديرية والسوق السوداء بانتظارهم .

فاذا كان للجفاف أسبابه الطبيعية ، فان له أسبابا اقتصادية واجتماعية شديدة الخصوصية ، وذلك باختلاف البلدان أو المناطق،فافريقيا السمراء على سبيل المثال هي المكان الوحيد في العالم الذي يتزايد فيه السكان (٩ر٢٪ سنويا منذ عام ١٩٧٠) بسرعة أكبر من انتاج الغذاء (٥ر١٪ في السنة) . وفي الوقت الذي تعتبر فيه هذه القارة من بين القارات الأقل زيادة للنمو الحضري ، نجد فيها بلدانا مثل جمهورية افريقيا الوسطى تمتلك معدلا لهذا النمو أعلى بكثير من بلدان افريقيا الشمالية . لقد سبق لمعدل التحضر في هذه الجمهورية أن تضاعف أكثر من خمس مرات بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٨٠ ، وسوف يتضاعف خمس مرات أيضا خلال الفترة ١٩٨٠ - ٢٠١٠ .

ان الناتج الوطني الخام مؤشر هام لدى الاقتصاديين وعلى الرغم من أنه يعطي للبلدان الفقيرة صورة غير صحيحة عن امكانيات السكان ، لانه لاياخذ بعين الاعتبار عدم التساوي المتطرف في توزيع الدخول والملكيات بين الأفراد وبين الطبقات ، غير أنه مع ذلك وسيلة تقييم اجماليه للدخول في بلد ما ، يمكن لها أن تعطي صورة مقبولة بشكل أو باخر ، وهكذا واعتمادا على هذا المعيار استطاع الباحث في انكرل أن يحدد مؤشر « زيادة التحضر » و « سرعة التحضر فوق الطبيعية » اللذين بفضلهما أصبح من الممكن ايجاد فكرة حتى ولو تقريبية للتباين في النمو الحضري لبلدان العالم الثالث ، لقد جاءت دراسات هذا الباحث مدهشة تماما .

فافريقيا القارة الأضعف للنمو الحضري لديها مؤشر زيادة التحضر الأكثر ارتفاعا ، متبوعة بكل من اسيا وأمريكا اللاتينية كما أن كل البلدان ذات الدخول الضعيفة ، التي تعد أقل من ١٠ ملايين نسمة ، لديها مؤشرات لسرعة غير طبيعية ، تتجاوز سرعة النمو الحضري في أي بلد مصنع .

ان زيادة معدل النمو الحضري في أي بقعة من بلدان العالم الثالث ، لايمكن لها أن تلقي الظلال على الناتج الوطني الخام بالنسبة للفرد الواحد في هذه



بيوت الصفيح في داكار عاصمة السنغال

البلدان وما يحمله من دلالات ، ولو عدنا الى مقدمة هذه الدراسة لوجدنا أنفسنا الآن أمام صورتين متناقضتين ، فالمدينة بالنسبة للعالم المصنع هي مرحلة متقدمة من التطور ، وهي التركيز المادي والحياة الحديثة ، بينما هي بالنسبة للعالم النامي تعادل التخلف واليأس والمشاكل المعقدة .

أين وجه الشبه ؟

الهجرة الريفية في القرن التاسع عشر غيرت شكل الجغرافيا البشرية لقارة أوروبا ، وهي اليوم أيضا مصدر رئيس للنمو الحضري السريع في العالم الثالث . فما هي أوجه الشبه بين الحالتين ؟ انه تشابه خادع لايعدو اسم الظاهرة فقط ، لدرجة أن نموذج البلدان المصنعة لايزال يداعب خيال الكثير من المسؤولين في العالم الثالث حيث يعتقد البعض منهم أن النمو الحضري لبلدانهم حتى لو كان فوضويا ، هو الشرط الضروري والمفتاح الأهم لعملية التطور ... بدون أدنى شك فهم سيىء للماضي ، وترجمة أسوأ للحاضر ، فاذا كانت الظروف التي دفعت سكان الأرياف في كل من افريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا الى المدن ، هي نفسها التي حركت فلاحي القارة الأوروبية فيما مضى ، الا أن الظروف ليست واحدة . فمدن الثورة الصناعية كان لديها ماتقدمه للقادمين من الأرياف ، بكل تأكيد لم يستقبل مجتمع المدينة هؤلاء القادمين بالورود ، ولم يكن عطوفا عليهم ، ولم تفعل الرأسمالية الناشئة شيئا يذكر من أجل اعداد هذه اليد العاملة الجديدة لادماجها في قطاع الصناعة . لكن على الأقل كانت في المدينة فرص عمل ، وامكانيات للاندماج ، وآفاق للتحسن ، وحظوظ حقيقية للتقدم ، مع نسبة كبيرة من الأمل بالوصول الى مزايا الحياة الحديثة .

فالريفيون الذين وصلوا الى باريس مثلا ، عملوا بسهولة في صناعات الحملة ، واذا كانت أجورهم شحيحة فإن ذلك لا يعني أبدا أنهم أغمضوا العين عن المظالم التي كانت تحيط بالطبقة العاملة آنذاك ، بل كان همهم الأول ايجاد القوت والسكن ، بعد ذلك استطاعوا تحسين أوضاعهم شيئا فشيئا عن طريق

نضالاتهم النقابية ، في نفس الوقت كانت الزراعة هي أولى القطاعات التي استفادت من المنتجات المصنعة في المدن ، كالآلات والأدوات والأسمدة والأدوية المقاومة للحشرات ، وغيرها من الوسائل التي ضاعفت مردود الانتاج ، فجاءت زيادة انتاجية الأرض والعمل الزراعي موازية تماما لحجم المدن وعلى الرغم من الزيادة السكانية المهمة في أوروبا آنذاك ، فإن الهجرة الريفية فيها لم تؤد مطلقا الى هبوط في الانتاج الزراعي كما أن اليابان نجحت بالمرور فجأة من العصر الريفي الى العصر الحضري ، من زراعة الأرز الى صناعات الالكترونيات المعقدة ، وذلك خلال بضع عشرات من السنين فقط ، دون أي انقطاع في تأمين غذائها

أما الوضع في العالم الثالث فهو شيء آخر ، اذ بينما يزداد السكان في أفريقيا مثلا ، يأخذ الانتاج الغذائي بالهبوط بالنسبة للفرد الواحد بمعدل ١٠٪ ، وذلك منذ عشر سنوات ، وكلما افتقرت الزراعة كلما تضخمت المدن بقوة العمل البشرية ، وليس بالامكانات الصناعية ، فطرائق الزراعة لا تزال قديمة ، والحراثة على الدواب ، والمجرفة هي الآلة الأكثر شيوعا ، والمناطق القابلة للزراعة تبقى مهملة بسبب عدم وجود البنى التحتية اللازمة والاعتمادات ، في بداية الثلاثينيات كان نتاج الحبوب بمستوى مماثل لنظيره في البلدان الصناعية (١,٥ طن في الهكتار الواحد) واليوم استقر حول ١,٥ طن / هكتار في أفريقيا ، بينما وصل الى ٣ / هكتار في البلدان المصنعة

بالتأكيد اننا نستطيع أن نلقي باللائمة على الجفاف المتوالي أو السيول الماحقة ، لكن ذلك قطعا لا يكفي ، اذن هناك عوامل مهمة وسياسات متبعة لها دور كبير في كبح لجام التطور والتقدم في هذه البلدان

النمو الحضري والتخلف الريفي

لعله من بديهة القول أن اندفاعة النمو الحضري في بلدان العالم الثالث مرتبطة أساسا بالتخلف العميق الجذور في أريافها ، الذي نجم عن العهود الاستعمارية الطويلة التي سحقت البنى الاقتصادية والاجتماعية في هذه البلدان . غير أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية نعمت معظم الدول النامية المستعمرة باستقلالها ، وعلى الرغم من عقود السنين العديدة التي مرت في ظل الحكومات الوطنية ، لاتزال مشكلة التخلف قائمة ، بل انها تزداد تعقيدا أكثر وأكثر ، ولا تزال أفواج المهاجرين تغذي المدن كل صباح ، ويزداد عددها يوما بعد يوم لأسباب عديدة نورد بعضا منها :



انهم يبحثون عن الغذاء في مانيلا .

١ ـ في البلدان التي اختارت النموذج الرأسمالي كأسلوب للتنمية ، لا تزال الملكيات العقارية الواسعة تتركز في أيدي شريحة صغيرة من السكان ، تسيطر على مراكز القرارات السياسية والاقتصادية ، بينما الغالبية العظمى من سكان البلاد لا تملك سوى جهدها وعملها وبؤسها الدائم ، والأمثلة عديدة : البرازيل ، المكسيك ، معظم بلدان أمريكا اللاتينية ، وآسيا وأفريقيا .

٢ ـ البلدان التي اختارت الاشتراكية كاستراتيجية للتنمية ، وعملت على تحقيق العدالة الاجتماعية بتوزيع الملكيات العقارية على الفلاحين ، لا تزال

تعاني من العجز في الادارة والتسيير للمشاريع الزراعية والصناعية على حد سواء ، ولا يزال الروتين الاداري المستحكم يعيق كل محاولات الانطلاق والنجاح .

٣ - عدم تمكن صغار الملاكين من الاستفادة من القروض المصرفية والمساعدات ، ولجوئهم الى الاقتراض من المرابين بفوائد حنوية تصل الى ٢٠٠٪ ، مثال:الهند ، البرازيل ، الخ .

٤ - تمركز الخدمات التعليمية والصحية ، والبنوك والصناعات وشبكات الطرق في المدن وانعدامها في الأرياف .

٥ - النقص في وجود أسواق مهمة في الأرياف ، بسبب عدم وجود شبكات الطرق .

٦ - تحرير أيد عاملة مهمة في القطاع الزراعي عن طريق الزيادة في استخدام الميكنة ، أو انتاج محاصيل جديدة أقل احتياجا لها ، كاستبدال زراعة الأرز وفول الصويا بالذرة البيضاء

٧ - الدور السلبي الذي تلعبه المدن في البلدان النامية بسبب بنيتها الموروثة عن العهود الاستعمارية ، فهي بمثابة جسور نحو العالم المصنع ، ونظرتها معطوفة دائما نحو الخارج ، هذا الانفتاح يعتمد على استيراد ٥٠ - ٦٠٪ من احتياجات البلاد من الخارج ، وهذا ما يلحق الضرر بقطاعات النشاط التي تشكل حياة البلاد الداخلية ، كالزراعة والحرف التقليدية والصناعات المحلية الصغيرة .

نتيجة للأسباب السابقة وغيرها ، فإن على المدن في الدول النامية أن تتوقع سيولا دائمة من القادمين الجدد . هذا الخلل السكاني بين الريف والمدينة يزيد في تعميق الأزمة ، فهو يساعد على افراغ الأرياف من سكانها ، خصوصا اليد العاملة الشابة ، والى هجر الأراضي الزراعية ، وتدهور الانتاج ، والى تخلخل في الزيادة السكانية الريفية ، ذلك أن معظم المهاجرين عادة من الذكور ، وخاصة الشباب منهم ، أما المدينة فتعاني بدورها من اكتظاظها بسكانها ، وزيادة اليد العاملة فيها ، ومن أزمات في الخدمات الاجتماعية الصحة ، التعليم ، السكن ، التموين ، المياه ، الطرقات ، الادارة وغيرها .

وبسبب هذا النمو الحضري الذي تفرضه ظروف التخلف ، تلجأ معظم حكومات الدول النامية الى سياسة دعم أسعار المواد الغذائية في مواجهة الكتل الحضرية التي جرى افقارها ، والمتزايدة باستمرار ، وخوفا من ثورات المجاعة تعمد هذه الحكومات الى المحافظة على أسعار هذه المواد منخفضة ، ولتحقيق ذلك لا بد لها من اقتطاع أجزاء مهمة من ميزانياتها من المفروض أن تذهب لأعمال التنمية ، أو أن تلجأ - وهذا في أغلب الحالات - للبحث عن الديون من الدول الغنية ، والمصارف والمؤسسات العالمية ، ولا أحد يجهل أبدا كيف تقدم هذه القروض ، ولمن ، وما هو الثمن المطلوب .

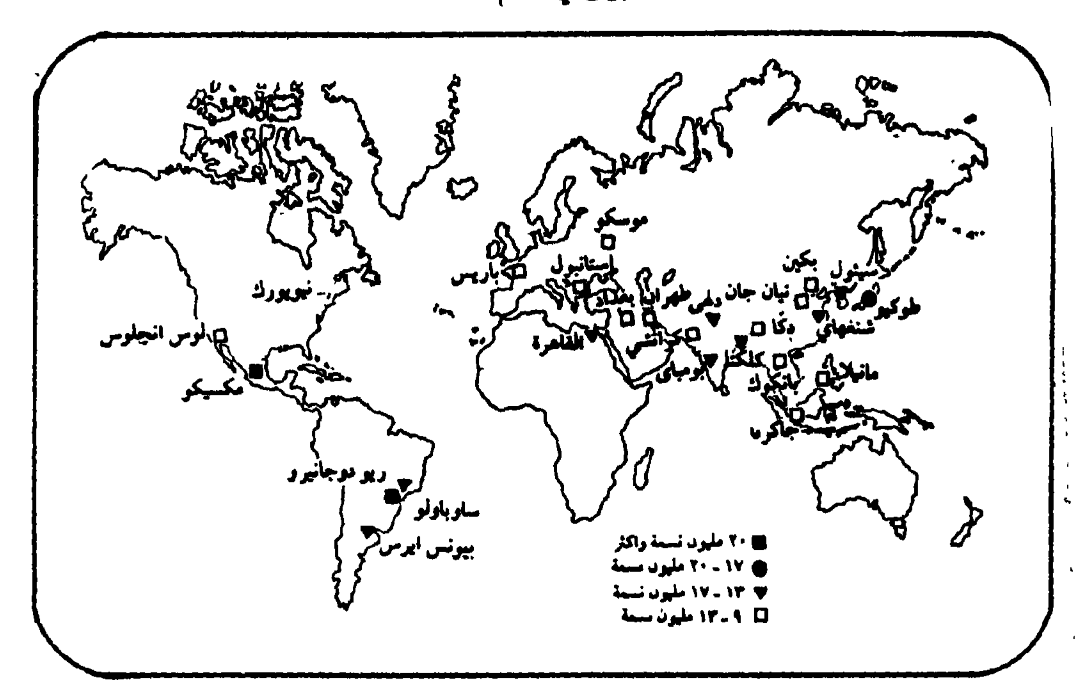
ان أمثلة ثورات المجاعة في مصر وتونس والمغرب والبرازيل واتحاد جنوب أفريقيا والشيلي التي حدثت في السنوات الأخيرة ، وفي أيامنا الراهنة لا تزال ماثلة في أذهاننا

سياسة الأسعار المدعمة لا يمكن لها أن تحل المشكلة أبدا ، بل انها تلحق الأذى والضرر بالفلاحين المنتجين للمواد المدعمة التي يتم استيرادها ، فالمساعدة عادة لا تشمل هؤلاء المزارعين ، وهم بالتالي غير قادرين على متابعة منافسة أسعار الاستهلاك أو تحملها ، من جهة أخرى لم تجد الكثير من المنتجات المحلية كالذرة البيضاء من يشتريها ، وعندما لا يتمكن الفلاحون من تصريف انتاجهم يعودون الى الاكتفاء الذاتي ، وانتاج احتياجاتهم الضرورية ، وذلك من أجل البقاء وخداع بؤسهم اليومي . وهذا يتنافى والهدف الذي يجب أن ترنو اليه كل الدول النامية ، ألا وهو : تحديث البنية الزراعية ، وزيادة الانتاج ، وتحقيق الاستقلال الغذائي لأن الحكومات لم تعد تعتمد على المنتجات المحلية لضمان التموين المنتظم لسكان المدن ، وانما تتجه نحو الاستيراد أكثر فأكثر .

دور المدينة في البلدان النامية

لقد قامت معظم العواصم والمدن الكبرى وتطورت في بلدان العالم الثالث ، ابان الفترات الاستعمارية ، وتمثلت وظيفتها الاقتصادية آنذاك بتصدير الثروات الوطنية الى المتروبول ، واستقبال صادراته اليها . ومع الأسف فإن العديد من هذه المدن لم تمتلك بعد الخصائص الجديدة التي تميز دورها

المدن الكبرى في العالم سنة ٢٠٠٠



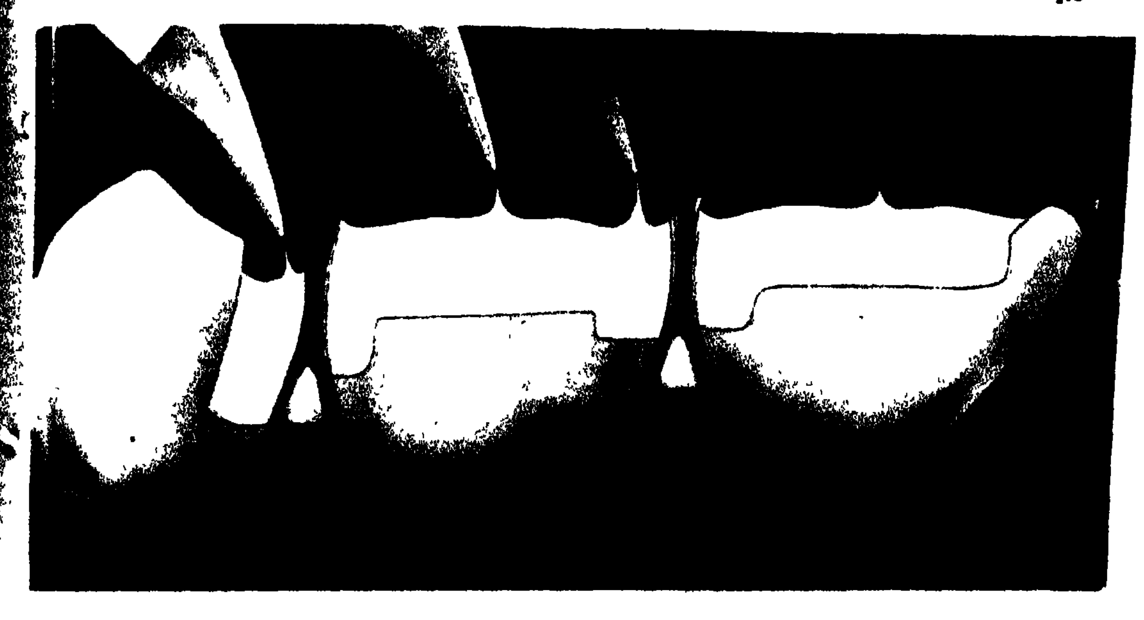
بعد الاستقلال ، فهي ما زالت تقوم بنفس الوظيفة تقريبا ، حتى في ظل العهود الجديدة . اضافة الى أنها صورة مشوهة عن المدن الأوروبية في مخططاتها التنظيمية ، وأنماط بنائها وفعالياتها ، انها فقيرة ، لا تملك شيئا بالمقارنة مع مدن الحضارات القديمة : في الشرق الأوسط ، والصين ، وأمريكا اللاتينية ، وأفريقيا ، التي جاءت أصيلة معبرة عن مفاهيم تلك المجتمعات وغناها الفكري ، فمدينة اليوم هجينة مستوردة ، وهي صورة وصدى لسيادة نموذج أجنبي ، نموذج البلدان الغنية ، كل شيء فيها مصطنع وغريب : الأبنية الشامخة ، الهيئات ، السلوك ، التصرفات ، الاحتياجات ، كلها مستوردة مثلها مثل الغذاء والآلات .

فالمدينة لا تزدهر الا عندما تنتج ما كانت تستهلكه ، والامثلة عديدة على ذلك ، فالبندقية لم تعرف عظمتها الا عندما صنعت ثرواتها لبيعها للمدن الأوروبية الاخرى أو غيرها في حوض البحر الأبيض المتوسط . ولم تتطور مدن الشمال الأمريكي الا بالابتكار والتجديد ، وصناعة ما كانت تستورده من مدن أوروبا ، بينما استمرت مدن الجنوب على تخلفها ، وبقيت أقل تطورا لاعتمادها على : تجارة العبيد والقطن والحبوب ، والأمثلة عديدة لا يمكن حصرها ، بدءا من المدن اليابانية ، ومرورا بسنغافورة وتايبية ، وانتهاء بهونغ كونغ

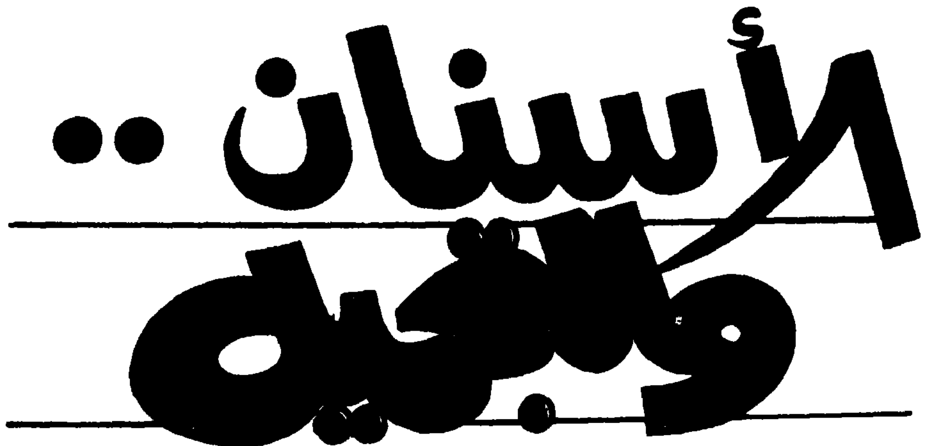
المشكلة من جذورها

ان المشكلة في حقيقتها مشكلة تخلف القطاعات الانتاجية وما يتعلق بها من بنى اجتماعية ، لذلك فإنه من البدهي أن يبدأ العلاج من الجذور ، وبشكل متناسق ، ما بين كافة القطاعات ، فنجاح ظاهرة النمو الحضري تمر أولا بالتنمية الريفية . وبالتبادل النشط بين الريف والمدينة ، وباعادة توزيع المراكز الحضرية عن طريق تخفيف الضغط عن التجمعات السكانية المكتظة ، وذلك ببناء مدن ثانوية تستقطب الفائض من المدن الكبرى .

أما مسألة النمو الحضري في بلدان العالم الثالث ، فانها ستبقى بمثابة قنابل موقوتة ، يمكن لها أن تنفجر في أي وقت كان ، طالما أن مدن هذا العالم تنتفخ بعشرات الآلاف من العاطلين عن العمل ، الذين يعيشون ظروفا مأساوية ، ولن تقتصر الآثار على البلدان الفقيرة ، انما ستشمل الدول الثرية في العالم المصنع . □



تبقى مادة «الكومبوزت» مطابقة للمواصفات الفيزيولوجية والتجميلية



بقلم : الدكتور حكم المأمون

لعل جهاز الأسنان البشرى هـو الجهاز العظميّ الوحيد من بين سائر عظام الجسم الـذى نتدخـل فيه عمليات التجميل المختلفة وبعض العمليات الجراحية والتقويم .

[illegible] في العصور القديمه ، بعد اكتشاف المطاط . . [illegible] الانكليز يصنعون قطعا من المطاط [illegible] من الداخل لكي يمضغوا [illegible] المختلفة بعد قلع اسنانهم .

[illegible] الصينيين فقد طوروا قطعا خشبية تأخذ شكل حرف (U) يستعملونها لمضغ الأطعمة المختلفة بشكل مؤقت أيضا ، ثم طوروا فيما بعد أنواع الأغذية لديهم لتتماشى مع فقدان الاسنان ، وذلك بأن لجأوا الى الأطعمة السائلة والمطحونة مثل الحساء او الأرز المطحون والذرة . . . الخ .

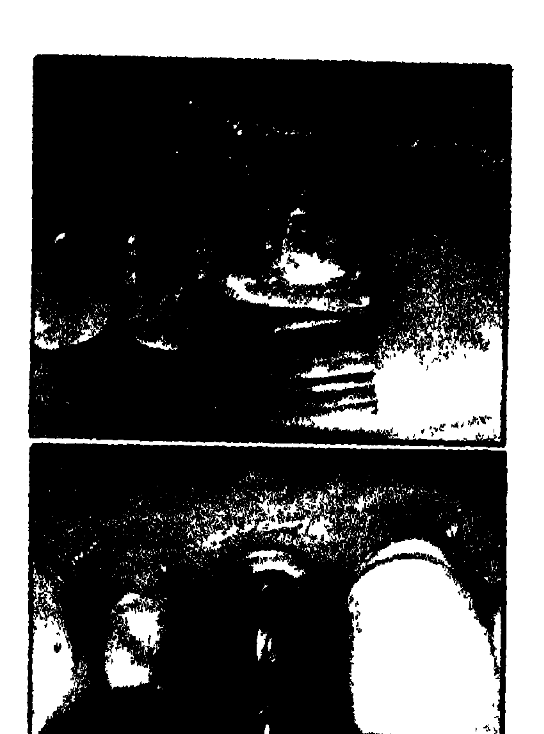
تطور الطب

أما اليوم فقد تطور طب الأسنان كثيرا حيث ابتكر العلماء أنواعا جديدة من المواد الكيماوية والخلائط المعدنية الصناعية من أجل استعمالها في تركيبات الاسنان داخل الفم مثل البلاتين ـ الكروم كوبالت ـ الفيتاليوم ـ الاكريل ـ الخزف ـ الذهب اللاصق والذهب العادى . . وهذا الاخير يعتبر صحيا ومفضلا على جميع انواع المعادن الاخرى ، ويشاركه في ذلك نوع من المعاجين داتية التصلب ، وهو الاكريل (Acrylic) الذى يتصلب بطريقة (التماثر) ، وذلك بخطوات مخبرية مدروسة ومعروفة ، حيث ينتج عنها ـ اى الخليطة ـ هيكل عظمي طبيعي يماثل عظم الاسنان في حواصه الفيزيولوجية ، (في طقم الأسنان مثلا) وهو غير صار عند وضعه داخل الفم على شكل تركيبات اسنان دائمة او مؤقتة ، ولكن المشكلة بدت أكثر صعوبة بالنسبة للانسان العادى وطبيب الأسنان على السواء ، ألا وهى مشكلة اختيار المواد الافضل فى تركيبات الاسنان المختلفة مع مراعاة الناحية الجمالية ايضا ، حيث تجلت المشكلة في هذين السؤالين :

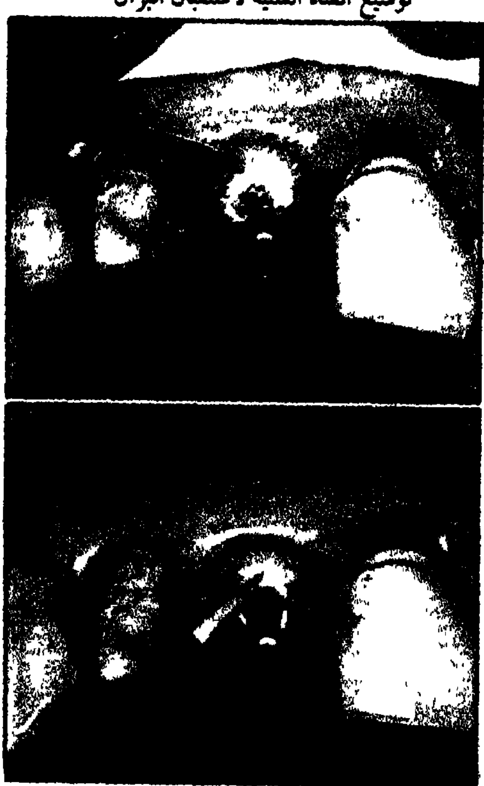
ـ كيف نوفق بين المتانة والجمال في تركيب الأسنان ، وأى المواد نختار لهذا الغرض ؟

ـ كيف نعالج الاسنان المتقلقلة (التى تتحرك بشكل بسيط) أو المكسورة ، أو المصطبغة بالوان قاتمة لسبب مرضي لكي نضفي على ابتسامة المريض صبغة لطيفة من الجمال بوجود اسنان تماثل الاسنان الطبيعية من حيث اللون والشكل والمقاومة ، ومرصوفة بشكل لائق ؟ . .

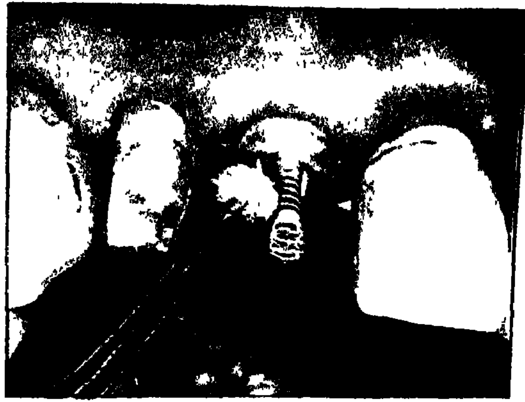
والجواب عن هذين السؤالين ، ينحصر في الالمام ببعض الدراسات المخبرية والحيوية التي اجراها العلماء في مختلف انحاء العالم المتقدم : فمثلا ، مختبر ماساشوستس لصناعة مواد الأسنان ، وهو احد المختبرات المتقدمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وغيره من المختبرات التى أنشأت ما يسمى باسم المنظمة العالمية للمقاييس (SIO) لتحديد مايسمى ب (ADS) وتعني بالعربية المواصفات الصحيحة لمواد الاسنان ، حيث قدمت هذه المنظمة نتائج

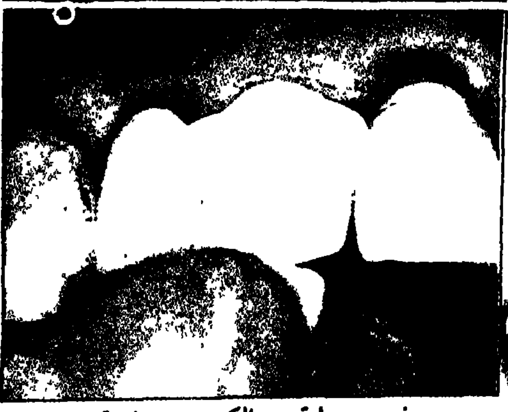


توسيع القناة السنية لاستقبال البزال



الصاق البزال داخل قناة السن المكسورة





نصب دعامة من الكومبوزت فوق البزال المثبت داخل القناة





الدعامة جاهزة لاستقبال الجسر الجزئي .

كثيرة ، وحددت مواصفات معروفة للمواد الخاصة بصناعة الاسنان ، اليكم اهمها :

● - يجب أن تكون جميع تركيبات الاسنان داخل الفم او المثبتات العظمية فى سائر انحاء الجسم البشرى ، خالية من الأكاسيد المعدنية المنحلة (لكى لا تترك نتوءات شائكة أو تتفاعل مع اللعاب أو تطلق أكاسيد سامة تخرش أو تسرطن الأنسجة الحية .

● - يجب أن يكون معدل الحموصة (PH) ، لهذه المواد المستعملة في تركيبات الأسنان والعظام المختلفة مماثلا للرقم ٧ في جدول الحموضة ، أى انعدام حموضة او قلوية المواد المذكورة آنفا ، وأن تكون كتيمة أيضا .

● - يجب أن لاتتآكل او تصدأ المعادن المستخدمة في تركيبات الأسنان والعظام المختلفة وأن تتوفر فيها خواص المتانة والقساوة (اى مقاومة الخدش) والضغط اثناء عمليات المضغ او تفريش الاسنان .

● - أن تكون المواصفات الفنية للمعادن ولمواد الأسنان المستخدمة في التركيبات والتعويضات الصناعية داخل الفم مكتوبة بشكل واضح على غلاف هذه المنتجات ومطابقة للمواصفات التي وضعتها المنظمة (SIO) فى عام ١٩٥٣ وتعديلاتها حسب (ADA) لعام ١٩٦٦ .

● - يجب ان تتوافر المواصفات المثالية من الناحية التطبيقية والجمالية لتركيبات الأسنان بحيث تكون الاسنان الاصطناعية مشابهة لـلا... الطبيعية من حيث الشكل واللون والحجم والوزن والصلابة ، وأن لاتحصل اية تبادلات كيماوية أو ميكانيكية فيما بينها وبين الانسجة الحية . . . وكنتيجة لما سبق ابتكر العلماء انواعا جديدة من الحشوات السنية غير حشوات الفضة المعروفةباسم (املغام Amalgam) ، مطابقة للمواصفات السابقة ، مصنوعة من الكريستال المطحون ، سميت هذه الحشوات (كومبوزت Composite) اكتشفت ودرست على اسنان حيوان التجربة (الفأر الابيض) عام ١٩٦٨ ، وطبقت عمليا على اسنان الانسان في بلاد العالم في بداية عام ١٩٧٥ لأنها تماثل انسجة الأسنان من حيث اللون والشفافية ولها خاصية الالتصاق داخل حفر الاسنان .



ي المعدن تعويض صناعي

سن منخورة ومجاورتها مفقودة

تعويض خزفي وحشوات بلاتين

بعد الصاق الوجه الخزفي

أسنان مقلقلة

جبيرة من معدن البلاتين ثابتة

الاسنان والجمال

أما التركيبات المعدنية داخل الفم (الجسور) ، وخصوصا المصنوعة من الذهب عيار « ٢١ قيراط » ، والبلاتين فهي أقل حظا من الناحية الجمالية ، الا اذا الصقت عليها الوجوه الخزفية مسبقة الصنع ، حيث تصبح مفضلة من الناحية الميكانيكية والفيزيولوجية وأفضل بكثير من حشوات الكومبوزت .

بقي ان نذكر نوعا آخر من المواد الهامة المستعملة في طب الاسنان هو (البورسلين) الخزف السني ، وهي المادة المثالية تقريبا من بين كل مواد الأسنان سالفة الذكر في القرن العشرين على الاطلاق .

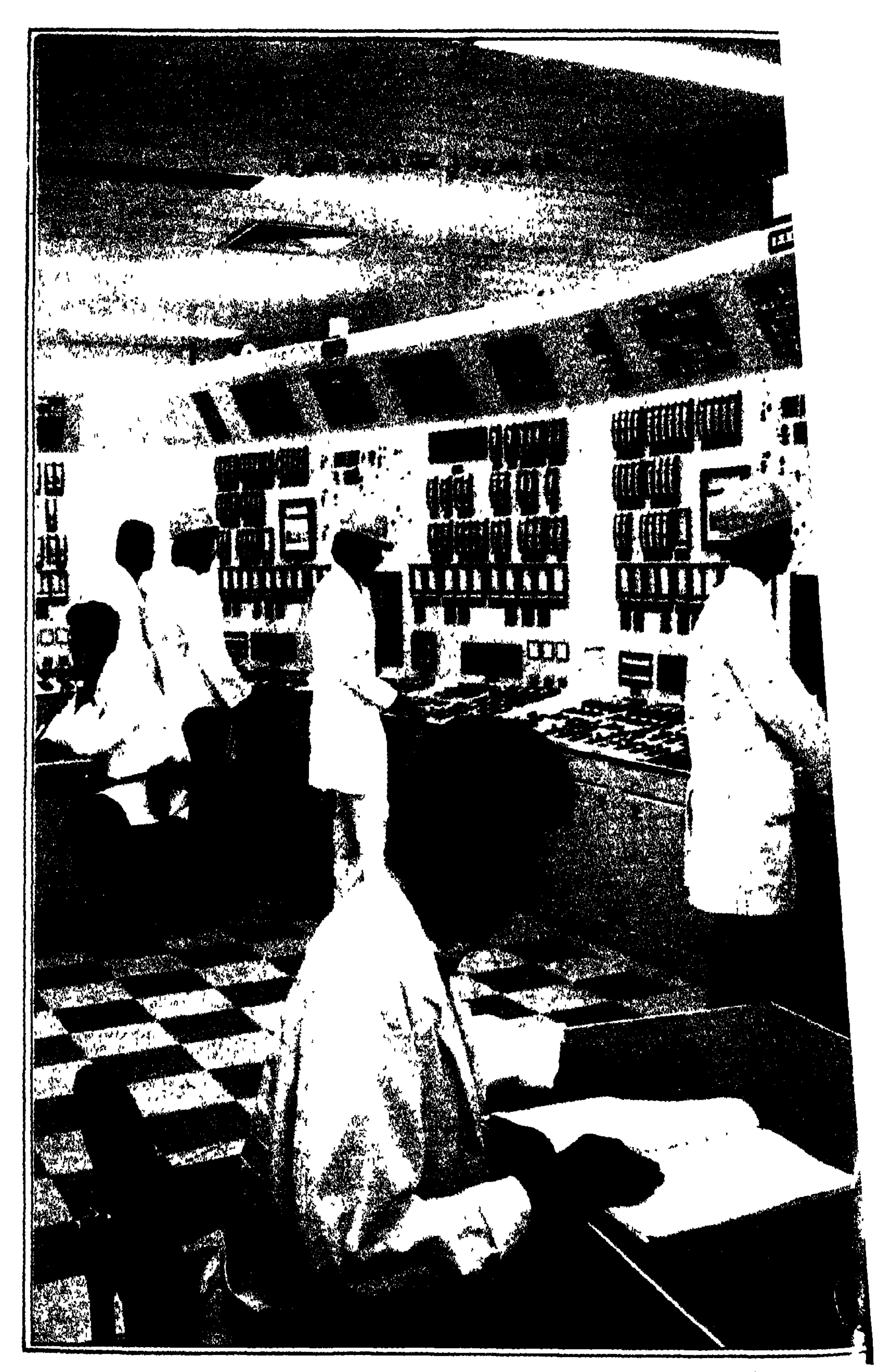
اما فيما يخص زراعة الاسنان فلا تزال قيد التجربة والدراسة اعتمادا على المبدأ الفيزيولوجي الذى يقضي برفض الجسم البشرى لكل الاجسام الغريبة مهما كانت المواد المستخدمة في صنع هذه التركيبات المغروسة داخل العظم الآدمي أو بين الانسجة الضامة الحية ، ولكن العلماء طوروا حديثا طريقة جديدة تستعمل منذ عام ١٩٤٥ والى الآن بنفس المبدأ وهي شبيهة بزراعة الاسنان ، وسهلة جدا ، وهي عبارة عن وتد مصنوع من البلاتين او كروم ـ كوبالت ، بشكل البزال (البرغي) طوره العالم الانجليزى (ريتشموند) يوضع داخل قناة الاسنان الموسعة (كما في الصورة) ، ويلصق بمادة اسنان تدعى اسمنت فوسفات الزنك ، ثم يحمل البزال مادة الكومبوزت أو الاكريل التي تكيف لتصبح دعامة جاهزة لاستقبال سن اصطناعي خزفي (تاج) أو اكريلي ، . هذه الطريقة توفر لنا قدرا كبيرا من الجمال والقوة والمتانة المتوفرة في الاسنان المكسورة التي نعوضها بأسنان خزفية ، وطور هذا البزال عام ١٩٧٤ طبيب عربي اسمه محي الدين دمشقية ، حيث سمي البزال باسمه فيما بعد M . D . post كما هو واضح فى الصورة ، واخيرا ان افضل ما يستعمل بالنسبة لتعويضات الاسنان الكاملة (طقوم الاسنان) هو معدن الفيتاليوم وهو عبارة عن خليطة معدنية عالية الجودة ومطابقة للمواصفات حسب (SIO) ، توفر لنا قاعدة معدنية مكيفة حسب الفكين الاعلى والاسفل ، والتي تحمل الاسنان الخزفية عالية الجودة والتي لا تتلون ولا تنكسر ، وتحافظ على بريقها ولمعانها على المدى الطويل . □



ثلاثون عاماً من التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت

استطلاع : أبو المعاطي أبو النجا
تصوير : سليمان حيدر

في دول العالم الثالث يتحدثون كثيراً عن التعليم الفني والمهني ، يتحدث رجال الاقتصاد عن ضرورته لتحقيق التنمية الشاملة ، وانه بدون نمو هذا التعليم كمّا وكيفا ستبقى خطط التنمية مجرد حبر على ورق ! وحتى بالنسبة للدول الغنية في العالم الثالث ، وهي التي تملك القدرة على شراء الأنظمة والأجهزة التقنية المتطورة ، واستخدام العاملين عليها من أي مكان ، فإنهم يدركون أن المال وحده لا يكفي [illegible] تنمية الموارد البشرية من أبناء البلاد [illegible] هناك تنمية ، بل تبعية وارتهان ، [illegible] على أنه في عصر التطور المتسارع في [illegible] التقنية فلا سبيل سوى أن نصبح طرفا فاعلا في تيار المعرفة والمهارة والخبرة .



رجال التربية يتحدثون عن أهمية التعليم التطبيقي،ليس فقط لحاح خطط التنمية بل لسلامة نمو الفرد وتكامل شخصيته ، ثم يمتد حديثهم لمواجهة المشاكل التي يثيرها هذا النوع من التعليم والتي من أهمها · متى يمكن أن يبدأ ؟ أمن المرحلة الابتدائية أم من الثانوية ؟ وبأي قدر ؟ وكيف تكون علاقته بالتعليم العام ؟ هل يلتحم به في نسيج واحد منذ البداية ثم ينفصل عنه في مرحلة التخصص ؟ ومتى ينبغي أن يبدأ التخصص ؟ وكيف نصل الى الصيغة المناسبة التي تلائم بين حاجات سوق العمل الى تخصصات بعينها وأعداد بعينها وبين ميول الطلاب وقدراتهم ؟ وكيف نتعرف على حقيقة هذه القدرات ؟ في أي مرحلة من العمر ؟ وبأي وسيلة للقياس ؟ بل كيف نتعرف بدقة على حاجات سوق العمل في هذا العصر الذي يتسم بالتغير في أولوياته وفي وسائله لإنجاز هذه الأولويات .

وعلينا أن نتوقف قليلاً عن المضي وراء هذه التساؤلات لنلقي نظرة على واقع هذا التعليم في الكويت ، وقبل أن نقلب صفحات ماضيه ، أو نتطلع الى آفاق مستقبله ؟

العمالة الفنية الوسطى

في ندوة تلفزيونية تناقش مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب بالكويت ، أشار السيد عيسى الرفاعي المدير العام بالوكالة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الكويت الى أن الهيئة من خلال بعض الدراسات التي قامت بها لبعض قطاعات العمل بالكويت وجدت أن هذه القطاعات تحتاج في الخمس سنوات القادمة الى حوالي ٣٣٧٠٠ من الأيدي العاملة الفنية في الوقت الذي يبلغ فيه إجمالي ما يمكن أن تخرّجهم الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الخمس سنوات القادمة حوالى ١٠٠٠٠ من العمالة الفنية الوسطى من الكويتيين وغيرهم .

و... الأرقام التي قدمتها بعض الدراسات في هذه ... حول أرقام وزارة التخطيط ؟

... الأرقام الى أن نسبة مساهمة الكويتيين في ... القوى العاملة بالدولة بلغت في عام ١٩٧٥ ٣٠,٢ ٪ مقابل (٦٩,٨٪) لغير الكويتيين في نفس



الدكتور . حسن الابراهيم

العام ، وفي عام ١٩٨٠ بلغت (٢١,٤) مقابل (٧٨,٦٪) ، فاذا بحثنا عن نسبة مساهمة الحاصلين على الثانوية العامة ودون الجامعة وهي الشريحة التي تقابل مستوى العمالة الوسطى ، التي تتحمل الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب مسئولية إعدادها لوجدنا أن هذه النسبة تصل الى (٢٧,٤٪) للكويتيين و (٧٢,٦٪) لغير الكويتيين . وذلك في تقديرات عام ١٩٨٣ .

ان هذه الأرقام لا تحتاج الى تعليق في الدلالة على حجم المشكلة التي تواجه الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب وهي الهيئة التي أنشئت بالقانون رقم ٦٣ سنة ١٩٨٢ بهدف « توفير وتنمية القوى العاملة الوطنية بما يكفل مواجهة القصور في القوى العاملة الفنية الوطنية وتلبية احتياجات التنمية في البلاد » .

هذه التحديات

وفي لقاء مع السيد المهندس عيسى الرفاعي مدير الهيئة بالوكالة كان سؤالنا عن أهم التحديات التي تواجه الهيئة في المرحلة الراهنة وبترتيب أهميتها ؟



الاستاذ احمد المزروعي



المهندس عيسى الرفاعي

فأجاب ضاحكاً . ان التحدي الأول والثاني والثالث الح هو النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب .

ولقد دفعني هذا التأكيد على أن أتوجه بالسؤال لوزير التربية الدكتور حسن الابراهيم :

عن رأيه في أفضل السبل لتطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب في الكويت بما يكفل إقبال الشباب الكويتي على هذا التعليم بما يتفق مع أهميته ؟

فأجاب سيادته :

ابتداء ، لا بد أن نأخذ في الاعتبار أن تطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب جزء لا يتجزأ من تطوير المجتمع ككل ، وهذه مسألة تحتاج الى عنصر الزمن ، والى تضافر كل الجهود .

ـ في هذا الاطار : من المهم أن تشارك كل الجهات المسئولة والمعنية (وزارة التربية ، الاعلام ، التخطيط ، الشئون الاجتماعية والعمل ، غرفة تجارة وصناعة الكويت . . الخ) في جهد إعلامي مخطط لتنمية الوعي الاجتماعي بأهمية ودور التعليم التطبيقي والتدريب في خدمة خطط التنمية وتحقيق النهضة .

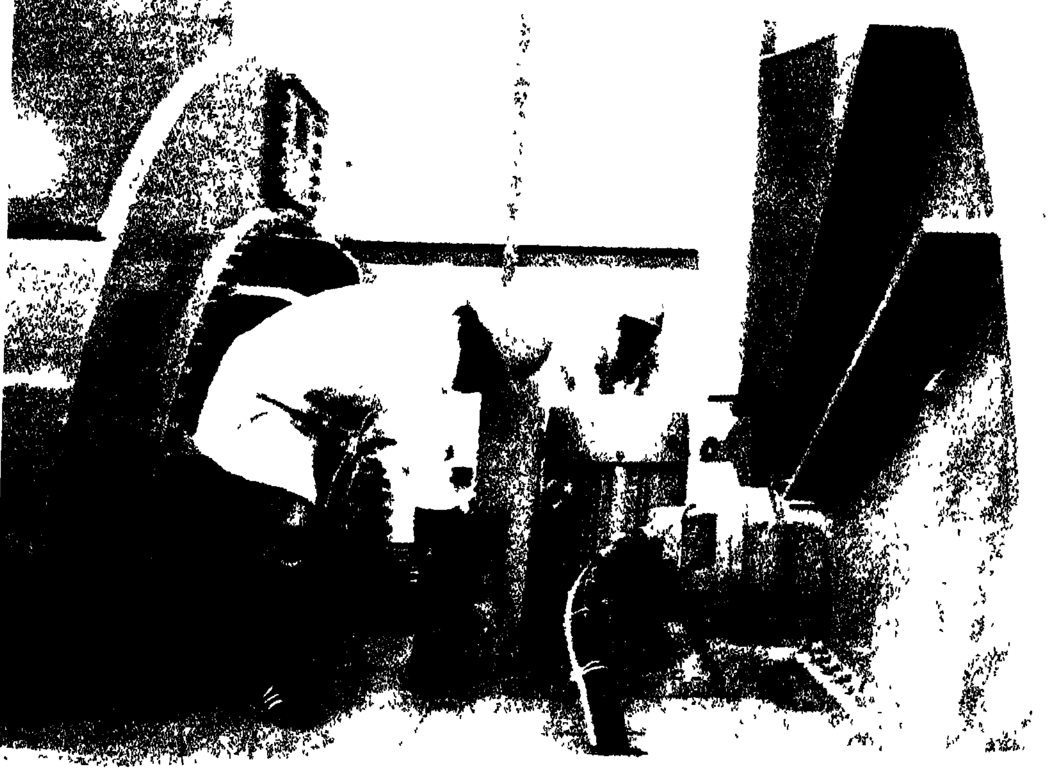
ـ الى جوار ذلك هناك حاجة الى خطوة حاسمة من الدولة لوضع سلم للأجور للعمالة الفنية بمختلف مستوياتها يترجم هذه الأهمية ، ولتوفير الاحتياجات والامكانات المادية والبشرية التي تعين الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب على القيام بدورها في اعداد العمالة الفنية من أبناء البلاد بالأعداد والنوعيات المطلوبة

ـ بالاضافة الى ذلك من المهم أن تتواصل وزارة التربية والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب معاً تنمية السياسات التي تؤدي ـ ضمن أهداف أخرى ـ إلى تصحيح النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي والتدريب .

فإنشاء وتنمية مدارس نظام المقررات التي تضع التعليم التطبيقي في مكانه الصحيح من بنية التعليم العام ، أمر له أهميته في هذا السبيل .

ووضع سياسات للحوافز تتسم بالمرونة من قبل الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب أمر مهم كذلك ، وقد بدأت الهيئة خطوات إيجابية في هذا الطريق ، فرفعت المكافأة التي تمنح لطلاب المعاهد والمراكز في المجالات والتخصصات التي تمس حاجة خطط التنمية إليها بنسب تتفق وهذه الحاجة ،

طلبة في غرفة التحكم بالمحطة



طـ أداة [illegible] المحطة



أحد الطلبة أمام محطة اللوحة

وتتحرك بحركتها

- فتح مجالات النمو المهني والتعليمي أمام العناصر المتازة في المجال التطبيقي ، ومتابعة الخريج ورعايته بالقدر الذي يساعده على الاستمرار والنمو في العمل في مجال تخصصه . وهذا امر مهم في تطوير النظرة الاجتماعية للتعليم التطبيقي ، فلا شيء يؤثر ويقنع مثل وجود نماذج ناجحة ومتقدمة في مجال العمالة الفنية والمهنية في سوق العمل

الجذور البعيدة للمشكلة :

قبل أن نواصل حوارنا مع المسئولين عن واقع مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت ، علينا أن نتوقف قليلا للبحث عن جذور هذه المشكلة ، ونعني بها مشكلة النظرة الاجتماعية المتدنية للتعليم الفني والمهني في العالم وفي بلادنا

ففي البدء كان التعليم حكرا على الصفوة ، وكان تعليما أكاديميا يعد أبناء هذه الصفوة ، للوظائف العليا في المجتمع ، وكان العمل في الحرف الصغيرة لأبناء الطبقات الدنيا يتوارثون تعلمها ، جيلا بعد جيل في مواقع العمل ذاتها ، وعبر طريق طويل شاق من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، والثورات العلمية والتقنية ، اسقط حق الطبقات الدنيا في ان تتعلم ، وفي نفس الوقت ، كان تعلم الحرف الصغيرة [illegible] مكانه بالتدريج لوريث جديد اسمه التعليم الفني والمهني وكأنما كان الاثنان على موعد ، الطبقات الدنيا ، وتعليمها الفني والمهني ، الذي جاء [illegible] خطا سطا صفقا على هامش التعليم الأكاديمي ، الذي بقي ايضا حكرا على الصفوة ليس [illegible] بل بقوة اخرى ذات شكل [illegible] احتيازات الانتقاء بعد [illegible] التعليم الأكاديمي [illegible] او شرط التعليم [illegible] الذين يحصلون فيها على [illegible] في الغالب من ابناء الطبقات [illegible] التعليم الأكاديمي يعد خريجيه [illegible] في المجتمع ، ففي [illegible] عند نهاية المرحلة الثانوية لا [illegible] حقيقية للنمو التعليمي او [illegible]

لقد بقي هذا الوضع سنين طويلة في كثير من بلاد العالم حيث تكرست النظرة الاجتماعية المتدنية اليه ، الى أن أثبتت الدراسات أن نتائج مثل هذه الاختبارات ليست بالدقة المنشودة فضلا عن أنها ضد تكافؤ الفرص بمعناه الحقيقي ، وانه لا ينبغي أن نقرر مصير الأطفال في مثل هذه السن ، وأصبح من الاتجاهات التربوية العالمية السائدة ، أن التعليم الالزامي الذي ينبغي أن يتاح للجميع دون تفرقة هو التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية ، وانه يجب أن يكون أكاديميا وتقنياً في الوقت ذاته وفي المدرسة الواحدة المشكلة اذن لم تكن عندنا وحدنا ، بل هي في العالم كله ، وفي أوروبا كانوا يقولون عن التعليم الفني والمهني : انه « ابن العم الفقير » وانه ذلك التعليم الذي يصلح لجيراننا » !

نسب القبول في الجامعة :

الآن وقبل أن نعود الى تجربة الكويت في التعليم التطبيقي والتدريب لنتوقف لحظة أمام

قرار وزير التربية بتحديد نسب القبول في الجامعة بـ ٧٠٪ كحد أدنى

ان هذا القرار الذي اتخذ في بداية هذا العام الدراسي وأثار جدلا كبيرا في مجلس الأمة ، وفي صحافة الكويت يستهدف ضمن أشياء كثيرة توجيه أعداد من خريجي الثانوية الى معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب

ويمكن القول بأن الجدل الذي ثار حوله تأييدا أو معارضة يعكس ضمن ما يعكس جوانب من النظرة الاجتماعية للتعليم الفني والمهني في شكلها الايجابي أو السلبي

ومهما يكن الموقف النهائي من هذا القرار ، فان الحركة التي ثارت بسببه تأييدا أو معارضة تؤدي لتصحيح النظرة الاجتماعية للتعليم الفني والمهني ، وهي تحرث الأرض أمام الاقتناع الداخلي سواء عند الطلبة أو اولياء الأمور ، بأهمية هذه المعاهد التطبيقية وبضرورة الالتحاق الاختياري بها ، ومهما يكن من أمر فقد كان من نتائج هذا القرار الخطير أن وجدت الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب أن عليها أن تقبل عددا جديدا من الطلاب وهم الذين لم يجدوا

ي الجامعة في ضوء قرار تحديد القبول في الجامعة ١/.

كان من الطبيعي أن أتوجه بالسؤال الى « السيد
ى الرفاعي عن قدرة الهيئة على استيعاب الأعداد
يدة ؟ » .

فقال: أود أولاً أن أشير الى أن الهيئة كانت تدعو قبل إلى سياسة تحديد القبول في الجامعة من منطلق ليس من الطبيعي أن يتجه كل خريجي الثانوية ـامة الى التعليم الجامعي ، فمعاهد التعليم طبيقي جزء من التعليم العالي ، والمصلحة الوطنية عليا تتحقق بتوزيع خريجي الثانوية العامة بين لجامعة ومعاهد التعليم التطبيقي والشرطه والجيش لخ في حدود الطاقة الاستيعابية لكل منها ، وفي ضوء لأهداف المتوخاة من كل منها ، وأيضاً في ضوء حاجات سوق العمل لخريجي كل منها

وأيضاً أود أن أشير الى أن معاهد التعليم التطبيقي والتدريب بعد انشاء الهيئة وقبل انشاء الهيئة ، كانت تواجه عجزاً في المدخلات ، بسبب عجزاً في المخرجات ، وبالتالي قصوراً في تلبية حاجة سوق العمل من الخريجين ، ومن هنا فلم تكن لدينا مشكلة في استيعاب الأعداد الزائدة بسبب سياسة القبول الجديدة في الجامعة ، ولن تكون لدينا مشكلة لمدة عامين آخرين وربما تكون لدينا مشكلة في العالم الثالث ، لكن من ناحية أخرى أود أن أوضح أن الدولة مهتمة جداً بتوسيع الطاقة الاستيعابية لمعاهد ومراكز الهيئة بتوفير المباني اللازمة والأجهزة والمعدات وهيئات التدريس وغيرها ، ونأمل أن يتمشى ذلك ويتوازن مع الزيادة في اعداد المتقدمين للهيئة

العودة الى الجذور القريبة :

نعود مرة أخرى الى الجذور القريبة من بدايات رحلة التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت ، فالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب هي في الحقيقة ثمرة رحلة تربوية طويلة بدأت من خمسينات هذا القرن ، وواجهت مشكلات التعليم الفني والمهني والتدريب ، وهي أكثر جدة ، فكيف كانت الرحلة ؟ وماذا كان حصادها ؟

المرحلة الأولى

عمر هذه المرحلة عشرون عاماً بدأت بانشاء الكلية الصناعية ، وهي مدرسة في مستوى المرحلة الثانوية عام ١٩٥٤

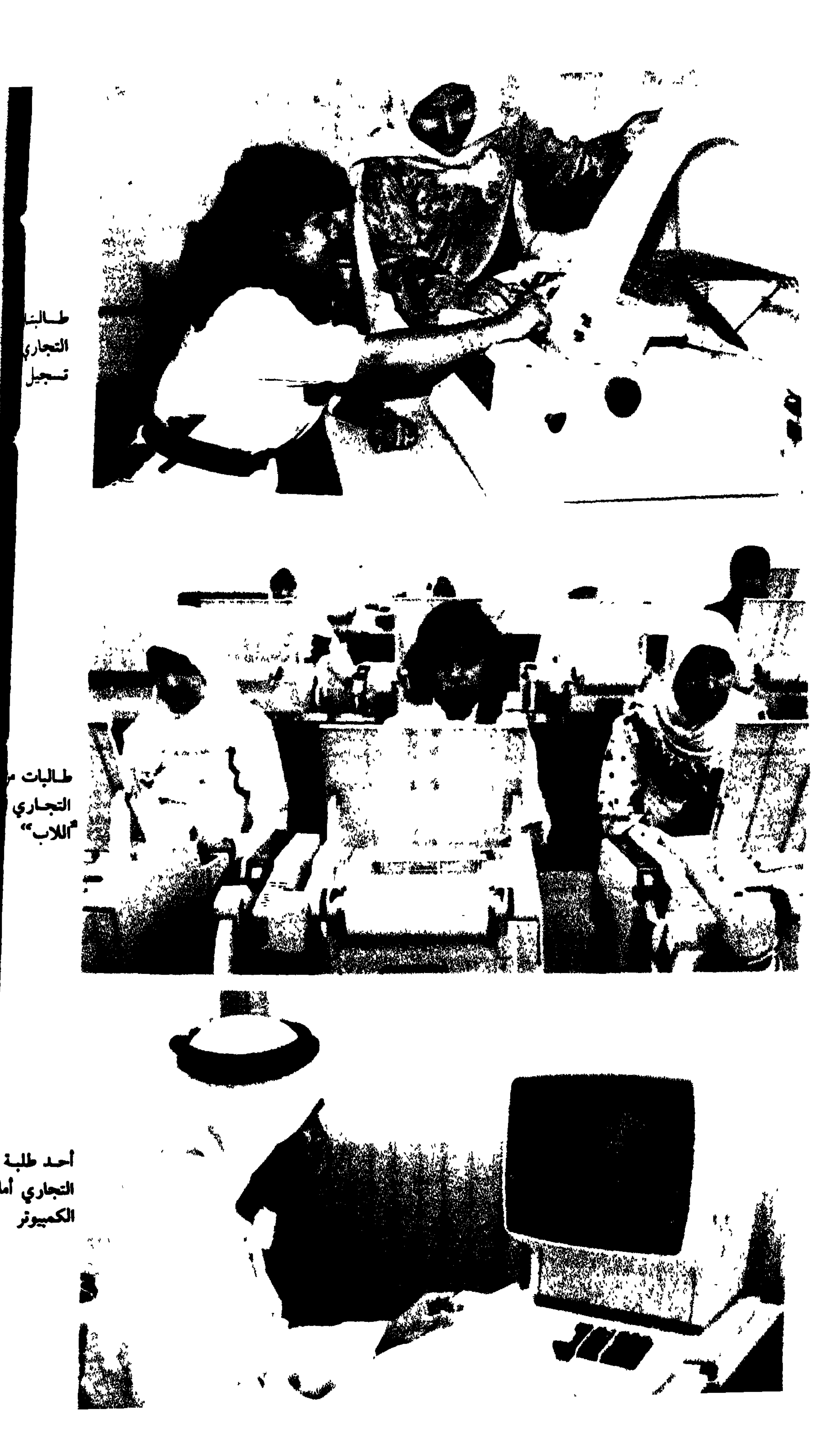
* شهدت هذه المرحلة بدايات التطور الاقتصادي والاجتماعي في الكويت بعد بداية استثمار النفط ، وقبل بداية التطور الكبير الذي تمثل في السيطرة الكاملة من الدولة على شركات النفط وعلى أسعاره

* جاءت نشأة التعليم الفنيّ والمهني لتلبية حاجة بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية وسوق العمل - في ظل هذا التطور - الى أعداد من الحرفيين ومساعدي الفنيين والفنيين .

* لم تكن مسئولية هذا التعليم مقصورة على وزارة التربية ، بل كانت نتيجة لظروف هذه النشأة موزعة بين وزارة التربية التي أنشأت الى جوار الكلية الصناعية عام ١٩٥٥/٥٤ . المدرسة الثانوية التجارية عام ١٩٦٤/٦٣ ، والثانوية المهنية للبنات عام ١٩٦٨/٦٧ وبين وزارات الأشغال والدفاع والشئون الاجتماعية والعمل والبريد والبرق والهاتف والكهرباء والماء . حيث أنشأت كل واحدة معهداً أو مركزاً للتعليم الفني والتدريب المهني يكاد يقتصر في أعداد طلابه كما وكيفاً على تلبية حاجة الوزارة التي أنشأته .

* كان من الطبيعي أن تختلف مستويات وأنواع البرامج الدراسية والتدريبية في هذه المعاهد باختلاف الحاجات والأهداف التي أنشئت من أجلها ، وأن تصطبغ بالاهتمامات الخاصة والمرحلية للجهات التي أنشأتها مما جعل خريجي هذه المعاهد دون المستوى الفني العام وغير قادرين على مسايرة التطور الذي بدأ يتسارع في سوق العمل .

* بشكل عام كانت تتجسد في مدارس ومعاهد ومراكز هذه المرحلة كل مشكلات التعليم الفني والمهني التقليدي حيث أن مدخلات هذه المدارس والمعاهد كانت من أصحاب المجاميع المتدنية من خريجي المرحلة المتوسطة ، الذين لم يجدوا مكاناً في التعليم الثانوي العام ، وكانت مدارس التعليم الفني



طـالبنا
التجاري
تسجيل

طـالبات م
التجـاري
"اللاب"

أحد طلبة
التجاري أما
الكمبيوتر



طالبة من معهد الكويت للعلوم الصحية تعمل في المختبر

التابعه لوزارة التربيه معلقه عند نهاية المرحله الثانويه فلا تجد خريجوها ايه فرصه للنمو التعليمي او المهني . ويكفي أن نشير الى ان نسبه المتقدمين إلى الكلية الصناعيه لم تزد عن ٥٪ من مجموع الملتحقين بالتعليم العام . ولم يحمل الدراسه بها الا حوالي ١٥٪ من مدخلاتها

* مر هذا النوع من التعليم خلال هذه المرحله بمراحل متعدده من التقويم والتطوير والاصلاح كانت في مجملها تتسم بالمركزيه والمرحليه بسبب تعدد وتنوع الجهات المسئوله عنه

* احد المراحل في عمليات هذا التقويم كانت تلك التي انتهت الى التوصيه بانشاء اداره التعليم الفني والمهني لتطوير المدارس الفنيه التابعة لوزارة التربيه . وبانشاء الادارة المركزيه للتدريب لتوحيد الاشراف على ما تم انجازه من المعاهد والمراكز التي كانت تتبع بعض وزارات الدوله . وكانت نهاية تلك المرحلة هي بدايه ما يمكن أن نسميه قطاع التعليم الفني والمهني التابع لوزاره التربيه ، وقطاع التدريب الفني والمهني التابع للادارة المركزيه للتدريب التي أنشئت بمرسوم أميري في ٢٢ مايو سنه ١٩٧٦ لتشرف على المعاهد والمراكز التالية

- مركز تدريب الكهرباء والماء
- مركز الشويخ للتدريب الصناعي
- معهد الاتصالات السلكيه واللاسلكية
- معهد الملاحة الجويه

المرحلة الثانية

من ٧٥ الى ١٩٨٢ :

في فبراير سنة ١٩٧٥ صدر عن وزارة التربية تقرير « مستقبل التعليم الفني والمهني[1] » الذي قدم استراتيجية للتطوير في تلك المرحلة ، وقد قامت هذه الاستراتيجية على أساسين مهمين : الأول ، ربط اصلاح وتطوير التعليم الفني بتطوير التعليم العام ذاته

فمدخلات التعليم الفني من مخرجات التعليم العام . ولا يمكن تطوير الجزء دون تطوير الكل . ومشكلة المتشاكل في التعليم الفني وهي النظرة الاجتماعية اليه ، انما تنبع في الأساس من علاقته الضمنيه بالتعليم العام . ولن تتعدل النظرة الاجتماعية للتعليم الفني ما لم تتعدل هذه العلاقه بشكل جذري . وما لم يلتحم بالتعليم العام في كل مراحله بحيث يصبح جزءاً من نسيجه . ويصبح لطلابه نفس فرص النمو التعليمي الى مراحل أعلى ويصبح لمؤهله نفس القيمه في سوق العمل

الثاني : ضرورة أن يرتبط التعليم الفني في نظامه الجديد ، وفي برامجه الدراسية المتطورة بظروف البلد الجغرافيه والسكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وأن يأخذ واضعو السياسه التربوية في اعتبارهم اتجاهات المستقبل لكل هذه الظروف

وقد ترتب على الاخذ بهذين الأساسين ما أصبح معروفا لدينا الان من :

* وجود الدراسات العملية في برامج التعليم العام لتأكيد قيمه العمل وتكامل نمو الطفل ، وترشيد موقفه من برامج التعليم الفني

* انشاء وتنمية مدارس نظام المقررات في المرحلة الثانوية بالتدريج بما يعنيه ذلك من ادخال برامج التعليم الفني والمهني في صلب برامج المرحلة الثانوية وجعلها شعبا مناظرة للعلمي والأدبي في هذه المدارس كبديل ايجابي لمدارس التعليم الفني المنفصلة التي تقرر الغاؤها بالتدريج

* انشاء معاهد جديدة للتعليم الفني والمهني بنظام (سنتان أو أكثر) بعد الثانوية العامة لاعداد فنيي العمالة الوسطى في المجالات الصناعية والتجارية والصحية والتربوية لسد النقص الواضح في هذا المستوى من العمالة حيث تعتمد أكثر المشاريع في البلد على تقنية متقدمة تحتاج الى مستوى الفنيين أكثر من حاجتها الى مستوى العمالة الماهرة

* بالنسبة للطلاب الذين قد يتسربون - رغم ذلك - من مراحل التعليم العام ، فأمامهم فرص الالتحاق بالمستويات المناسبة لهم في أحد معاهد

---

(١) من اعداد د . محمد أحمد الغنام ، د . محمد محمد الحسان ، د . ويوسف عبد المعطي

ومراكز التدريب المهني التابعة للادارة المركزية للتدريب لاعدادهم في مستوى العامل الماهر أو مساعد الفني وفق امكانات تطورهم

وقد أصبح لدينا في اطار هذه السياسة الجديدة

- معهد التربية للمعلمين والمعلمات ١٩٧٣/٧٢
- معهد الكويت للعلوم الصحية ١٩٧٥/٧٤
- المعهد التجاري بفرعيه بنين وبنات ١٩٧٧/٧٥
- معهد الكويت للتكنولوجيا ١٩٧٧/٧٦

سمات وخصائص

يتحدث الأستاذ أحمد المزروعي عن سمات وخصائص هذه المرحلة فيقول .

« لعل أبرز الجوانب في تجربة التطوير في هذه المرحلة هوانها اتجهت الى اشراك الجهات التي تخدمها برامج التعليم التطبيقي في - العمل - في مراحل دراسة جدوى هذه البرامج والتخطيط لها والاستعانة بعناصر من السوق في التدريس وفي تقويم الطلاب أثناء التدريب الميداني .

* انها حرصت على تبني مبدأ التعليم المستمر في تخطيط برامجها بحيث تكون هناك فرصة دائمة أمام القادر الراغب على مواصلة رحلة التعليم في مراحل أعلى ، ولتحقيق ذلك قامت بعقد اتفاقيات ثقافية مع « بوليتكنيك مانشستر » بانجلترا ، وجامعة « فلوريدا الدولية » بالولايات المتحدة ، كي تسمح للعناصر الممتازة من خريجي المعاهد الطبيقية بمواصلة الدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم التطبيقية بالاضافة الى فتح أبواب القبول في الجامعة في كليتي التربية والتجارة أمام العناصر الممتازة لاستكمال الدراسة بها .

* تبني سياسة التخصص العريضة في مجال الدراسة لضمان فرص عمل أوسع للخريجين لمواجهة ديناميكية التغير في سوق العمل ، والتطور المتسارع في الصناعة والتقنية .

* استخدام إمكانات معاهد التعليم التطبيقي لتطوير بيئة المهن والارتفاع بمستوى قوة العمل في المجتمع ولتقديم تغذية راجعة للمعاهد ، من خلال تقديم برامج تصممها المعاهد خصيصاً لتناسب احتياجات بعض الجهات في سوق العمل في ضوء الاتفاق بينهما

* تبني فكرة التقويم كجزء لا يتجزأ من العملية التعليمية ، وفي هذا الاطار قامت المعاهد الفنية بمشروع التقويم الذاتي بالاتفاق مع الرابطة الجنوبية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي الجهة المسئولة عن عمليات التقويم هناك لتبين جوانب النجاح والقصور في تجربة التطوير في هذا التعليم ، وقد استمرت هذه التجربة لمدة عامين كان ضمن نتائجها تيسير سبل استكمال طلاب المعاهد لدراساتهم في جامعة فلوريدا الدولية للحصول على درجة البكالوريوس

وعن سلبيات أو مشكلات هذه المرحلة قال الاستاذ المزروعي

* من أبرز التحديات التي لا تزال تنتظر حلولاً أفضل أن الجهود الوطنية على مستوى الدولة لم تلتحم في تكاتف كامل لدفع حركة التجديد في التعليم الفني والمهني بما يحقق أهدافها ، بحيث تتضافر أجهزة الاعلام وسياسة الأجور والتوظيف ، ووجود نظم إدارية مرنة تسهم في دفع الشباب للالتحاق بهذا التعليم بما يؤدي الى الاسراع بعملية التحول الاجتماعي لتحقيق التنمية .

* لقد ركزت حركة التطوير على اعداد العمالة الوسطى الا انه يجب أن يتكامل اعداد الفنيين مع اعداد العمالة الماهرة ، لأن هذا القطاع ما زالت مسئوليته حائرة بين مدرسة نظام المقررات ، وبين التعليم الموازي الذي يقتصر حالياً على المتسربين من المرحلة المتوسطة وبين مراكز التدريب المهني ، مما يشير الى حاجة هذا القطاع الى وقفة تقويم ومراجعة

* لا تزال مشكلة التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل في مختلف القطاعات ، وأولوياتها ومتغيراتها من أهم المشاكل التي تواجه المخططين لاعداد العمالة مما يشير الى ضرورة توافر جهاز وطني مسئول عن تحديد مثل هذه الاحتياجات في المدى القريب واتجاهات تطورها في المدى البعيد .

* يحتاج أعضاء الهيئة التدريسية بمعاهد التعليم التطبيقي الى تنمية مستمرة لملاحقة التطور المستمر في عالم التقنية ، وفي سوق العمل ، وهذه خصوصية يحتاجها مدرس التعليم التطبيقي ، وما زالت جهودنا



درس في التشريح بمعهد
الكويت للعلوم الصحية

طلبة من قسم الكهرباء بمركز الشويخ للتدريب الصناعي



طالب من معهد الملاحة الجوية يعمل في غرفة الرادار

في هذا السبيل تحتاج الى خطة واضحة ودعم كامل لتحقيق هذه التنمية

* ما تزال الخدمات المركزية للمعاهد غير قادرة على اللحاق باحتياجات المعاهد كالمكتبات ، والتقنيات التربوية وخدمات الحاسب الالي . والخدمات النفسية والاجتماعية .

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب :

كان انشاء الهيئة في ديسمبر سنة ١٩٨٢ بداية مرحلة جديدة دون شك فقد تكونت الهيئة بضم قطاع التعليم التطبيقي الذي كانت تشرف عليه ادارة التعليم الفني بوزارة التربية وقطاع التدريب الذي كانت تشرف عليه الادارة المركزية للتدريب بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل

فماذا كان الهدف من هذا الضم ؟

في مقدمة أول كتيب أصدرته الهيئة للتعريف بنفسها نقرأ العبارات

« كانت الحاجة الماسة الى توفير رؤ ية شاملة لاحتياجات سوق العمل في الكويت الى العمالة بكافة مستوياتها من منظور شامل وراء انشاء هذه الهيئة ، حتى تكون الرؤ ية أوفى والحلول أشمل

وكانت الاتجاهات التربوية الحديثة الداعية الى ازالة الحواجز بين التعليم والتدريب والعمل ضمن الحوافز الى انشاء هذه الهيئة

القضايا كلها مترابطة ، والتكلفة الباهظة للتعليم التطبيقي والتدريب لا تسمح للمجتمعات بهدر أموالها وجهودها في تكرار الأنشطة والأجهزة هنا وهناك

في الوقت الذي يمكن فيه من خلال توحيد الأهداف والجهود والتنسيق بينها الارتقاء بمستوى التعليم التطبيقي والتدريب معاً »

ولكن عمر الهيئة الذي لا يتجاوز ثلاثة أعوام قد لا يسمح لنا بأن نبحث عن انجازات كبيرة في هذه المرحلة وخصوصا ونحن نسمع عن أن الهيكل التنظيمي للهيئة الذي تم تشكيله في البداية على عجل لتتمكن الهيئة من مباشرة مهامها يخضع الآن لدراسات جديدة تقوم بها « أكاديمية الانماء التربوي » وهي بيت استشاري مقره في نيويورك ومهمة البيت الاستشاري « اعادة تنظيم الهيئة العامة ومؤسساتها ومراكزها »

التفتيش في الأوراق القديمة :

علينا أن نتريث قليلاً وأن نفتش في الأوراق القديمة ، ثمة تقارير على درجة من الأهمية تتحدث عن زيارات وفود من المسئولين في التعليم التطبيقي والتدريب لعدد من البلدان المتقدمة للاطلاع على مؤسسات التعليم التطبيقي والتدريب فيها .

زيارات لانجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة واليابان كان ذلك خلال المرحلة الثانية عدا رحلة فرنسا التي تمت بعد انشاء الهيئة ، وفي هذه التقارير « مناقشات حامية مع رجال التربية والصناعة هناك حول مشكلات التعليم التطبيقي والتدريب ، أسئلة ملحة ودائمة تتكرر في مراكز الفكر التربوي وعواصمه حول علاقة التعليم التطبيقي بالتعليم العام ونظام المدرسة الشاملة ؟

طريقتهم في التعرف على احتياجات سوق العمل في عصر التغيرات المتسارعة ؟

واعداد معلم التعليم التطبيقي ، والتنازع الذي لا ينتهي بين متطلبات نمو الفرد ومتطلبات سوق العمل ، ومشاكل التعليم الذاتي وضرورته في الوقت ذاته ، وتطوير برامج التعليم التطبيقي وفق منهج الكفايات ، وقضايا التعليم المستمر ، وبرامج خدمة المجتمع . ومراكز المعلومات ، بما لها من ثروة هائلة ، كانت تلك إحدى الطرق في اعداد القادة الاداريين لهذا النوع من التعليم .

بعض هذه الأفكار قد خرج الى حيز الوجود في هذه السنوات الثلاث التي كنت أظنها لا تكفى لانجازات كبيرة . . .

ففي الطابق الخامس بمبنى الهيئة يوشك العمل أن يتم لانجاز الحاسب الألي الخاص بالهيئة ، وبرامج خدمة المجتمع تدخل عامها الثاني ، وتقدم برامج ذات طابع تطبيقي . يستفيد منها حوالي ٩٠٧ دارس ودارسة من الكويتيين وغيرهم

وهذه الوثيقة البالغة الأهمية التي تتحدث عن أهداف وسياسات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، لقد أعدتها ست لجان فرعية في المجالات التالية .

ـ الصناعة . العلوم التجارية ـ العلوم الزراعية والصناعات الغذائية ـ الخدمات التعليمية ـ الفنون والانسانيات ـ العلوم الصحية

هل هناك جديد في قائمة الأهداف ؟

* هناك تأكيد على زيادة الانتاجية عن طريق التدريب المستمر للعاملين في البلاد من مختلف المستويات ، داخل المؤسسات التي يعملون بها أو خارجها

* تحقيق الحراك الرأسي والأفقي في قوة العمل الوطنية من خلال تطوير برامج التعليم التطبيقي والتدريب

* الاهتمام بالبحث العلمي في قطاعي التعليم التطبيقي والتدريب وتقديم الاستشارات والبحوث لطالبيها من المؤسسات الحكومية أو الخاصة في المجالات ذات العلاقة بنشاطات الهيئة

* المساهمة في نشر الوعي الزراعي والغذائي بين النشىء في مدارس التعليم العام

في مجال السياسات . . . :

و تتحدث الوثيقة عن

ـ استحداث برامج جديدة مثل البكالوريوس في العلوم التطبيقية ٤ سنوات بعد الثانوية العامة .

ـ تحديد سياسة تشغيل الخريجين بما يكفل وضع الخريج في مكان عمله المناسب لطبيعة المؤهل الحاصل عليه ، مما يساعد في رفع كفاءة وفعالية الخريج .

قضايا المرحلة مع وزير التربية

من خلال هذه المرحلة الممتدة والمركزة نعود الى مواصلة الحوار مع السيد وزير التربية عن قضايا الهيئة في هذه المرحلة .

* الى أي مدى ترون أن وثيقة « أهداف وسياسات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب » التي أقرها مجلس ادارة الهيئة تعبر عن دور الهيئة في المرحلة الراهنة حتى سنة ٢٠٠٠ ؟

ـ لقد وضعت هذه الوثيقة من قبل عدد من اللجان التي استمعت الى عناصر من ذوي الخبرة في سوق العمل في وقت كانت الهيئة في حاجة الى أن يكون أمامها دليل عمل يحمل مؤشرات للمستقبل وهي بلا شك تحمل رصيداً كبيراً من الخبرة ، وتوضح مجال الرؤية لسنوات قادمة ، ولكن في اطار المتغيرات المتسارعة التي تؤثر على الكثير من الوقائع والظروف ، فقد يكون من المفيد اعادة النظر في مثل هذه الوثائق بين حين وآخر لتتعرض لمزيد من الدراسة ، وهذا لا ينقص أبداً من قيمة هذه الوثائق بل يضيف اليها ويثريها

* ما رأيكم في أنسب الوسائل للتعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل بالكويت ـ للكوادر الفنية الكويتيه ـ بما يساعد على أن يجيء التخطيط لاعداد هذه الكوادر متلائما مع احتياجات خطط التنمية وسوق العمل كماً وكيفاً ؟

ـ لا أظن أن جوهر المشكلة في المرحلة الراهنة يكمن فقط في هذا التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل بالكويت ، ومع الاعتراف بأهميته والاشارة الى صعوبته في سوق عمل يتأثر بمتغيرات كثيرة ومتسارعة مثل سوق الكويت ، الا أن جوهر المشكلة هو في مدى قدرتنا على تضييق الفجوة بين الاعداد التي يمكن أن توفرها الهيئة من خريجيها وبين الاعداد المطلوبة بالفعل لهذا السوق من أبناء البلاد .

فاذا عدنا الى السؤال عن طريقة التعرف الدقيق على احتياجات سوق العمل ، فهناك أولاً : البيانات والاحصاءات التي توفرها وزارة التخطيط ، والجهات المعنية في وزارات الدولة أو في سوق العمل .

كما أن هناك أسلوب الاتصال المباشر مع بعض مواقع العمل المؤثرة للتعرف على احتياجاتها . وفي هذا الاطار فان الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب تقوم بشكل دوري وسنوي بمخاطبة الجهات المختلفة ـ القطاع الخاص ، والمشترك والعام ـ لمعرفة احتياجاتهم من العمالة الوطنية ، كما تقوم بعقد لقاءات مع هذه الجهات لمعرفة مستوى الخريجين .

* كيف ترون السبيل الى تحقيق علاقات فعالة بين

طالب بمعهد الاتصالات السلكية واللاسلكية يعمل على جهاز تسجيل



طلبة بمعهد الملاحة الجوية يتدربون في برج المراقبة بالمطار

المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية والصحية في الكويت وبين معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب بما يكفل الارتقاء بمستوى التدريب لطلاب المعاهد من ناحية ، وللعاملين بهذه المؤسسات من ناحية أخرى ؟

- اننا نعتقد أنه لا يمكن للتعليم التطبيقي والتدريب أن ينجح دون أن تكون هناك قنوات اتصال وثيقة بين الهيئة من ناحية وسوق العمل من ناحية أخرى

وهناك عدة قنوات يتم خلالها هذا التفاعل منها :

- التدريب الميداني للطلاب في مؤسسات سوق العمل .

- الدورات التدريبية التي تقدمها الهيئة لتنمية العاملين في مؤسسات سوق العمل في اطار التدريب أثناء الخدمة .

- اشتراك عناصر من سوق العمل في وضع المناهج التدريسية والتدريبية بالمعاهد والمراكز وفي دراسات الجدوى للشعب الجديدة .

- اشتراك عناصر من سوق العمل في تقويم المتدربين .

- قيام اساتذة المعاهد والمراكز ببحوث تطبيقية تهتم في حل مشاكل موجودة في بعض قطاعات سوق العمل

ولن نطيل في ذكر مجالات وقنوات الاتصال والتفاعل ، ولكن من المهم التأكيد على أن حسن اختيار العناصر البشرية المسئولة عن هذه القنوات يعتبر من أهم العوامل المؤثرة في توفير علاقات فعالة بين المؤسسات الصناعية والتجارية .. الخ ، وبين معاهد ومراكز الهيئة .

استقرار الخريجين :

* ما أفضل السبل لضمان استمرار واستقرار خريجي معاهد ومراكز التعليم التطبيقي في العمل في مجالات تخصصهم بعد التخرج .

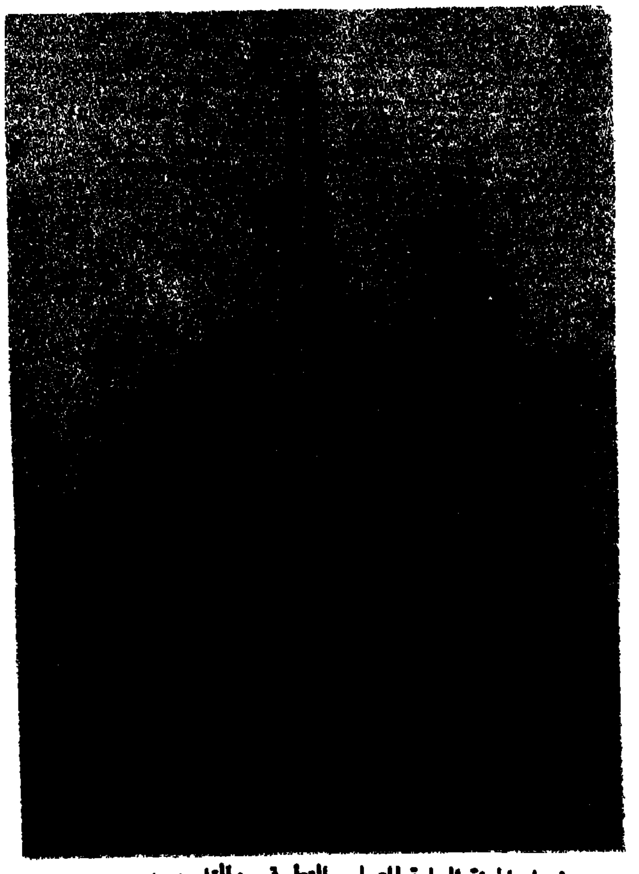
من أهم هذه السبل ما سبق أن أشرنا الى بعضه في وسائل تصحيح النظرة الاجتماعية ونزيد عليه .

- منح القسائم الصناعية للخريجين الراغبين في اقامة مشروع خاص .

- اصدار بعض التشريعات التي تشجع أو تدفع القطاع الخاص لاعطاء الأولوية في التوظيف لخريجي المعاهد والمراكز من أبناء البلاد .

كيفية توفير علاقات فعالة بين معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب في الكويت وبين نظيراتها في الدول المتقدمة صناعياً ؟

يمكن القول ان الهيئة بدأت فعلاً في هذا التوجه قبل انشائها وعندما كان التعليم التطبيقي جزءا من وزارة التربية ، فلقد قامت وفود من الوزارة آنذاك بزيارة لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وتم توقيع اتفاقيات مع عدد من الجامعات والمعاهد المماثلة ، نذكر منها جامعة فلوريدا ، جامعة وينثورث التطبيقية وما نشستر بوليتكنك ، كما أن الهيئة حريصة على الاستمرار في توثيق علاقاتها مع المؤسسات العلمية المماثلة في الدول المتقدمة من خلال قيام مسئولين في الهيئة بزيارة هذه المؤسسات العلمية أو دعوة خبراء لزيارة معاهدنا في الكويت



شعار الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

ولقد أسفرت هذه الاتصالات عن قيام مجموعة من الجامعات والمعاهد الأمريكية بانجاز مشروع التقويم الذاتي لمعاهد التعليم التطبيقي كما أن استمرار الاتصالات سوف يساهم في تطوير معاهد التعليم التطبيقي ومراكز التدريب من ناحية، وسوف يوفر لمبعوثي الهيئة المجال لاستكمال دراساتهم في الخارج

ماذا عن الجامعة التطبيقية.. ؟

* يتطلع الكثيرون الى الجامعة التطبيقية باعتبارها الهدف المستقبلي للمرحلة القادمة، فما مدى الحاجة الى انشاء جامعة تطبيقية في الكويت؟ واذا كنتم ترون ان ثمة حاجة ملحة لهذه الجامعة، فهل تكون معاهد التعليم التطبيقي نواة لمثل هذه الجامعة؟

ـ كما أشرت في اجابة سؤال سابق، فان التحدي الحقيقي الذي يواجه معاهد ومراكز التعليم التطبيقي والتدريب الآن هو توفير العمالة الفنية الوسطى من أبناء البلاد لتلبية حاجة سوق العمل، والعناصر الممتازة من خريجي هذه المعاهد والمراكز تقوم الهيئة بإيفادهم في بعثات للخارج للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم التطبيقية في اطار اتفاقياتها الثقافية مع الجامعات في الخارج، وبطبيعة الحال ثمة حاجة لهذه العناصر في سوق العمل، ولكن الحاجة الأشد هي للعمالة الوسطى، ومع تطور الحاجة في سوق العمل، ومع تزايد أعداد الخريجين بعامة والعناصر الممتازة منهم بخاصة، سوف يأتي وقت يصبح فيه انشاء جامعة تطبيقية في الكويت محققاً للجدوى الاقتصادية والعلمية والعملية، وأفضل من إرسال الطلاب المتفوقين الى الخارج.

إن تحديد الوقت المناسب لانشاء مثل هذه الجامعة التطبيقية يحتاج الى دراسات كافية، وفي النهاية الى قرار سياسي يستند الى نتائج هذه الدراسات، وعندما يتم هذا كله فماذا يمنع أن تكون معاهد التعليم التطبيقي نواة لمثل هذه الجامعة؟

تحدثتم عن اتجاه وزارة التربية لتقويم النظام التربوي في الكويت، فهل تشمل هذه العملية تقويم التعليم التطبيقي والتدريب وما رأيكم في عمليات التقويم التي تمت قبل ذلك في التعليم التطبيقي؟

ان عملية تقويم النظام التربوي في الكويت في هذه المرحلة تركز على التعليم العام بصفة خاصة وهذا كما اعتقد أمر بديهي ومنسجم تماماً مع التدرج الطبيعي في التعليم، وعملية التقويم القائمة حالياً لها اتصال جزئي مع التعليم التطبيقي والتدريب، فالتقويم في التعليم العام يمثل من بين أمور متعددة ـ المدرس ـ الذي يعتبر الركن المهم في العملية التربوية، ومن هذه النقطة يبدأ الاتصال بين عملية التقويم القائمة حالياً ومعهدي المعلمين والمعلمات، وهما المصدر الذي يزود المدارس بالمدرسين والمدرسات

ولقد تم في السابق تقويم للتعليم التطبيقي والتدريب كان من نتائجه تطوير هذا النوع من التعليم بما يلائم حاجة البلاد في السنوات السابقة

حوار بين تيارين :

ونلتقي مرة أخرى بالمهندس عيسى الرفاعي المدير العام بالوكالة للهيئة لنستكمل حوارنا معه حول الحديد من شئون الهيئة وقضاياها

* ضمن أهداف انشاء الهيئة ازالة الحواجز بين التعليم والتدريب والعمل، واعطاء دفعة لقطاعي التعليم التطبيقي والتدريب، وبوصفكم مسئولاً في المرحلة السابقة عن الادارة المركزية للتدريب فإلى أي مدى يمكن القول بأن قطاع التدريب قد استفاد من ضمه للهيئة؟

فأجاب سيادته.

رغم سلامة الأهداف التي دعت الى انشاء الهيئة وايماننا بها الا أن انشاء الهيئة قد حدث بالفعل وكأنه مفاجأة لقطاعي التعليم التطبيقي والتدريب معاً، فلم يكن هناك ترتيب مسبق قبل هذا الدمج حتى يمكن للهيئة أن تبدأ بالنهوض بهذين القطاعين بالمستوى المنشود وبالسرعة المطلوبة، فبعد انشاء الهيئة كان هناك كثير من المحاولات للتوفيق بين النظرة السائدة التي تقول ان التعليم التطبيقي هو الذي يجب أن يقود التطوير، والنظرة الأخرى التي ترى أن التدريب هو العامل الأساسي في تنمية الموارد البشرية، وحتى يتم التوفيق بين هاتين النظرتين أخذت المسألة جهودا كبيرة من الهيئة بمعاهدها ومراكزها للوصول الى نقاط تفاهم مشتركة. هذا الحوار الطويل الذي حدث بين التيارين في حد ذاته

تعى بالعاملين في قطاع التدريب وتفكيرهم . وسع من دائرة الرؤية أمامهم ، صحيح لم تكن هناك حركات تطوير مباشرة لأجهزة التدريب لكن يجب علينا أن نعلم أنه لا يمكن أن يكون هناك تطوير ما لم يكن جهاز التدريب نفسه لديه الاستعداد الكافي لهذا التطوير

لكن الان بعد ثلاث سنوات من انشاء الهيئة وصلنا الى درجة كبيرة من التفاهم حول أمور كثيرة مشتركة تمكننا من البدء في التطوير . وهناك الان توجهات جادة واستعدادات للتطوير في قطاع التدريب سواء فيما يتعلق بالمناهج أو أعضاء الهيئة التدريبية أو المباني . وأيضا هناك مؤشرات نحو إقبال خريجي الجامعات للعمل في معاهد ومراكز التدريب وهذا لم يكن موجودا قبل انشاء الهيئة . ونعتقد أنه سيكون له تأثير كبير في الارتقاء بقطاع التدريب داخل الهيئة

* في اطار الاتجاه الى الاستفادة من الامكانات المتاحة والمشتركة بين التعليم التطبيقي والتدريب ودعم العلاقة بينهما

علمت أنه كانت هناك لجنة اسمها لجنة القطاعات بحث في امكانية تقسيم أنشطة الهيئة وفق قطاعات معينة كالقطاع الصناعي أو التجاري او الصحي . هكذا بهدف توفير نظم خاصة تنهض بكل قطاع من هذه القطاعات في مجالي التعليم التطبيقي والتدريب معا ، وتوفر سبل الاستفادة من الامكانات المتاحة والمشتركة بين القطاعين ترى الى أي شيء وصلت أعمال هذه اللجنة ؟

- هذه اللجنة تفرعت منها أربع لجان فرعية ، لجنة للقطاع الصناعي ، ولجنة للقطاع التجاري ، ولجنة للقطاع الصحي ، ولجنة التربية والاساسيات

وقد وجدنا أن العامل المشترك بين التعليم التطبيقي والتدريب هو موجود بالأكثر في القطاع الصناعي ، وقد تم التركيز على الاهتمام باللجنة التي تبحث في انشاء التعليم الصناعي ، منطلقة من بحث التخصصات القائمة في معهد التكنولوجيا ومعاهد ومراكز التدريب ، ومعهد الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وهذه اللجنة لا تزال مستمرة في عملها ومع نهاية العام الدراسي أن تكون هذه اللجنة قد أنهت مهمتها وتوصلت الى توصيات محددة ، وفي الحقيقة نحن متفائلون بالتوصل الى فكرة القطاعات النوعية ، وعندما تنتهي هذه اللجنة من عملها سوف تبدأ بقية اللجان وفي بقية القطاعات ، مستفيدة من تجربة اللجنة الأولى

هل تشارك الهيئة في وضع برامج التعليم الفني والمهني التي تقدم في مدارس التعليم العام ؟ واذا كانت هذه المشاركة غير موجودة فما رأيك في مدى الحاجة اليها ؟

حتى الان ليست لنا هذه المشاركة ، وان كنا نتباحث مع الاخوة في وزارة التربية حول ضرورة تدريس الطلاب في مراحل مبكرة المفاهيم الأساسية للتعليم التطبيقي

أما بالنسبة للحاجة الى مشاركة الهيئة في وضع مثل هذه البرامج فأعتقد أنه أمر مهم جدا وانا سنصل الى حل بشأنه في وقت مناسب

* ما دور الهيئة في قضية التطوير الاداري التي يعتبرها الكثيرون من اهم الأسس الضرورية لتحقيق النهضة في البلاد واحداث التعمير ؟

الهيئة بحكم قانونها لها دور رئيسي في التطوير الاداري وهو ما يطلق عليه التدريب أثناء الخدمة ، حيث أن هناك - كما يقولون - شبه بطالة مقنعة ، فنحن نحتاج لأفراد بعد إعادة تأهيلهم لوظائف فيها قصور ، وبعضهم ربما يعمل في وظائف تحتاجها الدولة لكن ينقصه التأهيل العلمي مع الخبرات التي اكتسبها أثناء الخدمة وبطبيعة الحال فان الاصلاح الاداري سيعتمد في الأساس على اسلوب اعادة التدريب أثناء الخدمة لعدد كبير من العاملين ، وسيكون للهيئة دور فعال في هذا التطوير اذا ما انتهت اللجنة العليا للتطوير الاداري من عملها وتحددت الادوار في هذه العملية بالنسبة للأجهزة المختلفة المشاركة في هذه العملية

والآن ونحن في نهاية الرحلة هل يمكن أن نلخص ملامحها وقانون تطورها ؟

انها رحلة من النظرة الجزئية الى النظرة الشاملة من تباعد نسبي بين المؤسسة التربوية وبقية المؤسسات في المجتمع الى التكامل والتآزر بينهما من انفصال النظرية عن التطبيق ، والفكر عن العمل الى التلاحم بينهما ، في كيان عضوي واحد هو الفرد ، وكيان معنوي هو المجتمع □



شعر : عبد الملك عبد الرحيم

بظهرِ الغيبِ كنتِ معي .. وكنتُ ـ حبيبتي ـ مَعكِ
أرى مستبشراً .. في مو .. طنِ الأقمارِ .. مَطْلَعَكِ
فسبحانَ الذي سوّاكِ مِنْ نورٍ .. وأبدَعَكِ
ولكنْ : زورقُ المجهو .. لِ ضيَّعَني .. وضيَّعَكِ
فهلْ مِنْ مرفأٍ يحنو .. فيجمَعَني .. ويجمَعَكِ

* * *

أجَلْ .. لم نجتمعْ من قَبْلُ .. لكنَّا قريبانِ
عَرَفنا صحبةَ الكَلِما .. تِ مِنْ آنٍ .. إلى آنِ
فأنتِ قصيدةٌ .. وأنا .. بدربِ الشعرِ عنوانْ
وُبشْرى الشعرُ .. لو أنى قَصَرتُ عليكِ ألحاني
وبُشْرى .. لو تعانَقَ في .. خميلِ الحُبِّ .. قلبانِ

* * *

قرأتُك أحْرفاً .. فِكراً رشيداً .. يرفضُ الغَثَّا
يُبدِّدُ نوْرةً فكراً .. بليداً .. بالياً .. رَثَّا
قرأتُ رؤى وإبداعاً .. على الصفحاتِ مُنْبثَّا
قرأتُكِ وردةً .. تملي الهوى ... والشوقَ .. والبَثَّا
فأنتِ نبوءةُ العرّ .. افِ لي عن روعةِ الأُنثى

* * *

تعالَيْ وردتي .. فلقد .. جفاني المطرُ .. والألَقُ
وأرّقَ رحلتي الإعصا .. رُ والتشريدُ .. والقَلَقُ
تعالَيْ .. أو فظلّي نجمةً في الغيبِ تأتَلِقُ
لنحنُ على المدى : نصفٌ تجاهَ النصفِ يَنطلِقُ
وأخشى أن يوحّدَنا .. لقاءٌ فيهِ نحترقُ

وجهاً لوجه





الفريد فـــرج و عبد العزيز السريع

* لى صلة بالمسرح العربى وليس لى صلة !

* ضربة معلم . . هو ما فعله المخرج صقر الرشود فى مسرحية على جناح التبريزى .

* من قال ان الأجيال الجديدة عقيمة ؟ ان فيها كفاءات توازى كفـاءات الأجيال الماضية وتزيد .

* ينضج التلفزيون المواهب . . بشكل سريع . . لكنه يحرقها بشكل سريع أيضا !

يلتقي في هذا الحوار رجلان من رجال المسرح العربي ، قدما للحركة المسرحية من ابداعهما وفنهما الجميل ما لا يخطئه الذوق السليم ولا تنساه الذاكرة .

أما الفريد فرج فهو مبدع المسرحيات التي أسهمت مع غيرها من مسرحيات في صنع نهضة المسرح العربي في الستينيات ، ومن تلك المسرحيات « على جناح التبريزي وتابعه قفة » ، و « سليمان الحلبي » ، و « النار والزيتون » و « حلاق بغداد » ، و « عسكر وحرامية » ، وغيرها . وقد تولى الفريد فرج عدة مسئوليات في المسرح العربي في مصر ، الى أن اضطر تحت وطأة ظروف السبعينيات الى الهجرة الى أوروبا ، ولكنه ظل يحتل مكانة مرموقة لدى المسرحيين العرب ، فمثلت مسرحياته مرات عديدة في مدن عربية كثيرة .

وأما عبد العزيز السريع فهو كاتب مسرحي بارز من الكويت ، ألف عددا من المسرحيات منها « الجوع » و « لمن القرار الأخير » و « فلوس ونفوس » و « عنده شهادة » و « الدرجة الرابعة » و« ضاع الديك » كما اشترك مع صديق عمره المخرج صقر الرشود في تأليف عدة مسرحيات هي : « شياطين ليلة الجمعة » ، و « بحمدون المحطة » و « ١، ٢، ٣، ٤ بم » وهو مراقب الشئون الثقافية بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ومقرر لجنة المسرح باللجنة العليا لتطوير الفنون .

يقول السريع :

ـ في النصف الأخير من شهر يونيه عام ١٩٧١ دخلت مسرح الجمهورية حيث مقر المسرح الكوميدى ، وأخذنى أحدهم الى مكتب مدير المسرح الكوميدى ومدير مسرح الجمهورية وقتها . دخلت لأسلم عليه ولم أدرك أننى أقابل لأول مرة كاتبا مسرحيا مرموقا ، كاتبا هو أحب كتاب المسرح اليّ . فقد قرأت انتاجه المسرحى المبكر ، واستفدت منه الكثير ، وتعلمت منه الشيء الوافر الذى أفادنى فى مسيرتى المسرحية ، والذى أعترف له بأنه نبهنى الى كثير من الأمور المهمة فى حرفة الكتابة المسرحية . لقد كان ذلك الرجل هو الاستاذ الكبير الفريد فرج ، الذى أثبت فى مسرحه بأن الجد لا يتنافى مع الفرجة ، وأن الكلمة الفصيحة قادرة على الاضحاك والامتاع وإثارة التفكير معاً ، وقادرة على التوصيل بشكل جيد اذا أحسنا انتقاءها ووضعها فى مكانها الصحيح وقد توثقت معرفتى به بعد ذلك عندما حل بنا ضيفا فى الكويت ، واستفدنا من خبرته ومن علمه وحواراته الممتعة ، والتقيت به بعد ذلك كثيرا فى مهرجان دمشق ، ثم فى بغداد ومازلت أرتبط معه بصداقة وثيقة أتشرف بها ، وأراها شيئا عزيزا علي ، أرجو أن تمتد ما امتدت حياتنا .

قلت له :

فعل الغربة

* أين أنت يا أستاذ الفريد فرج من المسرح العربي الآن ؟

ـ أما من المسرح العربي الأس المعترب والفنان الحائر والرجل الذى له صلة بالمسرح وليس له صلة بالمسرح . فأنا أتابع ما تنتجه المسارح العربية لي ، واحب أن أنوه هنا بالانتاج المكثف لمسرح الشباب في الثقافة الجماهيرية لمصر ، التي استطاعت أن تصلي بجمهوري خلال السبعينيات بلا توقف ، فضلا عن المسارح الكبيرة المرموقة في مختلف الأقطار العربية اما ادن مؤلف له صلة بالمسرح العربي لم تنقطع ، ولكني مؤلف كمعظم المؤلفين أيضا ليس لي صلة حقيقية بالمسرح العربي حيث أنني حتى في أثناء وجودي في القاهرة كنت فاقدا السيطرة على انتاجي ، بحكم النظام القائم والمتبع في الاقطار العربية كلها وفي مصر خصوصا ، من سيطرة المخرج على العرض المسرحي التي لا تنازع ، والتي لا تناقش

حقيقة أنا كنت حريصا على اختيار أسهل المخرجين تعاملا مع المؤلف ، وأكثرهم ايمانا بقيمة النص كعنصر أساسي في المسرح ولكني منذ غادرت القاهرة لم أعد أستطيع اختيار المخرج ، أو حتى التفاهم مع المخرج على خطة الاخراج قبل الاخراج . ولذلك فانى اشعر كأنى أب ، أبناؤه في مدن بعيدة لا يمكن الوصول اليها ، وانما هو يتصل بهم اتصالا روحيا ، أو اتصالا من خلال الأسماء ، ومن خلال التراسل احيانا . ولكن ذلك لا يعفيه من الشعور بأهمية الالتصاق بمسرح ما ، أو الاتصال بالانتاج المسرحي الذى يتم على أساس مسرحيات من تأليفي . صلتي بالمسرح العربي ادن صلة تقوم على امتداد خيط دقيق . ولا أعرف أحيانا اذا كان الخيط موصولا أو أنه خيط أتوهمه . ولكنني على أى حال اعرف أني أكتب للمسرح العربي . وحين أختلي بنفسي وأكتب ، فانني أتصور ممثلين بعينهم مصريين أو غير مصريين من الممثلين الذين أعجبت بهم وأحببتهم .. وأتصور اخراجا باسلوب معين ربما كان من ذكرياتي مع بعض المخرجين ، او من مذكراتي ، أوهم نفسي أنني حقيقة أؤلف لهؤلاء ممثلين أو لهؤلاء المخرجين ، وأحيانا أضحك مع نفسي وأقول لنفسي صناعتك الايهام فلم لا تتوهم وترتاح

مشكلات المسرح

المسرح العربي يعاني من مشكلات معقدة ، بعد فترة ازدهار نادرة استمرت أكثر من عشر سنوات ، كانت حافلة بالعديد من العروض المسرحية الممتازة في مجال التجريب والتأصيل وتكوين الكوادر وانتزاع اعجاب الجماهير ، ماهي أهم مشكلات المسرح العربي وكيف الخلاص منها حسب رأيك ؟

ـ ان بعض ما يتواتر ويتناقله الناس من مشكلات ، ليس الا أوهاما . المسرح العربي بما فيه المسرح المصري يعاني من بعض الأوهام الباطلة ، مثل توهم أو ادعاء أن المسرح الخاص لا بد أن يجتاح على حساب المسرح المثقف وغير ذلك ، هذه كلها أوهام صنعتها خيوط الفشل ، وعندما يفشل المرء يصاب بالدوار ويتخبط في تفكيره ، تماما كما يحدث حين يصادف المرء نجاحا أكبر مما يحتمل ، فيصاب بالدوار وتتخاطفه الأوهام ايضا ، فالمشكلات التي نقرأ عنها كثيرا في الصحف ، وفي أعمدة النقد ، ويتناقلها كثير من العاملين في الأحاديث الصحفية ما هي الا أوهام لا أصدقها ، وليست حقيقة ، وهي كلها أوهام باطلة أو رؤى كابوسية تنتابهم ، لأنهم يشعرون ان المسرح يتدهور بين أيديهم . أما المشكلة الحقيقية التي أعتقد أن المسرح يعاني منها فهو مشكلة النص في العمل المسرحي ، فالنص هو أصل العملية المسرحية اننا نقرأ تاريخ المسرح . فهل كان المسرح اليوناني فيما يعنيه لنا الا نصوصاً وهل عصر النهضة الذى نقرؤه والمسرح الأوروبي الحديث الذى تأسس عليه ، هل هو الا نصوص ، نحن نقرأ عن التيارات المسرحية والمدارس المسرحية فنقول الواقعية والوجودية والعبثية والتعليمية ، فهل هذه إلا نصوص؟ . أنا لا أعلم من أين جئنا بما يتردد في أرجاء الحركة المسرحية من القول بأن الاخراج هو فن المسرح . وان المخرج هو رجل المسرح . هذا ليس صحيحا . وهذا ليس طعنا في زملائي المخرجين أو تقليلا من شأنهم ، فأنا أحبهم وأقدرهم وأعرف قيمة عملهم . ولكن هذا الخلل بين حير الاهتمام الذى

يتمتع به النص ، وحيز الاهتمام الذى يتمتع به الاخراج هو الذى يؤرقنى وهو مشكلة رئيسية من مشاكل المسرح العربي

التبريزى والمكانة الخاصة

- تعتبر مسرحية « على جناح التبريزى وتابعه قفة » من أهم أعمالك ، وهى من وجهة نظري تتربع على قمة الأعمال الابداعية العربية ومن أهم المسرحيات التى كتبت للمسرح العربى ونحن نعلم أنها أخرجت أكثر من عشرين مرة وعرضت عشرات المرات على جماهير المتفرجين العرب فهل من أخبار عن هذه المسرحية ، وهل مازالت تلفت أنظار المخرجين الممتازين سواء فى داخل الوطن العربى أو خارجه ؟

- أوافقك على أن التبريزى تحتل مكانا خاصا من بين مسرحياتى ، وان كنت لا أعرف لماذا ولكن هى مازالت تثير المخرجين وآخر المخرجين الذين أثارتهم هو بيتر كوريش الألمانى ، الذى أخرجها فى مسرح باخ فى برلين الغربية ، وعُرضت من تاريخ ١١ يوليو الى الآن فى مدينة برلين . ولا أعرف مسرحية تبارى النقاد في تفسيرها من بين مسرحياتى مثلها وأنا أهتز طربا حين أستمع لتفسير لم يسبق حول هذه المسرحية بعض التفسيرات تجدد ذكرياتى عن ظروف تأليف المسرحية . ويضاعف عنصر المكاهة فيها وتراني أضحك مما أسمع اما المخرج الألمانى فقد قدم مثل هذا التفسير فى تلفزيون ألمانيا الغربية حيث قال ان مسرحية التبريزى دراسة عن الأمل وقال ان معناها أن الانسان يستطيع أن يفقد ثروته وأن يفقد جاهه ، ويستطيع أن يفقد حتى أصدقاءه ، ولكنه لا يحتمل أبداً أن يفقد أمله ولذلك يقول المخرج اني في المشهد الأخير حين تنكر قفة ليوهم أنه شيخ قافلة التبريزى ، هذه القافلة الوهمية التى جاءت لتنقذه من الدائنين ، لم اجعله يتنكر تنكرا كاملا لأنى كنت أعلم أنهم لا بد سيصدقون ويتعلقون بهذا الأمل وبهذه القافلة ، بشكل يعمى أبصارهم . لانهم في الأساس يبحثون عن أمل . وخشبة للخلاص نعم إن التبريزى قد انتقلت بين مسارح كثيرة جدا وانتقلت أيضا فى مصر بين مسارح الشباب .

*** أخبار التبريزى وتداعياته لها اهتمام خاص فى نفوسنا ، وذلك لأن لنا فى الكويت تجربة مع التبريزى ، تجربة نعتبرها من أهم التجارب التى مرت بها الحركة المسرحية الكويتية ، فقد قام باخراجها زميلنا الفنان الراحل صقر الرشود ، ومثل فيها فريق من المسارح الأهلية الأربعة فى الكويت كلهم تضافرت جهودهم من اجل تقديم هذا العمل وأنا أعتقد أنهم نجحوا الى حد كبير فى تقديمه بصورة طيبة وتنقلوا فى العواصم العربية من دمشق الى تونس ثم ليبيا ثم القاهرة ، وكان النجاح حليفهم بفضل هذا النص الكبير**

- أوافقك تماما وأضيف أن صديقى الراحل صقر الرشود قد أبدع فى اخراج هذا المسرحية ابداعا لفت أنظار الجميع وقد عرضت مسرحية التبريزى التى انتجتموها فى الكويت فى الفيديو كاسيت على المخرج الألمانى فأعجب بها جدا . وقال ان وضع المسرحية فى الاطار الفولكلورى الكويتى كان (ضربة معلم) من المخرج كما أنه أشاد اشادة خاصة بغانم الصالح وبمحمد المنصور وبالفريق كله ، وطلب منى أن أبلغهم اعجابه ، وان أبلغ الفريق ثناءه واعجابه العام بهم . والى جانب ذلك طلب منى منذ سنتين أن أمد مهرجان أدنبرة المسرحى السنوى الذى يعقد بأدنبره فى انجلترا ، وتشترك فيه فرق من جميع أنحاء العالم « بكاسيت » لمسرحية عربية ، حيث كان الى جانب المهرجان ، مهرجان للمسرح التلفزيونى أو التلفزيون المسرحى . وكان فى المهرجان صالة لعرض الفيديو كاسيت ، وقد نالت المسرحية المخرجة في الكويت اعجاب وتعليق كثير من المشاهدين الذين جاءوا لحضور محاضرة القيتها عن المسرح العربى فى الستينيات ، وسألونى أسئلة كثيرة عن الكويت وعن المسرح فى الكويت وعن فنانى الكويت بهذه المناسبة .

عن الأجيال التالية

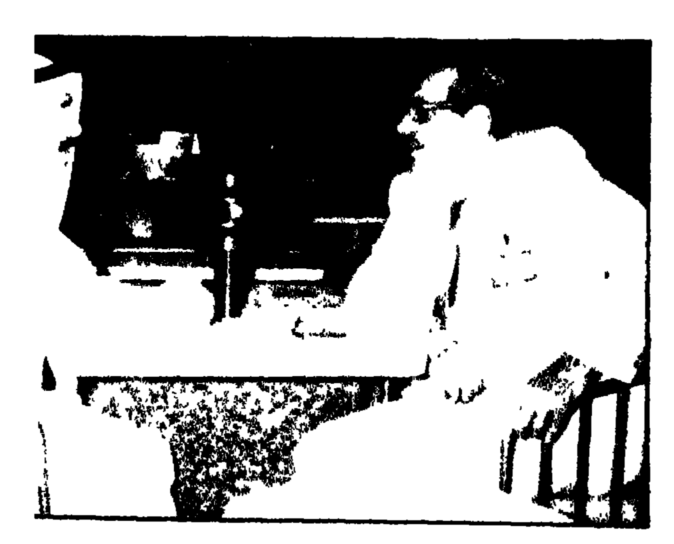
*** لقد ظهرت فى جيل واحد متقارب أو زمن متقارب مع العديد من الأسماء المرموقة واللامعة فى مجالات المسرح على اختلافها فى التأليف والإعداد والاخراج والتمثيل ، وهى أسماء ليست بحاجة لتعداد برأيك هل هناك تيار أو مجموعة تالية تخلف هذا الجيل ، لها نفس التصورات ، أو تصورات متقاربة ، وبينها نوع من الانسجام ، بحيث تشكل تجمعا قادرا على التعويض والمزاولة والاستمرار ؟**

ـ صدقنى أن بلادنا ولادة كما قال الشاعر ، وان الاجيال الجديدة تزخر بفيض من الكفاءات يوازى هذه الكفاءات القديمة ولكن المشكلة أن العناية التى تمتع بها الفنان فى الستينيات لا يتمتع بها الفنان الان والمنافسة الحادة بين التلفزيون والمسرح لا تسمح للمسرح بحل مشاكله والاحتفاظ بكتابه ونجومه ومخرجيه وهذا تقصير من المسرح فالمسرح يجنى بيديه ثمار اهماله ، اذ هو أهمل حل مشاكله والتصدى لها بشكل جذري . والمسرح فى كل الدنيا تعرض لهزة حين تم صنع التلفزيون ثم حين تم صنع الفيديو كاسيت ولكن المسارح اليقظة والواعية تصدّت لهذه المشكلة وعالجتها بسرعة واستطاعت أن تحافظ على كيانها وفنانيها دون أن تهتز . ونحن نرى الآن حجما أكبر من الفنانين والكتاب أكثر مما كانوا فى الستينيات . . ونرى رعاية أقل وتأملا أقل لأن التلفزيون من شأنه أن يلتهم المواهب ويهلكها فالتلفزيون يلتهم هذه المواهب ويفضحها مبكرا لكنه يحرقها مبكرا . ان فنانى هذا الجيل ضحية التلفزيون . ولا أحد يتولاهم بالرعاية . وحتى الحركة النقدية لا تُبصِّرهم بما هم متعرضون له والمسارح قد استسلمت أمام هذا الزحف التلفزيونى وأسلمت له نجومها بمنتهى الاهمال وبمنتهى اللاوعى . كأن هذا قدر قد فرض على المجال الفنى ولا راد له ، وهذه حالة خطرة تتعرض لها مواهب هذه الأمة،إنه خطر لم يسبق له مثيل . وانى أناشد وزارات الثقافة والمسارح القومية والمؤسسات الثقافية بحث هذا الخلل فى المجال الفنى ، واعادة الثقة الى الحياة الفنية واعادة الفنان الى توازنه واتزانه ، وعدم سرعة التسلق فى انتاجه ، والقدرة على تأمل عمله وعلى تنمية موهبته ، الى آخر هذه الأشياء التى لا تعنى الفنان وحده ، ولكن لا بد أنها تعنى الأمة كلها

غربة مؤقتة

*** إنك تعيش غربة مؤقتة ، وانك الآن تسكن أوروبا بين برلين ولندن ، وتستقر فى لندن ، متى نأمل فى العودة الى أرض الوطن ومعها بشائر بانتاج مسرحى جديد ؟**

ـ لا بد أن أذكر هنا قولا للدكتور على الراعى أضحكنى ، فقد أتهمنى انى أكثر من وعود العودة دون ان أفي بوعد من هذه الوعود وأشكر للدكتور علي الراعى على هذه الملحوظة ولكن اجابة عن هذا السؤال فإني أقول انى أتمنى كل يوم العودة الى وطنى لأن هذه العودة حتمية وهى شعور يشعر به أي مواطن ، فما بالك بكاتب مثلى أحب بلاده وأحب شعبه واحب أمته وأحب مسرحه ولكنى أشفق على نفسي من هذه العودة الانسان قد يستطيع تحمل الغربة ، ولكنه لا يحتمل الاغتراب فى وطنه ! أحب أن أعود الى مسرح الأزبكية لأمسح أعمدته بيدى ، ولا أريد أن أشعر ساعتها أننى لست فى بيتى . وهذا هو بيتى الذى أنفقت فيه أيامي ولياليَ لقد احببته وقرأت نقوشه وأحفظها عن ظهر قلب . وعرفت حين بُني هذا المسرح لماذا أراد شوقى أن يكتب على قمة خشبته بيته الشهير □





بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى:(اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين)

الانبياء « ٥٢-٥٤ »

قال ابن سعد كاتب الواقدى في كتابه « الطبقات الكبرى » إن اهل مكة ما اشتدوا وعلظوا في معارضة النبى حتى هاجم آباءهم ، وعبتهم بالكفر ، وسفه أحلامهم ، وان شكواهم الى عمه أبى طالب كانت من انه « ضلل آباءنا . واما والله لانصبر على شتم آبائنا » .

وقد شن القرآن الكريم هجوما عنيفا في آيات كثيرة على تعلق الناس بالقيم والآراء والعقائد الموروثة عن الآباء ، رغم مخالفتها للعقل ، ومناقضتها لكل منطق فقوم النبى (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) - هود ١٠٩ - غير ان عقائد الآباء ليست صائبة بالضرورة (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) - البقرة ١٧٠ - فان كانت معتقداتهم فاسدة فلا ينبغى قبولها (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ، إن استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) - التوبة ٢٣ - . كذلك فإنه بمضي الأيام والعصور ، وبنمو المعارف وتراكمها ، قد يدرك الأبناء من الحقائق مالم يكن للآباء والأجداد به علم (يا أبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعنى) - مريم ٤٣ - . واذ المرء بطبيعته عدو لما يجهل ، فالغالب ان يتشبث الآباء بمعتقداتهم البالية . (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ ومن حق الأبناء أن يجادلوا آباءهم فيما يذهبون اليه (اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم ٤٢ . كما أن من حق الأبناء حينئذ ، بل وواجبهم أن يتركوا نهج الآباء . (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون) الزخرف ٢٦ . ذلك أن الله أحق أن نخشاه من الآباء . (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) البقرة ٢٠٠ . فإن ثبت لنا بالتروى والتفكير أن

اباءنا قد جانبوا الصواب والحق ، فعلينا أن نختار الصواب والحق (قل أوَ لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) الزخرف ٢٤ .

والواقع أن هذا الموقف من الأباء والسلف لم يقتصر على الجاهلين ، فالكثيرون من الغلاة اليوم يأبون الخروج عن نهج السلف في كل شأن من شئون الحياة ، حتى ما تعلق منها بمعايش الدنيا الفرعية ، ويذهبون الى أنه لا سبيل الى صلاح أمور الأمة الا بالعودة الى الماضي ، والالتزام حرفيا بسنة الأسلاف وهو قول سليم ان كان يعني التنقيب عن الجوهر الأصلي للدين ، وإزاحة ما تراكم على هذا الجوهر خلال عصور طويلة من الخرافات والأوهام ، مما حجب عن المسلمين معنى الاسلام الصحيح غير انهم انما يعنون انه على المؤمن ان يأخذ بالإتباع ، ويرون في كل رأى مستحدث عصيانا وكفراً ، ويرفضون الاجتهاد الذى سيظل دائما الجوهر الحي للتاريخ ، ويقصرون الحق في التفكير على الأموات

وفي اعتقادي ان أحد الأسباب الجوهرية لهذا الميل المبالغ فيه الى تمجيد الماضي والاسلاف هو شغف العربي بالأوضاع والأشكال المثالية ، حتى مع ادراكه في قرارة نفسه أنها تناقض الواقع ، وتخالف الحقيقة وطبائع الأشياء . وهو واجد في هذه الصورة المثالية ما يرضي حاسته الجمالية إرضاء لا توفره فوضى الواقع الذى يعيش فيه وتعقده وقد نمت من هذا الميل عنده طبيعة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتردية حوله . فالانسان الذى تعتمل في نفسه مطامح وأفكار ومشاعر ورغبات من الصعب أو المستحيل عليه أن يترجمها الى واقع بسبب الظروف التى يحيا في ظلها ، هو أميل من غيره الى أن يلقي بنفسه في خضم عالم خرافي يرضيه عاطفيا ، ويسمح له بأن يعيش ولو للحظات قصار في جو من نسج مطامحه وأحلامه ، فاذا هو في فكره يراعي رغباته لا واقع الأمور ، وينظر الى الناس والأشياء والى الماضي كما يحلو له ان تكون عليه ، لا كما هي عليه أو كانت عليه فعلا

وقد كانت الأوضاع الاقتصادية العصيبة لدى غالبية أفراد المجتمعات الاسلامية أحد أسباب اختيارهم الهرب الى الماضي ، علهم يجدون في أمجاده تعويضا عن واقعهم البائس . فهنا حاجة ماسة الى أن يعثروا في تاريخهم على أيام مجيدة سبقت التدهور الذى يعانون منه ، وعلى شخصيات تاريخية مضيئة سبقت الخلف الطالح الذى يعايشهم . وما دامت هناك مثل هذه الحاجة الملحة ، فلا مفر من ظهور أناس يستغلونها ويجدون في محاولة اشباعها .

فهناك من ناحية التنظيمات المغالية التى يهمها أن تجتذب انصارا جددا لها . وما من شيء يجذب الأنصار قدر ما يجذبهم الحديث عن روعة الماضي ، وعظمة السلف ، ثم عن فاسد حال الأمة اليوم وكفر أهلها هذا الموقف من جانب تلك التنظيمات ليس في حقيقة الأمر موقف من يسعى الى توفير الحلول لمشكلات مجتمعه ، وانما هو موقف من يريد تخدير أناس فشلوا في حل مشكلاتهم ، من أجل احتدامهم بعد ذلك الى هذه التنظيمات لأغراض سياسية ضيقة

وهناك من ناحية اخرى بعض اولئك الوعاظ والمؤرخين الذين يستجيبون لهذه الحاجة سعيا وراء كسب الرضا والشعبية أو المال والنفوذ . فهم في تعرضهم للماضي يعمدون الى ليّ الحقائق ، وتطويع الثابت ، ويكتبون التاريخ على ضوء أهداف محددة سلفا ، ويفهمون أحداثه وشخصياته الفهم الذى يهوونه ، والذى تفرضه الحقيقة السيكلوجية لا الحقيقة الواقعية وفي رأيي أن فهم الذات والمجتمع والحاضر متعذر في مثل هذه الحالة وليس ثمة مخرج لنا من التحجر الذى نعاني منه ، سوى الكف عن الحنين الى الماضي بشكل غير عقلاني ، الى ماض هو - الى حد كبير - من نسج خيالنا نحن وخيال مؤرخينا ، وعن التحسر على أنفسنا والسير هائمين ، وقد التوت أعناقنا من فرط تلفتنا الى الوراء ، بدلا من التطلع دوما الى مستقبل أفضل بفضل المزيد فالمزيد من الانتاج والاجتهاد ، على ان نُحكّم في كل ذلك عقولنا ، فسلطان العقل هو الذى يحدد لنا ما ينفعنا من الماضي ومن الحاضر . □

"التكافل الاجتماعي ومظلة التأمينات"



بقلم : محمود عبد الوهاب

« منذ اليوم الأول للاستقلال ، انطلقت الكويت تسعى لتحقيق حلم دولة الرفاهية لأبنائها . . وقفزت بذلك على عديد من التجارب والخبرات الانسانية ، التي نال فيها أصحابها قدرا من العدل ، دفعوا ثمنه كثيرا من الدماء والدموع » .

عندما انطلقت الثورة الصناعية في أوروبا ، عرف العالم نظام التأمينات الاجتماعية ، الذي يعرف ببساطة بأنه نوع من أشمل أنواع الضمانات الاجتماعية ، والذي ترعاه الدولة ، ويهدف الى حماية أصحاب الأجور والعاملين في القطاعات المختلفة ، هم وأسراتهم من الصائقات الاقتصادية ، ولضمان حياة كريمة لهم في حالات المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ، أو عند التعرض للاصابة أثناء ممارسة العمل .

وتقوم نظم التأمينات على عدة تشريعات قانونية تتبناها الدولة ، وتعتمد في تدبير المساعدات المالية على صندوق تشارك في تمويله الحكومة ، وأصحاب الأعمال والعاملون ، وذلك وفق نسب متفاوتة .

ومنذ بدء نظم التأمينات الاجتماعية حتى يومنا هذا ، والصراعات والصدامات بين الحكومات وأصحاب الأعمال والعمال تتوالى . . وعلى مدى مسيرة التطور الانساني منذ عصر الثورة الصناعية ، كان هناك ثمن فادح من اضطرابات واضرابات ومظاهرات وصراعات ، بحثا عن هذا الضمان الاجتماعي . . والانساني . .

كثير من الدموع والدماء

ولقد شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كثيرا من الدماء، فبينما كانت هذه الفترة هي فترة الاستقرار والازدهار للثورة الصناعية ، كانت فترة عذاب وجوع ومرض حتى الموت للعمال ، وتحدثنا كتب الاجتماع عن « عنابر قذرة » مليئة بالأمراض ، وبشر يموتون جوعا أو ضعفا ، واستبداد لانهائي من أصحاب الأعمال ، وشهدت أوروبا مد



عندما قررت الدولة صرف زيادة عشرة دنانير عن كل طفل ، بكلفة ١٧ مليون دينار،توافد آلاف المتقاعدين الى المؤسسة لحساب معاشاتهم

الثورة الصناعية ثورات عديدة،من ثورة ١٨٣٠ ، إلى ١٨٤٠ وثورة ١٨٧٠ .. ولقن الثائرون فيها دروسا موجعة ، وكثيرا ما تجمع العاطلون والعمال والمرضى والعجزة والمفكرون الأحرار ، وساروا في مسيرات كبرى ، واصطدموا في النهاية برجال الأمن

ولقد انتهت هذه الثورات الى ذكريات بطولة حقيقية ، ولكن آثار جراحها ظلت تنزف من جسد الشعب ، بل وصل الأمر في بعض الأحيان أن لجأت الحكومات الى أقسى الأسلحة عنفا ، وهو دفع الجيش الى الشوارع ، لكي ينتقم من جموع العاصين ، يشتت المظاهرات ويفتك بها حتى آخر متظاهر يقف أمامهم .

ويذكر تاريخ أوروبا ـ والعالم ـ كيف استدعت بريطانيا ـ سيدة العالم وقتئذ ـ الأميرال ويلسون بطل «ترلو من جبهة القتال ، كي يقود حملات الجيش ضد العمال المتظاهرين في شوارعها وميادينها .

ومع محاولات الانفراج والاصلاح المتعددة ، التي سعتها الحكومات المختلفة ، وعلى مدى زمن طويل .. أ مفهوم التأمينات الاجتماعية يتبلور ، وتترسخ نظمه ، وعلى امتداد خريطة العالم احتلمت وتباينت المزايا التي يحققها هذا النوع من أنواع الضمان الاجتماعي وهنا في الكويت واحد من أفضل نظم التأمينات المعمول بها ، التي تكفل للفرد مستوى حياة كريمة ولائقة

دولة الرفاهية

منذ أول يوم بعد الاستقلال ، بدأت الكويت رحلتها مع تحقيق حلم دولة الرعاية والرفاهية لأبنائها ، ولقد ساعدها النفط ـ هبة الله ونعمته ـ في توفير السيولة والتمويل اللازمين للانفاق على مشروعات الخدمة الأساسية ، وأوجه الرعاية المختلفة

وبدأت خطط الاعمار والتشييد ، وواكبتها خطط توفير الرعاية الأساسية للمواطن والارتقاء بها كما وكيفا فكان هناك مثلا طبيب واحد لكل ٨٩٢٠ نسمة ، وممرضة لكل ٥٨١٠ نسمة ، وكان عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية في نسبتهم الى مجموع عدد السكان في سن التعليم الثانوي ٣٧٪ فقط وسرعان ما

تغيرت هذه الصورة ، فصار هناك طبيب لكل ١٨٠٠ نسمة ، وممرضة لكل ١٨٥٠ نسمة تقريبا ، وارتفع عدد الملتحقين بالمدارس الثانوية ، ليقارب ٦٧٪ من مجمل عدد السكان الذي في سن التعليم الثانوي ، وواكب هذه التطورات والرعاية الاجتماعية ، رعاية أخرى في مجال توفير الخدمات الأساسية ، من طرق ومواصلات وتعليم واسكان وصحة .. الخ

وسجلت الكويت بذلك انها واحدة من الدول القليلة في العالم ، التي يتمتع مواطنوها بأعلى قدر من الرعاية الاجتماعية ، وأنها انتقلت وفق تقارير البنك الدولي ، الذي يضع في حسابه المؤشرات السابقة بالاضافة الى مستوى الدخل انتقلت من مستوى دول الرعاية .. الى صفوة دول الرفاهية .

قصة نجاح

صدر الأمر الاميري بالقانون رقم ٦١ في عام ١٩٧٦ ، بانشاء المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية،التي بدأت عملها في أول اكتوبر من العام نفسه ، ومن داخل شقة صغيرة تتكون من غرفتين وردهة ، وتحت رئاسة أول مدير للمؤسسة « حمد الجوعان » بدأ عمل شاق وطويل ، وفي الفترة من ١٩٧٧/١٠/١ ، تاريخ بدء تطبيق التأمين الأول وحتى أول مارس ١٩٨١ ، حققت المؤسسة انجازات رائدة ، فقد بدأت المؤسسة بالتأمين على العاملين في القطاع الحكومي والقطاعين الأهلي والنفطي ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينضم فيها العاملون في القطاع الأهلي والنفطي ، تحت مظلة التأمينات ، اذ لم يكن لهم من قبل سوى الحق في مكافأة نهاية الخدمة ، ثم امتدت الحماية التأمينية لتشمل بعد ذلك العسكريين ، وأصحاب الأعمال ، والعاملين لحسابهم الخاص ، ومن في حكمهم ، وبذلك استطاعت المؤسسة خلال أربع سنوات فقط منذ بدء العمل بنظام التأمينات الاجتماعية ، في العام ١٩٧٧ ، أن تحقق حمايتها لكافة المواطنين أيا كان موقع عملهم ، أو نوع النشاط الذي يزاولونه .

ولقد استطاعت المؤسسة أن تصل الى هذه النتيجة ، بدعم من الدولة ، وبأسلوب ادارة أمثل ، فالمؤسسة تعتمد اعتمادا كاملا على أحدث أساليب الادارة ونظمها ، وأفضل طرق استخدام الحاسب الآلي ، واستخدام الكمبيوتر ، بحيث يتضمن استخدام التقنية الحديثة سهولة الأداء ودقته ، وتوفير العمالة المكتبية ، بحيث يظل الجهد البشري في العمل متاحا فقط للوظائف والأعمال التي لايستغنى فيها عن البشر .

تفرد بلامثيل

ولقد نجحت تجربة تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية ، في تحقيق رعاية بمزايا لامثيل لها في أي نظام تأميني في العالم ، وفي لقاء مع مدير عام المؤسسة السيد فهد مزيد الرجعان ، سألناه عن مصادر تمويل التأمينات ، وعن المزايا التي يوفرها النظام التأميني للمؤمن ، وعن تفسيره لكيفية ازدياد متوسط المعاش التقاعدي على متوسط المرتبات .. قال المدير العام للمؤسسة :

يُمَوَّل النظام عن طريق الاشتراكات الشهرية التي تتوزع بين المؤمن عليهم وأصحاب الأعمال والخزانة العامة ونسبة اشتراك المؤمن عليهم هي (٥٪) فقط من المرتب بالنسبة للعاملين لدى غيرهم ، ويتحمل أصحاب الأعمال نسبة ١٠٪ من مرتبات العاملين لديهم ، أما مساهمة الدولة فتبلغ (١٠٪) من المرتبات أي ما يعادل (٤٠٪) من تكلفة النظام ، وذلك كله بالنسبة للعاملين المدنيين ، أما العسكريون فان اشتراكاتهم تبلغ (٥٪) من مرتباتهم أيضا ، وتزيد اشتراكات أصحاب الأعمال واسهام الدولة عنهم عما هو مقرر بالنسبة الى المدنيين ، نظرا لزيادة تكلفة النظام الخاص بالعسكريين ، لما يتضمنه من بعض المزايا الخاصة بهم والمقررة ، مراعاة لطبيعة العمل العسكري وظروف أدائه . وفضلا عن مساهمة الدولة على هذا النحو الكبير ، مما يندر أن يوجد له نظير ، فان الخزانة العامة تسد أي عجز يمكن أن يحدث في أموال صناديق التأمينات الإجتماعية .

أما المزايا التي يكفلها النظام التاميني للمؤمن ، فهي معاشات تقاعدية في حالات الشيخوخة والعجز والمرض والوفاة ، ومنح نقدية في حالات الوفاة ، كما يقرر القانون صرف مكافآت تقاعدية لمن انتهت خدمتهم قبل استكمال المدد القانونية ، ولكن التصر



● حمد الجوعان ●
أول مدير للمؤسسة

فهد الرجعان
المدير الحالي للمؤسسة

الحقيقي الذي يصعب أن تجد له مثيلا في أي نظم تأمينية أخرى ، هو في نظم المعاشات التي نلاحظ عليها المميزات التالية

(١) ان الحد الأدنى للمعاش التقاعدي يصل الى (٦٥/) من المرتب الأخير ، أما الحد الأقصى فهو يصل الى (٩٥٪) من المرتب الأخير ، بعد مدة خدمة قدرها ثلاثون سنة فقط،ويرتفع بالنسبة الى العسكريين في بعض الحالات ليصل الى (١٠٠/) من المرتب

(٢) يقرر النظام معاشات في حالات العجز أو الوفاة أو المرض ، الذي يؤدي الى انهاء الخدمة ، وذلك دون اشتراط أي مدة اشتراك قبل استحقاق المعاش فلو حدثت الوفاة مثلا في اليوم الأول للالتحاق بالعمل ، فان أسرة المتوفي سوف تحصل على المعاش التقاعدي ، بينما نجد أن كثيرا من أنظمة التامينات في الدول الأخرى ، تشترط قضاء مدة معينة قبل استحقاق هذا المعاش

(٣) يسمح النظام بضم مدد اعتبارية لاستكمال مدة المعاش ، في الحالات التي تنتهي فيها الخدمة ، قبل أن تتوافر للمؤمن عليه المدة الكافية لاستحقاق المعاش .

في ضوء فهم هذه الفلسفة ، التي تكمن وراء نظم عمل المؤسسة ، يمكن أن أوضح ـ والحديث مازال لمدير عام المؤسسة ـ كيف زاد متوسط المعاش عن متوسط المرتبات .

أشير ابتداء الى أن قواعد حساب المعاش في النظام الكويتي ، تؤدي في الكثير من الحالات الى اقتراب المعاش التقاعدي ، أو تساويه مع المرتب الأخير ، الذي كان يتقاضاه المؤمن عليه،فالمعاش يحسب على أساس آخر مرتب شهري ، والحد الأقصى له (٩٥/) من هذا المرتب أو (١٠٠/) بالنسبة الى العسكريين في بعض الحالات وقد أضيفت الى المعاشات التقاعدية منذ سنة ١٩٧٩ عدة زيادات ، آخرها في ١٩٨٥/٨/١ ، وذلك لمواجهة الارتفاع في تكاليف المعيشة ، وبعض هذه الزيادات تم تحديدها تبعا لعدد أولاد المتقاعد ، وطبقا لنظام التأمينات الاجتماعية ، فان الزيادة التي منحت عن الأولاد لايوقف صرفها اذا أصبح الولد قادرا على اعالة نفسه وفي حالة زواج البنت ، حيث القاعدة أن المعاش قابل للزيادة دون النقصان ، بينما يختلف الوضع بالنسبة الى الموجودين بالخدمة،حيث أن علاوات الأولاد التي يقررها نظام الخدمة يوقف صرفها اذا اصبح الولد قادرا على اعالة نفسه ، وفي حالة زواج البنت ، ومن هنا جاءت الظاهرة التي أشرت اليها ، من حيث زيادة متوسط المعاشات حاليا على متوسط المرتبات

بلا دموع ولا ألم

لم يحظ مواطن في أي دولة بهذا القدر من الرعاية والاهتمام ، الأمر الذي دفع عديدا من الكتاب وبعض الكتابات الى القول ، بأن الدولة تدلل مواطنيها ، ولم يقل أحد ان الدولة ملتزمة باسباغ رعايتها وحمايتها على مواطنيها ، وهي بذلك تحقق أسمى وأول وظيفة للدولة منذ عرف التاريخ أول تجمع بشري منتظم

فما معنى الدولة اذا أكلت جهد شباب أبنائها وتركتهم لجوع شيخوختهم ، أو سرقت منهم أيام عافيتهم ، وأسلمتهم لذل أيام المرض ؟ انها ليست تدليلا بقدر ماهي رعاية والالتزامات تدليلا فلماذا دفع ملايين البشر في أنحاء العالم من دموعهم ودمائهم وحياتهم ثمنا ، كي يحصلوا على حق الضمان والتامين الاجتماعي ومزاياه ، وها هو بلد عربي .. في وطننا العربي الكبير يحمي أبناءه بمظلة العدل والضمان الاجتماعي بلا دموع ولا ألم . ولا عنت . ولنحلم بان يملأ العدل الاجتماعي كل وطننا العربي ، وسوف نرضى حتى لو جاء بعد قدر قليل أو كثير من الدموع والألم □

العربي - العدد ٣٢٧ - فبراير ١٩٨٦

قاموس العربي

س



السيادة

السلطة العليا التى لا يوجد فوقها سلطة ، وهي صفة تلازم الدولة فلا يذكر لفظ دولة الاوتذكر السيادة، وهى ميزة الدولة أيضا التى تتميز بها عن كل التنظيمات داخل المجتمع ، وهى بالتالى التى تمنح الدوله شرعية احتكار وسائل القوة ، وحق استخدام القوة وتنفيذ القانون .

وللسيادة خصائص أربع محددة هى :

أ ـ عدم التجزئة : بمعنى عدم المشاركة أو التقسيم ، فلا يمكن ان يكون هناك في دولة واحدة أكثر من سيادة ، أو أن تمارس دولة ما أعمال السيادة في مجالات دون مجالات أخرى .

ب ـ الشمولية : أى أن أعمال سيادة دولة ما تمتد داخل حدودها ، لتعم وتشمل جميع الأفراد والجماعات والمنظمات والمؤسسات دون أدنى استثناء .

ج ـ القطيعة: تتصف السيادة بأنها قاطعة ، بمعنى أنها هى الشرعية العليا التى لا تحدها حدود قانونية عند ممارستها لسلطتها في سن القوانين .

د ـ الديمومة: بمعنى أن مفعول السيادة سارٍ ودائم طالما بقيت الدولة ، مهما تغير شكل المنظمات أو المؤسسات الدستورية أو الأشخاص .

ويتفق فقهاء القانون والسياسة على أن هذه الخصائص تلتصق بمفهوم السيادة الداخلية ، أما جوهر مفهوم السيادة الخارجية فيكمن في التحرر من الاحتلال ، أو الاستقلال عن السيطرة أو التبعية لدول أخرى ، وحق عقد المعاهدات واعلان الحرب .

وقد تعرض مفهوم السيادة لكثير من الكتابات التى تناولته ، والنظريات التى بحثت فيه ، لوقوع المفهوم في دائرة الاهتمام المشتركة بين فقهاء القانون وفقهاء السياسة ، ولارتباط المفهوم بتطور الأمم وحركة الشعوب .

ويعد المفكر الفرنسى ج . بودان من أوائل الذين ناقشوا مفهوم السيادة ، وخلص الى أن السيادة هى السلطة العليا المعترف بها ، والسيطرة على المواطنين والرعايا دون أى تقييد قانونى ، الا ما تفرضه قيود القوانين الطبيعية والشرائع السماوية .

وبرغم ذيوع أثر جان جاك روسو في الفكر السياسى والاجتماعى بنظريته العقد الاجتماعى ، الا أن منهجه لم يقدم تفسيرا ، أو بمعنى أدق توصيفا للسيادة ، فقد وضع روسو السيادة القطعية في اطار ارادة الشعب العامة ، ولكنه لم يقدم طريقة تضمن تجسيد الارادة العامة في سيادة الدولة .



جان جاك روسو

وهكذا تعددت النظريات والاجتهادات في توضيح معنى ومفهوم السيادة لدى بعض المفكرين مثل هوبز الانجليزى والقانونين مثل جون أوستن الى هارولد لاسكي . . وآخرين .

وعلى الرغم من اجماع جمهور المفكرين على عدم امكانية ممارسة الشعب لمهام السيادة ، فان نظرية السيادة تعرضت لانتقادات شديدة ، سواء على مستوى البحث النظرى أو في اطار واقع التطبيق

فقد هاجم بعض المفكرين النظرية التقليدية في السيادة ، على أساس أن تعددية المجتمع الحديث لا تتوافق مع وحدانية السيادة ، وأن مبدأ السيادة ، وفق مفهومه التقليدى ، يؤدى الى تهديد حقوق الفرد وحريته ، نتيجة لتركيز الصلاحيات والسلطات في يد الدولة ، ومنحها شعار « انه عمل من أعمال السيادة » أو من قبيل تهديد « سيادة الدولة ووحدة أرضيها » ودهب بعض المفكرين ولاسيما القانونيين الى أن السيادة ليست مصدرا للقانون ، فالقانون تعبير عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع ، وهى علاقات خارج مؤسسة الدولة ، بل الدولة نفسها يجب أن تكون خاضعة للقانون الذى يحمي الأفراد وحقوقهم من طغيان سلطة الدولة وعلى مستوى الدافع التطبيقى فقد رأى بعض المفكرين أن نماذج الدول الفدرالية ـ كما هو في أمريكا ـ وما يستتبعه من تقسيم للصلاحيات ، يشكل مثالا على تجزئة السيادة

وتظل هذه الخلافات في اطار تفسير العلاقة أو تحديد المفهوم ، ولكن ما هو متفق عليه بوجره في أن السيادة تعني في مجال السياسات الداخلية ، انه ليست هناك سلطة فوق الدولة ، وأن الدولة هى السلطة النهائية المهيمنة على كل ما يوجد فوق أراضيها ، وفي مجال السياسات الخارجية فان السيادة تعنى عدم التبعية والمساواة المعنوية ، وفي كلتا الحالين فان هناك قاسما مشتركا هو أنه لاسلطة تعلو سلطة الدولة . □

وصية خليفة لوال

أوصى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد ولاته على مصر قائلا : اعلم اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم ، وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده ، فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح :

فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك

في رحاب المغرب العربي

حمود رمضان
١٩٠٦ - ١٩٢٩
الشاعر الفقيد
الذي سبق عمره وعصره

بقلم : الدكتور صالح الخرفي

نشر (حقيقة الشعر) سنة ١٩٢٧ و « بذور الحياة » سنة ١٩٢٨ ، ونعى نفسه بقصة (الفتى) سنة ١٩٢٩ ، انتقد (شوقي) وقال انه لم يأت بشيء جديد ، تغنى بـ (الجزائر الفتاة) التي ستذهل العالم ، فمن هو حمود رمضان ، وهل تحققت تطلعاته ؟

منذ يوم ألقيت بعض هذه الأضواء عن (حمود رمضان) على طلبة الماجستير والدكتوراة بـ (معهد البحوث والدراسات العربية) في القاهرة سنة ١٩٦٩ ، وقدمت اليهم (الشاعر) مقرونا بـ (الثورة) كنت أتتبع السطرات المتفسرة ، والاسئلة المتعاقبة ، أن يكون هذا الشاعر بهذا الوعي الاصيل للعروبة والاسلام ، وهذه الجرأة البالغة في انتقاد الاوضاع السائدة في الوطن العربي الاسلامي ، وهذه الفكرة المحددة الثائرة في الابداع الادبي وفي هذه الفترة المبكرة من مستهل القرن العشرين ، وفي أرجاء المغرب العربي ، وهو يواجه محنة فرنسية ضارية ، وقطيعة مع الوطن العربي مفروضة . وأن يكون الشاعر فوق كل ذلك ، ابن العشرين لم يتجاوزها الا قليلا ، حين اختاره الله لجواره سنة ١٩٢٩ وهو وليد سنة ١٩٠٦ بمدينة (غارداية) جنوب الجزائر . ولم تخطىء مجلة (الشهاب) الاسبوعي ، حين نعت (حمود) بفقرة جريحة ، تحت عنوان (الشاعر الفقيد) .

« نعت الينا رفيقتنا « الاصلاح » الغراء نبأ وفاة الشاعر النابغة ، والأديب الفني ، والمصلح الوطني ، فوقع ذلك النبأ علينا الوقع المؤلم ، حتى كأنما بتر عضو من جسدنا ، وأظلم أمامنا قسم عظيم من الجزائر ، كنا نعلق انارته على جده ، وعمله ، واخلاصه ، وأعظم المصائب ما أثر في مستقبل الأوطان ، وأفدح الرزايا ما أضعف قوة الأمم » .

واذا كانت مجلة (الشهاب) قد أعلنت عن هو·

حمود رمضان في العشرين من عمره سنة ١٩٢٦



(حمود رمضان) في مسابقة شعرية سنة ١٩٢٦، ونشرت قصيدة الفائز في المسابقة، ونسبتها الى (الاديب الوطني) ثم ما لبثت أن نعته سنة ١٩٢٩ بـ (الشاعر الفقيد) أدركنا أن العمر الحقيقي لانتاج (رمضان) لا يتجاوز الثلاث أو الاربع سنوات، فبين البشرى بالشاعر الواعد، والنعي للشاعر الفقيد، نشر (رمضان) سلسلة مقالاته عن (حقيقة الشعر وفوائده) و (الترجمة وأثرها في الأدب) في الشهاب نفسه سنة ١٩٢٧، ثم نشر كتابه (بذور الحياة) سنة ١٩٢٨، وقصته (الفتى) سنة ١٩٢٩، الى جانب القصائد التي نشرت له في جريدة (وادي ميزاب) وغيرها من الدوريات، وقد قدم (الفتى) الى قرائه بهذه الأبيات المعبرة عن شخصية الشاعر:

جهودك، يا فخر العروبة، عبرة
لها رنة، في الخافقين، تقام
ستبقى على مرّ الدهور منارة
على علم، لا يعتريه ظلام
في سعيك المبرور، خدمة أمة
عليها خطوب يرتمين، جسام
حياتك سر، سوف يظهر كنهها
وفيها لسير الناشئين نظام

أما (بذور الحياة) فقد أهداها
الى كل أديب يخدم لغة القرآن
الى كل مجدد تحت راية الاسلام
الى كل من يسعى لانقاذ شعبه من أنات الشقاء
الى كل من وضع حجرة تأسيس في بنيان نهضتنا القومية
أقدم كلماتي هاته كهدية يصحبها الحب والاخلاص

قدم رمضان (بذور الحياة) في الجزء الأول، وقدم (الفتى) في (المرحلة الاولى)، ولم يمهله القدر للوفاء بالجزء الثاني للكتاب، والمرحلة الثانية للقصة

شاعر وثورة

من حصيلة الانتاج الشعري والنثري الذي تركه رمضان، نخرج بملامح بارزة، تميز شخصية الناقد الشاعر، فالشاعر ثائر، ثائر في كل جنباته ومن جميع منطلقاته، لم يكد يفتح طرفه الغض في كل مظاهر الحياة الا على ما يقذي العين، ويصك الاذن، فانفجر حمما وشظايا، واستهدف بهذا التفجر البركاني عالمه القريب في الشمال الافريقي، وعالمه الأوسع في المشرق العربي، والبلاد الاسلامية، فتناولها، دينيا واجتماعيا، وفكرا وأدبا وسياسة، وأوسعها نقدا وتجريحا، وتحاملا على الحاضر العاثر، وأفعمها أملا وتيمنا بالمستقبل الزاهر

فالثورة عند رمضان، ثورة مقرونة بنبوءة، مبشرة بأمل واعد، وعد موعود ليست ثورة معولية فقط، ولكنها ثورة اعلاء وعطاء، تقرن الكلمة العاصفة، بالفقرة الموحية، والزفرة الشجية، بالبسمة المورقة، كذلك كان رمضان في كل أنفاسه المبدعة، شعرا ونثرا وقفات متأملة، أو خواطر عابرة يصل الكلمة الرشيدة في المبدع، بالقلب الواعي في المتلقي، فيتولد الأمل، وتورق الحياة

وفقرات رمضان، تتأرجح دوما بين معادلتين متجاذبتين سلبا وايجابا، والفقرة لا تقع في النهاية الا على الجانب الايجابي، مهما تلبدت سحب الواقع القاتم، فالشاعر يستوحي المستقبل، بقدر ما يتجاوز

عشرة الواقع المؤلم ، في وطنه الجزائر ، في مغربه العربي ، في وطنه العربي الاسلامي

يقول عن (الشرق والشرقيين) سنة ١٩٢٨

« لست من المتشائمين على الشرق أبدا ، ولكني أقول بملء فمي ، ما دامت أقواله أقوى وأضخم من أفعاله ، فحاضره أحسن من مستقبله »

« ان سيرة الشرق الحاضرة ، مصيرها انفكاك ممالكها ، بعضها عن بعض ، في أقرب وقت ، ان دام في حالته الحاضرة لأن الاسلام الذي هو مصدر كل وحدة ورابطة ، صار يتضاءل كل يوم ، واذا ضعف السبب ، ضعف المسبب »

ويستشرف (رمضان) ملامح (الجزائر الفتاة) سنة ١٩٢٨

« اذا صح أن الأمم لا تتكون الا من طينة تاريخها الغابر ، وأن الأمة التي لا تاريخ لها ، لا تنهض الا باندماجها في غيرها ، فإن للجزائر العزيزة تاريخا ماجدا ، وماضيا خطيرا ، يذكر بكل اجلال وتعظيم »

« الجزائر ، تربة صالحة للنبوغ والحرية ، لغيرة أبنائها وحرارتهم النادرة ، فلو أنصف الدهر ، ورحل الجهل ، لرأى العالم منهم عجائب تذهل الالباب » .

فهل الجزائر ، وليدة ثورة نوفمبر الخالدة سنة ١٩٥٤ بعيدة عن (الجزائر الفتاة) عند رمضان سنة ١٩٢٨ ، قبل ما يزيد على خمسين سنة ؟

رمضان وشوقي

وثورة رمضان على (شوقي) أمير الشعراء ، وجه اخر من الوجوه المميزة لهذه العبقرية الصاعدة من جنوب الجزائر ، فهو يربأ بك أن تسيء الظن بمكانة شوقي في نفسه ، وهو المبايع له بامارة الشعر مع الوفود التي بايعت مع حافظ ابراهيم ، فليست بينه ، وهو قعيد المرض ، مهيض الجناح ، في أعماق الصحراء الجزائرية ، وبين شوقي في (كرمة ابن هانىء) على ضفاف النيل ، أو على باب اسماعيل ، هذا الذي بين شوقي ، والعقاد وجماعة الديوان ، وما بين شوقي وطه حسين ، من هذه النقائض المعاصرة ، وليدة الابداع المتنافس ، والريادة المتراحمة ، والعاطفة الجامحة

انما (شوقي) عند (رمضان) ظاهرة أدبية ، أصبحت ملك قرائه والمعجبين به ، ومراجعة هذه الظاهرة من أوكد الواجبات في سنة التطور ، ولذا لم يعد شوقي أن يكون بالنسبة للناقد الجزائري مدخلا الى رأيه في الشعر المعاصر ، وقناعته في حتمية التحديد :

« لم أقصد بنقدي التنقيص من سمعة الشاعر الكبير ، فقدره أعلى منزلة من أن تتناوله يد المتطاول .

« واذا كان الكلام على شوقي وأضرابه ، فإن القصد منه انارة الطريق الذي يجب أن يسلكه أبناء الجزائر الادباء ، لأن الشرق في غنى عن أقوالنا في هاته الايام كما يظهر » .

« عدم اعترافي بنهضة الشرق الحديثة ، ما دامت لم تؤسس على مبادىء عظيمة ، وحياة جديدة ، وأدب قومي »

« نعم ان شوقي أحيا الشعر العربي بعد موته ، وفتح الباب الذي أغلقته السنون الطوال ، ولكنه مع ذلك كله ، لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل ، أو سر طريقة ابتكرها من عنده ، وخاصة به دون غيره ، أو اخترع أسلوبا يلائم العصر الحاضر » .

ويلخص (رمضان) رأيه في التجديد في فقرة ذيّل بها دراسته المطولة في (حقيقة الشعر وفوائده) سنة ١٩٢٧ ، وختم بها رحلته المطوحة في أعماق الشعر العربي يختم (رمضان) الرحلة المستكشفة الرائدة ، الناقدة ، بهذا النداء :

« فيا أيها الادباء الاحرار ، انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة ، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل ، واخضعوا لصوت الضمير والواجب ، وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد ، ولا تقيدوا كتاباتكم بطريقة أحد ، مهما كان شأنه وقدره في الأدب ، ومهما كان بيانه الساحر ، ولكن أملي أن تدور رحى أقلامكم حول محور واحد ، وتتسابق خيل أفكاركم نحو غاية واحدة وهي :

« سعادة الشرق بأي طريق كان !! »

ريادة في القصة

وريادة أخرى لـ (رمضان) في هذه القصة التي

نشرها في العشرينيات بعنوان (الفتى) ولم تمهله المنية لاستكمال نصفها الثاني هيكليا ، واستكمال أدواتها فنيا ، وبصبح صورها حياليا ، فهو بذلك أول من حرب كتابة القصة في الادب الجزائري الحديث ، لا نتحدث عن نجاح التجربة أو فشلها ، وانما الحديث عن التوقيت الذي يعتبر مبكرا رائدا ، فإن الثلاثينيات والاربعينيات هي التي ستطالعنا ببدايات القصة الجزائرية الحديثة في كل من (محمد العابد الجلالي) (رشيد) . و (أحمد رضا حوحو) شهيد الثورة الجزائرية

وقصة (الفتى) ترجمة شخصية للشاعر ، طفولته ، دراسته ، تنقله بين (عاردايه) مسقط رأسه في الجنوب ، ومتجر والده في (غليزان) في الشمال ، ثم التحاقه بتونس لاستكمال الدراسة في مدارس ومعاهد حرمت منها الجزائر بفعل التضييق الاستعماري على التعليم العربي . ثم اضطرار الطائر المهاجر ، للعودة الى وطنه ، وحرمانه من مواصلة الرحلة العلمية في الخضراء ، تحت وطأة المرض الذي أودى بحياته .

والأحداث في القصة ، والسرد ، والحوار ، كلها سيرة حياة ، نابضة بآراء الكاتب ، ودعوته الاصلاحية في التعليم الديني ، في المسجد ، في الوعظ والارشاد ، في العلوم الحديثة ، في الفلاحة ، في التجارة ، في الصناعة ، ممزوجة تلك الآراء والافكار بمسحة من غربة الريادة ، ووحدة العبقرية .

وبالرغم من الاسماء والمسميات في القصة ، ومسارح الأحداث ، ومواقع الذكريات ، كلها تشير بأفصح لسان الى بطل القصة ، والدائرين حوله على خشبة المسرح ، فقد حرص (رمضان) على أن يعمم ، ويموه ، ويبعد الشبهة . ويدعي التحويم من غير وقوع ، ولكنه واقع لا محالة :

« القصة عامة ، لم أقصد بها شخصا معينا ، ولا وطنا خاصا ، وكل ما ورد فيها من الاعلام هو مجرد تمثيل وتنسيق ، وان كانت مصبوغة بلون بلادي ، ومرقد أجدادي ، وأن صاحبها عاشها حقيقة ، ولم يزل يذب عن حقوق أمته . والعبرة بحوادثها ، لا غير .

هذا ما أوحاه اليّ ضميري ، وهذا ما أرجو أن مهم . وعلى الله قصد السبيل » .

لكن (رمضان) في قصته ، شأنه في حياته ، رضي من الغنيمة بالاياب ، بل عما هو أقسى وأمر وتلك غربة العبقرية ، وحزن الاستشراف ، وتخطي الواقع المنظور ، ومعانقة اللامنظور في أعين البسطاء ، رضي من الغنيمة بالاياب في حساب المفلسين روحا وعقلا واستسلم للصمت في مقياس الزمن العاثر ، ولكنه المثرى في خزانة التاريخ ، المتجاوب الأصداء في المدى اللامحدود .

فهل هو وجه آخر من أوجه التشابه مع معاصره (الشابي) ، الغربة والاغتراب ، الايواء الى الغاب والوديان والكهوف ، الى الصمت الموحي ، والوجوم الناطق ؟

« على أنه ، لم تكن الخيبة وحدها نصيبه ، بل قد رموه بالطيش والتهور ، وطلب المستحيل ، والوقاحة والتخليط ، وآخر سهم في الكنانة قولهم ، انه يطلب الشهرة لا غير وهنا ، رأى العزلة أقوم ، والسكوت أسلم » .

ومن بين المقاطع الشعرية الكثيرة التي وشح بها قصته ، وهي أبيات من ابداعه ووحيه ، قصيدة (لو كنت) التي أفرغ فيها مأساته ، وجسّم شقاء العقل في نعيم المعرفة ، وتفجر القلب في لهيب الاحساس .

فذو المعارف يشقى
والبؤس طيّ ردائه
ان التعاسة ، سمّ
ممزوجة بدمائه
والعقل ، يقتل همّا
من يهتدي بضيائه
كم عالم ، مات غمّا
بصبره ووفائه
أو عاش وهو كئيب
وفاقد لرجائه

و (رمضان) جمع المحسنين معا ، ومات رهينها كآبة الاقامة ، وحسرة الرحيل المبكر ، وتلك ارادة الله ، ولا راد لقضائه .

رحمك الله (حمود بن سليمان رمضان) في الخالدين . □

القصة الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة « العربي »



الجرذان

بقلم : فاروق حسان السيد

على غير انتظار ، وبالتفاتة غير مقصودة ، لمحته يجتاز الطريق إلى الرصيف المقابل ، كان الوقت ظهر أحد الأيام الداكنة التي تعقب الشتاء ، وتسبق الصيف والذى كان من طقوسه ملء المراعات بالصقيع والغبار

كان « هو » على وجه اليقين رغم أنه كان يعطيني ظهره ، ورغم غرابة وجوده في مثل هذا الحي الذى كان يحمل لقاطنيه ذكريات تعيسة .

كنت في هذه اللحظة أردد « كلماتي » التي قررت ذات يوم أن أحفظها ، عندما لمحته على بعد عشرين مترا هي عرض الشارع ، وهو يعتلي الرصيف بقامته المعتدة واهتزاز رأسه اليسير ، الذى لم أكن أفهم له سببا ، والذى انتويت أكثر من مرة أن أسر له عندما أخلو به أن تلك الاهتزازة قد تعطى انطباعا غير مريح عنه وهو أمر لم يكن يرغبه

وانطلقت أنادى عليه

ولأن صوتي كان مرتجفا وهامسا ، ولأنه اصطدم بحشرجة العربات التي كانت تتطاير بطول المسافة بيننا فقد تبدد في منتصف الطريق ، مختلطا بعوادم السيارات والهواء الساخن المحمل برائحة التبغ الجيد ، الذى كانت تلفظه أجهزة التكييف المكدسة على حوائط البنايات .

كانت تلك فرصتي التي انتظرتها منذ سنين ، كنت





أتعجلها بالبحث المحموم عنه منذ علمت أنه قد عاد من غيبته ، لم أترك مكانا توقعت وجوده فيه دون تنقيب أو سؤال ، كانت الاجابة الغامضة ـ المكرورة أنه ليس موجودا ، ومن المناسب عدم السؤال عن شيء غير موجود

أحيانا ، كنت أتخيل أني قد أمسكت به ، وأني حملته بالقوة الى مكان هادىء استطعت فيه أن أفسر له كل شيء في خطوط عريضة تفاصيلها لا تؤلم ، وكان شعور قوي بالراحة يحتويني ، عندما أوغل في حلمي أكثر ، وأرى وجهه المكدود وقد كسته القناعة بكل ماقلت ، بعد أن سقطت عنه نظرة الازدراء التي ظلت تمزق أحشائي ، حتى اللحظة التي رأيته فيها يعتلي الرصيف المقابل ، وقد ازداد انحناء ظهره وبدا أكثر طولا .

أنشبت أظافري في اللحظة المباغتة ، وأنا أحمل ساقي وأشق بجسدي طريقا متعرجا بين السيارات ، محاذرا ألا يغيب عن النطاق الحديدي لبصري الذي ضربته بشدة حوله ، والذي كان يراوغ للافلات منه دون تعمد ، ودون أن يدور بذهنه أنه بمحاولته غير المقصودة يسلبني فرصة التطهر ونزع الدمامة التي التصقت بوجهي ، منذ أن مزقه بنظرة ازدرائه التي كانت حاضرة دائما أمامي ، والتي كانت تقفز على الدوام الى منطقة الحلم لحظة النوم المتقطع

كان يبعد عني مسافة قليلة ، تنتهي بوضع قدمي على الرصيف المثقل بالأجساد المتقافزة الهاربة من الغبار والصقيع بشكل جماعي ، يدور بوضوح شديد من الرصيف المقابل ، الذي تركته خلفي وأنا ألهث وراءه عابرا الطريق ، قافزا فوق الرصيف بصورة مفاجئة ، لم أفكر في وقعها على السيدة المسنة التي صرخت بكلمات لم أتبينها ، لأن الدماء اندفعت مجلجلة في رأسي ، وأنا أرى المسافة تختصر بيننا إلى حد أنه كان في استطاعتي أن أمد يدا مرتجفة ، والمس ذراعه وأنا أتهدج باسمه .

كان عليه أن يتوقف ، ثم ينظر إليّ في دهشة يسيرة ، سرعان ما تزول عندما يتعرف على وجهي الذي لم يتغير كثيرا منذ افترقنا ، وحيث كنت أقف ساعتها في منطقة الأمان المنتظر ، وربما أشاح متقيئا ضاغطا على فمه بمنديل رخيص لم يكن يفارق يده التي كانت تمرر عرقا غزيرا على الدوام ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وظل سائرا في طريقه مصطدما بأكتاف المارة ، الذين التهمت بعضهم مستطلعا ، وأنا أرتعش باسمه ثانية مارقا بينهم قابضا على ذراعه ، معلنا وجودي الذي كان حتى هذه اللحظة خافيا عليه .

في حدة أدهشتني أدار رأسه تجاهي ، وازدادت دهشتي بومضة الذعر الطاحن التي كست وجهه ، وأصابتني برجمة ضاغطة جعلتني أنكره وأنكر استطالة عنقه ، وتهدل كتفيه وشعره الخفيف ، الذي سحقه الزمن وحاصره فوق الأذنين .

لم يكن « هو » الذي كنت أعرفه ، رغم أنه كان « هو » الذي يقف أمامي ، كان الفرق بينهما رهيبا لا يقارن بأي شيء آخر ، وكان أشد ما يرعبني أنه ربما استحضر بالتداعي كل ماجرى ، والذي انتصب بيننا الآن مرمجرا مجردا أصبع الاتهام الذي كان يمده بطول ذراعه ، الى حد أني تراجعت منكفئا للخلف لأتحاشاه بعد أن كاد يفقأ عيني .

من فضلك . . أرجوك . لا . .

لأنه كان قد هرول مبتعدا بعد أن ارتخت قبضتي على ذراعه ، وبعد أن استقرت بيننا مساحة احتلتها المارة ، وجعلوها معبرا لتقافزهم الجماعي ، مساهمين بذلك في زيادة المساحة التي فصلت بيننا منذ أن تركته خلفي ، وعواؤه اللا انساني يصطك بكل جسدي ، فيحيله الى بناء متهالك تتساقط أحجاره حجرا بعد حجر ، فقد لهثت مقتحما سيل المتقافزين ، أتشبث بذراعه مثبتا اياه في مكانه ، وأنا أصرخ باسمه لأقنع نفسي أنه « هو » الذي كان يحاول التملص من قبضتي ، وقد غاض بريق عينيه ، وحلت محله دوائر متفجرة بالقلق والتوجس .

كانت مشروعية ما أريده تكمن في بساطته وامكانية تنفيذه . . لم أكن أطلب أكثر من أن يمنحني وقتا ـ نجلس فيه في مكان منعزل لأصحح بعض السطور التي كانت تفصل بين الحوادث « بكلمات » بسيطة

عددتها مند سنين انتظارا للحظة القراءة ، وكانت تلماتى منتقاة بعناية شديدة ، وزعت فيها الكثير من حرف « القاف » الذى كنت أعلم أنه من الحروف لقوية التى تعطى انطباعا مأمولا ، بأنى أؤسس دفاعى على مرتكزات ثابتة ، لاتسمح حتى بمجرد المناقشة .

ولفترة ظللت أرتب هذه « الكلمات » فى دهنى ، أضيف اليها وأحذف منها ، حتى بدت فى النهاية وكأنها حقيقية ، فسجلتها فى أوراقى ، وحرصت على ترديدها لنفسى أثناء الأكل ، وعلى السلم ولحظة الاستيقاظ ، وفى الحمام ، وأمام المرآة ، وتحت مظلات الحافلات ، ولم يكن « هو » ليمطى إلى سابقة احتيارى الدقيق لها،وسيطن من تدفقها المحتم ـ لأنى كنت أعرف كل شىء عنها سلفا ـ أنها جاءت بالقطع عفو اللحظة التى كان يقاتل لحرمانى منها بتملصه الدائب من قبضتى ، والذعر المحنون الذى تراكم على وجهه الممتقع ، ووضح بصورة أشد من ارتعاد شفتيه المستمر الصامت ، وحالة التقوقع المحيف التى طحنت رأسه ، وجعلته يغوص بين كتفيه صاعطا الجزء الأكبر من عنقه تحت ياقة القميص .

لم نعد متواجهين الآن ، فقد استدار تاركا ذراعه الذى كنت أقبض عليه ، وكأنى أقبض على حياته كلها ، وأعطانى جانب وجهه الذى انتقلت إليه عدوى الارتعاش وصار يتحرك بطريقة سقية شاملة ، أما كفه فقد رفعها ليدرأ بها سياطا متربصة محمومة تشقق فؤ ابياتها مصيره كله ، وتحيله إلى رمز بائس لتعاسة الوحود ، خصوصا عندما فتح فمه و « تهته » بصوت خفيض مخبول :

= م . . م . . من . . من . . اغتال الجميلة الجالسة



فى استرخاء داخل قصرها العظيم فى تل العمارنة ، م . . من . م . . م . من ؟

كان الموقف باعثا على الحيرة والارتباك ، فقد بدأ المارة يخمعون من طقس تقافزهم المتعحل عبر عاشين برحات الصقيع ولا العار الناعم ، الذى كان يلتصق بالرموش والحلوق ويتلكأون وهم يقتربون حالدين وجهى بنظراتهم المتسائلة

أنا هل نسيت ؟ انظر الى

كنت أصطنع هدوءا كاذبا ورباطة جأش لا وجود لها ، وكان صوتى هامسا رغم أنى لم أكن أدرك سر ذلك الاحتراس

= دعنى د د دعنى . دعنى أجمع بقاياها بطول الوادى المقدس د دعنى فقد أستطيع لم يتعرف علىّ

أيقنت أنه لم يتعرف علىّ ولا على أى شىء آخر كنت قد هيأت نفسى ، لكل الاحتمالات لحظة أن كشفت إيقاعات الموقف الذى تصاعد دون ترقيم عن ومضة الذعر الطاحن ، وتقلص أعصابه الذى صيره أهش مما ينبغى . أيقنت لحظتها أنه قد غادرنا وأنه لم يعد موجودا كما سبق أن قيل لى ، بعد أن أدار ظهره قافزا خارج المكان والزمان منذ انشطاره

لحظتها أيضا على وجه التمام احتنق حلمى بالتطهر والاغتسال من الدمامة ، وتسرب برتقية شديدة أعشت عينى ، مؤكدة أنى سأعيش بعبء قذارتى ، وحلقى المتشقق من علقم المهانة ، وروحى المتآكلة التى كنت أحس بتورمها داخلى حتى أموت من التقزز

كان التطهر الحقيقى على ما يبدو أن أعطى الفرصة كاملة لكل ما جرى ، كى يطاردنى إلى نهاية الخط المقوس من الدنيا ، فاتحا أذنى بكلتا يدى لعوائه الملتاث لحظة أن لمحت الاشارة ، وهرولت إلى باب الخروج . لكن .

كان علىّ بداية وقبل كل شىء أن أحمل النهار وأحراء الليل على كاهلى متعمدا كى أجد الوقت الكافى لأبكيه . □



قضيّة

الناقد العربي الحديث في مفترق طرق !

بقلم : الدكتور محمود الربيعى

قطعت النهضة الثقافية العربية أكثر من قرن من الزمان ، ولايزال فرع حيوي من فروعها هو النقد الأدبي حائرا يتردد أي طريق يسلك ولقد حرب المضي في عدة طرق فبدا « سيره » فيها أدنى الى « التخبط » ، وفاضل بين مجموعة من « البدائل » ، وعاد الى حيرته الأولى . وهو يبدو الآن في مفترق الطرق ، وعليه أن يختار من جديد وأن يكون اختياره هذه المرة ـ اذا أراد التقدم ـ صحيحا

في العقود الأربعة الأولى من هدا القرن ، بدت الحركة النقدية أقرب ما تكون الى تحقيق نتائج « طبيعية » كان طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وميخائيل نعيمة ، وآخرون يُعَبِّدون طريقا في الصحر بزرع مناهج الدرس الأوروبية في التربة العربية كانت « التقنية » وافدة ، ولكن المادة الخام في عملها محلية ، فأجرى طه حسين « تجارب نقدية » على « مادة شعرية » من انتاج طرفة والمثقب ولبيد والمتنبي وأبي العلاء وعلى محمود طه وابراهيم ناجي ، وأجرى العقاد والمازني « تجارب نقدية » على شعر ابن الرومي والمتنبي وبشار وشوقي ، وزخر كتاب « الغربال » بالنصوص العربية كانت أعين هؤلاء مشدودة الى طرق الدرس الحديثة في حين كانت أقدامهم ثابتة في أرض « التراث » ، وكان من نتيجة ذلك أن تحقق على أيديهم نوع من « ربط الماضي بالحاضر » ، وهو أمر قامت عليه كل حركة صحيحة من حركات « التنوير » لكأن الرواد كانوا يريدون أن يقولوا (وبحق) ان الوطن العربي (من الناحية الأدبية) لايعاني من أزمة في المادة الخام (النصوص الأدبية) وانما يعاني من أزمة في الأدوات (مناهج الدرس) التي يستخدمها في « استثمار » هذه المادة الخام ولعلهم بذلك كانوا يعبرون عن روح النهضة العربية كلها ،

وهي أننا لا نعني باللحاق بالغرب أن نكون بعضا منه ، وانما نعني استخدام حقنا الطبيعي في الاستفادة من المنجزات البشرية في تناول « ثرواتنا » تناولا صحيحا بركب البشرية المتقدم . ولا أعتقد أن طه حسين ـ حتى وهو يكتب « مستقبل الثقافة في مصر » (أي في قمة غلوه) ـ كان يرمي الى غير هذا .

وتوالت « الانفجارات » العنيفة في الثقافة الأوربية بالثورة النفسية (فرويد ومن تلاه) ، والثورة الاجتماعية (مدارس علم الاجتماع المختلفة) ، وحقق ذلك نتائج بعيدة المدى في حياة الناس العادية ، وفي أساليب الحكم ، وفي « الرؤية » الأكاديمية ، ونال طرائق الدرس الأدبي في الوطن العربي من ذلك أوفى نصيب ، فبدأنا نسمع عن « المنهج السيكولوجي » ، و « المنهج السوسيولوجي » ، وكان من نتيجة ذلك أن اهتزت ثقة الناقد الأدبي « بأدبية الأدب » ، وأخذ يتطلع الى أن يستبدل بها « سيكولوجية الأدب » و « سوسيولوجية الأدب »

مناهج غريبة :

والذي حدث أن الأمر لم يعد مقصورا على « تجريب » أداة جديدة على مادة محلية ، وانما تجاوز ذلك الى أن أصبحت الاداة هي المتحكمة في المادة الخام . لقد نولع في « التعريب » الى حد أريد فيه للادب أن يكون وثيقة « نفسية » ، أو وثيقة « اجتماعية » . ومعنى هذا أن النقاد تخلوا ـ طواعية ـ عن معاقلهم ، وحاولوا اللحاق بمعاقل الآخرين ، ورضوا أن يكونوا « صدى » بدل أن يكونوا « صوتا » .

ولن أقول ان كل ضرب من ضروب استخدام مناهج علم النفس ، أو مناهج علم الاجتماع ، كان مضرا بالأدب ، فالمحاولات ذاتها كانت متفاوتة كانت ثمة محاولات مفيدة تأخذ من هذه المناهج مالا خلاف على فائدته (وهل ثمة خلاف مثلا على أن الأدب الابداعي « نتاج نفس » ، بشرية ، أو ثمة خلاف على أن الأدب ذو مغزى اجتماعي ؟) ، ولكن البريق أغرى مجموعات أخرى تلوي عنق الأمور ، وتدخل في متاهات الاشارات والرموز الجنسية ، وصراع الطبقات الاجتماعية ، فأصبح العمل الأدبي الابداعي عندهم صندوقا مليئا بعقد النفس ، أو ساحة تأكل فيها بعض طبقات البشر البعض الآخر

لقد لحق بالنص الأدبي ضرر محقق من جراء المغالاة في اخضاعه لمناهج « العلوم الانسانية » ، وذلك حين قيدت النظرة اليه بحدود المناهج التي يفسر بها . ولما كان « علم النفس » يبدأ من واقع النفس ليرتد اليه ، « وعلم الاجتماع » يبدأ من واقع المجتمع ليرتد اليه ، انحصرت النظرة الى الأدب في كونه نابعا من الواقع ، مشروطا بشروطه ، ومن ثم قصرت هذه النظرة في أن تراه على ما هو عليه باعتباره تشكيلا جماليا ، ونموذجا أعلى ، يروي الواقع ، ويرسم له طريق المستقبل وبذلك لم يفعل المغالون ـ ممن ربطوا الأدب بعلم النفس وعلم الاجتماع ـ أكثر من سحب الأدب في سحون براقة جديدة في حين أنهم كانوا يدعون أنهم جاءوا ليحرروه من سجن القديم ، اذا ما الفرق ـ مثلا ـ بين الدعوة الطائلة الجائرة في تاريخ الادب التي تربط الأدب (ذلك الطائر الشائر المستعصي الجميل !) بعصور السياسة ، وتجعله صاعدا هابطا تبعا لصعود الحكام وهبوطهم ، وبين جعله (رغم أنفه !) محكوما بحدود « النفس » وحدود « المجتمع » ؟

ولا أتهم نوايا هؤلاء النقاد ، وانما أتهم هممهم . لقد قصروا في حق النص الأدبي ، وسلكوا الطريق السهل في فهمه وتقدير قيمته ، فما أسهل أن نقرأ نظرية نفسية أو اجتماعية (أو نقرأ عنها !) ثم نحاول تلمس مظاهرها في عمل أدبي ما ، لقد قيل لنا ، ان وراء غرام أبي نواس بالخمر « عقدة أوديب » ، بل قيل لنا ان وراء وصف امرىء القيس شعر حبيبته بأنه « كقنو النخلة المتعثكل » سرا متصلا بالقيمة الأسطورية للنخلة عند العرب . وما أيسر أن يقال مثل هذا القول ، ولكن ما أصعب أن تطمئن النفس الى صحته ، وذلك لأن توثيقه من واقع النص الوارد فيه أمر مستحيل . انه قول يعمل على نقل « مركز الاهتمام » من النص (وهو وثيقة أولى وتشكيل محسوس نراه ونسمعه) الى أمور وراء النص ، قصارى ما يقال في صالحها انها أمور احتمالية ، وفي

هذا من الأضرار بالنص الأدبي وبالنقد الأدبي ما فيه ، انه يزيد أمر النقد الأدبي صعوبة واستغلاقا ، ويحول النص الأدبي - الذي هو غاية الغايات - الى مجرد وسيلة .

ومع سرعة تطور المناهج المستحدثة في الغرب ، وسرعة تدفقها الى وطننا العربي تفاقم الضرر بازدياد اللهث وراء كل جديد وافد من أوروبا الأمر الذي « يظهر » « الحداثة » و « التقدمية » ، « ويخفي »حقيقته التي هي « التبعية » ، وتحقير الذات .

والذي لم يحدث - وكان من الواجب أن يحدث - أن نفرق بين أمرين : فنتعرف على ما لدى الآخرين (كله ، وبدون خوف أو تردد أو خجل) وذلك عن طريق الترجمة المقتدرة الأمينة ، وأن نستفيد من هذا الذي لدى الآخرين في حرص وحيطة وعلى نحو ايجابي يسلم بالعاصر المشتركة بين آداب الأمم ، كما يسلم بالفروق الفردية العميقة بينها

نحو البديل الصالح :

وينبغي ألا يتطرق الى ذهن القارىء انني أهون من شأن المناهج الأوروبية في ذاتها ، أو أقلل من فائدتها لمن ابتكرها ، وللبشرية جمعاء ، ولكنني أود أن أقول أننا حين استخدمناها على غير وجهها الصحيح كنا كمن « يركب في القناة سنانا » على حد قول المتنبي .
لقد تحدثت فيما مضى عن « السيكولوجي » ، « والسوسيولوجي » ، أما « الأسلوبية » « والبنيوية » فلهما قصة لاتقل غرابة ، لقد فرغناهما - تقريبا - من مضمونهما المفيد حين تحول العمل الأدبي على يد الأولى الى « احصائيات » ، وعلى يد الثانية الى « نسب وأبعاد » ، وبقى جوهر هذا العمل - في غمرة هذا - مهملا ومنسيا ، ولقد فقد الناقد « الاسلوبي » والناقد « النبيوي » بذلك مشروعية وجودهما ، وذلك حين تحولا عن مهمة الناقد الأدبي التي هي تفسير النص وبيان قيمته (مهمته كانت كذلك لاتزال !) .

ويكون الناقد الأدبي « السيكولوجي » و« السوسيولوجي » و « الأسلوبي » و « البيوي » قد تنكب - بفعله هذا - الطريق السوي ، وضرب في الحيرة والتيه ، ومادام مستمرا في « استيراد » هذه المناهج (دون تمييز) وتطبيقها على النص العربي (دون تصرف) فسيجد نفسه يعاني مزيدا من الحيرة والتيه وهو الآن - ونتيجة لذلك - في مفترق الطرق ، وعليه أن يختار بين أمرين · اما الامعان فيما هو فيه ، ومن ثم الافضاء الى مزيد من « فقدان الهوية » ، واما عرض بديل جديد في اسلوب العمل وأرى أن البديل الصالح المعروض أمامه الآن هو تأكيد « أدبية الأدب »

معالم على الطريق :

١ - تعني عبارة « أدبية الأدب » التسليم بأن العمل الأدبي - الجدير بهذه التسمية - من شأنه أن يكون « كلا في ذاته » « غير محتاج الى ما يكمله من خارجه » أنه يشبه الجنين الذي يكتسب بخروجه الى الدنيا حياة وروحا تجعلانه ذا استقلال واكتمال وخصائص تمكنه من المضي في حياته دون اعتماد على دم الأم ، أو نفس الأم (وهذا هو معنى وجوب قطع « الحبل السري » فورا !) تلك مسألة جديرة بالتأمل في معنى العمل الأدبي ، وحين نتأملها نجدها بديهية (والا فلماذا يختار الأديب بمحض ارادته وعن وعي كامل أن يجعل حدود القصيدة هي تلك ، وحدود الرواية هي تلك ، وحدود المسرحية هي تلك ؟) ومع ذلك نجد من يتجاهل هذه البديهية ، ويتناول شعر فلان (جميعا) ، أو روايات فلان (جميعا) ، بل نجد من يتناول الشعر العربي كله في فترة معينة (هكذا) أو الرواية كلها في فترة معينة ، وتكون النتيجة بالطبع ما هو متوقع من التسويب المتعسف والملاحظات السطحية .

٢ - وتعني هذه العبارة أن المدخل الطبيعي لفحص النص الأدبي ينبغي أن يكون « أدبيا » (وليس « نفسيا » أو اجتماعيا أو سيريا أو - حتى - أسلوبيا) ان العمل الأدبي الحق من شأنه - اذا وصف وصفا أمينا دقيقا - أن يكشف عن خصائصه التركيبية ، وعن سماته الدلالية ومراميه الذهنية والروحية (بل والنفسية والاجتماعية وماشئت) ، كل ذلك من داخله هو ، لابتوظيف نظريات جاهزة من خارجه .

واذا تراكمت مثل هذه الصفات - كما ونوعا - بمحص أعمال أدبية متنوعة شكلت ما يسمى بالتقاليد الأدبية ، أو فلنكن طموحين فنقول : شكلت ما يسمى « نظرية الأدب »

٣ - وتعني أن باب الدخول الى العمل الابداعي القولي (الذي هو النص الأدبي) باب لغوي بالضرورة ، وذلك لأن أول ما يطالعنا من ملامح هذا المخلوق (شعرا أو قصصا أو مسرحا مكتوبا) انما هو اللغة ، وهذه اللغة ، مفضية الى معان وأهداف ومرام قريبة وبعيدة مختارة

٤ - وتعني - استنتاجا وتأمل ما تقدم - افلاس صيغة « تاريخ الأدب » ، التي تكدس وتكدس ، ولاتفضي الى شيء ، والتي تدوس - في طريقها الى الوصول الى « الأفكار العامة » و « الملامح العامة » للفترات - المكونات الدقيقة الحقيقية للأدب ، والتي تنتهي الى قوالب مفرغة ، وصناديق ورقية (ليست حتى مرركشة) وأحكام عامة صالحة لأن تطلق على كل فترة ، ومن ثم فهي ليست صالحة - حقا - لشيء ، ان التناقض الذي تقع فيه صيغة تاريخ الأدب (ويبدو أنها لاتعيه) انها تقول بالسمات المعينة العامة لعصر بأكمله ، كالعصر الجاهلي (هكذا على اتساعه وعلى اطلاقه) ، وتقول - في الوقت ذاته - بأن كل شاعر فحل من شعرائه متفرد عمن عداه من الشعراء الفحول الذين ينتمون الى نفس العصر ومن ثم الى نفس السمات (والا فما معنى القول بأن شاعرا منهم شاعر عظيم ؟) .

٥ - وتعني - كذلك - افلاس الصيغة « البيوجرافية » التي تربط العمل الأدبي بحياة صاحبه ومزاجه الشخصي (على نحو ما فعل العقاد في كتابه « ابن الرومي - حياته من شعره » - وليتأمل الجزء الأخير من العنوان) ولقد دحض النقاد العرب القدامى أنفسهم هذه الصيغة كما دحضها النقاد الأوروبيون المحدثون .

ورغم هذا الدحض بقيت الصيغة « البيوجرافية » متسلطة الى أقصى حد على أذهان كثير من النقاد العرب ، ففتنوا بها ولقنوها الناشئة ، فأصبحت مدخلا أثيرا (ولكنه مغلوط وخطر !) لفهم الشعر وآية تمكن هذه الصيغة من النفوس أنك قد تشرح لطلاب الأدب معنى « موضوعية الأدب » ، وتفيض في هذا الشرح ، حتى لتتوهم أنهم فهموا عنك ، واقتنعوا بقولك ، ثم تفاجأ بأحدهم يتساءل في حيرة بعد كل ذلك . « لكن ، أليس الشعر صورة لحياة صاحبه ؟» وأجيب عن هذا دائما بقولي نعم ، الشعر صورة لحياة صاحبه ، ولكن ما معنى كونه صورة ؟ وما حدود تلك الحياة ؟ هل الصورة تعني الصورة المطابقة التي قد نراها في مرآة ، أو تعني الصورة المعدلة التي قد تختلف عن « الأصل » إلى حد التناقض ؟ وهل حياة الشاعر تعني ما عاشه من قصص وأحداث ، وما اعتاد عليه من مأكل ومشرب « ولف عمامة » ، أو هي أيضا خيالاته ، بل وأوهامه ، مما قد يختلف عن حياته « الواقعية » ، ويقف منها على النقيض ؟

٦ - ويتطلب تحقيق مضمون عبارة « أدبية الادب » أن يتمتع الناقد الأدبي بحساسية عالية في الفقه اللغوي ، وادراك الظلال والايحاءات ، وفلسفة « التلوين » و « والتكوين » وأن يكون الانسان النشط الذي يتمتع بثقافة واسعة في كل مجال ولكنه - في حالة العمل - لايدع ثقافته تعلن عن نفسها في نحو مباشر فج ، وانما تعلن عن نفسها في صورة فهم أفضل للنص الأدبي ، أو منحى أدق في تحليله ، أو تقدير أعدل له ، ولا يكون ذلك الشخص المترهل الكسول الذي يواجه النص بعين عمياء ، وأذن صماء ، مكتفيا بنثر المعاني في الشعر ، وتلخيص الأحداث في القصص والمسرحيات ، أو الهروب بعيدا الى الملاحظات العامة المحفوظة المتوارثة ، أو استظهار النظريات المستحدثة المتلاحقة وترديدها دون بصر ، أو السقوط في وهدة الغموض المطلق باسم « الحداثة » .

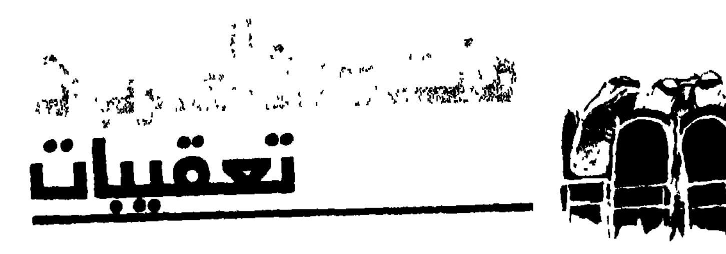
٧ - كذلك يتطلب تحقيق معنى عبارة « أدبية الأدب » أن يؤمن النقاد بقيمة عملهم وبأصالة المادة التي يتعلمون معها (وهي الأدب الابداعي) ، فيتوازن ميزان العمل في أيديهم ولايحيف ، ومع أن نقص الايمان بالعمل والحيف نقيضان من النقائض الموجودة في كل مجال فان ضررهما في مجال النقد ماحق ، وذلك نظرا للحساسية التي يتمتع بها هذا الفرع من فروع المعرفة ، ويعني كل ذلك الوصول الى الحيثيات الكاملة ، والتعبير عنها بكل دقة ووضوح ، قبل الانتقال الى أي حكم أو تقدير . أما ما نراه من « الانحياز » و « الشللية » وكيل المدح ، أو الهجاء ،

فليس من « أدبيــة الأدب » في شيء وأنا أهيب بقارئي أن يكون هو نفسه منصفا فينخل ما يقرأ تحت عنوان « النقد » وسيرى بنفسه كم منه يرعى « أدبية الأديب » ، وكم منه يجافي ذلـك ، وقد يتعلل هـذا النـوع بشتى التعلات ، من ضيق المحـال ، وعـدم تحمـل الموقف ، أو يحتمي بكلمـات واهـية مثـل « عمـوما » ، و « عـلى وجه العمـوم » ، و « بصفة عامة » ، ولكن الحقيقة الباهرة تبقى ، وهي أن كل تحليل نقدي لا ينهض على أصول وتقاليد أدبيـة ولا يتسم بالشفافية والعمق والجدية والنفاذ والانصاف ، انما هو سراب يريد من حيرة النقد ، ويؤجل اهتداءه الى الطريق القويم .

٨ ـ وكذلك يتطلب تحقيق معنى عبارة « أدبية الأدب » أن يطول صبر النقاد المؤهلين المتعاونين ، مبعدين عن أنفسهم شبح الملل واليأس ، ومتحــذين القـراءة الفاحصة لقصيدة بعد قصيدة ، ورواية بعد رواية ، وقصة بعد قصة ، ومسرحيـة بعد مسـرحية نهجـا ، متنقلين بين أقدم نص عرفته العربية وأحدث نص ، مرسين معالم الحساسية الجديدة ، في « فقه النص » ، محـولين الكتـابة النقـدية من الـوصف المقتضب إلى التحليـل المستقصي ، ومن « التقنيـة » الجـافة الى « الابداع »

ليكن التحليل النقدي ـ كالعمل الابداعي ـ عملا له اسلوبه الخاص الذي يجعله يقرأ جيلا بعد جيل ، فيخلد من أجل صفاته الابداعية الانشائية تلك ، لا لححجه وأفكاره ، ولا لأهمية العمل الذي يتناوله

تلك أفكـار تمهيديـة في مـوضـوع النقـد الأدبي احسبها لاتثير جدلا كبيرا وأنا أطرحها أمام قارىء « العربي » علها تلقى قبوله ، فتسهم ـ ولو على نحو متواضع ـ في تحويل مسيـرة هذا الفـرع الحيوي من فروع الثقافة العربية من التردد الى الاقـدام ، ومن الحيرة الى اليقين ، ومن مفترق الطرق الى الطريق الهادي ، الواضح المستقيم .



تعقيب على مقال عبدالرحمن الداخل

قـرأت الموضـوع القيم بعنوان « عبـدالرحمن الداخل يعود الى الاندلس » العدد ٣١٩ من مجلتنا العربي الغراء . وقد أفـرحني كثيرا نبـأ إقامـة التمثال الرائع لعبدالرحمن الأول (١٣٨ هـ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٦ م ـ ٧٨٨ م) في المنكب (المونييكر) فثمة تماثيل رائعة في أرجاء الاندلس لعدد من الشخصيات الفذة الذين أسهموا ببناء الحضارة العربية الاسلامية في اسبانيا ، وكانوا اساتذة أوروبا في ذلك الحيـن . ففي بعض ساحات قرطبة :

تمثـال لأبي محمد عـلي بن حزم المفكـر الاندلسي الأكبر صنعه المثال القرطبي أولموس بتكليف من بلدية قرطبة .

وهناك تمثال ابن عمران موسى بن ميمـون العالم الاندلسي اليهودي ، وقد حسب خصومنا من اليهود أنهم يضاهون ابن حزم بابن ميمـون ، فسعوا حتى أقيم هذا التمثال ، وقد فاتهم أن موسى بن ميمون عالم عربي قبل أن يكون يهوديا ، وبالعربية كتب لا بالعبرية ، وفي بلادنا ومعنا عمل ، وعندما هاجر من الاندلس لم يذهب الى فرنسا مثلا ، بل الى القاهرة ، وهناك أصبح من أطباء صلاح الدين الأيوبي .

إضافة الى تمثال للعالم العربي محمد بن قسوم الغافقي الكمّال وصاحب كتاب (المرشد فى الكحل) أى فى طب العيون .

ومع احترامى الفائق للدكتور عفيف بهنسى اود أن اسجل بعض الملاحظات على مقالته المذكورة . يقول الدكتور بهنسى (ان أم عبدالرحمن الداخل « راح » تنسب الى قبيلة مكناسة المغربية أو قبيلة مغيلة)

الواقع أن أم عبدالرحمن الداخل لاتنتمى الى قبيلة مكناسة المغربية (مغيلة) وانما تنتسب الى قبيلة (نفزة) وهى قبيلة أخواله والدليل على ذلك كما يقول الدكتور ابراهيم بيضون فى كتابه « الدولة العربية فى اسبانية » . مضت أربع سنوات والطريد الأموى يتنقل بين قبائل البربر فى المغربين الأقصى والأوسط ، دون أن يثير غبارا وراء تنقلاته الخفية ، حتى إذا رفضته مكناسة (القبيلة التوية الكبيرة) انتهى به المطاف الى حوار سبتة حيث أحواله النفزيون .

واستطرد الدكتور بهنسى قائلا : انتهى دور الصميل الذى مات مسموما . والصواب هو أن عبدالرحمن دس له من حقه فى سجنه .

وأضاف الدكتور عفيف قائلا : لعل أروع انتصار حققه ضد عدوان خارجى كان عام ٧٧٧م إذ قام شارلمان بتأييد من خصوم عبدالرحمن بحملة صحمة ، وتقدم شارلمان أولا فى الأندلس ، ثم تجهز له عبدالرحمن فى العام التالى فرده على عقبه . .

والصحيح هو هذه الشاكلة : انتصار صقر قريش على شارلمان هو عام ٧٧٩م ، وليس فى عام ٧٧٧م ، ولم يتردد عبدالرحمن بن معاوية بن هشام فى مواجهة شارلمان والتصدى له فى العام التالى ، وانما خاض معه المعركة فور غزو شارلمان للاندلس .

فقد قَدِم شارلمان من فرنسا وعبر جبال « البرتات » متجها الى سرقسطة سنة ١٦١هـ ٧٧٨م (تاريخ الغزو) . وامتدت المؤامرات المستهدفة نظام عبدالرحمن الى الشمال ، لتتخذ مسرحا جديدا لها فى سرقسطة وبرشلونة ، عندما قام تحالف سياسى بين اثنين من زعماء العرب ، كانت لهما المسؤولية ـ ربما فى وقت سابق ـ وهما سليمان بن يقظان الكلبى المعروف بالأعرابى (برشلونة) ، والحسين بن يحيى الانصارى (سرقسطة) ، ويضاف اليهما اسم آخر هو عبدالرحمن بن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى . علما بأن الكاتب الذى نحن بصدده أغفل الذكر عن أسماء مؤيدى شارلمان أو بالأحرى خصوم عبدالرحمن .

وفى موضع آخر قال الكاتب : ان المنصور حاول تعيين أمير أرسله لذلك ، هو العلاء بن المغيث . فى الحقيقة لم يتم تعيين العلاء من قبل المنصور ، فقد اتصل أبو جعفر المنصور دون جدوى بأحد الزعماء العرب ، وكان قائدا لحامية (باجة) العلاء بن مغيث اليحصبى من قبيلة جذام اليمنية ، من أجل تصفية حصمه العنيد ١٤٦هـ ـ ٧٦٣م . وباجة هذه تقع جنوب غربى الأندلس فى البرتغال حاليا

وبعد نحو عام من الاتصالات الخفية مع اليمنيين بصورة خاصة ارتفعت الأعلام السوداء ، وهى شعار الدولة العباسية فى باجة ، معلنة الثورة على أمير قرطبة عام ١٤٧هـ ، علما بأن الكاتب لم يؤرخ عام الثورة التى قام بها العلاء .

وفى موضع آخر قال الدكتور بهنسى : واستمر خلفاؤه من بعده مايقرب من الثلاثة قرون ، وكانت قرطبة فى عهدهم (جوهرة العالم) ، وكان فيها مائة وثلاث عشرة دارا وواحد وعشرون ربضا وسبعون خزانة كتب : وحوانيت شتى تباع بها الكتب،ومساجد وقصور وحمامات . . . الخ .

واليكم الأعداد الصحيحة وبأدق تفصيل : يفصل المؤرخ المقرى فى كتابه نفح الطيب صفة المدينة فيقول : (أحصيت دور قرطبة التى بها وأرباضها أيام ابن أبى عامر ، فكانت مائتى الف وسبعين دارا ، وهذه دور الرعية ، وأما دور الأكابر والوزراء والكتاب والأجناد وخصوصا الملك فستون الف دار وثلاثمائة دار سوى غرف الكراء ، والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون الف واربعمائة وخمسة وخمسون حانوتا . ويذكر المقرى كذلك : أن عدد مساجد قرطبة عند تناهيها فى مدة ابن أبى عامر ألف وستمائة مسجد ، وتسعمائة حمام) .

أما عن عدد المعاصر فحّدث ولا حرج . اذ يقال ان كلمة (قرطبة) كلمة فينيقية معناها المعصرة وذلك لكثرة المعاصر فيها .

عبدالله محمد حاج عبدو

قواعد النشر
في
مجلة عالم الفكر

١) « عالم الفكر » مجلة ثقافية فكرية محكمة ، تخاطب خاصة المثقفين وتهتم بنشر الدراسات والبحوث الثقافية والعلمية ذات المستوى الرفيع

٢) ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر ـ الدراسات والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية : ـ

أ) أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره

ب) أن يتبع البحث العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر مع الحاق كشف المصادر والمراجع فى نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة .

جـ) يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢,٠٠٠ ألف كلمة الى ١٦ ألف كلمة

د) تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة ولا ترد الأصول الى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

هـ) تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمى على نحو سرى ،

و) البحوث والدراسات التى يقترح المحكمون اجراء تعديلات أو اضافات اليها تعاد الى أصحابها لاجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها .

٣) تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التى تقبل للنشر ، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة كما تقدم للمؤلف عشرين مستلة من البحث المنشور .

٤) ترحب المجلة باسهام المتخصصين فى الموضوعات التالية .

أ) علوم الصحارى

ب) الهجرة والهجرة المعاكسة

جـ) الدراسات المستقبلية

د) المسرح

هـ) الحاسب الآلى

و) الأمن الغذائي

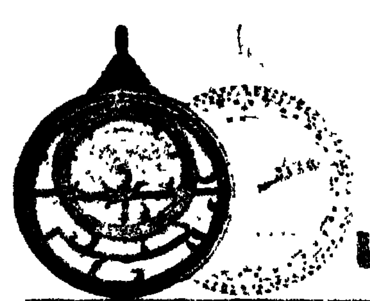
ز) الثقافات فى العالم الثالث

حـ) الجنون فى الأدب

ط) التجديد فى الشعر

عـ) ترسل البحوث والدراسات باسم :

وكيل الوزارة المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة
وزارة الاعلام ـ الكويت ـ ص ب ١٩٣



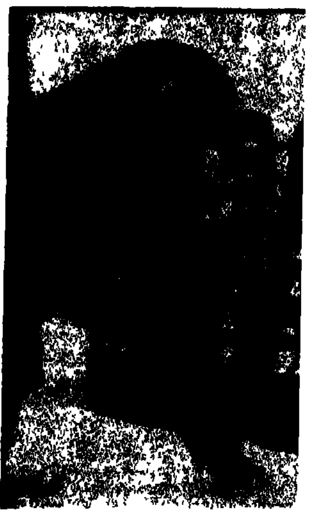
الجديد في العلم والطب

اعداد يوسف زعبلاوي

فتح جديد .. في تعليم المعوقين

تحدثنا في عدد سابق عن النجاح الذي أصابوه في تعليم القردة .. ونتحدث اليوم بشيء من التفصيل عن اللغة ـ أو اللغات ـ التي ابتدعوها من أجل تعليم الشمبانزي .. وعما كان لاحدى هذه اللغات ـ لغة ياركش بالتحديد ـ من فضل على تعليم بني الانسان ، والمعوقين منهم بالتخصيص ..

سموها ياركش نسبة الى المركز الذي طورها وهو مركز يركز نشاطه الخاص بتعليم القردة في جامعة اموري في اطلنطا . أما مبتدع هذه اللغة فهو عالم النفس دوان رومبو أحد العلماء العاملين في المركز المذكور .. وكان ذلك في مطلع السبعينيات .. ومع أن لغة ياركش هذه ليست الوحيدة من نوعها الا أنها تتميز على ما سواها .. فقد أصبحت تحتوي على ٢٢٥ رمزا . وكل رمز منها يدل على كلمة بكاملها : اسما كانت أو فعلا أو حرفا . فأحد تلك الرموز يعني (تفاحة) وآخر (غرفة) وثالث (نعم) ورابع (لا) وهكذا . وتسمح هذه الرموز بتركيب الجمل المفيدة ، كما لا يخفى .. ولكن ذلك لا يتم كتابة ولا نطقا .. وكلاهما متعذر ومستحيل على الشمبانزي .. وانما يتم بالضغط على الازرار المناسبة التي تحملها لوحة كمبيوتر الكترونية كبيرة (انظر الصورة) .



وتبنى مركز أبحاث اللغة ، في اطلنطا أيضا ، لغة ياركش هذه ومضى يعلم طلابه القردة وينمي قدراتهم الادراكية على أساسها .. والمركز المذكور تديره جامعة أموري السالفة الذكر بالتعاون مع جامعة أخرى في مدينة اطلنطا نفسها ، هي جامعة ولاية جورجيا .. وهو متخصص في تعلم القردة .. وبخاصة من فصيلة الشمبانزي القزم ، وهي فصيلة نادرة الوجود وتعتبر أقرب القردة جميعا الى الانسان من حيث بنيته الوراثية وقواه العقلية . ويعتبر الشمبانزي المسمى (كانزي) وهو أحد طلاب المركز المذكور ، النجم اللامع بين طلابه جميعا وقد تفوق على زملائه حتى بلغ مستوى مرموقا يضاهي المستوى الذي بلغه طفل الانسان وهو في الثانية من عمره .

أما استعمال لغة القرود هذه في تلقين أو تأنيس المعوقين من بني الانسان فيعود الفضل فيه الى عالم النفس رامبو مبتدع لغة ياركش نفسه .. وقد بدأ محاولاته أو تجاربه في هذا الصدد سنة ١٩٨١ حينما اختار ١٤ معوقا وانطلق في تلقينهم لغة ياركش .. وما أسرع ما أحرز ثمانية منهم تقدما ملحوظا وقد اتقنوا التفاهم على أساس عدد من الرموز يتراوح بين ٢٤ - ٧٠ رمزا .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الرموز التي لها

صلة بألوان الطعام المفضلة للطلاب هي الرموز التى تشكل نقطة البدء في تدريسهم على ان المدرس يركز على رمز واحد في وقت واحد .. حتى اذا اتقنه الطالب انتقل الى رمز آخر غيره ..

وتجدر الاشارة أيضا الى الآنسة ساندرا (٢٣ سنة) وكانت من المعوقين الذين لا يسمعون ولا ينطقون .. والذين يسلكون سلوكا عدائيا أشبه بسلوك الحيوانات البرية غير المستأنسة .. نقول كانت . نظرا لأن ساندى تغيرت تغيرا جذريا خلال السنتين الماضيتين ، اللتين قضتهما في مستشفى جورجيا الاقليمى في اطلنطا ، وفي مركز التعليم التابع لهذا المستشفى ، حيث أنسوها ولقنوها لغة القردة .. وهكذا تغيرت ساندى مع الايام ، وأصبحت فوق هذا كله تستطيع التفاهم مع مدرسيها .

الأسبرين .. علاج للقلب

كان الأسبرين ومازال المسكن الأول للصداع والحرارة ، والعلاج الفعال للرشح والروماتزم ولالتهاب المفاصل . ومما يذكر هنا ان العالم الذى طوره وابتكره سنة ١٨٩٧ ، وهو عالم الكيمياء الألمانى فيلكس هوفمان . انما أقدم على تطويره بدافع المحبة لأبيه ، وبقصد معالجته من الروماتزم الذى طالما عانى منه . ونذكر أيضا أنهم درجوا على صنعه من لحاء شجر الصفصاف فى بادىء الأمر ، حتى نجحوا فى تصنيعه سنة ١٨٩٩ ، وانطلقوا بعد ذلك فى استحضاره كيماويا على نحو ما تستحضر أكثر الأدوية .

وكان الأسبرين وما زال من أكثر الأدوية رواجا فى العالم .. ويقدر ما يتناوله الأمريكيون وحدهم منه بأربعة أطنان يوميا ..

وقد حملت الينا آخر التقارير الطبية مزايا أخرى جديدة للأسبرين ، فقد ثبت أنه ذو أثر فعال فى مرضى القلب الذين يعانون من النوبة القلبية ... هذا ما أقره لفيف من مسؤولى الصحة الاتحاديين العاملين فى وكالة الغذاء والدواء (FDA) وذلك بالاستناد الى سبع دراسات جادة ، أجريت فى الولايات المتحدة وسواها .. وقد شملت تلك الدراسات ١١٠٠٠ نسمة ، واستغرق بعضها أربع سنوات ./ ولئن اختلفت تلك الدراسات فى بعض التفاصيل ، إلا أنها أجمعت على ما للاسبرين من أثر فعال فى مرضى القلب ..

فحبة واحدة من الأسبرين (٣٢٥ مليغرام) يتناولها مريض القلب يوميا ، كفيلة بالحد من احتمالات الوفاة بسبب النوبات القلبية فهى تبطل فعل خلايا الدم التى تسهم فى التجلط فتحد بالتالى من احتمالات ظهور هذا التجلط فى الدم .. واحتمالات وقوفه حجر عثرة فى طريق الدم الى القلب .. الأمر الذى غالبا ما يتسبب بالنوبة القلبية ، ويؤدى الى الوفاة فى كثير من الأحيان .. فالاسبرين يبطل مفعول الخلايا التى تلعب دورا فى تجلط الدم ، ويبطل ما يترتب عليها من نتائج .

وقد تبين أن للاسبرين أثرا آخر ، لعله أهم وأخطر مما ذكرنا ، فقد أفادت دراسة مستفيضة استغرقت ١٣ شهرا ، وقامت بها هيئات طبية رسمية فى الولايات المتحدة ودلت على أن الاسبرين يفيد الذين يعانون من الخناق أو الذباح المتقطع ، ويضمن لهم الحد - كثيرا وبنسبة ٥٠٪ - من احتمالات تحول تلك الآفة الى نوبة قلبية ..





أيجور سيكورسكى :
مخترع الهليكوبتر
١٨٨٩ - ١٩٧٢

تتميز حياة سيكورسكى ، بأنها امتدت حتى جمعت بين بداية عصر الطيران ، التي تتمثل في نجاح الأخوين رايت في اختراع الطائرة . . وبين ذروة ذلك العصر التي تتمثل في نجاح الانسان في غزو الفضاء .

ولد في كييف في روسيا في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٩ ، وكان أبوه أستاذ علم النفس (بروفسور) في جامعة كييف . . وكان في الوقت نفسه طبيبا مجازا ويمارس الطب بخلاف أمه التي كانت طبيبة مجازة هي الأخرى ، ولكنها لم تمارس المهنة ، ذلك أن ميولها الفنية الجارفة طغت على تخصصها . وبلغ من ولعها واهتمامها بليوناردو دافنشي أن أثارت في ابنها الفتى الاعجاب به ، ومحاولة السير على منواله ، فيما يتصل باختراع الطائرات عامة ، واختراع الطائرة العمودية بصفة خاصة . ومما يذكر هنا أنه صنع طائرة هليكوبتر من مطاط وذات محرك ، وهو في الثانية عشرةمن عمره . . والطريف أن طائرته اللعبة تلك طارت بالفعل وارتفعت في الهواء قليلا .

بدأ دراسته الجامعية في الأكاديمية البحرية في بطرسبورغ (لنينجراد حاليا) التي التحق بها سنة ١٩٠٣ ، بقصد التخرج فيها ضابطا محترفا . . ولكن ميوله الهندسية غلبته ، وحملته على الاستقالة من الخدمة سنة ١٩٠٦ . .

وتوجه سيكورسكى الى باريس في صيف ١٩٠٨ ، حيث اجتمع بالأخوين رايت ، وبآخرين ممن كان لهم صلة باختراع الطائرات . . وفكر ايجور طويلا حتى اقتنع في النهاية ، بان الطيران الحقيقى انما هو الطيران العمودي ، ناسجا في ذلك على منوال ليوناردو دافنشى . . .

وبدأسيكورسكى المرحلة الأولى من اختراعاته ، في كييف ، سنة ١٩٠٩ ، مستهدفا بناء طائرة هليكوبتر . . ولما منى بالفشل في محاولته الأولى (١٩٠٩) والثانية (١٩١٠) قرر ارجاء المحاولة الثالثة ، حتى يستكمل نضجه العلمى ، ويستكمل عصره تقدمه التكنى . ومضى ثلاثون عاما قبل أن يقوم المخترع بمحاولته الثالثة تلك .

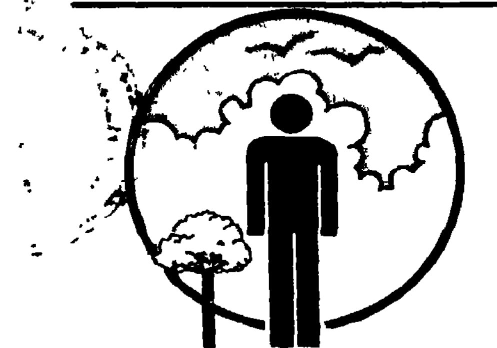
ثم كانت المرحلة الثانية . . وقد تكللت باختراع طائرة عادية - لاعمودية - ذات أجنحة ثابتة ومزدوجة ، على غرار طائرة الأخوين رايت ونجح سيكورسكى بأول طيران له بطائرته تلك ذات المحرك (S —2) سنة ١٩١٠ . . وأحدث تحسينات على تلك الطائرات فكان طراز S3, S4, S5..

وجاءت سنة ١٩١٣ ، وظهرت طائرته ليجراند Le Grand الشهيرة ، وحسبك أنها تعتبر الطائرة الأم لأكثر الطائرات الحديثة . . طائرات الركاب التجارية ، وقاذفات القنابل العسكرية على وجه التحديد .

وقامت الحرب العالمية الأولى . . واندلعت الثورة البولشفية في روسيا . . وانهارت المانيا . . فشعر سيكورسكى بضرورة الهجرة الى الولايات المتحدة . . فيمم شطرها ، ووصل الى نيويورك مهاجرا سنة ١٩١٩ . .

وهناك في امريكا بدأت المرحلة الثالثة من اختراعات سيكورسكى ، وانتهت بابتكار طائرة الهليكوبتر التي مالبثت أن اكتسحت الأسواق دون منازع ! وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها . .

والجدير بالذكر أن سيكورسكى لم يهدف من اختراع الطائرة العمودية ، الا الى القيام بأعمال النجدة والاغاثة ابان الكوارث ، كالحرائق والفيضانات والمجاعة وما إلى ذلك . . أما تطوير طائرته بحيث أصبحت طائرة هجوم عسكرية وأداة تدمير فلم يخطر له ببال . . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

سجاير القرنفل

انتشرت فى امريكا السجاير المصنوعة من كبش القرنفل بدلا من التبغ وهى السجاير التى اشتهرت بصناعتها اندونيسيا واقبل على تدخينها الكثيرون ، لاسيما الشباب ، ظنا منهم انها لاتضر بالصحة كسجاير التبغ .

وقد ثبت العكس تماما لمراكز مكافحة الامراض فى اطلانطا بولاية جورجيا . فالتقارير التى أوردتها عن ١٢ رجلا من المصابين بأمراض الجهاز التنفسى - تشير إلى أن هؤلاء الرجال يدخنون سجاير القرنفل ، وأن امراضهم ذات صلة وثيقة بهذه السجاير . ولاغرابة فى ذلك فهذه السجاير ليست حلوا من التبغ بل انه يكوّن ٦٠٪ من محتوياتها

أضف الى ذلك أن القرنفل يحتوى على مواد مختلفة . أتذكر اليوجينول (Eugenol) المادة المخدرة المستعملة فى طب الاسنان على نطاق واسع ؟؟ فلعل هذه المادة وغيرها هى المسؤولة عن الامراض الجديدة التى أصيب بها مدخنو سجاير القرنفل ومما يذكر ان الولايات المتحدة لاتصنع سجاير القرنفل هذه وانما تستوردها من اندونيسيا . . وقد بلغت وارداتها من هذه السجاير (١٢) مليون سيجارة سنة ١٩٨٠ وتضاعفت حتى بلغت (١٨٠) مليون سيجارة سنة ١٩٨٤

ناقلات شراعية

قامت ناقلة البترول اليابانية الضخمة واسمها « اوزوكى بايونير » وحمولتها ٢٦٠٠٠ طن . . قامت برحلتها الاولى التى اعتمدت فيها على الرياح والاشرعة ، بالاضافة إلى المحركات ، والتى اكملتها فى مطلع شهر حزيران (يونيو) الماضى . . وقد أقامت الدليل فى هذه الرحلة على المزايا والفوائد الكبيرة التى تجنيها السفن والناقلات من الاعتماد على الرياح والاشرعة بالاضافة إلى فن المحركات . .

وحسبك أن الناقلة الرائدة تمكنت من اقتحام البحار العاصفة فى شمال المحيط الهادى ، حيث تتراوح سرعة الرياح بين ١١ - ٤٥ ميلا فى الساعة (١٨ - ٧٢ كم) ، ونجحت فى اجتياز تلك البحار بسلام . أما التوفير الذى حققته الناقلة فى استهلاك الطاقة فلم يقل عن ٢٠,٥ ٪ من مجموع تكاليفها ، التى تكبدتها فى الاوقات التى اعتمدت فيها الناقلة على الاشرعة ، وهى تشكل ٧٢٪ من الوقت الذى استغرقته رحلتها ككل . . .

الطاقة .. من المحاصيل الزراعية

قطعت البرازيل شوطا بعيدا في استخراج البترول من المحاصيل الزراعية .. ومن الحبوب وقصب السكر على وجه التحديد . وهي تستخرج الغازولين (بنزين السيارات) منها ، وتستخرجه بمقادير تغطي ½ حاجة البلاد

وأقدمت السويد مؤخرا على انشاء مصنع تجريبي لاستخراج الغازولين أيضا من الحبوب .

أما دول السوق الأوروبية المشتركة فقد عمدت الى استخراج الكحول من فائض الخمر بواسطة Degradingوهي ماضية في عمليتها هذه ، وان لم تثبت جدواها الاقتصادية بعد .

وتجدر الاشارة الى ان شركة لونرهو البريطانية كانت ومازالت تقطر الاثانول من Molasses وتستخرج زيت الديزل من الزيوت النباتية ، وخصوصا Monestersوذلك بعملية تحسين UP grading

ويبدو من المؤكد أن استخراج البترول من المحاصيل الزراعية سيظل محدودا وأقرب الى الهواية ، مالم يطرأ تغيير جذري على صناعة البترول وتجارته .. كأن ترتفع أسعار البترول ارتفاعا كبيرا .

أسمدة نافعة من أقذار المجارير السامة

درج الناس منذ القدم على قذف أقذار المجارير والقمامة المنزلية في البحار والانهار،وقد حسبوا مياه هذه وتلك كفيلة بانتلاع تلك الاقذار والقضاء عليها وعلى أضرارها . ومضت قرون عديدة قبل أن يتبين لهم أن تلك الأقذار هي الكفيلة بقتل البحار والانهار وليس العكس . ذلك أن البكتريا لاتلبث أن تتكاثر وتتراكم على تلك الاقذار لدى القائها في الانهار ، فهي تتعدى عليها وسرعان ماتلتهم البكتريا الاكسجين الموجود في مياه النهر فتتلف هذه المياه ، بل تموت وتموت معها الكائنات الحية التي كانت تعيش فيها . اضف الى ذلك أن تلك المياه تصبح ذات رائحة كريهة وتصبح موبوءة تتسبب بشتى الامراض للانسان والحيوان .

ولعل قذف تلك الاقذار في البحار أقل ضررا وخطرا من قذفها في الانهار ولاسيما اذا كانت تلك البحار كبيرة ومفتوحة كالمحيطات .. اما اذا كانت بحارا مغلقة كالبحيرات الداخلية فانها تكون عرضة لمثل المخاطر والاضرار التي تتعرض لها الانهار .. ويصدق هذا على البحر المتوسط كما يصدق على سائر البحار العربية الاخرى كلها ودون استثناء .

وتنبه العلماء لاضرار اقذار المجارير ومخاطرها في العصور الحديثة .. وفي أعقاب الثورة الصناعية بالتحديد . فعمدت الدول الاوروبية الى معالجة تلك الاقذار بحيث يتم القضاء على ضررها،ويصبح في الامكان استعمالها سمادا نافعا للنبات . وكانت طريقة المعالجة الاولى التي أخذت بها المانيا وفرنسا ، طريقة نشر الاقذار على سطح الارض وفي الهواء الطلق،وترك مهمة معالجتها للطبيعة ولأشعة الشمس بالذات ..

ثم كانت الطريقة الثانية ، طريقة التهوية وتعريض الاقذار للاكسجين،ولايخفي الشبه الكبير بين هذه الطريقة والطريقة الاولى ، بل لعلها مجرد تطوير بسيط لها لايطمح الى اكثر من تقصير المدة التي تحتاجها الطبيعة لمعالجة الاقذار .

وظهرت اخيرا الطريقة الحديثة المعمول بها حاليا في شتى الدول المتقدمة وهي طريقة بيولوجية ، لاكيماوية ، تستغل البكتريا وغيرها من الكائنات الحية من أجل تحييد الاقذار وتحويلها الى أسمدة تفيد المحاصيل الزراعية . وتعتمد في سبيل ذلك على الآلات والاجهزة التي نجح العلم في تطويرها في غضون المائة سنة الاخيرة ، بحيث اصبح في امكانها أن تنجز في ساعات ماعجزت الطبيعة عن انجازه في

اسابيع وشهور .

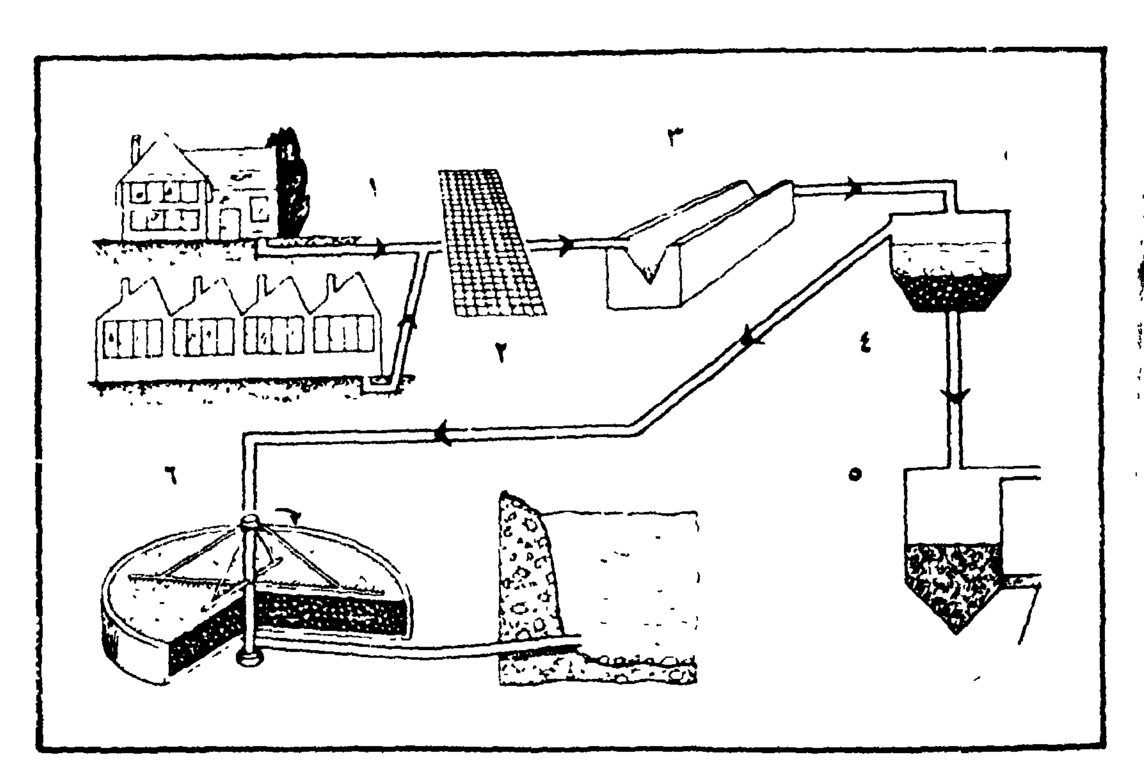
وليس هنا مجال الشرح المفصل ، وحسبنا الاشارة الموجزة الى المراحل التي تمر بها الاقذار حتى تصبح اسمدة نافعة .

مرحلة الغربلة ويتم فيها الفصل بين المواد الصلبة في القمامة وبين المواد الاقرب الى السيولة

مرحلة التخمير (أ) وتصبح تلك الرواسب الصلبة الى خزان الهضم او التخمير حيث تهضمها البكتريا وتصبح بالتالي أسمدة

مرحلة التخمير (ب) وتذهب الاقذار السائلة وشبه السائلة الى خزان التنشيط حيث تتم تهويتها واشباعها بالاكسجين بحيث يسمح لملايين البكتريا والبروتوزوا بالنمو وهكذا تتغذى البكتريا على الاقذار وتتغذى البروتوزوا على البكتريا .

ولعل في الرسم الايضاحي المرافق مزيدا من ايضاح فهو يعطي صورة وافية لعمليات القمامة ، وتحويلها الى سماد ، وذلك وفق اسلوب معين هو اسلوب (أو تي في) الفرنسي المعروف بفاعليته وبانتشار مصانعه في عدد من الدول العربية ، نذكر من تلك المصانع مصنع الموصل في العراق ، ومصنع بيروت وتبلغ طاقتها ٦٠٠ طن و٧٠٠ طن يوميا على التوالي ونذكر أيضا احدث تلك المصانع مصنع اللاذقية في سوريا وتبلغ طاقته الصغرى ٣٠,٠٠٠ طن من القمامة سنويا □



أقذار البالوعات وتحويلها الى سماد

تتدفق أقذار المجارى (١) من المنازل الى المصافى (٢) ثم تذهب حصيلة التصفية الى خزان داتريوس (٣) حيث يتم عزل القطع الثقيلة . وتواصل الحصيلة سيرها الى خزان الترسب (٤) وهناك يتم فصل الأقذار الناعمة أو السائلة . فتذهب الى الهاضم (٥)
حيث تتحول الى غاز وسماد ، ويذهب الماء المصفى الى حيث يمكن أكسدة المواد العضوية العالقة
والأسلوب الأكثر شيوعاً لاتمام ذلك هو أسلوب (٦) المصفاة المسامية ، الذى يقوم بالمهمة ، ويسمح للماء النقى بالذهاب الى النهر



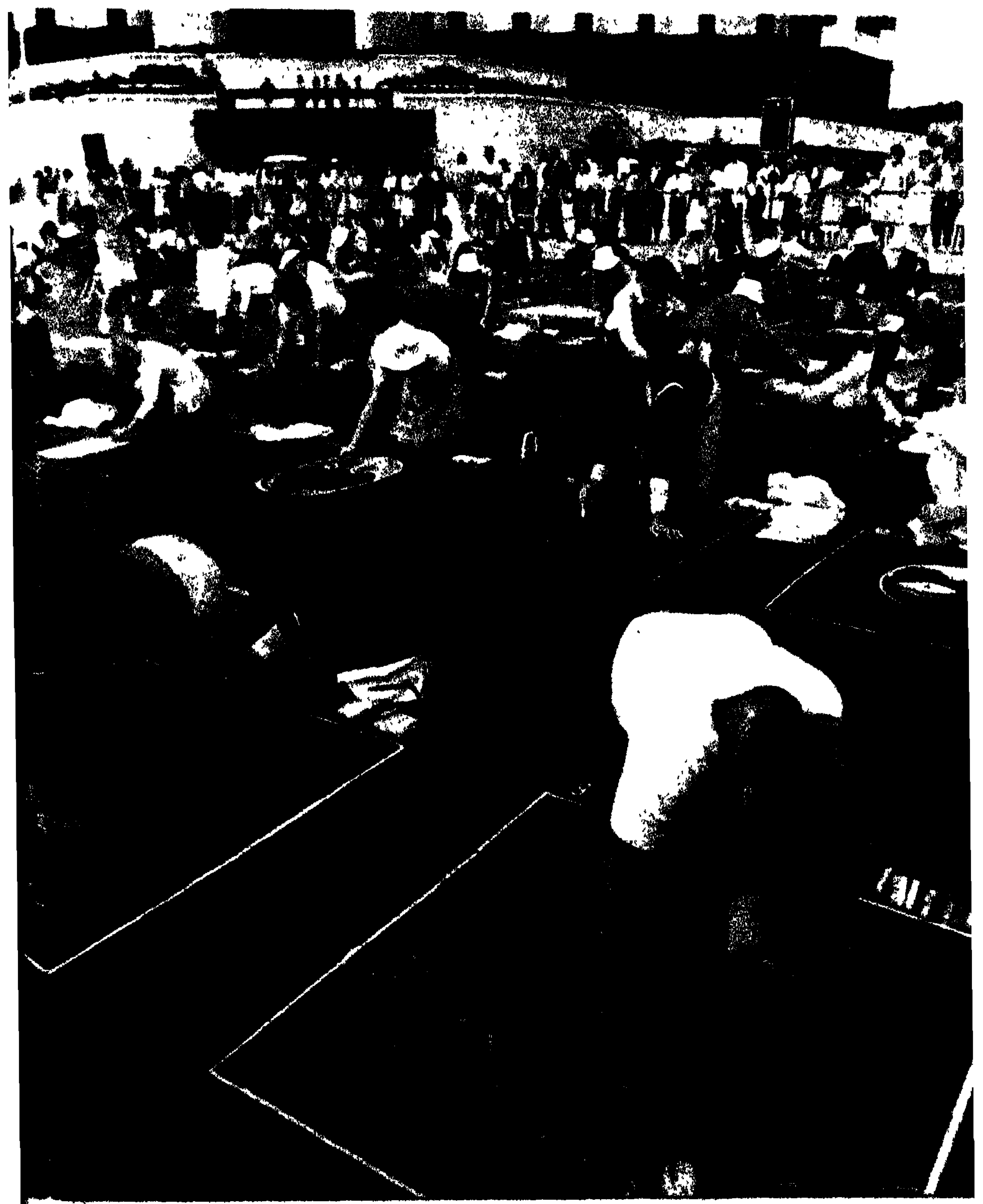
عندما تقوم الحرب لا يوجد للأطفال رأى ، وعندما تضع الحرب أوزارها ، يجد الأطفال أنفسهم وقد خسروا كل شىء : الآباء ، والأهل والأوطان !

هذا ما ينص عليه قانون القوة الذى يعمل الكبار بمقتضاه . . .

لكن الطفولة تمردت وشقت عصا الطاعة ، واتخذت لنفسها مساراً آخر ، وجعلت من صوفيا مكاناً تتخذ فيه القرار . عقد الصغار مؤتمرا أطلقوا عليه اسم « راية السلام » فكيف تسنى لهم ذلك ؟ ومن أين أتوا ؟ وماذاقرروا فى مؤتمرهم الذى لم يكن صغيراً أبدا ؟

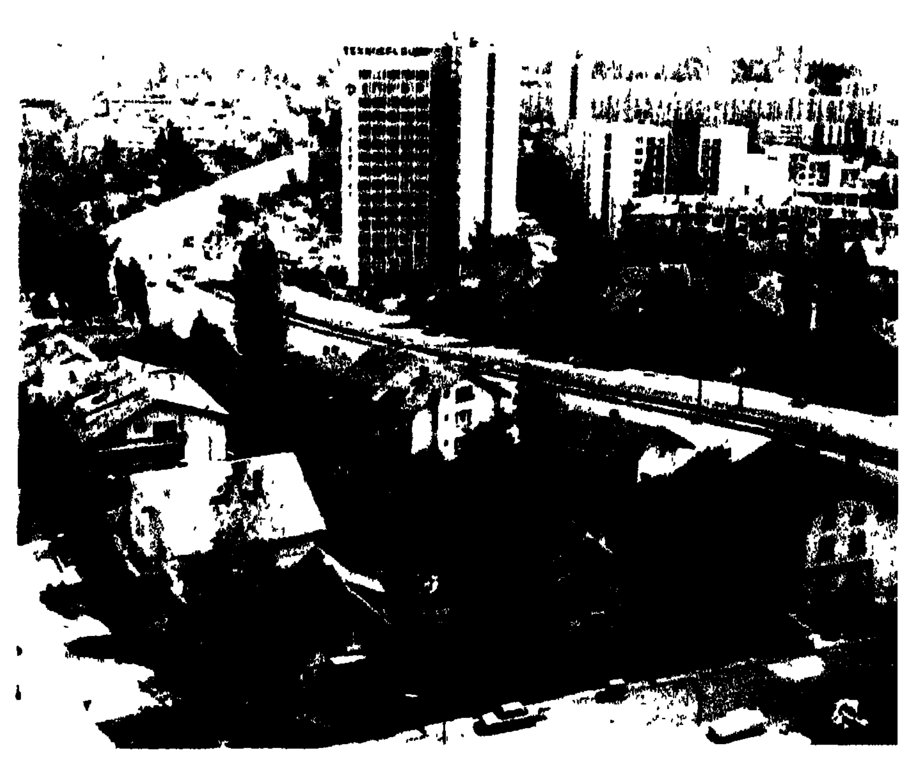


التقى اطفال العـ م
امل ز مستقبل افضل
جمع معهم يحمل
راية السلام و



توزع المشتركون-فتياناً وفتيات - في ساحة واسعة أمام قصر الثقافة ، يعبر كل منهم عن فكرة تداعب خياله ليرسموا لوحة كبيرة تمثل طموح اطفال العالم وآماله .

يمين . احد الشوارع الرئيسية في مدينة صوفيا ، واسفل يمين : ريمية بندلي تغني للسلام . اسفل يسار : فتاة من بلغاريا تعلق شارة الترحيب على صدر احدى الضيفات .







الذى حققته مسارح المقاهى فى صوفيا الى تكوين مسارح مماثلة لها فى مدن بلغاريا الكبرى مثل بلوفديف وفارنا وبورغاس وغيرها .

ومن تقاليد مسارح المقاهى أن يبدأ العرض فى ساعة متأخرة ، فتتناثر الأرائك الوفيرة حول مناضد منخفضة ، وينتظر الحاضرون الى أن يلتئم شمل الجمهور ، وفى تلك الأثناء تعزف الموسيقا الهادئة ، وتقدم أقداح القهوة ، ومعها أطباق الحلوى ، ثم يبدأ العرض على مسرح مرتجل ، دون أن يشعر المشاهدون بالكيفية التى ابتدأ بها وتتكون العروض فى الغالب من مسرحيات عصرية تتميز بوضوح موضوعاتها ، وباحتفالها بالنزاعات الحادة الشيقة ، التى تشد الانتباه وتستحوذ على الاهتمام . أما المخرجون فهم من أشهر مخرجى العاصمة ، وكثيرا ما يشترك فى العرض ممثلون سينمائيون ومسرحيون ممن اشتهروا وذاع صيتهم .

لقد اعترى الاضطراب بعض الممثلين أول الأمر ، ولكنهم سرعان ماألفوا أوضاع التمثيل غير المعتادة ، حتى باتوا يجدون فيها متعة . كذلك أدى قرب المسرح الصغير من الجمهور الى نشوء أسلوب متميز فى أداء الممثلين لأدوارهم ، والى تحقيق أقصى قدر من الدقة فى وسائل التعبير .

ويغلب عنصر الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و ٣٥ سنة على رواد مسارح المقاهى فى صوفيا ، ومعظمهم من أوساط الفئة التقنية الابداعية المثقفة . وعلى الرغم من ارتفاع تذاكر الدخول ، اذا ما قورنت بتذاكر المسارح التقليدية ، فانه يندر العثور على مقعد خال . وتعلن هذه المسارح عن برامج معدة ، فتقدم ثلاثة أو أربعة عروض مسرحية فى الأسبوع ، وتتولى لجنة الثقافة - وهى الهيئة الاجتماعية الحكومية لادارة العمليات الثقافية واتحاد الممثلين فى بلغاريا - الاشراف على هذه النشاطات ، دون تمويلها ، أما الممولون فهم المؤسسات الفندقية البلغارية التى تدفع الأجور وفقا لتعرفة حكومية محددة .

راية السلام . . . . . . لماذا ؟

وتعقد فى صوفيا مؤتمرات اقليمية ودولية ذات اهتمامات ثقافية متعددة منها ما عقد بمناسبة العام الدولى للطفل سنة ١٩٧٩ تحت شعار « راية السلام »

ولقد نمت فكرة « راية السلام » منذ البداية ، وعملت على تطويرها ووضعها موضع التنفيذ شخصية تحتل فى الثقافة البلغارية المعاصرة مكانة مرموقة ، هى الراحلة لودميلا جيفكوفا ابنة رئيس الدولة تودور جيفكوف . وكان لجهودها الشخصية الفضل الأكبر فى بلورة الفكرة . ووضع الأسس النظرية والعملية لها ، وتحديد غاياتها وأهدافها ، وتحويلها من ثم الى حركة دولية تعبر عن نفسها واهتمامها ، بالاجتماع بعقد كل ثلاث سنوات فى صوفيا ، يحضره المدعوون من الأطفال فى مجالات الموسيقا والغناء والفنون التشكيلية والمهارات البدنية من كل أقطار العالم .

تقول لودميلا جيفكوفا وهى تحاول تحديد ماهية اللقاء : « لقد باتت حركة الأطفال التى تعقد لقاءها تحت « راية السلام » متصلة بالبنية الثقافية للشعب البلغارى ، وهى تنبع من الهدف العظيم الذى يسعى الى تربية جمالية ، تعمل على ايقاظ الوعى بالابداع من أجل اتاحة الفرصة لامكانيات الابداع للناس أفرادا وجماعات ، لتخصص لتحقيق التناسق فى كمال الحياة باسم الخير العام للبشرية جمعاء » . وقد اتضحت فكرة حركة « راية السلام » بوصفها مفهوما جديدا لتطوير قدرات الانسان فى كتابها « كمال الانسان والمجتمع » . وعلى الرغم من أن الفكرة كانت قد انبثقت من مناسبة دولية كبيرة ، ومن الدعم العالمى الواسع ، ولكنها جاءت نتيجة لتأملات جادة واهتمام بمصير الانسان والعالم ، وكانت ثمرة تحليل عميق لماهية ومكانة الفنون ، ودورها فى رقي الانسان ، وفى حسن اعداده وتكوينه .

وتشرح لودميلا جيفكوفا السبب الذى دعاها ودعا القائمين على الحركة الى تسميتها باسم « راية السلام » بقولها :

لقد اتخذت مبادرة أطفال بلغاريا اسم راية السلام ، لأن قضية السلام هي المشكلة التى تفرض نفسها على اهتمام الانسان أكثر من غيرها من مشكلات الوجود . فلم يعد التطور ممكنا على سطح هذا الكوكب قبل ايجاد حل لمشكلة الحرب والسلام . ان خلق الظروف الدولية الملائمة لعالم تتعايش فيه الأنظمة الاجتماعية على اختلافها ، من أجل أن يسود التعاون بين الأمم والأقطار والثقافات ، هو ضرورة

تمليها مرحلة التطور التاريخي الراهن . ان الناس من كل شعوب الأرض مدعوون الى الدفاع عن الحضارة الانسانية التي تحققت عبر آلاف السنين . ان هذه الضرورة الملحة هي التي أملت علينا اطلاق اسم « راية السلام » على هذا التجمع الدولي .

وفي الدورة العشرين لليونسكو التي عقدت في نوفمبر من عام ١٩٧٨ بباريس أعلن مديرها العام أحمد مختار امبو بأن لقاء أطفال العالم سيتم في صوفيا في الفترة من ١٥ ـ ٢٥ أغسطس (آب) عام ١٩٧٩ ، وسوف يفتتح تحت رعايته ورعاية رئيس الدولة في بلغاريا تودور جيفكوف . ووصف أحمد مختار امبو اللقاء بأنه واحد من أكثر أحداث السنة الدولية للطفل تأثيرا . وقد تأسست ـ على الفور ـ لجنة تحضيرية لتقوم بالاعداد للقاء وقد رأست هذه اللجنة لودميلا جيفكوفا ، ودعيت شخصيات أجنبية بارزة في مجالات الفنون والثقافة والعلوم والتربية ، وشخصيات أخرى مختصة في أعمال الأطفال الابداعية لتصبح أعضاء فيها

وقام عدد من البلغاريين العاملين في حقول العلوم والتربية والفنون بتوجيه رسالة الى زملائهم في كل أنحاء العالم ، يحثونهم فيها على دعم هذه الفكرة النبيلة ، وعلى مساعدة الأطفال القادمين ، في أن يعبّروا عن أنفسهم تعبيرا حرا ، في كل مجالات الابداع التي يتضمنها البرنامج المعدّ

أطفال الوطن العربي

وافتتح مؤتمر الأطفال في موعده المحدد ، وكان يحتوي على معرض لرسوم الاطفال ، وقاعة احتشد فيها الموهوبون ممن يكتبون الشعر والقصة وأنواعا أدبية أخرى ، وأخذوا يلقون بإنتاجهم أمام لجنة تحكيم من الكتاب والشعراء البلغار والأجانب وجمهور غفير .

كما احتشد في قاعة أخرى عدد من الأطفال الموهوبين ، ممن يتقنون العزف على آلات موسيقية مختلفة . وقد انبثق عن المؤتمر برلمان ، وعقد أول جلساته ، وأصدر فيها رسالة موجهة من كل الأطفال المشاركين الى أطفال العالم . وقد تلقى المؤتمر تحيات كثير من رؤساء الدول وقادة العالم .

وفي عام ١٩٨٢ عقد اللقاء الثاني لمؤتمر الأطفال الدولي « راية السلام » تحت رعاية رئيس الدولة البلغارية ومدير عام اليونسكو وقد حضرته وفود من اثنتين و مئة دولة ، ووصل الى صوفيا ٥٢٨ طفلا وشابا يافعا ، و ١٤٣ من قادة الأطفال والشبان ، في حين اشتركت بلغاريا بوفد من ٤٤٥ طفلا و٤٨ قائداً ، وبذلك يكون المؤتمر الثاني قد اكتسب عضوية ثلاث عشرة دولة جديدة ، وكان الكثيرون من الطلبة والأطفال المشتركين ممن كانوا قد حصلوا ـ في أوطانهم ـ على جوائز تقديراً لنبوغهم في الفنون أو في الآداب ، أو في الموسيقا أو في غير ذلك من المواهب والأنشطة التي ظهرت في اللقاء .

أما المؤتمر الثالث فقد عقد في الفترة من ١٠ الى ٢٠ يوليو (تموز) من عام ١٩٨٥ ، وقد وجدنا أن عددا من أقطار الوطن العربي قد شارك لأول مرة في المؤتمر بأطفال في عمر الزهور ، وقد حاولوا بمواهبهم وقدراتهم الابداعية أن يسمعوا أطفال العالم والمتتبعين لأخبار المؤتمر صوت المستقبل العربي الجميل ، وأن يعرضوا على الناس مايتقنون من الفنون ، ولعلهم استطاعوا أن يرسموا وجها مشرقا للوطن العربي بأفضل مما يستطيعه الكبار ، ولقد صفق الحاضرون طويلا لصوت جميل من لبنان ، وآخر من المغرب ، واستمتع الناس بعروض ورقصات رشيقة لأطفال من سوريا والسودان واليمن والعراق والأردن

وقد تجلت في المهرجان في العرض الافتتاحي مواهب الأطفال المبدعين وحسن الأداء ، ودقة التنظيم والسيطرة التامة على جموع الأطفال وهم بالمئات ، بينما كانوا يجوبون خشبة المسرح في حركات ايقاعية بديعة وكان عدد المشتركين في المؤتمر الثالث من الأطفال ومن هم في سن المدرسة الأولى يربو على ١٢٠٠ طفل وطفلة ، وقد خصصت لسكنهم مبان كثيرة في مدينة الطلبة بصوفيا . ويطلق على مدينة الطلبة في صوفيا اسم « خريستو بوتيف » احد شعراء بلغاريا الكبار .

وفي مدينة الطلبة هذه أقيم معرض كبير هو المعرض الثاني لأعمال الابداع الذي شارك فيه الأطفال وطلاب المدارس . وكان مما يلفت النظر في المعرض الأجنحة التي تركزت عنايتها على « الأطفال



لم يجدن متكأ يوقعن عليه بيان صداقة ومحبة الا ظهر احداهن !



اطفال من جنسيات مختلفة يتبادلون التواقيع للذكرى .



فتيات من بلدان مختلفة يحطن بالبراعمة الآتية من لبنان .





اعلى : تمثال الأم تنتظر عودة ابنها الشاعر ديمتشو ديليا نوف الذى ذهب الى الحرب ولم يعد . يمين : منزل رئيس اتحاد الكتاب فى بلوفديف .

رحلات المعرفة

وبعد ثلاثة أيام من العروض والنشاطات الابداعية المختلفة صباحا ومساء قامت اللجان المنظمة بإعداد رحلات للضيوف صغارا وكبارا للتحول في أنحاء مختلفة من بلغاريا . كانت الزيارة الأولى لمدينة صغيرة لا تبعد كثيرا عن صوفيا وتدعى كوبريف شتيتسا . ولهذه المدينة تاريخ حافل ، فقد بدأت بها الانتفاضة الشعبية العارمة التي قامت للمطالبة باستقلال بلغاريا عن الحكم العثماني . كان عام ١٨٧٦ هو عام الانتفاضة التي تردد صداها في مدن بلغاريا الأخرى وخصوصا المدن الواقعة في جبال البلقان ، ولكنها اجهضت وقتل كثير من أهل المدينة المطالبين بالحرية بعد خمسة قرون من الاحتلال . الا أن بلغاريا حصلت على حريتها واستقلالها بعد تلك الانتفاضة الدموية بعامين ، أي في عام ١٨٧٨ ، بعد أن أعلنت روسيا الحرب على تركيا .

لا يعرف على وجه التحديد من أين جاء اسم المدينة ، ومتى نشأت ولا تعرف كذلك الأصول الأولى لمستوطنيها ، ويذهب بعض المؤرخين الى أنها قد أسست في القرن السادس عشر . أما اسم المدينة القديم فيعني مرج النساء ، نسبة الى امرأة نابهة حسناء ، كانت قد قصدت السلطان العثماني ، ونجحت في استصدار فرمان يعطي للمدينة امتيازات وتسهيلات وامكانيات كبيرة للتطور .

والمدينة ذات طبيعة جبلية لا تصلح فيها الزراعة ، ولكن الظروف الطبيعية الملائمة ، وامكانية رعي قطعان الماشية خلال فصول السنة ، عملت على تربية المواشي ، وعلى اشتغال أهالي المدينة بالحرف ذات الارتباط الوثيق بتلك المواشي ، كصناعة العربات والمنسوجات والعباءات والسراويل والحوارب والأحذية ، وصناعات جلدية أخرى تناسب المناطق الجبلية . كما ازدهرت في المدينة صناعة البسط والسجاد وقد أعلنت المدينة في عام ١٩٥٢ مدينة متحفيةوصدر في عام ١٩٧٤ قرار من مجلس الوزراء باعتبارها محمية قومية معمارية تاريخية . ان ما يقصد بالمحمية هو ابقاء شكل المدينة وطراز البناء فيها على ما هو عليه ، سواء في بيوتها أو في حدائقها . فاذا أراد مواطن بناء بيت جديد في المدينة ، فإن القانون يفرض عليه أن يكون البناء على الطراز القائم في المدينة . وقد بنيت البيوت فيها على النمط البلغاري التقليدي ، حيث تكثر فيها النوافذ والشرفات الزجاجية والجدران الحجرية . وتطلى البيوت بالألوان البيضاء والزرقاء ، وتغطى السقوف بالقرميد ، وتصنع البوابات الخارجية من الخشب الثقيل . كان أهل المدينة يذهبون ببضائعهم التي يصنعونها في الخريف من كل عام الى آسيا الصغرى ، والى مصر والحبشة ، فقد كانوا تجارا ، فضلا عن قيامهم على شئون صناعاتهم المحلية البسيطة . لقد تحولت معظم بيوت المدينة القديمة الى متاحف لا يسكنها أحد ، بل تفتح في بعض الأيام للزوار السائحين ، فإن الفرجة على مقتنياتها من الأثاث القديم ترسم صورة جلية واضحة لأنماط العيش ، لا في هذه المدينة وحدها ، بل في كثير من بلغاريا الجبلية .

وعلى الرغم من أن المدينة أثرية بطابعها، إلا أن فيها تمثالاً لامرأة تجلس حزينة في انتظار عودة ابنها الذي اقتيد الى الحرب ولم يعد ، ولن يعود انه الشاعر البلغاري ديمتشو ديبيليانوف الشاعر الغنائي الرقيق ، الذي أخذ مجندا في الحرب العظمى الأولى وقتل في عام ١٩١٦

عراقة بلوفديف

واذا فرغ الزائرون من الطواف في شوارع مدينة كوبريف شتيتسا ورأوا أنماطا من حياة جبلية تدل عليها آثار أهلها ، اتجهوا بعد ذلك الى مدينة كبيرة تدعى بلوفديف .

ان بلوفديف ليست واحدة من أقدم المدن في بلغاريا فحسب ، بل هي واحدة من أقدم المدن الأوروبية . لقد عرفت هذه المدينة بأنها تتمتع بميزة موقعها على الطريق بين أوروبا وآسيا ، ولطالما تحدث عنها الكتاب والشعراء بحماسة بادية . قال عنها لوشيان المدّاح والساخر الاغريقي القديم الذي عاش في القرن الثاني انها « أجمل وأكبر مدن تراقيا » .

وقد كانت المدينة تحمل اسم فيليب المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد ، اذ كانت تدعى فيليبوليس أما التراقيون فقد كانوا يدعونها باسم بولبوديفا ، في حين كان السلافيون والبلغاريون القدماء يدعونها

سولدين . وظلت تدعى طوال قرون الاحتلال العثماني الخمسة بـ « فيليب » ولم يطلق عليها اسم بلوفديف إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر ، أي بعد الاستقلال .

وفي مدينة بلوفديف آثار باقية من كل العصور . فيها من آثار العصور الوسطى ،ومن آثار عصر النهضة . ومازال بإمكان الزائر أن يرى بقايا الحصون والأسوار والمباني العامة ، والمساكن الخاصة التي يرجع عهدها الى أكثر من الف عام . ولقد عثر المنقبون على آثار في التلال التي تقوم عليها المدينة ، ترجع الى مهد التاريخ الذي أنشئت فيه . فقد عثروا على حجرة عبادة وثنية وفيها مكان للنار،وهو كشف لا يوازيه كشف آخر في بلغاريا لعصور ما قبل التاريخ وعثروا في مكان آخر من التلال على منطقة السوق ، أو مركز المدينة في عهدها القديم ، حيث وجدوا الحجارة الرخامية التي كانت ترصف بها أرض السوق والشوارع ، كما وجدوا أعمدة رخامية في أركان السوق الأربعة ، وكان من بين أروع الموجودات التي عثروا عليها أحد المنشآت الهندسية الفريدة للمدينة القديمة ، وهو ما عرف بالقنوات التي كانت تزود المدينة الكبيرة بالمياه النقية

ويستطيع المرء أن يرى بوابة الدخول الشرقية لمدينة فيليبوس القديمة ، جنوب سور الحصن الذي يعرف باسم (هيسار كابحا) كان عرض الشارع ١٤ مترا ، كما كانت له أرصفة على جانبيه يسير عليها المشاة

ان ما عثر عليه من آثار الشارع يتحدث عن التصميم المعماري المتميز لهذا الطريق القديم ويستطيع الزائر أن يرى في مركز المدينة الحالي،وفي ميدان التاسع عشر من نوفمبر معرضا ملفتا للنظر ، وقد عرضت فيه مواد معمارية ترجع الى عصور المدينة القديمة ،وهي موضوعة بطريقة تفسر تعاقب الأزمنة . ومن بين هذه المعروضات أجزاء من المدرج القديم لمدينة فيليبوليس ، يعود تاريخها الى القرن الثاني الميلادي . كما تم العثور على المسرح المرمري لتلك المدينة ، عندما كان يطلق عليها اسم فيليبوليس . كان مدرج المسرح سليما ، لم يلحق به الا قليل من التلف ، وكانت تزينه في أماكن مختلفة منه تماثيل رخامية . وتتميز المباني العامة والخاصة والمساكن التي كان يأوي الناس اليها في عصر النهضة بطرازها الفريد . المميز . ان ما تبقى من تلك الأبنية والمساكن حتى يومنا هذا يدهشك بألوانه وبأشكال العمارة السائدة في ذلك العصر ، وبالنضارة والسحر الباقي .

ان مدينة بلوفديف أقدم من بلغاريا ذاتها ، ولطالما مرت بها شعوب وحضارات سادت ، ثم أبدعت ، ثم بادت ولقد شيدت الى جانب هذه المدينة وعلى سفوح جبالها مدينة بلوفديف الحديثة ، وظلت بلوفديف القديمة متحفاً حياً لا يسكن فيها الا أربعة آلاف ونيف من الناس ، يقومون على بعض شئونها ، ويشيعون فيها أنفاس الحياة ، ولولاهم لغدت المدينة مأوى للأشباح وللريح العاتية .

وبعد أن طافت وفود أطفال « راية السلام » في بلوفديف القديمة سيرا على الأقدام لتعذر سير الحافلات في كثير من أزقتها ، واستقبلهم حشد من أهالي المدينة ، وأقيم حفل قصير تم فيه تبادل كلمات الترحيب والشكر بين ممثلين عن أهل المدينة ، وممثلين عن الوفد الضيف ، قامت الحافلات بنقل الزائرين ، حيث طافت بهم عددا من شوارع بلوفديف الحديثة ، ليطلعوا على النهضة العمرانية وبعض المعالم ، وليستقبلهم الأهالي باللافتات والورود والملابس الوطنية التقليدية الزاهية . لقد غادرنا المدينة وكثيرون منا يلتفتون الى الوراء ، فان للماضي وللتاريخ وما يبقى منهما جاذبية وسحرا من نوع خاص .

وادي الزهور

واتجه الركب ، وهو يتألف من أكثر من عشرين حافلة ، عبر الأراضي الخضراء والمروج الزاهية بألوان شتى نحو الشمال ، ليبلغ بنا بعد ما يقرب من ساعتين من السير الحثيث جمالاً من نوع آخر . جمال الطبيعة والزهور لقد دخلنا بلدة تقع عند سفوح جبال البلقان ، تحف بها حقول الزهور الشاسعة ، وتأتيها الطيور والفراش أسرابا ، وتحطو بها النسمات على مهل وترو . انها بلدة كازنلوك ، وقد أحاط بها الجمال ، وأحدقت بها الفتنة ، فهي في وادي الزهور .

ولطالما أثارت كازنلوك خيال الكتاب والشعراء وهزت مشاعرهم . وكم من شاعر وصفها برقيق القول وعذب الكلام . يقول عنها الكاتب الهنغاري فليكس كانيتز « ان جمالها لا يعدله جمال » ويصفها الشاعر التشيكي قنسطنطين ارسيك بقوله « انها جمال يبلغ حد الكمال » اما الكاتب الروسي الكبير ماكسيم جوركي فيقول متعجبا « جميل ذلك الوادي ، وادي كازنلوك في بلغاريا » . وما قاله الكتاب والشعراء قال مثله الفنانون والرسامون ، ولكن بلغتهم ، لغة الريشة والألوان .

وللزهور مواسم ، فإن أواخر مايو / أيار وأوائل يونيه / حزيران هي الفترة التي تتفتح فيها الأزهار ، في المنطقة الممتدة بين سلسلة جبال البلقان وجبال سريدنا جورا ، ففي الصباح الباكر تعمل أشعة الشمس في الزهور فعل السحر ، فتتفتح أكمامها ، وتعمل قطرات الندى التي تنضح أوراقها على أن يتضوع عطرها ويفوح أريجها

ويجتمع قاطفو الزهور بسلالهم قبل شروق الشمس ، فإن طبيعة هذا النوع من الزهور تفضل القطاف في أوقات محددة ، والا فان شذاها يتبدد ، ولكن صبر قاطفي الزهور طويل لا ينفذ . ان الفين من تويجات الزهور لا تجود بأكثر من « جرام » واحد من ماء الورد ، ولكنه لا يضاهى ! ذلك لأن وزن كيلو جرام واحد من هذا السائل يعادل في قيمته كيلو جراماً من الذهب وليس هناك شركة من شركات انتاج العطور في أوروبا لا تدخل ماء الورد كمادة أولية من مواد صناعتها ذات القيمة المرتفعة . وتقوم بلغاريا حاليا بإمداد السوق العالمي بما لا يقل عن ٧٠٪ مما يتوفر فيه من ماء الورد

لقد مضت أكثر من ثلاثة قرون على تلك الزهور الزيتية ، وهي تنمو وتتفتح في ذلك الوادي الآمن ، حتى غدت رمزا من رموز بلغاريا . كان سكان المنطقة قد بدأوا في أوائل القرن الثامن عشر بانتاج ماء الورد في معامل تقطير صغيرة ، وفي عام ١٨٦٠ قام تجار كازانلوك بتصدير أول كمية من ماء الورد الثمين عبر مدينة اسطنبول . ويقوم الآن مختصون في معهد البحث العلمي للزهور والزيوت الأساسية والنباتات الطبية في مدينة كازانلوك بالتصدي للمشكلات التي تواجهها الزهور .

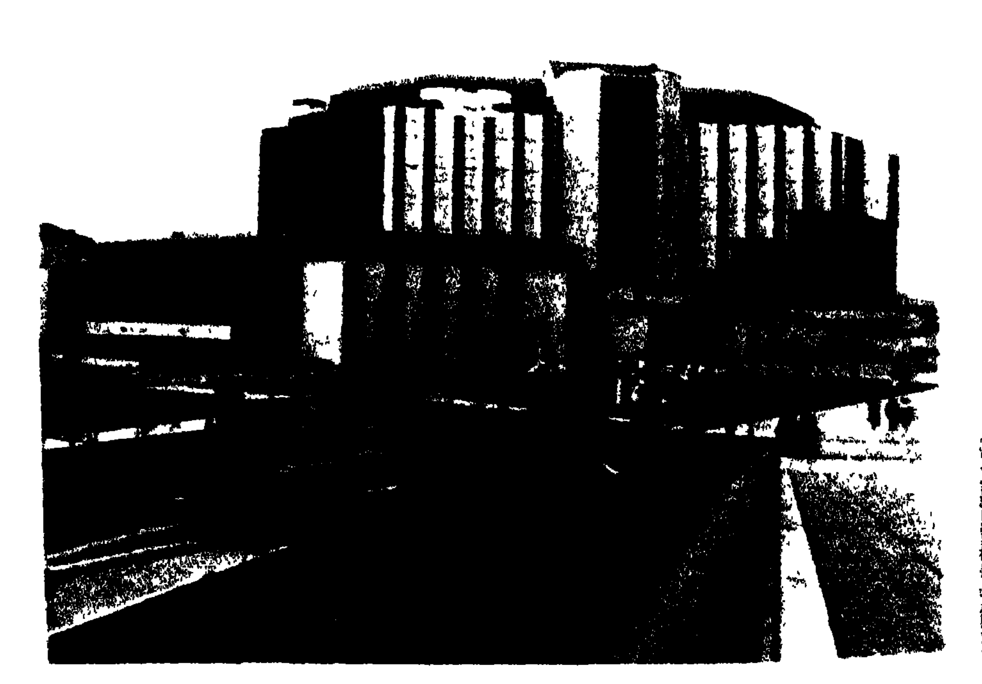


ماالذي يخبئه المستقبل لهذا الطفل الساعي الى النزهة في عربة ؟ (أعلى)

فتاة تقدم المناديل المعطرة بماء الورد (أسفل)



الراحلة لودميلا جيفكوفا مؤسسة حركة راية السلام وسط الاطفال من بلغاريا . (أعلى) قصر الثقافة فى قلب العاصمة البلغاريةصوفيا ، صرح ضخم ، خصص للندوات واللقاءات الدولية . (اسفل)



ويزرع في الحقول التجريبية للوادي أكثر من ٢٥٠ نوعا من الورود الريتية . وللزهور طقوس وأعياد تبدأ عادة في موسم القطاف ، ويستعد لها الشباب من الجنسين ، ويلبسون الأزياء الوطنية الملونة ، ويستهلون قطف الزهور بالغناء والرقص الشعبي . في الوقت الذي يقوم فيه الأطفال بوضع أكاليل الزهور حول أعناق الزائرين

المركز الدولي للشباب

ويغادر ركب الصيوف في اليوم التالي بعد قضاء ليلة في تلك الأرض العامرة بألوان شتى من الجمال ، ويتجه شمالا نحو الشواطىء ، فيمر بمدينة برجاس الساحلية الجميلة ، ثم ينعطف قليلا نحو الجنوب ليصل الى مركز الشباب الدولي على ساحل البحر الأسود ، حيث يلتقي شباب من عشرات البلدان في صيف كل عام ، في بلدة صغيرة تدعى بلدة بريمورسكو . وفي هذا الموقع ذي الاسم الرومانسي شرع الشباب البلغاري منذ خمسة وعشرين عاما في تشييد مركز دولي للاستجمام ، واختاروا له في ذلك الحين اسم واحد من قادة بلغاريا التاريخيين ، وهو جورجي ديمتروف . ويتحدث المشاركون في تأسيسه الآن عن تلك الأعوام بالرضا ، ولكن من الذي كان يقطن تلك الأماكن قبل اقامة منشآت المركز فيها ؟ يجيبون بقولهم : انها القنافذ والثعابين ! فقد كانت الغابة الكثيفة تبدأ من شاطىء الرمال الناعمة ، وكانت تعج بالثعابين . ولما جاء عمال البناء لوضع أسس البنايات المنتظرة ، أدركوا أنهم لن ينتهوا من ذلك في الموعد المحدد دون نجدة المساعدين.أما البداية فكانت متواضعة ، فلم يكن المعسكر يتكون في عام ١٩٥٩ من أكثر من خيام تكفي لايواء أربعمائة شخص .

ان امكانيات المركز الدولي للشباب في الوقت الحاضر تجعل منه واحدا من المراكز المهمة بين المنتجعات التي تماثله في البلدان الأخرى ، من حيث سعة الخدمات ، وتعدد الأنشطة الثقافية ، التي يستطيع الزائر ممارستها ، ولا تخلو الأمسيات من حفلات رقص شعبي يقوم به الأهلون ، ومن ألعاب رياضية متنوعة توفرها الساحات المتعددة ، والمجمع الرياضي الذي يضم ملعبا لكرة القدم ، وساحات التنس ، وصالة مسقوفة لكرة الطاولة وغيرها من الألعاب ، أما الأطفال فلهم ركن خاص وقطار صغير يجوب الممرات . ولقد سعد أطفال مؤتمر « راية السلام » بما وجدوه من متعة .

وعلى الرغم من أجواء الرياضة والثقافة الغالبة على هذا المركز - المنتجع ، فإن فيه اذاعة محلية تبث نشرات الأخبار اليومية بلغات متعددة لتعدد لغات الشباب الذين يؤمون مركز بريمورسكو . وتنطلق من هذا المكان رحلات الى المدن البلغارية على ساحل البحر الأسود ، مثل مدينتي فارنا وبورغاس وغيرهما من المدن والمنتجعات ، ولكن الشيء الذي يسترعي قدرا من الاهتمام هو التعرف على نمط الحياة في بلغاريا . فزيارات الصيد والنزهة في نهر روبوتامو القريب ، ونزهات الهواء الطلق عند سدود المياه ، أو التعرف على الحياة في بيت ريفي ، كل هذه ذكريات لا تمّحي من الذاكرة ، ولعل ما لفت انتباه الكبار والصغار على السواء أولئك الشباب الذين يسيرون فوق جمر متقد وهم حفاة .

تختفي مباني المركز البيضاء عن أنظار البحر وراء الغابة وكثبان الرمل العالية . وقد كان الجمع بين البحر والجبل في هذا الموقع مدهشا حقا ، فمن الغريب أن تضرب أشجار الصنوبر جذورها في أعماق الرمال الناعمة على حافة البحر ذاتها ، ولا تنتهي مفاجآت بريمورسكو بذلك ، فلربما لا يعلم الا القليل من زوارها صيفا أن مساحتها البالغة ١٨٠ هكتارا هي محمية طبيعية مأهولة ، تتولى الدولة رعايتها والعناية بها . وينبت فيها أكثر من خمسة وسبعين نوعا من الاشجار . وتوجد وسط الأحراش الكثيفة أشجار البلوط والغار وأنواع كثيرة من الصبار .

وتنتهي أيام الرحلة ، ويحين موعد العودة الى صوفيا ، حيث تتابع الوفود أعمالها التي توقفت عند بدء الرحلة . فعرضت أعمال للاطفال الموهوبين على لجان مختصة ، للحكم عليها وتقرير الفائزين ، وفي ختام أعمال المؤتمر عقدت جلسة لبرلمان الاطفال ، وقد أعربوا في المقررات التي اتخذها مجلسهم عن أمانيهم في أن يسود السلام ربوع العالم ، وتحل المحبة محل البغضاء . □

اقوال

■ الأدب يتبع لسانه ولغته،ولهذا لانقول أبدا أن الايرانيين الذين كتبوا بالعربية خلال القرون الوسطى أنهم أضافوا شيئا ما الى التراث الايراني ، ان ابن سينا والرازي والغزالي وغيرهم أضافوا الى التراث العربي لأنهم كتبوا باللغة العربية

جاك بيرك

■ مجافاة الشاعر للعالم تعتبر غاية الحب،أو ذروة الذروات في الحب ، عندما يجافي أكثر فانه يحب أكثر وأكثر لأنه يريد لهذا الذي يحبه أن يكون أفضل مما كان .

الشاعر عبدالله البردوني



عبدالله البردوني

■ اننا نشكل جسدا امتصاصيا يتلقى كل شيء دون أن يكون مزودا سلفا ببنى فكرية تسمح لنا بطرح الأسئلة بشكل ملائم

جمال الدين بن شيخ

استاذ جزائري في جامعة باريس الثامنة



د . لويس عوض

■ الأمة التي تبدأ في لحظة ما بالخوف من الأفكار ، تكون قد بدأت تعيش تدهورها

جوسلين صعب

مخرجة سينمائية لبنانية

■ ان الأغصان الأكثر اثمارا في الثقافة العربية ، انما تنتشر خارج الوطن العربي

سليمان زعيدور

كاتب ورسام جزائري



اميل حبيبي

■ كيف نمشي مع الحائط الواقف ، وهو واقف على صدورنا !

اميل حبيبي

كاتب من فلسطين المحتلة

■ لقد أصبح طه حسين العدو الأكبر للرجعية العربية ، لأنه ملأ أرض العرب بالقلق الفكري ، ومن ثم بالقلق الاجتماعي

د لويس عوض



شكل (١) تأمل هذه الأشكال القائمة على أرضية الغابة . هل تستطيع معرفة الذي شيدها بهذا النظام ؟ لمعرفة الجواب ، راجع المقال



وجه «بالبوصلة» في حياتهم مهتدو

بقلم : الدكتور عبد المحسن صال

« ليس الانسان هو أول مخلوق اخترع البوصلة فهناك كائنات استخدمت البوصلة قبلنا بأكثر من ٥٠٠ مليون عام ، وما زالت هذه الكائنات تحمل داخل مادة الحية ما يشبه الابرة المغناطيسية او البوصلة !!

ان نظرة فاحصة على الصورة المنشورة في الصفحة المقابلة (شكل١) ، قد تعطيك ...عا مبدئيا عن تشكيلات قائمة ، تحسبها ـ لأول ...ـ شواهد قبور يحدد بها الأحياء معالم الأموات ـ ...الى حين ، أو قد يحسبها البعض كتلا شبه متساوية ...صخور بازلتية صلبة تشكلت بعوامل التعرية ، أو قد ...تكون من عمل سكان الغابة البدائيين لاقامة ...طقوسهم الدينية ، أو أي أمر آخر قد يكون مناسبا ...ان الصورة ، لكن كل ما يخطر ببالك ، فالصورة ...ر ذلك ، اللهم الا اذا كنت من دارسي الطبيعة ...ية ، أو من المطلعين على أسرارها الخفية ، وعندئذ ...سوف تدلني معنا بدلوك في الموضوع

وأيا كانت الأمور ، فإن الشيء المميز لهذه ...التشكيلات أنها قد جاءت ـ كما تراها ـ باتجاهات ...محددة ، وأشكال هندسية معينة ، أي أنها ذات ...أضلاع وزوايا تنم عن فكرة في التشييد ، لم تأت ...هكذا اعتباطا ، بل جاءت لتحفظ على سكان هذه ...المنشآت حياتها ، وتمدها بنسبة مضبوطة من حرارة ...الشمس ، حسب مبادىء عملية وتقنية لم يعرفها ...الانسان الا حديثا !

...ليس خافيا عن أحد أن بناء حائط يواجه أشعة ...الشمس بجبهته العريضة ، سوف يستقبل حرارة ...أكثر مما لو كان الحائط الضيق هو الذي يواجه ...أشعته ، لأن المساحة المعرضة أكبر بكثير في الحالة ...الأولى من المساحة في الحالة الثانية .. من أجل هذا ...جاءت هذه البنايات التي تشبه الحوائط لتواجه المشرق ...والغرب بسمكها الضيق ، وهو سمك لا يتجاوز ...... أو ثمانين سنتيمترا ، لكن الواجهة العريضة ...قد يبلغ امتدادها أكثر من ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ما بين ...ثلاثة وخمسة أمتار ، فتتجنب الأشعة الساقطة عليها ...طوال ساعات النهار ، ولهذا صار اتجاهها دائما ...ممتدا من ناحية ، والناحية الأخرى صوب ...الجنوب ، وهي التي تواجهنا في الصورة . وبعملية ...حسابية بسيطة يتضح أن مساحة هذه الواجهة تبلغ في ...المتوسط حوالي ١٤ مترا مربعا ، لكن المساحة التي ...تواجه الشمس لا تتعدي أربعة أمتار مربعة ، وطبيعي ...أن تختلف كمية الحرارة الساقطة على هذه المساحة أو ... . وكذلك الزمن الذي تتعرض فيه الواجهتان

الصفيحتان العريضتان لأشعة الشمس ما بين شروق وغروب ، وعندئذ سوف يتضح أن هذه البنايات المتواضعة ظاهرا ، والمنسقة باطنا ، لم تشيد على أسس معمارية فقط ، بل أيضا على أسس من الديناميكا الحرارية ، ولا ننس كذلك ملاءمة ذلك للبيئة ، ومعرفة البناة بالاتجاهات الأصلية ، رغم أنهم لا يرون شمسا ولا نجما ، بل يعيشون بعيدا عن الأضواء في ظلمات المستعمرات !

ترى عم نتحدث ؟ وما طبيعة هذه الكائنات التي تعرف الجهات ، وتدرك مبادىء العلوم والهندسة والتقنية والحسابات ، رغم أنها لم تذهب الى مدارس أو جامعات ، بل تعيش في عالم آخر تطويه الظلمات ؟

الواقع أننا نتحدث عن مخلوقات مغناطيسية مخلوقات لم تهبط من الفضاء ، بل نشأت على الأرض قبل أن ننشأ عليها بنحو عشرات الملايين من السنين ، وراحت تبني وتشيد على أصول لم يعرفها البشر دون الحضارات العريقة الا منذ عدة آلاف من السنين !

إبر مغناطيسية حية

تلك المخلوقات التي قامت بهذه الانشاءات ، ليست ـ في الحقيقة ـ الا حشرات ، لكنها مع ذلك تلقننا درسا مؤداه : إن براءة اختراع الابر المغناطيسية ، لاستخدامها في تحديد الجهات الأصلية ، ليست من بنات أفكار الانسان ، بل تعرفها بعض ممالك النمل الأبيض ، وعلى أساسها أنشأت تلك الدور التي تراها منتشرة في احدى غابات القارة الاسترالية ، ونظرا لأن هذا النوع يبني مستعمراته في اتجاهات محددة ، فقد أطلق الناس عليها اسم مستعمرات البوصلة أو الابر المغناطيسية ، لأن هذه بدورها تتخذ وضعا محددا بالنسبة للمجال المغناطيسي الأرضي ، ومنه يعرف الانسان هناك أيضا الاتجاهات الأصلية

وليس من المعقول طبعا أن كل حشرة من مئات الألوف التي شاركت في بناء المستعمرة قد استعانت ببوصلة ، أو حملت معها ابرة مغناطيسية لتحدد بها الشمال من الجنوب ، أو الشرق من الغرب ، لكن المغناطيس مشيد في داخلها ، وهو جزء حقيقي من

تكوينها ، أو هو « تراث » وراثي يحمله السلف عن الخلف منذ ملايين السنين ، وبه يهتدي ويخطط وينسق ، فتأتي مستعمراته بأوضاع لا تحيد عنها ولا تميد !

ولقد ظل معظم العلماء متشككين في امكان وجود مثل هذه التصميمات داخل الكائنات الحية ، وبحيث تهبها حاسة جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم الحاسة المغناطيسية ، ذلك أن كشف المجالات المغناطيسية لا يتم الا عن طريق خامة معدنية ممغنطة ذات شكل محدد ، ووضع معين ، وطرفان : أحدهما موجب ، والآخر سالب ، ولقد ظل العلماء يبحثون عن سر هذه الحاسة الغامضة التي يهتدي بها كثير من الكائنات في البر والبحر والجو ، خصوصا عندما تهاجر هجرات كبرى ، وتتوجه الى أماكن محددة تبعد عن مواطنها بآلاف الأميال ، دون أن تستعين بشمس أو نجوم ، اذ يحدث أن تظل السماء ملبدة بالغيوم لأيام قد تطول ، ومع ذلك تستمر الطيور موجهة بدقة بالغة الى أهدافها ، أو الأسماك المهاجرة الى مواطنها ، أو حتى هذه الحشرة التي تبني بيوتها في اتجاهات محددة ، وهو أمر يستدعي وجود حاسة غامضة تهديها سواء السبيل .

ومن خلال البحوث العميقة التي يجريها العلماء للكشف عن سر هذه الحواس الغامضة في الكائنات ، بدأت البشائر تظهر في أحد أنواع الميكروبات التي تسكن مياه البحار والمحيطات ، ثم تلا ذلك الكشف عن أنواع أخرى يمكن توجيه حركتها بمغناطيس ، وبحيث تنجذب اليه ، أو تبتعد عنه ـ يتوقف ذلك على نوع القطب المغناطيسي ، أي إذا كان سالبا أو موجبا .

هل يعني ذلك أن تلك الكائنات ممغنطة ؟ . . أي هل هي بمثابة ابر مغناطيسة يمكن تحريكها بواسطة مجال مغناطيسي ؟ .

هو ذاك تماما ، رغم أنه كان من العسير هضم هذه الحقيقة منذ سنوات قليلة مضت، لكن الدليل المكتشف قوي وواضح ، فمن خلال تشريح جسم الميكروب الدقيق جدا الى شرائح رقيقة غاية الرقة ، ثم تكبيرها بالميكروسكوبات الاليكترونية عشرات الألوف من المرات ، جاءت الصور التي نشرت لأول مرة عام ١٩٨١ دامغة ، وفيها ظهرت الأجسام المغناطيسية الرقيقة كعُقَد به حبات منظومة ، وعند تحليلها تبين أنها احد أنماط أكاسيد الحديد الممغنطة ، ويعني ذلك ببساطة شديدة أن بعض أنواع الميكروبات تحمل في مادتها الحية ما يشبه الابرة المغناطيسية أو البوصلة ، وبها تهتدي الى المجال المغناطيسي الأرضي الأكبر . . أي أن أول من استخدم البوصلة قبلك بحوالي ١٥٠٠ مليون عام (هو تاريخ ظهور هذه الكائنات على كوكبنا) كان ميكروبا دقيقا لا تراه عيوننا لضآلته المتناهية (شكل ٢) ، ولقد كان هو بحق أول « ملاح » أو « بحار » يستعين ببوصله حقيقية ، وليس الانسان الذي قد يدعى أنه أول مخلوق اخترع البوصلة واستخدمها في الأسفار !

سر غريب يتكشف

ولقد تحير العلماء وتساءلوا : ماذا يفيد بعض أنواع الميكروبات امتلاكها لبوصلة طبيعية ، رغم أنها من الكائنات الدقيقة الهائمة في أي اتجاه ، ولن يضيرها حقا اذا سبحت غربا وشرقا ، أو شمالا وجنوبا ، أو فوقا وتحتا ؟

وهذا صحيح ، لكن يبدو أن الحياة تريد أن تلقنا درسا عظيما ، اذ لا يجب علينا أن نطوع أمور الكون لما رسخ في عقولنا من أفكار تقليدية بل علينا أن نطوع عقولنا لنواميس الكون والحياة ، فإن فعلنا تقدمنا ، وان أبينا تخلفنا ، ولقد تقدم العلماء التجريبيون في هذا المضمار خطوات جبارة ، وحقق العلم انجازات كانت الى عهد قريب أشبه بالمعجزات ، ذلك أنهم كشفوا الحجاب عن القوانين التي يسير على هديها كل ما في الأرض والسموات ، وأهمها على الاطلاق شريعة المخلوقات ، بداية من الميكروبات ، وانتهاء بالانسان سيد الكائنات . . ومن هنا نعود الى هذا الميكروب « الملاح » او المغناطيسي لنرى ماذا يفيده من تلك البوصلة التي حملها في تكوينه ، ثم الى أين يتوجه ، وبهذا يتبين لنا أن هذه الحاسة الغريبة لم تخلق عبثا ، بل ان من ورائها حكمة وتدبيرا ، ووحى نظام جميل لقوم يبحثون ويفكرون ويتدبرون !

ان هذا الميكروب (وشيعته من أنواع أخرى حملت بوصلات موجهة) ينتمي الى قبيلة الكائنات

له هوائية ، اي التي تعيش في غياب الأوكسيجين ، وهـ ، احدى مفارقات الحياة الغريبة ، فكأن ما يحييها يسمنا ، وما يقتلنا يحييها . . المهم أن تلك الأنواع التي تكره الأوكسيجين ليس لها عين ترى بها ، ولا انف تشم به ، ولا عقل تميز به الطيب من الخبيث . .

انه مجرد خلية حية تسبح على غير هدى ، لكن السباحة العشوائية قد تؤدي الى هلاكها ، ولا بد أن تبحث عن بيئة في البحار والمحيطات خالية من الاوكسيجين ، وهذه البيئة موجودة على القاع ، وعلى القاع ترتكز مواد عضوية رسوبية كثيرة لها فيها غذاء ميسر ، وفيها أيضا ينعدم الأوكسيجين ، أي أنها بيئة لا هوائية ، وهكذا فقد ضربت عصفورين بحجر واحد ، وهذا هو المراد من رب العباد فلكي يصل الميكروب الى مراده ، فلا بد له من مؤشر يدفعه في الاتجاه الصحيح ، وكأنما هذا المؤشر يرسم له خريطة دقيقة للمجالات المغناطيسية الأرضية التي تكمن في باطن الكوكب أو تنبع منه ، فتؤثر في ابرها المغناطيسية ، وتحدد اتجاهها في أي زمان ومكان . وكذلك في « ابرة » الميكروب !

لكن الميكروب « الملاح » لا يهمه أن يعرف الاتجاهات بقدر ما يهمه أن يسبح نحو القاع . . صحيح أن هذه الميكروبات تسبح نحو القطب الشمالي اذا عاشت في نصف الكرة الشمالي ، ونحو القطب الجنوبي اذا كانت في الجنوب ، وهي في هذا تتبع ابرها الممغنطة قوانين المغناطيسية ، ثم ان التجارب الكثيرة التي قام بها العلماء في هذا المجال توضح ذلك أجمل توضيح ، فلو انعكس المجال المغناطيسي حول الميكروب ونحن ننظر اليه من خلال الميكروسكوب ، فانه يعكس اتجاهه في غضون ثانية واحدة ، مطيعا بذلك أيضا قوانين المغناطيسية ، ولن نتعرض لذكر المزيد من تلك التجارب نضيق المجال ، فالذي يهمنا أن نشير اليه أن ذلك المغناطيس الميكروبي ينجذب الى القاع حيث يكمن المغناطيس ، وكأنما هو حبيبة من برادة حديد تنجذب نحو قطبي مغناطيس . وبهذه الفكرة البديعة سار يوجهه نحو الهدف على أسس من مبادىء تقنية الله ، ولكل خلق ما يناسبه !

عود على بدء

واذا كانت تلك الأنواع من الميكروبات المغناطيسية تتوجه الى رسوبيات القاع حيث البيئة فيها حد مناسبة ، كذلك جاءت أنواع خاصة من النمل الأبيض لتبني مستعمراتها في اتجاهات محددة ـ كما سبق أن أوضحنا ، وهي بنايات تناسب البيئة السائدة كذلك ، ورغم أن العلماء لا يدركون كيف يدرك النمل أصول البناء في الاتجاه المحدد بالذات ، وخصوصا أنه لا يرى الأبعاد ولا الاتجاهات ، ولا يميز الهندسة الفراغية كما نميزها ، الا أنه مع ذلك قد أصبح سيدا في معماره ، ورائدا في فنه ، ولهذا لم يخطىء الذين أطلقوا على مستعمراته اسم مستعمرات البوصلة ، لأن واجهاتها العريضة تشير دائما الى الشمال والجنوب ، رغم أن الذين أطلقوا الاسم لم تكن تساورهم أدنى فكرة عن امكان وجود بوصلة أو ابرة مغناطيسية في جسم كل حشرة من هذه الحشرات ، كذلك لم يتوقع العلماء امكان وجود أكاسيد حديد ممغنطة تتخذ صفة البوصلة ، وخصوصا وأن الكشف عن هذه الحقيقة قد جاء بمحض الصدفة !

يذكر لنا فيتوس دروشر في كتابه الممتع « سحر الحواس » قصة هذا الاكتشاف فيقول : « في نهاية عام ١٩٦٢ تسلم البروفيسور جونتر بيكر من المعهد الفيدرالي لاختبارات المواد ببرلين طردا من روديسيا به ملكات شابات لنوعين من النمل الأبيض ، وفي المساء أفرغ محتويات الطرد في وعاء خاص ، حيث توزعت الملكات في اتجاهات شتى ، لكنه رأى ـ لدهشته ـ الملكات في صباح اليوم التالي وقد تمددت في تنظيم فريد ، وبحيث اتخذت بالضبط اتجاها يشير الى الشرق والغرب . . عندئذ قام بحرص بالغ في تحويل اتجاه الصندوق بمقدار ٩٠ درجة (ودون أن يزعج الحشرات) ، لكنها غيرت اتجاهها بعد عدة ساعات ، بحيث اتجهت رؤوسها من جديد نحو الشرق أو الغرب . . ولقد استكانت لهذا الوضع وكأنما هي تشبه ابرا مغناطيسية ، ولقد دفعت تلك الملاحظة بروفيسور بيكر ليقوم باختبار جديد ،



شكل (٢) مستعمرة للنمل الأبيض الافريقي ، وهي - كما نرى - شبه اسطوانية ، أي ليست على نمط مستعمرات النمل الأبيض الاسترالي ، ولهذا لا يبدو أنها قد شيدت بتأثير المجال المغناطيسي ، رغم أن الكائنات التي بنتها بها ما يشبه الابر الممغنطة



شكل (٣) على رأس الحمامة دائرة كهربية صغيرة ينتج منها مجال مغناطيسي يمكن عكسه ، بحيث يؤثر على توجيه الحمامة توجيها صحيحا أو خاطئا . ولن يحدث ذلك الا بوجود حاسة مغناطيسية في رأس الحمام . وبالفعل وجدها العلماء على هيئة حبيبات ممغنطة !

فأحصر مغناطيسا قويا ، ووضعه فوق الحشرات المستكينة في اتجاهات مختلفة ، فكانت دائما تغير اتجاهاتها ، وبحيث تتخذ وضعا موازيا لمحور المغناطيس » !

وقد دفعت هذه النتائج المنشورة بعض العلماء كي يكشفوا سر هذه الملكات في مواطنها ، اذ كانوا يقتربون منها في مخابئها بحذر بالغ ، حتى لا يزعجها تنقيبهم ، وفي كل مرة كانوا يجدون هذه الملكات ممددة إما في اتجاه الشرق والغرب ، أو في اتجاه الشمال والجنوب ، فهذا يتوقف على نوع الحشرة . ورغم ذلك فإن مستعمراتها تتخذ نمطا آخر في البناء (شكل ٢) . وهو - كما ترى - يشبه اسطوانة ، يستثنى من ذلك بيوت النمل الأبيض الاسترالي الذي يبني مستعمراته بطريقة خاصة أشرنا اليها من قبل

بوصلات أخرى حية

وفي مجال البحث العلمي بدأ الكشف متواضعا . لكنه - مع ذلك - يقود الى كشوفات أخرى تبصرنا بما ينطوي عليه عالمنا من أسرار تستحق أن تعرف ، وبعضها تتطلب أن تدرك . فذلك يضع حدودا لحيرتنا وتساؤلاتنا عن تلك الحواس الغامضة التي تمتلكها بعض الكائنات ، وبها تقوم بانجازات تعجز عن تصورها

المهم أن بعض الأمور قد بدأت تتضح ، فلقد ثبت أن النحل مثلا يستخدم أكثر من وسيلة ليحدد بها اتجاهاته بين غدو ورواح ، وقد تباعد المسافات بينه وبين خليته ، لكنه مع ذلك يعود اليها . وكأنما هو يحمل معه خريطة غامضة بمعالم الطريق ، ولقد قيل انه يهتدي بمواقع الشمس في السماء ، والتجارب الكثيرة التي أجريت على هذه الحشرة توضح ذلك ،

لكن أحيانا ما تتلبد السماء بالغيوم لأيام قد تطول ، ومع ذلك لا يضل الطريق ، وعندما تبين أن للنحل بوصلة دقيقة من الحديد الممغنط في مقدمة بطونه ، وبها يحدد اتجاهاته بالنسبة للمجال المغناطيسي الأرضي ، تأكد للعلماء أنهم أمام ملاح حشري ، وبوصلته يحلق في الهواء أنى شاء ، ثم يعود وكأنما « ابرته » الممغنطة تحدد له الزوايا والاتجاهات ، ليس فقط في الأسفار ، بل أيضا في بناء زوايا وأضلاع خلاياه .

وكالنحل يكون الحمام ، وأسفار الحمام قد حيرت الأنام ، فمن قائل انه يستعين بنجوم محددة اذا أقبل الظلام ، ومن قائل انه يهتدي بمعالم ارضية ترشده سواء السبيل ، أو أنه يسترشد نهارا بمواقع الشمس ، أو يستخدم حاسة مغناطيسية .. الخ ، ولكل ادلته وبراهينه على صحة ما يقول ، عدا تلك الحاسة الغامضة ، فلكي تدخل وسائل الارشاد ، فلا أقل من تحديد مكانها ، والكشف عن طبيعتها ، لكن الجهود التي بذلت في هذا المجال قد ذهبت أدراج الرياح . صحيح أن التجارب التي أجريت على الحاسة المغناطيسية عند الحمام تؤكد أنها موجودة ، من ذلك مثلا أن العلماء قد وضعوا على رأس الحمام دائرة كهربائية تؤدي الى خلق مجال مغناطيسي (كما في فكرة الجرس الكهربي مثلا) ، ومن الممكن عكس التيار ، فينعكس المجال المغناطيسي تبعا لذلك (شكل ٣) ، وبتلك الفكرة صمموا تجاربهم وبحوثهم .

وفي مثل هذه التجارب ، يؤخذ الحمام بعيدا عن موطنه في سيارة أو طائرة ، ثم يطلق من حيث يكون في يوم ملبد بالغيوم ، وعندئذ قد يهتدي الحمام الى موطنه أو لا يهتدي ، فهذا يتوقف على اتجاه سريان التيار ، وما يترتب عليه من خلق مجال مغناطيسي يتوافق أو يتعاكس مع المجال المغناطيسي الذي يعتقد بوجوده في رأس الحمام .. أي قد يلغيه ، فيضل الحمام ، أو يقويه ، فيهتدي .. التجربة لا شك جميلة ، والنتائج مريحة ، لكن اين تقع « البوصلة » في الحمام ؟

الواقع أن الباحث عنها يشبه الى حد بعيد الباحث عن ابرة صغيرة في كومة كبيرة من القش ، ذلك أن الحبيبات المغناطيسية دقيقة غاية الدقة ، فالبوصلة الصغيرة جدا في بطن النحلة التي لا ترى [illegible] بالميكروسكوبات الأليكرونية - هذه البوصلة يدخل [illegible] تكوينها أكثر من مائة مليون حبيبة من أكاسيد الحـ[illegible] الممغطة ، وهذا وحده يعطيك فكرة واضحة [illegible] ضآلة البوصلة وحبيباتها .

ورغم كل هذه الصعاب ، فقد تمكن فريق [illegible] علماء المعهد التقني بكاليفورنيا منذ ثلاث سنوات [illegible] كشف غموض الحاسة المغناطيسية عند الحمام ، ووجدوها بالفعل في مؤخرة عظام رأسه ، وبـ[illegible] تتوزع على هيئة نظام عجيب من مئات الملايين [illegible] الحبيبات الممغنطة ، واطمأن العلماء لهذا الكشف المثير ، خصوصا أولئك الذين كانوا يعتقدون في و[illegible] حاسة مغناطيسية عند الحمام قبل ذلك .

ومن جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس يظهر [illegible] حديث للدكتور روبجر ورملائه،وفيه يقررون أنهـ[illegible] اكتشفوا « البوصلة الحية » أيضا في الدلافين ، و[illegible] أن قوتها أقوى من قوة المجال المغناطيسي الأر[illegible] بحوالي عشرين مرة ، أما موقع المادة الممغنطة فمو[illegible] في النسيج الممتد فوق مخ الدلفين (الأم الجافـ[illegible]) وتحت الجمجمة مباشرة : ونفس الحبيبات الممغـ[illegible] اكتشفت في أحد أنواع الحيتان ، وفي المارلين الأ[illegible] (أسماك ضخمة ذات امتداد من الرأس يشـ[illegible] الرمح) والسمك الوثاب والسلحفاة المـ[illegible] الخضراء وأسماك التونة .. الخ ، ويبدو أن الحـ[illegible] الممغنط متصل بطريقة ما بالجهاز العصبي ، ولو[illegible] هذا ، فهو مؤشر حسن يبصرنا بوجود حاسة غا[illegible] تتعامل مع احدى قوى الطبيعة غير المحسوسة ، و[illegible] تتمثل لنا في المجالات المغناطيسية الأرضية .

هل لنا حاسة مغناطيسية ؟

ليس ذلك مؤكدا حتى الآن ، رغم ما أعلنه [illegible] من العلماء الانجليز من جامعة مانشستر هما [illegible] بيكر ، جان مازر ، اذ نشرا بحثا في العام قبل الـ[illegible] أشارا فيه الى وجود أكاسيد الحديد الممغنطة في [illegible] المصفوية (عظام تجويف الأنف) في كل من الـ[illegible] والانسان ، وربما يكتشف العلماء مستقبلا أ[illegible] المغناطيسات الدقيقة واسعة الانتشار في [illegible] الحيوان .

ـ وحود الحديد الممغنط في أعلى عظام الأنف في
ـ ن لا يعني أنه موجه في حياته ببوصلة ذاتية ، كما
ـ حال في الميكروبات والحشرات والأسماك والطير
ـ لأمين والقوارض والحيتان ، ولا يعني أيضا أننا
ـ بالمجالات المغناطيسية الأرضية الضعيفة ، ولا
ـ ث بالمجالات المغناطيسية القوية التي صنعها
ـ ـان ، وأصبحت أكبر من مجالات الأرض ببلايين
ـ ب . ومثل هذه المجالات القوية يتعامل معها
ـ ـون في معامل البحث ، فلم يشهد أحد مثلا أن
ـ ملين فيها قد أخذوا أوضاعا محددة وبطريقة موجهة
ـ لقائية ، وكأنهم اسرى مغناطيسية !

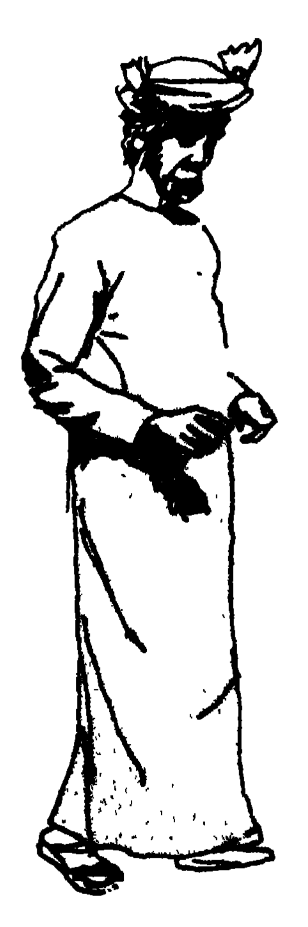
ـ ونس هذا الموضوع صلة بما يتردد على ألسنة العامة
ـ مسائل التنويم « المغناطيسي » اذ لا ينام الوسيط أو
ـ تحيب لمنومه بمغناطيس ، فكل هذه ظنون خاطئة
ـ شأت في القرن الماضي نتيجة لزعم خاطىء ،
ـ قيقة الأمر ان التنويم (وهو ليس مغناطيسيا على أية
ـ ل) نوع من الايحاء بين الوسيط والمنوم ، أو هو
ـ درة موجهة ، وليس نتيجة انبعاث أشعة أو مجالات
ـ اطيسية من عيني المنوم الى عين الوسيط

وطبيعي أن الانسان قد امتلك ما هو أسمى من المغناطيس ومن كل كنوز الأرض . . لقد امتلك عقلا مدركا ، وبه يفكر ويقرر ويتوجه ويختار ، أي أن له ارادة ، وبالعقل المدرك أيضا يميز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والماضي والمستقبل ، والقبح والجمال . الى آخر هذه الصفات التي لا يمتلكها أي كائن حي آخر ، ولا يمكن ادراكها أيضا بمغناطيس ! اما ظهرت هذه الاسر الممغنطة في بعض الكائنات لتيسر لها بعض المشاكل التي تعترض حياتها ، اي كأنما هي « مبرمجة » وموجهة من خلال شفرات وراثية ، وبحيث يخرج الخلف ليسير على نمط السلف ، ودون أن يشذ على القاعدة ، أي كأنما هو موحى اليه ، وما الوحي هنا الا وحي نظم مذهلة موجودة في تكوينه وما الحيبات الممغنطة الا نظام واحد متواضع من نظم متقنة أجمل اتقان ، ومنسقة اروع تنسيق

العقل ـ اذن ـ ام المغناطيس ؟

العقل بطبيعة الحال ، فمن رعاه ، تقدم وساد ، ومن اهمله ، تخلف وباد ، ولا خلاف محاضرنا خير شاهد على ما نقول ! □

أبو عامر « دون جوان » عربي



ـ صف ابن حزم الاندلسي في كتابه « طوق الحمامة » شخصية عربية شبيهة بشخصية
ـ جوان الافرنجية ، وهي شخصية ابي عامر محمد بن عامر الذي كان لا يثبت على حب
ـ ما كان لا يثبت على حب الاصدقاء ، يصفه ابن حزم بأنه كان من أهل الادب
ـ ك والنبل والذكاء مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض . ويضيف ابن
ـ ثلا وأما حُسْن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه ولقد كانت الشوارع
ـ ر السيرة ويتعمدون الحضور على باب داره . . . . . لا لشيء إلا للنظر
ولقد مات من محبته لجوارٍ كُنَّ عَلَّقن أوهامهن به ، فخاب أملهن منه ـ فصرن
ـ التي تقتنهن الوحدة
ـ بعد كان ابو عامر يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد
ـ عليه حتى يملكها . ولو حال دون ذلك شوك القتاد ، فاذا بتصييرها إليه عادت المحبة
ـ لانس شرودا والقلق اليها قلقا منها ، والنزاعة نحوها نزاعا عنها ، فيبيعها بأوكس
ـ . هذا كان رأيه حتى أتلف فيما ذُكر عشرات الالوف من الدنانير .



TOSHIBA
VHS
V-57TR
الإختيار الصحيح
تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة
خالية من التشويش بفضل تلفزيون
CORE TV ذات الشاشة المربعة والمسطحة كما
يمكنك الإختيار ما بين نظام فيديو BETA أو VHS .
V-53TR
V-51D
V-M42TL
V-M41TL
28
21
19
15
28" CORE FS
289X4M
21" CORE FS
219X3M
19" CORE FS
199X4M
15" CORE FS
159X4MR S

TOSHIBA


مجلة الأسرة والمجتمع
المدرسة
الأجنبية
وعقول
أبنائنا

رحلة الأمومة .. كيف نحميها ؟

بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس*

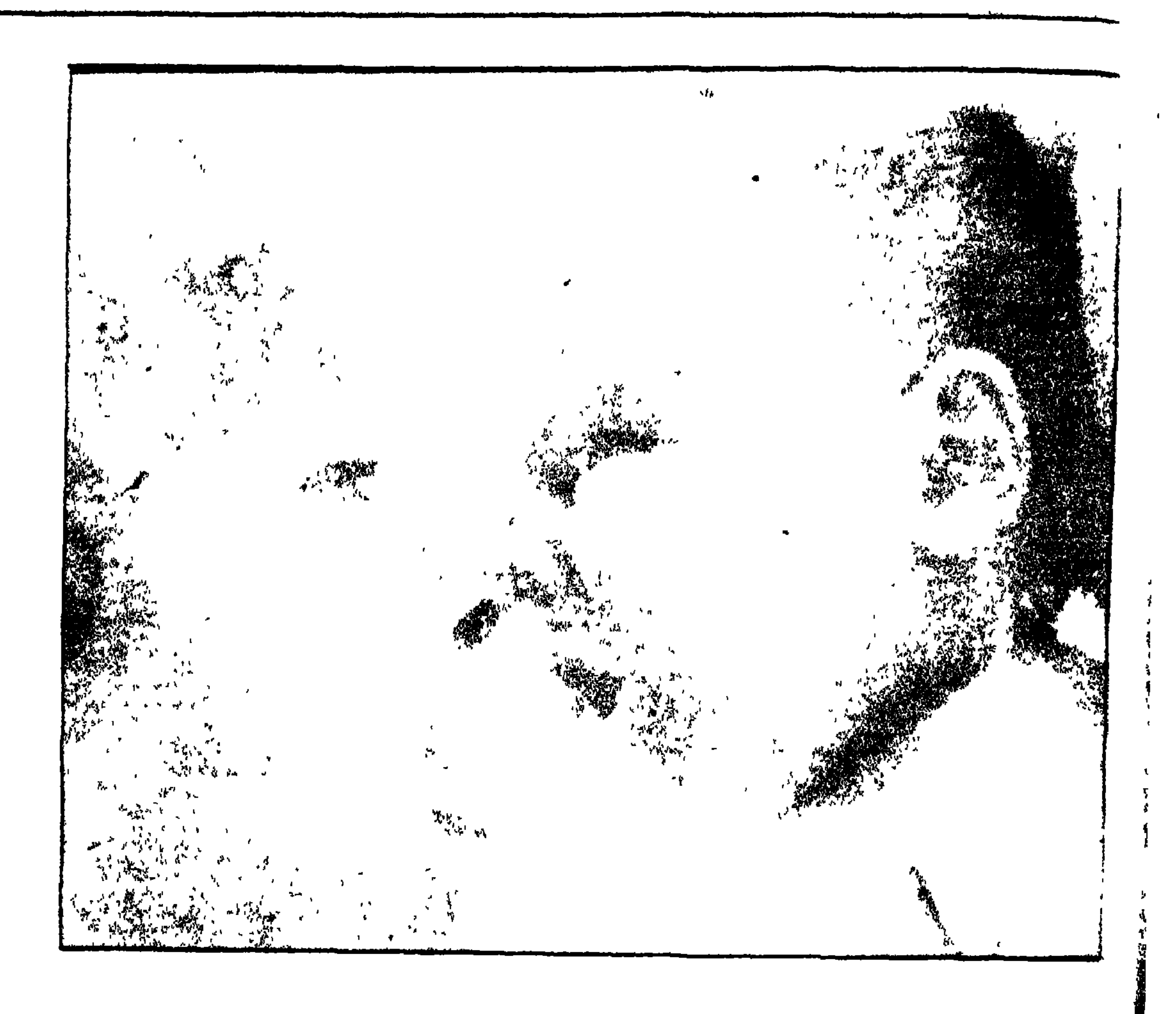
انها أجمل وأروع رحلة تمر بها الزوجة بالرغم من كل ما يصاحبها من آلام فهي الرحلة الخالدة التي ارتبطت بقصة الخلق . . كيف نضمن لها بلوغ شاطىء الأمان ؟ في هذا المقال يتحدث طبيب متخصص الى الزوجات اللواتي ينتظرن اسعد حدث في حياتهن . . الحدث الذي تكتمل به الاسرة .

الحمل نعمة من نعم الله الكبرى ، وآية من آياته العظيمة ، يجب على كل فرد في المجتمع أن يدرك أهميتها ، وما تحتاجه الحامل من رعاية وعناية لتخفيف عبء الحمل عليها . وتبرز أهمية الحمل في وصية الرحمن : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه . . . » فللحمل دور خلاق ، تكبر به الأمم وتنمو ، وكلما كان هذا الدور مصانا معافى كان النتاج أسلم وأقوى .

ويبدأ الحمل عند اندماج البيضة الناضجة بالنطفة وتكون أولى علاماته انقطاع الطمث ، وينجم ذلك الانقطاع بسبب ازدياد إفراز الهرمونات الحملية من المشيما فتلجم النخامى (الغدة المسيطرة على الافراز الهرموني من الغدد الاخرى) عن افراز الهرمون ... لجريب غراف . وبذلك تطرأ على الحامل تبدلا... جسدية ونفسية نتيجة حدوث التوازن الهرمو... الجديد . وأهم المظاهر الجسدية ظهور التصبـ... القاتمة في الحلمتين ، والخط الأسمر بين الـ... والعانة ، وظهور التصبغات في الوجه على الجبين والوجنتين ، وتعرف التبدلات التي تظهر على الو... « بالكلف الحملي » شكل (١) .

ومن التبدلات الأخرى مظاهر الاحتقان ، ور... المفرزات في الجهاز التناسلي إجمالا ، والعلا... الهضمية من إمساك ، وزيادة الحموضة ، والاق... كما يزداد احتمال حدوث التهابات المسالك البو...

* اخصائي في الأمراض الداخلية وطب الأطفال وتخطيط القلب الكهربائي - مدرس أمراض الدم في المعه... الصحية بسوريا .



وتعزى معظم هذه الأعراض إلى زيادة هرمون البروجستيرون الذي يرخي العضلات الملساء لهذه الأجهزة .

وأهم المظاهر النفسية التي تطرأ على الحامل ، القلق والخوف من المستقبل والخوف من الموت ، الخوف من آلام المخاض والولادة ، والخوف من فقدان عناصر الجمال والجاذبية .

وقد تترافق هذه المظاهر النفسية بمظاهر جسدية واضحة كازدياد الاقياء ، والانعزال وآلام الشديين . وفي الحقيقة تختلف شدة ظهور هذه الأعراض من حامل إلى أخرى طبقا للترابط النفسي البيتي الذي تعيش فيه ، ومدى ما حققه لها زوجها من متطلبات الحياة من مسكن ، وملبس ، ومأكل ، وما وفره لها من دواعي الطمأنينة . فللزوج الدور الرئيسي في تخفيف أعراض الوحام . ويكون لمعاملته زوجته معاملة حسنة الاثر الكبير في تخفيف أعراض الحمل

التبدلات الفسيولوجية للحامل

ازدياد الوزن .

ويحدث ذلك بسبب ازدياد احتباس السوائل ، واختزان الشحوم . ويزداد وزن الحامل من ١٠ - ١٢ كغ عند تمام الحمل ، وتحدث أكثر هذه الزيادة في النصف الثاني للحمل .





الشكل : (١)
« الكلف الحملي » : هو ظهور التصبغات في وج
الحامل . فإن ظهرت حول العينين سميت «القناع الحـ
لاحظ التصبغات على الجبين والوجنتين ، وحـ
العينين .



التبدلات الدموية والقلبية :

يزداد حجم الدم ٥٠٪ ، ويزداد عدد الكريات البيضاء ، ويحدث تضخم بسيط في القلب .

جهاز التنفس :

يزداد ضيق النفس بعد الشهر السابع بسبب ضغط الرحم على الحجاب الحاجز .

تبدلات الجهاز الهضمي :

وأهم الأعراض الهضمية حرقة المعدة وألمها ، والامساك ، وثقل الطعام وعسر الهضم بسبب انشغال الكبد باستقلاب الهرمونات الحملية . وقد تظهر البواسير عند من لديها استعداد لذلك ، أو بعد تكرر الأحمال

الجهاز البولي .

تنقص العتبة الكلوية للسكر ، ولذلك قد تظهر البيلة السكرية بشكل طبيعي عند الحامل ، ومع ذلك يجب اجراء فحص سكر الدم ، واختبار تحمل السكر لدى كل من تظهر لديها البيلة السكرية ، وكثيرا ما تظهر التهابات الحويصة والكلية ، وإذا ظهر البروتين (الزلال) في البول يجب الانتباه إلى احتمال حدوث التسمم الحملي ، ولذا تجب المراقبة .

نصائح وإرشادات

ضبط الحمية والوزن خلال الحمل :

يعتبر تنظيم الحمية ومراقبة الوزن من أهم عناصر العناية بالحامل ، وسواء أنقصت الحمية أم زيدت فقد تكون سببا في ظهور اختلاطات مزعجة وخطيرة ، وأهمها التسمم الحملي والنزوف عقب الولادة ، أو فقر الدم . . . ومن المهم أن نفند المقولة الشائعة بين



الشكل (٢)
غذاء الحامل ، ويحذف منه ما يشكل لديها مضاد استطباب (كالبيض إذا كانت تتحسس منه)

الشكل (٣)
التهاب اللثة عند حامل ، انظر الورم اللثوي Epulis بين الناب العلوي والقاطعة العلوية الثانية تنزف هذه اللثة تلقائيا ، أو عند التعرض لأقل رص

الحوامل « يجب أن تأكل الحامل عن شخصين » ، فهي إن فعلت ذلك ازداد وزنها بشكل مفرط مما قد يؤدي إلى ظهور الاختلاطات المذكورة

تحتاج الحامل الى ٨٠غ من البروتين يوميا ، وتحصل عليه من مصدرين :

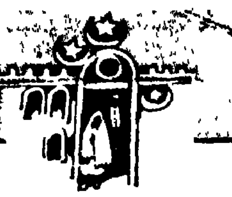
المصدر الحيواني (لحم ، سمك ، بيض ، حليب) ويمثل ثلاثة أرباع الاحتياج ، والمصدر النباتي (فول ، فاصوليا ، حبوب) ويمثل الباقي من المصادر شكل (٢) ، ويعتبر الحليب أفضل غذاء للحامل ، فهو يحتوي على ٣٣غ من البروتين (في كل ليتر) ولذلك تنصح الحامل بتناول ليتر واحد من الحليب يوميا (على الأقل)

كما تنصح بتقليل كمية الوجبات والاقلال من عددها ، وتخفيف ملح الطعام

تحتاج الحامل أيضا إلى الفيتامينات ، والحديد ، وهي موجودة بكثرة في الخضار والفواكه الطازجة ، ويجب أن تراقب الوزن ، وكل زيادة فيه تتجاوز ٢كغ في أي شهرين متتابعين من الأشهر الثلاثة الأخيرة قد تكون دلالة مهمة على التسمم الحملي ، وتجب عليها مراجعة الطبيب فورا

العناية بأسنان الحامل .

لقد تبين أن أهم أسباب نخرة الأسنان عند الحوامل هو إهمال العناية بنظافتها ، وبالتالي تغير وسط الـ PH للعاب ، (درجة الحموضة) ، وهنا لابد من تفنيد المقولة الشائعة بين الحوامل « سن لكل طفل » ظنا منهن أن الجنين يحتاج إلى « الكلس » من الأسنان ، وهذه فكرة خاطئة علميا ، ولكن يجب على



الأم أن تتناول المواد التي تحوي على الكلس لتأمين احتياج الجنين منه

وهنا أذكر باستعمال السواك لما فيه من فائدة طبية عظيمة في حفظ ووقاية الأسنان من النخر ، وكذلك عدم التهاون في إخراج الفضلات من الفواصل بين الأسنان وكثيرا ما تشكو الحامل من تورم اللثة

ونزفها ، ويحدث هذا العرض بسبب تشكل الأورام الوعائية المسماة « الورم اللثوي » Epulis شكل (٣)

وتعالج هذه الحالة بالاكثار من الفيتامين ج (C) ونظافة الأسنان كما ذكرنا

ويجب تجنب رض اللثة ، أو مصها الزائد لأن ذلك يسبب ازدياد النزف فيها

ويجب تجنب استعمال السوائل الساخنة متناوبة مع السوائل الباردة مباشرة لما لذلك من أثر سيء في تشقيق الاسنان

نظافة جسم الحامل .

يجب أن تهتم الحامل بالاستحمام ، شريطة عدم الافراط في تسخين الحمام والماء ، ويجب ألا تزيد مدة الحمام عن ٢٠ دقيقة ، وأما الحقن المهبلية فينصح بعدم اجرائها إلا بارشاد الطبيب خوفا من احتمالات الاجهاضات

اللباس والحذاء :

يجب تجنب المشدات والأربطة التي تسبب ضغطاً على البطن ، وخاصة بعد الشهر الرابع وينصح بالالبسة الفضفاضة ، تفضل الأحذية ذات الكعب القصير

الجهد والرياضة المسموحة للحمل

يكفي الحامل أن تقوم بأعمال البيت اليومية ، شريطة ألا تتعب نفسها ، وأن تمارس الرياضة المعتدلة ، وخاصة إذا كانت تمارسها قبل الحمل ، وتمنع من

الرياضة العنيفة منعا باتا وأفضل رياضة للحامل هي المشي المعتدل في الهواء الطلق وضوء الشمس

سفر الحامل

لا يسبب السفر أي أذى للحامل بشكل عام ، ويستحسن تخفيفه وتجنبه في الثلث الأول والأخير من الحمل .

العلاقات الزوجية

لا ضرر من المعاشرة الزوجية بشرط الاعتدال فيها ، وخاصة في بداية الحمل وأواخره ، وتمنع منعا باتا إذا شعرت الحامل بمغص رحمي ، أو نزف أو التهابات

استعمال الأدوية :

أ ـ يجب تجنب إعطاء أي دواء في النصف الثاني من الدورة الطمثية

ب ـ لا يعطى أي نوع من العلاج في الثلث الأول من الحمل إلا في حالات الضرورة القصوى

ج ـ يجب تسجيل جميع الأدوية التي استعملتها الحامل ، وتاريخ استعمالها لكشف الأدوية المشوهة غير المعروفة إذا حدث التشوه .

علامات تنذر بالخطر

يجب على كل حامل مراجعة طبيبها فورا لدى ظهور إحدى العلامات التالية :

أي نزف مهما كان ضئيلا ، آلام البطن ، الحمى والرعشة ، انتفاخ البدن والوجه والأصابع ، تناقص حجم البول بشكل ملحوظ ، صداع مستمر يستعصي على المعالجة التقليدية ، تشوش الرؤية القيء المتكرر .

وهكذا تمضي رحلة الحمل في هدوء وسلام إلى حين الوقت الذي تجني فيه أجمل ثمار الحياة

المدرسة الأجنبية

هل هى خطر على أبنائنا ؟

اعداد : ريم الكيلانى

« قد لا ينتبه اليها أحد . . وكثيرون يعدونها علامة من علامات الرقى والتفوق . . ولكن داخل العسل يكمن السم . . خلف الأسوار الجميلة والملاعب . . وفى حجرات الدرس بالمدارس الأجنبية . . تنقطع صلة أبنائنا بعالمهم وثقافتهم . »

انتشرت على مدى خريطة الوطن العربى كله . . فلا يكاد يخلو قطر عربي من المؤسسات التعليمية الأجنبية ، ولا يكاد يخلو مجتمع عربى من هذا السباق المحموم بين الأهل ، لالحاق أبنائهم بهذه المؤسسات ، التى تشمل كل مراحل التعليم ، بدءا من التعليم الابتدائى ، وانتهاء بالتعليم الجامعى .

ورغم كل اغراءات اللغة الأجنبية ، وما تتيحه لمتقنها من فرص أفضل فى سوق العمل العربية التى ـ قلّت فيها الفرص ـ وما تمثله هذه المؤسسات من مستوى اجتماعى ومادى . . رغم كل هذه الاغراءات ، فان أصواتا انطلقت هنا وهناك ، تحذر من خطر هذه المؤسسات .

فالانتماء لغة . . والحضارة ثقافة اجتماعية تقدم انجازا علميا . . والثقافة لغة . . وداخل المؤسسة التعليمية الأجنبية تلقن لابنائنا ثقافة غربية . . وينفصل تدريجيا هؤلاء الشباب والزهور عن عالمهم . . ووطنهم . .

شهادات :

وسط مجموعة من طلاب المدارس الأجنبية فى الكويت نستمع لبعض الشهادات من هؤلاء الطلاب .

● هشام : « أحب القراءة ، وأقرأ لمارك توين وديكنز . . وأواظب على قراءة الصحف والمجلات ، ولكننى أفضل الصحف الأجنبية ، لانها أسهل وأوضح . . أما بالنسبة للأفلام ومشاهدة التلفزيون ، فأنا لا أستمتع فى الحقيقة الا بالبرامج الأجنبية ، فهى اكثر تسلية ، وهادفة ، ولغتها بالنسبة لى واضحة جدا » .

● باسل عبد المنعم : « للأسف لا أقرأ أى شىء باللغة العربية ، فهى بالنسبة لى غير مفهومة ومعقدة ، لا أعرف شيئا عن الشرق الأوسط ، الا أن العرب ـ للأسف ـ يقتل بعضهم بعضا ، أم كلثوم مغنية أسمع



عنها طبعاً ، فهى ظلت تغنى حتى سن متقدمة كجوزفين بيكر !!. »

● رومانس : « للأسف أنا لا أتحدث اللغة العربية ، فأمى أجنبية ، وفى المدرسة التعليم كله باللغة الأجنبية . . أستطيع أن أقرأ بالعربية ، ولكننى لا أفهم كل ما أقرأ ، أخطط أننى بعد انتهاء دراستى الثانوية سأذهب للالتحاق باحدى الجامعات البريطانية ، حيث الدراسة واللغة ستكونان أسهل بالنسبة لى » .

● هنادى : « أنا فى غاية الأسف ، فانا ليس لى أى اهتمام بهذه المشاكل والحروب ، واهتمامى بالسياسة ضحل . . ولا أستمع الى برامج عربية سواء فى الاذاعة أو التلفزيون . . . » .

هل نحتاج الى مزيد من الشهادات ؟ لا تختلف النتائج ولا الأقوال كثيرا . . ورغم أن الالتحاق بالمدارس الأجنبية مقيد بقواعد فى الكويت . . الا أن غالبية الوطن العربى ، وخاصة مع زيادة حجم الحراك الاجتماعى ، فقد ظهرت شرائح اجتماعية وفئات ترى ان الالتحاق بالمدرسة الأجنبية غاية وهدف اجتماعى رائع .

هل العلم بلا انتماء ؟

تخضع جميع المدارس الأجنبية فى الوطن العربى الى اشراف وزارات التربية ، التى تحرص على متابعة المناهج وتخطيطها ، وتصر على تدريس اللغة العربية والدين الاسلامى عدم ممارسة هذه المدارس أى نوع من أنواع التبشير أو الدعاية . . ويرغم نجاح هذه المراقبات التى تقوم بها وزارات التربية ، الا ان هناك جانباً معنويا فى العملية التربوية والتعليمية خارج نطاق السيطرة . . ونعنى به طريقة التفكير والسلوك . . والعالم الثقافى والانسانى المحيط بالطالب ، والذى من خلاله تتشكل ثقافة الطالب الوطنية وعقله الاجتماعى . . وهذا أخطر ما فى القضية .

السيد وليد أبو شقرة مدير المدرسة العالمية الأمريكية فى دولة الكويت يقول : « ان المدرسة تُدرِّسُ نظاماً أمريكيا على أرض عربية ، وهي خاضعة لقوانين وزارة التربية التي تفرض التربية الاسلامية واللغة العربية على جميع الدارسين ، كما تخضع جميع الكتب والمناهج المدرسية لمراقبة وزارة التربية الكويتية .

ان العرب يشكلون النسبة الكبرى فى المدرسة ، فالأهل يفضلون تعليم أبنائهم فى هذه المدارس عن ارسالهم للتعلم فى المدارس الداخلية بالخارج ، ويؤكد السيد أبو شقرة على أن المعلم العربى فى هذه المدارس عضو هام وحساس ، لانه يعمل على تنمية الروح الوطنية والقومية العربية فى نفوس الأبناء » .

أما السيدة هيفاء النقيب ناظرة القسم الثانوى فى المدرسة الانجليزية الحديثة تقول : « فى اعتقادى أن اتجاه عدد كبير من الطلبة العرب للتعلم فى المدارس الأجنبية ، يرجع فى الدرجة الأولى لرغبة الأهل فى تكوين شخصية قوية للطفل متمكنة من نفسها . نحن فى المدرسة ، نعلم الطالب كيف يفكر ويكتشف ويبحث حتى يصل للنتيجة التى يريدها بنفسه ، ولا نؤمن بتلقين العلم ، فلا فائدة من حشو أذهان الطلبة بالعلم دون أن يكون كل شىء واضحا جليا أمامهم بالتجربة والبرهان .

الطالب مسئول ويراقب نفسه بنفسه ، دون الحاجة لوجود سلطة أعلى تهدد وتخيف .

وتصر السيدة النقيب على أننا نستورد علما وليس جنسية ، ومن أجل ذلك فان أبناءنا يظلون عرباً فى تصرفاتهم ومفاهيمهم وشعورهم تجاه أمتهم ، وان كان الأمر لا يخلو من بعض الصعوبات حين يواجهون المجتمع ، فهم يشعرون حينها أنهم فى وسط سلب حريتهم التى منحتها اياهم المدرسة » .



حسب رغبة الاهل :

السيد عبد الله الرجيب ، مدير ادارة التعليم الخاص بوزارة التربية بدولة الكويت يجيب عن هذه التساؤلات قائلاً : « المدارس الأجنبية انتشرت فى الأونة الأخيرة بشكل واسع لعدة أسباب ، منها : وجود طلبة أجانب وفدوا مع ذويهم ، وهم بحاجة لنظم تعليمية مشابهة لتلك التى تسير عليها أوطانهم ، حتى يمكنهم استكمال دراستهم اذا ما عادوا اليها .

كما أن الطلاب من أبناء الدبلوماسيين الذين يرغب أولياء أمورهم بتعليمهم وفق منهج أجنبى ، يمكنهم من مواصلة دراستهم فى أى بلد يلتحقون به

ونحن بذلك لا نستطيع أن نناقش المسألة على أنها اتجاه خاطىء ، بل أمر تفرضة طبيعة ظروف أولياء الأمور ، كما أسلفت ، واعتقد ـ يضيف السيد الرجيب ـ انه لا ضرر فيه اطلاقا ، طالما يقع فى دائرة الاشراف الادارى والتوجيه الفنى لوزارة التربية ، وهذا فى الحقيقة يخفف الكثير من الأعباء الملقاة على كاهل الدولة ، ويحقق رغبة أولياء الأمور فى اختيار النظم التعليمية لأبنائهم ، فلا يكون التعليم عقبة تحول دون تواجدهم فى البلد .

ولا ننسى أن نسبة العرب فى هذه المدارس قليلة جدا ، فهى لا تزيد عن ٢٠٪ ، جميعها تدرس اللغة العربية والتربية الاسلامية ، كما تحددها وزارة التربية ، ونحن مشرفون اشرافا كاملا على هذه المدارس ، مما يحول دون وقوع أى من المحاذير او المشاكل التى قد يتعرض لها أبناؤ نا ، فالمدرسة مسئولة عن تنشئتهم النشأة الوطنية العربية ، مما يجعلهم يتلاءمون مع التقلبات والتغيرات التى يواجهونها فى مجتمعهم الأم .

ونحن فى وزارة التربية نشعر : بمدى الألفة والمساواة التى يلتقى عليها الطلاب العرب والأجانب ، والصداقات العمقة التى يكونها كلا الطرفين من خلال مجموعة العمل ، أو جماعات النشاط العلمى أو الثقافى أو الرياضى ، ويتعلمون تبادل الرأى والفهم وحرية التعبير ، فى اطار الموضوعية والحوار الهادىء والتنافس الشريف » .

رجاء الانتباه :

عندما يشكو وطننا العربى من ظاهرة هجرة العقول ، وعندما تقول الأرقام أن هناك ١٧ بالمائة من اجمالى عقول الغرب فى تخصصات علمية من أصل عربى . . عندما تستوقفنا هذه الظاهرة ، فاننا نقول ان بدايتها فى المدرسة الأجنبية . . والمنهج الأجنبى ، والانفصال القطعى بين الطالب ومجتمعه وعالمه وهموم أمته .

فمن ينتبه ويدق جرس الانذار ؟! □



من الحياة

أم.. في محراب الحياة

هل استطاع الانسان ان يتحدى الشعور باليأس ؟ ما اكثر اللحظات التي يسيطر فيها علينا هذا الشعور ونحن نمضي في طريق الحياة . . انه شعور لا يأتي من فراغ ، فهو يصيبنا عندما تتعثر خطواتنا ، او عندما نصطدم بصخرة ونسقط امامها على الأرض . . . .

ترى كيف نواجه هذه النكسات ؟ هل نستسلم ؟ أو نقوم من سقطتنا وننفض التراب الذي علق بملابسنا ، ثم نمضي في طريق الحياة من جديد ؟

البعض منا يعيش مع اليأس ، فلا يلبثون ان يروا الدنيا من حولهم يلفها الظلام ، وشيئا فشيئا يجدون حياتهم وقد تحولت الى ليل طويل . . انهم هؤلاء الذين يتصورون ان آلامهم ومشاكلهم قد اصبحت عبئا ثقيلا تنوء بحمله الجبال . . انهم يجلسون على حافة الهاوية في انتظار يد تمتد اليهم فتدفعهم الى اعماقها وتضع نهاية لما تبقى لهم من ايام زهدوا في عيشها .

كيف نتخلص من هذا الشعور ؟ ما الذي يجب ان نصنعه بانفسنا عندما نسقط او نتعثر . . كيف نجح غيرنا في الوقوف على قدميه واتمام رحلته في الحياة غير عابئ بتلك الصخرة التي اصطدمت بها قدماه وهو اكثر ما يكون حماسا للانطلاق وبلوغ هدفه ؟

منذ سنوات قريبة مضت شوهد احد كبار الكتاب يجلس فوق صخرة تشرف على مياه البحر ، وقد امسك بيده مجموعة من الحصى وقطع الحجارة الصغيرة ، وراح يلقي بها الواحدة بعد الاخرى في المياه التي كانت تتلاطم وتصطدم بالشاطئ الصخري الذي يجلس قريبا منه .

وسألوه : ماذا تفعل ؟

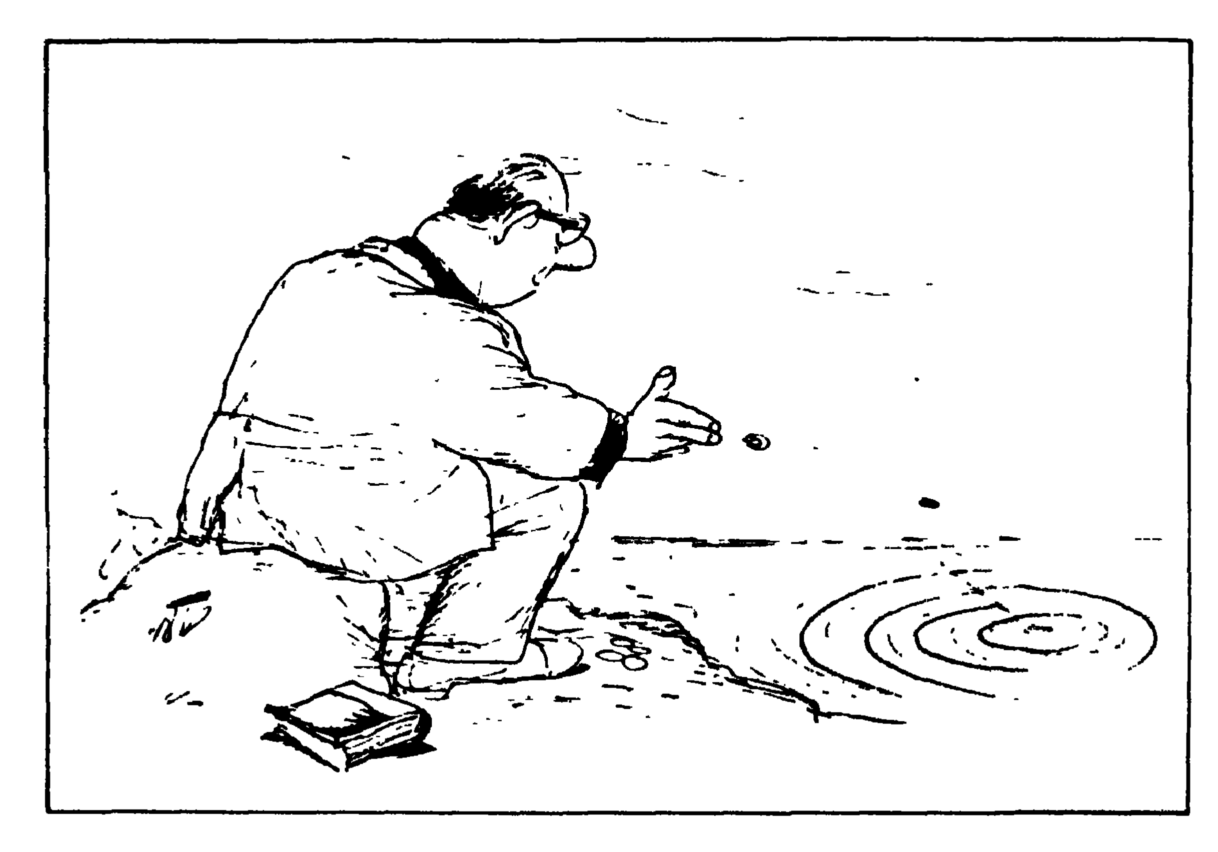
ونظر الكاتب الى محدثيه وقال وهو يبتسم : « انني القي بآلامي ومتاعبي في البحر . . هذه الاحجار الصغيرة التي احاول ان اغرقها في الامواج تمثل مصدر آلامي وانا اريد ان اخلص نفسي منها »

ونجح الكاتب الكبير في ان يبدأ حياة جديدة بعد ان دفع احزانه في قاع البحر ، وجلس يروي تجربته في كتبه ومؤلفاته . . وكانت تجربة قاسية مع الناس ومع الدنيا التي احبها فاعطاها قلبه وماله وكل ما يملك . .

* * *

وفي احدى القرى الصغيرة النائية كانت تعيش زوجة شابة مع زوجها واطفالها الاربعة الصغار . . وكانت سعيدة بحياتها البسيطة ، قانعة بما وهبها الله . .

كانت تحب بيتها الصغير ، وتحب زوجها وتتفانى في اسعاده ، ولا تدخر جهدا من اجل رعاية اطفالها الذين يملئون كل وقتها وحياتها في هذه القرية الصغيرة



التى تصحو مع شروق الشمس وتنام مع الغروب . . ولكن القدر ما لبث ان قسا على هذه الاسرة السعيدة الصغيرة . . ففى احد الايام جاء اهل القرية يطرقون باب بيتها . . وفتحت الزوجة الشابة التى لم تكن قد جاوزت عامها الثلاثين بعد . . وسلموها رسالة ، ما كادت تفضها حتى سقطت مغشيا عليها . . لقد مات الزوج الذى كان قد سافر الى المدينة منذ بضعة اسابيع يشكو علة مجهولة ، فقضت عليه اثر جراحة عاجلة اجراها له الاطباء .

وعندما افاقت الزوجة راحت تنظر حولها ، فلم تجد شيئا ، لا مالا ، ولاقوتا . . كان اطفالها الاربعة فقط هناك والدموع تملأ عيونهم الصغيرة البريئة . . فقد عرفوا بما حدث . . لقد رحل والدهم ولن يعود اليهم ابدا . .

كان الاب موظفا صغيرا لا يملك اكثر من مرتبه الذى يتقاضاه فى اول كل شهر . . صحيح انها قد ادخرت مبلغا من المال خلال رحلة حياتها القصيرة معه والتى لم تدم لاكثر من عشر سنوات ، ولكنها قدمته له كله عندما بدأ يستعد لرحلته التى كانت مع الاسف . . بلا عودة . . فقد كان فى حاجة اليه وهو يسعى للشفاء من علته ليعود اليهم سليما معافى . .

وانقضت فترة الحداد ، وبدأت الام تجمع شتات نفسها . . لا بد ان تعيش من اجل هؤلاء الصغار . . لا بد ان تصنع شيئا حتى تستطيع ان توفر لهم حياة كريمة . . ولكن ماذا تفعل ، وهى لا تجيد أي عمل ، ولم تنل من التعليم الا القدر اليسير . .

وخرجت الى الحقل . . ان هذه الارض الطيبة هى المكان الوحيد الذى لا يحتاج الى اكثر من ساعدين قويين يعملان ، ولا يكفان عن العمل . .

وبدأت تعمل ، فلاحة اجيرة فى ارض احد كبار المزارعين . . كانت البداية شاقة صعبة . . فقد كانت تخرج من بيتها مع الشروق ، بعد ان يذهب الاطفال الى مدرستهم القريبة من البيت ، وتعود اليهم قبل مغيب الشمس بقليل لتعد لهم طعاما مشبعا دفعت



ثمنه من اجرها الذى كانت تقبضه فى نهاية كل يوم عمل . .

كانت سعادتها بهم تنسيها الجهد الذى بذلته طوال ساعات النهار . . وكانت ابتساماتهم الحلوة وهم يجلسون حولها يتناولون الطعام الذى اعدته لهم بيديها تملؤها حبا للحياة وحماسا للاستمرار فى العمل الشاق الذى بدأته مهما كانت التضحيات .

* * *

وتمضى السنون ، والام ماضية معها فى العمل الذى اعطته كل حياتها . . وتسخو الارض بالخير ، وتعود الام الى المبالغ الصغيرة التى كانت تدخرها على مر ايام من اجرها البسيط ، وتقف فى وسطهم لتزف اليهم النبأ السعيد : « لقد احصيتها . . وهى تكفى نفقات عام كامل لدراسة اثنين منكم فى الجامعة » .

ويسافر الشقيقان الى المدينة ثم يلحق بهما الشقيقان الآخران . . ويتخرج الجميع فى الجامعة ويحصلون على بعثات دراسية مجانية فى الخارج ، تقديرا لتفوقهم فى الدراسة ونجاحهم المرموق .

ويعود الاشقاء الاربعة الى القرية الصغيرة ليزفوا اليها النبأ،وتقف الام تودع اطفالها الكبار وفى عينيها دمعة تحمل كل معاني الحب الذى اغدقته عليهم . . كانت سعيدة وهى ترى ثمرة كفاحها تنضج بعد كل هذه السنين من التعب والقلق والشقاء . . وكانت سعادتها اكبر ، وهى ترى الاطفال الصغار وقد اصبحوا رجالا يملئون دنياها الجديدة . . ولكن أين هى هذه الدنيا ؟ كم كانت تتمنى لو انهم شاركوها فيها او اشتركت هى فيها معهم ولو من البعد ، بعد ان تقدمت بها السن ! ولكن لا . . انها لن تسمح لعواطفها ان تعترض الطريق الذى سيسيرون فيه لتحقيق امنيتهم فى الحصول على درجات علمية اسمى واكبر . .

وسوف تقنع بما ستحمله اليها رسائلهم التى وعدوا بأن يبعثوا بها اليها كل اسبوع . . الا يكفيها ان تعلم انهم بخير ، وانهم سعداء بدراساتهم العليا وحياتهم الجديدة فى هذه البلاد البعيدة .

وباتوا ليلتهم فى احضان البيت الصغير الذى جمعهم عندما كانوا اطفالا يدرجون ثم شهد بعد ذلك صباهم وشبابهم قبل أن يكملوا تعليمهم الثانوى فى قريتهم ويرحلوا الى المدينة . .

* * *

وجاء الصباح . . وحان موعد الرحيل . . وخطر لاكبر ابنائها خاطر ، ما لبث ان نفذه على الفور ، قال يحدث امه التى كانت تقف وسطهم تتأمل وجوههم بكل مشاعر الحب والعطف والحنان التى امتلأ بها قلبها : « لماذا لا تأتين معنا يا أمى . . ما الذى يبقيك وحدك فى هذا البيت ، في هذه القرية . لماذا تمضين حياتك فى وحدة . . اننا لن نذهب الى جامعة واحدة ، فى بلد واحد . . اختارى انت المكان الذى يروقك اكثر من غيره . او ان شئت وزعى نفسك بين المدن الاربع التى سندرس فى جامعاتها ! المهم يا امى ان تأتي معنا . . ألاّ نتركك تعيشين مع وحدتك »

ولقيت الفكرة ترحيبا حارا من بقية الاشقاء : « نعم تعالى معنا يا اماه . . احزمى حقيبتك الآن . . لن نترك البيت الا وانت معنا » .

وجلست الام على المقعد الذى تعودت ان تجلس عليه كلما احست بالتعب خلال مسيرتها الطويلة مع هؤلاء الذين احبتهم ووهبتهم عمرها كله . . وقالت وهى تبتسم ، وقد اغرورقت عيناها الجميلتان المجوزتان بالدموع : « ومن قال لكم انى سأكون وحدى . . انكم لن تفترقوا عنى لحظة واحدة طوال الفترة التى ستقضونها بعيدا عنى . . صوركم الحلوة ستظل دائما فى مخيلتى . . ذكريات طفولتكم العذبة ستعيش معى فى صحوى ونومى . . اصواتكم ستبقى نغما اطرب له وكأنى اسمعكم فى كل مكان من هذا

البيت الذى يضم اجمل ذكريات حياتكم معى . . لا يـا أبـنائى . . انكم تـريـدون منى ان افتـرق عن نفسى . . ان افترق عنكم . . صحيح انى سأكون معكم وبجـواركم . . ولكننى سـوف ابتعـد عن المحراب الذى اتعبد فيه . . هل ترون هـذا المقعد القديم الذى اجلس عليه الآن وانا احدثكم . . لقد كان المأوى الذى الجأ اليه عندما كنت اعود من عملى متعبة بعد يـوم من العمل الـطويل الشـاق . . هل تـأملتم الغرفـة الصغيـرة التى أمضيتم فيهـا ليلتكم بالامس . . لقد كـان لى فيها معكم ذكـريات وانـا ارقبكم وانتم تكبرون عاما بعـد عـام . . وتكبر معكم مسؤولياتكم ومشاكلكم . .

« انى احبكم يا ابنائي . . فانتم حياتى وعمرى ودنياى . . ومن اجلكم عشت وصمدت وكـافحت ودفنت احزاني على والدكم الذى رحل فى وقت كنت فى امس الحاجة اليـه . . فلم اكن يومـا واحدة من هؤلاء النساء اللواتى يقضين عمرهن فى الحزن والبكاء على شىء مضى وانقضى . . حقيقة كنت اتألم وانا ارى نفسي اقف وحدى ولكننى كنت دائما استمد قوتى من روح زوجى . . كنت افعل دائما كل ما أراد ان يفعله هو معكم لو انه بقى معنا ولم يرحل عنا . . كنت استمد قوتى من حبي للحياة من اجلكم انتم » .

وقـامت من مقعـدهـا تـودعهم وتضمهم الى صدرها الحنون وتقبلهم وتشد على ايديهم . . وتدعو لهم بالتوفيق والنجاح .

ونظروا اليها . . راحوا يتأملونها وطـالت وقفتهم بعض الشىء . . ثم تـركوا البيت فى طـريقهم الى عـالمهم الجديـد البعيد . . ولكنهم قبـل ان يبتعدوا بخطواتهم ، وقفوا برهة ونظروا وراءهم . . فرأوها واقفة هناك امام باب البيت الصغير الذى احبوه . . تلوح لهم بيدها مودعة . . ولاول مرة احّس الاشقاء الاربعة انهم لا يودعون امّا عجـوزا . . فقد بـدت امامهم عملاقة . .

* * *

ومضت الاعوام ، والام تعيش وحدها فى محرابها مع الذكريات التى رفضت ان تفترق عنها . . ولقد عـاد الابنـاء من الخـارج يحملون ارقى الـدرجـات العلمية ولكنها لم تعد وحدهـا . . لقد امتـلأ البيت الصغير بالاحفاد . . ومنذ بضعة اسابيع خلت وقفت « الجـدة » تطفىء ثمـانين شمعـة . . وجاء الابنـاء وزوجاتهم يحتفلون بعيد ميلاد امهم . . وعلى مقعدها الصغير الذى طالما القت بجسمها المتعب عليه فى نهاية رحلة كل يوم مع العمل فى الحقل ، كانت تجلس وقد اشرق وجهها العجوز بابتسامة تحمل اجمل المشـاعر التى يمتلىء بها دائما قلب الام . . قالت وهى تحتضن الاحفاد الصغار الذين التفوا حولها ، وتوزع عليهم قبلاتها : « لقد اعادوا الحياة الى الذكريات التى ظلت مجرد صور تملأ مخيلتى . . انى اعيش ايام طفولتكم الحلوة . . لقـد اعاد الى هؤلاء الصغـار اجمل سنى العمر التى قضيتموها معى . . »

ولمعت عيناها ببريق عجيب ، ثم ذهبت فى اغفاءة طويلة . .

■ قال عيسى عليه السلام : « من علم وعمل . . عد في الملكوت الأعظم عظيما » .

■ قال موسى عليه السلام في مناجاته لربه : « الهي من أحبُ الناس اليك ؟ » قال تعالى : « عالم يطلب علما » .



قضايا منزلية

الكمادات

للإسعاف السريع والعلاج المنزلي

بقلم : الدكتور حسن فريد ابوغزالة

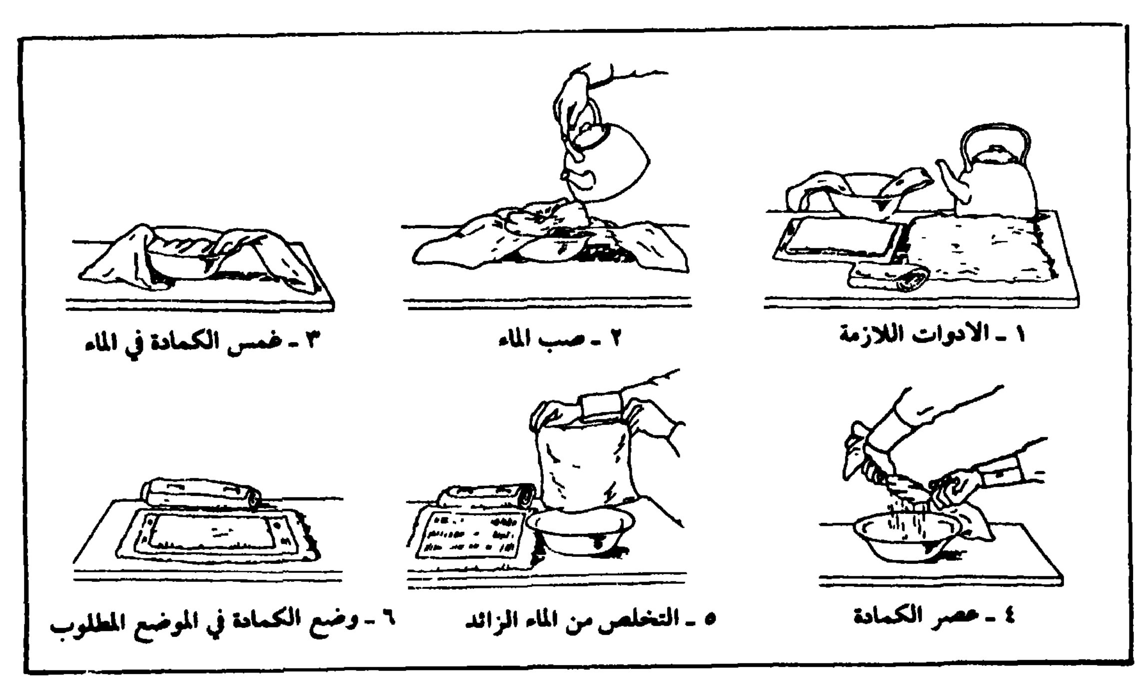
الكمادات قد تكون وسيلة من وسائل الاسعاف الأولي ، كما قد تكون اسلوبا من اساليب العلاج في مواضع معينة محددة ، على أن يحسن استعمالها على الوجه الافضل حتى لا يصير مردودها عكسيا ضارا .

وتقسم الكمادات الى قسمين .
أولهما ـ الكمادات الساخنة ، وثانيهما ـ الكمادات الباردة ، وكل من هذين القسمين قد يكون جافا او قد يكون رطبا ، ولكل من هذه الاشكال استعمالاته وضروراته وشروطه ومواصفاته ، حيث يعطي مفعولا موضعيا أو تأثيرا عاما على الجسم كله .

١ ـ الكمادات الساخنة :

أ ـ الكمادات الرطبة : حيث تختار قطع من القماش أو الفوط الصغيرة لتوضع في إناء (طشت) ثم يصب عليها الماء الحار بحيث تتراوح درجته ما بين ٤٠ درجة مئوية و ٤٥ درجة مئوية حتى لا تؤذي الجلد وتؤدي الى حروق والتهابات ، ثم ترفع قطعة القماش وتعصر للتخلص من الماء الفائض ثم ترج الفوطة ليتخللها الهواء وبعدها توضع على المكان المطلوب لمدة تتراوح بين ٢٠ دقيقة و ٣٠ دقيقة على ان تبدل القطعة المبللة كلما برد الماء ، للمحافظة على درجة حرارة ثابتة تقريبا .

ومفعول الكمادات الساخنة الرطبة أنها تزيد الدورة الدموية في المنطقة المطلوبة نتيجة توسع الاوعية الدموية وتدفق الدم مما يهيء تغذية افضل للمنطقة وسرعة في التخلص من السموم والفضلات .



خطوات استعمال الكمادات

والقيمة الاخرى للكمادات الرطبة الساخنة انها ترطب الجلد وتلين طبقاته العليا كما انها تهدىء من التهابات نهايات الاعصاب في طبقة الأدمة الجلدية ومن هنا يمكن استعمال الكمادات الساخنة فيما يلي :ـ

علاج الدمامل والالتهابات الجلدية ، التهابات المفاصل المزمنة والآلام الروماتيزمية ، آلام العضلات المزمنة الناتجة عن البرد او تقلص الاوعية الدموية ، وعدم كفاية الدورة الدموية ، تليين المفاصل والعضلات ، وهنا يجب الحذر من استعمال الكمادات الساخنة في الاصابات الحادة ولو نصح الطبيب باستعمال سوائل معينة فلا بأس من اضافتها للماء الدافىء .

ب ـ الكمادات الجافة الساخنة : في أحوال عدة قد يرغب المسعف في ترطيب الجلد في موضع معين او يصعب استعمال الكمادات الرطبة،وهنا تستعمل الكمادات الساخنة الجافة ، كما هو الحال في زجاجات الماء الساخن او الأكياس المطاطية في الفراش،ومن الجدير بالملاحظة هو عدم ملء الاكياس المطاطية حتى الفوهة بل يجب ابقاء فراغ هوائي حتى لا ينفجر الكيس عند الضغط عليه مع ملاحظة تغييره اذا برد .

واهمية مثل هذه الكمادات الجافة هي زيادة الدورة الدموية مع التدفئة العامة أو الموضعية .

٢ ـ الكمادات الباردة

أ ـ الكمادات الرطبة : يستبدل الماء البارد بالساخن وتعصر قطعة القماش لتوضع على الموضع المصاب مع التمييز بين الماء البارد والماء المثلج ، اذ ان لكل منهما مفعوله وتأثيره ، وحيث ان الماء البارد يؤدي الى انتقال حرارة الجسم الى الماء عن طريق التوصيل مما يفيد في احوال ارتفاع درجة الحرارة وضربة الشمس .

بينما الماء المثلج يعمل على تضييق شديد للاوعية الدموية وربما قفلها تماما مع صعوبة في سريان الدم وهذا لا يؤدي الى الفائدة المرجوة من تبريد الجسم ولكنه يفيد في وقف النزيف كما في نزيف الانف أو الكدمات تحت الجلد او اي نزيف آخر كما يفيد في اسعاف الحروق .

ان التواء المفاصل يسعف بالكمادات الباردة فوراً لوقف النزيف الداخلي ولكنه اذا أزمن فتستعمل الكمادات الساخنة فيما بعد لامتصاص فضلات النزيف

ب ـ **الكمادات الجافة** : ربما كان هناك استحالة او ضرر من استعمال الكمادات الرطبة كأن يستعمل الثلج مباشرة على الجلد مما يؤدي الى الاضرار بالجلد مع شعور بالالم ، لهذا يوضع الثلج في اكياس مطاطية لتخفيض الحرارة لاستعمال الاكياس على الرأس او ربما تستعمل زجاجات الماء البارد اذا لم تتوفر الاكياس المطاطية .

☆☆

بريد طبيب الأسرة

عدوى البلهارسيا وشرب ماء النهر

● **أقنعني صديقي بأن من يشرب من النيل لابد أن يعود اليه ، فشربت ماء نهر النيل عند زيارتي لمصر**

وبعد حين حدثني صديق آخر أن شرب ماء النيل يؤدي الى مرض البلهارسيا الخطير ، ومن هنا فقد انتابني القلق والوسواس واحترت في أمري أرجو افادتي بحسن التصرف .

خالد ع بجده

ـ من المعروف عن ديدان البلهارسيا وعدواها أنها تستوجب دورة حياة معينة ذات حلقات من أهمها وجود قواقع مائية تتطفل عليها أجنة البلهارسيا المسماة بالميراسيديوم ، بعد أن تفقس من البويضات التي لوثت الماء عند تبول المصاب أو تبرزه ، لكي تتحول الى يرقات البلهارسيا المعدية المسماة بالسركاريا

والقواقع المائية المناسبة لتطفل البلهارسيا لاتتواجد الا في الفروع الجانبية للنهر ، أو مايسمى بالترع ، حيث يبطىء جريان الماء ، وتتوفر على جانبي الترعة نباتات مائية تلتصق بها القواقع وتحتمي

أما تيار النهر الأساسي فهو سريع ولايصلح لاستيطان القواقع ، كما لايناسب شاطئيه نمو النباتات المائية .

من هنا فالعدوى مقصورة على مجاري النهر الجانبية أو الترع . ولامكان للعدوى في وسط النهر أو تياره الرئيسي على أيه صورة ، أما أمر شرب الماء الملوث بالسركاريا ، والسؤال اذا ماكان معديا أم لا ، فقد أثار جدلا طويلا انتهى بالاطباء الى رأيين :ـ

أولهما هو امكانية العدوى واختزان السركاريا أو يرقات البلهارسيا في غشاء الفم المخاطي ، او جدار المريء ، ولكن في نطاق ضيق لايشكل خطورة كبيرة ، أو حالة مرضية شديدة ، والثاني هو عدم امكانية العدوى بسبب سرعة انزلاق الماء ، بما يحمله من سركاريا عبر الفم والمريء ، ووصوله الى المعدة حيث يوجد حامض المعدة القاتل وعصائرها الهاضمة ، مما لايترك فرصة لحياة اليرقات أو عدواها .

وعلى أية صورة كان الأمر وأي رأي قبلناه ، فالعدوى من وسط النهر مستحيلة ، كما ان العدوى من الترعة ان وجدت فهي على صورة بسيطة لاتشكل خطرا كبيرا يستحق القلق

مساحة ودّ

فن الأدعياء

منذ أن زحف الجفاف على افريقيا ، وانقطع المطر . . وهناك حركة في أوروبا والعالم الغربي يقودها الفنانون ونجوم المجتمع . مسيرة تقطع آلاف الكيلومترات ، وتجوب المقاطعات والمدن . . وتشدو بالاغنيات ، وبيوت أزياء متنافسة لاتجتمع ابدا . . تلتقي في العاصمة البريطانية وتقدم عرضا خيريا . . وتجمع ملايين الدولارات . . واستطاع فنانو الغرب أن يجمعوا قدرا كبيرا من المعونة ، وأن يحركوا ضمائر شعوبهم ووجدانهم . وبرغم فهمي وادراكي لكيفية ادارة الحملة الاعلامية التي صاحبت حركة الفنانين ، وكيف قدمت في اطار باهر . . وبقدر استيعابي لقواعد هذه الحركة مهنيا وسياسيا . . وكيفية استثمارها في علاقة العالم المتقدم مع العالم النامي المتخلف . . برغم كل هذا كانت تساؤلاتي تذهب الى شيء آخر . . كنت أتساءل عن كثير من فنانينا الذين لم يعد هناك من أخبار لهم سوى متابعتهم في زيجاتهم وعلاقاتهم . . وكثير من مهازلهم ، وماذا يحبون وماذا يكرهون ؟ عن هؤلاء الفنانين الذين نصطدم بهم في المطارات وهم يحظون بأولوية تفوق أولوية كل مثقفينا العرب مجتمعين . . ويظفرون بحماية وحصانة في نقاط التفتيش والمرور والادارات . . تعادل حصانة الدبلوماسيين . .عن هؤلاء الفنانين الذين لم يقدموا لنا فنا راقيا يسمو بذوق الانسان ووجدانه . . ولم يتفاعلوا مع مجتمعاتهم ليصبحوا جزءا من نظام عام شامل متماسك . . لم يعايشوا مجتمعاتهم . . همومها ومشكلاتها . . آمالها واحلامها . . لم يصبح فنهم تعبيرا عن حلم الوطن وكبرياء الوطن وهم الوطن . . امتلأت صحفنا وأيامنا بحياتهم وأخبارهم وفنهم السطحي السادج الممجوج . . لم تعد المقولة الشهيرة صحيحة معهم . . « اعطني خبزا وفنا أعطك شعبا » ، بين أولئك وهؤلاء . . بين نماذج لفنانين يملكون وعيا وحسا انسانيا . . وبين كثير من فنانينا مساحة كبيرة وفارق هائل ، وليس ذلك دفاعا عن أولئك ولا ذما لهؤلاء . . فالفارق واضح وملموس . . لم نعد نستطيع أن نري سينما عربية الا لقلة ، ولانسمع غناء عربيا الا لقلة . . ولا نشاهد مسرحا عربيا الا لقلة . . فقد استطاع الأدعياء شأن العملة الرديئة ـ أن يطردوا الجيد والمتميز من السوق . . فخربوا الذوق العام . . وأسلمونا الى أيام نشتهي فيها عبق الفن ومجده وعظيم اسهامه في صياغة الحياة .

محمود عبد الوهاب

نمط جديد من

التهاب الكبد

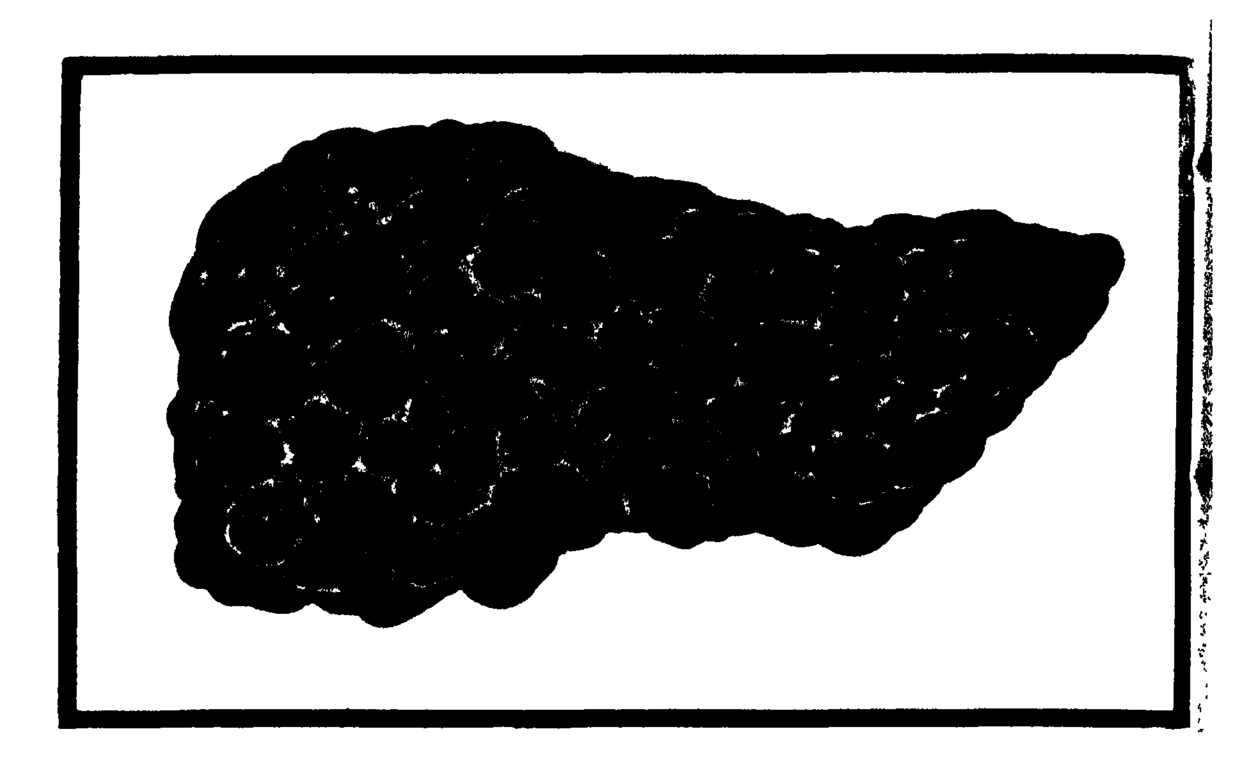
بقلم : الدكتور عبد الرؤوف لولو

إن أول مرجع عن وباء اليرقان هو « أبو قراط » وقد حدثت أوبئة يرقانية كثيرة أثناء الحروب والمجاعات في بقاع متفرقة من العالم وخصوصا في الشرق الأوسط وايطاليا في الحرب العالمية الاولى والثانية . وعرف الكثير عن طبيعة هذا المرض في الخمس عشرة سنة الأخيرة بفضل الأبحاث القيمة والاكتشافات العديدة في مجال هذا المرض . فما هو الجديد اذن ؟

ان المصطلح العام « التهاب الكبد الفيروسي » يشير في الاستعمال العادي الى التهاب الكبد الذي تسببه ثلاثة أنماط من فيروسات الكبد وهي : (أ) و (ب) وغير المحدد (لا الفباء) وحديثا وجد أن هناك نمطاً رابعاً يسبب التهاب الكبد الفيروسي هذا ويسمى فيروس « د »

فالتهاب الكبد بفيروس « أ » هو أقدم ماعرف من هذه الانماط ، ويسمى أيضا التهاب الكبد المعدى ، والتهاب الكبد الوبائي ذو الحصانة القصيرة الأمد ، أما التهاب الكبد بفيروس « ب » فيعرف بالتهاب الكبد المصلي ، وقد اكتشف الدكتور بلومبيرغ من فيلادلفيا بالولايات المتحدة جزىء أنتجن السطح المرافق لهذا الفيروس في دم أحد سكان استراليا الأصليين « الابوريجين » في عام ١٩٦٥ وسمي الانتجن الاسترالى وعرف الآن بأنه انتجن السطح لفيروس « ب » وقد اكتشف الدكتور « دان » الجزيء الكامل لفيروس « ب » عام ١٩٧٠ وسمى جزيء دان .

أما التهاب الكبد بالفيروس غير المحدد (لا الفباء) (Non- A - Non- B) فسببة فيروس



محدد فلا هو فيروس ألف ولا باء . ولم يمكن حتى الآن فصل الفيروس المسبب لهذا النوع من التهاب الكبد بدقه .

وأما التهاب الكبد بفيروس « د » فقد اكتشفه لاول مرة الدكتور ريزيتو من كلية طب جامعة تورينو بايطاليا عام ١٩٧٧ .

ومن المعروف ان الكبد يصاب بفيروسات كثيرة مثل فيروس تضخم الخلايا ، وفيروس الحمى العقدية ، وفيروس الحمى الصفراء ، والحصبة الألمانية وغيرها من الفيروسات . والتغيرات المرضية في نسيج الكبد في الأنماط الاربعة من التهاب الكبد الفيروسى السابقة الذكر متشابهة الى حد كبير ، اذ يوحد التهاب عام في الكبد واذا كان هذا الالتهاب شديدا فقد يسبب التهاب الكبد الداهم ولكن غالبا ما يكون هذا الالتهاب بسيطا . ونتائج الالتهاب هي الشفاء التام في الغالب أو التهاب الكبد المزمن ، أو تليف الكبد في بعض الأحيان .

أما من الناحية السريرية : فمسار المرض متشابه تماما في الأنماط الأربعة ، ومن الممكن أن يكون المرض مصحوبا باليرقان (الصفراء) والصورة السريرية في الأنماط الأربعة من التهاب الكبد الفيروسى متشابهة غير أنه يوجد تفاوت كبير في درجاتها يتراوح بين الوعكة الصحية ومرض يؤدي الى غيبوبة قد تكون قاتلة . ومن المعروف أن التهاب الكبد بفيروس « ب » او « د » اكثر شدة وخطورة

فيروس التهاب الكبد« د »

اكتشف د . ماريو ريزيتو من توريبو بايطاليا فى عام ١٩٧٧ مولداً مضاداً (انتجن) موجوداً في نويات خلايا كبدية لمريض ايطالي يحمل في دمه فيروس التهاب الكبد « ب » وذلك بواسطة الفحص المجهري بالومض المناعي كما وجد في دم المريض أيضا أجساما مضادة لهذا الأنتجن ، وقد سمى هذا الانتجن (دلتا) وفي عام ١٩٧٨ انتقل الدكتور ريزيتو الى الولايات المتحدة ، وأحضر معه عينات من دم مرضاه ليتابع بحوثه مع الدكتور جيرين في جامعة جورج تاون في مدينه واشنطن . وقد ادى هذا التعاون الى اكتشاف طريقة استخلاص انتجن دلتا من دم المرضي ، وذلك بعد اجراء تجارب على حيوان الشمبانزي . وفي عام ١٩٨٠ تمكن الباحثون من التأكد أن انتجن دلتا هو بالفعل « فيروس » يمكنه أن يحدث المرض في الحيوانات تحت ظروف خاصة فهذا

الفيروس لم يقدر أن يحدث مرضا في القرود الا اذا كانت هذه القرود مصابة بفيروس التهاب الكبد « ب » وقد استمرت هذه الابحاث حتى تمكن هؤلاء العلماء من تحديد الصفات البيولوجية والجزيئية لهذا الفيروس ، وكذلك وبائية هذا المرض والملامح والمسار السريري له .

ولقد اكتشف العلماء أن فيروس « د » هو فيروس ناقص أي أنه يحتاج الى فيروس آخر وهو فيروس « ب » حتى يمكنه ان يحدث مرض (التهاب الكبد) في الانسان أو الحيوان لذا فإن فيروس « د » هو فيروس ناقص او تابع يحتاج الى فيروس مساعد من قبل ، وتسمى طريقة (الحمل على الظهر) ، اي ان الفيروس الكبير يحمل الصغير ويعطيه جزءا منه . وسرعان ما لاحظ هؤلاء الباحثون تفشي العدوى بفيروس « د » في جنوب ايطاليا ، وهذا الاكتشاف وان كان مذهلا الا انه لم يثر فضول خبراء الطب الوقائي والصحة العامة . ولكن حدوث هذا المرض على شكل وباءبين هنود (يوكبا) (yucpa) بفنزويلا عام ١٩٧٩ هو الذي لفت أنظار خبراء الصحة العامة ، وشد انتباههم لان هذا الوباء كان مهلكا ومدمرا ، وكان أول وباء لهذا المرض ينتشر بين مجموعة من الناس . ولقد أصبح واضحا الآن أن العدوى بهذا الفيروس منتشرة في جميع أنحاء العالم .

التهاب الكبد الدالي

اثبتت الدراسات أن المرض منتشر في جميع انحاء العالم ، وهو متوطن في ايطاليا وخصوصا في جنوبها ، وكذلك في البلدان الافريقية والشرق الأوسط وشمال امريكا الجنوبية كما أن المرض قد وجد في دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، وحديثا في جزر المحيط الهادي كجزر ساموا الغربية . اما في البلدان الاخرى كالبلدان الاوروبية والولايات المتحدة فإن عدوى فيروس « د » موجودة في المجموعات المعرضة لخطر الاصابة بفيروس « ب » كحاملي فيروس « ب » الاصحاء ظاهريا ، والمرضى الذين يعالجون بنقل دم متكرر أو مشتقاته مثل البلازما ، او الجلوبيولين المناعي كمرضى النزاف (الهيموفيليا) او فاقة الدم البحرية (الثلاسيميا) وحتى الآن لم تكتشف العدوى بفيروس « د » في اليابان والصين واستراليا .

طرق انتقال العدوى :

ان هذه الطرق تشبه الى حد كبير طرق انتشار العدوى بفيروس « ب » فمن الممكن انتقال العدوى عن طريق الحقن بين مجموعات كالمدمنين الذين يتعاطون المخدرات والعقاقير عن طريق الوريد ، أوبين المرضى الذين يعالجون بنقل الدم او ومشتقاته كالبلازما المجمدة او الجلوبيولين المناعي ، وكذلك بين مرضى قصور الكلى الذين يتعالجون « بديلسة » الدم باستعمال كلى صناعية مشتركه .

كما أنه يمكن انتقال العدوى عن طريق آخر عبر الحقن مثل الانتقال عن طريق سحجات الجلد او من خلال الغشاء المخاطي . فالمخالطة اللصيقة ، وسوء الأحوال الصحية ، والزحام يحتمل أن يكون لها دخل في انتشار العدوى بهذه الطرق . ودرجة انتقال العدوى بين افراد العائلة الواحدة الكبيرة قد تبلغ نسبتها بين الزوجين والاخوة ٧٥٪ ويدعى هذا بانتقال العدوى الافقي بينما نسبة العدوى بفيروس « ب » بين الزوجين والاخوة تبلغ ٦٨ ٪ ولقد حدث وباء التهاب كبدي بفيروس « د » في قرى هنود (اليوكبا) في فنزويلا في الفترة بين ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ وثبت أن العدوى كانت عن طريق الجلد ، لان معظم المصابين بهذا الوباء كانوا يعانون من امراض جلدية تسبب الحكة واحداث خدوش في الجلد مثل الجرب ، والتهاب الجلد الفطري ، والابتلاء بالبراغيث والقمل . كما أن هؤلاء الهنود كانوا يعالجون بعض امراضهم بالوخز بالابر ، او بأشواك حادة وقد كانت نسبة الوفاة من جراء هذا الوباء ٢٣ من المصابين في حين بلغت بين المصابين بالتهاب الكبد المزمن نسبة ١٥٪ .

وفي دراسة اجريت في دولة الكويت سنة ١٩٨٣ وجد أن هذا المرض متوطن ايضا بنسبة ٤٠٪ بين المرضى الحاملين لانتجن السطح لفيروس « ب » علما بأن نسبة حاملي هذا الانتجن تبلغ (١,٨ ـ ٤٪) من سكان الكويت بينما وجد أن نسبة الع[illegible]وى *ايطاليا تتراوح بين (٤٠ ـ ٤٧٪) والتي* [illegible]

بؤرة في العالم وجد بها المرض متوطنا

ولقد ثبت أن انتقال العدوى بفيروس « د » يحدث رأسيا بين الام الحامل وطفلها الوليد في فترة ما قبل وبعد الولادة كما يحدث في عدوى فيروس « ب » وفي دراسات اخرى وجد أن انتقال عدوى فيروس « ب » رأسيا من الام للطفل ليس مهما كما هو الحال في انتقال عدوى فيروس « ب » الرأسي . كما ثبت أن انتقال العدوى بين افراد العائلة الواحدة والمجتمعات المغلقة (الانتقال الافقي) اكثر اهمية في عدوى فيروس « د » منها في عدوى فيروس « ب » كما وجد أن إعطاء لقاح فيروس « ب » للأم الحامل يمنع انتقال عدوى فيروس « ب » وكذلك فيروس « د » من الام الحامل للطفل . وكذلك لا يمكن لفيروس « د » ان يتكاثر في دم الام وبالتالي فإنه لا ينتقل الى الطفل حديث الولادة .

النماذج الحيوانية

لقد امكن نقل العدوى بفيروس « د » الى قرد الشمبانزي والذي هو نموذج للعدوى بفيروس الكبد « ب » ايضا ، وبهذه الطريقة أمكن دراسة النشاط البيولوجي والصفات الجزيئية لهذا الفيروس وقد وجد أنه عند حقن القرد السليم بفيروس « د » فإن الفيروس يظهر في الدم بعد اسبوعين ، ويصل تكاثر الفيروس ذروته بعد ٤ اسابيع ، ويختفي من الدم بعد ٦ اسابيع عندما تبدا الأجسام المضادة لهذا الفيروس بالظهور . وقد وجد أن التهاب الكبد يظهر بعد ٤ أسابيع من حقن القرد بالفيروس ، ويتحسن الالتهاب بعد ٦ اسابيع

وقد نجح العلماء أيضا في نقل العدوى بفيروس « د » الى حيوان آخر غير الشمبانزي وهو حيوان المرموت ، وهو حيوان قارض يعيش في أمريكا الشمالية . وقد وجد أن هناك فيروسا خاصا به يدعى فيروس المرموت يسبب التهاب الكبد في هذا الحيوان ، ويوجد تشابه كبير بينه وبين فيروس الكبد « ب » ولذا امكن نقل عدوى فيروس « د » الى هذا الحيوان لانه ثبت أن فيروس « د » يستعير انتجن السطح لفيروس المرموت ويتخذ منه غلافا له كما يفعل مع فيروس « ب »

التهاب الكبد الحاد

لايوجد فرق من الناحية السريرية بين التهاب الكبد بفيروس « ب » او بالفيروسين « ب ، د » معا في نفس الوقت . فالعدوى الثنائية بالفيروسين لا تؤثر كثيرا في مسار أو نتيجة المرض وقد راى بعض الباحثين أن احتمال حدوث التهاب كبدي داهم قد تزداد في العدوى الثنائية ، كما قد تزداد أيضا نسبة حامل الفيروس « ب » المزمن . ولكن دارسين آخرين لم يؤيدوا ذلك بل قد ذهبوا الى أن العدوى بفيروس « د » في الحقيقة تقلل من حدوث التهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » عندما يصاب الكبد بهما معا في نفس الوقت

وهكذا فالدراسات الموجودة التي اجريت حتى الآن تدل على أن العدوى بفيروس « د » اذا ما تزامنت مع عدوى الكبد بفيروس « ب » لا تزيد من خطورة التهاب الكبد ، ففي طور الشفاء من التهاب الكبد بفيروس « ب » فإن الفيروس « ب » يتوقف تكاثره ثم يبدا بالاضمحلال وبما أن فيروس « د » يعتمد في تكاثره على وجود فيروس « ب » فان اختفاء الاخير من الدم يساعد على اختفاء الاول ولذا فالتهاب الكبد المزمن لا ينتج عن العدوى الثنائية .

التهاب الكبد الدالي الحاد

لقد أثبتت الدراسات أن التهاب الكبد الدالي الحاد في الأشخاص حاملي انتجن السطح لفيروس « ب » يمكن أن ينتج عنه التهاب كبد دالي مزمن او مستمر . اما مصير المصابين بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد المتزامن بالفيروسين « د » و « ب » فهو الشفاء . وفي دراسة اجريت في ايطاليا عن تأثير عدوى فيروس « د » على حاملي انتجن السطح لفيروس « ب » وجد أن ٢٠٪ منهم اصيبوا بالتهاب كبدي غير ظاهر ـ دون السريري ـ و ٥٠٪ منهم عانوا من التهاب حاد ظاهر اما ٣٠٪ منهم فاصيبوا بالتهاب كبدي مزمن وفي وباء هنود (يوكبا) الفنزويليين بلغت نسبة الوفيات ٢٣٪ من الحالات معظمها بسبب التهاب كبدي داهم ، بينما اصيب ١٥٪ منهم بالتهاب كبدي مزمن ولم

يعرف حتى الآن فيما اذا كانت هناك عوامل اخرى أثرت في نتيجة هذا الوباء وساعدت على ارتفاع نسبة الوفاة والتهاب الكبد الداهم والمزمن مثل العوامل الوراثية وتدني الحالة الاقتصادية والاجتماعية وعدم وجود رعاية طبية بين الهنود القرويين .

التهاب الكبد الدالي الداهم

أصبح واضحا أن فيروس « د » يمكن أن يسبب التهاب كبد داهم في اشخاص حاملين لانتجن السطح لفيروس « ب » او مصابين بالتهاب الكبد « ب » المزمن . أما التهاب الكبد الحاد المتزامن بفيروس « ب » و « د » فغالبا لا يسبب التهاب كبد داهم ولكن في بعض الاحيان قد يفعل ذلك ويعزى هذا الى وجود عوامل وراثية او غيرها قد تزيد من خطورة العدوى الثنائية المتزامنة .

ان نسبة التهاب الكبد الداهم الناتجة عن عدوى فيروس « د » لمريض مصاب بالتهاب كبد « ب » المزمن نسبة مرتفعة قد تصل الى نسبة عالية تتراوح بين ١٥ - ٦٦٪

التهاب الكبد الدالي المزمن

إن التهاب الكبد الدالي المزمن المصاحب لالتهاب الكبد بفيروس « ب » موجود في مناطق جغرافية عديدة من العالم . وقد اكتشف هذا المرض أولا في ايطاليا ثم في أقطار أخرى وقد وجدت نسبة العدوى بفيروس « د » في مرضى التهاب الكبد « ب » المزمن اكثر منها في التهاب الكبد « ب » الحاد ، ففي ايطاليا وجدت النسبة ٥٩٪ في الالتهاب المزمن و ٥٪ فقط في الحالات الحادة ، أما في الولايات المتحدة فإن نسبة العدوى بفيروس « د » كانت ٣٢٪ في الالتهاب المزمن و ٣٪ فقط في الالتهاب الحاد ، بينما بلغت النسبة في الكويت ٦٦٪ في الالتهاب المزمن و ١٣٪ في الالتهاب الحاد .

ان الفحص المجهري لعينة من التهاب كبد دالي مزمن تشبه الى حد كبير التهاب كبد مزمن بفيروس « ب » أو الفيروس غير المحدد (لا الف - لا باء) والطريقة الوحيدة للتمييز بينهما هي باستعمال الومض الشعاعي المجهري وفي دراسة للدكتور ريزيتو على ١٠١ مريضاً بالتهاب الكبد الدالي المزمن وجد أن نسبة تليف الكبد بلغت ٥٧٪ بينما بلغت نسبة الوفاة ١٣٪ من جراء قصور الكبد والنزيف الحاد من دوالي المريء

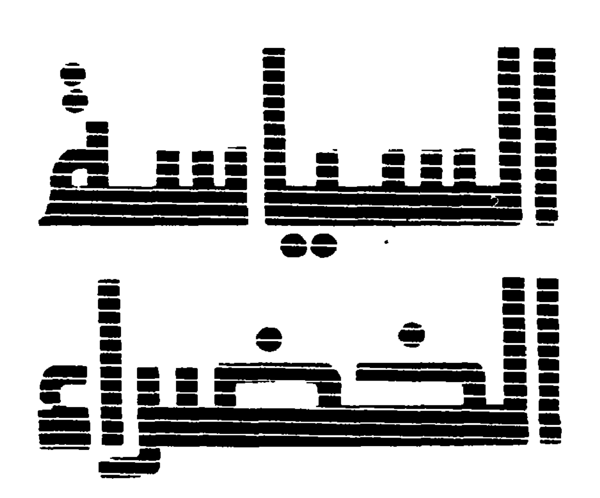
سرطان الكبد الأوليّ

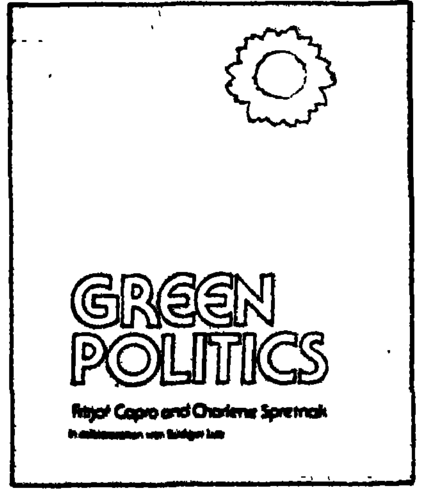
ان سرطان الكبد الاولي هو من العقابيل المعروفة لالتهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » وقد اجريت دراسات عديدة على مرضى سرطان الكبد لمعرفة مدى علاقة فيروس « د » بهذا السرطان،ففي سرطان الكبد في ايطاليا وجد فيروس « د » في خلايا الكبد في ٢٥٪ من الحالات ، بينما وجد فيروس « ب » في ٥٢٪ من الحالات . اما في لوس انجيلوس بامريكا فقد وجد فيروس « د » في ٢,٥٪ من حالات سرطان الكبد بينما وجد فيروس « ب » في ٣١,٥٪ فيها . وهكذا نجد انه لم يلاحظ أية علاقة خاصة بين العدوى بفيروس « د » وسرطان الكبد الناتج عن التهاب الكبد المزمن بفيروس « ب » .

لا يوجد علاج ناجح حتى الآن لحالات التهاب الكبد الدالي . فالمريض المصاب بهذا الالتهاب غالبا ما يشفى منها ونسبة الشفاء تبلغ ٨ - ٩٪ من الحالات بهذا اما النسبة الباقية (١٠ - ٢٠٪) من المرضى فيتحول الالتهاب الحاد الى التهاب كبدي مزمن او تليف الكبد . ان استعمال عقاقير كابتات المناعة مثل عقار الكورتزون ومشتقاته او منشطات المناعة مثل عقار ليفاميسول لم يغير من مسار المرض وعقابيله وبما أن المرض لايصيب الا الاشخاص حاملي فيروس « ب » وان طرق العدوى بالفيروسين متشابهة ، فإن استعمال طرق الوقايه من العدوي بفيروس « ب » تساعد كثيرا على تقليل العدوي بفيروس « د » وذلك باستبعاد الدم ومشتقاته الذي ثبت تلوثه بفيروس « ب » او « د »وكذلك بتعقيم الحقن ومراعاة قواعد الصحة العامة والنظافة الشخصية - ومن الممكن ان يكون لقاح الفيروس « ب » مفيد في منع العدوى بفيروس « ب » فقد ثبت ان اعطاء لقاح بفيروس « ب » للأم الحامل وبها عدوى فيروس « ب » وفيروس « د » يمنع انتقال عدوى فيروس « ب » و « د » للطفل حديث الولادة . □

مكتبة العربي







تأليف : فريتليوف كابرا ، شارلين سبرتناك

عرض وتعليق : جمـــال وردة

« لسنا يسارا ولا يمينا ، نحن في المقدمـة » شعار أطلقـه « الخضر » ضمن أدبياتهم وأطروحاتهم . فمن هم هؤلاء القادمون الجدد ؟ هـل هم جماعـة دينية إصـلاحية جـديدة ، أم جمعيـة فلسفية رومـانسيـة للحـالمين من عشـاق الأرض والـطبيعة ؟ أم حـركة سيـاسية رافضـة لقيم الفولاذ والحـديد وأدبيـات المحارق والنفايات النووية . ان حدائق الاسفلت والفولاذ لا تنتج البراعم الخضراء بالتأكيد فهل من درب أخضر جديد . . ؟

كتاب الشهر

في الثاني والعشرين من مارس عام ١٩٨٣ سار موكب مهيب من سبعة وعشرين شخصا، بينهم الممرضة والموظف والجنرال المتقاعد، وعامل البناء ومجموعة من المدرسات، وطبيب بيطري وفني كمبيوتر وثلاثة مهندسين واستاذ زراعة جامعي وصاحب مكتبة ومحام واحد، كلهم يسيرون عبر شوارع العاصمة الألمانية، يتقدمهم رمز للكرة الأرضية، وغصن ذابل أحضروه من الغابة السوداء حيث قتله التلوث. كان هذا الموكب وحوله مندوبو الحركات الانسانية العالمية يشق طريقه نحو البوندستاغ - مجلس البرلمان الالماني ويتحد المشاركون فيه مقاعدهم داخل هذا المبنى العريق، كممثلين منتخبين عن أول حزب جديد في المانيا منذ أكثر من ثلاثين عاما وقد أصر هؤلاء الضيوف الجدد على الجلوس في الوسط بين الحزب الديمقراطي المسيحي، الذي جلس ممثلوه في الجانب الأيمن، والحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي جلس ممثلوه في الجانب الأيسر - وقد أطلق هؤلاء القادمون على أنفسهم اسم «الخضر»

لقد أعلن هذا الحزب بأنه مجرد تنظيم لا حزبي، وبأنه الصوت المعبر عن الجماهير العريضة وقد تقدموا باقتراحات جديدة ومتكاملة لكل الأزمات السياسية والاقتصادية والبيئية في بلدهم وفي العالم - لقد تكلموا عن الخواء الروحي للمجتمعات الصناعية، وأثاروا من الأسئلة الصريحة والحادة ما أسكت الحكومة والأحزاب الأخرى، ووضعها في مكان حرج أمام هذا الصوت الألماني الجديد والجريء

انهم جدد في كل شيء، في نشاطهم السلمي، ونظرياتهم عن البيئة، ومعارضتهم للأسلحة الذرية، واتصالاتهم مع حركات التحرر الوطني في العالم الثالث. انهم جدد في تعابيرهم ولغتهم - فبينما كانت اللغة السياسية الحزبية منمقة، يلفها الغموض البلاغي، ويقوم الرجال بدور القيادة الحزبية وبلباسهم الرسمي والتقليدي أو بلباسهم العادي البسيط يطهر الخضر بقيادات جديدة أغلبها من النساء

يعتبر الخضر أنفسهم الممثلين الحقيقيين الوحيدين لكافة الحركات الجماهيرية البيئية والسلمية والمتصلة بتحرر المرأة ونزع السلاح الذري لهذا نجد أن العضو السياسي في هذا الحزب هو أيضا عضو نشط وفعال في احدى هذه الحركات المذكورة - ولهذا فلابد من وجود تباين فكري داخل هذا التنظيم الذي يمكن تقسيمه الى أجنحة أربعة - المثالي والبيئوي والسلمي واليساري الراديكالي ولكنهم ينمون هذا التناقض التنظيري أو الفكري ويعتبرون ذلك مسألة أولويات فقط

أربعة أجنحة

أما الجناح المثالي فإن جل اهتمامه ينصبّ على مبدأ التطور للمجتمع الجديد، المرتكز على طرق التفكير المتفاعل مع الطبيعة بكافة ظواهرها. انهم يريدون من جماهيرهم أن يتحاوروا بفكرهم عالم الماديات المسيطر على الفكر الأوروبي، منذ أكثر من ثلاثمائة سنة انهم يدعون الى أساليب فكرية جديدة أكثر عقلانية وأكثر جرأة، لفهم العلاقة الحميمة بين الطبيعة والأفراد والجماعات والبلدان، وهم يفهمون الاقتصاد على أنه يغطي شيئا آخر غير الأمور المالية. ويطلق على هذا الجناح أيضا الجناح الأخلاقي أو العقائدي.

أما الجناح الثاني - البيئيون - فإنهم يركزون جهودهم مبدئيا وأساسا على كيفية حماية الطبيعة من النفايات والاشعاعات الذرية والتلوث الجوي واية مخاطر أخرى. وهم بالتالي يدعون الى استعمال مصادر تقنية جديدة للطاقة والصناعة، وهذا الجناح محافظ وتقليدي. وعلى الرغم من دعوته الى التعبير السياسي الكبير في الحكومة، فهو يصر على الاحتفاظ بالقيم التقليدية، ويكثر تواجد هذه الفئة في المناطق الريفية

وأصحاب الجناح الثالث هم اتباع حركة السلم ، وهم جماعات جاءت الى الحزب من الحركات الرافضة للصواريخ الذرية وكانت أهم نشاطات هذه الجماعات المطالبة بوقف نقل صواريخ بيرشنغ ١١ ، وصواريخ كروز الى المانيا باعتبارها جزءا من النظام الدفاعي لحلف الناتو وتتجاوز مطالب هذا الجناح الاقتراحات السابقة لتصل الى قضايا أخرى مثل الغاء الكتل السياسية العالمية ، ونزع السلاح العالمي ، والدفاع الاجتماعي ، والمجتمعات الدولية الحرة

أما الجناح الرابع - فهو الجناح اليساري الراديكالي ومعظم أفراده جاءوا الى الحزب من جماعات ماركسية متعددة ، وهم الأكثر نفوذا وتأثيرا داخل الحزب ، على الرغم من قلة عددهم

جيل بلا ماض شائن

من نظرة الى أعمار المنتسبين لهذا الحزب ، نجدها تتراوح بين العشرين والخامسة والأربعين ، وأغلبهم كان مولده بعد ١٥ عاما من الحرب العالمية الثانية ، حيث كان سقوط « رايخ الألف عام » سقوطا للقيم والأيديولوجيات الألمانية القديمة وقد نشأ هذا الجيل الجديد حرا بعيدا عن عقد وذنوب أحداثه - جيل بلا ماض شائن - جيل كل ما يعرف عنه أن آباءه قد ارتكبوا فيما مضى خطأ ما وحين نشبت ثورة الشباب في الستينيات متحدية جيل المعجزة الاقتصادية ، أو جيل آبائهم ، ذلك الجيل الذي فقد السيطرة على أبنائه بسبب تاريخه النازي ، امتلأت سيكولوجيا هذا الجيل الثائر بمشاعر الكراهية والاستهجان والنقد لجيل الآباء لتعاونهم مع النظام النازي ، وقبولهم به

انهم حساسون رافضون لكل تفسير جديد يحاول أن يفلسف - عقائديا أو أخلاقيا - بيئتهم الاجتماعية وتطورها انهم يشعرون أن جيل آبائهم قد خانهم ، جيل سمح للرايخ الثالث أن يقوم ويسود انهم لشباب الألماني الغاضب ، كما أطلق عليهم حينئذ

وكمثيلاتها من ثورات الشباب في الستينيات التي قامت في أمريكا احتجاجا على الحرب الفيتنامية ، وفي فرنسا أيضا حيث استطاع الفكر الماركسي أن يقود هذه الحركات جميعا ، لو أنه كان أضعف كثيرا في التجربة الأمريكية ، ولكنه استطاع أن يستمر مسيطرا داخل الجماعات الألمانية حتى منتصف السبعينيات ، حين تشرذم الى مجموعة من الحركات العديدة - ولكننا نستطيع القول أن العديد من هذه الروافد الغاضبة السابقة عادت من جديد لتصب في هذا النهر الأخضر .

ولدى محاولة التعرف على الشخصيات النافذة في مؤسسات الحزب في القرى والمدن الجامعية والضواحي ، يستطيع القارىء أن يجد تناقضا حادا بين هذا الحزب والأحزاب الغربية الأخرى والامريكية بوجه خاص ، ففي أميركا يشكل المحامون الصفوف النافذة في المناصب ، وفي ادارة الحزب ، بينما نجد في الحزب الأخضر قياديين من أناس عاديين ، كالمعلمين والباحثين الاجتماعيين والممرضات والقساوسة والكتاب والمترجمين ورجال الأعمال ، فاللجنة التمهيدية للحزب في مقاطعة « هيس » تضم طالبين جامعيين ومعلما ومستشارا تجاريا وعاملا تحت التدريب ، كذلك يضم مجلس مدينة فريبورغ « سيدتين من ربات البيوت ومهندسا معماريا وعالم اجتماع » أو نستطيع القول أن أكثر الفئات المهنية احترافا لعضوية الحزب هم المدرسون .

أعمدة الحكمة الأربعة

يقوم الفكر السياسي للخضر على مفهوم شامل بعيد المدى ويرتكز على أربعة أعمدة من الحكمة والمبادىء

أولا . البيئة ، وهو مفهوم فكري يتجاوز في معناه حماية واصلاح الأمر الواقع . فهو يرتكز ويعمق على دراسة العمليات المتبادلة والتفاعلات وتطبيقها بالتالي على العلاقات المباشرة بين الانسان والطبيعة ، وينطبق هذا على الاقتصاد والبناء والنظام التعليمي والثقافة الروحية بشكل عام وهم يدعون الى انتاج طاقة بديلة من الشمس والماء والرياح والأنهار ، كما يدعون الى تطور تقني لطيف يعكس العلاقة التوافقية مع الأرض . كذلك يطالبون بطرق جديدة للزراعة ، وتوقف نهب هذه الخيرات بطريقة مدمرة للتوازن الطبيعي ، حيث النفايات والاشعاعات

والتلوث الجوي .

ثانيا : المسئولية الاجتماعية ، وهو مفهوم سياسي يعني العدالة الاجتماعية ، وحماية الطبقة العاملة والفقيرة من سيطرة المجتمع الاستهلاكي

ويرتكز مفهوم الخضر لهذا المبدأ حاليا على المطالبة بتشريعات جديدة ، تصون الحقوق المدنية للمرأة والاقليات التي تعمل وتعيش في المانيا

ثالثا : ديمقراطية القاعدة ، ويعني هذا الاصطلاح الديمقراطية المباشرة واللامركزية والحكم الذاتي للمحليات والمجالس الشعبية والقروية ، وهو دعوة لكافة الأفراد للوصول الى أعلى المناصب الرسمية ، بل يجب أن يكون هناك نظام دوري للانتخابات المحلية كل عامين لاتاحة الفرصة للجميع ، وللتعبير القيادي المستمر . ان مركزية السلطة في نظرهم تعني الخطر والشرور ، حيث التنافس الاقتصادي والاستغلال الشع والحروب ، ولذلك فهم يدعون الى ديمقراطية الوحدات السكنية الصغيرة ، لخلق عالم جديد آمن بعيد عن شرور الحرب

رابعا : اللاعنف ، وهذا يعني وقف كافة أساليب العنف الشخصية والعامة ، وهو العنف ، أو الاضطهاد المفروض من الدولة ومؤسساتها . ولهذا فهم يدعون بقوة الى مفهوم حق تقرير المصير للأفراد والجماعات معا ، ويطالبون بادخال مادة التعايش السلمي في المناهج المدرسية ، وبوقف العنف ضد الأطفال والنساء والأقليات ، وهم كذلك يريدون تغيير علاقتنا مع الطبيعة الى نوع من التوازن والاحترام .

وقود المحرقة القادمة

وهم أحيانا يذهبون الى أبعد من ذلك في تبريراتهم الفلسفية ، فيقولون ان المعنى الأخلاقي الوحيد لوجود القوى العسكرية هو أن تحمي وتدافع عن شيء تحبه ، ولكن هذا المعنى المذكور أصبح لا وجود له في عصرنا النووي . فليس هناك شيء ما تستطيع أن تحميه الآن ، فالخدمة العسكرية في مثل هذه الظروف تصبح عملا غير مشرف ، بل تعتبر اجراء تهديديا للآخرين ، وان ترك الخدمة العسكرية أصبح الآن قرارا أخلاقيا وعقلانيا أيضا .

فان تعيش في بلد كألمانيا بملايينها الستين ومساحتها التي لا تتجاوز مساحة ولاية أوريجون الاميركية ، وتحت مظلة ذرية ، حيث يحلق فوق رأسك أكثر من ٥٠٠٠ رأس نووي ، بالاضافة الى الجيوش الأمريكية والبريطانية والفرنسية والهولندية والبلجيكية والكندية ، أن تعيش في هذه الترسانة العسكرية المرعبة ، يعني حتما أن تكون وقود المحرقة النووية القادمة ان المانيا هي الهدف العسكري للصواريخ السوفيتية والفرنسية والأميركية معا .

ان الخروج من تحت الجلد يعني البحث عن طريق جديد للسلام ، فالسلام هو النجاة ، والشعب الألماني يكاد أن يكون الشعب الوحيد في العالم الذي يعاني بالفعل من التوتر بين القوتين العظميين ، لذلك فالسلام يعني الكثير في سياسة الخضر ، فهذا الحزب الوحيد الذي لا يتعاطف مع فكرة توحيد المانيا ، بل يعتبر ذلك من المخاطر التي يجب تجنبها ، ففلسفته تدعو الى قيام الدويلات الصغيرة أو الأقليات ، وهم ينظرون الى الدولة القومية الكبيرة على أساس أنها تمثل العرقية والشوفينية والتعصب ، وهم يدعون الى حظر الأسلحة النووية ، والى تقليص عدد المجندين ، والانسحاب من حلف الناتو على المستوى المحلي ، أما عالميا فهم ضد سياسة الردع النووي ، ويطالبون بحل حلفي وارسو والناتو ، ويعارضون تجارة السلاح، ويدعمون حركات التحرر الوطني في العالم الثالث . انهم يمدون يد العون والمساندة للدول النامية ، وكذلك يطالبون باقامة محكمة دولية تكون صلاحيتها محاكمة السياسيين والعلماء والعسكريين ، الذين يعملون أو يطورون أسلحة قد تؤدي الى دمار وهلاك البشرية .

قد تكون الحرب الذرية هي التهديد الأكبر للانسانية اليوم ، ولكن الأزمات الاقتصادية تظل هاجس الشعوب اليومي . قد نغض الطرف عن تلك

المخاوف النووية من حين لآخر ، ولكن يبقى ارتفاع مستوى المعيشة والبطالة والافلاس الاقتصادي ، هي الملامح الضاغطة التي تؤثر على حياتنا جميعا بطريقة أو بأخرى ، ولهذا تبقى شعبية الحكومات والدول والأحزاب رهن نجاحها في المضمار الاقتصادي .

ان المفهوم الاقتصادي عند الخضر هو في البداية رفض قاطع للمدارس الاقتصادية القديمة . فهم يطالبون بتقنية ذات وجه انساني ، ولا مركزية في الحكومة والتجارة في كافة المؤسسات الاجتماعية ، ومن أجل اعادة التوازن البيئي فلا بد من اعادة توزيع الثروة ، خصوصا بين البلدان الصناعية والعالم الثالث . ويبقى تحقيق هذا التوازن مستحيلا طالما ظل ٥٪ من السكان يستهلكون ثلث طاقته الانتاجية

انهم ضد أي نمو اقتصادي يؤدي الى هدر واستغلال الطبيعة ويكون هدفه الربح فقط وليس تلبية حاجات الانسان . انهم مع توفير فرص العمل للجميع ، حتى لو أدى ذلك الى تقليص ساعات العمل لاتاحة الفرصة للآخرين العاطلين ولكنهم رغم هذه الجمالية والشفافية للمبادىء ، مع الملكية الخاصة وضد الملكية العامة للوسائل الانتاجية ، وضد التأميمات ، لأنهم يرون في ذلك مزيدا من المركزية ، وجل اهتمامهم أن يبقى منع الاستغلال البشري والبيئي قائماً .

الشعر والاقتصاد

ان نظرة تحليلية لمفهومهم الاقتصادي تظهر بوضوح أن أفكارهم في الحقيقة أقرب الى الأدبيات والأخلاقيات الاقتصادية ، أكثر منها علما اقتصاديا .

فهم ينظرون ويفسرون بروحانية غريبة ، وبشفافية شعرية متناسين غافلين أن الاقتصاد علم شائك وليس لوحة زيتية وسيمفونية حالمة

هم ضد الملكية العامة ، لأن المركزية لديهم تعني السلطة ، والسلطة تعني القهر والاستغلال ثم التنافس،فالحروب التي يكون العمال أنفسهم وقودها وضحاياها باعتبارهم الأيدي المنتجة . وهم يطالبون بتفتيت الملكية خوفا من تعاظمها وتحكمها ، متناسين أن الملكية الفردية لم تعد فردية حتى في أغنى الدول الرأسمالية ـ ففي أميركا مثلا وهي المثل الحقيقي لانصار الملكية الفردية في العالم نجد أن البيوت والمؤسسات والهيئات المالية والرساميل هي التي تتحكم ، ليس في أميركا فقط ، بل في العالم ، وهكذا نجد أنه مع الملكية الفردية المزعومة أصبح الاستغلال عالميا وليس فرديا فحسب .

صحيح أنهم يطالبون باقتصاد وانتاجية لا يكون الربح غايتها ، ولا تشكل أي استغلال أو اخلال في التوازن البشري البيئي ، ولكن أين يمكن أن نجد هؤلاء الرأسماليين الأنبياء ؟؟

لا مكان لهم للأسف حتى في مدينة أفلاطون الفاضلة نفسها !!

انهم يخلطون دائماً بين الوعظ الديني والفكر السياسي الاقتصادي ، ولكن يبقى في اعتقادنا أن هناك فرقاً قاتلاً بين النظرة التحليلية العلمية للأمور وبين الدعوات الصالحات . قد تكون الأخلاقيات حافزاً تنويرياً للتخطيط ولكن يقيناً هي ليست الخطة كلها . فالجشع البشري تاريخياً لم توقفه الرحمة أو التوبة ، بل أوقفته ثورات المطحونين ـ أيادي الانتاج الحقيقية

لقد طرح الحزب العديد من القضايا ضمن برنامجه المدرالي ، ومفاهيم جذرية . . فالرؤيا الجديدة لمجتمع بيئي جديد يخلو من الاستغلال يتطلب بالضرورة رؤيا جديدة من المفاهيم أيضاً . ولكن إصرارهم على حق تقرير المصير الشخصي مع الحفاظ على أشكال الحياة الطبيعية قد يقودهم الى مأزق عقائدي لا يجدون له جواباً في الوقت الحاضر .

انهم يركزون فلسفياً على كيفية التوفيق بين النمو الحر للانسان ، وبين القانون الطبيعي للمشاركة الجماعية ، ثم كيفية استخلاص القيم المشتركة منهما .

إن اقامة مجتمع سلمي حر غير مستقل يتطلب القفز فوق القيم السلطوية المعاصرة ، وبما أن المرأة هي الأكثر معاناة واستغلالاً فقد فتح الحزب ملف المرأة على مصراعيه ، بدءاً بحرية التعليم وحق العمل ومساواة الأجر ، وانتهاء بقضية الحمل وحق الاجهاض .

وهناك قضية أخرى يطرحها الحزب بجرأة وهي قضية العلم والتقنية والمجتمع ، فهم يطالبون بالرقابة

الشعبية والتحكم بالصناعات التقنية الحديثة ـ فهم ضد الصناعات الكيماوية الهامة ، حيث صناعة المبيدات والأدوية ذات المضاعفات الخطرة على الانسان والطبيعة نفسها وهم أيضاً ضد بنوك المعلومات ذات التحزين الألكتروني ، لأن ذلك في رأيهم انتهاك صريح لحرية الانسان وخصوصياته ، وقد استطاعوا بالعمل اسقاط مشروع حكومي بخصوص البطاقة الشخصية الألكترونية ، حتى أنهم استطاعوا وقف مشروع للاحصاء في ألمانيا خشية أن تقع هذه المعلومات الشخصية في أيد غير أمينة ، أو بعبارة أكثر صراحة خشية أن تستفيد منها أجهزة الأمن ، وتصبح بذلك هذه المعلومات الخاصة جداً سيفاً مسلطاً على رقاب الناس . ان ذلك ـ برأيهم ـ انتهاك صريح لخصوصية الانسان ، فمن يضمن عدم استغلالها من قبل جهات ضاغطة كثيرة ، وهم أيضا يقفون بحزم ضد التصنيع الغذائي ذي الخصوبة الأحادية غير المتكررة . ، انهم مع التقنية الطيعة التي تسعى الى الخدمة العلمية لمستقبل البشرية والطبيعة .

وبالنسبة لقضية التعليم ، يطالب الخضر بثورة جديدة في المناهج تضمن اعادة الوعي الجماعي المدرك للقضايا الاجتماعية الجديدة ، والى اطلاق المهارات الطلابية ، وتعليم السلوك السلمي لحل القضايا ، وزرع المفاهيم التعاونية ، وحب الناس كما يدعون الى نشر تعليم الكمبيوتر حتى للمراحل الابتدائية ، حتى لا يكون هذا العلم حكراً على فئة قليلة ، وكذلك خشية خلق طبقة تكنوقراطية جديدة تحتكر كل شيء .

كما يركز البرنامج التعليمي على تحسين أوضاع بعض الفئات مثل الأطفال وكبار السن والمعوقين والمنحرفين والعمال الأجانب وقد تبنى الحزب قضية العمال الأجانب ، وهم حوالي أربعة ملايين من الأتراك واليوغسلاف والايطاليين والأسبان واليونانيين فهم ضد تصاريح العمل المؤقتة والاقامة المحدودة ، مذكرين أن من حق هؤلاء العمال الذين ساهموا في بناء الاقتصاد الألماني ، وبعد مرور خمس سنوات على اقامتهم ، أن ينالوا حق الانتخاب . كذلك من حق أبنائهم أن يعيشوا وفق تقاليدهم وليس كغرباء ، بل كمواطنين أحرار ، وهم مع حرية الصحافة ووقف الدعايات التجارية في التلفاز ، حتى يكون هذا الجهاز الهام بعيداً عن كل الضغوطات والمؤثرات الخارجية .

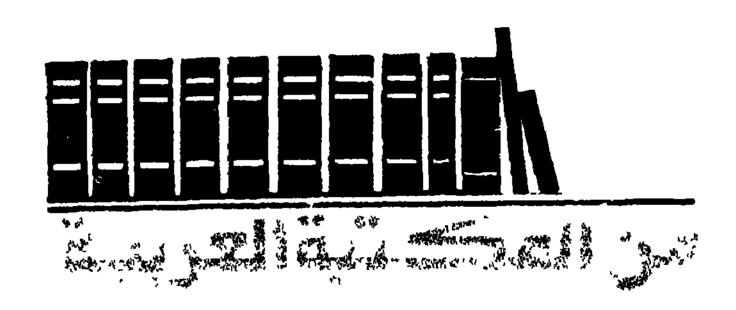
من الأخضر الى الأحمر :

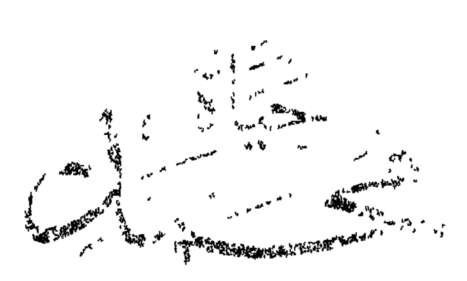
بعد عام تقريباً ، وبالتحديد في مارس ١٩٨٧ ، سيخوض الخضر تجربتهم الانتخابية الثانية ، وبالتالي سيتحدد مصير هذه الحركة التي شغلت وشاغلت الاعلام الدولي طوال السنوات الثلاث الماضية . وهناك طرفة يرويها نقاد الحرب ومعارضوه بأن الطماطم تبدأ خضراء ولكنها تكتسب في النهاية اللون الأحمر ـ إشارة الى تحول الحزب مستقبلا الى الفكر اليساري الثوري ، وهذه النبوءة يقول بها أيضاً هوسلاتير أحد قادة الحزب الذي يؤكد بأن حزب الخضر سيكون حزب الأغلبية عام ١٩٩٦ ، ولكنه سيكون وقتها ثلاثة أحزاب لا حزباً واحداً : ـ يساريين ، وليبراليين ، ومحافظين .

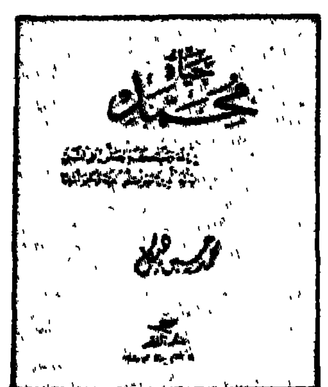
وتقييماً للتجربة السابقة نستطيع القول بأن الخضر قد غيروا الكثير من المفاهيم السياسية ، ولم تعد السياسة فعلاً « ذكورياً » وحكراً على الرجال .

لقد أضاف الخضر نكهة جديدة للسلوكيات السياسية ، وأدخلوا ما يسمى بالسياسة العملية أو التجريبية ، وصاغوا أفكارا جديدة في معنى الزعامة والمنصب القيادي والتنظيم الجماعي .

لقد خلطوا الجد بالمرح ، والبهجة بالرزانة ، والعلم بالأخلاق ، أو ما يمكنك تسميته بالأدبيات الخضراء للعمل السياسي . □







لمحمد حسين هيكل

مراجعة : فاروق خورشيد

منذ نصف قرن صدر كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ملقيا الضوء على سيرة الرسول الكريم مناقشا للكثير من الآراء حول هذه السيرة ومفندا آراء بعض المستشرقين المتحاملين على الرسول (ص) .

وهذه مراجعة للكتاب الذي احدث ضجة منذ صدوره قبل ٥٠ عاماً ومايزال .

يهدي الدكتور هيكل كتابه (الى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده) ، فتكون هذه العبارة هي مفتاح العمل كله ، فالكتاب ليس مجرد محاولة لرصد سيرة الرسول الانسان محمد عليه السلام ، وانما هو بالدرجة الأولى محاولة للبحث عن الحق والحق وحده في فهم شخصية محمد الرسول الانسان ، وفي فهم الرسول فهم للرسالة ، وفي فهم الانسان فهم للزعامة . . فالكتاب اذن يتقدم الى موضوعه وهو يجد لنفسه رسالة يريد أن يحققها ، فقد هال الكاتب كم الاكاذيب التي تهجم بها المستشرقون وأصحاب الدس من أبناء الكنيسة الذين تعصبوا ضد الاسلام فركزوا هجومهم على شخص الرسول . ويورد هيكل فقرة من موسوعة « لاروس » الفرنسية جاءت خلال عرض آراء المسيحية عن محمد الى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، تقول هذه الفقرة (بقي محمد على ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق كردينالا لم ينجح في الوصول الى كرسي البابوية ، فاخترع دينا لينتقم من زملائه) . . ويعقب هيكل على مثل هذه الفقرة

وعلى موقف المستشرقين المتحي قائلا . (أرأيت الحضيض الذي هوت اليه هذه الطائفة من كتاب الغرب ؟ أرأيت اصرارهم مع توالي القرون ، على الضلالة وعلى اثارة العداوة والبغضاء بين ابناء الانسانية) والدكتور هيكل لاينكر فضل الحاذين من المستشرقين ممن أنصفوا الرسالة والرسول . ويقول (وقد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المنصفين الى حد ما . ومنهم من يقر بصدق ايمان محمد بالرسالة التي عهد الله إليه بتبليغها عن طريق الوحي ، ومنهم من يشيد بعظمة محمد الروحية وبسمو خلقه ورفعة نفسه وكرم فضله ، ومن يصور ذلك في أقوى اسلوب واتمه وأروعه .) ، والمسألة

عنده ليست مجرد مسألة تعصب ديني وانما المسألة عنده ترجع الى سببين رئيسيين : الاول هو جهل الغرب بحقيقة الاسلام ، والسبب الآخر هو محاباة طبيعة الغرب لدعوة الاسلام الى التناسق الروحي ، وهو نفس الموقف الذي جعله اذ (قضت الظروف التاريخية عليه بأن يدين بالمسيحية فلا مفر له من أن يسبغ عليها ثوب الكفاح ، وأن يخرجها بذلك عن

طبيعتها السمحة الجميلة ، وأن يفسد فيها هذا التناسق الروحي الذي جعل منها حلقة في سلسلة الوحدة التي أتمها الاسلام) . وحين أحس الغرب اليوم بضياعه الروحي راح يتلمس المدد الروحي في المذاهب الروحية الهندية دون أن يحاولوا العودة الى روح المسيحية نفسها (ان لم يهدهم الله الى الاسلام)

. واذا كان هذان السببان مباشرين ، ويتعلقان بالغرب وموقعه وطبيعة شعوبه ، فإن هناك سببا ثالثا رئيسيا وان كان يتعلق برجال الاسلام ، وما أصاب الشعوب الاسلامية من المتخلفين الذين تصدوا للاسلام ولسيرة رسوله في عصور انحطاط الفكر مما أعطى المستشرقين وأهل الغرب من خصوم الاسلام من الأسلحة ما أباح لهم أن يحملوا الاسلام نفسه وزر انحطاط الشعوب التي آمنت به . ويقول الدكتور هيكل (على أن لهؤلاء الذين يحملون على الشعوب الاسلامية من العذر ان أضيف الى دين الله شيء كثير لايرضاه الله ورسوله ، واعتبر من صلب الدين ، ورمي من ينكره بالزندقة)

التعصب الديني والاستعمار

ويضرب الدكتور هيكل لهذا مثلا محددا هو اضافة هؤلاء الى سيرة الرسول (ما لايصدقه العقل ولا حاجه اليه في ثبوت الرسالة) ، فهذا الذي أضيف (اعتمد عليه المستشرقون واعتمد عليه الطاعنون على الاسلام وسيه وعلى الامم الاسلامية ، واتخذوه تكأتهم في مطاعنهم المثيرة ضد كل مصنف) وقد حاول بعض علماء المسلمين التصدي لهذه المطاعن والتصدي أيضا لمن استغلوها ، الا أن هذا التصدي افتقد الطريقة العلمية في الرد على علماء الغرب . وفي نفس الوقت فإن (هؤلاء العلماء المسلمين ، والشيخ محمد عبده في مقدمتهم ، قد اتهموا بالالحاد والكفر والزندقة ، فأضعف ذلك من حجتهم أمام خصوم الاسلام ، ولقد كان اتهامهم هذا عميق الاثر في نفوس شباب المسلمين المتعلمين) .

(شعر هؤلاء الشباب بأن الزندقة تعني حكم العقل ونظام المنطق في نظر جماعة من علماء المسلمين ، وان الالحاد عندهم قرين الاجتهاد ، كما أن الايمان قرين الجمود ، لذلك جزعت نفوسهم وانصرفوا يقرءون كتب الغرب يتلمسون فيها الحقيقة ، اقتناعا منهم بأنهم لن يجدوها في كتب المسلمين) . .

فالمسألة ليست مسألة تعصب ديني ، وانما هي في الغالب الاعم وطبقا لكل هذه الاسباب التي ساقها في تضاعيف حديثه ، مسألة الاستعمار الغربي المسلط على هذه المنطقة ذات الثروات وذات التاريخ ، فهو يريد أن يسلبها قدرتها الروحية بهزيمتها في عقيدتها ودينها وشخصية الرسول الممثل لهذه العقيدة وهذا الدين ، فهو يؤيد هذه الهجمات الغبية والجاهلة المعرضة على الاسلام والرسول ، ويرسل في نفس الوقت بعثاته التبشيرية الى المناطق الاسلامية تريد أن تفتن الناس عن دينهم وتوجههم العقائدي والروحي . وهو في ذات الوقت يشجع على عملية تدمير الاسلام في نفوس المسلمين من الداخل ، أي بأيدي المسلمين أنفسهم ليحولوه الى شيء جامد لايقدم جديدا لانسان العصر ، ويقول الدكتور هيكل : (وهذا الاستعمار يؤيد كذلك دعاة الجمود من المسلمين ، وكذلك تضافر عمل الاستعمار على تأييد مادسّ على الاسلام مما يبرأ الاسلام منه ، وعلى

سيرة الرسول من خرافات لايسيغها العقل ولا يقبلها الذوق ، وعلى تأييد الطاعنين على الاسلام وعلى محمد مما دسّ على الاسلام وعلى سيرة الرسول)

من هنا كان هذا الكتاب محاولة لتقديم سيرة الرسول تقديما جديدا تقوم أساسا على اتباع المنهج العلمي ، ويحاول أن يحقق سيرة واضحة الدلالة بالغة العمق ، تكشف في حياة محمد ما هو هدى للانسانية المطلقة الى الهدى ، وما هو مثال للمسلمين المتطلعين الى المثال والقدوة ، وما هو تاريخ حقيقي برىء من الهوى ، منقى من ادعاءات اصحاب الخرافات

صعاب جمة

وأمام تحقيق هذا الهدف صعاب جمة لعل أولها موقف أصحاب الجمود وانصار الخرافات ، وقد تخطى الدكتور هيكل هذه الصعوبة الأولى بما حظي من تأييد رجال الدين من أصحاب العلم والفضل والنظر الحقيقي الصادق للرسالة والرسول ولعل ثاني هذه الصعوبات هو المراجع ، فكل كتب السيرة امتلأت بالدس والاختراع ، وأصبح الاعتماد عليها لابد أن يشوبه الخطر ، ولا بد للباحث أن يكون رائده التمحيص العلمي والنظر الفاحص الدقيق . وقد ساعد الدكتور هيكل على تخطي هذه الصعوبة اهتداؤه الى ضرورة الاعتماد الاساسي على القرآن الكريم ، ويقول الدكتور هيكل (ولقد سبقت أن أصدق مرجع للسيرة انما هو القرآن الكريم ، فإن فيه اشارة الى كل حادث من حياة النبي العربي يتخذها الباحث منارا يهتدى به في بحثه ، ويمحص على ضيائها ما ورد في كتب السنة ، وما جاء في كتب السيرة المختلفة) . . وتبرز الصعوبة الثالثة في هذا الركام من الأكاذيب والزيف الذي الصقه المستشرقون بالرسول وحياته ودينه ، ومن هنا كان لابد خلال الكتاب من الوقوف عند القضايا الرئيسية التي وجد فيها المستشرقون مجالا للطعن ، لمعرفة حقيقتها ، وتجلية وجه الصدق فيها ، واسقاط التوجيهات الكاذبة التي وجه اليها المستشرقون الاحداث ، وابطال ما اعتمدوا عليه من مدسوسات أدخلت الى السيرة في عصور الانحطاط ، وألصقت بالسيرة لهوى في نفوس أصحاب الدس والوقيعة ، أو الجمود والايمان بالخرافات

هذه الصعوبات كلها واجهها هيكل بشجاعة واصرار ، شجاعة الأديب والفنان ، واصرار الباحث المدقق الذي درس القانون والفلسفة والمنطق ، والذي غاص في أعماق التراث قراءة واستمتاعا ، والذي طوف بالثقافة العربية في نهم وشغف ، والذي حاول القصة المعاصرة فكان رائدها الأول ، وكتب في القانون والسياسة والرحلات والخبر [illegible] في هذا الكتاب الذي هو استلهام لأعرق ما في الماضي العربي الاسلامي من قيم ومعان ، واستعانة بأحدث ما وصل اليه المنهج العربي من قواعد علمية ، وارتباطا بموضوعه ارتباط الفنان المبدع المستشرف للغد ، والذي يريد أن يثري هذا الغد من واقع حاضر التحم فيه التراث مع المعاصرة الايجابية ، والرؤية الواضحة في واعية الدكتور هيكل تمثل هذا كله حين يلخص جهده في الكتاب قائلا (لست مع ذلك أحسب أني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد بل لعلي أكون أدنى الى الحق اذ ذكرت أني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة ، وقد تأخذ القارىء الدهشة اذ ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوي ، فهذه الطريقة العلمية تقتضيك اذا أردت بحثا أن تمحو من نفسك كل رأي وكل عقيدة سابقة في هذا البحث،وان تبدأ بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم الاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية . فاذا وصلت الى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمي تسرب الخطأ الى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت اليه الانسانية في سبيل تحرير الفكر ، وها هي ذي مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته .) هذه الرؤية التي يلتحم فيها في عطاء تراثي متحدد ، رؤية يؤمن بها الكاتب أشد الايمان ، وتدخل في اعتقاده الفكري ، وعقيدته الوجدانية كمسلمة رئيسية ، يقيم عليها منهجه الجديد الذي هو مع جدته عطاء موروث قديم ، والذي هو التحام بين موروث تعلمناه من محمد عليه السلام ، به شهدت حياته ، وبه جاءت رسالة هو مؤديها ، وبين علم معاصر توصل إليه العقل الانساني بعد العناء والجهد

والممارسة ليقيم عليها وجوده العلمي الفكري ، ويرضى بها مقياسا لما يقبل ومالا يقبل من حقائق

مناقشة طريفة

وفي المقدمة القيمة التي كتبها للكاتب الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شيخ الأزهر في عهد صدور الكتاب ، وأحد أعلام الفكر الاسلامي المعاصر البارزين مناقشة طريفة لهذه المقولة التي قررها الدكتور هيكل ، فيؤكد ان هذه الطريقة هي طريقة القرآن (فقد جعل العقل حكما والبرهان أساس العلم ، وعاب التقليد ودم المقلدين ، وأبى من يتبع الظن . ولكنه لايسلم مع الدكتور هيكل بأن هذه الطريقة حديثة ، فهي طريقة علماءسلف المسلمين ومنهم الامام الغزالي الذي قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ، ثم فكر وقدر ، ورتب ووازن ، وقرب وباعد ، وعرض الأدلة وهذبها وحللها ، ثم اهتدى بعد ذلك الى أن الاسلام حق والى ما اهتدى اليه من الآراء) . وكذلك الأمر مع علماء الكلام من المسلمين ويقول الشيخ المراغي (ولكن هذه الطريقة القديمة بعد أن نسيت في التطبيق العلمي والعملي في الشرق ، وبعد أن فشا التقليد وأهدر العقل ، وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب ناصع وأفادوا منها في العلم والعمل ، رجعنا نأخذها عنهم ونراها طريقة في العلم حديدة) ورغم هذا الجدل فنحن نحس أن الشيخ المراغي لايبتعد كثيرا عن تأييد منهج الدكتور هيكل ، وعن الاشادة بأهميته للعلاج المعاصر للسيرة السوية ، وهو العلاج الذي أثمر هذا الكتاب القيم الذي وجد من الضروري أن يقدم لنفسه بمناقشة قضية مهمة كانت موضع اسفاف من المستشرقين ، وهي « قصية القرآن » وفرية تحريف اياته ، والتشكيك في صحة تحريره في عهد النبي ، وجمعه في عهد عثمان . ليخرج بالتدليل العلمي والمناقشة المنطقية الى حقيقة دقة مصحف عثمان وكماله ، فاذا ما أفرغ من تأكيد صحة المصدر الأساسي الذي سيعتمد عليه في بحثه ، اضطر الى مقدمة أخرى تناقش فرية تتعلق بالرسول نفسه ، وهي أن الرسول كان يصاب بالصرع فيكون ما يتلوه على الناس ليس من وحي الله وانما هو أثر لنوبات الصرع . . وبالمنهج العلمي وبما أتاحه العلم من معرفة بالنفس يناقش الدكتور هيكل هذه القضية مناقشة نصية مما ورد في كتب السيرة عن هذه الحالة ، ومناقشة علمية موضوعية على أساس من علم النفس الحديث ، ليخرج بأن الذين طعنوا في الرسول انما لجأوا لهذا لأنهم عجزوا عن الطعن في الرسالة نفسها ، ويعيد هذا المطعن الى ما حاوله الكفار من رمي الرسول بالسحر والجنون والكهانة ، فالحاقدون على الاسلام يستعيرون بعض الأدوات التي استعان بها الكفار من قبل ، والتي تولى الرد عليهم فيها القرآن الكريم لينفي عن الرسول كل ما اتهموه به ، وليحرر الوحي من كل مظنة تبعده عن مصدره النوراني

كتب التفسير

ويناقش الدكتور هيكل كتب التفسير في اطار عصر كتابتها ، كما يناقش كتب الاحاديث في اطار ما أحاط بجمعها وتصنيفها من ظروف ، إذ تأخر هذا الجمع الى عهد المأمون الذي دونت فيه كتب الأحاديث الأولى بعد قرنين من وفاة الرسول (وقد اذيع من الاحاديث الموضوعة عشرات الألوف ومئاتها ، وكان بينها من التضارب ، وفيها من التهافت ما لايخطر ببال) ، كما تم هذا الجمع والتدوين في ظل المأمون (وما كان لهم ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل بهم) وبهذا يشير الدكتور هيكل الى قضية رئيسية ومهمة في موقف العلماء المسلمين من دينهم ورسولهم ، تلك هي قضية ضغط أصحاب السياسة المتلبسة بالدين على هؤلاء العلماء وعلى أفكارهم ، وتأثير هذا الضغط على نقاء الحقيقة ، ونقاء ضمائر هؤلاء العلماء من كل مؤثر الا معنى العلم ومعنى الحقيقة ، ان تصور الخلفاء منذ العصر العباسي انهم خلفاء الله على الأرض لا خلفاء رسول الله في قيادة المسلمين ، جعلهم يتصورون أن الحقيقة تتجسد فيهم ، ولم يكونوا بطبيعة توارث الملك فيهم مؤهلين لأن يتصدوا للفتيا وإصدار الأحكام المتعلقة بالدين والعقيدة ، وقد أثر طغيانهم في وضع الكثير من الأحاديث التي تؤيد وجهة نظرهم ، بل لقد تسللت أشياء كثيرة الى سيرة الرسول تمهد لاثبات ما يريدون إثباته من أحقية لهم في ميراث الرسول ، أو في حق الحاكم المطلق على آراء الناس ومعتقداتهم ، بل وآراء

العلماء واجتهاداتهم ، والدكتور هيكل يذكرهم ويذكرنا جميعاً بالمقياس الدقيق الذي يحمي السيرة من العبث (هذا المقياس الذي روي عن النبي ﷺ من وجوب عرض مايروى عنه على القرآن ، فما وافق القرآن فمن الرسول ، وما خالفه فليس منه) .

ويقول : (ولو أن هذا المقياس طبق بما يجب من دقة لتغير بعض ما كتب هؤلاء الاعلام ، فالنقد العلمي على الطريقة الحديثة لا يختلف عن هذا المقياس في شيء ، لكن أحوال العصر اقتضت هؤلاء الاعلام أن يطبقوا هذا المقياس على طائفة مما كتبوا ثم لا يطبقوه على طائفة أخرى) .

عود على بدء

الدكتور هيكل يقدم لنا هذا الجهد العلمي الفائق ليكون نبراسه الدائم في ابراز صورة محمد ﷺ ، وصورة الرسالة التي جاء بها محمد الى البشر كافة ، دقة البحث والتمحيص في كل جزئية من جزئيات السيرة ، تلك الدقة التي تقتضي التقصي العلمي الكامل لكل ما يحيط بهذه الجزئية ، ثم عرض هذه الجزئية على القرآن الكريم ، وعرضها على العقل ، ولن تختلف نتيجة العرض في الحالين ، ومن هنا كان اهتمامه بابراز حقيقة الأوضاع في بلاد العرب قبل الاسلام ، وما كان يدور بها من قلق حضاري وقلق عقائدي على السواء ، وما كان يدور بها من صراع بين المسيحية واليهودية والوثنية ، كصدى لصراع العرب والفرس والروم حول طرق التجارة العالمية وتأمينها ، ويسوقه هذا الحديث عن مكة ومكانها من بلاد العرب ، وعن قريش ومكانها من مكة ، ثم عن بني هاشم من قريش ، وأخيراً عن محمد قبل البعثة من بني هاشم وقريش والكعبة جميعاً .

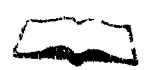
وهو في هذا كله يمحص كل موقف ويرده الى أسبابه ومواقعه ، ويناقش كل حكاية أو خبر تمحيصاً علمياً دقيقاً فيرد ما يجافي العقل والمنطق ومالا حاجة للرسالة والرسول به ، ويثبت ما يتلاءم مع العقل والمنطق والذي هو أساسي في سياق الحديث عن الرسول والرسالة ، وهو يتبع نفس المنهج في حديثه عن الرسول وأحداث حياته من البعثة وحتى وفاة خاتم المرسلين ، ثم يقدم لنا مبحثين في ختام الكتاب أحسن بضرورة الوقوف عندهما بعد جلاء الحقيقة في صورة الرسول والرسالة . المبحث الأول عن الحضارة الاسلامية كما صورها القرآن ، فالاسلام ليس دين عادات وحسب ، وانما هو دين حضارة الانسان ، اذ تتابعت الرسالات السماوية على الناس تهديهم وتقربهم من المعنى الحضاري ، فاذا ما اكتملت عقولهم واستعدت أفهامهم جاءت هذه الرسالة خاتمة الرسالات السماوية لتضعهم على طريق البناء الحضاري الذي يكفل للانسان في كل عصر يليها أن يكون سموه مستمراً ، وأن يكون تقدمه مطرداً ، وأن يقترب خطوة من الفعل الحضاري المتكامل ، فيؤكد الاسلام معنى المساواة ومعنى الحرية في اطار من الأخوة الاسلامية والانسانية المعزى والهدف ، ويرفع عن الانسان كل القيود التي كانت تحد من انطلاقه ، من جهالة لمعنى وحدانية الله ، ووحدانية العبادة والتوجه ، ومن خضوع لكهانة الكهان ووسطاء وضعوا أنفسهم بينه وبين الله ، ليستذلوا الرقاب ، ويحققوا السيطرة والسطوة ، ومن فرقة الجنس واللون والعرق ليحطموا معنى الانطلاق ويعيدوا الهدف ضيقا ومحدودا لا سمو فيه ولا رفعة . ان الاسلام كحضارة هو دين الانسان في كل مكان ، دين القوة والهدف والتآخي والمحبة ، دين التجمع الانساني من أجل خير الانسان ، تتفجر كل الطاقات الانسانية لتصون هذا التجمع ، ولتتجه به نحو الكمال الحضاري

والبحث الثاني حول موقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية ، وهو كما نرى عود على بدء ، فكما بدأ الدكتور هيكل بمزاعم المستشرقين حول محمد الرسول والانسان ، عاد الى دعاواهم بعد أن جلا لهم صورة محمد الرسول والانسان ليرد على ما جاء بها من افتئات وتزييف لمعنى الحضارة الاسلامية ورسالتها . .

هذا الكتاب صيحة الانسان المسلم المعاصر ، الانسان المؤمن بربه ودينه ونبيه ونفسه وتراثه ، والانسان المؤمن بالعلم المشارك فيه ، والانسان المليء بالثقة والأمل في مستقبل أفضل لا لقوم وحدهم وانما للانسانية كلها ، حيث يُهديها هذا الكتاب ، رسالة مبينة ورائدة (إلى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده) . □

مكتبة العربي

مختارات



الكتاب / حقائق عن الحرب النووية
المؤلف / بيتر كودوين .
المترجم / عائدة عبود رضا
الناشر / وزارة الثقافة والاعلام - بغداد
عدد الصفحات / ١٤٤ من القطع الكبير

لا يكتفى هذا الكتاب برسم صورةالرعب الناتج عن هجوم نووى ، بل يعطى المعلومات الأساسية عن مثل هذا الهجوم ، ويبرز دور صمود الفرد فى حال وقوعه

والى جانب الصورة القاتمة المتخيلة ، لعالم شهد هجوما نوويا، يضم الكتاب مجموعة من الصور والشروح ، التى تغني الموضوع ، وخاصة مايتعلق بدور الحماية الفردية فى حالة الهجوم



الكتاب / عثرات الطائر - شعر
المؤلف / فوزى كريم
الناشر / المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
عدد الصفحات / ٩٠ من القطع الصغير .

الكتاب الشعرى الرابع لواحد من أبرز الشعراء العراقيين الشبان ، تمتزج فيه الحكمة والنصح ، بمسحة من الحزن النابع من الادراك الصارخ بعبث الحياة

اقتصاد لغوى كبير ، وتكثيف شعرى لا يبرع عن القصائد المرة ، غنائية تميز بها الشاعر ، ويضم الديوان قسمين من القصائد ، كتب الأول منها فى بغداد ، والثانى فى وحشة الغربة اللندنية ، حيث يقيم الشاعر

الكتاب / الخطيئة والتكفير - قراءة نقدية لنموذج انسانى معاصر .
المؤلف / د عبد الله محمد الغذامى
الناشر / النادى الأدبي الثقافى ، جدة .
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير .

يدخل الدكتور عبد الله الغذامى بكتابه هذا معترك النقد البنيوى ، من باب واسع ، فلا يكتفى برصد سماته وعرضه ، بل يختار نموذجا انسانيا معاصرا هو الشاعر حمزة شحاتة ، ليقدم قراءة نقدية له .

ويختار المؤلف ثنائية الخطيئة والتكفير الانسانية ، مدخلا لتقديم هذاالنموذج ، والكتاب الى ذلك يرجع الى نقاد ولغويي وشعراء العرب القدماء ، والمحدثين ، ينسج صلة بينهم وبين المدارس النقدية الحديثة .

الكتاب / النار في التحليل النفسي
المؤلف / غاستون باشلار
ترجمة / نهاد خياطة .
الناشر / دار الأندلس - بيروت

ينطلق باشلار في كتابه هذا ، من أن هناك مسائل لا يمكن للموقف الموضوعي أن يتحقق منها لأنها تقوم على خبرة ذاتية داخلية ، هي نقيض الخبرة الموضوعية

وفي هذه الخبرة - وهي الخبرة الأدبية - يحل الخيال محل الفكر ، وتقوم القصيدة بانحاء الفرضية العلمية

ويختار باشلار النار لا كموضوع علمي ، بل من خلال انعكاساتها النفسية ، التي تكونت مع الزمن ، وأصبحت لصيقة بالانسان منذ عصور الوثنية الأولى .

الكتاب / نقطة .
المؤلف / فاطمة حسين
الناشر / شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات / ٢٤٦ من القطع الكبير

في هذا الكتاب تقدم فاطمة حسين نفسها ككاتبة ، بل لأنها « تشعر بوجودها » ولأنها « دخلت حياة وسوف تخرج منها دون احتراف ، لأنها عاشقة ى لحريتها » ولهذا تسمى ما تقدم نقطة ـصم « نقطة » مجموعة من مقالات فاطمة حسين شرتها في الصحافة الكويتية ، والتي تناولت فيها يا مختلفة ، تتراوح بين بعض القضايا المحلية ، ء الفنية ، وخواطر حول السياسة والمجتمع ، بينها هم نسائي خاص ، وهم قومي عام طبع ـ بطابعه

الكتاب / فقهاء الظلام - رواية
المؤلف / سليم بركات .
الناشر / بيسان برس - نيقوسيا - قبرص
عدد الصفحات / ٢٠٤ من القطع الكبير

العمل الروائي الأول للشاعر سليم بركات ، الذي يأخذنا كعادته الى عالمه الأثير ، عالم اختلاط الأجناس والثقافات في شمال سوريا

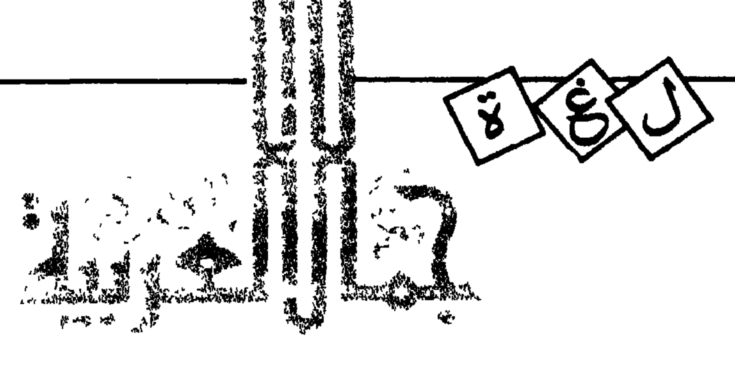
وكما في ذكريات الطفولة والصبا التي نشرها سابقا ، وكما في قصائده ، يرسم بركات عالما تمترح فيه البساطة والبراءة بالقسوة والعنف والأساطير ، أبطاله الفلاحون والصيادون والأطفال والمهربون ، الذين يطلق عليهم بركات اسم فقهاء الظلام

الكتاب / الدراما الحديثة في ألمانيا
المؤلف / فالترهينك
ترجمة / عبده عبود
الناشر / وزارة الثقافة والارشاد - دمشق
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير

ارتبط اسم المسرح الألماني في ذهن القارىء العربي باسم برتولت بريخت ، وأحيانا أخرى وعلى فترات متقطعة باسمي دوريمات وبيترفايس ، إلا أن المعرفة بالحركة المسرحية بمجملها لا تقارن بمعرفة المسرح الانكليزي أو الفرنسي أو الروسي

ومن هنا جاءت ترجمة هذا الكتاب الذي يخاطب القارىء المتخصص والعادي ، مساهمة في التعريف بالمسرح الألماني الحديث ، باعتبار تطوره جزءا أساسيا من تطور المجتمع الألماني في الفترة نفسها

□



بقلم : محمد خليفة التونسي

حـــروف لغتنـــا
الإعـــراب عـــلى الحكايـــة

١ - حروف لغتنا

جاءنا من السيد / طارق فؤاد الشريف (كلية الطب / طنطا / مصر) مايلي : اعتدنا على رؤية (لا) ضمن حروف الابجدية قبل حرف الياء . . . وأود أن أعرف على وجه الدقة عدد حروف اللغة العربية ، هل هي (٢٨) أو تزيد ؟ وهل (لا) تعد منها ، وهل تعد حرفين أو حرفا ؟ »

وهذا الجواب : مجموع حروف لغتنا الفصحى (٣١) ، وبها جاء القرآن الكريم والحديث النبوى ومأثور بلغاء العرب ، ولهذا المجموع ترتيبان : أولهما الأبجدي (أو الأبجدية) نسبة الى تركيب « أبجد » في أوله ، ويشمل التراكيب الثمانية الآتية هكذا : أبجد ، هوّز ، حُطّي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ [1] . وهي في الظاهر (٢٨) وفى الحقيقة (٢٩) لأن الحرف الأول يدل على حرفين أو صوتين : الهمزة وألف المد . والهمزة في أول الكلمة تلزم دائما الألف وتسمى الالف اليابسة [2] ،

ولكن هناك ألف المد أوالألف اللينة ، وهى تأتى وسط الكلمة مثل (مال) أو تأتى فى آخرها وهى الالف المقصورة التى ترسم ألفا مثل (شكا) أو ترسم ياء مثل (هُدَى ومصطفَى) .

وهنا الواو في (هوّز) وهذه تكون حينا للمد ودلك في وسط الكلمة مثل (عُود) أو آخرها مثل (ننجو) وتكون حينا صامتة حين تكون ساكنة في وسط الكلمة مثل (قوْم) أو آخرها مثل (لوْ) ، او متحركة باحدى الحركات الثلاث : الفتحة ، مثل (وَرْد) و (عِوَج) ، والضمة مثل (وُلد) و (تجاوُز) و (دَلْوِ) ، والكسرة مثل (وِقاء) و (عَوِر) .

وكذلك الياء في « حطي » تكون حينا للمد ، وذلك في وسط الكلمة ، مثل (عيد) أو آخرها مثل (قلمي) وتكون حينا صامتة حين تكون ساكنة في وسط الكلمة ، مثل (فَيْصل) أو آخرها ، مثل (كيْ) أومتحركة باحدى الحركات الثلاث : الفتحة مثل (يَكتب) و (قِيَم) والضمّة مثل (غيُوم) والكسرة مثل (ظبيٍ) .

والترتيب الثانى هو « الهجائي » أو « التعليمى » ، سمي بذلك لانه هو المتبع فى تعليم الهجاء لمن يجهه

من صغير وكبير ، وحروفه مفردة هكذا : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و (لا) ي وهذه الحروف أيضا (٢٩) حرفا [٣] .

ويلاحظ في هذا الترتيب أن الالف مكررة مرتين أولاهما في البداية وتشير الى الهمزة وحدها والثانية في (لا) والغرض منها ألف المد وحدها ، واللام معها مجرد وصلة للنطق بألف المد لانها لاتنطق في بدء الكلمة ، كما يلاحظ أن اللام تكررت مرتين اللام مفردة بين الكاف والميم ، واللام في (لا) وهي مجرد وصلة ولايقصد منها أنها حرف .

فهذه جملة حروف الفصحى وعددها (٣١) .

ولكن هناك حروفا أخرى في العربية عددها (١٥) ، وقد تناولنا حروف العربية جميعا (٤٦) في موضوع عنوانه « لغة الضاد ، وحروفها أكثر وفاء وشمولا » في العربي / العدد (٢٠٦) يناير سنة ١٩٧٦ ونقل في كتابنا « أضواء على لغتنا السمحة » التاسع » في سلسلة « كتاب العربي » ، وقد صدر في شهر أكتوبر سنة ١٩٨٥ .

٢ ـ الاعراب على الحكاية

وجاءنا هذا السؤال من السيدين الاخوين : فهد ومحمد سعيد حسن شاهين ، من الرياض / المملكة العربية السعودية :

هناك مجلة أسمها المكتوب على غلافها « المسلمون » فماذا يقول أحدنا لمن يطلب منه أن يناوله المجلة : « ناولني مجلة المسلمين » أو « ناولني مجلة المسلمون » ؟

والافضل والاسهل فيما نرى هو الابقاء على الاسم المقول أو العنوان مَحكيًا على صورته ، أيا كان موقعه في الجملة ، ولو كان بالعامية أو بلغة أجنبية ، وسواء كان العنوان كلمة أو أكثر . فنقول « ناولني » مجلة المسلمون » وهذا ما يسمى في النحو « الحكاية » .

وهو ماسار عليه قراء القرآن الكريم ، وما على السيدين الاخوين الا أن يفتحا المصحف الشريف ويبطرا عناوين السور الآتية سواء في مواضعها في داخله أو في الفهرس ، « سورة المؤمنون » و « سورة المنافقون » و « سورة المطففين » و « سورة الكافرون » ، فانهما سيجدانها مكتوبة على هذا النحو ، والسبب في ذلك حكاية العنوان لما ورد في أول كل سورة ، فأول السورة الاولى هو « قد أفلح المؤمنون » وأول الثانية « اذا جاءك المنافقون » وأول الثالثة « ويل للمطففين » وأول الرابعة « قل ياأيها الكافرون » ، والله أعلم .

ونقول هذا أفضل وأسهل « لانه يحفظ للمحكي بنيته كاملة كما هي » .

وقد لانعدم من النحاة من يرى صوابا أن يقال « مجلة المسلمين » ، ويلتمس لهذا وجها من وجوه التقدير والتأويل ، اظهارا للحذق والجهبذة .

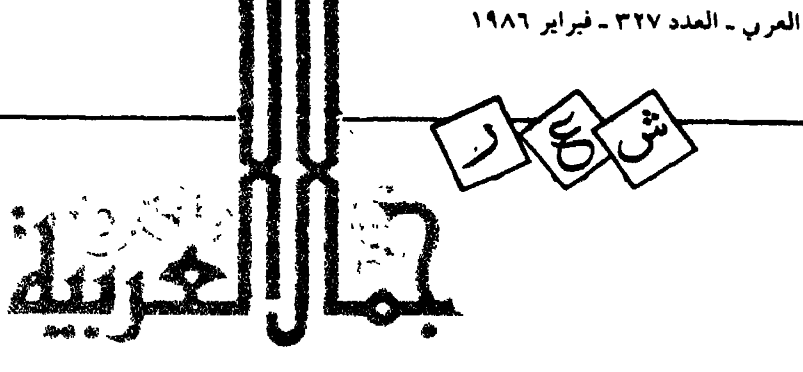
ووجوه التقدير والتأويل واسعة طالما أفسدت جرائرُها النحو العربي فأورثته الاضطراب والتعقيد والاطالة . □

---

١) هذا ترتيب الابجدية عند عرب المشرق ، وأما ترتيبه عند عرب المغرب فيختلف بعد (كلمن) . فتكملتها عندهم كذا : صعفض . قرست . ثخذ . ظغش .

٢) قد ترسم الهمزة مفردة مثل (دفء) أو على واو مثل (لؤ ي) أو شبه ياء مثل (يئس) وهي على كل حال احدى عقد الاملاء في حروفنا .

٣) يلاحظ أن (لا) وردت في هذا الترتيب الهجائي ، ولم ترد في الترتيب الأبجدي كما ظنّ السيد صاحب السؤال



هكذا غنى الآباء

في وصف جمال مغنية

لابن الرومي

هو علي بن العباس الرومي ، ولد في بغداد ، وعاش في أزهى عصورها الثقافية ، وهو صاحب أطول ديوان في العربية ، برع في كل موضوعات الشعر ، وله عشرات القصائد الطوال ، وبعضها يزيد على مائة بيت ، وتمتاز قصائده بالابداع وبراعة التنسيق واستقصاء المعاني ومتانة التراكيب ، وهو يبرع في شعره الى « الوصف التصويري » ولا نظير له في ذلك بين الشعراء كما قال فيه أستاذنا عباس العقاد في كتابه « حياته من شعره » توفي في بغداد سنة ٢٣٨ هـ بعد حياة بائسة

يا خليليّ ، تيمتني وحيدُ ... ففؤادي بها معنّى عميدُ[١]

غادةٌ زانها من الغصن قدٌّ ... ومن الظبي مقلتان وجيدُ[٢]

وغرير بحسنها قال « صفها » ... قلت أمران هيّن وشديدُ

يسهلُ القولُ أنها أحسنُ الأشـ ... ـياء طرًّا ، ويعسُر التحديدُ

شمسُ دجن ، كلا النيرين من شمـ ... ـس وبدر من نورها يستفيدُ[٣]

تتجلّى للناظرين إليها ... فشقيٌّ بحسنها ، وسعيدُ

ظبيةٌ تسكنُ القلوب ، وترعا ... ها ، وقُمْريّةٌ لها تغريدُ

تتغنى كأنها لاتغني ... من سكون الأوصال وهي تُجيدُ[٤]

لاتراها هناك تُجحظُ عين ... لك منها ، ولايدرّ وريدُ

من هدوّ وليس فيه انقطاعٌ ... وشجوٌ وما به تبليدُ[٥]

مدّ في شأو صوتها نفسٌ كا ... فٍ ، كأنفاس عاشقيها مديدُ

فتراه يموتُ طورا ، ويحيا   مستلذًا بسيطه والتشيذ
فيه وَشْيٌ ، وفيه خلْقٌ من النّغـ   ـم مصوغٌ ، يَحْتال فيه القصيدُ[6]
طاب فوها ، وما ترجّعُ فيه   كل شيءٍ لها بذاكَ شهيدُ
ثغبٌ يـنقع الصدى ، وعناءٌ   عنده يُوجد السُّرورُ المقيدُ[7]
فلها الدهر لاثم مستزيدٌ   ولها الدهرَ سامعٌ مُستعيدُ[8]
في هوى مثلها يخفُّ حليمٌ   راجحٌ حلْمُهُ ، ويغْوي رشيدُ[9]
ماتعاطى القلوب إلا أصابت   بهواها منهنَّ حيث تريدُ
وترُ العرف في يديها مضاهٍ   وترَ الزُّخْرفِ فيه سهمٌ شديدُ[10]
وإذا أنْصَتَتْهُ للشَّرْبِ يوما   أيقن القومُ أنها ستصيدُ[11]
عيْنُها أنها إذا عنت الأحـ   ـرارَ ظلُّوا وهُمْ لديها عبيدُ
واستزادتْ قلوبهمْ من هواها   برُقَاها ، وما لديهمْ مزيدُ[12]
وحسانٍ عرضن لي قلت مهلا   عن وحيدٍ ، فحقُّها التوحيدُ
حسنُها في العيون حُسنٌ وحيدٌ   فلها في القلوب حُبٌّ وحيدُ
صلَةٌ للفؤاد يحنو عليها   وهي تزهُو حياته وتكيدُ[13]
سحرتْه بمقلتيها فأصبحتْ   عنده ، والدميمُ منها حميدُ
خُلِقتْ فتنةً غناءً وحُسْناً   مالها فيهما جميعا نديدُ
فهي بمعنى يميد منها كبيرٌ   وهي سلوى يشيب منها وليدُ
لي حيثُ انصرفتُ عنها رفيقٌ   من هواها ، وحيث حلّت فعيدُ
عن يميني وعن شمالي وقدّا   مي وحلفي . فأين عنه أحيدُ ؟
سد شيطانُ حُسْنِها كلَّ فجٍّ   إن شيطان حسنها لمريدٌ
ليت شعري إذا أدامَ إليها   كرهَ الطَّرْفِ مبديءٌ ومعيدُ
أهي شيءٌ لاتسأمُ العينُ منهُ   أم لها كلَّ ساعةٍ تجديد ؟
بل هي العيش ، لايزالُ متى استُعْـ   ـرِض يُملي غرائبًا ويُعيدُ
لايدبُّ الملالُ فيها ، ولا ينـ   ـقضُ من عَقْدِ سحرها توكيدُ
حسنُها في العيونِ حُسنٌ جديدٌ   فلها في القلوبِ حبٌّ جديدُ
أخذ الله يا وحيدُ لقلبي   منكِ ما يأخذُ المديل المقيدُ[14]
حظُّ غيري من وصلكم قرةُ العيـ   ـن ، وحظِّي البكاءُ والتسهيدُ
غير أني معلَّلٌ منك نفسي   بعِداتٍ خلافهن وعيدُ
ماترالين : نظرةٌ منك موتٌ   لي مميتٌ ، ونظرةٌ تخليدُ
ستلاقى : فلحظةٌ منك وعدٌ   بوصال ، ولحظةٌ تهديدُ
قد تركتِ الصحاح مرضى يميدُو   ن نحولا ، وأنت خوطٌ يميدُ[15]

---

(١) عميد هده العشق (٢) غادة . لينة ناعمة • (٣) شمس دجن · غائمة
(٤) الاوصال . مفاصل الاعضاء (٥) الشجو : الحركة من طرب أو حزن (٦) وشي نقش جميل
(٧) ثغب ينقع الصدى . ماء يذهب العطش (٨) اللثم التقبيل ، (٩) يغوى يضلل
(١٠) وتر العزف يشبه وتر القوس الذي يرمي السهام (١١) أنبضته للشرب حركته للشاربين
(١٢) الرقى جمع رقية . مايقول الساحر (١٣) ترهو تتكبر (١٤) المديل المقيد من يقتص من خصمه
(١٥) الخوط . الغصن الطري يميد يهتز

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٢٧
فبراير ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ابريل ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٧

١ - قمة شاهقة ، ورحل يزهو بالنصر ، وقد نجح ... تسلقها سنة ١٩٥٢ . فأي قمة هي تلك ، وأي رحل هو هذا ؟

٢ - ثمة أكلة ايطالية شائعة في شتى بلاد العالم واشتهرت هذه الأكلة باسمها الايطالي طبعا ... فما ... اسمها هذا علما بأنه يعني في العربية « الحبال القصيرة » ؟

* معكرونة * سباجتي

٣ - سأل القاضي الرجل الذي مثل أمامه ... المحكمة :

من هو أقرب أقربائك ؟

فرد الرجل . أقرب أقربائي فتاة هي ابنة روح... ابن أمي الوحيد . فما وجه القرابة بينهما ؟

٤ - جاء رجل الى بائعة الحليب يريد شراء ٤ جالونات من الحليب لأكثر ولاأقل . ولم يكن لدى البائعة ... مكيال الأربعة جالونات ، وانما مكيال الخمسة ... جالونات ومكيال الثلاثة جالونات فحسب . . فماذا ... فعلت البائعة حتى لبت طلب المشتري وباعته الكمية التي طلبها بالضبط : ٤ جالونات لأقل ولاأكثر ؟

٥ - الصمصامة سيف تردد ذكره في الأدب العربي من هو صاحب هذا السيف ؟ . . . ولم سمي صمصامة ؟

٦ - من القائل ؟

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب
يوم النزال اذا مافاتني النسب

٧ - صفي الدين الحلي شاعر عربي مجيد . . وعلى كثرة ...



ـنده قال بيتا واحدا من الأبيات التي نظمها طغى
على كل ماسواه فقد سار على ألسن العرب
جميعا وأقدمت الدول العربية على احتضانه ،
بشكل أو بآخر . وشهر قائله أكثر من سائر أبياته
وقصائده كلها . فأي بيت هذا . . ؟
- كازانوفا . . ودون جوان . وفالنتينو
ثلاث شخصيات اشتهرت بالمغامرات
الغراميات ، وتشابهت في الأذهان حتى ألتبس
. أو كاد ، على الكثيرين . . ولكن احدى هذه
الشخصيات خيالية نسجها الأدباء والشعراء ،
د لها في الواقع . . والثانية لممثل سيمائي لمع
الغراميات والمغامرات على الشاشة ، وكان
هوليود في العشرينيات من هذا القرن . .

والشخصية الثالثة هي الوحيدة التي تمثل رحلا حقيقيا
عاش في مدينة البندقية في القرن الثامن عشر ،
واشتهر بمغامراته وغرامياته الواقعية فأيهم
الشخصيه الخيالية ، وأيهم ممثل هوليود ، وأيهم المغامر
الحقيقي الواقعي ؟

٩ - أي المواد يمكن أن تحترق تلقائيا وفي معزل عن
الأكسجين ؟

١٠ - ابن ماجد ملاح عربي معروف ، رافق
فاسكودي جاما في رحلته الشهيرة التي اكتشف فيها
الطريق البحري الى الهند فمن هو ابن
ماجد ؟

١١ - اي الفعلين يفيد معنى الابطال (لغا - يلغو -
لغوا) أم (لغى - يلغي - لغى)

١٢ - مذنب هالي الشهير الذي يزور المجموعة
الشمسية حاليا ، ويزورها مرة واحدة كل ٧٦
سنة . . سموه هالي نسبة الى الفلكي البريطاني ادموند
هالي . . ترى ماذا فعل هذا العالم حتى استحق تسمية
المذنب باسمه . . ؟

* اكتشفه . . وكان أول من شاهده وذلك سنة
١٦٨٢

* اكتشف مدار المذنب وجزم بان المذنب الذي رآه
سنة ١٦٨٢ هو نفسه المذنب الذي ظهر سنة ١٠٦٦ ،
وتنبأ بانه سيعود ليقترب من الشمس والأرض ثانية
سنة ١٧٥٨

* كان لادموند هالي الفضل في وضع القوانين التي
تحكم حركة المذنبات ومداراتها . . .

١ ـ امريكا اللاتينية هي الأكبر مساحة ولاريب فهي تشمل كلا الاقليمين أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

وتجدر الاشارة الى أن مساحة أمريكا الجنوبية تبلغ ١٧,٨١٠,٠٠٠ كم ٢ فهي ادن أصغر من أمريكا الشمالية التي تبلغ مساحتها ٢٣,٣١٠,٠٠٠ كم ٢

٢ ـ الرجل طبعا فالمرأة لاتصاب بأمراض البروستاتة مطلقا ، وذلك لأن البروستاتة غدة لاوجود لها في جسمها أصلا .

٣ ـ يوجد في ترينداد ، احدى جزر الهند العربية ، وتقع الى الشمال الشرقي من ساحل فنزويلا .. وتعرف بحيرة الاسفلت هذه باسم بتش Pitch ، والاسفلت هو في طليعة صادرات ترينداد

٤ ـ تخصصت دار الصناعة التي أقامها السلف الصالح في بحر الدولة الاسلامية ـ والتي حرفها الأوروبيون وسموها أرسنال Arsenal ـ في صناعة السفن . من سفن وقوارب ومااإلى ذلك .. لاعجب ادن ان كان اسمها الثاني " مِشْفن .

٥ ـ البن هو السلعة الثانية في الأسواق العالمية

٦ ـ أكلة الرز هم الأكثر عددا فهم يقدرون بنصف سكان العالم . وحسبك أن أهل الصين واليابان والهنود وسكان جنوب شرق آسيا ، كلهم يتخذون من الأرز غذاء رئيسيا .

٧ ـ المريخ هو الكوكب الأحمر .. وسبب ظهوره لنا باللون الأحمر هو غاز ثاني أكسيد الكربون ، الذي يملأ جوه فيجعله يبدو لنا أحمر اللون

وتجدر الاشارة الى ما اكتشفه العلماء مؤخرا من أن كوكب المريخ يحتوي على ماء سواء على سطحه أو في باطنه . وقد تسنى لهم اكتشاف ذلك بتحليل الصور التي التقطتها وأرسلتها الى الارض (في أوائل شهر اكتوبر الماضي) احدى سفن الفضاء الأمريكية .

٨ ـ سموه دافنشي لأنه ولد في بلدة فنشي الايطالية سنة ١٤٥٢ ، والجدير بالذكر ان ليوناردو دافنشي كان ابنا غير شرعي لأحد المحامين ، ولقد برز في العلوم والهندسة والصناعات العسكرية ، بقدر ما لمع ونبغ في فن الرسم .

٩ ـ الطوارق او الملثمون كما يسمون أحيانا ويسكن الطوارق غربي الصحراء الكبرى ويحرصون على تربية الابل . ويحتقرون الزراعة ويعتبرونها من أعمال العبيد .

١٠ ـ ولد افلوطين في أسيوط ، وعاش نحوا من ستة (٢٠٥ ـ ٢٧٠ م) قضى معظمها في الاسكندرية .. وتعرف فلسفته باسم الافلاطونية الحديدة ، وهي تؤكد ان الانسان لايحقق الكمال الا بتحرره من جسده واندماجه بالواحد الأحد . كان للافلاطونية الحديدة أثر واسع وعميق في الفلسفة الاسلامية ..

١١ ـ بافلوف هو الناشز .. فهو عالم .. بينما الثلاثة الأخرون كتاب رواية وقصصيون .

١٢ ـ ألفية ابن سينا في الطب

ألفية ابن مالك في النحو الفية الاربلي في الأ...

العدد ٣٢٤ نوفمبر ١٩٨٥

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٤ نوفمبر ١٩٨٥

الجائزة الاولى · فيصل حسن ياسين ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي

الجائزة الثانية · سلوى عبد الفتاح ابراهيم ـ المحلة الكبرى ـ جمهوريه مصر العربية

الجائزة الثالثة عبد الاله سيوفي ـ بلغاريا ـ صوفيا

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد طمطم تارودانت ـ اعدادية الدرموقي ـ المملكة المغربية

٢ ـ نعام محمود عمر الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية

٣ ـ خليل عبد الكريم المغربي ـ ص ب (٣٤٥٣) الرياض المملكة العربية السعودية

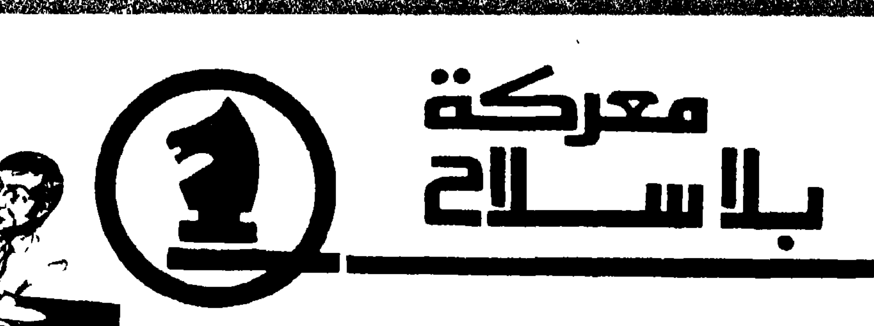
٤ ـ سامر الزبد ـ الجامعة الامريكية ـ بيروت ـ لبنان .

٥ ـ محمد قاسم سومرو ـ كنديارو ـ سند ـ باكستان

٦ ـ ...ان احمد ـ الدانمرك .

٧ ـ ...مد رياض تللو ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

٨ ـ ...راهيم احمد عيسى ـ ص. ب (١٦٠٧٥) القادسية ـ دولة الكويت .



معركة بلا سلاح

☐ عـود على بطولة العالم

في الثالث من شهر سبتمبر ١٩٨٥ عاد البطلان أناتولي كاربوف بطل العالم الحالي (٣٤ سنة) ومتحديه على اللقب مواطنه الروسي جاري كاسباروف (٢٢) عاما لاستئناف المباراة الكبرى على اللقب التي أوقفها رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج السيد فلورنسيو كامبومانيس لاستنزافها لطاقة البطلين، وقد حدّدت أدوار المباراة الحالية بأربعةٍ وعشرين دورا فقط، وهي تقام كسابقتها في موسكو

ولاتزال المباراة محتدمة بين البطلين حتى تاريخ كتابة هذه السطور بعد قرابة شهرين من بداية المباراة والنتيجة المعلنة حتى الآن هي (١٠ ½) نقطة لصالح المتحدّي مقابل (٨ ½) لخصمه، ولم يبق على كاسباروف سوى الفوز بنقطتين في الأدوار الخمسة الباقية ليصبح أصغر بطل للعالم في الشطرنج في التاريخ

وقد اخترنا لقرائنا الدور الأول للمباراة الجديدة والذي أحرز فيه كاسباروف انتصاره الأوّل، والدور من افتتاحية نمرو الهندي وهي افتتاحية لم يسبق لعبها البطلان في مبارياتهما الطويلة السابقة

■ كاسباروف (أبيض)	■ كاربوف أسود .
١) د ٤	ح - و ٦
٢) حـ ٤	هـ ٦
٣) ح - حـ ٣	ف - ب ٤
٤) ح - و ٣	حـ ٥
٥) ر ٣	ح - هـ ٤

تصريعة مثيرة تؤدّي إلى سلسلة من التبادلات السريعة لعبها كاربوف بعد ٢٥ دقيقة من التفكير

٦) و - د ٣	و - أ ٥
٧) و × هـ ٤	ف × حـ ٣ +
٨) ف - د ٢	ف × د ٢ +
٩) ح × د ٢	و - ب ٦
١٠) د × حـ ٥	و × ب ٢
١١) ر ب ١	و - حـ ٣

ربما كان الأجدر به أن يلعب

١١)	و × أ ٢
١٢) و - د ٣ !	و × د ٣
١٣) هـ × د ٣	ح - أ ٦
١٤) د ٤	ر - ب ٨
١٥) ف - ر ٢	م - هـ ٧
١٦) م - هـ ٢	ر - د ٨ (انظر الشكل)
١٧) ح - هـ ٤	ب ٦
١٨) ح - د ٦	ح - حـ ٧
١٩) ر ب ٤	ح - هـ ٨
٢٠) ح × هـ ٨	م × هـ ٨
٢١) ر(١) - ب ١	ف - أ ٦
٢٢) م - هـ ٣	د ٥
٢٣) حـ × د ٦ (بالتجاور)	... ...

... أصعر بطل للعالم في الشطرنج في التاريخ

و لعب الأبيض جـ × د ٥ لفاز ببيدق ولكنه
حم عن ذلك خشية التكملة التالية :

) ..	هـ × د ٥
، حـ × ب ٦	أ × ب ٦
) ر × ب ٦	ر × ب ٦
) ر × ب ٦	ف جـ ٤
) أ ٤	ر - أ ٨

ويصعب بعدها الاستفادة من البيدق السالك

)	ر (ب) - جـ ٨
) م - د ٣	ر × د ٦
٣) ر - أ ٤	ب ٥
٣) حـ × ب ٥	ر - ب ٨
٣) ر (أ) - ب ٤	ف - ب ٧
٣) ف × ب ٧	ر × ب ٧
٣) أ ٤	م - هـ ٧
٣) حـ ٤	حـ ٦
٣) و ٣	ر د ٥
٣) ر حـ ١	ر (ب) - د ٧
٣) أ ٥	ز ٥
٣) حـ × ز ٥	ر × ز ٥
٣) ر ٤	حـ ٥
٣) ب ٦	أ × ب ٦
٣) أ × ب ٦	ر - ب ٧
٣) ر حـ ٥	و ٥
٣) ر × حـ ٥	ر × حـ ٥
٤) م حـ ٤	ر - حـ ٨
٤) م ب ٥	ر - أ ٨

وهنا تأجلت اللعبة الى اليوم التالي بعد أن حتم
بيض ٤٢) ر - جـ ٤ ولكن الأسود قرر أن
سم قبل بداية اللعب

حل المسألة رقم (٣٦)

تاح الحل و - حـ ٢

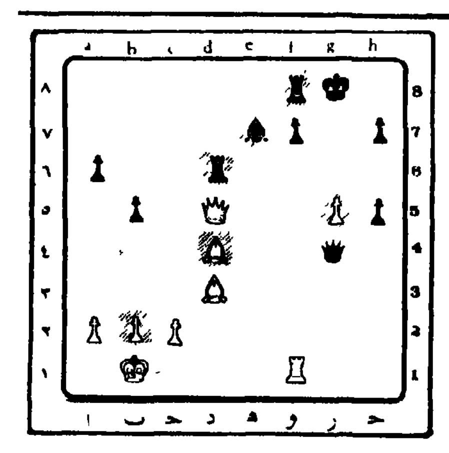
الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٥) نوفمبر ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ يونس التليلي ـ بسيطله / تونس
٢ ـ هاني السعيد ـ حولي / الكويت
٣ ـ عبد الرزاق عباسي ـ حلب / سوريا
٤ ـ ايهاب أبو حرب ـ طرابلس / ليبيا
٥ ـ ابتسام نور الدين ـ الاسكندرية / ج م ع

الفائزون باشتراك ستة أشهر

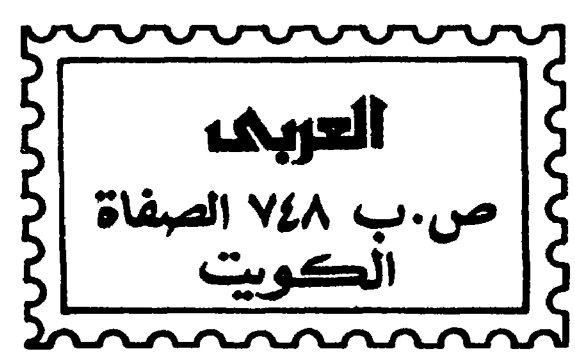
١ ـ طه محمود ـ الرياض / السعودية
٢ ـ فايز سالم ـ صويلح / الاردن
٣ ـ بشيرة عبد الولي ـ صنعاء / اليمن
٤ ـ أحمد مرعي ـ المنوفية / ج م ع
٥ ـ لحريشي فؤاد ـ الرباط / المغرب



مسابقة العـــدد

مسألة رقم (٣٨)

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ست نقلات



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

هل من سبيل لاستخدام مصطلحات علمية موحدة ؟

● كثيرا ما نطالع في مجلة العربي بعض المقالات العلمية ، التي تجمع بين المتعة والفائدة ، ومن بين هذا المقالات تشدني المقالات الطبية بخاصة كقارىء أولا وكطبيب ثانيا ، وقد لاحظت أن بعض الكتاب - وهم أطباء بارزون في مجال تخصصهم - يستخدم بعض المصطلحات العلمية الأجنبية دون تعريب ، وبعضهم الآخر يعتمد في ترجمة المصطلحات العلمية ، على مايسمعه في مكان عمله من ترجمات محلية ، قد تكون عامية المنشأ ، أو دخيلة على اللغة العربية .

وبهذه المناسبة فانني أدعو الى استعمال مصطلحات علمية عربية موحدة ، لأن هذا يجعل التفاهم العلمي يتم على وجه من الدقة المطلوبة ، ومن الضبط الضروري للتعامل مع الدراسات العلمية ، بالاضافة الى أن استخدام المصطلحات العربية الموحدة ، يعتبر خطوة هامة على درب الوحدة العربية الحقيقية ، التي هي هدف مجلة العربي ، وكل مجلة عربية مخلصة .

ومن هنا فانني أقترح أن تلزم هيئة تحرير مجلة العربي كل من ينشر مقالا علميا ، باستعمال المصطلحات العلمية المعتمدة ، من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهي موجودة في المعاجم العربية الموحدة التي تصدرها المنظمة ، او تستشير هيئة تحرير المجلة لجنة مختصة ممن لديهم در[اية] بالمصطلحات العلمية العربية . والى أن يتحقق أ[حد] هذين الاقتراحين فانني ألفت النظر إلى أنه يوجد [في] مجال المصطلحات الطبية المعجم الطبي الموحد الذ[ي] صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٣ في بغداد ، م[ن] قبل لجنة توحيد المصطلحات الطبية المبثقة عن ا[تحاد] الأطباء العرب ، ثم أعيد نسخ هذه الطبعة في القا[هرة] عام ١٩٧٧ ، وفي عام ١٩٧٨ قامت جامعة المو[صل] باصدار طبعة ثانية مصححة ، وصدرت الطب[عة] الثالثة في سويسرا عام ١٩٨٣ عن دار مد ليمانت وقد أعدت باشراف لجنة العمل الخاصة بالمصطلحا[ت] الطبية العربية ، المنبثقة عن المكتب الاقليمي لمنظ[مة] الصحة العالمية بشرق البحر المتوسط ، وقد استغر[ق] اعداد هذه الطبعة الجديدة للمعجم الطبي الموحد [...] سنوات ، عقدت خلالها اللجنة ١٣ اجتماعا [في] الاسكندرية ، وبغداد وتونس ودمشق والرباط وعم[ان] والجزائر .

د . قاسم طه الس[...]
سوريا - دير الز[ور]

العربي

- تشكر للقارىء الكريم اهتمامه بهذه الق[ضية] القديمة والمتجددة ، واذ ننشر أكبر قدر من [...] المطولة ، فاننا نهدف الى أن تكون تحت انظار كل [...]

يهمهم الأمر من الأخوة كتاب المقالات العلمية ، وإذا كانت مجلة العربي لاتملك الزام الكتاب ، كما أن توفير مثل هذه اللجنة الاستشارية قد لايكون أمرا عمليا ، الاأننا نأمل ونثق في أن يكون توجه كتاب العربي الأفاضل لاستشارة مثل هذه المعاجم وغيرها ، من معاجم المصطلحات التي تصدرها المجامع اللغوية هو البديل الميسر على الأقل في المدى القريب

هل يحتاج الاعتراف بالفضل الى شجاعة ؟

هل تسمح لي مجلتنا (العربي) أن أبعث على صفحاتها باقة شكر واعجاب الى أحد كتابها (الذي اتابع كل ما يكتب بشغف وبهم) وهو الدكتور حسان حتحوت ؟ لقد سعدت كثيرا عندما أتيحت لي الفرصة لأرى على شاشة التلفاز الأردني الدكتور حسان حتحوت ، في عدة ندوات أجراها معه الدكتور عبد السلام العبادي ، خلال زيارة الدكتور حتحوت للاردن ، ليشرف على لجنة فحص الأطباء ذوي الاختصاص ، ولاأدرى لماذا عادت بي الذاكرة الى الوراء سنين طويلة ، عندما كنت أحضر في دمشق مؤتمر المجامع العلمية العربية ، الذي عقد في اكتوبر عام ١٩٥٦ ، وعندما قام المرحوم الدكتور طه حسين (وقد كنا جميعا نقرأ له بافتتان دون أن نراه) وأخذ بيده سكرتيره ليجلس على المنصة ليلقي محاضرته عن الدمة العربية وكيف ييسر المدرسون والمربون في ... العربي تدريسها نحوا وكتابة » ، في تلك اللحظات كان المحاضر قمة في العمق الفكري ، ... وب والالقاء ، فكنت ترى المئات من ... رين يشدون أعناقهم الى هذه المعجزة بكل ... بهم .

هذه الحادثة تكررت معى وأنا أشاهد الدكتور الفاضل حسان حتحوت على شاشة التلفاز الاردني ، ان الأسلوب العلمي ، والأفكار النيرة المتوازنة ، وطريقة التحدث في الندوة ، جعلتنى أكثر اعجابا وارتباطا بالأستاذ الفاضل

هل تسمح لي مجلة العربي بنشر هذه الرسالة في حوار القراء تحية تقدير لكاتب من كتاب المجلة .

محمد بديع عبد الدائم
معان ـ الأردن

يسرنا أن ننشر هذه الرسالة ، التي تحمل تحية طيبة لكاتب كبير من كتاب العربي ، هو الدكتور حسان حتحوت ، ولذكرى رائد كبير هو الدكتور طه حسين ، ايمانا منا بأن من حق الكاتب أن يتلقى التحية ، كما أن من واجبه أن يتلقى بالروح ذاتها نقد القارىء وملاحظاته القاسية أحيانا ، اننا لانتردد في نشر الملاحظات القاسية ، فلماذا نتردد أمام كلمة تقدير ؟ وهل نحن حقا في حاجة الى شجاعة الاعتراف بالفضل لمن يستحقه ؟

عن اليمن الجديد واستطلاعات العربي القديمة والجديدة؟

● كقارىء من قراء العربي ، سعدت بسلسلة الاستطلاعات الهامة التي قدمتها المجلة عن اليمن ، ابتداء من العدد رقم ٦٠ سنة ١٩٦٣ ، وحتى العدد ٢٩٢ مارس سنة ١٩٨٣ ، في الفترة التي تبلغ حوالي عشرين عاما ، قدمت العربي خلالها تسعة استطلاعات عن القطر الشقيق ، وقامت بتسليط

حوار القراء..

الأضواء على مشاكله ، وتوجيه النداءات المتكررة للمشاركة في النهوض بالمنطقة ، هذا وقد أتاحت لي الظروف أن أقضي خمس سنوات باليمن الشمالي مدرسا معارا من وزارة التربية والتعليم السودانية ، وقد وجدت الفرق شاسعا بين صورة اليمن التي كنت أراها في استطلاعات العربي ، وبين الصورة الجديدة التي تطورت اليها الحياة في القطر الشقيق ، بفضل جهود أبنائها ، وبفضل جهود الدول العربية الشقيقة والدول الصديقة ، وهيئة الأمم المتحدة ، وبعض المنظمات العالمية ، وأيضا بفضل هذه الاستطلاعات التي كانت تسهم في لفت الأنظار ، وحث الجهود للمشاركة في تنمية القطر الشقيق

لقد وجدت في اليمن آثار العصر الحجري الى جانب التقنية الحديثة ، انتشر التعليم فأصبحت في كل قرية مدرسة ، وتناثرت المشاريع الزراعية في كل واد ، وعمت الكهرباء والمياه كل المنازل والقرى ، وكذلك خدمات البريد والهاتف الذي صار يعمل بالطاقة الشمسية في بعض المناطق ، والخدمات الصحية ساعدت في مكافحة كثير من الأمراض المتوطنة والأوبئة

واني اذ أشكر للعربي جهودها السابقة ، أتمنى أن تعيد زياراتها لليمن واستطلاعاتها عنها ، لتنقل للعالم الصورة الجديدة الرائعة لليمن ، وهي تمضي بخطا واسعة في طريق التقدم والازدهار ، ودمتم في خدمة الأمة العربية والاسلامية .

بدوي محمد بدوي
السودان - الفاشر

العربي

نشكر للقارىء السوداني الكريم اهتمامه بالقطر العربي الشقيق (اليمن) وقد اخترنا هذه الرسالة من رسائل عديدة تعبر عن المعاني ذاتها من أبناء اليمن أنفسهم ، ونود أن نذكر هؤلاء الاخوة جميعا بأن آخر استطلاع للعربي عن اليمن كان عن « سد مأرب واليمن الجديد » بتاريخ ٧/ ١٩٨٥ ، والاستطلاع الذي قبله كان « عن « المهرة .. حياة جديدة » بتاريخ ٩/ ١٩٨٤ ، مما يؤكد أن اهتمام العربي بالقطر الشقيق بشطريه الشمالي والجنوبي لايقل أبدا عن اهتمام القراء

عجائب أسماء أولاد الحيوانات - لاتنتهي

● قرأت في عدد تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥ من مجلة العربي موضوعا طريفا تحت عنوان « عجائب أسماء أولاد الحيوانات » ، وأود أن أضيف الى قائمة هذه الأسماء العجيبة أسماء أولاد بعض الحيوانات ، كما هي متداولة في سوريا ولبنان

١ - اسم ولد الماعز جدي واخته سخلة
٢ - اسم ولد الشاه خروف واخته فطيمة .
٣ - ويسمى الصغير من أولاد الشاة طلي ، وطليان للجمع .

عبدالله السماك
بيروت

القضية الفلسطينية

● اننا مجموعة من شباب فلسطين ، نتابع مجلة (العربي) ونلتزم بها كمجلة ثقافية علمية أدبية ، تقدم للشباب العربي مايسهم في تطويره وافادة ، ونشكر للعربي اهتمامها الواضح بقضية فلسطين ،

... صية المركزية للأمة العربية ، في زمن يتزايد فيه ... كثيرون باسم هذه القضية ، كما نشكر أيضا نشرها ... العديد من الموضوعات التي تسلط الضوء على الخطر الصهيوني ، الذي بدأ بالتهام أرض فلسطين ، ولا شيء يشير الى أن هذا الخطر يمكن أن يتوقف عند حد

وكأصدقاء للمجلة نهيب بالمجلة أن تستمر في طرح أبعاد القضية الفلسطينية ، والتركيز على جذور هذه القضية وكيف بدأت ، لأن جهل الكثيرين بأبعاد هذه القضية المركزية ، وبخاصة من الأجيال الجديدة ، يمثل خطرا جديدا يهدد وجودنا القومي ، ويوقعنا في شبكة التآمر الصهيونية .

وانا نأمل من خلال مراسلتنا لمجلة العربي ، أن نسهم في توعية الجيل الجديد ، العتيد بحسده عن فلسطين ، خدمة لقضيتنا المحورية وشكرا .

نهاد وحيد

سوريا / مخيم اليرموك

نشكر لكم اهتمامكم الأصيل بقضيتنا الأساسية ، ومجلة العربي التي تعيش هموم هذه الأمة ، لاتدخر جهدا في خدمة كل قضاياها الكبرى ، التي تأتي القضية الفلسطينية في مقدمتها ، ونرحب بكل ماتسهمون به لخدمة هذه القضية

اصنع بنفسك

● أشكر الدكتور أنيس فهمي لمقاله « عن أسرار الأ... » في عدد نوفمبر سنة ١٩٨٥ من مجلة العربي ، وبهذه المناسبة أرجو منه أن يطلعنا في القريب ... بالرسم ، على أجزاء الجسم التي يتم فيها ... بالابر الصينية ، مع تقديم شرح بسيط عن الوخز التي تمنع آلام الصداع .

... من مجلة العربي أن يكون باب « اصنع بنفسك » بابا ثابتا ودائما ، ليفيد البيت العربي في شتى الأشياء والهوايات المفيدة ، كما اتمنى الرد على رسالتي هذه في باب حوار القراء لأنني من قراء المجلة الدائمين

فارس فؤاد محمد

الاسماعيلية/ جمهورية مصر العربية

يسرنا أن ننشر رسالتك ، لينظر الدكتور أنيس فهمي في امكانية تحقيق رغبتك ، ونعدك بأن يكون موضوع تقديم باب « اصنع بنفسك » في البيت العربي محل دراسة المسئولين في المجلة ، ولعلنا لانذيع سرا حين نقول لك أن هذا الباب سيكون ضمن الأبواب الثابتة في مجلة العربي الصغير ، التي تصدر في شهر فبراير سنة ١٩٨٦ باذن الله .

الألوان الأساسية

● قال لي تلاميذي . ذكرت لنا ياأستاذ أن الألوان الأساسية هي الأحمر ـ الأصفر ـ الأزرق

ومجلة العربي الصغير المرافقة للعدد٣٢٢ تقول : ان الألوان الأساسية هي الأحمر ـ الأصفر ـ الأخضر ـ فما هو القول الصحيح ؟

ياسين ضفار

سوريا ـ حماة

القول الصحيح هو قولك أنت ياأستاذ ياسين ضفار ، فالأخضر ليس من الألوان الأساسية ، ولعل ماورد في العربي الصغير هو خطأ غير مقصود ونعتذر عنه ، ونهنىء تلاميذك على رغبتهم في التعرف على ماهو صواب وتحرّيهم لذلك بسؤالك ، وتحريك لاعلانه بسؤالنا . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكو

فبراير ١٩٨٦م.



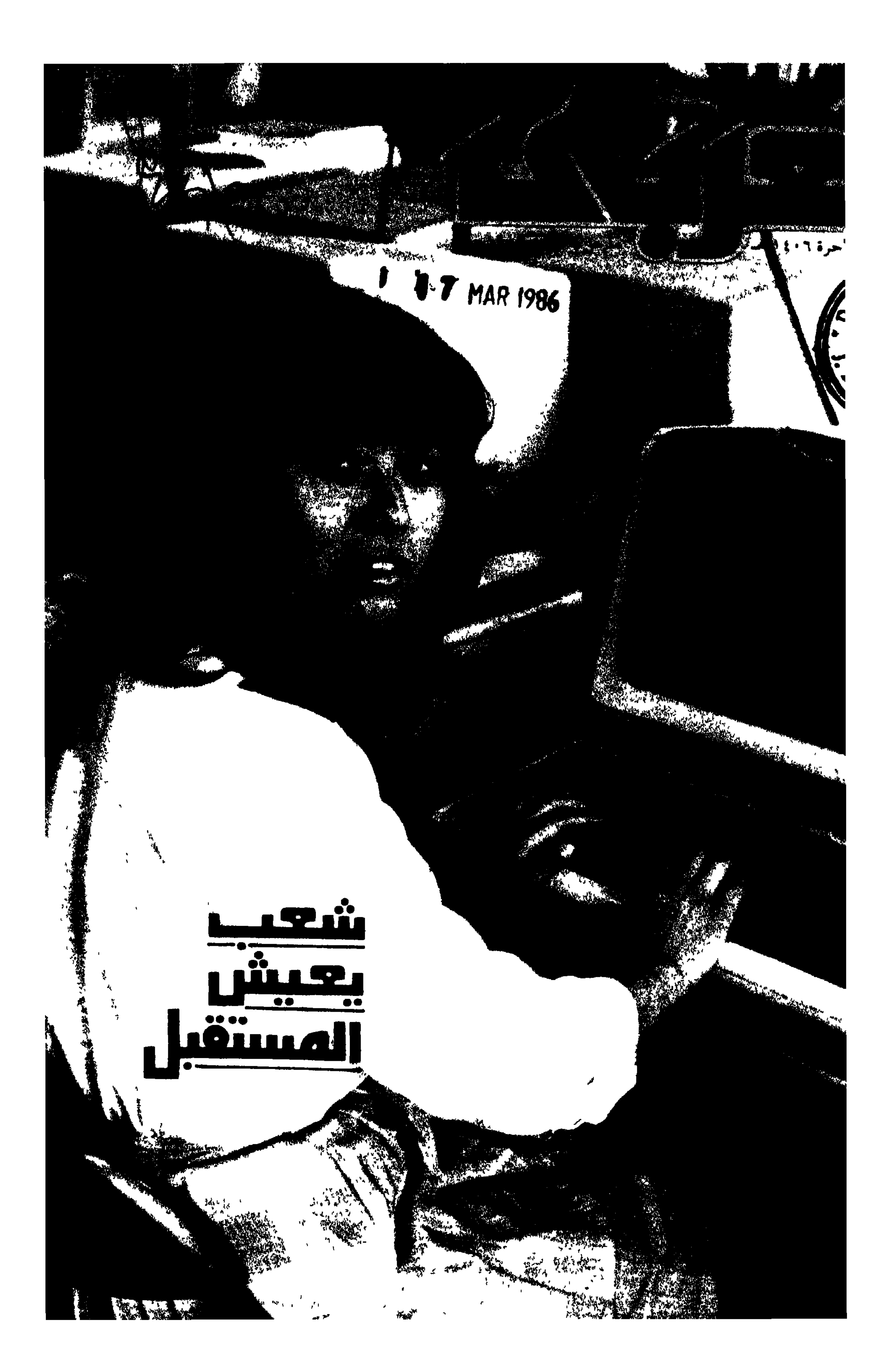
قصة الأنثروبولوجيا

تأليف : الدكتور حسين فهيم

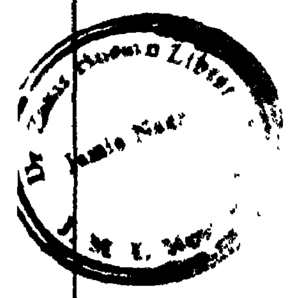
الكتاب الثامن والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت


شعب
يعيش
المستقبل

العدد ٣٢٨ السنة التاسعة والعشرون مارس ١٩٨٦



العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No : 328 March. 1986. P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





يصعب تماما الفصل بين المتغيرات الاقتصادية وتأثيرها وتأثرها ، فقد تشابكت الدوائر وتداخلت في شبكة الاقتصاد العالمي . وظهرت قوى اقتصادية مهيمنة امتد اثرها الى عالمنا الثالث الذي لا نستطيع ان نفصل ما يحدث فيه ـ في عالم الاقتصاد والمال وغيرهما ـ عن الظواهر والقوى الاقتصادية في العالم

حول موقعنا نحن العرب وموقع العالم الثالث من القوى والظواهر الاقتصادية وتأثيراتها المختلفة،وعن بعض المفاهيم المتداولة عالميا ، وصورة العالم في المستقبل ، تدور فصول هذا الكتاب .

عزيزي القارئ

هل سمعت عن كتاب عنوانه « الموجة الثالثة » ، اذا لم يكن ذلك ، فإنه كتاب صدر منذ سنوات قليلة في الغرب ، وأصبحت له شهرة فائقة ، مؤلفه مغرم بالدراسات المستقبلية ، فقد ألف قبله كتابا آخر ذاع صيته أيضا وعنوانه « صدمة المستقبل » . هذا المؤلف هو « الن توفلر » ، وتحول الكتاب الى مسلسل تلفزيوني وثائقي عرض في أماكن كثيرة من المعمورة ، خلاصة كتاب « الموجة الثالثة » تقول ان تاريخ البشرية المعروف والمكتوب مر بثلاث مراحل أو ثلاث موجات ، المرحلة الأولى هي اكتشاف الانسان للزراعة المستقرة ، هذا الاكتشاف غير من طبائع الانسان وفرض مجموعة من القيم بقيت لآلاف السنين ، أما المرحلة الثانية فهي الثورة الصناعية عندما اكتشف الانسان أن آلة ما تستطيع أن تقوم بالانتاج ، هذه الثورة أيضا صحبها مايلائمها من تنظيم اجتماعي وسياسي كان أساسه التماثل ، فالآلات متشابهة وكذلك التنظيمات الاجتماعية يجب أن تتشابه

أما اليوم فإن الانسان يمر بمرحلة جديدة من تاريخه هي « الموجة الثالثة » التي تعتمد أساسا على المعلومات ، والمستقبل - كما يقول توفلر - للشعوب التي تستطيع ان تختزن وتبرمج أكبر كمية من المعلومات ، والتي بدورها تشكل مجتمعا ، ليس متماثلا ولكن متنوعا ، وفي نفس الوقت تفرض نمطا اجتماعيا أساسه التعاون

« ثورة المعلومات » هي ماتحاول العربي أن تلاحقه فتقدم لك كل جديد في الثقافة والفن والعلم

هذه هي رسالة العربي . ولعلك وأنت تتصفح هذا العدد الذي يأتي مع اطلالة الربيع ، لايخالجك شك أننا نحاول جهدنا لنقدم لك كل ما هو جديد وعلمي . ونأمل ونحن نمضي في مسيرتنا أن نلحق بالركب ، فلا يفوتنا القطار ، ولانتوقف عن الاضافات الجادة في انطلاقتنا التي اقتربت من عامها الثلاثين

المحرر

محتويات العدد



الكومبيوتر والغد على موعد ان الحاسب الآلي هو أحد ملامح المستقبل الذي يعيشه هذا الشعب . اقرأ الاستطلاع (ص ٦٨)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحى

ثقافة أبنائنا بين النظرية والتطبيق

■ طفل "أفيرون" و"الطفلة الذئبة".. ماحكايتهما ؟

■ هل لدينا أمية تشكيلية.. وما هى ؟

تتداخل لدى المشتغلين بالعلوم الاجتماعية قصتان ، فيهما من الطرافة والمعرفة ما يحكم ارتباطهما بذهن القارىء لفترة طويلة حتى يدرك مغزى القصتين الذى هو في الحقيقة مغزى واحد .

القصة الأولى هى مايعرف بقصة طفل (أفيرون) ، والقصة الأخرى هى قصة (الطفلة الذئبة كمالا) ، وبين القصتين فترة زمنية تقارب نصف قرن من الزمان .

القصة الأولى تبدأ عندما عثر مجموعة من الصيادين على طفل في الثانية عشرة من عمره تقريبا ، يتجول في غابات أفيرون الكثيفة ، ومكانها خارج باريس ، وزمن القصة كان في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر .

كان الطفل يتنقل على يديه وقدميه معا ، ويطلق همهمة غير مفهومة ، ويهاجم بأظافره وأسنانه كل من يقترب منه .

هو انسان ، ولكنه يتصرف تصرفا أقرب منه الى الحيوان ، وعندما قبض على هذا الطفل وعرض على الاختصاصيين وقتها ، تبين أنه سليل بشر ، وأن سبب سلوكه ذاك هو انعزاله عن المجتمع الانساني ، وحرمانه من تكوين ردود أفعال اجتماعية يتعلمها تلقائيا من هم على شاكلته وتربوا مع بشر أسوياء ، ولم يتقدم طفل (أفيرون) هذا كثيرا عندما أريد له ان يتكيف مع البشر ، ويعود انسانا .

ولكن القصة بتفاصيلها العامة تتكرر بعد ذلك بحوالي نصف قرن . . هذه المرة في الهند ، فقد عثر على طفلة عمرها عشر سنوات (سميت « كمالا » في وقت لاحق) عثر عليها في جحر ذئب ، وكان سلوكها ايضا حيوانيا عدوانيا لطول عشرتها مع الذئاب . الا أن حظها كان أسعد من حظ طفل (أفيرون) ، فقد تعلمت كيف تمشي واقفة ، وكفت عن العواء ، وتعلمت في وقت لاحق العيش مع البشر ، ولكن ذلك لم يدم أكثر من عشر سنوات ، فقد توفيت بعد ذلك .

الانسان كائن اجتماعي

□ هاتان القصتان نرى لهما أمثلة كثيرة في تاريخ العلوم الاجتماعية ، والمحصلة العلمية لمثل هذه القصص الطريفة والمؤسفة والحقيقية في نفس الوقت ، هي ان الانسان كائن اجتماعي يتشكل حسب البيئة التي نشأ فيها ، ومارس أنشطتها العلمية والفكرية ، فهو يكتسب تجاربه ومفهوماته من واقعها ، وتنتقل خبراته متكدسة من جيل الى جيل في وعاء مرن رحيب يشمل كل ذلك ، اصطلح على تسميته « بالثقافة » في المجتمع الانساني .

فالطفل الانساني ـ يختلف عن المولود الحيواني ـ وحين يصل الأخير الى هذا العالم سرعان ما يشب على ارجله الأربع ويسعى تلقائيا الى ضرع أمه ، أما الطفل الانساني فأنه يحتاج الى احتضان محفوف بالمعونة والرعاية ، وبيئة ثقافية يتشكل فيها ، صحيح ان الطفل الانساني يولد ولديه الاستعداد لاستقبال المعلومات واختزانها ، أي ان له منظومة فطرية ، ولكن الصحيح أيضا ـ في الوقت نفسه وبالقوة نفسها ـ ان هذه المنظومة الحيوية شديدة التقبل والتفاعل مع البيئة المحيطة به .

وكل من يقول بذلك لايعوزهم الدليل حينما يستشهدون بطفل أفيرون أوبالطفلة الهندية ، ولكن تاريخ الانسان ملىء بهذه الشواهد التي تقول في النهاية : ان الطفل كائن اجتماعي،ومهما حمل من خصائص نوعه والتصاقات وراثته فانه اخيرا من صنع بيئته .

اذا قبلنا تلك الحقيقة العلمية فأننا نقبل معها ايضا مسؤولية التأثير في الطفل وتوجيهه ، الا ان السؤال الاهم يظل معلقا وهو :

« هل نترك الطفل لبيئته الاجتماعية كما هي ، تؤثر فيه بطريقة تلقائية ، أو نحاول التعديل والتغيير في تلك البيئة الاجتماعية لاهداف نبتغي ان تغرس في طفل اليوم . . رجل الغد ، أو طفلة الحاضر أمّ الأجيال القادمة ؟ »



الاجابة الشافية عن هذا السؤال الدقيق ليست من السهولة بمكان ، ولكن من حيث المبدأ وبملاحظة ما يجري حولنا في عالم اليوم ، نرى ان معظم المجتمعات الانسانية تحاول ان تؤثر في نشئها الجديد باتجاه اعداده لمهمات تفرضها هي ، ودليلنا على ذلك

الجامعات والمدارس ودور التدريب التي تقتطع من اعمار المتعلمين شهورا عديدة وسنوات طويلة من أجل اعدادهم الاعداد السليم لخدمة مجتمعاتهم .

كل هذا التعليم والتدريب يخضع لمتالية زمنية تتدرج عبرها مستويات التعلم واهدافه . ولكن الثقافة أوسع مجالا من التعليم وارحب ، فالثقافة ليست المنهج المدرسي ولا التعليم التقليدي فقط ، وانما ثقافة الطفل إذا ما اردنا له الثقافة ، تقتضي تجميع الكثير من جهود المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مناشطها ومشاربها .

ثقافة الطفل في محنة

☐ واذا نظرنا الى خصوصية ثقافة الطفل العربي ، فأننا نجد ان المسئولية تتجاوز طبيعتها الى ماهو اعظم وافدح ، فقد قررت كثرة من الوثائق العربية المعنية بالثقافة أن ثقافة الطفل العربي في احسن الاحوال مختلة ، وفي اقلها معدومة ، وقد قررت ذلك بوضوح مسودة الخطة الشاملة للثقافة العربية التي توافر على وضعها نخبة من المتخصصين العرب ، ونوقشت في اطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس في نهاية نوفمبر الماضي .

فبعد ان تعرضت تلك الوثيقة المهمة لابراز وجوه النقص الذي تعانيه المطبوعات الخاصة بالطفل العربي ، قررت انه (ليس ثمة مناص من تخطيط ثقافي خاص بالطفل العربي يستهدف انقاذ الجانب الثقافي في شخصيته ويستكمل به تكوينه القومي) .

وعندما تقول وثيقة كهذه ان الهدف هو « إنقاذ » الجانب الثقافي ، ونحن نعرف مدلول كلمة « انقاذ » ، ندرك على الفور مدى ما تعانيه ثقافة الطفل العربي من محنة الاهمال .

محاولات ومحاولات

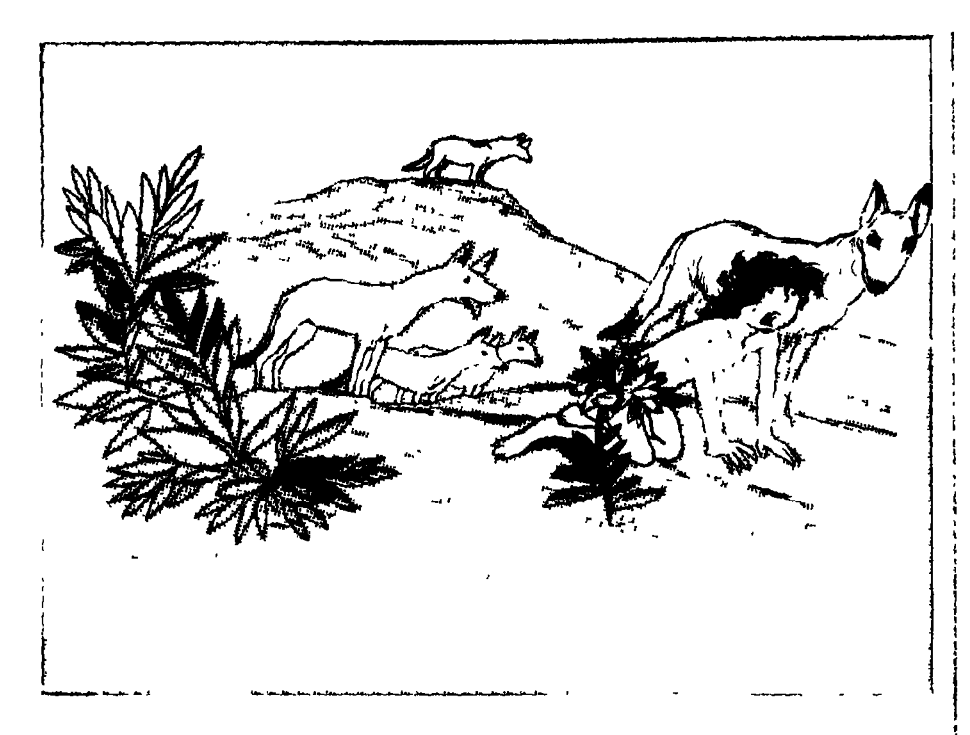
☐ من يقرأ هذه الكلمات من جيلنا العربي الذي خدمته الظروف فأتيحت له فرص القراءة ، يتذكر مجلة « سندباد » التي اصدرتها فيما بين ١٩٥١ ، ١٩٦١ دار المعارف في مصر ، واشرف على تحريرها رجل لامع من رحالات التربية والتعليم وقتها هو المرحوم محمد سعيد العريان ، وبعد ذلك ربما يتذكر البعض مجلة سمير التي صدرت عام ١٩٥٦ ، وميكي في عام ١٩٦١ .

ولعل من وعوا القراءة قبلنا من الجيل السابق يتذكرون مجلة السندباد القديمة ، التي ما لبثت ان حلت محلها مجلة البلبل ، وقد اصدر الاثنتين اجلال حافظ ، او مجلة (الاطفال) ثم مجلة (ولدى) اللتين ظهرتا في ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ . وقد اصدرهما احمد عطية الله .

وتتكرر اسماء مجلات الاطفال واحدة تلو الاخرى ، على سبيل المثال مجلات مثل « الكتكوت » و « على بابا » في نهاية الاربعينيات وبداية الخمسينيات رجوعا الى « النونو » ، « ومسامرات الاطفال المصورة » في العشرينيات وقفزا لما بين أيدينا من مجلات اطفال تصدر في كثير من عواصم الاقطار العربية اليوم .

محاولات اثر محاولات من اشخاص ومؤسسات وعت اهمية تثقيف الطفل العربي ، بعضها نجح والبعض تعثر لاكثر من سبب .. وبعضها مازال قائما في الساحة الثقافية يعمل ويقدم كل ما تتسع له الامكانات المتاحة .

وفي الوقت نفسه ـ ومع تقدم الزمن ـ يزداد عدد المقاعد التي يجلس عليها ابناؤنا



المتعلمون في ارجاء وطننا العربى ، وكذلك تزداد قاعدة الهرم السكانى العربى اتساعا الى درجة ان بعض الاحصائيات تقدر ان لدينا ما يقارب ٤٠ ٪ من السكان في الوطن العربى هم دون الخامسة عشرة من اعمارهم ، أى ان قاعدة الهرم السكانى في وطننا العربى شابة وعريضة ، وهى شديدة الظمأ الى كل مشروع جاد لخدمة هؤلاء الصغار من مختلف الاعمار

قـريـبـة
صغـيـرة

□ ونضيف الى كل تلك الاعتبارات المهمة والرئيسة اعتبارات لاتقل عنها أهمية . فنحن مجتمع عربى ، تقع أرضه على مفترق الطرق بين الشـرق والغرب ، في زمن تقلصت فيه المسافات بين القارات والشعوب ، وتطورت اساليب التأثير على الجماهير ، وتضاعفت اهميتها خصوصا في كل ما يتصل بالاطفال في كل الشعوب ، ذلك لان هذا التأثير الراهن فيها اليوم انما هو ضمان لسلوكها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى في المستقبل .

وإذا ربطنا كل ذلك بما قلناه آنفا من أن معارف الطفل مرتهنة بما يحيط به من تغيرات ، وان الطفل في الغالب يتأثر بعناصر ثقافية سابقة الرسوخ في مجتمعه ، وان هذا المجتمع هو نفسه عرضة لتأثيرات ثقافية متجددة لا يملك دفعا للكثير من عناصرها ، هنا يقع الطفل في صراع ثقافي متعدد الاطراف ، صراع بين الثقافتين . ثقافة متأصلة الرسوخ ، وثقافة متغيرة ، صراع بين القديم والحديث ، ان لم يعالجه القائمون على ثقافة الطفل العربى اليوم في حرص ووعى ، فان مصداقية هذه الثقافة سوف يعتورها التصدع ليس بالنسبة لمضمونها فقط ، وانما لعجزها عن الثبات امام الثقافة الغازية .

لذلك فان اثراء الثقافة المطروحة امام الطفل العربي مسئولية عظيمة لا يسعنا ان ننكص عنها لما لها من أثر كبير في تنشيط الدوافع المكتسبة كالاكتشاف والانتماء ، والاتصال والمشاركة والوعي الديني والوطني والقومي ، حتى تستقيم توجهات الطفل الى ما يخدم الوطن والامة ويقيها الهوان والجمود .

ولعل مجلة للاطفال ، فيها من الجاذبية النفسية للمادة المطبوعة من جهة ولافضليتها النسبية على الاشرطة المسموعة والمرئية ، من حيث زهادة السعر والسيطرة على الموقف القرائي وأختيار الوقت حسب الفراغ والحاجة وسهولة الاستعادة والتكرار من جهة أخرى ، إلى جانب كون المادة المطبوعة من اقدم وسائل الاتصال الجماهيري المعروفة . . لعل كل هذه العناصر التي تؤكد اهمية المجلة المطبوعة ، هي التي دفعت مجلة العربي ـ ضمن عوامل اخرى ـ ان تتنهز قرب بلوغها الثلاثين من عمرها لتقديم مجلة مستقلة للاطفال العرب ، هي « العربي الصغير » ، التي صدرت في البداية في عددين تجريبيين ثم انفصلت بقوامها المستقل عن مجلة العربي منذ فبراير الماضي كي تصل الى كل الاطفال العرب وهي تحمل كل هذه المعاني التي ترجو ان تصل الى عقول أبنائنا .

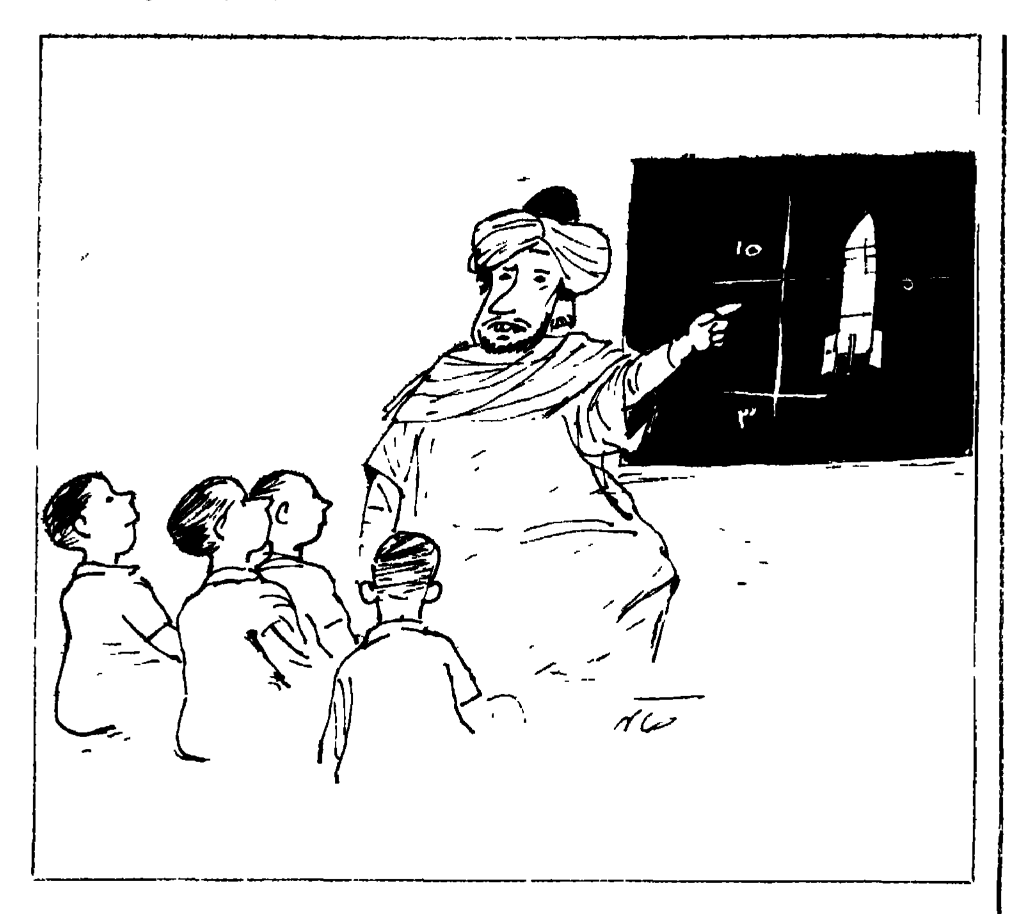
رسالة ثقافية عربية

☐ ولا اظن ان هناك ما يدعو لاعادة طرح القضايا التي طرحت من قبل بعناية شديدة بين ايدي المهتمين بثقافة الطفل ، سواء كانوا متخصصين أو اباء وامهات مهتمين بثقافة اطفالهم . من تلك القضايا ان وطننا العربي قد ابتلي بأشكال من النتاج الثقافي للاطفال مجلوبا من الخارج غير نابع من طبيعة الوطن ، لقد اعتبر البعض ان الاطفال العرب « سوق » يجري عليه ما يجري على كل الاسواق من ترويج البضائع بأسلوب الواجهات المضيئة والاجتذاب الباهر ، حتى اقتحمت أذهان اطفالنا أشياء عجيبة ، منها شخصيات الرجل الخارق والمرأة الحديدية ، دون اهتمام بالمضمون ، ودون وفاء بمطالب الاطفال واحتياجاتهم الفكرية الطيبة لكل عمل هادف .

من هنا جاءت « العربي الصغير » كمشروع ثقافي للطفل العربي بديل للكثير مما هو مطروح ، بديل يهتم بالمضمون الى جانب الشكل ، مشروع يعترف بأهمية الخيال المجنح في آفاق التسلية النافعة والمتعة البريئة والتصورات المتفننة ، وليس الخيال الشرس العقيم .



وقد أولينا اهتماما خاصا بتراثنا وحرصنا على تقديمه في اطار شيق ملائم ، ولم نغفل نواحي العلم والتقنية الحديثة ومجالات تطبيقها في نطاق الواقع العربي . ووضعنا المشروع كله تحت النقد وأمام أعين الرقابة الوطنية العربية ، ولذلك فقد سعدنا عندما جاءتنا اقتراحات وانتقادات وتوجيهات واعية من الكويت ومنطقة الخليج ، ومن مصر العربية ، ومن الجمهورية العراقية ، ومن الجمهورية الجزائرية . . ومن كل اقطار الوطن العربي تقريبا ومن خارجه ، من مؤسسات وافراد ومفكرين ومسئولين ومثقفين ومدرسين واباء وأمهات ومن الاطفال انفسهم ، وقد عبروا فيها بطريقتهم عن استحسانهم أو نقدهم لهذا الموضوع أو ذاك في الاعداد التمهيدية « للعربي الصغير » . ومن الاتجاهات الاساسية التي تستحق في رأينا الرصد والتبويب ـ كدراسة عملية لمشروع ثقافي للاطفال العرب ـ اتجاهات اتفقت فيها أغلب الرسائل .



الأهداف والقيم

☐ من بين هذه الاهداف والقيم التى يجب ان تتبناها المجلة

* القيم الدينية الاصيلة والواضحة ، التى تمنح الطفل التوازن النفسى والامن والثقة بالحياة ، وتؤكد على النزعة الانسانية ووحدة البشر أمام خالقهم ، وتنزع الى تحرير الانسان من مخاوفه واوهامه ، بالشكل الذى يمكن للطفل ان يتقبلها به وتؤثر في سلوكه .

* القيم العربية التى تؤكد انتهاء الطفل الى أمته العربية ، وتحرره في الوقت ذاته من التعصب العرقى أو الطائفى أو المذهبى أو الاقليمى ، وتبرز تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الانسانية في الماضى والحاضر . . . كما تبرز التوجه العام والانسانى للثقافة العربية .

* القيم الانسانية المعاصرة ، (مع ابراز جذورها في الماضى وتطورها في الحاضر وتوجهها للمستقبل) مثل احترام العقل ، النظرة العلمية والموضوعية ، الحق ، الواجب ، احترام الآخر واستقلاليته ، معنى الحرية ، حدود الحرية ، قيمة العمل ، الابداع ، الانتاج ، المبادأة ، الايجابية ، أهمية الوقت ..... الخ مع الاخذ في الاعتبار بتداخل هذه الحلقات والمنظومات .

* اما فيما يتعلق بوسائل تحقيق هذه الأهداف والقيم فقد كان من بين الاتجاهات نقاط محددة .

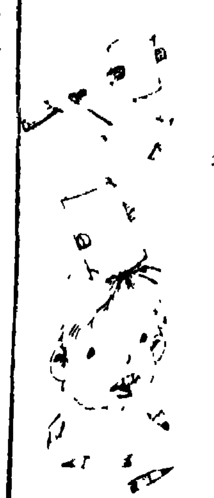
* عن القصص المسلسلة ذات الصور : هناك رسائل من ذوى الاختصاص تؤكد على اهمية خلق شخصية اساسية يتعلق بها الطفل وتنشأ بينه وبينها علاقة ، وهذه مسألة تهم الاطفال من ٨ - ١٢ سنة وهى سن الخيال الايهامى النشط عند الطفل ، ومن خلال تفاعل هذه الشخصية المحورية مع بقية الشخصيات الثانوية في المسلسل ومع احداث القصة ، وتقمص الطفل لهذه الشخصية ، يمكن بث القيم المنشودة في نفس الطفل

* عن الصور المرافقة للمسلسل · كان هناك تأكيد على أهمية ان تكون الصور واضحة ومترابطة في تتابعها بحيث يمكن للطفل ان يفهم الاحداث من تتابع الصور ، وفي ذات الوقت كانت هناك دعوة الى الحذر من الاسراف في هذه المسلسلات ذات الصور المتلاحقة والحوار القصير داخل الصورة لانها تحرم الطفل من متعة القراءة الحادة المتواصلة ولكن لان الاطفال في هذه السن اصبحوا يقبلون على مثل هذه المسلسلات المصورة فيجب على الاقل ان تكون الصور كبيرة وواضحة ، وان تكون الكلمات تحت الصور لا داخلها بحيث لا يتمزق النص الادبى المقروء .

* هناك تأكيد على ان تعنى المجلة بقصص الخيال العلمى سواء فى شكل مسلسل أو قصة قصيرة واحدة ، على ان تربط هذه القصص الطفل بروح البحث العلمى وتعرفه باتجاهات العلم فى عصرنا مع اشباع خيال الاطفال واثارة قوة الابداع فيهم

الصورة والكلمة

☐ حول صفحات دائرة المعارف اكدت كل الرسائل تقريبا على اهمية هذا الباب فى المجلة وبهذا الصدد كانت هناك اقتراحات بان يكون تسلسل دائرة المعارف خاضعا للترتيب الابجدى مع تعدد الاغراض فى كل عدد ، بحيث يمكن للطفل ان يحتفظ بها منفصلة كمرجع خاص ، وان يستفتى الاطفال فى الموضوعات التى يحبون ان تقدمها لهم دائرة المعارف



واقترحت بعض الرسائل ان يطلب الى الاطفال ان يقدموا ما يحبون تقديمه من الوان المعرفة لهذا الباب

* وعن الاستطلاع . كان هناك اجماع على أهميته ، واعجاب بما قدم منه ، وعلى انه من افضل السبل لتعريف الطفل بوطنه العربي بشكل جذاب ومشوق ، ومناسب وبهذا الصدد . كانت هناك ملاحظة واحدة تؤثر ان يكون الاستطلاع معتمدا أساسا على الصور وبأقل قدر من الكلمات ، كما كانت هناك دعوة الى ان يطلب من الاطفال تقديم استطلاعات عن بلادهم أو بيئاتهم فيتعرفون هم عليها ويعرفون غيرهم بها .

* عن مادة التراث والتاريخ . . اكدت رسائل عديدة على أهمية تعريف الاطفا



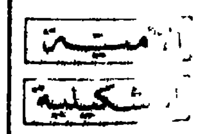
بتراث أمتهم وأوطانهم وتاريخها ، بما يؤكد انتماءهم لأمتهم مع الاخذ فى الاعتبار رغبة الطفل وحاجته الى الايمان بمثل عليا فى هذه المرحلة من العمر وخصوصا من ١٢ الى ١٥ . واشارت الرسائل الى ان هذا الهدف يمكن ان يتحقق من خلال « القصة » ودائرة المعارف » ، « والاستطلاع » و « المسلسل » ، و « الحكايات المأخوذة من التراث » لكن المهم فى كل هذه الاشكال هو الاختيار الجيد للمادة التراثية أو التاريخية ، والتقديم المناسب لها ، بما يسهم فى تحقيق الهدف المنشود ويحث الطفل على البحث بنفسه فى المراجع الخاصة بهذه المادة ومن هنا اقترحت بعض الرسائل ضرورة الاشارة الى المراجع فى مثل هذه المواد ، فالمجلة ينبغى ان تكون طريق الطفل الى الكتاب لا بديلا عنه .

* وعن الصفحة الدينية ، أكدت رسائل عديدة على هذا الجانب ، بينما اقترحت بعض الرسائل ان تبث القيم الدينية خلال الموضوعات المختلفة بشكل غير مباشر ، لان هذا افضل من تركيز المسألة فى صفحة خاصة ، وان كانت بعض الرسائل قد اقترحت ان تكون الصفحة خاصة بالثقافة الدينية التى تقدم فى فقرات قصيرة واضحة سهلة الاستيعاب ، أو فى شكل سؤال وجواب .

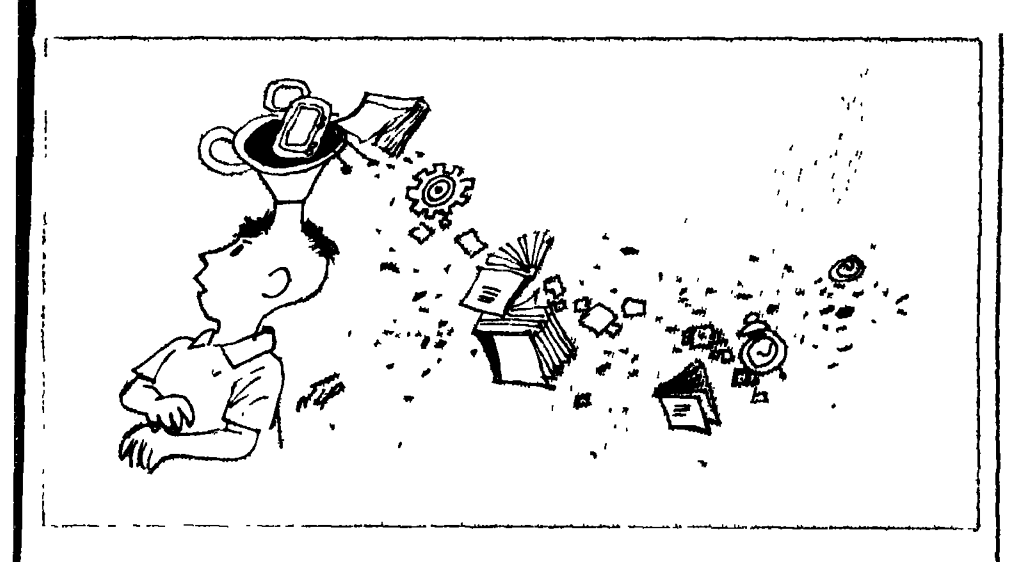
* وعن صفحات المسابقات ، والالعاب ، والتسلية ورسائل القراء فقد اكدت رسائل كثيرة ، على ضرورة ان تكون المسابقات احدى وسائل المجلة لتنمية الذكاء ، والمعلومات واثارة الرغبة فى القراءة ويمكن ان تتطور لتشجيع الاطفال ذوى المواهب فى الادب أو الفنون على تقديم انتاجهم فى مسابقات أدبية أو فنية مناسبة يمكن نشر ما يفوز منها فى مجلتهم « العربي الصغير »

* أما عن باب « اعمل بيديك » . . فقد لقى استحسانا كبيرا من اغلب من كتبوا عن الاعداد التجريبية ، ونبهت بعض الرسائل الى ان تكون الاجهزة التى تتناول فى هذا الباب من الانواع المألوفة والمعروفة لدى اكثرية الاطفال ، بحيث يمكن ان يجربوا بالفعل المعرفة التى تقدمها لهم المجلة

* أما الكاريكاتير فهو يلبي حاجة الطفل للمرح ، ويقترح البعض ان يوجه الكاريكاتير لنقد بعض العادات السيئة التى يمكن ان ترافق سنوات الطفولة ، واقترحت رسائل اخرى فى مجال الاستجابة لروح المرح لدى الاطفال تقديم صفحة خاصة بالفكاهة والطرائف . . . .



☐ يقول احد المتخصصين فى الميدان : اننا كعرب لدينا فعلا أمية تشكيلية على حد تعبير احد الفنانين العرب ، فهل يمكن ان تقوم المجلة بدور بارز فى محو هذه الامية لدى الجيل الجديد عن طريق نشر لوحات للفنانين العرب المعاصرين مع شروح لهذه الاعمال حتى تتفتح حواس اطفالنا على هذا الفن الجميل وينمو ذوقهم الفنى منذ البداية فى الطريق الصحيح ، كما اقترحت بعض الرسائل نشر الرسوم الجميلة التى يقوم الاطفال برسمها .



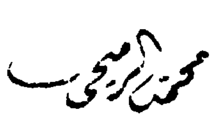
* وقد طرحت ايضا فكرة الاستعانة بدراسة قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « عن الالفاظ والتعابير المشتركة بين اطفال الوطن العربي » وذلك لمساعدة المحررين على التركيز على المشترك والابتعاد عن سواه بقدر الامكان .

* وتلح رسائل كثيرة على العناية باللغة العربية تقول : ان مجلة يتناولها الاطفال العرب أجدر من سواها بالحرص على سلامة الاستخدامات اللغوية . كما تقول رسالة اخرى : ان الدقة في تشكيل الكلمات أمر ذو أهمية ليتلقف الاطفال منذ البداية الكلمة الصحيحة .

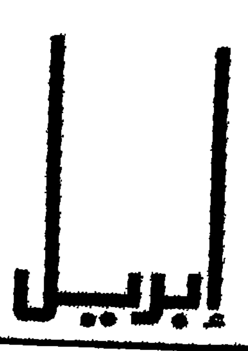
* وثمة مخاوف ومحاذير اخيرة عبرت عنها بعض الرسائل خلاصتها « أن توجه المجلة لفئات العمر من ٥ الى ١٤ سنة يعني انها ستخاطب فئات مختلفة في احتياجاتها النفسية والفكرية ، والتحدي الماثل يكمن في ان عليها ان تكسب كل هذه الفئات بحيث لا تشعر فئة من هذه الفئات ان المجلة ليست لها وحدها ، أو انها لا تجد نفسها فيها بالدرجة الكافية مما قد تكون بعض نتائجه التضحية بفئة من هذه الفئات أو تسربها ، ان على المسئولين عن هذه المجلة ان يكونوا على درجة عالية من اليقظة لكسب المعركة في الجهتين ، فيكون الانتصار عظيما حقا » .

وبعد . .

* . . لقد دخلنا المعركة ، معركة تنوير عقل الطفل العربي ، ولسنا وحدنا في هذا المجال ، فهناك الى جانبنا مؤسسات وافراد في طول الوطن العربي وعرضه يناضلون من اجل غد أفضل لهذه الامة ، وما مجلة للاطفال في رأينا الا احد الاسلحة في هذه الحرب الحضارية ، ونحن عازمون على المضي فيها الى آخرها ، لا يعوزنا التصميم ، ولا تنقصنا العزيمة .



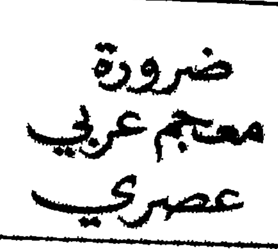




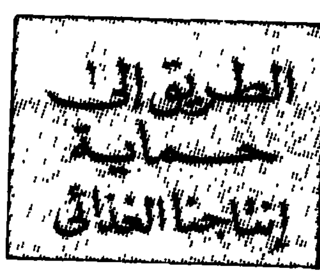
اقرأ في العدد القادم من العربي

الفلبين على مفترق الطرق

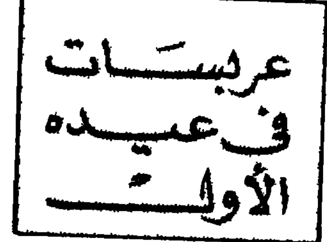
استطلاع : سليمان مظهر



د. اسماعيل صبري عبدالله



د. عز الدين فراج



طاهر سكر القيسي

- سباق التسلح النووي وموقف العلماء والمثقفين / د. عبدالمالك التميمي
- الاستراتيجية الإسرائيلية في ظل سياسة الترابط / أمين هويدي
- الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد .. بقلم ابنته / د. محمد عيسى صالحية
- قراءة في أعمال فاروق شوشة / محمد ابراهيم أبو سنة
- كيف غنى الشعراء في المربد ؟ استطلاع بالألوان / سليمان الشيخ
- وجهاً لوجه : د. علي الراعي مع د. أمين العيوطي
- البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب :

. محمد الرميحي - د. عبده بدوي - د. محمد علي الفرا - د. سعد البكري
. محمد عبدالله المشاري - فاروق خورشيد - د. ابراهيم أبو ربيع - د. عبدالعزيز المقالح

إدارة الأزمات الإقليمية

بقلم أمين هويدى

درجت على ألسنتنا كلمة « الأزمة » مع غيرها من كلمات سادت مجتمعاتنا العربية ، بل تسود العالم الحديث ، فما هى « الازمة » وماهى طبيعتها ، وكيف يمكن ادارتها والتعامل معها اذا ما ثار غبارها ؟ خصوصا فى واقع متشابك القضايا مثل واقعنا ؟

كانت الافكار تنساب فى عمق وهدوء اثناء ندوة رائعة تشرفت بادارتها فى مقر « اتحاد المحامين العرب » فى القاهرة عن « ازمة الشرق الاوسط » وهى احدى النقط الساخنة بل الملتهبة « فى قوس الازمات » الذى حدده « زبحيو بريجنسكي » بالقوس الذي يمتد من افغانستان شمالا الى القرن الافريقي جنوبا مارا بمنطقتنا العربية ذات الاهمية الحيوية فى « الاستراتيجية العالمية »

وكان من الضرورى أن يتناول الحوار مواضيع مختلفة مثل · القوة ، الاستقرار ، وتوازن القوى ، حل الأزمة ، ادارة الأزمة . وهذا شىء طبيعى عند معالجة مثل هذه الموضوعات وعلى هذا المستوى وفجأة وفى كلمة أحد الحاضرين رجا الجميع أن يكفوا عن الحديث عن « توازن القوى » اذ انه لايعترف به بل - وعلى حد قوله - يسبب له ارتكاريا »

وبصراحة صدمنى الحديث وحيرنى أشد الحيرة ، فالحديث من استاذ جليل يعالج المواضيع السياسية فى الكتب والصحف والمجلات، بل يقوم بالقاء المحاضرات المتعددة فى « ادبيات السياسة » . وهذه كلها موضوعات لا يتم الاقتراب الصحيح منها الا من خلال التفهم العميق « لاستخدام القوة في السياسة » خصوصا وان الاتفاقيات حتى اذا تم التوقيع عليها - انما تعبر عن « قوة الموقعين عليها . وصياغة الاتفاقيات فى ابوابها وفصولها وبنودها انما هى ترجمة أمينة « لقوة الأطراف » على الطبيعة أو فى مسرح العمليات .

وهذا الحوار حفزنى على معالجة موضوع الأزمات الاقليمية ، خصوصا وأن « أزمتنا المستعصية » تمر



بأخطر مراحلها ، وأدق ظروفها

الأزمة سواء كانت عالمية أو اقليمية تعني مجموعة من التفاعلات المتعاقبة بين حكومتين أو اكثر لدول ذات سيادة ، تعيش في حالة صراع شديد ، ولكن بدرجة أقل من الحرب والمواجهة المسلحة ، مع الادراك بوجود احتمال عال لنشوبها ووقوعها .

وتعني ايضا ادراك صاحب القرار بوجود موقف يهدد المصالح العليا للوطن ويتطلب وقتا قصيرا للتعامل مع هذا الموقف باتخاذ قرارات جوهرية .

الخصائص

وبشكل عام فانه يمكن تحديد خصائص الأزمة بأنها

* نقطة تحول في أحداث متعاقبة اصبحت تهدد أهدافا عليا للدولة .
* تتزايد فيها الحاجة الى الفعل المؤثر لمواجهة ظروف المتجددة .
* قرارات مواجهتها مصيرية اذ تشكل نتائجها تغييرا مستقبل الأطراف
تتميز بدرجة عالية من الشك في الخيارات المطروحة .
تتصي فيها التحكم في الأحداث وخصوصا وان « مديري » الازمة « يعملون في ظل نقص المعلومات أو عدم وضوحها وتحت ضغط نفسي تحسبا للتصرفات المفاجئة للاطراف الاخرى المشتركة أو المتدخلة

* تسبب حالة عالمية من التوتر خلال فترة قصيرة وتكون محل جذب لقوى اخرى بدرجات متفاوتة حسب درجة تأثر مصالحها بتطورات الأزمة

وإذن وكما نرى فان « الازمة » هي درجة من درجات « الصراع » الدائر بين الدول الصديقة والمعادية وعلينا أن نتذكر أنه حدث تطور خطير في مفهوم الصراع ، إذ كان الشائع أنه تصادم ارادات وقوى خصمين أو اكثر يكون هدف الأطراف المشتركة فيه « تحطيم بعضهم » كليا أو جزئيا ، حتى تتحكم اراداتها في الخصم ومن ثم يمكنه ان ينهي الصراع بما يحقق أهدافه . الا ان « تحطيم » الارادات في ظل الظروف المعقدة للصراعات وتداخل الصراعات الاقليمية مع الصراعات العالمية بحيث اصبحت في الجانب الكبير منها صراعات بالوكالة أصبح أمرا مستحيلا ، وبذلك فان الصراع لايمكن أن يحقق « الاغراض الكاملة للاطراف بل ينتهي في واقع الحال الى نقطة بين « الهزيمة » والانتصار ، أو مزيج من الانتصارات والهزائم ، وبذلك أصبح الغرض من الصراع هو تليين الارادات « لاتحطيمها » حتى يتم تحقيق الاغراض الناقصة

وعلينا أن نتذكر هذه التطورات فى المفاهيم ونحن نواجه ازماتنا الخطيرة ، وقد أعجبنى قول « ريتشارد نكسون » وهو يلخص رأيه فى تعريف الازمة « إن مفهومي الأفضل للازمة توضحه الطريقة التى يكتب بها الصينيون الكلمة باللغة الصينية اذ يرمزون لها بشكلين : أحدهما يعبر عن الخطر ، والاخر يعبر عن الفرصة »

وهو يعنى بالخطر احتمال تصاعدها-أي الأزمة-الى مستوى المواجهة المباشرة بإستخدام القوة ، ويعني « بالفرصة » سرعة اتخاذ القرار لتطويع اتجاهات الازمة بما يخدم اغراضنا فالتصرف الموضوعى الذى يتسم بالبراعة والحنكة اثناء تطور الازمة يوفر لنا القدرة على دفع الامور لايجاد حل لصالحنا،بل كثيرا مانفتعل الازمات لاعادة صياغة النظام العالمي أو النظام الاقليمى وبذلك يصبح قيام « الأزمة » نتيجة للحاجة الملحة لتعديل النظام السائد . .

« واسرائيل » تقوم دائما بافتعال الازمات لتعديلات تريد ادخالها على الامر الواقع . وبذلك يمكننا أن نقول . إن خريطة الشرق الأوسط تتغير تدريجيا ، ووسيلة هذا التغيير افتعال الأزمات وتفجيرها على فترات متعاقبة ، يتم فى الفترات الفاصلة بين كل ازمة وما يليها من أزمات عملية التغيير .

تفاعل التناقضات

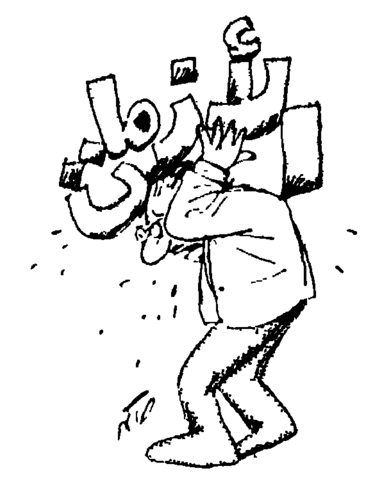
اذن فالأزمة عبارة عن تفاعل التناقضات الموجودة وتراكمها ووصولها الى درجة الحرارة الساخنة ،ومهما اتخذت الأزمة من اساليب تعبر بها عن نفسها فان القوة كما جاء فى كتاب سيوم براون « أزمات القوة » هى العامل الفعال لطريقة اداراتها ، بل فى الصورة التى تنتهى بها ، فالعلاقات الدولية سواء كانت ايجابية أو سلبية تنظر الى « القوة » باعتبارها العامل الأسمى فى السياسة القومية ، فهي أشبه بالمركز العصبي فى جسم الانسان،يمكن عن طريقها دفع التهديدات ، وتحقيق الأغراض الحيوية،وحماية المكاسب الوطنية واطلاق الجهود الخلاقة لبناء الوطن تحت حماية درع القوة . ومن الطبيعى فانه اذا كانت القوة تحقق هذا الذى شرحناه - فالقدرة - باعتبارها محصلة لمجموع قوى الدولة فى المجالات المختلفة « حَرِيَّة » بالتعامل الايجابى فى عالمة السياسة الدولية ، لمقاومة اى محاولات للسيطرة والتهديد - بمعنى أن تكون قويا لايقل ابدا عن الحياة نفسها ، فالحياة لامعنى لها دون قوة ، اذ بدونها تصبح الدولة نهبا للطامعين من السهل عليهم قصمها وابتلاعها وهضمها .

واذا ماوصلت الأزمة الى درجة الحرارة العالية فإن الذى يحول بينها وبين أن تصل الى درجة الغليان - أى الى المواجهة الفعلية - هو « توازن القوى » ويكون هناك « توازن » اذا وصلت قوة الأطراف المشتركة فى الأزمة حدا يتعذر عليها جميعا فى ظلها اللجوء الى استخدام القوة لفض المنازعات ، أو ان يقتصر استخدامها فى اضيق نطاق) اذ يتحقق فى ظل هذا التوازن مايسمى بالردع المتبادل ويتم هذا « الردع » عن طريق حسابات معقدة يقتنع خلالها الطرفان أن الخسائر المحققة تفوق المكاسب المرجوه نتيجة لاطلاق القوة من عنانها

توازن القوى

ولكن كيف يمكن « لتوازن القوى » هذا أن يحد من درجة حرارة الأزمة دون تشغيله اثناء الصراع أو اثناء تفاعل الازمة ؟ إن تفسير ذلك يكمن فى خواص القوة التي تعبر عن نفسها إما فى الحالة الاستاتيكية أو الثابتة أو فى الحالة الديناميكية أو المتحركة والشيء الغريب أن مفعولها فى الحالتين يكاد يكون واحدا فى نظر اصحاب المعرفة بشئون الصراع ، لان الجهل بمثل هذه الامور يقود دائما الى حسابات خاطئة تؤدى الى أسوأ العواقب .

فالحسابات الدقيقة للقوة وهى ثابتة أو وهى فى المخازن أوحتى وهى على خطوط الانتاج في المصانع قد يكون مانعا أو حافزا لاطلاقها . هذه الحسابات تشكل اطارا تدار داخله الازمة على نفس طريقة اعمال « العملة النقدية » فى السوق التجارية » حيث يعرف « التاجر الشاطر » قيمة مالديه من مال وقيمة مالدى الطرف الأخر من بضاعة . ويجرى التعامل فى السوق ، فقد تحصل على اكثر أو اقل مما دفعت ، وقد تحصل على سلعة مغشوشة ، وقد يأخذ منك الطرف الأخر كل مالديك من نقود ولايعطيك شيئا !!!

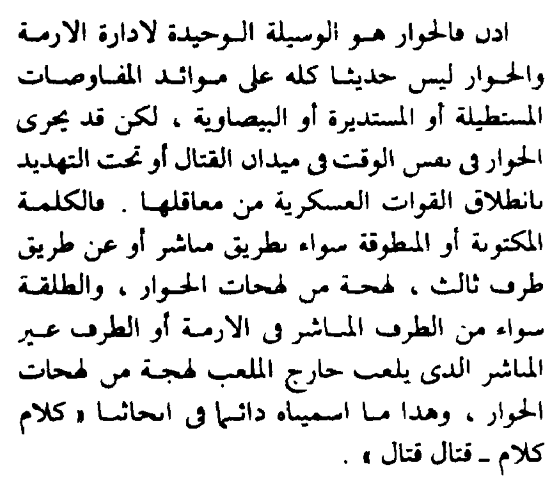


والحسابات الدقيقة تجرى لقياس عدة عوامل
- القوة المتاحة
- الارادة والتصميم على استخدامها
- تصديق الاطراف لهذين العاملين .

ويخطىء من يظن ان الردع هو عبارة عن حاصل جمع هذه العوامل ، اذ انه فى واقع الحال نتيجة أكيدة لها .

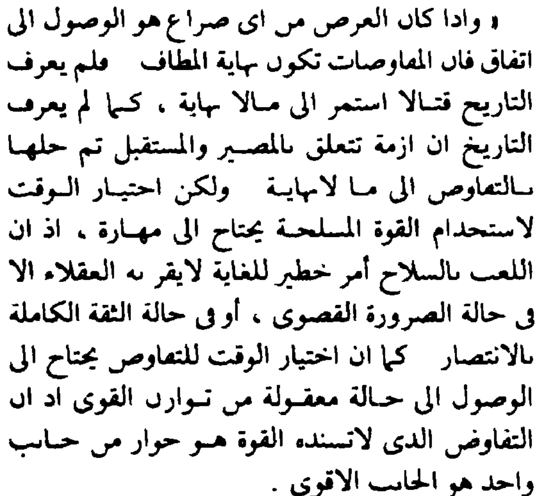
وهناك فارق كبير بين الامرين فاذا كانت محصلة هذه العوامل صفرا فان الردع يفشل فى احداث اثره المطلوب فعامل القوة مهما كانت قيمته يفقد هذه القيمة اذا كان الاصرار على استخدامها محل شك كذلك إن توفرت القوة ووجدت النية على استخدامها دون أن يصدق العدو ، فشل الردع

وفشل الردع معناه بدء القتال وتنقلب الجهود المبذولة لادارة الازمة الى جهود تبذل لادارة الحرب التى هى عبارة عن مأساة كبرى تعنى فشل الساسة فى ادارة الازمة واحالتها الى القادة العسكريين لحسم الموقف . وليس معنى بدء القتال انهاء الحوار ، كما لاتعنى بداية الحوار إنهاء احتمال القتال اذ ان الاستقرار المطلوب - على حسب تفسير الاطراف له يتطلب من مزيجا من الدبلوماسية والقوة . واستخدام القوة دون دبلوماسية أى كوسيلة وحيدة لممارسة السياسة هو نوع من أنواع التهور ، يؤدي الى فشل ذريع فى تحويل الانتصارات أو الهزائم الى واقع سياسى . كما ان استخدام الدبلوماسية دون ارتباط وثيق بالقوة عمل عقيم يدخل فى نطاق « الرومانسية » وهى مجال لايصلح للصراع الذى لايعرف الا الواقعية .



لهجات الحوار

ادن فالحوار هو الوسيلة الوحيدة لادارة الازمة والحوار ليس حديثا كله على موائد المفاوضات المستطيلة أو المستديرة أو البيضاوية ، لكن قد يجرى الحوار فى نفس الوقت فى ميدان القتال أو تحت التهديد بانطلاق القوات العسكرية من معاقلها . فالكلمة المكتوبة أو المنطوقة سواء بطريق مباشر أو عن طريق طرف ثالث ، لهجة من لهجات الحوار ، والطلقة سواء من الطرف المباشر فى الازمة أو الطرف غير المباشر الذى يلعب خارج الملعب لهجة من لهجات الحوار ، وهذا ما اسميناه دائما فى ابحاثنا « كلام كلام - قتال قتال » .



« واذا كان الغرض من اى صراع هو الوصول الى اتفاق فان المفاوضات تكون نهاية المطاف فلم يعرف التاريخ قتالا استمر الى مالا نهاية ، كما لم يعرف التاريخ ان ازمة تتعلق بالمصير والمستقبل تم حلها بالتفاوض الى ما لانهاية ولكن اختيار الوقت لاستخدام القوة المسلحة يحتاج الى مهارة ، اذ ان اللعب بالسلاح أمر خطير للغاية لايقر به العقلاء الا فى حالة الضرورة القصوى ، أو فى حالة الثقة الكاملة بالانتصار كما ان اختيار الوقت للتفاوض يحتاج الى الوصول الى حالة معقولة من توازن القوى اذ ان التفاوض الذى لاتسنده القوة هو حوار من جانب واحد هو الجانب الاقوى .

وعلينا ان نتذكر - ونحن ندير الحوار - أن الحرب والسلام عمليتان غير منفصلتين ، بل هما عمليتان متعاقبتان اذ ان الغرض من ادارة الأزمة - اى ازمة - هو الوصول الى حالة أفضل من الاستقرار - فعلينا ونحن نقاتل الا تغيب رؤيتنا لشكل السلام الذى نريده ، وان نحن لم نفعل هذا انفصلت الاستراتيجية عن السياسة . اى يكون « الجزء » - وهو الاستراتيجية - قد لعب دورا خارج اطار « الكل » - اى السياسة - وهذا خطأ وقعنا فيه دائما فى الماضى وأرجو أن نتفاداه الان .

والازمة تحدث لاسباب معينة ، ولايمكن أن تزول الا بزوال هذه الأسباب ، وعلى ذلك ففك الاشتباك بين أطراف الازمة ليس حلا لها بل هو تأجيل لاصطدامها فى أول فرصة يعاد فيها ترتيب الاوراق .

ويقصد « بالاشتباك أو فكه » دوام الحوار سواء بالكلمة أو بالطلقة . فالمواقف السلبية وتجاهل الازمة القائمة من طرف لايعني أن الطرف الأخر لن يستمر في اجراءاته الايجابية أو انه سيصرف عن اهتمامه بالأزمة فكما سبق في حديثنا فان الموضوع كله يتعلق بالارادات المتصارعة ، من يتأوه أولا يخسر الشوط .

الجانب الآخر من التل !

ان النظر وبصفة مستمرة الى « الجانب الآخر من التل » شرط أساسي لادارة الأزمة فالمدير « أي صاحب القرار لاينظر فقط الى « الجانب القريب من التل » أي الى مايحدث عنده . ولكن عليه أن ينظر دائما وبعناية الى الجانب البعيد ، ويستمع الى كل مايصل من هناك ان مايحدث هناك سواء كان كلاما مباشرا أو غير مباشر ، وسواء كان مقالا صغيرا أو واسعا إنما هو في حد ذاته رسائل مرسلة لايجوز تجاهلها ، بل من المحتم الرد عليها علما بأن تجاهل الرد هو في حد ذاته ردّ وعلى سبيل المثال فان ضرب المنظمة في تونس في اكتوبر (تشرين أول) من العام الماضي كان رسالة واضحة من اسرائيل موجهة الى كل الدول العربية تقول اننا لن نقبل بدولة فلسطينية ، « واننا مصرون على ذلك وقادرون عليه وذراعنا طويلة ، ومايقال عن تساؤلات من جانبنا محض افتراء وكان صمت الأطراف العربية المعنية وعدم قيامها برد الفعل المناسب ردا واضحا يقول « وصلت الرسالة وقراناها وفهمناها وما باليد حيلة » ثم كثر الكلام بعد ذلك عن السلام والتفاوض !

وكما رأينا فان ادارة الازمة ليست مجرد مباراة بالنصوص بين رجال اذكياء يملكون ناصية الفصاحة والتلاعب بالألفاظ ، ولكنها إدارة تعبر عن قوى حقيقية تضاربت مصالحها، الأمر الذي يقتضي المرونة وسرعة التجاوب بين الأحداث على أساس أن نتيجة الأزمة لايمكن أن ترضي كل الأطراف بل من المحتم أن تنتهي عما يسمى « بالرضاء الناقص » ولكن كثيرا ما يصل المتفاوضون الى طريق مسدود ، وهنا تتحرك القوات في مسارح العمليات من جديد لاحداث مزيد من تليين الارادات وان حدث هذا فإن مرحلة جديدة قد تبدأ لتنهي الأزمة أو تبقيها ولو الى حين

وكم هي عملية صعبة أن يصبح السياسي مديرا لأزمة ساخنة ؟! فالسياسي وهو مدير الأزمات المصيرية يشبه - كما قال هنري كيسنجر - في كتابه « عالم أعيد بناؤه » أبطال الدراما الذين يحترقون بمصيرتهم جحب المستقبل ، وان كانوا عاجزين على تحديد معالمه والشعوب تتعلم بالتجربة ، ولذلك فالسياسي العظيم هو الذي يسبق شعبه ويتحرك وكأن بصيرته هي التجارب التي حدثت وكأن احلامه هي حقائق الحياة ، ولذلك فمصير السياسيين كمصير الانبياء ، ولا نبي في قومه ▢

تعاريف مختلفة لمادة التاريخ

هناك تعاريف عديدة للتاريخ . فالأقدمون عرفوه بأنه ، « معرفة البلاد والعادات والآثار الماضية والحاضر » ، أما المؤرخون العرب ومنهم السخاوي فقد عرفه بأنه « فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت »

ويعرفه المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى بأنه « دراسة تعاقب أحداث الماضي الكبرى » أما مؤرخو العصر الحديث فقد جعلوا التاريخ أشبه بالمعادلة الكيماوية موادها المتفاعلة : الانسان + الزمان + المكان وناتجها التاريخ أما التعريف الحديث للتاريخ فانه « دراسة الماضي الحي » أي دراسة أعمال الانسان وأقواله المهمة وتدوينها وهي التي تركت أثرا في الوقت الذي حدثت فيه ، وامتد أثرها الى الأجيال المتعاقبة .

أقوال


نجيب محفوظ


د. يوسف أدريس

□ انني أتعامل مع التراث لا لكي أفرض عليه معاصرتي ، بل كي أراه كما هو في ضوء فكري المعاصر .

د. حسين مروة
كاتب عربي من لبنان

□ أتمنى أن يتناسق عمري الكتابي مع عمري الجسدي .

نجيب محفوظ
كاتب عربي من مصر

□ أتمنى أن ينتهي عمري مع انتهاء طاقتي على الخلق والابتكار

د. يوسف ادريس
كاتب عربي من مصر

□ الثقافة ليست ممارسة سياسية أو اقتصادية يمكن لشعب ما أن يمارسها اذا توفرت له حرية الممارسة والامكانات المادية والبشرية ، ولكنها عملية تمثل فكري وثقافي لكل القيم التراثية والحضارية والمستقبلية

عبد الكريم غلاب
كاتب عربي من المغرب



تنويه

لم يظهر اسم الأستاذ الشاعر أحمد العدواني ضمن قائمة الأسماء التي فازت بجائزة الكويت ، التي تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للمبدعين والعلماء والباحثين ، ضمن استطلاع « مهرجان العلم في الكويت » الذي نشر في العدد ٣٢٧ شباط ـ فبراير ١٩٨٦ من « العربي » .

علما بأن الاستاذ الشاعر العدواني كان أحد الفائزين بجائزة الشعر سنة ١٩٨٠ م .

وقد أمضى الأستاذ العدواني سنوات طويلة من عمره المديد في خدمة الثقافة العربية ، في كل المواقع المهمة التي شغلها ـ وما زال شغلها ـ سواء في مجاله الابداعي الشعري ، أو على صعيد المواقع لمهمة التي شغلها في وزارتي التربية والاعلام ، أو المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ، الذي يشغل أمانته العامة منذ نشأته سنة ١٩٧٣ م حتى الآن .

دوافع ومعوقات الحوار العربي الأوروبي

بقلم : الدكتور يوسف صايغ*

نحن في عصر تغير فيه وصف العالم ، من قارات ومحيطات الى قرية كبيرة ، يستطيع فيها أي انسان أن يصل الى أية بقعة في العالم خلال ساعات قليلة لذلك فان « الحوار » في هذا النوع الجديد من « العالم » أصبح ذا أهمية قصوى للتفاهم على الكثير من القضايا وهذا ما يطرحه الكاتب على صفحات العربي . . ولكن مع من يكون الحوار ؟ وما هي دوافعه ؟ وما الذي يؤمّل منه ؟

لماذا الحوار ؟

من المناسب جدا أن نلقي السؤال من البداية لماذا يجب على الأوروبيين والعرب أن يفتحوا حوارا فيما بينهما ؟ وأجرؤ على افتراض صدور الاجابة بالشكل التالي انه منذ قرون نشأت بين العرب والأوروبيين علاقة خاصة جعلت من الممكن بل والضروري في أيامنا هذه اقامة حوار ، يخدم تلك الروابط والمصالح ، التي جعلت من تلك العلاقة شيئا خاصا ، ثم التشخيص والمواجهة للقضايا التي تحيط بهذه العلاقة ، وهذا الافتراض يرتكز على أساس من هذه العلاقة التاريخية أولا ، واحتمالات المستقبل التي سيكون اهمالها وتهميشها من قبيل قصر النظر

لا أعتقد أنني بحاجة الى اللجوء الى اثباتات تاريخية لتوكيد حقيقة أن الطرفين كونا خلال تاريخهما علاقات تاريخية واقتصادية وثيقة . ذلك أن البلدان الأوروبية ارتبطت بعلاقات وثيقة مع بلدان غير عربية في آسيا وافريقيا وخاصة القارة الهندية ، لكن خصوصية العلاقة العربية الأوروبية في هذا المجال أنها ربطت بين العديد من البلدان الأوروبية الغربية والبلدان

* استاذ وكاتب وباحث اقتصادي ، عمل مستشارا في عدد من المؤسسات العربية والعالمية . له العديد من المؤلفات في هذا المجال . عضو لجنة تنفيذية سابق في منظمة التحرير الفلسطينية . رئيس سابق للصندوق القومي الفلسطيني

.. ربية ، خاصة القريبة منها على البحر الأبيض .. سط ، الذى كان لموقعه فعل العامل المساعد في نمو .. العلاقة

حقا ، ان الروابط والعلاقات لم تكن طيبة ومتوازنة .. الدوام ، لكن علينا فقط أن نذكر أنفسنا أن جميع .. بلدان العربية الحالية ، باستثناء السعودية واليمن ، .. خضعت للاستعمار الأوروبي العربي في فترة أو .. رى وهي فترات لم تكن للعرب خيار فيها ، بل .. نت بالنسبة لهم علاقة قسرية ، استخدمت فيها .. قوى الاستعمارية التعسف والعنف فان تركنا .. قبلا الجانب السياسي العسكري الى الجوانب .. لاقتصادية والثقافية فاننا سنجد أن العلاقة تتضمن .. لاستغلال الاقتصادي والاغتراب الثقافي بدرجات متفاوتة من الشدة والقسوة

ومع ذلك ، فقد حملت تلك العلاقة معها تغيرات وتطورات مهمة ، رغم أن التحول الرأسمالي بتأثير من الاستعمار قد صمم بشكل أساسي ، بحيث تخدم مصالح القوى الاستعمارية ولم تكن زيادة الفائدة من هذه العملية على المستويات الثقافية والسياسية أكثر من فائدة هامشية معتبرة وكان من الأجدى لو لم يأت دفق الأفكار وتحول المؤسسات ضمن العملية الاستعمارية ، ومع كل ذلك فان العلاقة التاريخية تثير اليوم آمالا كبيرة في الجانب العربي

قضايا الحوار

ان الحاجة الى حوار في المرحلة الراهنة قد اتضحت خلال السبعينيات وهذا يعني وجود قضايا تحتاج حوار البناء ، ويجب أن نذكر أن التغير المفاجئ الكبير خلال تلك الفترة في وضع أسواق النفط ، قد .. فكرة الحوار حين وقف العرب والأوروبيون على .. رق علاقة عمل كبيرة بدأت في خريف عام ١٩٧٣ ، بعمليات بيع كبيرة للنفط العربي لأوروبا . .. المقابل ، فقد صبت الأموال الضخمة مع المصانع .. لخدمات في الاتجاه المقابل

وكان للنفط دور الدافع من اجل حوار عربي .. روبي ، وجذبت حقائق السبعينيات معها عددا من القضايا التي كانت بحاجة الى بحث في تلك الفترة ولكن ذلك لم يكن سوى مدخل لترشيد الحوار فمن الناحية المفهومية والتحليلية يجب توافر ثلاثة شروط من أجل حوار مثمر

الأول أن المجموعة الكبيرة من القضايا الحقيقية المرتبطة بالنفط التي تقع ضمن العلاقة الأوروبية العربية يجب وضعها على جدول الأعمال ، رغم ان من غير الضروري بحثها في الوقت نفسه ، أو أن تكون بنفس الدرجة من الالحاح

والثاني أن تكون قضايا الحوار المختارة مهمة بالنسبة للطرفين

والثالث ان تكون القضايا طويلة الأمد وليست عرضية

ويجب أن نبحث الشروط الثلاثة معا وبهذا الافتراض سأنتقل الآن من العموميات الى التحديد الدقيق للقضايا الرئيسة لبحثها

تندرج المجموعة الأولى ضمن المجال الاقتصادي . وهنا فان النفط يجب أن يؤخذ ضمن مفهومه الواسع الذي يتضمن النفط والغاز والمنتجات المكررة والبتروكيماويات وسأحاول أن أطرح الهموم العربية الرئيسية في كل قضية نريد الوصول الى فهم مرض لها .

لقد تغيرت ظروف القطاع النفطي بشكل جذري منذ بدء الثمانينيات ومصدرو النفط غير قادرين الآن على الحفاظ على أسعار تضعها منظمة الأوبك) رغم أن الأسعار قد انخفضت من ٣٤ الى ٢٨ دولارا لبرميل النفط العربي الخفيف وبالتأكيد فان النفط الآن تحت الضغط فيما يتعلق بالكمية المصدرة ، والأسعار نقصت عام ١٩٨٤ عما كانت عليه عام ١٩٨٠ وقد كان لهذا آثار خطيرة على التنمية العربية الوطنية والقومية ، وعلى نفقات الدفاع والتجارة الخارجية ودفع المعونات ضمن الاطار العالمي

وصلة هذه التطورات بحوار محتمل صلة وثيقة فعلا ويبدو في الظاهر أن الأوروبيين سيشعرون بالفتور نحو وضع النفط على جدول أعمال الحوار ، لأنه لا يشكل ما كان يشكله في السبعينيات من أهمية فالنفط الخام متوفر بكثرة في أسواق كثيرة والأسعار خفضت ولا تزال تحت الضغط لمزيد من التخفيض ، وذلك في ضوء اقتصاديات النفط السائدة

والمنافسة الواضحة . حتى بين أعضاء الأوبك نفسه [illegible] هذا الخلل مستمرا على الأقل [illegible]

ومن جانب البلدان الأوروبية العربية فان هناك أسبابا اضافية للراحة فيما يتعلق بالطاقة ، فلديها الآن موارد متزايدة من النفط ، عندما التحول من نفط [illegible] الى النفط من خارج الأوبك ، ولدى هذه البلدان ما يمكنها من التغلب على حالات النقص عبر وكالة الطاقة الدولية . أما الأوبك فهي حالة فوضى مفتوحة . لذا فلربما يسأل الأوروبيون وما شأننا بحوار حول النفط

النفط والتنوع

اعتقد ان هناك الكثير للأوروبيين في حوار مثل هذا . فعلى المستوى الأكثر وضوحا علينا أن نذكر أنفسنا بأن الاحتياطي النفطي العربي لا يزال كبيرا ، وله أهمية كبيرة في مجال الطاقة لعقود قادمة . وأكثر من ذلك فالنفط مصدر طاقة ذو قدر كبير من التنوع في الخصائص المادية والنفسية ، مما لا يوجد في اي مصادر اخرى . ولكن الحوار ضروري بالأولى ، لأن السيادة الحالية لسوق المشتري أهملت من شأن البحث عن مصادر بديلة للقرن القادم . وقد يحلو هذا أن يسارع النقص بخلق أزمة في التموين ، أو حالة خوف ربما تؤدي الى ارتفاع الأسعار ، كما حدث في السبعينات

وحتى لو توافر النفط الخام للمستقبل المنظور ، يبقى هناك سؤال يتطلب نقاشا معمقا . وهذا يتضمن مستوى أسعار النفط ، وقلق المصدر حول وجود ما يوازي من الطلب ، وقلق المستورد من وجود مخزون كاف ، وتزيد فوق ذلك قضية أخرى هي تسويق منتجات البتروكيماويات العربية في الأسواق الأوروبية . وبالنسبة للنقطة الأخيرة ، فان العرب يشعرون بأن لديهم حقا مشروعا في نسبة من هذا السوق دون أن يشكل ذلك تعطلا خطيرا في سوق الصناعات البتروكيماوية الأوروبية

هناك جزء آخر من عملية تصدير المنتجات لأوروبا ، وهو استخدام الجزء الأعظم من عائدات التصدير [illegible] لصالح من [illegible] اخرى [illegible] ذلك في الظاهر وكأنه أمر عادي لا يستدعي نقاشا مهما . [illegible] فانني أركز على أنه من الواضح للاقتصاد المناسب للاستيراد العربي من أوروبا ، التي تقصد حجم المستوردات التي تستدعي وحدها نقاشا لضمان ألا تخضع تلك التجارة التي ترد وتأرجح كبير في حجم التجارة وقيمتها . [illegible] ذلك من آثار على ميزان المدفوعات . ولكن لأن هدفي أحمد [illegible] تفلدبان ، فانني أتطرق الى قضيتين متعلقتين بمسألة سبق اليها الكثيرون ، وهي تسعير المستوردات وما أسميه « تكييف سوق الاستهلاك »

ليس سرا ان الأسعار أو التمييز في أسعار السلع والخدمات المصدرة للبلدان المصدرة للنفط ، قد طبقته الشركات المصدرة الكبرى . وبالتأكيد فان مثل هذا الاستغلال التجاري يشكل ازدراء بالطرف الذي جرى التمييز ضده ، ويولد شعورا بالغبن لديه واستمرار ذلك لسنوات عديدة ، الى جانب حجم التجارة العربية الكبير من أوروبا ، حتم التفاوض من أجل وضع معايير سلوكية ، من شأنها التخفيف من هذه الأوضاع غير السوية ، ان لم يكن القضاء عليها . ولا يكفي الجانب الأوروبي القاء اللوم على المستوردين ، لعدم يقظتهم في وضع شروط صفقاتهم التجارية ، فالحجم الهائل للتجارة بين مجموعتي البلدان (العربية والأوروبية) من الأهمية بحيث يجب عدم السماح بتدهورها الى مستوى المماحكة في المساومة ، كما هو الحال في « البازار »

وعلى المدى الطويل ، فان القضية الثانية في مجال البحث مهمة بقدر ما هي خطيرة ، وما اقصده هنا هو ما اسميته « تكييف سوق الاستهلاك » . وأعني بذلك القوة الهائلة لشركات الاعلان والاعلام العربية ، التي تسخرها في خدمة الشركات العملاقة المنتجة لأنماط واسعة من السلع الاستهلاكية ، وهذه « القوة » تمارس بطريقة من شأنها خلق الرغبة في سلع السوق المحتمل ، ثم تحويل هذه الرغبة الى حاجة ملحة . وفي النهاية تدخل سوق المستورد سلع غير ضرورية فعلا . وهكذا فان سوق الاستهلاك يكون في الغالب غريبا عن المجتمعات المستوردة ، ويشكل هدرا لموارد مالية كبيرة الأهمية بالنسبة لها

ولا تمثل المشكلة كثيرا فيما يتعلق بالنسبة [illegible]

.. ه العملاقة ، التى تصبح ها وروعا فى البلدان .. رده لانتاج بعض السلع . وفى المثال فاننا نلمس .. ها فى سوق الانتاج الى جانب « التحكم بسوق الاستهلاك »

تفسير أم تبرير

.. ربما يقال فى معرض التفسير ان لم يكن التبرير .. يرتبط به الاقتصادية يفيدنا بأن المستهلك حر فى ما .. يشتريه .. لكن المرء يتساءل عن مدى مشروعيه احداث حول هذه الحريه ، احدا بعض الاعتبار قوة الاعلام بوسائله المختلفه ، فكم من الخير به تتقى المستهلك الصغير بعد تعرضه لبرامج التلفزيون .. وهى بعرض المساحات المذكوره تشتى سبل ..

ومع ذلك يبقى لنا أن نسأل لماذا يعتبر « التحكم بسوق الاستهلاك » منها ، بحيث يستحق حوارا عربيا .. ؟

.. ن كان الأمر جديا الى هذه الدرجه بالنسبه .. عرب ، فلماذا لا يصنعون شيئا بهذا الخصوص فى .. ستهم الاعلامية ومناهجهم التربوية ؟

كل ما استطيع قوله هنا ، هو انى اذكر تماما كان .. يفعله تاجر المستعمر ، من اعطائه القلائد الزجاجيه .. ويمنح للأفارقة فى الأيام السالفه ، مقابل العاج .. بعض التمييز ، ان هناك فرقا فى الحالتين ، لكن .. بد واحد

.. حيرا فان السؤال يبقى .. لو افترضنا ان اتهام .. تحكم بسوق الاستهلاك » صحيح ، وان النقد .. لدى الطرف الأوروبي ، فماذا يمكن للحوار .. الأوروبي أن يفعل ؟ اعتقد ان القضيه المثاره هنا ، .. بحث وحيرت المربين والمفكرين الاجتماعيين ، .. بعض الاقتصاديين المحافظين فى اوروبا ، حريه .. مع العرب ، ومن شأن مساهمه مشتركه فى .. الأوروبيه بهذا الصدد ان تؤتى ثمارا تقدر .. بدون

.. فى وسائل الاعلام العربيه بعض التذمر .. العرب نحو فرص الاستثمار فى اوروبا .. من الدول الاوروبيه فرص بعض النقود على

تلك الاستثمارات .. وهذه قضيه اخرى من الأهميه بحيث يستحق الادراج فى جدول أعمال الحوار ، خصوصا وانه لا تزال هناك بعض العائدات النفطية العربيه التى تمكن استثمارها رغم اختفاء أى فوائض نفطيه جديده فى المستقبل القريب

والقضيه تثير سؤالين .. احدهما يتعلق بالمبدأ ، والثانى بالجانب العملى منه ، ومن حق العرب أن يتساءلوا عن مشروعيه تدفق الاستثمارات الأوروبيه بحجم كبير الى الوطن العربى فى الماضى ، والاستمرار فى ذلك ، بينما ليس من الصحيح للعرب أن يفعلوا الشىء نفسه فى الاتجاه المعاكس ، رغم أن الاستثمارات العربيه غير مرتبطه بمشاريع استعماريه ، كتلك التى جاء بها الأوروبيون قبل استقلال الدول العربيه

وعلى المستوى العملى ، فان الاستثمارات العربيه رغم انها تقدر بالمليارات ، الا انها لا تمثل سوى جزء ضئيل من حجم اقتصادات البلدان الأوروبيه المعنيه ، فضلا عن انه بالامكان تنظيم هذا التدفق من خلال .. .. فى .. يمكن وضع ضوابط مشروعه للتغلب على ايه مصاعب ، ومن العرب فنون الاموال .. .. اجنبيه .. مملوكه او ودائع .. ، تحت تصرف الاوروبيه استخدامها ، الى جانب رفض الاستثمارات العربيه المتجه ..

وفى موازاة هذا .. ان حق الاستثمارات العربيه فى أوروبا ، يمكن أدراج الاستثمارات الاوروبية فى الوطن العربى ضمن هذا الحوار ، فهناك حاجه لتنظيم التدفق المعاكس ، بحيث لا يعيد تجربات الماضى المريره ، أى بحيث تكون هناك قسمة عادلة فى الارباح ، ومساهمة عربيه فعليه فى مراحل عمليه الاستثمار المختلفه .. ومن .. تنظيم عمليه الاستثمار الأوروبى ، ومن .. .. ، ان .. من فنون الاستثمار .. .. .. وهذا .. على مبدا المعامله بالمثل

المعونات والتقنية

.. .. المعونه الاقتصاديه .. .. ..

شروط ميسرة ، وبالنسبة للجانب الأوروبي فان البلدان العربية غير النفطية مدرجة هنا ، لأنها المرشحة لمثل هذه المعونة والجانب الأوروبي سيواجه باصرار عربي على زيادة المعونة للجانب العربي ، للوصول الى مستوى معقول من الناتج القومي الاجمالي المخصص للعالم الثالث وهنا يجد العرب أنفسهم في مركز قوة ، فقد ساعدوا في حصول الدول النامية على نسبة عالية من الناتج القومي الاجمالي العربي ، رغم أن العرب النفطيين هم أنفسهم ما زالوا ينتمون الى الدول النامية والفقيرة وفي الواقع فان مجموع الناتج القومي للبلدان العربيه الاحدى والعشرين قارب عام ١٩٨٠ ـ وهو عام ذروة العوائد ـ الناتج القومي لايطاليا وحدها ، وهي من أفقر الدول الأوروبية ، في الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكانها ٢٨٪ من عدد سكان الدول العربية مجتمعة

وأخيرا فان النفط ثروة ناضبة ، وعوائد صادراتها غير متجددة ، مثل السلع الغذائية والالات أو الخدمات التقنية ، هذا كله ـ الى جانب هشاشة عوائد النفط ـ يوجب طرح قضية المعونة الاقتصاديه في الحوار ، بهدف تقسيم الأعباء والمسؤوليه بعدالة أكبر

والمجموعة الثانية من القضايا التي تستحق الحوار هي ما أصبح يعرف بانتقال التقنية ، وأعتقد أن من الافضل بحث هذا الموضوع بمفرده بدلا من بحثه ضمن مجموعة القضايا الاقتصادية ، رغم علاقته الوثيقة بالانماء الاقتصادي وتتضمن هذه العلاقة الوثيقة الاعتماد الهائل للوطن العربي على المقدرات التقنية للبلدان الصناعية المتقدمة ، كما أن للتبعية التي تنجم عن الاعتماد مضامينها السياسية ، وكذلك الاقتصادية والاجتماعية .

وفي اعتقادي أن تطبيق الاستراتيجية الضرورية لاستيعاب امكانات اكتساب القدرة التقنية هي مسؤولية عربية في المقام الأول . لكن بامكان أوروبا تقديم الكثير في هذا المجال ، عن طريق الاسهام في الجهود العربية لتأسيس قاعدة علمية مناسبة للتطبيقات التقنية

ويجب أن يكون المبدأ المرشد في هذا المجال ربط المتدربين العرب في أوروبا بالنواحي المختلفة لنقل التقنية ، مثل التصميم والتخطيط والبناء والصيانة وغيرها وبالتحديد ، فان مثل هذا الربط سير [illegible] التقليد السائد باعتماد « عقود المشروعات المكتم[illegible] أي التي تنجز الشركات الأوروبية كل شيء فيها [illegible] بدايتها وحتى النهاية ، وهذا أحد التقاليد الص[illegible] بالنسبة لنقل التقنية

وطموح البلدان المتلقية هو في رفع الكفا[illegible] بحيث يمكن القيام بكثير من الوظائف التي تنجـ[illegible] الان أوروبا ، مثل التصميم والتمويل والادارة الخ .

وفي النهايه ـ فان المرحلة الأخيرة في عملية اكتسا[illegible] القدرة التقنية ، هي الاستيعاب الداخلي القد[illegible] المجتمعي للتقنيه الملائمة ، مع الأخذ بـاعتـ[illegible] للمعطيات العربية ، من موارد مادية ومالية و[illegible] عمل ومؤسسات

انتقال التقنية

لا يعني « انتقال التقنية » بأي حال تضحيـ[illegible] الأوروبيين على المدى الطويل بأية مكتسـ[illegible] اقتصادية ـ فيما عدا المدى القصير ـ فالعمليه ستكو[illegible] بطيئة بطبيعتها ، بل ربما بحاجة الى جيل باكمله فضلا . عن ان التعاون بين اوروبا والوطن العر[illegible] سيتمخض عن تبادل في السلع والخدمات واحـ[illegible] فعندما يصبح العرب قادرين على القيام باسهام مهـ[illegible] في حـ[illegible]ـل المعرفة التقنيه ، فان الفائدة لن تقتصـ[illegible] عليهم وهذا ليس حلما ، فلدينا تراث عربي غني [illegible] حقو[illegible] العلوم والفنون والفكر والثقافة

ويجب ان نوضح ونعترف ـ بأن الأوروبيين [illegible] يكونوا مساعدين في حقل نقل التقنية بقدر الأمـ[illegible] والتوقعات لكننا في الوطن العربي نعترف ايضـ[illegible] بان العون يكون فاعلا ، بقدر ما نستطيع نحـ[illegible] قاعدة وطنية وقومية للتقنية والعلوم الحديثة ، بما [illegible] ذلك من تطوير لمعارفنا ومهاراتنا وانشطتنا ومؤسـ[illegible] المختلفة ، واستخدامنا السليم لهذه المو[illegible] فاكتساب القدرة التقنية يجب ان يبدأ في الوطن ، [illegible] يجب الا يتوقف فيه .

وبسبب الموقع المركزي والحرج لامتلاك الق[illegible] التقنية في مجال الانماء فان من الضروري دفع اما[illegible]

ع العربية ، من اجل تشجيع تحقيق انماء معتمد النفس سليم وقوي ومتصل ، الى ان يكون عماد الاساسي على الامكانيات والمعطيات الذاتية والقومية . لكن على العرب ادراك ان اللجوء الى الاعتماد على النفس وتخفيف الاعتماد على المصادر الخارجية لا يعني الانغلاق ورفض الاعتماد المتبادل الصادق ، ولكن في اسوأ الاحوال ستكون تلك السياسة لخداع النفس تؤدي عمليا الى اطالة امد الاعتماد على المجتمع الصناعي المتقدم ، بما يحمله من استغلال وانكشاف وعدم طمأنينة .

ويمكن وضع السؤال على النحو التالي : كيف يتفق هذا مع الاندفاع والسير نحو حوار ذي معنى ؟ ان الاجابة في الذهن العربي سهلة ، فالمكافأة للاعتماد على النفس بالنسبة للعرب ستكون بالنتيجة تعاونا حقيقيا متوازنا ، وفتح طرق عديدة للتبادل الاقتصادي والتقني والثقافي .

الحوار والسياسة

المجموعة الثالثة والاخيرة من القضايا المقترحة لجدول اعمال الحوار العربي الاوروبي سياسية ، فالمنطقة العربية ابقيت مشغولة بعدد من الصراعات التي تستدعي حلا سريعا ، كالقضية الفلسطينية التي هي لب الصراع العربي الاسرائيلي ، والحرب الاهلية اللبنانية ، ونتائج غزو « اسرائيل » للبنان عام ١٩٨٢ ، بما في ذلك احتلال جزء من الجنوب اللبناني ، والحرب العراقية الايرانية ومشكلة الصحراء بين الجزائر والمغرب ، وغيرها من بؤر الخصومة في الوطن العربي . ورغم ان الصراع ... مثال له ابعاده الدولية ويتضمن تدخلا ... ولو بشكل هامشي او سري ، الا اننا نرى ... القضية السياسية التي تتطلب تعاونا عربيا اوروبيا ... وملحا هي القضية الفلسطينية . ذلك لان ... الفلسطينية او الصراع العربي الاسرائيلي ، كما ... الاوروبيون تسميته موضوع معقد فهي تشمل ... **أخلاقية وتثير مشاعر وارتباطات ثقافية لا يمكن ضبطها بسهولة ضمن إطار التحليل السياسي . وكنتيجة ، فان تحليل القضية لا يؤدي ... رة ولا يخضع لمعادلات الكلفة والمردود السياسية ورغم ذلك فان هذه القضية يجب أن تكون لها أولوية كبيرة في أي حوار عربي أوروبي**

ليست هناك سوى قيمة ضئيلة في اللجوء الى الجدل ، او تبني موقف المناظرة في هذا المجال فأساس الحقائق التي اوردت وضعا مأساويا بالنسبة للقضية الفلسطينية يهدد بمزيد من العنف ، يكفي وحده لانذار الجميع بخطورة القضية وطبيعتها المتفجرة والمكلفة .

فان لم يحل الصراع حلا عادلا خلال فترة قصيرة نسبيا ، فسيكون جميع المسؤولين عن الفشل مدينين ، باعداد حفرة هلاك لملايين البشر .

الحقائق الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع سوف سأوجزها فيما يلي :

- الفلسطينيون شعب جُرِّد واقتلع من أرضه بقسوة ، وترك للتشرد والفاقة ، والحرمان من فرصه السيادة على تراب وطنه .
- الفلسطينيون يصرون على العودة الى فلسطين (على الاقل الى الضفة العربية وغزة) حيث يمكنهم ممارسة حق تقرير المصير بحرية ، ويتخلصون من وضع التشرد واللجوء ، والحصول على الأمن الاقتصادي والكرامة الوطنية والهوية المجتمعية .
- اسرائيل تتحدى التاريخ القديم والحديث بادعائها ان الفلسطينيين لم يقتلعوا من أراضيهم ، وترفض الاعتراف بالمسؤولية الاخلاقية والقانونية والسياسية والاقتصادية عن الخراب الذي حل بالفلسطينيين .
- الدول الأوروبية الغربية (وخاصة بريطانيا والمانيا) والولايات المتحدة الأمريكية تتحمل مسؤولية ايجاد المشكلة الفلسطينية في القرن العشرين وتعقيداتها المتزايدة ، مما سمح « لاسرائيل » أن تتجاهل الفلسطينيين وحقوقهم .
- بالنسبة للعرب فقد فشلوا فشلا ذريعا في استخدام مواردهم الاقتصادية وعزيمتهم السياسية في فرض العدل والصحيح ، وحتى عندما نادوا في التوكيد على الطرق السياسية والدبلوماسية للحل ، فقد فشل العرب في تقديم أنفسهم للمجتمع الدولي بصورة موحدة ومقنعة .
- موقف « اسرائيل » سلبي تجاه المطالب الشرعية للفلسطينيين ، اضافة الى موقف الولايات المتحدة

والدرجة القصوى التي تستفيد بها إسرائيل » في سياستها التوسعية ، ومكافأتها على ذلك ، رغم امتلاكها التأثير في مجرى الأحداث حيث تريد . وهكذا فإن تسوية عادلة وسلمية تبدو إذا مستحيلا تقريبا

ثلاثة توقعات

إذن ، فماذا ينتظر العرب من الأوروبيين ؟ هناك ثلاثة توقعات تتحكم في تفكير العرب في هذا الخصوص وتحليلهم . الأول : أن يكون للأوروبيين فهم أشمل وأعمق للقضية الفلسطينية ، بحيث لا يسمحون لأنفسهم بالابتعاد بعيدا عن جذور القضية نحو قضايا جانبية . وقد قامت أوروبا بجهد في هذا الاتجاه ، انعكس جزئيا في عدد من التصريحات والإعلانات لدول منفردة وللأسرة الأوروبية كمجموعة . لكن يبقى الكثير مما يجب عمله . ويمكن للحوار أن يكون صيغة **مفيدة** لتعميق فهم القضية

والثاني : هو أن أوروبا الغربية يجب أن تكافح من أجل سياسة شرق أوسطية أكثر استقلالا عن أمريكا مما هي عليه . فنحن نشعر أن أوروبا تستجيب للولايات المتحدة فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي ، إلى درجة مبالغ فيها ، رغم الاستقلال النسبي الذي لوحظ أخيرا

نحن نعلم أن علاقات أوروبا بالولايات المتحدة **علاقات** استراتيجية ، خاصة عندما يتم تفسيرها في إطار المواجهة بين الشرق والغرب والاستراتيجية الدولية ومصالح الغرب . لذا فإن من العبث الطلب من أوروبا ترك المظلة الأمريكية ، على أن ما نطلبه هو مزيد من الاستقلالية في الفهم ، وتقييم مضامين المصالح والعلاقات الأوروبية مع الجيران العرب . فالحوار ليس جغرافيا وحسب ، بل هو سياسي واقتصادي كذلك ، ويقوم على علاقات طويلة الأمد

أما الثالث في أن يكون فهم أساسي ومتوازن للقضية الفلسطينية ، وفي حال تبني موقف أكثر استقلالا (أي أداة أوروبية) فإن توجه البلدان الأوروبية يجب أن تجد شكلا آخر . وحتى الآن فإننا لم نحصل من أوروبا إلا على الرموز النسبية . في الوقت الذي تتعقد فيه القضية وتبدل جلدها . فإسرائيل مستمرة كما سبق في خلق حقائق جديدة في النواحي التاريخية والجغرافية **والديمغرافية** . وإن نحن طلبنا عملا في هذا المجال ، فإننا لا نطلب المستحيل ، بل نحن نعرف حدود القدرة الأوروبية على التحرك والتأثير

معوقات الحوار

أعتقد أن العوائق الأساسية تنشأ عن عدم … الوضعين العربي والأوروبي فيما يتعلق بفكرة الحوار ، وأول مظهر لعدم التماثل هذا بين قسم الطرفين من الحوار ، فهمه وعمقه **وشموليته** . فالمجموعة الأوروبية أظهرت اهتماما عميقا بالحوار في السبعينات ، إلا أن هذا الاهتمام انتهى بتحول الموقف النفطي العربي ، وظهور أزمة الصناعة النفطية . ويمكن أن نطلق على المعوق الرئيسي : عدم تماثل آلية الحوار ، وهذا يتضمن أمور التنظيم الفعلي لحوار الطرفين والقوة التفاوضية الخاصة بهما . وأنا أعتبر تفتت الوطن العربي عائقا أمام مطالبة العرب بالحوار ، كما أن الطرف العربي تابع القضية بحماس ، وبالمقابل فقد بدأ الطرف الأوروبي من نقطة مدروسة جيدا ، وبأهداف استراتيجية وتحركات واضحة . هذه على الأقل … أجزاء الصورة التي جمعتها من مراجعة أحداث الحوار

أما الوجه الآخر لعدم التماثل الذي نحن بصدده ، فهو اختلاف القوة التفاوضية بين الطرفين ، وهذا يعود جزئيا إلى تدهور الأوضاع النفطية العربية . إلا أنه أيضا انعكاس لوضع الأوروبي الأكثر قوة ، بسبب مستوى تطوره الاقتصادي ، وكذلك هناك قدرة الأوروبيين على … الأسلحة المتطورة . وبفضل هذه المزايا معا … ضعف الجانب الأوروبي في حقل النفط لم يكن … أمر عابر ، لذا لم يتحد الأوروبيون بصدد … إجراءات مؤقتة

ادن يجور الاعتقاد أن الأوروبيين شجعوا الحوار العربي الأوربي في السبعينيات كرصية للعرب ، وقد دخل الأوروبيون في حوار في السبعينيات لـدغدغـه مشاعر العرب وتحديرها ، والحصول على أكبر مبلغ ممكن من أموالهم ، مقابل مجموعة كبيرة من السلع والخدمات المصدرة لذا فاني اتساءل عما اذا كان هنالك مجال بالفعل لحوار جدى في النصف الثانى من التماسيات ، ما لم تكن هناك نظرة أوروبية طويلة المدى تتجاور العقد القادم . وعلى أى حال ، فالرغم من تدهور عوائد النفط ، الا أن فوائد التجارة تبقى واعدة رغم أى تقلص ظاهر

وسط تفاعل النقطتين السابقتين ، ينشأ جانب ثالث لعدم التماثل ، يمكن أن نسميه مفهوم اختلاف دوافع الحوار لدى الطرفين وفي هذا الصدد فلدى العرب ميل مراجى وتفاؤل للدخول في الحوار من زاويه عريضة جدا ، أما الاوروبيون فانهم يفضلون مدخلا عمليا مصلحيا متدرجا ، ذا أغراض محدده وجزئية الى نتائج متواضعة وربما يبالغ المدافعون عن كل من الاسلوبين بصدد فعاليته ، لكننا لن ندخل في مفاصلة بينهما

الحوار والساخرون

الا انى اعتقد أن من الضرورى القول ، بأن المدخل الواقعى - أى الأوروبي - ينظر اليه كثير من العرب بتشكيك وعدم ثقه ، لأنه يخفى النوايا الاوروبيه الحقيقية في التخفيف من الاضطرار لتقديم تنازلات حقيقية وخلف هذا الفرق في الاسلوب يكمن فرق التقييم ، « فالواقعيون » يفضلون الأمد القصير ، بينما يعتقد « الشموليون » أن ما يبدو غير واقعى على المدى القصير ربما تثبت واقعيته على المدى الطويل

وفضلا عن ذلك فان الساخرين العرب يعتقدون أن المدخل الواقعى المتدرج الاوروبي الطابع ، انما يخفى ترددا في تقديم تنازلات للبلدان كانت حتى وقت قريب مستعمرات لديها وأخيرا فانا كعربي نفضل أن نبدأ باعتبارات السياسيه ، حتى وعندما نبحث المسائل الاقتصاديه ، ومرة أخرى ربما كان الخلاف الحقيقي هو في اسلوب الموافقة على تحديد الاولويات وتدرج أهميتها يعنى أن الاستنتاج النهائى هو التشكيك باحتمالات قيام حوار شامل وصادق وفعال في المستقبل المنظور □

ثقافة كاتب الديوان

كانت وظيفة الكتابة في ديوان الانشاء قديما عند العرب من أهم الوظائف ، فكان هذا الديوان يتولى كل ما يصدر عن الحاكم ، من عهود وعقود ومكاتبات ، الى الولاة والوزراء وأصحاب المناصب المختلفة في الدولة ، والى أصحاب العلاقات السياسية والأخوية من الدول الأخرى ملوكا وسلاطين .

وكان لابد لمن يتولى العمل في ديوان الانشاء ، أن يكون عالما باللغة والقرآن والحديث والأدب ، محيطا بالمعلومات العامة ، عارفا بالروايات المختلفة والألقاب ، وما يستحق أن يُهدى ، خبيرا بقيمة كل نوع من حيوانات الزينة والركوب ، والطيور الجميلة ، والأحجار الكريمة ، وأنساب العرب وعاداتهم ، وأوابدهم وأيامهم ، وتاريخ الدول المجاورة ، ومواقع كل دولة ، والطرق الموصلة اليها ، ومن أين تجلب الأشياء ذات القيمة العالية ، قادرا على الكتابة في كل لون من ألوان المخاطبات ، مع معرفة ما يناسب ابتداء كل مخاطبة ومكاتبة ، مما يجعل الانسان منا يعجب كيف أرهقوا أنفسهم ، فأحاطوا بكل هذا ورتبوه .



بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر

في غمرة الشبهات والخلافات التي أحاطت ببعض شئون ديننا الدقيقة ، يبرز تساؤل ملح من عديد من المسلمين حول ما تحدث به الرسول (ص) أو ما أبدى فيه رأيه من أمور دنيانا المعاشية البعيدة عن مقومات ديننا الملتزمة بالكتاب والسنة وروافدهما .

فهل كل ذلك في نطاق الايحاء السماوي الملتزم ، أو أن هناك أقوالا صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم على أنه بشر مثلنا ، ولا علاقة لها بوحي أو الزام ؟

حينما نتصفح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في شئون الطب مثلا ، وهل كانت عن وحي ، أو كانت عن تجارب البيئة ومعرفتها مما يعتبر من شئون الدنيا ، التي لم يرسل الرسول (ص) لتعليمها للناس مثلها مثل الشئون الزراعية والحربية والصناعية والمهنية والعلمية الرياضية وغيرها ؟ مما يدخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ؟ .

وما ينطق عن الهوى

ان أول ما يتبادر الى دهن المستمع ولسانه أن يقول متسرعا كان دلك كله عن وحي ، لأن الله يقول « وما ينطق عن الهوى » ومعنى هذا ان كل كلام ينطق به الرسول انما هو عن وحي يوحى اليه كما يقول الله بعد دلك « ان هو الا وحي يوحى »

وهدا فهم خطأ للآية مع أنه شائع لدى العلماء والمتعلمين ، ولذلك كان لابد لنا من وقفة مع هذه الآية ودلالتها الصحيحة مع ما حولها من الآيات لتظهر الحقيقة ، وتتحدد معالمها .

لقد جاءت هذه الآية « وما ينطق عن الهوى » ضمن آيات من أول سورة النجم تقول : « **والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الاعلى** » . . الآيات ، « وشديد القوى ، وذو مرة فاستوى »

الخ ، المراد به جبريل الذي ينزل بالوحي

وهذه الآية : « وما ينطق عن الهوى » لو جردناها عما قبلها وما بعدها ، ولم نراع ما سبقت لأجله ، تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا ينطق في أي كلام يقوله عن هوى وغرض شخصي وانما كل كلامه للمصلحة سواء كان كلامه بالقرآن ، أو بالأحاديث القدسية أو في أي أمر آخر من أمور الحياة ، فهو صلى الله عليه وسلم مبرأ من الهوى الذي يميل به عن الحق ، حتى في مزاحه ، فهو « يمزح ولا يقول الا حقا » وحتى في كلامه العادى مع زوجاته ، ومع الناس عموما لا يصدر كلامه عن هوى وغرض شخصي ، مثل الكثيرين من الناس وهذه حقيقة نؤمن بها جميعا .

لا بد من مراعاة السياق

وهذا وان كان حقا لا شك فيه الا أنه قطع للآية عما قبلها وما بعدها ، وبعد بها عن الهدف الذي سيقت له ، وسيقت من أجله آيات كثيرة في القرآن ، لترد على المشركين زعمهم بأن القرآن ليس من عند الله وانما هو من كلام محمد نسبه الى الله زورا كما عبر عن ذلك القرآن في آيات متعددة ذكرت هذا الاتهام « وقال الذين كفروا ان هذا (أي القرآن) الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض » ، وقالوا :

« ان هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا ؟ » « أألقي الذكر عليه من بيننا ؟ بل هو كذاب أشر » وقد رد الله عليهم اتهامهم هذا حيث ذكره ودافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكد لهم ولغيرهم أن القرآن من عند الله « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » وقال : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » فكيف يأتي تعليمه ؟ .

وقد أقسم الله في رده عليهم « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين »

ويقسم كذلك على هذه الحقيقة في أول سورة النجم : (والنجم اذا هوى) الآيات . . . ، ويشير في قسم إلى أن الذي تتهمونه بالكذب بعد أن بلغ هذه السن ، هو صاحبكم الذي تعرفونه تماما ، وعاش بينكم قبل البعثة أربعين عاما ، ولم تجربوا عليه أنه كذب مرة من المرات ، حتى أطلقتم عليه لقب « الصادق الأمين » ، فكيف يكذب عليكم الآن بعد أن بلغ هذه السن الكبيرة ؟ ويختلق القرآن من عنده ، ويكذب ويدعى أنه من عند الله ؟ هذا غير معقول منكم فما ينطق محمد بآية من القرآن ، الا وقد أوحيناها اليه ، وأنزلها عليه جبريل ، ولم يقلها لاشباع هوى أو غرض في نفسه ، ثم ينسبها الى الله ، كما تقولون وتدعون عنادا ومكابرة لدعوته « ان هو (أي القرآن) الا وحي يوحى » بوساطة جبريل فالمنطق المقسم عليه هنا هو النطق بالقرآن خاصة ، اذ هو محل النزاع وموضع المكابرة من الاتهامات من المشركين . فما ينطق محمد صاحبكم بالقرآن عن هوى وغرض شخصي في نفسه . وما القرآن الا وحي يوحى اليه بواسطة جبريل ، الذي علمه إياه « علمه » أي علم محمداً القرآن جبريل ، شديد القوى . ذو مرة (وقوة) فاستوى . وتأتي الآيات بعد ذلك لتصف جبريل ونزوله على الرسول بالقرآن

فالآية « وما ينطق عن الهوى » وان كانت صالحة بألفاظها لأن تفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يتكلم بكلام نابع عن هوى وغرض شخصي ، بل كل نطقه حق أو ما يراه أنه الحق والمصلحة ، الا أن هذا المعنى وان كان حقيقة ويشمل في عمومه القرآن ، الا أنه ليس المعنى هنا ، وليس في قوة تخصيص النطق بالقرآن ، الذي سيقت الآيات ، والقَسم هنا لتأكيد ان محمد لا يفتريه ، ولا يكذب به على الله ، كما سبقت الآيات ، والقسم في سورة الواقعة وصرحت في جواب القسم « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين »

فالقسم في سورة النجم هو على خصوص نطق الرسول بالقرآن ، كالقسم في سورة الواقعة ، على أنه

قرآن كريم ، وتنزيل من رب العالمين . وقد ذكر أبو حيان في تفسيره - كما فعل الالوسي - أن سبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن . فالشواهد كلها تؤكد على ان المراد بنطق الرسول في الآية هو خصوص النطق بالقرآن فقط ، لا كل النطق الذي يتلفظ به في شتى المجالات الأخرى .

على أن الذين يريدون ان يجعلوا كل نطقه بوحي ، يصدمهم ما صرح الرسول به في احيان كثيرة وورد في الأحاديث ، بأن كلامه في هذا الأمر ليس عن وحي ، ولكن عن تدبير منه حسبما يراه من المصلحة ، وكان أحيانا يرجع عما قاله حين تظهر المصلحة في رأى غيره .

وأقرب مثل في هذا وأشهره ، يردده كثيرا هو حين وقف الرسول في موقع بجيشه في موقعة بدر ، فقال له الحباب بن المنذر : أهذا منزل أنزلكه الله (أي بوحي) أم هو الرأى والحرب والمكيدة (أي برأيك) ؟ فقال له الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة (أي برأيي أنا وليس بوحي) . وهنا تقدم الحباب برأى أخذ به الرسول ، وغير موقع جيشه وكان النصر . ومثل ذلك حدث أيضا في غزوة الخندق - الأحزاب . حين اتفق الرسول مع قبيلة غطفان على أن يرجعوا عن محاصرة المدينة مع قريش ، ولهم جزء من تمر المدينة ، ولما رجع للأنصار واخبرهم سألوه : أهو عن وحي او رأى لك ؟ قال الرسول : بل تدبير أصنعه لكم ، وليس عن وحي ، وهنا تقدم الانصار برأيهم ، ولم يوافقوا على ما اتفق عليه الرسول مع غطفان وأخذ الرسول برأيهم .

ولو كان نطق الرسول وفعله بوحي ، ما حصل ذلك بل ان الرسول نفسه صرح بأنه ليس عن وحي ، بل عن رأى له . وهذا معناه الصريح ودلالته الواضحة ، أنه ليس كل ما ينطق به الرسول يكون بناء عن وحي وتعليم من الله نزل عليه بل أحيانا ما يكون عن وحي وتعليم من الله ، وأحيانا لا يكون ذلك . بل يصدر عنه صلى الله عليه وسلم بناء عن رأيه الخاص في تحقيق المصلحة ، وقد يحدث ما رآه الرسول مصلحة ، وقد يرى مصلحة في شيء ، ويظهر خلافها ، كما قرر الكثيرون من كبار أسلافنا العلماء استدلالا بالأحداث والوقائع بل استدلالا بكلام للرسول نفسه

اجتهاد الرسول ومتى يكون ؟

وهذا الاجتهاد إنما يكون في غير ما أمره الله بتبليغه ، فما أمره الله بتبليغه من شئون الدين يبلغه الرسول بالنص كما أمر الله **« يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس »** أما ما عدا ذلك مما يتصل بأمور الدنيا والتعامل فيها وتعريف شئون الحياة من زراعة وصناعة وطب وحرب . وما يشبه ذلك مما لم يرد عنه شيء من القرآن فليس من وظيفة الرسول أن يعلمها للناس ، وأن يحدد لهم كيفياتها فاذا تكلم فيها كان كلامه عن رأى واجتهاد له حسبما يراه من مصلحة ، وقد يظهر خلاف ما يراه .

وأمامنا مثل مما أشار به الرسول في شئون الزراعة من عدم تأبير النخل وتركه دون وضع طلائع الذكور فيه ، والله هو الرزاق فكانت النتيجة لما عمل الصحابة بمشورة الرسول ، أن النخل لم يثمر كعادته ، بل أخرج شيئا لا يؤكل . ولما علم الرسول بذلك قال لهم . **« انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن »** ، كما روى الامام مسلم وكما قال في رواية أخرى . **« ما أنا بزارع ولا صاحب نخل »** يعني لم تسبق له تجربة وفي رواية أخرى **« انما أنا بشر ، فما حدثتكم عن الله فهو حق ، وما قلت فيه من قبل نفسي فانما أنا بشر أخطيء وأصيب »**

وفي هذا الحديث حدد الرسول مهمته ، وما يجب على أتباعه أن يأخذوه قضية مسلمة لا نقاش فيها من أقواله ، كما جاء في رواية أخرى « ما حدثتكم فيه شيء من أمر دينكم فخذوه ، وما كان من أمر دنياكم فاليكم ، وأنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وما يجوز لهم أن يناقشوا ويبدوا رأيهم فيه مما يقوله ، ولهذا كانوا يسألونه : أهذا عن وحي أو تدبير ؟ . وهذا يدل أيضا على أنه ليس كل ما كان ينطق به الرسول عن وحي بل فيه ما هو عن وحي ، وما هو عن رأى واجتهاد . وان الانسان ليعجب ممن يقول من العلماء قديما أو حديثا . ان كل نطقه كان بوحي ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الأحاديث الصحيحة ما يخالف كلامهم ، والوقائع المروية ترد كلامهم أيضا . وتبين بوضوح لا لبس فيه : أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم تفكير واجتهاد خاص ،

وآراء خاصة ، ناتجة عن تفكيره هو ، وما يراه مصلحة ، لا عن وحى . . سواء في أمور المعايش أو في بعض الأحكام كما حصل في سوقه الهدى معه ، حين حج حجة الوداع وقال حين وجه أصحابه ممن لم يسوقوا الهدى أن يجعلوا حجتهم عمرة ، ويتحللوا ، حتى يأتى وقت الحج فيحرموا به « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، ما سقت الهدى ، ولجعلتها عمرة » أى مثلكم وهذا يدل على أن سوقه الهدى كان باجتهاد منه ، اذ لو كان عن وحى ما جاز أن يقول . « لو استقبلت من أمرى الحديث » وكذلك لما أمر بقتل « النضر بن الحارث » ، لكثرة ايذائه له وللدعوة وبعد فيه أمر القتل ، وجاءت أخته تنشد للرسول قصيدة قالت فيها .

ما كان ضرك لو مننت وربما
مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنق

رق قلب الرسول لها . . وقال لو سمعت هذا قبل قتله ما قتلته .

وهذا يدل على أن أمره صلى الله عليه وسلم بقتل النضر ، لم يكن عن وحى وكان باجتهاد في الحكم ، اذ لو كان عن وحى ما قال الرسول هذا

واذا كان هذا قد حدث من الرسول في بعض الأحكام ، ودل على أنه كان يجتهد فيها بناء على ما أمامه من نصوص وقواعد ومصلحة . فان اجتهاده وكلامه في أمور المعايش وارد ورودا أوليا . . بل إنه قد يكون هناك من هو أعلم وأكثر تجربة في أمور المعايش من الرسول . . وقد كان الفلاحون في المدينة أكثر تجربة في أمور النخل من الرسول ، وكان الحباب أكثر خبرة بأمور الحرب منه صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق أن ذكرنا ما قاله في حادث تأبير النخل : « ما أنا بزارع ولا صاحب نخل » وهذا يعنى أن غيره من الزراع وأصحاب النخل أكثر تجربة منه ومعرفة بأمور الزراعة ، اذ لم يرسل لتعليم الناس الزراعة وأمثالها .

« وهذا لا يعتبر - كما يقول القاضى عياض - منقصة فيه صلى الله عليه وسلم ، انما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وشغل نفسه بها ، وهو صلى الله عليه وسلم مشغول القلب بمعرفة الربوبية »

ونحن نلمس في حياتنا أن الفلاح ، أو البناء ، أو الخياط ، أو أصحاب الحرف والاختصاصات عموما ، هم أعلم بأمورهم وحرفهم من أعلم العلماء بشئون الدين أو الطب أو الذرة ولا يعيب أحدا أبدا أنه يجهل اختصاصات الآخرين فلكل علم أو حرفة أناس مختصون ، وأهل الذكر والعلم فيه ملجأ اليهم في اختصاصهم والله يقول قولا يمكن أن يكون قاعدة عامة في احترام التخصصات « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » والرسول في شئون الدنيا أو في غير اختصاصه في أمور الدين والتبليغ عن ربه بشر مثل كل البشر ، يعلمون ما يعلمون ، يعرفون شيئا ، وتغيب عنهم أشياء ، والنبى يباشر من أمور الدنيا ما يباشره البشر ، الا ان يكون نقيصة أو غير لائق بمقامه قد يرى المصلحة في شيء ويظهر خلاف ما رآه . كما يقرر القاضى عياض والتوردى وغيرهما من أكابر العلماء . . وفي القرآن والسنة أمثلة كثيرة على هذا . وقد تعرض القرآن لحادثة كاد الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم فيها بناء على أدلة وشهود ، تآمر بعض المسلمين عليها بعصبيتهم ليدينوا يهوديا ظلما ، ويبرئوا رجلا منهم مسلما ، فأنزل الله آية ليكشف للرسول الحقيقة ، بعد أن كاد يحكم على اليهودى وهو برىء ، بناء على ما أمامه من أدلة ظاهرية يأخذ بها كل قاض . . فقال تعالى « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله » الآيات من سورة النساء من أول آية ١٠٥ الى قوله تعالى . « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك » الآية ١١٣ ، وحال بينه وبين الوقوع في الخطأ وفي هذا أيضا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما أنا بشر ، وأنكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم ان يكون ألحن (أى أوضح وأفصح) بحجته من البعض الآخر ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ منه شيئا ، فانما أقطع له قطعة من نار » رواه الشيخان وأبو داود . والرسول لا يعلم الغيب ولكنه كما يقول « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »

وهذا صريح في أن الرسول قد يحكم بغير ما هو حق لأنه بشر ، ويأخذ بالأدلة مثل أى قاض يحكم بما أمامه من أدلة . . والعلم عند الله . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ولا يمكن أن نقول بعد هذا إن كل نطق ينطق به الرسول يكون عن وحى . . والا لاطمأن الرسول تماما الى أن أحكامه تطابق دائما

الحق . فلا حاجة لأن يقول « كانما أقطع له قطعة من نار » .

حقائق علمية

ومن هذا الذي قدمناه ، وباحتصار قدر الامكان ، تتضح أمامنا حقائق لا بد أن نعرفها :

١ ـ ان مهمة الرسول وهدف رسالته أن يبين للناس أمور دينهم من العقيدة والعادات والاخلاق . والحلال والحرام ويوضح لهم ما حاء في القرآن عن ذلك وعن بعض المعاملات الدنيوية كالربا والرهن والميراث ومبدأ التراضي في التجارة ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل وأحكام الزواج والطلاق والرضاع والميراث . وبعض العقوبات المهمة . وهذا هو المعْنِيُّ بقول الرسول « ما حدثتكم فيه بشيء من أمر دينكم فخذوه . وبقول الله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وبالأوامر الواردة في القرآن بطاعة الرسول في غير هذه الايات.

٢ ـ أنه ليست من مهمة الرسول والرسالة أن يعلم الناس شئون الزراعة والصناعة وفنون القتال والطب والرياضة وعلوم الحياة .

٣ ـ أن أحاديث الرسول الصحيحة الواردة في كتب الحديث بناء على ما تقدم ـ أنواع من حيث الالتزام والتقيد بها ، وعدم الالتزام والتقيد بها :

أ ـ احاديث التشريع العام المتصلة بمهمة الرسول في التبليغ وهذه علينا جميعا أن نلتزم بها ، وتسمى أحاديث التشريع العام .

ب ـ أحاديث تشريع خاص ، كالتى صدرت عنه صلى الله عليه وسلم بصفته قائدا أو إماما وحاكما للمسلمين كبعث الجيوش وإعلان الحرب ، وعقد الهدنة ، وصرف الأموال وجبايتها ، وتولية القضاء . وما يشبه ذلك وهذه ليست تعبدية ولا تشريعا عاما يلتزم به جميع المسلمين . ولكنها تصرفات إجرائية لها ظروفها . ترجع الى رأى القائد والحاكم ، يحكم بها أو لا يحكم حسب الظروف التى أمامه . .

جـ ـ ما صدر عنه من أحاديث بوصف أنه قاض ، وهذه كسابقتها ليست تشريعا عاما على كل مسلم تنفيذها أو على كل قاض تنفيذها بنصها ، لأن لكل قضية ظروفها الخاصة بها . وعلى القاضى دراسة أوراق كل قضية ، وإصدار حكم خاص بها .

د ـ أحاديث وردت خاصة في الأمور البشرية كالأكل والشرب والنوم والمشى والملبس والتزاور الخ .

هـ ـ أحاديث وردت في أمور تجريبية وعادية كالتى وردت في شئون الزراعة والطب وما يشبه ذلك .

و ـ أحاديث وردت على سبيل التدبير الانساني على ضوء الظروف التى أمامه كتوزيع الجيوش وصفها الخ . .

وهذه الأخيرة أيضا (د) ، (هـ) ، (و) ليست أحاديث تشريع عام يلتزم بها المسلمون فعلا أو تركا ، وانما هي من الأمور البشرية . التي لا يجب أن نلتزم بمحاكاتها ولا العمل بها . وهي داخلة تحت قوله صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بشئون دنياكم » □

عمر الشهيد

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر بن الخطاب قميصا فقال له : أجديد قميصك أم لبيس ؟ قال عمر : بل لبيس يارسول الله . فقال له النبى : البس جديدا وعش حميدا و مت شهيدا ، وليعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة .

وكان عمر يسأل الله شهادة في سبيله ، ووفاة في بلد نبيه . وقد استجاب الله له فمات شهيدا في مدينة الرسول ، قتله رجل مجوسى ، تم قتله في أحب الأوقات الى الله عز وجل ، وهو الوقت الذى تؤدى فيه صلاة الفجر ، ويروى أن عمر سقط وهو يقول : وكان أمر الله قدرا مقدورا .

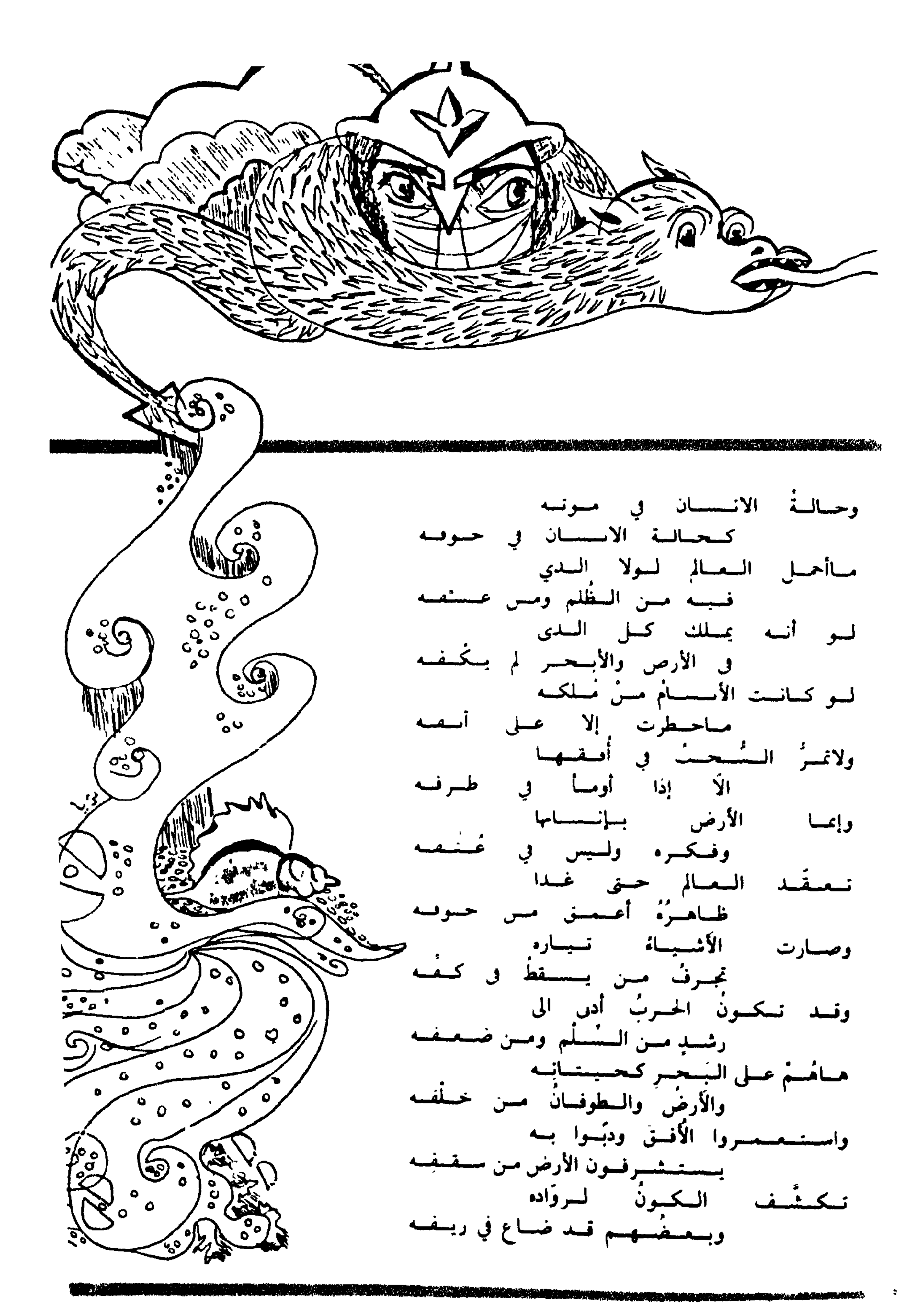


صدر العدد الثانى من
مجلة
العربى الصغير
للفتيان والفتيات العرب
٦٤
صفحة
بالألوان
مع مجلة
داخلية خاصة
فى ٨ صفحات للصغار
فى الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتى
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة
١٠٠
جائزة
قيمة
تنتظر طفلك
شهريًا فى مسابقة
العربى الصغير



شعر : محمد الفايز

قد خرج العالم من كهمه
وحاء مثل الوحش ى زحفه
ولم يكُن وحشاً ولكنه
كلُّ وحوش الأرض مں صنفه
أغراهم البحر ومرحانه
ويقظة الأحياء في خرفه
والشَّجرْ الوارفُ في ظّله
ورمله المسرفُ في نزْفه
ويومه النُشوان من حسنه
وليلهُ المشرفُ في لطفه
وتلكم الأطواد ذاتُ الذرا
وصقرْها الشاخصُ في طرفه
يستقبلُ الأرض التي أقبلت
تنسفُ ماتقوى على نسفهِ
كأنما الأشلاءُ مں فوقها
مايترك العاصفُ في عصفِهِ
والأرض كالأنثى ادا جاءها
مخاضها لابُدًّ من قذْفه
كأنها تجاوزت أمسْها
تجاوز الرّاسف في رسفِهِ
يملكُها القارىء أوقاتها
كالشجر الدانى الى قطْفهِ
يملكُها الموغلُ في عُمقها
والثائر الساخُر من حتْفهِ



وحالةُ الانسان في موته
كحالة الانسان في خوفه
ماأجمل العالم لولا الذي
فيه من الظُلم ومن عسفه
لو أنه يملك كل الذي
في الأرض والأبحر لم يكْفه
لو كانت الأنسام من مُلكه
ماخطرت إلا على أنفه
ولاتمرُّ السُحبُ في أفقها
الاّ إذا أومأ في طرفه
وإنما الأرض بإنسانها
وفكره وليس في عُنفه
تعقَد العالم حتى غدا
ظاهرُهُ أعمق من جوفه
وصارت الأشياءُ تياره
تجرفُ من يسقطُ في كفه
وقد تكونُ الحربُ أدنى الى
رشدٍ من السِلْم ومن ضعفه
هاهُمْ على البحرِ كحيتانِه
والأرضُ والطوفانُ من خلفه
واستعمروا الأفقَ ودبّوا به
يستشرفون الأرض من سقفِه
تكشَّف الكونُ لروّاده
وبعضُهم قد ضاع في ريفه

العربي - العدد ٣٢٨ - مارس ١٩٨٩

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الصّين عام (٢٠٠٠)

هل تستطيع دول العالم الثالث أن تلحق بالدول الصناعية ؟ . . وهل تستطيع أن تختصر المسافة التي تتسع كل يوم بين المجموعتين ؟
يكاد الاحتمال أن يكون متعذرا .
ومع ذلك هناك استثناء واضح في دولة تحتل من حيث عدد السكان خمس العالم . . لكنها تنتمي من حيث الدخل ودرجة النمو الى العالم الثالث .

الصين تحاول الاقتراب من الدول الصناعية المتقدمة ، والبنك الدولي - في تقرير أخير له - يقول : نعم . ان هذا ممكن . . والرقم المستهدف كمتوسط لدخل الفرد الصيني عام ٢٠٠٠ هو (٨٠٠) ثمانمائة دولار أمريكي ، مقابل ثلاثمائة دولار في أوائل الثمانينيات

وحين تنتقل الصين من المتوسط الراهن في الدخل الى المتوسط المستهدف - والمتوقع - تكون قد انتقلت من حيث التقسيم الدولي ، من الدول منخفضة الدخل إلى الدول متوسطة الدخل . . و . . . بين النقطتين رحلة طويلة لا يميزها الطموح فقط ، ولكن يميزها أيضا أنها تقدم نموذجا للاعتماد على الذات ، كما تقدم نموذجا لادارة الأعداد الكبيرة .

الرقم المستهدف للسكان عام (٢٠٠٠) هو (١٢٠٠) مليون نسمة ، وذلك يعني أن الصين سوف تظل بطبيعة الحال هي الأكثر ضخامة ، وبما يرتبه ذلك من نتائج أبرزها : عشرة ملايين من المواطنين يدخلون سوق العمل لأول مرة . كل عام

ولكن . .

وحتى يتم تشغيل هذا العدد ، كما يتم الوصول الى هدف الدخل المقترح ، الذي ينقل الصين خطوة تجاه مستويات الدول الصناعية ، لكي يحدث ذلك فلابد أن توجه الصين ثلاثين بالمائة من ناتجها القومي للاستثمار . . وهو مستوى غير بعيد المنال ، لأن الصين قد استطاعت أن تفعل ذلك في السنوات الماضية .

و . . . مع ذلك فان خبراء البنك الدولي يقولون : ان تخفيض الاستثمار أمر ممكن . والهبوط بالرقم من ٣٠٪ الى ٢٦٪ من الناتج القومي يفيد ولا يضر اذا أحسن استخدام الموارد ، وتم ترشيد الاقتصاد ، كما تم التوسع في الخدمات ، وتقليل نسبة العمالة في الزراعة . . كيف ؟

يعتمد هذا الرأى على مشروعات مكثفة للعمالة ، وليست مكثفة لرأس المال ، كما يعتمد على التسليم بأن النموذج الصيني حالة خاصة ، وان ادارة التنمية في بلد بحجم القارة لا يمكن الا أن تكون ذات نمط خاص . . و . . . حين ناقش خبراء البنك الدولي - وهو بنك عالمي ذو توجه رأسمالي - التجربة الصينية وتنبؤات المستقبل ، وحين وضعوا شهادتهم في صالح

هذه التنبؤات المتفائلة ، كان هناك تسليم من جانبهم بأن أسس ادارة الاقتصاد الصيني - وهي أسس اشتراكية - صحيحة وتساعد على بلوغ الهدف .

قالوا : انه لابد من استمرار التخطيط المركزي وينبغي أن تزداد كفاءة التخطيط ، وان كان للتوجيه أسلوبان . مباشر ، وغير مباشر ، وعلى الصين أن تأخذ بالأسلوبين

قالوا أيضا ان استمرار سياسة العدالة الاجتماعية أمر ضروري ، ويرتبط ذلك بالتنمية ، ولا تملك الصين الا أن تستمر في ذلك .

ثم . . أضافوا بعد التسليم بهاتين الركيزتين في ادارة الاقتصاد والمجتمع ، انه لابد من تحديث الاقتصاد وتطوير اداراته

هنا . تتعدد الاقتراحات

اقتراح أول بأن يجرى تطعيم الاقتصاد الصيني بنظام السوق حرية أكثر للمشروعات مركزية أقل . تنافس ونظام للحوافز تتمتع به المشروعات . ويتمتع به الأفراد ، وذلك حتى يمكن تحسين الانتاج كما ونوعا ، وتقديم منتجات جديدة دون توقف

اقتراح ثان بأن يتم تعديل نظم المؤسسات والسياسات الاجتماعية مع الحفاظ على هدف العدالة الاجتماعية

اقتراح ثالث بأن يزيد انفتاح الصين على العالم الخارجي ، فيجرى الأخذ بوسائل التقنية الحديثة ، كما يجرى تقديم تشجيع أكثر للاستثمار الأجنبي خلال ذلك .

. . مجتمع آخر

هذه الرحلة التي تستهدفها احدى دول العالم الثالث لا يمكن أن تكون مقصورة على الجانب الاقتصادي فقبول قدر أكبر من التعامل مع العالم الخارجي ، سواء في مجال التقنية أو الاستثمار الأجنبي ، يتطلب قرارا سياسيا وتبدلات في السياسة ، التي كانت تعتبر المال الأجنبي رجسا من عمل الشيطان . .

في نفس الوقت فان ذلك الانفتاح على العالم لابد أن يكون مصحوبا بعملية اختيار دقيقة ، تحدد نطاق التماس ونطاق العزلة ، ونطاق التفاعل والحماية أيضا ، ونطاق المنفعة المتبادلة والضرر من فتح الأبواب

وقد بدأت الصين السير في هذا الطريق ، ووصلت مرونتها في أكثر من مجال من بينها : فتح الباب للاستثمار الأجنبي ، وتجربة هونج كونج التي سوف تحتفظ بنظامها الرأسمالي فترة طويلة ، بعد العودة الى أحضان الصين

وعلى الجانب الاجتماعي فلن تكون الرحلة أقل مشقة،فمواصلة العدل يجب ألا تسقط ، وزيادة الدخل المستهدفة لابد أن يتم توزيعها بكفاءة ، ونظم الحوافز وفتح نافذة على الغرب والتجارب الرأسمالية يعني الا يكون مصحوبا بنظام طبقي جديد ، يغير من طبيعة التوجه الاشتراكي ويؤثر على مسيرة التنمية .

والأكثر ، أن هناك جوانب أخرى تتعلق بالانتقال من القرية الى المدينة ، ونشوء مدن جديدة وأساليب حياة أكثر حداثة بل هناك تطور في تركيب المجتمع ، حيث تزداد نسبة كبار السن « العواجيز » ، فالتحكم في الزيادة السكانية يعني تقليل نسبة الوافدين الجدد وصغار السن ، مما يعكسه ذلك على طبيعة القوى العاملة ، ونسبة الإعالة داخل الأسرة

لقد كانت الصين ، وطوال السنوات العشرين الماضية ، نموذجا متقدما ، بالقياس للكثير من الدول الفقيرة والنامية فسجلت نسبة نمو سنوي بلغت (٤ر٤) بالمائة كمتوسط عام وظلت أسعار السلع والخدمات تتناقص بين عامي ٦٥ و ١٩٧٣ ، حتى أن نسبة التضخم وفقا لتقديرات البنك الدولي أيضا كانت بالسالب ، وبلغت (- ر١) بالمائة سنويا فلما جاءت موجة التضخم العالمية عام ١٩٧٣ ، أصبحت نسبة التضخم وحتى عام ١٩٨٣ (٧ ر١) بالمائة فقط سنويا

و كمحصلة للسياسات الصحية والغذائية ونمط الحياة ، تتمتع الصين بمتوسط عمر يندر أن يحدث في الدول الفقيرة . فالعمر المتوقع للصيني عند ولادته هو (٦٧) سنة

ترى ماذا يحدث في هذه المجالات ، عندما يريد التحديث والانتاج على العالم والاتجاه للمدينة ؟

التجربة الفريدة سوف تجيب ، ولكن ليس الآن . ☐



العربي - العدد ٣٢٨ - مارس ١٩٨٦

أندريه مالرو والسينما

(١٩٠١ - ١٩٧٦)

بقلم : الدكتورة زينب عبد العزيز *

أندريه مالرو روائي له شهرته . ويعرف مالرو أيضا كمناصل من أجل الحرية في أماكن متعددة من العالم ، ولكن من يعرف أندريه مالرو المخرج السينمائي ؟

في عام ١٩٣٧ ذهب مالرو الى اسبانيا لمساعدة الجمهوريين في حربهم ضد الديكتاتورية .عن هذه التجربة كتب رواية « الأمل » التي قام باخراجها للسينما أيضا ، فماذا عن مالرو المخرج السينمائي ؟

ربما أثار ارتباط اسم أندريه مالرو بالسينما بعض التساؤلات ، اذ أن ماهو معروف عن نضاله ضد الفاشية ، وارتباطه بالسياسة والادب ، أكثر شيوعا من صلته بالمجال السينمائي . ومع أن تجربته في هذا الميدان ظلت وحيدة في حياته ، الا أنها تعد علامة من علامات تطور السينما الأوروبية في أواخر الثلاثينيات ، أي أن أهمية هذه التجربة قد تعدت نطاق المقارنة المحلية الفرنسية ، لتدخل في نطاق تطور السينما بصفة عامة ، أي نطاق السينما كلغة تعبير وفن راقٍ .

حتى أواخر الثلاثينيات ، لم تكن السينما قد جذبت انتباه أندريه مالرو ، الا كأحد المشاهدين العاديين المعجبين بها . وقد كان شديد الاعجاب بالأفلام الألمانية التأثيرية الطابع ، التي كانت تحتل الصدارة آنذاك ، وبالافلام السوفيتية التي كانت تلفت نظره من حيث القيمة الجمالية ، التي تحتوي عليها ، ومن حيث أهميتها كمجال يصلح للدعاية أو لنشر فكرة معينة .

* استاذة الحضارة بكلية الدراسات الانسانية - جامعة عين شمس - القاهرة

وبعد التجربة التي عاشها مالرو عند اشتراكه في الحرب الأهلية الاسبانية ، من أصدق التجارب وأعمقها في حياته اذ كانت أول مرة يساهم فيها بالنضال الفعلي ، ولمدة سبعة أشهر متتالية ، للتعبير عن تضامنه مع الوطنيين الاسبان ، في دفاعهم ضد الفاشية وكان وقع هذه الأحداث شديد الأثر عنده كفنان مبدع

في الطائرة الأخيرة :

وما ان اندلعت هذه الحرب ، في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٩٣٦ ، حتى هرع مالرو الى مدريد على متن اخر طائرة ، متجهة مباشرة من فرنسا الى اسبانيا ، وكان ذلك في العشرين من نفس هذا الشهر ، أي بعد يومين من بداية الاشتباكات وما كاد مالرو يصل الى أرض المعارك ، حتى عهد اليه الثوار بشراء عدة طائرات من فرنسا لدعم حركة المقاومة ونجح مالرو في الحصول على خمسين طائرة ولم يكن هناك بين صفوف المقاومة الاسبانية عدد كاف من الطيارين فتولى هو مهمة جمع المتطوعين للاشتراك في هذه الحرب الوطنية وتم تعيينه كأحد قادة هذا السرب ، وان لم يكن معدا من قبل لتولي مثل هذا المنصب الا أنه اشترك بحماس صادق ، وخاض الكثير من الغارات بجوار الطيارين المحترفين . وكان سربه هو الوحيد الذي اشترك في معارك قريتي « مدلين » و « ترويل »

وفي نفس هذه الأونة ، قام أندريه مالرو ، الأديب ، بالتعبير عن تلك التجربة الاسبانية التي خاضها ، في كتاب بعنوان « الأمل » ، ظهر في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ ، وفور ظهور هذا الكتاب ، سافر مالرو الى الولايات المتحدة وكندا ، لالقاء بعض المحاضرات عن الحرب الأهلية الاسبانية ، وجمع بعض التبرعات لتزويد الوطنيين بالسلاح ، وتدعيم مستشفياتهم بما ينقصها من معدات وأثناء هذه الجولة ، مر بمدينة هوليود ، مدينة السينما التي دفعت ذهنه بفكرة عمل فيلم سينمائي ، يقوم بالدعاية لهذه الحرب ـ لعله ينجح في ايقاظ ضمائر البلدان الديمقراطية الاخرى ، اذ من المعروف أنه بخلاف مساندة الاتحاد السوفيتي والمكسيك ، لم تتقدم أية حكومة ديمقراطية اخرى لمنع توغل النظام الفاشيستي في اسبانيا

وعاد أندريه مالرو في أوائل عام ١٩٣٧ الى اسبانيا ، ليعرض فكرته على المسئولين المناضلين وأعطته الحكومة الجمهورية موافقتها التامة ، لكي يقوم باخراج هذا الفيلم عن الحرب الأهلية وكان مالرو يرغب في الفام يعمل يهز مشاعر الجماهير العريضة في كل مكان كان يفكر في فيلم ينقل اليها الواقع ، بكل مافيه من شجاعة وحماس ، وكل مايحتوى عليه من قهر ومعاناة لذلك كان البطل الحقيقي في هذا الفيلم هو مأساة الحرب الاهلية ، التي كانت تمثل جزءا من مأساة انسان القرن العشرين

« الأمل » في علبة فارغة :

وعندما تولى مالرو صناعة السيناريو ، لم يتردد في تعدى نطاق تجربته الفريدة في رواية « الأمل » التي تعتمد أساسا على قصة حياة الطيارين التي عاشها كواحد منهم وانما أضاف اليها مايدعم فكرته العامة عن هذه المعركة ، فأدخل مساندة العمال والفلاحين لقوى المناضلين ، ونضال فرق المتطوعين ، واشتراك الجيش الجمهوري أثناء المعارك واعتمد على قصة الطيارين كدعامة خلفية ، تربط بين أحداث الفيلم ، أي أنه خرج بعمله هذا من واقع التجربة الفردية ، الى نطاق معاناة الجماهير العريضة ، ممثلة في مختلف القطاعات التي عايشت هذه المحنة

وبدأ تصوير الفيلم في ظروف مادية وحربية شديدة الصعوبة ، فبخلاف مشاكل الانتقال الى مكان التصوير ـ الذي كان يبعد خمسة كيلومترات عن ضواحي برشلونة ، لم يكن التيار الكهربائي منتظما بسبب الغارات مما كان يسد عمليات التصوير والتحميض كما كانت هناك صعوبات جمة من حيث الحصول على عتاد حربي لتصويره ، أو لاقامة

الديكورات الثابتة اللازمة للتصوير . ومن جهة أخرى ، كانت الأنباء الحربية تزداد سوءا يوما بعد يوم . وظل أندريه مالرو يعمل بدأب وحماس ، حتى قبل دخول قوات فرانكو واستيلائها على برشلونة بيوم واحد .

وجمع أندريه مالرو كل ما تم تصويره من لقطات ، وطار به الى باريس ، حيث استطاع استكمال الفيلم ، بفضل مساعدة المسح ادوارد موليبيه . وفي شهر يوليو ١٩٣٩ عرض فيلم « سييرا دي ترويل » في حفل خاص حضره أعضاء الحكومة الجمهورية المنفيون في باريس . وكان الفيلم يحمل اسم القرية التي عاشت إحدى أهم المواقع الحربية . الا أنه عرض بعد ذلك بنفس الاسم الذي حمله الرواية وهو « الأمل » .

وتم الاتفاق على أن يعرض الفيلم في قاعات العرض العامة ، خلال شهر سبتمبر من نفس عام ١٩٣٩ ، الا أن الحرب اندلعت في فرنسا . وفرضت الرقابة على كافة المجالات ، ومنها السينما ، ولم توافق الرقابة على عرض فيلم « الأمل » ، لكي لا تثير عداء الجنرال فرانكو ، الذي كان قد استتب له الأمر في اسبانيا .

كما قام الألمان أثناء احتلالهم لفرنسا وضمن حملاتهم التفتيشية ، بالاستيلاء على كافة الأفلام الوطنية واعدامها . وهنا تدخلت الصدفة لانقاذ نسخة واحدة من فيلم « الأمل » ، وكان أحد العاملين قد وضعها في علبة فارغة مكتوب عليها عنوان أحد الأفلام الهزلية الشهيرة ، فلم تمس العلبة ! وبعد تحرير فرنسا . أمكن استخدام هذه النسخة الوحيدة لطباعة عدة نسخ أخرى ، وتولت احدى الشركات السينمائية الفرنسية مهمة توزيع الفيلم ، الا أن الجمهور الفرنسي الذي كان يعاني من وطأة الحرب العالمية الثانية ، كان قد نسي الحرب الأهلية الاسبانية ، ولم تعد تشغل باله .

ورغم فتور الجمهور ، الا أن النقاد قد اهتموا بهذا العمل السينمائي الفريد ، واستقبلوه بحماس شديد . ومهما اختلفت آراء النقاد من حيث التفاصيل ، فقد أجمعوا على ما في هذا العمل من صدق وبساطة ، وعلى نوعية ما يتركه في المتفرج من انفعال عميق . وفي نفس عام ١٩٤٥ حصل فيلم « الأمل » على جائزة « لوي ديللوك » في المهرجان السينمائي المقام بمدينة بال بسويسرا .

المحاكاة والتخطي :

وعلى الرغم من أن مساهمة أندريه مالرو في المجال السينمائي ظلت فريدة من حيث الكم ، الا انها ظلت فريدة أيضا من حيث المستوى . فهي تعد مساهمة أساسية وعميقة الأثر ، لما احتوت عليه من مفاهيم ومعانٍ ، كانت سابقة على عصرها بعشرين عاما . وقد اعتمد مالرو ـ عند القيام باخراج هذا الفيلم ـ على فلسفة الفنية التي كثيرا ما عبر عنها في مؤلفاته فيما بعد ، وهي : « أن الفن لا يكمن في محاكاة الطبيعة وإنما في تخطيها » .

ومن أهم معالم هذا الفيلم أنه يقدم وجهة نظر مالرو ، الذي حاول أن يتخطى الأحداث التي عاشها ، والامكانيات المعطاة له . لذلك ركز اهتمامه على مايربط السينما بالفنون التشكيلية الأخرى ، وعلى ما في امكانية المجال السينمائي من خلق ابداعي وخيالي . ولعل ذلك هو ما كان يجذبه الى السينما التأثيرية الألمانية والسينما السوفييتية ، أيام الأفلام الصامتة ، أو الأفلام الحربية في العشرينات . ولا أدل على مدى اهتمام مالرو بمجال السينما الا ما أصابه من حزن في الأعوام الأخيرة ، وكل ما راح يعرب عنه من قلق وهو يرى المجال السينمائي يخضع لسلطان النفوذ المادي ، ويغرق بابتذال في عالمي الجنس والعنف . فالسينما في نظره مجال ابداعي ، يمكنه المساهمة بشكل فعال وهام في تحرير انسان القرن العشرين .

وقد أرادَ مالرو لعمله السينمائي هذا أن يكون مثل رواياته ، عملا ملتزما ، يدافع عن قضية معينة ، فهو كأديب ، لم يلجأ أبدا الى أسلوب الخطابة ، والاسهاب في الشرح أو التطويل في الدفاع . وذلك هو ما اتبعه أيضا حينما قام باخراج فيلم « الأمل » فقد

نجح في استخدام الامكانيات السينمائية والاسلوب السينمائي في التعبير عما عاشه وعما راه بصورة مقنعة ، بل لم يلتزم بروايته كأديب ، وانما حاول التعبير عن نفس الحدث او نفس الشعور لكن من خلال الامكانيات الذاتية المميزة للسينما ، مما اضفى المزيد من الواقعية والاقناع على هذا الفيلم . ولعل ذلك يفسر قوله عن فيلم « الأمل » ووصفه بأنه « اخر فيلم ثوري تم تصويره ، وأن السينما لن تتعداه قبل سنوات طويلة »

ومن الواضح ان اهم ما ساعد على إبراز عظمة هذا الفيلم ، أن مالرو قد التزم العقل والاتزان ، سواء ككاتب للقصة وللسيناريو او كمخرج عندما راح يعبر عن الثوريين او عن اعدائهم كما انه لم يغرق في المنازعات السياسية ، وانما تخطاها لبرز مواقف الشجاعة والتضامن والكرامة الانسانية ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الفيلم لايظهر فيه أي شخص من أتباع فرانكو صراحة ، كما أنه لم يظهرهم في أي وضع مشين أو ساخر ، ذلك لانه قد اهتم بتمجيد لحظات المعاناة الانسانية ، والنضال من أجل المبادىء ، بلا أحقاد وبلا احتقار للغير ، على الرغم من قيامه باخراج وتصوير الفيلم أثناء الحرب ذاتها

ومن جهة أخرى فانه لا يظهر فيه أي افتعال حماسي سياسي ، أو أية اثارة لتولي السلطة ، فالشخصيات الأساسية في الفيلم لا تظهر كأبطال أو كرجال فوق مستوى البشر انهم يبدون في غاية الطبيعية والواقعية بل ان أهم مالفت نظر مالرو في هذه التجربة هو التحرك الجماهيري في حد ذاته لذلك تداخلت شخصياته وذابت في خضم الحركة الجماعية ، وربما لجأ الى أناس بسطاء ، لكي لا تطغى شهرتهم على أهمية الحدث ، ولكي لا يتجه انتباه المتفرج الى متابعة « البطل » كفرد ، وانما ليغرق في معايشة هذا الواقع الذي يراه ماثلا أمام عينيه

لحظة التعبير الفني :

ونظرا للظروف السياسية الدولية آنذاك ، فلم يحقق فيلم أندريه مالرو الهدف الذي كان يرجوه منه . اذ تم عرضه على الجمهور بعد تأخر بلغ ستة أعوام عن التوقيت الذي كان يعنيه وهكذا لم يعد فيلما حماسيا لقضية مازالت تشتعل نار احداثها ، وانما أصبح - من حيث التوقيت الزمني - فيلما تاريخيا عن الحرب الاهلية في اسبانيا

أما من حيث ما أضافه هذا الفيلم من جديد في المجال السينمائي ، فبخلاف انه قد تم تصويره في المواقع الحربية نفسها ، وأثناء رحى هذه الحرب الاهلية ، فهو اول فيلم تظهر فيه طائرات حربية ودبابات بشكل واقعي واضح ، وقد استعان مالرو بتجاربه أثناء اشتراكه في الغارات الجوية ، ليخرج لقطات سينمائية جديدة بالنسبة للطيار المحارب داخل طائرته وهي لقطات لا تلتزم بالقواعد السينمائية ، بقدر اهتمامها بابراز الحدث

ومن أهم ما نجح فيه مالرو من حيث الاخراج ، فهو تمكنه من التعبير الواقعي ، بحيث اعتقد معظم الذين شاهدوا الفيلم أنه قد تم تصويره أثناء الأحداث ، وأن الكاميرا كانت مختبئة في مكان ما ، وسط المعدات الحربية ، أو مع بعض المحاربين .

انه أسلوب خاص بأندريه مالرو أسلوب شديد البساطة ، يعبر عن النقاء المفعم ، وعن الصدق ووضوح الرؤية بلا افتعال فقصة « الامل » هي قصة بعض الأحداث البسيطة المحددة ، ولكن مالرو قد بلورها في وقار وشاعرية عبر وجهة نظره الذاتية ، ورؤيته الفنية ، التي أضفت عليها تلك المسحة المأساوية الصافية ، فبدت وكأنها حوار تم التقاطه في لحظات خاطفة من الحياة ، ومن الصراع

هكذا استطاع مالرو أن يترجم تلك المحنة التي عاشها الى لغة تشكيلية ، والى تعبير درامي ، يعبر عن العالم المأساوي الذي تألفه في رواياته ، والذي اعتمد في ابرازه على شدة نقاء اللحظة التعبيرية وعلى الحوار المقتضب والمزج بينهما ، مما جعل هذا الفيلم يبدو كصرخة من الأعماق . تتردد أصداؤها في صمت مهيب فالصمت ، الصمت الأصم ، يمثل في هذا الفيلم نفس تلك المكانة التي يحتلها في حياتنا المأساوية . □

العربي ـ العدد ٣٢٨ ـ مارس ١٩٨٦



دور الموسيقا في تطور الشباب

بقلم : الدكتورة سمحة الخولي

لانفع للموسيقا ان لم تكن قريبة من الشباب ـ عصب الحياة ـ يتأثرون بها ويؤثرون ، فيضيفون اليها من نبض حياتهم انغاما تطبعها بطابعهم اما موسيقا الكبار فقد هجروها وعزفوا عنها ، فماذا يريدون اذن ؟ وما السبيل الى ارضائهم وجرهم إلى الاستماع ، ومن ثم ممارسة التأثير عليهم من خلال مايسمعون ؟

دبت الحيوية فجأة في القصر التاريخي القديم بمدينة فايكرزهايم الالمانية الصغيرة حين تقاطرت عليه وفود الشباب والشيوخ من الموسيقيين ـ فنانين وباحثين ومعلمين ـ ومن علماء الاجتماع والكتاب والصحفيين ومسئولي الموسيقا في الاذاعات ليشتركوا في الندوة الدولية التي عقدت في تلك المدينة للبحث في دور الموسيقا في تطور الشباب تلك الندوة التي أعلن عنها ضمن الاستجابات الموسيقية المهمة لروح العام الدولي للشباب

الموسيقا فى العام الدولي للشباب

ولعل هذه الندوة ، ، التي طرحت موضوعا جوهريا تستمد أهميتها الخاصة من ندوة الانشطة الفكرية على الساحة الدولية في العام الدولي للشباب ، اذا ماقورنت بالانشطة والعروض واللقاءات الموسيقية الفنية ذات الطابع العملي .

فقبل ذلك بأسابيع قليلة ، حشد الاتحاد الدولي للشباب الموسيقي أوركستراه السنوي الدولي للشباب في أوسع جولة قام بها منذ ربع قرن ، حيث عزف في كندا ثم اليابان وكوريا وفي شهر يولية من هذا الصيف انعقد في كندا أكبر مؤتمر للشباب الموسيقى الدولي ، وقدم فنانون ومجموعات مختارة من الموسيقيين من كل أنحاء العالم ، واشتركت فيه مصر بمجموعة فريدة من عازفي الوتريات ، انتزعت الاعجاب بعزفها المتقن للموسيقا العربية التقليدية ،

وللموسيقا العربية في آن واحد

وفي غمرة هذا النشاط الفني الواسع ، لم تشغل قضايا الموسيقا والشباب حيزا ملموسا يتكافأ مع المشاكل الحديدة المعقدة التي تواجه شباب اليوم في تناوله للموسيقا ، كما تواجه الموسيقيين والمربين الموسيقيين في تعاملهم مع الشباب . وبصفة عامة فان نصيب الدراسات المحيطة بالموسيقا والشباب كان معدودا في هذا العام .

طابع مميز

انعقدت الندوة من ٢٦ الى ٣٠ أغسطس في مدينة فايكررهايم ، التي يقع فيها مقر الشباب الموسيقي الالماني ، والتي شيد فيها حديثا « بيت الموسيقا » ، ليكون مكانا لاقامة الشباب الذين يحضرون لهذه المدينة طوال العام ، ليشاركوا في الدورات والدراسات الموسيقية المتنوعة ، سواء من المانيا أو من البلدان الأوروبية وغير الأوروبية (وقد شارك في هذه الندوة مندوبون عن المانيا الشرقية ، والغربية ، وبلجيكا ، والمجر ، والنمسا ، واليونان ، وبولندا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، ومصر غير أن الطابع الغالب عليها والذي جعلها تنفرد بين مثيلاتها من الندوات الدولية ، حتى ندوات الشباب الموسيقي » - هو طغيان عنصر الشباب ، وأقصد بهذا ، الشباب تحت سن الثلاثين ، بل حتى تحت سن الخامسة والعشرين ، فقد حضر الندوة وشارك في أعمالها عدد من الطلاب الألمان ، من الجنسين ، وكانوا يمثلون مراحل العمر المختلفة ، فمنهم طلاب بالتعليم الثانوي ، ومنهم طلاب بالتعليم الجامعي ، ومنهم طلاب متخصصون في الموسيقا وكادت نسبة الشباب الحاضرين أن تصل الى النصف ، وهذا ما أضفى على ندوة فايكرزهايم جوا خاصا ، أكد معنى « الشباب » كما أنه أطلعنا عن شيوخ الموسيقيين من كل التخصصات على وجهات نظر الشباب في أمور بالغة الأهمية ، تتصل بمفهوم الموسيقا لدى هذه الأجيال الجديدة ،

وقد قسم عمل الندوة الى أربعة محاور رئيسية تناول كل منها جانبا من جوانب البحث ، لتحديد مفاهيم ومواقف الشباب ، سعيا الى التوصل الى فهم أعمق وفاعلية أكثر للموسيقا في تنمية الشباب وكانت المحاور التي دار حولها عمل الندوة . -

- العروض الموسيقية المتخصصة المتاحة للشباب في مجالات عامة
- وظائف الموسيقا وقيمتها من وجهة نظر الشباب
- الفرص المتاحة للمؤهلات الموسيقية
- الموسيقا في العلاقات الدولية

وقد خصص لكل واحد من هذه الموضوعات الرئيسية يوم كامل ، وذلك بعد يوم الافتتاح الذي خصص للتسجيل والتعارف وبعض الترفيه الموسيقى وبطم العمل على أساس تقديم البحوث في الفترة الصباحية وحينما كان في الوقت متسع كانت تناقش بعض الأسئلة حول النقاط المثارة في البحوث ، بينما كانت الجلسات الرئيسية للندوة وقفا على المناقشات التي يثيرها الشباب وعلى العروض المرئية والمسموعة التى توضح المسائل التي تم عرضها في الندوة ، مثل عروض الفيديو أو الأفلام أو الاداء الموسيقى للشباب من أعضاء الندوة وغير ذلك أما الأمسيات فكانت كلها مخصصة تماما لعروض موسيقية تولاها الشبان ، الذين شغلوا في دراسات موسيقا الحجره تحت اشراف نخبة من الأساتذة الدوليين ، وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله تلك الدراسات العملية هو . « من مصادر يوهان سباستيان باخ موسيقا الحجرة عبر ثلاثة قرون » وكانت الحفلات الموسيقية على أعلى مستوى من الاتقان والجودة ، رغم أن أعضاء المجموعة الواحدة ، كالخماسي أو التساعي لم يجتمعوا للعزف معا الا في هذه الفترة في فايكررهايم ، ومع ذلك حققوا اندماجا فنيا رفيع المستوى وكان وقع هذه الحفلات الموسيقية أكثر عمقا ، حيث كانت تقدم في « قاعة الفرسان » الفخمة في قصر فايكرزهايم التاريخي الشهير ، الذي يفد السائحون من كل أنحاء أوروبا لزيارته وزيارة تلك القاعة الذهبية بالذات

عروض موسيقية متخصصة

قام د . مايكل يينه ، رئيس الشباب الموسيقى الالماني ، ومعظم المشتركين في الندوة بافتتاح العمل فقال : اننا أردنا أن يكون هذا لقاء مفتوحا حول

الموسيقا والشباب ، وقد طلبنا من المتحدثين أن يجعلوا بحوثهم مبسطة وواضحة ، وان يبتعدوا عن الأفكار النظرية العامة قدر الامكان

وتولى ادارة النقاش في ذلك اليوم د . هلموت لوس ، وعاونه عالم اجتماع ألماني آخر اسمه / برنهارد ماير ، وكان على قائمة المتحدثين خمسة أسماء من ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية والولايات المتحدة

وأهم ما ناقشته بحوث المسئولين الألمان (الغربيين) عن الاذاعات الألمانية أن هناك تحولا جوهريا قد حدث في مفهوم « الموسيقا » في نظر الشباب الالماني ، وأن تلك الاذاعات تعمل في اطار هذا المفهوم الجديد وتكريسه ، ولعلها تضيف اليه أبعادا جديدة

ولسنا هنا بصدد الحكم على أي من المفاهيم أو الاتجاهات السائدة حاليا حول فن الموسيقا في ألمانيا بالذات ، ولكننا استمعنا الى أحد علماء الاجتماع الالمان ، وهو يقرر أن الموسيقا في نظر الشباب هي - أساسا ـ الموسيقا « الترفيهية » بكل أنواعها ، ومن الضروري هنا أن نوضح مايستخدمه هذا المقال من اصطلاحات : فمعنى كلمة « الموسيقا الترفيهية » هنا هو النظير المقابل « للموسيقا الفنية أو الكلاسيكية » أي أن لفظ الموسيقا الترفيهية يشمل كل الأنواع المختلفة ، من الموسيقات الخفيفة التي تتميز بالوقع السريع ، وهذا يضم موسيقا الجاز والبوب والروك وغيرها ، وهي موسيقا تعتمد أساسا على الآلات الكهربائية ، ويلعب المكرفون دورا جوهريا في احاطتها بالجو النفسي الملائم وبالصوت الجهير ، مما يجمع بين المؤدين والجمهور برباط نفسي وثيق في جو تلقائي صاخب ، منطلق ، لاتحيطه قيود الاستماع الموروثة في قاعات الموسيقا الفنية الكلاسيكية ، ومايحف بها من تقاليد وقيم فنية خاصة .

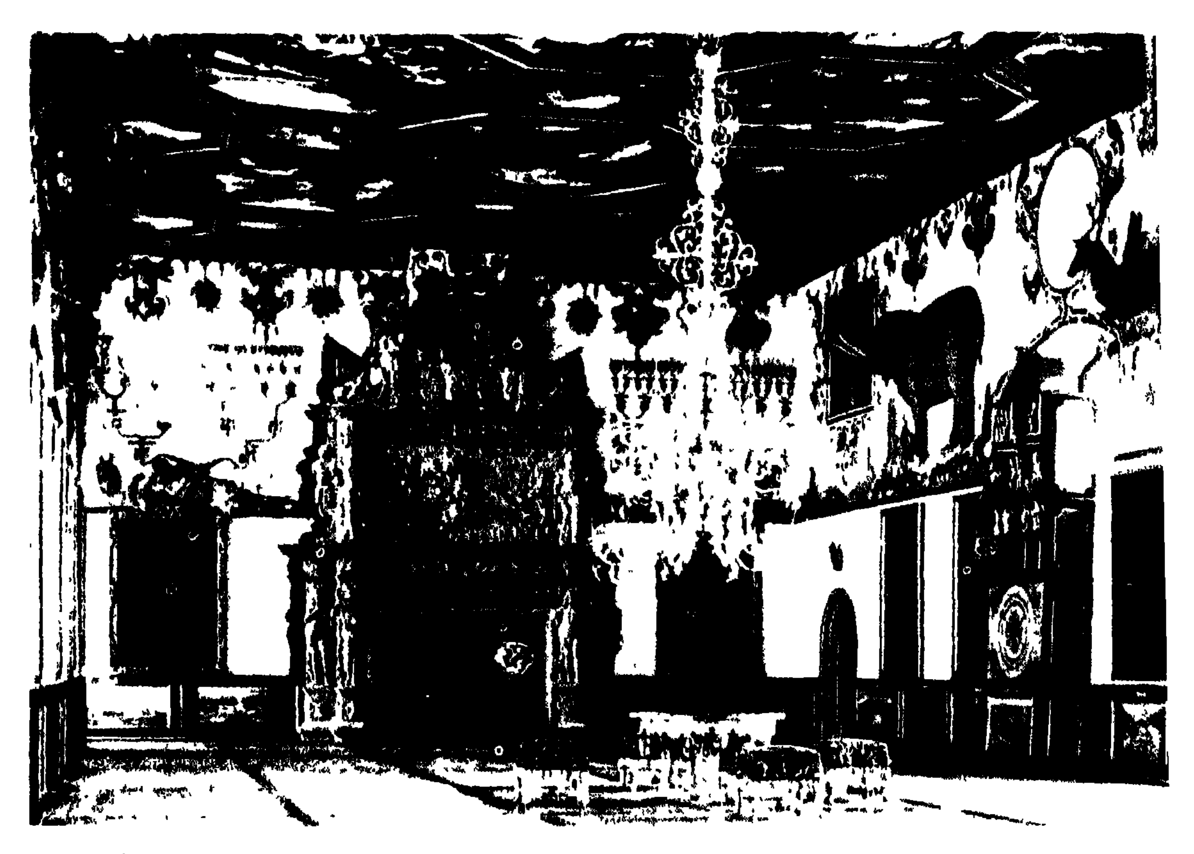
موسيقا الشباب

وقد أثار عدد من القائمين على برامج الموسيقا في الاذاعات الالمانية قضية برامج « موسيقا الشباب » وأوضحوا أنه ليست هناك موسيقا فنية كلاسيكية تصلح للشباب (أو لشباب هذه الاجيال في أوروبا) ولذلك فليست هناك برامج موسيقية موجهة للشباب بخاصة . وكل مافي الأمر أن أغلب المنظمين يحرصون على تحين الفرص ، لادخال العناصر التثقيفية في اطار برامج موسيقية يغلب عليها عنصر الترفيه ، وهذا هو ما يطلقون عليه « برامج الشباب الموسيقية »

وتحدث مندوب ألمانيا الديمقراطية أولريش ناك أوفين ، عما يقدم فيها من الموسيقا وفنونها للطلبة والشباب ، غير أنه كان حديثا ابتعد عن الموضوعية والحيدة الضرورية في مثل هذه المحافل العلمية ـ فهو قد لجأ سياسيا لالمانيا الغربية منذ أقل من عام ، وحصل على جنسيتها ، ولذلك جاء تمثيله لألمانيا الشرقية غير منطقي ، وكان حديثه عنها معلنا بكثير من السخرية ، ولم يكن اعتراضه الجوهري على كم أو نوع الموسيقا الذي يقدم هناك للشباب بل كان منصبا بالطبع على الاطار العقائدي الذي تقدم فيه هذه الحفلات ، وعلى المعاني السياسية التي تجد طريقها اليها دائما

وأظنه كان سيقنع المستمعين بوجهة نظره بشكل أكثر تلقائية ، لو أنه تجنب التعريض بموطنه الأصلي .. وهكذا جاءت إضافته للندوة سلبية في محصولها وبعض أثرها ، وان كانت قد فتحت أذهان بعض المحايدين من الحاضرين على الكم الكبير والتنويع الهائل في أنواع العروض الموسيقية التي تقدمها ألمانيا الشرقية لطلاب المراحل التعليمية المختلفة بانتظام ، وتوفرلهم السبل لحضورها بعناية بالغة

وكانت جلسة بعد الظهر مجالا لمناقشات الشباب ، حول ماقدم في الصباح ، وطرحت آراء الشباب الألماني فيما يقدم لهم من موسيقا ، واتضح أن هناك شكوى عامة من ضيق المجالات أمام فرق الشباب الموسيقية ، وان الصلات بين المؤسسات الرسمية الموسيقية في ألمانيا وبين الشباب ضعيفة ومفككة ، وان الاعلام عن الحفلات الموسيقية بكل أنواعها ضعيف جدا ، وان كان هناك اعتراف بأن حرص الشباب على معرفة التفاصيل عنها ضعيف أيضا وأثاروا غلاء ثمن التذاكر ، وعدم وجود نظام الاشتراك فى الحفلات الموسيقية ، ويبدو أن المناطق التي تبذل اهتماماً موسيقياً خاصا بالشباب انما تفعل ذلك من منطلق سياسي .



قاعة الفرسان بقصر فايكرزهايم التاريخي الذي عقدت فيه جلسات الندوة الدولية حول الموسيقا وتنمية الشباب

وكان اليوم الثاني مخصصا لبحث« وظائف الموسيقا وقيمها من وجهة نظر الشباب »بينما كان البحث في اليوم الثالث في موضوع « الفرص المتاحة أمام المؤهلات الموسيقية » وكان المتحدثون فيهما جميعا من الألمان . وقد اتخذت الدراسات الخاصة « بوظائف الموسيقا وقيمها » صورة أقرب للحوار العام ولدراسة آراء الشباب دراسة علمية المنحى ، ولكن في نطاق ضيق وذلك عن طريق استبيان أعدته مجموعة أعضاء من الشباب الموسيقي الألماني وحصوا فيه أهم الأسئلة التي تدور في الأذهان ، والتي تستطيع اجاباتها ان تنير الطريق ، لفهم وجهات نظر الشباب في وظيفة الموسيقا في حياتهم وعلاقتها بالاسرة وبالهواية ، والى أي حد يتأثر الشباب بأذواق آبائهم في الموسيقا ، سلبا وايجابا ، وماهي طبيعة المتعة التي يستمدونها من موسيقاهم المفضلة ، وكم عدد مرات ترددهم على حفلات الموسيقا بأنواعها الترفيهية والجادة ، كما خصصت بعض الأسئلة لعلاقة الشباب بالمسرح

وقد كان هناك بعض التداخل بين بحوث المحورين الثاني والثالث ، ولذلك نعرض لأهمها هنا ، حيث قدمت فيها بحوث جادة على عليها الاتجاه العلمي والاحصائي ، وتناولت جوانب تهم كل المشتغلين بالتربية والثقافة الموسيقية

ونبدأ هنا عرضا موجزا لبحث قدمه هاينر جبريس من برلين ، عن « الاستعداد الموسيقي والنمو الفردي » وقد ناقش فيه جبريس قضية الموهبة الموسيقية ، وهل هي موروثة أو مكتسبة ؟ وهي قضية لم تحسم بعد ، ولكن هناك شواهد عديدة تدل على أن عنصر الوراثة يلعب دورا في المواهب الموسيقية ، ومن أشهر الأمثلة لذلك أسرة باخ ، التي امتدت فيها المواهب الموسيقية مايقرب من قرنين كاملين ؟ واستشهد في ذلك برسم لشجرة عائلة باخ - ثم هناك أسرة موتسارت (الأب والابن والأخت) . وقد كان فرانسيس جالتون من أوائل المحبذين لفكرة الموهبة الموروثة ، اذ جمع أسماء ٩٧٩ من مشاهير الموسيقيين

ممن كان آباؤهم يتمتعون باستعداد موسيقي ليدلل على نظريته .

وخلال المناقشات حول هذا البحث أثارت مندوبة مصر قضية « الاستماع المطلق » باعتبارها مفهوما أوروبيا بحتا ، ولاينطبق على الحضارات ذات الموسيقا غير الغربية ، اذ ان « الاستماع المطلق » للطبقة مرتبط أساسا بنظام السلم المعدل وبالآلات الغربية الثابتة ، أما في الشرق فإن مفهوم الطبقة الصوتية ليس ثابتا ثبوتا مطلقا ، فقد كانت الآلات الموسيقية في التخت الشرقي الى عهد غير بعيد ، تسوى اما تبعا للطبقة « الصغيرة » أو للطبقة الكبيرة » ـ وذلك تبعا لصوت المغني الذي يصاحبه التخت ، ومن هنا تبدو الحاجة الى التوصل الى تعريف دولي شامل لمعنى « الاستعداد الموسيقي والموسيقية الطبيعية تعريفا لايصطدم بتقاليد حضارات موسيقية أخرى ، كما أن اختبارات الاستعداد الموسيقي نفسها بحاجة لمراجعة أساسية عند تطبيقها على أطفال البلاد العربية ، التي تقوم موسيقاها على خط لحني مفرد « ميلودية » ولموسيقاها أبعاد خاصة تميزها عن الموسيقا العربية ، ولذلك فنحن بحاجة لدراسات عميقة لتطوير اختبارات الاستعداد الموسيقي تطويرا أساسيا ، لكي تلائم الأطفال في منطقتنا العربية جسميا وفنيا ، وهو مابدأت به بعض البحوث ، بواسطة المتخصصين في التربية الموسيقية في مصر حاليا .

الشباب وصناعة الموسيقا

كان بحث الدكتور / هانس باستيان عن « تراجم الموهوبين موسيقيا » ذا طبيعة احصائية لم تغفل الجوانب الانسانية وهو بحث ميداني لدراسة نوابغ الشباب ، ممن تقدموا للمسابقات الموسيقية الألمانية السنوية المسماة Jugend Musiziert « وأقرب ترجمة عربية لها هي الشباب يصنع الموسيقا أو الفائزين في هذه المسابقات ، وهدفه أن يتتبع بدقة عن طريق الأحاديث المباشرة مع الموهوب (وبعيدا عن الأبوين) ، أهم التجارب في حياته الموسيقية ، وأثر التفوق الموسيقي على حياته ، ونظرته للحياة وكيفية تداخل التفوق الموسيقي . وتأثيره على نموه في نواح أخرى من الشخصية ، وماقد يترتب على ذلك التميز الموسيقي من اهمال لبعض جوانب الثقافة ، أو الشخصية لدى الشباب الموهوب

وحرص البحث على معرفة نقطة البداية للدراسة الموسيقية ، وهل هي بتأثير الأسرة أو المدرسة ، أو بتأثير نموذج شهده وأراد أن يحتذيه ؟ وماهي أهم التجارب المؤثرة في المدرسة ، وماهي تجاربهم في معاهد الموسيقا ، وكيفية قضائهم لأوقات الفراغ ، وعلاقاتهم بأصدقائهم وصلاتهم بوسائل الاعلام ـ وماهي أحلامهم وطموحاتهم للمستقبل ؟ كما امتد البحث كذلك لدراسة الأطفال ذوي المواهب الموسيقية الخارقة » وأثر المواهب على طفولتهم ونمو شخصياتهم

وقد جمع فريق الباحثين سبعين حديثا من مناطق مختلفة مع الفائزين في هذه المسابقات ، وتم تقسيم الأحاديث حسب مراحل العمر ، واستكملت بأحاديث مع الأبوين ، ثم تم تفريغ هذه البيانات وبرمجتها بواسطة الكومبيوتر كمرحلة أولى ، وتجيء بعدها مرحلة التحليل الاحصائي وكل هذا أملاً في التوصل الى أفضل الوسائل لرعاية المواهب الموسيقية وتعليمها موسيقيا ولتصحيح الأخطاء التربوية ، واقتراح السياسية الثقافية والتربوية المثلى في هذا المجال،وهذا المشروع ترعاه وتموله وزارة البحث العلمي الألماني

وكان اليوم الاخير من أيام الندوة أكثر دولية من الايام السابقة اذ قدم فيه دنيس هاميل من كندا بحثه عن « تأثير الوسائل البصرية على التذوق الموسيقي لدى الشباب ، وقدمت ان مامروت من بولندا ورقة عن « التنشيط الموسيقي في نطاق موسيقا البوب » كما ألقت آن ماندان من بلجيكا موضوعا عن « الشباب الموسيقي الدولي وخبرات اللقاءات الدولية » .

بحث مثير للجدل

وقد آثار بحث هاميل جدلا كبيرا ، وبذلك يكون قد نجح فعلا في اثارة اهتمام الحاضرين ، وقد بدأ بحثه بتقرير حقيقة توصل اليها احصائيا في دراسة حول اتجاهات شباب المدارس الكندية ، من سن ١٢

١٦ سنة فقد اتضح له أن أغلبية كبيرة منهم « معادة » للموسيقا الكلاسيكية ! وحتى القلة التي تحبها فانها لاتجاهر بهذا الرأي احتراما للاغلبية ، وتبين من بحثه عن أسباب عزوف الشباب الكندي عنها الأسباب الاتية اںها طويلة أكثر مما يجب ـ ليس لها ايقاع (ويقصدون النص المحدد القوى) ـ وأنها مرتبطة بالماضي وبالارستقراطية (ولعل بعض الاعلانات التليفريونية تعين على تأكيد هذه الصورة) ـ انها مركبة والآلات فيها متعددة والاصوات (أي النغمات) متشابكة الخ . .

وهكذا تأكد له أنه لابد أن يجد ممهدا لعقول وآذان هذا الشباب بوسائل أخرى غير تقليدية ومن ذلك طريقة أستاذه الامريكي . سول فاينبرج التي كان يسميها مسودات للفهم الموسيقى » وهي تعتمد علي قيمة العنصر المرئي في التربية الموسيقية

فقد قام هاميل باعداد رسم ايضاحي لنوته حركة من السيمفونية الخامسة لتهوفن ، ألغي فيها استخدام المدرج الموسيقى للتبسيط ، ورسم النوتات الموسيقية المرتفعة الطبقة لأعلى ، والمنخفضة الطبقة الأسفل ، وبدلا من كتابة أسماء الآلات كما في المدونة الموسيقية ، كان يرسم الآلات الموسيقية نفسها ثم بين ارشادات الأداء للشدة واللين ، برسم النوتات متدرجة في أحجامها للدلالة على ذلك وكان يحرص على رسم نوتات كل لحن رئيس بلون معين ، ويحرص على المحافظة على نفس الرمز لنفس اللحن طوال القطعة ، ، وعرض هاميل هذا الرسم بالفانوس السحري ، مصحوبا بالاسطوانة ، ووقف بين الصورة والشاشة وأخذ يشير بأصبعه اشارات ايقاعية ، تدل على المسار الموسيقي ليتيسر متابعة الرسم الايضاحي للنوتة وقال انه وجد هذه الطريقة ناجحة في اكتساب عادات سمعية جديدة ، حيث استمع الطلبة الى هذه الموسيقا سبع أو ثماني مرات دون ضجر ، وكانوا هم أنفسهم يشاركون في الاشارات على الرسم التوضيحي ، وبذلك حقق هدفه الاساسي وهو خلق الألفة بينهم وبين هذه الموسيقا .

وفي محاولة لتقييم أثر هذه الطريقة طلب منهم كتابة رأيهم ، فكتب بعضهم انه أصبح أكثر تقبلا لهذه الموسيقا وآخر : أنه الآن لايغضب اذا استمع والده لهذه الموسيقا ، وكتب ثالث : انه قد غير رأيه في الموسيقا الكلاسيكية ، ووجد أنها تستحق الاهتمام الخ . . و أشار هاميل الى أنه طبق ذات الطريقة على عدد من الأعمال الكلاسيكية والرومانسية والتأثيرية ، وأنه يسعى الآن إلى تحقيق مرحلة أعلى بتطبيقها في مجال الفيديو) وكان محور الجدل أن كثيرين رفضوا مبدأ تقديم « هيكل عظمي » للموسيقا ، كبديل لدروس التذوق والاستماع الحقيقية ، كما أن بعض الحاضرين رأوا أن اشارات الاصبع التي يتابع بها هاميل الموسيقا على الرسم ، تبدو مثيرة للضحك . . وقامت مقارنات بين ماهو متبع في بعض المدارس من مصاحبة الموسيقا ، بعزف الطلبة لاحدى الآلات السهلة ، ولتكن من الآلات الايقاعية ، كوسيلة لتحقيق نوع من المشاركة الايجابية من الطالب ، تعينه على الاقتراب من الموسيقا وتذوقها بشكل أفضل ومهما يكن فقد كانت اضافة طريقة للندوة ، ولعلها تحتاج لتطوير واستكمال لكي تحقق أغراض التذوق الموسيقى تحقيقا أكثر اقناعا

وبعد . . فقد أردت أن أقدم صورة قريبة لواقع الندوة لكي أقرب نصها وفكرها الى القارىء ، لكن في النهاية كان هناك شعور بأنها لم تكن ندوة « دولية » بالمعنى الحقيقي للكلمة ، شغلت الموسيقا عبر الأوروبية حيزا ضئيلا جدا فيها ، وذلك من خلال المناقشات وحدها لأن منظمي الندوة لم يخطروا المدعوين اليها بموضوعات البحث الرئيسية ، ولم يطلبوا اسهامهم في طرح القضايا المثارة عن الموسيقا ودورها في تطور الشباب من وجهة نظر مجتمعاتهم وتجاربهم التي كان يمكن أن تضيف للندوة ثراء حقيقيا ، سواء بالبحوث والدراسات من بلاد وحضارات مختلفة او بالمعلومات الاحصائية والاستبيانات التي تفيد في استجلاء ومقارنة مواقف الشباب من الموسيقى على مستوى العالم المتحضر على اتساعه ! . . ورغم ذلك فقد كانت أياما شيقة وحافلة بالمتعة الموسيقية ، وخصوصا في الحفلات اليومية التي استمعنا اليها من نخبة من الشباب ، من أصحاب المستويات الفنية القيمة ، والأمل أن يكون الحضور العربي في مثل هذه الندوات الدولية أعمق وأوسع ، لكي تتحقق الفائدة التي تعقد من أجلها ، ولكي تأتلف الأفكار والقلوب حول الموسيقا □

أول محطة إذاعة تعمل بالطاقة الشمسية

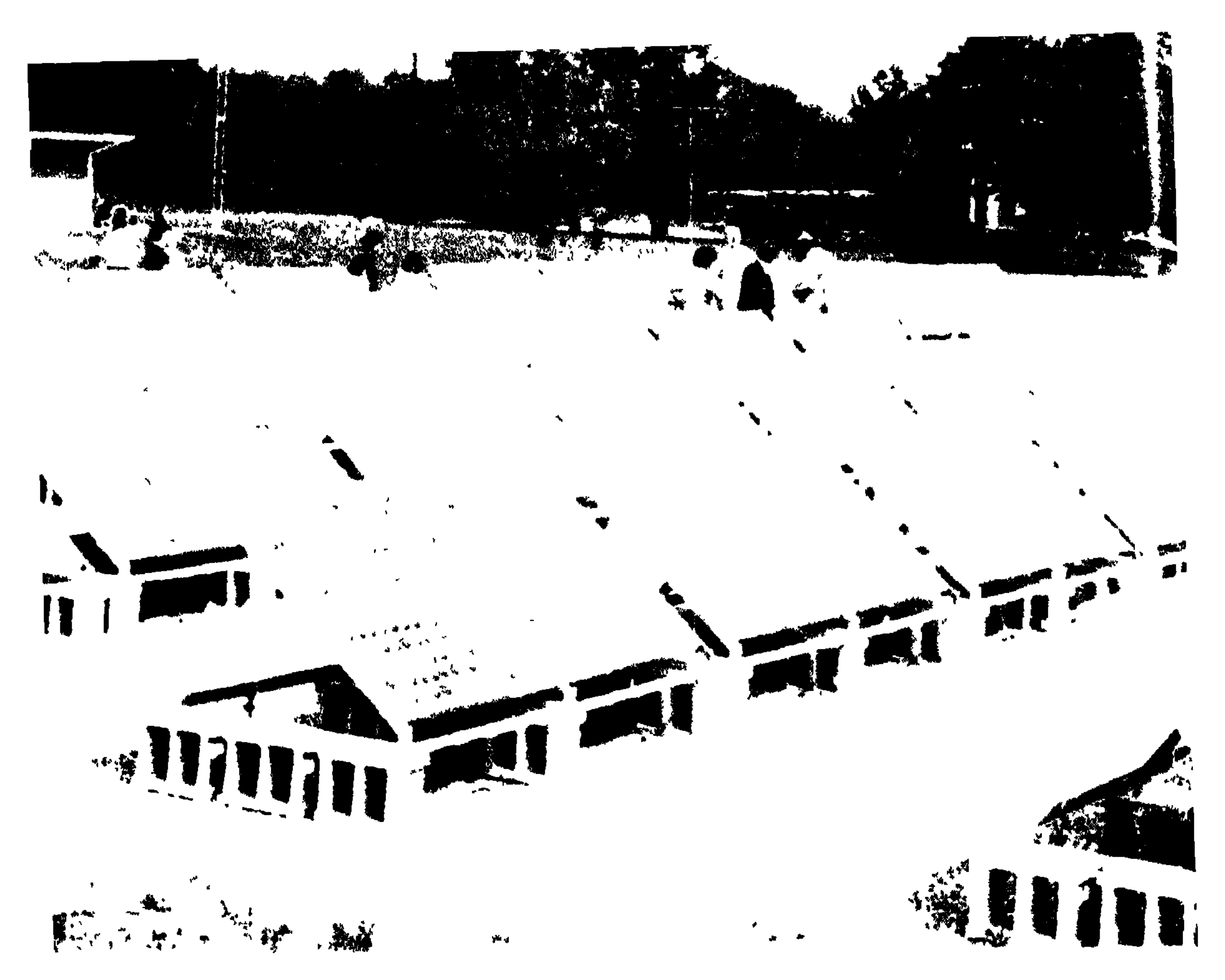
بقلم : الدكتور مظفر صلاح الدين شعبان
جامعة حلب ـ كلية الهندسة

الشمس متوارية عن الأنظار في كبد السماء ، وراء حجاب من الغيوم ، التي تظلل المنازل الريفية والمزارع في شمال غرب ولاية اوهايو الامريكية ، والمنطقة غزيرة الأمطار صيفا ، بينما تغطي أرضها في الشتاء طبقة سميكة من الثلوج ولا يتمالك الانسان نفسه من الشعور بالحيرة الممزوجة بالاستغراب عند سماع مذيع احدى المحطات المحلية يقول : « هنا بلد الشمس » ! فهذه هي المحطة الاولى في العالم التى تتغذى « بطاقة الشمس » وحدها ، دون الاعتماد على أي شكل آخر من مصادر الطاقة

افتتحت محطة (سريان) بثها الاذاعى في ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٧٩ م ، وتستمر في الارسال يوميا من الفجر الى الغسق ، وتستمد القدرة اللازمة لتشغيل جميع أجهزتها (٥٠٠ وات) من خلايا شمسية تحول ضوء الشمس مباشرة الى كهرباء .

الطاقة الشمسية :

تعتبر الشمس أصل معظم مصادر الطاقة الأرض قاطبة ، فبفضل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار ، وبفعل فروق الحرارة الشمسية تهب الرياح التي تسوق الغيوم ، لتتساقط بشكل أمطار تغذ



محطة اذاعية تعمل بالطاقة الشمسية في ولاية اوهايو الأمريكية
حيث الشمس هي المصدر الوحيد لبث البرامج في اذاعة برياں

أنهار السدود المقامة على الانهار تزودنا بالكهرباء المائية

كذلك فقد ظلت النباتات على سطح الارض تتلقى أشعة الشمس طوال ملايين السنين . ونتيجة للتسخين البطيء والضغط ، تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعي ، تمثل حوالي ٩٥ بالمائة من مصادر الطاقة التي يستخدمها انسان العصر الصناعي .

كمية الطاقة الشمسية الواصلة الى الارض ضخمة جدا ، تفوق حدود التصور البشري · ما تستقبله الارض خلال أسبوعين فقط يكافيء مجموع احتياطيات الفحم والنفط والغاز ، أو يزيد .

البدء بتسخير طاقة الشمس شكّل أساس تطور الحضارة . وقد تمثلت نقطة الانعطاف في الاعتماد على أشكالها غير المباشرة (طاقة الماء ، وطاقة الرياح) كقوة دافعة لانجاز أعمال ميكانيكية . كذلك فقد اقتصر الأمر في العصور اللاحقة على التطبيقات « البسيطة » لاستئناس طاقة الشمس

بعد هبوب رياح أزمة الطاقة في عام ١٩٧٣ ، تم عقد الآمال على ثلاثة مصادر عملاقة للطاقة هي : الطاقة الشمسية ، وحرارة باطن الارض الجوفية ، ومفاعلات الاندماج النووى

تتميز الطاقة الشمسية بكونها مصدرا « مجانيا » للطاقة ، وبامكانية تحويلها « مباشرة » الى كهرباء ، وهي أنبل أشكال الطاقة ، لنظافتها وسهولة نقلها وامكانية تحويلها الى معظم أشكال الطاقة الأخرى ، مما يجعلها متعددة أوجه الاستخدام في مختلف أنشطة الحياة من مساكن ومصانع وغيرها . .

الكهرباء الشمسية :

أدت البحوث المكثفة في مجالات الصناعة الالكترونية وريادة الفضاء الى انتاج أول « خلية شمسية SOLAR CELL » تحول طاقة الشمس

« مباشرة » الى كهرباء في مختبرات شركة بل الأمريكية في عام ١٩٥٤ م

تصنع معظم الخلايا الشمسية بشكل دوائر صغيرة قطر كل منها يقارب « ٢ سنتيمتر » توصل مع بعضها في لوحات تقدر استطاعتها بعدة آلاف من المرات ، بينما لا تتجاوز سماكتها بضعة اجزاء من الألف من المليمتر. معظم الخلايا يصنع من عنصر السليسيوم كثير الوفرة في الصحارى ، والسواحل الرملية. لكن توليد الكهرباء بهذه الطريقة يتطلب انتاج بللورات كبيرة ، شديدة النقاوة من هذا المعدن ، يتم قصها بطرق أقرب الى اليدويه ، مما يجعل تكلفة الكهرباء المولدة بواسطة الشمس

ولهذا السبب فقد اقتصرت الاستخدامات الأولى للخلايا الشمسيه على الأقمار الصناعية. وفي عام ١٩٧٣ بلغ عدد الاقمار الصناعية الامريكية المزودة بخلايا شمسيه ٦٠٠ والسوفياتية ٤٠٠ قمر صناعي عمل هذه المولدات بدون عناصر تشغيل ، جعلها تستخدم في بعض المناطق النائية مثل تشغيل المنارات وبعض الاهداف العسكرية وغيرها

الا أن ارتفاع أسعار النفط واقتراب نضوبه ، جعل عددا كبيرا من الحكومات والشركات الخاصة يفكر جديا باستثمار طاقة الشمس المجانية ، بطرق مختلفة ، بغية التأكد من النتائج مسبقا ، قبل التوسع في استخدام طريقة ما على نطاق تجاري واسع

أول اذاعة شمسية :

هنالك مشاريع عديدة من هذا النوع يهدف بعضها الى الاستفادة « غير المباشرة » من طاقة الشمس. ففي جنوب ايطاليا تم بناء « محطة توليد شمسية » يقوم فيها عدد هائل من المرايا بتجميع الضوء المنعكس في بقعة واحدة ، بغية تسخين الماء فيها وتحويله الى بخار يقوم بدوره بدفع زعنفة بخارية تدير مولدا كهربائيا. وفي الصحراء الاسبانية هنالك مشروع آخر يختبر طريقة أخرى : يحصر الهواء في مساحة واسعة تحت رقيقة من اللدائن (البلاستيك) الشفافة. يسخن الهواء فيرتفع ضغطه فيتسرب الى الخارج عبر « المنفذ » الوحيد ، الذي وضعت فيه مروحة هوائية عملاقة ، تدور باتجاه الخارج ، لتدفع بدورها مولدا كهربائيا

لكن مشروع اذاعة (برايان) يتميز بتحويل طاقة الشمس « مباشرة » الى كهرباء من جهة ، وبأن طاقة الشمس هي مصدر الطاقة الوحيد لاذاعة تقوم بعمل فعلي هو بث البرامج للاذاعة ولا يتم هدر الطاقة المولدة بشكل أو بآخر

تم تصميم محطة (برايان) في معهد (ماساشوستس) للتقنية. وبلغت تكاليف المشروع ٣٠٠،٠٠٠ دولار تحملت معظمها وزارة الطاقة الامريكية ، ويتوقع استمرار تشغيلها طوال العقدين القادمين .

النتائج الأولى كانت مشجعة للغاية . فقد تبين ـ على سبيل المثال ـ ان الخلايا الشمسية تمكنت من توليد كمية معتبرة من الكهرباء ، حتى حينما كانت مغطاة بغلاف من السحب والأمطار المنهمرة. ففي الأيام الستة الاولى من التشغيل بلغت حاجة المحطة ١٥٩ كيلووات من الكهرباء ، ولكن الخلايا أنتجت ١٧٠ كيلووات ، رغم سوء الاحوال الجوية وتكاثر العواصف الرعدية. ويتوقع الخبراء أن تنجح هذه الخلايا في تغطية ٨٠ بالمائة من الطاقة الاجمالية اللازمة لتشغيل المحطة على مدار سنة كاملة .

لماذا وقع الاختيار على هذه البقعة المغطاة دوما بالغيوم ؟ ترغب وزارة الطاقة الأمريكية في اختبار مبدأ الاذاعة بالاعتماد على الخلايا الشمسية تحت « أقسى الظروف » فاذا نجح ـ وهذا ما حدث ـ عندها يمكن تعميم المبدأ ـ بدون قلق ـ على المناطق الاخرى ، ذات الطقس الأفضل . وقد دفع النجاح المنقطع النظير لهذه الاذاعة الى التنبؤ باعتماد عدد متزايد من محطات الاذاعة والتلفزة على الكهرباء الشمسية في المستقبل

●

تصرت بالراحةِ الكبرى فلم أرها
تنال الّا على جسر من التعب (أبو تمام)

مفاهيم جديدة في أمراض الحساسية

بقلم الدكتور أنيس فهمى

ظلت أمراض الحساسية وقتا طويلا لغزا يحير الأطباء ، ويثير اجتهادات متناقضة ، وحتى اليوم ليس هناك من يستطيع الادعاء بأن هذا اللغز قد وجد حلا نهائيا ، ومع ذلك فـان كيفية حـدوث أمراض الحسـاسية أصبحت اليـوم معروفـة بشكـل أفضـل من الماضى . فماهي اجراءات الوقاية وكيف يكون العلاج ؟

أصبح باستطاعة الأطباء الأن أن يتحققوا من ان ظهور بثور جلدية أو أكزيما أو ربو ، أو رمد في العينين أو زكام مزمن أو فصلى ، ناتج من اصابة الجسم بمرض من أمراض الحساسية أم لا

غير أن التقدم في التشخيص لم يجب عن الأسئلة الكثيرة التي تطرحها أمراض الحساسية ، والتي يمكن حصارها على النحو التالى : لماذا يصاب ١٨٪ من الناس حسب الاحصاءات الأخيـرة بأمـراض حساسية تجاه بعض المواد ، في حين لا يصاب بها الآخرون ؟

ولماذا يوجد أشخاص لا يحتملون غبار نباتات معيـنة ، أو وجود قط في المنزل أو أكل السمك أو البيض ؟

اننا نجهل لماذا يصبح عنصر ما ، موجود بكثرة في الهواء أو في المواد التي نلامسها ، مسئولا عن عدد كبير من أمراض الحساسية في لحظة معينة وليس في لحظة أخرى ؟ .

ما هى الحساسية ؟

كلمة « حساسية » تعنى حدوث رد فعل غير عادى فى مواجهة مادة أو عنصر عادى جدا وغير

مؤذ ، وتسمى كل مادة مسببة للحساسية باسم « عامل الحساسية » ولكي تتضح الصورة أكثر ، سنذكر بعض الأمثلة الشائعة لأمراض الحساسية

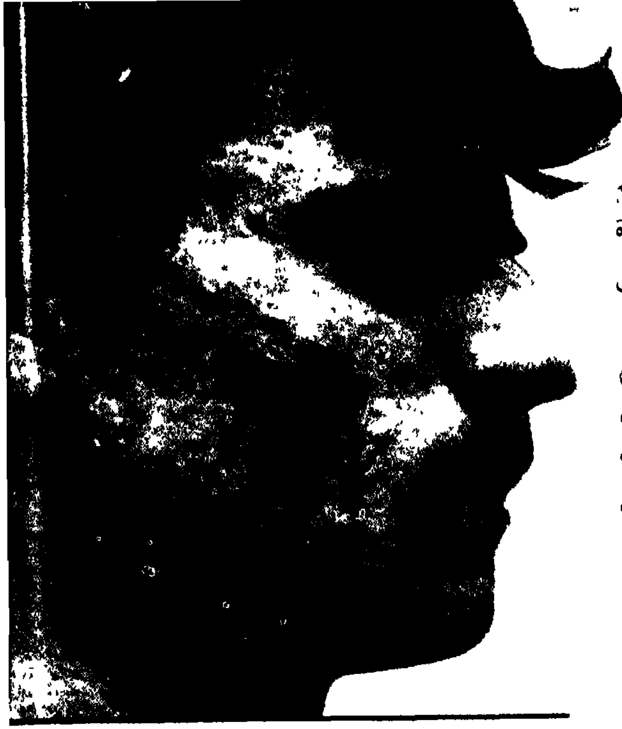
طفل في العاشرة من عمره يتمتع بصحة جيدة ، أصيب فجأة بأزمات حادة في التنفس بلغت درجة الاختناق ، وكانت الأزمات تحدث له في صباح كل يوم أحد . وعلى مدى أسابيع قام الطبيب بإجراء استجواب دقيق لوالديه ، لمعرفة ما يحدث في المنزل صباح يوم الأحد ، وقد اتضح بعد الاستجواب أن الأم تقوم في هذااليوم بوضع باقة من الزهور بالقرب من سرير طفلها قبل أن يستيقظ من نومه . وبعد الاقلاع عن هذه العادة الأسبوعية لم يعد الطفل يصاب بأزمات تنفسية .

طفل آخر يصاب بأزمات تنفسية كلما عاد والده الى المنزل بعد ممارسة رياضةركوب الخيل . وبعد أن قام الطبيب باستجواب والده طلب منه أن يخلع ملابسه ويستحم قبل مقابلة طفله ، وعندئذ اختفت نوبات ضيق التنفس عند الطفل ، لأن حساسيته كانت ناتجة من شعر الخيل العالق بثياب والده .

تجارب على الحساسية

هذه الحالات من الحساسية هي لحسن الحظ سهلة الاكتشاف ، ويمكن تحديد أسبابها وتلافي هذه الأسباب . لكن الأمور ليست دائما بمثل هذه البساطة ، سواء من ناحية التشخيص أو العلاج ، بل تستلزم في معظم الحالات اجراء عدد من الاختبارات اللازمة لتحديد الأسباب وتحديد العلاجات التي تختلف باختلاف هذه الأسباب ،وهذه الحاجة الى الاختبارات تعتبر من الخصائص المميزة لطب الحساسية .

وكما حدث في فروع الطب الأخرى ، فان التجربة سبقت المعرفة في حقل أمراض الحساسية . ففي منتصف القرن التاسع عشر



الحساسية خلل في عمل الأجسام المضادة

اكتشف الانجليزي (بلاكي) أن حك بذور بعض النباتات على الجلد يسبب لدى بعض الأشخاص ردود فعل شبيهة بمرض الربو .

وفي عام ١٩١٠ مارس (جون فريمان و ليونارد نون) أول اختبارات جلدية للحساسية ، دون أن يتمكنا من تفسير سبب قدرةبعض المواد على احداث ما يشبه الالتهاب في الأنسجة المخاطية .

وفي عام ١٩١٩قام الطبيب الأمريكي (ماكسيميليان راميريز) بوصف حالة مرضية فريدة في نوعها ، فقد كان أحد مرضاه يصاب بنوبة ربو حادة ، كلما صعد في عربة يجرها حصان ، أو كلما تنزه في حديقةفيها حيول . وقد بدأت أزمات الربو لدى المريض بعد خمسةعشر يوما من تلقيه دما مأخوذا من شخص آخر لعلاجه من الأنيميا (فقر الدم) . وقد دهش راميريز عند ظهور أمراض الربو ، فبدأ بالبحث عن الشخص الذى أخذ منه الدم وأعطي لمريضه وعند فحص هذاالشخص اتضح أنه يصاب هو أيضا بأعراض غير طبيعية عند ملامسة جلده لشعر الخيل ، فاستنتج راميريز من ذلك أن

لحساسية تنتقل بوساطة الدم . وبعد عامين أكدت تجارب أجريت فى النمسا والنرويج ، أن الجزيئات التى تنقل الحساسية موجودة فى الدم . هناك اذن شىء ما فى الدم يحمل الحساسية ولكن هذا الشىء ظل غير محدد .

وعلى امتداد ثلاثين عاما بعد هذا التاريخ ، حاول الأطباء اكتشاف خصائص الجزئيات التى تحمل الحساسية دون جدوى . وفى الخمسينيات من القرن الحالى ولد علم جديد هو « علم المناعة » الذى أعطى دفعة قوية للابحاث فى أمراض الحساسية وقد وضع الباحثون فرصا بأن الحساسية ناتجة عن اختلال فى جهاز المناعة ، لكن المشكلة زادت تعقيدا لأن جهاز المناعة هذا معقد جدا ، ولم يتم اكتشاف كل عناصره ومقوماته حتى اليوم .

تجارب ونتائج

وفى عام ١٩٦٧ ، وفى وقت واحد تقريبا ، تمكن العالم السويدى يوهانسون والزوجان الأمريكيان من أصل يابانى كيمشيج و تيركو ايشيزاكا من اكتشاف أنه توجد فى دم المصابين بالحساسية كمية فائضة من الأجسام المضادة ، التى تسمى أيضا كرات المناعة ،وهى أجسام تكون قليلة أو غير موجودة فى الجسم السليم ، وقد سميت هذه الاجسام (بالاميونوجلوبيولين إى) هذه الأجسام المضادة هى جزئيات صغيرةيتم صنعها فى الدم من قبل كرات الدم البيضاء ، كرد على وجود عنصر دخيل على الجسم . فاذا دخلت جرثومة ما فى الجسم ، ف. كرات الدم البيضاء تقوم بالتعرف على هذه الجرثومة وتحديد هويتها ، ثم تقوم بعد ذلك بصنع الأسلحة المضادة المناسبة ، التى هى عبارة عن أجسام مضادة للجراثيم . وبعد القضاء على الجراثيم الدخيلة ، فان هذه الأجسام لا تختفى ، بل تبقى فقط فى انتظار أن تعود الى العمل مجددا اذاعادت الجراثيم مرة أخرى . ولكن قد يطرأ على الجسم خلل ما ، يجعل هذه الأجسام المضادة تتحرك لمواجهة مواد غير جرثومية وغير سامة ، ويعنى ذلك أن الاجسام المضادة تخطىء فى تحديد عدوها ، وتصبح سببا فى احداث الاضطرابات بدلا من حماية الجسم .

ويشرح الطبيبان كيمشيج وتيركو ايشيزاكا كيفية عمل أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) بالشكل الآتى : عند دخول الجرثومة للمرة الأولى الى الجسم ، تنتج الكرات البيضاء كميات هائلة من (الاميونوجلوبيولين إى) الذى تتجمع جزئياته التى قد تبلغ نصف مليون جزء على خلايا (الماستوسيت) ، التى هى نوع من الكرات البيضاء ، وجزء من جهاز المناعة ، وتقع على سطوح الجلد ، والغشاء المخاطى المبطن للجهاز التنفسى ، والامعاء وحول الأوردة الصغيرة . وتجمع جزئيات (الاميونوجلوبيولين إى) على سطح (الماستوسيت) يحفز هذه الأخيرة على اطلاق (الهستامين) والمواد الأخرى ، التى تسبب بدورها انطلاق الاجسام المضادة المحاربة والكرات البيضاء من الأوعية الدموية ، وخروجها منها لتدخل الى الأنسجة المصابة بالجراثيم

وعندما تعود الجرثومة الى الجسم مرة ثانية ، فان أجسام (الاميونوجلوبيولين إى) تسبب بعد دقائق فقط من دخول الجرثومة ، أعراض التهاب على مستوى الأغشية المخاطية والأنف والعينين والجهاز الهضمى والرئتين والجلد .

لكن كما سبق القول تخطىء أجسام الاميونوجلوبيولين إى) فى تحديد عدوها عند المصابين بالحساسية ، فتطلق الهستامين والمواد الكيماوية المسببة لظهور أعراض الحساسية فى مواجهة مواد أو عناصر غير سامة . وتؤدى الاصابة بالحساسية الى حدوث ظاهرتين أساسيتين ، الأولى : هى ارتفاع قابلية الشرايين لامتصاص بعض المواد الموجودة فى الدم ،

ولفظها الى الخارج ، وهذايفسر سبب حدوث التورم . والثانية ، هى تقلص العضلات الملساء ، وهكذا تتقلص الشعب الرئوية ولا تسمح بمرور كمية كافية من الهواء ، وهذا ما يحدث فى أزمات الربو .

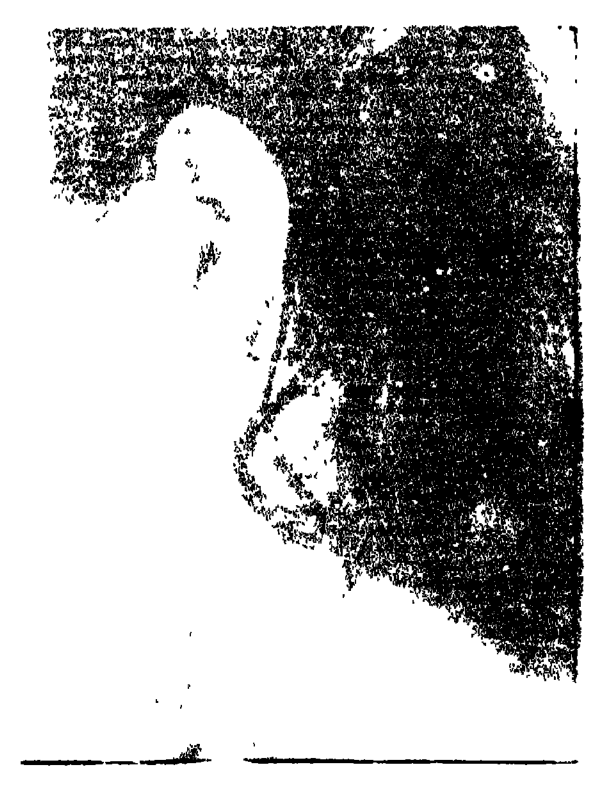
ويعتقد الباحثون أن الخلل فى عمل الأجسام المضادة يعود الى نقص فى نوعين من الكرات البيضاء ، هما الكرات المساعدة والكرات المانعة ، لكن أسباب هذاالنقص ما زالت بدورها غامضة .

وقد أدت معرفة كيفية عمل الأحسام المضادة عند المصابين بالحساسية الى تحسين الفحوص المعملية الهادفة الى كشف المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الفحوص وأكثرها تقدما يقوم على أخذ عينة من الدم ، وقياس كمية الأجسام المضادة فيها ، وبعد ذلك يؤخذ مصل دم المريض ، ويوضع مع المواد التى يشك فى أنها تسبب الحساسية ، ومن خلال ردود فعل الأجسام المضادةيتم تحديد هذه المواد بشكل دقيق .

هذا على مستوى تشخيص الأسباب ، أما على مستوى العلاج فليس هناك حتى الآن حلول جذرية ، وغالبا ما يتجه العلاج الى الغاء المادةالمسببة للحساسية ، بسبب العجز عن القضاء على تأثيرها فى الجسم .

العلاج المضاد

وفى انتظار التوصل الى العلاجات الجذرية يستمر الأطباء فى تطوير طريقة العلاج المضاد ، التى ابتكرها الأمريكى (كوك) منذ أربع سنوات ، والتى تعتبر آخر الانجازات فى هذا المجال . وتقوم هذه الطريقة على مبدأ بسيط ، وهو مقاومة الداء بالداء . فاذا كان المريض مصابا بحساسية تجاه مادة معينة ، فان العلاج يقتضى اعطاءه كميات من هذه المادة نفسها مرة



لا حلول جذرية حتى الآن للحساسية

فى الأسبوع عند البداية ، ثم مرة كل أسبوعين ، ثم مرة كل شهر ، والهدف من ذلك هو تعويد الجسم على المادة المذكورة . وقد لاقت هذه الطريقة نجاحا بنسبة ٨٠٪ فى حالات الحساسة ضد الاعشاب ، و ٦٠٪ فى حالات الحساسية ضد غبار المنزل ، لكنها لم تؤد الى نتائج هامة فى اصابات الربو وبعض حالات الأكزيما .

على أنه يبدو أن العلاج بالابتعاد عن المواد المسببة للحساسية سيبقى هوالأساس ، الى حين التوصل الى كشف ميكانيكية الحساسية وأسبابها الداخلية .

اجراءات الوقاية

ينصح الأطباء بعدد من الاجراءات العملية التى يمكن لكل شخص أن يمارسها ، اذاما شعر بأن ردود فعله تجاه بعض المواد غير طبيعية . ... هذه الاجراءات : الملاحظة ؛ ويعنى ذلك

عب على المريض أن يلاحظ بدقة مواعيد حدوث لحساسية ، وشكلها ، والغذاء الذى يتناوله ، الاشياء التي يلامسها ، والأماكن التى يرتادها عده التفاصيل ضرورية ، لان الحساسية تنتج حيانا من أسباب لا تخطر على البال ، بحيث يصاب بالدهشة حين يعرفها ، فمن مايعرف أن الحساسية ضد الغبار ناتجه من وجود حشرة ميكروسكوبية فى الهواء تسمى « القراء »

واذا ماتأكد المريض من اصابته ، يجب عليه أن يستشير الطبيب ، ويزوده بجميع المعلومات التى جمعها . والى جانب فحص الدم الذى سبقت الاشارةاليه ، هناك عدد آخر من الفحوص والاختبارات الكفيلة بتحديد المواد المسببة للحساسية ، وأحد هذه الاختبارات يسمى « المربعات » « وهو يقضى برسم مربعات صغيرة على الجلد ، توضع فى كل واحد منها نقطة من سائل يحتوى على مواد معروفة بأنها تسبب الحساسية ، مثل تراب المنازل ، والنباتات ، والمواد الكيماوية ، وشعر القطط ، أو الكلاب » الخ فاذا ظهر احمرار جلدى فى أحد هذه المربعات ، فان المريض يكون مصابا بحساسية تجاه السائل الموضوع فى ذلك المربع .

أما النوع الثانى من فحوص كشف الحساسية فيدعى « الشرائط اللاصقة » وهى عبارة عن مستحضرات من مواد مسببة للحساسية ، تثبت على الجلد بوساطة الشرائط ، ثم تنزع الشرائط بعد وقت معين ، ويفحص الجلد تحتها لمعرفة ما اذا كان ملتهبا أم لا . وهناك حاليا حوالى ثلاثمائة نوع من الشرائط المحتوية على مواد مختلفة ، منها النباتات ، والمواد المتعفنة ، وبعض المواد الغذائية ، أو الأنسجة الصناعية ، مثل النايلون

وادالم تظهر على المريض أى ردود فعل بعد الفحص ، فيمكن عندئذ اللجوء الى طريقة الفحص المباشر ، القائم على دفع المريض الى ابتلاع المواد المشكوك فيها ،وهذا ما يحدث عادة للمرضى المصابين بحساسية تجاه بعض الأغذية .

ان هذه الفحوص كفيلة بكشف سبب الحساسية ، ويبقى على المريض أن يساعد طبيبه فى إنجاح العلاج ، وذلك بالابتعاد بقدر المستطاع عن مسببات الحساسية ، اذ أن نجاح العلاج يتوقف فى جزء كبير منه على المريض نفسه . □

ابن ماجد وكتابه الفوائـــد



من أنفس الكتب التى الفها البحار العربى « احمد بن ماجد » كتاب « الفوائد فى معرفة علم البحر والقواعد » ، والكتاب مكون من مائتى صفحة كل صفحة ٢٣ سطرا ، ويتضمن معرفة طريقة سير السفن فى البحر بمعرفة منازل القمر ومهب الرياح ومعرفة القبلة .

يقول ابن ماجد فى مقدمة كتابه اعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسبابا كثيرة فأولها معرفة الشمس والقمر ، والأرياح ومواسمها وآلات السفينة ، وينبغى ان تعرف مطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها ، وينبغى ان تعرف جميع البرور واشاراتها كالطين والحشيش ومد البحر وجزره ، وينبغى للمعلم ان يعرف الصبر من التوانى ويفرق بين العجلة والحركة .

والحذر كل الحذر من صاحب السكان ، لا يغفل عنه ، وما صنفت هذا الكتاب الا بعد ان مضت لى خمسون سنة ، وما تركت فيها صاحب السكان وحده الا ان اكون على رأسه أو من يقوم مقامى .





البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين أحمد أمين

قال تعالى (وإنَّ من أهل الكتاب لمَنْ يؤمن بالله ، وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ، خاشعين لله ، لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) آل عمران ١٩٩

قال قتادة : نزلت فى نجاشى الحبشة ، وهو نصرانى . وذلك أنه لما مات ، قال رسول الله ﷺ لاصحابه : اخرجوا فصلّوا على أخ لكم قد مات قالوا : ومن هو؟ قال : النجاشى ثم صلّى النبى وكبر أربع تكبيرات ، واستغفر للنجاشى ، وقال لأصحابه : استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلّى على حبشى نصرانى لم يره قط ، وليس على دينه ! فأنزل الله تعالى هذه الآيات

وقال مجاهد وابن جريج . نزلت الآية فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم .

وقريب من هذا المعنى ماورد بالآية ٦٢ من سورة البقرة . (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وكذا بالاية ٦٩ من سورة المائده

ولايضاح هذا الموقف النبيل الذى وقفه رسول الله من مسيحى صالح ، نقول : ان الاسلام دين الله وهو لم يظهر خلال القرن السابع الميلادي ، وانما منذ بدء الخليقة .

ذلك أنه حين خلق الله الكون ، قضى بأن تعمل قوى الطبيعة وفق انماط وقوانين شرعها لها . ولم يكن ثمة بد من اطاعة هذه القوى لتلك القوانين الى أبد الآبدين هذه الأنماط والقوانين الطبيعية هي آيات الخالق وبوسع كل من له عقل يفكر أن يفهم منها ، متى تأملها ، حكمة الله وعزّته

كذلك فانه حين خلق الله الانسان ، وضع للحياه البشرية نمطا وقوانين ينبغى على الانسان اطاعتها والحياة على هديها فقد شرع الله منذ البداية قواعد السلوك الواجب على المرء الالتزام بها تجاه خالقه وتجاه الناس من حوله ، ورسم له المبادىء كي تحكم تصرفاته وسلوكه الفردي والاجتماعى ومع

الانسان ليس الا ظاهرة اخرى من ظواهر الطبيعة ، فهو يختلف عن سائر المخلوقات ، في انه حرّ ودو وعي بداته ورغم أن الله حدد له - كما حدد لسائر المخلوقات-الطريق الأمثل للتصرف والسلوك ، فإن الانسان وحده هو الذي وُهب القدرة على الاختيار ، بين انتهاج هدا الطريق وبين الحيدة عنه فهما ادن خير أبدي ، لكن الانسان حر في تنسيه أو عدم تنسيه ، وهي مسئولية جسيمة.

ويكمن خطر هده الحرية فيما يتهدد المجتمع البشري من التحلل و الفوضى ، من كان اختيار الانسان غير سليم كذلك فان الله قد وعد أولئك الدين يسيرون على الصراط المستقيم الجنة ، وأعد لغيرهم عداب النار ولم يشأ الله أن يترك البشرية دون هداية ، بصدد الطريقة المثلى للحياة والسلوك فقد اطلع الانسان مند البداية على قانونه الذي استنه له ، وحدد له مايجب أن يفعله ، ومايجب أن يتجنب فعله . وبدا فقد بدأ التاريخ البشري والانسان يدرى ماهية الخير والشر

غير انه بمرور الوقت ضلّ وتعثّر وأهمل الناس أو نسوا أو حرفوا الرسالة ، حتى الوقت الذي لم تعد البشرية تذكر فيه شيئا عن الشرع الالهى فهجران الانسان للطريق السوي لم يصدر عن مجرد عصيان لارادة الله ، وانما جهل وتخبط وحيرة ، وشاءت رحمة ربك أن يبعث برسول يشرح الرسالة من جديد ، وليفصح عن نفس المعاني القديمة للقانون الأزلي غير أن الناس بمرور الوقت أهملوها من جديد ، ومنهم من حرفها ، وتكررت الظاهرة عدة مرات في عدة أقطار غير أنه بالرغم من تعدد الرسل كانت الرسالة دوما واحدة

وقد حفظ القرآن لنا أسماء بعض هؤلاء الرسل ، من بينهم موسى وعيسى ، فأما رسالة موسى فقد تابعها قوم ، ثم وقع بعضهم بعد ذلك في خطأين أول أنهم حرفوا الكتاب المقدس .
ثاني . أنهم توهموا أن الرسالة الموجهة الى العالمين ، موجهة الى قومهم فحسب ، لا الى البشرية قاطبة

لذلك فقد أرسل الله عيسى بن مريم ، كي يعود بالناس الى الطريق الحق وقد فهم أتباعه من النصارى جيدا أن البشرية جمعاء هي المقصودة بالرسالة غير أن بعضهم أخطأ إذ عدالرسول دون مصدر الرسالة ، وركز اهتمامه عليه دون فحواها وتعاليمها ، وأكد جانب تقوى الفرد ، دون ضرورة السعي وراء اقامة عدالة اجتماعية في المجتمع البشري

وهكذا تقلب الانسان من ضلال الى ضلال ، حتى بدا وكأنما لن يقدر له أبدا أن يلزم نفسه بعدم الحيدة عن الطريق السوي غير أن رحمة الله سبحانه كانت أوسع من أن يتركه في عمايته وغيه ، فعاد يوضح الرسالة الأبدية مرة أخرى وبصورة نهائية ، واختار محمدا لابلاغها البشرية وهكدا عاد الاسلام الدي كان قائما مند الأزل ، ليظهر من جديد في القرن السابع الميلادى وعلينا أن نتذكر دائما هده الحقيقة وهي أن المسلمين ليسوا فقط من قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عند تبليغه اياها أو بعد ذلك ، وانما هم مسلمون أيضا أولئك الدين قبلوا أيا من رسالات الأنبياء قبل محمد ﷺ ، وعملوا بما أوصت به ودعت اليه ، وامنوا بالله واليوم الآخر وبما أنزل اليهم ، وكانوا في علاقتهم بالله وبالناس من حولهم خاشعين صالحين ، ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا (أي لم يحيدوا عن تعاليم الرسالة في سبيل كسب دنيوي) ، ولم يحرفوا هده الرسالة ولم يدعوها تندرج في طيّ النسيان

وهدا هو السر في أن محمدا ﷺ صلىّ على نصراني ودعا المسلمين الى الصلاة عليه وقد أخطأ المنافقون خطأ فاحشا اد قالوا إن النجاشي ليس على دينه ، وكان خطؤهم أفدح اد استنكروا الصلاة والاستغفار له ، واعتبار النبي إياه أخا له ولسائر المسلمين ، وجاءت الايات توضح أن النصارى واليهود والصابئين المؤمنين الصالحين (فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) □







■■ تغيير نظام الإعلام في الوطن العربي ■■

قضية الحرّيات الصّحفية

بقلم : حمدي قنديل

تقوم اللجنة العربية لدراسة مشكلات الاتصال التي شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بنشر تقريرها حول الاتصال في الوطن العربي ، في ضوء قيام نظام اعلامي جديد ، في بداية هذا العام والكاتب ـ الذي ساهم في بعض أعمال اللجنة ـ يتعرض هنا لواحدة من أكثر القضايا حساسية في النظام الجديد ، وهي قضية الحريات الصحفية

ورثت معظم الدول النامية عند استقلالها نظاما اعلاميا تخضع فيه وسائل الاتصال لسيطرة الحكومة فقد كانت هذه الوسائل قبل الاستقلال أجهزة تابعة لسلطات الاحتلال أو خاضعة لسيطرتها ولقد كان هذا هو الحال في معظم الأقطار العربية وإذا ضربنا مثالا باليمن الديمقراطية فسوف نجد أن محطة عدن للاذاعة التي بدأ ارسالها عام ١٩٥٤ ، كانت تعتبر جزءا من دائرة العلاقات العامة والنشر ، التي كانت بدورها تابعة للحكومة البريطانية في مستعمرة عدن ، ممثلة في الحاكم العام البريطاني نفسه أما فيما يتعلق بالصحافة ، فقد كانت أو[ل] صحيفة تظهر في عدن هي صحيفه « فتاة الجزيره » التي صدرت في البلاد وكانت هذه الصحيفة تمث[ل] السياسة الرسمية للادارة البريطانية على ك[ل] المستويات ، ويكفي للتدليل على ذلك أنها رفض[ت] الدعوة ان تكون عدن للعدنيين ، وان تمنح المستعم[رة] الحكم الذاتي في اطار الكومنولث البريطاني

سيطرة الدولة على وسائل الاتصال

وهكذا فعندما حصلت الدول النامية على استقلالها ، نجد أنها لجأت الى الاسلوب الذي تأسست عليه وتربت في كنفه ملكية وسائل الاتصال وإدارتها وتسييرها بواسطة الدولة ولقد كان هناك عامل هام آخر شجع على اتباع هذا الاتجاه ، هو أن الموارد المتوفرة في تلك الدول الوليدة لم تكن تسمح لجهة غير الدولة بانشاء وسائل الاتصال ، وكان هذا العامل أوضح ما يكون في مجال الاذاعة والتلفزيون ، اذ لم يكن هناك رأسمال خاص وطني يكفي لانشاء الاستديوهات ومحطات الارسال كما أن المستثمرين الأجانب لم تكن لديهم الثقة الكافية في استقرار الأحوال بعد الاستقلال ، على النحو الذي يضمن لهم استثمار أموالهم في أمان ، في مجال حساس مثل الاعلام ، يخضع أكثر من غيره للتقلبات والمفاجآت السياسية ولم يكن هناك ترحيب بهم في هذا المجال على أي حال

ولكن السبب الرئيسي لملكية الدول ـ حديثة الاستقلال ـ لوسائل الاتصال ، وسيطرتها عليها ، هو أن هذا النظام الاعلامي هو النظام الذي يتلاءم مع نظامها السياسي والاقتصادي في كثير من الأحوال فلقد أخذ الكثير من هذه الدول بنظام الحزب الواحد في الحياة السياسية والتخطيط المركزي في الحياة الاقتصادية ، وبموازاة ذلك كان من الطبيعي الا يكون هناك سوى صوت اعلامي واحد تابع للسلطة المركزية ولقد كانت هذه السلطة ترى أنه حتى تحكم قبضتها على كافة أوجه الحياة في البلاد ، فمن الضروري لها أن تسيطر على الاعلام تماما كسيطرتها على الجيش ، فعن طريق هذه السيطرة على كلتا المؤسستين ، يأمن النظام القائم من غدر المناوئين والمعارضين

ولذلك فلم يكن غريبا في سوريا في الخمسينيات ... الناس بأن الذين نجحوا في القيام بواحد أو ... من الانقلابات المتتالية عندئذ ، هم الذين ... فطوا قبل غيرهم ليستولوا على الاذاعة ولا كان ... ـا أيضا أن يعيش العسكريون في اكثر من بلد على ... وزارات الاعلام بالذات وليس في الأمر ... ـفة أن يُقتل عبد الكريم قاسم في استوديو التلفزيون في بغداد ، أو أن يعيش السادات على اوكسجين التلفزيون المصري والعربي ، أو أن يخاطب عبد الناصر الجماهير العربية ولقد حدث الشيء نفسه في الصين أيام ماو . ليس في هذا كله صدفة ولا غرابة ، لأن أجهزة الاعلام لها بريق اصافي خاص لدى الحكومات ، فهي التي تتولى اسرار الحكم ، وتعزز بذلك من هيبته وسلطانه ، وتصل برسالته الى الناس مباشرة دون وسيط ، حتى ولو كان الوسيط هو حكومة الحاكم ذاتها أو حزبه أو عصبته

وفي الوقت نفسه فلقد كان لدى حكومات الدول المستقلة حديثا أمل كبير في وسائل الاتصال كانت تأمل مثلا في أن تستطيع هذه الوسائل معاونتها على توحيد الأمة ، التي كانت في أغلب الأحيان ممزقة تحت الاستعمار ، وكانت تأمل في أن تمكنها هذه الوسائل من حشد المواطنين للمشاركة في خطط التنمية ، وكذلك أن تسهم في نمو الأمة ، وفي تدريب الصغير وفي التثقيف والترفيه . ولذلك نجد أنه في الستينيات راجت موجة « الاعلام الانمائي » أو الاعلام المساند للتنمية التي وجدت لها انصارا كثيرين في المؤسسات الدولية والوطنية على السواء ، وكذلك بين الحكام والباحثين والعاملين في مجالات الانماء المختلفة الا ان هذه الموجة واجهت عثرات متعددة . وتحول الاعلام الانمائي في أحيان كثيرة الى اعلان ودعاية وتلفيق ، وابواق جوفاء تطبل للحكومة والحاكم

ضغوط لتحرير الكلمة

ومع مرور الزمن بدأ الضغط يتزايد ، حتى تخفف الدولة قبضتها عن وسائل الاتصال وكان من المأمول أن تساعد على هذا الضغط عوامل متعددة ، فهناك نضوج الكثير من الدول النامية ـ وبخاص منها تلك الأقدم عهدا بالاستقلال ـ وقيام المؤسسات فيها . وهناك أيضا استثارة الرأي العام نتيجة لتوافر التعليم ، وثورة الاتصال والاحتكاك بالعالم الخارجي بالاضافة الى ذلك بدأت مهنة الصحافة ذاتها في التطور ، كما أن الصحفيين اكتسبوا مكانة أفضل في المجتمع . كذلك فقد كان من المفترض أيضا أن تكون هذه البلدان قد اجتازت الظروف الاستثنائية التي كانت تواجه فيها الاعداء المتحجين

في الخارج والمتسترين في الداخل ، وأن تكون قد تحررت أيضا من بعض العقد التي كانت تحكم تعاملها في السابق مع البلدان الأجنبية ومع المعارضة الوطنية

الا ان هذا الضغط لم يفلح كثيرا ، لأن هذه العوامل لم تتوافر جميعا ، أو انها لم تتوافر بالقدر الكافي وظلت الغالبية من الدول النامية أبعد ما تكون عن الاستقرار ، الذي تزدهر فيه الحريات الصحفية وسواء كان ذلك عن حق أو عن باطل ، بسبب جدي أو مفتعل ، فقد استمرأت هذه الدول أن تعيش في ظل ظروف استثنائية ، والاقطار العربية في ذلك مثل لا يبارى ، حيث لم نسمع عن مرحلة في تاريخنا الحديث مر بها بلد من بلداننا الا ولقبناها بالمرحلة الحاسمة ، أو المرحلة الحرجة ، أو على الأقل المرحلة الراهنة وهكذا أصبحنا ـ مهما اختلف الزمان أو المكان، اقتضى الأمر أو لم يقتض ـ أسرى لتلك المرحلة الراهنة التي ليس للكلمة الحرة منها مكان

ولكنه عندما كانت الظروف أو الضغوط تتهيأ لسبب أو لآخر لتحرر الكلمة ، فان تلك الحرية عادة ما تكون جزئية أو محددة وفي معظم الأحوال كانت الكلمة المكتوبة هي التي تتحرر من قبضة الدولة في البداية . وكان هذا يرجع في الغالب الى أن الصحف كانت أعرق في تاريخها من تاريخ الاستقلال ذاته فلقد صدر أول عدد من « الوقائع المصرية » بالعربية في عام ١٨٢٨ ، وكانت الجريدة الثانية التي ظهرت في تاريخ الصحافة العربية هي « المبشر » الجزائرية ، وذلك في عام ١٨٤٧ ، وبعدها « الانباء » اللبنانية في عام ١٨٥٨ . وتتالى صدور الصحف في الاقطار العربية بعد ذلك وبالرغم من أن عددا كبيرا منها بدأ على يد سلطات الاحتلال عثمانيا أو فرنسيا أو بريطانيا أو ايطاليا ، الا أن الصحافة الوطنية سرعان ما ظهرت لترتبط بأماني الشعب وقيمه الثقافية والروحية ويكفي هنا أن نضرب المثل بمجلات مثل « الرسالة » و « المقتطف » و « العروة الوثقى » و « البصائر » و « الزيتونية » .

حرية الصحافة

كان هذا التاريخ العريق هو الذي أتاح للصحافة أن تتحرر دون غيرها من وسائل الاتصال اذا ما ارتخت القيود وكان السبب الآخر لتحرر الصحافة أولا هو أن تأثير الكلمة المكتوبة مقصور على طائفة محددة ، هم هؤلاء الذين يجيدون القراءة وربما كان هذا هو نفس السبب الذي حدا بالدولة أن تعطي أيضا حرية نسبية لنشر الكتب وعلى أي حالة فلقد كان قلم الرقيب هناك في النهاية كما أن مقص الرقيب مسلط على السينما هي الأخرى ولذلك فلا بأس أن تترك السينما في معظم الدول النامية في يد القطاع الخاص . ولقد حدث هذا أيضا لأن الدولة ظلت حائرة في تصنيف السينما ، فهي مرة تعتبرها من وسائل الاتصال الحساسة ، ومرات تعتبرها من أجهزة الثقافة التي لا يأبه بها أحد كثيرا ، شأنها شأن المسرح والفنون الأخرى كما أن الدولة كانت مطمئنة الى أن السينما ستظل أولا وأخيرا وسيلة ترفيه ، وأن المنتجين سوف يكونون مهتمين بالشباك وايراده

أما الاذاعة والتلفزيون فأمرهما يختلف تماما فهما في كثير من الأحيان لا يسجلان على صحيفة ورق أو على شريط فيلم بحيث يمكن مراقبتها أولا ، كما ان اشارتها تصل في التو واللحظة دون أي عوائق الى المستمعين والمشاهدين ، الذين يمثلون جمهرة كبيرة لا يقارن بها قراء الصحف والكتب ، أو رواد السينما والمسرح ولذلك فنادرا ما نجد الدولة تترك الاذاعة والتلفزيون لغيرها ، فقد كان هذان الجهازان يمثلان دائما بالنسبة للدولة جزءا لا يتجزأ من كيانها ، بل دليلا يؤكد هذا الكيان وكان هذا هو شأن وكالات الأنباء تماما ، حيث أنها تعتبر المنبع الذي تصب منه كل الأنباء وتتسرب وفي المغرب مثلا يعين مدير الوكالة بواسطة الديوان الملكي ، في حين يعامل مراسلو العديد من وكالات الانباء في الخارج كدبلوماسيين

ولا يجد علاة المنادين بالحريات الصحفية في الدول النامية غرابة كبيرة في تدخل الدولة في وكالات الأنباء ، بل ان بعضهم ينادي بتدخلها لتطوير صناعة السينما والارتقاء بأفلامها ، وكذلك بتدخلها للتوسع في نشر الكتب . كذلك فان ملكية الدولة وادارتها للاذاعة والتلفزيون لا تجد معارضة ملموسة ، وتقتصر المطالب في هذا المجال على مناشدة الدولة أن تفتح أبواب هاتين الوسيلتين للآراء الأخرى ، و

بعدت دلك الى المطالبة بتشكيل مجالس لها ، تصع السياسات العليا ، توحد بين اعصائها شحصيات عامة تحتار لداتها ؛ وكدلك ممثلون للتيارات السياسية والفكرية المختلفة

والواقع أن الدولة تتدحل في العمل الاعلامي في كل مكان ، حتى في الدول التي تتبع النطام الليبرالي وفي الولايات المتحدة نفسها نحد أن اداعة « صوت أمريكا » تابعة للحكومة .

ولكن الطاهرة الهامة في دول الغرب الآن ، هي تركيز ملكية وسائل الاتصال في أيد قليلة ولا يمصي يوم الآن الا وتندمج فيه صحيفة في امبراطورية اعلامية كبيرة ، أو تختفي تماما ، لانها لا تقوى على المنافسة ولا تتاجر امبراطوريات الاعلام في الكلمة وحدها ، وانما في عيرها من السلع أيصا ، ولا تقتصر على الحدود الوطنية وانما تغطي دولا عديدة ، وتقول مجلة « فورس » ان هناك ١٣ عائلة تعمل في مجال النشر ، بين العائلات الاحدى والاربعين التي تعتبر أغنى العائلات الأمريكية وقد داع في العالم كله اسم المليونير الاسترالي « روبرت ميردوك » الذي تمتد ممتلكاته الاعلامية كل يوم كالاخطبوط ، خصوصا في الولايات المتحدة وبريطانيا . وفي فرنسا هناك رحل واحد هو روبير ايرسان بلغ دخله السنوي عام ١٩٨٢ حوالي ٥٠٠ مليون من امبراطوريته الاعلامية ويمتلك ايرسان صحفا يقدر قراؤها بنحو ٢٠٪ من قراء الصحف في فرنسا اى أن رحلا واحدا يستطيع أن يؤثر في قرارات واتجاهات خمس سكان البلاد

سيطرة أباطرة الصحف

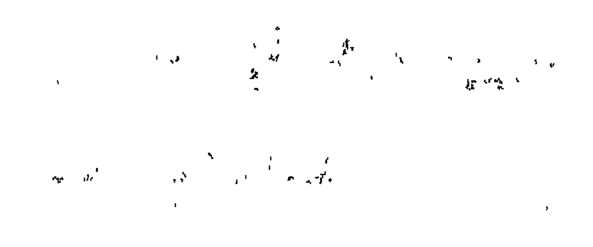
ولهؤلاء الأباطرة مصالحهم الخاصة ، التي تملى ما ينشر في صحفهم وقصة امبراطور الصحافة البريطانية « تايني رولاند » مع رئيس تحرير احدى صحفه ، وهي صحيفة « الاوبزرفر » قصة شهيرة . ولما كان رولاند يملك عدة شركات في زيمبابوي ، فقد أراد من رئيس التحرير أن يبدل مقالا انتقد فيه ... ، مما أدي برئيس التحرير أن يقدم استقالته . ... تسوية الأمر قبل أن يشغل الصحف البريطانية ... طويلة . واذا ما اختلف الصحفيون العاملون بهذه الامبراطوريات في الرأي مع أصحابها فليس أمامهم طريق سوى الاستقالة أو الفصل . وفي عام ١٩٧٥ مثلا استقال عدد من كبار الصحفيين في جريدة « لوفيجارو » عندما أراد ايرسان أن يتدحل في تحرير الصحيفة وعدما اشترى ايرسان ٥٠٪ من أسهم جريدة « لوسوار » في العام التالي أصرب المحررون لمدة ستة أيام .

ومن الصعب أن يجادل احد في أن الاحتكارات التجارية للاتصال أصبحت تسيطر على توجيه الرأى العام ، مستخدمة في أحيان كثيرة الفصائح والمواد المثيرة ، التي تريد التوزيع وتجتذب الاعلانات وتحول هذه الاحتكارات بين الناس وبين معرفة الحقيقة ، وفي كندا مثلا توصلت لجنة شكلتها الحكومة في عام ١٩٨٠ الى أن « صناعة الصحافة في البلاد مضادة للصالح العام ومنافسة له بشكل واضح مباشر » لأن الصحافة الخاصة لا تستطيع أن تصمن حرية الكلمة . وهي في النهاية - شأنها شأن الحكومة - تصادر هذه الحرية

الضغوط التجارية والسياسية

وهكذا فإن المعنيين بقضية حرية الصحافة في الأقطار العربية شأنها شأن غيرها من دول العالم الثالث ، يجدون أنفسهم محاصرين بين نارين الضغوط التجارية التي يمارسها الاعلام الخاص ، والضغوط السياسية التي يمارسها الاعلام الحكومي

وليس هناك حتى الآن حل مثالي لنظام اعلامي ثالث كل ما يمكن قوله أن ذلك النظام لا يمكن أن يوجد الا اذا وقع تغيير في المنطق السياسي للدولة . كما أن هذا النظام سوف يختلف في أسسه وتطبيقاته من قطر الى آخر ، طبقا لمرحلة التطور والنضج السياسي والاجتماعي والاقتصادي التي وصل اليها ومهما كان الاختلاف ، فلابد للمؤمنين بالحرية المسئولة للصحافة أن يسعوا الى تغيير نظم الاتصال في بلدانهم ، بحيث تقوم على تعدد الآراء والحوار لا على القسر أو الاثارة ، ذلك هو المنفذ . وبالرغم من عسره وتعقيده وتشابك المشكلات فيه ، الا انه يكاد يكون السبيل الوحيد الذي نقيم به اتصالا نافعا لكل من يشارك فيه من أطراف ، يسهم في استقرار المجتمع العربي وتقدمه .





حول تعريب التعليم في الجامعات

تناولتم فى العدد رقم ٣٢١ (أغسطس ١٩٨٥) فى منتدى العربى قضية تعد من أهم القضايا فى وطننا العربى وهى قضية « تعريب التعليم فى الجامعات » بقلم الأستاذ عبدالرزاق البصير واسمحوا لى بتعقيب بسيط على هذا المقال .

ان قضية اعتماد اللغة العربية فى الجامعات هى قضية حساسة جدا على صعيدين اولهما صعيد المسئولين عن هذه الجامعات ، وثانيهما صعيد الطلاب ، سواء كانوا طلابا جامعيين أو غير ذلك ، فحين نتناول مثل هذا الموضوع يجب أن نبتعد عن كل ما هو عاطفى وألا نسمح للغتنا أن تجرفنا ، وبذلك نكون قد استطعنا الوصول الى طرف خيط القضية .

لقد ذكر الأستاذ البصير فكرة جميلة فى مقالته وهى « ان كل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، وان الاستعمار ابتلى أمما عدة مثلما ابتلانا » ، ولكن هل نظر الأستاذ البصير الى أمتنا العربية الاسلامية ان كانت حية أم لا ؟ ان حياة الأمم لاتكون فقط بالعودة الى اللغة والاقتباس ، أو الأخذ عن الغير ما هو صالح وطالح . لا أعتقد ان الكاتب أغفل ان الأمة العربية مهزومة منذ زمن وأن هزيمتها ليست عسكرية فقط ، بل هى ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ويساهم إعلامنا العربى بترسيخ عناصر هذه الهزيمة فى نفوس النشء والكبار من هذه الأمة . وأبسط مثال على ذلك أنك تستطيع أن تسأل ابن العشرين وابن الخامسة عشرة عن مايكل جاكسون والفيس برسلى ويجيبك بكل طلاقة وحماس ، بينما ان سألته عن أحد الأئمة المجددين فى الاسلام أو عن عروة بن الورد فسوف تجده أمامك مذهولا !!

ان مشكلة اللغة . . أو بالأحرى مشكلة تدريس العربية فى الجامعات هى خطوة مباركة ، اذا توفرت لها عناصر النجاح والاستمرارية بأداء مهمتها وأقصد أن ضعف المتعاملين باللغة يجب أن يعالج ابتداء من النشء فى المدارس حتى الجامعات . . لأن طالب المدرسة أصبح يكره اللغة وأصبح لذلك لايستطيع كتابة جملة عربية صحيحة ، سواء قواعديا أو إملائيا ، حتى بركاكتها وهزالها . أما عن طلاب الجامعات فانها مأساة . انا درست بجامعة اليرموك فى اربد بالاردن ولم أدرس سوى « مساقين » للغة العربية ، بينما اللغة الانجليزية أقرؤها وأسمعها يوميا اذن الضعف يبدأ من المدارس ، وتساهم فيه الجامعات بقلة عدد المساقات التى تفرض على الطالب فى لغته وتاريخه. وبالتالي يخرج الطالب العربى ضعيفا بالعربية ، ولا يتقن الانجليزية كما هو متصور ، ويؤدى ذلك الى عزوفه عن قراءة أى كتاب عربى ، لأنه لن يستطيع أن يستوعب محتوياته . . . أنا أتمنى على مجلة « العربى » أن تقوم بعمل استبيان بين الطلاب الذين يدرسون بجامعات تدرس العلوم باللغة الانجليزية ، الهدف منه معرفة قوة لغتهم العربية وحبهم للغة ، وبالتالى نستطيع أن نحكم ، ومن هنا نستطيع أن نتخذ القرار . وأنا واثق من

نحن الجامعيين ومعشر الطلبة لسنا سوى امتداد لهزيمة الأمة العربية ، عدا عن دور المدرسة والجامعة والمجتمع ، ولننظر الى دور وسائل الاعلام العربية أيضا ، فالبرامج والمسلسلات أو الأغاني يتسم أغلبها بالتفاهة ، بادعاء أن ذلك كله للتسلية البريئة فقط أما عن مذيعي الأخبار فلغتهم في العالب لغة ركيكة ، تشوبها الأخطاء اللغوية والأداء السيء

فكيف نستطيع أن نطالب أبناءنا وشبابنا بحب اللغة ومن ثم ممارستها ؟ استاذنا الفاضل النصير .. انظر الى اعلانات العمل في الصحف العربية ، ان لم يكن معظمها كتب بالانجليزية . فانها تطالب بأن يكون المتقدم علامة في لغة العم سام □

سامي موسى الشرقاوي

تعقيب

عن السد العالي

قرأت استطلاع الاخت / نجاح عمر عن السد العالي ، في العدد ٣٢٣ ، الصادر في ١١ اكتوبر عام ١٩٨٥ . وكان الاستطلاع الذي قامت به الكاتبة ، به حقائق كثيرة ، ولكن فلتسمح لي الأخت نجاح أن أقول ، وكان به أيضا بعض التجني على الحقائق والأخطاء في التسميات . ومن تلك الأخطاء تسمية « النوبة » بالمدينة ، اذ أن الأراضي التي غمرتها مياه البحيرة خلف السد العالي ، اسمها في التاريخ « مملكة النوبة المسيحية » وان كان الاسم اقتضب في التاريخ الحديث ببلاد النوبة ، بعد أن اعتنق النوبيون الاسلام عن بكرة أبيهم .

ومما شد انتباهي وأثار استغرابي في المقال ، هو وصف « النوبي » بالكسل .. فمن المعروف أن النوبيين كانوا يزرعون على مياه السواقي والشواديف « جمع شادوف » وأيضا من مياه الترعة التي كانت تشق الرقعة الزراعية التي ينحسر عنها مياه النهر ، وعودته الى مجراه الطبيعي في مواسم الصيف ، وتلك الأراضي في مجملها كانت محدودة المساحة ، وتكاد تنعدم في بعض المناطق ، عدا مشاريع بسيطة قامت في الأونة الأخيرة في بعض القرى النوبية .

وبما أن تلك المساحات البسيطة كانت تكفي لمجتمع وتفي بحاجاته الضرورية ، ولأن المجتمع النوبي كان مجتمعا يعيش في معظم احواله على المقايضة فيما بينهم ، لذا لم يكن يصبو ذلك المجتمع المادي بالطباع للزراعة بقصد الربح والمتاجرة ، فضلا عن أن امكانياتهم البسيطة ، التي لم يكونوا يطمعون في أكثر منها ، لم تكن تسمح لهم بزراعة محاصيل تفيض عن حاجات المنطقة ، فكان انتاجهم حسب قدرتهم وحسب حاجتهم وحاجة مواشيهم .. واذا كان بعضهم يسافر او « يهاجر » الى القاهرة او المدن الكبيرة ، فذلك شيء اعتيادي ، ولا يبقى مقياسا للكسل ، ومن اولئك اللذين كانوا يسافرون الى القاهرة ، من لم يكن مزراعا أصلا لقضاء جل حياته في القاهرة ، أو لأن والديه كانا يعيشان هناك ..

فمن النوبيين من لهم صفحات بارزة في كل مجالات الحياة ، في مصر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر زكي مراد ومحمد خليل قاسم ....

وأخيرا .. هل هذه مكافأة ، لمن ضحوا بأرضهم وتراثهم وتاريخ طويل لهم ، وبرفات اجدادهم ... وقوفا مع رجل التحديات ، مع جمال عبدالناصر ، لينفذ بارادته وبارادة الشعب المصري ذلك المشروع العظيم . دون أن ينظر النوبيون في ذلك الى مصالح شخصية . ؟ . وأدعو الكاتبة الى توظيف قلمها الشريف في وقف تلك النزهات النيلية التي يقوم بها أعداء مصر ، الى معبد أبو سمبل ، مرورا بالسد العالي « الهرم الرابع في أسوان ، أوقفوا تلك النظرات الحاقدة التي يلقيها الصهاينة على ذلك العمل العظيم » ... وألف تحية للكاتبة ، والى كل الشرفاء .

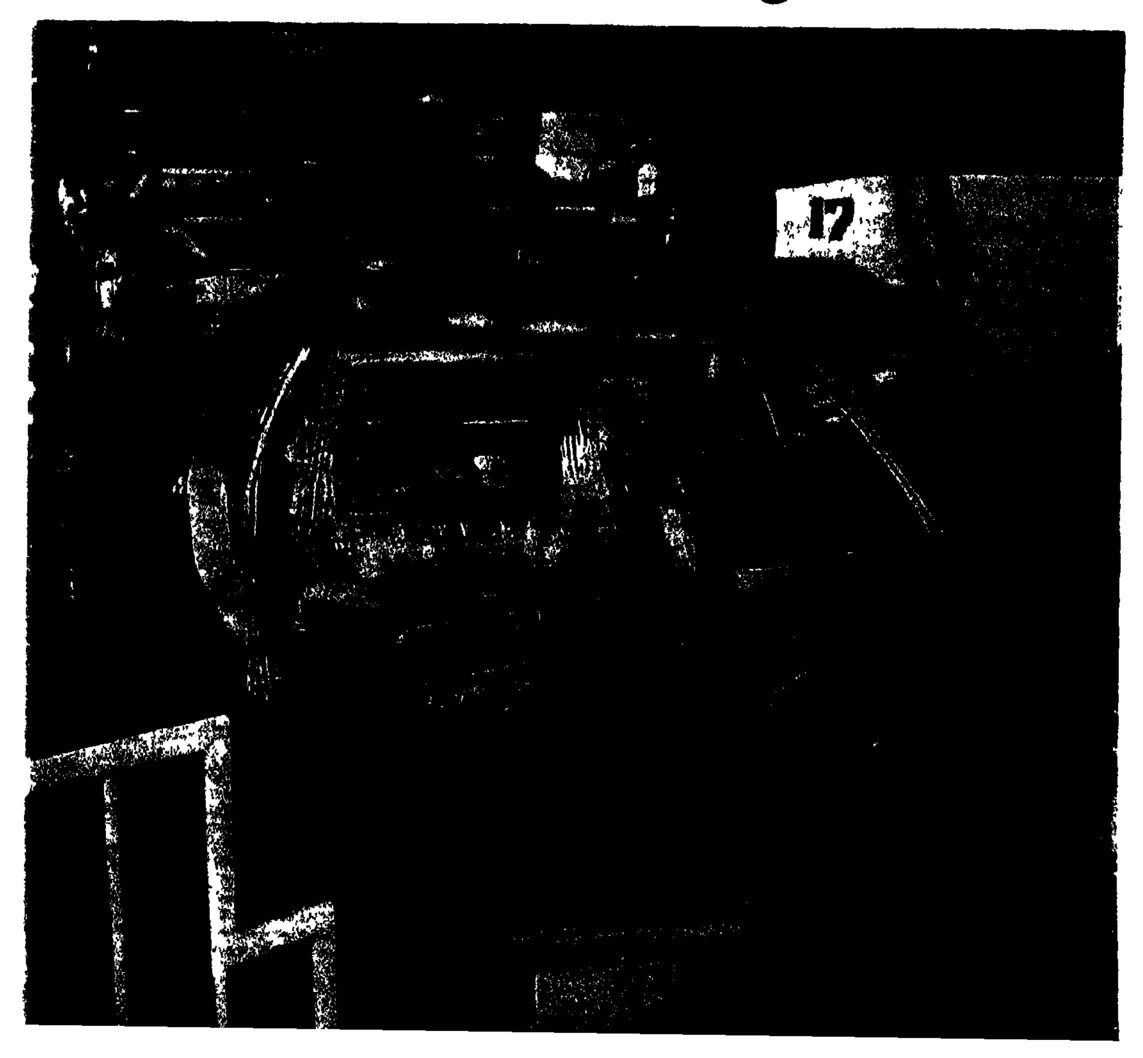
مكي سيف الدين

العربي
عيونك
على العالم

تحت مظلة
الحرية والسلام

شعب يعيش المستقبل

استطلاع : منير نصيف تصوير : طالب الحسيني




館

« عندما تنزل الهزيمة بامريء فقد تزيده الهزيمة حكمة »
« موريو كيتا* »

« شعب ينحني أبناؤه عندما يتبادلون التحية . . وينحنون أمام الزائر الغريب حتى قبل أن يعرفوه ، ولكنهم لا ينحنون أبداً للهزيمة .

وعندما كانت سفنهم تغرق في البحر الذي تسبح فيه جزرهم الصغيرة التي يعيشون فوقها ، وعندما كان أبناؤهم يسقطون في ميدان القتال ، أعلنوا في تحدّ : « نحن مائة مليون من البشر . . وعلى الأمريكيين أن يذكروا أن الموتى وحدهم هم الذين لا يركعون ! ! » .

قرأت هذه الكلمات للجنرال ماك آرثر القائد العسكري الأمريكي الذي حكم اليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . وحملت كلمات « الميكادو الأبيض » كما كانوا يسمونه ، في معكرتي الصغيرة وطرنا الى اليابان في رحلة طويلة الى أقصى الشرق البعيد وفي ذهني صورة لهذا الشعب الذي أريد أن أراه عن كثب !

وكان لقاؤنا بهذا العالم الجديد . بالناس الذين يعيشون فيه وينتمون اليه بالانجازات التي حققوها بالبلد الذي قام من العدم . كان اللقاء أشبه ما يكون بلقاء سكان الأرض بمخلوقات تسكن كوكباً آخر لا يمت الى كوكبنا بصلة ! فقد انتابنا ـ أنا وزميلي المصور ـ شعور غريب ، ونحن نحول بصرنا فيما حولنا خلال اللحظات الأولى لهذا اللقاء

الانسان الياباني :

الذي حدث ويحدث في هذه البقعة من الأرض ، ليس عادياً . هكذا رأيناه عندما التقينا به فجأة . ولكن شيئاً فشيئاً بدأنا نحس أننا ما زلنا على الأرض التي نعيش في طرف آخر منها . فالناس ليسوا من كوكب آخر كما قد يتبادر الى الذهن . . انهم مثل أي شعب آخر من الشعوب ربما يختلفون في أشياء أساسية . ولكنهم في النهاية بشر مثلنا

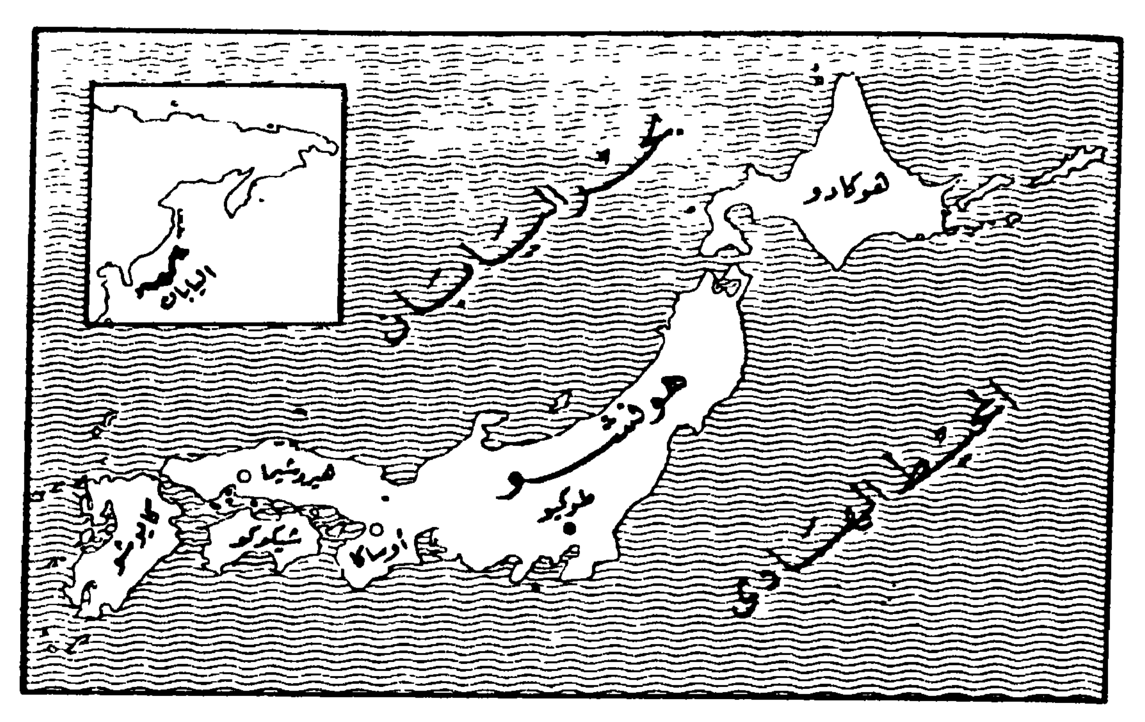
الانسان الياباني نفسه هو الذي استطاع أن يحقق تلك القفزة الهائلة التي نقلت بلاده الى مصافّ الدول الصناعية الكبرى . إنه العمل الذي يحبه ويقدسه ، حتى أصبح جزءاً من حياته ، يعيش معه ويفكر فيه حتى وهو بعيد عنه كلهم يعملون ، الرجل يعمل ، والمرأة تعمل ، وليس هناك عمل خاص للرجال وآخر للنساء ، ساعات العمل مليئة دائماً ، وليس هناك وقت ضائع كل شيء يعمل بحساب ، كل شيء نظيف لامع ، وكل شيء وضع في المكان الذي تستطيع أن تجده فيه دون أن تكلف نفسك مشقة البحث عنه

لقد أصبحت اليابان اليوم مصنعاً هائلاً لانتاج كل السلع الرأس مالية والاستهلاكية ، ولعل أهم تحول في الصناعة هو ذلك التفوق الذي حققته اليابان في الصناعات الدقيقة . وبصفة خاصة صناعة الساعات وآلات التصوير وأجهزة الكمبيوتر .

وقبل أن نمضي في هذه الرحلة السريعة التي لم تستغرق أكثر من اثني عشر يوماً ، نتوقف قليلاً لنسأل أنفسنا : « هل شاهدنا اليابان حقيقة ؟ » .

والجواب بالنفي ! لقد زرنا طوكيو العاصمة وثالثة

* موريو كيتا من أشهر كتاب اليابان المعاصرين ، بلغ عدد النسخ التي بيعت من كتابه الأخير « بيت نايري » مليون ونصف مليون نسخة



اليابان مجموعة من الجزر تسبح في مياه المحيط

أكبر مدن العالم اردحاماً بالسكان وحتى طوكيو نفسها لم نر منها إلا جانباً صغيراً يمثل نموذجاً للحياة في هذا البلد ، الذي أصبح حديث العالم كله وادن فالحديث لا بد وأن يبقى داخل هذا الاطار الضيق ، لأننا لو خرجنا عنه فكأننا جئنا اليابان في اتجاهاته الأربعة وهو ما لم يحدث !

لقد أمضى « ريك سمولان » RICK SMO-LAN الصحفي والمصور ، مراسل مجلة تايم الأمريكية عدة سنوات في طوكيو وغيرها من المدن اليابانية ، قبل أن ينتقل الى عمله الجديد في « استراليا » ومع ذلك فقد كتب يقول : « انني لم أر اليابان . . لقد سحرتني هده البلاد ، ولكن وقتي لم يكن يسمح لي برؤية كل شيء فيها ولذلك فانني أقترح أن يجتمع في طوكيو أكبر عدد ممكن من المصورين العالميين لنقل صورة لحياة الشعب الياباني ! » .

يوم في حياة اليابان ! :

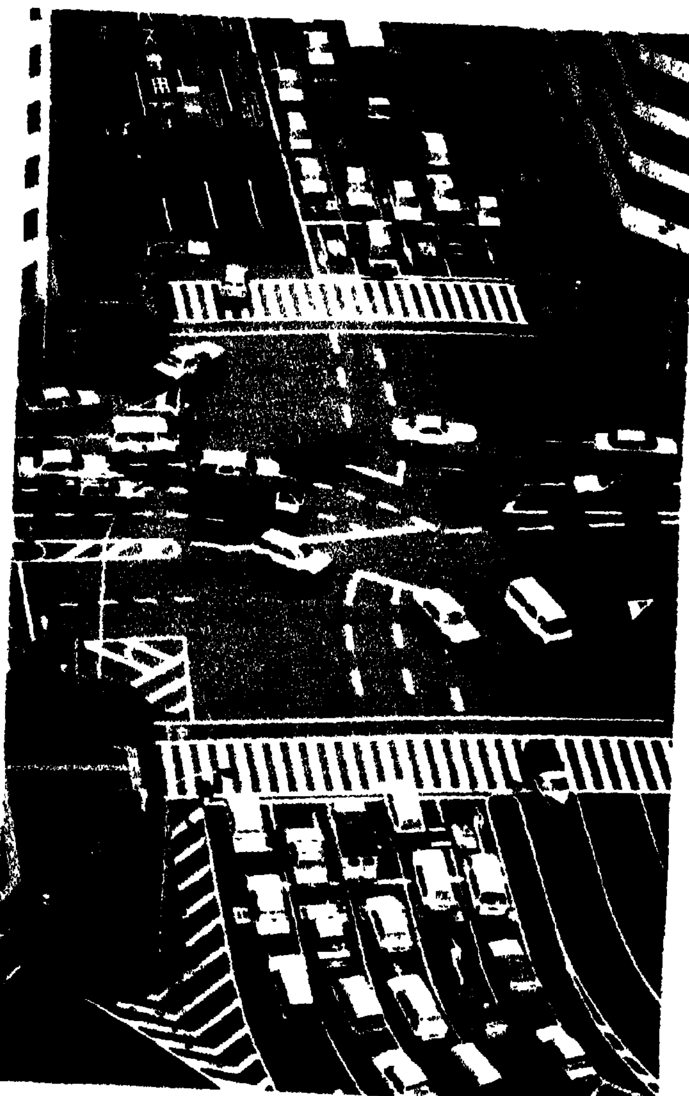
ولقي الاقتراح استجابة من أكثر من مائة مصور جاءوا جميعاً الى اليابان في شهر يونيو من العام الماضي ، وجمعوا صورهم في كتاب صدر أخيراً بعنوان « يوم في حياة اليابان » ، وهو يقع في أكثر من مائتين واربع وعشرين صفحة !

مادا رأوا وما الصور التي استوقفتهم وشدّتهم اليها أكثر من غيرها في أي بلد آخر ؟ لقد جمع هذا العدد الهائل من المصورين أكثر من ١٣٥ الف صورة في يوم واحد .

ومع هذا فان الذي رأوه في اليابان ليس جديداً بالمعنى المعروف ولكن عندما تمر أمة بمثل ما مرت به هذه البلاد يصبح كل شيء له معنى خاص فقد عرفت اليابان التمزق خلال عهود الاقطاع ، قبل عام ١٨٧٠ ، عندما كانت البلاد مسرحاً للصراعات والصدامات بين القبائل والجماعات المتنافرة ليس هذا فحسب ، فقد عاش اليابانيون أيضاً سنوات طويلة ، احتواهم فيها الشعور بالخوف ، وداقوا خلالها مرارة الجوع والفقر والحرمان وعانوا ألواناً من الاضطهاد في ظل الفاشية والدكتاتورية العسكرية ثم الاحتلال الأجنبي الذي أحسوا معه بالخشوع والتبعية بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية

أمة مرت بمثل هذه التجربة المريرة ، ثم صعدت

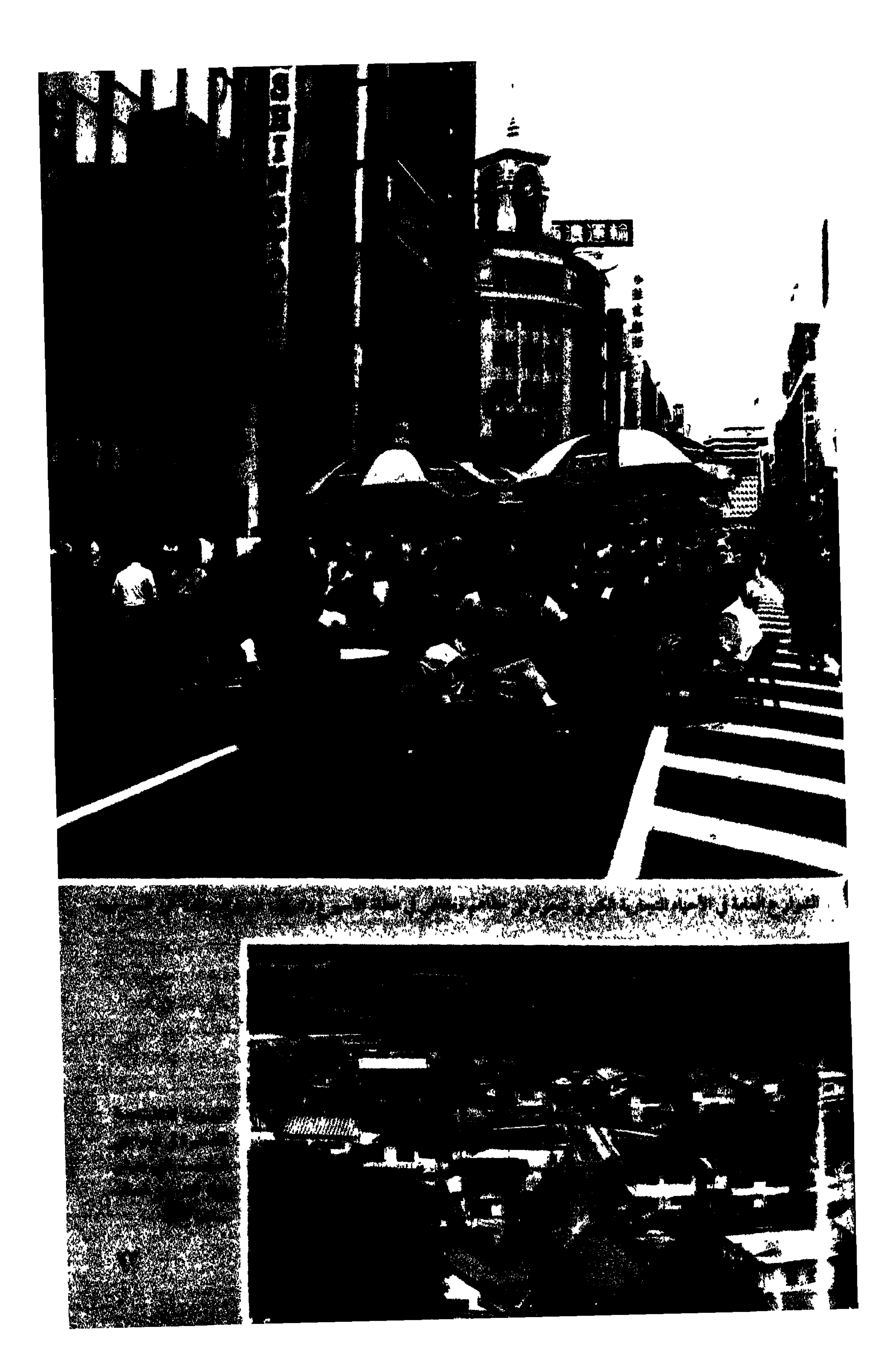




في نظام دقيق تنطلق السيارات في شوارع طوكيو العاصمة



أسرة يابانية داخل [illegible]



فجأة في هدوء ، لتحتل مكانها تحت الشمس ، وتقف في طليعة دول العالم المتقدم في شتى المجالات ، بل تتفوق على الكثير منها ، حتى تلك التي كانت رائدة في تاريخ الصناعة والتصنيع ، بما فيها أكبر دولتين وبعني بهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مثل هذه الأمة التي لم تتوقف طويلاً لتتحسس موطن جراحها بعد الهزيمة والدمار ، بل انطلقت تعدو دون أن تفكر مرة واحدة في أحزانها ومعاناتها ، لا بد وأن يكون وراء انطلاقتها قوة هائلة ، لم تتوقف هي الأخرى لحظة عن الاندفاع من أجل تحقيق هذه المعجزة !

انه الانسان الياباني بنفسه ! ثم هو السلام الذي يعيش تحت ظلاله ، ماداً يد الصداقة الى كل شعوب الأرض .

ولكن ماذا في المواطن الياباني ليس في غيره ؟

كيف يفكر ، وكيف يعمل ، وما هي الصفات التي يتميز بها . تلك التي جعلته « موضوعاً » جديراً بالبحث والدراسة ؟ ربما يكون من المناسب لكي ندرك حجم القفزة الكبيرة التي حققتها اليابان دون أن نبتعد عن الاجابة عن السؤال الذي طرحناه ، أن نذهب قليلاً الى الوراء . الى ثلاثة عقود مضت عندما وقف جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الراحل يقول لرئيس وزراء اليابان الذي رحل أيضاً : « يجب على اليابان ألا تتوقع أن تبيع شيئاً للولايات المتحدة الأمريكية لأن اليابانيين لن يتمكنوا من صنع أي شيء تحتاج اليه أمريكا ! ! » .

وبقي هذا الحديث سراً لا يعرفه أحد ، الى أن أذيع أخيراً في شهر مارس من العام الماضي ، في الوقت الذي تتدفق فيه السيارات اليابانية والأجهزة الالكترونية وغيرها من السلع الاستهلاكية على الولايات المتحدة ، حتى بلغ العجز في الميزان التجاري الأمريكي لصالح اليابان أكثر من ٣٧ ألف مليون دولار ، مما حدا بأصحاب المصانع الأمريكية الى مطالبة الحكومة بفرض قيود على الواردات من اليابان ، وخصوصا السيارات ، حتى لا تتعرض مصانعهم الى الافلاس ، بعد أن بلغ عدد السيارات اليابانية التي تستوردها أمريكا وحدها مليونين ونصف مليون سيارة سنوياً !

قال لنا مسؤول ياباني كبير « نحن لا نزعم أن التقنية ولدت عندنا لقد استوردناها ولكننا لم نستخدمها كما جاءت الينا ، فقد رحنا نطورها ونضيف اليها ، ونستبعد منها ، حتى استطعنا أن نقدم أفضل ما يمكن أن نقدمه للمستهلك الذي يبحث عن الأرخص والأحسن شيء واحد لن نعود اليه أبداً رغم الضغوط التي نتعرض لها . وهو انتاج السلاح وتصديره إنما ننتجه لأنفسنا لندفع عنا أي عدوان ولكننا لا نصدره للغير ! وتكاليف انتاجه لا تزيد على ١٪ من مجمل الدخل القومي الذي بلغ عام ١٩٨٥ ما يوازي ٢٥٤ مليارا و ٨٥٢ مليون دولار أمريكي* » . وتذكرت بعد هذا الحديث المخترع الكبير توماس أديسون الذي قدم للبشرية ما يزيد على ألف اختراع ، وماذا قال عن نفسه وعن اختراعاته التي تعيش معنا اليوم « أنا لم أبتكر شيئاً جديداً . ان معظم ما قدمته للبشرية كان يستند الى أفكار غيري من العلماء كل ما فعلته هو أني نقلت هذه الأفكار وأضفت اليها من عندي . انها عملية تطوير أكثر منها عملية اختراع ! »

أديسون في اليابان !

ليس معنى هذا أن كل عامل في اليابان أديسون جديد ، ولكن كل صناعة كبيرة بدأت صغيرة . صغيرة الى الحد الذي يدفعك فعلاً الى التوقف والتأمل والاعجاب !

قال لنا مرافقنا ، وقد كان يتغير كل يوم وفقاً لما عنده من معلومات عن المكان الذي سنذهب اليه ، قال : « ان صاحب واحدة من أكبر شركات صناعة السيارات في اليابان بدأ بصناعة الدراجات الهوائية وكان يدير مصنعاً صغيراً لا تزيد مساحته على بضعة أمتار مربعة . ثم فكر في انتاج الدراجة النارية . . وأخيراً استطاع أن ينتج أصغر سيارة في اليابان ، وهو اليوم صاحب ومدير شركة كبرى لانتاج السيارات التي يصدرها الى جميع أنحاء العالم ! » .

---

* طوال تاريخ اليابان المعاصر ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ لم تزد تكاليف الانتاج الحربي عن ١٪ من الدخل القومي ، الا أن المتوقع في السنة القادمة أن يزيد عن ذلك لأول مرة نتيجة للضغط السياسي الأمريكي .

وقلت هل نستطيع أن نقابله نريد أن نسمع منه قصة هذا النجاح ! »

قال . « بكل تأكيد ، ولكن قد تضطرون الى البقاء شهراً أو شهرين في طوكيو قبل أن يستطيع مدير مكتبه أن يحدد لكم موعداً ، لأن جدول مواعيده حافل باللقاءات انه يحب الناس ، ولا يمل الحديث عن تجربته ، ولكنه رجل مشغول جداً ! » .

لقد كان من الممكن أن نجد في قصة الرجل الذي بدأ بصناعة الدراجة وانتقل الى انتاج السيارة وربما الطائرة خلال السنوات القليلة المقبلة كان من الممكن أن نجد فيها ما يعيننا عن الحديث عن طموح الانسان الياباني الذي لا يعرف حدوداً يمكن أن يقف عندها !

النظام والانضبـــــاط :

ونعود الى الاجابة عن السؤال الذي طرحناه . ما الذي يمتاز به العامل الياباني رجلاً كان أو امرأة ؟

لعل أول ما يلفت نظر الزائر الى اليابان الى طوكيو العاصمة أو أي مدينة أخرى هو النظام النظام الدقيق في كل شيء . في المصنع ، وفي البيت ، وفي الشارع ، وفي كل مكان تذهب اليه فالنظام هو السمة البارزة في الانسان الياباني

وفي العاصمة طوكيو على سبيل المثال يعيش اثنا عشر مليون نسمة ، وعندما ذكروا لنا هذا الرقم لم نصدق ! مدينة تضم هذا العدد الهائل من السكان ، ومع هذا لا يشعر القادم الغريب اليها بأن أحداً يشاركه السير في الطريق طوال ساعات النهار ! ليس هذا فحسب بل هذه الخضرة التي تغطي كل شيء ، وتضفي لون الحياة على المدينة الكبيرة من خلال أشجارها وزهورها ، فتبدو كما لو كانت حديقة هائلة !

وسألنا : « أين هم . . أين كل هذه الملايين ؟ » .

في أعمالهم . . العامل في مصنعه ، والموظف في مكتبه ، والطلبة في مدارسهم وجامعاتهم ! الشارع خلال ساعات العمل يكاد يخلو من المارة ، حتى في فترة الغداء بعد الظهر نادراً ما ترى الناس يترددون على المطاعم العامة ، فقد حرصت كل شركة وكل مصنع على اقامة مطعم خاص بموظفيه وعماله داخل المبنى الذي يعملون فيه ، حرصاً على الوقت الذي يضيع في الذهاب الى المطاعم العامة والعودة منها إن المدينة خلال ساعات النهار والعمل ، تبدو كما لو كان أهلها قد هجروها ! الوقت الوحيد الذي تستطيع أن ترى فيه هذه الأعداد الهائلة من البشر في الصباح عندما يخرجون الى أعمالهم ، وقبل أن تغيب الشمس أثناء عودتهم الى بيوتهم ، ولكن للحظات ، فهذه الموجات البشرية التي تمر أمامك في طوابير طويلة لا تلبث أن تختفي في القطارات ، وفي مترو الأنفاق التي تقلهم الى الضواحي ، حيث يفضل أكثر من نصف سكان العاصمة العيش بعيداً عن ضوضاء المدينة وضجيجها ان مترو الأنفاق ينقل كل يوم ستة ملايين شخص من طوكيو واليها !

وفي المساء أيضاً ، وبعد المغيب قد تجد في شوارع العاصمة بعض الزحام عندما يخرج الناس لتناول طعام العشاء في مطاعم العاصمة الغارقة في الأضواء ، أو يقصدون دور اللهو والتسلية !

الزوجة العاملـــــة :

والمطاعم في اليابان ، هي المكان الوحيد الذي لا يخلو أبداً ، هكذا قالوا لنا ، لأن المرأة اليابانية لم تعد تجد الوقت الذي تستطيع أن تعد فيه أطباق الطعام التقليدية ، وخاصة في فترة الغداء ، فهي زوجة عاملة في معظم الأحيان ، وقلة نادرة من نساء اليابان هن اللواتي يفضلن التفرغ لأعمال البيت وترك وظائفهن ، وخاصة اذا لم يكن قد أنجبن أطفالاً بعد ، وحتى عندما يصل الأطفال ، وهم يكتفون في الغالب بطفل واحد ، أو طفلين على الأكثر . . عندئذ فقط تطلب الأم إجازة من عملها قد تمتد الى عامين أو أكثر ، ثم لا تلبث أن تستأنف مهام وظيفتها من جديد بعد أن تحمل طفلها الى دار الحضانة التي تتولى رعايته لحين بلوغه السن المقررة لدخول المدرسة وغالباً ما تكون دار الحضانة نفسها التي حملته اليها أمه هي مدرسته التي ينطلق فيها خلال سني طفولته الأولى .

وبالرغم من نمو اليابان وتطورها الا أنها استطاعت أن تجمع بين الأصالة والمعاصرة . صحيح أن الزائر





ضاقت رقعة الأرض المعمورة بسكانها فشيد اليابانيون مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها تحت الأرض



كل شيء من أجل الطفل في اليابان .. ومعظم المدارس عندهم خاصة لا تملكها الدولة .. ودور الحضانة أكثرها إزدحاماً لأن كل الأمهات عاملات .

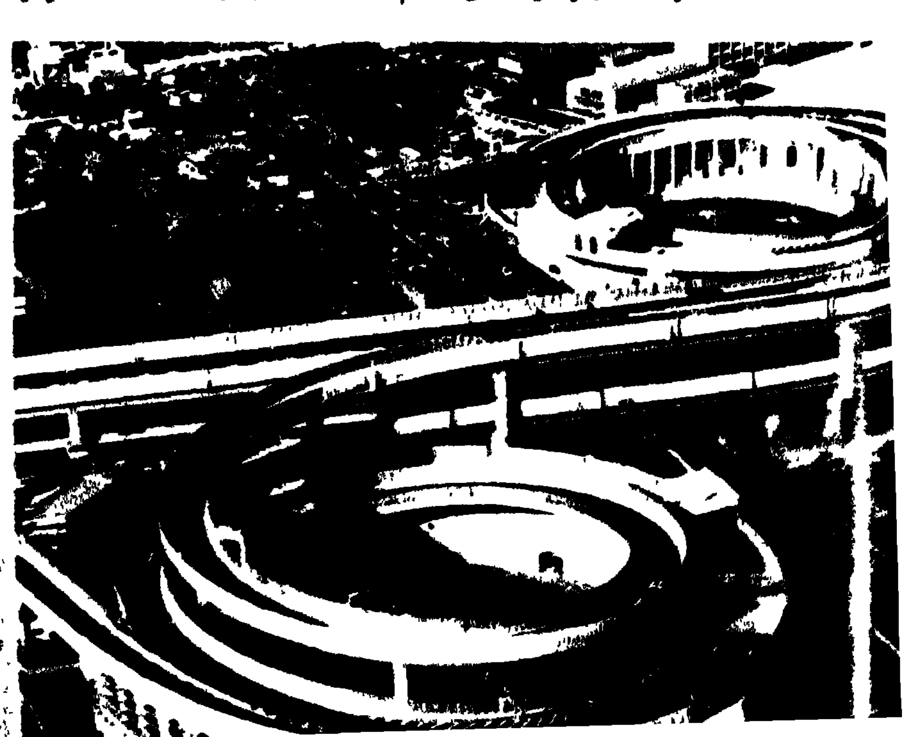






دروس الموسيقا في المدارس في كل مراحل التعليم

« الروبوت » أو الانسان الآلي في المصانع



أربع طوابق من الطرق الدائرية في قلب العاصمة طوكيو .. المدينة من أكبر مدن العالم من حيث الكثافة السكانية ولكن احترامهم للنظام يخفي عن الزائر وجه الزحام

قد لا يلمس هذا الامتراج في المدينه ، ولكنه اذا ابتعد عنها قليلاً الى الضواحي الصغيرة والقرى الريفية المنتشرة قريباً وبعيداً عن مراكز التجمع ، رأى الصورة بوضوح أكثر

الآله في كل مصنع ، ولكنها لم تستطع أن تغير من تقاليد أهل هذه البلاد وطباعهم ، بنفس القدر الذي حدث في كثير من الدول التي تحولت من الزراعة الى الصناعة ، فهذا كل شيء فيها يعمل في رتابة مملة بلا روح .

فالتحول الى الصناعة لم يبسهم غذاءهم لأن اليابانيين يدركون أن الزراعة عندهم فقيرة بسبب ضيق الرقعة الزراعية ، ومن هنا أصبح تحقيق الاكتفاء الذاتي هدفاً وقد حققوا كفايتهم من الأرز الذي يأكلونه بدلاً من الخبز في وجباتهم الصغيرة فالوجبة دائماً لا تزيد عن حاجة الفرد ، ونادراً ما ترى بقايا طعام في الطبق ونادراً أيضاً أن تجد يابانياً يأكل الأرز والخبز معاً وقد أصبح عندهم الآن فائض من الأرز للتصدير !

وبدأ الاهتمام بالثروة الحيوانية وتنميتها ، ولكن هذه الخطوة تعترضها بعض المشاكل ، لعل أبرزها هي عملية تسمين العجول ، لأن اليابان تضطر الى استيراد الأعلاف حيث رقعة الأرض الزراعية صغيرة ومتفرقة ، ولأنها تزرعها للإنسان ، خضراً وفاكهة ، والحكومة تساعد المزارعين مادياً ، وتدفع لهم بسخاء تشجيعاً لهم على زيادة الانتاج ، ضماناً للمحافظة على السياسة الزراعية لليابان على المدى البعيد .

ثمة مشكلة أخرى تواجهها اليابان في التنمية الزراعية ، وهي هجرة المزارعين للأرض ، وتحولهم الى الصناعة حيث الكسب أكثر وأسرع ، ولكن كما يقول بعض القائمين على التخطيط في اليابان ، ان هذه الظاهرة لا تشغلهم كثيراً ، لأن الآلة الآن في طريقها الى الانتشار في المصنع ، لتؤدي العمل الذي تقوم به الأيدي . . وستكون النتيجة في النهاية هي عودة أصحاب الأيدي الصناعية الى الريف والى الأرض والى الصناعات القائمة على الزراعة .

وما دام الحديث هنا قد مسّ الصناعة والزراعة ، فلا بد أن يمس الطاقة . وقد بدأت اليابان منذ سنوات تبحث عن بدائل للطاقة التقليدية « البترول » وانحصرت الأبحاث في الطاقة الشمسية ، والمياه الساخنة التي تغلي في جوف الأرض ، والفحم الحجري واستغلال الغازات الناتجة عن احتراقه والاستعانة بالريح في تسيير الآلات والمعدات ، واستغلال فارق درجة الحرارة بين سطح البحر والأعماق ، وأخيرا ، شلالات المياه المتدفقة من الجبال

كونفوشيوس في اليابان :

هذا التحول الكبير الذي حدث في اليابان وفي حياة الفرد الياباني لم يغير من جوهر طبيعته ، وأساس عاداته وانضباطه وإن تكن الحياة التي اصطبغت « بالتغريب » قد غيرت بعضاً من ملامحه ومن مراحه ، من خلال ما نقل من سلوك أثر على [illegible] بصورة أو بأخرى ، ولكنه مع هذا بقي في [illegible] هو هو إنسان مهذب رقيق ما زال الكثير من معاليم كونفوشيوس حكيم حكماء الصين يعيش معه ويؤثر على أي تصرف يصدر عنه وكذلك « بوذا الذي يحفظون عنه الكثير ، ويعملون بتعاليمه أكثر ، لقد ظهر كونفوشيوس في الصين ، ولكن فلسفته هنا بين أفراد الشعب الياباني تكاد تكون دستوراً غير مكتوب يحكم تصرفاتهم ويؤثر في نفوسهم . الصغير يحترم الكبير . والمرؤوس يحترم الرئيس ، والعلاقة بين الجميع قائمة دائماً على أساس من الاحترام المتبادل ، والحب والارتباط الأسري الذي بقي قوياً بين الآباء والأبناء . فظاهرة التمزق الأسري الذي ساد أمريكا والغرب بصفة عامة لا أثر لها عندهم ، الا فيما ندر .

في البيت وفي الشارع وفي المصنع والمكتب وفي كل مكان تقودك قدماك اليه ، ترى الانحناءة بالرأس تستقبلك مع ابتسامة رقيقة مشرقة اشراقة شمس اليابان في الأيام الصحوة ، فالمصافحة بالأيدي عادة غير مألوفة !

ان هذا الالتحام القوي الذي يشد الفرد الياباني بالتقاليد المرعية رغم عملية « التعريب » التي استوردتها اليابان مع التقنية التي طورتها لتلائم مقتضيات العصر ، بل وتتقدمه الى أطراف القرن الحادي والعشرين . هذا الالتحام ليس ظاهرة جديدة ، وانما هو شعور قوي ترسخت قواعده منذ

بداية الحكم الميجي قبل أكثر من قرن من الزمان أو يزيد ، وقد بلغ الذروة في عهد الامبراطور هيروهيتو ، امبراطور اليابان الحالي ، الذي يحتفلون بعيد ميلاده بنفس المشاعر التي يحتفل بها المسيحيون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام فهو الأب الروحي لليابانيين وهو رمز الحب والولاء والقومية

الدور الأمريكي :

وحتى بعد التغييرات الدستورية والاجتماعية التي استحدثها الأمريكيون في اليابان في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بقي الياباني متمسكا بتقاليده وعاداته ، على الأقل في داخله كما ذكرت ، فلا شك أن صورة الحياة كلها من حيث الشكل قد تغيرت

ولم يكن ممكناً أن يحدث غير ما حدث والبلاد تعيش حالة من الدمار والخراب والضياع بعد الحرب واليد الممدودة اليها تحكم وتسيطر وتمد . وهي يد الدولة المنتصرة ، يد أمريكا التي اقتحمت أبواب اليابان الخربة من أجل بنائها من جديد ، لا حباً في سواد عيون هذا الشعب ، ولكن لأنها كانت تخشى ان هي تركته مع الهزيمة والجوع أن يتحول الى الشيوعية كانت أمريكا اذن طبقاً لما جاء على شفاه ساستها بعد الحرب تقوم بعملية انقاذ « شعب عظيم » ـ كان بدا قوياً في كل معاركه ضدها ـ من الوقوع في براثن العدو الاكبر الذي تنفق من أجل محاربته والقضاء عليه اليوم في أي بقعة من العالم ، عشرات البلايين من الدولارات !

ومن هنا بدأت عملية اعادة بناء مدن اليابان المدمرة ، تأخذ الطابع الغربي ، أو الأمريكي واختفت البيوت الصغيرة التي كانت تتألف من دور أو دورين ، لتقوم مكانها ناطحات السحاب فوق أرض لم تعرف هذا الارتفاع الهائل من الماضي ، لكثرة ما تعرضت وتتعرض له من ثورات في جوفها ، تسبب حدوث زلازل مخيفة ، يروح ضحيتها المئات تحت أنقاض البيوت الصغيرة التي لا يلبث أصحابها أن يعيدوا بناءها من جديد ، وهكذا . . فقد كانت اليابان وما زالت هي « أرض الزلازل » . . كل جزرها الصغيرة والكبيرة المأهولة وغير المأهولة التي يزيد عددها على الأربعة آلاف جزيرة كلها تعرضت وتتعرض للهزات العنيفة !



نسبة المعمرين في اليابان عالية ، فمتوسط عمر الانسان عندهم يتجاوز الخامسة والسبعين إنهم يمثلون الخبرة والتجربة فهم ثروة قومية !

كيف قامت ناطحات السحاب اذن وكيف استطاعت أن تصمد لهذه الزلازل والهزات ؟

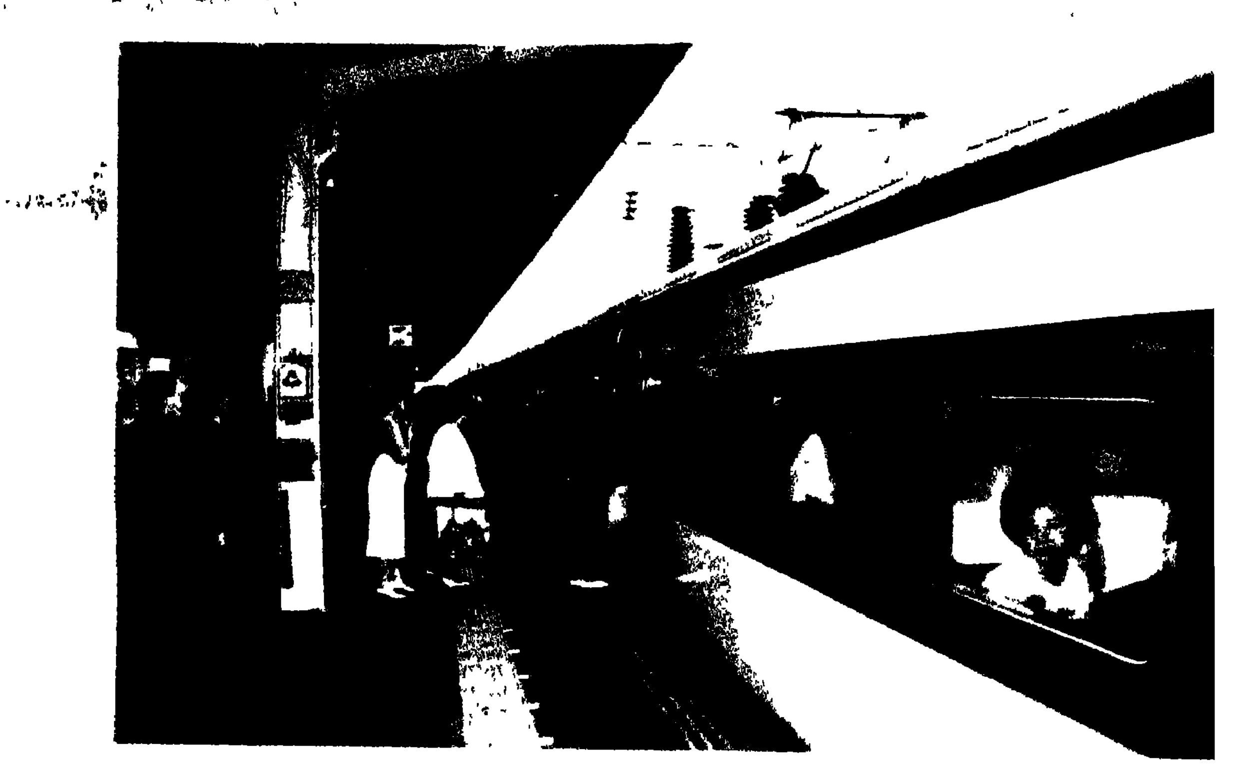
قال لنا أحد كبار المهندسين اليابانيين : « لقد استخدمنا التقنية الحديثة في بنائها ولعب الصلب دوراً هاماً في أسلوب البناء انها تتمايل مع الزلازل وتهتز ولكنها لا تنهار ! »

الأسرة اليابانيـــــة :

وتدخل بيت أسرة يابانية ، أي أسرة . سواء كانت تسكن شقة في عمارة كبيرة ، أو بيتاً صغيراً من البيوت اليابانية التقليدية ، فتشعر بدفء غريب وأنت تجد هذا الاستقبال الحار في انتظارك والشاي الأخضر بدون سكر ، هو أول تحية في برنامج الترحيب الذي أعدوه لك ، والذي حفل بكل أنواع الأطعمة الشعبية وقبل أن تذهب بخيالك بعيداً ، محاولاً أن تعرف نوع هذه الأطعمة التي أعدوها لك فوق المائدة ، أو على الأرض ، حيث يجلسون بعد أن يختاروا لضيوفهم مكاناً مرموقاً . تجد نفسك قد التقيت بها في فمك . انها انواع من الحلوى اليابانية ، وأهم منها وقبلها ، أطعمة صنعوها من الثروة السمكية التي يهوونها ، وتمتلىء بها مياه بحر اليابان والمحيط الهادي ، الذي لم يكن هادئاً أبداً .



طوكيو المدينة ببناياتها المرتفعة .. لم تعد الزلازل تهدم العمارات التي تناطح السحاب



القطار السريع الذي ينقل العاملين من طوكيو الى ضواحيها .. وهم يسمونه الرصاصة المنطلقة !





طفلتان في المدرسة حيث يتعلم الصغار كل شيء عن من خلال ألعاب الشيقة وأهم من كل شيء التشجيع والحب

ويقولون لك وأنت تتذوقها « هذا هو غذاء المستقبل . ان البحر مليء به ، وغداً سوف يتجه سكان الأرض الى مياهه ليأكلوا منها عندما تضيق الأرض بمن عليها ، ولا يكفي نتاجها لأطعام الافواه الجائعة !

وتحصي عدد أفراد العائلة التي استضافتك ، فتدرك على الفور أنها أسرة كبيرة ، لأنها تجمع أكثر من جيل تحت سقف واحد فهناك دائماً والدا الروح أو الروحة وواحد أو أكثر من الأشقاء ، ثم أطفال الروحين والكلمة الأولى في هذا البيت السعيد للأم الكبرى ، أو الجدة ، لأنها هي التي تعد أطباق الطعام ، وهي التي تعنى بالصغار أثناء غياب أمهم في عملها

وكبار السن في اليابان يشكلون نسبة كبيرة تقدر بحوالي عشرين في المائة من مجموع تعداد السكان ، فقد كان من نتيجة تقدم الطب الذي واكب موجة التقدم الحضاري في كل مجالات الحياة ، أن ارتفع متوسط عمر الانسان الى خمسة وسبعين عاماً وهؤلاء الكبار « ثروة قومية » والأغلبية من الرجال الذين جاوزوا الخامسة والستين فما فوق ما زالوا يعملون في الشركات والمصانع والمؤسسات وفي الدولة ، ودورهم استشاري ، فهذه الخبرة الطويلة عندهم لا يجب ان تبقى حبيسة وراء أبواب التقاعد والنسيان انهم يقولون . ان من بلغ الستين أصبح رجلا ، ومن لم يتجاوز الأربعين بعد ، ما زال مراهقاً . أما الشباب في العشرينيات فهم لم يولدوا بعد ! !

بلد يضيق بسكانــــه :

قال لنا مسؤول ياباني كبير : « لم يكن هذا الذي حل بالبلاد من خراب كله نقمة ، فقد وجدنا معه حافزاً قوياً لاعادة بناء اليابان من جديد فالبلد بدأ يضيق بسكانه الذين قفز تعدادهم من ستين مليون نسمة عام ١٩٢٠ الى ما يبلغ الضعف اليوم ، حيث يقول آخر إحصاء أن تعدادهم قد جاوز المائة والعشرين مليوناً . واليابان بلاد جبلية تحتل الجبال والمرتفعات الجزء الأكبر من مساحتها ، فتصل الى أكثر من سبعين في المائة من المساحة الكلية للجزر الرئيسية الأربع « هوكايدو وهونشو وشيكوكو وكيوشو » إلى جانب الأربعة آلاف جزيرة التي تتكون منها الدولة اليابانية فالسهول المأهولة اذن لا تزيد مساحتها على ثلاثين في المائة فقط من مجموع مساحة جزر اليابان ، التي لا تزيد في مجموعها على ٣٧٨ الف كيلومتر مربع ، أي أقل من مساحة العراق بحوالي مائة الف كيلومتر مربع

فالأرض عندهم عزيزة ، ومن أجل هذا لم يتركوا شبراً واحداً لم يستغلوه بنوا المدن تحت الأرض . مدناً كاملة بمتاجرها ومطاعمها والهواء الذي يحتفظ دوماً بدرجة حرارة معتدلة في أشد أيام الحر والرطوبة العالية ، ويحمل معه نسبة عالية من الأوكسجين .

وبيوتهم الصغيرة خارج حدود المدن الرئيسية ، شيدت عند سفوح الجبال ، كلها تجاور بعضها بعضاً ، وترقد في دعة وسكون معبرة عن التآلف والتضامن اللذين أصبحا طابع هذا الشعب ، الذي استطاع أن يحقق أعلى مستوى من الانتاج في ظل « الانضباط » الذي أصبح طابعه المميز . ومع التقدم الذي شمل كل مرافق الحياة اختفت البطالة أو كادت ، فلا تزيد نسبة العاطلين في القوى العاملة على واحد في المائة ، وارتفعت معدلات الانتاج الى أرقام قياسية انتاج كل شيء وأي شيء يخطر على بالك . . وغزت المنتجات اليابانية الأسواق العالمية ، وبقيت هناك في القمة ، معلنة دائماً عن جودتها وانخفاض أسعارها ، بالمقارنة بمثيلاتها من منتجات الدول الصناعية الكبرى .

ياباني . . نائب للرئيس الأمريكي :

أذكر عندما أطلق أصحاب مصانع السيارات الامريكية صيحتهم منذ بضع سنوات ، محذرين من الخطر الذي يتهدد مصانعهم التي أوشك بعضها على الافلاس ، نتيجة لاستمرار تدفق السيارات اليابانية على أمريكا ، ان كتب المعلق الساخر آرت بوخوالد في صحيفة هيرالد تريبيون يقول : « اننا نصرخ لأن سياراتنا لم تعد قادرة على منافسة السيارات اليابانية في الولايات المتحدة وفي رأيي أن العلاج الوحيد لهذه الظاهرة هو أن يكون نائب رئيس أمريكا يابانياً ، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يعلمنا النظا

والانضباط !

ولم يثر اقتراحه الدهشة على أساس أنه يعني بطبيعة الحال أن يكون نائب الرئيس أمريكياً طبعاً ، ولكن من أصل ياباني ، فكل الأمريكيين ينتمون لأصول غريبة عن الولايات المتحدة !

ولكن نوحوالد عاد يقول في تعليقه « أخطأتم أيها السادة ، فأنا أعني أن يكون نائب الرئيس يابانياً يابانياً . أعني أننا في حاجة الى رجل قادم من اليابان . من قلب المصانع التي تهدد السيارات الأمريكية ، بالتوقف فوق خط الانتاج ، وقبل خروجها الى السوق ! »

أنتم في اليابان :

والياباني على استعداد دائماً لأن يعلم ويتعلم ، ولكنه يتوقع نتائج سريعة للجهد الذي يبذله في نقل ما لديه من معلومات وخبرة الى غيره من الناس ، لأنه هو نفسه يتعلم بسرعة ويستوعب بسرعة ، وهو في بلده يحترم الغريب ، ولا يتردد في تقديم أية مساعدة يطلبها منه ، طالما أنه قادر على تقديمها ، ولعل منبعث هذا الاحترام يرجع في المقام الأول الى ثقته بأنه يتعامل مع شخص يثق فيه ، لأنه يعلم أن نظام الأمن المعمول به في بلاده لا يسمح لأي شخص بدخول البلاد الا بعد التأكد من معرفة هدفه من هذه الزيارة !

هذا النظام الأمني حقق وجود ملف كامل يحوي أسماء جميع المقيمين في المدن الكبرى وعناوينهم ومقار أعمالهم ، وعدد أفراد أسرهم ، الى جانب معلومات وافية عن كل زائر للبلاد .

لقد كانت صورنا ـ زميلي المصور وأنا ـ ومعلومات كاملة عنا في كل مكان ذهبنا اليه ضمن برنامج زيارتنا لطوكيو العاصمة .. المصانع والشركات ودور العلم ، حتى الفندق الذي نقيم فيه !

ولذلك أصبحت اليابان من أكثر مدن العالم أمناً . عندما سقطت محفظة المرافق الذي سافر معنا الى هيروشيما في سيارة التاكسي التي أقلتنا من الفندق الى المطار ، وكان قد اكتشف ضياعها بعد أن ركبنا الطائرة ، قال في هدوء : « ليست هناك مشكلة ، سأتصل تليفونياً بمجرد وصولنا ، وسيرسلونها لي في الطائرة التي تصل بعد الظهر ، انها تحتوي على كثير من المال ! »

قلت : « وهل أنت واثق من أن سائق السيارة سوف يعيدها اليك . إن هناك احتمالاً بأن يأخذ ما فيها من مال ، ثم يلقي بها في صندوق القمامة ! »

وضحك المرافق وقال : « أنتم في اليابان ! »

وعادت المحفظة الى صاحبها !

وضاعت ثمرة جهدنـــا :

وعندما فقدت المفكرة التي أحملها معي وأسجل فيها كل انطباعاتي في أحد أكبر المحال التجارية في طوكيو ، وكانت ترافقنا سيدة تتحدث الانجليزية من وزارة الخارجية ، عدت تعساً يائساً الى الفندق في المساء ، محاولاً أن أسجل من جديد كل ما كتبته في مفكرتي بقدر ما اسعفتني به الذاكرة !

وأحسست بأني قد فقدت بضياع هذه المفكرة ثمرة أسبوع كامل من الجهد الذي بذلته في جمع وتسجيل المعلومات من كل شيء استوقفني خلال جولاتنا

ولم أنم في تلك الليلة . ولكن ما كادت تشرق شمس الصباح حتى أسرعنا الى المحل التجاري نسأل ، وكانت المفاجأة عندما وجدت رئيس عمال المتجر يقدم لي المفكرة بعد أن طلب الي أن أصفها له . وأدرك على الفور أنها هي المفكرة التي نبحث عنها ، بعد أن فتحها وحار في قراءة ما كان مسجلاً فيها باللغة العربية التي لا يعرفها !

وعندما عرضت عليه مبلغاً من المال مكافأة له ، قال معتذراً « هذا جزء من عملي ، وأنا أتقاضى مرتباً مجزياً ، ولا أنتظر هبة من أحد . قالها في حزم ولكن في أدب شديد ! ! »

وعندما سألت مرافقنا عن المرتب الذي يتقاضاه الرجل قال لي : « حوالي مائتي الف ين شهرياً» ، أي ما يوازي مبلغ ألف دولار ! انه متوسط أجر العامل في اليابان ! ... العامل غير الفني

هذا البلد الذي استطاع أن يحقق أكبر وأسرع نهضة في التاريخ الحديث ما قصته ، وكيف بدأت ومتى ؟ هل كانت نهاية الحرب العالمية الثانية هي بداية التقدم الذي نقل اليابان من دولة نامية الى واحدة من أكبر الدول الصناعية في العالم ، إن لم تكن أكبرها ؟ !



القطار السريع الذي تقوم بانتاجه شركة الطيران اليابانية لينقل ركابها من المطار إلى قلب المدينة في دقائق (فوق) .
م بيت في اليابان . . عمره أكثر من مائة وخمسين عاماً . . هكذا كانت بيوتهم قديماً . . وهو اليوم متحف صغير .

جمع المعرفـــــة :

تاريخ اليابان يقول إن نهضة اليابان بدأت نهضة علمية ، ويرجع تاريخها الى عهد الامبراطور الشاب ميجي في القرن التاسع عشر ، وقد كان هو الذي وضع برنامجاً من خمس نقاط أساسية تستهدف تطوير بلاده ، وكانت إحدى هذه النقاط الخمس « جمع المعرفة من شتى بقاع العالم ، حتى يمكن أن تقوم الامبراطورية على أسس راسخة »

وقد بدأ التمهيد عملياً عن طريق ارسال البعثة الشهيرة التي اطلقوا عليها بعثة ايواكارا IWA-KARA التي غادرت اليابان لانجاز هذه المهمة في عام ١٨٧١ ، وقضت عامين كاملين في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية ، وكانت تضم ثمانية وأربعين عضواً ، يرافقهم أربعة وخمسون طالباً ثم عادت البعثة الى اليابان بعد أن حققت نجاحاً فاق كل ما كان مقدراً لها ، الأمر الذي أثار ذهول الغرب ودهشته .

وقد اتخذت اليابان لنفسها أسلوب التركيز على التقنية للتقليل من الاعتماد على الخارج فيما يتعلق باستهلاك المواد الخام ، وهنا يبرز عامل آخر كان له أثره الكبير في تحقيق هذا الهدف ، وهو « الطاقة الفريدة عند اليابانيين في التجديد والابتكار » بعد أن أصبح واضحاً أن اليابانيين يتعلمون بسرعة وينقلون بسرعة أي تقنية جديدة تكون قد ظهرت في أي بلد آخر ، ثم لا يلبثون أن يقدموا هذه التقنية بسرعة فائقة وبطريقة جديدة مبتكرة ، وربما أعادوا تصديرها الى نفس البلد الذي نقلوه عنها ، بعد أن يكونوا قد أدخلوا عليها الكثير من التحسينات .

الانسان الآلـــــي :

وربما يكون دخول « الروبوت » أو الانسان الآلي بهذه القوة في جميع مجالات الحياة في اليابان أكبر دليل على قدرتهم المذهلة في التطوير . . فلم يعد « الروبوت » مجرد آلة تعمل وفق برنامج دقيق في المصانع وخطوط التجميع . . وانما أصبح اليوم انساناً آلياً يمشي ويتحرك ويقوم بكثير من الأعمال التي وفرت الأيدي العاملة التي تحركها العقول . . وقد كان ظهور « الروبوت » في المستشفيات لخدمة المرضى هو أحدث ما توصلت اليه التقنية في اليابان .

إن هذه البلاد الغنية بعقول أبنائها الفقيرة بمواردها الطبيعية تعتمد اعتماداً تاماً على الاستمرار في تطوير التقنية ، وهي ترى في هذا التطوير الذي جعل منها الدولة الأولى المصدرة للساعات في العالم الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمنها الاقتصادي

وتسأل مدير أحد مصانع الساعات في طوكيو كيف استطعتم أن تبلغوا القمة في هذه الصناعة الجديدة ونعني بها الساعة !

ويقول متبسماً : « لقد جعلناها تكف عن الدق وفي البداية قالوا هذه لعبة للأطفال ثم طورناها وجعلنا الساعة تعرف الموسيقا ، وتحسب الوقت والمال ، وتغرق في الماء فلا تتوقف ، وكانت المفاجأة عندما بدأت الدُّول الأوروبية التي طالما كانت تفاخر بانتاج الساعة الدقاقة التي لا تقدم ولا تؤخر ثانية واحدة تقلد الساعة اليابانية ! ولكن التقليد جاء متأخراً بعد أن غزت الساعات « الكوارتز » التي تعمل بالكهرباء المخزونة « البطارية » جميع أسواق العالم ! .

أكبر تحد للأمريكيين :

ومن أجل استمرار هذا التطوير وتجديده والانطلاق به الى آفاق جديدة بعيدة أنشأت اليابان أخيراً الوكالة القومية للأبحاث والمشروعات المتطورة ، وهي تقوم بالبحوث في أربعة مجالات رئيسية للتقنية ، وهي تقنية الطاقة ، وتقنية نوعية المعيشة ، وتقنية المعلومات الخاصة بالصناعة ، وتقنية ابتكارات الجيل الجديد للتقنية .

وهذه الأخيرة يرى فيها الأمريكيون بالذات أكبر التحديات اليابانية خلال المرحلة القادمة للتفوق التقني الياباني .

وفي معرض اليابان الكبير الذي استمر شهوراً طويلة ، وزاره ما يقرب من ستة ملايين شخص ، وأسموه « اكسبو ٨٥ » وهي اختصار لكلمة "EX-POSITION" استطعنا أن نلمس التحدي الكبير الذي سيواجه الدول الصناعية المتقدمة خلال السنوات القليلة المقبلة ، لقد كان للولايات المتحدة

لأمريكية مثلاً جاح عرضت فيه نماذج للمحطات الفضائية التي تعتزم تركيبها في مدارات حول الأرض ، ولكن اليابانيين اتحدوا لمعروضاتهم شعاراً آخر لا يمت للفضاء البعيد بصلة ، فالانسان كما يرون ما زال يعيش على الأرض ، ومن هنا جاء العنوان « نقل التقنية الحديثة الى الانسان في بيته » وشاركت الشركات اليابانية في عرض آخر ما توصل اليه العلم ، فرأينا أضخم شاشة تلفزيونية انتجت حتى الآن ، ويبلغ طولها حوالي مائة متر ووقفنا نتأمل الروبوت الكبير ، أو الانسان الآلي ، وهو يرفع ثقلاً وزنه مائتا كيلوغرام ، قبل أن يتحول هو نفسه الى عامل فني دقيق استطاع أمام جموع المشاهدين أن يقوم بتركيب نموذج مصغر له أو روبوت صغير ، ثم ما لبث أن عاد يفك أجزاءه مرة أخرى وسط إعجاب المتفرجين .

لقد أمضينا يوماً نتجول في أقسام المعرض الكبير الذي شاركت فيه ۲۸ شركة ومؤسسة يابانية ، وبلغت تكاليف إقامته أكثر من ثلاثة بلايين دولار

ولم نكن في حاجة لأن ندرك في نهاية جولتنا أن المنافسة كانت قوية بين اليابان من جانب وبين كل الدول الصناعية في الجانب الآخر . وكان التفوق واضحاً ، فقد سبقت اليابان في انجازها التقني كافة الأقطار الصناعية مجتمعة

القطـــــار الطائـــــر ! :

ثمة تطور جديد استوقفنا ونحن نبحث عن طريق الخروج من المعرض . . إنه القطار الطائر الذي تستعد اليابان لانتاجه ولم يكن القطار الذي ينطلق بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة هو وحده الذي شدنا اليه ، بعد أن ركبناه في رحلة قصيرة داخل أرض المعرض ، ووقفنا بعد ذلك نتأمله في اعجاب و[illegible]نها القصة التي ترتبط به والتي اسهمت في تطوير ا[illegible] صلات البرية على هذا النحو الفريد قصة ا[illegible]مار الجديد هي التي استوقفتنا ، وقد رواها لنا م[illegible]ول في الشركة التي تقوم بانتاجه انها شركة ا[illegible]ان اليابانية التي ستنفق بلايين الدولارات على ا[illegible] هذا القطار . . ولعلها المرة الأولى التي نسمع فيها عن شركة تهبط نشاطها من الجو الى الأرض ، لإنجاز مشروع جديد لا يمت الى الطائرة بصلة ولكن الواقع يقول غير هذا . فقد تدخلت الشركة عندما اكتشفت أن متاعب الركاب الذين تنقلهم على طائراتها أو الذين يصلون الى اليابان على طائرات تابعة لشركات أخرى ، تبدأ بمجرد هبوطهم من الطائرة في أرض المطار فالمسافة من مطار طوكيو الى قلب العاصمة تقطعها السيارة في ساعة ونصف وأحياناً في ساعتين ، رغم أنها لا تزيد على سبعين كيلومترا ، والسبب هو ازدحام الطريق المؤدي من المطار الى المدينة بالسيارات ، وخاصة اذا تصادف وصول الطائرة التي تقلهم خلال ساعات الزحام "RUSH HOUR" أو تدفق الموظفين

هذا الوقت الطويل الذي يمضيه السائح أو الزائر في السيارة لكي يصل الى الفندق الذي ينزل فيه ، يسبب له كثيراً من الضيق بعد رحلة طويلة بالطائرة ، وخاصة اذا علمنا أن أقصر رحلة لليابان من أوروبا تستغرق ست ساعات ، وهي بين بانجوك عاصمة تايلاند وبين مطار طوكيو

ومن هنا بدأ التفكير في القطار الطائر الذي سيقطع المسافة بين المطار وقلب المدينة في حوالي عشرين دقيقة ، وبذلك تنتهي الرحلة البرية الطويلة عبر الشوارع المزدحمة ، والتي تأتي الآن في أعقاب الرحلة الجوية الطويلة أيضاً . وربما كانت الرحلة بالسيارة أكثر تعباً ومشقة !

دستور اليابـــــان :

والحديث عن اليابان لا ينتهي . . فنحن لم نقم من خلال هذه المحاولة بأكثر من تقديم صورة خاطفة لبعض مظاهر الحياة في هذا البلد الذي يتربع اليوم فوق قمة العالم الصناعي ، ويعيش المستقبل الذي اقتحم آفاقه البعيدة والقريبة بقوة وثبات

والزائر أي زائر لا يملك بعد جولته وسط ربوع هذه البلاد البعيدة ، مهما كانت حدود هذه الزيارة ، ومهما اختلف الهدف منها الا أن يحمل معه في عودته منها ذلك الشعور بالاعجاب الشديد لهذا الشعب



« الكيمونو » التقليدي الذي تلبسه المرأة اليابانية اختفى أو كاد ، ولو أن « العروس » الريفية ما زالت تتمسك بارتدائه يوم زفافها

العظيم الذي حقق المستحيل في ظل السلام والـ والديمقراطية التي أصبحت دستوراً لليابان . . و ما تكتبه الصحف والمجلات الأجنبية عن اليابان فيخيل اليك أنك تقرأ إعلاناً دفعوا ثمنه وهو شيء يسعى اليه اليابانيون ، فهم يقولون لك « نحن لا نريد دعاية لليابان ولكننا فقط نريدك ترى بلادنا ! ! » .

كتب صحفي سويدي زار اليابان لأول مرة يقول : « كنت أتمنى لو أنني درست اللغة اليابانية قـ أن أبدأ زيارتي لهذا البلد الجديد !

والمعنى الذي ذهب اليه هذا الصحفي هو نفس الذي لا يملك أي زائر لليابان الآن يردده حتى قبل أ تنتهي زيارته . فقد فات اليابانيين شيء هام . ا اللغة اليابانية ليست لغة دولية وهم يعرفون هـ الحقيقة ويعرفون أيضاً أن من الصعب على الغريـ عنهم أن يتعلمها في وقت وجيز ، أو حتى يلم بـ الماماً ومع هذا لم يلجأوا الى ترجمة الأسـ والارشادات في الشوارع والطرقات العامة الى لغا أخرى .

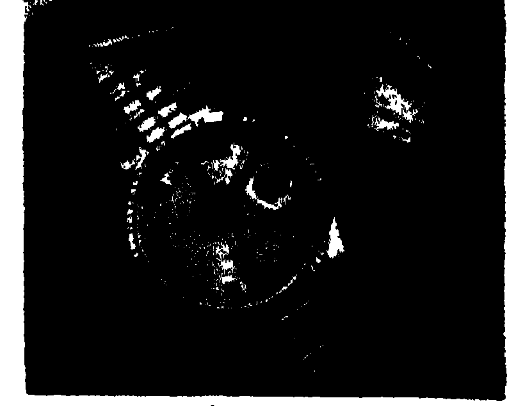
وربما كان المكان الوحيد الذي تجد فيه ترجمة الى الانجليزية أو الفرنسية هو الفنادق والمطاعم وخاصة اسماء الأطباق التي ستملأ بها معدتك !

وقد تنبه اليابانيون الى هذا القصور ، فبدأ يعدون الشباب من الجنسين لمرافقة الزائرين والسائحين وكلهم يتحدثون الانجليزية بطلاقـ ويستطيعون أن ينقلوا اليك أي شيء تريد أن تعرفـ عن بلادهم ، حدث هذا التطور بعد أن قفز عـد السائحين الذين يجيئون الى اليابان للتعرف على هـ الشعب أكثر من مليوني زائر في عام ١٩٨٤ على سبيـ المثال ، ولو أن عدد اليابانيين الذين يسافرون للخارج بحثاً عن كل ما هو جديد يبلغ ضعف هذا الرقم ور أكثر .

ونقف في المطار نرد تحية الوداع ونحن نستعـ لمغادرة هذه الأرض البعيدة الجديدة واتذكر ما قالـ تولستوي كاتب روسيا العظيم « ان الشعوب هي التي تصنع الأمم » . وقد صنع الشعب الياباني بلاده بعلمه ونظامه وانتمائه وولائه . . .

وكان التعليم بعد هذا وراء كل محاولة لتحقيق المعجزة .

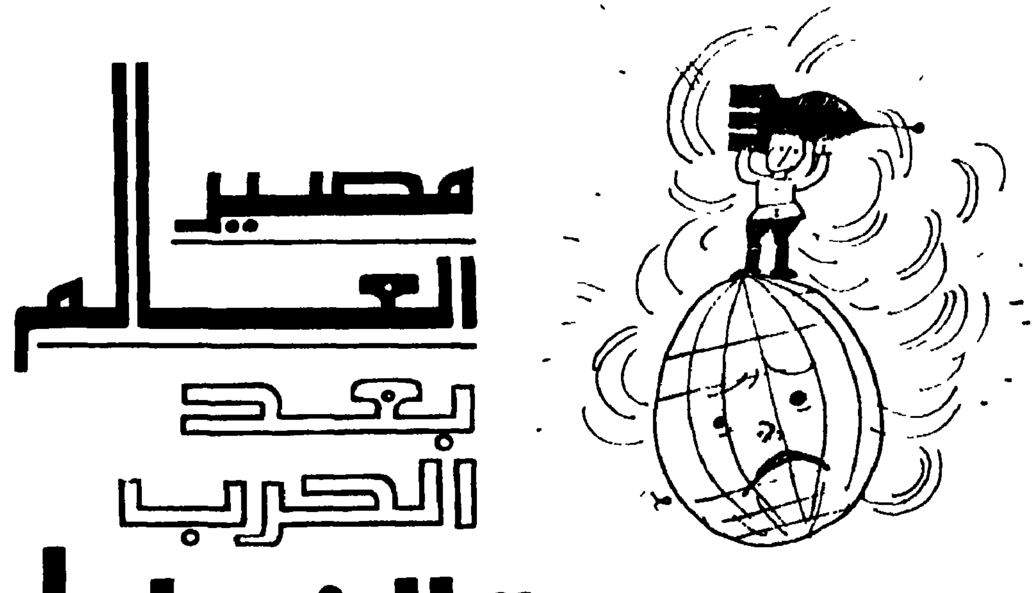




ـساعة بريزيدنت داي - ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصعة بالماس







مصير العالم بعد الحرب النووية الشاملة

بقلم : الدكتور سمير رضوان

هل يكون الانسان أول الهالكين . . والميكروبات أقوى الباقين ، اذا جد على كوكبنا الأرضي ما يقلب موازين الحياة . . وهل يمكن تصور أن التطور الجديد لا مكان فيه لانسان جديد . . ؟ ان هذا المقال يتحدث في كل ذلك . . ويأتينا بالاجابة عن كل التساؤلات . .

لايندرج ما نحن بصدد كتابته تحت ما أصبح يعرف (بالخيال العلمي) إنما هو تصور لما قد تصبح عليه صورة الحياة على الأرض اذا جدّ على هذا الكوكب ـ لاقدر الله ـ ما يقلب الموازين القائمة الآن . . وقد نذكّر القارىء بأن العلم لايخلو أبدا من قدر من الخيال ـ كما أن الخيال فيه جانب من العلم ـ والعبرة هنا بمقدار ما في هذا وذاك من التزام بقواعد العلم المتعارف عليها ، أو تحرر منها .

الموازين الكونية :

تخضع جميع الموجودات في هذا الكون الهائل لموازين ثابتة ، لاتختل الا في أضيق الحدود ، ...

● أستاذ بقسم النبات والميكروبيولوجي بكلية العلوم ، جامعة عين شمس ، ومعار حاليا لجامعة الكويت ـ حائز على جائزة الكويت للتقدم العلمي ، وعلى جائزة الدولة من مصر ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى

لت وقعت الكوارث ، وقد يعظم شأن الكارثة في عرف الانسان ، غير أنها - بالغة ما بلغت من القسوة والضراوة - أهون من أن تشمل بأثرها الكون برمته ، أو حتى جانبا ملموسا منه بل هي تقتصر على الموضع الذي وقعت فيه ، وسرعان ما يستقر الميزان على وضع جديد يتلاءم مع الواقع الجديد ، وكأن شيئا لم يحدث في هذا الكون اللانهائي نود أن نخلص من ذلك الى أن الكون باق ومتزن ، حتى لو انقرض الانسان وبادت الأحياء جميعا ، ودمّرت الأرض تدميرا ، وليس في نيتنا ولا في استطاعتنا أن نحصر كل ظواهر الاتزان في هذا الكون الهائل ، واذا كان ينتظر منا أن نسجل ولو مثالا واحدا هنا ، فلنقرأ معا قول العزيز الحكيم .

(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وما يعنينا هنا هو أن نتناول بشيء من الافاضة (ميزان الأحياء) على الأرض .

ميزان الأحياء

تعمر أحياء الأرض ، ما يعرف (بالغلاف الحيوي) الذي لايقتصر على سطح اليابسة ، وانما يشمل أيضا الغلاف الجوي المحيط بالأرض ، والمسطحات المائية ، ويمتد في عمق التربة.وقد يعجب القارىء إذا ذكرنا أن أعداد الافراد الحية التي تعيش تحت سطح التربة ، تفوق بمراحل أعداد الأفراد الحية فوق سطح الأرض . وتتباين هذه الأحياء في الشكل والتركيب والنشاط الحيوي تباينا كبيرا . وبصفة عامة فإن أبسط الكائنات شكلا وتركيبا وأنشطها حيوية تلك المستقرة في جوف التربة ، وأعقدها هي الأحياء المستقرة فوق اليابسة . وتتراوح الأحياء من حيث الشكل من الخلية الواحدة التي لا ترى الا بالمجهر ، الى الأحياء النباتية والحيوانية الضخمة التي يتكون الفرد منها من ملايين الخلايا . ومن حيث التركيب فأفراد الأحياء تتراوح بين الخلية الواحدة ، والفرد المعقد التشريح الذي يتكون من مجموعة من الأجهزة المختصة في الأنشطة الحيوية . كالتنفس والهضم وما الى ذلك . كما تتراوح أحياء الارض في أسلوب الاغتذاء مثلا ، بين كائنات تستطيع أن تنتج جميع المواد العضوية ، من سكريات وبروتينات ودهون وفيتامينات ، ومن غاز ثاني أكسيد الكربون والماء والأملاح غير العضوية ، خلال ما يعرف بالتمثيل الضوئي ، الى كائنات ليست لديها هذه القدرة . ومن ثم فهي تسطو على أحياء أخرى في سبيل الحصول على الغذاء العضوي وقس على ذلك شتى الأنشطة الحيوية الأخرى التي لايسهل حصرها هنا فهناك مثلا أحياء تعتمد على غاز الأكسجين في تنفسها (الكائنات الهوائية) وأخرى تتنفس في غياب هذا الغاز (الكائنات اللاهوائية) . وغير ذلك من صور التباين كثيرة وتتفق هذه الأحياء المتباينة في صفة الحياة .

وقد يبدو أن التعريف العلمي لكلمة (حياة) يسير - لكنه يقينا من أصعب الأمور وعموما ليست ظواهر الحياة المختلفة التي نراها ونحسها الا المحصلة النهائية والتعبير الأخير لمجموعة كبيرة من التفاعلات الكيميائية المعقدة ، التي تحدث داخل الخلايا الحية ومهما تباينت أشكال وتراكيب وأنشطة الأحياء ، فإنها - ويا للعجب - تتشابه كثيرا في طبيعة التفاعلات الكيميائية للعمليات الأساسية التي تتم بداخلها ، فعمليات « تخليق » البروتينات والمركبات الكيميائية المعقدة ، تجري في الكائن وحيد الخلية ، بأسلوب يشابه ما يجري في أعقد الأحياء شكلا وتركيبا - كذلك تفاعلات التنفس التي تزود الحي بالطاقة ، تجري في الأحياء المختلفة على نفس المنوال - وان حدث اختلاف فهو طفيف نسبيا ، بل ان الأساس الكيميائي للوراثة في الأحياء المختلفة واحد . هذا التشابه الكيموحيوي هو في الواقع الرابطة التي تربط أحياء الأرض بعضها بالبعض ، كما تربطها بالبيئة المحيطة التي تستمد الأحياء منها غذاءها وجميع أسباب وجودها . ومن ثم فالأحياء المختلفة تشكل مع بعضها البعض ومع البيئة وحدة متكاملة متوازنة . والتوازن العددي هو أهم مظهر من مظاهر الميزان الحيوي . فكل جنس ونوع من الأحياء يتمثل في البيئة بأعداد لاتتجاوز حدودا معينة ، والإ أثّر ذلك على أعداد أجناس وأنواع أخرى من الأحياء،واختل بذلك الميزان . ويحتفظ هذا الميزان شاته من خلال تعاون

الأحياء المختلفة وتكافلها من ناحية ، ومن خلال تصارعها وتناحرها من ناحية أخرى .

الانسان أرقى الأحياء :

يتربع الانسان وحده على قمة سلم التطور ، وهو أحدث ظاهرة حية على كوكب الأرض ، ولقد نشأت الحياة على سطح الأرض منذ عدة آلاف الملايين من السنين . ولكن الانسان لم يظهر الا منذ فترة لاتتجاوز في معظم التقديرات مليونا واحدا فقط من السنين . ولأن الانسان أحدث الأحياء ، وجب أن يتحلى بأكمل الصفات بين الأحياء من ناحية الشكل والتركيب التشريحي والصفات الذهنية والنفسية . فالذي خلقه سبحانه وتعالى جعل فيه ميزات الأحياء التي سبقته في الخلق وزاد عليها - وهذه هي عبرة التطور وصدق الله العظيم اذ يقول (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)

ويحيا على سطح الأرض اليوم حوالي ٤٥٠٠ مليون انسان ، يشكلون جانبا هاما في ميزان الأحياء - ليس بسبب وفرة العدد - ولكن بسبب قدرة الانسان الكبيرة على التغيير من خلال العقل الذي يميزه عن شتى الأحياء الأخرى . وعلى الرغم من أن مشاكل الانفجار السكاني البشري قد أصبحت تمثل تحديا تهديدا كبيرا للانسان نفسه ، قد يؤدي يوما ما الى ايقاف نموه ، الا أن هذه الزيادة لاتمثل اخلالا محسوسا بميزان الأحياء على الأرض . فنصيب الانسان في هذا الميزان من الناحية العددية ما زال متواضعا للغاية ، اذا قورن بالأحياء الأخرى خصوصا الدنيا منها .

أما الميكروبات فهي تقبع عند القاع من سلم التطور ، وتمثل أوائل الأحياء التي نشأت على الأرض . وهي كائنات وحيدة الخلية في معظمها ، لاترى الا بالمجهر ، وليست بالضرورة ضارة كما يتصور العامة - بل النقيض هو الأصح - فهذه الكائنات في الأصل تحتل جانبا رئيسيا من ميزان الأحياء ، وتلعب دورا حيويا في دفع عجلة الحياة برمتها لتستمر في الدوران . فالميكروبات هي التي تحلل أجساد الأحياء بعد موتها ، محررة بذلك شتى العناصر الكيميائية ، لتصبح متاحة لدورات وأجيال جديدة من الأحياء . لولا الميكروبات اذن لتجمدت الحياة ان عاجلا أو آجلا في صورة جثث متراكمة للانسان والحيوان والنبات . وما شأن الميكروبات الوبائية الضارة بين الميكروبات عامة الا كشأن الضواري والوحوش بين الحيوانات ، وكشأن السفاحين من البشر - قلة - ولكن لها أيضا دورها المرسوم في التوازن الحيوي . وتمثل البكتيريا أبسط الميكروبات ، ومن ثم فهي أدنى الأحياء على الاطلاق . نشأت على كوكب الأرض في الماء منذ حوالي ثلاثة آلاف مليون سنة ، حين كانت الظروف السائدة تختلف تماما عما هي عليه اليوم . من أوجه الخلاف مثلا أن غاز الأوكسجين الطليق الذي تعتمد عليه معظم الأحياء اليوم في التنفس لم يكن ... بعد في الغلاف الجوي . ولقد ارتبط ظهور هذا ... في الجو بنشأة البكتيريا الخضراء المرزقة ، التي ... الأوكسجين من خلال عملية التمثيل الضوئي .

ويعتبر المختصون ذلك خطوة تطورية هامة عن الأرض ، مهدت لنشأة الأحياء التي تتنفس الأوكسجين . ولاشك أن كثيرا من ميكروبات الزمن العابر قد انقرضت ، حيث لم تعد ظروف الأرض صالحة لحياتها . كما أن هناك ميكروبات أخرى طرأ عليها التطور ، لتواكب التغيير الذي تم في ظروف الأرض - وهي التي تعيش على كوكبنا الآن ، وبيئتها الرئيسية هي التربة .

واذا كانت الكرة الأرضية تنوء بحمل حوالي ٤٥٠٠ مليون من البشر ، فإن قبضة يد واحدة من التربة تحوي أضعافا مضاعفة لهذا العدد من الميكروبات . وللقارىء بعدئذ أن يتصور كم من هذه الأحياء تحمله الأرض في تربتها وأمواهها وهوائها وثلوجها وينابيعها الحارة وصحاريها ، وعلى أسطح نباتاتها وفي أجواف حيواناتها المختلفة بما فيها الانسان نفسه . . !

عوامل تخل بميزان الأحياء :

يتصف ميزان الأحياء بالديناميكية - وتتباين أعداد الأجناس والأنواع المختلفة لتغير الظروف البيئية التي قد تحفز تكاثر أحياء معينة ، وتثبط تكاثر أحياء أخرى . يتضح من ذلك اذن أن الميزان قد يختل اختلالا محسوسا ، كلما طرأ على البيئة تغير محسوس



وقد يصل الأمر الى حد انقراص أجناس وأنواع من الأحياء تماما . ولاشك أن القاريء قد سمع بأشهر المنقرضين من حيوانات الزمن الغابر ألا وهو الديناصور . وانقراص نوع أو أنواع من الأحياء لايشكل أي تهديد للحياة برمتها بل يعني مجرد اخلال مؤقت بالميزان الحيوي السائد ، وسرعان ما يستقر هذا الميزان على الوضع الجديد

والعوامل التي قد تخل بهذا الميزان من الوفرة بحيث يصعب تسجيلها هنا على أن من أهم هذه العوامل ما يتعلق بالتغيير العميق الذي يحدثه الانسان نفسه في شتى البيئات على الأرض ـ مثل هذا التغيير العميق قد يؤدي عند الكثيرين الى انقراص الجنس البشري يوما ما ولا يلجأ الانسان بالطبع الى احداث هذه التغييرات العميقة لشر كامن في نفسه ـ وانما هو سوء التقدير فمن أجل توفير الغذاء بزيادة الرقعة القابلة للزراعة مثلا ، يلجأ الانسان الى اجتثاث الغابات ، دون أن يدرك أثر ذلك على شتى الظروف البيئية فالغابات تستهلك من الهواء قدرا من غاز ثاني أكسيد الكربون واجتثاثها يعني زيادة نسبة هذا الغاز في الهواء ، مما ينجم عنه ارتفاع درجة حرارة الجو كما ينفي دور الاشجار في تثبيت التربة وترويدها بالدبال اللازم لخصوبتها ، وفي صد الرياح بما تحمله من رمال ، فتحول دون مزيد من التصحر ـ أي تحول الأرض الزراعية الى صحراء ـ وهي جميعا مشاكل تزداد خطورة مع الزمن . وما ذلك الا مجرد مثال واحد من أمثلة كثيرة . وقد يكفي للتدليل على خطورة هذه التغيرات البيئية أن نشير الى أن أحد الاحصاءات العلمية ، قد أثبتت أن عدد أنواع الأحياء التي انقرضت في القرنين الماضيين ، بلغ حوالي ٦٠٠ نوع ، وهو رقم يثير الرعب حقا . وسوف نقصر حديثنا فيما يلي على عاملين اثنين هما (التلوث) و (الصراع)

التلوث أخطر مشاكل العصر :

التلوث أصبح من أخطر مشاكل العصر الحديث ، وزاد مداه بالتقدم العلمي والتقنيّ ، ومن تحصيل الحاصل أن نتعرض بالوصف لأنواع التلوث المختلفة ، من كيميائي وحراري وضوضائي

واشعاعي وغيرها ، فقد صارت هذه الأنواع من الشيوع بحيث لانحسب أن هناك من لم يسمع بها على أن الآثار البيولوجية لهذه الملوثات ما زالت في طور الدراسة ويكتشف الباحثون كل يوم أن خطر التلوث على الانسان عظيم جدا ومن أحدث ما يتردد في الدوائر العلمية أنه قد بات وشيكا اثبات دور الملوثات الكيميائية ، كمسببات مباشرة لبعض أنواع السرطان ، وكان هذا الأمر حتى الآن ظنا بلا دلائل عملية ويلاحظ أن كثيرا من أسماك الأنهار الملوثة بنفايات المصانع تصاب بالسرطان ، ولا يكمن الخطر هنا على الانسان من احتمال انتقال خلايا السرطان اليه من هذه الأسماك ، وانما الخطر كل الخطر في احتمال انتقال المواد الكيميائية المسرطنة ، التي تلوث الأنهار ، الى الانسان من خلال الأسماك

أما الصراع فهو جزء أساسي وطبيعي من سلوك الأحياء ، ويلعب دوره المرسوم في استقرار ميزانهم على الأرض وليس هناك أحياء لاتتصارع ، كما لاتوجد بيئة على الأرض تخلو تماما من صراع بين الأحياء على أن الانسان في عصرنا الحديث يوشك أن يخرج بهذا العامل البيئي عن حدوده الطبيعية . وتطالعنا الصحف وأجهزة الاعلام المختلفة بين آن وآخر بما يفيد ، بأن هذه الدولة العظمى أو تلك قد أصبح لديها من الأسلحة النووية مايكفي لتدمير كوكب الأرض برمته عشرات المرات ويالها من مفارقة مضحكة مبكية في آن واحد ـ فكأنما (مرة واحدة) لاتكفي لاشباع شهوة التدمير عند البعض والمخيف أن هذه الأسلحة لم تعد ملكيتها مقصورة على ما يعرف بالدول العظمى ، بل صارت في متناول أيدي العديد من دول العالم الثالث أيضا وهناك من الأسلحة ما هو موجه بصفة خاصة للقضاء على حياة الانسان ، دون المساس بالمنشآت والمباني ويبدو بالفعل أن الانسان قد أصبح في مقدوره أن يقضي على جنسه من خلال الصراع النووي الشامل ولكن الذي يتجاوز مقدرته على وجه اليقين هو أن ينجح في اجتثاث الحياة برمتها من الأرض ، مهما أوتي من أسلحة الدمار اذا هلك الانسان سوف يستقر ميزان حيوي جديد ، لا مكان للجنس البشري فيه ، وسوف يصبح أرقى الأحياء قاطبة مجرد نوع من الأنواع المنقرضة ، شأنه شأن الديناصور ، وشأن الألوف من أنواع الأحياء التي انقرضت عبر رحلة التطور الطويلة

الانسان أول الهالكين :

الانسان ـ أرقى الأحياء ـ هو أكثرها اعتمادا على الأحياء الأخرى في أسباب وجوده فهو يعتمد عليها اعتمادا كاملا في تغطية حاجاته من مأكل ومسكن وملبس وغيرها والانسان ـ كنوع حي ونتيجة لاعتماده التام على أحياء أخرى ـ يعتبر في الواقع أسير مجموعة من الظروف البيئية المحددة ، اذا تطرق اليها خلل تهددت حياته

فاذا افترضنا على سبيل المثال أن حدث على الأرض ما أدى الى نفاد غاز الأوكسجين في الجو هلك الانسان في دقائق وما يصدق على هذا العامل يصدق على سواه من العوامل البيئية الأخرى خذ مثلا درجة حرارة الجسم البشري ، التي ينبغي أن تثبت عند ٣٧ م ، وأقصى ما يمكن أن تصله من الابتعاد عن هذه الدرجة لا يتجاوز خمس أو ست درجات فقط ـ من ٣٦ الى ٤١ م تتوقف الحياة تماما دونها أو فوقها كما أن أسلوب الاغتذاء عند الانسان يرتبط ارتباطا جامدا لا مرونة فيه بمواد عضوية معينة ، كالبروتينات والسكريات والدهون والفيتامينات ، اذا لم تتح له أو أتيحت مواد أخرى عضوية غيرها مات جوعا وتتميز الأنزيمات في خلايا جسم الانسان ـ هي الأخرى ـ بالجمود الذي لا مرونة فيه . والأنزيمات عبارة عن عوامل مساعدة في الخلايا الحية ، لا تتم أية تفاعلات كيموحيوية الا في وجودها ولكل تفاعل أنزيم خاص ينشطه ونقصد بجمود الانزيمات في خلايا الانسان ، ان الخلية اذا صادفت مادة عضوية لا عهد لها بها ، فانها لا تجد بين أنزيماتها ما يستطيع أن يهضم هذه المادة ، مما يؤدي الى مشاكل صحية كثيرة ، وخصوصا وأن هذه المواد تزداد شيوعا كل يوم ، من خلال ما يستحدثه العلم ، ويصل الى جسم الانسان كملوثات ولا يستطيع الجسم أن ينتج الأنزيمات المحللة لها

وما يصدق على الانسان يصدق أيضا بالنسبة لكثير من الحيوانات الراقية ، لكن الميكروبات ـ أدنى الأحياء ـ تختلف في ذلك اختلافا كبيرا ، فقد سبقت

حياء جميعا الى الوجود ، ومن ثم فهي تتصف بـ... ات من الاستقلالية في أساليب حياتها ، تحسدها عليها الاحياء الراقيه . كما تتصف بمرونة فائقه جعلتها قادرة على المعيشة ، تحت ظروف منها ما تعجز الأحياء الراقيه عن حملها ولنقصر حديثنا هنا على القليل من العوامل البيئية التي ذكرنا لتونا أثرها على الانسان فاذا افترضنا نفاذ الأوكسجين من الجو ، فمن المؤكد أن جانبا من الميكروبات لن يهلك ، لان هذه الأحياء العجيبة تتباين تباينا مرنا في حاجاتها لهذا الغاز وحقا هنالك أنواع منها لا تعيش الا في وجود الأكسجين ، لكن هناك أيضا أنواعا كثيرة لا تعيش الا بمعزل عن هذا الغاز كما أن هناك أنواعا تعيش في غيابه ، كما تعيش في وجوده على حد سواء

ولا تختلف الأمر بالنسبة لعامل الحرارة اذ يقسم علماء الميكروبات الى ثلاث مجموعات ، تبعا لدرجات الحرارة التي تفضل المعيشة فيها فهناك الميكروبات المحبه للحرارة المتوسطة ، والميكروبات المحبه للبرودة التي تزدهر عند درجات الحرارة القريبه من نقطة تجمد الماء ، وهناك الميكروبات المحبه للحرارة المرتفعة التي تقترب من نقطة غليان الماء .

فضلا عن ذلك فكثير من الميكروبات اذا تعرضت لظروف غاية في القسوة ، فانها تحتمى منها بانتاج وحدات حية ، ولكنها خاملة وكامنة تماما ، ولا تتأثر بالظروف القاسية ، اذ يمكنها تحمل الغليان في الماء لعدة ساعات طويلة . فاذا تحسنت الظروف المحيطه دبت النشاط مرة أخرى في هذه الوحدات الكامنه

والميكروبات أقوى الباقين :

وواضح أن هذه الصفة تعطي مثل هذه الميكروبات قدرا من المناورة والمرونة ، لا يتوفر للكائنات الراقية بما فيها الانسان أما غذاء الميكروبات فيتباين هو الآخر بمرونة لا حدود فيها . اذ تتدرج الميكروبات في حاجاتها الغذائية بين الأبسط والأعقد وأبسطها في هذا المضمار هي تلك التي تصنع غذاءها العضوى ، بصورة كاملة من غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي ، كما تفعل النباتات الخضر . لكنها تتميز عن النباتات الخضر أيضا في هذه الصفة . ذلك أن بعض الميكروبات قادرة على استخدام صور من الطاقة الكيميائية ، فضلا عن الطاقة الضوئيه التي تستخدمها النباتات الخضر ، في تحويل ثاني أكسيد الكربون الى المواد العضوية أما الميكروبات التي تتصف بالحاجات الغذائيه المعقدة فهي تشبه الانسان ، في اعتمادها على مواد عضوية تنتجها أحياء أخرى

غير أنها تتميز هنا عن الانسان أيضا بالمرونه والليونة فيما يختص بنوعية هذه المواد العضويه فبينما يرتبط الانسان في غذائه بمواد عضويه معينه ، نجد تلك الميكروبات الا ترفض أية مادة عضوية مهما تعقد تركيبها ، حتى ان منها ما يتغذى على البترول ، وعلى مبيدات الحشرات والأعشاب ، وعلى الصخ حيويات وغيرها كثير كما تتصف أنزيمات الميكروبات هي الأخرى بالمرونة الفائقة فلو صادفت خلية الميكروب مادة عضوية لاعهد لها بها ، قد تعجز في البداية عن هضمها ، ولكنها سرعان ما تتعود على هذه المادة فتنتج بعد حين الانزيم القادر على هضمها ومن أمثلة ذلك قدره الكثير من الميكروبات على هضم البلاستيك ، بعد أن كانت عاجزة عن ذلك في أوائل العهد بهذه المادة الجديدة

خطورة التلوث الكيميائي .

أما التلوث الكيميائي فخطورته على صحة البشر لم تعد محل جدل ولو استمرت معدلات التلوث الحاليه ، فسوف تصل بالتأكيد في زمن غير بعيد الى حدود مهلكه أما الميكروبات فليس قصارى أمرها أن التلوث الكيميائي لايقضي عليها . بل الواقع أن هذا التلوث يؤدي الى تكاثرها وازدهارها ، فمن الميكروبات كما ذكرنا ما تعود على المواد الملوثة . واستحدثت الأنزيمات القادرة على هضمها ، وأصبح تستخدمها كغذاء ومن أمثلة ذلك غاز الأثيلين الذي يلوث الجو من جراء احتراق البنزين في السيارات . هذا الغاز تستهلك الميكروبات منه كميات كبيرة للتغذية كغذاء لها ولو تطرقنا الى التلوث الاشعاعي ، لعلمنا أن الاشعاعات النووية تقضي على الانسان والميكروبات على حد سواء غير أن الميكروبات تعيش أساسا في التربة التي توفر لها حماية فعالة ضد اثار هذه الاشعاعات بينما يعيش الانسان فوق الأرض ، معرضا بصورة مباشرة هذه الاشعاعات وفضلا عن ذلك فالميكروبات هنا تتصف أيضا بالمرونة

الفائقة فاذا مات الكثير منها بأثر الاشعاعات ، فان الكثير الآخر تتحور صفاته الوراثية ، فتنتج منه طفرات جديدة أكثر شراسة من الميكروب الأم

أما العامل الثاني ـ ونقصد به الصراع ، فلننظر في حال الانسان وحال الميكروبات اذا نشبت ـ لاقدر الله ـ حرب نووية شاملة اذا قدر للانسان أن يهلك نفسه على كوكب الأرض ، فلن يكون ذلك في تقديرنا الا من خلال مثل هذه الحرب أما ما سوى ذلك من مشاكل ، مثل التلوث والانفجار السكاني ، مصحوبا بنقص الانتاج الغذائي وغيرها ، فهي في تقديرنا لا تؤدي في أسوأ الأحوال الى انقراض الانسان ، بقدر ما تؤدي الى (توقف النمو البشري) .

الحرب النووية الشاملة مع الأسلحة المتكررة الموجهة ضد حياة البشر خاصة ، هي التي يمكن أن تجتث الجنس البشري من الأرض ، فماذا ياترى سوف يكون عليه حال الميكروبات ؟

أشرنا الى أن هذه الأحياء تعمر التربة أساسا ، مما يوفر لها حماية ممتازة من خطر الاشعاعات ولاشك أن أعدادا منها سوف تموت ، على أنها يقينا لن تختفي تماما . ويكفي أن تقاوم خلايا قليلة من هذه الأحياء ، لكي تجتاح الكرة الأرضية من الناحية العددية في زمن وجيز ذلك أن هذه الأحياء تتصف بمعدلات تكاثر لاتدانيها في سرعتها أحياء أخرى راقية . فالخلية الواحدة قد تنقسم الى خليتين مرة كل ٢٠ الى ٣٠ دقيقة . وفي حساب أحد العلماء ـ وهو حساب واقعي ـ أن خلية بكتيرية واحدة إذا انقسمت واتيح لنتاجها أن ينقسم كل ٣٠ دقيقة ، فسوف يصل النتاج البكتيري بعد يوم ونصف يوم الى حد من الوفرة ، يستطيع معه أن يغلف كوكب الأرض بغلاف بكتيري محكم ، سمكه حوالى قدم كامل ومن فضل الله على الأحياء أن البكتيريا لايسمح لها في الطبيعة بالانقسام على هذه الصورة المذهلة السرعة ، الا لساعات قليلة فقط ، والا لما تركت مكانا على الأرض تعمره أحياء أخرى سواها .

تطور ما بعد الكارثة :

ولانختم هذا المقال ، قبل أن نتطرق الى الحديث عن التطور بعد وقوع الكارثة التي قد تهلك البشر ـ لاقدر الله ـ محاولين الاجابة عن السؤال الملح : هل يؤدي مثل هذا التطور الى انسان جديد في المستقبل القريب أو البعيد ؟ ولن يدعي أحد ما بلغ من الغرور ـ وقانا الله شره ـ أنه قادر على رسم خطا التطور بعد الكارثة النووية وقصارى ما نستطيعه هنا ـ بناء على ما أتاحته لنا البحوث من معرفة ـ هو أن نبني أو نؤكد بعض الأمور دون الخوض في التفصيلات فأولا هل يستمر أو يستأنف التطور بعد الكارثة ؟ والاجابة عن هذا السؤال هي على وجه اليقين . (نعم) ، ذلك أن التطور من طبيعة الأحياء ـ تماما كما هو من طبيعة الأفكار ، حيث يرى هيجل أن لكل فكرة فكرة مضادة ومن محصلة تفاعلهما معا تخلّق (بتشديد اللام) الفكرة الجديدة التي سرعان ما ينشأ لها (ضد) وهكذا ـ وبالمثل لقد أثبتت البحوث البيولوجية ، أن صفات الفرد من الأحياء هي في الواقع محصلة لآثار عاملين ـ عامل الوراثة الذى تتحكم فيه الجينات المحمولة على الكروموزومات في الخلايا ، والتي تربط الفرد بجدود الى صفات آبائه ، وعامل النزوع الى الاختلاف عن الصفات الموروثة . ومواصفات الفرد في الواقع الا المحصلة النهائية لهذا الصراع المستمر استمرار الحياة نفسها لاشك اذن أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة ـ على أننا نجزم بأن هذا التطور لن يؤدي الى انسان جديد في المستقبل القريب أو البعيد ، فعامل النزوع الى الاختلاف في التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف البيئية ـ وكما يقولون (فالكائن الحي هو نتاج بيئة) ـ ولكي ينشأ انسان جديد من خلال تطور جديد ، وجب أن تعود الظروف البيئية على الأرض ، كما كانت ، عليه في غابر الزمن . ثم لابد لهذه الظروف نفسها ، تتغير على نفس المنوال الذى تغيرت عليه في الماضى وكل هذا محال،فما راح لاعودة له أبدا ، وظروف الأرض البيئية اليوم تختلف عما كانت عليه في الماضى ، وسوف تختلف في المستقبل .

نخلص من ذلك الى أن التطور سوف يستمر بعد الكارثة ، ولكنه سوف يسمو نموا مختلفا ، تماما عما لو لم تقع الكارثة النووية . وسوف يؤدى هذا التطور الجديد الى كائنات (راقية) جديدة لايعلم صفاتها الا الله ، ولكنها على وجه اليقين لن تكون مطابقة لصفات الجنس البشري الذي يحيا اليوم على كوكب الأرض . □

وجها لوجه





د. عز الدين اسماعيل و حسن محمود عباس

* النقد ليس مطية ذلولا لكل من أمسك بالقلم !

* المسرحيات التي تكتب وتؤدى بالعامية تخدم أغراضا وقتية ، وتؤدى وظيفة محدودة بحدود الزمان والمكان .

* مارسة العمل الابداعى ليست شرطا لازما للناقد .

* ثنائية اللغوية واقعة في حياتنا .. حتى في الجامعات !

يقف الدكتور عز الدين اسماعيل فى الصف الأول من جيل النقاد العرب المعاصرين ولو ألقينا نظرة على مؤلفاته - وهى مراجع يقصدها الدارسون والباحثون ممن تعنيهم دراسة الأدب العربى الحديث - لوجدنا فيها خير دليل وشاهد على صدق ما نقول - ان من بينها كتبا أعيدت طباعتها مرات عديدة ، فكتابه « الأدب وفنونه » الذى ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٩٥٥ ، قد طبع للمرة السادسة فى عام ١٩٧٦

ومازال كتابه « الأسس الجمالية للنقد العربى » مرجعا مهما فى هذا الباب ، كما أن دراساته التى ضمنها كتاب « التفسير النفسي للأدب » وأصدرها فى عام ١٩٦٣ تعد علامة بارزة فى النقد العربى الحديث ، وقليلة هى الدراسات المسرحية التى تجارى كتابه القيم « قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر » .

أما كتاب « الفن والانسان » فقد تجلت فيه ثقافة موسوعية تحيط بمذاهب الفن فى مختلف العصور ، واقتدار على النقد الفنى لا يقل عن اقتداره فى النقد الأدبى

اننا فى هذه العجالة نضرب أمثلة ولا نقدم حصرا ، فالكتب كثيرة ، والأبحاث المنشورة فى الدوريات العربية أكثر ، وكل منها يحمل من فكر الدكتور عز الدين اسماعيل ومن علمه وثقافته حظا وافرا ، لقد كانت هذه الدراسات والأبحاث حصيلة أكثر من ثلاثين سنة ، قضاها فى رحاب الجامعة دارسا واستاذا وعميدا لكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وقد تتلمذت عليه فيها أجيال من المثقفين العرب .

أدار الحوار الزميل حسن محمود عباس ، وهو كاتب ومحرر بالمجلة ، وهكذا دار الحوار وكانت المواجهة .

البدايات الأولى



* عملت استاذا جامعيا لما يقرب من ربع قرن . ثم رئيسا للهيئة العامة للكتاب ، ثم رئيسا لأكاديمية الفنون ، وفوق هذا وذاك كنت تعمل رئيسا لتحرير مجلة فصول - مجلة النقد الادبى - ففى أى هذه المواقع وجدت نفسك ؟

- لقد عملت فى الجامعة أكثر من ثلاثين عاما ، متدرجا من وظيفة معيد الى وظيفة أستاذ ، واعتقد أنى كنت أعرف طريقى الى كلية الآداب منذ زمن يعود الى المرحلة الثانوية . ففى هذه المرحلة بدأت الاهتمامات الخاصة بالأدب والشعر قراءة وكتابة أيضا . وقد عرفت فى السنتين الأخيرتين من الدراسة الثانوية جلسة العقاد صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ، وأدمنت التردد عليها طوال دراستى فى كلية الآداب ، ثم كانت أول محاولة للخروج من الدائرة الضيقة ، سواء فى المدرسة الثانوية أو فى الكلية . تلك الدائرة التى تضم مجموعة الشباب شداة الأدب وكتاب الشعر ، أقول كانت أول محاولة للخروج من هذه الدائرة الضيقة نسبيا الى دائرة الكتابة والنشر على نطاق أوسع قد بدأت فى بداية عام ١٩٤٨ ، وأنا فى السنة الثانية بالكلية ، عندما نشرت أول مقال نقدى لى بمجلة الثقافة ، التى كانت تصدر آنذاك ، وكان عنوان هذا المقال « قوانين النقد الأدبى » .

هذه البداية شجعتنى بالتأكيد على الاستمرار فى موالاة المجلة بالمقالات ذات الطابع النقدى . ولم أفكر فى نشر شعر لى فى ذلك الوقت ، لأنى كنت اتصور أننا على وشك تغيير جذرى فى رؤيتنا لهذا الفن الادبى ، ولعلنى تجرأت فى سنة ١٩٥٠ على نشر قصيدة فى تلك المجلة ، وان كانت فى تقديرى أثرا من آثار تأثرى بمجموعة شعرائنا الرومانسيين البارزين . فى أثناء هذه الدراسة اتجهت بميل طبيعى فى القراءة الى كتب فلسفة الجمال ، أو علم الجمال بالأحرى وكان أول كتاب قرأته فى ذلك الوقت كتاب الاستطيقا

أو علم الجمال للفيلسوف الانجليزى بوزانكيت ومازلت اذكر اعتذاره فى بداية هذا الكتاب عن عدم معرفته باللغة العربية ، الأمر الذى فوت عليه أن يتعرف آراء المفكرين المسلمين فى نظرية الجمال ولعل هذا الاعتذار هو الذى ظل يشغلنى بعد ان تخرجت في الكلية ، فقد رأيت أن هذا الجانب من الفكر الاسلامى لم يحظ من قبل بالاهتمام ، وخصوصا الاهتمام الذى يربط بين النظرية الجمالية عند العرب المسلمين والنظرية النقدية

ومن ثم كرست جهدى لدراسة هذا الجانب عدة سنوات انتجت فى نهايتها دراستى التى تحمل عنوان « الأسس الجمالية فى النقد العربى » . ولكني فى الوقت نفسه وجدتنى مشغولا كذلك بعلم النفس فى علاقته بالادب أيضا ، وقد نشرت على أثر تخرجى فى الجامعة سلسلة من خمس مقالات ، نشرت تباعا فى مجلة الثقافة بعنوان « التفسير النفسى للنقد الادبى » ، هذا الاهتمام استمر كذلك الى حوار الاهتمام السابق ، حتى أثمر فيما بعد ـ وفى أوائل الستينيات ـ كتاب « التفسير النفسى للادب » ، ولا شك أن عملى فى الجامعة منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٨٢ قد هيأ لى الظروف الملائمة للمضى فى اصدار عدد من الدراسات ، التى تتصل بنظرية الأدب ونظرية النقد ، والانواع الأدبية المختلفة ، كالقصة والمسرحية والقصة القصيرة ، ولا أنسى الشعر الذى ربما ظفر منى بأكبر عدد مما أنتجت من دراسات وما أصدرت من كتب ، وفى مقدمتها يأتى « كتاب الشعر العربى المعاصر » . ولكننى كنت فى الوقت نفسه أتحرك خارج اطار الجامعة ، فى اطار جماعة أدبية كانت تضم مجموعة من الزملاء والأصدقاء ، عرفت منذ عام ١٩٥٢ باسم « الجمعية الأدبية المصرية » وكانت تقيم ندواتها الادبية والثقافية مساء كل ثلاثاء ، حتى توقف نشاطها فى أوائل السبعينيات ، وفى اطار هذه الجمعية التى كان نشاطها يتصل اتصالا مباشرا بالجماهير من رواد ندواتها ، كنت أصرف جزءا لا بأس به من نشاطي الأدبى ، وأعتقد أن هذه الجمعية بقدر ما أفادتنا ـ نقادا وشعراء ـ فى بلورة كثير من مفاهيمنا ، كانت كذلك عامل تحريك للحياة الأدبية ، ولأجيال من الشباب توافدت على ندواتها . ونصحت أدواتها فى اطارها . لعلنى بهذا السرد الطويل أنتهى الى ان عملي فى الجامعة كان البيئة الملائمة لنشاطى العلمى والأدبى ، وأن عملى بالهيئة العامة للكتاب ، وان كان شديد الارتباط بالمجال الثقافى ، فان الجهد الذى بذلته كان على حساب انتاجى الشخصي . ولذلك فاني أعتقد أن عملي الحالى رئيسا لأكاديمية الفنون هو بمثابة عودة الى المناخ القديم ، الذى يتيح للانسان أن يجمع بين ادارة مؤسسة علمية كهذه وانتاجه الخاص

مجلة فصول

*** يرى البعض أن مجلة فصول قد غلب عليها الطابع الأكاديمى ، فارتقت رقيا حجبها عن عامة المثقفين ، وجعلها تتجه الى الخاصة ، وهى فئة قليلة نسبيا ، فهل اتجهت المجلة هذه الوجهة بتأثير من رئيس التحرير ، أم أن هذا الزى الذى تظهر به المجلة كان مقدّرا لها ومحسوبا منذ ان كان انشاؤها فكرة فى اذهان مؤسسيها ؟**

ـ بدأت فكرة انشاء مجلة فصول فى بداية عام ١٩٨٠ ، نتيجة احساس عام بأن الساحة الأدبية كانت قد أصبحت تفتقر الى مجلة رصينة ، تجاوز ما تقدمه المجلات الأدبية فى ذلك الوقت ، وتحاول اللحاق بالتطور الفكرى العالمى فى مجال النقد الأدبى ، هذا التطور الذى كان قد جاوزنا بمراحل طويلة وكانت كتاباتنا النقدية متخلفة عنه بالضرورة كانت كل الأطروحات النقدية فى ذلك الوقت قد استهلكت ، لكثرة تكرارها ودورانها من كتاب الى كتاب ومن مقالة الى مقالة وأستطيع أن أقول ان مناخا من الركود والتجمد كان قد خيم على الساحة الأدبية على نحو ارتضى فيه كثير من المشتغلين بالنقد ما كانوا قد حصلوه قبل ذلك بعد سنوات طويلة ، وما كانوا يكررونه فى كتاباتهم وفى أحاديثهم فى كل مناسبة ، ظنا منهم أنهم بلغوا الغاية ، وأنهم فى غير حاجة الى مزيد ، من هنا كان لا بد أن تتحدد لمجلة فصول منذ البداية مهمة شاقة ، هى أن تعيد أولا للنقد الأدبى مكانته فى حقل العلوم الانسانية ، وأن تثبت فى الاذهان أنه ـ أعنى النقد ـ ليس مطية ذلولا

لكل من أمسك بالقلم ، وأنه على العكس يحتاج الى تأهيل طويل وخبرة واسعة وممارسة مضنية ، وأن تؤكد ثانيا أن ما توقفنا عنده لم يعد كافيا أو صالحا لمواجهة ما يطرأ على الساحة الادبية من تطلعات جديدة في مجال الابداع ، وان الأجيال الجديدة التي شقت طريقها الى الممارسة النقدية ، تحتاج الى الاتصال بما طرأ عالميا في ساحة النقد الادبي من تيارات ومناهج على المستويين النظري والتطبيقي .

وفي جملة واحدة كان لا بد أن تكون هذه المجلة الجديدة في الحقل النقدي بمثابة الصناعة الثقيلة التي تغذي الصناعات الأخرى الخفيفة ، كان لابد أن تتغير لغة النقد ومنظوراته وأدواته وطرائق تعامله مع النص الأدبي . وكان طبيعيا أنّ انجاز هذا المشروع رهن باسهام أولئك الاساتذة الجامعيين ، الذين اتيحت لهم ـ بوصفهم افرادا ـ فرص الاتصال المباشر والوثيق بتلك التيارات والمناهج ، التي كانت قد صارت عند المثقف العربي شيئا مألوفا للغاية . وكان طبيعيا أيضا أن تكون هذه المجلة صادمة للعدد الأكبر ممن يشتغلون بالنقد الأدبي ، وخصوصا في المجال الصحفي ، فقد طرحت عليهم أشياء جديدة ، يحتاج هضمها وتمثلها الى كثير من الجهد ، وكانوا قد ظنوا بانفسهم أنهم ختموا العلم ، ولم يعودوا في حاجة الى جديد ، ويصدق فيهم المثل القائل (الانسان عدو ما يجهل) ولذلك ظهر هذا العداء منهم للمجلة في أعدادها الأولى ، ولعلها هوجمت من ناحية قوتها التي كان يدركها الجميع بلا شك ، ولكنه الدفاع عن الذات . لكن الأيام اثبتت أن الراغبين في هذا المستوى من الثقافة يجاوزون الأكاديميين ، وأن هناك أجيالا جديدة ملت الأعمال المبتذلة ، ورغبت في كل ما هو جاد وجديد .

*** كتبتَ مسرحية واحدة هي « محاكمة رجل مجهول » ثم توقفت ، فهل القريحة ـ وهي خصبة لم تعد تسعف في هذا المجال من مجالات الابداع الفني ، أم أنك لم تجد في المسرح الأداة الملائمة للتوصيل ؟**

ـ هذه المسرحية التي كتبتها في عام ١٩٧٠ ونشرت في العام التالي هي مسرحية شعرية ، كان التحدى الأساسي فيها هو بلورة لغة شعرية صالحة للمسرح في الوقت نفسه ، وبعبارة أخرى كتابة مسرحية شعرية تحقق الهدف الدرامى بالدرجة الأولى ، ولا تعول على رنين الايقاع الشعرى في التأثير على جمهور المشاهدين ، حيث يصبح عندئذ مجرد أداة لتعميق المعنى أو الشعور الذى تعبر عنه الشخصية المسرحية ، وقد شرعت بعدها بثلاثة أعوام في كتابة مسرحية أخرى تستلهم ملحمة جلجامش البابلية ، دون أن تتقيد بأحداث هذه الملحمة ، أو أن تجعلها هدفها الرئيسى . أعتقد أن الفكرة الأساسية فيها كانت تعالج شخصية الحاكم الدكتاتور، الذى يخيل اليه أنه لابد أن يعيش الى الابد ، وما ينشأ عن ذلك من جرائم ترتكب في حق الشعب . وقد كتبت فصلين منها شعرا أيضا ، ثم تركتها بعض الوقت لظروف لاأستطيع تحديدها الآن ، ولكننى حينما فكرت في العودة اليها لانجاز الفصل الثالث والأخير لم أعثر عليها ، والحقيقة أن عملى في مجال الدراسات الأدبية والتدريس في الجامعة ومسئوليات هذا العمل المتشعبة ، ثم عملى في هيئة الكتاب الذي يستهلك يومى كله ، كل ذلك كان يحول دون التفرغ لانجاز عمل أدبي كبير كهذا ، بل انى كنت نادرا ما أختلس الوقت لكي أكتب قصيدة جديدة ، مجرد قصيدة ، ومازلت أعتقد أن العمل الأدبي المسرحى له أولويته على كل فنون الأدب الأخرى ، اذا كان الكاتب يريد لكلمته أن تكون ذات فاعلية مباشرة وتأثير ملموس .

الفصحى والعامية

*** كتبت المسرحية باللغة العربية الفصحى ، أى أنها نحّت اللهجة العامية جانبا ، ألم تشغلك قضية لغة الكتابة للمسرح ، والمسرحية مازالت مشروعا ؟**

ـ لم تكتب هذه المسرحية باللغة العربية الفصحى فحسب ، بل كانت شعرا كذلك ، وكان الهدف من ذلك ـ فضلا عن توظيف الشعر في المسرح وتطويعه لمقتضياته الدرامية ـ هو اعطاء المسرح احترامه الواجب ، والارتفاع به وبجمهور رواده الى مستوى التذوق الراقى ، والاحساس بكفاءة اللغة الفصحى ، وخلق تيار من الكتابة للمسرح بهذا

المستوى . والحق أن الشعر الذى كان ينشر فى شكل قصائد فى نهاية الستينيات كان قد تطور بالقصيدة ، وخرج بها من مستوى الغنائية التقليدية الى الرؤية الدرامية ، ولم يكن هناك الا خطوات قليلة يخطوها الشاعر لكى يخرج من دائرة القصيدة المفردة الى البناء الدرامى المركب فى شكل مسرحية . كان هذا انقاذا من جانب آخر للشعراء ، من الوقوع فى تكرار أنفسهم فيما يكتبون من قصائد مفردة ، وذلك بدخولهم الى عالم هذا البناء المركب ، الذى يجمع بين الرؤية الدرامية واللغة الشعرية الملائمة ، حتى ذلك الوقت لم يكن هناك مسرح شعرى يحمل نبض الحداثة ، الا ما كتبه عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور . وقد شهدت السبعينيات تطورا ملحوظا لا فى مصر فحسب ، بل فى بعض الاقطار العربية فى مجال الكتابة للمسرح ، حيث دخل عدد لا بأس به من الشعراء فى هذا المجال وكتبوا أعمالا درامية بالشعر ، وأعتقد أن هذا الاتجاه مازال يغازل بعض الشعراء ويستحثهم على الدخول فيه بل ان بعض من كتبوا للمسرح باللغة الفصحى نثرا - واستطيع أن أقول أيضا حتى باللغة العامية - كانوا فى كثير من الأحيان يرتفعون فى مستوى الأداء اللغوى الى المستوى الشعرى ، احساسا منهم بأن الشعر بهذا المعنى الواسع يضيف الى العمل عمقا فى رسم الشخصية ، وما يتحرك بداخلها من مشاعر وأفكار

*** ألا تسهم الكتابة للمسرح وكتابة الشعر ايضا بلهجات محلية في تأصيل الازدواجية في الشخصية العربية ؟**

- من الواضح ان البدايات الأولى للمسرح العربي كانت تلتزم بالعربية الفصحى ، فأبو خليل القباني شاهد ملموس على ذلك . ولكن الاتجاه الى اللغة العامية قد عرف طريقه الى المسرح ايضا منذ اوائل السبعينيات من القرن الماضي ، على يدي يعقوب صنوع ، سواء فيما الف أوفيما عرّب ، ومذ ذلك الحين عرف المسرح اللغتين ، وظل كذلك يؤكد صلاحيتهما للأداء المسرحي . والواقع ان من يكتبون للمسرح ويعتزون في الوقت نفسه بالقيمة الادبية لما يكتبون ، انما يلجأون دائما الى اللغة الفصحى ، ويكفي شاهدا على ذلك ان شيخ كتاب المسرح توفيق الحكيم منذ ان كتب مسرحية اهل الكهف حتى آخر مسرحية له ، ظل ملتزما باللغة العربية الفصحى ، سواء في المسرحيات الطويلة او في المسرحيات ذات الفصل الواحد ، وسواء في المسرحيات ذات الطابع الذهني او التي تتصل بالمشكلات اليومية للمجتمع . ومعنى هذا انه استطاع من خلال الفصحى المطوعة للأداء المسرحي ان يعالج موضوعات من مستويات مختلفة ، وان يجعل من هذه المسرحيات اعمالا ادبية منشورة ، يمكن قراءتها في اي زمان . اما المسرحيات التي تكتب بالعامية وخصوصا عندما تكون مغرقة في الطابع المحلي الذي يشخص اللهجات الخاصة ، فانها تقتصر على الاداء المسرحي وعلى جمهور المشاهدين من ابناء هذه اللهجة ، ولا تنهض بحيث تعد في ذاتها اعمالا ادبية قابلة للقراءة ، حتى المسرحيات التي طبعت ونشرت من هذا النوع كثيرا ما تصعب قراءتها ، لأن طريقة كتابتها ليست اصطلاحية مطردة ، كما هو الشأن في اللغة الفصحى ، وعلى ذلك نستطيع القول ان المسرحيات محدودة بحدود الزمان والمكان اللذين تؤدى فيهما ، ولا نستطيع ان ننكر انها في هذه الحدود قد تكون ذات تأثير ملحوظ لكننا عندما نتحدث عن الأدب المسرحي العربي الذي يستطيع ان يخاطب الجماهير العربية في كل مكان ، وان يظل رصيدا ادبيا لكل الاجيال ، فانما تتجه اذهاننا مباشرة الى الكتابة المسرحية التي التزمت العربية الفصحى .

النقد والطبع

*** يقال ان الناقد يبدي خير ما عنده ان كان مبدعا في مجال الفن الذي ينقده . فقد كان كولريدج من كبار نقاد الشعر في الادب الانجليزي ، وكان شاعرا . وكان لسنج وغوته وشيلر وبيرتولت بريخت في الادب الالماني نقادا ومنظرين كبارا ، وكانوا - فضلا عن ذلك كتابا مسرحيين ، وكان اي . ام فورستر ناقدا وكاتبا روائيا فهل ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ؟ وماذا يقال عن افلاطون وارسطو وقد كانا ناقدين للشعر ، ولم يكونا شاعرين ؟**

ـ لا نستطيع ان نقول ان ممارسة العمل الابداعي شرط لازم للناقد ، فليس من الضروري ان يكون شاعرا كبيرا حتى يكون ناقدا كبيرا ولكن من الضروري ان يكون اتصاله بالنوع الادبي الذي ينقده اتصالا حميما ، وان تكون معرفته بطرائق هذا الفن معرفة كافية . وربما قيل احيانا ان الناقد مبدع احمق في الابداع ، ولكن هذا ليس صحيحا ، فالابداع نشاط من نوع يختلف كل الاختلاف عن النشاط النقدي ، ويكفي ان ننتبه الى ان انتاج الكاتب المبدع هو موضوع الناقد . على اننا حين نذكر افلاطون وارسطو ونتذكر انهما كانا ناقدين للشعر ولم يكونا شاعرين ، فان هذا القول ينبغي ان نتريث فيه قليلا ، فمن المعروف ان المعلم الأول قال الشعر في بداية حياته الفكرية ، ولكنه فيما يبدو لم يكن شعرا لامعا . اما افلاطون فمن ذا الذي لا يشعر انه شاعر من قمة رأسه الى اخمص قدميه حين يقرأ محاوراته ؟ وعندما نتأمل فيما خلفه لنا كبار الادباء المبدعين من نقد فاننا نلاحظ ان احدى الكفتين عندهم ترجح الاخرى عادة ، فشاعر مثل ت . اس . اليوت مثلا له كتاباته النقدية ، لكنه لم يحرر مجده الادبي بكتاباته النقدية بقدر ما احرزه بشعره ، واي ام فورستر يكتب عن فن الرواية ، ولكن قيمته الادبية انما ترتكز اساسا على ما ابدعه من اعمال روائية ، وقس على ذلك الشعراء من الالمان والفرنسيين والانجليز ، بل الشعراء النقاد العرب كذلك . فابن المعتز مثلا شاعر اولا وناقد ثانيا ، والقاضي الجرجاني ناقد اولا وشاعر ثانيا ، وهكذا . ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من ان يكون الناقد الكبير شاعرا كبيرا كذلك ، دون ان نرتب نجاحه في احد الجانبين على اتقانه للجانب الآخر . فهذا كما قلت ضرب من النشاط وذاك ضرب اخر .

النقد والابداع

*** النقد عمل ابداعي . فهو لا يكتفي بالتفسير الذي يستمد القدرة من سعة الاطلاع والثقافة ، وهما مكتسبتان ، ولكنه يعمد الى التحليل والتأويل ، فقد يذهب الناقد في تحليله وتأويله للعمل الأدبي مذاهب لم تكن تخطر لمبدع النص على بال ، فهل للموهبة والقدرة الذاتية دخل في هذا ، كأن يقال مثلا ان فلانا ناقد مطبوع ، مثلما يقال عن آخر انه شاعر مطبوع ؟ .**

ـ اذا صح ان يقال ان فلانا شاعر مطبوع ، فأعتقد انه من الصعب ان يقال ان فلانا ناقد مطبوع . وقولنا ان النقد عمل ابداعي وهو قول يمثل على كل حال وجهة نظر تقبل الجدل ، لا يعني بالضرورة ان النقد يصدر عن الطبع تلقائيا ، ولا مناص في العمل النقدي من الخبرة الواسعة بموضوع النقد ، واكتساب هذه الخبرة من خلال الممارسة الطويلة ، حتى عندما تبدو الكتابة النقدية اعادة لابداع العمل المنقود ، وتحقق شرط الابداع في هذه الحالة فان النتيجة عندئذ تصبح عملا ابداعيا جديدا ، لا عملا نقديا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . ولاشك ان بعض الممارسات النقدية تتجه هذا الاتجاه ، فيصبح النقد عندئذ مجرد قراءة شخصية صرفة للعمل المنقود ، وتتطلب من القارىء الاهتمام بعيدا عن العمل الأصلي نفسه .

وقد يبدو التأويل في ظاهر الامر عملا يقوم على الاجتهاد الشخصي ، وعندئذ يصبح ذاتيا ، ولكن التأويل بمعناه الدقيق في السياق النقدي يعني شرح معطيات التحليل في الاطر الزمانية والمكانية التي ظهر فيها العمل الادبي . اي ان التأويل مرتبط بمجموعة الأطر المرجعية التي تلقي الضوء على دلالات العناصر المختلفة التي اشتمل عليها العمل الادبي والتي كشف عنها التحليل . وليس من المهم ان يكون صاحب العمل الادبي نفسه واحدا من هذه الاطر المرجعية ، لان اقراره بما ينتهي اليه التأويل او انكاره لذلك لا يمكن ان يعول عليه ، لسبب بسيط للغاية ، هو انه في اللحظة التي شرع فيها في انتاج عمله الادبي لم يكن على وعي كامل ودقيق بالابعاد اللغوية التي كان لها تأثير غير مباشر في تشكيل عمله الادبي .

ومن جهة اخرى فكثيرا ما يكون العمل الادبي نفسه مجرد قناع يتوارى خلفه الاديب ، ظانا بهذا انه استطاع ان يقدم الوجه البديل للحقيقة الأولى المحركة ، تلك الحقيقة التي تعمل عملها في الخفاء ، والتي تؤكد في نهاية الامر ان الاديب نفسه لم يكن بمعزل عن تلك الاطر المحيطة به . □

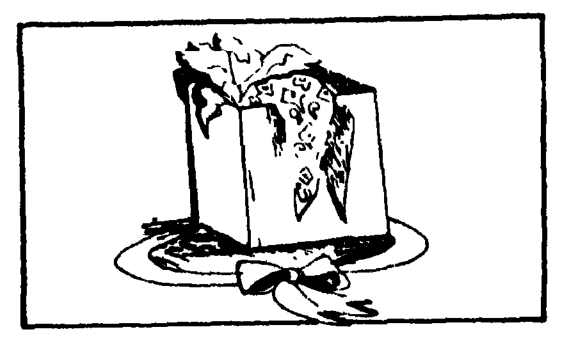
حكايات شرق وغرب

هدية العام الجديد

● أراد أن يستقبل العام الجديد بعمل طيب يبقى حيا في ذاكرته هوعلى الاقل طوال أشهر السنة ، كان يريد أن يسعد قلبا ، أو يسهم في ازالة همّ عن أسرة فقيرة يعوزها المال ولكن مشكلته كانت تكمن في كثرة عدد الفقراء بمدينة رانجون في بورما ، وفي الأعداد الكبيرة التي تصنع أجسامها في الأسمال البالية ، وتندس بين الفقراء وهي لاتمت اليهم بصلة لأنهم يجدون أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للهرب من القانون ، وأخيرا لأنه هو نفسه رجل متوسط الحال ، ولايستطيع أن يقدم الكثير ، ويكفيه أن يسعد انسانا واحدا ، ولكن كيف يجده وسط الزحام الكبير من أصحاب الأيدي الممدودة .

وفي مساء أحد الأيام خرج كعادته كل يوم يبحث عن الفقير الذي سيقدم له هديته الصغيرة بمناسبة مولد العام الجديد . . وامتد به الوقت ، وطال بحثه عن ضالته ولكن على غير جدوى . .

وأخيرا قرر أن يعود ، على أن يستأنف رحلته مع مجيء اليوم الجديد . . ولكنه وجد نفسه يتوقف فجأة عندما لمح شبح رجل يرتدي ملابس نظيفة . . رجل جاوز رحلة منتصف العمر ، ووقف يرقبه وهو لايدري لماذا اختاره هو دون سائر الناس الذين كانوا يمشون في الشارع بعد أن غابت الشمس . . ووجد الرجل يخرج من جيبه منديلا أبيض كبيرا ويلقي به على الأرض . . ثم رآه يتلفت يمينا ويسارا قبل أن ينحني ويلتقط المنديل مرة أخرى ، ولكنه كان يبدو أضخم وأثقل من حجمه ، وكأن المنديل يحمل شيئا في داخله .



ومشى الرجل في طريقه دون أن ينظر وراءه . . وقرر الرجل الآخر الذي يبحث عن الراحة في العطاء . أن يتبعه ـ وفعل . حتى اذا ما رآه يدخل بيته الصغير المتهالك في هذا الحي الفقير الذي يعيش فيه أسرع يطرق الباب .

وفتحه الرجل صاحب المنديل . وما كاد يراه حتى أجفل وأحس بالفزع . وقال في صوت خفيض ذليل . « هل من خدمة أؤديها لك . . هل تبحث عن أحد هنا في حينا ؟ »

قال : « أبحث عنك ، وعن المنديل الذي كنت تحمله »

أنا لم أسرق أحدا ياسيدي ، انها دجاجة ميتة سوف آتيك بها لتراها . . ان زوجتي تحتاج لغذاء خاص لاأملك ثمن شرائه ، لأنها ترضع الصغير الذي رزقنا به منذ اسبوع ووجدت الدجاجة فحملتها الى البيت !! »

وأسرع الرجل يخرج كل ما في جيبه ويقدمه له ويقول وهو يودعه ويتمنى له عاماً سعيداً « أنت رجل فقير يا سيدي ، ولكنك غني بخلقك وكرامتك » .

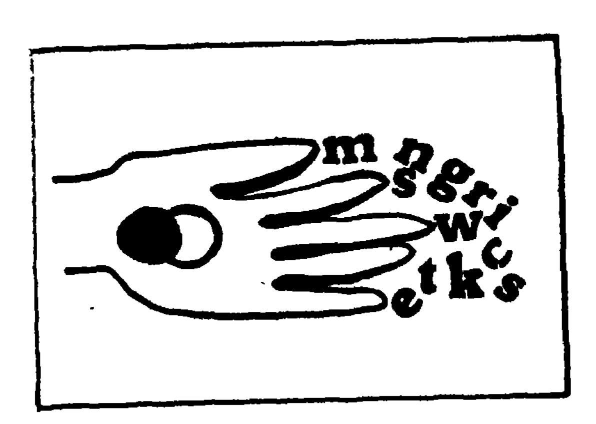
بيرو وقصته مع القلم !

كان يمضي عطلة قصيرة في يوغسلافيا ، عندماالتقى صدفة بقائد كبير من الأرجنتين ، هو الجنرال أوجستين جوستو . وكان الشاب يجلس الى مكتب صغير يكتب رسالة الى أمه . . ولاحظ الجنرال أن القلم الذى يستخدمه صاحبه فى الكتابة ، قلم غريب لم ير مثله من قبل . . وسأله : ما هذا ! »

وقال الشاب المجرى : « انه قلم جديد من ابتكارى ! » ودعاه الجنرال الى زيارة الأرجنتين ، وكان ذلك في عام ١٩٤٠ ، وقَبِلَ الشاب الدعوة . . ولم يعد الى بلاده منذ ذلك التاريخ . . فقد أعجبته الحياة هناك ، بعد أن لمع اسمه وأصبح من أصحاب الملايين !

انه جوزيه بيرو الذى ابتكر قلم الحبر الجاف ، وباع براءة الاختراع الى أحد فروع شركة باركر فى الأرجنتين على أثر وصوله اليها منذ أكثر من خمسة وأربعين عاما . . وفى بونيس آيرس عمل بيرو مع الشركة التى اشترت اختراعه الجديد ، لتطوير قلم الحبر الجاف وبيعه في الأسواق على نطاق واسع .

ولم يكن قلم الحبر الجاف هو الاختراع الوحيد الذى قدمه بيرو الذى ما زال قلمه يحمل اسمه ، فقد قدم أكثر من ثلاثين اختراعا ، من بينها أسقف المنازل العازلة للحرارة والبرودة ، وقد اشترت براءة هذا الاختراع احدى الشركات النمساوية .



ومات بيرو فى أواخر العام الماضى عن ٦٨ عاما ، بعد مرض قصير لم يمهله طويلا . . وكان حتى آخر يوم فى حياته يعمل فى جراج سيارته الملحق بالبيت الصغير ، الذى يعيش فيه بمدينة بلجرانو بالأرجنتين ، فى عمل كلفته به اللجنة القومية للطاقة الذرية .

وعندما كتبت صحف الأرجنتين تنعى بيرو ، قالت : « انه لم يكن مخترعا فحسب ، بل كان كاتباً يتمتع بأسلوب رقيق ، وكان رساما ، ولا تزال بعض لوحاته تحمل مكان الصدارة فى متحف بودابست للفنون الجميلة . . فهى المدينة التى نبت فيها ، وكرمته بأن اختارته عضوا فخريا فى الأكاديمية الملكية للعلوم عام ١٩٣٨ . . فقد ولد بيرو مخترعا !!

عندما أصيب الأب بلوثة !

كان يوما لا ينسى فى حياة ضابط الجيش اليونانى المتقاعد الكابتن جورج كاراجيورجاس ، عندما تخرج ابنه ديمتريس فى الأكاديمية العسكرية فى أثينا عاصمة اليونان ، بامتياز مع مرتبة الشرف .

وتوقع الأب أن يحذو الابن حذوه ، وأن يسير على نفس الخطا التى سار عليهاوالده من قبله ، فيلتحق بسلاح المشاة الذى حارب هو فى صفوفه ضد الشيوعيين ، ابان الحرب الأهلية فى اليونان بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ .

ولكن الأب مالبث أن صدم عندما وقف ابنه يعلن عن عزمه على حضور الصلاة التى ستقام على أرواح هؤلاء الذين سقطوا فى الحرب الأهلية ، ومن بينهم الشيوعيون .

وجلس الأب يناقش ابنه فيما اعتزم القيام به ، ولكن يبدو أن كل مناقشاته لم تفلح فى اقناع الضابط

شاب بالعدول عن رأيه ، بل على العكس فقد زادته تصميما على المضى فى قراره ، ووقف يقول لأبيه فى تحدٍ : « لقد مضى على الحرب الأهلية فى اليونان أكثر من ٣٦ عاما ، ولابد لنا أن ننسى خلافاتنا ، ونقف صفاً واحدا فى مواجهة الأخطار المحدقة ببلادنا !

ولكن الأب رفض أن يفهم . . لقد وجد أن هذاالتصرف الذى سَيُقدِمُ عليه الابن سوف يجلب العار على الكتيبة التى سيلتحق بها ، وعلى الأسرة التى ينتمى اليها ، وعلى اليونان كلها . وقرر أن يفعل شيئا ! لقد حمل المسدس الذى لم يستخدمه منذ تقاعده ، وأطلق رصاصة واحدة على الابن « العاقّ » ، أردته قتيلا !

وقدم الأب للمحاكمة . ولا تزال أثينا كلها تنتظر صدور الحكم . . ويقول المستشارون العسكريون أن الأب المحنون سوف يواجه عقوبة الاعدام رميا بالرصاص ، بعد ادانته أمام المحكمة العسكرية .

التوأمان

كانت حياة أوستن راي وشقيقه جون سلسلة من المصادفات العجيبة ، فهما توأمان أشبه ما يكونان بحبتين من البازلاء وضعتا في طبق صغير ، لايمكن أن تميز بينهما اذا وجدا في مكان واحد

ولد التوأمان منذ سبعين عاما ، وأصيب أوستن بالحصبة ، وبعد ساعات كان جون يرقد في فراشه مصابا بنفس المرض ، وعندما نقلوا جون الى المستشفى لاستئصال اللوزتين ، كان أوستن يرقد في الغرفة المجاورة له عندما اكتشف الطبيب أن لوزتيه تفرزان صديدا ، رغم أنه لم يشْكُ منها مرة واحدة في حياته

كانا يذهبا الى نفس المدرسة ، ويجلسان في فصل واحد ، وعندما تخرجا في الجامعة وقف الشقيقان يحتفلان بزواجهما في نفس اليوم حتى عندما قال لهما الطبيب أنهما في حاجة الى نظارة طبية ، اكتفيا بصنع نظارة واحدة كان يستخدمها الشقيقان في القراءة

ومنذ بضعة أسابيع نقل أوستن الى المستشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال احدى رئتيه تحت الجراحة ، وكان شقيقه جون يزوره كل يوم يمضي معه عدة ساعات ، لايلبث أن يعود بعدها الى منزله بمدينة ليفربول التي يعيش فيها شقيقه أيضا في نفس الحي ، وفي نفس الشارع مع زوجتيهما بعد أن ولدا معا وتزوجا ، وأنجب كل منهما ولدا وبنتا

ولكن لم تكد تنقضي بضعة أيام على وجود أوستن بالمستشفى حتى فوجىء بالممرضات يفسحن مكانا



لوضع فراش آخر في غرفته « ماذا حدث ؟ » مريض جديد سوف يشاركه غرفته

وكانت المفاجأة عندما اكتشف أوستن أن المريض هو شقيقه جون الذي حملوه الى الغرفة التي يرقد فيها ، بعد إجراء عملية جراحية استأصلوا فيها احدى رئتيه !!

قال الطبيب يروي القصة « لقد أصيب جون بدوار وسقط في سيارة الأوتوبيس ، ثم حملوه الى المستشفى ، وقررنا اجراء جراحة عاجلة له في الرئة » وعندما جاءت زوجة جون لتطمئن عليه ، وفتحت باب حجرتهما بعد أن اذن الأطباء لها بالدخول ، وقفت حائرة عندما وجدت الاثنين يجلسان في فراشهما ، ويتطلعان اليها والابتسامة تعلو وجهيهما الشاحبين ترى أيهما زوجها

وفجأة سمعت أحدهما يسأل « أين زوجتي ؟ لماذا لم تأت معك ؟ » وأسرعت الى الثاني لتطبع على جبينه قبلة رقيقة



اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم

شيخ الكيميائيين بالقيروان

بقلم : الدكتور/ ممدوح حسين

رجل أفنى العمر فى العلم والصناعة . أما العلم فهو الكيمياء . واماالصناعة فهى مساحيق التجميل للسيدات ! أين كان ذلك ، ومتى ؟ وهل كان يظن احد أن لمساحيق النساء صناعة رائجة فى القرن الثالث الهجرى ؟ من كان فى شك من ذلك فليتابع سيرة « الطلّاء المنجم » !

التاريخ ، هذا السجل الضخم لتراث الامم والشعوب ولمختلف حوانب حياتها ، تسطع فى صفحاته أسماء ، وتتوه فى ثناياه أخرى فيطويها النسيان ، وهو وان كان قد انصف البعض ، فانه حجب هذاالانصاف عن البعض الآخر ، وأضفى على آخرين ثوبا من تكريم مبالغ فيه لا يستحقونه ، ومن بين الذين لم ينصفهم التاريخ فى تراثنا العربى والاسلامى ، عالم كانت حياته أشبه بومضة سريعة ومضت فى سماء العلم والمعرفة فى غرب العا[لم] الاسلامى فى أواخر القرن الثالث وصدر القرن الراب[ع] للهجرة . تعددت مواهبه ، وبرع فى أكثر من عل[م] واتقن اكثر من فن ، ومع ذلـك أغفله كثير م[ن] المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات حتى أصـ[بح] التعرف عليه والتعريف به ليس بالامر اليسير

وبالرغم من هذه الصعوبة التى نواجهها فى التعرف على جميع ابعاد هذه الشخصية الفذة ، فان ذلك لا يمنعنا من محاولة تسليط بعض الضوء عليها ، ويحدونا الامل أن تكون هذه المحاولة نواة أو بداية لدراسة متخصصة توفى هذا العالم حقه ، وتضعه فى مكانته اللائقة به بين نظرائه .

وعالمنا هذا هو اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم ، ولكلا لقبى الطلاء والمنجم اللذين عرف بهما صلة مباشرة ببعض العلوم التى برع فيها ، وكل ما نعرفه عن بداية حياته أنه ولد فى القيروان فى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ، ومن المعتقد انه كان ينتسب الى أسرة متواضعة ، ولكن ضيق الحال به وبأسرته لم يقف حائلا دون اكتسابه حصيلة علمية ممتازة ومتعددة الجوانب .

القيروان والماضي المشرق

بدأ اسماعيل بن يوسف حياته العلمية فى بلده القيروان التى كانت وقتئذ أحد المراكز الحضارية الهامة فى بلاد الاسلام ، بل كانت منارة العلم والمعرفة فى غرب العالم الاسلامى فى ظل امراء بنى الاغلب الذين حبوها من العناية والاهتمام والرعاية القدر الكبير ، فتعددت المدارس والمعاهد العلمية فيها وقصدها العلماء من شتى انحاء بلاد الاسلام لما كان يبذله لهم هؤلاء الامراء من عطاء سخى وما يحيطونهم به من مظاهر التكريم تقديرا لعلومهم ومواهبهم ، وقصدها طلاب العلم من مختلف انحاء غرب العالم الاسلامى فضلا عن شرقه للنهل من مناهلها العلمية العذبة العديدة والاخذ عن علمائها ، وفى هذه البيئة الحضارية الزاهرة نشأ اسماعيل بن يوسف ، فأخذ عن العديد من علماء بلده مبادىء العلوم الدينية وعلوم اللغة وما اتصل بهما من العلوم النقلية حتى اذا ادرك انه قد نال بغيته سمت به همته للرحلة الى المشرق فى طلب المزيد من العلم شأنه فى ذلك شأن النابهين من طلاب العلم المغاربة .

لم يكن اسماعيل بن يوسف حينما بدأ رحلته قد جاوز مرحلة شبابه المبكر ، فقصد مصر أولاً واقام بها متنقلاً بين معاهدها العلمية ومجالس شيوخها ، وبصفة خاصة جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط ، ثم انتقل الى الحجاز فأدى فريضة الحج ، وحضر الكثير من حلقات الدرس التى كانت تعقد فى الحرمين الشريفين ويحضرها نخبة من العلماء ما بين معلم ومتعلم ، ولما كانت سيرته فى كتب التراجم والطبقات قد جاءت مقتضبة ، فمن غير اليسير علينا أن نتعرف على أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم او اتصل بهم فى كلا القطرين

ورحل اسماعيل بن يوسف الى العراق ، وتنقل بين مراكزه العلمية الى أن استقر به المقام فى بغداد حاضرة الدنيا حينذاك . فتبحر فى العلوم اللغوية بصفة خاصة حتى أتقنها ، يدل على ذلك قول الزبيدى عند التعريف به (كان من ذوى العلم التام بالعربية) وقول جلال الدين السيوطى عنه (كان مقدما فى علم العربية) ، وابن الابار الذى يصفه بأنه كان من ذوى العلم بالعربية (مع تميز بالادب ، وتصرف فى قرض الشعر) ثم استهوته العلوم العقلية فدرس العديد من فروعها ، وبرع على وجه الخصوص فى علم الفلك والتنجيم ، يؤكد ذلك تحلية كل من الزبيدى وابن الابار له بقولهما . (كان غاية فى علم النجامة) والسيوطى نقلا عن الشيخ مجد الدين فى « البلغة » : كان (غاية فى علم النجامة) ومن هذا العلم اكتسب لقبه الاول (المنجم)

وطالت اقامته فى العراق فى طلب العلم ، الامر الذى أدى الى نفاذ ما تبقى لديه من نفقته القليلة أصلا ، وتعذر عليه تجديدها لرقة حال أسرته كما تقدم ، الا ان ذلك لم يضعف همته عن مواصلة طلب العلم والعودة الى بلده ، فلم يجد غضاضة فى العمل بيده لكسب قوته واستكمال دراسته ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن ييسر له العمل فى حانوت تخصص فى صناعة العقاقير ، وبصفة خاصة مستحضرات التجميل التى كانت تعرف بالطلاء كما يقول الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، اى ما يختص بوسائل تجميل وجوه النساء وتطريتها بالاردهان والعقاقير المناسبة ، وهو ما يسمى فى عصرنا الحاضر (بالمكياج) .

الطلاء المنجم

أقبل اسماعيل بن يوسف على عمله الجديد بنشاط العامل المخلص ، وهمة وصبر طالب العلم المثابر ، ودقة واستقصاء العالم الباحث . كان يبحث ويستقصي جميع ما يتعلق بكل مستحضر ليعرف اسرار تركيبه ومنافعه ، وما قد ينجم عن استعماله من مضار وأساليب معالجتها ، ولم يكن نشاطه واخلاصه ليخفيا على صاحب العمل بطبيعة الحال فأعجب به . ولم يلبث أن منحه ثقته وأطلعه على أسرار هذه الصناعة حتى حذقها وعرف غامضها ، ومن هذه الصناعة اكتسب لقبه الثاني (الطلاء) أي صانع الطلاء الذي أضيف الى لقبه الاول،واشتهر بهما حتى وردا مقرونين باسمه في كتب التراجم والطبقات .

وغير خاف على أحد ما يتطلبه اتقان هذه الصناعة الدقيقة من مؤهلات ، فمن غير اليسير على الكيميائي العادي أن يقتحم ميدانها لما تتطلبه من حذق ومعرفة تامتين بعلم الكيمياء فضلاً عن الالمام بالطب والصيدلة ومن هذه المستحضرات ما كان مفردا ومنها ما كان مركبا من مراهم ولبخات وأدهان للتطرية او لعلاج بعض الأمراض الجلدية ، ومنها ما كان للتزين ، وهو ذو الوان وانواع واستعمالات مختلفة وقد روعى فيها جميعا أن تكون طيبة الرائحة حتى لا تعافها النفس او تنفر منها ، يضاف الى ذلك مختلف أنواع العطور . وكل هذه الأنواع لا سيما المركبة منها كان يتطلب مهارة تامة وخبرة واسعة في معرفة كل مادة من المواد التي يتكون منها المستحضر فضلا عن خصائها حتى تؤدي الغرض المطلوب . ذلك أن اي خطأ في المقادير قد يؤدي الى نتائج عكسية كالتهاب في البشرة او ظهور بثور او طفح عليها نتيجة لتفاعل هذه المواد كيميائيا مع البشرة ، فضلا عن ان التركيب الكيميائي لطبقة الجلد الخارجية قد يختلف من شخص لاخر ، وليس ذلك فحسب ، بل انه قد يختلف في نفس الشخص من مرحلة الى اخرى من مراحل حياته كما يقول خبراء التجميل .

مثابرة على الدرس

ولم يقف عمل اسماعيل بن يوسف في هذه الصناعة الدقيقة حائلا دون مواصلة دراساته الاخرى ، اذ تنقل في دراسته من علم الى آخر من فروع العلم والمعرفة التي كان يشتغل بها العلماء في بغداد وقتئذ ، حتى اذا نال منها غايته . غادر العراق الى بلاد الشام ، ثم الى مصر ثانية حيث طاف في أرجائها في طلب المزيد مما كانت تميل اليه نفسه من العلوم اللسانية والادب والفلسفة والفنون الرياضية ، الى جانب الفلك والتنجيم وصناعة الطلاء ، حتى اذا مهر في كل ذلك عاد الى بلده القيروان .

كان عاهل الدولة الأغلبية حينذاك هو الامير ابراهيم الثاني المعروف بالأصغر (سنة ٢٦١ هـ - سنة ٢٨٩ هـ) الذي يعتبر بحق من أهم اساطين النهضة الحضارية الزاهرة التي شهدتها افريقية في ظل تلك الدولة ، ومن أشد امرائها حبا للعلم وتكريما للعلماء ورعاية لهم ، فضم بلاطه نخبة منهم حتى أصبح صورة مصغرة عن دار الخلافة في بغداد ، وتوج جهوده في رعاية الحركة العلمية في دولته بانشاء (بيت الحكمة) في « رقاده » بالقرب من القيروان ، وقد كان جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، تدرس فيها مختلف العلوم ، ويقوم على تدريسها اساتذة متخصصون فأشبه بذلك سميّه في بغداد . فكانت هذه الجامعة بعثا جديدا وعاملا قويا لنشر الثقافة العربية الاسلامية في انحاء المغرب الاسلامي بما كان يضمه من اقطار جنوب غرب أوربا .

لم تكن انباء عودة الطلاء المنجّم الى القيروان لتخفى عن هذا الامير العالم ، فسرعان ما عرف بقدومه فاستدعاه الى بلاطه في « رقادة » وطارحه في العديد من المسائل العلمية ، مختبرا قدراته ومدى سعة علمه ، فأعجب به ايما اعجاب لما رأى فيه من النجابة والبراعة في كل فن ، وقربه من نفسه ، وماهي الا فترة وجيزة حتى أصبح الطلاء من أقرب خواصه ، فقد جمع حب العلم بينهما لاسيما شغفهما بعلم الفلك وفن التنجيم ، فربط ذلك بينهما رباطا وثيقا لم ينفصم .

وبالرغم من هذا التقدير والمودة التي أحاط به

الامير الأغلبي عالمنا (الطلاء المنجم) والمكانة السامية التي حظي بها لديه ، الا أن من المرجح انه لم يستأثر به عن طلاب العلم ، لايمانه بأن العلم ملك للجميع ، وأن حصر نشاط العالم في البلاط اشبه ما يكون بالحجر عليه ، فهو بحاجة للطلاب بقدر حاجتهم اليه ، ففيهم يرى نفسه ويتعرف على أبعاد شخصيته ، وبتفاعله معهم - تأثيرا فيهم وتأثرا به - يكون اقدر على العطاء ، واحتجابه عنهم هو اشبه بحجب الضوء عن النبتة التي بدونه لا تلبث أن تذوى وتذبل ، لذلك فمن المعتقد أن الأمير ابراهيم الأصغر ألحقه مدرسا (ببيت الحكمة) التي ضمت حينذاك نخبة من خيرة علماء ذلك العصر مثل ابن الصايغ وابي اليسر الشيباني اللغويين المعروفين ، واسحق بن عمران واسحق بن سليمان الاسرائيلي وزياد بن حلمون ، وهم الاطباء الذائعو الصيت ، وابن ظفر الطبيب الاديب الحكيم ، وابي سعيد عثمان بن سعيد المعروف بالصيقل وابن القيار الكيميائي الذى تخصص في صناعة النار الاغريقية ، وغيرهم .

تدريس العلوم

ومن الراجح أن الطلاء المنجم الى جانب تدريسه الرياضيات والفلك عكف على تدريس الكيمياء ، وان صح هذا الترجيح فانه يكون بذلك من اوائل من قاموا بتدريسها ليس في افريقية فحسب ، وانما في غرب العالم الاسلامي بأسره ، وما جعلنا نكتفي بالترجيح فقط هو عدم وجود نص صريح - في المصادر القليلة التي تعرضت له - يؤكد ذلك أو ينفيه فضلا عن ان تلك المصادر قد اغفلت مؤلفاته ان كانت له مؤلفات ، واما السبب في ترجيحنا هذا فهو معرفته الواسعة بهذا العلم الامر الذى يجعلنا نشك كثيرا في انه لم يمارس تدريسه في بيئة علمية تتلهف على كل ما هو جديد من علوم . وأيا كان الامر ، فقد اخذ الطلاء المنجم يؤثر في مسيرة الحركة العلمية في افريقية تأثيرا مباشرا اذ قصده طلاب العلم للاخذ عنه فضلا عن مناظراته ومناقشاته مع نظرائه من العلماء سواء في البلاط الاميرى او في بيت الحكمة .

وتمر الأيام بالطلاء المنجم وهو يقضي معظم أوقاته متنقلا بين القيروان وبلاط رقادة وجامعتها لمدة لانعلمها على وجه التحديد قبل أن يقرر الارتحال الى المشرق من جديد ، ولكن هذه المرة بصحبة الامير ابراهيم الاصغر . ذلك أن هذا الامير عزم في سنة ٢٨٨ هـ/٩٠١ م على السفر لاداء فريضة الحج بعد أن مهد الامور في دولته ، فرد المظالم وأمن البلاد وشرد أهل البغي والفساد ، وتبرع بكل ممتلكاته للفقراء ، واظهر الزهد والنسك على حد قول ابن الاثير . فكان أن اختار الطلاء المنجم لمرافقته في هذه الرحلة الطويلة ، ربما لان نفسه كانت تألفه وتأتنس به ، وربما لخبرته الواسعة في شئون الشرق وأقطاره بحكم تجوله في أنحائه اثناء رحلته السابقة ، أو لكلا الامرين معا . وعلم الطلاء المنجم بهذا الاختيار فرحب به بالرغم من مشقة السفر ومخاطره ، ذلك أنه رأى فيه فرصة ذهبية ينبغي عليه اغتنامها لتجديد الصلة بمن بقي على قيد الحياة من شيوخه وأقرانه من ناحية ، والاطلاع على مااستحدث في ميدان العلم والمعرفة في المراكز العلمية المشرقية من ناحيةثانية ، فضلا عن اداء فريضة الحج للمرة الثانية .

ومع أن الامير ابراهيم الاصغر غير خط سيره من مصر الى صقلية ليجمع بين فريضتي الحج والجهاد من ناحية ، وتجنبا للمرور بمصر لما كان بينه وبين حاكمها هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون من فتور من ناحية ثانية ، الا أن ذلك التغيير لم يخفف من حماس الطلاء المنجم ، وبقي على عزمه على مصاحبة اميره في رحلته تلك ، وفي اول سنة ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م غادر الركب الاميرى رقاده قاصدا سوسة ، فدخلها الامير مرتديا فروا مرقعا تشبها بالرهاد ، ولم يكن زى مرافقيه وفي مقدمتهم عالمنا الطلاء المنجم أفضل من زيه ، ومن سوسة أبحر بأسطوله الى صقلية حيث قصد مدينة طبرمين احدى مدنها الهامة التي لم تكن قد فتحت بعد ، ففتحها بعد معركة دامية بينه وبين أهلها ، ثم قصد مسينا (Massina) حيث غزا نواحيها وثبت السيطرة الاسلامية على مجازها ، ثم سار الى كسنسه باقليم قلورية في جنوب ايطاليا حيث وافته منيته اثناء حصارها في ليلة السبت الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٢٨٩ هـ/ ٢٦ اكتوبر سنة ٩٠٢ م .

لم يشغله الجهاد

كان الطلاء المنجم رفيق الامير ابراهيم المقرب فى جميع هذه الحروب التى خاضها فى صقلية وجنوب ايطاليا ، وهو اذا كان قد شارك فى أعمال الجهاد ، فاننا نرجح أن ذلك لم ينسه واجبه كعالم . ونشك فى أن المشتغلين بالعلم فى صقلية لم يغتنموا فرصة وجوده فى بلادهم لقصده والاخذ عنه . فان صح هذا الترجيح ، فان ذلك يجعل للطلاء المنجم دورا رائدا فى الحركة العلمية فى صقلية فى هذا الوقت المبكر من تارح هذه الحركة .

ويعود الطلاء المنجم الى القيروان مع جثمان أميره ، وقد أثقله الحزن الذى طفحت نفسه به الامر الذى انعكس على حياته فاثر فيها فيها تأثيراً عميقا ، وظهر ذلك بوضوح فى ابتعاده عن البلاط الاميرى فى رقادة تدريجيا ، بالرغم من أن مكانته فى دلك البلاط بقيت على حالها ، وحفظ له الخليفة ابراهيم الاصغر كل ود واحلال وتكريم ، الا أن نفسه على ما يبدو ابت عليه أن يخدم أحدا بعد صديقه الراحل . حتى اصبح لا يزور البلاط الا فى اوقات متباعدة ، وقنع بالعمل فى مستحضرات التجميل للسيدات ، فكان بذلك هو (أول من ادخل الطلاء البغدادى الى القيروان) كما صرح به الزبيدى ، ولهذا الأمر دلالته الهامة ، اذ انه يعنى أن الطلاء المنجم كان من أول الذين اشتغلوا بالكيمياء الصناعية فى غرب العالم الاسلامى .

الوهم القديم

وانقضى عهد الدولة الاغلبية ليبدأ عهد الدولة الفاطمية ، وأخذ اعوان المهدى الفاطمى فى ملاحقةرجالات العهد السابق ، فانصرف الطلاء المنجم كليا الى عمله مبتعداعن كل ما يربطه بالحياة العامة خوفا على حياته ، الا انه وبالرغم من هذا الاعتزال لم يسلم من الملاحقة ، فسرعان ما وجد نفسه موضع تهمة خطيرةلا تقل عقوبتها عن الموت ، اذ اتهمه صاحب دار الضرب (دار السكة) بعمل الدنانير والدراهم الزائفة ، وهى تهمة قابلة للتصديق لما اشتهر به الطلاء المنجم من تبحر فى علم الكيمياء ، وما ارتبط فى اذهان الناس وقتئذ من وهم عن امكانية تحويل المعادن الرخيصة الى معادن نفيسة بهذا العلم .

وحيال هذه التهمة التى يظهر أن سببها الحقيقى كان صلته السابقة بالاغالبة لم يجد الطلاء المنجم امامه سوى الفرار من افريقية والالتجاء الى الاندلس كما فعل الكثيرمن نظرائه ، حيث قصد قرطبة واستقر بها فى خلافة عبد الرحمن الناصر ، ومنذ ذلك الوقت انقطعت عنا اخباره ، فلا ندرى هل التحق بخدمة حلفاء بنى امية كغيره من المهاجرين من رجالات الدولة الأغلبية وعلمائها ، ام انه واصل ابتعاده عن الحكام وقنع بعمل مستحضرات التجميل والارتزاق من بيعها . وان كنا نرجح الافتراض الثانى وانه لم يتصل بالبلاط الاموى عزوفا عن خدمة الامراء ، اذ لو جرى هذا الاتصال لسلطت عليه الاضواء واهتم بالترجمة له العدد الاكبر من كتاب التراجم والطبقات .

وعلى اية حال ، فاذاكان لم يخدم الخليفة الناصر ، فانه لم يقطع صلته بالحركة العلمية فى الاندلس ، بدليل أن المعلومات التى وصلتنا عنه كان مصدرها الرئيسى هو الزبيدى فى طبقاته ، والمتوفى سنة ٣٧٩ هـ اى أنه كان معاصرا له تقريبا ، وبالتالى فانه كان معروفا لدى المشتغلين بالعلم فى ذلك الوقت ، الامر الذى يستفاد منه ان الطلاء المنجم كان له تأثيره فى الحركة العلمية فى الاندلس ايضا ، بالاضافة الى أثره فى مثيلتها فى كل من افريقية وصقلية . والامر الذى نعلمه انه مات فى قرطبة فى الربع الاول من القرن الرابع للهجرة بعد حياة حافلة بالعطاء والترحال فى طلب العلم وبثه .

وبعد ، فان اسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم بجده ومثابرته وتجشمه مشاق الارتحال بين العديد من المراكز الحضارية طالبا للعلم ومعلما ومجاهدا يعتبر مثالا طيبا على مدى الترابط الوثيق الذى كان بين هذه المراكز شرقا وغربا بالرغم من بعد المسافات بينها وصعوبة الانتقال ، هذا الترابط الذى كان له اثره القوى فى وحدة الفكر فى بلاد الاسلام ، كما يعتبر نموذجا ممتازا على صبر المشتغلين بالعلم فى هذه البلاد ، وقوة عزيمتهم ومدى تصميمهم ورغبتهم فى تشرب العلوم النافعة بالرغم من الصعوبات التى كانوا يواجهونها ، والذين بهذه الصفات الحميدة التى غرسها فيهم الاسلام شادوا ارقى حضارة عرفتها البشرية فى العصور الوسطى . □



الجديد فى شيخوخة الدماغ والخرف المبكر

اعداد : الدكتور فريد زيد الكيلانى

هل شيخوخة الدماغ مقصورة على كبار السن ، أم انها تصيب الشيب والشبان على حد سواء ؟

وهل هى مرض لا شفاء منه ، أم أن جهود العلماء قد أوصلتهم الى بارقة أمل تبعث الضوء فى العقول المظلمة ، وتعيد السعادة الى بيوت هدها الشقاء ، والابتسامة الى شفاه حرمت منها منذ أن داهمها هذا المرض الرهيب ؟

قال ميلدرد بونج وهو رجل فى الثالثة والخمسين من العمر ، عند أول شعوره بشيخوخة دماغه : « عندما يشعر الانسان انه بدأ بفقدان قدرته على التذكر ، يدرك أنه قد أصبح فى عداد الموتى ، فأنا الآن لا أكاد أذكر احتياجاتى التى لا غنى لى عنها الا بصعوبة ، لقد أصبحت أفكارى خاوية ، وصرت أشعر أننى أعيش فى فراغ ، وبهذه العبارات المفزعة عبر ميلدرد عن الحالة التى وصل اليها ، فقد كان يعتقد أنه لن يستطيع أن يصوغ مثل هذه الجمل اذا استفحل المرض فيه وتمكن منه .

لا ريب أن أقسى مرض يمكن أن يلحق بدماغ الانسان هو المرض المعروف باسم مكتشفه العالم

الألماني « الزايمر » الذى يتعرض فيه أسمى ما فى الانسان ـ دماغه ـ للمرض والاختلال ، فالامراض كلها يمكن أن تفتك بالمصاب مرة واحدة . وينتهى الأمر ، أما مرض الزايمر أو شيخوخة الدماغ ، الذى ينتهى فى مراحله المتأخرة بما يعرف بالخرَفْ أو فقدان الذاكرة ، أو عدم القدرة على التحكم فى أكثر حاجات صاحبها خصوصية ، فهو يقتل المصاب به مرتين : الأولى حين يفقده الذاكرة ، فيميت دماغه ، والثانية حين يفقده القدرة على الحركة فيميت جسده .

كيف يبدأ ؟ وكيف ينتهى ؟

البوادر الأولى للمرض تبدأ بالظهور حين يعجز المصاب عن تذكر الاسماء والتواريخ والأماكن ، فيفقد بذلك سجل حياته بأكمله ، وتبدو له الأشياء كلها وكأنها تلتف بحجب كثيفة من الضباب ، لا يكاد يرى من خلالها شيئا ، أو يتعرف حتى على ملامحها ، وحتى أبسط الأشياء تصبح أمورا خارجة عن نطاق قدراته ، كاحكام ربط حذائه ، أو تقطيع شريحة من اللحم قبل تناولها ، أو حتى معرفة الوقت بالنظر الى عقارب الساعة ، ثم يبدأ الجسم بعد ذلك بالذبول ، ويبدأ الموت يزحف ببطء الى أعضاء الجسم تدريجيا ، فيفقد القدرة على المشى ، ثم يفقد القدرة على قضاء حاجته الطبيعية بنفسه ، ثم لا يلبث أن يصبح متكورا على نفسه فى فراشه ، ويروح فى غيبوبة طويلة تنتهى بالموت ، ويقدر العلماء الفترة التى يستغرقها المرض حتى يتمكن من القضاء على ضحيته ، بما يتراوح بين الست والثمانى سنوات ، الا أن بعض الأجسام القوية قد تقاوم المرض ، وقد يمتد بها الصراع مع الموت الى عشرين عاما .

لقد اصبح العلماء يطلقون على مرض « الزايمر » نسبة الى العالم الذى اكتشفه اسم مرض العصر ، ويقدر عدد ضحاياه فى أمريكا وحدها بأكثر من ثلاثة ملايين أميركى سنويا ، ويبلغ مجموع ضحاياه ممن هم على قيد الحياة حوالى ٢٧ مليونا ، وتبلغ نسبة المسنين منهم ، أى من تجاوزوا الخامسة والستين ٧٪ فقط ، وهؤلاء يعتبرون ممن اقعدهم المرض ، فاصبحوا من العجزة الذين لا يستطيعون القيام بأى عمل . . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من الأسماء التى كانت لامعة فى شبابها الممثلة « ريتا هايوارت » ، والمخرج السينمائى الشهير « اوتو بريمنجر » ، والممثل المعروف « أدموند اوبراين » ، ونذكر من المشاهير الذين يتهدد المرض حياتهم الآن الكاتب المعروف « روس ماكدونالد ، والفنان الشهير « نورمان روكويل .

مدى خطورة المرض

رغم ان الطب يقوم فى كل يوم بدراسات تحليلية متعمقة على التطورات الكيماوية ، التى تجرى داخل الدماغ اثناء سير المرض . فالمرض لا يزال مستعصيا على الباحثين والمحللين ، فهو يصيب الناس من كل جنس ، ومهما كانت الطبقة الاجتماعية التى ينتمون اليها ، ويزداد عدد المصابين به مع ازدياد معدل الأعمار وارتفاع عدد المسنين ، ويحصد فى كل عام فى أميركا وحدها ١٢٠,٠٠٠ ضحية ، ليحتل بذلك المرتبة الرابعة بين الأمراض التى تؤدى بحياة المسنين . . اذ يأتى مباشرة بعد أمراض القلب والسرطان والسكتة الدماغية .

ظل الأطباء ، حتى وقت متأخر ، يعتبرون مرض الزايمر دخيلا على الطب ، وبعضهم لم يكن يعتبره مرضا على الاطلاق ، بل مجرد اضطراب وضمور طبيعى لخلايا الدماغ ، لا يعرف له سبب ولا مصدر ، وليس له علاج .

ومنذ أمد ليس بطويل ، بدأت تلوح فى الأفق الطبي بارقة أمل ، فعقدة المرض المستعصية بدأت تستسلم أمام اصرار الباحثين والعلماء الأطباء ، وبدأت تتكشف لعيونهم من خلال أبحاثهم المتطورة الأسباب التى تؤدى الى الاصابة بالمرض ، وأخذت أسرار المرض الذى ظل لغزا محيرا لفترة طويلة من الزمن تستسلم لأبحاثهم واحدا بعد الآخر ، وصاروا الآن يعرفون لماذا يفقد الانسان ذاكرته وقدرته على التحكم فى تصرفاته ، كما أن هذه الاكتشافات زادت من امكانية ايجاد علاج ناجح وفعال لمنع حدوث المرض أو ايقاف دماره . اذا تسلل الى عقل المصاب فى غفلة منهم .

الأسباب

شيخوخة العقل عند المسنين ، كانت تعتبر فى الماضى نتيجة حتمية لخلل فى الدورة الدموية ، وعجز الدم عن الوصول الى الدماغ لتغذيته ، وفى عام ١٩٠٦ واجه « آلويس الزايمر » - وهو طبيب المانى متخصص فى الأمراض العصبية - حالة شيخوخة متقدمة فى الدماغ عند امرأة كان يتولى علاجها ، وكانت الأعراض كلها ظاهرة للعيان ، لا تحتمل الجدل ، وليس فيها مجال للشك ، فقد كانت فاقدة الذاكرة ، مشوشة الأفكار ، وتعانى من الهلوسة ، مع أنها لم تتجاوز الحادية والخمسين ، وبعد موتها تمكن الزايمر من الحصول على اذن بفتح جمجمتها ، واستخراج دماغها وفحصه ، فوجد أن بعض أجزاء الدماغ تحتوى على كتل متشابكة من الألياف العصبية ، ملتفة على بعضها بشكل غريب ، وقد أطلق عليها اسم « الكتل المتشابكة من الألياف العصبية » ، وبعد مضى بضعة عقود على هذا الاكتشاف ، اعتبر الأطباء وجود مثل هذه الكتل التى وصفها الزايمر حدثا نادر الحصول ، وان حصل فهو يصيب صغار السن ، وأطلقوا عليه اسم « الشيخوخة المبكرة للعقل أو « خرف الشباب »

وفى عام ١٩٦٠ اكتشف الباحثون بمختبراتهم الألكترونية المتطورة ، أن مثل هذه الكتل تتواجد أيضا فى أدمغة الشيوخ المصابين بالخرف ، وسرعان ما تغير مفهوم المرض ، وأصبح واضحا لديهم أن المرض الذى أطلقوا عليه اسم « خرف الشباب » وقالوا انه نادر الحدوث ،ليس مقصورا على الشباب ، ولا هو نادر الحدوث .

ان التشخيص والوصف اللذين أوردهما الزايمر للمرض ينطبقان على أكثر من نصف حالات الشيخوخة المبكرة ، أما الحالات الأخرى فهى غالبا ما تكون نتيجة شلل جزئى صغير ، يتكرر حدوثه داخل الدماغ ، فيقضى على جزء لا يستهان به من غشاء الدماغ أو نتيجة أمراض اخرى ، بعضها قابل للعلاج ، ولكنها فى مراحلها الأولى تسبب للمصاب بها حالة اضطراب عقلى ، تتمثل معالمه فى الشعور بالكآبة ، وباختلال فى عمل الغدة الدرقية ، وبعوارض النقص فى بعض أنواع الفيتاميات ، وعدم تقبل الجسم لبعض أنواع الأدوية ، وفقر الدم والادمان على المشروبات الروحية

فقدان الذاكرة

ان فقدان الذاكرة فى مرض الزايمر يحدث عادة بعد سن الخامسة والستين ، ولكنه قد يأتى مبكرا فى الاربعينيات من العمر . يقول الدكتور بارى رايزبرغ من المركز الطبى بجامعة نيويورك « ان بعض الناس وحتى كبار السن منهم - ممن يشكون صعوبة فى تذكر بعض الأمور كالمكان الذى وضعوا فيه نظاراتهم مثلا ، أو يجدون صعوبة فى تذكر بعض الأسماء كما كانوا يفعلون أيام شبابهم ، قد لا يكونون من المصابين بمرض الزايمر ، بل ان ذلك قد يكون نتيجة طبيعية لضعف الذاكرة مع تقدم العمر أمثال هؤلاء المرضى لا بد للطبيب أن يؤكد لهم أن هذه الأعراض طبيعية ، وهى أعراض حميدة قابلة للشفاء ، مع تحسن الصحة العامة للمريض

أما حالات ضعف الذاكرة التى لا يستطيع الطبيب الا أن يوليها اهتمامه وعنايته ، فهى تلك التى تسبب للمصاب بها متاعب لا يمكن التغلب عليها ، سواء فى عمله أو فى حياته الاجتماعية ، فالمدرس الذى لا يستطيع أن يتذكر أسماء طلابه بعد ان يمضى معهم فصلا دراسيا كاملا ، والطبيب الذى ينسى مواعيده ، حالتان خطيرتان لا يمكن تجاهلهما

احدى الظواهر الأخرى للمرض . يطلق عليها الأطباء اسم « ابراكسيه » وهى العجز عن القيام بالأعمال الحركية المنسقة والمعقدة ، كتمشيط الشعر مثلا ، فالقدرة على القيام بمثل هذه الأعمال تتحكم بها أجزاء مختلفة ومتعددة من الدماغ ، وبعد هذه الأعراض الأولى تأتى الاعراض الأكثر جدية وخطورة ، فلا يعود المريض قادرا على التصرف بحكمة ، فقد يلبس ملابس الشتاء فى وسط الصيف ، فاذا صارت حالته أكثر سوءا ، لا يعود يميز بين حنفية الماء الحار وحنفية الماء البارد ، وهو تحت الرشاش فى غرفة الاستحمام ، وقد يسبب لنفسه بعض الحروق من الماء الحار ، وفى آخر مراحل المرض يصبح المريض قلقا ضائعا تائها ، لا يعرف كيف

يفرج كربته ، أو أين يجد راحته ، وفى هذه المرحلة قد لا يعرف أين يعيش ، ولا فى أى فصل من فصول السنة هو الآن ، وقد ينسى المريض اسم قرينته اذا كان رجلا ، أو تنسى المريضة اسم زوجها .

العناية بالمريض

بعض ضحايا هذا المرض يصحون عرضة لنوبات من الهيجان ، قد تصل بهم الى هاوية الانحراف الاجتماعى ، ويصبحون خطرين على المجتمع الذى يعيشون فيه ، فالمريض الذى يبلغ هذا الحد من الانهيار يصبح فى أمس الحاجة الى عناية مستمرة ، فالزوج الذى تصاب زوجته بالمرض ، أو الزوجة التى يصاب زوجها به ، لا بد لهما أن يتحولا من انسانين عاديين الى قديسين يضحيان بنفسيهما وسعادتهما فى سبيل سعادة وسلامة الآخرين .

وفى آخر مراحل مرض الزايمر يفقد المصاب القدرة على الكلام . اللهم الا بضع كلمات ذات مقطع واحد أو مقطعين منفصلين ، ثم يفقد القدرة على المشى ، وتصاب عضلات وجهه وذراعيه وساقيه بالتقلص ، وتستمر حالة المريض فى التدهور بشكل تدريجى ، ولكنه ثابت ، على حد تعبير الدكتور مايكل حنايك من جامعة ماساشوست ، ولكنه يستدرك قائلا :

اذا كانت البداية سريعة ، فالتدهور يكون سريعا ، اما اذا كانت البداية بطيئة فالتدهور يكون بطيئا ، والنتيجة النهائية للمرض تكون موت المصاب بالالتهاب الرئوى ، نتيجة ادخاله الطعام الى القصبة الهوائية مع الهواء الذى يستنشقه واستقراره فى رئتيه .

التشخيص

الطريقة الوحيدة التى تعطى نتائج مؤكدة عند التشخيص هى طريقة اقتطاع شريحة من غشاء الدماغ ، واجراء التحليل المخبرى عليها ، فهذا التحليل قد يكشف الحقيقة المؤلمة عن بدء تكون كتل الألياف العصبية المتشابكة فى غشاء الدماغ ، غير أن معظم الأطباء يعتمدون فى تشخيصهم للمرض على فحوصات اقل تطرفا وايلاما للمرضى ، وكثيرا ما تكون هذه الفحوصات كافية لاستبعاد اية أسباب اخرى لما يعانيه المريض من اعراض ، ولكنها لا تعطى نتائج ايجابية مؤكدة عن وجود مرض « الزايمر » ، ففحوصات الدم مثلا قد تدل على أن المريض يعانى من الانيميا ، أو وجود خلل فى الغدة الدرقية ، أو نقص فى فيتامين ب ١٢ ، وهذه قد تكون مصدرا للمتاعب التى يعانى منها . كما أن الأجهزة الطبية الحديثة التى أصبح بامكانها تسليط أشعة تخترق عظم جمجمة المريض ، وتمكن الطبيب من فحص الدماغ ، دون أن يخدش جلد المريض ، أو ينشر عظم جمجمته ، والاجهزة الرنانة الأكثر تطورا ، والتى تعمل بالطاقة الذرية الممغنطة ، فتخترق حاجز الجمجمة ، وتعطى رنينا تلتقطه اذن الطبيب حال عثورها على بوادر اى ورم أو مرض أصاب الدماغ فاحدث به خللا ، كما تشمل الفحوص التشخيصية أيضا تعريض المرضى لاختبارات قوة الذاكرة ، والقدرة على الانتباه والتركيز ، والقدرة على التعبير وادراك الابعاد ، واستكناه المسببات والنتائج .

ومع أن الأطباء لم يتمكنوا حتى الآن من العودة بدماغ اصابته الشيخوخة الى الحالة السليمة ، التى كان عليها قبل الاصابة ، الا أن هذا لا يعنى اطلاقا أن الطب لا يستطيع أن يقدم أية مساعدة للمصاب . فعندما يكون المرض فى مراحله الأولى ، وتكون الكآبة أهم أعراض المريض . يعطى المصاب بعض العقاقير المضادة للكآبة ، وفائدة مثل هذه العقاقير لا تقتصر على تخليص المريض من كآبته ، ولكنها تعمل على تأجيل ادخاله الى دور الرعاية الخاصة ، بل يذهب البروفيسور حينايك الى حد القول بأن التحسن الذى يطرأ على سلوك وتصرف المصاب بعد معالجته بالعقاقير المضادة للكآبة ، يكون كبيرا جدا ، ويمكن أن يعمل على تأجيل تدهور حالته العقلية أو تباطئها على الأقل ، والنوع الثانى من المساعدة التى يستطيع الطب تقديمها للمصاب ، عندما يكون المرض فى مراحله الأولى هو كتابة قائمة بسيطة بالأعمال الروتينية التى يترتب على المريض عملها كل يوم ، وتعليقها فى أماكن يسهل عليه رؤيتها ، أو تذكيره بها عن طريق الهاتف . . هذا النوع من المساعدة يطلق



شيوخ من الجنسين يستمعون بإصغاء الى حديث عن امراض الشيخوخة

عليه الأطباء اسم (عكازات الذاكرة) . فاحدى المصابات بالمرض كانت أسرتها تخشى من أن تنسى تناول العلاج فى الوقت المحدد ، لذلك استخدموا الهاتف لتذكيرها بأن وقت تناوله قد حان ، وكانوا يخشون من خروجها لوحدها من البيت فى ساعات المساء فتضل طريقها ، فوجدوا ان كتابة جملة بسيطة على باب المسكن من الداخل تذكرها بعدم الخروج بعد الخامسة مساء ، قد حل لهم هذه المعضلة ، وبمثل هذه المساعدات البسيطة استطاعت المريضة أن تظل وحدها في مسكنها ، وتمارس حياتها اليومية بشكل اقرب ما يكون الى الحياة الطبيعية لمدة سنتين كاملتين .

تطورات جديدة

وعلى الرغم من أن أسباب المرض ما زالت غير محددة تماما ، فالباحثون فى هذا المجال ما زالوا يواصلون أبحاثهم ودراساتهم ، فى محاولة دائبة لا تكل ولا تمل ، للكشف عنها ، فمعرفة الأسباب وتحديدها قد تساعد على تفادى الاصابة بالمرض

ففى عام ١٩٧٦ اكتشف علماء بريطانيون فى ثلاثة مختبرات ، أن المصابين بالمرض هم من المصابين بفقر ملحوظ فى أحد الأنزيمات ، الذي يعمل على انتاج مادة الاسيتايلكولين ، التى تساعد على انعاش الذاكرة ، وتسهيل عملية الاتصال بين الخلايا العصبية ، وقد كان هذا الكشف حافزا قويا لاستكمال بحوثهم فى هذا الاتجاه ، كما يقول الدكتور بيتر ديفز ، أحد الباحثين العاملين فى كلية البرت أينشتين للعلوم الطبية فى نيويورك .

وقد مكن هذا الاكتشاف الدكتور دوبالدبراس ، والفريق العامل معه فى جامعة جون هوبكنز للعلوم الطبية ، من السير قدما فى أبحاثهم ، وقد اكتشفوا من التحليلات التى أجروها على أدمغة المصابين خللا فى النيورونات فى النواة الأساسية للدماغ التى تقع فى مكان عميق منه ، حيث يتم انتاج سائل الاسيتايلكولين بشكل طبيعى ، ليقوم بعمله فى تنشيط وتغذية بقية خلايا الدماغ •

وقد توصل البحث العلمى فى السنوات القليلة الماضية الى طرق اخرى لاكتشاف أسباب المرض وأعراضه المبكرة ، يمكن اعتبارها كشفا جديدا فى هذا العالم الخفى من تلافيف الدماغ البشرى .

البحث عن الأسباب

أ - انسداد مركز تجميع المعلومات

فى الدماغ البشرى جزء خاص بتجميع المعلومات التى ترد اليه ، وتخزينها فيها يمكن أن يطلق عليه تجاوزا اسم « مركز تجميع وتخزين المعلومات » ويقع تحت قشرة الدماغ الوسطى .

وقبل أشهر قليلة اكتشف الباحثون فى كلية الطب فى جامعة (ايوا) تلفا واضحا فى مناطق معينة ، مجاورة لمركز تجميع وتخزين المعلومات ، فى أدمغة خمسة أشخاص من الذين ثبتت اصابتهم بمرض « الزايمر » ولا ريب فى أن حدوث انسداد فى المدخل المؤدى الى هذا المركز الحيوى فى الدماغ ، وانسداد الأخر فى النقطة التى تسمح للمعلومات المخزنة بالخروج ، سيجعل من الدماغ عضوا غير قادر على استقبال أية معلومات جديدة ، أو السماح للمعلومات المخزنة بالخروج ، ليستفيد منها المريض ، وبالتالى يفقد ما يسمى بالذاكرة ، على حد قول الدكتور انتونيوداماسيو ، وهو أحد أعضاء فريق الباحثين فى حامعة ايوا ، ويضيف قائلا . . ونحن نعتقد أن هذا قد يكون أحد الاسباب التى يمكن بواسطتها تفسير بعض أنواع فقدان الذاكرة ، التى يعانى منها بعض الناس فى مرحلة مبكرة من العمر .

ب - انخفاض نسبة (RNA) فى الدماغ

فى الدماغ السوى تتكون مادة بروتينية تقوم بتغذية خلاياه ، واحدى المواد الرئيسية التى تساعد على تكوين هذه المادة البروتينية هى مادة (RNA) ، وقد اكتشف الدكتور شارلز ماروتا أحد العاملين فى مستشفى ماكلين فى بلمونت ، أن المناطق التى تتكاثر فيها الكتل والتلافيف فى أدمغة المصابين بمرض الزيمر ، تقل فيها هذه المادة بشكل ملحوظ ، وبالتالى تقل المادة البروتينية التى تقوم بتغذية خلايا الدماغ . ومادة (رنا) التى تساعد على تكوين المادة البروتينية ، يقوم الجسم بالتخلص منها بعد أداء مهمتها بأحد الأنزيمات التى يفرزها ، وقد عثر ماروتا وزميله على أدلة تثبت وجود زيادة ملحوظة فى نشاط هذا الانزيم ، فى أدمغة المصابين بهذا المرض ، مما قد يكون سببا مهما فى نقص المادة البروتينية المغذية لخلايا الدماغ .

جـ - عوامل وراثية

تلعب العوامل الوراثية أحيانا دورا هاما فى الاصابة بهذا المرض . . فقد بلغت نسبة المصابين بهذا المرض عن طريق الوراثة بين ١٠ - ١٥٪ من مجموع المرضى ، وأطفال المصابين بالمرض تبلغ نسبة احتمال اصابتهم به ٥٠٪ ، وتظهر أعراض الاصابة على هؤلاء قبل وصولهم سن الخامسة والستين ، فاذا ما ظهرت الأعراض الأولى للمرض عليهم يكون تغلغله فى أدمغتهم سريعا وحادا ، كما اتضح للباحثين أن ثلث المصابين بالمرض ممن لم يرثوه عن آبائهم لهم أقارب مصابون به ، وكلما كان سن المصاب صغيرا كان احتمال اصابة أقاربه به أكبر ، أما اذا كان المصاب قد تجاوز سن السبعين ، فيرى الدكتور ليونارد هيستون من جامعة ميتشجان أن احتمال انتقال المرض بالوراثة الى اقاربه يكون أقل ، وقد عثر الباحثون على دليل آخر يثبت أهمية العوامل الوراثية فى زيادة احتمال الاصابة به ، فالمصابون بمرض (داون) ، وهو أحد الأمراض العقلية الذى يسببه أحد الكروموزمات التى تولدها خلايا الجسم ، يتطور المرض عندهم فى سن مبكرة ، تتراوح بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، ويقعون ضحية مرض الزايمر . وقد وجد الدكتور هيستون أن الأسر التى أصيب أحد أفرادها بمرض الزايمر يزيد احتمال وجود شخص مصاب بمرض (داون) ثلاث مرات على الأسر التى لم يصب أى من أعضائها بهذا المرض .

د - الفيروسات البطيئة الحركة

الكثير من الأمراض العصبية التى تؤدى الى ما يشبه أعراض الاختلال العقلى يسببها ما يمكن تسميته بالفيروسات البطيئة الحركة ، وهى كائنات عضوية تظل هاجعة لفترات طويلة ، قبل ان تبدو على المصاب بها أية اعراض وقد حاول العلماء نقل هذه الفيروسات الى بعض الحيوانات ، لاجراء تجا

...يد ، وذلك عن طريق نقل جزء من غشاء الدماغ
من شخاص مصابين بمرض الزايمر ، الى الحيوانات
المعدة للتجارب ، غير أن محاولاتهم هذه باءت
بالفشل ، وبالتالى لم يتمكنوا حتى الآن من الوصول
الى دليل حاسم على صحة نظريتهم .

والخلاصة أن محاولات الوصول الى حقائق قاطعة
وحاسمة فى أسباب هذا المرض وطريقة الحماية منه أو
معالجته بعد الاصابة به ، ما زالت تراوح مكانها ،
والحقيقة التى تمكن العلماء من الوصول اليها حتى
الآن ، هى أن المرض قد لا يكون له سبب واحد ،
بل أسباب عديدة متداخلة بعضها ببعض ، تشمل
الفيروسات والمواد السامة والجينات الوراثية .

طرق جديدة للعلاج

واستنادا الى هذه المعطيات المتاحة ، بدأ
الأطباء خطوات حثيثة ومبشرة بالخير فى تجربة طرق
جديدة للعلاج ، فاكتشافهم لوجود نقص فى مادة
معينة ، يفترض توفرها فى الدماغ ، دفعهم الى
البحث عن علاجات تؤدى الى اعادة رفع كمية هذه
المادة الى النسبة المطلوبة ، وأنجع علاج توصل اليه
العلماء فى هذا الصدد أطلقوا عليه اسم (فيزو
ستيجمين) ، وهو يعمل على زيادة مستوى
الاسيتايلكولين ، عن طريق وقف مفعول أحد
الانزيمات التى تعمل على التخلص منه ، وازالته من
خلايا الدماغ ، وقد أدى استعمال هذا العلاج الذى
تولى الاشراف على تجربته على المرضى الدكتور كينيث
ديفيس من كلية طب ماونت سيناى فى نيويورك ، الى
تحسن ملموس فى حالة ثلاثة من أحد عشر مريضا ،
خضعوا للعلاج بجرعات يتناولونها عن طريق الفم ،
وظهرت نتائج العلاج بارزة وسريعة على الذين لم
تمر على اصابتهم بالمرض أكثر من سنة ونصف
السنة ، فالعلاج الجديد يضعف مفعوله ، أو ربما
ينعدم عندما يكون المرض قد بلغ مرحلة متقدمة ، اذ
لا يعود هناك خلايا دماغية نشطة تقوم بافراز مادة
الاسيتايلكولين التى تغذى الدماغ .

اما أكثر طرق العلاج الحديثة المبشرة بالخير فقد
توصل اليها الدكتور روبرت هاربو من مركز دارتماوث
- هيتشكوك الطبى فى هانوفر ، وقد بنى طريقته فى
العلاج على احتمال عدم وصول الكمية المطلوبة من
العلاج الى دماغ المريض ، عندما يقوم بتناوله عن
طريق الفم ، ولذا قام هو وأعضاء الفريق العاملين
معه بزرع مضخة صغيرة تحت الجلد الخارجى ،
لبطن أربعة من المرضى المصابين بمرض الزايمر ، وعن
طريق أنبوب رفيع يدخل من خلال ثقب فى غاية
الدقة ، الى داخل جمجمة المريض ، تقوم المضخة
بضخ سائل الاسيتايلكولين بشكل دائم الى داخل
تجويف الدماغ . وقد اعترف أفراد أسر المرضى الذين
استخدمت معهم هذه الطريقة فى العلاج ، بظهور
تحسن ملموس على المرضى فى أنشطة كانت تعتبر
مفقودة عندهم ، كالقراءة ، والعناية بالامور الصحيه
الشخصية ، والمحادثة ، والنشاط الاجتماعى ،
وظلوا يمارسون هذه الأنشطة لمدة سنة بعد بدء
العلاج ، ويأمل هاربو أن تستخدم المضخة الحاقنة
هذه على عدد اكبر من المرضى ، وأن تستخدم
علاجات اخرى أقوى مفعولا . . . وهو يشعر الآن
بالسعادة لنجاح هذه الطريقة فى العلاج والنتائج التى
توصل اليها .

فترة مواجهة مثيرة

يقارن العلماء المواجهة الحاسمة بينهم وبين
مرض الزايمر ، بنفس المواجهة التى خاضوها مع
أمراض القلب قبل ثلاثة عقود من الزمن ، فقد كان
الظن السائد بينهم أنه نتيجة حتمية للتقدم فى السن ،
ثم استخدموا الأدوية التى استطاعوا بواسطتها
السيطرة على ضغط الدم العالى ، ثم تعرفوا على الدور
الذى تلعبه التغذية المقننة فى السيطرة على تصلب
الشرايين ، وأدركوا أن كلا العلاجين قد يساعدان فى
تخفيض عدد الوفيات بأمراض الشريان التاجى . .

وهم اليوم يأملون أن تسير الأمور فى مواجهة
مرض الزايمر على نفس المنوال . . فما يعرف عن
المرض الآن يفوق ما كان يعرف عنه فى الماضى ،
وسيعرف عنه فى السنة المقبلة أكثر مما يعرف عنه
الآن . حتى يصل الباحثون الى العلاج
الحاسم . . . □

العربي - العدد ٣٢٨ - مارس ١٩٨٦

قاموس العربي

د

الدَّوْلَـــــــــة

هي الكيان السياسي ، والاطار التنظيمي ، والقوة الاجتماعية المنظمة ، التي لها وحدها السيادة داخل المجتمع ، وعلى أي فرد من أفراده ، وتعلو ارادة الدولة شرعا على كل ارادات الأفراد والجماعات ، وتمتلك الدولة وحدها داخل المجتمع سلطة اصدار القوانين ، وسلطة تنفيذها ، وامتلاك حق الاكراه وحق القهر على المواطنين ، بما في ذلك حق اعدامهم ، وللدولة ، وحدها دون سائر التنظيمات حق الطاعة ، وسلطتها سلطة متميزة ، تضم سلطتها القسرية قوة الارغام .

وكل هذه الخصائص يوردها فقهاء العلوم السياسية، من قبيل التفرقة بين الدولة وبين الكيانات الأخرى . . جماعات كانت أو تنظيمات ، وتتكون الدولة من عناصر ثلاثة : هي الأرض والشعب والسلطة ، ويقول علماء القانون ان الدولة تعتبر من وجهة النظر القانونية شخصية قانونية موحدة ، وكيانا جماعيا دائما .

وهناك نظريات عديدة في الفكر السياسي - لتفسير الدولة ، فيرى هارولد لاسكى أن تاريخ الفكر السياسي ملء بالتفسيرات المثالية للدولة، وعند ارسطو لها هدف واحد وغاية ، ما لم تعط هذه الحضارة ضمانات تنبع من سلطانها على الحياة والموت .

ويذهب جون لوك الى أنه لابد من أن يقام جهاز عام للحكم حتى نتمتع بحقوق الحياة والحرية والموت . ويقرر هيجل أن الدولة هي الفكرة الالهية ، كما توجد على الأرض ، وكل قيمة للانسان مشتقة من انغماسه في مشاكلها .

وهكذا فإن هناك اعترافا جماعيا بين الفلاسفة والمفكرين ، فيما عدا الفوضوية ، على ضرورة وجود جهاز عام في المجتمع ، يحدد شروط الحياة وحدود القواعد المسموح بها .

وتعود نشأة الدولة الى ميل الانسان نحو الحياة الاجتماعية ، التي تصبح مستحيلة في غياب عقد اجتماعي ينظم قواعد التصرف ، ويحدد الحقوق والواجبات ، ويتضمن تحديد سلطة عليا في المجتمع ، قادرة على التحكم والحكم والحفاظ على القانون ، وتستخدم سلطتها وصلاحيتها لخدمة المصالح العليا الدائمة والثابتة للمجتمع .

وحول خدمة الصالح العام والمصالح العليا دارت كل الاختلافات والاجتهادات في الفكر



جون لوك

السياسي ، التي كان محورها الدولة كتنظيم سياسي وقانوني .

فأصحاب النظرية الاجتماعية يقولون ان الدولة رغم أنها تدعي تمثيل الصالح العام ، الا أن هذا الصالح العام في واقع التطبيق يتحدد ويتميز ، ومن هنا فهم يخلصون الى أن الدولة متميزة ومتحيزة بطبيعتها ، ففي أثينا كانت الدولة تتحيز ضد العبيد ، ولا تمثل الصالح العام على اطلاقه ، بل كانت تمثل الصالح العام في حدود مفهوم الأحرار الأثينيين ، وفي الدولة الاقطاعية تتحيز الدولة كذلك لمصلحة الاقطاعيين وهكذا . فإن جمهور علماء الفكر السياسي المحدثين عند تحليل الدولة ، يهبطون من المثاليات والتصور التجريدي الى النظرة الواقعية التي تقتضي تقدير الصراع الديناميكي ، بين الذين تتحيز لهم الدولة ، والذين تتحيز ضدهم ، ويختلف تحيز الدولة من مجتمع الى آخر ، حسب علاقات الانتاج والقوى الاجتماعية والاقتصادية فيه . وتستخدم الدولة سلطتها القسرية ، أي سلطة الارغام ، لخدمة العلاقات السائدة في المجتمع ، ومن هنا فإن مقولة المثاليين بأن الدولة تخدم الصالح العام ، فإن هذا الصالح العام ليس شيئا جامدا ، ولكنه متغير ، وتتغير معه الأيديولوجية التي تبشر به ، أو تدافع عنه ، بتغير النظام الاجتماعي .

ويحدد لاسكي عميد المفكرين السياسيين ، أن الدولة تحتفظ لنفسها بحق القوة المسلحة ، لتحفظ لنفسها حق القسر ، ويذهب لاسكي الى الحد الذي يقرر فيه أن كل نظام اجتماعي ، لا يهتم بدور القوات المسلحة ، انما يغفل حقيقة هامة في تكوين الدولة الحديثة وسلطتها القسرية ، التي تميز الدولة عن بقية الجماعات والتنظيمات الأخرى . □

ايمان قوى

ادرك المسلمون الأوائل على بساطتهم سر الحياة ، وانها صراع لا ينتصر فيه الا القوى الشجاع ، الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة .

ومن كلمات خالد بن الوليد في هذا الصدد . لن يصيبك عدوك في صدرك ، الا اذا أعطاك صدره ، فاذا وليت ظهرك أصابك دون مؤونة .

وقد قال له رجل قبل أن يلتحم الصفان في معركة اليرموك : ما أكثر الروم ؟ وأقل المسلمين ! فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدّ الرجال ، ولم تكن جيوش الروم قليلة ولكنها كانت قليلة في همة خالد .

قصـــة :

الدرس الأخير

بقلم : الدكتور محمد حسن عبدالله

مشاعر متناقضة من الدهشة وعدم التصديق . الفرج بانبعاث ذكريات قديمة عزيزة ، أوشك غبار الزمن أن يخفي ملامحها ، الدهشة من جسارة المحاولة ، وعدم المبالاة بالاحتمالات الخاسرة حاولت أن أسحب ملامحه الطيبة التي غابت تفاصيلها ، في قرارة بئر لاتدرك العين قاعها . لم يجتمع تحت الضوء غير القليل جدا . عينيه العسليتين الصافيتين ، وذقنه الحليق الأخضر ذي (النغرة) ، وشعره الأسود الناعم الحاد ، لم تكن هذه الملامح آخر مارأيت،على العكس ، كانت أول مارأيت ، حين جلست أمامه في المدرسة ، ورمقته بخوف واعجاب ، وهو يوزع علينا أوراقا ملونة نقشت عليها الحروف الهجائية ، ثم طلب منا أن نردد وراءه ألف . باء . تاء . . رأيته بعد ذلك مرارا على سنوات متقطعة ، بعد أن رحلت الى المدينة ليتيسر لي تلقي التعليم الثانوي ثم الجامعي . اذن لم تكن العينان الصافيتان آخر ماتراءى لي . كان فوقهما ـ آخر مرة أو قبلها لست أدقق ـ اطار نظارة ذهبية مستديرة ، كما انبعث دخان أزرق من بين الخصل السوداء الناعمة الحادة ، وانضافت ـ منذ زمن طويل ـ تجاعيد أفقية بمساحة الجبين ، تجاعيد حمراء بينها مسافات أو خطوط بيضاء . ولم تستطع الذاكرة امدادي بالمزيد من التغيرات في شكل محمد أفندي متولي . ثلاث سنوات وربما أكثر مضت على آخر رؤ ية ، غير أنه لم يغب عن خاطري طويلا ، كثيرا ما أواجه مواقف وأقوالا تذكرني به ، كثيرا ماأقيس تصرفاتي الى تصرفاته كما شاهدتها ، أو كما أظنها فيما لو كان في موقعي ، ويعاني ما أعانيه ، وغالبا ما أنحاز اليه وأقف في صفه ، وأحكم بصوابه اذا ما احتلفت بنا السبل في هذه المقايسات المتخيلة . أما هذه المرة فان دوافع الدهشة ظلت تتأرجح بين الاعجاب والاستغراب ، بين الايمان بقوة محمد أفندي متولي وحكمته ، والسخرية مما يمكن أن يعد ضربا من الانتهازية ، يستغل به مشاعر الناس الذين أخلصوا له الحب طويلا ، وكأنه يصفي حسابات قديمة ، يسترد حقا ضائعا بعد أن قدمه اليهم في هيئة تبرع أو هبة ، وقبلوا منه المنحة



وفرحوا بها ، عاد يعلن أن ما قدمه لم يكن الا قرضا واجب السداد ، مع الفائدة ، وغرامة التأخير !!

قلت لزميلي القديم :

ـ متأكد ؟

ـ ألف بالمائة !!

ـ محمد أفندي متولي ؟!

ـ بعينه . خامس اسم في قائمة المرشحين لمجلس القرية ، حسب الترتيب الأبجدي ، نقلت صورة من الكشف لأني لم أكن أصدق ، ولم يصدقني أحد ، الجميع يعيشون حالة من الحيرة والشك ، وبخاصة حين يقرأون أسماء المنافسين ، انهم جميعا تقريبا من تلاميذه .

قلت بحسرة :

ـ هذا ما يحيرني حقا ، ليسوا تلاميذه وحسب ، فكلنا تلاميذه ، اننا نحمل له أجمل الذكريات ـ هل تنكر ذلك ؟

قال :

ـ كيف أنكر ؟ ولماذا كلنا أحببنا محمد أفندي متولي ، ولا نزال نحبه ، رغم العصا الغليظة التي كان يعاقبنا بها اذا لوثنا أيدينا بالحبر ، أو أخطأنا في قاعدة املائية . أتذكر العصا التي كانت رجلا لكرسي قديم ؟ ما أفظعها !

سرح الخيال الى ذلك الزمن الرومانسي ، زمن البراءة والاكتشاف والاستجابة الحارة الفورية لكل نوازع الطفولة . كانت العصا غليظة ، لكني لا أذكر أنه أصاب بها أحدا ، كانت ضرباته « تهويش » ، وفي حالات نادرة ، ولم نكن نخافها ، وانما نتظاهر بالخوف ، كما كان هو يتظاهر بالقسوة ، ولم يكن هذا المشهد الاحتفالي يمنعنا من أن . .

قطع صاحبي سيل ذكرياتي العزيزة ، وكأنما كان يجري معي « سرا » في نفس الطريق . قال :

ـ كانت فظيعة ، غير أنه اذا وضعها على حافة السبورة وانصرف في الاستراحة ، تدافعنا بقاماتنا القصيرة ، ورحنا نقفز لاسقاطها من مكمنها ، أتذكر لماذا ؟

ـ طبعا . . لنشم مكان قبضة يده على العصا ، كان العطر يفوح منها . . عطر هادىء ، لكنه نافذ ، تنتعش به الروح . .

عاد زميلي القديم يكمل حديث الذكريات والنسر والنجمة الذهبيان يلمعان فوق كتفه الضخم المستدير ؟

ـ أتدري أن رائحة هذا العطر لاتزال تعيش في خياشيمي الى اليوم ، واني حين كبرت ، وتنقلت بين مدن العالم ، كنت أبحث ـ بين وقت وآخر ـ عن الرائحة القديمة فلم أعثر عليها

قلت بعجب :

ـ لماذا لم تسأل محمد أفندي نفسه ، انه لن يضن عليك بما ليس من أسراره ؟

قال باقتناع حقيقي :

ـ من تظنني ؟ هل أجسر على مفاتحة مدرسي في هذا الأمر الشخصي ؟ وبخاصة اذا كان هذا المدرس محمد أفندي ؟!

لم أعجب كثيرا لسماع هذا التعليق ، محدثي مهندس قديم بالمصانع الحربية ، يحمل رتبة عقيد ، وقد أنجب طفله الرابع منذ عامين ، لايزال يشعر بأن محمد أفندي الذي علمنا الحروف الهجائية منذ ثلاثين عاما ، يملك من المهابة مايحول دون مناقشة هذه المسألة العادية جدا معه . لم أعجب كثيرا ، وقد شاركت قديما في جلسات مع محمد أفندي ، ورأيت ابتسامته تنفرج عن أسنان بيضاء ، تميل الى الطول ، لكنني أبدا لم أضحك في حضرته . . ولم أنهض عن الكرسي قبل أن يفعل .

عاد زميلي القديم يقول بفرح :

ـ لقد أعفاني الله من الحرج ، نحن العسكريين بعيدون عن الانتخاب وهمومه ، قلت بحيرة حقيقية ، وكأني أبحث عن منفذ من ورطة .

ـ وأنا ؟!

ـ عقلك في رأسك ، اعرف خلاصك .

ـ هذه أنانية منك ، فكر معي على الأقل .

قال بجدية بالغة :

ـ المشكلة أن المتنافسين مع محمد أفندي من تلاميذه ، وهذه مشكلته ، أما مشكلتنا المزدوجة ، أعني مشكلتك وآخرين في مثل حالتك ، ان هؤلاء التلاميذ زملاء لنا ، وهنا الصعوبة ، هل ننصر الأستاذ أو الزميل ؟

قلت بتجرد غاب عنه الواقع المحدد :

ـ ننصر الأصلح للموقع المتنافس عليه .



قال مجاريا

- هل تجد في محمد أفندي مايعاب ؟ تاريخ الرجل ناصع ، وأياديه وخدماته للجميع .

قلت :

- صحيح !!

قال :

- وأحمد حسين ، ومصطفى الضيف ، ويحيي صديق . . كلهم . هل تجد فيهم مايعاب

قلت بإيمان :

- مطلقا . . شرفاء جادون ، راغبون في خدمة قريتهم بإخلاص ، يؤدون وظائفهم كأحسن مايكون لكن . .

قال صاحبي ضاحكا :

- آه . . هذه الـ « لكن » هي الزاوية الحرجة

لم أجد في نفسي رغبة لدخول مباراة الذكاء ، وأصلت فكرتي حتى لايفلت الخيط .

- هل نحن نختار من يمثلنا على أساس ماضيه او مستقبله ؟

قال :

- الاثنين معا ، بالنسبة للشخصية الانسانية لايمكن الفصل بين ماهو ماض وما هو مستقبل . لكن

قلت مقلدا ضحكته السابقة :

- هاأنت تعود الى « لكن » تطلب فيها النجاة من الحكم القاطع ، فماذا ترى ؟

قال مجازفا :

- هناك حقيقة أساسية ، وهي أنه لولا محمد أفندي أجريت انتخابات أصلا . لم أفهم للوهلة الاولى .

أضاف :

- بدونه ، يصبح الباقون بالتزكية ، المجلس خمسة والمرشحون ستة

أسرعت للدفاع عن أستاذي القديم . :

- لماذا يكون هو بالذات العضو الزائد ؟ امك بهذا تطلعه وتنحار صده ، دون مبرر في شخصه أو طموحه المشروع .

عبرت بوجه صاحبي مسحة من اللامبالاة ، وقال بشيء من السخرية الخفيفة

- طموحه المشروع !! لاأعتقد أن محمد أفندي لايزال عنده مايرغب في فعله ، وأظنه على المعاش من نحو عشر سنوات ، يعني قارب السبعين أو تجاوزها ، لامستقبل له ، ومن هنا يكون الترجيح .

قلت بحرارة مطفشة ، إذ لا أعرف كيف أنمّي موقفي .

- من رؤية علمية بحتة ، ليست هذه بحجة ، ريغان يقود أكبر بلد في العالم ، وهو في السبعين ، لماذا لانثق . . ؟

قاطعني .

- ليس عندي شك في مقدرة محمد أفندي حتى لو كان في المائة ، ولكن الشباب أيضا لهم الحق في أن يأخذوا فرصتهم

تنهد في حيرة جاوبته بمثلها ، زاد ثقل الأمر على كاهلي أن أهل القرية يتأثرون بموقفي ، هنا الخطورة وصعوبة الاختيار ذكرياتنا العزيزة كلها مع صاحب العصا المعطرة ، أول من علمنا الحروف ، والثقة في حق الشباب ومقدرته أقوى قلت معامرا بالرأي .

- مارأيك في دعوة الجميع الى لقاء مكاشفة ، يقدمون فيه برامجهم ، لعل بعضهم يشعر بضعف موقفه فيتنازل ، وتنتهي المنافسة الى التزكية .

قال بثقة استغربتها .

- وإذا لم يتنازل أحد ؟

قلت :

ستكون لهذه المواجهة فائدة أخرى ، هي تحديد المواقف من جانب المرشحين ، وظهور اتجاهات الناخبين .

قال صاحبي بثقته المستغربة :

- لاأظن أن مثل هذه المواجهة ممكنة ، فقد لايوافق التلاميذ على مواجهة أستاذهم .

قلت بلهفة :

- لماذا لانجرب ؟

قال :

- هل تحب أن أدهشك من جديد ؟ لقد عرضت الوساطة للحصول على تنازل سرا ، فلم أتمكن ، فعرضت ماتقترحه الآن . . حوار مواجهة أمام الناس فلم يكن أيضا .

استفزني هذا التطور الجديد ، وسألت بلهفة :

- معقول ؟

قال وكأنه يسدد ضربة قاضية :

- غير المعقول هو ما ستسمعه الآن . كان محمد أفندي متولي هو الرافض في المرتين ، رفض التنازل عن الترشيح ، كما رفض الحوار صمم على ما يطلق عليه المنافسة الحرة .

رحت أردد دون وعي :

- أهذا معقول !؟ أهذا معقول !؟ لابد أن الرجل أدركته أمراض الشيخوخة

- انه في منتهى العافية . . البدنية . . والذهنية .

تلفت حولي أبحث عن حل أو وضع أحتمي به :

- والناس

- حائرون ، منقسمون . الرجل خدمهم وعلم عيالهم نصف قرن ، لكنهم يقولون سرا : أما كان



الأجدر به أن يفسح الطريق للشباب ؟

ضربت كفا بكف :

- هذه هي المصيبة .

عادت تنهداتنا تتجاوب ، نظراتنا تشرد في غير اتجاه ، لم يترك لي الرجل منفذا لعمل ، وموقفي لاأحسد عليه .

بعد صمت . .

- اسمع ! من اليوم أنا مريض ، اجازتي سأقضيها في السرير .

- ليس هذا بحل . مرضك المزعوم يستدعي الزوار وتوجيه الأسئلة ، فماذا أنت فاعل ؟

ما توقعه صديقي القديم . . حدث . سيل الزوار لم ينقطع ، أعجب زائر كان محمد أفندي ، كان مجاملا كعهده ، معني من مغادرة السرير حين جلوسه ، كما حال بيني وبين توديعه خارج الغرفة عند انصرافه . طوفنا بالحديث في الذكريات ، تحاشا موضوع الانتخابات بعض الوقت ، كان التوتر ينبىء بالعاصفة ، هو بنفسه اندفع لتفجير الموقف بسؤال مباشر ينضح بالتحدي :

- طبعا صوتك الشخصي لاأناقشه انه مضمون تماما ، ولكني أنتظر أن تقف الى جانبي علانية ، أنت تعرف قيمة هذا في التأثير على الرأي العام .

كانت الغرفة غاصة بالزوار . الكلمات محسوبة وغلطة الشاطر بألف ، ولا مهرب من الكلام .

- والله يا أستاذي . .

صمت حدقت العيون ، احتبست الأنفاس ، نقرت عصا على الارض . تهافتت كلمات من أنف محمد أفندي :

- ليست القضية أستاذ وغير أستاذ القضية يصلح أو لايصلح .

تجمد المشهد المتحرك ، كأنما توقفت آلة العرض .

لكن الفرج جاء في كلماته ، قلت وأنا أنتقي الكلمة بعد الكلمة :

- والله مادمت وضعت المسألة في هذه الصورة ، فان السؤال ينطبق على الجميع يصلحون ، أو لايصلحون ؟

- ورأيك ؟

- لاأجد في أحد مطعنا ، وان كنت أعتقد أنه من حق تلاميذك عليك أن تمنحهم الفرصة .

قال بهدوء قلق :

ـ أنـا أدرى بحقـوقي ، ولست أجهــل حقـوق ـ ـميدي . شكرا . .

صافحني وسط الغرفة ، منعني من السير معه ، تركني واقفا مثل عود الذرة العاري في حقل الحريف . لا يترك مؤشرا بالرضا أو السخط .

لم أجد مبررا لاستمرار تمارضي بعد انتشار موقفي وكلماتي ، غير أن الذكريات العزيزة ظلت تشدني ، فلم أجد في نفسي قوة تسمح بالمشاركة العلنيـة في الدعاية الانتخابيـة للذين أؤ يدهم ، وكـذلك كـان الأمر بالنسبة للمرشحين في البداية ، شعروا بالحرج وامتنعو عن مهاجمته ، أو التوسع في الدعاية ، لكن محمد أفندي أصـر عـلى الـدعـايـة لنفسه ، نشر الملصقــات ، وعقـد الاجتمــاعـات ، ودار عــلى المقاهي ، وتجمعات الفلاحين والعمال ، وبذلك لم يطل الوقت حتى كان جميع المرشحين يفعلون نفس الشيء ، يحـاربونـه بسلاحـه ، ويبتكرون أسلحـة دعائية جديدة ليس للقرية بها عهد

جاء يوم الانتخـاب ، حدث مـاتوقعتـه ، سقط محمد أفندي ، أول سقوط في حياتـه ، بعد اعـلان النتيجة،شعرت بـالرثـاء لـه ، تـألمت من أجله ألما حقيقيـا ، رأيت من واجبي وقـد انتهى الأمـــر الى ماسعيت ، أن أذهب اليه موضحا ومعتذرا ، رعاية لحقه القديم ، قبل أن أتمكن من حشد نفسي لتنفيذ ماعزمت ، كان محمد أفندي يطرق الباب زائرا .

كان وجهه محايدا ، ليس فيه ملامح المهزوم ، أو مشاعر التحدي ، كان كعهده ودودا في غير خضوع .

ـ أهلا بك ياأستاذي .

ـ لماذا لم تحضر لتهنئتي بالنجاح ؟

ـ بسيـطة ياأستـاذ ، أنت لم تكن بحـاجـة لهـذا النجاح ، خيرها في غيرها .

ثبّت عينيه على عينيّ .

ـ أنا جاد ، وأنت لست من السـطحية بحيث لم تفهم قصدي .

قلت مجاريا مجاملا :

على أي حال ، ليس بجديد عليـك التصدي للخدمة العامة ، والتحمل في سبيل الواجب ، استمر في تحديد حركتي بنظرته الثـابتـة من تحت الاطـار الذي ، قال :

ـ هذا بعض قصدي . الخـدمة العـامة يمكن أن تزاولها في أي موقع ، أعني : لم يكن من المحتم أن أفوز لأقوم بهذه الخدمة العامة .

لم أفهم تماما ، كان مهما أن أفهم بدقة . قلت :

ـ هل كان هناك قصد آخر ؟

ـ بل قصد أول ، أساسي !!

ـ لو تتفضل بشرحه لي .

رأيت في هيئتـه صورة المـدرس القديم ، يـوزع البطاقات الملونة ، نقشت عليها الحروف الهجائية ، صوته الهادىء يردد : الف باء تاء . . قال :

ـ كان القصد أن تدور معركة انتخابية حقيقية ، أن يتنـافس أهل الحـدارة حتى يفقد النـاس خجلهم ، وترددهم وخلطهم في الاحكام بين العاطفة والمصلحة الحقيقية . لن يتم هذا كما أرى ، الا بصدام بين رأي ورأي ، وشعـار وشعـار لاتـدري كم كنت سعيدا برأيك الذي صدقتني به ـ ظاهريا ـ أمام الناس يوم جئتك زائرا ابان مرضك

قلت وكأني لم أسمع تفسيره الذي لم أتوقعه

ـ اعذرني ، فهذه مسألة رأي .

ـ كيف لاأعذرك وأنا معك ؟

ـ اذا كان ماتقـول عن نيتك ، لماذا لم تتنازل ليلة الانتخاب مثلا ؟ قال

ـ فكـرت فعـلا أن أتنــازل عن الترشيـــح ليلة الانتخاب ، أو حتى أمام اللجنة ، ولكني خشيت أن أفسد الدرس الأخير الذي أرغب في توصيله اليكم ، مع أنه ـ دعائيا ـ كان لصالحي ، لكن صالحي سيبقى دائما هو الصـالح العـام ، أعتقد أن هـذا تحقق ، واستحق تهنئتك عليه !

فكرت في كلامه قليلا ، نهض قـائما ، صـافحته بحرارة ، سألته :

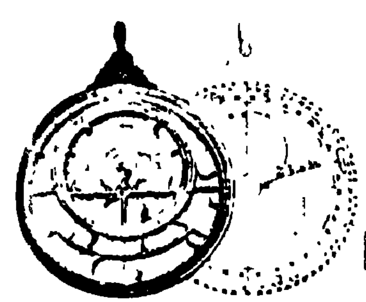
ـ هل عرف المرشحون هذا المعنى ؟

قال بثقة

ـ لايهم . لقد خاضوا معركة ، هذا في ذاته قد علمهم الكثير ، الدرس دائما يبقى أكبر من المدرس

ومضى في طريقه بخطوات ثابتة ، شرد خيالي الى ذكرى قديمـة ، وأنا أقفـز أمام الســورة لأشم عطر العصا ، ذلك العطر الهادىء النافذ ، الذي تتنفس به الروح

□



الجديد في العلم والطب

معلومات جديدة عن مذنب هالي

يؤوي مرصد كت بيك Kitt Peak في أريزونا واحدا من أضخم التلسكوبات في العالم . فهو يبلغ ١٥٨ بوصة ، من حيث قطر عدسته . . وكان كغيره من التلسكوبات يرصد حركات مذنب هالي وسكناته ليل نهار طوال الشهور الماضية ، منذ شهر اكتوبر ١٩٨٢ على وجه التحديد .

ونوجز فيما يلي أهم المعلومات التي تجمعت لدى المراصد الهامة في المدة الأخيرة ، وقبل اللقاءات المرتقبة في الفضاء الخارجي ، بين المذنب وبين مركبات الفضاء التسع المنطلقة حاليا للقائه .

وغني عن البيان أن المركبات المذكورة ستمدنا عما قريب - بمعلومات هامة وخطيرة . . لا عن طبيعة المذنبات فحسب ، ولكن عن أصل الكون ، والخامة التي تكونت منها الشمس والكواكب أيضا . . ومهما يكن من أمر فان المعلومات التي نسوقها هنا هي احدث المعلومات التي وصلتنا عن مذنب هالي حتى الآن . . وهي لاتخلو من أهمية على كل حال . . .

١ - يتكون المذنب من نواة وذؤابة وذيلين . . فضلا عن السحابة الغازية التي تغلف الذؤابة . . وتتكون النواة - وهي أهم مقومات المذنبات عامة - من رصيص جليدي . . متصلب كالصخر . وقد شاهد مرصد كت بيك في الأسابيع الأخيرة أن النواة تدور وتلف كلما ازداد المذنب اقترابا من الشمس

٢ - وقد تمكنوا من قياس البخار المتدفق من النواة ، فثبت لهم أن مادة النواة الرئيسية هي جليد - تماما كما قال البروفسور ويبل ، وثبت لهم أيضا ان السحابة الغازية التي تخرج من النواة أصلا لاتعدو كونها بخار ماء . . وقد بلغ عرض هذه السحابة بالقياس (٣٦٠,٠٠٠) ميل . .

٣ - وواصلت المراصد المختلفة قياس مدار المذنب ومساره بدقة متناهية . . ذلك أن هذه المقاييس ذات أهمية كبرى بالنسبة الى مركبات الفضاء المنطلقة الى حيث تلتقي بمذنب هالي على أبعاد متفاوتة ، فمن شأن تلك المقاييس الدقيقة . . بل قل مراكز توجيهها على سطح الأرض أن تساعد تلك المركبات في أن تسير في الاتجاه المناسب ، وبالانحراف المناسب ، لتلتقي بالمذنب في المكان المناسب .

٤ - نجحت المراصد في مشاهدة نواة المذنب قبل زمن طويل ، من تمددها ، بفعل حرارة الشمس . . وهذا ما عجزت دونه المراصد أثناء زيارة المذنب الأخيرة للمجموعة الشمسية سنة ١٩١٠ . . هذا بالرغم من أن المذنب اقترب من الأرض في تلك الزيارة أكثر من اقترابه منها في الزيارة الحالية . . والفضل في ذلك انما

يعود الى التلسكوبات المتطورة المتاحة للفلكيين حاليا ، والتي لم يكن لها وجود قبل ٧٦ سنة .

٥ ـ بدأ المذنب يتعرض لتغيرات جذرية قبل ١٤ شهرا . . وذلك حين كان لايزال بعيدا عن الكوكب العملاق المشترى . فقد شاهد العلماء كيف بدأت النواة تقذف جزيئاتها الى خارجها ، وقد بدت لهم فى ذلك كالماء الذى يغلى ويقذف فقاقيع بُخارة الى فوق .

٦ ـ على أن المعلومة التى أدهشت العلماء وحيرتهم ، كانت فى التقلب الذي اعترى اشراق المذنب أو نوره بين ليلة وأخرى وقد عزوا ذلك التقلب الى عدم الانتظام فى شكل المذنب

عقم النساء كيف يعالجونه بالهرمونات ؟

شاعت فى الغرب فى المدة الأخيرة عقاقير الخصوبة التى تتناولها المرأة العقيم ويعتبر البرجانول Perganol فى طليعة تلك المستحضرات . . وهو مزيج من الهرمونات المستخلصة من بول النساء المتقدمات فى السن اللاتى تجاوزن سن اليأس . . ويستعمل البرجانول لتنشيط تجاويف المبايض التى تحمل البويضة ، والعمل على انضاجها ، . فهذه التجاويف تفتقر الى النشاط فى المرأة العقيم ، وذلك تبعا لقلة افرازات جسمها من الهرمونات ، أو لعدم انتظام تلك الافرازات ، وفى اغلب الأحيان ينجح مقدار معين من العقار فى تنشيط تجويف واحد . . وانضاج بويضة واحدة ، ثم تتناول المرأة العقيم عقارا آخر اسمه المختصر (HCG) . . ومن شأن هذا العقار أن يطلق البويضة لتدخل أنبوب فالوب ، وتنتظر فيه الاخصاب ان كان ثمة اخصاب .

على أن فى تناول هذه العقاقير مشكلة . . اذ أن مقدار البرجانول اللازم لانضاج بويضة واحدة بحاجة الى تحديد دقيق . . والا أدى تناوله الى انضاج بويضتين أو خمسة أو سبعة . . وذلك تبعا للاختلاف بين امرأة عقيم وأخرى . .

وهذا هو بالضبط ما حدث للسيدة باتى فروستاشي . فى كاليفورنيا . . فقد أنجبت سبعة توائم ولم تكن راغبة فى أكثر من جنين وجاء انجابها هذا تبعا للمعالجة بالبرجانول ، وقد حصلت عليها فى مستشفى الأطفال فى مقاطعة أورانج . فى كاليفورنيا . الا أن السيدة باتى فقدت أربعة من توائمها السبعة . . ولم تخرج من المستشفى الا بواحد . تاركة اثنين منهم فى المستشفى قيد العناية المكثفة .

ولم يكد يمضى على رجوعها الى البيت أربعة أيام حتى رفعت الدعوى على المستشفى المذكور وطبيبه ، تطالب بغرامة قدرها ٣,٢٥ مليون دولار . . فهى تدعى أنها كانت ضحية سوء التصرف من قبل المستشفى والطبيب المعالج جاروسلان ماريك . وتدعى أيضا ان المقادير التى تناولتها من البرجانول و (HCG) كانت فائضة عن الحاجة وغير مناسبة ، وتدعى السيدة فروستاشي أن المستشفى والطبيب لم يقوما برصد أثر تلك العقاقير فيها بدقة وانتظام ، بحيث يُصبح فى الامكان تغيير تلك المقادير وفق الحاجة ، وما زالت الدعوى قيد النظر فى محاكم كاليفورنيا . . ولا ندرى متى يصدر الحكم فيها . . علما بأنها أُقيمت فى شهر اكتوبر الماضى . . ١٩٨٥

مكتشفون ومخترعون

مذنب هالي : ملأ السماء ضياء . والدنيا ضجيجا ولا غضاضة في ذلك ، وقد طالت غيبته ثلاثة أرباع القرن واستعد العلماء لاستقباله في النصف الأول من شهر مارس الحالي بحفاوة علمية لم يسبق لها مثيل وبلغ من اهتمام الناس بهالي المذنب أنهم نسوا هالي العالم صاحب الفضل الأكبر في تحديد مدار المذنب والتنبوء بعودته فمن هو إدموند هالي هذا ، وما هي منجزاته العلمية المتنوعة ، التي تؤهله لتبوء المكانة الأولى بين علماء عصره جميعا باستثناء اسحق نيوتن ولا ريب . وما هو فضله فيما يتصل بمذنبه الشهير . مذنب هالي ؟

ولد هالي (تلفظ الياء كما تلفظ في كلمة فرايدى ، يوم الجمعة في الانجليزية) ، في قرية هاكني قرب لندن سنة ١٦٥٦ . وشغف بعلم الفلك منذ طفولته . . وقد رأى بأم عينه وقبل بلوغه العاشرة من عمره المذنبين العظيمين . مذنب سنة ١٦٦٤ ، الذي يعتبره الناس مسؤولا عن وباء الطاعون الذي رافق ظهوره . ومذنب ١٦٦٥ الذي ترامن واندلاع حريق لندن الكبير . . فلم يشك أحد من العامة بأن المذنب هو الذي تسبب بذلك الحريق . .

ولما كان الأب صاحب مصنع للصابون ، وقد أثرى في أعقاب انتشار الطاعون . وانتشار الوعي الصحي معه ، استطاع ادموند الالتحاق بجامعة اكسفورد وبكلية الملكة فيها بالذات . . ومعه عدد كبير من التلسكوبات التي زوده بها أبوه ، ومن طريف ما يذكر أن أحد تلك التلسكوبات التي حملها الطالب معه وكأنها الكتب ، بلغ طوله ٢٤ قدما .

ولكن الطالب مالبث أن انقطع عن دراسته الجامعية . فقد ضحى بها وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وذلك من أجل رحلة علمية فلكية قام بها الى بحار الجنوب ، ودرس فيها نجوم السماء في نصف الكرة الجنوبي ، وقد استغرقت رحلته تلك ٣ سنوات ، وأنجز فيها مسح مواقع مجموعة كبيرة من النجوم ٣٤١ نجما على وجه التحديد .

وجاءت سنة ١٦٨٠ واذا بإدموند يرى لأول مرة المذنب الذي سمي باسمه فيما بعد .

رآه وهو في عرض البحر ، وفي طريقه من دوفر الى كاليه . وراعه منظر المذنب ، فقصد الى باريس في الحال ، واجتمع بالعالم كاسيني وقد اقترح الفلكي الفرنسي هذا أن يكون مذنب ١٦٨٠ هو نفسه ١٥٧٧ واقترح أيضا أن تكون المذنبات من أتباع الشمس وتدور حولها كالكواكب

وانغرست هذه الآراء في نفس هالي كانغراس البذور في التربة . ولكنها لم تتعد كونها آراء ، وبحاجة الى توطيد وتبرير بالرياضيات قبل أن تكتسب الثبوت أو الطابع العلمي ، وتحظى باحترام العلماء ، لا عجب اذن أن طغت على تفكير أدموند الشاب ، وأثارت في نفسه الحماسة للبحث عن تلك الرياضيات

ولا يخفى أن الجاذبية وقوانينها هي قوام الرياضيات التي يحتاجها الفلكي لتحديد مسار المذنبات ، ولكن الجاذبية كانت ما تزال مشكلة الفلك في تلك العصر . فقد شعر بوجودها العلماء . . ولكن شعورهم كان لا يزال مفتقرا الى الرؤية الواضحة ناهيك بالالمام بقوانين الجاذبية التي تشد أجرام السماء بعضها الى بعض ، والتي تفصل تلك الأجرام نفسها بعضها عن بعض

ولطالما تأمل إدموند هالي هذه الجاذبية بلا طائل . ولطالما تباحث فيها مع صديقه كريستوفر رن ، المهندس المعماري الكبير آنذاك ، والفلكي المعروف سابقا . ولما أعياهما البحث أعلنا في الصحف سنة ١٦٨٤ مكافأة مالية مجزية لمن يجد ...

إدمونـــــد هالـــى
١٦٥٦ - ١٧٤٠

ـ المشكلة وبلغت قيمة تلك المكافأة جنيهين
ـربى وهى قيمة كبيرة بمقاييس تلك الأيام
ـمضت شهور والمشكلة قائمة بلا حل فتوجه
ـ الى جامعة كمبردج قاصدا الاجتماع بأستاذها
ـله اسحق نيوتن لعله يشاركهم البحث عن
ـ لمشكلة الجاذبية ، وفوجىء هالى حين اكتشف ان
ـ ن كان على علم تام بتلك المشكلة ، وانه نجح منذ
ـ فى تحديد قوانين الجاذبية ، وأنه أوضح ذلك
ـ بتفصيل فى كتاب له كتبه دون أن ينشره

ـذهل هالى لمحتويات ذلك الكتاب وقد وجد
ـ الحل الشاق لكثير من مشاكل ذلك العصر
ـسية وشعر هالى بضرورة نشر ذلك الكتاب ،
ـ يلح على نيوتن بنشره حتى أقنعه . ولعل
ـعداده لتحرير الكتاب ومراجعته ولتمويل نشره ،
ـ ى ضمن لكتاب نيوتن الخروج الى حيز النور

ـ كان كتاب نيوتن هـذا ، وهـو الـبرنسيبيا
(Principia) أو (القواعد الرياضية للفلسفة
ـعية) . . من أعـظم كتب العلم فى التـاريخ
ـ ن لم يكن أعظمها جميعا ودون استثناء
ـ دور هالى فى نشره بمثابة فضل علمى كبير ، بلغ
ـ الكثيرين المرتبة الأولى بين منجزات هـالى
ـمه ـ عا .
ـ ومهما يكن من أمر فإن كتاب نيوتن هذا هو الذى

قدم الى أدموند هالى الرياضيات التى طالما بحث عنها وهو الذى مكنه من تحديد مدار مذنبه مذنب هـالى ، ومذنبـات أخرى غيره ، بلغت ٢٣ مذنبا بالتحديد ، ونشر إدموند نتائجه هذه فى الكتاب الذى نشره سنة ١٧٠٥ ، والذى تنبأ فيه بأن المذنب الذى رآه سنة ١٦٨٢ سيعود الى الظهور ثانيه عشيـة عيد الميلاد سنة ١٧٥٨ وصدقت نبوءته ، وذلك بعد وفاته بنحو ١٦ سنة واعترفت له الأجيال اللاحقة بأكثر مما تمنى ، وقد أطلقت اسمه على المـذنب ، خلافا للقـاعدة ، قـاعدة تسمية المذنبـات بأسماء مكتشفيها لا بأسماء دارسيها ، أو العاملين على تحديد مداراتها

وشغل هالى منصب بروفسور فى جامعة أكسفورد سنة ١٧٠٤ وحل محل فلامستيد بعد وفاته سنه ١٧١٩ ، وأصبح فلكي الملك

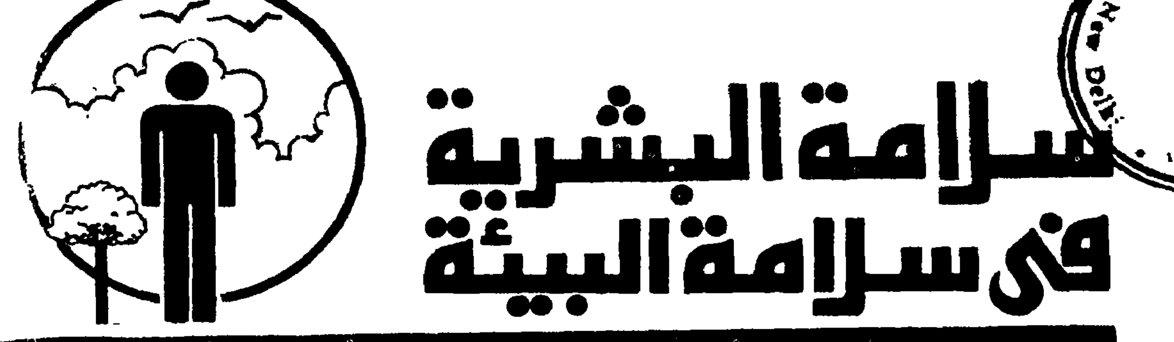
وتجدر الاشارة الى بعض منجزات هالى وأعمـاله العلمية الأخرى ، التى لا تدع مجالا للشك بأنه كان بحق أعظم علماء عصره من بعد اسحق نيوتن

من ذلك أنه ابتكر طريقـة لقياس المسافة بين الأرض والشمس

وكـانت الطريقـة التى اعتمـدهـا الكـابتن كـوك فى رحلاته وفى تاهيتى بالذات ، ومن ذلك أيضا أنه قـام بأبحـاث عـديـدة مختلفـة فى المغـاطيسيـة والنباتات والحرارة . والهواء

ونخص بالذكر اختراعه أول جرس للغواصين ، ويعمل فى أعماق المياه بنجاح ، وكان الأساس الذى قـامت عليـه احـدى الشـركـات لانقـاذ السفن من الغرق . أو تحميها اياه .

وأخيرا نذكر مشروعه الخاص برصد القمر ، وقد استغرق ١٨ سنة ، واكتمل سنة ١٧٤٠ ، أى سنة وفاة أدموند هالى عن عمر يناهز ٨٤ سنة . □



يحاكم ويغرم لأنه ضد التدخين

حكمت احدى المحاكم في بريطانيا على أحد سائقى سيارات الأجرة (واسمه المستر كارلس) بغرامة قدرها ـ ٢٠ جنيها استرلينيا . . دلك لانه رفض نقل أحد الركاب في مطار هيثرو الى لندن ، نظرا لأن ذلك الراكب كان من المدخنين . . مدخنى الغليون على وجه التحديد . وقد وقع الحادث في شهر يولية الماضي ، وحدد الحكم في شهر اكتوبر ١٩٨٥

ولما كان المستر كارلس من أعداء التدخين ، ويعاني من التهاب اللوزتين . فصل حرق القوانين المرعية ، والتعرض لدفع غرامة مالية على الاخلال ء ادئه والاساءة الى صحته وقد حاول أحد شرطة المطار اصلاح ذات البين بلا جدوي .

بيد أن المستر كارلس رفض دفع الغرامة واستأنف واذا بالحكم الجديد يقضي بمضاعفة الغرامة الى ٥٠ جنيها استرلينيا . بالاضافة الى دفع رسوم المحكمة ونفقاتها البالغة ٦٠ جنيها

ومن طريف ما يذكر أن هيئة (العمل ض التدخين ومن أجل الصحة) وهي تعرف بالانكل (ASH) تبرعت بدفع النفقات . . وأن أحد أصحاب المطاعم في لندن تبرع بدفع الغرامة يحمي أن هذا الثرى هو أيضا من أعداء التد الألدّاء ، وقد حظره في أكثر مطاعمه

وتجدر الاشارة الى ما ذكره القاضي تـ الحكمه ، اد قال لايحق لسائق التاكسي أن يرد نقل راكب ـ أي راكب يقف في طابور المنتظر هذا ماينص عليه النظام رقم (٩) من أنـ مطار هيثرو ، والمادة رقم (٥)، وذلك حفاظ . راحة الركاب ولا يجوز له أن يرفض الراكب أن التدخين لا يروق له أو يضر بصحته . باستطاعته ان يغلق الشباك الفاصل بين حـ وحجرة الركاب الخلفية ، ويتجنب بذلك رائحه وأثره .

هل بدأ القطب الجنوبي بالذوبان ؟

القارة القطبية الجنوبية قارة شاسعة تفوق استراليا مساحة . وهى معطاة بالثلوج ، كما لايخفى ، ويمتد الجليد من شواطئها ألسنة أو رفوفا هائلة تغطى مساحات من البحر متفاوتة واكبر هذه الرفوف هو رف روس Ross بلا نزاع : مساحته مثل مساحة فرنسا تقريبا اما سمكه ؛ عن ١٣٠٠ قدم لاعجب اذن ان قام هذا . منيعا في طريق الجليد الزاحف من عر . .



القطبية ، وحال دون وصوله الى مياه المحيط
غير ان هذا الرف كان موضع شبهة العلماء في المدة الاخيرة فقد بدا لبعض المختصين ان جليده اخذ في الانحلال أو الذوبان احيانا ولو صدق هذا الظن لترتب عليه وصول الجليد القادم من الغرب الى البحر وانسيابه في مياهه الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى ارتفاع مستوى هذا الماء بنحو ٣٠ قدما (٩ امتار) **(ليس في بحار الجنوب فحسب) ولكن في بحار العالم** وحيطاته كلها دون استثناء ومعنى هذا ان مياه البحر ستغمر حانيا لايستهان به من سواحل العالم وسهوله ووديانه ، فيتقلص نصيب اليابسة من سطح الارض البالغ حاليا نحو ٣٠٪ ليصبح ٢٥٪ او دون ذلك فالمشكلة اذن خطيرة جدا تنذر بوقوع كارثة ، بل طوفان ، بحيث لامفر للعلماء من ان يقوموا بالدراسات والابحاث الكفيلة بنفي تلك الشبهة او اثباتها

وبدأت هذه الدراسات والابحاث في الربيع الماضي على صعيد دولي وقد تستمر بضعة شهور أخرى ان لم نقل سنوات وتشمل هذه الابحاث التي يجريها نخبة من العلماء والهيئات حفر ابار او ثقوب في رف رس الذي ذكرنا وذلك على بعد ٤٩٠ كيلومترا من المكان الذي يتجزأ فيه الرف وتنفصل عنه قطع كبيرة لاتلبث ان تندفع الى البحر لتصبح جبالا جليدية عائمة فيه ويتم حفر هذه الثقوب والآبار التي لايقل عمقها عن ١٣٠٠ قدم بطرق مختلفة وكان احدثها حفر الجليد بالاداة اذابته بواسطة شعلة نارية خاصة

طحالب تمتص الذهب الذائب في البحر

يبدو أن ولاية نيومكسيكو في الولايات المتحدة ستشهد عما قريب عصرا ذهبيا جديدا . كالعصر الذهبي الذي شهدته في القرن الماضي أيام اكتشف الذهب في الولاية ، واستخرج منها على نطاق واسع . الا ان الذهب المرتقب سيستخرج من الماء ، لامن باطن الأرض ، ماء البحر وماء النفايات الذي تلفظه المصانع . . والماء الذي قد يوجد في مواقع المناجم القديمة المستنفدة .

وذلك ان العلماء في جامعة نيومكسيكو اكتشفوا أنواعا من الطحالب (الأشنات) algae تتمتع بالقدرة العجيبة على استخلاص الذهب من تلك المياه . . والذهب موجود وفي حالة ذوبان في مياه البحر وغيرها كما هو معروف ، الا أن نسبة وجوده تختلف بين بحر وآخر . وقد اكتشف علماء نيومكسيكو أن نسبته في مياههم تبلغ بضعة أجزاء في المليون . وهي نسبة عالية نسبيا ، وان بدت منخفضة لأول وهلة . . ويسهل على أنواع الطحالب السالفة الذكر استخلاصها

والطحالب المسماة chiorella valgaris هي أهم تلك الأنواع الماصة للذهب . . والغريب أن هذه الطحالب لاتمتص أو تستخلص أيا من المعادن الأخرى غير الذهب الموجودة في الماء . . فثمة شعيرات كيماوية جذابة أو مستقبلة ، ولا صقة بجدران خلايا هذه الطحالب . هي التي تمتص الذهب واكتشف العلماء أيضا أن الذهب يلصق بهذه الشعيرات فورا ، حتى لو كانت الطحالب ميتة . وتقدر كمية الذهب التي تستطيع الطحالب استخلاصها بهذه الطريقة التي تسمى (biosorption) بحوالي ١٠٪ من وزنها وهي جافة .

وغني عن البيان أن مهمة فصل الذهب عن الطحالب مهمة يسيرة . فحسبك أضافة احدى المواد الكيماوية القوية من الفئة المسماه — gold complexing كالسيانيد مثلا ، حتى يتم فصل الذهب . . دون غيره من المعادن التي تكون عالقة بالطحالب أيضا


حول
الندوة
الدولية
لموسيقا
عُمان
التقليدية



هذه الصدفة تحولت في يد هذا الفنان الشعبي الى بوق للموسيقا التقليدية العمانية .

أحيانا يكون المكان هو طريقك للاحساس العميق بالزمان ، وبالتاريخ ، ولعل هذا هو ما يشعر به بقوة من يزور سلطنة عمان لأول مرة ، يشعر به وهو لايزال يراها من نافذة الطائرة ، فسواحل عمان بشواطئها المتعرجة ، وموانئها التي تحدق بها الجبال ، وطبيعتها المتنوعة بين صحراء مترامية ، وسهول ساحلية وداخلية خصبة ، وسلاسل الجبال الممتدة من الشمال الى الجنوب ، وموقعها المتميز في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب عند التقاء الخليج ببحر العرب ، كل هذا يمنح من يزور عمان لأول مرة شعورا عميقا بأنه في زيارة لمعقل من معاقل التاريخ ، لحركة هذا التاريخ بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لنقطة التفاعل بين ثقافات وحضارات هذه القارات كلها .

كانت البداية دعوة كريمة من وزارة الاعلام بسلطنة عمان لمجلة العربي ، لحضور « الندوة الدولية لموسيقا عمان التقليدية » بمسقط ، في الفترة من ٦ ـ ١٦ أكتوبر سنة ١٩٨٥ .

وحين غادرنا مطار السيب الدولي بمسقط في الطريق الى فندق « انتركونتننتال » حيث تعقد الندوة ، كانت السيارة تعبر طرقا حديثة واسعة في عاصمة عصرية كبيرة ، شبكة هائلة من الجسور العلوية المتقاطعة التي تربط بين أحياء المدينة ، وتسمح بتدفق حركة السيارات بيسر ، ولكن سلاسل الجبال التي كنا نراها من نافذة الطائرة لا تزال هناك قائمة وممتدة ، فالمدينة في قلب الجبال ، والجبال تحتضن المدينة ، تحمل البيوت والعمائر على قممها ، ومدارجها وسفوحها ، الطرقات تمضي بين الجبال ، تدور حولها أحيانا،ترتفع معها ، وتهبط أحيانا ، تخترقها أحيانا ، بيوت عصرية حديثة ، ولكن واجهاتها كلها تحمل طابع العمارة الاسلامية والعربية والعمانية ، وشرفاتها تزدان بالزخارف الاسلامية ذات الوحدات المتكررة ، والأعمدة التي تنتهي بأقواس متناظرة ، بيوت حديثة على هيئة قلاع ، وأخرى تأخذ سقوفها شكل القباب أو الأبراج ، بيوت كلها زاهية الأصباغ والألوان ، متناسقة في تنوع ألوانها ، واختلاف درجات اللون ، الجديد والقديم-هنا في شوارع مسقط يمتزجان ويتصالحان . . . أهذا كله مصادفة أم ثمة قصد وتخطيط وتنظيم ؟ حتى فندق « انتركونتننتال الذي توقفت أمامه السيارة ، تتوج صالته الداخلية الفسيحة مجموعة من القباب ، وتنساب على واجهته خطوط الفن العربي .

تساؤلات من قريب

كنا في حاجة الى شيء من الوقت ، لنعرف أشياء عن برنامج الندوة ، والقضايا التي تناقشها ، والمشاركين فيها ؟

البرنامج مزدحم لدرجة تجعلك تشك في أنه ستكون هناك فرصة للخروج من الفندق والتعرف على المدينة ، ثلاثة اجتماعات صباحية ، ومثلها في المساء ، والزيارات المخطط لها في البرنامج كلها جماعية ، وخارج العاصمة .

القضايا المطروحة للمناقشة في البرنامج كثيرة ومتنوعة بعضها يتصل بالمأثورات الشعبية بعامة ، وبعضها يركز على موسيقا عُمان التقليدية ، وأخيرا تلك المفاجأة التي تقدمها الندوة : سمفونية عُمان / تأليف عزيز الشوان . وقد سجلها أوركسترا لندن السيمفوني .

المشاركون في الندوة كلهم من كبار المختصين بالفلكلور (المأثورات الشعبية) بعضهم عرب من الأردن والعراق وتونس والبحرين وعمان ومصر ، وبعضهم أجانب من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا والمانيا واليابان .

الأخوة العمانيون من شباب العلاقات العامة ، عبدالله ونجيب وغازي وغيرهم يتحركون كخلية نحل بين الضيوف ، ويؤكدون لك أنهم رهن اشارتك ، في كل ما تسأل عنه ، أو تريده ، لكن كيف مع مثل هذا البرنامج ؟ في مثل هذه الحالات

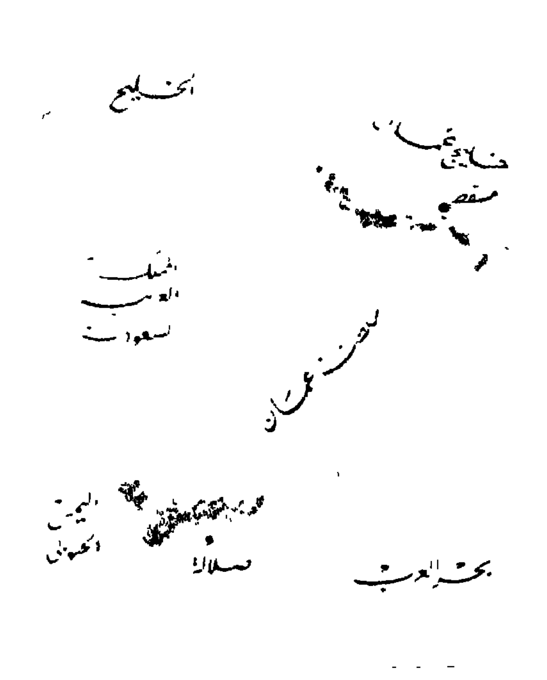
تترك للوقت أن يقوم بدوره ، بعض المشاركين في الندوة أعرفهم من قبل ، أستاذ الأدب الشعبي المعروف الدكتور عبد الحميد يونس ، الأستاذ صفوت كمال خبير الفلكلور ، الذي عمل سنوات طويلة في الكويت ، وهذا وحده أكثرية ، ثمة رجل ربعة القوام يتميز بصوته المموسق ، ونظارته السميكة ، وحركاته السريعة العفوية الرشيقة ، يبدو أنه يعرف كل الضيوف ، ويبدو أن كل الضيوف يعرفونه ، فهو يتحدث اليهم جميعا حديث العارف ، ينتقل بين اللغة العربية والانجليزية مع تنقله بين الضيوف ، قال لي الأستاذ صفوت كمال / هذا هو الدكتور يوسف شوقي . . انه وحده الذي يملك الكثير من الاجابات عن كل ما تود أن تسأل عنه بشأن هذه الندوة . . « الدكتور يوسف شوقي أستاذ الجيولوجيا وصاحب الدراسات والابداعات المعروفة في عالم الموسيقا ، وآخر معلوماتي عنه أنه كان وكيلا لوزارة الثقافة في مصر » ماذا أنتظر لأعرف كل شيء ، عن دوره هنا وعن الندوة منه شخصيا ؟ وفي الحقيقة أنني لم أجد فرصة حقيقية للحديث مع الدكتور يوسف شوقي ، الا بطريقة واحدة هي أنني دعوت نفسي للغداء على مائدته ، فلعل هذا هو الوقت الوحيد الذي يمكن أن تكمل فيه حديثا معه !

انشاء مركز عُمان للموسيقا التقليدية

قال الدكتور يوسف شوقي « جئت الى عُمان منذ أكثر من عامين بدعوة من وزارة الاعلام العمانية ، للقيام بمهمة محددة هي : جمع وتوثيق فنون الموسيقا التقليدية العمانية ، وهذه عملية علمية وفنية وميدانية ، وفي بلاد واسعة ذات تاريخ حضاري قديم مثل عُمان ، فهي ليست سهلة ، ولكن المسؤولين هنا قاموا بتذليل كل الصعوبات » .

ثم استطرد الدكتور يوسف شوقي :

« من المعروف أن المجتمعات التي لها تاريخ عريق تحرص وهي تتطلع الى المستقبل على أن تتلفت الى هذا الماضي العريق ، ليكون تيار التقدم متواصلا ومرتكزا على أسس من هذا الماضي ، والفنون التقليدية بعامة ، لكونها ابداعا تلقائيا وجماعيا ، فإنها



تعبر أصدق تعبير عن روح الأمة ، وتحافظ على أهم ملامح الشخصية الوطنية . ولأن هذه الفنون التقليدية تعتمد على الانتقال الشفاهي بين الأجيال ، فإنها تتعرض الآن تحت ضربات التطور وغزو أجهزة الاعلام الحديثة الى الاندثار ، فضلا عن التغيير الذي قد يصل الى حد التشويه ، ومن هنا كان حرص المسؤولين هنا على تقديم كل عون ممكن للاسراع بإنقاذ هذا التراث من الضياع بجمعه وتوثيقه ، والمحافظة عليه ، للمحافظة على شخصية هذه الأمة أولا ، وليكون مصدر الهام للأجيال الحاضرة أو القادمة ومنطلقا للتطور .

قلت للدكتور يوسف شوقي : **هل يمكن أن تلقي ببعض الضوء على الطريقة التي قمتم بها لانجاز هذه المهمة ؟**

ـ « كان المستهدف من هذه العملية كما أشرت اجراء حصر لجميع أنماط الموسيقا والغناء والرقص التقليدي العماني في جميع ولايات السلطنة بحيث يشمل الحصر، المعروف والمتداول والمتنحي وحتى المنقرض من تلك الأنماط ، كما يشمل حصر المناسبات التي تؤدى فيها هذه الفنون ، والآلات المستخدمة في أدائها ، كل ذلك تمهيدا لعمل سجل

متعدد الروافد لهذه الفنون ، يتجسد في الارشيف القومي للموسيقا التقليدية ، ولتحقيق هذا الهدف ، قمنا بتصوير أنماط الغناء والرقص التقليدي العماني تصويرا تلفزيونيا ، وبتسجيل الجانب الصوتي للغناء والرقص ، وكذلك تسجيل أنماط الغناء التي لا تصاحبها حركة راقصة تسجيلا صوتيا .

كما قمنا بتصوير جميع العناصر البشرية والآلية ، التي تسهم في أداء الفنون التقليدية العمانية ، في وثيقة تصوير فوتوغرافي .

منهج البحث

* ماذا عن المنهج الذي استخدمته في عملية الجمع والتوثيق ؟

ـ كان منهج البحث يعتمد الأسس التالية : أن يكون الموثق الميداني مستقبلا للمعلومات لا مرسلا فمن المعروف أن هذا الموثق يقوم باستقصاء الحقائق الفنية أو التاريخية أو الاجتماعية من مصادر بشرية متعددة وعليه في هذه الحالة أن يستقبل المعلومات التي يعطيها له المصدر البشري دون تعليق أو معارضة أو نقاش أو تصويب .

أن يحرص الموثق الميداني على صياغة الأسئلة التي يوجهها الى مصادره البشرية صياغة محايدة صريحة ، لا تحمل في طياتها أي نوع من الاجابة أو أي اشارة الى معلومات بعينها .

أن يكون التكوين التركيبي والوقفة والحركة نوعا واتجاها في أداء أي نمط من أنماط الموسيقا التقليدية هي ذاتها العناصر التركيبية والحركة المتوارثة عن الأجيال السابقة وذلك دون اعتبار لما قد تفرضه طبيعة التصوير التلفزيوني من متطلبات فكثيرا ما حاول بعض المشاركين في أداء هذه الفنون التقليدية أن يغيروا من نظام وقفتهم ، ومن ترتيب عناصر ومكونات الشكل العام لما يؤدونه من فنون ، وذلك لكي يظهروا في التلفزيون بشكل أفضل ، ولقد لقي هذا الاتجاه الذي تكرر كثيرا مقاومة شديدة من فريق العمل الميداني حتى يخرج الأداء في شكله التقليدي الصحيح الاصيل .

* من المعروف أن تحديد الاطار والملابسات التي تؤدي فيها الانماط الموسيقية والغنائية التقليدية يسهم في فهم الوظائف الاجتماعية لهذه الانماط ، فهل تتفضل بالاشارة الى بعض هذه الانماط الموسيقية مع مناسباتها ؟

ـ طبعا هناك أنماط كثيرة ومناسبات أكثر منها ، فالنمط الواحد قد يؤدى في أكثر من مناسبة .

هناك فنون البحر ويدل كل اسم من أسماء فنون البحر على ما يرتبط به من عمل على سطح السفن التجارية مثل :

شلة الباورة : تغنى والبحارة يرفعون الباورة عند تحرك السفينة .

شلة الفتيني : تغنى عندما يرفع البحارة شراع السفينة الصغيرة الخ .

وباختصار هناك فنون للصيد وللزراعة وللرعي وللحرف والصناعات البيئية وكلها مدونة مرتبطة بمناسباتها ، وما دمنا قد تطرقنا الى هذا الجانب فلا بد من الاشارة الى الفنون الأفرو ـ عمانية وهي تختص بأنماط الغناء والرقص التقليدي الوافدة من الساحل الشرقي لأفريقيا وكانت ترتبط في الماضي بالشعوذة والدجل ، وان كان معظم أنماطها قد تحول الى التسلية والترفيه .

ومن هذه الفنون : المكواره ـ الطنبور (النوبان) الشرح في « صور » وهناك أيضا الفنون الاسيو ـ عمانية . وتؤديها فرق البلوش في المناسبات الاجتماعية كالخطبة والزواج والختان . وتتكون فرق البلوش للفنون التقليدية العمانية من خليط من الرجال والنساء يغنون ويرقصون ما توارثوه من أنماط فنية وفدت من آسيا في الماضي ثم أصبحت عنصرا عضويا من مكونات الفنون التقليدية العمانية .

ومن هذه الفنون : السيروان ، الكو زاك لي رو كشاري

* * *

الجلسات تتوالى ، والأسماء التي قرأناها في البرنامج ترتبط بوجوه أصحابها ، وفي صالات الفندق والمقهى والمطعم يزداد المشاركون تعارفا ، وشيئا فشيئا تتضح اتجاهات الحوار الذي يبدأ في الندوة ويستمر في مقهى « مسندم » ومطعم « القرم » (هذه أسماء [illegible] ومناطق في عمان) والشعور بأن عُمان كلها [illegible] قصة الحوار بين الاصالة والمعاصرة يتأكد ، ومعلوماتنا

وجه عماني يطل من مرآة الماضي على المستقبل

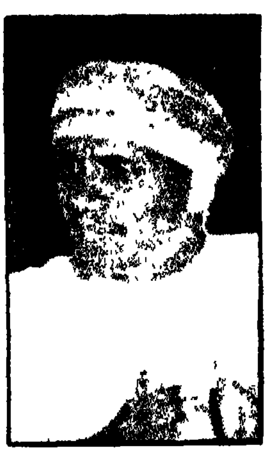
ـلة الة الايقاع في موسيقا عمان التقليدية



هذا القرن طوعه الفنان الشعبي ليكون الة النفخ في الموسيقا التقليدية العمانية .



الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة وكيل وزارة الاعلام البحرين



وزير الاسكان العماني السيد / أحمد بن عبد الله الغزالي



وزير الاعلام العماني . السيد / عبد العزيز بن محمد الرواس



الاستاد صموت كمال

عن تاريخ عمان وامبراطوريتها التي وصلت الى زنجبار بأفريقيا وأسطولها الذي وصل الى شرق آسيا تزداد ، من خلال الكتب التي يوفرها رجال العلاقات العامة بوزارة الاعلام ووزارة الثقافة ، ثم تأتي دعوة كريمة من وزير الاعلام السيد عبدالعزيز بن محمد الرواس لمقابلة الصحفيين المدعوين الى الندوة ، وجاءت الفرصة لتوجيه سؤال تحفظ بشأنه الدكتور يوسف شوقي عن الخطوة التالية لجمع وتوثيق فنون الموسيقى العُمانية التقليدية .

الخطوات التالية

وحول الخطوات التالية لعملية جمع وتوثيق الموسيقى العمانية التقليدية قال السيد وزير الاعلام :

« مع أن أبعاد هذه الخطوات سوف تتحدد في ضوء « توصيات » الندوة الدولية لموسيقى عمان التقليدية الا أنه يمكن القول بأن التوجه هو للقيام بعملية جمع وتوثيق أخرى لبقية عناصر الفلكلور العماني (المأثورات الشعبية) مثل الحكايات والأمثال والأساطير وفنون النسيج والمنقوشات الفضية والنحاسية وغيرها من الفنون الشعبية لقد بدأنا بالموسيقى التقليدية لأن هذا الفن كان الأكثر عرضة للضياع والاندثار سواء بتأثير وسائل الاعلام الحديثة أو بموت العناصر البشرية العارفة بأصول هذا الفن » .

* * *

كانت فكرة البحث عن استكمال عناصر الرحلة تتأكد في داخلي ما دام شعوري بأن عمان ٨٥ تحيا بعمق قصة الحوار الدائر بين الأصالة والمعاصرة فلماذا لا نستكمل البحث وراء هذه الفكرة . .

هل ما رأيته في طراز المباني في عُمان هو امتداد لفكرة الحوار الفعال بين الاصالة والمعاصرة ؟

وطلبت من السيد محمد بن سالم المرهون مدير الاعلام أن يدبر لنا لقاء مع أحد المسؤولين في قطاع الاسكان .

ولم يدخر الرجل جهدا فبعد يومين لا أكثر كنا نخرج من أسر الفندق الجميل للقاء مع السيد وزير الاسكان .

لكن لنؤجل الحديث عن هذا اللقاء الى أن نقدم :

لمحات عن أهم الاتجاهات

والقضايا التي برزت في الندوة

أولا قضايا الفلكلور (المأثورات الشعبية) التاريخ مصدر هام من مصادر « التراث الشعبي »

حول هذه القضية دار البحث المقدم من الدكتور يوسف غوانمه بجامعة اليرموك بالأردن .

وخلاصة وجهة النظر التي يطرحها البحث :

« ان التاريخ سجل هام للتراث ، وما العلوم الاخرى كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلكلور الا مشتقات من علم التاريخ الذي يعتبر الأم والأصل لكل تلك العلوم ويستطيع الباحث المتقصي أن يجد في ثنايا بعض المؤلفات التاريخية تفاصيل دقيقة وفريدة لعناصر من التراث الشعبي كالعادات والتقاليد والطقوس والمراسم ، بل إن بعض هذه المؤلفات يعتبر سجلا دقيقا لحياة المجتمع اليومية ، ومن هنا فإن

على عالم الفلكلور العودة الى التاريخ ، لأن العادات والتقاليد التي يحفظها التاريخ تعتبر معينا لا ينضب لعالم الفلكلور كي يقوم بالدراسات المقارنة ، ولكي يتمكن من فهم مدلولات كثير من الممارسات والمواقف والعلاقات ، وهذا ما يمكن الفلكلور من أن يكون علما تاريخيا .

ويقوم الدكتور يوسف غوانمه في بحثه بتحليل العديد من التقاليد والعادات التي تحدثت عنها كتب التاريخ مثل عادة شرب القهوة وتقديم الهدايا واقامة الولائم . . . الخ .

ثم ينهي بحثه بالاشارة الى أهم المراجع التاريخية التي عنيت بتقديم المعلومات الخاصة بالتراث الشعبي الى جوار المادة التاريخية الاخرى ومن أهم هذه المراجع تاريخ الطبري والكامل في التاريخ لابن الاثير ونهاية الأرب للنويري والسلوك للمقريزي . . الخ .

دعوة الى دراسة المأثورات الشعبية من وجهة نظر عربية

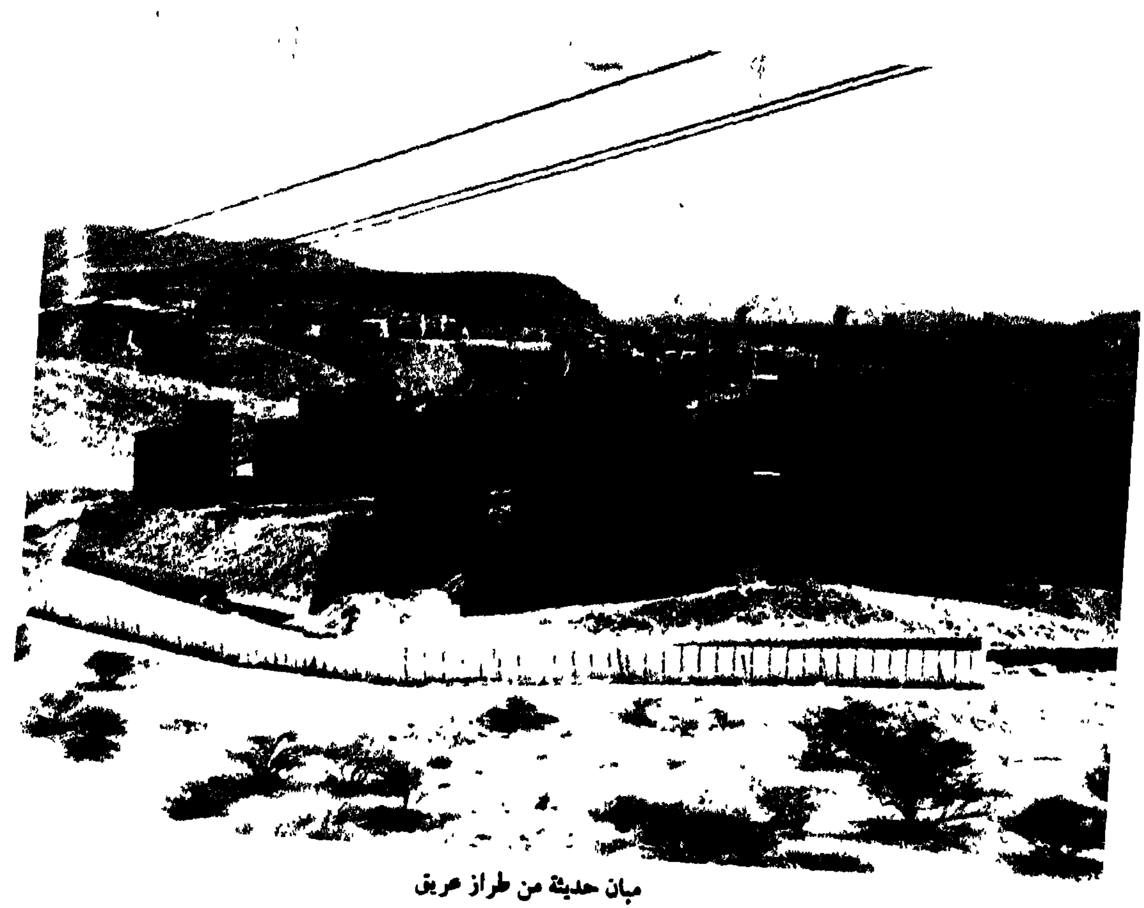
تناول البحث المقدم من الأستاذ صفوت كمال أستاذ الفلكلور بأكاديمية الفنون بالقاهرة طرح وجهة نظره حول هذه القضية ، ويظهر من هذا البحث أن ثمة توافقا في وجهة النظر بينه وبين الدكتور يوسف غوانمه حول ضرورة استخلاص الأصول التاريخية لمواد المأثورات الشعبية من الكتب والمراجع والوثائق التي اهتمت بجوانب من الحياة اليومية للانسان العربي .

ويرى الاستاذ صفوت كمال ان من أهم مميزات الثقافة العربية حيويتها التي تتمثل في التواصل بين ماهو موروث مدوّن (التاريخ) وبين ما هو مأثور شفاهي (الفلكلور) واذا كان في هذا الاتجاه يتفق مع الدكتور غوانمه فانه يتجاوز هذه النقطة الى التأكيد على حيوية الثقافة العربية باثبات وجود تواصل أيضا بين أنماط الابداع الشعبي في العديد من البلاد العربية وهو في هذا الاطار يشير الى التماثل القائم بين الوحدات الزخرفية في العمارة اليمنية وبين العمارة النوبية ، ويشير الى أن أدوات الزينة والحليّ في البلاد العربية تتماثل أيضا في وحداتها الزخرفية وأشكالها العامة بل في وظائفها وبعض مسمياتها ، ثم يستطرد لاثبات هذا التماثل بين فنون « الصوت » الشائعة في الجزيرة العربية والخليج العربي ، ويبرهن على أن هذه الفنون قد جمعت في سياقها الفني بين ما هو « موروث مدوّن » في كتب تاريخية مثل كتاب الأغاني وبين ما هو منقول شفاهي ، شأنها في ذلك شأن الموشحات وشأن الموّال والأمثال والسير الشعبية .

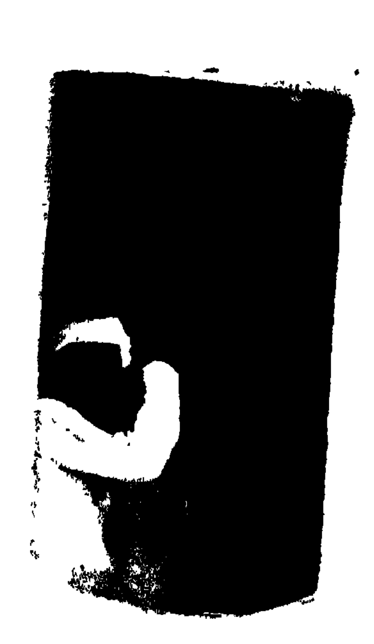
ويخلص من هذا كله الى أن البحث الفلكلوري العربي لا بد أن يكون متواصلا مع تقاليد المفكرين العرب الذين اهتموا بتسجيل جوانب من الحياة اليومية التي عايشوها ، وأن يهتم هذا البحث بالكشف عن التواصل القائم بين أنماط وطرز الابداع الشعبي سواء كان هذا التواصل زمنيا في التاريخ أو جغرافيا بين مختلف البلاد العربية .

الفنون التقليدية بين الأصالة والتطور

كان هذا هو العنوان الذي اختاره الدكتور عبد الحميد يونس أستاذ الادب الشعبي في مصر ، لدراسته المكثفة عن الفنون التقليدية باعتبارها تعبيرا تلقائيا عن ابداع الجماعة يمثل الصدق والاصالة ، ثم قال : ان التطورات التي نطرأ على هذه الفنون خلال تنقلها بين البيئات والأزمان وتحولها من مرحلة النشأة الاولى الى مرحلة النموذج أو الشكل القابل للتقليد



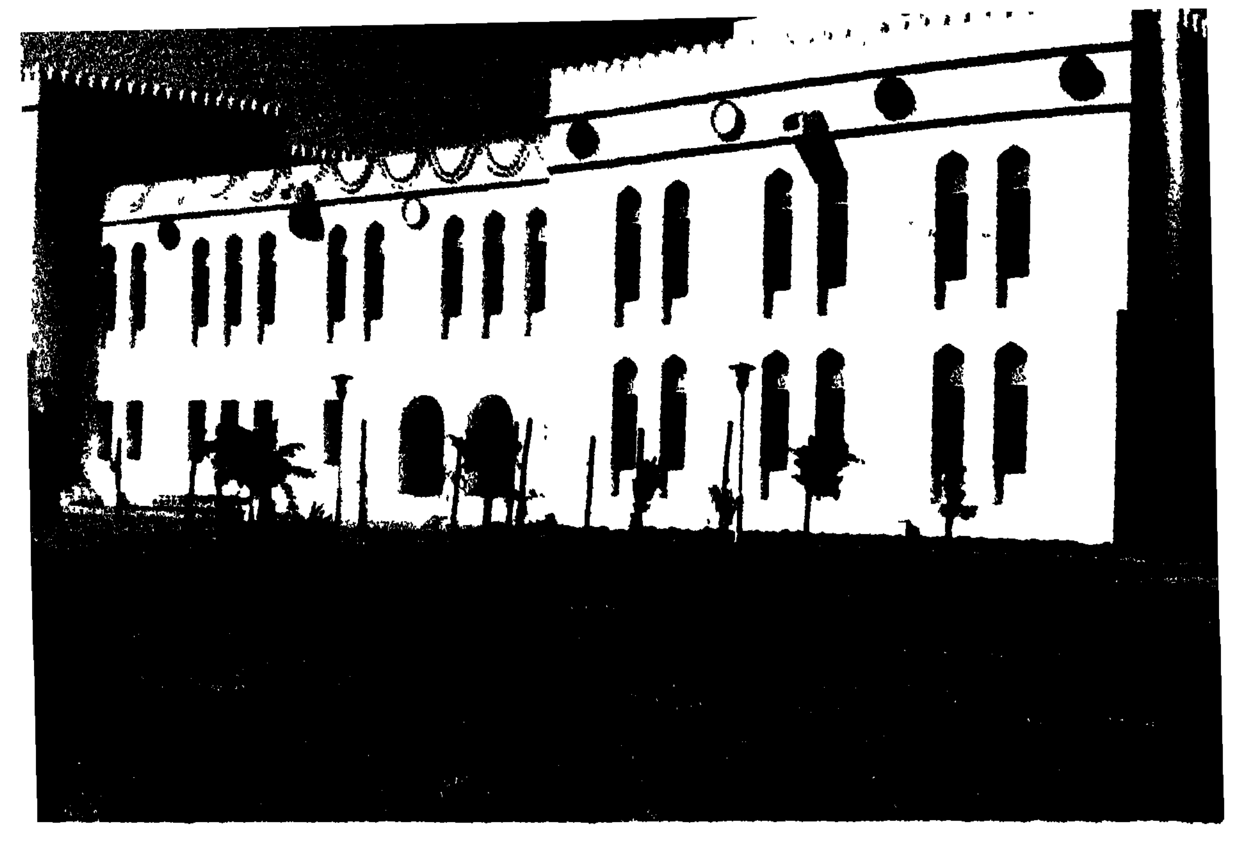
مبان حديثة من طراز عريق



نظرة من الماضى من نافذة حصن نزوى



راقصان يؤديان رقصة تقليدية فى مرباط



الطراز الاسلامى فى العمارة الحديثة



احدى فرق النساء تؤدى رقصة تقليدية أمام مقر نائب الوالى فى مرباط

والتكرار لا ينفي عنها صفة الاصالة ، ثم تتطور الدراسة الى الاشارة الى أن هذه الفنون جميعا تمر الآن بمرحلة من التطور تشبه الطفرة بسبب دخولنا في عصر التكنولوجيا .

وتوضح الدراسة أثر هذه الطفرة على هذه الفنون من نواح متعددة فمن ناحية الجمهور نجد أنه في الماضي كان الجمهور يجمع بين الابداع والاداء والتلقي ، خلال مشاركته في الطقوس والشعائر والمراسيم ، ولكن بعد ظهور أجهزة التقنية الحديثة تباعدت العلاقة بين الاداء وبين الجماهير ، وغلبت الفرجة على المشاركة في الابداع والتلقي .

ثم تستعرض الدراسة تأثير ظهور الراديو ثم التلفزيون . . وكيف أن ظهور هذه الاجهزة التقنية أدى الى أن يخضع تقديم الفنون الشعبية الى مركزية المنبع الذي يختار ما يمكن عرضه على الجمهور من هذه الفنون ، وكيف أن هذا الاختيار يخضع لذوق أهل المدن ، ومع أن ظهور الفيديو قد يشعر بالعودة الى حرية الاختيار للجمهور بمختلف قطاعاته الا أن الحقيقة هي أن الذي يتحكم فيما يقدم للفيديو هم المنتجون الذين يخضعون بدورهم للجانب التجاري ، وللذوق السائد .

واذا كانت هذه الملاحظات كلها تقع لدى الدكتور عبدالحميد يونس في جانب المخاوف التي يثيرها التطور التقني في وسائل الاعلام فإنه يعاود القاء الضوء على الجوانب الايجابية لهذا التطور .

فيشير الى اهتمام المبدعين بالتراث الشعبي فأصبحنا نسمع في مجال الموسيقى والغناء لوحدات شعبية لكبار الملحنين ثم يقول للخائفين ان الفلكلور عند الدارس المستكمل لعدته قوة حية لاتنفذ ، تعدل نفسها لظروف الحاضر في نفس الوقت الذي تحمل فيه تراث الماضي ، وبفضل التقدم التقني والعلمي نجد أن أشكالا قديمة من الفكر والتعبير تظهر بهيئة جديدة حول قطارات السكك الحديدية والطائرات والسيارات ، ولم يعد الفلكلور ينظر اليه في الريف فحسب ، ولا في أطوار الماضي السحيق ، ولا في مكنونات من يسمون بالبسطاء من الناس بل ينظر اليه باعتباره ثمرة العقل الشعبي الذي يعمل في ظل هذا العصر ، وما فيه من مستحدثات تقنية ويبحث عنه في الحواضر وفي القرى والبوادي جميعا .

نموذج للثقافة الجماهيرية الاعلامية العربية

قدم هذا النموذج الدكتور عصام موسى بجامعة اليرموك بالأردن في بحثه الذي حمل هذا العنوان .

وهنا أيضا نلاحظ نوعا من التلاقي في رؤية المشكلات المشتركة فالدكتور عصام موسى يبدأ من حيث انتهى الدكتور عبدالحميد يونس واذا كان الدكتور يونس قد أشار الى طبيعة المشكلات التي يواجهها الفلكلور في ظل تطور التقنية الحديثة في وسائل الاعلام وأنهى بحثه بنوع من الثقة في قدرة الفلكلور على أن يعدل نفسه لمتطلبات هذا التطور بما لايفقده جوهره ودوره فإن الدكتور عصام موسى يقدم نموذجا عمليا لمواجهة هذه المشكلات بالفعل ويتكون هذا النموذج من

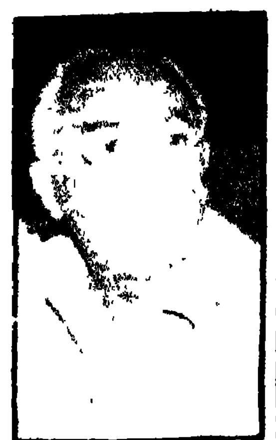
أولا : التراث بشقيه القديم والمعاصر :

هو المعين الذي يجب أن يستخدم كقاعدة عريضة تغذي الثقافة الاعلامية العربية ، وعلينا أن نختار من هذا التراث الشيء الصالح والمناسب ، ونقوم بتوظيفه لخدمة حاجات المرحلة الانتقالية .

ثانيا : الناقد الباحث

وهنا يبرز دور الباحث العربي الذي يتولى التنقيب في التراث لاستخراج أفضله بعين ناقدة موضوعية ، كما يتولى تبيان الفروق الفردية بين فن مجتمع وآخر وابراز السمات المشتركة التي تجمع بين تراث الثقافة العربية بعامة ، وبهذا الصدد يقترح الباحث تأسيس أكاديمية عربية تعنى بجمع التراث وتصنيفه وتحليله وتقديمه للملأ بصورة مقبولة ويرى أن وسائل الاعلام ملزمة باحتضان النقاد لابداء الرأي في الانتاج قبل تصنيفه وتقديمه .


د . يوسف شوقي


د . صالح المهدي

ثالثا : وسائل الاعلام

نتيجة لخطورة الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في هذا العصر فلا بد من أن تكون هناك سياسات اعلامية واضحة ملتزمة تجاه تنمية الذوق العام واختيار كوادر مدربة تتصف بصفات الابداع والانتماء .

رابعا : الفنان المنتج

ومع أن توفر مثل هذا الفنان المنتج أمر نادر الحدوث الا أن توفره أحيانا يكشف لنا عن مدى الثراء الفني الذي يمكن أن يتحقق بوجوده ، لقد تحقق هذا ممثلا بالأخوين رحباني وفيروز وغيرهم،لقد جاء نتاجهم يجمع بين القديم والجديد ويمثل انتاج الصناعات الثقافية الثقيلة الناجحة التي تستهوي الجماهير وتقدم في الوقت ذاته فنا بمستوى رائع ، إن توفير الظروف لبعث الفنان المنتج أمر واجب وممكن .

خامسا : مضمون الثقافة الجماهيرية

لأننا نعيش مرحلة تحول هامة فإن مضامين الثقافة الجماهيرية يجب أن تكون في اطار التحديات التي نواجهها ، تحدي الاستقلال في مواجهة التبعية ، وتحدي الوحدة في مواجهة التجزئة ، وتحدي الانتاج في مواجهة الاستهلاك ، وتحدي العدل في مواجهة الاستغلال والتخلف .

إن هذه التحديات يمكن مواجهتها باستغلال وتوظيف العناصر الايجابية في تراثنا بشقيه القديم والمعاصر ، والمدون والمأثور الشماهي ، وفي كل بلد عربي رموز تاريخية تكفي لصنع برامج عديدة يمكن تبادلها مع بقية البلاد العربية ، ألف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة تشكل أرضية خصبة يمكن الاستفادة منها في صنع برامج للأطفال وللكبار .

الفنون الشعبية والتنمية الاجتماعية

في دراسته حول هذه القضية أوضح الدكتور صالح المهدي بوزارة الشؤون الثقافية بتونس والرئيس المساعد للمجلس الدولي للموسيقى التقليدية ، بعد مقدمة اضافية تعرض فيها للمفاهيم المتعددة حول الفلكلور والآثار التي أحدثتها التقنية الحديثة في الفلكلور ايجابا وسلبا ، أشار الى الجهود التي قام بها في تأسيس معهد دولي للموسيقى المقارنة في برلين الغربية في نطاق منظمة اليونسكو للتعريف بالتراث الموسيقي للبلاد غير الأوروبية .

كما تحدث عن فلم سينمائي أعده سنة ١٩٧٥ بطلب من اليونسكو عنوانه « المنستير ٧٥ » تناول فيه تأثير الفنون الشعبية على التنمية الاجتماعية .

ثم أشار الى بعض التجارب التي قام بها في تونس من خلال وزارة الشؤون الثقافية لتأكيد دور الفنون الشعبية في التنمية الاجتماعية . منها : إقامة مهرجان الفروسية الشعبية ، الذي يشهد اقبالا كبيرا وقد حدث في احدى المرات أن تفشى مرض فاشترط المسؤولون عن المهرجان التعقيم للسماح بالمشاركة في هذا المهرجان ، فاذا بوزارة الصحة تجد نفسها في مشكلة اذ كان عليها أن توفر التطعيم لحوالي عشرين الف مواطن في يوم واحد وفي مكان واحد الذي يقام فيه المهرجان .

مبان حديثه تظهر فيها لمسات فن العمارة الاسلامية والعربية



رقصة عمانية تقليدية
تؤديها احدى فرق
الرجال على مسرح
مدرسة ثانوية .

● الندوة الدولية لموسيقا عمان

أضواء على موسيقى عُمان التقليدية

العرضة ـ الرزحة

قدم الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة وكيل وزارة الاعلام بدولة البحرين دراسة مقارنة عن نمطين من أنماط الموسيقى العمانية التقليدية هما « العرضة ـ الرزحة » .

ثم يقول : العرضة ، من العَرْض لأن فيها تعرض السيوف والبنادق والخيل والرجال ، وهي وسيلة تعبيرنا في أحلى مناسباتنا عن بسالة رجالنا وانتصاراتنا بشعر رصين ، كانت وستبقى الفن الذي يجمع الناس جميعا سواسية للتعبير عن مشاعرهم ، رئيس القبيلة أو الحاكم مع أصغر شخص يشترك في العرض ، ويستطرد الباحث في وصف العرضة كيف يقف الرجال في صفين متقابلين ويقف أمام كل صف رجل يحفظ الشعر أشبه بالملقن في المسرح . . ويقف في منتصف المسافة ضارب الطبل وهو أشبه بالمايسترو . . الخ .

وينتقل من وصف الصورة الى وصف الحركات في العرضة ثم يتحدث ، عن وصف الرزحة فيقول : انها في عمان الشائع بين الناس المعبر عن اعتزازهم بالأرض ، بالوطن ، بالقبيلة ، واذا كان ما يجمع بين العرضة والرزحة هو أن كليهما وسيلة للتعبير عن الاعتزاز بالقبيلة أو بالوطن واستنفار النس للتجمع للدفاع عنه ، وكلاهما خاص بالرجال . فإن لكل منهما خصائص في القصيدة ، وفي الايقاع ، وفي الاسلحة المستعملة ، وبعد استعراض هذه الخصائص يطرح الباحث بعض تساؤلات وأفكار يدعو الى أن تكون محل عناية الدارسين .

« المولد » و « المالد » : نمطان من الموسيقى الدينية

عن هذين النمطين من أنماط الموسيقى العمانية التقليدية الدينية ، قدمت الدكتورة لويس (لمياء) الفاروقي أستاذ الفنون الدينية بجامعة « تمبل بنسلفانيا » بالولايات المتحدة دراسة مقارنة . . عرّفت فيها بكل من هذين النمطين وبالمناسبة التي يؤدى فيها ، وبالطريقة التي تؤدى بها .



جمال الوجه أم جمال الزى العمانى التقليدى



وجه سيدة عمانية وراء اللثام

وعقدت مقارنة بين هذين النمطين أوضحت حلالها أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

« فالمولد » هو الاحتفال بميلاد الرسول عليه السلام وتتم هذه الاحتفالات في الفترة التي ولد فيها الرسول عليه السلام من كل عام ، أما « المالد » فإنه لا يرتبط بهذه المناسبة فهو يقام ليلة الخميس من كل أسبوع في بعض الولايات مثل ولاية « صحار » ، كما يقام في بعض المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس أو شفاء مريض ، وهو بشكل عام يقام لإضفاء جو من البركة على هذه المناسبة الاجتماعية .

ويحتاج كلاهما « المولد والمالد » الى عدد من الرجال من ٢٠ الى ٢٥ فردا يجلسون على السجاد أو على حصر تمتد على الارض في صفين متقابلين .

وتعتبر سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا من أهم العناصر المشتركة بين المولد والمالد .

وينفرد المالد بأنه أقل تحفظا في إدخال العناصر الشعرية والموسيقية في بنائه الفني .

بينما يكون نمط المولد بلا آلات ، ويعتمد على الصوت المنغم الذي يؤدي سيرة الرسول عليه السلام من الصف الرئيسي الذي يحمل أعضاؤه العصي المصنوعة من الخيزران المحلاة بالذهب أو الفضة أو العاج بينما يقوم أفراد الصف الثاني بترديد ما يقوله الصف الأول .

وعلى غير ما يتبع في المولد فإن الصف الرئيسي في المالد يتضمن عددا من قارعي الطبول الكبيرة الذين يصاحبون بايقاعهم كل أجزاء المالد .

التأثيرات المتبادلة بين عمان والساحل الشرقي لأفريقيا في الرقص التقليدي العماني

قدمت هذه الدراسة : « هيزل تشنج هود » من جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة الامريكية .

وقد بدأت دراستها بالتأكيد على أهمية الطبول في الرقص العماني ، وقالت انه يمكن اعتبار الطبول أدوات أساسية للايقاع ، سواء في التراث الافريقي أو العماني ، وكانت الطبول تستخدم في أفريقيا في اقامة الشعائر الدينية وللتحذير من الكوارث كالحروب والاحتفالات المختلفة داخل القبيلة

كما كانت تعتبر حلقة اتصال بين العوالم المرئية وغير المرئية ، ثم انتقلت الى الحديث عن قارع الطبول في الموسيقى والرقصات العمانية ، التي يدور فيها الراقصون في حركات عكس عقارب الساعة أو الرقصات الفردية التي يتحرك فيها الأفراد على نغمات الطبول .

ثم أشارت الى أن قارع الطبل قد يتحول الى راقص ضمن المجموعة الراقصة ، فيدخل الى حلبة الرقص (في بعض الرقصات وهو يهتز بعنف الى الوراء والى الامام والطبلة الطويلة مثبتة في وسطه ويقوم ببعض الحركات الاكروباتية حول حلبة الرقص وأثناء الرقص يلتف الراقصون حول قارع الطبل الذي يهبط رويدا رويدا الى الارض حتى يلتصق بها



د . عبد الحميد يونس



هيزل تشنج هود



د . يوسف خوالدة



د . لويس الفاروقي

هو ما يزال يقرع على الطبل نفس الانغام والايقاع على هذا الجزء يمثل قمة الأداء والاثارة .

الاصالة والمعاصرة في موقع آخر

كانت مباني « عمان بطابعها الفريد هي التي جعلتنا نتساءل مع أول خطوة في طرقاتها : هل هذا الامتزاج بين الاصالة والمعاصرة في العمارة العمانية مجرد صدفة أم وراءه تخطيط ؟ وفي الندوة الدولية لموسيقى عمان وعبر الحوارات الساخنة عن الاصالة والمعاصرة تحول السؤال الى هاجس ، فكان هذا اللقاء مع السيد أحمد بن عبدالله الغزالي وزير الاسكان .

وكان حديث الوزير شيقا وممتدا وشاملا لجوانب عديدة من قضية الاسكان في عمان . وكنا نود لو مكنتنا الظروف من أن نفرد له مجالا خاصا . ولكن في اطار هذا الاستطلاع نقتطف من هذا الحديث لمحات دالة على أن القيم الاصيلة في التراث يمكن أن تتلاقى مع امكانات العصر في مواقع عديدة لبناء مستقبل أفضل . وهذه لمحات من حديث السيد الوزير .

« قبل أن أتحدث عن أسس السياسة الاسكانية الجديدة دعني أضع النقط على الحروف بشأن سؤالك الخاص بطابع العمارة العمانية اننا نعتبر ان المظهر الخارجي للمباني وللاسواق حق عام ، وحين يريد أي مواطن أو مؤسسة أن يقيم بناء فإن الجهات المختصة تقدّم له كتيبا يقترح عليه عدة خيارات في الشكل الخارجي للبناء ، لكن كلها تحافظ أو تحتوي على لمسة الفن الاسلامي أو العربي أو العماني في المبنى ،

« بالنسبة لنظام المبنى من الداخل ، فهذا من حق المواطن لانتدخل فيه ، يصممه وفق ذوقه الخاص .

في الفترة الاخيرة بعد انشاء وزارة الاسكان (وكانت قبلها وزارة تعمير الاراضي) وبعد أن كلفنا وضع السياسة العامة الجديدة للاسكان وضعنا سياسة ترتكز على عدة أسس من أهمها .

توفير المسكن المناسب لكل أسرة عمانية والمسكن في رأينا ليس مجرد جدران إنه المناخ الذي تنمو فيه وتحيا الاسرة العمانية لهذا يجب أن يكون ملائما في حدود المعقول .

أن تكون المساكن بالشكل المرن الذي يسمح التوسع مع نمو الاسرة فيأتي المواطن اليوم وهو في حاجة الى مسكن من حجرتين أو ثلاث ، نبني له ما يلبي حاجته الآن ، ولكننا بالاتفاق معه - نمنحه المساحة ونبني له الأساس اللازم الذي يمكنه أن يريد عليه في المستقبل زيادة رأسية أو أفقية

اننا بهذا نسعى الى عدم تفتيت الاسرة ، كما نفسح الطريق لنموها ولم شملها

ليست لدينا تصنيفات للاسكان وللسكان فلا نبني مساكن شعبية لناس ، ومساكن متوسطة لناس ، وفاخرة لآخرين .

« طبعا هناك فوارق لكني أتركها للتفاعل الطبيعي ولكن لانكرسها بقوانين ونظم . الدولة توفر الأرض لمن يريد أن يقوم بالبناء بنفسه وفق ضوابط ، كما توفر المبنى لمن يريد مبنى جاهزا وفق ضوابط

« أنشأنا بنك الاسكان ليقدم للمواطن القرض الذي يريد لعملية البناء أو لشراء مسكن ، وقروض هذا البنك تسدد على سنوات طويلة ، وبفوائد تتحمل الدولة نسبة فيها تزيد مع أصحاب الدخول القليلة وتقل مع أصحاب الدخول العالية ولا تحتسب هذه الفوائد الا بعد تسلّم المبنى لا تسلّم القرض

في آخر اجتماع أضفنا الى أنشطة بنك الاسكان أنشطة جديدة لتوسيع قاعدة خدماته ، فأصبح من الممكن أن يمنح القروض لمن يريد أن يرمم بيته القديم لمن يريد أن يزيد في بيته الذي يحتمل الزيادة وأيضا أصبح من صلاحيته أن يقوم بالبناء لمن يريد

« طبعا هناك معايير وأولويات هناك أولوية للعائدين من البعثات وللخريجين الجدد ، ونلجأ للقرعة اذا زاد المستحقون عن المتوفر

بالنسبة لمن لا تنطبق عليهم شروط القرض وهم محتاجون الى المسكن ، فقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية توفر لهم المساكن المناسبة والآن هذه المهمة سوف تسند الى وزارة الاسكان .

« لا نحبذ فكرة المجمعات السكنية الضخمة ، ولا تحديد مناطق بعينها لفئات بعينها ، ولكننا نسعى لتوفير الفرص لحياة طبيعية ونساعد الناس لكي يساعدوا أنفسهم .

ربما لم نقدم في هذه اللمحات كل جوانب الصورة ، لكنها كافية لتأكيد أن الاصالة والمعاصرة لا يتصالحان فقط في واجهات المباني بل في فلسفة انشائها وأسلوب توزيعها . □

وعقدت مقارنة بين هذين النمطين أوضحت خلالها أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

« فالمولد » هو الاحتفال بميلاد الرسول عليه السلام وتتم هذه الاحتفالات في الفترة التي ولد فيها الرسول عليه السلام من كل عام ، أما « المالد » فإنه لا يرتبط بهذه المناسبة فهو يقام ليلة الخميس من كل أسبوع في بعض الولايات مثل ولاية « صحار » ، كما يقام في بعض المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس أو شفاء مريض ، وهو بشكل عام يقام لإضفاء جو من البركة على هذه المناسبة الاجتماعية

ويحتاج كلاهما « المولد والمالد » الى عدد من الرجال من ٢٠ الى ٢٥ فردا يجلسون على السجاد أو على حصر تمتد على الارض في صفين متقابلين

وتعتبر سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام واحدا من أهم العناصر المشتركة بين المولد والمالد

وينفرد المالد بأنه أقل تحفظا في إدخال العناصر الشعرية والموسيقية في بنائه الفني .

بينما يكون نمط المولد بلا آلات ، ويعتمد على الصوت المنغم الذي يؤدي سيرة الرسول عليه السلام من الصف الرئيسي الذي يحمل أعضاؤه العصي المصنوعة من الخيزران المحلاة بالذهب أو الفضة أو العاج بينما يقوم أفراد الصف الثاني بترديد ما يقوله الصف الأول .

وعلى غير ما يتبع في المولد فإن الصف الرئيسي في المالد يتضمن عددا من قارعي الطبول الكبيرة الذين يصاحبون بإيقاعهم كل أجزاء المالد

التأثيرات المتبادلة بين عمان والساحل الشرقي لأفريقيا في الرقص التقليدي العماني

قدمت هذه الدراسة . « هيزل تشنج هود » من جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة الامريكية

وقد بدأت دراستها بالتأكيد على أهمية الطبول في الرقص العماني ، وقالت انه يمكن اعتبار الطبول أدوات أساسية للايقاع ، سواء في التراث الافريقي أو العماني ، وكانت الطبول تستخدم في أفريقيا في أداء الشعائر الدينية وللتحذير من الكوارث كالحروب والاحتفالات المختلفة داخل القبيلة

كما كانت تعتبر حلقة اتصال بين العوالم المرئية وغير المرئية ، ثم انتقلت الى الحديث عن قارع الطبول في الموسيقى والرقصات العمانية . التي يدور فيها الراقصون في حركات عكس عقارب الساعة أو الرقصات الفردية التي يتحرك فيها الأفراد على نغمات الطبول

ثم أشارت الى أن قارع الطبل قد يتحول الى راقص ضمن المجموعة الراقصة ، فيدخل الى حلبة الرقص (في بعض الرقصات وهو يهتز بعنف الى الوراء والى الامام والطبلة الطويلة مثبتة في وسطه ويقوم ببعض الحركات الاكروباتية حول حلبة الرقص وأثناء الرقص يلتف الراقصون حول قارع الطبل الذي يهبط رويدا رويدا الى الارض حتى يلتصق بها



د . عبد الحميد يونس



هيزل تشنج هود



د . يوسف خوالمة



د . لويس الفاروقي

و ما يزال يقرع على الطبل نص الانغام والايقاع مل هذا الجزء يمثل قمة الأداء والاثارة

الاصالة والمعاصرة في موقع آخر

كانت مباني « عمان بطابعها الفريد هي التي جعلتنا نتساءل مع أول خطوة في طرقاتها هل هذا الامتزاج بين الاصالة والمعاصرة في العمارة العمانية مجرد صدفة أم وراءه تخطيط ؟ وفي الندوة الدولية لموسيقى عمان وعبر الحوارات الساخنة عن الاصالة والمعاصرة تحول السؤال الى هاجس . فكان هذا اللقاء مع السيد أحمد بن عبدالله الغزالي وزير الاسكان

وكان حديث الوزير شيقا وممتدا وشاملا جوانب عديدة من قضية الاسكان في عمان . وكنا نود لو مكنتنا الظروف من أن نفرد له مجالا خاصا . ولكن في اطار هذا الاستطلاع نقتطف من هذا الحديث لمحات دالة على أن القيم الاصيلة في التراث يمكن أن تتلاقى مع امكانات العصر في مواقع عديدة لبناء مستقبل أفضل وهذه لمحات من حديث السيد الوزير

« قبل أن أتحدث عن أسس السياسة الاسكانية الجديدة دعني أضع النقط على الحروف بشأن سؤالك الخاص بطابع العمارة العمانية انا نعتبر ان المظهر الخارجي للمباني وللاسواق حق عام . وحين يريد أي مواطن أو مؤسسة أن يقيم بناء فإن الجهات المختصة تقدم له كتيبا يقترح عليه عدة خيارات في الشكل الخارجي للبناء ، لكن كلها تحافظ أو تحتوي على لمسة الفن الاسلامي أو العربي أو العماني في المبنى ،

« بالنسبة لنظام المبنى من الداخل ، فهذا من حق المواطن لانتدخل فيه ، يصممه وفق ذوقه الخاص

في الفترة الاخيرة بعد انشاء وزارة الاسكان (وكانت قبلها وزارة تعمير الاراضي) وبعد أن كلفنا بوضع السياسة العامة الجديدة للاسكان وضعنا سياسة ترتكز على عدة أسس من أهمها

توفير المسكن المناسب لكل أسرة عمانية والمسكن في رأينا ليس مجرد جدران إنه المناخ الذي تنمو فيه وتحيا الاسرة العمانية لهذا يجب أن يكون ملائما في حدود المعقول .

أن تكون المساكن بالشكل المرن الذي يسمح لتوسع مع نمو الاسرة.يأتي المواطن اليوم وهو في حاجة الى مسكن من حجرتين أو ثلاث ، نبني له ما يلبي حاجته الآن ، ولكننا بالاتفاق معه - نمنحه المساحة ونبني له الأساس اللازم الذي يمكنه أن يزيد عليه في المستقبل زيادة رأسية أو أفقية

انا بهذا نسعى الى عدم تفتيت الاسرة ، كما نفسح الطريق لنموها ولم شملها

ليست لدينا تصنيفات للاسكان وللسكان فلا نبني مساكن شعبية للناس ، ومساكن متوسطة للناس ، وفاخرة لآخرين

« طبعا هناك فوارق لكني أتركها للتفاعل الطبيعي ولكن لانكرسها بقوانين ونظم الدولة توفر الأرض لمن يريد أن يقوم بالبناء بنفسه وفق ضوابط . كما توفر المبنى لمن يريد مبنى جاهزا وفق ضوابط

« أنشأنا بنك الاسكان ليقدم للمواطن القرض الذي يريد لتمويل البناء أو لشراء مسكن . وقروض هذا البنك تسدد على سنوات طويلة . وبعد ان تتحمل الدولة نسبة فيها تزيد مع أصحاب الدخول القليلة وتقل مع أصحاب الدخول العالية ولا تحتسب هذه الفوائد الا بعد تسلم المبنى لا تسلم القرض

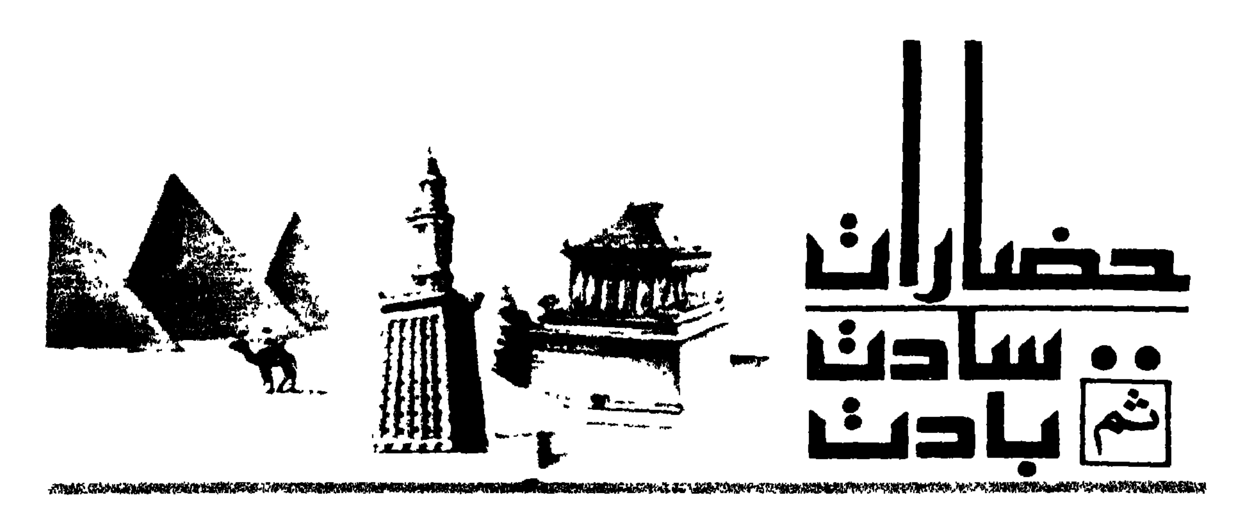
في آخر اجتماع أضفنا الى أنشطة بنك الاسكان أنشطة جديدة لتوسيع قاعدة خدماته . فأصبح من الممكن أن يمنح القروض لمن يريد أن يرمم بيته القديم لمن يريد أن يزيد في بيته الذي يحتمل الزيادة وأيضا أصبح من صلاحيته أن يقوم بالبناء لمن يريد

« طبعا هناك معايير وأولويات هناك أولوية للعائدين من البعثات وللخريجين الجدد ، ونلجأ للقرعة اذا زاد المستحقون عن المتوفر

بالنسبة لمن لا تنطبق عليهم شروط القرض وهم محتاجون الى المسكن ، فقد كانت وزارة الشؤون الاجتماعية توفر لهم المساكن المناسبة والآن هذه المهمة سوف تسند الى وزارة الاسكان

« لا نحبذ فكرة المجمعات السكنية المصمتة ، ولا تحديد مناطق بعينها لفئات بعينها . ولكننا نسعى لتوفير الفرص لحياة طبيعية ونساعد الناس لكي يساعدوا أنفسهم

ربما لم نقدم في هذه اللمحات كل جوانب الصورة ، لكنها كافية لتأكيد أن الاصالة والمعاصرة لا يتصالحان فقط في واجهات المباني بل في فلسفة انشائها وأسلوب توزيعها □



اعداد / يوسف زعبلاوى

مثلما المدن تتغير ، ومثلما العلم والحياة فى تطور مستمر ، فان المكتشفات الأثرية ايضا تقلب فى بعض الاحيان الكثير من النظريات والمسلمات ، رأسا على عقب وتفتح افاقا جديدة للمعرفة

حول الاكتشافات التى تمت ودورها فى القاء الاضواء على حضارات ازدهرت ثم اندثرت من شتى العصور ، يجيء « بابنا » الجديد هذا . كى يتولى التعريف بما مضى من حضارات الغابرين

حضــارة تشــاتال

تتميز هذه الحضارة بالقدم والحداثة فى ان معا فهى أحدث حضارة كشف عنها علم الاثار حتى الآن ـ وقد بدأوا أعمال الحفر والتنقيب عنها فى الستينيات ، ولم يستكملوها بعد

وهى فى الوقت نفسه أقدم الحضارات الانسانية التى اكتشفها علم الآثار ، حتى الآن أيضا ، وقد ازدهرت فى أواسط تركيا ، فيما بين الألف السابع والألف الثامن قبل الميلاد ولا يخفى مايطوى عليه قدمها هذا من خطورة فهو يعنى أنها تمثل تاريخ ماقبل التاريخ وحضارة ماقبل الحضارات وقد سبقت الحضارة السومرية وحضارة وادى النيل بأكثر من الفين من السنين وهذا يعنى أيضا أن الحضارة الانسانية لم تكن بدائية فى الألفين السابع والثامن قبل الميلاد ، كما صورتها لنا كتب التاريخ لعلها كانت حضارة بدائية حقا فى بلدة جارمو فى شمال العراق ، وبلدة أريحا فى غور الأردن وهما الموقعان اللذان زرعا نُذور الحضارة الرائدة ولكنها كانت حضارة ناضجة مزدهرة فى مدينة تشاتال المعاصرة للبلدتين المذكورتين وقد أتقن أهلها فيما أتقنوا ، الزراعة الواسعة والكثيفة بشتى ضروبها وأساليبها وتكاثرت محاصيلهم حتى عمدوا الى تصدير الفائض منها الى شتى المدن . القريب منها والبعيد . . .

هذا وحضارة تشاتال لم تعرف الكتابة ولا

القراءة . . ولم تترك لنا نصوصا مدونة . فهي اذن تقيم الدليل على أن الكتابة ليست شرطا أساسيا لقيام الحضارات وازدهارها . وهو الدليل الذي أقامته قبلها حضارات الهنود الحمر في أمريكا الوسطى والجنوبية وبخاصة حضارة الأزتك والانكا . .

بقى أن نشير في هذا التمهيد الى موقع مدينة تشاتال (انظر الخريطة) في سهل قونية الخصب في أواسط الأناضول ، على بعد ٣٢٠ كيلو مترا الى الجنوب من أنقرة ، وعلى ارتفاع ١٠٠٠ متر عن سطح البحر حيث البرد القارى القارس ، الذى قد لاتلطف من حدته كثيرا ولا قليلا مياه نهر تشامبا القريب

القدم . . والمساحة . . والسكان

دلت الفحوص الراديوكربونية على أن المدينة عاشت بين سنة ٥٤٠٠ ـ ٦٢٥٠ ق . م . ودلت فحوص جذوع الشجر على أنها ازدهرت فيما بين سنة ٧٢٠٠ ـ ٧١٠٠ ق م أو فيما بين سنة ٦٤٠٠ ـ ٦٣٠٠ ق . م ومعنى هذا أن حضارة تشاتال سبقت حضارات وادى النيل ، وحوض الرافدين ، بحوالي الفى سنة أو تزيد دون ان تكون أقل منها نضجاً وازدهاراً .

ودلت الحفريات على أن موقع تشاتال يشمل تلّين . . يفصل بينهما أحد فروع نهر تشاراكمبا . . وتبلغ مساحة التل الغربى ١٥ هكتارا والشرقى ١٣ هكتارا . . وقد اقتصرت أعمال الحفر على هذا التل الشرقي ، وحصرت بجزء يسير منه لاتجاوز نسبته $\frac{1}{30}$ « واحد على ثلاثين » . . .

فمساحة مدينة تشاتال بلغت اذن ٢٨ هكتارا ــ وبلغ مجموع سكانها في تقدير العلماء نحو ١٤٠٠٠ نسمة . . . أى أكثر من ٤ أضعاف مجموع سكان أريحا (٣٠٠٠ نسمة !)

العمران

لعل أكثر ما يبعث على العجب هو أن تشاتال كانت مدينة بلا شوارع . تصور أنها افتقرت الى الطرق فالتصقت منازلها بعضها ببعض ، واندمجت جدرانها ، فبدت أحياؤها كتلا كخلايا النحل .

ويصدق هذا على الأحياء ـ فضلا عن المنازل ـ وقد اتصلت وترابطت ووصلت بينها ساحات المنازل الداخلية

وكانت منازلها بلا أبواب ، وكان أهلها يدخلونها من سطوحها لامن أبوابها ، وذلك بواسطة سلم خشبى يتسلقونه صعودا الى سطح المنزل ثم يهبطون عليه ، أو على نظيره ، الى داخل البيت وإلى المطبخ بالذات . ولم يكن من باعث على هذا المسلك المعقد الشاق سوى الوقاية من شر الوحوش وحماية الطعام والأمتعة من شر اللصوص

أما مادة البناء التى بنى بها أهل تشاتال بيوتهم ومعابدهم فلم تكن بدائية كما يظن القارىء ، بل كانت من الطين المشوى بالنار . . وهى مادة البناء الممتازة التى استعملها قدماء المصريين والسومريين . بعد ٣ ـ ٤ آلاف سنة . . . لقد صنعوا من ذلك الفخار أو الآجر أو الخزف ، قطعا متساوية من الطوب ، بنوا بها جدران المنازل وسطوحها ، فضلا عن أساساتها .

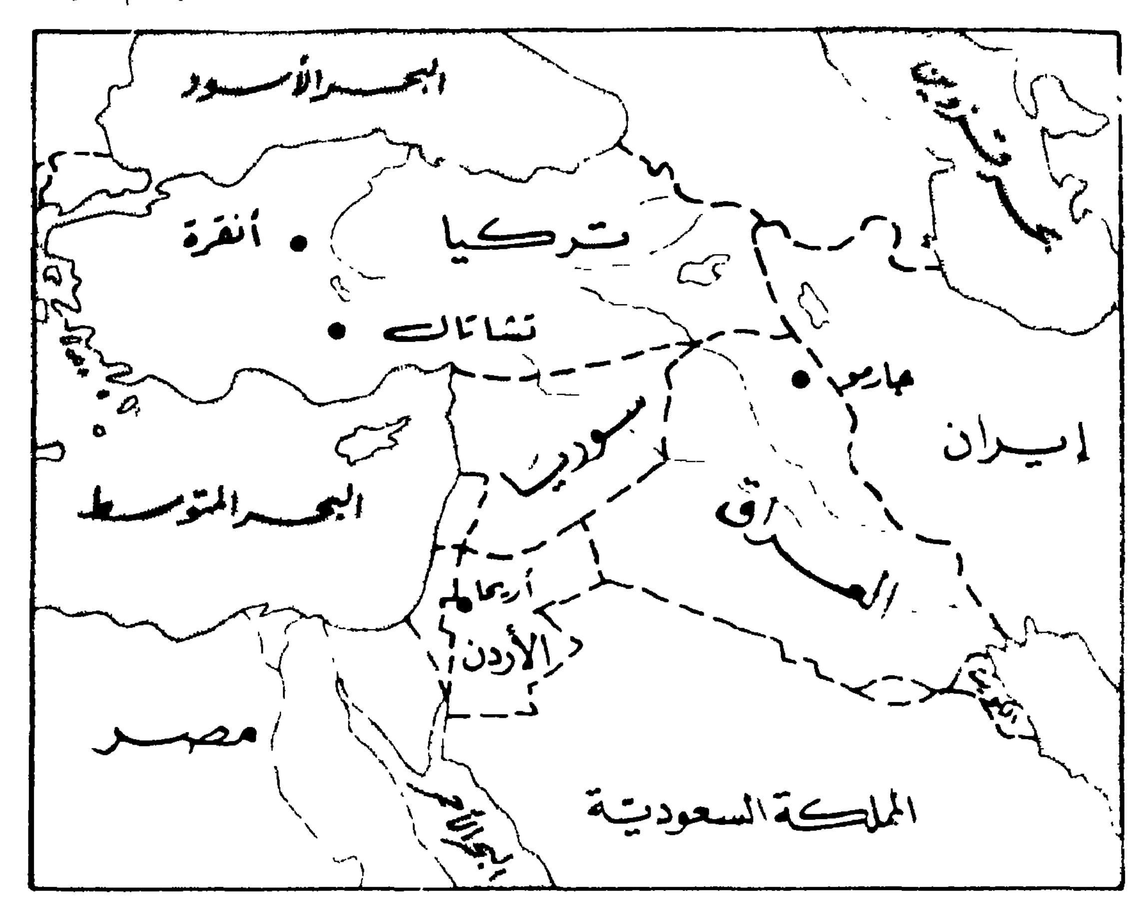
وغلبت البساطة على التقسيم الداخلى الذى اختاره أهل تشاتال لمنازلهم . فكان قوامه قاعة رئيسية رحبة بمساحة ٦×٤ أمتار ، وأقاموا بمحاذاتها مخزن المنزل وانشأوا مطبخا ـ دورا ثانيا ـ علويا ـ ومخزنا اضافيا على السطح ، وصنعوا هذه الملحقات العلوية من عصى البوص والحصى ، لامن الطوب

الحياة اليومية

وعرف أهل تشاتال أسِّرة النوم . . فقد احتوت قاعة المنزل الرئيسية على صُفّتين ، أو تختين ، أو مصطبتين . . خصصتا لنوم الوالدين . . وعرفوا ايضا الفراش وقد صنعوه من اللباد ووضعوه على الصفتين فى الليل وكسوا ارض القاعة بالبسط التى صنعوها من قصب . . .

ومن طريف ما يذكر ان احدى الصفتين كانت بضعف حجم الصفة الاخرى . . وان هذه الكبرى كانت صفة للمرأة لا للرجل . . ويعتبر هذا من الادلة على أن مجتمع تشاتال سادته النساء لا الرجال .

ولو انتقلنا الى المطبخ لوجدنا فيه فرنا واحدا على



خريطة تبين موقع تشاتال (٥٤٠٠ ـ ٦٢٥٠ ق م)

لاميل ووجدت فيه القدور الفخاربة التي استعملوها للطبخ وحفظوها ، لامعلقه على جدران . وانما ضمن ثقوب خاصة حفروها في أرض المطبخ ولوجدنا أيضا العلايات الحجرية التي حموها بالنار ثم وضعوها داخل القدر ، وذلك لطبخ طعامه دون تعريض القدور للتلف بوضعها فوق النار مباشره وقد استعملوا تلك العلايات حين احتاج لصبح الى حرارة عالية ولمدة طويلة وكان اللحم ـ لحم البقر لا لحم الضأن ـ هو مصدر البروتينيات الرئيسي في وجبات أهل تشاتال ، الا ان تلك الوجبات كانت متوازنة وقد اشتملت على الكثير من الحبوب وخاصة القمح، بالذات حب القمح وعلى الحصار لاسيما الفاصوليا وقد ألفوا أكل الزيوت النباتيه التي اعتصروها من العرعر والخردل وما الى ذلك

بقى ان نتحدث عن وعى أهل تشاتال الصحى وحرصهم على النظافة وقد تجلى في مجالات شتى . نذكر منها المزاريب التى صنعوها من الجص وثبتوها على جدران المنازل ـ من الخارج ـ وذلك بقصد تصريف مياه الأمطار وتحاشيا من تجمعها فوق السطح ولامراض الرطوبة التى قد تترتب على تجمعها

ونذكر أيضا المداخن في المطابخ وقد صنعوها على نحو يكفل تصاعد الدخان الى الجو الخارجي عبر فوهة فتحوها في السقوف . ونذكر كذلك الطريقة التى عالجوا بها القمامة وفضلات الانسان . فقد اتخذوا من ساحة المنزل المكشوفة والمعرضة للهواء ولاشعة الشمس ، اتخذوا منها مرحاضا ، وحرصوا على تغطية الفضلات برماد الخشب .

وتجلى وعى اهل تشاتال الصحى أيضا في الطريقة

العربي ـ العدد ٣٢٨ ـ مارس ١٩٨٦

القصة الفائزة الثالثة في مسابقة العربي للقصة القصيرة

العُرْس

بقلم / الدكتور فاضل محمد مشالى

حينما سمع طرقا على باب الدار ، كان في حظيرة المواشي ، يعتني باحدى الأبقار . مد فقدت وليدها وهي ترفض الأكل تماما ، جرب الحاج صابر كل الطرق التي يعرفها . . الفول الناشف المخلوط بالبرسيم الأخضر ، (الكسبة) المطحونة الممزوجة بحبات الذرة المجروشة ، ثلاثة أيام وهي صائمة عن الطعام البقرة ليست ملكا له هي لأحد تجار المواشي بالقرية . عليه فقط اطعامها مقابل الاستفادة من خدماتها في الحقل . . اللبن الحليب بالنصف مشاركة مع التاجر ، أما العجل الذي وضعته من حق التاجر . . جاء وساقه لينضم الى قطيعه . . الا أن البقرة كانت ترفض ذلك على ما يبدو .

ازداد الطرق على باب الدار ، أصبح متصلا لاينقطع ، قلّب الطعام للمرة الأخيرة وقربه من فم البقرة ، أشاحت برأسها بعيدا . . ربّت على رقبتها في حنو . تركها وسار ببطء في اتجاه باب الدار مر بغرفة النوم رأى زوجته تجلس على الأرض ، كانت بجوار السرير . تصب الماء على كومة دقيق ، في اناء محشور بين ركبتيها .

ـ لم لاتردين على الطارق ؟

رفعت أم محمد وجهها عن الاناء ، ونظرت نحوه ، لمعان عينيها لا يوحي بأنها تجاوزت الخمسين . غاصت بيديها في الوعاء .

ـ وهل ترى يَدَيَّ خاليتين . . ارفع ظهرك . . لاتنحن بهذا الشكل .

اردفت وهو يختفي من أمام عينيها . .

ـ هل أكلَتْ البقرة ؟ . .

لم يرد عليها . واصل طريقه الى باب الدار . . فتحه . . رأى وجه « الأسطى » حسنين الحلاق . كان رجلا لامع الوجه حليق الذقن ، يرتدي

« طاقية » بيضاء و « جاكيتا » بلا لون فوق جلباب مقلم ضغط جسده كي يدخل من فتحة الباب

- ياساتر أما زلت نائما ياأبا محمد ؟

- حرام عليك يارجل . ألم نصلِّ الفجر في المسجد معا ؟

ضحك « الأسطى حسين » وقال مداعبا

- ربما طاب النوم بعينيك بعد الصلاة . ! وربما !

قاطعه الحاج صابر كان يعرف « رتمات » الحلاق والى اين تؤدى

قل يارجل ماذا وراءك ؟

أخذ « الأسطى » حسين مجلسه في غرفة الضيوف ، مد يده الى جيب سترته وأخرج جريدة

- جريدة اليوم بها صورة ولدك

خطفها بلهفة

- أين ؟

أشار الى مكان الصورة نظر الحاج صابر اليها فرك عينيه . حينها تلاشت اهتزازات الورقة بين يديه ، وامتزجت تفاصيل الوجه الحبيب مع حبات الحنين المترسبة في أعماقه ، انفرج وجهه عن ابتسامة عريضة سعيدة ومندهشة ومحبورة

- نعم . . نعم هذا ولدى . .

احتضن الجريدة وانطلق كالسهم الى غرفة النوم . .

- المهندس في الجريدة يا أم محمد . . المهندس في الجريدة . رفعت يديها بسرعة من الوعاء . حاولت الامساك بالجريدة . . أبعدها وصرخ فيها . .

- امسحى يديك ياامرأة .

بسرعة حركت يديها على فخذيها لتمسحهما . وامسكت الجريدة .

- هذه صورة ولدى . . ما أبهاه وما أجمله !! . .

كم هو رائع ياأبا محمد ، دمعت عيناها . . مسحتهما بيديها . . زادت الشعيرات البيضاء في حاجبيها ، وتلونت الرموش بلون العجين الأبيض فجأة ، وكأنها تذكرت شيئا . دقت على صدرها . .

- خيرا يا أبا محمد . . هل فعل شيئا لاسمح الله . . نهرها زوجها .

- اسكتى يا امرأة . . المهندس عاقل وزين الشباب

واصلت وكأنها تحدث نفسها . .

- سترك يارب . . اللهم اجعله خيرا واحفظه في الغربة .

تسرب الشك الى رأس الحاج صابر ، تساءل في خوف : لماذا نشرت الصورة ؟ ! . هل فعل ولدى شيئا أغضب الحكومة ؟ أم فعل شيئا أرضاها ؟ أمسك بالجريدة وحملق في الكلمات المكتوبة أسفل الصورة ، تمنى لو كان يعرف القراءة . تذكر أن « الأسطى » حسين لايزال في غرفة الضيوف عاد اليه

- لماذا ظهرت صورة ولدى أيها الرجل الطيب ؟ !

- لم تعطنى فرصة لأشرح لك

- هأنذا أسمع ياصديقى

- تركت المحل وجئت لأشرب الشربات .

زغرد قلب الحاج صابر . . . استحث محدثه . .

- لا تقتلنى يارجل . قل ما عندك .

أمسك « الأسطى » حسين بالجريدة وأخذ يقرأ .

« يتم الليلة عقد قران المهندس الناجح محمد صابر على الآنسة نوال حسيب الحفل بفندق النجمة » .

ثم أردف وهو يعطيه الجريدة .

- ألم تلاحظ صورة العروس . . انها بجوار المهندس نظر مرة أخرى الى الجريدة . . رأى العروس . . دقيقة الأنف واسعة العينين . الكحل يحدد أبعادهما بدقة . . وشعرها العارى المرفوع لأعلى يظهر أذنيها في الصورة كبيرتين بالنسبة لوجهها . رآها تبتسم في وجهه . لايدرى لماذا اغتاظ من لون أسنانها . .

انتبه على صوت « الأسطى » حسين .

الزبائن بالمحل . . السلام عليكم . .

لم يطلب منه الانتظار ليشرب الشربات ، أغلق خلفه الباب وعاد الى غرفة الضيوف ، جلس الى أحد المقاعد ، ونظر من جديد الى صورة ولده وصورة العروس . . كيف يصدق أن المهندس يفعلها دون علمه . .

الفتاة لاتشبه أيًا من تلك الوجوه التى تخيلها زوجة لابنه ، وأماً لأحفاده . . كيف استطاع . . ؟ ! بل كيف طاوعه قلبه ؟ ! . . نوارة الدار ، وفرحة القلب ، وراحة الروح . نظر من النافذة . كانت الأشجار والحقول الممتدة حتى الأفق في أماكنها ، لكنه





لم يرها . . كان عقله قد أخذ عينيه الى الوراء . . الى الليلة التى ولد فيها المهندس . . بعد خمس سنوات من الشوق والانتظار . جاء الى الدنيا خابطا يديه وقدميه في الهواء تذكر كيف حمله على يديه ، وأخذ يجرى في قاع الدار . تذكر كيف رحلت التعاسة وحلّت الفرحة بقدوم محمد . . من اللحظة التى جاء فيها ، هجر الحاج صابر المقهى . . وسهرات الليل ، وتفرغ للأرض والدار . .

تحول الفدان الـذى ورثه عن أبيـه الى معشوقـة جميلة هدهدها وقلمها ورواها . . من أجل عيون محمد ، احتضنت الدار ـ التى ورثها عن أمه ـ أسرة صغيرة وسعيدة . . وعندما انضمت اليهم خديجة بعد ذلك بعامين ، حمد ربه وأثنى عليه . أعطاه أكثر مما يستحق ، تحول الى المسجد وواظب على الصلاة . الصـلاة والعمـل والجلوس في البيـت ، كـانت متعتهم . . عندما حصل ولده على الثانوية العامة ودّ لو يستطيع الصعود الى مئذنة المسجد ، لينادى أهل القرية بأن ولده سيدخل الجامعة . . مثله في ذلك مثل ابن العمدة . . منعه الحياء وخوف الحسد . . كانت فرحته لا يؤرقهـا سـوى فكـرة رحيـل محمـد الى القـاهرة . . تلك المدينة البعيـدة التى سمـع عنهـا الأهوال . . أخفى خوفه من أجل عيون محمد ، ومن أجل كلية الهندسة . . القاهرة . . أيتها الساحرة . . ماذا تفعلين مع الأولاد ؟ .

كل من يدخلك يلتصق بك كأنك قدره . . منذ أخذته من بين يدَيَّ وزياراته تقل . أعذاره تكثر . . بعد تخرجه من الكلية أصبحت فرحة الحـاج صـابر غيابية ـ خطابات . . أخبار . . دعوات . . حوالات نقـدية . . أصبحت حيـاتـه معلقـة ببعض سـطور يقرؤها عليه « الأسطى » حسنيـن ، وهـا هـو اليوم مطالب بأن يبتهج بصورة ظهرت في جريدة . . انتبه الحاج صابر على صوت أم محمد تناديه . . قـام من مقعده وسار ببطء . .

أحسّ أن عمره تقدم ، وأن آلام ركبتيه ازدادت ، وأن نفسه بدأ يضيق . .

ـ نسيت نفسـك مـع الحـلاق وتـركت النـار تأكلنى ! .

ـ لا تخافى . كل شيء على مايرام . .

ـ لماذا نشرت الصورة ؟ ! . .

قدم لها الجريدة .

ـ انظرى . . هذه عروس ولدك . . مبـارك ياأم محمد . .

رددت وهى تنظر الى الصورة

ـ الحمد لله . . الحمد لله . .

أضافت . .

ـ ما أجملها . . انظر كم هى جميلة . .

أجابها الحاج صابر .

ـ لكنهـا ليست أجمل منـه . . ثم انها أكبـر منـه سنا . . وأذناها كبيرتان . .

ـ اتق الله يارجل . .

ـ أنا لا أكذب . . أنظرى جيدا .

تفرست من جديد في الصورة . . سكتت للحظة ، ثم قالت :

أراها جميلة . والأهم أنه اختارها بنفسه . . على هواه . .

نكأت جرحه . . همس بصوت منخفض

ـ ألم يكن من الواجب . . أعنى ! . . اليس من المفروض . .

قاطعته بسـرعة . . كـانت تخاف عليـه من أحزانـه الخاصة . .

تعرف أن الحلاق ثرثار . . القرية كلها باتت الآن تعرف الخبر . .

ـ لماذا لاتخرج وتشترى الشربات ؟ . .

ـ شربات ؟ ! . .

ـ نعم . . انـه يـوم العمـر . . سيأتى النـاس للتهنئة . .

ـ تهنئة ؟ ! .

ـ مـابك يـارجـل ؟ . . هـل أطـاحت الفـرحـة بعقلك ؟ . .

ـ فرحة ؟ ! . .

كانت تُقَطّعُ العجين الى قطع صغيرة ، ترصها بعد ذلـك متجاورة في وعـاء الى يمينها ، تـوقفت وقالت بحدية .

ـ خيرا ياأبا محمد . . مابك ؟ ! . .

صاح فيها

ـ كل هذا نتيجة لتدليلك . . يفعل مايريد وكأننا متنا . .

ـ ماذا تقول يارجل ؟ . . لقد تزوج على سنة الله ورسوله . .

ـ ونحن . . ألسنا ضمن السنة . . أليس رضانا واجبا عليه . .

ـ ومن قال أننا غير راضين

ـ انا . . أنا . . أنا ياأم محمد . .

تحاشت النظر الى وجهه المرتعش . تشاغلت بمسح يديها من آثار العجين العالق بهما ، أمسكت « القلة » ورفعتها الى فمها . استعاد الحاج صابر هدوءه بسرعة ، استغفر الله وطلب منه العفو ، تمتم لنفسه . .

ـ لقد حلمت طويلا بهذا اليوم . .

أضاف وهو يأخذ « القلة » من روحته !

ـ تخيلت نفسي الى جواره . . ولكن . . ربما أصبحت عارا على ولدى !!

لاحظت أم محمد أن آلامه ستزداد . . خاطبته بحنان .

ـ كيف تظن ذلك يارجل ؟ . . ألا يرسل النقود والخطابات كل شهر ، . . هل أهمل المهندس ـ حماه الله ـ في شيء ؟

ـ انا لا أعني الخطابات . . أعني . . أعني . .

اختنق صوته . . لملم نفسه ونهض من جوارها .

ترك غرفة النوم . ارتفع صوت أم محمد من خلفه . .

ثلاث زجاجات من « الشربات » وكيلو سكر . . لاتنس المرور على خديجة . . اطلب منها الحضور مع زوجها . .

واصلت تقطيع العجين الى قطع صغيرة ، سقطت منها قطعة على الأرض أزاحتها بعيدا . . هبطت يداها بعصبية على العجين تفرك فيه بقوة ، حمدت الله ، لأن أبا محمد لم يلاحظ الدمعة التى سقطت من عينيها ، أسرعت ومسحتها ، ثم استمرت في تقطيع العجين .

خرج الحاج صابر قاصدا دار ابنته خديجة ، كانت شمس الريف قد ارتفعت بضوئها ودفئها على أسطح البيوت ، وكانت رياح شمالية خفيفة قد جلبت هواءها المنعش . . حاول ان يفتح ياقة جلبابه لأقصى مدى ، ويأخذ قسطا كبيرا من الهواء حتى يشعر بالراحة . . الجريدة تحت ابطه ، ويده اليمنى ترفع جلبابه الواسع حتى لايدوس عليه . . الصبايا يحملن الجرار ويتجهن صوب مضخة المياه . .

نظر اليهن . . فساتين مزركشة وطويلة حتى الكعب . . وجوه حبيبة وبهية وأصلية . . مناديل ملونة تخرج منها ضفائر سوداء طويلة . . هز رأسه في حسرة . . مالها بت شيخ البلد ياحمد ؟ . . بنت ناس . . وكلمة من أبيها ترج البندر ! . . ليس لك في الطيب نصيب ياولدي . . استمر يحدث نفسه ويدفع بالهواء الى صدره علّه يستريح . . انتبه على أصوات تناديه . .

وجد نفسه أمام مقهى المعلم بهلول .

ـ مبارك ياحاج صابر . .

منه لله « الأسطى » حسنين ، يصلي الفجر وينتشر في القرية (كأبي قردان) يقص الشعر ويطيل الكلام !!

ـ شكرا يامعلم . . « عقبال » أولادك .

شد المعلم بهلول على يده بقوة ، تحول الى صبى المقهى وناداه ،

ـ وزع شربات المهندس ياولد . .

جلس الحاج صابر على أحد المقاعد يتلقى التهانى . . دبت الحيوية في أعضائه . . أخرج الجريدة وفتحها على صورة محمد وعروسه . . تناثرت الكلمات الطيبة من حوله . . سأله شيخ الخفراء وهو يقرأ الكلمات أسفل الصورة .

ـ أمسافر أنت اليوم الى القاهرة ؟ .

اعتدل الحاج صابر في جلسته . ابتسم كأعرض ما تكون البسمة .

قال بصوت واثق .

ـ المهندس مَصّر على سفرى . . يقول بأنه لافرح الا بوجودى . .

أجابته أصوات كثيرة .

ـ عنده حق . . يجب أن تسافر . .

ـ والأرض . . من يعتنى بها ؟ . .

صمت للحظة ثم أضاف . .

ـ الأرز يحتاج للماء كل يوم . .

رفع عينيه للسماء . لمح سربا من الطيور يحلق في نصف دائرة . .

رأى أشعة الشمس تلمع على أطراف الأجنحة . .

أكمل كلامه . .

ـ السنابل ممتلئة ، والطيور كما ترون تتربص بالسنابل . .

لملم الجريدة وطبقها بعناية . . أعادها الى مكانها تحت الإبط . .

وواصل كلامه :

- ولدى طيب . . سيفهم . سيعذر ظروفي . . لم يحدث أن خيب رجائى فيه أبدا . حماه الله من كل سوء . .

نهض واقفا . عندما وصل باب المقهى التفت الى الخلف وخاطب الجميع . .

- كما أننى لا أستطيع ترك البقرة . مازالت ترفض الطعام . . سار في طريقه واستمر يخاطب نفسه . .

- يجب أن تأكل . . يجب أن تأكل . .

بعد صلاة العصر تحولت دار الحاج صابر الى ما يشبه الفرح الحقيقى ، انتشرت في أرجاء الدار حيوية خديجة وبهجتها ، طار صوتها الحلو من نوافذ الدار واختلط بنسمة العصارى . كانت تغنى لأخيها وهى تحرك السكر في أكواب « الشربات » أيادى الصبايا من بنات القرية لا تكف عن التصفيق المنغم . . انشغلت أم محمد بتقطيع قالب الثلج الى قطع صغيرة ، اقترب منها الحاج صابر ، قال دون ينظر الى وجهها .

- عنك يا أم محمد . .

تحولت الى زجاجة شربات وفتحتها ، أخذت تصب محتواها في وعاء الماء .

- ستزوج أولاده بإذن الله .

أخذ يصيف قطع الثلج الى الوعاء . .

- سامحه ياحاج . .

وضع كمُ جلبابه على عينيه . مسحها بسرعة . أعطاها ظهره .

قال وهو يتحرك الى غرفة الضيوف .

- إنه ولدى . ليحرسه الله . .

جلس بين الرجال ، يوزع الابتسامات ويتقبل التهانى أحد يحكى القصص عن والد العروس . حسيب بك ، عين أعيان الصعيد . رحل بمعنى الكلمة . . عائلة لها أصل وسمعة . سأله جاره عبد المولى

- هل رأيته ياحاج ؟

أجاب بسرعة

- طبعا . . طبعا . وهل تظن أن يذهب المهندس بدونى ؟ ! .

ثم زاد مؤكدا .

- في الشهر الماضى . . ذهبنا الى قصره في مصر ، وخطبنا ابنته ، واتفقنا على موعد عقد القران .

استمر موضحا .

هو أصلا من الصعيد ، لكنه يسكن مصر منذ عشر سنوات . . هو الآن موظف كبير جدا هناك .

التفت الى الشيخ اسماعيل مقرىء القرآن وقال :

- عندما قلت لحسيب بك انى لن أحضر كَتْبَ الكتاب ، تأثر كثيرا وسألنى عن السبب . .

تخيل أحدهم يسأله فاستمر في الكلام . .

قلت له انى لا أستطيع ترك الأرض وحدها . اذا غضبت الأرض منى فماذا أفعل ؟ ! .

خاطب الجميع هذه المرة . .

. . تعرفون . الأرز يحتاج الى الماء . . والسنابل تحتاج الحماية ، والبقرة يجب أن تأكل .

أحس بصدره يضيق أكثر وأكثر ، وبأن الكلمات تخرج من فمه جافة غير مكتملة ، وبرغم نسمة الهواء الباردة شعر بحرارة الجو . العرق يتصبب من تحت أبطيه . توقف عن الكلام ونهض واقفا ، ترك غرفة الضيوف ، مر بقاع الدار ، الصبايا لا ينقطعن عن الغناء ، تحرك بينهم وسار في اتجاه حظيرة المواشى ، نظر الى البرسيم والفول المحروش ، كان كما تركه لم تلمسه البقرة ، جلس أمامها وأخذ يقلب الطعام .

- كلي أيتها الطيبة . .

نظر في عينيها . . الواسعتين . . خيوط دموية متشابكة تملأ البياض ، يسيل منهما شيء شبيه بالدموع . .

- وليدك العجل سيعتني بنفسه . .

مر بيده على جبهتها . . أخذ يدلك رقبتها . تناول حزمة برسيم ودسها في فمها .

- صدقيني سيعتني بنفسه . . الأبناء يعتنون بأنفسهم .

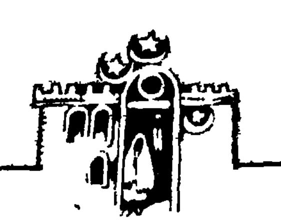
أشاحت برأسها بعيداً . . عادت من جديد لتنظر اليه بعينيها المفتوحتين الصامتتين . . لم يستطع الصمود . . دفن رأسه في وجهها وأجهش بالبكاء . .

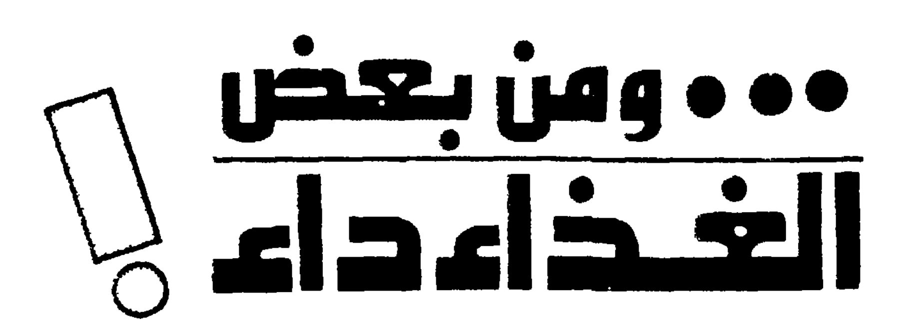
هبطت البقرة برأسها الى أسفل . . غاصت بفمها في طبقات البرسيم الأخضر . . . .

رفعت رأسها وأخذت تلوك ما بفمها ببطء شديد .

☐


علّمي ابنك
القراءة واقتناء
الكتب
مجلة الأسرة والمجتمع





... ومن بعض الغذاء داء!

بقلم : الدكتور رياض العلمي

اعتاد الناس تناول بعض المأكولات والمشروبات دون النظر الى أضرارها المحتملة ، والى الآثار الجانبية السيئة التي تنتج عنها . ماذا تقول اذا علمت أن الاكثار من عرق السوس يتسبب في ارتفاع ضغط الدم مثلا ؟ وان الاكثار من تناول المواد الحاوية على الكافئين يؤدي الى الهيجان والتوتر والقلق ؟ وأن المضافات الغذائية الحافظة قد تؤدي الى السرطان ؟ ان لم تكن تعرف كل هذا فاليك هذا المقال !

هناك من المستحضرات التجارية والسلع الغذائية ماله تأثير ضار دون أن يفطن الناس الى ذلك التأثير . ومن هذه المستحضرات والسلع ما يمكن أن نسميه بالأدوية الخفية ! انها مواد تنتج وتباع ، ويستعملها الناس دون أن يدركوا مخاطرها ، وهي من جانب آخر سلع وعقاقير ، لا يمنعها القانون ولا يحظر تداولها ، فهي بذلك مواد غذائية شأنها شأن السلع الاستهلاكية الأخرى ، بشرط أن تتوفر لها النظافة والنقاء.

ومن تلك الأدوية التي ندعوها خفية ، والتي يقبل عليها الناس اقبالا عاديا التبغ والكحول ، وهما من الآفات الاجتماعية التي يعم ضررها . ويرى فيها الناس علاجا نفسيا . ولكن هناك أدوية خفية أخرى كثيرة ليست نفسية ، يشيع استعمالها دون حذر ، كعرق السوس والتيرامين والكافئين.

يستخرج عرق السوس من مصادر طبيعية ، أي من النبات ، ويستهلك في العادة بكميات كبيرة ، وقد يسبب ارتفاعا بضغط الدم . وهو يزيد من حالة الضغط ان كان مرتفعا ، وقد يتنافر مع الأدوية المضادة لضغط الدم المرتفع . ويستعمل عرق السوس كمادة محلية للحلويات بمختلف أنواعها ، وينتشر في أقطار الوطن العربي ، وبعض من أقطار الشرق الأوسط ، ويكثر تناوله في الصيف وفي شهر رمضان المبارك ، وقد يتناوله شخص ما يشكو من ضغط الدم المرتفع ، فتسوء حالته دون أن يدرك ، ولهذه الأسباب نضع عرق السوس ضمن الأدوية الخفية

الأحماض القديمة ، والاسماك المحللة والمملحة ، والنقانق المتحمرة ، ولحم السلام المحتمر ، ولس الزبادى ، وأكباد البقر والدواجن ، والموز ، والتين المعلب ، وفول الصويا ، والخميرة ، والبيرة وغيرها وهناك اعتقاد بأن هذه المواد تتفاعل تفاعلا خطرا مع الأدوية الخفية الموجودة فى القهوة ، الشاى ، والكاكاو ، ومشروبات الكولا

الكافئين

يحتوى الشاى على الكافئين والميوفيلين . فاذا كان مشروب الشاى مركزا ، فانه يعد من أكثر مشروبات رتين تنشيطا ، ومن أهم الأدوية الخفية

ويحتوى الكاكاو على الكافئين وعلى الثيوبرومين ، فى حين تحتوى الجوارانا على الكافئين ، وتستعمل لتحضير المشروبات المختلفة فى بلدان امريكا.

يعد الثلاثى - الكافئين وثيوبرومين وثيوفيلين - قلويدات منشطة للجهاز العصبى المركزى فهى ترفع من حدة الانتباه والنشاط ، وتقلل من التعب والكسل ، كما انها القوة العضلية للجسم ، وقد يزيد الكافئين من قوة الفهم والتعلم والاستيعاب والدقة فى المعلومات .

وقد لوحظ ان الكافئين يزيد من سرعة الشخص الضارب على الآلة الكاتبة ، ويساعد على دقته ومهارته . كما أن الكافئين ينشط عضلة القلب ، ولكنه يسبب ارتخاء فى العضلات الملساء كعضلات القصبة الهوائية . ويزيد الكافئين من استهلاك الجسم للأكسجين ، كما يسرع فى استهلاك المواد الغذائية .

ان كوبا من شراب القهوة أو الشاى المركز ، قد يحتوى على كمية تتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ ملغراما من الكافئين ، وهذا يوازى الجرعة الطبية العادية الفعالة لهذه المادة.كما ان قطعة من شيكولاته قد تحتوى على ٢٥ ملغراما من الكافئين ، بالاضافة الى ثيوبرومين . وقد يحتوى شراب الكولا على ٣٥ - ٥٥ ملغراما فى كل



التيرامين : أما التيرامين فهو أيضا عقار خفى ، له أضرار أكثر خطورة من عرق السوس . فالتيرامين يدخل فى مجموعة كبيرة من الأطعمة والأغذية والمشروبات . وقد لا تكون له آثار سيئة ، ولكن خطورته تظهر اذا أخذ بنفس الوقت مع أدوية من فئة MAo-Inhibibitors وقد تكون قاتلة أحيانا ، فهذه المجموعة من الأدوية تصرف عادة للمرضى الذين يشكون من الاكتئاب ، ويوجد التيرامين عادة فى بعض الأطعمة ، وان اجتماعه فى جسم الانسان مع هذه الأدوية فى آن واحد قد يؤدى الى ارتفاع فى ضغط الدم ، ويسبب صداعا شديدا أو نزيفا دماغيا ، وقد يؤدى الى الموت . ونذكر من الاطعمة التى تحتوى على كميات كبيرة من التيرامين



علبة من حجم ١٢ أونسا .

ومن الثابت أن ٤٠٠ ملغرام من الكافئين تسبب الحساسية المفرطة ، والتوتر والرجفة والصداع والهيجان ، وقد يشكو بعض الأفراد من هذه الأعراض بمجرد تناول كوب واحد من القهوة ، بينما يحتمل البعض الآخر شرب ٣ ـ ٤ أكواب من القهوة أو الشاي في جلسة واحدة ، دون أن يظهر عليهم أي أثر ، ولكن معظم الناس يصابون بحالة من الهلوسة والتشنجات ، بعد تناولهم جرعة ١٠٠ ملغرام من الكافئين . أما الجرعة القاتلة من الكافئين فهي بحدود ١٠ غرامات ، أي ما يوازي ٦٠ ـ ١٠٠ كوب .

ان الذين لا يموتون من مثل هذه الجرعات الكبيرة لا بد انهم يشكون من أعراض كثيرة اخرى ، مثل الهيجان والتوتر وعدم الارتياح والرجفة والتنميل ، بسبب سوء الدورة الدموية في الأطراف ، كذلك يصابون بزيادة في التبول ، وفي سرعة دقات القلب ، وتدل جميعها على تسمم ناتج عن جرعة مرتفعة من الكافئين ، كما ان طنين الاذن والهلوسة والزغللة وارتباك النظر ورؤية خيالات وخطوط ملتوية متشابكة ، هي أيضا من أعراض جرعة الكافئين المرتفعة .

ان التعود الجسماني والنفسي على هذه الأدوية ملحوظ في العادة ، ولكن الكثيرين لا يعدونه تعودا وكثير من الناس لا يستطيعون بدء يومهم دون فنجان من قهوة الصباح . اما الذين يستهلكون كميات كبيرة من الكولا فانهم يشكون من التوتر والهيجان اذا حرموا منها يوما واحدا فقط . ويعد الكافئين من المواد الضارة للقلب ، نظرا لمفعوله الواضح على سرعة دقات القلب ، وعلى رفع ضغط الدم ، وعلى زيادة ادرار البول ، ان مدمني شرب القهوة معرضون للاصابة بالنوبات القلبية أكثر من غيرهم ، لذلك تعد القهوة دواء خفيا .

المضافات الغذائية

من الأدوية الخفية ما يدخل في العديد من الأطعمة والأغذية ، كمواد اضافية حيث تضاف بعض المواد الكيماوية الى الأغذية لحمايتها من التلف والتعفن ، بقصد المحافظة عليها وابقائها طازجة ، أو لتضفي عليها الألوان المناسبة ، أو المذاق المناسب ، وتزيد من ثباتها ولقد ازداد عدد هذه المضافات في الوقت الحاضر ، حتى باتت مشكلة يجب التفكير فيها بجد .

ان أهم ما يخشى من هذه المضافات هو السرطان الذي قد تتسبب فيه بعض المواد الكيماوية الحافظة ، أو المضافة ، وهناك مواد غذائية طبيعية تحتوي على مواد « مسرطنة » شأنها في ذلك شأن المواد المصنعة . لنأخذ مثلا مادة النيترات التي يشك بأنها تسبب السرطان . انها موجودة بصورة طبيعية في كثير من الخضراوات كالباذنجان ، وان استعمالها للمحافظة على اللحوم أمر يدعو الى الشبهة .

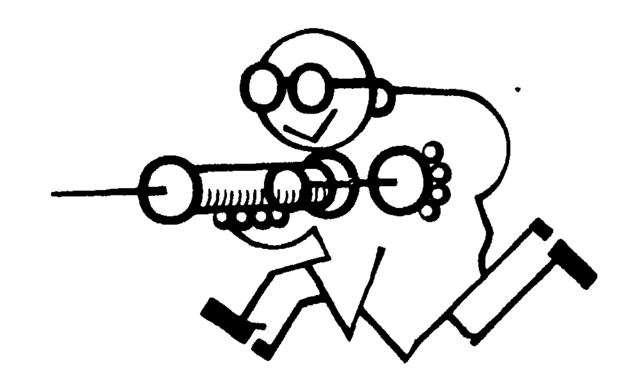
لقد أوصت منظمة الأغذية والأدوية الأميركية بمنع مادة السكارين ، وعدم اضافتها الى المأكولات والمشروبات ومواد التجميل ، غير أن هذا الموضوع ما زال يحير العلماء ، لعدم وصولهم الى نتائج حاسمة .

الغاز الضاحك

يطلق على هذه المادة الكيماوية أيضا غاز أكسيد النيتروز ، ويستعمل عادة في التخدير ، وخصوصا في طب الأسنان ، وبعض العمليات الجراحية الأخرى ، ولا يصرف الا بموجب وصفة طبية في المستشفيات ، ولكن هذه المادة تدرج ضمن الأدوية الخفية فلماذا ؟

يستعمل أكسيد النيتروز كغاز في بعض المستحضرات التي تدخل في اعداد الحلويات . وهذا الغاز يوجد في بعض المطاعم والمقاهي في أميركا ، ويباع بسهولة بدون وصفة طبية لأي عابر سبيل . ويسبب الغاز الضاحك حالة من الانتعاش والشعور بالتحليق ، صحيح أنه لا يحدث هلوسة ، ولكنه يتسبب في جموح الخيال والتصورات ويبعث على الضحك بدون أسباب .

ان الغاز الضاحك لا يحدث آثارا ضارة واضحة بحد ذاته ، غير انه قد يتسبب في حالة اختناق من



جراء مع الأكسيجين . فاذا استنشق هذا الغاز لثوان معدودة فلا ضرر منه . أما اذا استنشق لدقائق قليلة فان نتائج خطيرة قد تحدث منها ، مثلا : نبض بطيء ، ولون أزرق ، وضغط دم مرتفع ، فضلا عن حركات عصلية لا ارادية ، وتشجات وتنفس مضطرب ، وكل ذلك يتسبب في قلة الأكسجين ، وقد يؤدى الى الموت في النهاية .

ومن الأدوية الخفية جوزة الطيب ، وهي بذور ثمرة الشجرة التي تحمل هذا الاسم ، أما السباسة فهي الغلاف الخارجي للبذرة ، وتحتويان على مادتين فعالتين نفسيا ، تدعى الأولى ميرستيسين ، وتدعى الثانية الميسسين .

ويستعمل البعض جوزة الطيب والبسباسة لأسباب نفسية ، كنوع من الادمان ، حيث تؤخذ بعد اذابتها في احدى المشروبات كالشاي أو العصير أو الموز المهروس . ويؤخذ هذا العقار أحيانا عن طريق الشم بالأنف ، غير أن هذه الطريقة مؤلمة للغاية .

ويحدث الغثيان والقيء والدوخة في فترة تتراوح بين ساعة وخمس ساعات ، بعد أن تؤخذ جرعة جوزة الطيب ، والجرعة تتكون من ملعقة الى ملعقتين كبيرتين ، أو تستمر الاعراض مدة ٤٥ دقيقة ، يتلوها شعور بالانتعاش والانبساط والراحة النفسية ، كما يشعر المرء بجفاف في الفم والحنجرة والحلق وبعطش شديد ، وتظهر بقع في الجلد ، واحمرار في العينين ، وسرعة في دقات القلب ، وامساك وصعوبة في التبول . أما التوتر والخوف وعدم وضوح الكلام والتأتأة ، وعدم المقدرة على الحركة ، فهي أمور قد تحدث أحيانا .

التبغ

والتبغ دواء خفي يعد مشكلة من مشاكل العصر . فهو نبات تصنع منه السجائر والسيجار والزعوط ويعد من الأدوية الخفية ، لما فيه من مواد تؤثر على الجسم أهمها النيكوتين . والزعوط هو التبغ المسحوق ، ويشم عن طريق الانف ، ليدخل الى الدم مباشرة عن طريق الاغشية المخاطية ، وهو شائع في بعض البلدان فقط . ويختلف التبغ عن غيره من المكيفات بأنه لا يشرب عصيره ولا تبلع أوراقه .

وفي عام ١٩٣٩ بدأت أول دراسة تربط بين التبغ والسرطان ، وفي عام ١٩٤٥ حذرت مايوكلينك من أضرار التدخين وأثره على الأوعية الدموية ، وفي عام ١٩٥٠ ثبت بالبرهان القاطع أن للتدخين علاقة بالسرطان . وفي عام ١٩٦٥ صدر قانون يلزم شركات التبغ بذكر تحذير طبي يطبع على كل علبة سجائر .

والدخان الذي يستنشقه المدخن يحتوي على ١٢٠٠ نوع مختلف على الاقل من الغازات والشوائب وهي توجد بمعدل خمسة بلايين جزيء في كل سم^3 . ولو جمعت هذه الجزيئيات لتكون منها مادة بنية اللون تسمى القطران ، وهو مادة « مسرطنة » من جملتها بنزوبايرن ، ولكنها لا تشكل سوى ٨٪ من مكونات الغاز لان ٩٢٪ غازات وابخرة يختلط بعضها بالبعض الآخر ، ومن اخطرها غاز أول اوكسيد الكاربون الذي يوجد بتركيز يزيد ٤٠٠ مرة عن التركيز العادي ، وهذا الغاز يقلل من قدرة الدم على حمل الاكسجين ، ومن المؤسف أن المدخن يتعرض لكل هذه الاخطار في وقت واحد . .

ان ولع الناس بالتدخين يعود بالدرجة الأولى الى احتوائه على مادة النيكوتين . ومن الثابت أن أثره سريع وفوري ، فاذا شعر المدخن بالتعب والتوتر ، فان النيكوتين يعمل كالدواء المهدىء ، واذا حاول المدخن أن ينقص وزنه باتباع نظام غذائي معين ، فان النيكوتين يعد مثبطا للشهية ، وقد تم اكتشاف النيكوتين وفصله لأول مرة في عام ١٨٢٨ ، وكان

المفعول العلاجي الوحيد هو تنشيط التنفس. أما آثاره السمية فهي كثيرة. يحترق النيكوتين لأنه قلويد سائل نادر لأن القلويدات مسحوق صلب أبيض في العادة، وهو يتبخر بسرعة مع درجة الحرارة العادية.

ويعمل النيكوتين على سرعة التنفس وزيادة دقات القلب، كما يضيق من الأوعية الدموية، وبذلك يرفع من ضغط الدم، مما يؤدي إلى زيادة الحمل على القلب.

يعمل النيكوتين على إضعاف الشهية للطعام، ويخفف من تقلصات المعدة، فلا يشعر الإنسان معه بالجوع، ويسبب زيادة بسيطة في سكر الجلوكوز في الدم، لأن الكبد يفرزه من المخزونات الموجودة فيه. كذلك يخدر التدخين حاسة الذوق في اللسان، فلا يشعر الإنسان بلذة الطعام، الأمر الذي يقلل من الإقبال عليه.

ومن مضار التدخين تأثيره على الجنين في بطن أمه. والمدخنات يضعن أطفالاً أقل وزناً من المعدل، ويغلب عليهم اللون الأزرق، هذا فضلاً عن تعرضهم للأمراض أثناء الحمل. فالنيكوتين يتسرب إلى الجنين عن طريق المشيمة، كما أن الطفل الذي يرضع من حليب أمه المدخنة قد يصاب بتسممات النيكوتين المختلفة، وبالهزال والعصبية والبكاء المستمر.

وقد أجريت دراسة في عام ١٩٧٨، على علاقة التدخين بالأدوية المانعة للحمل عن طريق الفم، فثبت أن ذلك يؤدي إلى زيادة ضربات القلب عند الأم، وتعرضها للانفجار الدماغي، وغير ذلك من الحوادث المتعلقة بالدورة الدموية والقلب.

وقد ثبت أن التدخين يسبب في أمراض سرطان الرئة وأمراض القلب، وضغط الدم، والقرحة المعدية وسرطانات أخرى. ثم إن الإحصائيات تدل على أن عدد الوفيات بالسكتة القلبية بين المدخنين يصل إلى ضعف عدد الوفيات بين غير المدخنين، وهذه النسبة تنطبق على وفيات السرطان بأنواعه، ويموت من المدخنين ثلاثة أضعاف غير المدخنين بسبب التدخين ذاته.

الكحول

تمتص أجسام الكحول بسهولة وسرعة من جميع أجزاء الجهاز الهضمي، ويكون الكمية الممتصة عن طريق الفم قليلة جداً، أما الكمية الممتصة فتأتي عن طريق المعدة (حوالي ٢٠٪)، وكذلك عن طريق جزء العلوي من الأمعاء (٨٠٪)، وإن درجة الامتصاص سريعة ومتفاوتة. إن الكحول عبارة عن جزيئات صغيرة تذوب في الدهون، وتخترق خلايا الجسم بسهولة.

إن تعاطي الكحول بكثرة ولمدد طويلة، يؤثر تأثيرات عديدة وخطيرة على الجسم، نذكر منها باختصار بعض هذه التأثيرات، فهي تؤثر على الدورة الدموية وتسبب ضعف ضغط الدم، كما تساعد على ظهور السرطان في الأعضاء التي تلامسه، كالفم والمريء والبلعوم والمعدة والكبد، وقد تسبب تشمع في الكبد، ونقصان في نسبة السكر في الدم، وتدخل في التهابات البنكرياس، وتعمل من حركة الأمعاء، وتؤثر على الخمائر والإنزيمات في الجسم، وتمنع امتصاص بعض المواد المهمة كالفيتامينات والحديد والكلس والأحماض الأمينية، وتؤثر على المعدة، محدثة فيها الالتهابات والقرحة والنزف، ومن أهم آثارها ما يتعرض له الجهاز العصبي والدماغ، إذ تؤدي إلى الإدمان. ومن أخطارها المؤكدة تأثيرها على الأجنة، وعلى الأطفال الرضع، وعلى القوى الجنسية وغير ذلك.

تنافر الكحول مع الادوية

ومن أخطار الكحول أيضاً تناولها وتداخلها مع الأدوية، فإن تناولها مع اللومينال تزيد من مفعولها، وهذا القول ينطبق على الفاليوم والمنومات، وغيرها من الأدوية المهدئة، والأدوية المضادة للكآبة والتشنج، وأدوية التخدير والمورفين وغيرها. ☐

علمي ابنك القراءة واقتناء الكتب

اعداد : ريم الكيلاني

« مع بداية وعي الطفل . تبدأ عيناه بالتقاط الصور الملونة ، وعليك عـزيزتي الأم أن تنتبهى لهـذه الحالـة ، وتعلّمى ابنك حب القـراءة واحترام الكتاب »

عُرف الكتاب على مر السنين أنه الصديق الأمثل ، وان القراءة هى الهواية التي تغذى العقل والروح ، والأسرة الناجحة هى تلك الأسرة التي تعتني بالكتاب وبنوعيته ، وبإثارة اهتمام أطفالها تجاه الكتاب ، وعنايتهم بنظافته وترتيبه

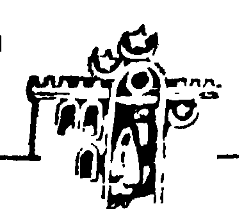
غالبا ماتلفت الصور الملونة والأشكال الزاهية نظر الطفل في سنوات عمره الاولى ، وهـذه واحدة من مئات الرغبات الكامنة في نفس الطفل ، ولكنها خطوة تثبت تطور قدرات الطفل في مجالي القراءة والكتابة

ان الطفل الذي يتعلم كيف يقتني الكتاب ويحافظ عليه ، سرعان ماتراه يسأل ويستفسر ، ليتعلم كيف ينطق الحروف ويحولها الى كلمات تشرح الصورة الملونة التي أثارت اعجابه ، وعلى الأم في هذه الحالة بذل ما تستطيع لتشجيع هواية القراءة لدي طفلها

ان عملية إعداد رفوف خشبية للكتب بحيث تكون قريبة منه ، خاصة به ، يستطيع أن يصل اليها بسهولة ليختار مايشاء منها ، كما ان عادة الذهاب الى المكتبة العامة من شأنها أن تخلق رغبة قوية لدى الطفل في اقتناء الكتب ، بل ان عملية ارتياد المكتبة تصبح احدى متعه اليومية

والذي يزيد من حبه للقراءة تعاون أمين المكتبة مع متطلبات ورغبات الطفل ، وتأكيده على وجود القصص القصيرة ، التي عادة مايقرؤها الطفل بصوت مرتفع ، وهذا من شأنه أن يطور عملية القراءة عند الطفل وينميها .

ان أعظم تشجيع للطفل ليتعلم القراءة يكون بخلق الاحساس لديه بأن قراءة الصحف والمجلات والكتب شيء مهم وممتع في حياة الأسرة ، ولهذا أكبر الأثر في اتجاه الطفل نفس اتجاه الوالدين ، ليكتشف بنفسه المتعة الحقيقية في القراءة . ولكن ـ عليك أيتها الأم أن تعلمي طفلك كيف يفرق بين الكتب وبين الصحف والمجلات ، وعلى الطفل أن يكون مدركا



تماما بأن الكتاب شيء لابد من الاحتفاظ به . لأنه يحتوي على معلومات قيمة تجعله مرجعا للقارىء في أي وقت .

كيف يختار طفلك مادة القراءة ؟

قد تتوقع الأم أن يولع ابنها بقراءة كل الكتب التي خصصت للأطفال ولكن هذه ليست قاعدة ، فقد يميل الطفل لقراءة كتابات معينة ، خلاف التي تقدمينها له ، وليس في هذا مايدعو للقلق ، مادمت لا تلحظين ابتعاد طفلك تماما عن قراءة الكتب

فقد يكون طفلك مولعا بالكتب ذات الطابع السلس السهل ، أو بالكتب الهزلية التي تحمل في طياتها الطرائف المعروضة بطريقة جيدة ، مدروسة على أسس علمية وتربوية ودور الأم هنا أساسي في تعليم طفلها كيفية التعامل مع الطرفة كجزء أساسي من قراءاته ، دون الشعور بأن مثل هذه القراءات مرفوضة داخل الأسرة ومن المرجح ربض الطفل للكتاب الجيد ، الى أن يجد مايشجعه على القراءة ، كالقصص الكلاسيكية التي تعرض مسلسلة على التلفاز ، أو تذاع ضمن البرامج الاذاعية

كيف يستعمل التلفاز ؟

لاشك أن الأطفال اليوم لايقرأون كالأطفال في الماضي ، فوجود التلفاز والمذياع قلل من شغف الأطفال وولعهم بالكتاب ، ولكن هذا لايعني أن ثقافتهم اوإطلاعهم بات أقل

اذا وجدت الأم أن طفلها متحمس لقراءة الكتب عن طريق الصورة المتحركة ، فعلى الأم أن تبحث عن محطة اذاعية متقدمة وراقية لضمان استفادة الطفل من المادة المعروضة وهذه الممارسات والتطبيقات قد أصبحت شائعة في وسط الموزعين ، الذين بدأوا يحددون زمن طباعة واصدار القصص الكلاسيكية للأطفال ، تماما كما هو الوضع بالنسبة للكبار ، وذلك لخلق التوافق بين مايقرؤه الطفل وبين مايراه مسلسلا على شاشة التلفاز

والى جانب هذه المطبوعات الكلاسيكية ، هناك كتب جديدة للأطفال ، توزع باستمرار لتناسب كافة الأعمار ، فان كنت تشتري كتابا هدية لطفلك ، وجدت مجالا واسعا للاختيار من مجموعة العناوين المدونة التي قد تثير حيرتك ، فما عليك الا استشارة مدرس الفصل الذي بامكانه أن ينصحك بالكتاب المناسب

وقد تلاحظ الأم اتجاه إبنها في إحدى مراحل العمر للاسهاب في قراءة كتب الجريمة والعنف ، فعلى الأم في هذه الحالة أن تتقبل هذا الوضع ولا تعتقد أن ابنها انسان وحشي أو سفاح أو ربما كئيب ، فهذه مرحلة شبيهة بمرحلة حب الطفل واتجاهه لقراءة القصص المرعبة ، التي تصور له أشياء كثيرة عن السحرة والعرافين والعمالقة ، فمثل تلك التجربة هي المتعة الحقيقية التي يجنيها الطفل من قراءته فلا تمنعي طفلك من قراءة هذه المواضيع في البيت ، فليس في قراءتها أي ضرر ، لان مثل هذه الاتجاهات سرعان ماتتلاشى لدي الطفل بمجرد شعوره بتفاهة المادة التي يقرؤها ، وسيتجه نتيجة للملل لقراءة مادة أخرى تثير اهتمامه ، وتأسر انتباهه ، وتكشف اي غموض بالنسبة له ، كأمور الفضاء أو الكمبيوتر أو الرياضة

تغير ميول الطفل :

طالما أن مكتبة طفلك الخاصة تنمي مواهبه وتطورها ، فان تغير ميوله من مادة الى مادة يصبح أمرا طبيعيا لاريب فيه ، وستكون عملية غربلة المكتبة التي



القراءة الجماعية من شأنها مساعدة الطفل على تنمية موهبة القراءة

يقوم بها اسلك عملية معقولة فاعملي على تشجيعه لتنويع قراءاته ، ولكن احرصي على الاحتفاظ بالكتب المهمة التي تحتوي على معلومات جيدة ، أو تلك التي تخلق في نفسه سعادة حين يقرؤها ، فيتعلم طفلك بان الكتب ليست مادة ترمى ، بمجرد الانتهاء من استعمالها أو قراءتها مرة أو مرتين

القارىء المعارض :

أما الكتب التي لاتجدين ضرورة في وجودها ، فيمكن اعطاؤها للأصدقاء كطريقة لتبادل الكتب معهم ، أو تباع في سوق المدرسة الخيري أما اذا كنت تخططين لاستقبال طفل جديد ، فسيكون من الأفضل تخصيص مكان لهذه الكتب ، لتظل في حالة جيدة ليقرأها الطفل الجديد ، خاصة اذا كانت تلك الكتب قد شكلت متعة كبيرة لطفلك الأول

واذا أظهر طفلك برغم كل التشجيع والترغيب اللذين توفريهما له اعراضا واضحا ورفضا قويا للقراءة ، فمن الواضح انه بذلك يخوض مخاطرة كبيرة ، ستكون العظمى في حياته ، لأنه بحكم صغر سنه لايدرك أنه باحجامه عن القراءة سيفقد أكبر متعة قد يلقاها في حياته .

على أية حال ، ان الطفل الذي لايهوى القراءة ليس بالضرورة أقل ذكاء من أقرانه ، فالطفل الموهوب يستطيع أن يظهر ذكاءه ومهاراته وفنونه في مجالات أخرى مهمة ، كالفيزياء والرياضيات مثلا

ولكن ثمة نقطة مهمة على الأم أن تنتبه لها ، فالطفل اذا كرس وقته كله للقراءة والقراءة فقط دون ان يظهر اهتماما لأي مهارات أو مواهب أخرى فهذا يعني أنه سيكون في المستقبل انسانا انطوائيا معزلا عن العالم ، يعاني من الخجل وعدم الثقة بالنفس وعدم الاستقرار . □



ذكريات عُمُر

ليس جميلا ما يتمناه البعض ، من ان يعودوا ليبدأوا حياتهم مرة ثانية من جديد . فكثير ما يتمنى ان لو كان بامكانه ان يقطع خيوط علاقاته ، ويعود به الزمن من جديد ، ليبدأ بدايات جديدة ، وعلاقات جديدة ، وحياة جديدة ، ويتصور هؤلاء ان الحياة هكذا تكون اجمل ، او انهم سيتخلصون من كثير من متاعبها

ولكن الحياة غير هذا ، فهناك العديد من التفاصيل والحكايات والخلافات والاتفاق والفرح والألم ملايين من هذه التفاصيل تمتد لتنسج خيوطا بينك وبين كل من حولك وتكتشف مع الوقت ان هذه الخيوط هي العمر عمرك انت وعمر من تعرف حياة بأكملها

وهذا ما اكتشفته وما اتعذب به ومنه بعد ان توفي زوجي بفترة ، ولظروف كثيرة تزوجت مرة ثانية ، كمنطق حياة لأرملة في الثلاثين بلا اولاد وبعد عشرة ايام من زواجنا تفجرت المشكلة ، فقد توافد اصدقائي زوجات وازواجا وكثير منهم كان صديقا على مستوى الأسرة قبل وفاة زوجي ،

وفوجئت بزوجي يعاملهم ببرود شديد يكاد ان يصل الى حد الجفاء لا يبتسم لا يفتح حديثا ردود مقتضبة كلمات مجاملة عامة ، يتفادي اي وعد بالالتقاء او حتى مجرد الدعوة او تمنى لقاء آخر ، في اول الأمر ظننت انه امر ناتج عن عدم معرفته بهم لكن تكرار نفس طريقة اللقاء مع اصدقائي القدامى الذين يأتون لتهنئتي بالزواج جعلني افاتحه في الموضوع ، وأبدي له ملاحظاتي حول طريقة لقائه واستقباله لأصدقائي ، وكانت مفاجأتي كبيرة عندما اعترف لي بصدق ووضوح أنه يتعمد هذا الشكل من المقابلة والاستقبال ، لأنه بوضوح لا يريد ان تستمر علاقاتي بهم ، فهم بالنسبة له ولي حياة قديمة انتهت بكل ما فيها ، وانه يجب علي ان ابدأ من جديد ، حاولت ان افهمه واوضح له ان بيني وبينهم ذكريات مشتركة واحاديث وأحلاماً وامنيات واشياء كثيرة طيبة كانت بيننا ، حاولت ان اقول له ان علاقتي بهم هي جزء من عمري فانا ارى فيهم اياما مضت وأرى في ابنائهم عمري هذا ولد يوم ان كنت في سن كذا وهذه ولدت عندما أجريت عملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية . . وكثير من الروابط والذكريات التي تمثل في مجموعها العمر والأحلام والصداقة ، ولكنه لم يسمع ولم يقدر وأصر ان يقطع خيوطا تربطني بقلوب احببتها وأحبتني بصدق

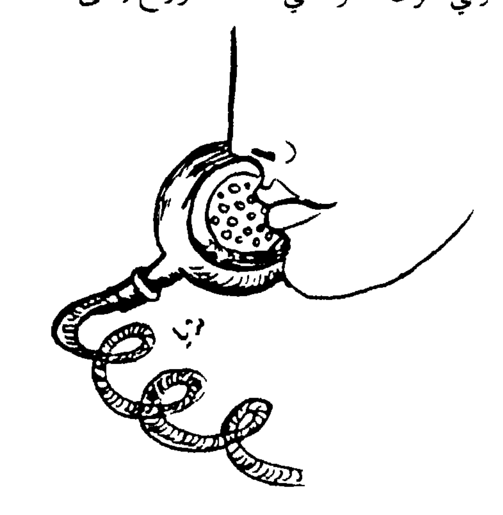
هي

ظلال من الماضى

لم تتقبل الأمر بسهولة ، وأتصور أنه سيظل يبعض علينا حياتنا بين حين وآخر ، فبعد زواجنا وجدت أن أصدقاء هذا القدامى هي وزوجها السابق هم الذين سارعوا بالتهنئة وهم سبق الناس الى تقديم الهدايا والدعوات الى عشاء او غداء ويشهد الله انني لم ار من أصدقائها هؤلاء شيئا سيئا ، على العكس تماما فقد كانوا دمثي الخلق مهذبين ، حريصين على مشاعرنا . فرحين بنا ، ولكن خاطرا شيطانيا يسيطر على فكري وحياتي هؤلاء صور من حياتها الماضية ، وأنا قد بدأت معها حياة جديدة ، لا اريد فيها ظلال حياة مضت ، ويزيد من اقتناعي بهذا ان زواجها السابق انتهى بوفاة الزوج ، وليس بطلاق ، والأمر الذي لا نقاش فيه أن في داخلها ذكرى طيبة له ، وكانت تحاولني طوال الفترة التي سبقت الزواج وحتى الان أن اتعامل مع هذه الذكريات ، ولكن ليس واردا في ذهني ان اتي نعاصر هذه الذكريات لتعيش معي وليس واردا في ذهني ان أضع نفسي في مجال القياس والمقارنة في عيون أصدقائها ومعارفها ، فيكفي هذه المقارنة الصامتة السرية التي تتم داخلها وتعقدها بيني وبين زوجها السابق ، ولا يمكن ان تنكر هي هذا ، فهذه هي الحياة وسنتها وحكمتها وهكذا نحن البشر وطبائعنا

قلت لها نحن سطل دوات منفصلة في المجتمع حتى نتزوج ، وبعدئذ نصبح ذاتا اجتماعية واحدة ، فتعالي نكتشف اصدقاء جددا ونخوض علاقات جديدة . ونبحث عن اناس حولنا وفي دائرة حياتنا ، قلت لها ان الحياة امامنا وليست خلفنا ، ولو جلسنا اسرى لذكرياتنا لوقفت الحياة ، فالذكريات هي عمر مضى بكل ما فيه من خير وشر وجمال وقبح وفرح وحزن . عمر مضى فليكن كما كان ، ولكن العمر القادم الذي ينتظرنا علينا ان نصوغه وفق ما نريد ، وقلت لها ان حرصي عليها يكتمل بحرصي على مشاعرها ورجوتها أن يمتد حرصها على مشاعري بأن نفتح لأنفسنا دائرة جديدة من الأصدقاء ، ونترك هؤلاء الأصدقاء القدامى الذين يطلون على حياتي كأشباح من ماض، لا اريد أن يطاردني ، ولا أن يلقي بظلاله على حياتي

هو





من الحياة

يومَ عادتْ إلى أمّي!

كانت حلوة صغيرة وكانت كل زميلاتها في المدرسة يحببنها كانت تستقبل يومها الجديد كل صباح وحدها في غرفتها الصغيرة، حيث تعلمت كيف تعد ملابسها، وتجمع كتبها التي ستحملها معها الى المدرسة فاذا فرغت من هذا كله توجهت الى غرفة نوم والدها، لتطبع على وجهه قبلة، ثم تخرج مهرولة الى الشارع، تنتظر السيارة الكبيرة التي ستقلها الى مدرستها وفي الطريق الى المدرسة تبدأ في تناول طعام الافطار، الذي أعدته هي لنفسها في الليلة الماضية فهو آخر عمل تقوم به قبل ان تذهب الى فراشها وتغمض عينيها لتنام

لقد تعلمت الطفلة التي لم تتجاوز عامها الحادي عشر أشياء كثيرة، كانت تعتمد على غيرها في اعدادها وكانت سعيدة بحياتها الجديدة، فهي تحب مدرستها وتحب زميلاتها ومدرساتها، فقد كانت تشعر أنهن يبادلنها نفس الشعور الذي امتلأ به قلبها الصغير كانت اذا غابت يوما عن المدرسة لم يتوقف جرس الهاتف عن الرنين، كلهن يسألن عنها هل هي بخير؟ ما الذي منعها عن الحضور؟ متى تعود الى مدرستها؟

وكانت تتحامل على نفسها في أحيان كثيرة، رغم الوعكة التي ألمت بها، وتقوم من فراشها وترتدي ملابسها، وتذهب الى المدرسة، بعد ان تسمع صوت مدرسة اللغة العربية وهي تستفسر عن صحتها وتدعوها بالشفاء!

* * *

وتمر الأيام، وتعلن المدرسة عن الاستعدادات التي تجري كل عام للاحتفال بعيد الأم ويجيء اليوم أخيرا، وتصحو الطفلة من نومها في ساعة مبكرة، وترتدي فستانها الجديد انها لن تذهب الى مدرستها بالزي التقليدي الذي تعودت أن تضع فيه جسمها الصغير في صباح كل يوم، فهذه مناسبة خاصة ولابد أن يكون الاحتفال بها خاصا

لقد لبست المدرسة كلها ثوبا جديدا، من أجل الأم التي أحبت وأفنت حياتها في العطاء من أجل هذه الانسانة العظيمة التي يحتفل الأبناء بتكريمها في هذا اليوم الذي يأتي مرة كل عام!

وتعلن المدرسة عن برامج العمل، الذي سيبدأ فورا بمجرد الانتهاء من تحية العلم في الفناء الفسيح الذي يجتمعن فيه كل صباح وتتجه التلميذات الى قاعة الأشغال اليدوية، التي امتلأت - على غير العادة - بكل شيء يمكن أن تصنع منه الفتيات الصغيرات «الهدية» التي ستختارها كل منهن لتقدمها الى أمها في عيدها!

ووقفت الصغيرة حائرة في البداية ترى ماذا



تختار ؟ ولكن حيرتها لم تطل ، فسرعان ما وجدت نفسها تنضم الى الفريق **الصغير** الذي اختار سعف النخيل ، **يشكل** منه ألوانا من السلال والحقائب الصغيرة

وراحت تعمل في حماس ، والابتسامة لا تفارق وجهها الجميل المشرق ، الى أن فرغت أخيرا من صنع سلة جميلة ، زينتها بالورود والرياحين ولم تنس أن تلصق بها بطاقة صغيرة ، ضمنتها كل ما يحمله قلبها من حب لصاحبة الهدية : « إلى أمي التي أحبتها ، وسأظل أحبها دائما ، ولن أنساها ما حييت ! »

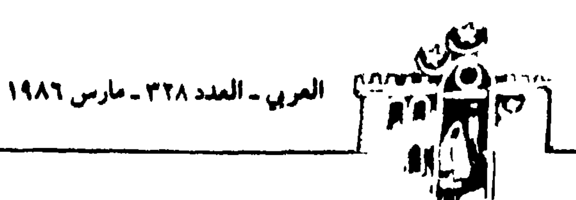
وحملت الصغيرة سلتها ، واتجهت الى حيث بدأت الفتيات يتجمعن في قاعة الاحتفالات التي ستستقبل فيها الصغار أمهاتهن بعد ساعات قصيرة عندما ينتهين من حفظ الأناشيد التي أعدتها مدرسة الموسيقا لتحية الأمهات

وحان موعد بداية الحفل وبدات الأمهات يصلن الى القاعة التي امتلأت باقات الزهور والهدايا ، التي صنعتها الأيدي الصغيرة في الصباح وجلست الطفلة تحتضن سلتها في ركن من القاعة تنتظر كانت عيناها الصغيرتان الجميلتان ترقبان الوجوه ، وكأنها تبحث فيها عن شيء افتقدته ومضت بضع دقائق وهي جالسة في مكانها لم تبرحه شيء واحد فاتها أن تلحظه إنه عيون مدرستها التي كانت ترقبها عن بعد دون أن تدري !

وفجأة رأيتها تقوم من مكانها ، وهي مازالت تحتضن سلتها الصغيرة ، ثم راحت تشق طريقها وسط الزحام ، الى أن وصلت الى الباب الخارجي وسألتها مدرستها التي كانت تقف على مقربة منها « الى أين أنت ذاهبة ياعزيزتي ؟ » .

سأعود بعد قليل . لقد تذكرت شيئا مهما سأعود حالا ! قالتها في براءة ، ولكن في صوت تخنقه العبرات ! ولكنها لم تعد لقد تذكرت فجأة أن امها لن تحضر . وأنها لن تنعم بالسعادة التي تنتظر بقية زميلاتها في المدرسة ، في هذا اليوم الذي قضت أسابيع طويلة تستعد له قبل أن يجيء !

وخرجت الى الشارع . وراحت تتطلع حولها لقد أوشكت الشمس على المغيب وأحست برعشة تسري في جسدها الصغير النحيف ، رغم دفء الربيع الذي كان قد بدأ لتوه . . ووقفت



ـرهة تتأمل الطريق الطويل الممتد أمامها ، وأحفلت انها لن تستطيع أن تقطع هذه الرحلة الطويلة ، عائدة وحدها الى البيت فقد أحست برغبة شديدة في أن تعود الى بيتها ، والى عرفتها الصغيرة ، ولكنها ما لبثت أن تراجعت عن تنفيذ فكرتها فالطريق طويل موحش ، وقد لا تقوى على المضي فيه الى نهايته . وهمت بالعودة مرة أخرى الى قاعة الاحتفالات ولكنها ما كادت تفعل حتى رأت صديقتها الطيبة مدرسة اللغة العربية تقترب منها ، وتمسك بيدها وتسألها « لماذا تركت الحفل ياصغيرتي ؟ ان الجميع يسألون عنك هل أستطيع أن أفعل شيئا هل تريدين مساعدتي ؟ »

ـ نعم أريد أن أعود الى البيت ، الآن !

وقالت المدرسة على الفور « لقد أنهيت عملي ، وأستطيع أن أرافقك في رحلة العودة الى البيت اذا شئت ما رأيك ؟ » وتهلل وجه الصغيرة فرحا فقد كانت تحب مدرستها ، وقد وجدت فيها خير أنيس لها على الطريق !

***

وسارتا معا وقد أمسكت باحدى يديها ، بينما شغلت يدها الأخرى بحمل السلة الصغيرة ، التي أمضت ساعات طويلة في صنعها لتقدمها هدية للأم التي لن تكون هناك !

وقادتهما أقدامهما الى حديقة صغيرة . تقع على جانب من الطريق ، وقالت المدرسة تسأل صديقتها الصغيرة :

« ما رأيك لو جلسنا هنا فترة من الوقت نريح فيها أقدامنا المتعبة ؟ »

وفرحت الطفلة وجلستا على احدى الارائك الصغيرة ، التي تنتشر حولها الزهور ولكنها قبل أن تجلس خطر لها أن تقطف زهرة جميلة أعجبتها ، ثم أسرعت تضعها في السلة التي كانت تحملها !

وقالت المدرسة « لماذا قررت فجأة العودة الى البيت ؟ هل قالت لك أمك انها لن تتمكن من الحضور ؟ لقد كنت تعملين في حماس شديد هذا الصباح وأنت تعدين هذه السلة الجميلة التي ستهدينها اليها فماذا حدث ؟ » .

ولم تدرك المدرسة أنها بحديثها هذا قد نكأت الجرح الذي كان قد توقف عن النزف منذ شهور طويلة فقد انفجرت الطفلة تبكي ، ولكن في صمت ، كما لو كانت لا تريد أن يكتشف أحد دموعها ، التي كانت تغرق عينيها الجميلتين !

وأخرجت صديقتها الطيبة منديلها تجفف به دموعها ، واقتربت منها تضمها اليها ، وتطبع على جبينها قبلة ، وضعت فيها كل ما تحمله لها من حب وحنان !

وانقضت بضع لحظات ، قبل أن تستعيد الطفلة هدوءها وتتكلم . قالت « لا ياسيدتي ليس الأمر كما تتصورين لقد فقدت أمي منذ بضعة شهور خلال العطلة الصيفية ، بعد مرض لم يمهلها طويلا وحزن أبي على رحيلها حزنا شديدا ، وجاءت جدتي لتقيم معنا بعض الوقت ، فقد كانت شقيقتي الصغرى في حاجة الى رعايتها ، ثم حملتها وعادت بها الى بيتها ، وتركتني أنا مع أبي الذي كان لا يكف عن رجائها في أن تسمح لي بالبقاء معه ، وكان يقول لها انه في حاجة الي ، فهو لا يستطيع أن يعيش في هذه الوحدة ، في هذا البيت الكبير الذي تركته أمنا ورحلت عنه اني أعيش مع أبي الآن ، وهو رجل طيب يحبني ويعطف علي ، ولكني أفتقد أمي ! هل صحيح أنها لن تعود الينا مرة أخرى ؟ اني أرفض أن أصدق أنني لن أراها ثانية ؟ في هذا الصباح صحوت من نومي وأنا أشعر كما لو كنت على موعد معها مع أمي وقضيت النهار كله انتظر اللحظة التي سأراها فيها ولكنها لم تأت لقد كنت جلست في ركن من قاعة الاحتفالات ، أرقب وجوه الأمهات اللواتي جئن للاحتفال مع ابنائهن بهذا العيد ، الذي كنت أنتظره كل عام كنت في كل لحظة يفتح فيها الباب لاستقبال احدى الأمهات ، أتوقع أن أرى أمي قادمة الي مادة ذراعيها لتحتويني بهما ، وتضمني الى صدرها الحنون ثم أدركت في النهاية أنني كنت أعيش مع أحلامي !

وعادت الصغيرة تجفف دموعها ، وتلقي برأسها على كتف مدرستها التي احتضنتها في حنان ، ثم راحت تحدثها قالت « انت طفلة جميلة ياابنتي ، كم كنت أود أن أفعل شيئا لأجفف دموعك ، وأعيد الابتسامة الى وجهك في هذا اليوم ، ولكن رجو أن تعلمي أني أتمنى أن تكون لي طفلة مثلك قد لا تعلمين بأنني عشت طفولتي يتيمة الأب لم أر أبي ، فقد جئت الى هذه الدنيا بعد رحيله ولكن أمنا استطاعت أن تعوضنا عن الحرمان ، الذي كان من الممكن أن نعيش فيه كانت امرأة عظيمة ضحت بشبابها من أجلنا كنا أربعة أخوة ، ثلاثة أولاد وأنا ابنتها الوحيدة ورفضت أمنا أن تتزوج . فقد حملتنا الى بيت جدي لنبدأ حياة جديدة هناك ، والتحقت هي بوظيفة صغيرة كانت تدر علينا مبلغا متواضعا في أول كل شهر لا يكاد يكفي احتياجاتنا الخاصة وفي بيت جدي نشأت وكبرت وتعلمت معنى الحياة دون بالنسبة لي أنا وأخوتي ، أنا وأخا وصديقا ، كان يحبنا الى درجة العبادة . فقد كنا كل شيء في حياته وكنا نلجأ اليه دائما لحل مشاكلنا ، وكانت اسعد لحظات حياته هي تلك التي نصطحبه نحن فيها لقضاء اليوم على شاطىء البحر او بين أشجار الحديقة العامة . قد لا تصدقيني اذا قلت لك أننا كنا قريبين منه أكثر من أمنا ، التي كان عملها في البيت وخارج البيت يأخذ كل وقتها ، وخاصة بعد أن رحلت جدتنا . . هل تعرفين ماذا كانت نصيحتها الأخيرة لي . « الحياة رحلة ياابنتي إياك ان تتوقفي فيها ، واياك والبكاء على شيء مضى وانقضى واعلمي دائما أن الغد يوم جديد ، وقد تجدين فيه كل ما تحلمين به وتتطلعين اليه ! »

* * *

وأحست المدرسة أن شيئا مهما قد فاتها أن تلحظه . وهي ماضية في حديثها مع تلميذتها الصغيرة . ان الظلام بدأ يلف المكان حيث كانتا تجلسان ، ومازال الطريق طويلا ، ولابد ان تستأنفا رحلتهما الى البيت

ومشيتا ، وقد تأبطت الطفلة ذراع صديقتها وتعلقت به ، ولكنها كانت في هذه اللحظة تبتسم وقد بقيت الابتسامة على شفتيها الرقيقتين ، طوال الفترة التي أمضيتاها معا في مسيرتهما حتى الحديث نفسه الذي كان يختلط بالدموع خلال جلستهما الطويلة في الحديقة ، قد تغير ووصلتا الى البيت أخيرا وتعلقت عينا الطفلة بالمسكن الصغير الذي تعيش فيه مع أبيها ، فوجدت الأضواء تسعت منه على غير عادة واندفعت نحو الباب الخارجي تطرقه بكلتا يديها وفتح الباب ، ورأتها تقف أمامها وتفتح ذراعيها لتضمها الى صدرها انها جدتها العجوز الطيبة ، التي حملت شقيقتها الصغرة ، وجاءت لتمضي مع حفيدتيها الصغيرتين بضعة أيام ، تستعيد فيها ذكرياتها مع ابنتها التي رحلت تاركة وراءها هاتين الطفلتين الجميلتين اللتين أصبحتا كل دنياها

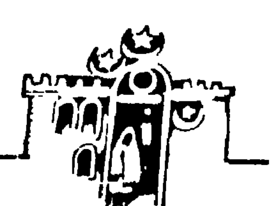
وعلى بعد خطوات من الجدة ، وقف الأب يحمل ابنته الصغرى ، ويدعو شقيقتها الى الاقتراب منه ، ليطبع على جبينها قبلة حارة

وكادت الطفلة تنسى مدرستها وصديقتها التي كانت مازالت تقف قريبة من الباب ، تحاول جاهدة أن تحبس دموعها ، وهي تتطلع الى صورة الأم التي رحلت ، وقد أحاطت بها باقة من الزهور ، جاء بها الأب ليقدمها لها في عيدها !

ودعتها الجدة الى الدخول وتذكرت الطفلة السلة التي قضت نهارها كله في صنعها وزخرفتها . وأسرعت اليها حيث تركتها أمام الباب عندما وقفت تطرقه بيديها

وحملتها وعادت بها الى جدتها ، وقالت وهي تلثم يديها بشفتيها « هذه هديتك انها هدية صغيرة كما ترين ، ولكني صنعتها خصوصا لك اليوم في عيد الأم انها لك ياأمي ! »

ومدت الجدة يديها تحتضن بها هدية حفيدتها ، وقد امتلأت عيناها بالدموع !





طبيب الأسرة

قضايا منزلية

أمراض الأبناء ومسؤولية الآباء

عندما يفتقر الأبناء الى عمق الادراك وحسن التصرف ، يصبح المرض قضية أسرية ، وعلاجه من مسؤولية الوالدين .

واذا كانت قضية حب الصبا هي مشكلة الأبناء فإن علاجها يقع على عاتق الآباء والامهات ، لأنها مشكلة جسدية ونفسية ومن مشاكل الأسرة في عرف الطب الحديث

حب الصبا وهو المرض الشائع باسم حب الشباب ، أو مايعرف في العربية الفصحى باسم (العُدّ) وهو البثور التي تظهر في الوجه ، ويعتبر هذا من مشاكل المراهقين في البلوغ ، اذ يصيب مايقدر بنسبة خمسة وسبعين بالمائة من الصبيان، فيما بين السنوات العشر والعشرين من أعمارهم،وهو لايفرق بين ذكر وأنثى ، الا في احتمال ظهوره عند الاناث مبكرا عن الذكور ، وحب الصبا (أو حب الشباب) يعتبر في عرف الطب تطورا طبيعيا ، لأنه من سمة التحولات الجسمانية التي تطرأ على البدن عبر مرحلة البلوغ ، بسبب الفورة الهرمونية الجنسية ، وخاصة هرمون التستوستيرون (هرمون الذكورة) حيث ان الخصيان لايعانون من ظاهرة حب الشباب هذه بأية صورة كما هو حال الأسوياء ، هذا الى أن زيادة تعاطي هذا الهرمون سواء بطريق الحقن أو نتيجة ورم في الغدد الصم المفرزة لهذا الهرمون ، يصاحبه نوعه في الطفح الجلدي المميّز لحب الصبا

واذا كانت ظاهرة حب الصبا أو حب الشباب تعتبر رد فعل طبيعي للتغيرات الهرمونية الجنسية المصاحبة لسنوات المراهقة فإن مضاعفاتها ، وخاصة التهاب الطفح منها ، تعتبر مرضا يستحق العناية من وقاية وعلاج ، هذا الى أن تجاوز مرحلة المراهقة يعني نهاية لمشكلة حب الشباب ، لهذا قل من يبقى المرض على جلدهم عقب استقرار النمو الذي يصاحب مرحلة البلوغ ، اذ غالبا ماتختفي بثور حب الشباب وحبيباته في أوائل سنوات العشرينيات من العمر ، ولكن

حويصلات صديدية تترك ندبا وحفرا من أثر التليف .

علاج حب الصبا (حب الشباب)

من المتفق عليه أن الزمن هو العلاج الحاسم لحب الصبا ، لأنه لايوجد أي علاج يوقف هذه الظاهرة عند حد معين ، الا باستقرار الثورة الهرموبية الجنسية ، ، هذا الى أن الأمر يعتمد على حساسية الفرد ، واستعداده الشخصي الموروث ، لهذا يختلف العلاج من شخص لآحر . غير أن هناك قواعد عامة يمكن اتباعها وهي .

١ ـ غسل المناطق المصابة بالماء الدافىء والصابون مرتين يوميا لازالة الزوان أو الأنصال ، وبهذا تنتهي المشكلة التي لم تبدأ بعد .

٢ ـ استعمال الدهانات التي يصفها الطبيب المختص ، والتي لاتعدو أن تكون عقاقير تذهب بالطبقة الخارجية للجلد ، أو مضادات تحُد من حالات الالتهاب الميكروبي .

٣ ـ تحاشي بعض الأطعمة التي يعتقد أن لها دورا مثيرا لنشاط حبوب الصبا ، وأهمها الشيكولاته والقهوة وأشربة الكولا والأسماك وكل الأطعمة والعقاقير الحاوية على عنصر اليود ، وكذلك التوابل والحليب والفواكة الحمضية .

٤ ـ الاستفادة من الوسائل الطبيعية كاشعة الشمس وكمادات الماء الدافىء وما اليه .

ومن الجدير بالذكر أن نحذر أصحاب المشكلة من العبث في المنطقة المصابة بأصابع اليد ، وعدم التعرض للاتربة والأجواء القاسية ، كما يجب أن ننبه الى عدم جدوى الفيتامينات أو الهرمونات في علاج حب الصبا ، والى الأشعة السينية التي قد يصفها البعض ، ولكنها قد تضر أكثر مما تفيد وتنفع .

ان حب الصبا في أطواره الأولى يعتبر اليوم ظاهرة طبيعية ، غالبا مايحيلها الصبي بجهله وعبثه الى قضية مرضية . □



لايعدم أن تبقي نسبة ضئيلة من الناس ممن يصاحبهم المرض الى أبعد من هذا السن المألوف لنهايته .

والمشكلة أساسها تبدأ بزيادة نشاط الغدد الدهنية ، المرافقة لبصيلات الشعر ، في منطقة الوجه والكتفين والصدر والظهر ، مما يؤدي الى افراز دهن وافر يختلط مع المادة القرنية للجلد ، لتتكون من المزيج سدادة صلبة ، ومن تعرض السدادة (المكون من المادة القرنية والدهنية) للشمس والهواء تحدث تغيرات كيميائية تؤدي الى تغير اللون نحو السواد ، وهذا مايعرف بالزوان أو النصل Comelan ، والى هذا الحد يعتبر الأمر طبيعيا لاضرر منه ولاضرار ، غير أن رغبة الصبيان في العبث بهذا النصل ، وجهلهم بعواقب الأمر ، واعتقادهم أن البذور السوداء (الزوان أو الأنصال) هي حبيبات قذرة لابد من ازالتها ، وخاصة أن هناك رغبة ملحة داخلية تحكم عبث الصبيان بالبثور ، مما يؤدي بالتالي الى تسرب المادة الدهنية القرنية الى طبقات الجلد فيما تحت البشرة ، وينتهي الأمر الى الالتهاب اللاميكروبي ، واذا تلوثت (وما أكثر ماتتلوث) تنتهي الى

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة .

صمور العين

* الاخ ي س - اديو - سوريا

- ربما كان من الاصلح عرض الامر على احصائي العيون لمحصك قبل اي نصيحة معتمدة حيث يبدو أن الاصابة قديمة تجاورها وقت العلاج بعد ان صمرت

مرض السيدا ومرض الخنث

* الاخت ناجية مصطفى - المغرب

- مرض السيدا هدا اصطلاح يطلق على مايعرف بمرض الايدس وكلاهما مؤلف من أربعة حروف هي اول اسم المرض المعروف بظاهرة نقص المناعة المكتسبة بسبب اصابة المريض بفيروس معين ، اما عن الخنث فهو تشبه الرجل بالمرأة وهدا مرض احتماعي ونفسي ويقال انه وراثي

الزواج افضل الحلول المشروعة

* السيد م . م ع - شبرا - مصر

- ان زواجك هو افضل حل لمشاكلك

الثدي الصغير

* الاخت س س - مصر .

-حجم الثدي اساسه ترسبات دهنية لاعلاقة لها بوظيفة الثدي ولاكفاءته ولايرتبط بقصية الانجاب انما هو أمر مظهري فقط فالثدي الضخم لايدر لبنا اكثر من الصغير ولا صاحبته اخصب من صاحبة الثدي الضامر

الشيب المبكر

* السيد ن ع ج س - الدار البيضاء - المغرب

اغلب الشيب المبكر وراثي السبب ، وربما كان سببه ضعف او مرض يؤثر على قوة بصيلات الشعر مما يحتاج الى فحص مباشر من مختصي الأمراض الجلدية فراجع احدهم

شعر زائد

* ب ش - المغرب - مكناس

- امرك يحتاج لمراجعة مختصين في الأمراض الجلدية والتناسلية لمادا لاتستشر احدهم

التمزق العضلي

* السيد محمد ت الاذقية

- التمزق العضلي هو - كما يوحي اسمه جروح وتهتكات في ألياف العضلة الداخلية . والتمزقات تتفاوت حجما وشدة ولكل منها حكمه الخاص ، غير أن الراحة أهم اسباب العلاج ، ولاتظن أن الامر يحتاج الى عشرات السنين

الهرمونات والشعر

* الاخ عبد المحسن ابراهيم - الرياض السعودية

- لانعتقد أن للهرمونات دورا في اضفاء النعومة على الشعر ، وربما كانت هناك دهانات لعلاج تجعد الشعر ولكنها مؤقتة الاثر ، والافضل أن تعرض الأمر على اخصائي الامراض الجلدية فهو اقدر على حل مشكلتك بعد الفحص

مساحة وُدّ

السيد الرئيس

مجنون مستبد طاغ ، شهواني ، يقتل بالسهولة التي يتناول بها طعام افطاره ، ويصدر قراراته الدموية بالرقة والهمس اللذين يخاطب بهما النساء ويستمع الى الموسيقا
حـوّل وطنه الى جحيم ومرتع للصوص والقتلة والمأجورين . . . معاونوه مسخ آدمية مشوهة حزينة مرتشية

ومـواطنوه . مقهـورون مهانـون . مذلـون . يحلمـون بـالجمـال والحق والخير . والأرض والطير سجونه مليئة بشعراء ومثقفين ورجال دين رفضوا أن يصلّوا له بدلا من الله

وفي محاكمه الصورية تغيب شعارات العدالة ، وترتفع شعارات أكثر قسوة وظلاما من ظلم الدنيا . ففي هذه المحاكم من الأفضل أن تكون مذنبا عن أن تكون بريئا ولا ترضى عنك الحكومة

عن هذا العالم المرير والمفعم بأحلام الخلاص والتحرر ، كتب ميغيل انخل استورياس روايته « السيد الرئيس » منذ أربعين عاما ، وكتبها المؤلف بالأسبانية لغة موطنه « جواتيمالا » وحصل بسببها على جائزة نوبل للآداب ، ورغم ذلك لم تقدم لقراء العربية الا في عام ١٩٨٥ .

والرواية واحدة من أفضل الـروايات التي قـرأت . وسطورهـا تنبض صدقـا وقسوة وعنفا وخلف القسوة تختبىء حقول الحنطة وصياح الديكة . وقطرات ندى في صباح جميل يشرق على الوطن .

ويبدو أن كل ما يدهشنا لأعوام طويلة قادمة ، سوف يـأتي من أمريكـا اللاتينيـة قارة المستقبل ، ولكن أكثر ما يميز هذا الابداع القادم من عالم بعيد عنا ، وأكثر ما يكون شبها بنا .
أقول ان أكثر ما يميزه هو هذا الصدق الفني العالي . . الذي يجعل من العمل الفني عملا أقرب ما يكون الى متلقيه . . وأكثر ما يمكن تأثيرا فيه ، حتى يستطيع أن ينقلك من عالمك الى عالمه . . فتعيش معه الفقر والموت والانتظار الأبدي في زنازين مغلقة ، لاترى فيها الا وجه الموت القادم . . وتحلق معه في عالمه . وتجري وتلهث كي تمسك بيدك ضفائر البنات الصغيرة ، وهن يجرين في الحقول بحثا عن زهرة احتضنت الشمس وعانقت طين الأرض ، ومنحت عطرها مواحا تحية حب وأنشودة عشق الى الوطن . . أي وطن . . وأي انسان في أي زمان . . وأي مكان ، وما أنبله من احساس يفجره داخلنا عمل فني صادق . . معيار تفوقه وشهادة بقائه هي قدر صدقه وروعته .

محمود عبد الوهاب



شعر : أحمد سويلم

قيل - حين استعدنا ملامحنا الضائعة -
قيل : (حلمٌ تجَسَّدَ
بعث جديد من الموت
وجه نديّ الملامح !)
أعلنت أنّ غداً لن يحلّ الشتاء
صدَّقتني الفراشاتُ وانطلقتْ
واستراحت طويلاً على حافة الضوء
فاحترقت وطواها الفضاء . .
صحت : إنّ غداً سيجيءُ بهوجِ الرّياح
كذبتني طيورُ الصباح
نقّرتْ الصغارِ النوافذ
فتّحت في البساتين كلّ الجفون . .
وتجيءُ الرياح
فاستحالت طيور الصباح
مِزَقاً من أسى وبقايا جراح

* * *

أسقطتني الوعود الشهّيةُ من شاهقٍ
للمهانة . .



أيتُ العيون تطاردنى .ـ
(أين حلمٌ جديدٌ . تجسَّد
بعثٌ جديدٌ ووجْهٌ نديُّ الملامح !)
عبرت البحار قطعتُ الفيافى أزلت التراب
ن كتاب الوصايا القديمة .
النَّخيل يصفق في الصحراء . ويثمرُ

والوطن الجدب يخصب ـ
والأرض تحضُنها فى اعتصارٍ ـ سواعدُنا
وتمدُّ لها النهرَ حبلاً من الوصل
والصبايا يُفسِّرنَ أحلامهُنَّ على الضِّفةِ العائدة !)
قف الآن . . أذكر ما قيل
أقرأ لوحَ الوصايا

كان يشغَلنى . . ويؤرق نفسى انطفاءُ القمر
كنت أشكو هبوبَ الرياح سقوطَ المطر
آن ـ من زمنٍ ـ أن نفيق على جسد الحلم
أن نَلُمَّ شظايا الوصايا القديمة
نزرعُ النَّخل والكلمات
نغيرُ مجرى الفصول .
آن من . . زمنٍ . . أن . . نفيق . !

مكتبة العربي



Energy, Economics, and the Environment

Conflicting Views of an Essential Interrelationship

Edited by Herman E. Daly and Alvaro F. Umaña

AAAS Selected Symposium 64

الطاقة والاقتصاد والبيئة

أعده للنشر : هرمان دالي وألفارو اومانا

عرض وتحليل : ياسر الفهد

ان القضايا المتعلقة بالطاقة والبيئة والتفجر السكاني والتضخم والبطالة أصبحت اليوم من الموضوعات الملحة التي لا تستأثر باعتمام رجل العلم والاقتصاد فحسب ، بل والرجل العادي الذى بدأ يشعر بوطأة الضغوط الناجمة عن الأزمة البيئية والمشكلات الاقتصادية

لقد ولّى زمن (الوفرة في المواد الاستهلاكية) ، وحل محله زمن (الندرة والضوابط الاقتصادية) الذي لم يعد بوسع الانسان في ظله أن يستمر في استهلاك



كتاب الشهر

كل ما يشاء من الغذاء والطاقة والمياه والمواد المختلفة دون حدود ، فقد أخذت الطبيعة تتململ من بذخ الانسان واسرافه ، وتتمرد على خططه وتدابيره ، وتضيق بتدخلاته في النظام البيئي وانهاكه موارد الأرض .

وقد تناول الكتاب الذي بين ايدينا هذه القضايا تناولاً جديدا ، وعالجها بطريقة علمية دقيقة والكتاب من (اعداد هرمان دالي) استاذ الاقتصاد في جامعة لويزيانا و (الفارو اومانا) استاذ الهندسة البيئية في جامعة كوستاريكا . وقد أسهم هذان العالمان ، أيضا في تأليف بعض فصول الكتاب ، إلى جانب خمسة مؤلفين آخرين من أرسخ المختصين في مجالات تخصصهم ، وهم . (كنث أرو) استاذ الاقتصاد في جامعة ستانفورد ، و (روبرت كوستانزا) استاذ الايكولوجيا في جامعة لويزيانا ، و (نيكولاس روبجن) استاذ الاقتصاد في جامعة فاندربلت ، و (بروس هانون) ، استاذ الطاقة في جامعة الينوي ، و (جارت هاردن) أستاذ الايكولوجيا البشرية في جامعة كاليفورنيا .

ويشترك هؤلاء العلماء السبعة في دراسة قضايا البيئة والاقتصاد والطاقة ومناقشتها . وعلى الرغم من اتفاقهم على معظم الخطوط الرئيسية في تشخيص هذه القضايا ومعالجتها ، الا أنهم يختلفون أحيانا في بعض الأمور ، كاختلافهم مثلا حول نظرية القيمة الخاصة بالطاقة التي يؤيدها كوستانزا ، في حين أن روبجن وأرو يرفضانها ، أما هانون فانه يدافع عن بعض جوانبها وينبذ جوانب أخرى منها . ويقدم لنا الكتاب طرقا جديدة مبتكرة لتناول ودراسة العلاقات المتبادلة بين مختلف فروع العلوم الطبيعية والانسانية ، كما أنه يتقصى العمليات الاقتصادية بمنظار اقتصادي - فيزيائي - بيولوجي . وهو يؤكد تأكيدا خاصا على العلاقة بين علم الاقتصاد وعلم البيئة . وهما كلمتان تنحدران من أصل لاتيني واحد . وكلا العلمين يعالجان قضايا انتاج وتوزيع الثروات بين شبكات معقدة من الأطراف المنتجة والأطراف المستهلكة

لم تكن العلاقة بين علوم الاقتصاد وعلوم البيئة متينة في الماضي . وخلال التطور التاريخي ، ولكن المشكلات العالمية الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية والبيئية والسكانية التقنية أدت الى نشوء تأكيد خاص على هذه العلاقة ويتفق مؤلفو كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مع باري كومونر مؤلف كتاب (الدائرة المغلقة) بشأن أخطار التقنية الحديثة ، فكلا الكاتبين يتحيان باللوم على هذه التقنية ويعدانها مسؤولة عن تلويث البيئة واستنزاف طاقاتها فلقد سمحت هذه باستثمار الطاقة والمواد الأخرى بطريقة خاطئة ، كما أدت الى ايجاد اكثر من مليون مركب عضوي صنعي لم تكن موجودة منذ عقود قليلة ، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار تلويثية هائلة ومن الأمثلة الواضحة على التحولات الخطيرة التي أحدثتها التقنية في العلاقات البيئية ، ازدياد تكاثف أوكسيد الكربون ، وتعاظم تأثير كاربونات الفلور في طبقة الأوزون وكلا الكتابين يرجعان السبب الرئيسي للأزمة البيئية الى نظام الانتاج الحالي ، الذي أفضى إلى تخريب القدرة الانتاجية - بعيدة المدى - للطبيعة ، والى تهديد حياة الكائنات الحية بالملوثات والفضلات

نقلات

من أبرز مميزات كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) أنه يحدد ملامح مفترقات جديدة في حياة البشرية ، ويرسم خطوط تحولات كبيرة في المجالين الاقتصادي والبيئي : فالعالم ينتقل الآن من مرحلة البيئة المفتوحة الى البيئة المغلقة ، ومن الاقتصاد الزراعي - الحيواني الى اقتصاد الفضاء ، ومن مفهوم التوازن في النشاط

قتصادي الى المفهوم التطوري ومن المؤكد أنه يكون لهذه النقلات الهامة تأثيرها الكبير في جميع جه حياتنا القادمة : ففي الماضي كانت البيئة أرضية مفتوحة تسمح للانسان بالاعتراف من واتها ، وكنوزها دون أية ضوابط مقيدة وكان شعار الاقتصادي السائد يدعو الى المزيد من الانتاج ريد من الاستهلاك ولكن بعد ظهور بدر نفاد حتياطي الوقود الحجري وبعد أن اكتشفت حقيقة قدرات المحدودة لكوكبنا الأرضي ، أصبح العلماء رون في هذا الكوكب بيئة مغلقة لا تسمح للعمليات لاقتصادية باستغلالها الى أمد غير محدود . ومثل هذه لبيئة تستلزم تقليص الانتاج والاستهلاك وضبط لطلب وخضوع الاقتصاد الى الضوابط الفيزيائية لكوكبنا الأرضي ، كما تقضي بتطوير طرق جديدة تقييم هذه الضوابط وتقييم الخدمات التي تقدمها بيئتنا الطبيعية وفي الماضي كان النجاح في الاقتصاد الزراعي والحيواني مرتبطا بارتفاع معدل الدخل الفردي ولكن اقتصاد الفضاء غير هذه النظرة ، وأصبح يدعو الى تخفيض هذا المعدل الى الحد الأدنى الكافي لإقامة الأود ، وتلبية الحاجات الفردية ان الاقتصاد الجديد يستلزم تبني مواقف جديدة تجاه الاستهلاك ، ومراجعة جدية لمفهومي التخزين والتدفق في العملية الاقتصادية ومن جهة أخرى ، فإن مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادي بدأ يهتز ، ويفسح المجال أمام المفهوم التطوري ، فقد كانت الفكرة السائدة أن الانسان يأخذ الطاقة والمواد المختلفة من الطبيعة ، ثم يعيدها لها في عملية مستمرة يمكن أن تدوم الى الأبد . وفي هذه العملية يظل النظام ثابتا والنشاط الاقتصادي متوازنا ، بحيث يعود دائما الى وضعه الأصلي بعد التغيرات التي تطرأ على الطاقة والمواد . والمفهوم الذي بدأ يسود الآن هو المفهوم التطوري الذي يفترض بأن الطاقة والمواد المختلفة تتعرض خلال العمليات المختلفة لتحولات لا يمكن قلبها واعادتها الى وضعها القديم . وهذا الاتجاه يؤكد حركة النظام خلال الزمن ، وما يصاحب هذه الحركة من تغيرات

اننا نأخذ من البيئة الطاقة والمواد ، ونعيد لها الملوثات والفضلات . فهل يمكن ان تسفر مثل هذه العملية الخاسرة بالنسبة الى البيئة ، عن توازن دائم ؟ ! ان المنطق يقول بأن هذا لابد أن يقود الى التغيير والتطور . وقد تناول الكتاب موضوع نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد من منظار واسع ، فالتطور هو المبدأ المنظم للبيولوجيا ولنظرية الحياة ، وهو يقترن بفكرة التغير مع الزمن

لقد تطور الكون وجميع الكائنات الحية خلال تاريخ طويل يعود الى (٢٠) بليون سنة ، وكان للطاقة والمواد المختلفة ، أيضا ، حظها من التطور الذي اتخذ اشكالا متعددة ، فهناك التطور الفيزيائي الذي قاد الى تشكل الذرات ، والتطور الجيو-كيميائي الذي أدى الى تكون النجوم والأرض والحياة ، والتطور البيولوجي الذي أسفر عن نشوء البُنى الحية المعقدة ، ومنها الانسان ، والتطور الاجتماعي الذي أوصل المجتمعات الى أوضاعها الحالية وكان التطور الاجتماعي أسرع بكثير من التطور البيولوجي . أما اول نظرية للتطور فقد انبثقت في عام ١٨٠٩ على يد لامارك الذي اعتقد أن التطور في الطبيعة سار من البسيط الى المعقد

وفي عام ١٨٣٨ ظهرت نظرية داروين المعروفة في الاصطفاء الطبيعي . وتتفق النظريتان على ان العالم ليس ساكنا بل يتطور باستمرار ، وأن هذا التطور بطيء ومستمر وفي عام ١٩٧٥ أطلق ولسون نظريته التي تركز على الدراسة المنهجية للأساس البيولوجي للسلوك . . والشيء المهم حسب هذه النظرية بقاء المورثات لابقاء الأجناس وبعد ذلك جاءت نظرية بولدنج في الديناميكا البيئية ، في عام ١٩٧٨ ، وهي تجمع التطور الفيزيائي والبيولوجي والاجتماعي ضمن اطار واحد ، وتدرس النظم التي تكوّن العالم على هذا الأساس الجامع . وعلى الرغم من بعض نقاط الضعف التي تتخلل هذه النظرية ، فان الفارو اومانا يرى فيها انحيازا عظيما .

ومايعنينا هنا بصورة خاصة أن الكتاب يطبق نظريات التطور على الاقتصاد ، وإحدى النتائج الهامة التي أسفر عنها هذا التطبيق نبذ مفهوم التوازن في النشاط الاقتصادي ، لصالح النموذج التطوري ، كما اسلفنا . لقد أصبحت نظريات التطور وعلاقتها بالاقتصاد مجالا للبحث النشيط لدى الدوائر العلمية ، اليوم . وهي بالاضافة الى الديناميكا

كتاب الشهر

الحرارية تشكل حلقة وصل هامة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية .

قوانين الطاقة

يولي الكتاب اهتماما خاصا للقوانين التي تعمل بموجبها الطاقة ، وهي قوانين الديناميكا الحرارية التي تمثل فرعا من العلوم الطبيعية يعالج تدفق وتحولات الطاقة . وتصف هذه القوانين مجموعة كبيرة من النظم كالنظم الكيميائية ونظم الكائنات الحية ونظم المعلومات ، وتفسرها وهي ضرورية لمعرفتنا بالكون ، ولكن اهميتها بالنسبة الى الكتاب تكمن في أنها تقدم أساسا صلبا لفهم النشاطات الاقتصادية وعلى الرغم من أن كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) مخصص لصفوة المتعلمين ، ويفترض أن يكون قراؤه من الحائزين على تحصيل علمي عال ، فانه مع ذلك يقدم شرحا وافيا لبعض القوانين العلمية والاقتصادية ، تسهيلا على القارىء العادي غير المتخصص علميا ، ومن ذلك مثلا شرح قوانين الطاقة مثل تحول الطاقة ، وعدم امكانية خلقها من العدم ، أو إفنائها ، ازدياد الانتروبيا (وهي مقياس للطاقة غير المستفاد منها في نظام ما) في العالم باستمرار وغيرها .

ويضرب الفارو اومانا مثلا لشرح هذين القانونين بعملية إحراق الفحم فالقانون الأول من قوانين الديناميكا الحرارية يقول لنا بأن كمية المادة والطاقة تبقى ثابتة ، قبل وبعد الحرق

أما القانون الثاني فيفيدنا بأن عملية الاحتراق أحدثت تحولا نوعيا ، فقد كانت هناك طاقة مختزنة في الفحم قبل الاحتراق ، يمكن استخدامها في عمل مفيد ، كتوليد البخار أو الكهرباء ولكن بعد عملية الاحتراق تفقد الطاقة المنطلقة هذه الميزة وتتبدد كحرارة في النظام ، وتتحول الى طاقة محروسة لا فائدة منها ومقياس هذه الطاقة في النظام الكوني هو الانتروبيا

يصنف الكتاب النظم تصنيفا يختلف عن التصنيفات التقليدية ، ويعتمد على أساس أدوار هذه النظم في تبادل الطاقة والمادة مع المحيط الخارجي وهناك حسب هذا التصنيف ثلاثة أنواع من النظم النظام المعزول وهو لا يتبادل المادة أو الطاقة مع البيئة ، والنظام المغلق ، وهو يتبادل الطاقة فقط دون المادة ، مع العالم الخارجي

وحسب هذا التعريف تكون الأرض نظاما مغلقا اذا صرفنا النظر عن بعض الاسهامات الضئيلة للغبار الكوني والشهب والنظام المفتوح ، الذي يتبادل الطاقة والمادة ، كلتيهما ، مع العالم الخارجي وتعد جميع النظم الاقتصادية والعضوية نظما مفتوحة لأنها تقوم بتبادل الطاقة والمادة مع البيئة

احتمالات المستقبل :

يطرح الكتاب توقعات تنطوي على شيء من التشاؤم بالنسبة لبعض المشكلات ، الا أن الطابع الغالب لهذه التوقعات يظل متسما بالتفاؤل . فالمؤلفون متشائمون من استمرار نفاد احتياطي الوقود الحفري ، وهم لا يتوقعون حلولا لمشكلات الطاقة وارتفاع ثمنها قبل مرور عقدين آخرين من الزمان ، على أقل تقدير . وهناك ايضا مشكلة ازدياد سيطرة الانتروبيا وتراكم الملوثات والفضلات .

ولا يتوقع المؤلفون حلا عاجلا لمشكلات البطالة في العالم ، لأن الوصول الى معدل أفضل للتوظيف لا يتحقق الا بزيادة الاستثمار . وللأسف فان زيادة الاستثمار تقود الى زيادة النمو . وهذا بدوره يؤدي الى زيادة التضخم والتلوث واستنزاف البيئة . وبتعبير آخر فان مشكلة البطالة لا يمكن أن تحل الا على حساب تفاقم مشكلات أخرى كالتضخم

الـذي يثقل كـاهل العـالم اليـوم ولا يتـرك مـريـدا لمستزيد ولكن من جهة ثانية ، فان الكتاب يفتح الكثير من منافذ الأمل بالنسبة للمستقبل ، ويرى مؤلفـوه أن الانســانيـة ستفلح في التغلب عـلى مشكلاتها ، اذا سيطر المنطق والعقل على أعمالها واستطاعت ابتداع طرق تقنية جديدة .

فاذا أصبح الانسان - مثلا - عاجزا في المستقبل عن استعمال الطائرات بسبب نضوب الوقود الحجري ، فان تطور التقنيــة سيمكنه من ساء صحون طائرة يسيرها نوع آخر من الطاقة وحتى بالنسبة لمشكلة التكاثر السكاني التي يكاد يجمع العلماء على أنها من أخطر المشكلات التي تقلق البشرية لكونها تتحمل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، قسطا من المسؤولية في تـأزيم مشكلات أخـرى ، كنقص الغذاء والـطاقة واكتظاظ حركة السير والتلوث والتضخم وغير ذلك ، فإن جارت هاردن ، أحد مؤلفي الكتاب ، يقدم لنا بشأنها وجهة نظر طريفـة متفائلة تختلف عن الآراء التقليدية . فهاردن يتفق مع هنري جورج الذي كان قد نادى منذ زمن طويل بدحض النظرية المالثوسيه ويرى هاردن ان انعدام العدالـة الاجتماعيـة وسوء التوزيع لا التفجر السكاني هما السبب الرئيـسي في كل مانعانيه ، وأن كل فم جديد يفد الى العالم ويريد أن يأكل إنما يحمل ايضا ساعدين جديدين قادرين على العمل وانتاج المزيد من الغذاء . واكثر من ذلك فان المؤلف يذهب الى أن زيادة السكان ، في حالة ثبات جميع العوامـل الأخرى ، هي في صـالح مستقبـل العـالم ، لأنها تؤدي الى الاسراع في عمليـة التقـدم العلمي والتكنولوجي والطبي ، أما بـالنسبة لنقص الغذاء فيرى جاردن بأن أحـد الحلول لهذه المشكلة يتحقق باعتماد بعض الدول التي يقل فيهـا الانتاج الغذائي على بعضها الآخر التي يفيض لـديها هـذا الانتاج . ويبدو لنا أن تفاؤل المؤلف بالنسبة للتفجر السكاني مبالغ فيه ، ومناقض لوجهـة نظر الكتـاب نفسه في البيئة المغلقة التي تستلزم الحد من الانتـاج والاستهلاك

وعلى كل فان الكتاب يدعو الى نـوع جديـد من التـقـنيــة الجديـدة يهدف الى تحـرير الانتـاج من الاعتماد على الطاقات المحترقة (الوقود الحجري) الى الطاقات المتدفقة بصورة طبيعية (كالطاقات الشمسية والريحية والمائية) ، أي الاتجاه نحو طـاقات يمكن تجديدها . وتنشر التقنيــة الجديدة أيضا تخفيض استهلاك المواد بواسطة زيادة كفاءة هذه المواد بحيث يمكن لكميـة صغيـرة منهـا أن تقـوم بمهمـة الكميـة الكبيرة .

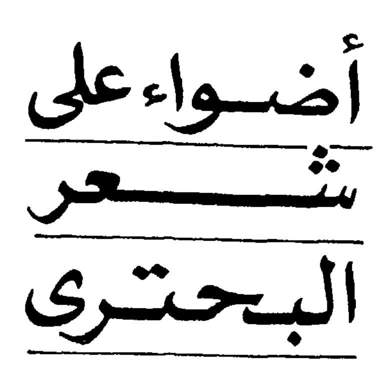
من هذا العرض السريع للأفكار الواردة في كتاب (الطاقة والاقتصاد والبيئة) ، يتبين لنا مدى أهميته فهو يعالج مشكلات آنية ملحة ، تشكل مصدر قلق للعـالم ليس في الحاضـر فحسب ، بل في المستقبـل أيضا ، ومن جهة أخرى يعالج هذه المشكلات من خـلال نظرة متكـاملة . ففي حين نجـد أن معـظم الكتب الأخرى تتصدى لهـذه المشكلات ، إمـا من وجهة نظر اقتصادية ، أو من وجهة نظر بيئية ، يرصد هذا الكتاب مشكلات البشرية بمنظار علم الاقتصاد البيئي ، الذى يصهر علوم الاقتصـاد والايكولوجيا والبيولوجيا والكيمياء والفيزياء في بوتقة واحدة . □

الأخلاء الثلاثة

قال أحد الحكماء : للمرء ثلاثة أخلاء :
خليل يقول له أنا معك حيا وميتا ، وهو عمله ، وخليل يقول لـه أنا معـك حتى تموت ، وهو ماله ، وخليل يقول له : أنا معك حتى باب قبرك ثم أخليك ، وهو ولده .



من المكتبة العربية



أضواء على شعر البحترى



بقلم : عبد الرزاق البصير

هل يمكن فصل مادة الابداع عن مبدعها ؟

وهل يمكن أن ينظر الى المادة الابداعية دون النظر فى ظروف العصر الذى أبدعت فيه ؟

ربما ترى بعض المدارس ذلك، وتعارضها بطبيعة الحال أخرى . فكيف نظر الباحث والكاتب د . خليفة الوقيان لشعر البحترى ؟ ومن أية زاوية فنية درسه ؟

حينما تلقيت هذا الكتاب * ، وجدت نفسى تتساءل عن السبب الذى دفع المؤلف الى اختيار دراسة هذا الشاعر من بين شعراء العصر العباسى ، على الرغم ممن فيه من الشعراء المتفوقين ، وقد اعتقدت أنى أجد جواب هذا التساؤل فى المقدمة التى صدّر بها المؤلف كتابه ، ولكننى لم أجد شيئا من ذلك ، فلم أستغرب لأنى أعرف بأن طبيعة المؤلف تميل الى أن يكون القارىء قادرا على أن يستكنه بنفسه هذا السبب وغيره من الأسباب ، وليس من شك أن هذا الاسلوب يدل على احترام المؤلف لقرائه ، وأنه يريد منهم أن يكونوا متعمقين فى ما يقرأون ، ومهما يكن من شيء فإن تمهيد المؤلف يدل على أن مؤلف الكتاب يعتقد بأن النقاد الأقدمين أو معظمهم على الأقل ، وقفوا عند ساحل شاعرية الشاعر دون أن يتعمقوا في لجة بحره ، ذلك أننا نجد المؤلف يقول : ان قضية السرقات فى الشعر قد شغلت النقد العربى ،

* شعر البحتري - دراسة فنية - د خليفة الوقيان

واسترفت جهود النقاد ، وهذا نهج يجعل الناقد غير متحرر فى دراسته ، لأن همه سيحصر فى تتبع الشعراء ، بقصد الكشف عن الشبهات وتصيدها لاثبات سرقاتهم

لهذا احتهد أديبنا بأن تكون دراسته لأبي عبادة الوليد دراسة فنيةدقيقة ، وهو نهج لا بد وأن يكون قد كلف الدارس بأن يتحمل مشقة فى بحثه هذا

دفاع عن البحتري

في تصوري أن الدكتور خليفة امتلأت نفسه اشفاقا على البحتري ، لأنه يعتقد بأن شاعرنا قد ظُلم من أنصاره وخصومه على السواء ، فهو فى نظر أنصاره أعرابي الشعر ، ولم يفارق عمود الشعر ، وتلك الصفة فى نظرهم فضل يضاف اليه ، وهو فى نظر خصومه ساذج الصنعة كثير السرقة غير أن المؤلف يرى بأن البحترى كان مجدداً فى وسائله الفنية ، بالقدر الذى يجعله يمثل كل ما طرأ على عصره ، وذلك مما يقتضى توجيه الدراسة الى شعره بمنأى عن الاعتبارات الخارجية ، التى كانت تكيف الحكم عليه ، وفى تقديرى ان هذا النهج ليس مقصورا على البحترى ، بل يشمل المبرزين من الشعراء الذين شُغل النقاد الاقدمون بدراسة شعرهم .

ويبقى السؤال الذى طرحته فى أول هذه الكلمة معلقا دون جواب ، غير أنى لا أستبعد أن يكون الباحث قد أحب شعر أبى عبادة وانسجم معه ، لما فى شعر هذا الشاعر من وضوح واشراق . وأنت حين تقرأ ديوان الوقيان ،لا تجد فيه أى غموض ، ولا يتسع المجال للحديث عن تأثر الشاعر بشاعر آخر ، وقد ذهبت الى هذا الرأى لأنى وجدت المؤلف يترجم للبحترى بصورة تشهد بأن له فى قلبه مكانة خاصة ، وكمثال على ذلك بالاضافة الى ماتقدم ، نرى كاتب البحث ينتقد الذين يصفون البحترى بالبداوة ، اذ أنهم ربما كانوا يقصدون بأن البحترى ضعيف الخيال جافى الطبع ، كما هى الصفات الغالبة على من تطلق عليه هذه الصفة .

فالمؤلف يرى أن البحتري أخذ صفاء البداوة وتجربة الحضارة ، وهكذا يأخذ المؤلف فى الاعتذار عن كل ماذكره خصوم الشاعر ، من وصف غير لائق بشاعر يعد من أكابر الشعراء ، فقد رووا عنه بأنه قليل العناية بملابسه وانه مذّل نفسه الى حد يجعله ثقيلا على من يسمعه حين ينشد شعره ، وقد أوردوا قصصا يطول ذكرها ، ولكن المؤلف حمل يفندها بحجج قوية مقنعة ، وهذا نهج يدل على أن الباحث يقدر البحترى أعظم التقدير ، مما يجعل لبحثه ميزة تنجذب اليها نفس القارى ، فنحن نعلم أن كثيرا من الباحثين درسوا هذا الشاعر ، ولكنك حين تقرأ لهم ، ترى كأنما كتبهم نسخة واحدة ذلك أنهم أخذوا ما قاله خصوم الشاعر أخذ المسلمات ، وقد تبسط الباحث فى الدفاع عن الشاعر حيث نراه يحقق فى مذهبه تحقيقا فيه دقه وأناة ، مرتكزا فى ذلك على أدلة تشهد أن أديبنا اجتهد فى الدفاع عن الشاعر ، فقد أراد خصومه أن يثبتوا أنه معتزلى ، وأراد بعضهم أن يثبت بأنه متعصب ضد العلويين ، لكن المؤلف أثبت أن ميل الشاعر أقرب الى أهل البيت منه الى أى مذهب آخر .

القصيدة السينية والعروبة

وقد كان الباحث موفقا حين دافع عن عروبة البحترى ، مرتكزا على ما جاء فى سينيته المشهورة ، عندما وقف على ايوان كسرى ، تلك القصيدة التى اعتمدها خصومه على أنها دليل على ضعف عروبته ، وكم تكون خسارتنا كبيرة لو ثبتت حجج القائلين بشعوبية الشاعر ، لأن شاعرنا ينتمى الى قبيلة طىء اليمانية ، فإن من الفجيعة أن يتنكر شاعر مثل البحترى لعروبته ، على أنى أود لو أشاد المؤلف بعينية البحترى أكثر مما فعل ، فكنت أود أن يدعوا الى أن تكون هذه القصيدة من محفوظات ناشئتنا فى جميع أنحاء الوطن العربى ، الذى أصبح الدم العربى يراق فيه بأيد عربية ، فانه لا يكفى أن ينوه الباحث عن هذه القصيدة بأنها لوحة مؤثرة ، فان هذه القصيدة تعتبر دعوة لكل عربى بأن لا يطيع من يأمره بقتل أخيه العربى .

وهل يوجد أشد تأثيرا فى النفس العربية من قول البحترى فى عينيته

تقتل من وتر أعز نفوسها
عليها بأيد ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر أرماح تقطع بينهم
شواجر أرحام ملوم قطوعها

ولست أستبعد أن يكون التوجه العربي المكر والحس الناصع ، من حملة العناصر التي حثت البحتري الى كاتب هذا البحث ، فان النزعة القومية هي أحب الأشياء الى نفسه . يضاف الى ذلك أن البحتري يتصف بصفاء الطبع وسهولة المأخذ ، فقد انقادت اللغة العربية لشاعرنا ، ولعل طواعية اللغة العربية لديه مما يؤكد انه يمتلك ثروة لفظية كبيرة ، يتصرف فيها بيسر ، ويوجهها دون عناء . وقد أعجب به اللغويون الذين يتشددون عادة في محاسبة المحدثين

ذلك بعض ما ذكره الباحث من أوصاف البحتري ،وهو دليل واضح على اعجاب الدكتور خليفة الوقيان بشعر البحتري . ولا تنقاد لغة القرآن الا لمن اتسعت ثقافته في التاريخ والفلسفة . اذ أن البحتري عاش في عصر امتحنت فيه التيارات الفكرية والفلسفية ، بحيث لايستطيع أي مثقف يجالس الخلفاء والوزراء فيصبح نديمالهم ،الا بعد أن يتمثل تلك التيارات ، فتبرز في آثاره الأدبية، ذلك مافصّله المؤلف عندما تحدث عن ثقافة أبي عبادة ،غير أني كنت أود لو أوضح لنا المؤلف وجهة نظره حول أي الاتجاهين يميل ، فهناك اتجاه يذهب الى الاستعانة بالمنطق والفلسفة ، ويميل الآخر الى البعد عن تلك المؤثرات . لأن كاتب البحث قادر على أن يرجح أحد هذين الاتجاهين ، لما له من يد طولى في نظم الشعر الرفيع ، ولقد كان الباحث محقاً عندما اجتنب تطبيق مقاييس هذا العصر ومفاهيمة على البحتري كما يفعل كثير من النقاد ، لأن ذلك تكلف أو تعسف غير معقول ، فلكل عصر مفاهيمه ومقاييسه في كل شأن من الشئون ، منها أن فن الشعر كان فيما مضى مسخراً لذوي الجاه والسلطان ، وهذاأمر متفق عليه فيما مضى من العصور ، أما في هذا العصر فان من الشعر ما قد سخر لقضايا الشعوب ، ولكن بعض النقاد يأخذ على شعرائنا الأقدمين سلوك هذا النهج .

العروبة والقبيلة

ومن الملفت للنظر أن المؤلف تنبه الى أن مديح البحتري لقبيلة طيىء يمتاز على غيره من المدائح ، لأنها قبيلته ، وله الحق في أن يتجه هذا الاتجاه

يقول المؤلف : « يلاحظ أنه يخاطب ممدوحيه من الرؤساء والقادة الطائيين خاصة والعرب بعامة بعاطفة صادقة ، ويجهد في ابراز فضائلهم بشكل يختلف عما يفعله مع بقية ممدوحيه » وهكذا نجد المؤلف يلح في ابراز عروبة البحتري ، بتوظيفه مدائحه للمتوكل وغيره من الخلفاء للدفاع عن قومه ، والتوسط لدى الخلفاء والوزراء والقواد للعفو عنهم حيث تلم بهم الأحداث على شاكلة قوله

قرابتك الأدنون من حيث تنتمي
وجيرتك الداني اليك بعيدها
أتهدم جرفيها وطورك طورها
وتنحت فرعيها وعودك عودها

وليس من المبالغة في شيء اذا قلت ان هذين البيتين وأضرابهما من شعر البحتري ، يحتويان على نداء عربي قوي يمكن أن يوجه إلى كل عربي يشهر سلاحه في وجه أخيه العربي في كل عصر من العصور . واذا ما أردنا أن نتعرف على شعر البحتري من الناحية الفنية ، فاننا نجد أديبنا قد تبسط في الحديث في هذا الجانب ، ولا غرابة في ذلك ، فان تذوق الشاعر النابه للشعر يمكنه من تبينّ ما لصاحبه البحتري من ميزات لا يكاد يتعرف عليها غيره .

وقفة قصيرة

ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نتتبع ما ذكره المؤلف من ميزات البحتري ، ولكن أود أن أقف وقفة قصيرة جداحول ما ذهب اليه المؤلف من تفضيل البحتري على سائر الشعراء في قدرته على الوصف ، فهو يرى أنه أقدر من غيره في هذا الجانب ، معتمدا على تذوقه الخاص ، بالاضافة الى ما قاله النقاد المحدثون ، من أنه شاعر وصّاف ، بما له من شهرة

تذوق المرثيات ، بجمال فنه ، وأنه فريد الوصف جيده ، ولعل شاعرا شرقيا لم يصل الى مستوى البحترى حين وصف مظاهر الحضارة ومباهجها وكل ما يتصل بها .

فما من شك أن أبا عبادة لطيف الديباجة سلس فى أسلوبه ، له قصائد ممتازة فى الوصف ، كقصيدته التى يصف بها الربيع ، فما من متذوق للشعر الا ويترنم بها حين يتاح له أن يتحول فى روضة باكرها الربيع ، فأصبحت ترقص أشجارها وجداولها وتغرد بلابلها ، هنا لا بد له من أن يتغنى قائلا

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالامس نوّما

ولكنى مع هذا كله أعتقد أن شاعرنا البحترى لا يتفوق على ابن الرومى فى قدرته على الوصف ، فانك حين تقرأ لابن الرومى ترى أمامك مصورا قديرا يرسم ما يختلج فى النفس من أحاسيس ، كمايرسم مشاهد الطبيعة بطريقةينقلك معه الى تلك المشاهد الحسية والمعنوية ، والشواهد كثيرة على ماذكرت ، كمقطوعته التى يصف بها الخباز عندما يصنع الخبز ، والمقطوعة التى يصف بها الأحدب ، وغير ذلك كثير . أما وصفه المعنوى فانك تجده مبثوثا فى ديوانه ، ولعل قصيدته التى يرثى بها ابنه الأوسط من أقوى الأدلة على ماذهبت اليه والتى مطلعها .

بكاؤكما يشفى وان كان لا يجدى
فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وقصيدته التى يصف بها وحيد المغنية ومطلعها

ياخليلى تيمتنى وحيد
ففؤادى بها معنّى عميد

ففى هاتين القصيدتين صور واضحة للأحاسيس المادية والمعنوية :

ولا يعنى ماذكرته أنى أغض من قدرة شاعرنا الطائى على الوصف ، وما يتضمنه شعره من رقة وموسيقا تجتذبان اليهما نفس المتذوق للشعر ، كلا . . . فانى لم أقصد الى شىء من ذلك ، وانما الذى قصدت اليه هو أن أشير الى أن فى عصره من يضارعه فى قدرته على الوصف .

وفى هذاالكتاب فصول غنية لا أستطيع ان ألم بها فى هذه الكلمة الموجزة ، ويكفى أن أشير الى حلاته لقضية أدبية مهمة ، وهى ان لأشعار بعض الأدباء أثرا فى النفس لانستطيع أن نفهم سرها وكل مانعرفه أنها تمتزج فى النفس امتزاج الماء النمير فى قلب الظمآن ، وقد أعلن هذه الحقيقةكبار النقاد فى الشرق والغرب ، كذلك أشير الى وقفة الباحث حول ما قاله بعض القدامى ، من أن البحترى اتجه الى ترقيق لفظه وتسهيل صياغته القديمة وتهذيب معانيه ، استجابة لنصيحة الفتح بن خاقان ، كى يوافق هوى المتوكل ، هنا ينبرى المؤلف بصورة حازمة فى الرد على هذا الزعم فيقول :

انهم يطلمون الشعر كثيرا ، اذ يحيلونه الى حرفة ميكانيكية ، بامكان الشاعر أن يتصرف فيها ويغير طبيعتها استجابة لنصيحة عارضة ، أو مناسبة مفاجئة ، فى حين تبدو عملية النظم أكثر تعقيدا من ذلك .

وبعد . . . فإن هذا الكتاب اضافة جديدة فى موضوع جالت فيه أقلام عشرات من الباحثين ، وهذا أمر لايقدر عليه الا القليل من الكتاب . □

خبز الروح

يقول أحد الفلاسفة : اذا كان اكتشاف الحبوب وصنع الخبز منها ، هو الانتصار الأكبر على الجوع ، فان الكتاب هو خبز الروح ، وهو الانتصار الأكبر للانسان على الجهل والعبودية .

مختارات

الكتاب : زائر المساء/ مجموعة قصصية
المؤلف / خليل السواحرى
الناشر / دار الكرمل للنشر والتوزيع / عمان .
عدد الصفحات / ٦٨ من القطع المتوسط .

هذه المجموعة الجديدة لخليل السواحرى استمرار لمجموعته « مقهى الباشورة » التى رسم خلالها جوانب من صور الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، لكن هذه المجموعة تتميز باحتوائها على قصص كتبت قبل الاحتلال ، وآخر ما كتب بعد الخروج / لتضيف ابعادا جديدة للهم الفلسطيني فى الزمان والمكان .

الكتاب / علم النفس التحليلي .
المؤلف / كارل غوستاف يونغ .
ترجمة / نهاد خياطة .
الناشر / دار الحوار ـ اللاذقية ـ سوريا .
عدد الصفحات / ٣٠٢ من القطع المتوسط .

احدى الترجمات القليلة ، لبعض أهم مقالات عالم النفس التحليلي الشهير كارل غوستاف يونغ ، تلميذ فرويد المتمرد .

ويجمع الكتاب فصولا تحمل الطابع العملى ، مثل تحليل الأحلام فى التطبيق العملى ، ومدخل الى علم النفس التحليلى ، الى جانب فصول أخرى ذات طابع ذهنى ونظرى ، مثل علم النفس والأدب ، والمشكلة الروحية عند الانسان الحديث ، اضافة الى موازنة بين يونغ وفرويد وثَبْتاً بمصطلحات علم النفس التحليلي كتبها المترجم .

الكتاب / سلاما أيها المسرحيون .
المؤلف / على مزاحم عباس .
الناشر / مطبعة العمال المركزية ـ بغداد .
عدد الصفحات / ١٠٠ من القطع الكبير .

تحت هذا العنوان وضع الناقد والكاتب المسرحى العراقى على عباس مزاحم مجموعة مقالاته ، التى سبق نشرها فى الصحف والمجلات العراقية ، حول المسرح العراقي ، قام بتنظيمها من خلال عناوين عامة ، مثل قضايا وظواهر المسرح ، وحكايات عيد المسرح ، والمسرح بين الكتابة والعرض ....

الكتاب / بلاي الرومى .
المؤلف / سيمون حايك .
الناشر / مطابع الكريم الحديثة ـ جونية ـ لبنان .
عدد الصفحات / ٢١٥ من القطع الكبير .

يذكر الدكتور حايك فى مقدمته لهذا الكتاب ، أن كلمة « هيستوريا » الاوروبية التى تعنى « تاريخ » ، هى فى الواقع كلمة أسطورة العربية ، ويضيف أن حادثا تاريخيا لم تختلط فيه الاسطورة بالتاريخ مثل حادث فتح الأندلس • ومن هذه النقطة يعيد المؤلف المشهد الاسبانى فى فترة الفتح الاسلامى وما قبلها ، بأسلوب جمع بين الأسطورة بمعناها الأدبى ، وبين الاسطورة باعتبارها تاريخا يرصد أحداث زمن خاص •

الكتاب : مناهج المستشرقين ـ جزءان .
المؤلف . مجموعة من الأكاديميين .
الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
عدد الصفحات : ١٠٧٢ من القطع الكبير

يقع هذا المجلد الضخم في مجلدين ، نشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بمناسبة الاحتفال بالقرن الهجري الخامس عشر . وفيه يتصدى عدد من الأساتذة الاكاديميين العرب لأراء المستشرقين في العروبة والاسلام والنبوة وغيرها من آراء ، مصوبين ما جاء في بعضها من آراء خاطئة ، ومبرزين بعض نقاط الضعف في مناهجهم ، في محاولة لاعادة الاعتبار للحقيقة التي لم يتمكن بعض المستشرقين من اكتشافها ، حول تاريخنا ومنطقتنا



الكتاب : مختارات من الشعر الافريقي .
تأليف : ك . أي سيناتو و ت . فنسنت .
ترجمة : جميل الضحاك .
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد ـ دمشق .
عدد الصفحات : ٢٠٠ من القطع الكبير .

ضمن موجة الاهتمام بآداب العالم الثالث ، تأتي هذه الترجمة لمختارات من الشعر الأفريقي ، مع مقدمة نقدية تعريفية بجذور هذا الشعر واتجاهاته ومساراته .

ودون أن يهمل المؤلفان الشعر الافريقي التقليدي ، الذي انبعثت منه حركة الشعر الحديث في بلدان افريقيا المختلفة ، يقدم المؤلفان أعمالا لجيل الشعراء الأفارقة الأول ، مثل سنغور ، ويمضي باتجاه الشعراء الشبان ، مثل وولي سونيكا ، وأوكاي .

الكتاب / نظرية التراث
المؤلف / الدكتور فهمى جدعان .
الناشر / دار الشروق ـ عمان ـ الأردن .
عدد الصفحات / ٢٥٨ من القطع الكبير •

يصف المؤلف المقالات التى ضمها هذا الكتاب بأنها ضرب من القول وبحوث متباينة ، متفاوتة فى مستوى الخطاب • وتحت هذا التوصيف العريض ناقش الدكتور جدعان مسألة التراث المطروحة فى عالمنا العربى بشكل حاد ، ولكن الدكتور جدعان يتجاوز هذه المسألة ، ويقدم أبرز من بحثوا فكرة التراث الدينى ، ويدخل فى سجالات مع بعضهم ، ويضيء أكثر من مسألة بجدل عقلى رفيع .



الكتاب / كريمة .
المؤلف / د . شريف حتاتة .
الناشر / مكتبة مدبولى ـ القاهرة .
عدد الصفحات / ١٩٨ من القطع الكبير .

رواية جديدة للدكتور شريف حتاته ، صاحب الثلاثية الشهيرة « العين ذات الجفن المعدني » .
والرواية تنويع على نفس الأجواء السابقة للدكتور حتاتة ، التى يمتزج بها الحب والسياسة بالعنف والعسف فى السجن ، حيث يتكون عالم جديد وحياة جديدة . □

لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

القناعة و الاقتناع .. تصحيح بيت

١ - القناعة والاقتناع

فى رسالة من الدكتور الفاضل امين موسى جاد ، اختصاصى الحشرات (الزمالك - القاهرة) - اشار الى ورود كلمة « قناعة » مستعملة بمعنى « اقتناع » فى بعض مقالات مجلة العربي (العدد ٣٢١ - اغسطس - آب سنة ١٩٨٥) ص ٩٩ ، ١٧٩ على سبيل المثال) وعقب على ذلك بانه قرأ كثيرا عن عدم صحة هذا الاستعمال ، لان « القناعة الرضا بالقليل ، ثم طلب منى توضيح هذا الخلاف .

واشكر للدكتور حسن ظنه وتحيته ، واصارحه بدءا بانى كنت انكر استعمال « القناعة » بمعنى الاقتناع ، لما كنت اقرأ واسمع من شيوخى فى انكاره حيثما ورد ، لا سيما عند مناقشة بيت المتنبى فى احدى روايتيه :

ليس التعلل بالآمال من أربى
ولا القنوع مع الاقلال من شيمى

وقد انكر عليه قديما استعماله القنوع بمعنى القناعة هنا بحجة ان القنوع يعنى السؤال والذل ، وان القناعة تعنى الرضا وهى المناسبة هنا ، وان كان للبيت رواية اخرى مناسبة للمقصود ، وهى « ولا القناعة بالاقلال من شيمى »

كنت انكر ما انكروه عليه ، ولم ازل حتى الآن كلما سمعت هذا الاستعمال أحس نفرة منه عند المفاجأة به ، ولكنى رضت نفسى عليه ، وصرت أجد له عذرا بعد طول التفتيش فى المعاجم ولا سيما المطولات .

ان الجذر « ق ن ع » فى معاجمنا كثير الاشتقاقات ، ومعانى اشتقاقاته كثيرة ، ولا يعنينا فيما نحن بصدده الا الاشارة الى بعضها المناسب له .

فالفعل الماضى منه قَنَع كمنَع ، وقنِع كسمِع ، ومضارعهما يقنَع كيمنَع ويسمَع ، ومصدر الاول القنوع ومصدر الثانى القناعة . ومن معانى القنوع السؤال أو التذلل فيه ، ولهذا استعيذ منه فى الدعاء ، فقيل « نعوذ بالله من القنوع » كما قيل « نعوذ بالله من القنوع والخنوع والخضوع » وشاهده بيت شاعرنا الشماخ :

« لمال المرءِ يصلحه ، فيُغْنِي
مفاقرَه أعفُّ من القنوع »

ويلاحظ هنا ان القنوع والخنوع والكنوع وافعالها جميعا على وزن واحد ، وبمعنى واحد ، فهي تدل على الهبوط والانخفاض والتدنى ، وهى لا تختلف نطقا فى الصوت الاول من كل منها (ق ك خ) ، ولكن أصواتها الاولى قريب من قريب ، ولهذا القرب ـ مع تماثل بقية اصوات هذه الالفاظ ـ أثره فى وحدة معانيها ، وكأنما اصلها واحد قد نطق بلهجات مختلفة ، ولكنها متقاربة . وتصاقب الحروف او الاصوات (اى تقاربها) يدل على تصاقب المعانى كما قال احد نحاتنا النوابغ ، ودلالة الخنوع على الهبوط والانخفاض والتدنى واضحة لكثرة استعماله ، والكنوع ليست كذلك لندرة استعمالها ، وان كان يدل احيانا على هذه المعانى ايضا ، وشاهده قول لقيط بن يعمر الايادى ناصحا قومه بالتأهب لدفع الفرس عنهم حين رأى الفرس يتجهزون لحربهم :

« ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا
اذا يقال له « افرج غُمّةً » كنعا

وكنع مثل خضع وخشع ومن الأسماء المعروفة كنعان وكانت تطلق على فلسطين بمعنى الارض المنخفضة ، ثم سمى بها القوم الذين يسكنونها كما صار يسمى بها بعض الرجال من سكان هذه المنطقة وجاراتها فى الشام .

وكل هذا لايفيدنا فهماً لما نحن بصدده ، ونحن لم نعرض له هنا الا لان بعضهم يطيل الوقوف عند معنى القنوع بمعنى الخنوع ، وبمعنى السؤال او التذلل فيه لالتباسه به فلنتركه بعد ، ولنبحث عن معنى آخر مناسب لما نحن بصدده والمعنى الآخر هو القنوع بمعنى الرضا باليسير ، والرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه المثل « خير الغنى القنوع ، وشر الفقر الخضوع » ومنه قانع وقنيع وقَنوع بمعنى الرضا بالقسم ، والرضا مطلقا ، ومنه الاثر المشهور « القناعة كنز لا يفنى ، لانه لا ينقطع بالانفاق ، وهناك الاثر « عز من قنع ، وذل من طمع » وفلان مَقْنَع كمقعد يُرضى قوله ، وفى اساس البلاغة « قنع بالشيء واقتنع به واقنعك الله بما اعطاك » بمعنى الرضا ، ومصدر قنع قناعة ، ومصدر اقتنع اقتناع ، فلا حرج فى استعمال الاقتناع بمعنى القناعة . وقنع واقتنع مثل رضى وارتضى وزنا ومعنى .

٢ ـ تصحيح بيت

كنا قد نشرنا « صمحة لغوية » في العدد ٣٢٥ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ بعنوان « اعراب المنقوص » أشرنا فيها الى أن الفتحة في آخره تختفي في الشعر لاقامة الوزن ، وان هذا كثير الأمثلة والشواهد ، واستشهدنا لذلك ببيت ينسب لعنترة ، وهو :

ان (الافاعي) وان لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

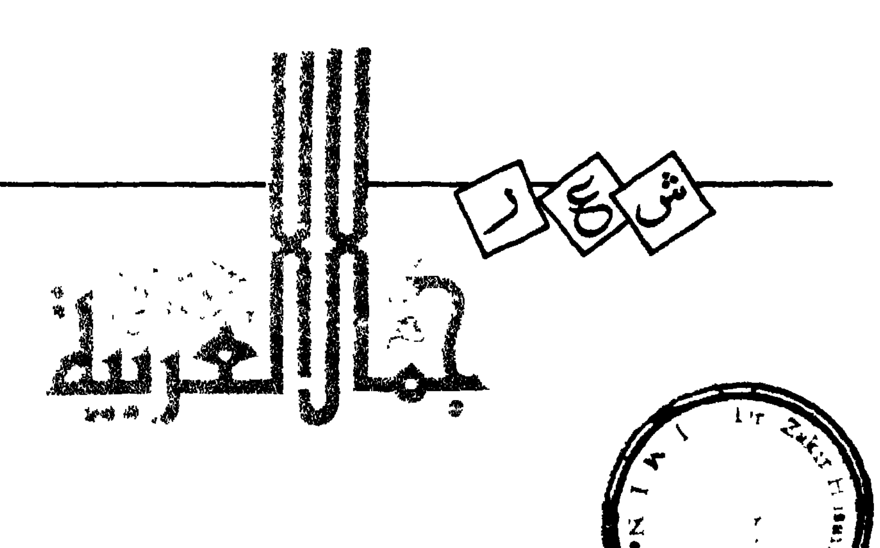
ولكن الواو ـ وهي للحال ـ سقطت في الطباعة ، فصار الشطر الاول هكذا « ان الافاعى ان لانت ملامسها » وكانت نتيجة هذا الخطأ أن صاع الاستشهاد واختل المعنى .

وقد استدرك علينا هذا الخطأ الاستاذ المستشار حسن مهران حسن (رئيس الدائرة التجارية بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت) فلاحظ أن البيت مستقيم وزنا مع سقوط الواو عندما تحرك ياء الافاعى بالفتحة ، وهذه ملاحظة صحيحة ، كما لاحظ أن اختفاء الفتحة جائز اذا قلنا « ان الافاعي وان لانت ملامسها » وهذه أيضا ملاحظة صحيحة .

وقد جال خلال مناقشته جولة واسعة تدل على معرفة عروضية ولغوية ، وختم مناقشته بأنه لا مدعاة لاضمار الفتح على الياء اذا أسقطنا الواو ، لاستقامة الوزن وسلامة الاعراب مع سقوطها ، وكل هذا صحيح عروضيا واعرابيا ، ولكنه لا يصح اذا تأملنا معنى البيت كما ينبغى أن يفهم . لان معناه مع سقوط الواو ، هو أن في أنياب الافاعي العطب بشرط لين ملامسها ، فاذا فقد لين الملامس لم يقع العطب لزاما . وهذا المعنى مختل ، وهو غير المقصود .

ولكن اذا قلنا : « ان الافاعي وان لانت ملامسها » فاسقطنا فتحة الياء لزاما ، كي يستقيم الوزن ـ كان المعنى أن الافاعي تعطب عند التقلب وان كانت لينة الملامس ، وهذا المعنى هو الصحيح والمقصود .

هذا ونشكر للأستاذ المستشار حسن ظنه وطيب تحيته ـ حياه الله ـ ونكبر اطلاعه وغيرته على لغته التي هي عصمة وحدتنا العربية ، ووعاء ذخائرنا الثقافية ، ومعرض قدراتنا الفكرية . □



هكذا غنى الآباء

مبـــارزة أســــد
من شعر بديع الزمان الهمذاني

هذه القصيدة من نظم بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ - ٣٩٨هـ) ، وهو من أشهر أدباء عصره ، كان سريع البديهة في الحديث والكتابة ونظم الشعر ، كما كان مضرب المثل في سرعة الحفظ ، له رسائل (٢٣٣ رسالة) ومقامات (٤٠٠ مقامة) . . وله ديوان شعر صغير ، وقد طبعت رسائله وديوانه ، وهو يدين بشهرته لمقاماته التي بقيت منها (٥١) مطبوعة ، ويذكر أنه كتب أكثرها مرتجلا ، وقد وردت هذه القصيدة في ذيل مقامة منها .

والقصيدة تحكي قصة أو ملحمة بين رجل وأسد . سافر الرجل في رحلة ليجمع مهر فتاة يحبها اسمها فاطمة ، حتى اذا بلغ مكانا يسمى كاظمة ، عارضه أسد ضخم يحاول اغتياله ، فترحل عن حصانه وبارزه مترجلا ، لان المحارب على الأرض يكون أملك لحركاته ، أما الراكب فخاضع لبعض حركات الحصان ، واستطاع قتل الأسد سيفه ، ولكنه لم ينس بعد قتله اياه ، أن يثني على شجاعته ، وهذا من تقاليد الشجعان ، وفيه فخر للمحارب لانتصاره على خصم قوي .

ومثل هذه الملحمة (القصيدة) نادر في شعرنا العربي ، ولعل شاعرنا استوحى هذه القصة من واقعة حدثت بين أسد ورجل يسمى « جحدرا » في زمن الحجاج ، استطاع جحدر فيها قتل أسد ضخم ، ونحن لا نستعظم هذا ، لأن فارسا يسمى بدر بن عمار كان في زمن المتنبي استطاع قتل أسد بسوطه ، فمدحه المتنبي قائلا :

أمعفَّرَ الاسدِ الهِزَبْرِ بسوطه ... لِمَن ادَّخرتَ الصارمَ المسلولا

القصيدة

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خَبْتٍ ... وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاك بِشْرا[1]

اذن لرأيتِ ليثاً رام ليثاً ... هِزَبْراً أغلباً يبغي هِزَبْرا[2]

تبهنس اذ تقاعس عنه مهري ... محاذرة فقلت : «عقرت مهرا[3]
أنل قدمي ظهر الأرض إني ... وجدت الأرض اثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا ... محددة ووجها مكفهرا[4]
يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا[5]
وفي يمناي ماضي الحد أبقى ... بمضربه قراع الخطب اثرا...[6]
ألم يبلغك ما فعلت ظباه ... بكاظمة غداة لقيت عمرا ؟[7]
وقلبي مثل قلبك ، لست أخشى ... مصاولة ، ولست أخاف ذعرا[8]
وأنت تروم للأشبال قوتا ... ومطلبي لبنت العم مهرا
ففيم تروم مثلي أن يولي ... ويترك في يديك النفس قسرا ؟[9]
نصحتك فالتمس ياليث غيري ... طعاما ، ان لحمي كان مرا »
فلما ظن أن الغش نصحي ... وخالفني ، كأني قلت هجرا[10]
مشى ومشيت من أسدين راما ... مراما كان إذ طلباه وعرا
يكفكف غيلة إحدى يديه ... ويبسط للوثوب علي أخرى[11]
هززت له الحسام فخلت اني ... شققت به لدى الظلماء فجرا
وجدت له بطائشة رآها ... لمن كذبته ما منته غدرا[12]
بضربة فيصل تركته شفعا ... وكان كأنه الجلمود وترا[13]
فخر مضرجا بدم ، كأني ... هدمت به بناء مشمخرا[14]
وقلت له : «يعز علي اني ... قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه ... سواك فلم أطق - ياليث - صبرا
تحاول أن تعلمني فرارا ... لعمر أبي لقد حاولت نكرا[15]
فلا تبعد ، لقد لاقيت حرا ... يحاذر أن يعاب فمت حرا »

---

١ - خيت : مكان متسع من الارض . الهزبر : الأسد الصلب الضخم .
٢ - الليث : الأسد . الهزبر الاغلب : الاسد الغليظ العنق ، أو الغلاب لغيره .
٣ - تبهنس : تبختر حين تراجع عنه مهري خوفا منه . عقرت : سقطت وهلكت .
٤ - النصل : حديدة السهم أو الرمح ، أي أظهر أنيابا ومخالب حادة كالنصال . مكفهر : عابس .
٥ - يمتز بمخالبه وأنيابه الحادة ونظرات كأنها جمر النار .
٦ - في يدي اليمنى سيف مسنون تركت ضرباته في الحرب أثرها في حده .
٧ - ظبة السيف حده ، والجمع ظبا ، وكاظمة : اسم مكان يقع اليوم في الكويت ، وعمرو : اسم الخصم .
٨ - المصاولة : القتال : والصولة : الوثبة والسلطة والقوة .
٩ - تروم : تطلب . يولي : يهرب . القسر : الجبر والاكراه .
١٠ - الهجر : القول الفاحش .
١١ - يضم يدا ويمد أخرى طلبا لاغتيالي .
١٢ - ضربته ضربة طائشة أخلفت أمنيته الغادرة .
١٣ - انها ضربة سيف بتار ، جعلته قطعتين بعد أن كان جسما واحدا شديدا كالصخر .
١٤ - مضرجا : ملطخا : مشمخرا : عاليا .
١٥ - حاولت أمرا منكرا قبيحا وهو فراري منك .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٢٨
مارس ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو مايو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٨

١ - لقي شاعرٌ شاعرا آخر ، وكان كلاهما من فحول شعراء الجاهلية ، فسأل الأول . كيف معرفتك بالأوابد ؟

فقال . الق ما أحببت . . فقال :

ما جبْـة ميـتـة قـامت بميتتـهـا
درداء مـا انـبـتت سـنـا وأحـراشـا

فرد الشاعر الثاني على الفور :

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها
فأخرجت بعد طول المكث اكداسا

فمن هما الشاعران . ؟

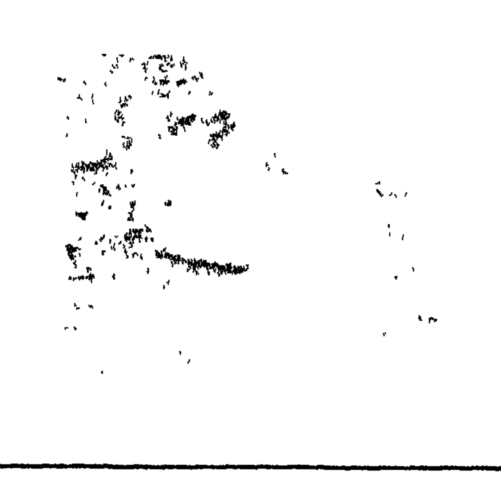
٢ - (وخوفوا الناس من دهياء مظلمة . .)

هذا هو صدر البيت . فما هو عجزه ؟ . وما المناسبة التي قيل فيها ؟

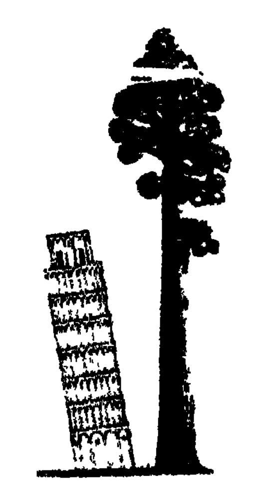
٣ - كيف تجمع « امرأة عقيم » و « رجل عقيم » مستبعدا في كلتا الحالتين صيغة جمع المؤنث السالم ، وصيغة جمع المذكر السالم ؟

٤ - ثمة جبل ينافس جبل افرست من حيث الارتفاع . . وهو بركان خامد ، ويقع في احدى جزر المحيط الاطلسي .

ولو قيس هذا الجبل من قاعدته المغمورة في المحيط ، لبلغ ارتفاعه ٣٣٤٧٦ قدما ، علما بأن ارتفاع جبل افرست ، مقاسا من قاعدته لا يزيد على ٢٩٠٢٨ قدما . . فما هو الجبل المنافس هذا وأين يقع ؟



٥ - تماثيل عربية وصحمة يبلع ورن بعصها ٧٠ طنا ، وطول بعضها ٤٠ قدما ، وتعود الى أرمنة ما قبل التاريخ ، عثروا على هده التماثيل في احدى جزر المحيط الهادي النائية فما اسم تلك الجزيرة ؟



٦ - شجرة طويلة شامخة وقديمة موغلة في القدم .
أين توجد هده الشجرة ، وما الاسم الذي اشتهرت به ؟

٧ - المحيط الهادي والمحيط الأطلسي . يقع الواحد منهما الى شرق ، والآخر الى غرب الأول ، باستثناء مكان واحد يقع فيه المحيط الأطلسي الى الشمال والهادي الى الجنوب ، فأي مكان هذا .. ؟

٨ - هل هو نهر أم حوض أم بحيرة .. ما اسمه واين يقع ؟



٩ - سأل رجل صديقه : كم كتابا يوجد في مكتبتك . ؟
فرد الصديق . لو صاعفت عدد الكتب في مكتبتي وأضفت الى المجموع نصف العدد الأصلي ، ثم أضفت (٧) الى الحاصل لأصبح مجموع الكتب في مكتبتي ٣٢ كتابا .
فكم عدد الكتب التي تحتوي عليها مكتبة الصديق ؟

١٠ - في تمام الساعة الثامنة من صباح كل يوم ينطلق قطار من القاهرة الى الخرطوم . وينطلق قطار آخر من الخرطوم الى القاهرة .. فلو افترضنا أيضا أن الرحلة بين العاصمتين تستغرق سبعة أيام .. فكم قطارا يصادف في طريقه أحد القطارات المتجهة نحو الجنوب . . .

١١ - اذا كان الحداد يتقاضى فلسا واحدا لقاء ضرب المسمار الأول في حذوة الحصان من أجل تثبيتها ، وفلسين عن المسمار الثاني ، وأربعة أفلس عن الثالث ، وثمانية عن الرابع .. وهكذا .. فكم يبلغ مجموع ما يقبضه لقاء ضرب ٣٢ مسمارا . ؟

١٢ - في غضون الأيام القليلة القادمة ستستقبل خمس سفن فضاء على الأقل مذنب هالي في أجواء الفضاء .
ترى أي هذه السفن ستقترب من المذنب لتصبح على بعد ٣٠٠ ميل ؟
* جيوتو الأوروبية .
* فيجا السوفياتية .
* بلانت اليابانية .

حل مسابقة

١ ـ المذنب هو الكتلة الغازية المضيئة ، والشهاب أو النيزك هو الكتلة الصخرية أو المعدنية الملتهبة .

٢ ـ البيض الذي يحتاج لفقسه ٢٧ يوما هو بيض البط (بعض البط)

والبيض الذي يحتاج لفقسه ٣١ ـ ٣٥ يوما هو بيض الأوز .

٣ ـ صادر أمواله أي طالبه بها .

٤ ـ نعم هناك بوصلتان أخريان غير البوصلة المغناطيسية . . بوصلة الراديو وبوصلة الجيروسكوب ، وهما تساعدان على معرفة الاتجاهات ، دون أن تتوقفا عن العمل في أي بقعة من بقاع العالم .

٥ ـ الدهريون هم جماعة من المفكرين قالوا بقدم الدهر وجحدوا الخالق .

٦ ـ فيتوس بهرنج اكتشف وأقام الدليل على أن القارتين أمريكا وآسيا منفصلتان وغير متصلتين ، خلافا للاعتقاد الذي كان سائدا قبل توصل بهرنج الى هذا الاكتشاف ، وذلك في رحلته الأولى (سنة ١٧٢٨ ـ ١٧٣٠) . . اما في رحلته الثانية (١٧٤٠ ـ ١٧٤١) فقد رأى بهرنج الاسكا من الشرق ، وبالتالي اكتشف أمريكا من الشرق . . وتوفي بهرنج في رحلته الثانية هذه ، ودفن في جزيرة بهرنج .

٧ ـ غدة (المعقد) أو (لوزة المعدة) او (الحلوة) تسمى في الطب الحديث البنكرياس أو البنقراس .

٨ ـ تبلغ شجرة نبيان من الصحامة مايكفي لحلو
سبعة آلاف رحل تحتها أو في ظلها . . ويصدق ع
بخاصة على شجرة السيان الموجودة في كلكتا فعد
جذوعها يزيد على ٣٠٠٠ جذع . . منها (٢٠٠
جذع كل منها بحجم شجر البلوط . أما جذ
الشجرة الرئيسي فيبلغ قطره ١٣ قدما ، كما يبل
ارتفاع الشجرة ٧٠ قدما

٩ ـ الأسكيمو يسكنون جزيرة جرينلند وسيبر
وليبرادور باضافة الى الاسكا . . التي يفوق عددهم
فيها عددهم فيما سواها

١٠ ـ مارك توين . . اسمه الحقيقي صموئيل
لانجهورن كلمنس . ولد في بلدة فلوريدا في ولا
ميسوري ، وعاش نحوا من ٧٥ سنة (١٨٣٥
١٩٤٠) .

١١ ـ عبارة الستار الحديدي قالها تشرتشل ، أول من
قالها ، وذلك في خطابه الشهير الذي ألقاه في ملد
فولتون الأمريكية في ١٩٤٦/٣/٥

١٢ ـ المدر هو الطين العلك الذي لايخالطه رمل .
ويدل اللفظ على المدن والقرى لأن بنيانها غالبا من
المدر . أما الحضر فيقابله البدو (لا المدر) (راجع
المنجد) .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٥ ديسمبر ١٩٨٥

١ ـ عبدالوهاب الفقيه رمضان / ١٦ نهج الاخوة ـ خزندار ـ باردو ـ تونس .
٢ ـ شادي يونس صافي / عمان ـ الأردن .
٣ ـ فاطمة داود بدوي / الصفاة ـ الكويت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سليمان / شركة آرامكو ـ الظهران ـ السعودية .
٢ ـ احمد صالح عركي / ادارة الكهرباء والماء ـ الدوحة ـ قطر .
٣ ـ كنج محمد المدني / المكتبة الاسلامية ـ كوتاكال ـ كيرالا ـ الهند .
٤ ـ جورجيت الياس امين / شارع الفلكي (باب اللوق) القاهرة ـ مصر .
٥ ـ عادل سيد أحمد محمد دول / الخرطوم ـ الدبوم الشرقية ـ كلية الدراسات الهندسية ـ السودان .
٦ ـ سعيد احمد السندي / الجامعة الاسلامية ـ ميرك ـ هنكورجا ـ سند ـ باكستان .
٧ ـ البابس أباهي / نواكشوط ـ موريتانيا .
٨ ـ مجيدي محمد / زنقة القبطان ادريس ـ القربعة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

معركة بلا سلاح

كاسباروف يعتلي عرش الشطرنج

أخيرا وبعد أربعة عشر شهرا من الصراع المرير فـار حـاري كـاسبـاروف بـبـطولـة العـالم للشطرنج ليصبح أصغر بطل في تاريخ اللعبة يتبوأ عرش الشطرنج في سن الثانية والعشرين ، وقد أرغم خصمه أناتولي كاربوف على الاستسلام في النقلة الثالثة والاربعين من الدور الختامي لمباراة العصر مسجلا بذلك ثلاث عشرة نقطة مقابل إحدى عشرة نقطة لخصمه بعد أن فاز بخمسة أدوار وخسر ثلاثة وتعادل في ستة عشر دورا .

وتمنح القوانين الدولية البطل المهزوم الحق في المطالبة بإعادة المباراة في غضون خمسة أشهر من تاريخ الهزيمة ، وقد قرر الاتحاد الدولي للشطرنج أن تعقد مباراة الثأر خارج حدود الاتحاد السوفييتي ، ويتوقع المراقبون أن تعقد المباراة المذكورة في شهر مارس من العام الحالي إما في لندن التي أعربت عن استعدادها لتقديم جائزة للفائز قيمتها ثلاثمائة ألف جنيه استرليني أو في مارسيليا التي ضاعفت قيمة العرض .

وبطل العالم الجديد للشطرنج يتمتع بشخصية رياضية جذابة تتسم بالاندفاع والطيش أحيانا وهو يرأس فريق كرة القدم في مدينة باكو ويمارس السباحة ، وقد اقترن اسمه في السنوات الأخيرة بالممثلة السوفييتية المشهورة مارينا نيولوفا التي تكبره بستة عشر عاما . وللبطل الجديد شعبية كبيرة خارج الاتحاد السوفييتي لحيويته ومرحه وخروجه على التقاليد ، وقد هاجم السلطات الشطرنجية في بلده هجوماً عنيفاً عند ايقاف الجولة الأولى من المباراة واتهمها بالتحيز الصريح لخصمه ، ولكن يبدو أن فوزه بالبطولة قد أحدث تغيرا جذريا في موقفه من هذه السلطات اذ أنه أعلن عشية فوزه بالبطولة ان صفحة الخلاف بينه وبين الاتحاد قد طويت الى الأبد ، كما أعلن التزامه التام بسياسة الاتحاد واستعداده للقيام بجميع المهام الدعائية التي يكلفه بها .

والدور التالي الذي اخترناه لكم هو الدور الختامي من مباراة البطولة ، وتعرف الافتتاحية بالدفاع الصقلي .

كاربوف (أبيض)	كاسباروف (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	حـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	أ ٦
٦ ـ ف ـ هـ ٢	هـ ٦
٧ ـ ت	ف ـ هـ ٧
٨ ـ و ٤	ت
٩ ـ م ـ حـ ١	و ـ جـ ٢
١٠ ـ أ ٤	ح ـ جـ ٣
١١ ـ ف ـ هـ ٣	ر ـ هـ ٨
١٢ ـ ف ـ و ٣	ر ـ ب ٨

١١ - و - د ٢	ف - د ٧
١ - ح - ب ٣	ب ٦
١١ - ز ٤	ف - حـ ٨
١' - ر ٥	ح - د ٧
١' - و - و ٢	ف - و ٨
١، - ف - ر ٢	ف - ب ٧
١' - ر (أ) - د ١	ر ٦
٢ - ف - حـ ١	ر (ب) - حـ ٨
٢ - ر - د ٣	ح - ب ٤
٢ - ر - حـ ٣	ف - ر ٧
٢' - ف - هـ ٣	ر - هـ ٧
٢ - م - ر ١	ر (جـ) - هـ ٨
٢ - ر - د ١	و ٥
٢' - ر × و ٦ (بالتجاور)	ح × و ٦
٢' - ر - ر ٣	ر - و ٧
٢، - ف × ب ٦	و - ب ٨
٢' - ف - هـ ٣	ح - حـ ٥
٣ - ر - ر ٤	ح - و ٦
٣ - ر - حـ ٤	ر ٥
٣ - و × ز ٥	ح - ر ٤
٣ - و - د ٢	ح × هـ ٣
٣ - و × هـ ٣	ح × حـ ٢
٣ - و - ب ٦	ف - أ ٨
٣ . ر × د ٦	ر - ب ٧
٣ و × أ ٦	ر × ب ٣
٣ ر × هـ ٦	ر × ب ٢
٣ و - جـ ٤	م - حـ ٨
٤ هـ ٥	و - أ ٧ +
٤ م - حـ ١	ف × ز ٢ +
٤ م × ر ٢	ح - د ٤ + بالكشف

ستسلم كاربوف وتضيع منه بطولة العالم لأنه لو
دور الأخير لتساوى مع منافسه في عدد النقاط
١٢) وظل بالتالي متربعا على عرش الشطرنج

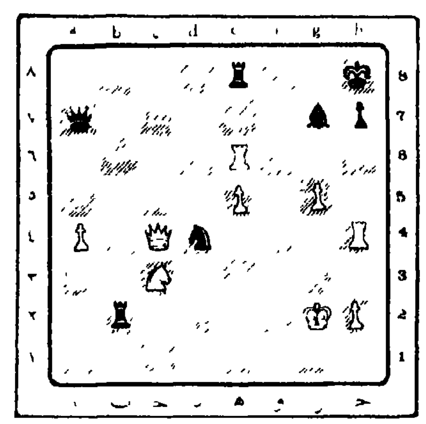
الفائزون بحل المسابقة رقم ٣٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ محمد مجاهد اليمن/ صنعاء
٢ محمد الميومي الامارات/ ابو ظبي
٣ سام يوسف العراق/ نينوى
٤ علي سعد ج م ع/ أسيوط
٥ محمد حاج سوريا/ حلب

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ الحسن الطيب السودان/ مدني
٢ خليل ابراهيم السعودية/ الرياض
٣ ريما مصطفى الكويت/ السالمية
٤ رضا عزّوم تونس/ قابس
٥ محمد علي العاقل اليمن الشعبية/ أبين

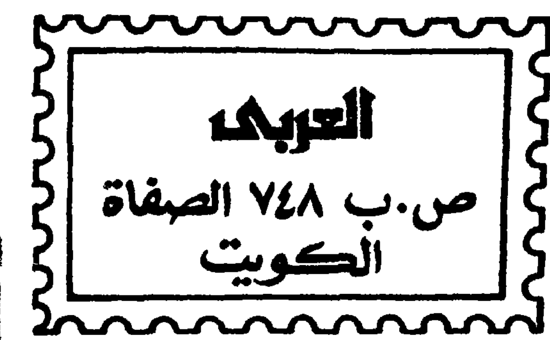


مسابقة العدد

من دراستك لهذا الدور ما هي النقلة التي أدت الى انهيار دور كاربوف ولماذا ؟

حل المسألة رقم (٣٧)

١ . م - ب ٥ أي لعبة ٢ . ح - هـ ٧ +
م - أ ٧ ٣ . ح - جـ ٨ كش مات .



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"



نعم للرياضة

لكن كيف ؟

● نود ان نقدم لكم اقتراحا ، حيث انكم ترحبون باقتراحات القراء ، حبذا لو تكون هناك صفحة أو صفحتان تحمل الأخبار الرياضية العربية والعالمية ، مع صور لنجوم كرة القدم المعروفين ، شاكرين لكم تعاونكم معنا ، ونرجو أن تقبلوا وتنصدوا اقتراحنا مشكورين .

ظافر حسين المالكي

دمشق - الجمهورية العربية السورية

العربي

- اخترنا هذه الرسالة الموجزة ، من رسائل عديدة ليست موجزة ، لكنها تتقدم بالاقتراح نفسه ، ولا أحد يختلف حول أهمية الرياضة ، وشعبية أنواع منها مثل كرة القدم ، ولكن في السبب ذاته تكمن المشكلة ، فأخبار الرياضة العربية والعالمية تغطيها الصحف اليومية بغزارة ، لدرجة أن (العربي) وهي مجلة ثقافية بالدرجة الأولى ، وشهريّة ويتم تجهيز أعدادها قبل شهرين من صدورها ، لا يمكنها أن تقدم في هذا المجال سوى أخبار قديمة لكن من الممكن التفكير في زاوية جديدة تقدم العربي من خلالها نوعا من التحليل لبعض الأحداث الرياضية الهامة ، أو القاء الضوء على بعض قضايا الرياضة أو مشكلاتها ، أو التعريف بالشخصيات التي لها دور بارز في مجال الرياضة ، وهذا ما نعد القارىء الكريم وجميع من كتبوا لنا حول هذه المسألة ، ببحثه ودراسته من قبل مجلس التحرير في العربي

اقتراح تربوي . .

● لماذا لا تهتم وزارات التربية والتعليم في الدول الاسلامية والعربية بتعليم وتدريب الطلاب على فن الكلام ، حتى يكون بامكانهم التعبير عما يجول بخواطرهم بدقة ووضوح ، وحتى يمكنهم التخاطب مع الناس بيسر وسهولة ، اذ أنني لاحظت أن الكثير من الناس يجدون صعوبة في التعبير الشفهي عما يريدون بطلاقة وسهولة ، ويقعون في كثير من الأخطاء الشائعة مثل : التكلم بسرعة شديدة ، أو ببطء شديد ، أو لاينطقون بعض الحروف بشكل واضح ، فضلا عن الأخطاء في قواعد اللغة ، مما يفسد عملية التفاهم أو التواصل بشكلها الصحيح

عبدالرحمن الحسين

المملكة العربية السعودية / بلدية القريات

ـ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه بهذه القضية التربوية الهامة ، وفي الواقع ان المناهج الدراسية ، تتضمن تعلم مهارات التعبير الشفهي ، لكن يبدو أن هذه المسائل لا تنفذ بالدقة المطلوبة ، ولا يتدرب عليها الطلاب التدريب الكافي ، رغم أهميتها البالغة لنجاح عملية التواصل الانساني ، الذي هو أساس العمل المشترك والحياة الاجتماعية السوية ، ويسرنا أن نقدم هذه الرسالة لمن يعنيهم الأمر من رجال التربية في وطننا العربي .

ماذا تعرف عن وادي « دوعن » ؟

● أرجو أن تقوموا باستطلاع عن وادي « دوعن » بمحافظة حضرموت في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، فهذا الوادي يكاد يكون مجهولا تماما رغم ما به من معالم تاريخية ، وبخاصة في مجال الري ، ورغم [illegible] من منتجاته «العسل الدوعني» الذي يعتبر من أجود أنواع العسل في العالم ، أرجو أن تأخذوا ملاحظتي بعين الاعتبار في استطلاعاتكم القادمة باذن الله .

أحمد عبد القادر باشيخ

المكلا/ حضرموت

جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ تصلنا رسائل كثيرة مثل هذه الرسالة من الاخوة [illegible]اء وتتحدث في اعتزاز عن مواطنهم وبلادهم ، التي يودون تعريف الناس بما فيها من آثار أو انجازات حديثة ، وهذه الرسائل تكون دائما محل اهتمامنا ، وضمن المؤشرات التي نستهدي بها في اختيار البلاد والمواقع ، التي تتوجه اليها العربي لاستطلاعها ، ونود بنشر مثل هذه الرسالة أن نطمئن صاحبها ، بل نطمئن الجميع .

بين القارىء والكاتب . .

● سؤالي الأول حول غياب الكاتب الدكتور حسان حتحوت عن مجلة العربي، نرجو لو تكرمتم أن تعطونا عنوانه .

ثانيا/ كانت الصفحة الأولى من أعداد العربي القديمة تقدم احدى الصور الفنية ، التي تشهد بمالنا من حضارة قديمة ، أما الآن فنجد اعلانا لشركة أو غيرها ، حبذا لو أعدتم الصور الفنية ، لتعطي المجلة طابعا فنيا .

ثالثا / نريد منكم نبذة عن حياة وأعمال الدكتور أحمد زكي أول رئيس تحرير لمجلة العربي .

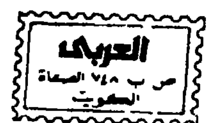
احمد سالم القصار

محافظة حضرموت / جمهورية اليمن الديمقراطية

العربي

ـ مجلة العربي تنشر وترحب دائما بمقالات الدكتور حسان حتحوت ، وآخر ما نشر له بالعربي مقال حول « المرأة وديمقراطية الاسلام » في عدد نوفمبر الماضي ، وعنوان الدكتور حسان حتحوت : الكويت / مستشفى الولادة .

وبالنسبة لسؤالك الثاني فنرحب بفكرتك ونعد بدراستها ، أما بالنسبة للسؤال الأخير





فيمكنك الرجوع الى العدد الأول من كتاب العربي ، الذي يضم مجموعة مقالات هامة للدكتور أحمد زكي ، ومعلومات كافية حول حياته وأعماله .

انه مجرد فشلنا السادس عشر

● الى ل ، ي ، د
معرة النعمان بسوريا

والى عبدالله م . م/ سوهاج بجمهورية مصر العربية

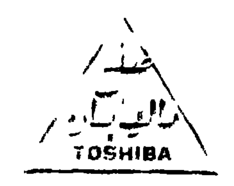
ـ مشكلات الخجل والانطواء والتردد وعدم الثقة بالنفس يعاني منها الكثير من الشباب في مقتبل العمر ، وقد تتعدد الأسباب ، لكنها كلها تلتقي في أن هؤلاء الشباب يفتقرون الى خبرة مواجهة الواقع من حولهم ويؤثرون الهرب ، ويبالغون في تصور نتائج فشلهم في هذه المواجهة ، وعليهم ألا يخافوا مما يسمونه فشلهم ، فالقدرة على المواجهة والمبادرة لا تكتسب الا من خلال التحرر من الخوف من الفشل والناجحون ليسوا هم الذين لا يعرفون الفشل بل هم أولئك الذين عرفوه ، وتحرروا بهذه المعرفة من خوفهم منه ، كل الناس يواجهون الفشل في بعض المواقف ، المفكرون والزعماء ، والقادة والناجحون ، لكن لا أحد من هؤلاء يتوقف عند هذا الفشل ، ويعتبره نهاية الدنيا ، ولا أجد في هذه المناسبة أفضل من أن أذكر الأخوين العزيزين بعبارة شهيرة للزعيم الصيني : « صن يات صن » حين قال في احدى مرات فشله ، وهو يقود ثورة الصين العظيمة « انه مجرد « فشلنا السادس عشر ») !

● أحمد ياسين / بيروت الجامعة الأميريكية

ـ مقالك « الالآم العظيمة تصنع الرجال » يشير الى أن لديك استعدادا طيبا للكتابة ، وقد لا يحمل كل المقومات التي تجعلنا ننشره في العربي ، ولكنه يحثنا على أن ندعوك الى مواصلة السير على الطريق ، الطريق طويل وأنت في بداية الشباب ، وصبرك ومثابرتك على القراءة ، واعادة الكتابة وتجويدها سيكون الدليل على أصالة موهبتك ، وعلى قدرتك على النمو في الاتجاه الصحيح ، فواصل طريقك واكتب للعربي ولغيرها والله يوفقك .

● الى محمود محفوظ الزقلعي
طرابلس/ ليبيا

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك لما ينشر في العربي ، وحول ما تراه من أن النقلة الحضارية للأمة العربية تحتاج الى برنامج علمي ثقافي يغطي أوجه المعرفة المختلفة يلتزم به كتاب العربي ، فإن العربي وهي تسهم بدورها في تحقيق هذه النقلة تؤثر أن تترك لكتابها الحرية في اختيار المجالات التي يكتبون فيها . لان هذه الحرية توفر فرصة أفضل لابداع الكاتب وهي تثق في تقدير كتابها لعمق المسئولية الملقاة على عاتقهم وترى أنه من الأفضل لاي كاتب أن يقوم بدوره الخاص من خلال تقديره الذاتي لحدود مسئوليته وحجمها ، سواء أكان هذا الدور في اطار مجلة العربي أو في أي اطار آخر .



تجميد سريع.
مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.

DIRECT COOL

GR 1205

GR 1005

GR 1205

تبريد مباشر للعائلات الكبيرة

GR 1005

نظافة مستمرة.
مع غسالة Toshiba الكبيرة جدًا.

Swing NEW

VH·1300

VH·3300

VH·S450

VH 1300

غسالة بحوضين

VH 3300

غسالة بحوضين

VH S450

غسالة أوتوماتيكية بحوضين

• سعة كبيرة جدًا • نابض SWING لمنع تشابك واختلاف الثياب وتأمين غسيل أفضل • مخصص دوّار مدخّر للماء والوقت

TOSHIBA
TOKYO JAPAN



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٦

الأطفال مرآة المجتمع

تأليف :

د. محمد عماد الدين اسماعيل

الكتاب التاسع والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

رجب ١٤٠٦ هـ - ابريل (نيسان) ١٩٨٦ م

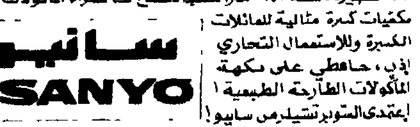
لفلبين على مفترق الطرق

-1°C

CFS 21002 متوفرة أيضاً باللون البنّي أو الأخضر

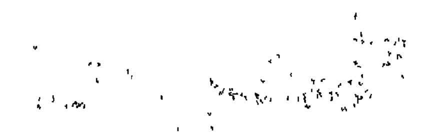
درجة حرارة مئوية واحد تحت الصّفر تحافظ على نضارة المأكولات مرّتين أطول.

التشيلر الجديد من سانيو يحافظ على نضارة اللحوم والأسماك الطازجة الأصلية لمدة أطول! التشيلر السوبر الجديد ليس بالثلاجة العادية ولا فريزر. بل إنه يحافظ على درجة حرارة واحد تحت الصفر مئوية بطريقة دائمة. وهذه الحرارة هي مستوى ما قبل التجمّد. وهكذا يحفظ الجو البارد النكهة الطبيعية في داخل المأكولات وتدوم هذه مدة أطول وبدون عملية إزالة الجليد الإعتيادية وتسترجع الخضار نضارتها عند حفظها لمدة قصيرة. سعة ١٠٧ متر مكعباً تسمح لك بشراء المأكولات الطازجة بكميات كبيرة مثالية للعائلات الكبيرة وللإستعمال التجاري إذن، حافظي على نكهة المأكولات الطازجة الطبيعية! إعتمدي السوبر تشيلر من سانيو!





العدد ٣٢٩ السَنة التاسعة والعشرون أبريل ١٩٨٦



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

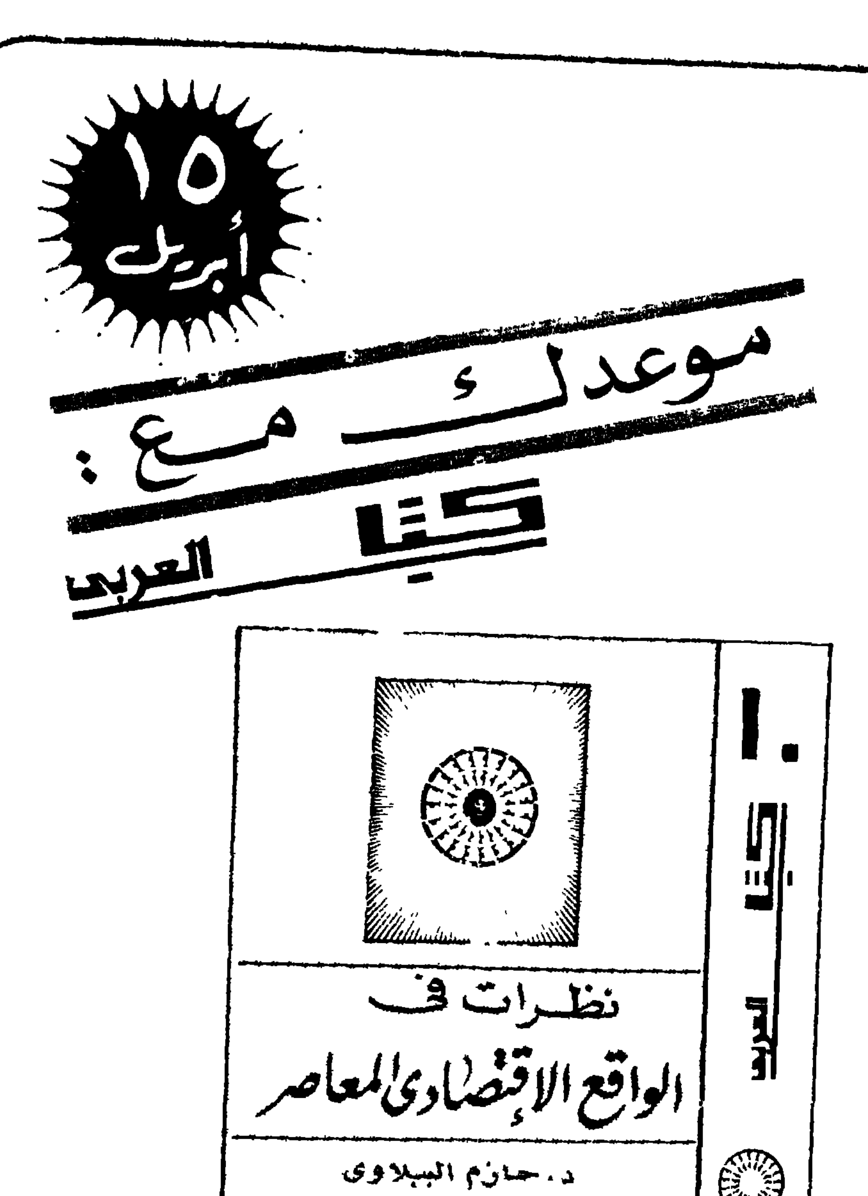
ص . ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

Issue No. 329 APR. 1986 . P.O.Box 748 Kuwait . A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران



الحدث عن أن أي تراكم رأسمالي عظيم يحدث التنمية المرجوة ، هو حديث قاصر عن الحقيقية ، وقد أثبتت التجربة العربية ذلك ، فهناك مقومات أخرى للتنمية لاتقوم بدونها ، حتى لو حرثنا الارض عرضا وطولا ، كالتعليم والتطور الاساسي ، وهذا أيضا لن يحدث دون بعد زمني يتأهل فيه جيل كامل لهذا الفعل الحضاري ، كما أن المقارنات الاحصائية الصماء لاتعني شيئا كثيرا ان لم يكن لها بُعد اجتماعي وانساني ، وتجربتنا العربية أكبر برهان على ذلك .

من مقدمة الكتاب

عزيزي القارئ

رسائلك التى تبعث بها إلينا لها أهمية خاصة بالنسبة لنا ، بعض هذه الرسائل يأخذ طريقه الى باب « حوار القراء » لكن هذا الباب الذى نحاول تطويره باستمرار لايتسع لفيض الرسائل التى تصلنا ، ومع ذلك فإننا لا نهمل الرسائل الأخرى ، بل ننظر لها بكثير من التقدير وندرسها جيدا ، ويستعرض الزملاء المحررون محتوياتها في اجتماعات التحرير ، حيث يكون كل من الزملاء المشرفين على الأبواب وكتاب الاستطلاعات قد اطلعوا عليها للاستفادة منها بقدر الامكان ، لذا فاننا نقول لقرائنا الكرام انه حتى لو لم تظهر رسائلهم في بريد القراء فان اقتراحاتهم وآراءهم تجد ما تستحق من اهتمام فمن خلال رسائلك ، عزيزى القارىء ، نعرف نجاحاتنا ، كما نعرف جوانب قصورنا التى نسعى لتجاوزها باستمرار

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فان بعض الاخوة القراء لفتوا أنظارنا الى ظاهرة أثارت انتباههم ، تتعلق بقيام بعض الصحف والمجلات باعادة نشر موضوعات سبق أن نشرتها مجلة « العربي »

ونحن نقول للاخوة القراء ان تلك « عادة قديمة » ترجع الى بدايات صدور العربي ، ولم تتوقف حتى الآن ، بعض المجلات تشير مشكورة الى المصدر الذى « نقلت » عنه المادة ، لكن البعض الآخر يتجاوز ذلك فلا يشير الى المصدر .

وعلى أى حال فى وطننا العربى لايوجد حتى الآن قانون يحافظ على حقوق النشر ، ويعاقب من يتجاوز هذا القانون ، لذا تصبح المسألة مهنية بالدرجة الأولى ، لأنها تتعلق بأساسيات المهنة .

وموقفنا في الواقع يتمثل في الاصرار على ألا يتم النشر الا بعد صدور « العربى » وتوزيعها في الأسواق ، وأن يتم ذكر المصدر ، وأن يكون ذلك مسبوقا باتفاق شفوي أو كتابي مع المجلة وما يراه القراء في ذلك نعرف نحن في العربي أكثر منه . . فقد جاءتنا أخيرا رسالة من طالبة في السويد تعد رسالة الدكتوراه ، تستأذن في أن تستخدم احدى الصور المنشورة في العربي كغلاف لكتابها ، وقد أذنا لها بذلك ، على أن تذكر المصدر . فليس لدينا ما نقوله لأصدقائنا ، الا أن للنجاح ثمنا أيضا .

المحرر

محتويات العدد



ماذا في الفلبين حيث سقط رئيس وانتصرت امرأة بإرادة الشعب ؟

ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

ساعة فأن القلوب اذا كلت عميت) . ولعل كفة التزمت في هذا الميزان هي التي رجحت لقرون طويلة على مدى حياتنا الثقافية ، فتوارثنا الجاد من أدبنا وتتبعناه تتبعا يكشف عن أصله وفصله ، وأهملنا الضاحك منه حتى أصبح وكأنه منبوذ متروك للمشافهة ، ولعل اول أشكال الفكاهة عند العرب هو التلاعب بالالفاظ . ويتناقل الرواة بعض التفسيرات لهذا الموقف تعزو السبب الى أن العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون بحرية غير مقننة ، كانت أدنى ما تكون الى الفطرة والسليقة في التفكير والتعبير ، ويسخرون لغتهم لتخدم واقعهم المعاش بسهولة ويسر ، وكانت لغتهم قوام ثقافتهم وجماع فنونهم ، فهي لاتحتاج الى نقل واتخاذ مكان ـ كسائر الفنون الاخرى ـ فهي ذهنهم الواعي الذي يسجلون فيه ماضيهم ، ويرصدون به حاضرهم ، ويستشفون رؤى المستقبل بما تتيحه لهم من صيغ وقوالب وأساليب فالاعرابي كان يحفظ العشرات والمئات والالاف من أبيات الشعر بقدر ما يتسع له وعاؤه ، كما كان لسانه يلهج بعشرات من آلاف المفردات المتداولة لديه .

تقنين اللغة والتطور المحتوم

□ وعندما حدث الاستقرار صاحبه نوعان من التطور . الأول هو تقنين اللغة حيث استقرت في أيدي النحاة واللغويين الذين وضعوا لها قواعد صارمة وضوابط محكمة ، والثاني هو تعقد المجتمع وظهور شتى التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيه ، اي الانتقال من المجتمع البسيط الى المجتمع المركب ، هذان التطوران فتحا الباب امام الاذكياء المنفلتين والخبثاء المترصدين لكي يمطرونا بوابل من المفارقات والنكت التي اعتمدت على جوانب كثيرة من التخالف اللغوي وفقدان الانسجام وتجمد القوالب وضيق المضامين مما رأوه بعين عصرهم المتقلب المتوثب ، حينا وضعوا ايديهم على الظواهر الشكلية المتخالفة في كتابة اللغة ، وحينا اسعفتهم فطنتهم الساخرة في الردود السريعة على المسلمات الموروثة ، كما أطلقوا الأعنة لاذهانهم والسنتهم حتى تكشف عن المناقضات بين المجرد والحقيقي ، وبين المؤتلف والمختلف الى غير ذلك مما تكدس في العصور الذهبية في التاريخ العربي الاسلامي ، ذاك الذي ترك لنا ثروة من الملح والنوادر والفكاهات والخمريات وألوان من التحلل والمجون مما تزخر به بطون التراث ـ والكثير منه تعاقب عليه قوانين المطبوعات اليوم ـ ولكن معظمه تم تدوينه عقب عصره خوفا من الرقابة أو العقوبة ، واذا كان الغرض الاجتماعي والسياسي قد استنفد منه بعد حينه فان المتأخرين ـ مع بقاء الكثير منه ـ لم يلتفتوا اليه ولم يولوه ما يستوجبه من عناية

فالعلاقة جدلية بين الحرية والنكتة وبينها ما يسميه الفلاسفة والمناطقة « بالتسلسل والدور » ، الحرية تنتج نكتة والنكتة تنتج حرية من هنا فان بعض الباحثين ـ ومن بينهم خالد قشطيني ـ يرى أن العرب لم يرتبطوا في اذهان الشعوب العالمية بأنهم شعب صاحب نكته ، وهو الجانب الذي غالبا مايشكل نسبة لايستهان بها من أدبيات « الفلولكلور الشعبي » لدى الشعوب بل لقد اشتهر الشعب العربي بالعبوس والتجهم ، وكثيرا ما يلصق ذلك بالشخصية العربية

ونحن بدورنا لانؤيد هذا الكلام على علاته ، فالشعب العربي كبقية الشعوب له طرفه وملحه ونوادره ونكته ، فهو غير خلي منها ، وان كان الميزان في النهاية يميل الى الاتجاه الاخر .



البشرى
ساد

☐ من الكتاب العرب المحدثين قلة محدودة اهتمت بهذا الموضوع الباحث فى السخرية والفكاهة ودلالاتها الاجتماعية والسياسية ، فعلى عظم هذه الدلالات نجد أن من كتب عنها استلهم حكايات اشعب وجحا وابى نواس وابي علقمة وابي دلامة . الخ وافاض فى نبش الماضى دون تلميح للحاضر ؛ من الكتاب المحدثين الذين حاولوا طرق الموضوع : عباس محمود العقاد وعبد العزيز البشرى ، الاول كدراسة مختصرة فى مقدمة كتابه (جحا الضاحك المضحك) وكذلك فى دراسة له عن سعد زغلول ، والثانى كممارس للكتابة الساخرة فى مقدمة كتابه « في المرآة » اذ يقرر البشرى : (ان مرد النكته الى خلل فى القياس المنطقى باهدار احدى مقدماته أو تزييفها ، أو بتوصيلها بحكم التورية ونحوها بما لا تصل به فى حكم المنطق المستقيم ، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى اليه العقل لو استقامت مقدمات القياس . . . وهذا الذى يبعث العجب ويثير الضحك والطرب) .

التناقض بين المقدمات والنتائج هو مايثير الضحك فى رأى البشرى ، وهو احد التفسيرات التى قال بها بعض المفكرين الغربيين الذين تناولوا الموضوع باسهاب وبخاصة هنرى برجسون (١٩١٢) الذى كان مرجعا خصبا لكل من كتب عن هذا الموضوع بالعربية .

فى الوقت الذى يلاحظ العقاد في كتابه « جحا الضاحك المضحك » غزارة الكتابة عن الضحك فى (الثقافة الغربية الحديثة) فانه يرد ذلك الى باعثين : احدهما نشأة علم الذوق أو علم الجمال الذى ينظر فى الفروق بين الجميل والجليل والمضحك ، كما تعرضها الفنون الجميلة ولا سيما التمثيل ، اما السبب الاخر فى رأيه فهو (شيوع البحث فى « التطور ومذهب النشوء » . فان هذا المذهب يفسر تعبيرات الانسان عن خوالجه

العربيه إبان عهد الليبرالية نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، حتى منتصفه تقريبا او من اوربا الشرقية بعد الخمسينيات .

والنكتة السياسية تمثل العصيان على السلطة والتحرر من ضغطها وهذا يفسر استخدامها ضد (الكبير) و (العظيم) ، والضحك يسمح لنا بالتنفيس دون ان نتورط فى مواجهة تبعات حقيقية ، كما يفضى بنا الى عوالم من السعادة النفسية ما كان لنا ان نصل اليها

ولقد اكتشف السياسيون ايضا اهمية النكتة فاستخدموها سلاحا فى المعركة ضد اعدائهم ، وغالبا ما يلجأ السياسى الى النكته عندما لا يجد احوبة عقلانية شافية تبرر خطواته او اقتراحاته ، او يستخدمها كمداخل للحط من منافسيه

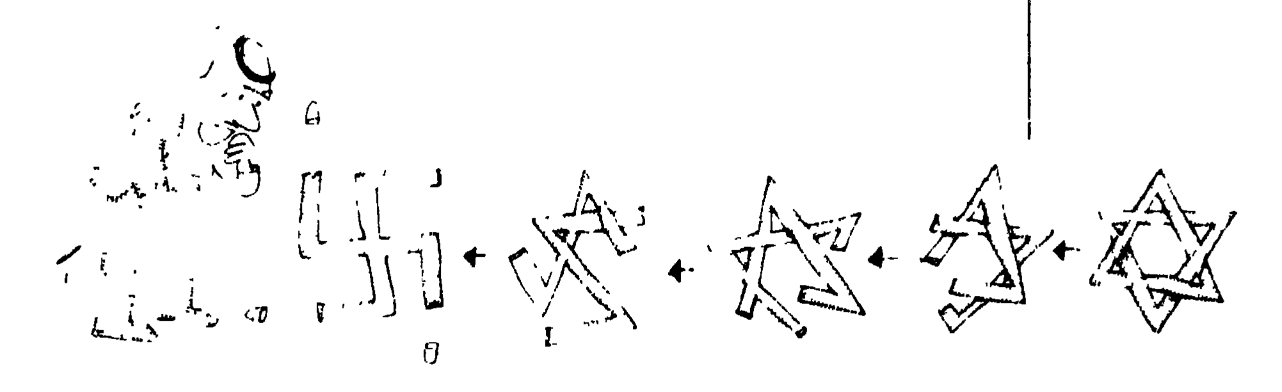
يقول خالد قشطيني فى كتابه الذى اشرنا اليه سالفا انه (رغم الثراء فى ادب الفكاهة العربى من جهة والصراع السياسى العربى من جهة اخرى فليس لدينا الكثير لنعرضه عند حديثنا عن النكته السياسية ، وهذا قد يكون مفهوما فى اطار السلطة القمعية لحكومات القرون الوسطى ، ولكن استمراره حتى الان يعنى ان النكتة السياسية التى تنتشر بين الناس وتناقش قضاياهم ومشاكلهم لا احد يجرؤ على تسجيلها فى وقتها !)

وعلى الرغم من ان الكاتب يروى الكثير من النكت السياسية التى قيلت فى مناسبات حديثة ومعاصرة ، الا أن شكواه تلك تبين لنا الصعوبة فى طرق مثل هذا الموضوع علاقة السلطة بالمواطن مجال فسيح لطرح النكت وهى قد لا تكون مقصورة على بلد معينةأو حاكم معين

النكتة الاجتماعية

□ لقد اكتشف رواد الفكاهة فى الوطن العربى المصادر الكوميدية الغربية فى الربع الاخير من القرن الماضى مثل سليم نقاش واديب اسحق فى سوريا حيث ترجموا لموليير ، ويعقوب صنوع فى القاهرة ، ولقد وظف هؤلاء الرواد قدراتهم للدعوة ضد الاحتلال والمتعاونين معه ، كما ان يعقوب صنوع اول من ادخل الكاريكاتير فى الصحافة العربية

ولعل الشخصية البارزة فى تاريخنا العربى التى سخرت النكتة السياسية ضد الاحتلال هو عبد الله النديم الذى جمع بين التثقيف الدينى فى الازهر والتوجهات الاشتراكية ، واضاف الى الاثنين قدرته الفذة على التنكيت ، حتى غدت شخصيته اقرب الى الخرافة منها الى الحقيقة ، ونسبت اليه كثير من النوادر الساخرة والطرائف المبدعة اللاذعة





ولد فقيرا وعمل خادما في قصر أحد الميسورين ولما ضاق بتسلطه وعنته ألف زجلا يهجو فيه سيدة البيت . فضرب بالسوط حتى اعمى عليه . وفي سنوات نضجه كان اكثر التصاقا بمجلة « التبكيت والتنكيت » وهي مجلة ظهرت في عام ۱۸۸۷ اساسها النقد الاجتماعي الفكه وعندما خاضت مصر صراعا ضد الاحتلال الانجليزي دخل لنديم المعركة ومات سدات الرنة وهو هائم يختفي عن الانظار

في هذه الفترة كانت هناك موضوعات اجتماعية حادة عالجتها الفكاهة في مصر منها « علاقة الفلاحين بالمرابين » ومنها ايضا قضية الطلاب العائدين من اوربا وقد فقدوا او تظاهروا بفقد علاقتهم بمجتمعهم وعاداتهم ، وهو الموضوع الذى تكرر كثيرا فى فترات متعددة من تاريخ الوطن العربي وخبرناه نحن في الخليج العربي في وقت متأخر أي في الخمسينيات من هذا القرن

قضية اخرى عالجتها الصحافة الضاحكة هي قضية « الخواجة » او بالأحرى « عقدة الخواجه » وتظهر في قمة طرافتها وسخريتها فى القصة التالية :-

شاهد رجل شرطة لصا متدليا من الشباك وفي يده صرة كبيرة فصرخ . من هناك ؟ فرد الحرامي خواجة

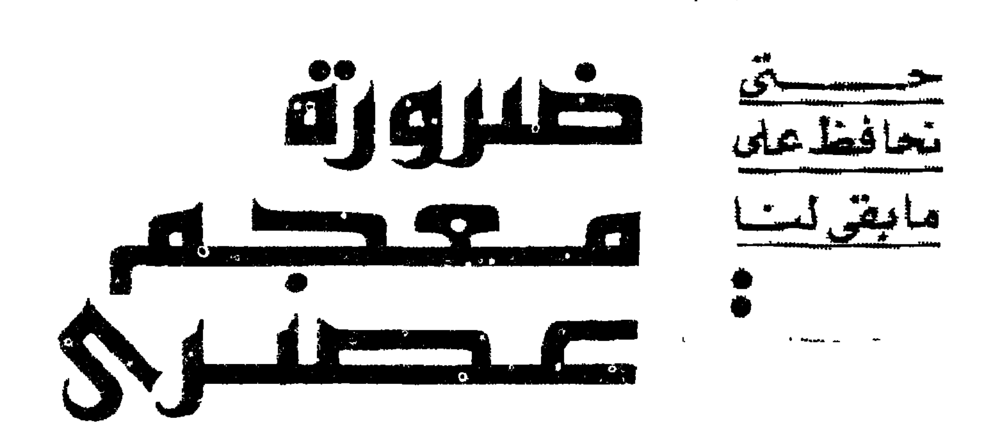
فقال الشرطي اسف لقد ظننتك « مصرى » !

ومن ظرفاء ذلك العصر الذين اهتموا بالسياسة ابراهيم المويلحى الذى نشر مجلة « مصباح الشرق » واخذ يرسل لها من اسطنبول مقالاته (والتى نشرت بعد ذلك مجمعة تحت عنوان « ماذا هناك » ولعل اطرف ما كتبه ساخرا من الوضع السياسى عندما احتلت فرنسا تونس وفى نفس الوقت التجأ مدحت باشا الليبرالى التركى الى السفارة الفرنسية فى اسطنبول ، وبعد محادثات دبلوماسية طويلة توصلت الامبراطوريتان الفرنسية والتركية الى أن يسلم مدحت باشا الى تركيا وتوافق تركيا على ان تسلم تونس لفرنسا . كتب يقول : لقد بادلت تركيا رجلا واحدا ببلد كامل . واثبتت كم هى تثمن الانسان .

وتعاظم تأثير المجلات الفكهة وتأثيرها السياسى فى مصر بعد الحرب . . فاصدر

المفكر العربي الكبير . الاستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبد الله . خص العربي مقالة حول ضرورة وجود معجم عربي عصري ، وهذه المطالبة عندما تأتي من هذه النخبة من المفكرين العرب لاشك تعني معنى خاصا وكبيرا

ومن خلال هذه المقالة تطرح «العربي» الموضوع للنقاش



بقلم : الدكتور اسماعيل صبري عبد الله

لا أظن أحدا يجادل في حقيقة أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة وقد جاهد مثقفو الشرق لإحياء العربية وليجعلوها قادرة على استيعاب معارف العصر ، تلبية لرغبة الناس في المحافظة على لغتهم ، وإزاء بطش الاستعمار الفرنسي في المغرب ، كان تعلم الاسلام الوسيلة الأساسية للابقاء على العربية لغة حية ، رغم السياسة الفرنسية الغاشمة وهكذا عبرت الأمة العربية مرحلة الاستعمار الأوروبي دون أن تفقد لسانها ومع ذلك فها نحن بعد الاستقلال ، وبعد أكثر من أربعين سنة من انشاء جامعة الدول العربية ، نشهد تدهورا حقيقيا في لغتنا الفصحى ، وفي مختلف اللهجات العامية المتعددة فماذا حدث ؟

اعتقد أن الامر يرجع لاسباب ثلاثة مهمه أولها قصور حركة « التعريب » عن متابعه التطورات السريعه والمتلاحقة في العلوم والتقنيات فالأمر متروك لاجتهاد أهل الاختصاص في كل علم ، مع أنهم ليسوا بالضرورة من الضالعين في اللغة كما أن اجتهاداتهم المحلية قد تتضارب وعلى سبيل المثال مازال أهل التجارة وبعض المشتغلين بالاعلام يتحدثون عن « العقل الالكتروني » في حين توصل بعض المشتغلين بالمعلومية أو « المعلوماتية » في المشرق الى تعبير « الحاسب الالي » وبحث المغاربة

نمط « حاسوب » وهو اشتقاق عربي أصيل ، حيث أن صيغة « فاعول » من صيغ اسم الآلة المعروفة . والكلمة الواحدة أفضل من كلمتين ومع هذا كله مازال معظمنا يستخدم اللفظ الانجليزي « كومبيوتر » .

أما السبب الثاني فهو افتتان الناس في بلادنا بأنماط الاستهلاك ، وأساليب المعيشة الأوروبية والأمريكية فمن يحرص على أن يسير وفق تقلب صرعات الأزياء في الغرب ، لابد أن يتحدث عن « الجينز » و « تي شيرت » الخ .

أما السبب الثالث ، وقد لاحظته في مصر « الانفتاح » نوع خاص ـ فهو تراجع الحس الوطني في المستوى اللغوي ، وسعي أهل الانفتاح الناجح لفرض الأسماء الأعجمية وأعني بالأعجمية تلك التي لا معنى لها في أي لغة ، مثل شركه عثمانكو الخ فالجهل سمة شائعة بين من سلبتهم هذه جميع المال القدرة على اعمال العقل في شيء آخر وفي هذا المناخ تدهورت لغة الصحافة ـ ناهيك عن الاذاعة المسموعة والمرئية ـ ولغة المسرح بل لقد أصاب التدهور العامية كذلك وشتان ما بين عامية بيرم التونسي وفؤاد حداد وعامية فؤاد نجم .

معجم عربي عصري

ولا أريد أن أطيل في « البكاء على الأطلال » الذي كثيرا ما نساق اليه في هذه الأيام وأود أن أطرح ما أحسب أنه ضرورة للتصدي للدفاع عن العربية فلا يمكن الحفاظ على لغة وتيسير تجددها ومتابعتها للتطور دون اصدار معجم عصري . فمعظم من يكتبون بالعربية لا يجدون تحت أيديهم معجما يرجعون اليه فيما وراء « مختار الصحاح » والرجوع الى المعاجم القديمة أمر صعب فهي أولا ليست متوافرة في طبعات حديثة وهي ثانيا مطولة وهي ثالثا لاتسير على ترتيب أبجدي واحد ، وهي رابعا ترد كل الكلام الى الجذور الثلاثية أساسا . وبعضها مثل « الصحاح » يقتصر على صحيح اللغة ، فهو لا يتضمن الا الكلمات المشهورة عن أهم القبائل العربية بمعناها الأصلي في جزيرة العرب ، مستبعدا



حتى المعاني الاصطلاحية التي اكتسبتها الكلمات خلال القرون الأربعة الأولى من التقويم الهجري ، وبعضها يفيض في ذكر الكلمات حتى لو كانت شاذة أو نادرة مثل « المحيط » .

وحتى يكون المعجم عصريا ، يجب أن يتبع الترتيب الأبجدي لكل ما يحوي من كلمات ، حتى لو أحال الى المادة الأصلية فيقول مثلا في « استغاث » طلب الغوث ، انظر غوث كذلك لابد أن يشير المعجم الى المعنى الحالي للكلمة ومن المفيد بالتأكيد في معجم مطول أو شامل ذكر تطور معنى الكلمة عبر القرون ، انتهاء الى معناها الجاري ، وأن يشير الى بعض المعاني المختلفة للكلمة الواحدة في أقطار عربية مختلفة

فنحن نرى في معجم اكسفورد كلمات مذكور بجوارها ، أنها تستخدم في الولايات المتحدة . وهذا التحديد للمعاني المتوالية للكلمة أمر ضروري .

فالاقتصاد في الأصل هو الاعتدال ، والنتاج ولد الناقة . وكلمة الحكم في القرآن الكريم تفيد عالما

من أهم الشعائر الدينية . وهم يرون أن اليهودي العادي قد أصبح يفرغ أي شحنة دينية داخله عن طريق النشاط الصهيوني ، الذي هو نشاط دنيوي بالدرجة الأولى ويؤكد بعض المتحدثين باسم الأقليات اليهودية ، أن الدولة اليهودية قد سببت أزمة هوية لليهود اذ أنها تضطر يهود أمريكا على سبيل المثال للسؤال عما اذا كانت اسرائيل دولة يهودية بالمعنى الديني ، مثل الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك ، وهذا ما لا يسانده الواقع العلماني في اسرائيل . أما انها دولة يهودية بالمعنى الاثني والعرقي ،

ويثير يهود العالم قضية أساسية أخرى وهي هل الدولة اليهودية مجرد دولة تخدم مصالحها بغض النظر عن مصالح اليهود ، أم أنها دولة يهودية تضع مصالح اليهود في العالم في الاعتبار وقد أثيرت القضية بحدة مؤخرا بسبب التعاون الوثيق بين الحكومة الصهيونية وحكومة الأرجنتين العسكرية السابقة . وقد قام شامير باعتباره وزيرا لخارجية اسرائيل بزيارة الأرجنتين في الأيام الأخيرة للنظام العسكري وقد ثبت أن هذا النظام المشهور بميوله النازية المعادية للسامية ، كان يقوم بتعذيب الثوريين ، واليهود منهم على وجه الخصوص ، ومع هذا استمر النظام الصهيوني في الحفاظ على علاقاته بالنظام العسكري في الأرجنتين ، وكانت السفارة الاسرائيلية ترفض التدخل لصالح المعتقلين السياسيين اليهود

الصهيونية والقمع

ويشير اليساريون واليهود في العالم ، الى علاقات اسرائيل بالنظم العسكرية في أمريكا اللاتينية ، فهي من أكبر موردي السلاح لها ، كما أن علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية مع نظام جنوب افريقيا هي الأخرى محط انتقادهم

وكيف يتأتى لدولة يهودية ممسكة بالقيم الدينية ان تتحول الى حليف لكل قوى القمع والارهاب في العالم ، بل ان الليبراليين أيضا يضطرون للاحتفاظ بمسافة بينهم وبين الكيان الصهيوني ، حينما يقوم بعمليات وحشية تفوح رائحتها مثل صبرا وشاتيلا وقد حاولت الصهيونية أن تحل مشكلة سلوكها العنصري والارهابي ، بأن جعلت هذه العنصرية لها فعالية في مكان واحد فقط وهو فلسطين ، فهي ليست عنصرية كونية على الطريقة النازية بل هي مقصورة على بلد واحد هو فلسطين ، وعلى شعب واحد هو شعبها .

خونة أم مرتدون ؟

ومن القضايا التي تثير بعض التوتر بين أعضاء الأقليات اليهودية والدولة الصهيونية هجرة عدد كبير من مواطني الكيان الصهيوني الى الولايات المتحدة واستيطانهم فيها . ويبلغ عدد المهاجرين ٤٠٠ الف ، أكثر من نصفهم من مواليد فلسطين المحتلة ، أي من جيل الصابرا • اذ يطرح السؤال نفسه ، عما اذا كان من الواجب أن تقوم المؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة بتقديم المساعدة لهم باعتبارهم « يهوداً » أم يجب مقاطعتهم باعتبارهم « خونة » « مرتدين »

ولعل من أكبر أشكال فشل « الدولة الصهيونية » في الهيمنة الفعلية على أعضاء الأقليات اليهودية في العالم ، أنه بعد مرور ما يزيد عن مائة عام على الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وبعد مرور حوالي أربعة عقود على انشاء الدولة الصهيونية ، وبعد الحملات المكثفة ، بل الهستيرية ، التي تهدف الى اقناع أعضاء الأقليات بالهجرة الى فلسطين ، انطلاقا من « حبهم لصهيون » • ارتباطهم « بوطنهم القومي » واقتناعهم بأن الهجرة هي السبيل الوحيد الى الحفاظ على اسرائيل . بعد كل هذا لم تقابل المنظمة الصهيونية والدولة الصهيونية سوى الفشل ، الأمر الذي فرض عليهما أن يطرحا جانبا المنطلقات الأيديولوجية الصهيونية الدينية الاثنية في الآونة الأخيرة ورفعا بدلا منها شعارات مادية استهلاكية « فاسرائيل » حسب الحملات الجديدة ليست أرض الميعاد ، ولا مسرح الخلاص ، وانما هي بلد تتوفر فيه أسباب الراحة المادية للمهاجر ، حيث يمكنه أن يمتلك بيتا واسعا كبيرا بشروط ائتمانية سهلة ، وبالتقسيط المريح وبذا يمكن القول ان الجاليات اليهودية هي التي غزت الدولة الصهيونية ، وليس العكس ، أو لعلنا نكون أكثر دقة لوقلنا ان الاستهلاكية العربية هي التي غزت الجميع □

بلا وطن!

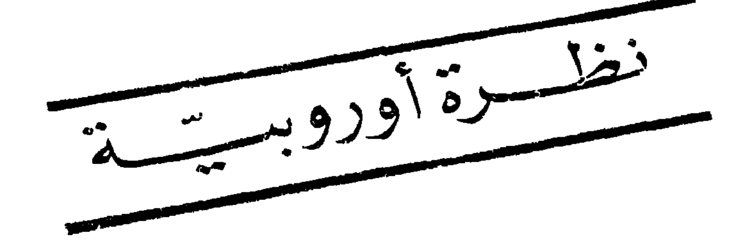
شعر : دكتور عبده بدوي

ولمّا قضينا العام بين مواجع وجهدٍ ووجّهنا خطانا إلى المدُنْ
ولاح لنا شيءٌ من الشذو باسمٌ بحثنا لهذا الشذو في الليل عن فننْ
وكان بقربي صاحبٌ أستميله وأبصرُ فيه ما حوى الكون من حسنْ
يحدّث أطفالي عن العالم الذي يضيءُ بعيداً عن شرور ، وعن محَنْ
لقد كان مسْراه الى القول عالماً من الشعر مزهواً فيختصرُ الزمنْ !
يحدث عنه في الحضارة مشْرقاً فتقلع أرواح بأشرعة السُفُنْ
وآناً مع اللوحات يرسمُ عالماً فتزدهر الألوانُ في السّرِّ والعلن
وفي مرّة يُعطى « البيانَ » أصابعاً فيصبح هذا الكونُ في حافةِ الأذنْ
.. ولكنّنا كنّا نرى أنّ لمسةً من الخوف تعْروه ، وترْتجّ في البدنْ
فنسكتُ عن جُرحٍ يضيءُ بقلبه ونأخذُ في شيءٍ من القول مُؤْتَمَنْ !

* * *

وفي مرّةٍ . لاغاه طفلي ضاحكاً « ترى أين تقْضي الصّيف فالصّيفُ قد أذِنْ ؟ »
فأظلمَ منه الوجهُ من فوق بَسْمةٍ وأجْهش في الهدْبين شيءٌ من الحزَنْ
وضاع مساءٌ كان يندى بصوته وظللنا طيرٌ غريبٌ من الشّجَن
تعجب طفلي ، ثم قال بحسْرةٍ « تُراني قد اخطأت ؟ .. « قُلت » بل الزّمن »
فعمُّك هذا ليس يرْسو بشاطيءٍ فقال « لماذا ؟ » قلت « ليس له وطن ! »

المصادر المائية في دول مجلس التعاون الخليجي



بقلم : الدكتور إيوان أندرسون *

حلال حقبة الضغط الماضية نسي الخميع مصادر حيوية ومهمة احرى هي المصادر المائية لكن البلدان التي تخطط لمستقبلها البعيد كما تخطط ليومها لم تهمل هده المصادر بالنسبة لها

وفي منطقة الخليج العنية بالنفط الشحيحة المياه تطرح القضية بشكل اكبر واكثر حدة فماذا اعددنا للمستقبل في هدا المجال؟ هدا المقال يمثل وجهة نظر اوروبيةحول هداالموضوع المهم والخطير بالنسبة لنا

على الرغم من الاهميه الحيوية للمياه فان التحصيط للطوارئء اصماد تأميها عير حيد في محتلف انحاء العالم ومع ان وثيقة مدنية في هدا الموصوع اعدت في الولايات المتحدة (محتسر أوك ريدج ١٩٨٥) فانها لاتتناول الا المبادىء العامة ولكن البحت الحديد في الاحطار التي تتعرض لها مصادر المياه بدأ يلقى اهتماماكر الان في الولايات المتحدة ومن الواصح ان مثل هده الدراسات في مناطق حافة مثل دول مجلس التعاون الخليجي اكثر اهمية وبين الحاجات الواسعة التي تلزم للبحوث هناك حاجتان رئيسيتان

أ - تقرير اثار حرمان المياه على المجتمعات

ب - تحديد الحالات الطارئة التي يمكن ان تؤدي الى نقص في المياه

---

* باحث في مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية - جامعة درهام لندن



عندما تفجرت المياه من منطقة « الروضتين » بالكويت

مصادر الماء وتأمين الحماية

ان انظمة المياه الحالية الحديثة اصبحت اكثر عرضة للخطر . فالتقنية بحاجة الى المزيد من الخبرات الخاصة ولكن هناك ايضا نقاطا اكثر من التقنية يمكنها ان تهدد بالانهيار ، واذا ما حصل انهيار في الامدادات فان الاخطار التي تتعرض لها الاوضاع والخدمات الصحية كبيرة ومن النتائج الاخرى زيادة البطالة تبعا للصناعات وتواجدها يضاف الى هذا ان الزراعة والعائدات بشكل عام سوف تتضرر ومن الممكن ان يترتب على ذلك ايضا اضطرار الحكومة الى اعادة توزيع السكان او قطاعات محددة من السكان في مناطق مختلفة ومع تحسن مستويات المعيشة فان الطلب على المياه زاد ويزيد من الضغوط على النظام المالي . ومع ازدياد الاعتماد الكلي على نظام التزويد العام فإن احتمالات التعطل ستكون اكبر وبالتالي ستترك نتائج وعواقب أوخم . ومع ايجاد مصدر جديد للمياه فإن المصاعب التي تواجه عملية تأمينها وحمايتها تزداد أيضا

اما المجال الرئيسي الاخر الذي يثير القلق ، فهو القدرة على الربط بين مستوى الخطر الذي تتعرض له انظمة المياه المختلفة مع الاخطار المختلفة ومصادر هذه الاخطار . وينطوي هذا على تصنيف انظمة المياه ونقاط ضعفها قبل كل شيء . وبعدئذ يمكن اعداد تحليل للاخطار ومصادرها سواء اكانت هذه المخاطر كوارث طبيعية أم من فعل البشر وعندئذ يمكن وضع صورة عامة للاجراءات الوقائية التي تهدف الى تأمين مصادر المياه المعنية

ذلك ان امدادات المياه في دول مجلس التعاون الخليجي حيوية جدا ، ليس من اجل الاستهلاك الانساني والمحلي أو المنزلي فحسب ، بل و من اجل الزراعة والصناعة والانتاج والتعدين . ونظرا لقلة السكان بشكل عام وطبيعة النمو المدني المحدود فإن انظمة تزويد المياه تميل الى ان تكون محدودة في مداها ولكن نظرا لوجود علاقة طردية بين التنمية والمياه فإن هناك في العادة مصادر بديلة اخرى . ومع ان الوضع يختلف من بلد لآخر فان الحقيقة هي ان هناك انخفاضا بشكل عام في مصادر المياه الارضية .

منشآت التحلية

وهذا واضح بشكل خاص في الدول الاخرى مثل البحرين وقطر ، وهو ايضا حقيقة مهمة في عمان ، وعلى النطاق المحلي في السعودية هناك مشكلة مستمرة وهي ان طبيعة ونمط التغيير في مصادر المياه الارضية غير واضحة هناك حتى الآن .

نتيجة هذه المصاعب ظهر اعتماد مطّرد على المياه التي تزال ملوحتها . ولكي تكون منشآت التحلية اقتصادية لا بد وان تكون كبيرة وفي هذا ما يوضح اعتماد كلٍ من الدول الصغرى في مجلس التعاون الخليجي على عدد محدود جدا من منشآت التحليةفي معظم حاجاتها المائية ، فعلى سبيل المثال نجد أن أبوظبي تعتمد مائة بالمئة على المياه مزالة الملوحة بينما تستخدمها دبي للاستعمالات البشرية والصناعة فقط كذلك تطغى المياه المزالة الملوحة على البحرين والكويت وقطر . وحتى في عمان نجد ان ٥٠ بالمائة من المياه اريلت ملوحتها

ومن الواضح ان هناك خطرا في الاعتماد على نظام مياه مركزي يعتمد بدوره على مجموعة أو اثنتين من المنشآت الكبيرة .

لقد درجت العادة على تقييم الاخطار التي يتعرض لها اندماج دول المجلس وتكاملها على اساس النفط وربما الغاز الطبيعي ، الا ان مصادر المياه وما يرافقها من مشكلات في الواقع اكثر اهمية . ولهذا من المهم بوجه خاص تحديد الأخطار المحتملة وتقييمها بشكل عميق مفصل

المصادر والعوائق

على الرغم من امكانية وجود العوائق الطبيعية من جيولوجية ومعدنية في العالم الحديث ، فإن الأخطار الرئيسية لابد وأن تكون بوحي من الانسان ، فنظرا لوجود تلك الثروة النفطية الهائلة لا يمكن تناسي الاغراء بالتدخل الخارجي.ونظرا للغزو السوفياتي لافغانستان ومايعني اقترابهم اكثر من المنطقة ، فإن من الضروري اعتبار السوفيات عامل قلقة . ومن ناحيةاخرى تعتبر الخطط الامريكية مصدر خطر للمنطقة نفسها . ولما كان أي احتمال بوقوع مواجهة بين الدولتين العظميين يحمل في ثناياه مخاطر دمار رهيبة ، فان حدوث مثل تلك المواجهة في منطقة الخليج أو أي مكان اخر في الواقع يجب ان يعتبر مسألة بعيدة الاحتمال

الا ان المشكلات المتداخلة الكثيرة في المنطقة هي التي لا بد وان تشكل خطرا اكبر على الاستقرار فيها ، اذ ان مناطق حدود كثيرة في البحر والبر لا تزال مثار نزاع كما ان خطر حدوث تصعيد يتعاظم دائما عندما تكون المسألة متعلقة بالنفط أو المياه وفي المنطقة نفسها هناك طبعا خلافات ايديولوجية واقتصادية حادة وأوضح مثال على ذلك هو الحروب العراقية ـ الايرانية التي لا تزال مستمرة .

وعلى الرغم من كل هذه المشكلات المحتملة فإن الكثيرين يرون ان الاخطار الرئيسية على الاستقرار داخلية ، اذ ان سرعة التغيير في المزاحمة والحاجة الى العمال الاجانب وما يترتب على ذلك من اختلافات ثقافية ودينية كثيرة يمكن ان تؤدي الى التوترات

من هنا تبين اعتبار المصادر المائية معرضة للخطر ـ بل وهي في حالات كثيرة اهم من النفط ـ فهناك اخطار كثيرة محتملة وسوف تكون الانظمة المائية معرضة للخطر ولو على المدى المتوسط على الاقل

لذا من المهم جدا وليس من السابق للأوان دراسة نظام تأمين المياه وامداداتها وتأمين الموارد أو المصادر الطارئة في حالة نشوب المصاعب ولا بد من التأكيد على ان المشكلات التي تواجهها دول مجلس التعاون الخليجية متشابهة ، وعلى ان دراسة تأمين وتخطيط تأمين المياه في الحالات الطارئة تشكل مجالا للتعاون المثمر بين دول المجلس □



■ لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه
(علي بن ابي طالب)

الطريق إلى حماية إنتاجنا الغذائي

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

ان زيادة المحاصيل الزراعية ، ومضاعفة الثروة الحيوانية أمران على جانب كبير من الأهمية لمستقبل الغذاء في الوطن العربي ، ولكن التوسع والتطور في حفظ الموجود منها لايقل أهمية عن زيادة الانتاج . أليس حفظ الاغذية من التلف شكلا آخر من أشكال الانتاج ؟

نفقد كثيرا مما ننتجه من غذاء نحن في حاجة شديدة له ، لسد مطالب ملايين السكان المتزايدة عاما بعد عام ، ونحن في حاجة الى سد الجوع والنقص الغذائي في بعض مناطق وطننا العربي نفسه .

لقد بلغت نسبة الفقد في انتاج الخضراوات والفاكهة والالبان ومنتجاتها وغيرها من ١٥ ـ ٣٥٪ ، لهذا كان من الضروري أن نحافظ على الأغذية والخضراوات والفاكهة من التلف والفساد ، لينتفع بعض المواطنين بها ، وذلك باستخدام الثلاجات الكبيرة والصغيرة المنشأة بالجمعيات التعاونية ، أو باتحاد المنتجين أو الزراع أنفسهم ، وكذلك باستخدام الثلاجات الصغيرة في بيوت المستهلكين أنفسهم ، فالحفاظ على الثمار الطازجة من التلف والفساد معناه زيادة في انتاجها الغذائي نفسه ، بما يقارب هذا المعدل من الفقد .

كيف نسمح بإنتاجنا الغذائي الذي تعبنا في زراعته ورعايته وحصاده أن نتركه لعوامل العطب والتلف ؟! كيف نسمح بفساد بعض انتاجنا الغذائي وحرمان بعض مواطنينا منه ، وهم في حاجة ماسة اليه ؟!

الاقلال من التلف

ان حل هذه المشكلة يتطلب تقليل التالف من الأغذية الى أكبر حد مستطاع ، مع نقل الزائد من المناطق المنتجة الى المناطق المحرومة ، أو التي تعاني



العنب فاكهة يناسبها التجفيف

نقصا فيها . وهذا لن يحل على الوجه الأكمل إلا بالنهوض بصناعة حفظ الاغذية وتجفيفها . فبهذه الصناعة يتحول الفائض من اللحوم والألبان والخضر والفاكهة في منطقة ما الى صورة مجمدة أو مجففة ينتفع بها في أشهر أخرى ، بدلا من تركها معرضة للتعفن والتحلل والفساد حيث نفقدها الى الأبد .

ليس هذا فحسب ، بل ان تجفيفها سيسهل عملية نقلها وتوزيعها على جميع انحاء الدول المجاورة بنفقات أقل . والأطعمة المجففة تحتفظ عادة بالكثير من صفاتها وخواصها ، مع صلاحيتها لمدة أطول .

والمقصود بالتجفيف خفض نسبة الماء في المادة الغذائية ، مع زيادة تركيز المواد الصلبة الى الحد الذي يقف عنده عمل الأنزيمات والبكتيريا والفطريات ، وبوقف عمل الانزيمات والكائنات الحية الدقيقة ، تقف عوامل فساد المواد الغذائية وتلفها .

وبتجفيف الأغذية بسحب الماء منها يقل وزن المادة الغذائية المنقولة أو المحمولة بالطائرات ، فان ماتحمله اثنتا عشرة سفينة تجارية من اللحوم العادية ، تحمله بعد تجفيفه سفينة واحدة .

وبتجفيف الأغذية ونزع الماء منها ، أمكن ارسال الكثير من المواد عبر البحار ، فاللحم مثلا به من الماء ٦٥٪ أو ٧٥٪ ، أما الحليب فيحتوي على ٨٧٪ ، والطماطم ٩٠٪ ، فبالتجفيف تنزل نسبة الماء الى ٣٪ أو ٧٪ ، فيسهل نقلها وخزنها من غير أن تتعرض للفساد والتعفن والتسمم ، ويساعد ذلك على نقلها بوساطة الكثير من وسائل النقل ، ويتم تجفيف الأغذية طبيعيا بأشعة الشمس أو صناعيا .

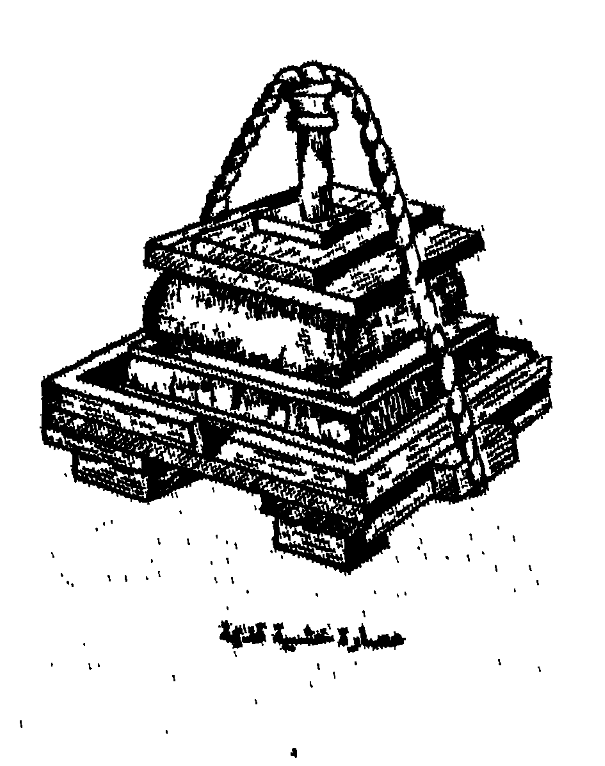
وتولد الحرارة المطلوبة للتجفيف الصناعي من الكهرباء ومن المازوت ، السولار ، الديزل ، وتعتبر الكهرباء أفضلها ، الا أنها أكثر تكلفة ، وذلك بتسخين المواد الغذائية تسخينا مباشرا أو غير مباشر .

ويقصد بالتجفيف المباشر امرار الهواء الساخن الناتج من مصادر الحرارة المشار اليها ، على المواد المراد تجفيفها مباشرة ، من غير وجود حائل يمنع

اتصال الهواء الساخن بهذه المواد . ويعاب على هذه الطريقة تعرض المواد الغذائية المجففة للاتساخ بذرات الاحتراق أو احتوائها عليها أو اسمرارها ، ويتم التجفيف داخل المجففات بطريقة التسخين غير المباشر ، وفيها ترتفع درجة حرارة الهواء عن طريق ملامسته لأسطح الأفران المستعملة . وقد يتم تسخين الهواء بواسطة أنابيب مسخنة بالكهرباء ، أو بواسطة أنابيب مسخنة بالبخار المضغوط . وهذه الطرق هي أكثر الطرق استخداما ، لأنها تعطي مواد مجففة ذات صفات جيدة من حيث الطعم واللون والرائحة .

حفظ الخضراوات بالتجميد والتجفيف :

ويمكن حفظ الخضراوات والفاكهة والمواد الغذائية الأخرى من التلف والفساد ، والاحتفاظ بمكوناتها الغذائية بعملية التجفيف والتجميد ، وهذه العملية تجمع بين عمليتي التجميد السريع والتجفيف بتفريغ الهواء . وتبدأ العملية أولا بتبريد المادة تبريدا سريعا الى درجة منخفضة . وفي هذه المرحلة يتحول الماء الخالص الى جليد ، وتنفصل المادة الغذائية أو المعلقة


حصالة خشبية قديمة

على صورة بللورات أو كتل هلامية جامدة ، وعندما يتم تجميد المواد تنقل الى خزانات مقفلة ويفرغ هواؤها ، وفي أثناء ذلك تسخن جدرانها تسخينا هينا ، فيتحول الجليد الى بخار مباشر ، وبذلك تجف المادة تدريجيا ، ولايتغير شكلها ، ويقل حجمها ووزنها بنحو ٨٠٪ . وفي هذه الحالة يجب الحرص على بقاء المادة متجمدة ، وذلك بتنظيم عملية التسخين بدقة تامة ، لتبقى المادة دائما في درجة منخفضة ، ويكون هناك توازن بين الحرارة المكتسبة بالتسخين والحرارة المفقودة بالتسامي (تحول الرطوبة الى بخار ماء) .

وعندما يتم تسامي الجليد تسخن المادة الغذائية قليلا الى درجة مناسبة ، للتخلص من الرطوبة التي بها ، وتترك بعد ذلك تحت ضغط منخفض للتخلص من آثار الماء المتبقي بها ثم تخزن .

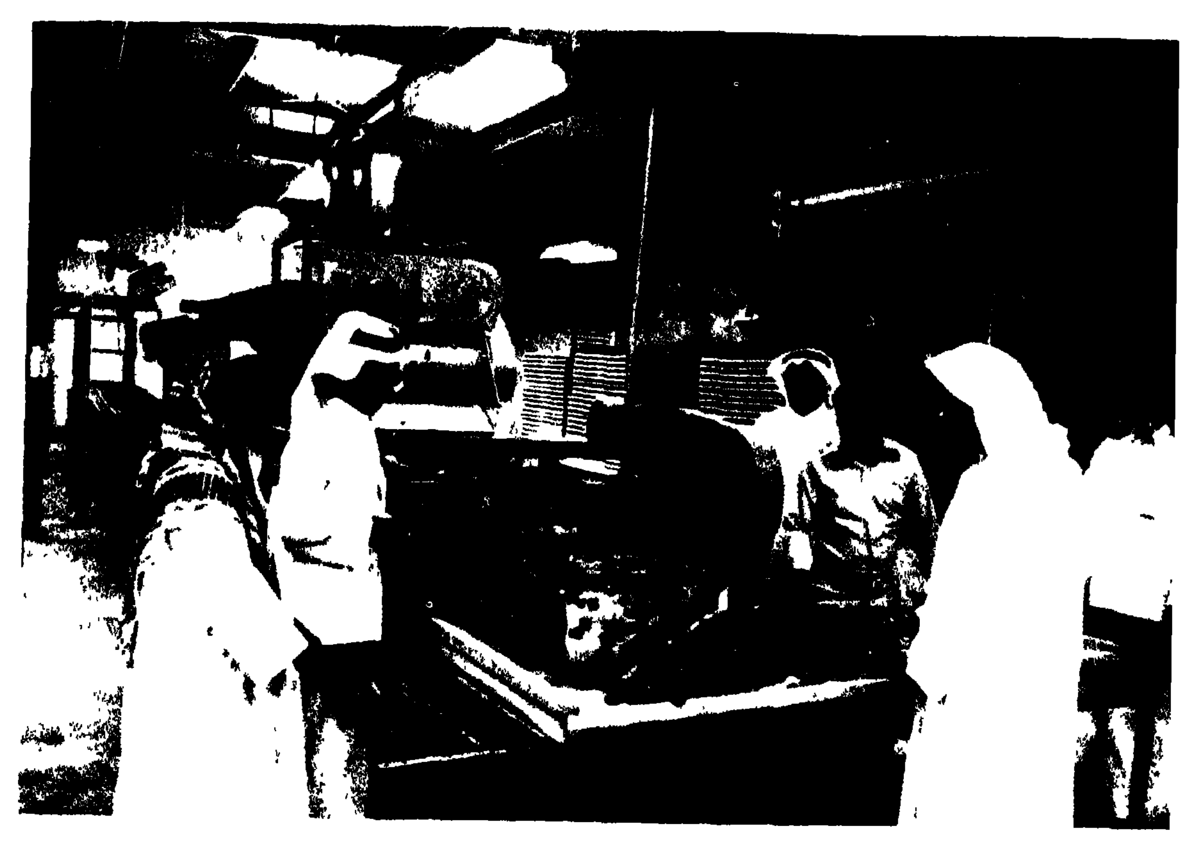
وعند استخدام المادة المجففة بالتجميد يجب ترطيبها بالماء ، لتعود الى مظهرها الأصلي وشكلها وقوامها قبل التجفيف ، ويتم ترطيب المادة اما برشها أو بغمرها بالماء البارد .

ويتبين مما سبق ذكره أن عملية التجفيف بالتجميد لها اهمية كبيرة في ميدان الصناعات الغذائية ، فهي تيسر الحصول على أغذية جيدة ، تجمع بين مزايا التجميد ومزايا التجفيف من حيث الجودة وسهولة التداول ، ومن حيث احتفاظها بأغلب مكوناتها الغذائية .

ومن الأغذية التي تلائم عملية التجفيف بالتجميد نذكر البسلة ، والسبانخ ، والفول ، وجميع الفواكه وشرائح الفاكهة ، وعصير الفواكه ، والشوربة والبيض ، واللبن ، والسمك ، واللحم ، والدواجن .

الطاقة الشمسية وصيد الأسماك :

ولما كانت الاسماك سريعة الفساد والتلف ، كان لابد من اتباع وسائل منع هذا التلف . والتجفيف والتمليح هما أقدم الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، والتدخين يأتي بعد التمليح فتشق الأسماك وتستبعد أحشاؤها ثم تملح . وبعد التمليح تعلق في أفران



معمل لتصنيع التمور

يحرق في قاعها الخشب أو نشارته . ومن الحريق يتصاعد دخان يتشرب منه السمك ويجف نوعا ما .

والتقنية تهيب بالعرب أن يستغلوا شمس الشواطىء وطاقتها ، لقد استطاع العلم في عام ١٩٥٤ صنع أول نموذج للبطارية الشمسية ، صنعت من السليكون ، اذا سقطت عليها أشعة الشمس ولدت تيارا كهربائيا ، بهذا التيار الكهربي يمكن ادارة ثلاجات وسخانات وأفران كهربية ، تستخدم في تبريد المواد الغذائية وحفظها على درجات حرارة منخفضة مناسبة .

وباقامة الثلاجات والأفران على شواطئنا العربية ، يمكن استغلال هذه الشواطىء وما نصيده منها من أسماك خير استغلال ، بدلا من أن يتعرض أغلب صيدنا للتلف والفساد ، وذلك بحفظه في الثلاجات الكبيرة أو الصغيرة ، حتى نستطيع التصرف ببيعه أو تصنيعه .

وقاية الحبوب

الحبوب سلعة استراتيجية لابد من المحافظة عليها من التلف ، بتخزينها في الصوامع الحديثة ، ولوقاية الحبوب من تلف الحشرات يجب العمل على الحصاد والتخزين المبكر ، لتقليل احتمالات عبث الحشرات ، والعمل على عدم التخزين في العراء ، فهو أسوأ طرق تخزين الحبوب اطلاقا . ولتخزينها في المخازن يجب أن تكون المخازن وافية بالشروط الفنية التي تحقق منع حشرات الحبوب المخزونة ، أو تقليل أضرارها الى أبعد حد مستطاع . ويجب أن يراعي في هذه المخازن النقاط التالية :

١ ـ طلاء هذه المخازن بطلاء ناعم من الاسمنت أو مايقوم مقامه ، يتحمل تكرار غسل جدرانه بالمحاليل المقاومة لحشرات الحبوب المخزونة .
٢ ـ بجانب ذلك يجب أن تكون أرضية المخزن مرتفعة

ن أي ماء بالارض ، حتى لاتتسرب الرطوبة اليها ع جعل هذه الأرضية من الاسمنت أو الاسفلت .
' ـ ويشترط أيضا أن يكون السقف محبوكا ، ذا سطح ملس ، خاليا من الثقوب والشروخ ، على ألا يسمح الرطوبة أو الماء أن يتسرب الى داخل المخزن . الرطوبة تتلف الحبوب ، وتشجع حشراتها على لتوالد وعلى العبث بها .

وبجانب ذلك يحسن عدم تخزين حبوب متنوعة في مخزن واحد ، أو تخزينها مع مخزن المهمات الزراعية

وتفضل عادة المخازن المعتدلة الأحجام ، بدلا من لمخازن الكبيرة الواسعة للسيطرة على تبخيرها العارات ويجب أن تكون هذه المخازن بعيدة عن المساكن وحظائر الحيوانات ومصادر الحريق

ويمكن الالتجاء الى خلط الحبوب بمواد كيماوية قاتلة للحشرات ، بدلا من التبخير بالعارات .

وأحسن المخازن التي تصلح لحماية الحبوب من التلف هي الصوامع المصنعة من الأسمنت المسلح ، أو الصلب غير القابل للصدأ ، وهذه الصوامع تتسع لمئات الأطنان ، ويجب الاكثار من هذه الصوامع الحديثة في الموانىء ، حيث نستورد الحبوب من الخارج ، أو نقيمها بجوار المطاحن



الذرة تخزن قبل طحنها

والفلاح المصري من قديم الزمن ـ من أيام الفراعنة كان يستخدم هذه الصوامع من الطين ، وتقفل بعد ملئها من أعلى ، ولاتفتح الا من أسفل ، وكان الفلاحون ينقلون القمح وغيره اليها بعد حصاده واعداده مباشرة ، وكانت هذه الصوامع الفرعونية الطينية ملساء تماما من الداخل ، ولاتوضع فيها الحبوب لخزنها الا بعد تمام تنظيفها ، وكانت هذه الوحدات تتعدد بتعدد حجم المحصول ، وكان لايوضع في الواحدة منها غير محصول واحد .

والآن وقد زاد عدد السكان في كل مكان ، وأصبح انتقال الحبوب من مكان وجودها الى المواضع المحتاجة اليها أمر محتما ، اصبح من الضروري الالتجاء الى الصوامع الحديثة المصنوعة من الاسمنت المسلح ، لتخزين أكبر وزن من هذه الحبوب .

بهذه المخازن والصوامع أمكن تقليل الفاقد من الحبوب ، التي هي عماد غذاء الشعوب . فما قيمة زيادة الانتاج اذا لم نحفظ الانتاج الزائد من عبث الحشرات والفطريات والعوامل الجوية ؟

وما يقال عن منع تلف الحبوب المخزونة ، يقال أيضا عن ضرورة العمل على التوسع في استخدام الثلاجات الصغيرة في المنازل والثلاجات الكبيرة في المصانع والمتاجر والمزارع ، لمنع تلف الطعام الذي نعاني من قلته ، أو عدم تناسبه مع أفراد الأسر في بعض المناطق .

ان التوسع في صناعة الثلاجات صغيرها وكبيرها لحفظ الخضراوات والفاكهة ، والتوسع في تحويلها الى منتجات غذائية محفوظة ، وتحويل الحليب السريع التلف الى أنواع من الجبن قابلة للبقاء عدة أشهر معناه منع تلفها . . . ومنع هذا التلف في صورته الاقتصادية لون من ألوان الانتاج .

وبقيام صناعات غذائية متطورة في مناطق صيد الأسماك ـ وما اكثرها على شواطىء البحار العربية ـ نستطيع أن نحسن استغلال الأسماك لتسد حاجتنا من البروتين الحيواني بأرخص التكاليف ، اذا ما قورن انتاجه بما ينتج من الأبقار والأغنام .

وعموما نستطيع بصناعات حفظ الأغذية أن نمنع فسادها وتلفها ، ونستطيع توزيعها على نطاق واسع وعلى مدار العام كله بدلا من استغلالها في نطاق ضيق وفي مواسم محدودة . □

تغيير العالم بالعلم والسيف معاً

قراءة في الأعمال الشعرية لفاروق شوشة

بقلم : محمد ابراهيم ابو سنة

بصدور عدد من الاعمال الشعرية الكاملة لعدد من الشعراء ينتمون الى جيل الستينيات تكون واحدة من اهم مراحل التطور الشعري قد اكتملت وبدأت مرحلة تقويمها .

محاولة لقراءة الاعمال الشعرية الكاملة لفاروق شوشة يقوم بها شاعر .. والاثنان ينتميان الى الجيل نفسه .

بصدور الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر فاروق شوشة تتحدد قسمة فنية هامة في ملامح شعر الستينيات ، بعد ان صدرت منذ عام اعمال أمل دنقل ، ويبدو أن صدور مثل هذه الأعمال لشعراء الستينيات قد أصبح ظاهرة أدبية ، ليس على مستوى الحركة الشعرية في مصر ، بل على مستوى الساحة الشعرية العربية كلها ، حيث صدرت اعمال عدد من الشعراء العرب ، وهذه الاعمال توحي بتأسيس حلقة وصل جديدة ، هي الحلقة الثانية في حركة الشعر الحديث ، قبل ان يصعد صوت الجيل الثالث . لهذا جاءت هذه الأعمال تأكيدا لرسوخ حركة الشعر الحديث ، وأصالة الابداع الذي قدمه الجيل التالي للروأد ، واستشرافا لمستقبل لا تنفصل فيه الأزمنة الأدبية ، ولا يتناثر الصوت الشعري في ساحة تزاحمت عليها الاحباطات الفكرية ، وكدرت طموحها الهموم الثقافية ، وضيقت عليها الكوارث

سياسية الخناق . تأتي أعمال فاروق شوشة في هذا
ٰطار ، لتكون لبنة حية في بناء يقاوم كل محاولات
ب الشعر عن الساحة العربية .

لدواوين الخمسة

تشمل هذه الاعمال خمسة دواوين شعرية هي
الى مسافرة » و « العيون المحترقة » و « لؤلؤة في
قلب » و « في انتظار ما لايجيء » و « الدائرة
لمحكمة » ، وتمثل رحلة الشاعر منذ صدور ديوانه
أول عام ١٩٦٦ حتى الآن.ويتوقع القارىء ان يطالع
، صدور هذه الاعمال رؤية الشاعر لتجربته
شعرية ، ولكن الشاعر آثر ان يكتب كلمة بالغة
لايجاز ، حول رحلته الشعرية ، مؤثرا المواجهة كما
قول هو نفسه « واعترف ان مساحة كبيرة تضم بعض
صائد هذه الدواوين الخمسة ، تبدو لأول وهلة
كأنها حديث عن الذات ، لكنها في حوهرها ليست
بعيدة عن هموم الآخرين . والكثير منها يرتبط ـ في
جوهره ـ بساحة الأحداث والتجارب ، التي تركت
ثرها عميقا في وجدان الانسان المعاصر ». ثم
يتحدث عن الأسلوب الفني لقصائده ، وهو يعي انه
قد اعتمد على اللغة ، باعتبارها نسقا لفظيا لا ينفصل
عن السياق التاريخي لتراث التصيدة العربية ، كما لا
يسقط في هاوية الخواء الفني باسم الحداثة ، ويقع في
شباك النمط التقليدي ، بل يلتزم الصدق وعفويته
وطلاقة مشاعره ، مستجيبا لصوت الأصالة في ذاته
والتطور في عصره .

ومن الواضح ان الشاعر يحس بأن اللغة تلعب
الدور الأساسي في تجربته الشعرية ، لا من حيث
كونها تراكما لفظيا ، بل باعتبارها كونا ممتلئا بالايقاع
والصور والظلال والأصوات والفراغ والامتلاء
والمساحة والتكثيف . ذلك ان لغة الشعر ليست مجرد
توظيف المفردة في نسق من الجمل الصحيحة ، ولكنها
كائن يتلمس التجربة . فيشف ويعتم ، يمتلىء
ويفرغ ، يتوتر وينبسط . تظل اللغة الشعرية لغة
اختراق لا لغة اتساق ، بمعنى انها تعادي المألوف
وتنبثق من المخالفة ، لأنها تأخذ شكل الموهبة التي
تستخدمها . ليست اللغة مجرد عنصر لتوصيل
التجربة الشعرية ، بل هي وعاء العناصر الحية التي



تشكل التجربة ، فاذا اقتربنا من جوهر الرؤية
الشعرية في هذه الاعمال ، وجدناها تجعل من الذات
بؤرة انبثاقها .

عناق مع الحزن

واذا أبحنا لأنفسنا أن نستخلص الموضوع من هذه
الأعمال ، وجدناها تتجسد مباشرة في الحب والحزن
والولع بالجمال . في ديوانه « الى مسافرة » الذي يضم
احدى وعشرين قصيدة تتبدى تجربة الحب في عناق
حميم مع الحزن ، يقودهما حلم غامض يسعى الشاعر
لتجسيده ، بل اننا كثيرا ما نحار ونحن نقرأ قصائده
عندما نحاول التعرف على الملامح الفارقة للرفاق

الثلاثة : الحب ـ الحزن ـ الحلم . وهذا الديوان يشف عن تجربة عاطفية عميقة ، قدر للشاعر ان ينال حظه السعيد منها كاملا ، ولكن طبيعة الحياة الغلابة تأبى الا الفراق . ويندلع شوق متشح باللوعة خلف هذه المسافرة التي يجعل منها الشاعر مدارا للتحولات ، فهي مرة طائر واحيانا قديسة أو نجما يقول الشاعر :

قديستي
مازال صوتك النّديّ في دمي ،
شيئا أثيريا أضمه وأحتمي ،
رناته تدق أيامي تصب في غدي
تدفق من أعماق نبع دافيء القرار ،
بالأمس ضمني هنيهة وطار ،
فرف خاطري الملح واستدار ،
وكدت ألمس النداء باليد ،

ثم يخاطب المسافرة كما لو كانت طائرا وفي الرمز نوع من المزج بين الحبيبة والحب ذاته ، يقول فاروق شوشة :

ياطائري ياطائري ،
خطاك في دمي تسوخ تنفض الأمان ،
وقع خطاك في الدرج ،
وطرقة وطرقتان ،
يابابي الصغير ياجداري الكبير ،
تألق الطريق بالوهج ،
وأشرقت من كوة يدان ،
نديّتان بالحنان ،

قدر من التركيب

وعنصر التحولات في هذا الديوان يجعله يتجاوز مفهوم الرومانسية البسيط ، كما أن محاولات التجسيد واختراق المألوف في الصورةالشعرية تجعل من اطاره الفني خطوة واضحة متميزة داخل حركة الحداثة .

واذا كانت الذات والتجربة العاطفية تحظى بنصيب كبير ، الا أن ثماني قصائد في هذا الديوان تتجاوز ذات الشاعر وهمومه الوحدانية الضيقة ، الى الهموم القومية والوطنية والانسانية ، وهو عدد يزيد عن ثلث قصائد الديوان ، ويقترب من نصفه وهذه القصائد هي :

« شهيد الكلمة » ، « الحصاد » ، « من فدائي الى صديقته » « بغداد تثور » « يا مغرب » « الخلاص » « فلتنزل الستار » ، « من سفر ايوب » ، فاذا جئنا الى ديوان العيون المحترقة وجدنا استمرار التجربة العاطفية في اطار من النضج واتساع الحيلة وانكشاف المستور ، وفي هذا الديوان يلجأ الشاعر الى قدر من التركيب الفني للقصائد ، والغوص في أعماق الشخصية ، ومحاولة رسمها باقتدار في قصيدة « مرثية شاعرة عاشقة » وتنويعات على لحن اساسي ، وتظهر في هذا الديوان محاولات التفلسف :

اسأل : يامذلة السؤال ،
هل آن ان نعود للبراءة
لفطرة الانسان حين يملك الانسان
بقبض كفيه الضئيلتين زهوة الحياة . . ؟
هل آن ان نعود للجرأة
لفطرة الانسان حين يؤمن الانسان
بقدرة الغريق ان يلاطم الموج وان يجاوز الردى
بحثا عن النجاة . . ؟

واذا كان ديوان الى مسافرة يحفل بالوهج الأول لعاطفة تسعى لتحقيق الحلم ، فإن « العيون المحترقة » يوحي باتساع حيلة الشاعر الفنية ، ويضم الديوان ثماني عشرة قصيدة ، منها قصائد تعبر عن هموم جماعية ، وحزن نبيل ، وطموح تسنده شجاعة المواجهة وهي قصائد :

« كلمة حزن » ، « باسم الكلمة » ، « لأنك الانسان » « أحزان الفقراء » « تحت ظلال الزيزفون » « نداء سلام » « أصوات من تاريخ قديم » ان التعبير الشعري في العيون المحترقة يخطو بحذر نحو مزيد من الدهاء الفني ، ولكنه يتمسك بخصائصه من حيث الشكل والمضمون معا ، فنحن نطالع في هذا الديوان نفس الولع بالتركيز على الخاص ، والتعامل مع الحب باعتباره سرا يشيع في الحياة قوة التغيير والتأثير ، ويأتي التعبير دائما لا ليقتنص التجربة ، بل ليقدم ما تبقى منها ، بعد أن استنفد الشاعر حظه الواقعي من متعها وألمها . يقول في قصيدة « كان حياتي » :

كان اسمك ينقر صدري ،
تلمس أعماقي الخضراء يداه .

أروع من عينيك لا .
النجمتان تهديان خطوى الامين .
منارتان تثقبان ظلمة السنين .
فأهتدي اليك .
واعبر المدى الحزين .
أروع من عينيك لا .
سفينتي الى مرافىء القمر .
وديعتي .
وزادي الكبير والسفر .
على شعاع مقلتيك .

ويميل التعبير في هذا الديوان الى الاغراق في الوصف ، بدلا من الغوص وراء نوع من التجسيد الحي للتجربة . موقف أقرب الى الغناء ، وينعكس هذا الموقف على البناء الفني الذي يجيء في الغالب ساكنا يفيض بالنشوة .

بين عينيك موعدي .
يومنا القادم أحلى لم يزل طوع هوانا .
كلما شارفت الحلم خطانا واطمأنت شفتانا .
واستراحت مقلتانا .
وتمنينا فكان العمر أشهى من امانينا وأغلى .

ان بهجة التجربة العاطفية في « لؤلؤة في القلب » تجعل من الايقاع صورة للسكينة التي تظلّل وجدان الشاعر ، وهو ايقاع راقص يميل الى الصيغة التقليدية ، فقد جاءت نصف قصائد الديوان تقريبا من الشعر العمودي ، ويقترب النصف الآخر من الشكل الحديث ، ولكنه يظل أمينا لهذا الايقاع الغنائي الراقص ، الذي يبدأ ولايتطور ، يتراكم ولا يبني . يغني ولا يشكل .

مرثية لخيبة الجميع

تبلغ تجربة فاروق شوشة الشعرية تمام نضجها واستوائها وتفجرها في ديوانه « في انتظار ما لا يجيء » ، في هذا الديوان يواجه الشاعر زمنا سريع التحول ، وعالما يتناقص جماله ويزداد قبحه ، ومسالك تنتهي الى الخواء . من هنا فنحن نواجه في ديوان « في انتظار ما لا يجيء » ذاتا تحاول اللحاق بالعالم . ولا تبكي احزانها وحدها ، بل ترثي خيبة



تربّت كفاه على دنياي .
وتغفو في عينيّ رؤاه .
كان اسمك يغريني أن أعبر هذا الموج .
وأن أتحدّاه .

الابتعاد عن اللوعة

تعاود التجربة العاطفية بآفاقها الرومانسية الظهور بكثافة وغنائية في ديوان « لؤلؤة في القلب » الذي يحتوي على اثنتين وعشرين قصيدة ، تكاد تدور كلها حول « الحب » مع ثبات بعض الرموز ، وابتعاد الشاعر عن اللوعة ، والاقتراب من المشهد الخارجي للحب والمحبوب على السواء :

الجميع . واذا كانت الدلالات تتشابك وسط غابة من الاحتمالات داخل القصيدة الواحدة ، حيث لا نتبين صورة الشاعر معزولة عن صورة الآخرين ، ولاصورة الزمن وهو ينفصل عن حركة المجتمع كله ، كما ان صورة المحبوب هي الأخرى تقفز من المجسد الى المجرد ، فإن ثراء الاحتمالات وتعقد الموقف وتركيب البنية الفنية هو الذي يعطي لتجربة فاروق شوشة نضجها ، وللغته شكلها النهائي .

تتراجع في هذا الديوان صورة الذات المفردة ، وتظهر صورة وجدان يعي علاقة الذات بالعالم ، لا باعتبارها جزءا ، بل ينغمس في محاولة لادراك « الكل » الذي يتجاوز الجميع . والكل الذي تجاوز الجميع في هذا الديوان ، يتجلى في معظم القصائد ، مما يوحي ببعد روحي صوفي ، أو رؤ ية ميتافيزيقية للوجود ، ويضم الديوان خمس عشرة قصيدة ، يقترب نصفها من هذه الرؤ ية ، وتغوص بقية القصائد في محاولة للإفلات من الزمن الأول . الزمن البدائي الذي يحيط بالجسد الى زمن لانهائي يواكب الروح . ويتبدى حس المقارنة بين العالم الواقعي بقبحه والعالم المثالي ببهائه حيا ومثيرا في معظم قصائد الديوان ، يقول فاروق شوشة في قصيدة المغني والشيخ نظام الدين :

يا شيخ نظام الدين .
ياوتد الأرض ويا امن الدنيا .
يا من نور الخلوة شمع مجالسه المشهودة .
كأسك مفعمة بشراب العشق الأسمى .
وبُراقك يحملنا في دهليز الرؤيا .
ينجينا من أسر الظلمة في ساح اللقيا ،

وتتجاوب هذه القصيدة من حيث المعنى والمبنى مع قصيدة « شمس الله في قرطبة »، التي كتبها الشاعر من وحي زيارة لاسبانيا ، كما لا تغيب في هذا الديوان صورة الوطن ولا صورة المدينة ، التي رحل اليها الشاعر في صباه ، لكي يحقق احلامه ، والتقى فيها برفاق العمر الذين يبدون في قصيدة « في انتظار ما لا يجيء » وكأنهم قد واجهوا جيما الفشل والخيبة . يقول فاروق شوشة :

ها نحن في دوامة الرمال مانزال ،
تسوخ في شراكها اقدامنا ،
نحمل احلاما كسيرة مضعضعة ،
انفرط العقد الذي كناه . كم تناثرت حباته ،
تفتتت قلوبنا ولم نعد معا .
وشاخت النبرة في شفاهنا وحشية عيوننا .
مذعورة خواطر الخريف في رؤوسنا .

الدائرة المحكمة

في ديوان « الدائرة المحكمة » اثنتا عشرة قصيدة ، منها اثنتان من الشعر العمودي ، ويبدو الشاعر في هذا الديوان امينا مع عالمه الشعري ، فهو يحتفظ بعناصر تجربته الشعرية التي ترعرعت بذورها عبر دواوينه السابقة ، حيث يتوهج صوت الحب ، ولكنه في هذا الديوان حب يغوص في عالم الحس ، تفوح رائحة الجسد من ثنايا قصائده ، كما تبدو البراءة ظلا غاربا وراء المناورات والحيل ، ويبدو الحصار محكما ، ولا يصبح الحب وحده الملاذ . كما تتضح صورة الوطن اقرب الى القداسة ، مركزا للولاء والانتماء ، كذلك برهن الشاعر على نبله من خلال هذه المراثي التي خرجت دامية من وجدان شاعر يبكي اصدقاءه . . . صلاح عبدالصبور فوزى العنتيل . عبدالحميد الحديدي . وربما كان خير ما يمثل رؤ يته في هذا الديوان هذه الابيات التي وردت في قصيدة « الى عابرة » من ديوان الدائرة المحكمة ، فهو لا يصور مجرد امرأة ، وانما يجسد حلما وعالما وأملا وهدفا يقترب كله من الضياع يقول :

من أنت لا ادري ولا من دليل
لا ومضة تعشي فؤادي الكليل
ولفحة توقظ في خاطري
كوامن العمر القصير الجميل
عيناك في عمقيهما عالم
خصب الرؤى عاتٍ حفيٌّ ظليل

لاشك ان تجربة الشاعر فاروق شوشة كما حملتها اعماله الشعرية الكاملة تضيء عالما يمت بوشائج عميقة الى عالم الرومانسية ، ولكنها ليست الرومانسية التقليدية ، بل الرومانسية الثورية التي تحاول تغيير العالم بالحلم والسيف معا . كما انها تضع لبنة قوية في صرح حركة الشعر الحديث ، وفي الكيان الفني الذي اسسه شعريا جيل فاروق شوشة ، الذي اصطلح على تسميته بجيل الستينيات . □



بقلم : الدكتور محمد على الفرا

البراكين من الظواهر الطبيعية التى لفتت انتباه الانسان من قديم الزمان ، لما لها من قدرة كبيرة فى تغيير مظاهر سطح الأرض ، كتكوين التلال والجبال والهضاب والجزر ، علاوة على قوتها التدميرية الهائلة لكثير من المظاهر الطبيعية والبشرية ، وقد احتار الانسان قديما فى تفسير البراكين وأسباب حدوثها .

تفاجئنا وكالات الأنباء بنبأ عن ثورة بركان فى مكان ما من العالم ، وتذكر الأضرار والخسائر فى الأرواح والممتلكات التى نجمت عنه . ففى الخامس عشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٨٥ ، ثار بركان « نيفادو » « ديل رويز » فى جمهورية كولمبيا بقارة أمريكا الجنوبية ، ودمر مدينة « أرميرو » الواقعة فى وسط البلاد ، وحولها الى مقبرة ، فقد تسبب هذاالبركان فى قتل نحو ٢٢ الف شخص ، وتشريد ما لا يقل عن ٥٠ الف شخص نتيجة تدمير مساكنهم ، وجرح نحو ٢٥ الف شخص .

وهذه الخسائر الهائلة حدثت فى ساعات معدودة ، من جراء الحمم والصخور الملتهبة ، والنيران ، والأبخرة والغازات التى قذفها البركان من جَوف الأرض ، وما تلا ذلك من انجرافات وانهيارات جلبت الطين والوحل الذى غطى الناس والمساكن .

ما هو البركان ؟

قديما قالوا فى تعريفهم للبركان بأنه جبل فى رأسه نار . وربما كان لهم فى هذا عذر ، طالما أن البراكين التى شاهدوها أو سمعوا عنها فى مناطق جبلية ، والبركان الذى ثار مؤخرا فى كولمبيا من فوهة فوق قمة جبلية ، بلغ ارتفاعها نحو ٥٤٠٠ متر فوق سطح البحر .

ان ما يبدو لنا من ارتباط بين الجبال والبراكين ، يدعونا الى التساؤل عن نوعية العلاقة بين ظاهرة الجبال وظاهرة البراكين ، وهل هى علاقة سببية ، بمعنى أن احدى تلك الظواهر سبب والثانية نتيجة . وهل الجبال سبب ، والبراكين نتيجة أم العكس ؟ لقد أثبتت الأبحاث العلمية ، بأن البراكين تحدث فى اليابس والماء ، وفى السهول والجبال والهضاب والوديان ، وهذا ينفى الرأى الذى كان شائعا بأن البراكين لا تحدث الا فى الجبال . ولكن لماذا نجد ان معظم البراكين التى شاهدها الانسان ملازمة للجبال ؟ والجواب عن هذا يتطلب منا أن نلقى نظرة سريعة الى التاريخ الطبيعى للأرض . فقبل أن تظهر الحياة على سطح هذا الكوكب ، ممثلة فى المملكة النباتية والعائلة الحيوانية والكائن البشرى ، كانت الأرض فى عنفوان شبابها هائجة مائجة ، تمر في فترة المراهقة الطائشة . حيث شهدت الكثير من الزلازل والبراكين والالتواءات والانكسارات التى أصابت قشرة الأرض . وهذه كلها تعبر عن حالات عدم الاستقرار . ونحن لا يعنينا من هذه الحالات غير ظاهرة البراكين التى كانت تحدث أينما توفرت لها الأسباب على نحو ما سنشرحه بعد قليل . وهذه البراكين قذفت من جوف الأرض صخورا وحجارة ، أخذت تتراكم بمضى الوقت ، حتى كون كل بركان تلا ، ثم جبلاً يتميز عن غيره من الجبال ـ التى تكونت نتيجةعوامل أخرى ـ بشكله المخروطي ، وقمته التى تتوسطها فوهة شبه مستديرة . فاذا سقطت الأمطار ، أو توفرت مصادر المياه ، امتلأت هذه الفوهة بالمياه ، مكونة بحيرة فوق رأس الجبل .

وكثير من المناطق البركانية تبدو خامدة ، ولكنها تثور كلما تهيأت لها الأسباب . فبركان كولمبيا مثلا ثار مؤخرا بعد أن ظل نائما قرابة أربعمائة عام

وبناء عليه نقول بأن الجبل البركانى ، هو نتيجة من نتائج المقذوفات البركانية ، التى تراكمت مع الزمن . وهو معرض لأن يثور فى أيه لحظة ، وبما أن الانسان لم يشاهد البراكين وهى تصنع الجبال ، وانما رأى البركان يثور فوق الجبل ، لذلك اعتقد بأن البراكين لا تثور الا فى الجبال .

ويمكننا القول بأن البركان أو عملية « البركنة » مصطلح يطلق على جميع أنواع النشاط البركانى . ويشمل العمليات التى تؤدى الى اندفاع « الماجما » أى الصهير Magma (والتى سنشرحها بعد قليل) وتحركها فى جوف الأرض ، وكذلك خروج الأبخرة والغازات واللافا ، أى الحمم والمواد الصلبة من فتحات فى الأرض

أسباب البراكين

قلنا بأن البراكين من الظواهر الهامة التى لفتت انتباه الانسان من قديم الزمان ، ونسج حولها الأساطير والخرافات ، وربط بينها وبين قوى غيبية . وكان الاغريق من أوائل الشعوب التى حاول علماؤها دراسة البراكين وبحثها علميا ، واعتقدوا بأنها ناجمة عن كسور وتصدعات تصيب قشرة الأرض ، نتيجة تعرضها للجفاف ، وقالوا بأن البراكين والزلازل تسببت فى اختفاء قارة « اتلانتس » وحدوث وادى « تمب Temp » ، الذى يفصل بين جبال « الأولمب » و « لوسا »

وقد انكب العلماء فى العصور الحديثة على دراسة ظاهرة البراكين ، وقد ثبت عندهم بأنها ناتجة عن قوى وتغيرات معينة ، تحدث فى قشرة الأرض أو تحتها . وعلى مايبدو فإنه من الصعب معرفة ما تقوم به هذه القوى والتغيرات من أدوار ، وارتباطها بالباطن وحركات قشرة الأرض ، لأن البراكين وثوراتها تختلف مكانا وزمانا . ولكن يؤكد العلماء بأن العوامل الباطنية التى تؤدى الى حدوث الالتواءات والانكسارات ، ترتبط ارتباطا قويا بحدوث البراكين . فهذه الحركات الباطنية قد تولد ضغطا شديدا على « الماجما » أو مادة الصهير ، بحيث يؤدى

ذلك الى انصهارها واندفاعها وتحركها عن مواضعها . وهذه « الماجا » عبارة عن صخور منصهرة ، وتشكل المصدر للصخور النارية فى باطن الأرض . ويعتقد العلماء بأن الصخور الواقعة أسفل سطح الأرض تظل صلبة ، على الرغم من حراراتها العالية ، بسبب الضغط الهائل الذى تتعرض له فى الأعماق . فإذا خف هذا الضغط نتيجة ضعف أو صدع فى أى مكان ، تتحول « الماجا » الى الحالة السائلة . وقد تتجه « الماجا » الى أعلى عبر الطبقات الصخرية التى تعلوها .

وبتأثير حرارة « الماجا » الشديدة وضغطها العالى ، تتحرك الصخور من فوقها ، وتندفع الى أعلى ، مما يفسح المجال للماجا لمزيد من الارتفاع نحو السطح . وتأخذ هذه العملية شكل تسارع حينما تنصهر الصخور الفوقية ، وقد تتسرب الماجا الملتهبة من خلال شقوق وتصدعات فى سطح الأرض ويبدأ بعد ذلك انتشار الحمم (اللافا) على شكل غطاءات ، تنتشر فوق مساحات واسعة من الأرض . وتبدأ هذه المقذوفات البركانية بالتراكم فوق بعضها ، مكونة تلاً مخروطى الشكل ، يتحول مع الزمن وبتكرار ثورة البركان ، الى جبل مخروطى تعلوه فتحة شبه مستديرة .

وبمضى الوقت تبرد الماجا ، واللافا التى خرجت الى السطح ، مكونة صخورا تسمى بالصخور الطفحية أوالبركانية التى من أهمها البازلت ، الذى يتميز بحبيباته البلورية الدقيقة السوداء ، واذا صقلت أصبحت زجاجية الملمس . وهى التى تستخدم فى تزيين مداخل العمارت الفخمة .

أما الصخور التى قذفها البركان فى بداية ثورته ، وغطتها الصخور التى خرجت بعد ذلك ، فقد بردت ببطء ، فتكونت بلوراتها بوضوح ، وتميزت بكبر حجم تلك البلورات ، مثل صخر الجرانيت ذى اللون الوردى الجميل ، واذا صقل أصبح يلمع كالزجاج ، ويستخدم أيضا فى تزيين واجهة العمارات الفخمة . ويطلق على هذه الصخور التى تتكون بهذا الشكل الصخور المتداخلة ، تمييزا لها عن تلك التى تكون على اعماق أكثر منها ، والتى تسمى بالصخور البلوتونية أو صخور الأعماق . ونظرا لتصلبها وبرودتها ببطء شديد ، فإن بلوراتها تكون أكبر ،



حمم ونار ودخان تتصاعد من بركان ثائر

وتتمثل فى صخر الجرانيت النقى ببلوراته الكبيرة .

وهذه الصخور قد تظهر قريبا من السطح أو على السطح ، اذا تعرضت الصخور التى تعلوها الى عمليات التعرية ، الناجمة عن عوامل كثيرة .

ويتضح من هذا بأن البراكين تحدث فى المناطق الضعيفة من قشرة الأرض ، التى لم تستقر أحوالها بعد ، وتكثر فيها الكسور والصدوع والالتواءات ، ولهذا نجد بأن هناك تلازما بين المناطق البركانية والمناطق الزلزالية فى العالم ، لأن الزلازل أيضا تحدث فى المناطق الضعيفة من قشرة الأرض . وهذا ينطبق على المناطق التى تحتوى على جبال تنتمى الى حركة الالتواء الألبية ، وهى أحدث الحركات التى انتابت القشرة الأرضية ، وكونت سلاسل جبال الألب فى أوروبا ، وسلسلة جبال أطلس فى شمال افريقيا ، وجبال هملايا وغيرها فى آسيا ، وسلاسل روكى فى أمريكا الشمالية ، والانديز فى أمريكا الجنوبية ، علاوة على جبال أخرى .

هناك أسباب أخرى للبراكين غير ماذكرنا ، فقد يكون لطبيعة التركيب الصخرى للمنطقة أكبر الأثر فى حدوث الانفجارات البركانية ، وهذه الطبيعة الصخرية تسمح بتجمع الغازات والأبخرة فى البنية

القصة الفائـزة بالجـائزة الـرابعة لمسابقه « العربي »



الخوف

بقلم : محمد رضا محرم

البرد يتحدى ملابسنا الثقيلة ، يتسلل الى جلودنا ، يدق عظامنا ، أيدينا المرتعشة تدق الزجاج البارد ، في الردهة الخارجية لمستشفى المبرة ظهر أشخاص ثلاثة . الاضاءة الخفيفة تكفى لتمييزهم .

أحدهم الشرطى المكلف بالحراسة ، وقد هرب من البرد أو استهواه الدفء ، فدخل يمارس هوايته الليلية .

الثانى كما تدل عليه اللوحة الخاملة أمامه هو عامل « السويتش » وقد أعفاه الليل والكسل من مشقات عمله .

أما ثالثهم فيبدو من اهتمامه أنه العامل المكلف بالباب ، انتزعه النقر المؤدب على الزجاج ، فكان أول الملتفتين ، التفاتته مشبعة بالاحتجاج ، يهتز ممهدا لقيامه في احتجاج واضح وامتعاض صفيق ، يهز كتفيه في استسلام محنق ، يتجه الى الباب في خطوات متناومة ، احتكاك حذائه بأرض الردهة الثرية بترابها ينتقل الى أسناننا فيضاعف رعشتها ، فتح احدى « شراعات » الباب في حرص جبان ، قابلته طلائع البرد الذى يغرقنا ، فقاومها بمحاولة لدفن رأسه بين كتفيه ، وصلنا كلامه مشوها من بين يديه اللتين يدفئهما بأنفاسه :

ماذا يريد البكوات ؟ انثالت في ذهنى كلمات صامتة :

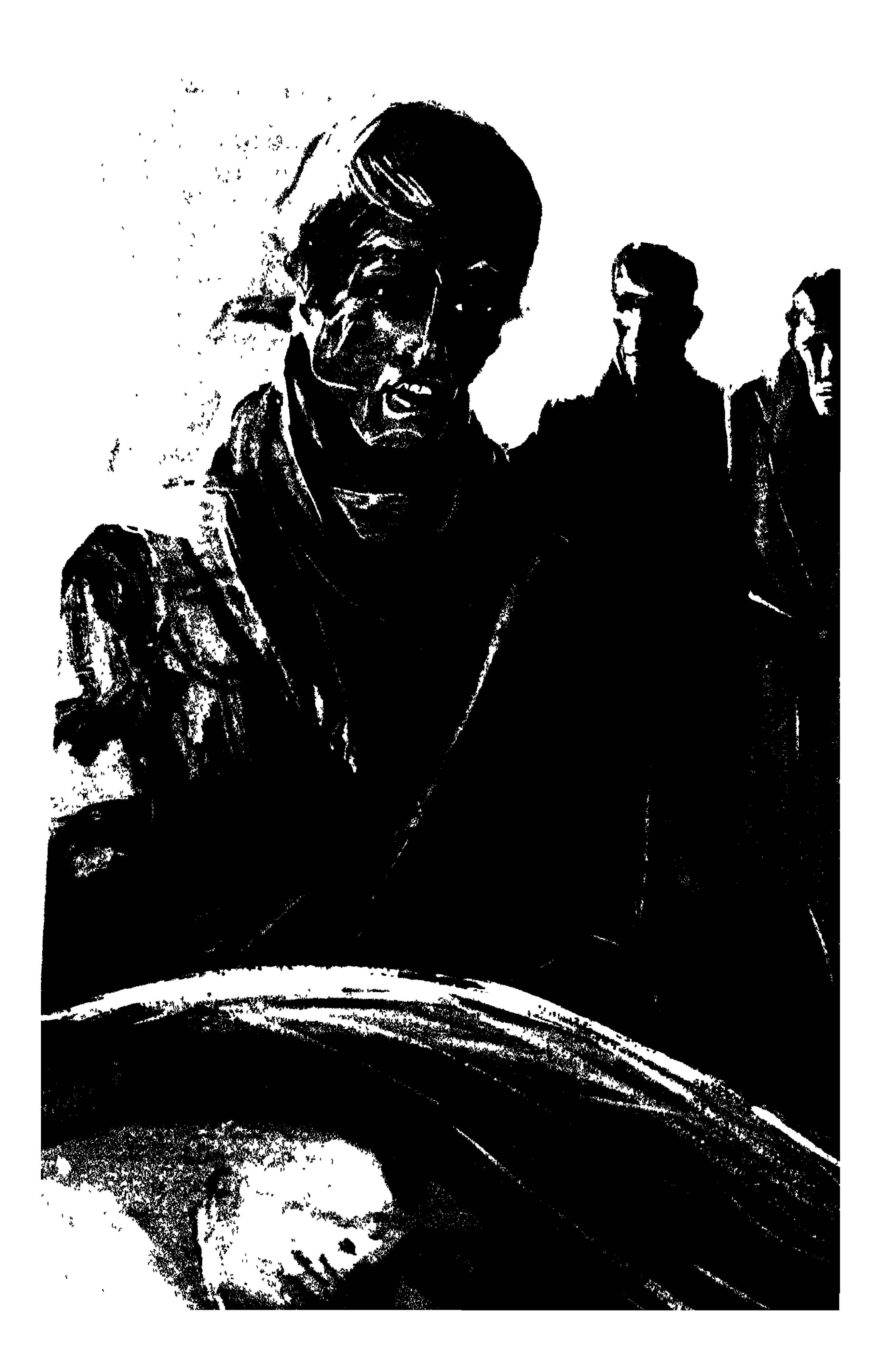
نزهة ليلية أيها الغبى ! لايطرق بابكم في النهار الا بائس ، فبماذا أصف من يدقه في الثالثة صباحا ؟ وفي ليلة باردة مثلك ، قبل أن نحضر اليك بساعة ونصف شغلنى الألم الذي استبد بزميلى ، انتزعنى من جلستى المنتشية في نادى النقابة ، حرمنى متعة الاستمرار مع فيلم مصرى جيد يعرضه التلفزيون ، ويضم بطلا متمكنا وبطلة ممتعة ، ندرة الشيء ترفع قيمته ، لكن قهر الظروف فرض أن أستبدل بمتعتى زيارة غبية لك أيها الرجل القبيح . . !

بدأ الملعون يمارس معنا عملية « الزحلقة » التى يتقنها جميع الموظفين ، سوف تبدأ عملية تداول لنا بينهم ، اذا كنتم تريدون الطبيب المناوب فاذهبوا الى « الاستقبال » ، قالها وهو يغلق « الشراعة » التى تكرم وفتحها من قبل ، وعندما سألناه عن مكان « الاستقبال » هذا ، أشار الينا من وراء الزجاج بطريقة قاطعة : أن اعفونى من تساؤلاتكم السخيفة . .

دلنا « العربجى » الذى أحضرنا « بحنطوره » الى المستشفى على مكان الاستقبال، طرقنا الباب الخشبى في أناقة . . عاودنا الطرق ، نفخنا في أيدينا ندفئها وواصلنا الجهاد . جاءنا من يرفض استقبالنا قائلاً :

ـ من ؟ !

افتح ايها الكسول ، ليس حلماً ما تسمع ، أنت الآن في المستشفى ، ولست على سرير الزوجية في عطفة الكسالى ، مد يدك الى جوارك قليلا لتتأكد من



صحة أفكارنا ومن طهارتها . . فُتح الباب الى الداخل ، عندما طلبنا الطبيب المناوب قال لنا عامل الاستقبال : انه لايوجد طبيب خفارة ، عندما أبدينا دهشتنا دَعَكَ عينيه الخاملتين المتورمتين ، وأكد لنا تثاؤ به أن لاطبيب . الحمد لله . . لأننا لم نذهب الى المستشفى الأميرى . اذا كان مستشفى المبرة بلاطبيب مناوب ، فلابد وأن الآخر بدون ممرضين !

ـ هل معكم خطابات تحويل من المستشفى الأميرى ؟

ـ اى تحويل ياعم ؟ . . الساعة الآن الثالثة صباحا !!

ـ لابد من تحويل من المستشفى الأميرى .

ابتسمنا وعيوننا تلعق القائمة التى تعلن عن أسعار الكشف والعلاج بالمبرة ، جميل أن تحولك المستشفى لتعالج على نفقتك في المبرة . .

ياعم لن نناقشك فيما تقول ، فقد أخطأنا اذ انتزعناك من نومك العميق ، نعرف أن التفاهم مع النائمين ضرب من العبث ، ولذلك فإن جميع أصحاب المصالح في مصر يتعبون . . . هل يتسع صدرك لنحكى لك حكاية «بعد النوم»؟! صديقنا هذا جرح في يده منذ يومين ، قابل الأمر باستهانة ، اليوم فوجىء بدرجة حرارته ترتفع ، بدأ الألم خفيفا في الساعة الواحدة صباحا ، كان الألم قد بلغ عنفوانه ، صديقنا لا يتحمل الألم ولا يجد النوم ، فهل نجد ممرضة مادام الطبيب غير موجود لتعطيه حقنة مهدئة ، لينام على الأقل حتى الصباح ؟ فكر الحاكم بأمره ودبَّر . . هز رأسه ، ونفض بعضا من آثار النوم ونطق :

ـ ومن أين الحقنة ؟

وتلك حكاية أخرى . . انتزعنى أحدهم من النقابة وأخبرنى بما يعانيه زميل ، كلماته سريعة وجمله متلاحقة وذات رنين مُبالغ ، يخيل اليك فور سماعه أنه قد وقعت مأساة أو حلت مصيبة ، تحدثنا عن التسمم وعن كرات الدم البيضاء وهزيمتها أمام الميكروبات ، الخوف يصنع للكرات البيضاء نكسة ، فلنبحث عن طبيب ، لايوجد طبيب في عيادته الآن ، والصيدلى يمكنه أن يقوم بهذه الخدمة .

في مدينتنا الصغيرة صيدلية خدمة ليلية ، سوف أتصل بالصيدلي هاتفيا وأشرح له الحالة ، وقد أطلب قدومه ، الهاتف في مبنى نادى النقابة القريب ، سوف نتحدث من هناك .

فشلت المحاولة ، اللجنة النقابية الموقرة قررت [illegible] تقفل الهاتف ، وأن تعهد بالمفتاح الى أحد سكرتيريها ، لأن الأعضاء يسرفون في استخدام الهاتف ، المكالمات الزائدة تحتاج الى مال والنقابة فقيرة ، الخوف من الدفع يستوجب التضييق ، وحامل المفتاح غير موجود ، الحمد لله ، الحالة غير مستعجلة ، بيننا وبين الصيدلية ميل واحد فقط ؟ . . . . مشوار صغير ! . لم نجد الصيدلى ، ووجدنا صبيا هناك ، اشترينا حقنتى نوفالجين من باب الاحتياط .

ـ وأين الحقنة ؟

في مستشفى نحن ولسنا في خمارة ، توهمت كلماتى وقد خرجت غاضبة تصفعه لعله يفيق ! لكننى استدركت . . وفي سرعة خاطفة ابتلعت تصوراتى الغاضبة ، انتبه « سيادته » قليلا ، ربما لأنه لمح تساؤلا مهذبا مستخذيا في عيوننا ، هرش فروة رأسه المغطاة بشعره الفوضوى ، قال ان الممرضة موجودة بالدور العلوى ، وعلينا أن نطلبها من الباب الرئيسى .

عدنا الى المدخل الرئيسى ، الحاجة تدفعنا وتقودنا ، الحديث خامل ، لكن مصمصة الشفاه أنشط ما تكون ، أصابعنا تنقر الزجاج في تردد ، عيوننا تطل من خلاله وفيها توقع رهيب ، حارس الباب يتفضل بالقدوم ، يجر خطواته ، وعيونه اللامعة تسبقه ، يده الغاضبة تفتح (الشراعة) لسانه الحانق يصفعنا .

ـ قلنا من الاستقبال « يابك » . . !

الألقاب التى تخلعها علىّ تغرقنى في بحر من الخجل لاقرار له !

أرجوك لا داعى لهذا التوقير الناقم ولنكن عمليين .

كلماتى تتملق تفكيره الفظ ، وأنا أنقل اليه مادار بيننا وبين زميله في قسم الاستقبال ، أكد أن زميله مخطىء ، وأن الصواب ما يقوله هو ، في الليل يمتزج الصواب والخطأ على مايبدو ، يتداخلان حتى في النهار ، ويصعب التمييز بينهما .

عندما طلبنا منه أن يرجو الممرضة أن تتكرم فتحدثنا لنتفاهم معها قال انه لايستطيع ، عندما الححنا وَعَدَنَا أن يرسلنا اليها اذا عدنا الى « الاستقبال » . . . . تعلمت في هذه الليلة لماذا تروج

الصبر في بلادنا ، ولماذا تبدأ أغانينا بالصرخة
جدة « ياليـل » لتنتهي بآهـة العين ؟ . . مهـما
من سخافاتكم فلن نغضب ولن نغضبكم ،
أحوج اليكم من أن نغضب ، وأضعف من أن
ل آثار غضبكم ، نحن من هذه اليد الى تلك ،
م أنتم مديرو المبرة وحراسها !
رقنا باب قسم « الاستقبال » من جديد ، فتح
، في هذه المرة وفي سرعة ، خلف الباب وعلى
ة » كان العامل جالسا ، فتح محضر التحقيق
يد وهو متكوم في عليائه ، نقلنا اليه رأى
براطور » المدخل الرئيسي ، فلعنه ، قفز الى
ض ، وتحرك أمامنا بطريقة غير منطقية .
ـ انتم لاتصدقون . . أمامكم كل الحجرات . .
حد هنا .
ا له في نفاق صريح أننا نثق في قوله ، وقال تودد‌نا
هن أننا نطمع في انسانيته ، ولما تأخرت الممرضة
نا اليه التماسا شفويا أن يتعجلها ، يطفو على
به تردد مذعور ، لديك الهاتف يارجل فهل
يء لو طلبتها لنا ؟ أكد لنا أنها سوف تأتى بعد قليل
ا لوعد زميله ، مضى القليل والكثير ولم تظهر ،
ما سألناه عما اذا كانت تغضب عليه ان طلبها
شت رجولته ، في عملية دفاع مضاد مكشوف ،
فع سماعة الهاتف ، كان صوته خشنا وقاطعا حتى
ت عليه ، فاضطربت النبرات وتبعثرت
كلمات ، أصابتك حمى أيها المسكين
محمد . . . . عندما ظهرت على السلم تأخر هو في
اذل جبان ، وتقدمنا نحن .
تخطتنا نظراتها في لامبالاة وحشية ، نال لسانها
عامل في تقريع يحاول التخفي ، لكنه لا يتقن
تنكر .

ـ خير « ياسي » محمد . . طلباتك ؟
قلب الأسد الى أرنب ، يبلع الجبار ريقه ، يهز رأسه
ينشط لسانه في حلقه لكنه لا ينطق ، انتظارها
لمتحفز يتربص بكلماته ، عبثت أصابعه بجانب
جهه ، لم يفتح الله عليه بغير كلمة « الأفندية »
خرجت من بين شفتيه مرتعشة ومبتورة ، أطلقته من
أسر نظراتها والتفتت الى « الأفندية » قذفتنا « بزخة »
من النظرات السريعة المتحجرة ، دست يديها في
جيوب معطفها الأبيض ، هزت رأسها متسائلة ،
زحفت خطواتنا نحوها ، وبدأنا نحكى حكايتنا من
جديد ، تحدثنا عن حالة صديقنا وعن حاجته ،
استدارت برأسها الى الخلف ، وعلقت عينيها
بالسقف ، عندما عادت بناظريها الينا ، لابد وأنها
لمحت قائمة أسعار الكشف والعلاج المعلقة وراءنا .
سألتنا في غباء مهمل أو اهمال غبى .

ـ وطلبات سيادتكم ؟
عدنا نحكى عن جرح « أبو زيد » تحدثنا عن أملنا
فيها وعن انسانيتها المرتقبة ، تملقت عيوننا جمالها
الهزيل ، وتوددت كلماتنا الى رقتها المكذوبة التي
صنعتها جملنا ، عندما خَفَتَ القبح الحاد في نظراتها
تطاولت ألسنتنا .

ـ هل يوجد طبيب مناوب ؟
ردت علينا بالايجاب ، اشتد « ضرب الجرح »
علينا ، حاصرت نظراتها الناقمة عامل الاستقبال ، لم
يتأثر الرجل ولم يهتز ، يبدو أنه قد مارس هذا السلوك
المهنى حتى أصبح الكذب لديه عادة ، عجزت
النظرات أن تزحزحه عن ثباته ، عادت الى الممرضة
وألسنتنا تسبقها .

ـ هل من الممكن أن نقابله من باب الاطمئنان ؟
اكتست ملامحها باهتمام مفاجىء ، أخرجت يديها
المتكبرتين من جيوب المعطف الأبيض ، طرقعت
أصابعها في عصبية واضحة ، أنتِ أمام اختيار صعب
على مايبدو . . . .

ـ الدكتور ؟ ! . . . . . لأ . . . . لأ
عدنا نحكى عن درجة الحرارة المرتفعة ، نخاف
من تأثير الحقن على المريض ، عندما تحدثنا عن
« الحساسية » سخرت من السادة الأطباء الواقفين
أمامها ، قلنا اننا لا نملك علم الأطباء ، ولكن لدينا
حرص البشر ، ذكرنا « المسئولية » وأضفنا أن
الاحتياط واجب ، وإلا . . . .
جمعت شجاعتها ووجهت حديثها الى العامل في كبرياء
متهافت .

ـ اطلب الدكتور بالتليفون يامحمد
انتفض المسكين ، لدغته المفاجأة ، رفع كفيه
المنبسطتين الى مستوى رأسه في احتجاج ذليل ،
يطلب اعفاءه من الورطة التي يُدفع اليها ، زعق في
جبن غوغائى .

ـ اطلبيه أنت . . انه نائم . . . لا شأن لى ! □

بقلم : محمود المراغي

بنوك .. عابرة القارات

نـل النقـود .. كـانت هنـاك الانشـطة الاقتصـادية وانتاج السلع .. وعندما نشط التبادل وابتعدت المسافات واختلطت المجتمعات كان لا بد من اختفاء المقايضة وظهور وسيط اطلقنا عليه اسم : النقود .

وقد تطورت النقود ايضا من المعدن النفيس الى الاوراق التى تحمل ضمان الدولة والتى تحمل معها « قيم الاشياء » .. وعندما اتسع النشاط اصبحت النقود ايضا مشكلة واصبح نشوء مؤسسة مالية نطلق عليها اسم « البنك » امرا ضروريا .

ومع الوقت .. لم تعد البنوك مجرد مخزن للنقود ، لكنها اصبحت صانعة للنقود ومحركة لها ودافعة للنمو من خلالها .

عنـد العرب : البنـوك صناعـة غـربيـة والغـزو الاستعمارى للمنطقة العربيـة ـ أو اجزاء منهـا ـ فى القرن التاسع عشر كان مصحوبا بغزو مالى .. فمع الجيوش أو قبلها تحركت البنوك واستقرت وامتلكت وتحكمت .

فى مصر .. على سبيل المثال .. جـاءت البنوك الاوروبية لتملك الأرض والقطن .. ولتسيطر على نشاط الفلاح وتساند التاجر الاوروبى ، وفى اكثر من بلد عربى كان النمـوذج يتكرر .. البنـك قادم من الشمـال ورجـال من « الاغـراب » ، فـاذا لم يحملوا جنسيات الدرجة الاولى فى ذلك البلد واذا لم ينتموا لبريطانيـا او فرنسـا أو بلجيكا .. انتمـوا لجنسيات اوروبية أخرى وجنسيات من البحر الابيض .

فى ذلـك الوقت ، وحتى منتصف هـذا القرن لم تكتف البنـوك الاجنبيـة بـالسيـطرة عـلى النشاط الاقتصادى بل كانت تقطع جزءا من مهام السيـادة وهى : اصدار النقد الـذى تم تنظيمـه فيما بعـد فى البنوك المركزية العربية .. بنوك الدولة ..

لذا ، عندما نزعت الـدول العربيـة حتى امتلاك بنوكها المركزية وبنوكها التجارية المحلية .. كان ذلك بمثـابـة معـركـة وطنيـة كبـرى تـدخلت فيهـا السيـاسة ، وتـدخل فيهـا المال ، وتـدخلت قرارات التأميم والتعريب فى بعض الاحيان ..

و .. خـلال فترة وجيـزة اصبحت هنـاك حيـاة مصرفية عربية .

السبعينيات شىء آخر . انها مرحلة جديدة اطلق عليها البعض اسم « الحقبة النفطية » نظرا لأن النفط قد أدى دورا اساسيا فيها .

فى هذه الحقبة حدثت حركة عكسية .

كـانت البنوك الاجنبيـة تأتى الينـا .. فأصبحنـا نـذهب الى دارها وننشىء بنـوكنا هنـاك .. وكانت تتحكم فى اقتصادياتنا ، فأصبحت هذه الاقتصاديات قادرة على ان تفرز بنوكها « عابـرة القارة ...... متعددة الانشطة متزايدة الحجم » .

ذهبنا احيانا مع شركاء غربيين .. وذهبنا احيانا بمفردنا ، انطلقنا من دول نفطية (كدول الخليج) .. وانطلقنا من دول غـير نفطيـة (كمصر) .. حملنـا احيانا راية العروبة ، وحملنا احيانا راية الاسلام .

فى آخر تقرير عن التنمية فى العالم اصدره البنك

ولى ان هناك (١٦٧) بنكا عربيا تنتشر في ست
عواصم رئيسية . . .
٦٠ في لندن
و ٣٩ في باريس
١٩ بنكا في كل من نيويورك وسنغافورة
و ١٥ بنكا في كل من سويسرا وهونج كونج .
وقد كانت أوروبا هي المحطة الاولى حيث جذبت لندن البنوك ، ودخلت وجذبت باريس البنوك اللبنانية والمصرية والخليجية ، ودخلت لكسمبورج الولايات المتحدة الامريكية الحلبة . . ثم . . جاءت عواصم الآسيوية وبخاصة هونج كونج سنغافورة .

وقد اختلفت طبيعة التكوين ، فالبعض قد نشأ برأسمال حكومي . . والبعض برءوس اموال فردية . وفي الحالتين كان الهدف . . ان يشارك المصرف العربي في « تدوير » الاموال العربية واستثمارها

كانت البداية عندما عجزت القدرة الاستيعابية للاسواق العربية النفطية عن توظيف كل العوائد التي اتى بها النفط . . حينذاك اتجهت الاموال لتتحول الى ودائع في البنوك الاوروبية والامريكية أو لتشترى اسهما وسندات وتدخل مجال الاستثمار المباشر ولكن . .

ورغم تقدم الحياة الاقتصادية والمصرفية العربية فقد كان هناك خطر دائم اسمه : التضخم وانخفاض قيمة النقود . . وكان هناك خطر آخر ، وهو الا يتحول العربي من النشاط المالي الى النشاط الاقتصادي الاوسع ، وان تظل علاقته بالحياة الاقتصادية « دفتر شيكات » . . لذا عندما قامت البنوك في الخارج خلال السبعينيات ، وعندما انضمت لها بنوك اسلامية في اواخر تلك الحقبة واوائل الثمانينيات واجهت هذه البنوك الخطرين المحدقين بالمال العربي . . أو أسهمت في ذلك على الاقل .

اصبح العربي مستثمرا . . واصبح البنك العربي معترفا به في الحياة الاقتصادية الدولية . . ولفت النظر ، حتى انعقدت ندوات دولية حول نشوء بنوك اسلامية ، وجزء كبير منها عربي النشأة . . وكلها - دون استثناء - تخرق القاعدة المصرفية الاساسية وهي العمل وفق نظام الفوائد . . ووفق تقرير اقتصادي اخيرا بأن بنكا واحدا من البنوك الاسلامية لم يتعرض للافلاس . . رغم ان مهمته تبدو اصعب من البنك العادي فهو اكثر اندماجا في الحياة الاقتصادية ، وهو يشارك الآخرين في اتخاذ القرارات الاستثمارية ولا يكتفي بمهمة استقبال النقود واقتراضها .

انتشر النمطان : العربي والاسلامي وبلغ عدد البنوك الاسلامية في اواخر ١٩٨٥ : اربعين بنكا في ربوع العالم . .

وبلغت ودائعها عشرة مليارات من الدولارات . . كما بلغ حجم نشاطها طبقا لمؤتمر البنوك الاسلامية والغربية الذي عقد اخيرا - ثلاثين مليارا من الدولارات الامريكية . . كما بلغ عدد الشركات التي أسهمت البنوك الاسلامية في انشائها (٤٠٠) شركة .

السؤال الرئيسي والحديث عن البنوك العربية - أساسا - هل تحقق لهذه البنوك كيان محسوس به ؟ . . وما هو الاتجاه الرئيسي لنشاطها : الشمال او الجنوب . . الدول الصناعية أو الدول النامية ؟

تقرير البنك الدولي - السابق الاشارة اليه - يجيب عن السؤال بمجموعة كبيرة من الاحصاءات اهمها ان البنوك العربية كانت تسهم عام ١٩٧٧ في سوق العملات الاوروبية بنسبة محدودة من اجمالي الاقتراض في هذه السوق لم تتعد (٢,٩) بالمائة . . ولكن . . عندما جاء عام ١٩٨٣ اصبح الاسهام بنسبة (١١,٥) بالمائة . . وكان المتوسط لاعوام ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ : (١١) بالمائة تمثلت في قروض مباشرة أو اتحادات مالية قادها العرب ، وبالارقام بلغ حجم الاقراض الذي قادته البنوك العربية العاملة في النطاق الاوروبي : (٣٧) مليارا من الدولارات في خمس سنوات تمتد من عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٨٤ .

الاهم ان البنوك العربية قد وجهت ربع قروضها للبلدان الصناعية بينما وجهت الجزء الاكبر من الاقراض للدول النامية .

لذا ، عندما يقول الاوروبيون إن البنوك العربية كانت حلقة رئيسية في تعاون « الجنوب - الجنوب » فان القول صحيح وتثبته الأرقام .

وفي كل الأحوال فإنه يمكن القول ان البنوك العربية عابرة القارات . . أو التي تعمل عبر الحدود . . اصبحت من الحقائق الاقتصادية الجديدة . . في الوطن العربي وفي المجتمع الاقتصادي الدولي .



بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

ثار حوله الخلاف ، وألقيت فوق رأسه الاتهامات . . ولم يتفق أحد هل كان رفضه لعرض هرتزل من قبيل الدفاع عن العروبة والاسلام ، أم لدواعي الحفاظ على مملكته عن أيامه الأخيرة نعرض هذا المقال الذى ينقل لنا صورة عايشتها ابنته وقدمتها من وجهة نظرها في كتاب .

« انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، انى لا استطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبي ، لقد قاتل شعبي في سبيل هـذه الأرض ورواها بـدمه ، فليحتفظ اليهـود بملايينهم .

اذا مزقت امبراطوريتى فربما يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزق أولا في جثتنا ، وأنا لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » .

هذا ما قاله السلطان عبدالحميد الثاني لمن أرسلهم اليه زعيم الصهيونية تيودور هرتزل ليبلغوه اليه ، حين عرض على السلطان أن يشترى اليهود قطعة من أرض فلسطين ليتوطنوا فيها ، مقابل تسديد ديـونه للدول الأوروبية ، فرفض السلطان ، وكانت نهايته أن خلع عن عرشه . فهل كان خلعه عن العرش ثمنـا لهذا الرفض ؟ أم كان نتيجة صراعات القوة والحكم داخل المجتمع ؟ أم لتجاوزات الادارة والسياسة ؟

ذا تقول الوثائق العثمانية في ذلك ؟
كيف قضى السلطان عبدالحميد الثاني سنوات سجنه تسع في المنفى ؟

صدر أخيرا كتاب عنوانه « والدى السلطان بدالحميد » لابنته عائشة.وهو ما يعنينا هنا ويحكى ن أيام السلطان الأخيرة ؟

وعائشة هذه غُرِّبَتْ منفية عن وطنها مدة ثمان عشرين سنة ، لاقت خلالها الأهوال ، مات زوجها ى المنفى، وحارت في تربية اطفالها، عمر وعثمان و عبدالحميد ، رسمت اللوحات الفنية وخطت عبارة « ان الله مع الصابرين » ونزلت الى شوارع باريس نبيع اللوحات بالفرنكات القليلة التى انفقتها على أولادها ، وكانت قمة مأساتها فى ابنها عبدالحميد الذى عاش مشلولا ، فلم تجد له ثمن الدواء ، هل تتصور ان ابنة خليفة المسلمين وسلطان أعظم امبراطورية ، تقف عاجزة مشلولة أمام مصيبتها فى ابنها ، ومع ذلك فإنها فى كتابها تسجل تلك اللحظات التى عاشتها مع والدها أسيرة فى سلانيك ، ثم فى قصر بيلربى فى استانبول ، وتصور لحظات انتقال والدها الى الرفيق الأعلى .

ورغم معاناتها وتنكر الجميع لها ، فإنها تختم مقدمة كتابها بعبارتها المعطوفة : « **ان أعظم دَيْن فى عنقى وأقدسه ، هو الدعاء لامتى ووطنى بالسعادة والخلود ، حتى نفسى الأخير ، حفظ الله الامة التركية** » .

هل لنا فى تقليب صفحات المذكرات ، ففيها صور رائعة لصمود أبطال هذه الأمة .

الحياة الشخصية للسلطان

تسجل عائشة عادات والدها وطباعه وملابسه وطعامه واحتفالاته ، وتصف الأعمال التى اعتاد القيام بها منذ نهوضه المبكر قبل طلوع الشمس ، حتى دخول سراى الحريم ، وتذهب عائشة الى أن أهم الوسائل لتسلية السلطان وتمضية وقت فراغه ، كان فى سماعه للموسيقا والاشتغال فى ورشة نجارته ، فعبد الحميد عرف بكونه نجارا بارعا يصنع الدواليب لغرفته ، حتى منضدة قراءته ومكتبه وكرسيه كلها من صناعة يده ، وما زالت تلك التحف الفنية محفوظة فى



السلطان عبدالحميد

قاعة خاصة بها ، ملحقة بمكتبة جامعة استانبول - رأيتها بنفسى - وشدنى الصنع الدقيق والزخرف الأخاذ ، والمستوى الفنى العالى ، والذوق الرفيع الذى يضفى ضوءا على شخصية السلطان الرقيقة ، واحساسه الدفاق بالنعومة .

حوادث وقعت للسلطان

يوم ٢١ يوليو ١٩٠٥ م القى الأرمنى « ادوارد جوريه » قنبلة على موكب السلطان ، بينما كان فى طريقه لأداء صلاة الجمعة ، وقد قتل من جراء ذلك قرابة ثمانين نفرا من العساكر السلطانية ، ولما كانت عائشة برفقة والدها فى عربة مستقلة ، وشهدت الحادثة ، فقد وصفتها فى مذكراتها فقالت: «أخرجوا الخيول ، واصطفت العربات ، وعزف النفير استعدادا للمسير ، وكان كنعان باشا أحد

« الياوران » يقف عند مصطبة الركوب ، وفى أثناء ذلك سُمع دوي مخيفٌ مثل المدفع ، باتجاه برج الساعة ، وغطى الدخان عنان السماء ، وتساقطت الأحجار على رؤوسنا ، وفى تلك اللحظة رأيت والدى يقف على السلم ، وصرخ بصوته الجهورى : « لاتخافوا.. لاتخافوا ، فليبق كل واحد مكانه » . ثم أخذ السلطان لجام عربته وقادها الى مكان الصلاة . وبعد انتهاء الصلاة عاد الى القصر ، وخاطب رعيته بقوله : « لسوف أظل حزينا على القتلى الى الأبد ، وأعرب من صميم قلبى عن امتنانى للعواطف الرقيقة التى ابدتها الرعية تجاهى ، وادعو الله أن يصون رعيتى من المصائب والكوارث »

أما « ادوارد جوريه » الأرمنى فقد سجن فترة محدودة ، ثم أصدر السلطان عفوه عنه ، بل سمح له بالعودة الى بلاده ، وطويت صفحة القنبلة .

حادثة ٣١ مارس ١٩٠٩ م

اشتد الصراع بين جماعة « الاتحاد والترقى » وانصار الدستور الذى أعلنه السلطان ، فقامت حامية الأستانة بتشجيع من أركان الرأى ولخصوا مطالبهم بما يلى :

- احياء الشريعة .
- عزل الصدر الاعظم وناظرى الحربية والبحرية .
- طرد أحمد رضا بك ، وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمى بك ، وطلعت بك ، واسماعيل حقى .
- عزل محمود باشا لأنه لم يشترك معهم .
- العفو عنهم .

وتحركت حامية الروم آيلى لحماية الدستور ومجلس المبعوثان ، ثم حاصر الجيش الاستانة ، وأرسلت الوفود لكبح جماح المتمردين ، غير أن حامية من الجيش بقيادة محمود شوكت باشا أحكمت حصارها لقصر يلدز ، وحدثت هناك أمور ، أوردتها عائشة بدقة متناهية ، قالت :

بدأ الاضطراب يسود السراى منتصف الليل ، العسكر يحاصرون القصر وطلقات المدافع تدوى فى جنباته ، وحاول السلطان معرفة مايجرى ، تحدث مع الباش كاتب ومع رضا بك ، استقال الصدر الأعظم حسين حلمى باشا ، تمرد طابور القناصة فى « طاش قشلة » ، وعين توفيق باشا للصدارة العظمى . فأرسل السلطان عبدالحميد جواد بك ينصح المتمردين بالتعقل ، ولكن دون جدوى ثم سير لهم أدهم باشا - ناظر الخارجية - مرة أخرى ، وتسارعت الأحداث وطلب توفيق باشا اعفاءه ، وجاء المتمردون يقودون علي قبول بك،وامام السلطان قتلوه ، وأحكمت القوات الحصار على القصر ، ولكن قبيل ذلك جاء الباشوات يعرضون على السلطان الاحتكام للسلاح لحسم الموقف ، ولم يقبل عبدالحميد ، بل كان جوابه لهم :

« من أجل فرد يجب الا تراق الدماء ويقتل الأخ أخاه اجمعوا السلاح من الحرس الخصوصى ، ولا تطلقوا النيران ، لا أقبل أن يخدش أحد ، ولا أن تسيل قطرة دم من أنف أى جندى ، اتركوا المتمردين وليفعلوا ما يشاؤون » .

وفد خلع السلطان

دوت مدافع اعتلاء السلطان الجديد ، وجاءت ساعة الخلع . أرسل وفد ضم (ايمانويل قراصو اليهودى الأرمنى ، وأسعد طوبطانى ، وعارف حكمت) وحمل الوفد قرار المجلس الوطنى بخلع السلطان ، تتذكر عائشة تلك الساعات الرهيبة ، وتسجل كلمات والدها حينئذ ، تقول : « حلت الساعة المنتظرة ، كنا نبكى ونولول ، أما والدى فكان يردد « الحكم يومئذ لله » وفى تلك اللحظة ظهر جوهر أغا من الباب ، قال : ان الباش كاتب جواد بك يريد رؤية أفندينا ، وعندها أشار والدى بحضوره ، وأمرنا ان ننتقل الى القاعة الصغرى ، ودخل جواد ، وأبلغ ان هيئة من المجلس الوطنى وصلت ودخلت الزمرة ، وهم ارناؤوط أسعد طوبطانى ، وعارف حكمت والأرمنى آرام افندى ، واليهودى قراصو أفندى .

ووجه أسعد طوبطانى كلامه للسلطان قائلا « لقد عزلتك الأمة . . ورد السلطان : « بل ، اعتقد انكم تريدون القول ، انها خلعتنى ، حسن ، ما هو الدليل الشرعى الذى استندتم عليه »

وهنا أخرج عارف حكمت ورقة وقرأها على مسامع السلطان ، وهى فتوى صادرة من شيخ

سلام ، وجاء بها « اذا اعتاد زيد الذى وهو إمام
لمسلمين، وأن يرفع من الكتب الشرعية بعض
سائل المهمة الشرعية ، وأن يمنع بعض هذه
لكتب ، ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان .. وهنا
اح السلطان :
« حسبنا الله .. أى كتب أحرقت ، حسبى الله
نعم الوكيل » .

ودون اكتراث واصل عارف حكمت تلاوة الفتوى
وان يبذر ويسرف فى بيت المال ، ويتصرف فيه بغير
سوغ شرعى ، وأن يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم
يغربهم بغير سبب شرعى ، وسائر أنواع المظالم ،
ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ،
حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين
لها مختلة ، وأصر على المقاتلة ، وتمكن مَنَعَةُ
سلمين من ازالة تغلب زيد المذكور ، ووردت
خبار متوالية من جوانب المسلمين انهم يعتبرونه
ملوعا ، وأصبح بقاؤه محقق الضرر ، وزواله محتمل
لصلاح ، فهل يجب أحد الأمرين ، خلعه أو تكليفه
التنازل عن الامامة والسلطنة ، على حسب ما يختاره
هل الحل والعقد ، وأولو الأمر من هذين
لوجهين ؟
الجواب :
يجب

كتبه الفقير السيد / محمد ضياء
الدين عفى عنه

وهنا سأل السلطان . من هو رئيس المجلس
الوطنى الذى تبنى الفتوى ؟ فقيل له : « سعيد باشا »
(قال والدى : « لقد عملت ثلاثة وثلاثين عاما من
أجل الأمة والدولة ، من أجل سلامة البلاد ،
وخدمت قدر طاقتى ، انى حاكم يحاكمنى الله
ورسوله ، انى أسلم البلاد بمثل ماوجدتها عليه ، ولم
أفرط أبدا فى شبر من أرضها لأحد ، واترك لله وحده
عز وجل أمر تقدير خدماتى ، وما حيلتى ان شاء
اعدائى اسدال ستار أسود على كل خدماتى » ثم قال
بصوت مرتفع : « هزم الله أعدائى » .
وطلب الى عارف حكمت ابلاغ المسئولين وأخيه
رغبته فى تمضية بقية أيامه فى قصر جراغان مع العبادة
فقط » .

هل لى ان اتدخل فى المذكرات ، وأوضح للقارىء
حقيقة اعضاء الوفد ، فقد آثرت عائشة أن تترك
أمرهم لله وللمنصفين من أبناء أمتنا الاسلامية
والعربية .

ايمانويل قراصو : محام يهودى من أصل اسبانى ،
من قادة الاتحاد والترقى ، والمسئول عن التعبئة
والتنظيم فى الجمعية ، لعب دورا بارزا فى تسهيل
احتلال ليبيا من قبل ايطاليا ، نظير مبلغ من المال ،
وحين كشف أمره ولى هاربا الى ايطاليا ، ومنح
الجنسية الايطالية ، وكان ذا مرتبة متقدمة فى
الماسونية ، حيث نال درجة الأستاذ الاعظم لمحفل
مقدونيا ريزولتا الماسونى ، وبقى فى تريستا حتى هلك
سنة ١٩٣٤ م .

ـ آرام الأرمنى : العضو فى مجلس الأعيان ،
وجرى اختياره ايحاء للأرمن بأن عبدالحميد كان سبب
شقائهم ، وهو قد خلع،واعترافا بمساعداتهم
العسكرية والمالية للاتحاد والترقى ، فقد اختير ممثلهم
ليشهد ساعة الانتقام .

ـ أسعد طوبطانى : الألبانى الأصل ـ نائب عن
منطقة دراج ـ للسلطان عبدالحميد عليه أياد بيضاء .
ويبدو أنه كان عين الاتحاد والترقى داخل السراى ،
فاختياره فيه إيحاء للسلطان بان أقرب المقربين اليه
لايقبلون به سلطانا .

ـ عارف حكمت : فريق بحرى وعضو مجلس
الأعيان ، ربيب أغا البنات عبدالغنى ، وهو ناكر
لجميل السلطان الذى رقاه الى رتبة فريق ، ومشاركته
فى الوفد لابلاغ السلطان رسالة خاصة ، وهى أن
قوات البحرية هى الأخرى تخلت عنه .

واسدل الستار على حياة السلطان العلنية ، لتبدأ
حياته فى ظلام السجن ، فنقلوه الى سلانيك ـ مركز
نفوذ اليهود ، وحبسوه فى قصر علاتيق ، ومارسوا
عليه ألوانا من العذاب النفسى ، منعوه من النظر الى
حديقة القصر ، حرموا زوجته وأولاده من الاقتراب
من النوافذ ، خلا يوم سمحوا لهم برفع الستائر ،
وكان ذلك يوم أقيمت حفلة على شرف ساندايسكى

« الياوران » يقف عند مصطبة الركوب ، وفي أثناء ذلك سُمع دوي مخيفٌ مثل المدفع ، باتجاه برج الساعة ، وغطى الدخان عنان السماء ، وتساقطت الأحجار على رؤوسنا ، وفي تلك اللحظة رأيت والدي يقف على السلم ، وصرخ بصوته الجهوري : « لاتخافوا .. لاتخافوا ، فليبق كل واحد مكانه » . ثم أخذ السلطان لجام عربته وقادها الى مكان الصلاة . وبعد انتهاء الصلاة عاد الى القصر ، وخاطب رعيته بقوله : « لسوف أظل حزينا على القتلى الى الأبد ، وأعرب من صميم قلبي عن امتناني للعواطف الرقيقة التي ابدتها الرعية تجاهي ، وادعو الله أن يصون رعيق من المصائب والكوارث »

أما « ادوارد جوريه » الأرمني فقد سجن فترة محدودة ، ثم أصدر السلطان عفوه عنه ، بل سمح له بالعودة الى بلاده ، وطويت صفحة القنبلة .

حادثة ٣١ مارس ١٩٠٩ م

اشتد الصراع بين جماعة « الاتحاد والترقي » وانصار الدستور الذي أعلنه السلطان ، فقامت حامية الأستانة بتشجيع من أركان الرأى ولخصوا مطالبهم بما يلي :

- احياء الشريعة .
- عزل الصدر الاعظم وناظري الحربية والبحرية .
- طرد أحمد رضا بك ، وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك ، وطلعت بك ، واسماعيل حقي .
- عزل محمود باشا لأنه لم يشترك معهم .
- العفو عنهم .

وتحركت حامية الروم آيلي لحماية الدستور ومجلس المبعوثان ، ثم حاصر الجيش الاستانة ، وأرسلت الوفود لكبح جماح المتمردين ، غير أن حامية من الجيش بقيادة محمود شوكت باشا أحكمت حصارها لقصر يلدز ، وحدثت هناك أمور ، أوردتها عائشة بدقة متناهية ، قالت :

بدأ الاضطراب يسود السراى منتصف الليل ، العسكر يحاصرون القصر وطلقات المدافع تدوى في جنباته ، وحاول السلطان معرفة مايجرى ، تحدث مع الباش كاتب ومع رضا بك ، استقال الصدر الأعظم حسين حلمي باشا ، تمرد طابور القناصة في « طاش قشلة » ، وعين توفيق باشا للصدارة العظمى ، فأرسل السلطان عبدالحميد جواد بك ينصح المتمردين بالتعقل ، ولكن دون جدوى ثم سير لهم أدهم باشا ـ ناظر الخارجية ـ مرة أخرى ، وتسارعت الأحداث وطلب توفيق باشا اعفاءه ، وجاء المتمردون يقودون علي قبول بك،وامام السلطان قتلوه ، وأحكمت القوات الحصار على القصر ، ولكن قبيل ذلك جاء الباشوات يعرضون على السلطان الاحتكام للسلاح لحسم الموقف ، ولم يقبل عبدالحميد ، بل كان جوابه لهم :

« من أجل فرد يجب الا تراق الدماء ويقتل الأخ أخاه احموا السلاح من الحرس الخصوصي ، ولا تطلقوا النيران ، لا أقبل أن يخدش أحد ، ولا أن تسيل قطرة دم من أنف أي جندى ، اتركوا المتمردين وليفعلوا ما يشاؤون » .

وفد خلع السلطان

دوت مدافع اعتلاء السلطان الجديد ، وجاءت ساعة الخلع . أرسل وفد ضم (ايمانويل قراصو اليهودي الأرمني ، وأسعد طوبطاني ، وعارف حكمت) وحمل الوفد قرار المجلس الوطني بخلع السلطان ، تتذكر عائشة تلك الساعات الرهيبة ، وتسجل كلمات والدها حينئذ ، تقول : « حلت الساعة المنتظرة ، كنا نبكي ونولول ، أما والدى فكان يردد « الحكم يومئذ لله » وفي تلك اللحظة ظهر جوهر أغا من الباب ، قال : ان الباش كاتب جواد بك يريد رؤية أفندينا ، وعندها أشار والدى بحضوره ، وأمرنا ان ننتقل الى القاعة الصغرى ، ودخل جواد ، وأبلغ ان هيئة من المجلس الوطني وصلت ودخلت الزمرة ، وهم ارناؤوط أسعد طوبطاني ، وعارف حكمت والأرمني آرام افندي ، واليهودي قراصو أفندي .

ووجه أسعد طوبطاني كلامه للسلطان قائلا « لقد عزلتك الأمة . . ورد السلطان : « بل ، اعتقد انكم تريدون القول ، انها خلعتني ، حسن ، ما هو الدليل الشرعي الذي استندتم عليه »

وهنا أخرج عارف حكمت ورقة وقرأها على مسامع السلطان ، وهي فتوى صادرة من شيخ

'سلام ، وجاء بها « اذا اعتاد زيد الذى وهو إمام
سلمين، وأن يرفع من الكتب الشرعية بعض
سائل المهمة الشرعية ، وأن يمنع بعض هذه
كتب ، ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان . . وهنا
ماح السلطان :
« حسبنا الله . . أى كتب أحرقت ، حسبى الله
نعم الوكيل » .

ودون اكتراث واصل عارف حكمت تلاوة الفتوى
وان يبذر ويسرف فى بيت المال ، ويتصرف فيه بغير
سوغ شرعى ، وأن يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم
يغربهم بغير سبب شرعى ، وسائر أنواع المظالم ،
م ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ،
م حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين
لمها مختلة ، وأصر على المقاتلة ، وتمكن مَنَعَةُ
لمسلمين من ازالة تغلب زيد المذكور ، ووردت
خبار متوالية من جوانب المسلمين انهم يعتبرونه
مخلوعا ، وأصبح بقاؤه محقق الضرر ، وزواله محتمل
لصلاح ، فهل يجب أحد الأمرين ، خلعه أو تكليفه
بالتنازل عن الامامة والسلطنة ، على حسب ما يختاره
أهل الحل والعقد ، وأولو الأمر من هذين
الوجهين ؟
الجواب :
يجب

كتبه الفقير السيد / محمد ضياء
الدين عفى عنه

وهنا سأل السلطان . من هو رئيس المجلس
الوطنى الذى تبنى الفتوى ؟ فقيل له : « سعيد باشا »
(قال والدى : « لقد عملت ثلاثة وثلاثين عاما من
أجل الأمة والدولة ، من أجل سلامة البلاد ،
وخدمت قدر طاقتى ، انى حاكم يحاكمنى الله
ورسوله ، انى أسلم البلاد بمثل ماوجدتها عليه ، ولم
أفرط أبدا فى شبر من أرضها لأحد ، واترك لله وحده
عز وجل أمر تقدير خدماتى ، وما حيلتى ان شاء
اعدائى اسدال ستار أسود على كل خدماتى » ثم قال
بصوت مرتفع : « هزم الله أعدائى » .
وطلب الى عارف حكمت ابلاغ المسئولين وأخيه
رغبته فى تمضية بقية أيامه فى قصر جراغان مع العبادة
فقط » .

هل لى ان اتدخل فى المذكرات ، وأوضح للقارىء
حقيقة اعضاء الوفد ، فقد آثرت عائشة أن تترك
أمرهم لله وللمنصفين من أبناء أمتنا الاسلامية
والعربية .

ايمانويل قراصو : محام يهودى من أصل اسبانى ،
من قادة الاتحاد والترقى ، والمسئول عن التعبئة
والتنظيم فى الجمعية ، لعب دورا بارزا فى تسهيل
احتلال ليبيا من قبل ايطاليا ، نظير مبلغ من المال ،
وحين كشف أمره ولى هاربا الى ايطاليا ، ومنح
الجنسية الايطالية ، وكان ذا مرتبة متقدمة فى
الماسونية ، حيث نال درجة الأستاذ الاعظم لمحفل
مقدونيا ريزولتا الماسونى ، وبقى فى تريستا حتى هلك
سنة ١٩٣٤ م .

ـ آرام الأرمنى : العضو فى مجلس الأعيان ،
وجرى اختياره ايحاء للأرمن بأن عبدالحميد كان سبب
شقائهم ، وهو قد خلع،واعترافا بمساعداتهم
العسكرية والمالية للاتحاد والترقى ، فقد اختير ممثلهم
ليشهد ساعة الانتقام .

ـ أسعد طوبطانى : الألبانى الأصل ـ نائب عن
منطقة دراج ـ للسلطان عبدالحميد عليه أياد بيضاء .
ويبدو أنه كان عين الاتحاد والترقى داخل السراى ،
فاختياره فيه إيحاء للسلطان بان أقرب المقربين اليه
لايقبلون به سلطانا .

ـ عارف حكمت : فريق بحرى وعضو مجلس
الأعيان ، ربيب أغا البنات عبدالغنى ، وهو ناكر
لجميل السلطان الذى رقاه الى رتبة فريق ، ومشاركته
فى الوفد لابلاغ السلطان رسالة خاصة ، وهى أن
قوات البحرية هى الأخرى تخلت عنه .

واسدل الستار على حياة السلطان العلنية ، لتبدأ
حياته فى ظلام السجن ، فنقلوه الى سلانيك ـ مركز
نفوذ اليهود ، وحبسوه فى قصر علاتيفى ، ومارسوا
عليه ألوانا من العذاب النفسى ، منعوه من النظر الى
حديقة القصر ، حرموا زوجته وأولاده من الاقتراب
من النوافذ ، خلا يوم سمحوا لهم برفع الستائر ،
وكان ذلك يوم أقيمت حفلة على شرف سانداليسكى

« عدو السلطان اللدود » ثم استولوا على كل أمواله ماكان منها مودعا فى البنوك الألمانية ، ووافق السلطان أن يتنازل عن كل درهم له شريطة أن :

- يسمح لابنه عبدالرحيم بمواصلة دراسته فى استانبول .
- يسمح لبناته بالعودة الى استانبول ليتزوجن .
- منح الحرية لخدمة القصر .
- يخصص له ولعائلته وأولاده وخدمه ووصيفات عائلته مبلغ يكفيهم .
- يتركوه فى راحة ، وعدم الاستمرار فى تعذيبه نفسيا ، ويتكفل الجيش بحمايته .

ووافق قادة الجيش ، وأخذت كل أمواله وخصص له مبلغ ألف ليرة فقط ليعيش منها هو ومن رغب فى البقاء عنده .

ولكن .... هل التزموا بذلك

تروى عائشة قصة اليوزباشى سالم الكردى الذى شاهد السلطان ذات يوم يتنسم الهواء فى شرفة القصر ، فما كان منه الا أن اطلق النار عليه ، وكان ان انفجرت الطلقة قرب السلطان ، ولاحق السلطان الرامى بنظره ، وعرف أنه سالم الذى التحق بالحرس بتزكية عصمت باشا له ، وترقى حتى وصل رتبة اليوزباشية . عندها طلب السطان رئيس الحرس راسم بك ، وأبلغه السلطان بالحادث ، وأشار الى فارغ ظرف الطلقة ، فما كان من راسم الا أن أخذ الطلقة الفارغة ووضعها فى جيبه ووعد السلطان خيرا . ولما سئل سالم الكردى عن سبب اطلاقه النار على عبدالحميد ، اجاب : « بأنه كان يرغب فى الخلاص منه ، لان من يقتل عبدالحميد سينال الحظوة عند الاتحاديين .

وزادت عذابات السلطان فى القصر ، حتى نقلوه الى استانبول عند بدء الحرب العالمية الأولى ، وسجن فى قصر بيلربى ، منع الاتصال به ، حجبوا أولاده عنه ، أخضعوه لرقابة شديدة ، وتروى عائشة انها كانت تنظر الى والدها بمنظار حصلت عليه بعد اللتيا والتى ، وأخيرا سمح للسلطان أن يلتقى بأفراد عائلته : بناته وأولاده وأحفاده مرة فى كل عام فى عيد الأضحى من الساعة الواحدة حتى الساعة الرابعة ، هل انقل لكم مشاعر الفرحة غداة أول لقاء أم أصف حرارة الدمع عند الفراق ، ولكن سأصور ذلك بكلمات حية .

الساعات الأخيرة للسلطان

اشتد بعبد الحميد المرض ، ووصل الأطباء لعلاجه ، ورفض فى البداية ، وحين أبلغوه أن أخاه السلطان سيغضب عليه ، سمح لهم بالكشف عليه ، وكانوا .... مختار بك ، ورفعت بك السلانيكى ، وعاطف بك ، والكيسانديس افندى ، كان يشكو من اختناق وصعوبة فى التنفس ، أعطوه دما وحقنوه بالميروفين المهدىء ، واذ خرج الأطباء من عنده ، تخلف راسم بك ، ومد يده الى السلطان وفاضت عيناه بالدمع وقال : سامحنى ياسلطانى ، فلقد اسأت اليك ، وليغفر لى الله » وهنا نظر السلطان الى زوجته وقال ان راسم قطع أمله من حياتنا ، وأضاف « لقد أسدلوا ستارة سوداء على كل خدماتى ، ليس لى حق عند أحد لأطلبه » وترقرق الدمع فى عينيه ، اما زوجته الصابرة فقد واسته وشدت من عزيمته ، حتى اذا أيقن ساجنوه أن ساعته قربت ، سمحوا لأولاده وبناته أن يسارعوا لزيارته ، وحين انتظم عقد أولاده ، طلب فنجانا من القهوة ، ونهض من فراشه ورشف الرشفة الأولى من الفنجان . وقبل أن يرشف الثانية كان قد سقط على ذراع زوجته ، وعلا البكاء فى القصر ، ودوت الصرخات فى جوانب القاعات ، وتردد الصدى الحزين فى الممرات ، وهنا سجي الجسد على فراشه ، ودخل ضباط الحرس فقدموا له التحية الأخيرة ، وبهذه الصورة ارتحل السلطان الى جوار ربه فى ١٠ فبراير ١٩١٨ م .

ومضى السلطان عبدالحميد الى الفردوس الأعلى ، وهلك الذين تآمروا عليه ، قالوا عنه : المستبد والظالم والمتجسس ، بل وصفوه بأنه السلطان الأحمر . وبقيت الحقيقة التى مازال الخلاف حولها : .. قد يختلف البعض أو يتفق .. ولكنها تظل فى النهاية صورة انسانية قريبة من سلطان المسلمين الذى كان . □



قضيّة

التعليم المستمرّ والجامعات العربيّة

بقلم : الدكتور سعد الحاج بكري

هل تساهم الجامعات العربية في تطوير التعليم المستمر . . . ؟
وكيف تواجه الجامعات والمؤسسات في مختلف أنحاء العالم ذلك النوع من التعليم . . . ؟
وماذا عن المستقبل بشأنه ؟ قضيه يطرحها د . سعد الحاج بكري .

كثيرا مانسمع في المناقشات تساؤلات حول مايقصد بالانسان المتعلم ، ومـا يقصد بـالانسان المثقف ،ونسمع اجابات عن هذه التساؤلات المختلفة ، مؤداها أن المتعلم لايصبح مثقفا ما لم يكن ـ بالاضافة الى علمه في مجال تخصصه ـ مطلعا على مختلف أنواع المعارف لما لها من تأثير على حياته وحياة بني البشر في كافة المجتمعات الانسانية . اضافة الى ذلك ، ومع التقدم العلمي المتسارع ، بات على المتعلم أن يستمر في تعلمه ، لأن ما تعلمه بالامس لم يعد كافيا أو صالحا اليوم ، كما أصبح على المثقف أن يكون أكثر وعيا لتقدم العلوم لما لها من أثر على حياة كل فرد في كافة المجتمعات .

ونتيجة لهذا التطور العلمي المتسارع ، ظهر تعبير جديد في مجال التعليم هو (التعليم المستمر) . فلم يعد يكفي أن نقول عن شخص أنه متعلم لمجرد انه قد حصل مثلا على درجة جامعية في الهندسة أو الطب منذ عدة سنوات ، بل لابد لمن يستحق هذا اللقب أن يكون قد استمر في تحصيل ما استجد في مجال تخصصه خلال السنوات التي مضت على تخرجه . وعلى الرغم من أن كثيرا من الناس يحاولون تعليم أنفسهم من خلال الكتب والمجلات العلمية المتاحة ، نظرا لحاجتهم الماسة الى ذلك في مجال عملهم ، الا أن التعليم المنظم من خلال دورات تدريبية ينظمها وينفذها أساتذة وباحثون متخصصون يبقى الوسيلة التعليمية الفضلى .

التعليم المستمر في عالم اليوم :

اذا كانت الحاجة الى التعليم المستمر قد نشأت نتيجة للتقدم العلمي المتسارع ، فإنه يمكن القول ان

المسؤولين عن تقديم مثل هذا التعليم هم بالدرجة الأولى أولئك الذين يشاركون في دفع عجلة هذا التقدم . وهؤلاء عادة هم الباحثون في مراكز بحوث المؤسسات الصناعية المختلفة ، وأساتذة الجامعات في مختلف أنحاء العالم . فمهمة الباحث أساسا هي التطوير المستمر لعلومه نظريا ومخبريا وعلميا ، ومهمة أستاذ الجامعة هي بالاضافة الى البحث ، التعليم وكذلك تدريب وتوجيه المتفوقين من المتعلمين نحو البحث والتطوير .

وقد اعتمدت المؤسسات والجامعات في أنحاء مختلفة من العالم على هؤلاء الأساتذة والباحثين في تنظيم دورات التعليم المستمر . ففي بريطانيا على سبيل المثال تقيم النقابات المهنية الهندسية دورات سنوية متخصصة للمهندسين تشمل التطورات المستمرة في مختلف مواضيع الهندسة المدنية والميكانيكية والكهربائية والحاسبات . ويجري عقد هذه الدورات عادة في الجامعات البريطانية المختلفة حيث تشرف كل جامعة على مجموعة من الدورات . ولاستغلال كافة امكانات الجامعات في هذه الدورات فإنه يجري عقدها خلال العطل الجامعية ، لتجنب وجود الطلبة النظاميين في الجامعة مع طلبة دورات التعليم المستمر هذه في وقت واحد . ومن هذه الدورات السنوية ، دورة تصميم شبكات الاتصالات التي تعقد في جامعة آستن في برمنغهام ، ودورة استخدام الحاسب في أنظمة التبديل الهاتفي في جامعة أسكس ، وعدد كبير من الدورات الاخرى .

وفي الولايات المتحدة تقيم العديد من الجامعات دورات للتعليم المستمر في مجالات عديدة . وأكثر من ذلك فان بعض الجامعات ، تقوم بحمل برامج التعليم المستمر فيها الى أماكن مختلفة من العالم . ومن أمثلة هذه الدورات دورات التعليم المستمر لجامعة جورج واشنطن التي جرى عقدها في أوقات مختلفة من الخريف الماضي في كل من واشنطن وبرلين ولندن وأمستردام في موضوعات التطورات الحديثة للحاسب والاتصالات والالكترونيات والعلوم الادارية .

وبالاضافة الى ماسبق فإن كثيرا من الشركات العالمية المتخصصة في حقل الحاسب الآلي والتقنيات المتقدمة الأخرى ، تعمل على تنظيم دورات تعليم مستمر لمنتسبيها بالتعاون مع العديد من الجامعات . ومن هذه الشركات ، شركة بل ، وجنرال الكتريك ، وهيلتون باكارد ، وباولو التو ، وشركات أخرى كثيرة . ومن أبرز الجامعات المتعاونة مع هذه الشركات في تنظيم الدورات ، جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية .

المشكلات القائمة

وعلى الرغم من الاهتمام القائم بالتعليم المستمر في دول العالم المتقدم ، الا أن هذا الاهتمام مازال غير كاف . ففي مؤتمر عقد حول هذا الموضوع في العام الماضي في معهد ماساشوستس التقني الامريكي الشهير ، قدمت بعض الاحصائيات التي تقول ، ان العديد من المهندسين الذين يبلغون ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين عاما ، أي ممن مضى على تخرجهم حوالي خمسة عشر عاما ، يتركون مهنتهم الهندسية الى مهن أخرى ، بسبب عدم متابعتهم للتطورات المستحدثة في تخصصاتهم ، وتفوق المهندسين الأصغر سنا والأحدث تخرجا عليهم . ففي مجال الهندسة الكهربائية مثلا وجد أن عدد المهندسين الذين يتركون مهنتهم سنويا ، أكثر من عشرة آلاف مهندس ، أي ما يعادل خمسة في المئة من مجموع المهندسين الكهربائيين في الولايات المتحدة . ووجد أيضا أن الولايات المتحدة ستعاني من نقص في عدد المهندسين الكهربائيين العاملين عام ١٩٨٥ م يقدر بحوالي مئة ألف مهندس .

ولمعالجة مثل هذه المشاكل ، أوصى مؤتمر ماساشوستس المذكور بضرورة توثيق التعاون بين الشركات والمؤسسات الصناعية من جهة ، والجامعات من جهة أخرى ، من أجل تطوير التعليم الهندسي ، على أن تكون مهمة الجامعات في هذا التعاون هي تنظيم دورات تعليم مستمر للمهندسين العاملين في الشركات ، وتوفير كافة احتياجات هذه الدورات . وعلى أن يكون دور الشركات في هذا المجال هو توفير الدعم المالي لهذه الدورات ، لأنها في النهاية ستعود بالفائدة على مردود عمل متدربي الشركات ، وتؤدي بالتالي الى رفع مقدرتها الانتاجية . وقد قدر أن المدة التدريبية الملائمة في المجال الهندسي ، هي على الأقل خمسة عشر أسبوعا في السنة .

الجامعات العربية :

تشهد معظم أقطار الوطن العربي الآن تنمية تقنية متسارعة تأخذ بأحدث ماوصلت اليه التقنيات العالمية . وتحتاج هذه التنمية الى متخصصين عرب تستند خبراتهم الى أحدث ماوصل اليه العلم . ويحتاج هؤلاء الى التعليم المستمر لاطلاعهم على التطورات المتجددة في تخصصاتهم والمحافظة على خبرتهم وارتفاع مردودهم في العمل . وعلى ذلك يمكن القول إن أهمية التعليم المستمر في الوطن العربي لاتقل عن أهميته في العالم المتقدم ، ان لم تفقها لاننا اذا أردنا اللحاق بمن سبقنا فلابد لنا من أن نكون على استعداد للتفوق في بذل الجهد اللازم .

وقد بدأ العديد من الجامعات العربية ، يعي دوره في مجال التعليم المستمر . وللدلالة على ذلك نطرح بعض الأمثلة . فقد أنشأت جامعة الملك سعود بالرياض في العام الماضي مركزا لخدمة المجتمع ، من أهم اهتماماته اقامة دورات متخصصة في مختلف المجالات . كما أقامت الكليات المختلفة في هذه الجامعة ـ قبل انشاء هذا المركز وبعده ـ دورات متخصصة لمنتسبي الادارات الحكومية والشركات . وعلى سبيل المثال أقام قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك سعود بالرياض أربع دورات تخصصية خلال العامين الماضيين في مجال الحاسب الآلي وهندسة الاتصالات . كذلك أقامت جامعة دمشق بالتعاون مع نقابة المهندسين السوريين عدداً من الدورات في مجال الحاسب الآلي . ونظمت الجامعة الاردنية بالتعاون مع معهد المهندسين الكهربائيين المهني الاردني مؤتمرين خلال ثلاث سنوات حول آخر التطورات العلمية في مجال الهندسة الكهربائية . وهناك أمثلة كثيرة أخرى لا مجال لذكرها هنا .

وجهة نظر :

ولكن هل يكفي ما تقوم به الجامعات العربية اليوم لتحقيق غاية التعليم المستمر وهي أن يكون المتعلم متعلما فعلا في كل ما وصل اليه مجال عمله في أي وقت من الاوقات ؟ في اعتقادي أن الاجابة عن هذا التساؤل ليست بسيطة . فإذا كانت الجامعات العربية مستعدة للعطاء ، فهل تسمح المؤسسات الحكومية ، التي تشكل في الوطن العربي القطاع الأهم للعاملين في التنمية التقنية ، وكذلك الشركات لمنتسبيها ، بالوقت اللازم للاستفادة من هذه الدورات ؟ وهل هناك ما يشجع هؤلاء المنتسبين على مثل ذلك ؟ ومن أين ستأتي النفقات الاضافية اللازمة للتعليم المستمر ؟

وهنا نطرح بعض النقاط المهمة التي تمثل وجهة نظر حول مايجب أن تقوم به الجامعات العربية بشأن التعليم المستمر .

أولا :

على مستوى كل قطر من الأقطار العربية ، فإن على الاقسام والكليات المختلفة في الجامعات أن تقوم بالتعاون مع المؤسسات الحكومية التي تعتمد في عملها على منتسبين تتفق تخصصاتهم مع تخصصات هذه الكليات باجراء دراسات مستمرة حول احتياجات هؤلاء المنتسبين وتنظيم دورات تعليم مستمرة في أوقات مناسبة تعمل على تغطية هذه الاحتياجات .

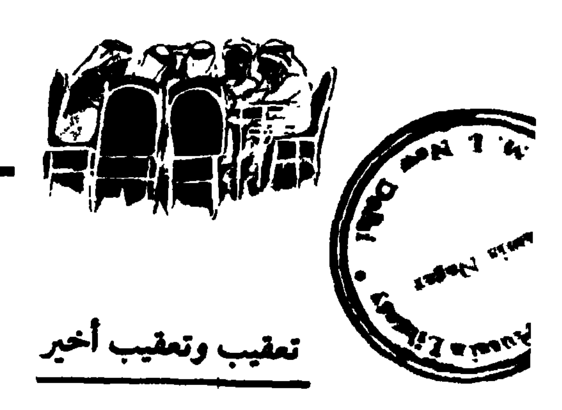
ثانيا :

على مستوى الاقطار العربية ، فإنه من المفيد تبادل الخبرات عن طريق عقد المؤتمرات حول التعليم المستمر على غرار مؤتمر ماساشوستس السابق الذكر . ولعل من المناسب الاعلان عن هذه المؤتمرات على مستوى عالمي لانها يمكن أن تساهم في الاستفادة من خبرات الآخرين في هذا المجال ، وفي جذب الخبرات العربية المهاجرة الى وطنها الأم .

ثالثا :

اصدار مجلة حول دراسات التعليم المستمر في الوطن العربي على غرار (المجلة العربية للعلوم) و (المجلة العربية لبحوث التعليم العالي) التي تصدرها المنظمة العربية للثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية . فمثل هذه المجلة تسهم في تعزيز بحوث التعليم المستمر في الوطن العربي وتوسيع اطلاع القائمين عليه وفتح مجال تبادل الرأي فيما بينهم . □

منتدى العربي
تعقيبات



تعقيب وتعقيب أخير

حَليبُ النّاقةِ وحَليبُ البقرَة !

في عددكم ٣٢٥ - ديسمبر ، ١٩٨٥ الصفحة ١٢٠ ، باب سلامة البشرية في سلامة البيئة .. وتحت عنوان « لبن الناقة .. خير من لبن البقرة » . يورد الكاتب معلومات عن حليب الناقة وحليب البقرة ، تشعر القارىء أن الكاتب متحيز جدا لحليب النوق ، ربما من عاطفة العربي نحو الناقة ، التي لاتزال تسري في دمنا حتى اليوم .

وبما أن الباب المكتوب فيه المقال هو باب علمي ، فنرجو أن لاتتدخل العاطفة في العلم ولذلك ، ورغم ولعنا جميعا بأدبيات النياق ، والأشعار الكثيرة جدا التي رضعناها ، فاننا اخلاصا منا للعلم نورد الآتي :-

١ - حليب البقر والاغنام والنياق والمرأة كله حليب جيد من الناحية الغذائية ، وخاصة اذا روعيت فيه النظافة والتعقيم عند أخذه ، وأما نسبة البروتين والدهون فهي كلها متوازنة في كل حليب في جميع أنواع الثدييات ، مع الفرق البسيط حسب العامل البيئي الذي يعيش فيه المخلوق .. فطبيعي جدا أن يختلف حليب الحوت عن حليب البقرة وعن حليب الناقة وهلمّ جرّا . . .

وما اختلاف نسبة الدهون والبروتين والماء في الحليب الا لضرورة التلاؤم التام مع البيئة ، وهذا سرمن أسرار الخليقة ، أودعه الله تعالى في خلقه ، ولشرح ذلك نلفت النظر الى أن نسبة الماء والبروتين يجب أن تكون ظاهرة في حليب النياق أكثر من الدهون ، لأن النياق تعيش عادة في جو صحراوي حار ، ويحتاج هذا الجو الصحراوي الحار والجاف الى نسبة عالية من الماء والبروتين للتعويض . تبعا لما أوردناه . . . وبسبب انتشار مجلة « العربي » الواسع في أرجاء المعمورة ذات الطقس الحار والبارد ، فانه يجب لزوما علينا التنبيه ، بأن حليب البقر ربما كان أفضل من حليب النياق في المناطق ذات الطقس البارد ، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الدهون فيه .

٢ - أورد الكاتب مايلي : « وفي أيام الجفاف والقحط حين يشح ماء الشرب ، يعمل جسم الجمل تلقائيا على رفع نسبة الماء في لبنه ، من ٨٤٪ الى ٩١٪ ويفعل ذلك بتحويل الماء الذي يختزنه الجمل في دمه لا في سنامه ، فيحول الماء من دمه الى لبنه ليصبح لبنا مشبعا بالماء .. وذلك من أجل صغاره ، وخشية أن تنفق عطشا » .

وهنا .. للأمانة العلمية ، يجب أن نصحح ما ورد لأنه غلط كبير أن يقال هذا القول ، .. فالدم سائل متوازن ، اذا زادت فيه نسبة من مركباته أو نقصت تعذرت الحياة كليا ، والجمل لايختزن الماء في دمه بل في سنامه ، وآلية اختزان الماء في سنام الجمل هي من أبدع ما خلق الله تعالى ، فسنام الجمل كما يعلم الجميع هو كتلة من الدهون ليس فيها ماء ، ولكن أعجوبة الخلق ، ومن يدرس الكيمياء الحيوية

، ويعلم كيفية استقلاب الدهون ، وكيف
، الطاقة (الحراريات) عن طريق هذا
قلاب ، يصبح عليه يسيرا أن يفهم كيف يصبر
، ضخم شهرا كاملا بدون شرب الماء ، وفي جو
جاف جدا !
، عملية استقلاب الدهون هي التي تفرز الماء
، لحياة هذا المخلوق ، من داخل جسمه وليس
خارجه ، وبالضبط من سنامه .. من هذه الكتلة
ة من الدهن التي تشبه جبلا من الثلج ، وليكن
ما أن الجمل هو الكائن الحي الوحيد الذي يتمتع
سية أخذ الماء للدم عن طريق استقلاب الدهن
كم في جسمه (سنامه بالضبط) ، وربما يسأل
، أنه ما دام الأمر كذلك فيمكن اذن للبدناء أن
وا العطش أكثر من غيرهم ، وذلك غير وارد
من المتراكم في أجسام الثدييات ، غير الجمل
اقة ، يستقلب بنفس الطريقة مرورا « بدورة
س » ولكن ليس لأي من الكائنات هذه المقدرة
العجيبة والخافية على أخذ الماء للدم من الدهن المخزون .

هذه هي عجائب الخلق . ان سنام الجمل هو الذي يزوده بالماء في أقسى حالات العطش والحر .. أي أن الجمل يشرب داخليا ، وليس الأمر كذلك بالنسبة لنا حيث نتزود بالقرب الطافحة ، وبدونها نموت عطشا ، ولكي لايكون هذا درسا في الكيمياء الحيوية ، ولحصر تعقيبنا في حدوده ، نؤكد على ما جاء من النسب المئوية في الحليب ، فهي تتفاوت حسب المخلوق وبيئته ، وتفاوتها ضروري لحياته حسب بيئته ، وأما الماء فهو لايختزن في دم الجمل ، انما هو يتتج حين استقلاب الدهون المخزونة في سنام الجمل ، ويأخذه الدم عن هذا الطريق .

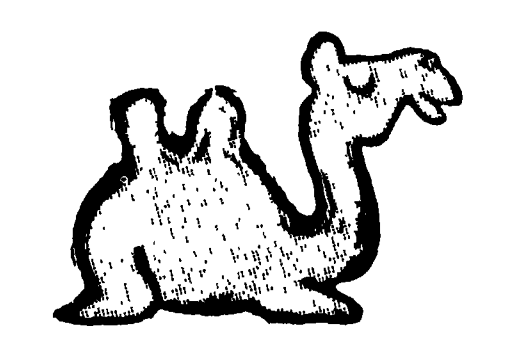
ولكم أطيب التمنيات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الحميد الشيخ عطية

د على التعقيب

الجمل لا يخزن الماء في سنامه

نشكر الأستاذ عبدالحميد الشيخ عطية على تعقيبه .. فقد أتاح لنا فرصة الكتابة مجددا حول لبن الناقة في العدد المذكور ، فالموضوع م بذاته .. ويسوق معلومات جديدة عن طبيعة



الجمل وقدرته على تحمل العطش ...

وتجدر الاشارة أولا ، الى أن مقالتنا علمية ـ كما يلاحظ الناقد نفسه . وما دامت علمية كان لابد لها من مرجع تستند اليه ، ونقتبس عنه بدقة وأمانة ، والا كانت أقرب الى المواضيع الانشائية .. أما مرجع مقالتنا تلك فليس سوى باب العلم والتقنية في مجلة الايكونومست الانكليزية (راجع صفحة ٨٦ من عدد ١٩٨٥/٤/٢٠) وغني عن البيان أن هذه مجلة رصينة وواسعة الانتشار ... وتحظى بقدر كبير من الثقة والتقدير .. وقد ظفر أحد كتاب باب العلم فيها بالجائزة الأولى في الكتابة العلمية ، وذلك قبل نحو سنتين .. ولا ندري ان كان كتّاب هذه المجلة

الانجليزية متحيزين حقا للناقة ولبنها هم أيضا . وأملنا كبير في ألا تثبت تلك التهمة ، والا حرموا فرصة التفوق في الكتابة العلمية ثانية . . . ولا ندري أيضا ان كانت هذه التهمة ذات موضوع أصلا . . والا كان ناقدنا نفسه متحيزا لحليب البقر ، وقد أكد في خطابه « ان حليب البقر ربما كان أفضل من حليب النياق في المناطق ذات الطقس البارد . . وذلك بسبب ارتفاع نسبة الدهون فيه » .

ويسوق الكاتب عبارة من مقالتنا ويقول انها تنطوي على « غلط كبير » . . . فقد قلنا فيها بأن سنام الجمل هو مخزن غذاء في جسم الجمل وليس مخزن ماء . وينفي الناقد قولنا ، ويؤكد أن السنام انما هو مخزن ماء في جسم الجمل ، فضلا عن كونه مخزن غذاء . . ولعله لا يلام على الأخذ بهذا الاعتقاد . . . . فهو الاعتقاد الذي يتبادر بداهة لذهن كل انسان ، حينما يرى أن الجمل هو الحيوان الوحيد الذي يصبر على العطش طويلا . . . وانه الحيوان الوحيد أيضا الذي يعلو ظهره سنام أو سنامان . . . ثم انه الاعتقاد الذي شاع بين الخاصة والعامة قبل حين . . ومازال شائعا بين الكثيرين . . الا أنه اعتقاد خاطىء ، وهو ـ على مايبدو ـ من أساتذة الكيمياء الحيوية الشغوفين بها ، والمتتبعين لمستجداتها . .

فالجمل لايخزن الماء في سنامه أبدا ، وانما يخزن فيه الدهون والغذاء فحسب ، . . ولا شأن لعملية استقلاب تلك الدهون بذلك الماء حتى لو وجد . . اذ كيف يمكن تلك العملية أن تعمل على نقل الماء من سنام الجمل الى دمه . . وهي عملية لتوليد الطاقة والحراريات . . ولا تقوم مقام الأوعية الوسيطة لنقل ماء السنام . . غير الموجود أصلا . . . .

والجدير بالذكر أن عملية الاستقلاب التي تولد الطاقة تفرز بعض الماء في الوقت نفسه . . أي أنها تكسب جسم الجمل كمية محدودة من الماء . . ولكن عملية الاستقلاب هذه تحتاج الى الأوكسجين ، كما لا يخفى ، وتستنفد بعض الماء من جسم الجمل عن طريق رئتيه . . ومعنى هذا أنها تفقد جسمه كمية من الماء محدودة . . والكميتان متعادلتان تقريبا . . وفي ذلك آية من آيات الخلق .

وليس معنى هذا أن سنام الجمل ليس آية من آيات الخلق . . . فتركيز الدهون فيه يمكن الجمل من التخلص من حرارة جسمه كما يشاء ودون عائق . . ولو كان الدهن موزعا على جسم الجمل لتعذر على هذا الحيوان التخلص من فائض حرارته . .

ولعل الاعجاز في خلق الجمل يتمثل في تجنبه التعرق . . فالابل لا تبدأ التعرق الا بعد بلوغها درجة حرارة ٤٦ مئوية . . وفي ذلك تفسير لصبرها على العطش . . . ولكنه ليس التفسير الوحيد . . .

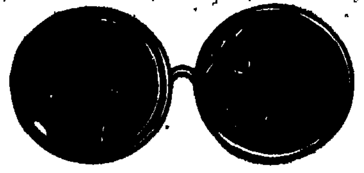
فالجمال تختزن بعض الماء الذي تشربه . . في دمها . . فهي تشرب كميات كبيرة من الماء تبلغ ١٨٠ لترا أو يزيد في حالة العطش الشديد . . وما أسرع ما ينتفخ جسم الجمل عقب شربه مثل هذه الكميات . . وما أسرع ما تنتفخ كريات دمه ببعض هذا الماء . . ومن اعجاز الخلق أن كريات دم الجمل ليست كروية الشكل كما هي الحال في سائر الثدييات . . بل إنها بيضاوية ، بحيث تنتفخ وتصبح كروية ، دون أن ينفجر جدارها لدى امتلائها بالماء . . . وهكذا يتعرض دم الجمل وسائر السوائل في جسمه الى تخفيف dilution لا قبل لكافة الثدييات الأخرى بمثله . . . .

بقي أن نذكر ميزة أخرى ينفرد بها جسم الجمل . . . فهو يحتفظ باليوريا (البولينا) ولا يفرزها ضمن ما يفرز من بول ، كما تفعل سائر الثدييات . . فهذه اليوريا لا تلبث أن يعاد بناؤها من جديد وتتحول الى بروتينات . . وذلك بفعل بكتيريا خاصة موجودة في معدة الجمل دون سواها . . .

يوسف زعبلاوي

■ لا يكفي أن تكون في النور لترى ، بل ينبغي أن يكون في النور ما تراه

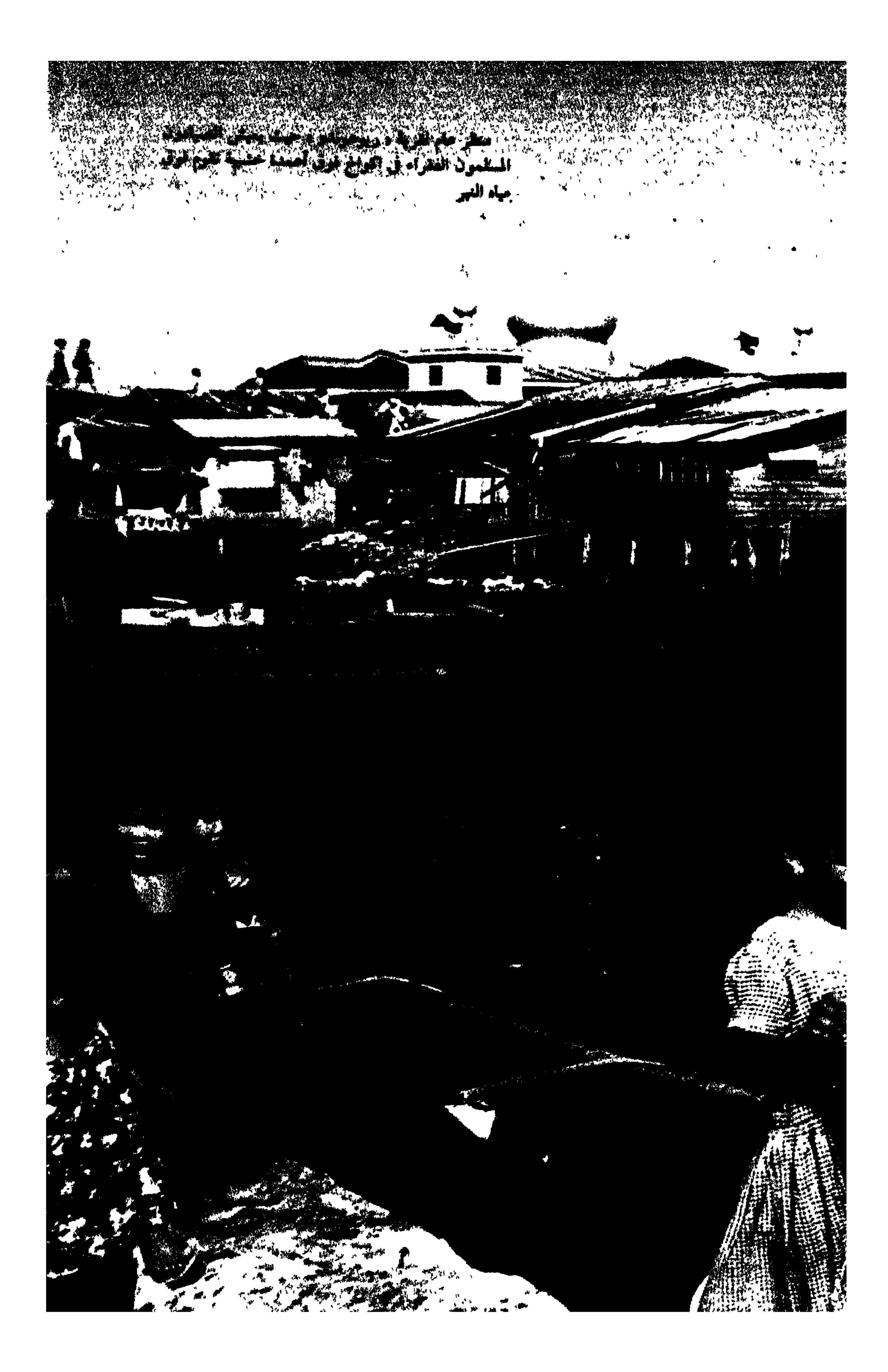
(عباس العقاد)



العربي عيونك على العالم

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

على مفترق الطرق



منظر عام لقرية [illegible]
المسلمون الفقراء في أكواخ فوق أعمدة خشبية تعوم فوق
مياه النهر





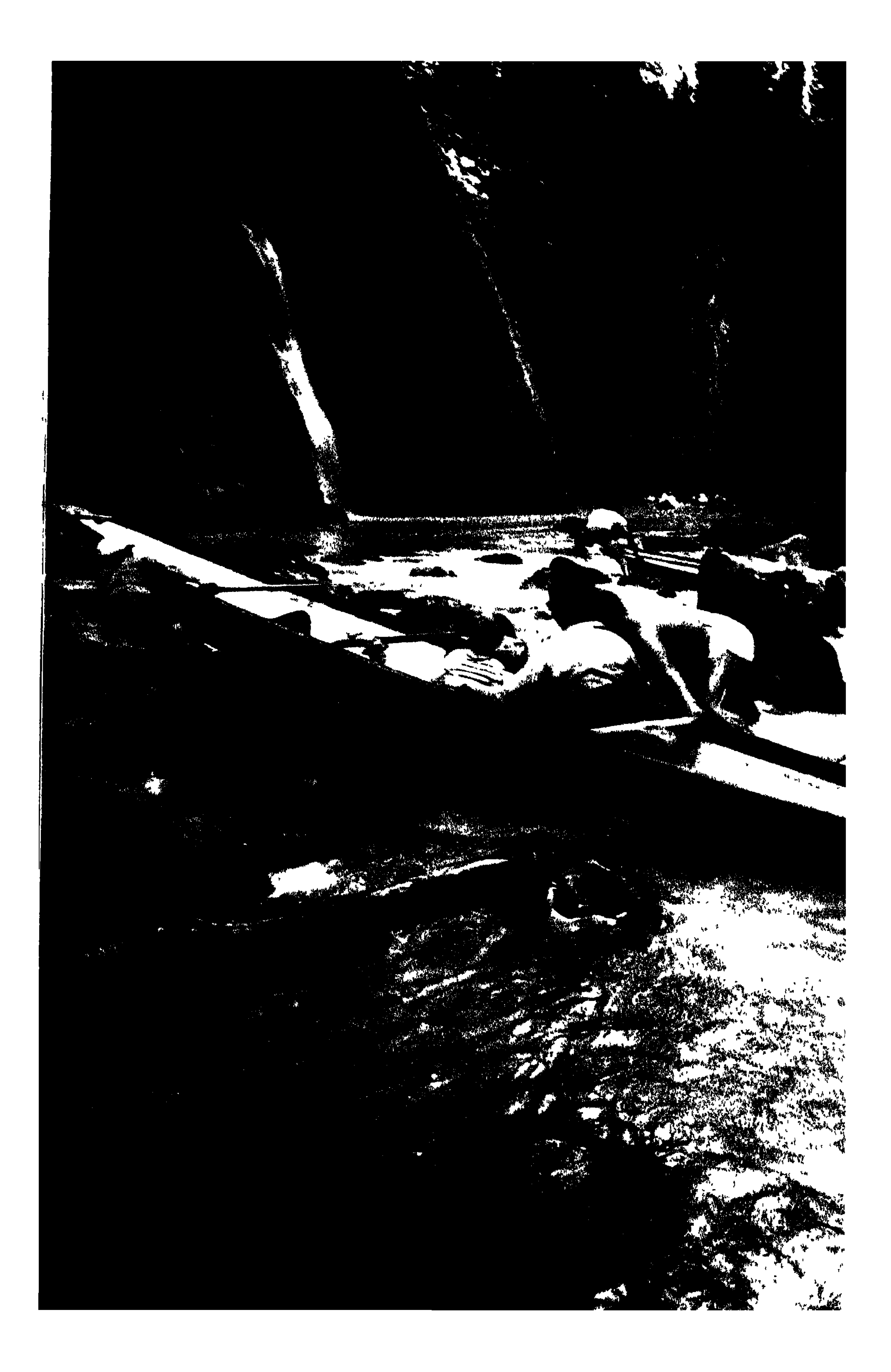
صراع الديوك . وعملية التسخين قبل المعركة . !



التجديف ضد التيار . والانطلاق فوق الصخور والجنادل نحو مساقط المياة المنحدرة من شلالات « باحسانجان »



الفاكهة والأزهار .. هما كل شيء في حياة هذا الصغير في « ارض الزهور »



الديك او ذاك حينما يرفع حاملا الديكين اللذين يحل دورهما طائريهما تماما كما يفعل المصارع قبل بدء المصارعة . وقبل ان يبدأ النزال يسمح الحكم للديكين بمناوشة كل منهما للآخر وهما بين أيدي حامليهما لاثارة النخوة والتسخين قبل اللعب .

وتبدأ المصارعة . . ويتبادل الديكان القفز في الهواء كل منهما يحاول ان يرتفع اكثر من الأخر ليمتلك الفرصة لضرب منافسه بمشرطه الحاد على رأسه أو عنقه . . مع استخدام منقاره كلما سنحت الفرصة . . ومع ارتفاع صرخات المراهنين تزداد حمى المصارعة والاثارة فإذا تمكن احد الديكين من إصابة غريمه في عنقه أو رأسه وأرداه صريعا على ارض الحلبة ، فان الحكم يؤكد الانتصار بأن يسمح للديك المنتصر بنقر المغلوب بمنقاره مرتين ، ثم يعلن انه انتصر على منافسه بالضربة القاضية . . أما اذا رفض الديك المنتصر نقر غريمه اذا كان مصابا فقط ، فإن الحكم يعلن انتهاء المصارعة بالتعادل . وقد يفقد احد الديكين حماسه للقتال او يحاول الهرب امام منافسه ويلجأ الى جوانب الحلبة . هنا يعلن الحكم انتصار الغالب بالضربة الفنية . وأما اذا طالت المعركة وبدا الاهاك على المتصارعين فإن الحكم وحده يقرر أيهما حصل على نقاط اكثر ويسمح له قبل اعلان النتيجة بضربة واحدة يوجهها الى غريمه ثم ينقل الطائران الى ركن خاص حيث يتولى طبيب بيطري متخصص علاج الديك الجريح أو يعلن موته

مصارعة الخيول

ثمة مصارعة من نوع آخر شهدناها هي مصارعة الخيول وعلى رغم ان هذا النوع من المصارعة غير مرغوب كثيرا في المدن ، إلا انها لعبة محبوبة بين المزارعين قرب بحيرة سيبو في جنوب مندناو

ففي ايام السوق الذي يقام عادة كل يوم سبت ، تربط أنثى الخيل تحت بصر حصانين من الذكور ، يستحثان ليدخلا في مصارعة من أجل الفوز بالانثى . وتستمر المصارعة حتى يجهد احدهما فيثني ذيله علامة على الاستسلام وعدم الرغبة في مواصلة القتال أو يحاول الهرب امام غريمه ، زمن المصارعة عادة لا يتجاوز ثلاث دقائق ولا يسمح باستمرارها حتى الموت ، وبرغم الفقر وشدة الحاجة الى اللحم فإن الفلاحين يرفضون تماما أن يأكلوا لحوم الجياد إذا اصيبت واضطر صاحبها الى قتلها رأفة بها . . !

التجديف ضد التيار

نوع آخر من الصراع شاركنا فيه . . ولكنه هذه المرة صراع مع الشلالات والجنادل ، واندفاع ضد التيار الجارف ، وانطلاق مع مساقط المياه المنحدرة بشدة من أعلى الجبل الى مجرى النهر .

التجربة في الواقع رائعة . . مثيرة

كانت مرافقتنا في حوض التجربة احدى المتنافسات على عرش الجمال في الفلبين ، مس روز ، وكانت المنطقة التي انطلقنا اليها ـ على بعد ثلاث ساعات بالسيارة شمالي مانيلا ـ منتجعا تقليديا يقع عند ملتقى نهرين . . حيث مقصدنا لمشاهدة شلالات « باجسنجان » .

انطلقت قوارب « البانكا » . كل قارب يقوده مجدفان حاذقان ذوا خبرة طويلة في التجديف ومصارعة التيار ، بدأت رحلة الصعود الى منابع النهر المنحدر من الشلالات بطيئة أول الامر حتى اقتربنا عند منحنى النهر من مضيق عميق هو المدخل الرئيسي الى شلالات باجسنجان ، تحيط به من الجانبين مرتفعات صخرية يبلغ ارتفاعها حوالي مائة متر ، ثم يبدأ اختراق النهر الذي تنحدر مياهه من ارتفاع ٣٠٠ قدم بجنادله الصخرية ومساقطه المائية التي يبلغ عددها تسعة عشر شلالا صغيرا تنهال عليه من الجانبين .

ويبذل المجدفان جهودا خارقة في مواجهة تيار النهر ، وهما يخترقان بالزورق ذلك المجرى الذي تعترضه جنادل الصخور على مدى الرحلة التي تستغرق ساعة كاملة قبل الوصول الى موقع الشلال الرئيسي ، وهما يعملان على تفادي الاصطدام بالصخور بتوقيت وخبرة ومهارة . ويتولى الفتى الذي يقوم بدور « الدفة » في مؤخرة القارب ارشاد زميله الذي يحرك المجدافين قبل المرور على المنحنيات الصخرية ليرفع قدميه او يخفضهما او يغوص في الماء ليسند قدميه على الصخور شمالا او يمينا ليمرر القارب من الفتحات الضيقة وليرفعه مع زميله الى اعلى حين لا تسمح الفتحة بالمرور . . وتعمل سيقان الرجلين وكأنها الواح المحرك الآلي في سرعته وفعاليته . . !

ونصل اخيرا الى نهاية المرحلة الأولى . .

مشهد رائع لشلال باجسنجان والمياه تنحدر بقوة وفي هدير يشبه صوت الرعد من اعلى القمة ، ومن وراء الستار المائي المنحدر يبدو مدخل مغارة

الشيطان . . وقد اطلق عليها هذا الاسم لأن المدخل يشبه بالفعل وجه مارد رهيب

بعد الراحة ومتابعة هدير الشلال ، تبدأ رحلة العودة ، وخوض تجربة الانحدار مع التيار فوق مساقط الماء . . !

تصور نفسك وانت في قارب ضيق ينحدر بقوة دفع التيار من ارتفاع ثلاثمائة قدم ليقفز من فوق اربعة عشر مسقطا مائيا . . وتجد نفسك في كل مرة وسط هدير المنحدر وقد غرقت في الماء المثلج وانخلع قلبك من بين جنبيك ، بينما يخرج القارب في كل مرة وقد غمره الماء ، والمجدفان اللذان تمرسا على كيفية اختراق المنحدر بقاربهما ، يعملان على اخراج الماء الذي ملأ قاع القارب بالدلاء ليعاودا الكرة على كل منحدر جديد ؟

حكايات باجسنجان

وتصل التجربة الى نهايتها ، وتبدأ رحلة العودة الى مانيلا . وعلى الطريق ، ونحن نترك حدود مقاطعة باجسنجان يهدىء السائق من سرعة سيارته ، وتشير مس روز بعد ان تؤدي علامة الصليب ، الى بوابة بعرض الطريق تزينها « الديكورات » والزهور وعلى جانبيها تمثالان صغيران

- هذه البوابة تحكي قصة القديسة « جودلوب » مع عصابة اللصوص وقطاع الطرق . . فقد حدث اثناء الحكم الاسباني ان تعرضت المقاطعات المحيطة بمانيلا لهجمات عصابة رهيبة مسلحة يقودها عملاق اسمه « تانكاد »، وكان هبوط الليل يعني بالنسبة للناس انتظار الرعب القاتل . ولم يكن الحراس الاسبان باقل قسوة واثارة لرعب الناس من ارهاب عصابة القتلة واللصوص وفي منتصف ليلة الثامن من ديسمبر ١٨٧٧ كان اهالي باجسنجان يتقلبون في نوم قلق ، دون ان يدروا ان الدائرة ستدور عليهم وان رجال العصابة بقيادة العملاق الارهابي بانكاد يتقدمون في سرعة للانقضاض على المدينة وتوقف رجال العصابة فجأة حين اقتربوا من المدخل الغربي للمدينة ، فقد فوجئوا بسيدة رائعة الجمال في رداء ابيض ترفع في يدها سيفا يتألق تحت اضواء القمر . ورسمت السيدة بسيفها خطا بعرض الطريق وهي تقول بلهجة آمرة :

- انتبهوا لما اقول يا اشرار الليل . انني اعرفكم ، وهذه مدينتي ، وسكانها تحت حمايتي ، ولن اسمح لاحد بأقلاق راحتهم ومهاجمتهم . واني احذركم ايها اللصوص والقتلة انكم اذا تجاوزتم هذا الخط الذي رسمته فلن يكون لكم الا الموت . . !

وارتعدت فرائص رجال العصابة الشجعان ، وسقط قائدهم عن جواده وهو يحني رأسه امام السيدة فقد كانت تلك اول مرة خلال حياتهم المليئة بالشرور والآثام يتعرضون فيها لمثل هذا التهديد الذي يثير الرعب . وما كادوا يرفعون ابصارهم حتى كانت السيدة قد اختفت فجأة ، تاركة وراءها عبيرا نافذا يعبق الجو ، وفي رعب شديد استدار تانكاد ورجاله هاربين بعيدا الى سفوح الجبال حيث لم يظهروا بعد ذلك على الاطلاق .

ومن اجل ان يعبر اهل المنطقة عن شكرهم للقديسة المباركة التي حمت مدينتهم اقاموا في نفس المكان ، وبعرض الخط الفاصل الذي رسمته سيفها ، بوابة مازال الناس منذ ذلك اليوم يزينونها بالزهور والرياحين وأقاموا على جانبيها تمثالين لقديسة باجسنجان

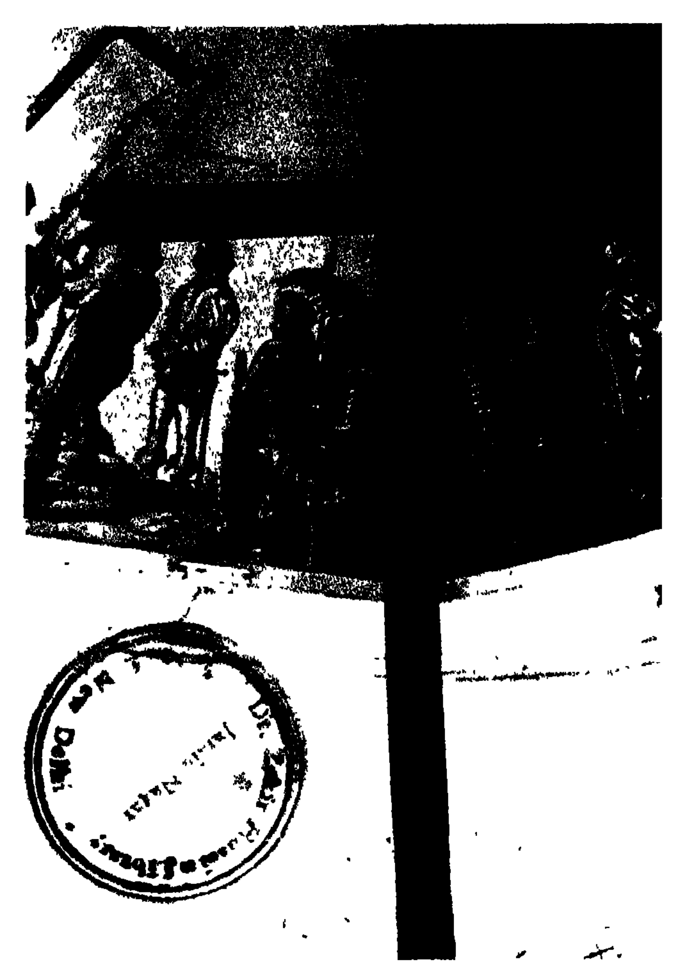
الحقيقة انك تستطيع ان تسمع الكثير من حكايات القديسين والقديسات في كل مكان تزوره في الفلبين ، وهي حكايات واساطير يؤمن بها الناس ويرددونها لابنائهم ، كما يتناولها رعاة الكنائس في احاديث الاحد بايمان عميق .

غرس أسباني

الواقع ان الفلبين هي مجمع الكنائس والقديسين في آسيا ، فهي الدولة المسيحية الوحيدة بين كل دول القارة الآسيوية الشاسعة الاطراف . وتصل نسبة المسيحيين الى ٩٠٪ من بين سكانها البالغ عددهم حوالي ٥٣ مليون نسمة بينما تبلغ نسبة المسلمين اكثر من ٨٪ (حوالي ٥ ملايين نسمة) اغلبهم في الجنوب .

كانت بداية دخول المسيحية في الفلبين مع ماجلان واسطوله

ففي اواسط القرن السادس عشر ابحر الملاح والمستكشف البرتغالي فرديناند ماجلان التابع للتاج الاسباني صوب طريق يتجه غربا الى جزر التوابل وثروات الصين (كاتاي) ، وكان من بين ما اكتشفه اسطول ماجلان خلال رحلة الدوران حول العالم،تلك الجزر التي تقع على مسافة بعيدة جنوب جزر الملوك

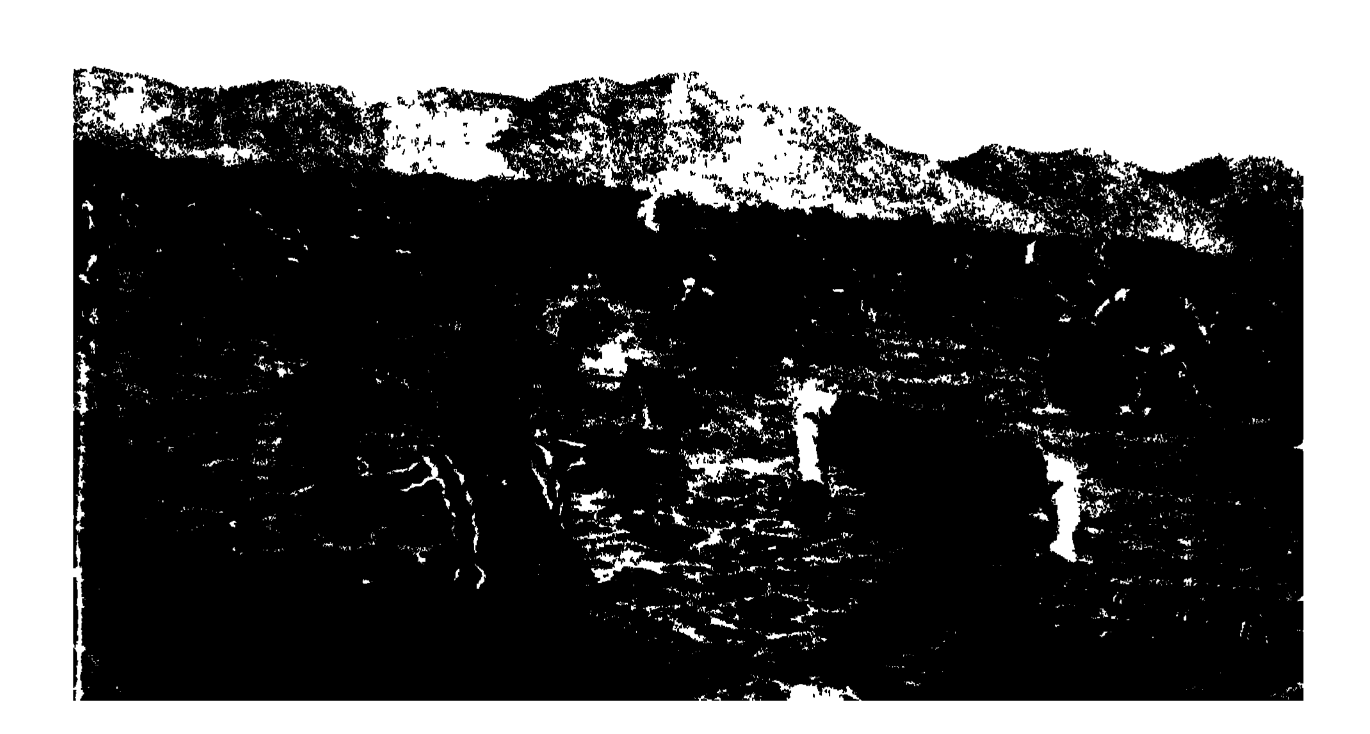


صليب ماحلان يتوسط ، الكشك ، التذكارى فى وسط مدينة سيبو



تمثال ، سانت نينو ، ذو الرداء والتاج الذهبى فى صـ
كنيسه سانت اوحستين

لوحة تمثل معركة ، ماكتان ، ويبدو السطل الوطنى لابو لابو وهو يشق بالسيف رأس ماحلان





ابنه شقيقة مدام كورازون
أوكينو وإحدى المرشحات لعرش
جمال الفلبين . . هل تلقى نصيب
حالتها ؟

الغنية بالتوابل ، وكانت حريرة سامار هي اول ما وقعت عليه انظار ماجلان بين « جزر الفيزايا » الواقعة في اواسط الارخبيل . ورست بعض سفن الاسطول على شواطيء جزيرة « ليماساوا » جنوبي سامار ، حيث تولى كولامبو احد قادة الجزيرة ارشاده الى حزيرة سيبو في اليوم السابع من ابريل عام ١٥٢١ ، ولم يجد ماجلان مقاومة تذكر في سيبو حيث اتسم لقاؤه مع « هومابون » رئيس القبيلة وحاكم الجزيرة بمودة كبيرة وترحيب ، وقدم ماجلان للحاكم صليبا خشبيا طويلا في محاولة لاحتدائه الى المسيحية التي كلفه ملك اسبانيا الكاثوليكي بنشرها في المناطق التي يستكشفها ، واستطاع ماجلان بعد دلك اقناع زوجة الحاكم باعتناق المسيحية واهداها تمثالا خشبيا جميلا مطليا بالذهب يمثل المسيح وهو طفل ، واطلق على التمثال اسم « سانتو بينو » والبس التمثال رداء دهبيا احمر ، ووضع على رأسه تاجا ذهبيا وفي يده اليمنى كرة ذهبية محلاة ، بالجواهر . انه نفس التمثال الذي شهدناه في صدر كنيسة « سان اوجستيني » عندما دهبنا الى سيبو . . وهو محفوظ في صندوق زجاجي ، ويمر امامه المصلون وهم يرتلون دعواتهم من اجل شفاء مرضاهم ، كما يعرضون امام التمثال الاجراء المريضة في أجسادهم ، بينما اخرون يلصقون وجوههم على زجاج الصندوق ويقبلونه للحصول على البركة .

خارج الكنيسة وغير بعيد منها يوجد « الكشك » الذي يضم صليب ماجلان الأصلي ، ولكنه الآن موضوع داخل صليب آخر خشبي للمحافظة عليه . والصليب يتوسط « الكشك » من الداخل ، بينما تحكي اللوحات المرسومة في السقف مشاهد وصول ماجلان وتقديم الصليب الى الحاكم وامرأته .

انطلق ماجلان بسفنه جنوبا ليضع اقدامه على سواحل « ماكتان » جزيرة الصيادين المسلمين . الذين أعلنوا تصميمهم على الوقوف في وجه الغزاة الاسبان تحت قيادة زعيمهم . « لابولابو » .

وتوقفت سفن ماجلان غير بعيد من الشاطيء . وانزلت القوارب وعليها الرجال المدججون بالسلاح والخوذ والتروس والدروع ، واستمر الاسبان يتقدمون متدافعين . وقد نزلوا من قواربهم التي عجزت عن مواصلة السير على الرمال . . والتقى الجمعان .

وانقض الاسبان يتقدمهم قائدهم ليمزقوا الاجساد نصف العارية بسيوفهم الحادة ويضربوا الرؤوس بالتروس ومقالبع الحديد ، ولم يهتموا اول الامر سهام البامبو المدببة وهي تنهال عليهم من كل صوب ، فقد كانوا يصدونها ساخرين بالخوذ والدروع .

وتلاحمت الرماح والسيوف . وكان لابد من لقاء المواجهة . بين لابولابو وماجلان .

انقض ماجلان بسيفه - وهو يحمي صدره بدرعه الثقيل - على الفتى العاري الصدر ، ووجه اليه ضربة صاعقة ، وانحرف الفتى بسرعة بينما الرمح في يده يتجه في حركة خاطفة الى عنق ماجلان لم تكن الاصابة قاتلة ، ولكن اسائق الدم كان كافيا لتصطك ساقا القائد المغمورتان في الماء وهو يتراجع الى الخلف وينقض بالترس الحديدي على رأس الزعيم الشاب ، وتفادى لابو لابو الضربة لينقض بكل قوة سيفه القصير فيشق رأس ماجلان الذي سقط مضرجا بدمائه بينما ارتفعت صيحات الصيادين لابو لابو

وحميت المعركة . ولكن سقوط القائد هز كيان من بقي حيا من رجاله الاسبان ، فأسرعوا يتراجعون عائدين الى سفن الاسطول الذي لم يكن أمامه إلى أن يبتعد هاربا . . تاركا خلفه جثة قائده . ماجلان . .

البطل الوطني

وقفنا - انا ورميلي المصور - نتخيل احداث المعركة ، ونحن نخوض بأقدامنا في المياه الضحلة ، حيث الساحة التي شهدت اول هزيمة للغزاة الاسبان .

ورفعنا عيوننا الى التمثال الشامخ للزعيم الوطني لابو لابو الذي اقيم في صدر الساحة ، وقد اتجه ببصره الى حيث المياه الضحلة التي شهدت انتصاره الكبير . . رأس شامخ في اعتزاز ، ووجه تؤكد قسماته معاني التصميم والعزيمة ، وجسد عار الصدر عامر بمظاهر القوة والعنفوان ، في يده اليمنى سيف قصير مشرع في صلابة ، بينما اليد اليسرى تحمل درعا بيضاويا مدبب الطرفين .

ويأخذ مرافقنا بيدنا ليسير بنا إلى نصب تذكاري يرقد تحته جثمان الزعيم الوطني ، ويشير الى اسفل النصب حيث لوحة نقرأ عليها : « هنا في يوم ٢٧ ابريل ١٥٢١م انتصر لابو لابو ورجاله على الغزاة الاسبان ، وقتلوا قائدهم فرديناند ماجلان ، واصبح لابو لابو اول بطل وطني ينتصر على العدوان الأوروبي »

وبطل الى لوحة كبيرة مواجهة للنصب التذكاري اللوحة بعرض حوالي عشرين مترا هي بانوراما واسعة ، تمثل المعتدين وهم يهاجمون الوطنيين حيث ساحة المعركة . ، وفي وسط اللوحة يبدو لابو لابو وهو ينقض بسيفه على رأس ماجلان الذي يبدو وقد انحنت هامته وهو يسقط تحت اقدام البطل الوطني ، بينما بقية اللوحة تمثل تفاصيل المعركة ، وفي عمق اللوحة يبدو الاسبان وهم يهربون الى قواربهم يطلبون النجاه

بعد مقتل ماجلان ابحر الاسطول الى اسبانيا ليعود الاسبان مرة اخرى وقد رسموا شعار الصليب على اشرعة سفنهم واسطولهم الكبير ليستعمروا الجزر حيث أطلقوا عليها اسم ملك اسبانيا آنذاك . فيليب الثاني الذي حدد شكل استعمار الفلبين التي اصبحت تمثل توازنا بين اهداف الغزو الثلاثة : نشر الدين المسيحي والحصول على الذهب . . وضمان المجد والنصر للاسبان ، لعل الهدف الأول فقط هو مقدمة خادعة للهدفين الاخيرين .

قديسون في كل مكان

ان سيبو في الحقيقة تبدو صورة معبرة للتأثير الاسباني في الفلبين فقد اتخذها الاسبان عاصمة لهم قبل انشاء مانيلا ، وهي في الواقع ثاني اكبر المدن واقدمها في الفلبين ، ويسكنها اكثر من نصف مليون نسمة ، وفيها جامعة سان كارلوس اقدم جامعة في البلاد والتي تم انشاؤها عام ١٥٦٥ ، وهي تضم اكبر متحف للتاريخ الطبيعي والآثار التي عثر عليها في الفلبين .

في جولتنا بالمدينة كنا نحس كأننا نقوم بجولة عقائدية في اعماق الماضي الاسباني . فبخلاف كنيسة سانت اوجستين نجد في كنيسة « مانداوساريش » تماثيل مجسدة بالحجم الطبيعي للعشاء الاخير ، تمثل المسيح وحوله الحواريون الاثنا عشر ، وهي موجودة منذ بدايات الفترة الاسبانية . وعلى طول الطرق والمحلات والشرفات تطل علينا تماثيل لسانت نينو هي صور طبق الأصل من التمثال الذي يتصدر كنيسة سانت اوجستين، بل ان الشواطيء والمنتجعات السياحية المنتشرة في الجزيرة اطلقت عليها اسماء القديسين ، فعلى شاطيء تامبولي يقوم منتجع باسم سانتاروزا ، وحتى مصانع النبيذ تطلق عليها اسماء القديسين مثل مصنع سانتا ماري ، وحتى المطاعم والفنادق [illegible] اسماء القديسين والقديسات من [illegible] الكاثوليكيه التي اقامها الاسبان في اسيا اتسع انتشار المسيحية في كل انحاء البلاد مع سيطرة النفوذ الاستعماري في اغلب الجزر خاصة مع توالي وصول بعثات التبشير ورجال الارساليات

على ان الفلبينيين ، اذا كانوا قد تأثروا بالعقيدة المسيحية التي حملها الاسبان خلال استعمارهم الطويل الذي استمر ٣٧٧ سنة الا انهم لم يكونوا مستسلمين باستمرار للحكم الاسباني السياسي .

أبطال المقاومة ضد الاسبان

كان هناك صراع مستمر بين الشعب الفلبيني وبين الاسبان الذين عملوا على بسط نفوذهم الاستعماري باسم الصليب ، ولجأوا الى استخدام اقسى وسائل القمع والتنكيل والاضطهاد واشدها ضد سكان البلاد لاخماد ثوراتهم واضعاف مقاومتهم .

ان القلاع الاسبانية الكثيرة في كل انحاء الفلبين والمدافع المصوبة على اسوارها تؤكد الى اي مدى كان الصراع بين الاسبان المستعمرين والمقاومة الشعبية في البلاد .

بعض هذه القلاع شهدناها في مانيلا وفي سيبو وفي رامبوبحا .

ومن اشهر القلاع الاسبانية التي مازالت قائمة في قلب العاصمة مانيلا . . قلعة سنتياجو . . التي شهدت ابشع انواع الاعدامات بلا محاكمة لمعارضي النظام الاسباني . مسيحيين ومسلمين . وكل المواطنين الاحرار . ففي ركن قصي من هذه القلعة في نهاية الساحة الوسطى فتحنا عيوننا في ذهول على « السجن المقبرة » الذي كان المناهضون للأسبان يلقون فيه بالعشرات ولا يخرجون منه حتى وهم جثث فالسجن عبارة عن زنزانة كبيرة مظلمة تمتد بعمق تحت الأرض بلا أي منافذ او مخارج او تهوية ، يتم اغلاق بابها الحديدي على ابطال المقاومة لتطلق عليهم مياه الفيضان من نهر باسنج القريب في وقت المد فتغمرها حتى السقف ليقضي على السجناء فيها خنقا باسفكسيا الغرق . وبهذه الطريقة الرهيبة البشعة لقي مئات من الثوار حتفهم . وكان أبرز قادة المقاومة ضد الطغيان الاسباني هو الشاعر الكاتب الشاب دكتور جوزي ريزال البطل القومي الذي اشعل ضد الغزاة شرارة الثورة التي كانت بداية النهاية للاستعمار الاسباني للفلبين .



مشهد عام لمدينة سيو كما تبدو من فوق قمة المعبد البودى

ابرز ما تشتهر به سيو صناعة الجيتار والمندولين وهى تعتبر من اهم الصادرات الى العالم الخارجى .





« الباص » او « الجيبنى » بالوانه الزاهية والرسوم على جوانبه مما لايمكن ان يشاهد الا فى الفلبين

فوق فتاة فلبينيه من زامبونجا انها صورة من صور الجمال الذى يتميز به فتيات هذا الاقليم الاسلامى

يحدثنا مرافقنا بفخر ونحن نقف بين جدران السجن الانفرادي حيث قضى ريزال ايام سجنه الاخيرة داخل القلعة ، يقول :
كان دكتور ريزال أبرز ابطال المقاومة ضد الاستعمار الاسباني ، وقد أضاء مع انصاره شعلة الوعي والعصيان والثورة ضد حكم الطغاة ، حيث سطروا صفحة مجيدة من تاريخنا بدعوتهم للاستقلال والحرية . وقد وصف ريزال في رواياته الخالدة كيف كان الاسبان يقمعون الشعب الفلبيني على ارضه ، وكان يدعو الشعب الى الاهتمام بالأصلاح والتعلم والنظام ، وكان يقول : « اخواني المواطنين . . اني اتمنى بقدر ما تتمنون تحقيق الحريات لوطننا . . ولكني اعتبر تعليم الشعب شرطا اساسيا . . لانه بالتعليم والعمل الشاق يمكن للشعب ان يكتسب شخصيته الخاصة . . وبذلك يستحق هذه الحريات » .
وشارك مع ريزال بطل وطني آخر هو « اندراس بوتيفا سيو » العامل الحرفي الشاب الذي نظم جماهير الثورة وأسس جمعية سرية باسم « كاتيبونان » حشدت القوى من اجل الثورة المسلحة ، وقبض الاسبان على ريزال بتهمة مقاومة النظام وأعدموه ليكون عبرة للمناهضين للحكم الاسباني في ساحة « لالونيتا » ، التي اصبحت الآن تحمل اسم « منتزه ريزال » حيث يقوم في وسطها نصب تذكاري يحمل في قمته تمثال البطل الوطني الاسطورة .

. . وبدأ الاستقلال

استمرت الثورة ضد الحكم الاسباني حتى اندلعت الحرب الاسبانية الامريكية في ١٨٩٨ ، ودخل القائد البحري جورج ديوي على رأس الاسطول الامريكي في آسيا خليج مانيلا ودمر الاسطول الاسباني . . وكانت نهاية الحكم الاسباني بمثابة الدخول في فترة الحكم الامريكي ، وتخلت اسبانيا بعد هزيمتها عن جزر الفلبين للامريكيين ، لكن الجمهورية الفلبينية الأولى لم تعترف بشرعية هذا التحول ، وعقد قادتها مؤتمرا دستوريا في مالولوس لوضع اول ميثاق لها .
وكانت ثورة الفلبين ايضا ضد الحكم الامريكي ثورة دموية ولكنها قصيرة . وبدأ الفلبينيون يعيشون فترة جديدة تحت الوصاية الامريكية حيث احدثت التجربة تغيرات مثيرة في الفلبين .
أدرك الامريكيون مدى الحاجة الى منح الشعب الفلبيني استقلاله ، ولكن بعد تشكيل حكومة مستقرة تبسط سلطتها على البلاد ، لذلك انشيء كومنولث في عام ١٩٣٥ بزعامة الرئيس كويزون الذي وضع اسس جمهورية الفلبين المستقلة ، ولكن الحرب العالمية الثانية قامت قبل منح الفلبين استقلالها الكامل في ١٩٤٦ .
ومع نهاية الحرب نفضت الجمهورية الفتية عن نفسها انقاضها ، لتدخل في صراع جديد لاستعادة الاقتصاد والاستقرار الاجتماعي . وعانت في سنوات الاربعينيات والخمسينيات اشد العناء .
وفي عام ١٩٦٦ انتخب فرديناند ماركوس كسادس رئيس للجمهورية ، وبعد اربع سنوات اعيد انتخابه لفترة رئاسة ثانية . . لكن مشاكل الاقتصاد المخرب واضطرابات العصر اضطرته للعمل بموجب الحق الدستوري لاعلان قانون الاحكام العرفية في ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٢ . .

مدينة الانسان

هذا هو ماقاله مرافقنا .
ولكن الذي لم يقله هو كيف سارت الامور بعد ذلك فيما بقي من السنوات العشرين من حكم الرئيس .
وقد شهدنا بأنفسنا الحقيقة التي تجري في « مانيلا » مدينة الانسان . . كما سمتها « السيدة الاولى » ايملدا ماركوس بصفتها وزيرة المستوطنات البشرية . . بينما سمتها صحيفة « مانيلا تايم » بمدينة « الشحاذين والمشردين والأزقة المتخمة بالكبار والنساء والاطفال المتاشين من حضيض السقوط الانساني » . . وهي شهادة شاهد لايكذب من اهلها .
ماذا رأينا في مانيلا . . المدينة ذات الوجهين ؟
لقد بدت لنا مدينة بائسة يغطيها التلوث بطبقة كثيفة تزيد من بؤس أغلبية سكانها الذين يعيشون في الشوارع الخلفية والأحياء المحيطة بها ، والتي تشكل حزام بؤس شاهد على التفاوت الطبقي الصارخ في عالم الفلبين ، والذي يسيطر عليه الرأسمال الامريكي .
في العاصمة التي يبلغ عدد سكانها مايزيد على أربعة ملايين نسمة ، بدت لنا أزمة الفلبين كلها . . أزمة تحول الحياة اليومية الى شبه مغامرة . مابين أي شارع والآخر لابد للراكب أو السائر ان يصارع زحمة

السير الشديدة .. وخلال هذا الصراع يمر المرء بكل الأزمنة وكل أشكال الحياة التي تتعايش في الفلبين . وبين أحياء الصفيح وأحياء البامبو وكسر الاخشاب كنا نجد أحياء أخرى تكاد تكون احياء لاتعرف النور ولا الهواء والماء .. تمثل زمنا لاعلاقة للقرن العشرين به . ورغم ذلك فأنها هي التي تقدم لمصانع الرأسماليين وأصحاب الثراء الأيدي العاملة وعمال الخدمات اليومية التي تحتاجها المدينة . في هذه الأحياء الهامشية البائسة يعيش شعب مغلوب على أمره ، وتتوالد كل أشكال البؤس والحزن لتتحول الحياة اليومية الى مأساة .

وعلى الرغم من الفقر والأزمة والبؤس وتجارة الأجساد ورق الاطفال ، فإن جولتنا في دروب تلك الأحياء تكشف لنا فلسفة هذا الشعب الذي يحاول جاهدا أن يحول بؤسه الى أمر محتمل . فمن فتحات تسمى نوافذ تجاوزا في جدران الخشب والكرتون والصفيح ، نشهد السكان وهم يحاولون رفع أصواتهم بالغناء ، أو يعدون الزينة والأوراق الملونة والاقنعة الكاريكاتيرية لاحتفالات قادمة .. وما اكثرها في الفلبين .. !!

أصحاب الملايين

ومن الأحياء الهامشية ننتقل الى حي « ماكاتي » حيث المجمعات التي يملكها أصحاب الملايين ، والتي تغص واجهاتها بآخر صرعات باريس ولندن ونيويورك .. ثم الى حي فوربس بارك أحد الأحياء التي يسكنها اصحاب الملايين حيث تحيط به أسوار يحرس منافذها حراس أشداء بملابس رسمية ، مدججون بالسلاح ، يفتشون كل داخل اليه ويمنعون من ليس لهم مهمة أو علاقة بأصحاب الملايين .. وتتمدد القصور التي يتداخل فيها المرمر الأحمر والزجاج والفسيفساء مشكلا مدينة من نوع آخر لا علاقة له بما يمكن أن نسميه أرض الفلبين . وأمام ابواب القصور تستلقي سيارات أمريكية فارهة بسائقيها ذوي البزات الرسمية بينما تبدو خلف الابواب الحديدية حدائق واسعة ومسابح خاصة وعشرات من الخدم يذهبون ويجيئون في صمت .. كانت كل الأمور في العاصمة تؤكد أن هناك حالة عدم استقرار واسعة تعكس نفسها في نوع من الفساد ، أقله السرقات والرشاوي والصفقات السوداء على الحياة العامة . كل الناس يعرفون ان هناك ملايين الصفقات تعقدها العائلات الكبيرة أو حاشياتهم وأتباعهم ، وأن هناك آلاف القصص التي تمس نزاهة الجميع .

وأمام ساحة « كنيسة كيابو » في قلب العاصمة ، شاهدنا حشودا كبيرة تستمع الى موعظة راعي الكنيسة ، وشدنا زحام الحشد الذي لم تكفه الكنيسة من الداخل ، فوقفنا ننصت ..

كان راعي الكنيسة يشن حملة عنيفة على الحكومة ، ويتحدث عن هبوط مستوى المعيشة في البلاد ، مشيرا الى المقربين من الرئيس ماركوس الذين يثرون في سرعة .. ومثل رجل الدين بأحد أصدقاء الرئيس وهو ادوارد كوجونجو المسمى ملك جوز الهند .. كما ضرب مثلا بملك البيرة وهو مساهم رئيسي في عدد من البنوك والشركات المعفاة عمليا من الضرائب وكيف يحظى بحماية مباشرة من عائلة ماركوس ، ويكاد يضع يده على كل الاقتصاد المحلي مع شريكه روبرتو بندكتو .. ملك السكر .. !

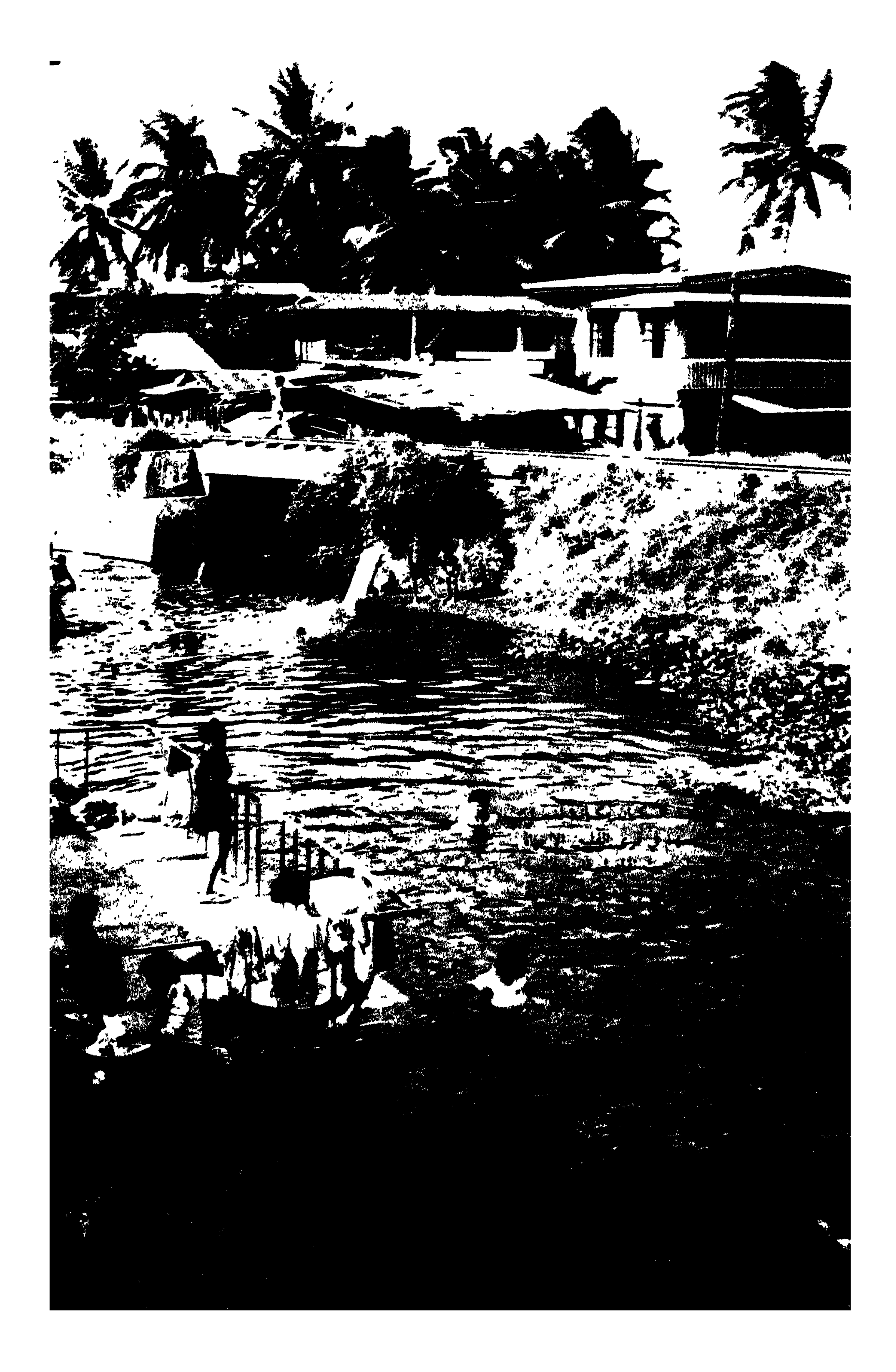
اذا كان ذلك كله يحدث في مانيلا ، فإنه لايعدو أن يكون صورة مما يجري في كل مكان في الفلبين التي تعاني من مشاكلها المزمنة .. البؤس وتفاوت الفرص بين أبناء الشعب ، والتضخم المتصاعد والديون الخارجية المذهلة التي تبتلع ثلث الدخل القومي .

همسة اخرى سمعناها من بعض الشباب قالوا :

ماذا تريدون منا أن نفعل حين نعرف ان ماركوس وايميلدا والمقربين منهما يستثمرون اكثر من ٧٦٥ مليون دولار في مشاريع شخصية موزعة بين الولايات المتحدة واوربا ؟ ألم تسمعوا عن تلك المواجهة الحادة بين أعضاء البرلمان حين طلبت المعارضة التي تملك ثلث المقاعد مناقشة عامة فيما سمته « خيانة اقتصادية » ولكن الأكثرية الموالية للرئيس رفضت استمرار المناقشة .. فهل يحدث هذا لصالح الشعب ؟ ألا تتصورون اذن سر قيام هذا الصراع الجديد بين الحكومة « وجيش الشعب الجديد ؟ »

جيش الشعب الجديد

ان ذلك في الحقيقة هو سر الصراع الجديد الذي وجد مكانه في الفلبين .. وهو الصراع الذي يهز كيان



ين مجمع الكنائس والقديسين وهي الدولة المسيحية الوحيدة بين كل دول آسيا   وأبرز الكنائس وأقدمها في سيبو هي
ـة أوجستين   (الى اعلى) وعبر بعيد منها كنيسة « ماندا وبايشي » حيث نحتت من الخشب تماثيل مجسدة بالحجم
يعي للعشاء الاخير   تمثل السيد المسيح وحوله الحواريون   (الصورة السفلى)

الدولة ويستقطب كل جهودها والذي يتمثل في « الجيش الشعبي الجديد »

تبدو أهمية هذا الجيش وخطورته في انه يحمل السلاح باسم الحزب الشيوعي غير الشرعي المقرب من الصين ، وانه بدأ نضاله ضد الحكومة منطلقا ايضا من منديناو في الجنوب ، كما بدأ يتوسع الى لوزون كبرى جزر الفلبين . وقد عرف الجيش الشعبي الجديد كيف يستغل المناخ الاقتصادي والاجتماعي السيىء والديون التي تصاعدت حتى بلغت حوالي ٢٦ مليار دولار ، ثم استمرار وجود القواعد الامريكية التي يبلغ عددها ٢٣ قاعدة عسكرية أبرزها قاعدة كلارك التي تضم الاسطول الجوى الامريكى الثالث ، وقاعدة سوبيك التى تضم الاسطول البحري السابع . . وهي كلها قواعد يحكم وجودها عقد ايجار يجدد كل فترة ، وكان آخر تجديد له في يونيو ١٩٨٣ لمدة خمسة أعوام جديدة تنتهي في ١٩٨٩ لقاء ٩٠٠ مليون دولار ، وهو قابل مرة أخرى للتجديد . . . . . !

في ظل كل هذه الظروف التي كان أشقها الانهيار الاقتصادي وهبوط مستوى الاستثمارات والعجز الكبير في الميزان التجاري وتوقف عدد كبير من مشاريع التنمية . . كان لابد للجيش الشعبي ان ينمو ويتسع ، حتى بلغ افراده في العام الماضي حوالي ١٥ الف فرد ، واصبح يسيطر على أكثر من ثلاثة آلاف قرية من بين مجموع القرى والنجوع في الدولة التي تصل الى حوالي ٢٤ الف قرية ونجع . وتزداد الخطورة في جزيرة منديناو حيث يبلغ تعداد الجيش الشعبي في الجريرة حوالي ثلاثة آلاف مقاتل يشنون حرب عصابات فردية وجماعية ضد الجيش الحكومي .

والذي يثير مخاوف الحكم هو استمرار التأييد الجماهيري للجيش الشعبي وخاصة في منطقة دافاو ومناطق الذهب والسكر التي كاد هذا الجيش الثائر أن يحكم سيطرته عليها . بل هناك ماهو اكثر من ذلك . . فحتى بعض قطاعات الكنيسة الكاثوليكية نفسها ، استشعرت ان الاصلاحات في ظل حكم ماركوس لم تعد مجدية ، حتى انها الحت على بابا الفاتيكان أن يتدخل لدعوة الرئيس الفلبيني لاجراء اصلاحات سياسية مجدية . وإذ لم تجد الكنيسة أن ثمة شيئا ايجابيا يمكن ان يتم ، فقد بدأت القطاعات الغاضبة تصبح إحدى قوى المعارضة ، حتى انها اخذت تتعاطف مع الجيش الشعبي الجديد .

الصراع الكبير

ولعل أبرز أنواع الصراع وأكثرها اثارة ، وأحقها بالحديث . . هو ذلك الصراع الذى كان حديث الساعة - وما يزال - فى جميع أنحاء العالم والذى تتبعنا مشاهده وخضنا أمواجه وشهدنا معاركه التى كانت تجرى فى كل شارع وكل قرية وكل مدينة وكل جزيرة من جزر الارخبيل . .

انه الصراع حول الرئاسة فى المعركة الانتخابية بين ماركوس وكورازون أكينو . . والذي انتهى بمعركة دامية بعد تزوير الانتخابات وأدى الى سقوط ماركوس وتولي منافسته رئاسة الدولة . .

هنا . . يحتاج الامر الى عودة للوراء . . ولنتجاوز عما ظل يوجه كل يوم من انتقادات سياسية الى نظام حكم الرئيس المزمن فرديناند ماركوس من قبل مناوئيه

ولنبدأ مع حدث الساعة والذى كان بداية الاحداث الأخيرة . . وهو مقتل زعيم المعارضة بنينو اكينو ، الذى قتل فى المطار ذات يوم من أغسطس ١٩٨٣ وهو يهبط سلم الطائرة الى ارض بلاده ، دون ان تتاح له فرصة اللقاء بجماهيره التى احتشدت لاستقباله ، اثر ثلاث سنوات أمضاها فى المنفى الاختيارى بالولايات المتحدة ، سبقتها سبع سنوات عجاف أمضاها فى سجون ماركوس . وقد وجهت الجماهير وأنصار الزعيم المقتول وارملته اصابع الاتهام الى الرئيس وقائد أركان جيشه الجنرال فابيان فير ، بينما نفى ماركوس أن يكون له أى ضلع فى حادث الاغتيال الذى وصفه بأنه « جريمة مجنونة » لا يمكن ان يقدم عليها اى زعيم سياسى . ! فى الوقت نفسه طالب راعى الكنيسة الكاثوليكية الكاردينال جيمى سين الزعماء الوطنيين فى كلمته التأبينية قبل تشييع الجنازة « ان يحزموا أمرهم وألا يجعلوا تضحية أكينو بحياته تذهب هباء » وقال : عليكم ان توحدوا صفوفكم للتخلص من حكم الطغيان والظلم الذى قد يشعل نيران الانتقام والانقسام . ولم يكن ذلك فحسب . . بل ان لجنة تقصى الحقائق اكدت فى تقريرها الذى رفعته الى الرئيس ماركوس ثبوت اشتراك صديقه وقائد جيشه فى اغتيال زعيم المعارضة ، وتحدت الرئيس بأن يوجه الى رئيس

الاركان « فير » تهمة القتل العمد . وتضمن التقرير بالاضافة الى اسم الجنرال فير ضابطين آخرين برتبة جنرال وخمسة ضباط و ١٧ جنديا ومدنيا واحدا . واضطر ماركوس الى عزل رئيس الاركان ، وان كان قد وعده فى الوقت نفسه بتبرأته .. وهكذا تحولت « محاكمة العصر » كما اسمتها الصحف الفلبينية المستقلة الى واحدة من « مهازل العصر » حيث يقول المعارضون أنها كانت صورية وموجهة ظلت تطيل فى اجراءات المحاكمة طوال عامين حتى اصدرت حكمها فى اواخر ديسمبر من العام الماضى ببراءة الجنرال فير ، مما أتاح الفرصة أمام الرئيس لاعادة تعيين صديقه مرة اخرى على قيادة الجيش ليكون فيما بعد سنده الرئيسى فى تزوير الانتخابات !

ولعل ذلك الحكم الذى وضح فيه تحدى الرئيس لمشاعر الجماهير كان وراء اجماع قوى المعارضة على اختيار الأرملة كورازون اكينو لتكون مرشحة الرئاسة ضد ماركوس فى الانتخابات التى اعلن اجراءها فى السابع من فبراير ١٩٨٦ مستندا الى ان الاوضاع الجديدة قد تحولت بشكل كبير بحيث تصبح عودته الى الرئاسة مضمونة لست سنوات جديدة ، بعد عشرين سنة من توليه سدة الحكم ، معتمدا على الأداة القمعية التى يحركها فى وجوه الناخبين المعارضين ، والى الاحكام العرفية التى تقولُ المعارضة انه أجهض بها من قبل آمال الشعب فى التغيير .

الكنيسة فى صف المعارضة

والواقع أن فئات المعارضة وهى تجمع صفوفها لخوض الانتخابات ، لم تكن استراتيجيتها محصورة فى اظهار شعبية كل منها ، بل انها تحولت بهدف تسديد ضربة قوية لسلطان ماركوس الى التكتل وراء المرشحة الاكثر شعبية ، والتى نجحت فى تحويل نفسها الى رمز وطنى للمقاومة . وكان ذروة هذا التكتل ما أقدم عليه سلفادور لوريل أحد أبرز المعارضين وأكثرهم عراقة فى مناهضة حكم ماركوس من التحالف مع السيدة اكينو لتكون مرشحة الرئاسة بينما يقف هو مساندا لها لمنصب نائب الرئيس .. وهى خطوة لها أهميتها لأنه كان يحظى بدعم الكنيسة الكاثوليكية الواسعة النفوذ فى البلاد ، خصوصا وان الكاردينال سين كان قد ضاعف من حدة لهجته ضد ماركوس ونظامه ، حتى أنه واجه الرئيس فى رسالة رعوية بمناسبة الانتخابات قائلا : « ان الله لن يغفر للرئيس ماركوس اذا فاز بالغش فى الانتخابات » .. كما قال ان التوترات والرشاوى والاكاذيب والدعاية السيئة ضد المعارضة قد برزت بالفعل فى المعركة الانتخابية ، كما لم يخف الكاردينال انتقاده للحكومة فى الامور المتعلقة بحقوق الانسان والمبادىء السياسية والعامة .

الصورة بدت لنا أكثر وضوحا حين وقفنا غير بعيد من « ريزال بارك » عند تجمع خطابى للمعارضة فى جانب من ساحة ريكنو . كانت اللافتات حول المكان تحمل هجوما وسخرية بالرئيس والسيدة الأولى مع رسوم كاريكاتيرية تصورهما وهما يغترفان من أموال وجواهر مكدسة ، بينما يظهر فقراء فى أحجام صغيرة يمدون الأيدى اليهما فى استجداء دون ان يعيراهما التفاتا ..

كان الخطيب يهاجم بكل جرأة سادة قصر « مالاكاننج » حيث يعيش الرئيس الفلبينى . كان يقول وهو يشير الى بعيد حيث موقع قصور الاغنياء المحظورة على الفقراء فى العاصمة : « هل يعرف هذا الرجل حقا ماذا يجرى فى بلاده .. هل يدرك ان الفلبين بسبب حكم الطغيان والفساد تتمتع بأدنى معدل نمو اقتصادى فى كل جنوب شرق آسيا ؟ هل يستطيع ان ينكر الى اى مدى كان هو نفسه وراء تخريب النعم والفساد والانحلال والخراب والفقر ؟ اسألوه أين ذهبت مليارات الدولارات من المعونات والديون التى تثقل كاهل الشعب ؟ اسألوه كيف استطاع هو والسيدة الاولى ان يملكا هذه الفلل والقصور والمبانى والفنادق والمجمعات داخل البلاد وخارجها ؟ اسألوه كيف اتخمت ملايين الدولارات أرصدته فى المصارف الامريكية ؟ ومع هذا فهو يقول انه لا المعارضة ولا أوراق الاقتراع سوف تخرجه من قصره فى مالا كاننج .. ولكنه سيخرج .. ولكنه سيخرج .. وسيخرج بدفع اصواتكم التى ستمنحونها لكورى ولوريل .. وأبدا لن يعود حتى لو اعتمد التزوير أو ألغى الانتخابات لان الشعب سيقف له بالمرصاد » .



● ماركوس وايميلدا غرقا في بحر الدم رسم لغلاف مجلة « اسياويك » المنتشرة في منطقة جنوب شرق آسيا

الغريب فى الحملة الانتخابية لماركوس انه اعلن أنه تعب من شغل منصب الرئيس وانه ينشد الراحة . غير أنه أكد فى الوقت نفسه أنه يسعى للفوز لفترة رئاسة ثانية لكى يجنب شعبه المعاناة .

وقال « خادمكم المتواضع اصابه التعب من تولى منصب الرئاسة وهذا التعب والارهاق يرجع الى انني جندى جريح . . »

صمود كوري أكينو

السيدة اكينو كانت تواصل معركتها صامدة . . وقد شهدنا آلاف اللافتات التي تحمل صورتها وعبارات التأييد لها تملأ الشوارع سواء في مانيلا أو في مختلف المدن والاقاليم ، بما في ذلك مندناو ذات الاغلبية الاسلامية ، حيث كانت هذه الأغلبية تقف في صف كورازون التي كانت تطرح في الجموع برنامجها الاصلاحي وخطوطه الرئيسية لانعاش الاقتصاد وتحطيم قبضة البيروقراطية والاحتكارات العميلة والقروض الخارجية .

وكان عشرات الآلاف من المزارعين وعمال المصانع يقفون على جوانب الطرق مع مرور موكبها يحيون البطلة السياسية غير العادية ذات الثلاثة والخمسين ربيعا ، ويلقون قصاصات الورق الملونة بالأبيض والأصفر بينما تهتف الجماهير : كوري . . كوري . . وهي تلوح بالرايات الصفراء رمز المعارضة لنظام ماركوس وكانت النسوة العجائز يرفعن صور السيد المسيح أثناء مرور الموكب عبر مدينة سيبو .

كان الصراع الانتخابي في الحقيقة رهيبا . حتى أن المراقبين أكدوا أنها كانت أكثر الانتخابات دموية وتزويرا في كل تاريخ الفلبين ، بل ان الرئيس الاعلى والأب الروحى للكنيسة الكاثوليكية الكاردينال سين وقف على رؤوس الاشهاد بعد الانتخابات ليؤكد مرة أخرى ان الله لن يغفر لماركوس ما قام به من تزوير ، وأن النتيجة الرسمية التي أعلنها لم تكن الا قمة في الكذب والغش والجريمة . . وحتى الفريق الامريكي الذي أوفده ريغان لمراقبة الانتخابات قال على لسان رئيسه ان نتائج الانتخابات كانت مزورة مائة في المائة .

على أن النتائج التي أعلنتها حكومة ماركوس ـ والمخالفة تماما للنتائج التي أعلنتها الحركة القومية التطوعية والتي أكدت فوز اكينو ـ لم تكن بعيدة عن التوقع ، ووضعت الفلبين من جديد على مفترق الطرق . فقد كان الجميع يدركون أن الرئيس ماركوس لا يمكن أن يستسلم بسهولة ويتنازل عن مقر اقامته الدائمة التي استمرت طوال عشرين عاما ، بعد أن رسم تخطيطه وهو يقرر التعجيل بموعد الانتخابات أن يستمر على قمة السلطة لست سنوات جديدة .

وكان هذا هو ما حدث بالفعـل ، فحتى بعد أن أصبـح واضحا انتصـار كـورازون أكينـو مـرشحـة المعارضة . . لجأ الرئيس ورجاله الى الاستيلاء على صنـاديق الاقتراع لايقـاف عملية فـرز الأصوات ، ولاعـادة تـرتيب الاوراق ، مـع التهـديـد بـالغـاء الانتخابات اذا لم يفلح في تزويرها أو اعادة الاحكام العرفية . . وأن يستبدل بالاصدقاء الامريكيين الذين كشفوا التزوير والتدليس من كانوا أعداءه طوال أيام حكمه . .

وهكذا تحولت الفلبين الى برميل من البارود . . كان لا بد أن ينفجر .

هل تتحقق النبوءة ؟

ولعله من المثير بهـذه المناسبـة أن نتذكـر ماقـالته الصـنداي تايمـز البريـطانيه في تـوقعات المختصـين لاحداث عام ٨٦ . ونقرأ بالنص ماقالتـه الصحيفة عن الفلبين :

« بالرغم من فوزه المتوقع بكل امكانيات التزوير في الانتخابات التي ستجري في فبراير ، فإن الـرئيس فرديناند ماركوس سوف يطاح به فيها بعد ، أو أنه سيغتال . . ومع حلول العام المقبل سيكون للفلبين عائلة حاكمة جديدة . لكن الولايات المتحدة ستظل متخوفه على استقرار ذلك الارخبيل في المدى البعيد .

« وليس هناك شك في نتيجة الانتخاب في فبراير ، اذ ان الجيش الـذي أسسه مـاركوس قـوي ومـنظم جدا ، ولديه شبكة واسعة من مثيري الفتن والفساد والتزوير بعد ذلك ستنمو قوة جيش الشعب الجديد وستصبح القوة المتحدة من الجيش والبحرية في الفلبين غير قادرة على وقف أعمال مقـاتلي جيش الشعب وهكـذا لن يصبح بمقـدور كبـار ضـاط الحيش أن يتحملوا المزيد من مماطلة ماركوس في تنفيذ ما اتفق عليــه من اصلاحــات ، وستصـدر الاوامـر من الكولونيل راموس الى الثكنـات القريبة من مانيـلا بتحريك الدبابات الى الشوارع في اواخر الصيف . وسيتم الاستيلاء على محـطة الأذاعة وسيغلق المـطار وتقتحم الدبابات القصر الجمهوري ، وسيتم اقتياد ماركوس وزوجته للمحكمة التي ستحكم بنفيهما الى الولايات المتحدة . . . . »



● كورازون اكينو . .

على مفترق الطرق

وتتابعت الاحداث وبدأت النبوءة تتحقق وأدت التطورات الاخيرة في الفلبين ـ بعد أن اقتنع الجميع بتزوير الانتخابات ـ الى اجماع الكنيسة الكاثوليكية برعامتهاالروحيةومؤ تمر أساقفتها على عدم الاعتراف لماركوس بالحق في رئاسة الجمهورية ، مع التأكيد بأن تولي الحكم بالتزييف والتزوير امر غير اخــلاقي لايغفــره الله . ووقف الـكـــونجـــرس الامريكي بلجانه مؤكدا التزييف من خلال تقارير مراقبيه ومعلنا إيقاف المعونات وتحويلها لمنظمات تتولى أمـرهـا بعيـدا عن حكـومـة مـاركـوس . وتخلت القيادات العسكرية عن ماركوس وانقسم الجيش على نفسه واحتلت قوات الكولونيل راموس ووزير الدفاع مبنى الوزارة كمقدمة لتطورات جديدة كان لابد ان تتوالى بعد ذلك .

وتوالت الاحداث بكل عنفوانها ووقفت الفلبين بكل قدرها على مفترق الطرق . . .

وماتزال . . . ! □

العربي ـ العدد ٣٢٩ ـ ابريل ١٩٨٦

عربسات في عيده الأول

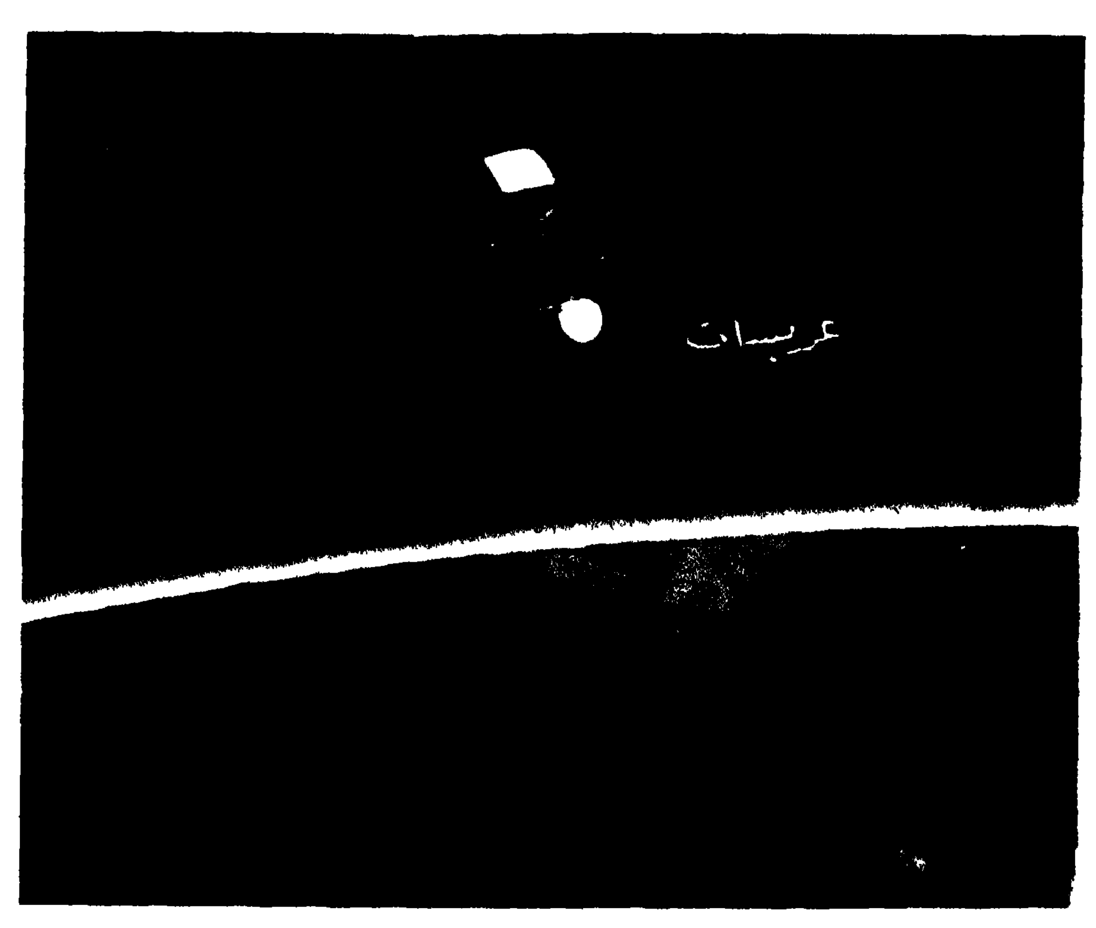
بقلم : طاهـر سـكر القيسـي

أصبح معروفا للجميع ماذا يعني عربسـات ؟

انه قمر الاتصالات العربي عبر الفضاء . في ٨ فبراير الماضي كان قد مضى عام كامل على ميلاده ، ذلك الميلاد الذي كتب له ، ـ ولجميع الاقمار ـ أن يكون في الفضاء وليس على الأرض . وبالرغم من أن ولادته كانت طبيعية ، الا أنها مرت بمراحل عسيرة ، كادت تسبب اجهاضه خلال فترة الحمل التي استمرت اكثر من أربعة أعوام . . فما هي منزلة عربسات الآن لدى أقطار الوطن العربي ؟ وهل سعدت بميلاده واستفادت بعد أن رعته حينما كان فكرة ، وتابعت سنين نضجه حتى ولادته . . . .

عربسـات . . فكرة مجردة :

يمكن القول أن عربسات كفكرة اولية مجردة طرحت بعد مؤتمر وزراء الاعلام العرب ، وجاءتنا من تونس ومن شرت سالدات عام ١٩٦٧ ، حيث عقد المؤتمر آنذاك ، ونقول فكرة مجردة لنميزها تماماً عن مؤسسة عربسات الحالية ، اذ لم تكن قد طرحت آنذاك فكرة القمر الصناعي العربي بشكل واضح ، أو كما أصبحت فيما بعد . انما تلك الفكرة المجردة كانت تبحث عن أكثر الوسائل نجاحاً وتأثيراً في استخدام الراديو والتلفاز للأغراض الثقافية والتربوية ، وخاصة في المناطق المأهولة وذات الكثافة السكانية العالية في الوطن العربي . وهكذا كانت نواة الفكرة ، التي ظهرت بشكل دراسة ابتدائية ، للهدف الآنف الذكر من قبل الاتحاد العربي للاتصالات ، ثم جاءت دراسة الاتحاد العالمي للاتصالات ، وبمساعدة اليونسكو مكملة للدراسة



ـ عربسات في مداره بوضعه الطبيعي بعد فتح ذراعه المطوية

الأولى فيما بعد .

واضافة للاغراض الثقافية والتربوية ، كان الجانب الاقتصادي مهما جدا في بلورة الفكرة ، اذ ان المكانة الاقتصادية للوطن العربي ظهرت بشكل بارز للعالم ، ابتداءً من عام ١٩٧٣ ، فبسبب النشاط التجاري والمصالح المشتركة بين العالم والوطن العربي ، كان لابد من تحسين وتطوير شبكة الاتصالات بين أقطار الوطن العربي فيما بينها من جانب ، وبينها وبين العالم الخارجي من الجانب الأخر ، اذ لم يكن في الوطن العربي عام ١٩٧٢ اكثر من ٥٤٥ دائرة تلفونية ، بما فيها موجات « المايكروويف » بالاضافة الى « الكابلات » بكل انواعها .

وفي عام ١٩٧٤ بالتحديد أقرت فكرة القمر الصناعي العربي تحت اسم عربسات ، وبدأت المساهمة فيه على ان يقوم بتغطية الوطن العربي بخدماته على امتداد ٨١٠٠كم من الشرق الى الغرب ، وبعمق ٤٤٠٠ كم من الشمال الى الجنوب ، وان بقي بتقديرات المدى المتوسط من الدوائر التلفونية لغاية عام ١٩٨٤ ، والتي ضمنها الاتحاد العربي للاتصالات بـ ٣٥٠٠ دائرة تلفونية . وأكثر من ذلك فان عربسات سيفي بمتطلبات المدى البعيد لغاية ١٩٩٢ . وجدير بالذكر أن الدوائر التلفونية زيدت عما كانت عليه عام ١٩٧٢ من ٥٤٥ دائرة الى ١٦١٦ عام ١٩٧٦ .

الفكرة تصبح عربسات :

وبعد سنة من ذلك التاريخ اي عام ١٩٧٧ تأسست المنظمة العربية للاتصالات عبر الفضاء التي صاغت مقترحات ومتطلبات عربسات بشكلها النهائي ، بمساعدة شركة كومسات الأمريكية ،





وصدرت بشكل رسمي عام ١٩٨٠ ، وعرضت على بعض الشركات العالمية كما عرضت على مركز دراسات الفضاء الفرنسي في تولوز ، وكذلك على شركة فاك التي واجهتها مشاكل مع مكتب المقاطعة العربية ، ولم تفلح في أن تكون المتعاقد الأول مع عربسات ، وعلى أية حال أخذت فرنسا هذا المشروع ، ووقع العقد في مارس ١٩٨١ بكلفة اولية قدرها ١٤٣ مليون دولار ، على ان يتم التسليم عام ١٩٨٤ ، بالاضافة الى قمرين آخرين أحدهما احتياطي في المدار ، والآخر احتياطي على الأرض ، وأخذ الجانب الفرنسي على عاتقه تصميم وانشاء القمر ومولدات الطاقة والأنظمة الحرارية ، في حين تحملت شركة فاك كمتعاقد من الباطن مع المتعاقد الأول ـ فرنسا ـ مسؤولية الأجهزة العلمية الموضوعة على القمر .

الصعوبات :

يمكن تقسيم الصعوبات التي واجهت عربسات الى قسمين ، ما قبل الاطلاق وما بعد الاطلاق . ولعل أول مشكلة واجهت صناعة عربسات كانت عام ١٩٨١ ، عندما أشار أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي الى ان شركة فاك ـ ومن خلال فرنسا ـ تعاقدت مع مجموعة من المساهمين في مجال الاتصالات ، من ضمنهم اعضاء ليسوا أصدقاء لأمريكا ، وأشار بالذات الى ليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية . ثم جاءت العقبة الثانية عندما رفضت الادارة الأمريكية آنذاك منح رخصة التصدير لشركة فاك لكي تساهم بالمشروع بحجة ان بعض الأجهزة المطلوب وضعها على عربسات عبر عادية ، بل بشكل أدق ليست لقمر مدني مائة في المائة ، مما يعني أن القمر قد يكون للأغراض العسكرية . وقد مضى وقت طويل قبل أن تعلن الادارة الأمريكية موافقتها لشركة فاك ، والمشكلة الأخرى تمثلت في كيفية التنسيق والتوافق بين عربسات والقمر العالمي انتيسات ، الذي ينجز حوالي ثلثي الاتصالات العالمية عبر الفضاء . وبعد مفاوضات اقتنعت المنظمة العالمية للاتصالات عبر الأقمار التي تملك انتيسات بالأمر الواقع، وخففت من احتكارها في نقل الاتصالات الخارجية عبر العالم لحساب عربسات . ولعل من المفيد هنا ان نشير الى أن المشكلة نفسها واجهت القمر الأندونيسي(بالاب) مع المنظمة الأوروبية للاتصالات وأقمارها الثلاثة يوتلسات ، اما الصعوبة الأخرى فكانت موضوع التشويش الذي قد تسببه بعض الأقمار الأخرى ، التي تغطي افريقيا والبحر الابيض المتوسط .

وقد اجتاز عربسات كل الصعوبات التي واجهته وحاولت اجهاضه ، وسار العمل فيه على ما يرام ، بالتعاون التام بين المنفذين والمساهمين ، واجتاز جميع التجارب والاختبارات بنجاح قبل الاطلاق ، وولد ولادة طبيعية بعد ٤٢ شهرا ، يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٨٤ استعدادا للاطلاق .

الاطلاق وما بعده :

وقد لعب القدر دوره في أن يكون هناك شقيق توأم لعربسات الا وهو القمر البرازيلي (برازيل سات) ، الذي ظهر للفضاء ساعة ظهور عربسات عند الساعة السادسة واثنتين وعشرين دقيقة بعد الظهر ، من يوم الجمعة ٨ فبراير عام ١٩٨٥ ، وسرعان ما افترقا كل في طريقه كي لا يلتقيا ابدا ، وقد بلغت تكاليف اطلاق عربسات الأول ٢٣ مليون دولار فقط .

وقد كان الاطلاق ناجحا تماما ، وظهر عربسات للفضاء من فوق الاراضي المغربية ، مما افرح الجميع ، وبخاصة شركة التأمين التي أمنت عملية الاطلاق بمبلغ ٢٥ مليون دولار . واستمر القمر باتجاه مداره ، الا ان المشكلة الكبرى التي حدثت كانت عدم انصياع احد ذراعي القمر للأوامر من الأرض للانفتاح ، اذ ان للقمر ذراعين تنتشر عليهما الخلايا الشمسية التي تمد القمر بالطاقة . (انظر الى الشكل رقم ٢) وبقيت الحال هكذا لاكثر من اسبوع وعربسات مهدد ، والجهود متواصلة من مسؤولي عربسات وشركة كومسات المستشار الفني لعربسات . وما لبثت الجهود ان نجحت في فتح الذراع المطوية ، الا ان المشكلة العظمى في هذه المرحلة تمثلت في عطل بعض اجهزة التوازن الخاصة بالقمر ، التي تحفظه في مداره ، وهي الأخرى أخذت وقتا غير قصير في حلها ، واضافة الى هذا وذاك فقد انحرف عربسات عن مداره الأصلي باكثر من نصف درجة ، وان لم تكن ذات اهمية كبرى ، بالرغم من

انها خرجت عن مدى الانحراف المتوقع اعتياديا ، ومقداره عشر الدرجة ، وهذا لم يمنع مؤسسة عربسات من المطالبة بالتأمين من الشركة المؤمنة ، الا انه يمكن القول بكل ثقة ان عربسات يعمل بشكل سليم تماما ، بالتعاون مع محطته الرئيسية في ديراب بالقرب من الرياض ، اضافة الى محطة خلفية اخرى في تونس ،وكلتا المحطتين صممتها وانشأتها شركة إن . إي . سي اليابانية ، التي ساهمت مع مركز دراسات الفضاء الفرنسي في مهمة تدريب كوادر عربسات بالاضافة الى ادارة عمليات السيطرة المدارية من خلال عقد موقع مع عرسات لمدة عامين .

الخلاصة والاستنتاج :

على الرغم من الجهود الحارة والتعاون المشترك بين الدول العربية في خلق مؤسسة عربسات ، وانجاز مشروع القمر العربي الا انه لم يستفد منه لحد الآن بشكل مرض مقارنة بعمر القمر (٧ ـ ١١ عاما) ، وهذا بالتأكيد وقت مهدور كلف اموالا وما يزال ، بينما اذا اخذنا بعين الاعتبار التأخر الذي حدث له اد كان من المؤمل ان يطلق في اوائل عام ١٩٨٤ ، اضافة لعام آخر له في المدار ، فلم تقم الهياكل الارضية للاستفادة منه . ومازال ٨٧,٥٪ من المحطات الارضية غير منفذ او محر ق الأقطار العربية .

لم ينل اي مشروع سابق في تاريخ العرب الحديث ، هذه الاهمية والتعاون المشترك ، والكلمة الواحدة ، والرأي المتفق ، بقدر ما ناله مشروع عربسات بكل هذه الضخامة : ميزانية مشتركة ، هدف سام ، مساهمة جدية ، ودعم متواصل . انه تجسيد للشعور القومي من المشرق الى المغرب ، لكن الطموح وآفاق المستقبل تتعدى الحالة الراهنة التي لا ترضي حتى عربسات القمر ، فخدمات الهاتف ، والبرقيات ، والتلكس ، وتبادل المعلومات ، بالاضافة الى التلفاز والمذياع لم تتجاوز جزءا بسيطا من امكانية عربسات ، كما ان مشروع القناة التلفزيونية المشتركة الخاصة بالتعليم لم تزل فكرة كما هي ، وقد كان من المفروض ان تساهم في ايجاد ثلاث جامعات : فلسطين ، وجامعة العرب ، وجامعة الخليج ، بحيث تكون صفوفها واقسامها متلفزة ، مفتوحة للجميع ، والهدف الاساسي منها امتصاص الفائض من خريجي الدراسة الثانوية ، الذين لم تتمكن الجامعات العربية من استيعابهم ، واكثر من ذلك يمكن استعلال عربسات في طبع مختلف الطبعات في الصحف العربية ، وفي اجزاء مختلفة من الوطن العربي ، وهذا ليس بجديد على بعض الصحف العربية ، فالجزائر مثلا تتبع هذا الاسلوب في طبع صحفها الوطنية في بعض اجزاء من الوطن من خلال القمر التجاري العالمي « انتلسات » الذي دخلت اغلب اقطار العربية الى ناديه ، كما ان بعض الصحف العربية تطبع طبعاتها الدولية بواسطة هذا الاسلوب ايضا .

ان اشارات عربسات يمكنها ان تصل الى عمق الصحراء العربية ، وحتى من خلال محطات ارضية متحركة منقولة ، فعسى ان ندرك اهمية عربسات ونقيم المحطات الأرضية له كهدايا في عيد ميلاده الأول .

■ العلم بغير ايمان ضرب من النقص المعيب ، أما الايمان بغير علم فمهزلة لا تطاق (دستيوفسكي) .

■ قصر النظر . . . هو الذي قاد الانسانية الى قتل حكمائها !
(سقراط) .

■ عندما يأتي المساء . . . يأتي المساء ، ومعه مصباحه ! (جوبير) .

■ أزرع كل يوم . . . تأكل كل يوم (مثل شعبي) .

وجهاً لوجه





د. علي الراعي و د. أمين العيوطي

○ الباحث يجب ألاّ ينفصل عن الواقع ، ولا ينبغى له أن يقبع داخل الجدران.

○ التمثيل المصري والعربي بصفة عامة يعتمد على الكلمة فقط .

○ المسرح لاينتجه الكاتب الذي لم يتنشق غبار الخشبة ، ولم يعايش العملية المسرحية بكل تفاصيلها .

○ ظاهرة استخدام الممارسات الشعبية موجودة وناجحة ولن يجدى أن ننكرها .

○ الافريقيون يستخدمون الجسم البشري كأداة طيعة للتعبير .

يدور الحوار في هذا اللقاء بين رجلين عرف عنهما اهتمامهما بالنقد المسرحي ، وقد تركا في هذا المجال آثارا باقية . ولاينسى جيلنا للدكتور علي الراعي اسهامه الفعال في لفت الانتباه الى ضرورة الأخذ بالمأثورات الشعبية ، وبالأشكال المسرحية المختلفة في تراثنا العربي ـ على بساطتها وأهميتها معا ـ وقد كان بذلك يقف في وجه من لا يرون في المسرح الا الصيغة اليونانية

أما الدكتور أمين العيوطي فإن مواكبته للحركة المسرحية في الستينيات ، ومتابعته الدائبة للعروض التي كانت تحفل بالتوجهات الشعبية ، تضعانه في مكانه اللائق بين نقاد المسرح العربي الجادين .



تعددت وجوه د . علي الراعي الثقافية ، بين كبير المذيعين القديم ، وأستاذ الأدب الانجليزي ، ورئيس هيئة المسرح والباحث المسرحي ، وهو ما يحيرني في ايجاد مدخل إليك . فلنبدأ اذن بسؤالك عن أي هذه الوجوه أحب الى قلبك ؟

ـ بعد هذه السنين الطويلة لم يعد ممكنا أن أجيب عن هذا السؤال باختيار أي من هذه النشاطات أحب الى قلبي ، فهي جميعا قد تشكلت وتوحدت وصبت في مجرى أوسع منها بكثير ، هو ما أقوم به الآن من نشاط . فقد أفدت من تجربتي في الاذاعة ، ومن تجربتي في التدريس الجامعي ، ومن ادارتي لمؤسسة فنون المسرح والموسيقا ومتابعة العمل النظري والعملي لحركة المسرح . استفدت من هذا كثيرا لتكوين الشخصية الثقافية التي أرى أني أمثلها ، شخصية مثقف متفتح على الواقع مشغول به وغير منغمس فيه ، ويراقب مجريات الأمور من بعيد ومن قريب ليصل في النهاية الى قرارات قد تتخذ شكل مواقف أو تتخذ شكل أبحاث أو كتب . ومعنى هذا أن الباحث في هذه الأيام يجب ألا ينفصل عن الواقع ، ولا ينبغي له أن يقبع داخل جدران ، وانما عليه أن يشارك قدر الطاقة في الواقع المعاش في حياة بلده .

معنى هذا أن الوجه الأخير الذي يشرق علينا في حياتنا الثقافية هو أكثرها رحابة وبالتالي أحبها الى قلبك

ـ ما من شك . وان كنت من الناحية العاطفية أحتفظ بذكريات عزيزة للاذاعة وللتدريس الجامعي ، خصوصا بجامعة عين شمس ، حيث لقيت أول من لقيت من شباب مصر عقب عودتي من دراستي في الخارج . هؤلاء الشباب صاروا ألقاهم ، وحين ألقاهم أشعر بفرحة كبيرة فقد انتشروا في جميع أرجاء الوطن العربي ، وهم يمثلون جزءا عزيزا علي ، جزءا من نفسي . تعلم أن العائد من البعثة يكون ملتهب الحماس في السنوات الأولى ، حددت عسفا بخمس سنوات ، قضيت منها اربع سنوات فقط قبل أن أنتقل الى العمل بوزارة الثقافة ، فكنت أعطي وأدرس بجماع نفسي بكل ما أملك من حماس .

بداخلي إنسانان مختلفان

رغم دراستك لجورج برناردشو وأنت تعد بحث الدكتوراه في انجلترا في الخمسينيات ، ورغم اشتغالك بتدريس الدراما الأوروبية في الجامعات العربية ، الا أن المنهج النقدي الذي طورته معتمدا على الفنون الشعبية ، يبدو منفصلا عن هذا ، فهل كان لدراستك وعملك الجامعي أثر في توجيه فكرك الى هذا الاتجاه الجديد في النقد المسرحي العربي ؟

ـ سؤال في محله . الـواقـع أنـي كـطالب في الجامعة ، وكمثقف لاحقا كان بداخلي انسانان مختلفان

انسان اسميه المهرج ، وانسان اسميه المثقف المتزن . وكان هذان الانسانان يتصارعان فيما بينهما . وعدت من البعثة والصراع بينهما لم يحسم ، الى درجة أني حين تناولت بالنقد المسرحيات التي كانت تعرض هناك تناولتها من منطق أرسطي صارم ارى الآن انه كان بالغ الصرامة ثم تغلب المهرج بداخلي فجأة وأنا أعني هذا ، ولا أتردد في استخدام كلمة المهرج بالمعنى العلمي . تغلب الانسان الـذي يفهم أن المسرح ليس ثقافة ولا كتابا ولا مؤلفا وانما هو لعبة مسرحية يشترك فيها جمع من الناس المؤلف حرء منهم والطاقم التمثيلي حـرء آخر والطاقم التمثيلي يتكون من كل من يعنى بما يجري على خشبة المسرح ابتداء من المخرج الى مصمم المناظر الى آخره ، والطرف الثالث هـو الجمهـور وهـنا أدركت أن المسرح ـ في الواقع ـ لعبة ، وينبغي أن يعامل على هذا الأساس هذه الكلمة تطورت فيما بعد الى الكلمة التي أنقذتها من المهانة وهي كلمة الفرجة . قلت ان المسرح ينبغي أن يكون فرجة بادىء ذي بدء ثم اذا كـان لـدى المؤلف أو الطاقم التمثيلي من القـدرة والشفافية والعمق والنظرة النفاذة فإن هذه الفـرجة تتطور الى شيء باق نسميه الأدب المسرحي البداية اذن هي الفرجة ، والنهاية هي القيمة الأدبية التي قد تطبع في كتاب وقد تدرس . والعكس غير صحيح ، بمعنى أن المسرح يبدأ على الخشبة ومن بـاب دخول الممثلين ولا يبـدأ في المكتبة حيث يجلس انسان مـا ويكتب مايراه قابلا للتجسيد على الخشبة وفي كل الأحوال المسرح لا يتيحه الكاتب الذي لم يتنشق غبار الخشبة ولم يعايش العملية المسرحية بكل تفاصيلها ، هـذا المدخـل كـان لاصقـا داخـل وجـداني ، منـذ البداية ، حتى حين كنت طالبا بالمدرسة الثانوية ، ثم تطور بالدراسة في بلد مثـل انجلترا التي تتبنى هـذا الاتجاه ـ كما تعلم ـ وهو أن المسرح فرجة .

شيكسبير عميد كتاب المسرح في العالم كله ، كان موردا للفرجة بهذا المعنى .

كـان يمثل ويخرج ويتعاون مـع غيـره في كتـابـة المسـرحيات وبهـذا استوعبت النـظرية التي أشـرت اليها ، وهي أن المسرح فرجة ثم سما بهذه الفرجة الى قبـاب وقمم مثل الملك لـير ، وبـاقي المسرحيـات الكبرى ولكنه لم يهمـل أبدا ـ في كـل مرحلة من المراحل ـ هذا العنصر الثمين ، وهو الفرجة .

ولعله لهذا السبب ، كما تعلم ، لم يكن يعرف أن أعمالـه ستدوم بعـده وهذا يؤكد ماقلته من أنه كـان يؤمن بالمسـرح كمسـرح ، ولم يكن يؤمن بنفس القـدر بالنص المسرحي

ـ لم يكن مؤمـنـا بما يسمى اليـوم قـداسـة النص المسرحي ، لأن المسرح ـ الى عهد قريب ـ كان ملكا للمؤلف الذي كان يؤمن بأن النص الذي كتبه أمر مقدس لايجوز التغيير فيه وشيكسبير لم يكن لديـه هذا الاتجاه المتزمت ، أضف الى ذلك أنه كان يعلم تمام العلم أنه لم يكن يكتب أدبـا ، بل لعله لم يكن يشعـر أنه يكتب أدبـا مسرحيـا ، وأظن أن السبب الوحيد في موافقته على طبع مسرحياته كان هو الحفاظ عليهـا من القرصنـة المسرحيـة ، وان كـان في بعض عاثياته مثل السونيتات يتخذ موقفا مترددا بين الفخر الشديد والايمان بأنها ستخلد ، وبين الضعة والشعور بالدونية أمام الأرستقـراطيين الـذين كانـوا يحكمون البلاد آنذاك كان لديه هذا الشعور المزدوج بأنه كان انسانا عظيما وأنه كان انسانا به قدر كبير من الدونية

الاصول الشعبية للمسرح

د على ، كنت أول من وجه الأنظار الى الأمكـانيـات الـدرامية في فنـوننـا الشعبية ، وإلى الأصول الدرامية في هذه الفنو ن ، وإلى امكانية اقامة مسرح عربي متميـز الهـويـة عـلى أسـاس من هـذه الفنـون . لكننـا نجـد الكثيـرين من دارسي المسرح العرب والغربيين ينكرون هذا التأصيل وهذه الامكانية .

ـ الذين ينكرون الاصول الشعبية للمسرح ، أو الممارسات الشعبية للمسرح ، من العرب فريقان . فريق لم يكلف نفسه عناء القراءة ولا يعلم ، وفريق يقف من المسرح نفس الموقف المتزمت الذي كنت أقفه أنا في بداية اشتغالي بالمسرح ، وهـو أنه مـالم تكن

المسرحية مكتوبة حسب المواصفات الأرسططالية فهي ليست مسرحا . ولهذا نجد زميلا درس المسرح اليوناني ينظر باستخفاف الى كل المحاولات التي تبذل لتأصيل المسرح العربي ، باستخدام كل ماهو موجود في الوجدان العربي والمأثور العربي من ممارسات مسرحية لاشك فيها .

هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك أناس يرفضون ولا يلتفتون الى ما يجرى في واقع الأمر ، وربما كنت من أوائل الناس الذين لفتوا النظر الى اهمية المأثورات الشعبية ، ولكنني لست الوحيد ، ولهذا فانني ألفت النظر الى جهود كثيرين من رجال المسرح ، أنا لا أعدو ان أكون منظرا مسرحيا وباحثا ، فقد رأيت ما رأيت وكتبت عنه ، وتناوله غيري من رجال المسرح بالتجربة العملية ، وأخطر ما يمكن أن تختبر به التجربة النظرية هى التجربة العملية ، والنتيجة أن هناك مسرح الحكواتي في لبنان ، والأعمال التي كتبها عز الدين المدني وأخرجها المنصف السويسي في تونس ، وهناك الفرق التي تشتغل بالتأليف الجماعي والاخراج الجماعي ، وهناك الطيب الصديقي الذي جرب في كل مسرحية من مسرحياته شتى الاتجاهات الشعبية ، وقد التفت الطيب الصديقي الى فصل كتبته في كتابي فنون الكوميديا بعنوان « المقامة تدخل المسرح » ، وفي هذا الفصل كنت أتحدى أن يكون هناك مخرج شجاع يقبل التحدي ويخرج مقامات بديع الزمان الهمذاني المعنونة باسم « المقامة المضيرية » وبها مسرح لاشك فيه وشخصية كوميدية من الطراز الأول قابلة للتجسيد بشيء من الخيال . التقط الصديقي الفكرة وجعل المقامة المضيرية واسطة العقد في عرض مسرحي نجح أينما عرض بعنوان « بديع الزمان الهمذاني » . وقد أثبت هذا بما لايدع مجالا للشك أن المقامات ـ كما سبق أن قلت ـ تحتوي على دراما جنينية تحتاج الى من يطورها . واذا عدنا الى التاريخ حين دخلت المقامة الى المسرح على يد ابن دانيال ، وعن طريق مسرح خيال الظل ، أصبح مما لاشك فيه أن هناك مسرحا وان كان التمثيل فيه يتم بالوساطة . وأما الذين ينكرون أن العرب عرفوا المسرح فهم ينظرون الى الأدب الرسمي فلا يجدون مسرحا في الاشكال الشعبية ، لأن المسرح فى عرف هؤلاء الرسميين « شغل الأوباش » . ولحسن الحظ أنهم تركوا هؤلاء « الاوباش » ينتجون لنا مسرحا فعلا ، وشغلوا هم بالشعر والقضايا الأخرى التى كانت تعنيهم . والدليل على أن مسرح خيال الظل مسرح بكل المقاييس ، انه فى أواخر القرن التاسع عشر استطاع الفنان السورى جورج دخول ان يحول بابات خيال الظل الى دراما بشرية ، كان يقدمها بعنوان « فصول كوميدية » تقدم فى المقاهى والتجمعات الشعبية . وقد كان لهذه الفصول أثر كبير فى الكوميديا المكتوبة فقد تأثر بها ابراهيم رمزى ، ومحمد تيمور ، وتأثر بها حتى توفيق الحكيم .

صراع بين المسرحين

على الرغم من ذلك مازال الصراع يدور بين المسرح الرسمى والمسرح الشعبى حتى الآن ، وهناك أيضا الاتجاه فى أقطار الوطن العربى الى الأخذ بالاشكال الشعبية ، ومحاولة تأسيس نوع من المسرح العربى المتميز وقد أشرت الى استغلال المقامة فى المغرب ، ولكنك لاشك تعرف أيضا أن نفس الشكل استغل فى العراق على يد قاسم محمد

ـ قاسم محمد لجأ الى شكل أوسع ، وهو شكل السوق فى « بغداد الأزل » واستطاع أن يقدم عرضا شيقا ، وان كان السوق موجودا فى بابات ابن دانيال وبالتحديد فى بابة « عجيب وغريب » . والسوق موجود على الطبيعة فى سوق ساحة الفناء فى المغرب ، حيث تجد كل ألوان التمثيل الشعبى ، من التمثيل المفرد ، والنكات ، والمباريات ، والرقص ، الى استخدام المهارات المختلفة . فهو سوق يعدّ متحفا يوميا يحتفظ لنا على الطبيعة بما كان ابن دانيال يصوره فى باباته . إن ظاهرة استخدام الممارسات الشعبية موجودة وناجحة ولن يجدى أن ننكرها .

وبعض الكتاب الذين تعودوا أن يصبوا كتاباتهم فى القالب اليونانى ، يرفضون بشدة أن يمتحنوا هذه المقولة أو أن ينظروا الى مايقدم على الساحة فعلا ، فاذا واجهتهم بالواقع بهتوا وقالوا ان مايكتبونه هم هو

المسرح . هناك مثلا فى الموسم المسرحى الماضى كانت تجربة قام بها المخرج الشاب مراد منير ، استغل فيها ما فى مسرحية « منين أجيب ناس » لنجيب سرور ، فقدم لنا عرضا ممتازا نسف الشكل اليونانى من اصله وأظهركم هو عقيم وبعيد عن الناس ، ومنفصل عن المنصة . وبذلك قدم عرضا كان يقابل بالهتاف والضحك والمشاركة الفعلية الحية ، واجتذب الناس من بيوتهم ، جعلهم يخوضون أهوال المواصلات أسبوعا بعد أسبوع على امتداد شهرين . وقد لفت هذا العرض الأنظار بشدة حين قدم فى بغداد . ولا ادرى كيف يغمض أنصار المسرح التقليدى عيونهم عن هذا ، ولا أستطيع تفسيره الا من باب التحير . هناك أيضا بعض المثقفين الذين بدأوا يركبون الموجة ، ويفتشون فى المأثور العربى عن المسرح ، حتى توصلوا الى ان الجاهلية لم تكن تخلو من مسرح ، أو من ظواهر مسرحية ، وفجأة عدل هذا الفريق من الناس عن هذه النظرية ، وراح يزعم أن قضية التراث قد وصلت الى طريق مسدود ، وأنها لم تكن قضية ، فى الوقت الذى تنجح فيه معظم المسرحيات التى تقوم على التراث وتلفت النظر . والأمر الثانى الأخطر من هذا بكثير فى رأيى المتواضع هو أن المسرح الذى يقوم على التراث هو المخرج الوحيد لما يسمى بأزمة المسرح الجاد

أجيال من النقاد

● عموما هل ترى معى أن هناك خطا ممتدا يشمل د . محمد مندور ، ود . لويس عوض ، ود . على الراعى ؟ اذا كان الأمر كذلك ، رغم الفروق الواضحة فى منهج كل منهم ، فأين يقف د . على الراعى من هذا الخط الذى انتهجه نقاد كان لهم أثرهم فى النقد المسرحى العربى ؟

ـ أولا ، د . محمد مندور ، ود . لويس ينتميان الى جيل سابق على . . هذا الجيل لم يعرف المسرح ، بل عرف الشعر ، الى ان ظهرت النهضة المسرحية الواضحة فى الخمسينيات ، فاجتذبت الكثير من كتاب القصة والرواية ، كما اجتذبت د . مندور ، ود . عوض لأنهما اهتما بالمسرح كظاهرة موجودة ، ولأنهما مثقفان ، ولأنهما قدّرا أنهما يستطيعان الخدمة فى هذا المجال . ود . لويس عوض ما يزال يقترب من المسرح اقترابه من الكتاب ، والدليل على ذلك أنه احيانا يصدر احكاما سالبة على بعض المسرحيات ، ثم تظهر التجربة على المسرح أن رأيه فى غير محله ، كما حدث فى مسرحية « الدخان » لميخائيل رومان أما د . محمد مندور فهو انسان فائق الحس ، قابل للتشكيل ، وعنده مرونة كبيرة وقدرة على الخدمة ولم يكن اقترابه من المسرح صعبا عليه ، فقد تناول الكثير من الاعمال والكتاب بالبحث والدراسة ، ولكنه لم يتحقق له ما تحقق لى من نظرة الى المسرح كلعبة ، بل نظر اليه من باب انه ادب وقيمة . ولهذا كان تقويمه لمسرح نعمان عاشور على أنه مسرح « الاوتشرك » أو الريبورتاج المسرحى ، وهذا غير صحيح

توجهات النقد

● الحقيقة اننى كنت اعنى بالسؤال انه اذا كان د . مندور يأخذ خطا اجتماعيا في نقده ، وان د . لويس رغم تناوله للأعمال من خلال ثقافته الواسعة ، الا ان خطه السياسى كان واضحا فيما يكتب ، اما بالنسبة لك فقد تمثل الخط الشعبي في نقد المسرح ودراسته ، وهنا أجد نوعا من الصلة بين الخط الاجتماعي والسياسى والشعبي .

ـ بهذا المعنى فإن تبنى نظرة شعبية الى المسرح والدفاع عن المأثورات الشعبية فى المسرح ، هذا فى حد ذاته موقف سياسى ، رغم اختلاف المداخل .

● هل ترى فيمن جاء بعدك من جيل النقاد من استمر على هذا الخط أو طوره أو اضاف اليه شيئاجديدا ؟

ـ سؤال محرج : لأننى افكر فى الكتاب الشبان . اقربهم الى قلبي ونفسي هو فاروق عبد القادر ، الذى بدأ كتابه « ازدهار وسقوط المسرح المصرى » بانكار أن

يكون هناك مأثورات شعبية فى المسرح العربي ، وقال ان هنـاك من يعتقد هـذا مثل الـراعى ، ولكننى لا اعتقـد . فؤاد دوارة قال عـلى مضض انه يمكن أن يكون فى المسرح ما يقال بانه مأثورات شعبية تستطيع خدمة المسرح ، ولعل معـرفته بـالاخوان العـراقيين الذين يمارسون هذا النوع من النشاط قد كان له أثر فى تحويل وجهة نظره من المسرح الرسمى الى المسـرح الشعبي . الوحيد الذي اشعر انـه تأثـر بما كتبت ، وأخذ هذا السبيل هو نبيل بدران الـذى يكتب عن المسـرح في آخر سـاعة . نبيـل بدران أقـام مدة فى العراق ، ومدة فى الكويت ، ثم جاء الى مصر بعد أن ازداد معرفة بالوطن العربي . وفي الحقيقة أننا مازلنا نأخذ وجهة نظر اقليمية ، بمعنى أن ما يحدث في مصر هو ما يحدث في العالم ، واذا حدث خارج مصر شيء فهو لا يستحق النقد في بعض الاحيان . والمثقفون المصريون يقاومون كـل محاولـة لتعريفهم بمـا يجرى خارج مصر . لكن نبيل بدران وعى تماما معنى قيم المسرح الشعبي والبحث عن هوية للمسرح العربي ، وأدرك معنى الجهـود التى بـذلت في بغـداد ، وفي مهرجان جـرش بالاردن ومهـرجان قـرطاج بتـونس لبعث الاهتمام بالمسرح الشعبي العربي .

وأخـطر من هذا محـاولات لـلافـادة من المسـرح الافريقي أيضا بمعنى الاستمـرار ، وصلة القرابـة ، والصلة المشتركة والآلام المشتركة بيننا وبين المسـرح الافـريقي . ومنـه نستـطيـع ان نتخلص من أحـد العيوب البارزة في التمثيـل المصرى والعـربي بصفة عامة ، الذى يعتمد على الكلمة فقط ، ولايستخدم بـاقي اجـزاء الجسم في التعبـير . الافـريقيـون يستخدمون الجسم البشرى كأداة طيعة للتعبير ، أما فنانونا المسرحيون فلا يزالون « افندية » يـأنفون ممن يوجههم الى التمثيل الشامل . ينبغي ان أشير الى أنه كانت هناك محاولات قبل نشر كتبي ، قام بها الفريد فرج الذى تطور بعد حلاق بغداد الى الاتجاه الشعبي وخصوصا في « على جناح التبريزي » . ثم ظهر في الستينيات يوسف ادريس بمسرحيته « الفـرافير » ، وهى لا تعتمد المأثور الشعبي بقدر ما تعتمد كوميديا السيرك شكلا ، أي الشكل المرتجل المقنن ، المتفق عليه سابقا ، وله أيضا كتابه « نحو مسرح عربي » . وهذا ينبغى أن يذكر له .

● د . على الراعي

تخـرج فى قسم الادب الانجليـزي ، جـامعـة القاهرة ، ١٩٤٣ . حصل على درجة الدكتوراه عن رسالته عن مسرح برنارد شو ، برمنجهام ، ١٩٥٥ . عمل مذيعا وكبيرا للمذيعين ، ومخرجا اذاعيا بالاذاعة المصرية ١٩٤٣ ـ ١٩٥١ ، وعمل محررا ادبيا لصحيفة المساء ، ورئيسا لتحرير مجلة المجلة ، ورئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقا بوزارة الثقافة ، كما عمل استاذا لمادة الادب المسرحى المعاصـر بجـامعـة عـين شمـس ، ومعاهد اكاديمية الفنون بالقاهرة ، واستاذا لنفس المادة بجامعة الكويت من ١٩٧٣ ـ ١٩٨٢ ، واشترك في العديد من المهرجانات والمؤتمرات المسرحية الدولية . من مؤلفـاته فن المسـرحية ، الكـوميديـا المرتجلة في المسرح المصرى ، توفيق الحكيم فنان الفرجة وفنان الفكر ، فنون الكوميديا في خيال الـظل الى نجيب الـريحاني ، مسـرح الـدم والـدمـوع ، مسـرحيـات ومسـرحيون ، دراسات فى الرواية المصرية ، شخصية المحتال في المقامة والحكاية والرواية والمسرحية في عام ١٩٨٠ حصل على جائزة مؤسسـة الكويت للتقـدم العلمى عن كتابه المسرح في الوطن العربي .

● د . أمين العيوطي

تخـرج في قسم الادب الانجليـزي ، جـامعـة القاهرة ، ١٩٥١ ، وحصل على درجة الماجستير في الادب الانجليـزى ، جامعـة القـاهـرة ، ١٩٥٧ ، ودبلوم الـدراسـات الانجليـزيـة ، جـامعـة ليـدز ، ١٩٦١ ، ودكتـــوراه الادب الانجـليـــزي ، ليـــدز ١٩٦٤ . عمل استاذا للأدب الانجليزى بجامعتى المنيا والقاهرة ، واستاذا للنقـد المسرحي ، ورئيسـا لقسم النقد والادب المسرحى بالمعهد العالى للفنون المسرحية في الكويت . اسهم في الحركـة المسرحيـة بالعديد من المقالات والابحاث والدراسات المسرحية في مجلة المسرح وغيرهـا من المجلات الادبيـة . قام بتـرجمـة « النـورس » لتشيكــوف ، وستيفن د . و « منفيـون » لجيمس جويس ، و « الفتى المـذهب والسكـين الكبـير » لكليفــورد اوريتس ، « ومعنى الواقعية المعاصرة » لجورج لوكـاتش . له روايـات الصمت والصـدى ، وليالى الشمس ، وليـل الطير الغريب . □



إحباط الكلمات

بقلم : فاروق خورشيد

حينما تنهزم الحياة ، ويتغطى وجه الأرض بالطفيليات والهشيم ، وتصبح الابداعات السامية والقيم الانسانية النبيلة أعباء على كواهل اصحابها ، تصل بهم الى اليأس حينا والأسى أحيانا ، والتنحي آخر الامر ،فكيف يكون لنا أن نتوجه اليهم بالكثير من اللوم أو العتاب .

كانت مفاجأة أن يعلن مقاتل بالكلمة أنه يرمي السلاح ، وهو مقاتل عنيد خاض أكثر من معركة ضارية ، ولم يتردد ولم يتراجع ، وتعرض لسخط الرأي العام ، وسخط الكُتّاب من اليسار ومن اليمين على السواء ولم يتزلزل ، ظل ممسكا بقلمه يصارع في عنف وعناد ، حتى حين وصل الأمر الى الاتهامات الخبيثة ، أو الى التقديم الى القضاء ، لم يتخل لويس عوض عن اصراره وموقفه العنيد المحارب . . فما الذي حدث ليحرج علينا في حديث مع احدى جرائد القاهرة الصباحية بأنه انتهى هو وجيله ، وعليه أن ينسحب وأن يضع القلم ، فقد انتهت الرسالة منذ هزيمة ٦٧ ، ولم يعد لكُتّاب هذا الجيل دور بعد هذا التاريخ . . والمفاجأة هي نبرة الهزيمة التي تجلت في كلمات الدكتور لويس عوض ، والاحساس بالاحباط الذي تجلى وراء عباراته . .

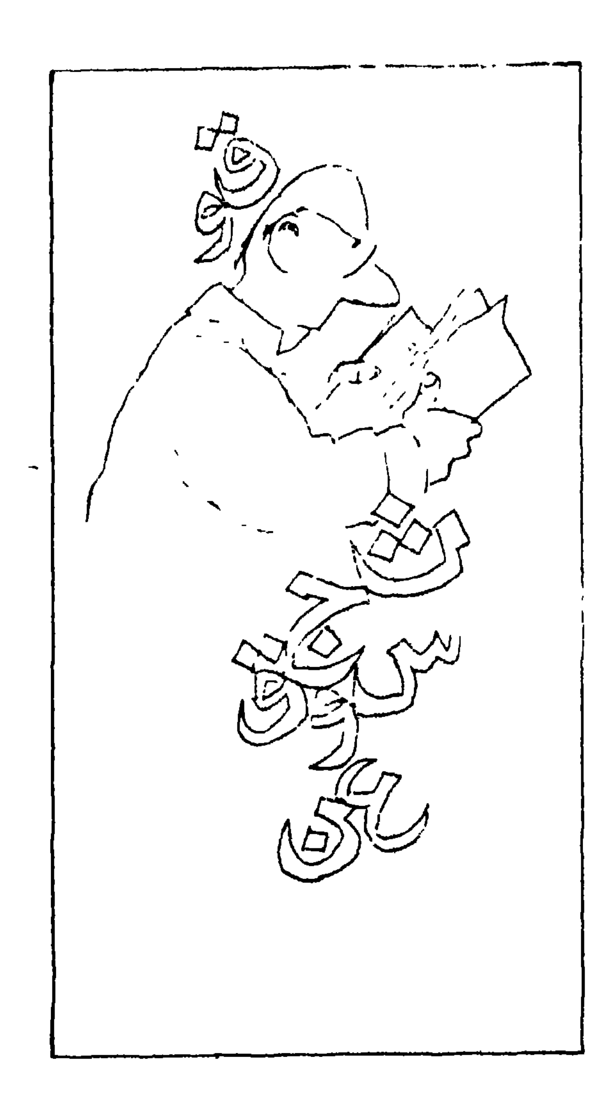
فليس هو لويس عوض المقاتل الذي نعرفه . . ومامعنى أن يخوض بعد ٦٧ أكثر من معركة ، وخاصة بعد صدور كتابه فقه اللغة وكتابه عن الأعماي ، ومقالاته عن الجنرال يعقوب ، وكلها إثارة وتحد واستفزاز ، لم يأبه لكل ما أثاره بها كلها من غبار متطاير وتهم ، تحولت في كثير من الأحيان ـ الى شواظ ملتهب ، وتهم حادة صارخة . . مامعنى أن يقبل مكانا أسبوعيا ثابتا في مجلة قاهرية ، لايتوقف عن ملئه الا ليلتقط أنفاسه ثم يعود اليه من جديد . مامعنى أن يحاضر ويجادل ويناقش ، ويقبل أن يظهر في الحياة الثقافية العامة في أكثر من مناسبة بصورته المعتادة العنيدة القاسية في بعض الأحيان . . ثم يأتي في نهاية عام ٨٥ ليعلن مفاجأته المثيرة هذه . . ؟ هل كان لابد من مرور كل هذه السنوات التي تقترب من العشرين ، ليدرك لويس عوض أن رسالته انتهت ، وانه عليه وجيله أن يتنحوا عن العطاء الثقافي والادبي ، لارتباطهم بهذه الهزيمة وبمعناها ونتائجها . . ؟ هل

انتظر كل هذه السنوات لترسب قطرات المرارة قطرة قطرة ، فيفيض الكأس وتتحول القطرات الى دموع ونحيب ويأس ؟ ام أن الأمل طوال هذه السنوات كان قائما ، كانت رؤية الغد تمسح أحزان اليوم أن تترسب ، وكلما وصلنا الى غد حزين أصبح يوما يمضي ليتطلع الى غد واعد ، فاذا هو غد حزين حزين ومن يوم الى غد تزداد الأحزان ويخفت صوت الأمل ، الى أن يصل بنا الى مرحلة اليأس الكاملة ، بعد كل هذه السنوات العنيفة المناضلة المتطلعة بأسى الى شيء واحد لايجيء ، شيء لا يتحقق أبدا ، كلما انتظرناه واقتربنا منه ابتعد وتاه واجهدنا السير واستبد بنا العطش فتركنا سلاحنا ، ودفنا رؤوسنا يأسا في رمال الهزيمة ، لعلي أن الحمق ماعشناه ، وان الحمق ما أمليناه ، وان الحمق ما حصدناه ، وانا كما قال أبو سليمان زرعنا في أرض صفوان ، وهذا حصادنا باطل الأباطيل ، الكل باطل ، وقبض الريح .

بين المازني ولويس عوض

رحم الله المازني ، ورحم صرخته الصارخة، ماذا أفعل ، هل أقتلع شجرة بلوط لاغمسها في ماء النيل واكتب بها ليسمعني الناس . . يا ابراهيم قم فالنار برد وسلام عليك ، وستجتازها والناس شهود ، وستهزم النمرود بن كنعان حين يوجه سهامه الى السماء ، ويعود مقرورا ترسخ في جمجمته حشرة صغيرة تجعله يضرب رأسه في الصخر حتى يموت .

ما الذي استدعى ابراهيم المازني الآن ، ونحن نتحدث عن لويس عوض ، أهي المرارة التي جعلت المازني يحرق شعره كله ، أهي الأحزان التي أحاطت بلويس حتى جعلته يعتزل كل شيء الى شقته الصغيرة في الهرم ، ويضع فيها اسطواناته وشرائطه وكتبه ، ويخفي راسه ويبحث عن معنى ان يطرق عليه انسان بابه في كهفه فلا يجد . . وهو الذي كان مهوى أفئدة كل الكتاب ، ومحط أنظارهم وكعبة حجهم ، يوم كانت كلمة منه تصنع شاعرا ، وكلمة منه تخلق قصاصا ، وكلمة منه تضيء وجه الحياة لشاد حديد في دنيا الأدب . . ؟ .



محنة النقاد والمفكرين

ولكن كل شيء تغير ، ولم تصبح كلمات الناقد حية نافذة ، وانما عدت شيئا لاتحبه الصحف ، ولايحبه الجدد من أبناء الأدب،تكفيهم كلمات صحفي ، وتكفيهم أخبار تنشر هنا أو هناك،أما التقييم الجاد فشيء ليس في صالح المتعجلين المتسرعين غير الواعين ، بمعنى أن الأدب استمرار وتواصل وجدية ، وليس قفزا واعلاما وعدوية وكتابة ممجوجة مكرورة في الاذاعة أو التلفزيون وبرامج ثابتة ومأمورة و مرعية . . هم لهم منطقهم ، وهو الذي يسود ، وهو حياة اليوم وملحها . . فكل شيء جاد يتضاءل وينكمش ، ثم يذوي وينهار ، ويفوز من يخططون لهذه الأمة أن تتسطح ،وتصغر،وتتفه وتنهار .

معين يرتطم بالعوائق

مازلت أذكر لويس عوض وهو ينتقل بين مبنى قسم اللغة الانجليزية . . والمبنى الرئيسي لكلية الآداب بردائه الجامعي ، حين كان لبس الروب الجامعي شرفا لكل من يلبسه ، ليحاضرنا نحن طلبة قسم اللغة العربية في ماكبث ولغة شكسبير . . وتقفز كلماته العارفة العالمة الثائرة الى عقولنا وقلوبنا ، لنفهم معنى الصراع ومعنى المأساة ،ولنعلم بعد ذلك وطوال العمر كيف نقرأ شكسبير والدراما ، وكيف نفهم لغة شكسبير ، وكيف نحاول أن نكون على مستوى النص المطروح علينا في تحد مثير . .

ثم ترك لويس عوض الجامعة ، وملأ حياتنا عطاء وعلما وفنا ، اتاح قلمه لنا مزيدا من النور والاضاءة لنعرف الطريق ، ونحاذر مهاوي الزلل ولم نكن نتفق معه في الكثير من كلماته، ولكننا كنا نتفق معه في المنهج والطريق. والمعرفة بكل دقتها وموسوعيتها ما أمكن للجهد والعمر أن يحصلاها ، ثم الكتابة بعد هذا . أما الكتابة التي تستند الى الجهل والقفز والادعاء و (الفهلوة) فهي عدوة الحياة وعدوة الجدية ، وعدوة بناء أمين للمستقبل .

والمغامرة في دنيا الابداع ، المغامرة الجادة الجريئة بلا حدود ولاعوائق ، ولاصحة على التافه من سقط المتاع . قدم لويس عوض تجربته الشعرية في بلوتولاند،وتجربته الروائية في العنقاء،وتجربته المسرحية في الراهب،وتجربته الذاتية في يوميات طالب بعثه ، الى جوار تجارب العقل والدرس والنقد ، ومغامرات الفكر والبحث في كل ميادين الفكر والبحث المتاحة والمطروقة . .

ومن أجل فكره المعلن كرهه كثيرون ، واتهموه (بالشوفينية)والاقليمية والعصبية الدينية . . ومن أجل فكره المعلن كرهه كثيرون آخرون وأتهموه بالثورية والتقدمية والاشتراكية . . وفصل من أكثر من عمل ، ثم عرف السجن وعذاب السجن ،ومهانات المعجبين بأنفسهم وسياطهم ، وأن لهم الكلمة اليوم ليقهروا كل كلمة للغد . . ويوم خرج من المعتقل صحبه أخي صلاح عبد الصبور ليجلسا عندي جلسة هادئة ، نستمع ونحزن ، ثم نستمع ونمتلىء مرارة ، ثم نستمع ونرى دموعنا تتفجر ونحن لانستطيع أن نمنعها ، ولم تكن دموعنا حزنا على ماحدث للويس ، وانما كانت دموعنا حزنا على ما يحدث للفكر والمفكرين في بلادنا ، حين يضع الناس الأحذية فوق الرؤوس .

وتجاوز لويس عوض التجربة المرة ، وعاد وجهه الأسمر يحمل ابتسامته الفرحة كطفل ، المريرة كبهلوان ، الحكيمة ككاهن ، يرعى طقوسه في معبد أوزيرس المحترق على حافة الهرم . .

هل تتقاطع أجيال الأدباء ؟

وأحدث اعلان لويس عوض المفاجىء ردود أفعال متناقضة وعريبة في حياتنا الثقافية ، أو في أشلائها التي مازالت باقية على الأصح . فالكُتّاب الشيوخ أحسوا بالصدمة ، فهم مازالوا ينتجون ويكتبون ، ومازالوا يحتلون الصفحات التي كانوا يحتلونها منذ الستينيات ، توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ونجيب محفوظ . . الأول تعرض له مسرحية قديمة كأنها اعلان بمولده الجديد ، فهو شاب دائم وعطاء يتجدد لكل جيل ، وما كتب في الثلاثينيات يقدم في الثمانينيات بنفس الاحتفال ، وربما بأكثر من الاحتفال الذي حظيت به يوم صدورها ، أو حظيت به أختها أهل الكهف حين افتتح بها المسرح القومي أول موسم له . . والثاني تظهر له كل عام رواية أو روايتان جديدتان ، وتقدم له السينما قصصه القصيرة باقبال شديد ، وتحظى من المخرجين والمنتجين والمتلقين بنفس الاقبال والتشجيع واللهفة ، على أعمال تنجح مع كل جيل ، وتفي بحاجة كل مرحلة . . والثالث وصل الى قمة كماله ، ومع كل أسبوع تزداد كلماته اضاءة ، ويزداد فكره لمعانا ، ويزداد عطاؤه جذبا لجماهير جديدة من الشادين الى الفكر الجاد ، ا والمعرفة الطموحة . . لم تقهر أحدا منهم هزيمة ٦٧ ، ولم تمنعه عن الكتابة والعطاء ، ولم يعلن أحد منهم أنه لايمثل الحياة في عصره ، وأنه امتداد دائم وعطاء متجدد . .

ولست أدري لماذا أغفل الدكتور لويس عوض آخرين ممن عايشوا هؤلاء ويعايشونهم سواء قبل الثورة ، أو في طحن العمل الوطني والقومي أثناءها ، أو في تحمل عبء الهزيمة البشعة عام ٦٧ . . من هؤلاء من لايزالون يعطون ويعايشون الحياة ،



احسان عبد القدوس



د لويس عوض



د يوسف ادريس

ويمدونها بالامل والاستمرار : احسان عبد القدوس ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ومحمود البدوي ، ويوسف جوهر ، وعائشة عبد الرحمن ، وسهير القلماوى ، وشكري عياد ، ويحي حقي ، وعلى الراعي ، وشوقي ضيف ، وعبد الحميد يونس ، وعبد القادر القط ، ومهدي علام ، ومحمود شاكر ، وغيرهم كثيرون . ربما لأن لويس عوض لم يمس حتى في لحظات الاحساس بالهزيمة كل مواقفه النقدية القديمة ، فلم يدخل في دائرة الانسحاب الا من الاعتراف به في دائرة التأثير ، وهذا موقفه الذي يسحبه معه على حياته كلها، فيبقي معه عداواته وخصوماته القديمة كلها . الا أنه أضاف الى قائمة من يدعوهم الى اعلان الهزيمة والانسحاب معه كاتبا واحدا من الجيل الذي تلاه ، وهو يوسف ادريس ، ولست أدري لماذا يوسف وحده ، وليس الفريد فرج ، ونعمان عاشور ، وأحمد حجازي ، وعبد الغفار مكاوي ، ويوسف الشاروني ، وفتحي غانم ، وعز الدين اسماعيل ، ، وبدر الديب ، وغيرهم ممن امتدت اليهم نظرة لويس عوض الخاصة ، فنسيهم في انسحابه وتذكر فقط يوسف أدريس . . ربما لأنه أعلى الأصوات وأكثرها ارتفاعا هذه الأيام ، وربما لأنه يحس بنوع من الزمالة معه في الطريق والعذابات ، وربما لغير هذا أو ذاك من أسباب ، ولكن الذي حدث أن يوسف ادريس أسرع في يومياته في الاهرام يذكر لويس عوض انه ليس من جيله ، وانه لاحق له في ادخاله في هذا الجيل ، كما أسرع يذكره ان كل من ذكرهم من جيله مازالوا ملء السمع والعين ، ثم راح يسأل عن سبب هذه النبرة الانهزامية والانسحابية التي ظهر بها صوت لويس عوض ، الذي لم يصمت بعد ٦٧ ، كما أكد ، وكما حاول أن يذكره ويذكر الناس . . ولكن يوسف أدريس ينسى أن لويس عوض ينعيه فيمن ينعى من أعلام عصره ، وينسى أنه يريد أن يوقفه في اندفاعته نحو المزيد من الشهرة ، وليذكره أن العصر الترم بمعنى ومستوى ، وان هذا المعنى ان عدا الالترام به صعبا ، فالأحدى أن ينسحب أعلامه ، وأن يعلنوا أن الهزيمة الآن فعلا قد حلت . ينسى يوسف أدريس ويعزو موقف لويس عوض الى احساسه بالجحود ، فهو أولى بجائزة الدولة التقديرية من الكثيرين الذين منحت لهم هذه الجائزة ، ويطالب بمنح لويس هذه الجائزة ليرضى ويستقر . .

ولست أظن أن المسألة شخصية جدا الى هذا الحد المضحك . ولست أظن أن هذا المنطق الذاتي يصلح في حالة لويس عوض ، وان كان يصلح في حالات أخرى كثيرة تعيش بالمنطق النفعي وحده ، ودون نظر الى القضايا العامة ، ودون ارتباط بالايقاع الفكري والعلمي لعصر كامل ، يعيش تحولا في فكره

واهتمـــامـــاتـــه وثقـافتــه ، ويعيش تحـولا في رؤ اه وطموحاته .

جائزة الدولة التقديرية للويس عوض لن تنهي القضية التي طرحها ، فهو ليس مريضا بالاكتئاب ، وليس هاربا الى التقوقع حول ذاته ، وانما هو محارب يعلن أن المعركة انتهت ، وأن على المحاربين أن يدركوا أن الهزيمة قد حلت بهم ، ليضعوا سلاحهم ، وينسحبوا من الميدان في صمت كريم ، بدل أن يصبحوا أضحوكة وسخرية الأجيال التالية التي لن ترحم في حكمها أحدا . .

واذا كان يوسف ادريس قد فهم القضية من هذه الزاوية ، فان كاتبا آخر في الصفحة الأدبية من الأهرام قد ربط بينها وبين تصريح قديم لعبد القادر القط ، قال فيه انه عاجز عن فهم أدب الشباب ليقول أن هذا الجيل جيل لويس وعبد القادر ، جيل يعلن افلاسه ، فهو بالفعل غير صالح للتصدي لحياة الأدب والكتابة في هذا الجيل الجديد الذي لايفهم عطاءه والذي لايستطيع التحاور معه . وهو قول مضحك الى حد السذاجة ، ولو كان هناك مسئول أدبي على مستوى المسئولية يراجع ماينشر في هذه الصفحة ، لطلب من كاتب هذا الكلام أن يراجع نفسه ، وأن يتعلم كيف يكتب قبل أن يتعرض لما لايعرف بهذه الطريقة الساذجة فهي دنيا الأدب الحياة شيء مستمر ومتلاحم ، لاتطوى صفحة وتبدأ صفحة ، ولايعتزل الأدباء الكتابة عند الوصول الى سن المعاش ، حتى يتركوا أماكنهم للموظفين الأصغر سنا . فحين تحصل أمة على كاتب ، تحرص عليه ، وتتيح له كل فرص العطاء والبقاء والاستمرار ، ولست أعني بالكاتب من يعرف كيف يمسك القلم ويخط الحروف ، ثم يدفع بنفسه بشكل أو بآخر الى العمل في صحيفة أو مجلة ، وانما أعني الكاتب صاحب الثقافة والمعرفة ، وصاحب الجدية في التوجه والجدية في العطاء ، وصاحب الموقف النابع من ذاته لامن مصلحته ولامن توجيهات غيره . ولكن الأمر قد غدا مضحكا ، حين يسخر القط من تسرع الشباب ، وعدم نضجهم ، فيتهم بأنه يعلن عدم قدرته على المتابعة لأنه تخلف عن الجيل . . ولايحاول من يوجه لهم النصح الساخر ان يستفيدوا من هذا الحكم النقدي المهم الذي يضع يده على خطأ متكرر عند شباب متسرع يقلد نماذج لايفهمها ، فيحرج الى المتلقي بكلام لايفهمه ، والأمر انه لم ينضج بعد ، والأمر ان لغته لم تكتمل بعد ، والأمر ان فهمه وموقفه لم يتحددا بعد

نسر يكف عن التحليق

والأمر قد غدا مضحكا أيضا حين يعلن عوض عن توقف الأقلام التي يراها ذات أثر ودور عن العطاء وترك القلم،فيفهم الأمر على أنه عدم قدرة على متابعة العصر ، أي عصر هذا الذي يتحدث عنه . ؟ العصر شيء متصل لاينقطع ولايتوقف.لويس يريد أن يقول ان الهزيمة العسكرية في ٦٧ قد آنت أكلها الآن .

وما أخطر مايقوله لويس ، وماأجدر أن يقف المفكرون عنده بالتأمل والتفهم والفحص . . لماذا الآن . . ؟ كيف الآن . ؟ انها قنبلة تثير الدهشة ، ولكنها أيضا قنبلة توقظ من ناموا واستناموا . وتجعلهم يدركون . فليس اليأس ماقاله لويس وانما هو الحزن المر ، وماأحكم الكلمات المريرة عند من يفهمونها . □



■ اذا عرف الانسان جور الطبيعة ، احتقر الموت ، واذا عرف جور المجتمع ، احتقر الحياة (برتراند راسل) .

■ من خذلته أسرته . . لم تأت من الأباعد نصرته (أحمد شوقي) .

قاموس العربي

ك

«كوميون باريس»

اصطلاح يطلق على ثورة باريس ، في الفترة من ١٨ مارس الى ٢٨ مايو عام ١٨٧١ ، التي تشكلت خلالها أول إدارة اشتراكية في التاريخ ، وعلى الرغم من أن الثورة قد سُحقت بشكل كامل من خلال أكبر جريمة وحشية حدثت في القرن التاسع عشر ، اذ قُتل فيها نحو ١٧٠ الف شخص ، في الفترة من ٢١ الى ٣٠ مايو ١٨٧١ . الا انها ظلت ـ تجربة مهمة ومميزة في الفكر السياسي والاشتراكي ـ كأول محاولة تاريخية لاقامة مجتمع اشتراكي .

كانت أوروبا في هذا الوقت في غليان شديد ، وكانت فرنسا تتعرض لهجوم الماني بقيادة زعيمها التاريخي بسمارك ، وكان هذا الهجوم يمثل موقف أوروبا من المطالبة بالتغيير الاجتماعي في فرنسا ، وكما اتحدت أوروبا من قبل للقضاء على ثورة ١٧٨٩ التي انتهت بعودة الامبراطورية الى فرنسا ، وحكم آل « بوربون » ، فإن أوروبا أيضا ـ وبعد أقل من مائة عام ـ اتحدت للقضاء على الثورة الاجتماعية ، التي بدأت نذرها تلوح في فرنسا ، بعد اتحاد الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة (الطبقة المتوسطة) والمفكرين والأحرار . ووسط تخاذل الحكومة الفرنسية القائمة ، والفوضى والشلل العام الذي أصاب جميع مرافق الحياة ، بدأت الحكومة تحاول تجريد الشعب من السلاح ، ووقف المقاومة ، للمفاوضة والمساومة من خلف ظهر الشعب ، وبينما يطالب الشعب بالسلاح والمدافع للدفاع عن عاصمة الوطن المحاصرة ، أصدرت الحكومة قانونين عجِّلا بالثورة ، أولهما قانون افلاس التجار العاجزين عن سداد ديونهم ، والثاني رفع القيمة الايجارية للمساكن ، وقامت الثورة وفرّت الحكومة الى فرساي ، وأصبحت باريس العاصمة مقرا للتجربة الثورية ، وفي خلال سبعين يوما شهد العالم تجربة ثورية فريدة فتمت أكثر الانتخابات حرية عرفها التاريخ السياسي كله ، وتم إقرار مثالي لقيم الحرية والعدل والمساواة حتى اضطرت زوجات الوزراء الى الخروج للمغاسل العامة لغسل الملابس ، ولكن كوميون باريس سقط وفشل ، لأن الثوار لم يعرفوا كيف يحكمون ، فلم تتم السيطرة على الجهاز العصبي للدولة ، والممثل في البنوك ومؤسسات التمويل والتحويل والادارات العامة . . فتلاعب بنك فرنسا بالثورة . . كما لم ينجح الثوار في القضاء على جهاز الدولة القديم ، فتآمر ضدهم ، ولم يقوموا باعادة تنظيم الادارة بشكل هرمي من أعلى الى أسفل ، وأهملوا انشاء قيادة عسكرية منظمة ، تضع خطة محكمة للدفاع عن الثورة ، وتنسق جهود المدافعين ، ولم تحاول أن تمتد خارج باريس ، فظلت محصورة ومحاصرة ، وشنت الحكومة الفرنسية الهاربة الى



● بسمارك



● ماوتسي تونج

فرساي هجوما وحشيا على باريس ، فسحقت الثورة مستخدمة أبشع وسائل القتل الجماعي ، وعلى الرغم من انتهاء الثورة لفرط مثاليتها ، إلا أنها ظلت تحتل مكانة متميزة في الفكر السياسي والاشتراكي ، كما قلنا ، فهي ثورة أكثر تقدماً ، من أن تصبح ثورة بورجوازية ديمقراطية ،وأقل تنظيماً من أن تصبح ثورة اشتراكية . □

كومبرادور

مصطلح اقتصادي سياسي ، شاع استخدامه في الأدبيات السياسية والاقتصادية في الثلاثين عاما الأخيرة ، وهو مصطلح ليست له ترجمة عربية ، وينطق ويكتب عربيا كما ينطق بالانجليزية ، للدلالة على الرأسمالية الطفيلية ذات الطابع التجاري ، والذيلية لرأس المال الأجنبي ، وأول من أطلق المصطلح هو (ماوتسي تونج) ليصف به الصيني الممثل لشركة أجنبية عالمية في الصين ، ثم شاع المصطلح بعد ذلك في أدبيات التنمية والتبعية ، خاصة في كتابات مفكري أمريكا اللاتينية ، وبعض الكتابات العربية .

والرأسمالية الطفيلية أكثر ما تكون انتشارا في البلدان النامية،وهي رأسمالية يصعب تحولها الى رأسمالية منتجة،ويتمثل نشاطها الأساسي والرئيسي في أعمال التوكيلات والسمسرة والوساطة ، وتمثيل الشركات الأجنبية .

وتعود الجذور الاجتماعية لهذه الشريحة البرجوازية الى أثرياء الريف والمدن ، ولها جذور في الجهاز البيروقراطي للدولة ، أي الشريحة القادرة ماديا على تمويل عمليات الائتمان اللازمة لبداية عمليات الوساطة والسمسرة ، وتعد هذه الشريحة أهم عائق في تطوير أدوات وطاقات الانتاج ، لتعارض هذا التطور مع مصالحها المرتبطة بالشركات الأجنبية التي تهدف الى هدم الصناعات الوطنية ، وتحويل الدول النامية الى مجرد مستورد تابع غير قادر على الاستقلال الاقتصادي .

وتؤثر هذه الشريحة في المجتمعات ببث قيم الاستهلاك الترفي ، وقيم اجتماعية معوقة للعمل الانتاجي ، كما تسهم في تخريب الاقتصاد الوطني ، بالمضاربة في العقار وتجارة العملة والتهريب ، بالاضافة الى أنها تظل مهما تطورت ونما حجم استثماراتها مجرد تابع للراسمالية العالمية بكل أهدافها . □

حكايات شرق وغرب

راعى الغنم المليونير

● هل يغير المال حياة الناس ؟ واذا تغير أسلوب حياتهم ، فهل تتغير معه نفوسهم ؟ هذه قصة فلاح بسيط قضى عمره يرعى الأغنام فى أرضه التى ورثها عن أبيه بجزيرة سارديبيا ! وفجأة أصبح الراعى مليونيرا .. فقد شاءت الصدفة وحدها أن يختار أغاخان قطعة أرض فى الجزيرة تجاور أرض الراعى مباشرة ، ليقيم عليها قصرا وارتفع ثمن الارض التى كانت ترعى فيها الاغنام ، واستطاع بعض الأصدقاء أن يقنعوا الراعى ببيع الأفدنة الخمسة التى تجاور حديقة القصر مباشرة ، بمبلغ يوازى نصف مليون جنيه استرليني ، أودعوها باسمه فى البنك .

ولكن صاحب الأرض والأغنام مضى يعيش حياته كما تعود أن يفعل ، فقد كان الراعى ويدعى ايفسيوكاشيولى الذى اقترب من عامه الخمسين يجد فى صحبة أغنامه متعة وهو يمشى معها فوق التلال ، ويقف يتأملها وهى تبحث عن غذائها فى الأرض . فقد كانت أغنامه هى كل حياته . كان يرى فيها أطفاله الصغار الذين لايحتمل أن يبتعد عنهم لحظة واحدة ، فقد بقى طوال هذه الأعوام بلا زواج .

وتمر الأيام وايفسيو يخرج مع أغنامه فى الصباح ، ولايعود الى كوخه الصغير الا مع الغروب .. ولكنه ، كان يصحو فجأة على نظرات الاشمئزاز التى كان أهل القرية يستقبلونه بها ، كلما ذهب الى السوق ليشترى شيئا . فقد كانت ملابسه الريفية تحمل رائحة أغنامه التى يعيش وسطها .



وتذكر أنه يملك « بعض المال » فى البنك .. فلماذا لايسحب مبلغا صغيرا يشترى به ملابس جديدة ، يضع فيها جسمه النحيل قبل أن يذهب الى السوق .. حتى يجنب نفسه نظرات الازدراء والاشمئزاز ؟

وقصد الى البنك .. ولكنه ماكاد يخطو بضع خطوات الى الداخل حتى فوجىء بحرس البنك يستوقفونه ثم يطلبون منه الخروج بسرعة ، فليس هذا مكان استجداء المال من الناس ، فقد تصوروا أن

الـراعى صاحب أكبر رصيد فى البنـك الصغير ، متسول جاء يطلب احسانا .

وعبثا حاول الرجل أن يشرح لهم لماذا جاء ، وانه ليس متسولا كما يتصورون . وعاود الكرة ، ولكنهم كانوا فى كل مرة يزدادون خشونة فى معاملته .

وأخيرا لم يجد ايمسيو مفرا من الذهاب الى جيرانه الجدد ، الذين اشتروا قطعة الارض ، وأودعوا ثمنها باسمه فى البنك

وحملوه معهم فى سيارتهم الفارهة . . وشاهده حرس البنك وهو يهبط من السيارة ، والسائق ينحنى له فى احترام شديد ، فحيوه وأفسحوا له الطريق

وسأل مدير البنك الراعى المليونير ، بعد أن قدم له اعتذاره بالنيابة عن جميع العاملين : « كم حبيها تريد ياسيدى . . الفا أو الفين ؟ »

وقال الرجل : لاياسيدى أريد خمسين حبيها فقط لأشترى بدلة جديدة ! »

من هنا الى الأبدية

ماذا تصنع الحروب بالرجال ؟ هذا هو السؤال الذى أجاب عنه الكاتب الامريكى المعروف « جيمس جونز » الذى رحل عن هذا العالم المضطرب عن ٥٦ عاما (١٩٢١ - ١٩٧٧) . فلم يكن جونز كاتبا تقليديا ، وانما كان رجلاً نشأ فى قاع المجتمع ، وذاق مرارة الحرمان وقست عليه الحياة فأصابته بجروح غائرة . وقد صورت له آلامه أن الهرب الوحيد الباقى امامه للتخلص من المأساة التى عاشها هو أن يلتحق بالجيش ويحارب . !

ولكن لماذا الحديث الآن عن هذا الكاتب الـذى رحل عن عالمنا منذ اكثر من ثمانى سنوات ؟ انه الكتاب الجديد الـذى صدر اخيرا بعنوان « الى الابدية » أو حياة « جيمس جونز » لواحد من الكتاب القلائل الذين عاصروا رحلته ، وعاشوا قصة سقوطه ثم انطلاقته التى اوصلته الى مصاف اعظم الكتاب المعاصرين ، وهو « فرانك ماك شين » .

لقد بدأت مأساة جونز مع فترة الكساد الاقتصادى فى الثلاثينيات ، وكان طفلا صغيرا لايعى شيئا من امور الدنيا ، غير أن صورة واحدة بقيت عالقة فى ذهنه . . انها صورة الاب الذى عاقر الخمر ، واصبح مدمنا ، وكيف تسبب ادمانه هذا فى اصابة امه التى احبها الى درجة العبادة ، بمرض لم تبرأ منه ، ولم تجد وسيلة الى الخلاص من الحياة التعسة التى تعيشها مع هذا الزوج العربيد الا فى تكريس ما تبقى لها من عمر فى العبادة !

ويدخل جونز الجيش مع بداية نشوب الحرب العالمية الثانية . . وفى الجيش يجيب عن السؤال



المحير : « ماذا تصنع الحروب فى الرجال . ولماذا يحاربون » ؟ ، فقد كتب يقول « فى الحرب موت ودماء ودمار . . ولكن وسط هذه النيران التى قد يخرج منها البعض حياً . . تولد اعظم الافكار من خلال هذه التجربة مع الموت » ! وقد كان جونز احد هؤلاء الذين كتبت لهم الحياة بعد الحرب ، وعاد الى البيت الذى تركه ، فوجده خاليا ، فقد رحل الابوان ، وعاش فى وحدته مع القلم ، فاذا به يخرج على العالم بأول واروع قصصه : « من هنا الى الابدية » . وسجل الكتاب رقما قياسيا فى التوزيع ، وشجعه النجاح على كتابة قصته الثانية « المسدس » ثم « الخيط الرفيع الاحمر » ، « والصفارة » .

وعندما قرر جونز أن يبحث عن امرأة تشاركه حياته ويبدأ معها حياة الاسرة ، رفض أن يعيش فى

نيويورك ، وترك امريكا كلها وذهب الى باريس . ومن خلال لقاءاته بالناس فى الشارع وبالجنود الذين كان واحدا منهم فى الحرب الثانية » ، والشباب الذين يتطلعون الى المستقبل فى خوف شديد ، واخيرا باصحاب المتاجر الصغيرة فى الضاحية التى اختارها لسكنه ، كتب أحسن قصصه فوق هذه الارض الجديدة التى مازال ترابها يحمل رائحة أعظم ثورة على الظلم والاستعباد .

قلب الطبيب !

أسرع الجراح الكبير البروفسور جوليلمو الى غرفة العمليات فى أحد المستشفيات القريبة فى مدينة تورينو بايطاليا بعد أن تلقى اشارة بوقوع حادث سيارة على الطريق السريع ، أسفر عن اصابة شاب صغير باصابات خطيرة .

ودخل الجراح الغرفة فوجد مجموعة من الجراحين يحيطون بالمصاب وقد انهمكوا فى اجراء بعض الاسعافات الاولية له فى انتظار وصول البروفسور جوليلمو . . وما كادوا يرونه قادما حتى اسرعوا يفسحون له الطريق . . واقترب الجراح الكبير من الشاب المصاب ، ولكنه ما كاد يلقى نظرة عليه حتى أحس بدوار وكاد يسقط على الأرض ، فلم يكن المصاب سوى ابنه كارلو الذى لم يبلغ بعد عامه العشرين . .

وكانت لحظة من اقسى اللحظات التى مر بها الاب طوال عمله الذى قضى فيه أكثر من نصف عمره ، وهو يقوم بانقاذ ارواح الناس . . وقال الاب فى صوت تخنقه الدموع : « ابنى يحتضر . . انه فى حاجة الى جراحة عاجلة . . انه مصاب اصابات بالغة فى الكبد والطحال !

ثم اتجه الاب الى زملائه الجراحين يسألهم : « كيف وقع الحادث ؟ » وردد احدهم فى صوت خافت : « لقد صدمته سيارة مسرعة وقذفت به الى عرض الشارع . !

وعاد الاب يتطلع الى وجه ابنه . . لم يكن الابن المصاب فاقد الوعى . . وما كاد يفتح عينيه ويرى والده بجواره حتى ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة . ثم راح يتمتم : « الآن فقط استطيع أن اغمض عينى واستريح فأنا بين يدى اعظم جراح فى العالم ! »

وراح الأب يعمل بسرعة . . وانقضت عدة ساعات قبل ان يتمكن من استئصال الجزء المتهتك من الطحال . . ولكنه ما كاد ينتهى من مهمته ، حتى اسلم الشاب الصغير الروح . واسرع الاب بالقيام بعملية تدليك للقلب فى محاولة يائسة لاعادة النبض ، ونجحت المحاولة وفتح الشاب عينيه ولكن للحظات قصيرة ، مالبث ان توقف بعدها قلبه عن الحركة تماما . . ولكنها كانت كافية لأن يقول الابن لابيه فى صوت خافت : « مازلت اعظم جراح فى العالم ياأبى ! ومات كارلو وهو يبتسم !

الوصية الأخيرة

ترك العم الثرى ثروة هائلة لاسرته بعد أن اودعها فى حساب التوفير بأحد بنوك كوبنهاجن عاصمة الدانيمرك . واجتمع افراد الاسرة حول محامى العم بعد ايام من رحيله ليستمعوا الى الوصية وهو يقرؤها عليهم . . وراح المحامى يقرأ . . لقد كان العم كريما وعادلا ، فقد اوصى بان توزع ثروته على جميع اقاربه بالتساوى . . !

ولكن شيئا واحدا فاته أن يذكره فى الوصية ، وهو المكان الذي وضع فيه دفتر التوفير !

وبدأت عملية البحث عن الدفتر الغائب . . فالبنك لن يستطيع أن يصرف لهم هذا المبلغ الكبير الذى تركه العم قبل مضى عدة شهور حتى يتأكد من أنه لم يقع فى يد احد من غير ورثة العم الراحل . والورثة يتعجلون توزيع الثروة حتى يتمكنوا من

الوفاء بالتزاماتهم المتراكمة !
واخيرا خطر لهم ان يسألوا مدبرة البيت . وكانت المفاجأة عندما قالت لهم فى هدوء : « لقد كان يحمله دائما فى جيب سرى ببدلته الزرقاء الانيقة التى كان يرتديها فى المناسبات ! وصرخ الورثة : « انها نفس البدلة التى كان يرتديها العم عندما واروا جثمانه التراب !

واسرع الجميع الى المقبرة التى دفنوا فيها العم ، واخرجوا الجثمان وعثروا على دفتر التوفير، ولكنهم وجدوا معه رسالة قصيرة كتبها العم بخط يده يقول فيها : «إذا عثرتم على هذا الدفتر ، فمعنى ذلك انكم قمتم بتنفيذ آخر رغبة لى فى الحياة ، وهى الا تحرقوا جثمانى بعد موتى ، كما كنتم تفعلون دائما مع الأقارب الذين رحلوا من قبلى !

ماذا يصنع الحب ؟

● ابتكرت كارمين سيشيللو من مدينة حنوا بايطاليا طريقة جديدة لوقف شخير الازواج أثناء النوم والاختراع الذى توصلت اليه عبارة عن قلادة تعمل بالبطارية حول عنقه وهو نائم،فاذا بدأ يشخر اطلق شخيره ذبذبات تؤثر على جهاز صغير فى القلادة متصل بالبطارية التى لا تلبث أن تطلق شحنة كهربائية خفيفة توقظه من النوم فيكف عن الشخير !

وتقول كارمين وهى زوجة وأم لطفلين فى الأربعين من عمرها : « لقد امضيت عدة سنوات فى محاولات مستمرة للوصول الى هذا الاختراع ، لاننى احب زوجى ولا اريد أن افترق عنه بسبب هذه العادة السيئة !

وقد سجلت كارمين اختراعها وسيعرض قريبا للبيع فى أسواق ايطاليا !

صفعة على وجه أرملة تيتو !

● لا احد يعرف حتى الآن لماذا هجر تيتو زعيم يوغسلافيا الراحل ، زوجته ورفيقة كفاحه جوفانكا عام ١٩٧٧ ، الى ما قبل رحيله بثلاث سنوات . . لقد دب الخلاف بينهما الى الحد الذى قيل معه ان الزوجة تحيك خيوط مؤامرة للاطاحة بالرجل الذى أصبح رمزا لتحرير يوغسلافيا ووحدتها . .

ثم رحل تيتو فى عام ١٩٨٠ واختفت جوفانكا لفترة من الوقت دامت عدة سنوات ، ثم مالبثت أن عادت أخيرا الى الأضواء ، ولكنها كانت عودة مشينة ، تمنى اليوغسلافيون لو لم تحدث ، فقد وقفت



تطالب باسترداد كل ما كان يملكه زوجها الراحل من سيارات وتحف وأوانٍ فضية ولوحات فنية ، تبلغ قيمتها ملايين الدولارات !

وتدخل البرلمان اليوغسلافى فى النزاع القائم بين أرملة الزعيم وبين الحكومة ، واذاع مشروعا بقانون قدمه مجموعة من الاعضاء يوجه اللوم الى جوفانكا ، ويؤكد أن هذه الممتلكات كلها هدايا قدمت للرئيس تيتو من الملوك والرؤساء على مدى الاعوام الخمسة والثلاثين التى تولى فيها زعامة يوغسلافيا ، وبناء عليه فان ملكيتها تعود الى الدولة بعد رحيله ، وليس لأرملته الحق فى الاستيلاء عليها ، لانها اصبحت الآن ثروة قومية تحتفظ بها الحكومة فى المتحف الذى اقيم للرئيس الراحل فى مدينة سراييفو ، بجنوب يوغسلافيا .

ويقول اصدقاء جوفانكا التى جاوزت الآن العام الحادى والستين من عمرها انها رفضت ثلاثة عروض للزواج بعد وفاة زوجها ، كان آخرها من احد قادة الحزب الشيوعى اليوغسلافى المقربين لتيتو .

قصة من الخيال العلمي



إننا نراقب أحلامك

اعداد : رءوف وصفي

في الردهة الفاخرة . قال الزائر مجاملا : « شكرا من أجل العشاء . ان زوجتك سيدة فاضلة »

ابتسم الدكتور (س)

وبمجرد دخولهما من الباب المكسو بالمخمل . . أضيئت الأنوار الخافتة . ومن مكان مجهول امتلأت الغرفة برائحة البخور المعطر وبنغمات الموسيقا الحالمة نظر الزائر حوله في دهشة . . عاد الدكتور (س) يبتسم ، ولكن بشيء من السخرية .

- أرى انك تبحث عن مكتب أو منضدة . ان الرجال في مثل مركزي لايحتاجون الى أي منهما ، لم يكن هناك حتى مقاعد فقط مجموعة من الأرائك الفاخرة في أرجاء الغرفة الواسعة وعدد من الوسائد الضخمة الملونة التي تتناثر على الارضية المغطاة بالسجاد الفاخر . وعلى الجدران ديكور من الفن الشرقي .

ابتسم الزائر وهو يتساءل

- « تبدو لي كاحدى غرف قصور ألف ليلة ! » ضحك الدكتور (س)

- يروق لي أن يكون مكتبي الخاص محاطا بهذه الديكورات. اعترف انني خيالي الى حد ما، أومأ الزائر متفهما . وقال وهو يرقد على احدى الأرائك المريحة مقلدا الدكتور (س)

- «ويبدو لي أنك تحب أن تعيش بالقرب من مكان عملك » .

- « ان وظيفتي ككبير مراقبي الأحلام . . يتطلب عملا وجهدا متواصلين . فنحن نراقب أحلامهم ليل نهار . . انظر !





ضغط الدكتور (س) على زر في الأريكة التي يرقد عليها . . فانساب من السقف دراع معدني طويل . . نزل ببطء شديد . . بلونه الرمادي الداكن . . كان ينتهي بجهاز بلوري مثلث . . . لمس الجزء الاعلى البارز منه . . فتحرك الجدار المواجه لهما . . وكشف عن شاشة هائلة متألقة ، اتخذ الدكتور (س) وضعا مريحا فوق الأريكة ، وقال بلهجة آمرة في الميكروفون الدقيق المثبت بالمسند .

ـ « أوصلني بأحلام المجرم ب ٧٢٣»

بدأت موجات من الضوء تتداخل فوق الشاشة . . ألوان الطيف كلها تختلط في دوامة سريعة . . ثم تبدأ بعض الألوان في الانطلاق بحركة دائرية حول الشاشة الهائلة . . وتتخذ بعد ذلك شكل نافورة من الألوان المتألقة سرعان ماتخفت تدريجيا . . .

ظهرت عدة أشكال رمادية بوسط الشاشة . . غامضة في بادىء الأمر . . ثم بدات الخيالات في الوضوح . . بعضها أشخاص . . رجال ونساء وأطفال . . والبعض الآخر أشياء كالظلال . . مقاعد . . وطرق . . ومنازل . . وسيارات . . وجبال . .

كان الزائر يحدق في الشاشة في ذهول . . وأخيرا استطاع ان يتحدث :

ـ « هل هذه . . أحلام »

قال الدكتور (س) وهو يتابع الأحداث فوق الشاشة باهتمام بالغ . .

ـ « انها احلام المجرم ب ٧٢٣ . . . رئيس التنظيم السري . . . كانت أسرارنا تنقل اليه . . . ولم نضبطه أبدا متلبسا . . أود أن أعرف الخائن الذي يحذره في الوقت المناسب . . انظر . . . . انظر . . لقد بدات الصور تتضح »

تساءل الزائر في تعجب . .

ـ « ولكن أين الحالم ؟ »

أجابه بصوت يخلو من التعبير

ـ « من النادر أن ترى الحالم . فاننا نرى من خلال عينيه . . أنظر . . العجوز التي بدات معالمها تتضح . . والطفل في الطرف الأعلى الأيمن من الشاشة . . والبحيرة المتلاطمة الأمواج التي تفصل بينهما . . انه يحلم بطفولته . . الوغد يحلم بطفولته ! » ذابت أشباح العجوز والطفل والبحيرة . . في الخلفية الملونة الدائمة التغير . . وتبدل المنظر ببطء . . فظهر حمل صغير ناصع البياض ، يسير بين مروج خضر ، سرعان ماتكونت فوق الشاشة . . وفجاة فتح فمه فصدر منه صوت رضيع آدمي !!

بوغت الزائر تماما. فقد كان هذا أول صوت يصدر عن شاشة الأحلام . . وسأل في لهفة وهو ينظر الى الدكتور (س) . .

ـ أتعنى أنه يمكنك أن تسمع الأحلام أيضا ؟ »

قهقه الدكتور (س) بصوت مرتفع :

ـ « بالطبع ياصديقي . . فان لدينا علماء الكترونيات أكفاء . . وهم يعرفون عملهم جيدا »

قال الزائر وقد غاب عنه المعنى :

ـ « وكيف تراقبون أحلام ب ٧٢٣ ؟ »

تألقت العينان الضيقتان القاسيتان . .

ـ « دبرنا له حادث سيارة . . وفي المستشفى استطعنا أن نجري له عملية جراحية ، زرعنا بها فوق الغدة النخامية داخل مخه . . جهازا دقيقا جدا أقل من رأس الدبوس . . معجزة علمية . . وباستخدام أشعة الليزر . . ينقل الينا أحلامه . . من خلال محطات تقوية دقيقة مثبتة داخل منزله ، . . وفي كل الأماكن التي يحتمل أن ينام فيها »

قال الزائر وقد سيطر على نبرة صوته :

ـ « وكيف اخترعتم آلة الاحلام هذه ؟ »

تريث الدكتور (س) برهة ثم قال في بطء :

ـ « لاشك أنك تعلم أن الأفكار تنشأ بفعل نبضات كهربية في المخ . . وهذه بدورها تحدث حقولا الكترومغناطيسية ضعيفة . وكانت نظرية العلماء تقول بأنه يمكن بناء نماذج من الأفكار المرئية والمسموعة من هذه الحقول . . ولكن للأسف لم نوفق في هذا العمل . . وبالمصادفة وجدنا أنه يمكن استخدام نفس الجهاز بنجاح مع الأحلام . . »

هتف الزائر في اعجاب

ـ « شيء رائع »

بدأت الصور والألوان تتداخل فوق الشاشة مرة أخرى . . وظهرت أشباح طويلة تتواثب ، وبدت وجوهها كالوحوش . . وأياديها كالأفاعي . . وملأت الغرفة بصرخاتها المروعة . .

شعر الزائر بشفقة على ب٧٢٣ . . دون أن يعلم ماهي جريمته . . مسكين . . فهو في هذه اللحظات يعاني من من كابوس مرعب . .
ذاب المشهد في نماذج متداخلة . . وانخفض الصراخ ليصبح كالفحيح . . وعلى الشاشة وصحت صورة غرفة صيقة فيها عدد من النساء والرجال يجلسون فوق الأرض . . وكانت وجوههم المرهقة في اتجاه الدكتور (س) والزائر . .
قال الدكتور (س) في همس . .
ـ « انه يحلم باجتماع ما . وأظن انه على وشك القاء خطبة . . ان هذا الحدث بالغ الأهمية . . فهذا الحلم يراقبه أشخاص آخرون . . في همس غرف احري . فوق الشاشات . . أرجو أن نستطيع التعرف على كل من حصر هذا الاجتماع . . ولكن هناك بالطبع عدة صعوبات تواجهنا ، . ففي بعض الأحيان تتداخل الوجوه في الحلم ، ، بحيث يصعب التعرف عليها بوضوح »

قهقه الدكتور (س) في وحشية . . وهو يعتدل في جلسته على الأريكة ،
ـ « انني وراءه حتى في أحلامه ! »
ثم استدار الى الزائر وقال :
ـ « أعتقد أنك مللت هذه الصورة . . هل أطفىء الشاشة . . فكل هده الأحداث تسجل في كل غرف المراقبة . . ويمكنني رؤ يتها في أي وقت »

وضع يده فوق الجهاز البللوري المثلث . .
هتف الزائر محتجا . .
ـ « كلا . . كلا . . ان الأمر ممتع للغاية »

تغير المنظر فوق الشاشة . . وظهرت مروج أخذت تموج بالألوان ، حتى ساد اللون الأخضر . . وبدت فتاة تسير وحيدة في بطء . . كانت ترتدي ملابس عتيقة الطراز . . وشعرها الأسود يتطاير في الهواء، . . ثم استدارت لتواجه الزائر والدكتور (س) . . كانت فاتنة ووجهها مستديرا . . ينبيء عن الحب الأول . . وعيناها سوداوين تشعان ذكاء . . وابتسامتها مفعمة بالمودة والألفة . . اعتدل الدكتور (س) في جلسته وأخذ يراقب الشاشة باهتمام بالغ . .
همس للزائر . .

ـ « نحن نعرف أن المجرم ب ٧٢٣ لم تكن له حبيبة لمدة طويلة . . على الأقل حتى بدأنا مراقبته »

عاد الزائر يراقب الشاشة في اهتمام . . ظهر شبح رمادي بجانب المرأة . . سرعان ما اتضحت معالمه . . شاب يريدي ملابس فضفاضة من نفس الطراز العتيق . . وكان يمسك بيد الفتاة.قال الدكتور (س) بدهشة :
ـ « هذا حلم نادر الحدوث . . حيث يراقب الحالم نفسه عندما كان شابا . . انه حلم صادق ، ويعطينا معلومات دقيقة عن الشخص المراقب . . لقد عرفت الفتاة الأن . . انها حبيبة المجرم ب ٧٢٣ عندما كان شابا . . . »
قال الدكتور (س) الكلمات الأخيرة بازدراء . . ثم أكمل
ـ « . . . . لقد أعدمت الفتاة »
تعانق الشابان في صمت . . . وبحركات نطيئة . . كممثلي البانتوميم . . كان المنظر حقيقيا . . . وكان من الصعب على الزائر أن يفكر أن مايراه مجرد صور من عقل يحلم . . وعندما عرف أن الفتاة قد أعدمت أضاف هذا جوا غريبا على المنظر فوق الشاشة . . لقد سلموها لطيور الموت . . فهل عاملوا جسدها بعد الموت بالاحترام الواجب ؟
صرخ الدكتور (س) فجاة :
ـ « اعرفك يال ٤١٤ . . ولكنك ميتة . . . ميتة »
استدارت فاذا بها امرأة أخرى . . أكثر بياضا . . وذات شعر أشقر قصير . . وترتدي وشاحا أحمر فوق رقبتها . . وعيناها الخضروان تومضان في غموض . . كانت ملابسها من أحدث طراز . . شهق الدكتور (س) . . نهض من فوق الأريكة بسرعة . . انتصب واقفا وقد اضطرب توازنه . . . . وامتقع وجهه . .
ظهرت قطرات من العرق على جبهة الزائر . . وتقلصت حنجرته ، وبدا وكأنه غير قادر على التنفس . . ارتجفت يداه . . واعتدل في جلسته بعصبية . . وكان عليه أن يقرر . . هل من الأفضل ان يتكلم ؟ . . ام يلتزم الصمت . . هل يستمر في مراقبة الشاشة . . أم يحاول الهرب من المكان بسرعة . . لم يستطع أن يتخذ قراره . . فقد أصابه المنظر بالشلل التام . . وفي هذه اللحظات العصيبة . . تحول الدكتور (س) من رفيق دراسة . .

الى كبير مراقبي الأحلام . . فوق الشاشة . . اقتربت المراة الشقراء من ب ٧٢٣ . . همست بصوت واضح . .

ـ « انا أحبك ايضا . . لست ل ٤١٤ . . لقد ماتت . . أنا ف ٦٧٢١ »

أجابها ب ٧٢٣ في حنان غريب :

ـ « ان من يحبني يموت . . حتى الذي يعرفني نهايته محتومة . . »

قالت في حماس :

ـ « كلنا سنموت يوما ما . . فلماذا لانموت الآن . لنحلب الحرية للآخرين »

دفن الدكتور (س) وجهة بين يديه . . وقال بصوت مفعم بالحزن . . ووجهه يحتقن بالدماء . .

ـ « انها زوجتى . . زوجتي الخائنة »

شعر الزائر بانه يجب أن يتكلم . بعد أن وصلت الأمور الى هدا الحد . . فقد كان يعلم منذ ظهورها على الشاشة بانها زوجة الدكتور (س) فقد قابلها مساء اليوم . .

استدار الى الدكتور (س) وقال :

ـ « في الأمر خدعة . . يبدو أن ب ٧٢٣ قد حصل على صورة زوجتك ، ربما من صحيفة أو مجلة ما ، . . وكان يعلم أن أحلامه مراقبة . . و . . . »

قاطعه الدكتور (س) في حدة :

ـ « اصمت »

شعر الزائر بانه قد أخطأ عندما تكلم . . ولم يحول الدكتور (س) نظره عن الشاشة . . ولم يستطع الزائر أن يتابع المشاهد المتلاحقة . . فقد رأى مافيه الكفاية . . وأنصت رغما عنه الى الحديث فوق الشاشة . . حديث الحب . . والشوق . . والألم والعذاب . . ثم ساد الصمت . . فنظر الزائر الى الشاشة من خلال عينين مجهدتين . . لقد أظلمت تماما . . وعاد الجدار الى مكانه . . جلس الزائر يحدق في الفراغ مقطب الجبين . . يحاول أن يحلل الخوف المروع . .

قال الدكتور (س) في برود . . وبطء :

ـ « سأتخلص منهم جميعا . . بما فيهم زوجتي الخائنة »

نظر اليه الزائر في ذهول وهو يرتجف . . وأكمل الدكتور (س) وهو ينظر الى الزائر في تحد :

ـ « . . . وانت ايضا . . فقد رأيت أكثر مما ينبغي . . وعرفت مالايجب أن تعرفه »

قال الزائر في رعب :

ـ « يجب أن تدرك يادكتور س . . أن هده خدعة واضحة . . القصد منها الاساءة اليك ، . فالاحلام عبارة عن تنفيس للعواطف المتضاربة داخل العقل الباطن . . وبصورة رمرية »

بقي الدكتور (س) صامتا . . وأكمل الزائر بصوت مفعم بالخوف »

ـ « لقد اخبرتني بنفسك أن حلم ب ٧٢٣ . . يراقب من عدة غرف أخرى . . ويسجل في نفس الوقت . . ادن هناك العديد من المراقبين يعرفون ـ بحاني ـ هذا السر ! » أطرق الدكتور (س) لدقائق . . ثم رفع رأسه وقال دون أن ينظر الى عيني الزائر

ـ « ادهب »

وامسك بالجهاز البلورى المثلث وضغط على أحد الأزرار . . فانشق الحدار عن مصعد صغير من معدن رمادي .

ـ « . . . يوصلك هذا المصعد الى باب خارجي ليست عليه حراسة »

قال الدكتور (س) في صدق :

ـ « وداعا »

كانت ثمة دموع في عيني الزائر ، وهو يتجه بخطوات سريعة الى المصعد . . وبمجرد دخوله أغلق الباب آليا . . وهبط به الى الطابق السفلي .

لم يصدق الزائر أنه أصبح حرا . . أخذ نفسا عميقا في الهواء الطلق المنعش . . وأول سؤال خطر بذهنه

ـ « كم من أحلام الناس مراقبة ؟ »

وتوالت الأسئلة

ـ « هل يمكن أن تمنع الأحلام ؟ »

لم يجد اجابات مقنعة للاسئلة التي أخذت تتلاحق في ذهنه . . كالسنة من اللهب . . أحس بأنه منهوك القوى . . وأن الزمن قد أبطأ فجأة . .

نظر الى السماء . . وروعة هذا الامتداد اللامحدود . . وخيل اليه أن النجوم أصبحت شاحبة ! وتكاد تختفي من الفضاء . . بينما ازدادت حلكة الليل . . وأصبحت كالعباءة السوداء القاتمة عندما شملته . . وهو يمتزج بها . . □



معدل الإصابة بحالات

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري *

ان انتشار الأمراض في أمة من الأمم يعكس التركيبة الجينية لأفراد هذه الأمة ، ومما يساعد على ذلك الحالة الغذائية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والنظافة ، ونوعية الطقس ، وفعالية الخدمات الطبية المتوافرة لخدمة أفراد هذه الأمة . ولعل الاصابة بالامراض الجلدية من أبرز هذه الحالات التي نقدمها

تجربة تتجاوز حدودها

من الملاحظ أن هناك بعض أنواع من الأمراض تنتشر في أمة دون أخرى ، حيث العامل العرقي يلعب دورا بارزا في انتشارها. فتتوارث أجيال متلاحقة صفات وراثية معينة تؤدي الى انتشار بعض الأمراض دون غيرها ، وإن كانت السمة العامة أن الانسان هو الانسان ، وأن الأمراض هي الأمراض حيثما كانت الحياة بخصائصها ومتغيراتها .

وقياس معدل انتشار الأمراض ، يساعد الحكومات والمؤسسات الصحية في دراسة أسباب انتشار هذه الأمراض ، مع وضع الحلول للحد من انتشارها

وإذا كانت دراستنا المتناولة قد اتخذت من الكويت مهدا ومستقراً ، فذلك لأنها ألصق البيئات التي توافرت لنا إمكانات البحث والدراسة الموضوعية المباشرة فيها ، وهي لاتختلف كثيرا عن مثيلاتها من دول الخليج وباقي الأقطار العربية ، بل إننا لا نبتعد كثيرا عن الحقيقة العلمية حينما نقرر انسحاب دراستنا في هذه التجربة على كثير من شعوب العالم واقطاره ومن هذا المنطلق قمت مع الدكتورة طيبة المنيس

* استشارى الأمراض الجلدية والتناسلية . الكويت

بمساعدة الدكتور محمد الشايب المدرس في قسم الرياضيات في جامعة الكويت بعمل دراسة احصائية عن معدل اصابة الأمراض الجلدية في الكويت ، وشملت هذه الدراسة المرضى المترددين على مستوصف المنصورية للأمراض الجلدية في الفترة ما بين يناير ٨٣ الى ديسمبر ١٩٨٤ ، حيث يخدم هذا المستوصف المناطق التالية : الشرق ، المرقاب ، القبلة ، بنيد القار ، الشعب ، دسمان ، الدسمة ، النقرة ، حولي ، القادسية ، المنصورية . حيث تبلغ الكثافة السكانية في هذه المناطق ٣٦٨١٤٨ نسمة ويعادل هذا الرقم ٢٢٪ من تعداد سكان الكويت .

هذا وقد تبين لنا بأن عدد المرضى المترددين على مستوصف المنصورية للأمراض الجلدية في الفترة المذكورة هو ٢٢٥٠٥ مريض ومريضة منهم ١٢٢٤٩ أنثى ، ١٠٢٥٦ ذكر .

يبلغ عدد المرضى الكويتيين من هذا المجموع ٧٧٤٥ ، منهم ٤٨٠٣ انثى و ٢٩٤٢ ذكرا ، بينما يبلغ عدد المرضى غير الكويتيين ١٤٧٦٠ منهم ٧٤٤٦ أنثى و ٧٣١٤ ذكرا ، من هذه الأرقام يتبين لنا أن نسبة المرضى الكويتيين المترددين على مستوصف المنصورية للامراض الجلدية تبلغ ٣٤,٤١٪ بينما تبلغ نسبة المرضى غير الكويتيين ٦٥,٥٩٪ .

أكثر الأمراض انتشاراً

لقد تبين لنا من هذه الدراسة بأن أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في الكويت هي التالية :-

١ - أمراض الحساسية بأنواعها « الأكزيما » إذ تبين بأن الأكزيما بأنواعها هي أكثر الأمرض الجلدية انتشارا في الكويت ، حيث تبلغ نسبة الاصابة بهذا المرض ٢٣,٣١٪ ، ويمكن تعريف الأكزيما بصفة عامة بأنها عبارة عن التهابات تصيب الطبقات السطحية من الجلد ، وينتج عن ذلك حكة شديدة مع احمرار في الجلد ، وتكون فقاقيع صغيرة مملوءة بسائل شفاف ، وهذه الفقاقيع تظهر عند الأطفال أو عند ملامسة الجلد بمواد يكون حساسا لها ، مثل : الاسمنت والأصباغ ، والنيكل ، والذهب ، وبعض أنواع الأدوية الموضعية ومستحضرات التجميل .

بينما هناك أنواع من الأكزيما يكون مكان الاصابة به جافا مع ازدياد في سماكة الجلد مع حكة شديدة ، ووجود قشور وتلون الجلد بلون داكن

وأكثر أنواع الأكزيما انتشارا في الكويت هي الأكزيما الناتجة عن ملامسة الجلد لمادة يكون الجلد حساسا لها ، وتليها أكزيما الأطفال الاستشرائية ، بينما أقل أنواع الأكزيما انتشارا في الكويت هي الأكزيما الحلدية الملتهبة .

٢ - الالتهابات الفطرية في الجلد تأتي في المرحلة الثانية بعد الأكزيما ، حيث تبين أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ١٢,١١٪ ، والأمراض الفطرية التي تصيب الجلد عديدة ، حيث تعتبر التينيا المتعددة الألوان هي أكثر أنواع الالتهابات الفطرية انتشارا في الكويت ، إذ يمثل هذا النوع نصف المرضى المصابين بالالتهابات الفطرية ، ومن أسباب انتشار هذا المرض في الكويت هو الحر الشديد والرطوبة مع العرق ، حيث تؤدي هذه العوامل الى انتشار المرض خصوصا في فصل الصيف . وأنواع الالتهابات الفطرية التي تصيب الجلد كثيرة ، ولكن أهم هذه الأنواع هي الفطريات الحلقية ، وفطريات الأظافر ، والفطريات التي تصيب الرأس وتعرف بالقراع ، وفطر الثنايا ، وفطر القدمين والمونيليا .

٣ - تبين لنا أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ١٠,٧٨٪ ، ويعتبر حب الشباب مرضا مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة في هذا الصدد .

أهمها : ازدياد افراز الهرمونات المذكرة والمؤنثة أثناء فترة البلوغ ، وهي فترة ظهور المرض ، حيث تؤدي هذه الهرمونات الى زيادة في حجم وافراز الغدد الدهنية ، وتؤدي كذلك الى ضيق في القنوات الدهنية التي من خلالها تصل الافرازت الدهنية الى الجلد . فيؤدي ذلك الى تجمع الدهون وانتفاخ في الغدد الدهنية ، حيث تقوم البكتيريا بتحويل الدهون الثلاثية الى دهون أحادية وثنائية والى أحماض دهنية حرة ، وهذه الأحماض الدهنية الحرة هي أحد أسباب التهاب الجلد ، وذلك بعد انفجار الغدة الدهنية وانتشار هذه الأحماض في المنطقة المحيطة بالغدد الدهنية ، فتؤدي الى ظهور حب الشباب .

اما العلاقة بين حب الشباب وتناول أنواع معينة

من الأكل ، فتتلخص بأن هناك نظرية قديمة مفادها أن الاكثار من المواد الدهنية كالشيكولاتة والقهوة والمكسرات يؤدي الى ظهور حب الشباب ، ولكن اتضح حديثا بأن هذا غير صحيح ، حيث ظهرت نظرية حديثة تنفي بأن تكون هناك علاقة بين أنواع معينة من الطعام وحب الشباب الذي يزداد بتناول المواد الدهنية ، وازدياد حب الشباب في هذه الحالات راجع للعامل النفسي ، فقد ارتبط في ذهن المريض أن أكل المواد الدهنية يزيد من ظهور المرض ، ولا أحد يستطيع أن ينكر دور العامل النفسي في ظهور حب الشباب ، حيث تزداد الحالة سوءا عندما يتعرض المريض لأزمات نفسية حادة .

٤ ـ الثالول :ـ ونسبة الاصابة بهذا المرض هي ٨,٣٥٪ وسبب الاصابة بهذا المرض هو فيروس ، حيث يظهر المرض على هيئة زوائد لحمية متفاوتة في الشكل والحجم في أي مكان في الجسم ، ولكن عادة مايظهر على اليد والساعد والقدم والساق والرأس ، والثالول اما أن يكون مفرداً أو يظهر باعداد كبيرة ، وهذا يعتمد على سلامة جهاز المناعة عند المريض ، فتكثر الثآليل عند المريض المصاب بضعف في جهاز المناعة ، هذا وقد وجد أن ٦٥٪ من حالات الثآليل تزول من غير علاج بعد سنتين تقريبا ، وذلك نظرا لتكون مناعة ذاتيه ضد فيروس هذا المرض وأود أن أذكر بأن الثالول مرض معد .

٥ ـ الالتهابات الجلدية الصديدية .ـ ونسبة الاصابة بها في الكويت هي ٤٩,٥٪ . والالتهابات الجلدية الصديدية كثيرة ومتعددة ، وتعتبر البكتريا العنقودية والسبحية من أهم أسباب الاصابة بهذه الأمراض . ويعتبر مرض الحصف أكثر أنواع الالتهابات الجلدية الصديدية انتشارا ، وهو مرض معد ، وعادة مايظهر عند الأطفال بين العائلات ذات المستوى المعيشي المنخفض ، حيث سوء التغذية وعدم النظافة ، ويكثر هذا المرض في فصل الصيف ، حيث الحرارة الشديدة والرطوبة والعرق .

وماذا عن الصدفية ؟

٦ ـ الصدفية :ـ نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٤,٢٧٪ ، بينما نجد أن معدل الاصابة به

فطريات حلقية

يختلف من مكان الى آخر ، حيث نجد ان امكانية الاصابة بهذا المرض أقل عند اليابانيين والهنود الحمر والزنوج الامريكان ، بينما تزداد هذه النسبة في بعض دول شرق افريقيا وفي الدول الاسكندنافية ومرض الصدفية يصيب الرجال والنساء ، ونسبة الاصابة عند الأطفال مادون خمس سنوات قليلة .

بقي أن نعرف أن هذا المرض مجهول السبب ، ولكن بعض البحوث تفيد بان العوامل الوراثية والاستعداد الشخصي يساعدان على ظهوره ، وذلك بوجود بعض العوامل المساعدة مثل الاحتكاك ، والالتهابات البكتيرية ، واستعمال بعض أنواع الأدوية ، والتعرض لأزمات نفسية حادة ، كذلك المناخ حيث وجد أن المرض يكثر في البلاد التي تقل فيها أشعة الشمس ، مثل الدول الاسكندنافية ، مع اضطراب في نسبة الهرمونات ، حيث تبين أن بعض الحالات تتحسن مع الحمل .

ومرض الصدفية يظهر على هيئة بقع حمراء محددة الأطراف ، جافة ، مغطاة بقشور بيضاء فضية ، وعند ازالة هذه القشور بشريحة زجاجية نجد أن الجلد رقيق أحمر اللون ، وفيه نقط دموية صغيرة ، وهناك



مرض الصدفية

أنواع عديدة من مرض الصدفية أهمها الصدفية الشائعة ، صدفية الثنايا ، الصدفية المنقطة ، الصدفية الصديدية ، الصدفية الاحمرارية ، صدفية المفاصل ، وهناك أنواع أخرى كذلك . ونستطيع ان نقول بأن مرض الصدفية من الأمراض غير المعدية ولا يهدد حياة المريض .

هذا ومن الصعب جدا ان نتنبأ بسير المرض ، ففي معظم الحالات يحصل تحسن أو اختفاء للمرض حتى دون استعمال الأدوية ، وقد تزداد الحالة سوءا مع عدم وجود سبب ظاهر

٧ - الثعلبة :- تبين أن نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٣,٠٣٪ ، حيث يؤدي هذا المرض الى تساقط الشعر بصورة مفاجئة في منطقة الرأس والذقن ، وعادة ماتكون منطقة الاصابة محدودة المساحة ، ولكن في بعض الأحيان يؤدي المرض الى تساقط الشعر من مساحات كبيرة من الجسم وقد تشمل الجسم كله ، وهذا عادة لايتعدى ٥ - ١٠ ٪ من حالات الثعلبة . والى الآن يعتبر هذا المرض مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة أهمها أن الثعلبة تظهر عندما يتعرض المريض الى أزمات نفسية حادة ، أو عندما يتعرض الى التهابات حادة أو مزمنة في الجيوب الأنفية ، اللوزتين ، الأذن ، تسوس الأسنان ، ضعف النظر ، اضطراب عمل الغدد الصماء ، والمهم بهذا المرض أن استجابته للعلاج جيدة ، وفي أحيان كثيرة يحصل تحسن للحالة من غير علاج ، بقي أن تعرف بأن هذا المرض غير معد

الارتكاريا

٨ - ارتكاريا - نسبة الاصابة بهذا المرض هي ٢,٣٤٪ ، ويظهر هذا المرض على هيئة حكة شديدة ، مع ظهور تورم واحمرار في الجلد،وسرعان ما تختفي الحالة بعد عدة ساعات لتظهر بعد فترة أخرى في مكان آخر من الجسم .

ويعتبر هذا المرض أحد أنواع الحساسية ، حيث تظهر أعراض هذا المرض بعد تعرض جسم المريض للمادة المسببة للحساسية ، وتتفاعل هذه المادة مع الأجسام المضادة التي كوّنها جسم المريض ، ونتيجة لهذا التفاعل تظهر الاعراض المميزة لهذا المرض . أما أهم المواد التي قد تكون سببا لظهور هذا المرض فهي كثيرة يصعب حصرها ، ولكن سوف أذكر أهمها ، حيث يعتبر الطعام أحد الأسباب التي تؤدي الى ظهور الحساسية ، وهناك أنواع كثيرة من

الشديدة . أو عند تعرض جسم المريض الى الاحتكاك أو الضغط الشديد من جسم صلب كذلك قد تظهر أعراض المرض عندما يتعرض المريض الى أزمات نفسية حادة

أمراض أقل انتشارا

لقد تكلمت بشيء من التفصيل عن أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في الكويت ، ولكن هناك أمراضاً جلدية كثيرة نسبة انتشارها في الكويت قليلة ، منها الأمراض التالية :ـ الأمراض التي تصيب الأظافر ١,٦٩٪ ، المذح ١,٦٨ ، البهاق ١,٤٦٪ حساسية الضوء ١,٢٨٪ النخالة البيضاء ١,١٨٪ ، فرط التقرن الحريبي ١,١٤٪ الجرب ١,١٣٪ ، طفح الحفاظ ١,٠٤٪ ، النخالة الوردية ٠,٩٦٪ ، الكلف ٠,٩٥٪ ، الثفن والمسمار ٠,٨٥٪ ، الحكة ٠,٧٥٪ ، الحرار ٠,٧٢٪ ، حساسية الأدوية ٠,٤٦٪ ، العقبول العصبي ٠,٢٩٪ ، الوحمات ٠,٢٨٪ ، القمل ٠,٢٣٪ ، المليس المعدى ٠,٢٠٪ ، قرحة بغداد ٠,١٧٪ ، ودح ٠,١٢٪ ، العقبول البسيط ٠,١٢٪ ، الحمراء متعددة الأشكال ٠,١١٪ ، جلد التمساح ٠,١٠٪ ، فرط العرق ٠,٠٩٪ ، العد الوردى ٠,٠٨٪ ، وصح ٠,٠٦٪

بين الكويتين وغيرهم

هذا وقد تبين لنا من هذه الدراسة بأن هناك بعض الأمراض الجلدية تكثر بين المرضى الكويتيين ، ومن هذه الأمراض الامراض التاليه :ـ العقبول البسيط ، الحراز الخطي ، فرط التقرن الجريبي ، النخالة الحمراء الشعرية ، تساقط الشعر ، التهاب الجلد الرهمي

بينما هناك أمراض جلديه أخرى تكثر بين المرضى غير الكويتيين وأهمها الآتي ـ الجرب ، الصدفية ، جلد التمساح ، أمراض الأظافر ، الالتهابات الفطرية الجلدية ، فرط التقرن الأخمصي ، جدرة ، والارتكاريا ، الثفن والمسمار . □

أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في الكويت

الأمراض	النسبة المئوية
أمراض الحساسية بأنواعها	٢٣,٣١
الالتهابات الفطرية	١٢,١١
حب الشباب	١٠,٧٨
الثالول	٨,٣٥
الالتهابات الجلدية الصديدية	٥,٤٩
الصدفية	٤,٢٧
الشملة	٣,٠٣
الأرتكاريا	٢,٣٤

أصناف الطعام ولكن أهمها البيض ، السمك ، اللبن ومشتقاته ، القشريات وأهمها اللوبستر ، الطماطم السادنجان ، البهارات الحارة ، المخلل ، الموز ، المانجا ، الفراولة ، الحمصيات ، الشيكولاته . الخ
وقد يكون السبب استعمال بعض الأدوية وأهمها البنسلين ، الاسبرين ، ومشتقات السلفا ، أو قد يكون سبب الحساسية من استنشاق مواد معينة مثل العطور ، حبوب اللقاح ، الغبار أو قد تكون ناتجة عن لدغة حشرة كالنحلة والبعوض . أو قد يكون السبب بعض العوامل الطبيعية مثل الحرارة أو البرودة



ثالول



البيان في أسباب نزول القرآن



بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (ولاتطرُدِ الذين يَدْعُون ربَّهم بالغَداة والعَشِيّ يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيءٍ ، فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فَتَنّا بعضهم ببعض ، ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين) الأنعام ٥٢ و ٥٣ .

في تفسير الطبرى أن عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومُطْعِم بن عدي ، والحارث بن نوفل ، في أشراف بنى عبد مناف من أهل الكفر ، جاءوا الى أبي طالب فقالوا : « لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وعبيدنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتبّاعنا اياه وتصديقنا له » . فأتى أبو طالب النبى (صلى الله عليه وسلم) فحدثه بالذى كلّموه ، فقال عمر بن الخطاب « لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم » ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات . فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب يعتذر من مقالته .

وعن ابن مسعود أن أشرافا من قريش مروا على رسول الله ، وعنده خباب بن الأرَتّ ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، فقالوا : « يامحمد ، رضيتَ بهؤلاء ؟ أتريد أن نكون أتباعا لهؤلاء ؟ إنّا سادة قومنا وأشرافهم ، فاطردهم عنك اذا جالسناك » . فلما همّ النبى أن يفعل ، أنزل الله تعالى هذه الآيات.

وقريب من هذا ما أورده الواحدي عن السبب في نزول الآيات الأولى من سورة عبس : (عبس وتولّى . أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزّكى . أو يذّكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدّى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى) . قال الواحدى :

أتى ابن أم مكتوم الأعمي النبى (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس يحادث عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل ، والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ، ويدعوهم الى الله تعالى ، ويرجو اسلامهم . فقام ابن أم مكتوم وقال : « يارسول الله ، علّمنى مما علمك

الله » . وجعل يناديه ويكرر النداء ، وهو لايدرى أن رسول الله مشتغل مقبل على غيره ، فظهرت الكراهية في وجه النبى لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : « يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد » . فعبس رسول الله وأعرض عنه ، وأقبل على القوم الذين يكلمهم . فأنزل الله تعالى هذه الآيات . فكان النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك يكرم ابن أم مكتوم ، وإذا رآه قال : « مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى » .

فهنا إذن مفهوم جديد كل الجدّة عن قدر المرء ومكانته ، لم يكن ليخطر ببال الجاهليين ، وهى دعوة لا الى المساواة ، وانما الى الكف عن تقييم الانسان على أساس من الجاه والثراء ، والحسب والنسب ، والمنصب والنفوذ ، والى تبنى المفهوم الالهى عما من شأنه أن يعلي من قيمة المرء عند ربه ، وعما ينبغى أن يعلى من شأنه عند الناس ، ألا وهو الورع والصلاح ، والعلم الذى هو السبيل الى الورع (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، والحاسة الخلقية التى هى السبيل الى الصلاح .

اذا كان في لبس الفتى شرف له
فما السيف الا غمده والحمائل
(أبو العلاء المعرى)

فإن كان قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:إن الأشراف في الجاهلية هم الأشراف في الاسلام إذا فقهوا ، فانه لم يقصد بذلك أن يكون في الحسب والنسب فضل في حد ذاتها ، وانما فضلهما هو فيما يسبغانه على صاحبهما في أغلب الحالات من صفات خلقية كريمة قال يحيى بن خالد البرمكى .

« استعينوا بالأشراف ، واياكم وسفلة الناس ، فإن النعمة على الأشراف أبقى ، وهى بهم أحسن ، والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكثر » .

كذلك فقد حكى أن عدى بن أرطأة قال لإياس بن معاوية :

« دلنى على قوم من القراء أولّهم » . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أنت وليّتهم فمكنتهم منها ؟ » قال عدى : « فما أصنع ؟ » قال : « عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم » .

ليس ثمة تعارض اذن بين الأيات والحديث . فابن أم مكتوم هو أقرب الى رضا الله وقلب النبى من أبى جهل ، وأمية بن خلف - على شرفهما - مادام حسب الأخيرين وجاههما لم يفلحا في أن يجتثا من قلبيهما الهوى . والهوى اذا غلب عقل صاحبه أضحى لايرى الصحة الا صحة جسده ، ولا العلم الا مااستطال به،ولا الغنى الا في كسب المال ، ولا الذخر الا في اتخاذ الكنوز ، ولا الأمر الا في قهر الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حب المال والشرف أذهب لدين أحدكم من ذئبين ضاريين ، باتا في زريبة غنم الى الصباح ، فمادا يبقيان منها ؟ ! »

ومع هذا يذهب الزمخشرى الى انه « قلما عرفت الأنفة والإباء في غير من شرفت منه الآباء . » وفي رأيى أن فهم هذا كله لايستقيم الا إذا قلنا ان الخوف من ارتكاب الموبقات هو على ثلاثة أنحاء : ديِّنٌ يخاف معادا ، وحرّ شريف يخاف عارا ، وشخص من السَّفلة يخاف ردعا . وإحجام الثلاثة عن ارتكاب المعصية لايسوى بينهم في الفضل ، فليس من أحجم خشية العقوبة ، كمن أحجم طمعا في مثوبة ، ولا كمن أحجم عن أنفة من الاقدام على ما يشين ، قال ابن السماك : « لا أدرى أأوجر على ترك الكذب أم لا ، لانى أتركه أنفة » . وقيل ليحيى بن معين : « أيكذب أبو حنيفة في الحديث ؟ » قال : كان أبو حنيفة أنبل من أن يكذب » .

فإن كان نبل الاخلاق غير مقصور على من كرم محتده وشرف أصله ، فكثيرا ما يكون كرم المحتد باعثا على اجتناب الدنية ، والأنفة مما يجلب العار ، والحرص على الاحجام عما قد يسيء الى السمعة ، أو يدفع الناس الى التشكك في نبل الأرومة ، ولاشك في أن هذه الأنفة الطبيعية من ارتكاب الشائن من السلوك ، والعزوف التلقائي عن ركوب المعصية خير واق للانسان من الزلل ، ودليل قاطع على نبله.



اعداد : يوسف زعبلاوى

حَذارِ من العدسات اللاصقة



■ العدسات اللاصقة مغرية ولا ريب .. فهى تختفى فى العين فلا يراها الآخرون ، ولا تغير من طبيعة الوجه من قريب ولا من بعيد .. من هنا كان اقبال الشباب عليها .. والاناث منهم بصفة خاصة .

وما أسرع ما حظيت العدسات اللاصقة بثناء بعض الأطباء والمختصين .. وبرواج في الأسواق كبير .. وذهب بعض المختصين الى التأكيد بأن استعمال العدسات اللاصقة كفيل بمعالجة بعض الآفات البصرية ، وتقويم بعض حالات قصر النظر أو بعده .. واعادة العين الى سابق عهدها من الكفاءة العصرية .

وترددت هنا وهناك بعض التحذيرات من العدسات اللاصقة ، ومع أن هذه التحذيرات صدرت عن ذوى الخبرة من الأطباء .. الا أنها لم تلق أذنا مصغية لدى جموع الشباب والشابات ، الذين حرصوا على « الوجه الجميل أو الوسيم » ولو على حساب الصحة والعافية ، وقد نفروا من تلك التحذيرات ، وخصوصا عندما اقترنت بنصائح الأباء والأمهات ..

وبلغت العدسات اللاصقة ذروة من ذراها حين ظهرت العدسات الطرية الطويلة الأجل ، قبل نحو ست سنوات .. فهذه عدسات لينة من جيل جديد يختلف عن الجيل الأول من العدسات الطرية ... اذ يستطيع المرء استعمالها طوال ٣٠ يوما دون انقطاع .. ودون حاجة الى سحبها من العين بقصد تنظيفها .. أو إعطاء العين قدرا من الراحة .. في معزل عنها ..

وانقضت سنة ١٩٨٥ ، وبدأت السنة الحالية ١٩٨٦ ، واذا بهذه العدسات الطويلة الأجل تصبح موضع طعن وجدل .. فقد ثبت ان استعمالها المطوّل يسبب التهابات فى قرنية العين .. وقد بلغت تلك الالتهابات من الحدة ما أ ضطر الأطباء الى زرع قرنيات جديدة تحل محل القرنيات الملتهبة التالفة .

وأدى الاستعمال المطوّل لتلك العدسات الطويلة الأجل في عدد من الحالات الى فقدان البصر جزئيا أو كليا ، وذلك دون انذار مبكر . . وفي غضون ٢٤ ساعة . . فجأة وعلى حين غرة .

ويعزى ذلك الى الثقوب والمسامات الكثيرة التي تتميز بها العدسات الطويلة الأجل . . وقد أرادوا لتلك الثقوب أن تكون حسنة ، واذا بالأحداث تثبت أنها سيئة بل نقيصة . فقد توقعوا منها السماح لمزيد من الأوكسجين والماء بالوصول الى العين وعبرها . واذا بتلك المسامات تسمح بتكوّن الترسّبات وتراكمها على سطح العدسة فتعمل على سد ثقوبها ومساماتها ، ولا يلبث أن تتحول مرتعا للبكتريا ، وحيثما تظهر البكتريا يظهر الالتهاب كما لايخفى .

حقا لم يتعرض لهذه النتائج الخطيرة كل الذين يستعملون العدسات الطويلة الأجل . . فقد نجا منها الذين فضلوا عدم استعمال العدسات باستمرار للمدة المقرره لها ، وكذلك الذين فضلوا تنظيفها بين حين وآخر ، خلافا لتوصيات بائعي العدسات . . ولكن نجاتهم حتى الآن لاتضمن نجاتهم من تلك الآفات الى ما لانهاية . .

من هنا كان الاهتمام البالغ الذى توليه حاليا وكالة الغذاء والدواء (F.D.A.) للعدسات اللينة الطويلة الأجل . . خصوصا وأن هذه الوكالة أقرت استعمال هذه العدسات في الأمس القريب وهي تنصح بعدم استعمالها باستمرار لمدة شهر ، وانما لمدة أسبوعين فقط ، وذلك ريثما تنتهي من تحقيقاتها ودراساتها .

أخبار هامة للمدخنين

■ مدينة لوس انجلوس المدينة الأكثر حالا في كليفورنيا ، حذت حذو المدينة الاولى سان فرنسيسكو فسنت القوانين التى تحظر التدخين حظرا تاما في المصاعد والمراحيض وغرف الطعام . وتفرض هذه القوانين على أرباب الأعمال الحكومية والاهلية تخصيص غرفة معزولة للمدخنين في أي قسم أو فرع يبلغ عدد موظفيه خمسة أو يزيد ، ويعطي القانون الحق للموظفين غير المدخنين أن يطالبوا باخراج زميلهم المدخن من غرفهم . . واذا لم يوفقوا الى ذلك اداريا فالقانون يخولهم اقامة الدعوى في المحاكم

ويحدد القانون غرامات نقدية يستوجب دفعها من قبل المخالفين . وتبلغ هذه الغرامة (٥٠ ـ ١٠٠) دولار ان كان المخالف موظفا عاديا ، أما اذا كان من فئة المدراء فتبلغ الغرامة (٥٠٠) دولار او السجن ستة شهور او كلتا العقوبتين معا .

تدل الاحصاءات على أن مجموع دخل شركات التبغ والسجاير في بريطانيا وحدها قد بلغ (٤,٥) الف مليون جنيه استرليني وذلك سنة ١٩٨٤ وحدها ، أما المبالغ التي أنفقتها على الدعاية والاعلان في السنة المذكورة نفسها فقد بلغت (٦٢,٢) مليون جنيه استرليني .

ولايخفي أن اعلانات السجاير في المحلات والاذاعات تعتبر المسؤول الاكبر عن استمرار عادة التدخين ، رغم كل ماثبت من اضرارها من هنا كان حرص الدول المتقدمة ـ بريطانيا وأمريكا في الطليعة ـ على حظر دعاية السجاير في الاذاعة والتلفاز وقد وضع موضع التنفيذ في امريكا منذ سنة ١٩٧١ . وقد كان لهذا الحظر أثر كبير في التناقص الذي طرأ على عدد المدخنين في تلك الدول في السنوات الأخيرة .

* ستشهد محاكم كاليفورنيا عما قريب أول قضية من نوعها فقد مات المدعو جون جالبريث بسبب الأورام الخبيثة التي اصابته في احدى شعب القصبة الهوائية ، وكان من المدخنين . . وقد اقام الاطباء والمختصون الدليل على أن التدخين هو سبب موته المباشر ، وتلقف هذا التقرير مكتب ملفن بللي للمحاماة الذي طالما انتظر دليلا كهذا ليرافع ضد التدخين وشركات التبغ بالمجان ، والأمل معقود على أن يربح القضية .

مكتشفون ومخترعون

كارل بنز(Benz) ١٨٤٤ - ١٩٢٩
جـوتليت ديملر(Daimler) ١٨٣٤ - ١٩٠٠

لقد صادف يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ ، العيد المئوى الأول لاختراع السيارة . . فقد تم تسجيل هذا الاختراع الخطير فى ٢٦ يناير ١٨٨٦ ، والسيارة هي بلا منازع أبرز ظاهرة يتميز بها القرن العشرون عن كافة القرون التى سبقته . . انها بصمته الفارقة . وهي تفوق في ذلك الطائرة والسفينة والقطار وسائر معجزاته الأخرى ، فمرور مائة عام على اختراع السيارة اذن جدير بكل اهتمام . .

بدأت القصة فى بلدة كارلر وهى فى المانيا الغربية . . قبل نحو ١٤٠ عاما . فقد ولد في تلك البلدة وفى سنة ١٨٤٤ بالتحديد ، مخترع السيارة كارل بنز . .

كان مهندسا ميكانيكيا ، شد اهتمامه فى الستينيات من القرن الماضى محرك يعمل بالاحتراق الداخلى . . وكان ذلك المحرك من انتاج مصنع فى باريس ، يملكه المهندس البلجيكي الذى اخترع ذلك المحرك ، واسمه اتيين لانوار . .

وتجدر الاشارة الى أن عربات الخيول كانت هى العربات الوحيدة التى عرفها الناس فى تلك الأيام . . ومنذ أقدم الأزمان . . وان العلماء والمخترعين طالما فكروا أو حلموا بتسيير العربات بمحركات تعمل بالاحتراق الداخلى . . بدلا من جرها بواسطة الخيول . . لاعجب اذن أن احتضن المهندس الألمانى كارل بنز ذلك المحرك البلجيكي / الفرنسى ، وكرس نفسه لتطويره وتحسينه ، وأنفق في سبيل ذلك كل امواله . . غير أن جهوده تكللت بأنموذج ناجح . . كفل له اجتذاب المال اللازم ، لانشاء مصنع له فى مدينة منهايم . . وتطوير المحرك الذى ذكرنا ، بحيث يستطيع تسيير عربة خيول بدون خيول . .

وجاءت سنة ١٨٨٥ ، واذا بذلك المصنع يصنع تلك العربة ، ويستكمل تطوير المحرك . . وصح الاختراع . الا أن تسجيله رسميا تأخر حتى ٢٦ يناير من سنة ١٨٨٦ . . أى قبل مائة عام من كتابة هذا الكلام . .

على أن عربة بنز تلك كانت متواضعة . . فقد قامت على ثلاثة دواليب ، لا أربعة . . تماما كعربات الخيول مع فارق واحد ، هو أن عربة بنز لم يجرها حصان وانما سارت بفعل محرك يعمل بالاحتراق الداخلى . . ويعتمد البترول وقودا . . . ولكن قوته كانت محدودة ولم ترد السرعة التى اتاحها للعربة على ٨ أميال . . وقل مثل ذلك في القابض أو الواصل (clutch) وفى جهاز نقل السرعة (gear) . . فقد كانت ضعيفة وذات عيوب بينة . . ويبدو أن كارل بنز لم ير فى عربته أكثر من مجرد عربة خيول تسير بمحرك تلقائى ، ودون أن تجرها خيول . . وقد أخفى محركها تحت مقعد السائق . . بيد أن التاريخ رأى فى تلك العربة أول سيارة عملية عرفها التاريخ . .

وشاءت الأقدار ألّا يكون كارل بنز وحيدا فيما تطلع اليه من طموحات ، وما بذله من جهود . . فقد اتفق أن كان مهندس ميكانيكي آخر يقوم بمثل تجاربه . . فى نفس وقته ، وفي نفس منطقته من المانيا الغربية . . المهندس ديملر .

ولد جوتليب ديملر في بلدة شورندورف الغربية من مدينة شتوتجارت . . لابوين ميسوري الحال . . بحيث فاق نصيبه من التعليم النظرى والتدريب العملى نصيب نظيره كارل بنز . . .

وركز ديملر على محرك الاحتراق الداخلى كما فعل كارل بنز ، بل أكثر مما فعل . . فانضم الى المخترع المعروف آنذاك نيكولاوس أوتو مساعدا وشريكا فى مصنع أنشأه في كولن سنة ١٨٨٢ . . من أجل



كارل بنز

اختراع وصع المحركات التلقائية . . ونجح أوتو في صع المحرك الرائد الذي يعمل بالاحتراق الداخلي . ويعتمد الغار لا الترول وقودا . . على عرار المحرك البلجيكي السالف الذكر . . وما لبث ديملر أن أحرز نجاحا كبيرا في تطوير المحرك الذى صنعه أوتو ، فجاء محركه أكثر كفاءة وأخف وزنا . . وجعل وقوده البترول بدلاً من الغاز .

وراح ديملر بعد ذلك يقوم بالتجارب التطبيقية على محركه . . جربه على دراجة ذات دولابين ثم على قارب نهرى . وأحرز النجاح في تجاربه كلها . . ثم أقدم ديملر على صنع سيارة لذلك المحرك تليق به ويليق بها.وكان ذلك في سنة ١٨٨٦ وهى نفس السنة التى سجل كارل بنز اختراعه فى مطلعها . . .

بيْد أن سيارة ديملر لم تكن عربة خيول . . بل كانت سيارة بالمعنى الدقيق . . تسير على أربعة دواليب ، وبسرعة بلغت ١١ ميلا فى الساعة ، ثم تضاعفت حتى اصبحت ١٨ ميلا فى الساعة . . وكانت أجهزتها قوية . . الكلاتش والجير الخ . . لاغرابة إذن أن أقدم الكثيرون على شراء الترخيص لصنع محرك ديملر . . سواء فى المانيا أو بريطانيا أو فرنسا . . وكان من بينهم كارل بنز نفسه . .

وأسس ديملر شركته الخاصة بصنع السيارات سنة ١٨٩٠ ، وباشرت هذه الشركة صنع السيارات باسم مرسيدس ، اعتبارا من سنة ١٩٠١ ، وقد اطلقوا عليها هذا الاسم تكريما للآنسة مرسيدس جليك ، ابنة شريك ديملر ومموّله النمساوى (إميل جلينك) .

ومن طريف مايذكر أن المهندسين ديْملر وبنز لم يجتمعا أبدا . . هذا على الرغم من أن شركتيهما اندمجتا سنة ١٩١١ في شركة واحدة ، هى شركة مرسيدس بنز الحالية .

بقى أن نذكر أن الألمان وان كانوا ذوى فضل لاينكر فى اختراع السيارة ، فقد احتاجوا الى جهود الفرنسيين لتحسين شكل السيارة . . والى الأمريكان . . وهنرى فورد بالتحديد ، لجعل السيارة فى متناول الجميع ، وقد كانت وقفا على المغامرين وهواة الرياضة والسباق . . أما الانكليز فكانوا خارج الحلبة . . بل ان حكومتهم سنت قانونا غريبا يعرف باسم قانون الراية الحمراء ، وعمل على عرقلة المساعي لاختراع السيارات وصنعها . . فقد حظر ذلك القانون على العربات السير بسرعة تجاوز ٤ أميال فى الساعة . . وألزمها بتوظيف رجل يسير أمامها ويحمل راية حمراء ، لينذر الناس فى الحقول والشوارع بأن العربة الخطيرة ذات المحرك الخطير توشك على الوصول . . . ولسان حاله يقول . . لقد أعذر من أنذر .



عقار الثوم . . والأمراض التي يعالجها

يبدو أن الثوم هو (إكسير) الصحة حقا . . فهو يجمع من الفوائد الصحية والمنافع العلاجية ما لم يجتمع لنبات ولا لعقار . . لا عجب اذن ن أقبلت الجامعات ومراكز البحث العلمي في الدول المتقدمة الراقية على التحقيق في تلك الفوائد والمنافع ، واجرا. الدراسات والأبحاث الرامية لا الى تفهم سر الثوم فحسب ، ولكن الى تطويره وتصنيعه أيضـ . . وفيـما يـلي بعض هـذه الـدراسـات والأبـ ـاث . . ونوجز ما أثبتته من فوائد الثوم ومناف ـه .

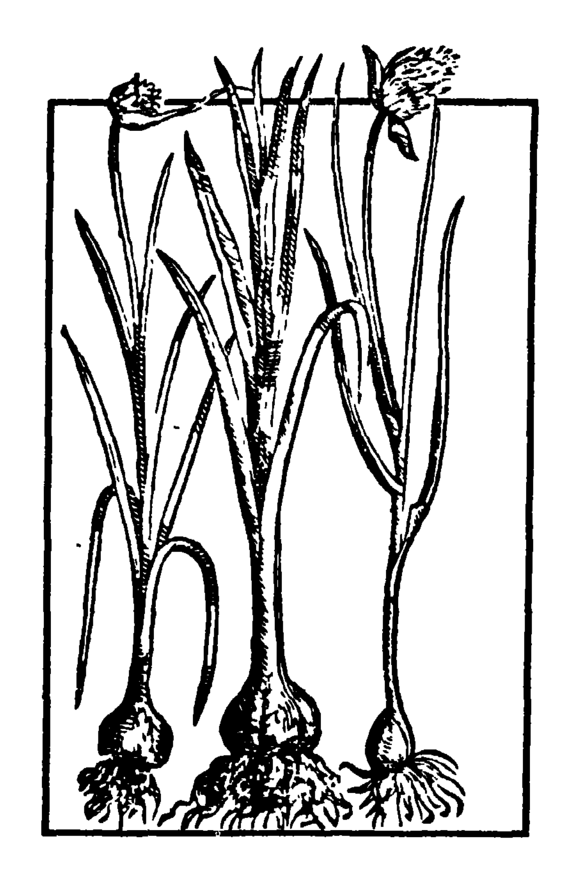
١ ـ ضغط الدم : يوجد في اليابان دوائر مسؤولة عن ترخيص الأدوية واستعمالها . . تشبه وكالة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة F.D.A، وتحرص مثلها على المستوى الرفيع فيما تؤديه من أعمـ ل . . وتعرف ، مثلها بالصرامة ان لم نقل بالتزمت ، في اخضاع ما ترخص استعماله لكثير من التحقيق والتدقيق قبل ترخيصه ، لقد أخرّت هذه الدوائر اليابانية استعمال الثوم من أجل تخفيض ضغط الدم . . وغني عن البيان أن هذه الآفة منتشرة في اليابان ، وقد كانت موضع دراسة وتمحيص وأبحاث ، نشدت العلاج الناجع لها منذ سنين . .

٢ ـ الكولسترول . . قام لفيف من العلماء الباحثين العاملين في معهد (وستار) في جامعة فيلادلفيا ، بتجارب عديدة على زيت الثوم وأثره في الأرانب والدجاج والفئران ، وقد أكلته ضمن علفها . . وقد أثبتت تلك التجارب أن زيت الثوم خفض مستوى الكولسترول في تلك الحيوانات .

وأجرى الدكتور « أرون بورديا » في كلية (تاجور) تجارب عديدة على أثر الثوم في جسم الانسان . . وشملت تلك التجارب ٢٠ رجلا تناولوا زيت الثوم يوميا لمدة ستة شهور . . ودلت الفحوص التي أجريت لهؤلاء الرجال أن مستوى الكولسترول في الدم انخفض فيهم جميعا بنسبة ١٧٪ . . ودلت تلك الفحوص أيضا على أن الشحوم هي الأخرى هبطت فيهم جميعا بنسبة ٢٠٪ . . وذلك طبعا في الفترة التي تناولوا فيها الثوم . . وأثبتت تلك الفحوص أثرا ثالثا للثوم قلما يخطر ببال : فقد زادت نسبة الشحوم البروتينية العالية الكثافة ، وانخفضت نسبة تلك الشحوم البروتينية القليلة الكثافة ، وذلك لصالح أولئك الرجال العشرين . .

الجلطة : قام الدكتور مارتن بيلي ونفر من العلماء الباحثين العاملين في جامعة واشنطن ، بأبحاث دلت على أن زيت الثوم يمنع التجلط ، ويحد بالتالي من احتمالات التعرض للنوبة القلبية والسكتة .

ودلت أبحاث أخرى على أن المادة الفعالة في الثوم



(والبصل أيضا) تضمن بقاء لويحات الدم أو صفائحه منفصلة بعضها عن بعض .. ولا يخفى أن تكتلها كفيل بالتجلط ..

٣ ـ مرض سكري الدم : أجرت دائرة الزراعة في الولايات المتحدة دراسات عديدة أثبتت أن الثوم يخفض نسبة السكري في الدم .. ويرفع مقدار الأنسولين فيه . وأثبتت احدى تلك الدراسات أن فاعلية الثوم في انقاص محتويات السكر في الدم لاتقل عن فاعلية العقار المعروف toibutamide .

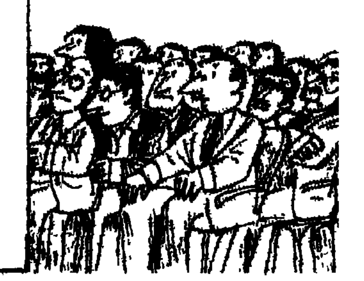
٤ ـ الأورام الخبيثة : دلت الأبحاث والتجارب التي أجريت على حيوانات مختلفة ، على أن للثوم أثرا مضادا للسرطان الذي عانت منه تلك الحيوانات ، وقد عَزَوْا أثره هذا الى ما يحتويه الثوم في انزيم النييز أو معدن الجرمانيوم ، أو معدن السلينيوم .. ولكن النتائج لم تبلغ حد الثبوت في هذا الصدد حتى الآن .

٥ ـ مضاد للحيويات : على أن خصائص الثوم من حيث هو مضاد للحيويات قد بلغت درجة عالية من الثبوت والوضوح .. وحسبك أن الاتحاد السوفياتي درج على استخراج صنوف من البنسلين من الثوم منذ زمن بعيد .

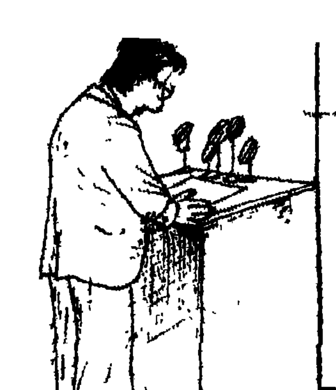
ودلت الدراسات والتجارب التي أجرتها مؤخرا كلية الطب في فرجينيا ، على أن سائل الثوم يحد من نمو الفطريات التي عرف عنها أنها تسبب التهاب السحايا . وأثبتت دراسات أخرى أجرت بعضها جامعة انديانا ، باشراف الدكتور مايكل تانسي ، أن الثوم يوقف أو يحد من نمو أنواع من الفطريات والعفن والخميرة ، ونخص بالذكر منها ما يسمى Candida albicans .. فهذا نوع من الخميرة يسبب التهابات تسمى Vaginitis ومرضا فطريا يعرف باسم Histoplasma Capsulatum ، وينتقل هذا المرض بالغبار ، وكثيرا ما يسبب مرضا يشبه السل .. أضف الى ذلك أن خميرة candidaالتي ذكرنا ، قد تؤدي الى الاصابة بمرض سعفة القدم Athletes foot ، ومرض جلدى آخر يعرف بالقوباء الحلقية Ringworm

٦ ـ عقار الثوم : وأخيرا وليس آخرا ، تجدر الاشارة الى الأبحاث النشطة التي تجريها جامعة مينوسوتا ، بقصد عزل عنصر الثوم الفعال ، وهو allyl methyl trisulfide .. وقد أحرزت نجاحا ملحوظا لافي عزله فحسب ، ولكن في تصنيعه .. أو استحضاره صناعيا .. ومعنى ذلك أنها خطت خطوة واسعة جدا نحو صنع عقار الثوم .. ترى ألا يستحق هذا العقار أن يسمى باكسير الصحة ؟ .. فان كان أكسير القرون الوسطى سعى الى تحويل المعادن الى ذهب ، فان عقار الثوم كفيل بعلاج أمراض عديدة واستبدالها بالصحة والعافية .

بقي أن نذكر أن للثوم فوائد لا تعد ولا تحصى للمعدة ، والجهاز الهضمي عامة .. وحسبك أنه والامساك لا يجتمعان .



في مهرجان
المربد
السادس



كيف غنّى

الشعراء لماضيهم

وأطلقوا الكلمات للمستقبل؟

استطلاع وتصوير : سليمان الشيخ



شعار المهرجان ـ فوق ـ
أسماء لكوكبة من أهم
الشعراء العرب

أرض المربد . . . لم يبق
أي أثر من السوق القديم
منذ مئات السنين
(يمين)
السياب . . . شموخ
ونظرة بعيدة (يسار)

« لماضينا نغني ولمستقبلنا نطلق الكلمات » تحت هذا الشعار العام انعقد مهرجان « المربد » الشعري العربي السادس في مدينة بغداد في نهاية نوفمبر وأوائل ديسمبر الماضي . وكانت « العربي » هناك ترصد هذا التجمع الثقافي العربي الكبير وتتابع نبض الشعر وهو يعانق مشكلات الامة العربية الحاضرة التي أقل ما يقال فيها بأنها مشكلات معقدة ينتابها ألم التغير والبحث عن طريق أفضل .

وعندما ترصد « العربي » هذا الملتقى أنها ترصده من منطلقه الحضاري ، ومن منظوره الفني والثقافي .

ترى ماهو « المربد » ؟ كيف كان وتطور ثم أصبح ؟ هنا تقول لك « العربي » القصة الكاملة .

قالوا ويقولون : « ان الشعر ديوان العرب » وان الأمة العربية أمة شاعرة .

فهل هذا القول كانت له مصداقيته في زمن مضى وانقضى ؟ أي عندما كان الشاعر هو « وزير الاعلام » المسؤول عن تراث وقيم وسمعة وشمائل وأخلاق وفروسية القبيلة ؟ وانه اليوم لا معنى له ؟

وهل أحيل الشاعر والشعر الى التقاعد ، بعد أن أصبح للاعلام أجهزته ، وللثقافة مثل ذلك ؟ فاختلف المحتوى و الوسيلة ؟

وهل أصبحت الحياة التي غلبت عليها الماديات ، لا تحتاج الى أن تملأ شرايينها بدم التشوف والرؤى ، وخيالات البديع ، والصور والكلمات المنزوعة من قلب معاناة الذات ، الموصولة بواقعها ومصيرها ؟

حديث قديم

اننا ندخل من خلال الأسئلة السابقة ، الى معمعة الحديث الذي يتردد بين فترة وأخرى ، ليقول بأن الابداع الأدبي سيحال الى التقاعد جميعه ، وأن العلم سيسيطر على مفاصل الحياة ، ويكنس كل ما هو أدبي !

هل ينتابك العجب عزيزي القارىء لو قلنا ان الكلام السابق قد طرح منذ قرون ؟ مع ذلك فإن الأدب والشعر خاصة ، مازالا في صميم حياة الشعوب ، وان غزو كل أجهزة الاعلام الحديثة من مذياع وتلفاز وفيديو وغيرها ، لم يلغ (جهاز) الكتاب ، ولا الكلمة الشفيفة الرقيقة العميقة البليغة ، المنتزعة من خيال الشاعر وواقعه ومعاناته .

كل ما تم في الأمر ، هو أن الشعر في دنيا العرب على سبيل المثال ، تحول في بعضه الى شعر مهموس ، والى شعر تطغى عليه لغة الذات أحيانا ، وأن بعضه قد استغنى عن القافية أحيانا اخرى ، وأرسى أشرعة التفعيلة ، مع عدم الالتزام بعدد التفعيلات في البحر الواحد . بل ان بعضه الأخر استغنى عن جميع الشروط المتعارف عليها ، وجاء يحمل نثره المطعم برؤى الشعر وصوره وخيالاته .

وكما اختلف المنبر وبقى تذوق الشعر والتغني به هو هو منذ امرؤ القيس الى احمد شوقي ونزار قباني ومحمود درويش ، فالساحات والأسواق التي كان يصول الشعر فيها ويجول ، قد انحصرت وانزوت ، وأصبح الشعر رهين بعض المناسبات ، وتحول في الكثير منه من شعر مسموع الى شعر مقروء .

ولأن الأمر قد صار الى هذا المآل ، بفعل الكثير من

التغيرات والتطورات الذاتية والموضوعية ، منذ زمن ليس بالقصير ، لذلك فإن اعادة الاعتبار لبعض « تقاليد » الزمان الغابر فى دنيا الشعر . . قد جاء يحمل دهشة السؤال والاستفسار ، وفضول اندفاع المعرفة ، وخصوصا وأن مناسبة اعادة الاعتبار قد ربطت بمكان واسم ووقائع معروفة فى تاريخ العرب . . .

مهرجان

المكان . . بغداد ، والايام توزعت بين نهايات شهر نوفمبر - تشرين الثانى - ، وديسمبر - كانون الأول - من عام ١٩٨٥ والحضور مئات . . من الشعراء والنقاد والكتاب، وهواة الأدب من كل أقطار العرب .

جاءوا لحضور مهرجان الشعر الذى اطلق عليه اسم « مهرجان المربد » وكان ترتيبه السادس بين المرابد الحديثة .

لكن المربد القديم كمكان يبعد عن البصرة القديمة حوالى ثلاثة أميال ، كما تقول المصادر التاريخية . . فما الذي جعل المربد ينتقل من « البصرة » الى بغداد ؟

قبل الاجابة عن السؤال ، يجدر بنا أن ندخل القارىء فى أجواء المهرجان ، وامسياته وحروفه وصوره وخيالاته . ثم نصل الى الاجوبة المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا .

تظاهرة كانت . . والشعراء فُرسان ، حلقوا وجنحوا وركبوا خيالاتهم وجاءوا ، والفرسان أجناس وأنواع ، بعضهم امتطى مهرة خياله الأصيلة الراسخة ، التى تملك ملكات الاقتحام والسبق والتجل والتجاوز ، والبعض الأخر امتطى مهرة قديمة ، فيها عرج وتقصير ، أو فيها معرفة الطرق وأساليب السباق ، كما عرفتها عما سبقها .

وبعضهم جاء يحمل فى « خُرج » « المهرة » بعض الصدى لخبرات وابداعات أصوات أخرى ، فى دنيا لها تجلياتها وتعبيراتها الخاصة . . فكانت مهرته غامضة مطلسمة .

وبعضهم حمل سوطا ، لم يتورع عن جلد مهرته ، متوسطة الباع في السباق والسياق والتكوين ، كما انه لم يوفر الناس ولم يرحمهم ، فجلد جَلّدهَم وأطنب!

وغيره لم يوفر الأُمة كلها من الجلد ، فأكثر من تصيد العثرات ، وغطى الأفق بغبار تعميمات القول ، مضمنا اياها الكثير من مواويل اللطم والشتم وشق الجيوب !

أجيال ومدارس

باختصار . . كل المدارس كانت حاضرة فى المربد السادس . وكل الملكات والمخيلات . الشيوخ والشبان الشيوخ - والشبان الشبان ، الراسخون فى الشعر ، والمتطفلون ، المجددون ، والمتعيشون على قارعة الحداء ، المُقلدون للأزياء ، والمستوردون لآخر الصرعات ، المتغربنون ، والتراثيون بدون أصالة ، والأصيلون بدون ادعاء ، الذين يعيشون زمنهم ، والدين يعيشون فى الماضى . وغيرهم الذين ليسوا من هذا الزمن أو ذاك .

الذين لهم حضورهم وشخصياتهم وقاماتهم ووقع خطواتهم وأصواتهم ، وغيرهم الذين دمجوا شخصياتهم بغيرها ، ماضية أو حاضرة ، مقيمة ، أو راحلة أصبحت من ذكريات أيام مضت وانقضت .

وغيرهم الدين أدمنوا استعارة أصوات ليست لهم ، وليسوا هم فى حجم يمكنه أن يستوعب الأثواب والقماشات .

كل هؤلاء وأولئك صدحوا وغردوا ، أو جلدوا وغنوا فى المهرجان الكبير !

قلنا إن الاصوات الشاعرة وغير الشاعرة ، كانت من شتى المدارس ، وكانت أيضا من شتى الاقطار العربية : العراق نفسه ، وسوريا ، ومصر ، والأردن ، وفلسطين ، ولبنان ، والسودان ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس ، واليمن ، والسعودية ، والكويت ، وحتى موريتانيا ، والصومال .

أُضيف اليهم شعراء وكتاب من بلدان أخرى غير عربية كالاتحاد السوفيتى . واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ويوغسلافيا ، واليابان ، وفرنسا ، واستراليا ، وغيرها .

كل هؤلاء جاءوا بدعوات خاصة ، وبترشيح من لجنة المهرجان العليا .

أى ان قسما منهم كان يمثل صوته الخاص ، ومنهم



جمهور البصرة . . كثافة واحتضان للشعر والشعراء

من كان جزءاً من الروابط والاتحادات الأدبية الرسمية في بلدانهم .

القصيدة التقليدية كانت مجلية فى الحديث المباشر عن المكان والزمان ، والزعماء والقادة ، والالتصاق بالمناسبة والدق عليها ، فى حين أن القصيدة الحديثة كان أفقها أرحب ، وتناولاتها أجمل وأعمق وأشعر .

الوطن والشعب والأمة

الكل تكلم عن الوطن والشعب والأمة بصورة أو بأخرى . لكن زاوية الرؤيا التى تناول فيها شاعر مثل يوسف الصائغ (شاعر عربي من القطر العراقى) على سبيل المثال الوطن والشعب والأمة ، كانت تتناقض مع زاوية الرؤيا التى نظر فيها نزار قبانى الى نفس الموضوعات . شاعر كان يستلهم ويستنهض ويلوّن الأفق بكل قيم النضال ، التى أرستها الأجيال من خلال حكاية بسيطة وعميقة ، وشاعر آخر كان يجلد الأمة والشعب بسوط من رغبة التعذيب للذات ، ونكء الجراحات والصور السلبية .

صحيح أنه ليس المطلوب من الشاعر أن يحمل المسابح والمباخر لتغطية سموات الهزيمة بقبوات الكلام ، لكن ـ وفى نفس الوقت ـ ليس المطلوب من الشاعر أيضا أن يترس خلف العثرات والهزائم ، ليجعل منها عناوين للصبح والنهار والشمس المشرقة .

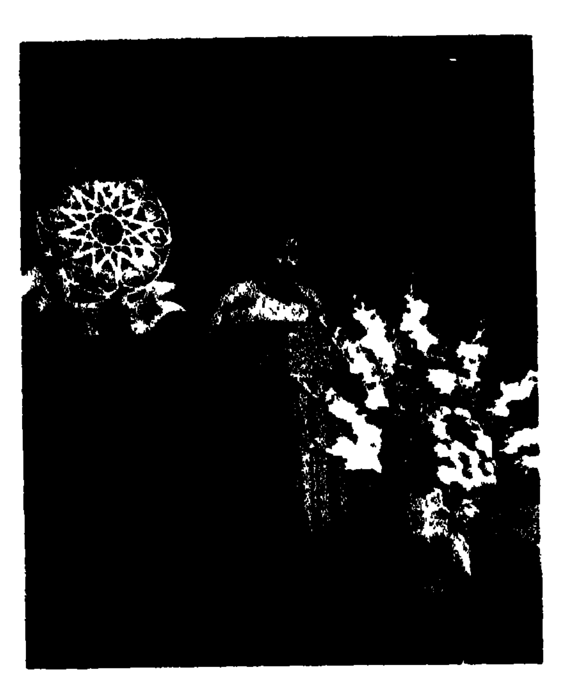
وقد اختار بعض الشعراء الموقع الأول ، فى حين أن القليل من المقاعد حجزت فى الموقع الثانى .

وعلى الرغم من السمة الغالبة على القصيدة الحديثة ، انها قصيدة تكتب لتقرأ وليس لتلقى ، وان المنبر هو مجال القصيدة التقليدية . مع ذلك فإن قصائد حديثة كثيرة كانت تتداخل مع وجدانات

جمهور المربد في بغداد



الشاعر العراقي يوسف الصائغ وهـو يلقي قصيدتـه



الشاعر الفلسطيني خيري منصور يلقي قصيدته

الجمهور ، وتدخلها بسهولة متجاوزة حدود التلقي المباشر .

صحيح أن ردود فعل الجمهور الذى كان يتلقى القصائد ، توزع على حالات التجاوب المعروفة ، أى أنه كان ينساق احيانا وراء من يستهويه التصفيق للصورة المباشرة ، لكنه كان يعطى العمق حقه أحيانا أخرى ، ويتجاوب مع الصورة الشعرية المبتدعة أيما تجاوب .

الأداء القصصى

وقد كتبت بعض قصائد المهرجان ضمن مواصفات ـ القصيدة القصة ، لكن أكثرها حضورا وبروزا كانت قصيدة « المعلم » ليوسف الصائغ ، وقد جاء عن هذا النوع من القصائد ما يلي فى كتاب الدكتور محسن أطيمش « دير الملك ـ دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقى المعاصر » :

« وليس الالتفات الى الحكاية ، وجعلها مادة القصيدة أمرا مستحدثا فى الشعر العربى الحديث ، فهناك العديد من المحاولات السابقة التى يلحظ القارىء اهتمام الشعراء فيها بايراد الحكاية ، وشعر خليل مطران ، وايليا أبو ماضى ، والياس أبو شبكة ، ومعروف الرصافى ، دليل على هذا الاهتمام » ، ومن سمات هذا الشعر كما جاء فى نفس الكتاب :ـ

« الافادة الجادة من معطيات فن المسرح والقصة ، وتوظيف عنصر الحوار ، والحوار الداخلى ، وتعدد الأصوات ، وتقديم الصورة العامة للأجواء والمشاهد التى يدور حولها الموضوع الشعرى ، والاهتمام بتصوير ملامح الأشخاص ، وتقديمهم ضمن حدث أو موقف »

صفات وظواهر

ومن صفات وظواهر المربد السادس . . نسجل التالى

لقد تميز هذا « المربد » بالحضور المتزايد من قبل الشعراء والأدباء والنقاد والصحافيين ، واذا كان المربد الأول الذى أقيم فى البصرة سنة ١٩٧١ ، قد ألقى فيه حوالى ٣٣ شاعرا قصائدهم ، أحصيتهم من خلال وقائع المهرجان ، الذى ضمه كتاب « مهرجان المربد الشعرى ١٩٧١ » الذى نشرته وزارة الاعلام العراقية .

فإن المشتركين من الشعراء فى الجلسة الشعرية الواحدة فى المهرجان الأخير ، كانوا يقتربون أحيانا من كامل عدد الشعراء الذين اشتركوا فى المهرجان الأول ، أو يقلون قليلا عنهم .

ـ لقد تركت اللجنة العليا للمهرجان الحرية الكاملة للشاعر ، في أن يختار قصيدته التى يلقيها ، ولم أسمع أن شاعرا قد منع من القاء قصيدته التى اختارها بنفسه .

ـ اذا كانت « المرابد » السابقة قد تميزت بوجود جلسات نقد تقام فى صباح اليوم التالى الذى يلى جلسات الشعر ، وتنصب على القصائد ذاتها ، مما كان يوجد بعض الاشكالات بين بعض النقاد وبعض الشعراء ، كما حدث فى المربد الأول على سبيل المثال ، بين الشاعر محمد مهدى الجواهرى ومؤيديه من جهة ، وبين الناقد الدكتور محمد النويهى ومؤيديه أيضا من جهة مقابلة ، عندما اختلفوا حول الموقف من القصيدة التقليدية ، فإن المربد الأخير تميز بوجود جلستين للنقد والشعر ، فى نفس الوقت تقريبا ، وفى قاعات مختلفة .

أى ان موضوعات جلسات النقد كانت مختلفة عن جلسات المرابد السابقة ، فجلسات المربد الأخير ناقشت موضوعات لا تتعلق بالقصائد التى كانت تلقى ، بل جعلت لوقائع جلساتها محاور وعناوين مستقلة .

وهكذا فإن التنظير للشعر فى جلسات النقد ، كان لا يمت بصلة مباشرة الى القصائد التي كانت تلقى فى قاعة ثانية .

ـ بموازاة النشاطين الأساسيين للمهرجان : (جلسات الشعر والنقد) فقد أقيمت عدة نشاطات ثقافية أخرى منها :

ـ معرض للكتاب .

ـ معرض للوحات فنية تشكيلية للعديد من الفنانين العراقيين .

ـ معرض للمصنوعات التقليدية .

ـ معرض لبعض الوثائق التراثية المهمة .



عبدالرزاق البصير　　　د . سلمى الجيوسى

- عرض فنى للفرقة القومية للفنون الشعبية .
- عروض للأزياء المستوحاة من التراث العربى وغيره من حضارات سادت فى القطر العراقى .
- عروض مسرحية،وغير ذلك من نشاطات .

هذا وقد صدرت عن الهيئة العليا لمهرجان المربد جريدة يومية اطلق عليها اسم « المربد » غطت النشاطات والوقائع اليومية للمهرجان ، وأجرى محرروها الكثير من اللقاءات مع المشاركين فيه . كما صدرت عن هيئة المهرجان كتيبات تتعلق بالمربد وقصيدة الحرب وغير ذلك

ونظرا لكثافة برنامج المهرجان ، وتوزع نشاطاته خاصة وان المشاركين فيه قد انتقلوا الى مدينة البصرة ، وأقاموا مع شعرائها جلسة شعرية ، ثم زاروا ضباط وجنود القاطع الأوسط القريب من مدينة خانقين فى مواقعهم ، وألقوا بعض القصائد والكلمات فى تلك المواقع ، ثم انتقلوا فى يوم لاحق الى مدينة الموصل ، وأقاموا مع شعرائها جلسة شعرية أيضا ، فقد ارتأت اللجنة العليا للمهرجان تمديد فترة عقده من أسبوع الى عشرة أيام .

مشاهير

ويمكن الاشارة الى بعض الاسماء المشهورة التى شاركت وحضرت المهرجان ، ان كان فى مجال الشعر أو النقد . . وهى :

فى الشعر : عبد الوهاب البياتى . . لم يلق شعرا ، نزار قبانى . . ألقى كلمة الافتتاح وقصيدة فى يوم لاحق ، محمود درويش . . جاء فى اليومين الأخيرين ، أحمد عبد المعطى حجازى ، وخليل خورى ، وسامى مهدى ، ويوسف الصائغ وعبد الرزاق عبد الواحد ، وغيرهم .

فى النقد والأدب : د . سلمى الخضرا الجيوسى ، جبرا ابراهيم جبرا ، د . عزالدين اسماعيل ، د . محسن الموسوى ، د . جابر عصفور ، د . سهيل ادريس ، خلدون الشمعة ، د . عبدالسلام المسدى ، د . أحمد المدينى ، د . عبدالحميد ابراهيم ، د . غالي شكرى وغيرهم .

ويمكن الاشارة الى أن بعض الشعراء الشبان خاصة من فلسطين والعراق ومصر وتونس والسعودية ، مثلوا أصواتا مميزة لفتت الأنظار ، وأدخلت الطمأنينة الى قلوب الغيورين على الشعر ، وأثبتت أنه لا انقطاع بين الأجيال ، وأن جيل الشبان يمكنه أن يرفد حركة الشعر العربى بالكثير من اشراقاته وتجلياته . وحسن استيعابه لتراثه ، وتفتحه على حركة الشعر عالميا .

الواقع والتاريخ

عندما لمس السيد شاكر جاسم التركى ، مدير آثار البصرة ، أننى مُصرٌ على رؤية ماتبقى من آثار ، أو أية اشارات مميزة لما يسمى بمنطقة « المربد » . . . فانه كرر القول :

« لم يبق من المربد القديم أى أثر ولا أى معلم ، لقد احترق السوق ولم يبق منه أى شيء ، واندثرت المعالم . . . وأصبح المكان لايختلف عما عداه من الصحارى التي تحاذي الزبير والبصرة القديمة » .

سألت : هل البصرة القديمة . . هى غير البصرة الحالية ؟ أجاب : البصرة الجديدة تبعد عن القديمه حوالى ١٥ كيلو مترا ، وكانت القديمة تقع على نهر الأبلة ، أحد فروع شط العرب ، وقد جف النهر الآن ، وكان موقعه جنوب المسجد الجامع ، وعلى ضفتيه كانت تقوم القصور المهمة فى زمن العباسيين خاصة .

كررت الالحاح . . . . « لابد من زيارة المكان » .
انطلقنا من البصرة الجديدة قاصدين البصرة



طالبة عاشقة للفن تشرح ما في لوحة الفنانة سعاد العطار من أبعاد

القديمة ...... وصلناها بعد مسير ثلث ساعة تقريبا بالسيارة ، بعض معالم الآثار ما زالت قائمة بعد ان تم ترميمها ، بجانب الآثار لافتة كتب عليها :

« اختطت البصرة القديمة سنة ١٤ هـ - أي سنة ٦٣٦ م ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد بنى الصحابي عقبة بن غزوان المسجد الجامع سنة ١٤ هـ من القصب ، ثم أعيد بناؤه بالطين سنة ١٦ هـ » .

سألت عن البلدة المحاذية للمكان .. فقيل لي إنها الزبير .

قلت : « وهل بنيت مكان البصرة القديمة » ؟

أجاب السيد شاكر : « ربما احتلت الزبير بعض أطراف مدينة البصرة القديمة » .

على كل حال .. يُعتقد أن الصحراء الشاسعة التي تحيط بنا .. هي مكان البصرة القديمة ، لذلك فإن بعثات الآثار مازالت تنقب في هذه المنطقة ، وقد وجدت بعض الشواهد كما ترى ، فهذا بيت أو ربما قصر يعود بناؤه الى العصر العباسي ، وهذا جزء من أسوار المدينة ، أو أحد الأسوار الذي كان يحيط بمضارب احدى القبائل ، على أساس أن كل قبيلة كانت تسور مضاربها من قبل .

« والمربد .. أين موقع المربد » ؟

أجاب : « لقد اندثر المكان كما ذكرت لك »

قلت : « دعنا نرى .. ان استطلاعا عن المربد دون وجود صورة حتى للصحراء التي كان قائما عليها يبقى ناقصا » .

دخلنا الزبير .. وخلف شارع يفصل الزبير عن بيوت لا تختلف في ساتها عن بقية البيوت .. قال السيد شاكر : « هذه المنطقة يقال لها المربد الآن .. بيوت عادية وأرض رملية عادية أيضا ، التقطنا بعض الصور للمنطقة » .. ثم لفت نظري ونحن عائدون الى البصرة الحديدة .. بناء شامخ في مقبرة ، فقيل لي أن المقبرة تسمى باسم الامام البصري ، نظرا لوجود قبره فيها ، وقد بني عليه قباب ومزار ، وكتب على الرخامة التي تحاذي تابوته : « الامام الحسن ابن اليسار البصري (أبو سعيد) امام أهل البصرة ، عالم فقيه ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٢١هـ ، مات سنة ١١٠هـ ، ودفن بالبصرة » .

وقد بني البناء على الطراز السلجوقي ، وهو في شكله الخارجي يشبه ثمار الصنوبر ، ويوجد بجانب تابوته ، تابوت ابن سيرين العالم المفسر صاحب كتاب« تعبير الرؤ يا »

وفي المنطقة التي قيل أنها تحتوي على آثار البصرة القديمة ، شاهدنا بقايا جامع لم يبق الاجانب منه .. وقيل انه الجامع الذي بناه الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وان المنطقة تحتل المكان الذي قيل أن موقعة الجمل المشهورة قد حدثت فيه .

الاسم .. والمعنى

جاء في كتاب « اسواق العرب في الجاهلية والاسلام » لسعيد الافغاني : « أن المِرْبَد تُقال على وزن مِنْبَر » وكان الأخفش يقول المَرْبد كمَسْجِد .

ومعنى المِرْبَد محبس الابل ومربطها ، والمربد أيضا بيدر التمر لانه يُربد فيه فيشمس ، والرُبدة لون يميل الى الغبرة ، ومربد البصرة هذا متسع للابل تربد فيه للبيع ، وكان في الأصل سوقا للابل ، حتى اذا كان عهد الأمويين صار سوقا عامة تتخذ فيه المجالس ،



الفرقة القومية للفن الشعبي وهي تؤدي رقصة معبرة

ويخرج اليها الناس كل يوم ، كل الى فريقه وحلقته وشاعره ، وتتعدد فيه الحلقات ، يتوسطها الشعراء والرجّاز ، ويؤمها الأشراف وسائر الناس ، يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون ، وقد وجدوا فيه مستجما لأبدانهم وأرواحهم التي أنهكتها الفتوحات ، وحنت الى سابق عهدها فى عكاظ ، فجددت ما سمح به الدين الجديد . بل غضت النظر فتسامحت أحيانا ، وأحيت ما أمات الاسلام من حمية جاهلية واحن وثارات ، كان يبعثها الناس من تلقاء أنفسهم ، أو بتشجيع خفى من بعض الخلفاء الأمويين ، ليشغلوا الناس بعضهم ببعض عن الخلافة ، وما يأتى الخلفاء من هفوات .

أما فى عهد العباسيين . . فيذكر الأفغانى : « لقد بنيت فيه (المربد) الدور الجميلة ، وتفاقم أمره ، حتى صار من الضرورى لكل واحد فى عصر العباسيين ان يغشى المربد ، ان لم يكن لحاجة فلترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن ، حتى قال جعفر بن سليمان الهاشمى جملته المشهورة « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارى عين المربد » .

وقد شهد المربد فى عهد الخليفة الرابع على بن ابى طالب كرم الله وجهه جانبا من الخلاف ، الذى اشتجر بين جماعته وجماعة السيدة عائشة رضى الله عنها ، اثر مقتل الخليفة الثالث عثمان .

ومازال السوق فى مجده هذا حتى خرب وخربت البصرة ، وتقلص العمران بينهما ، الى أن صار بين المربد والبصرة ثلاثة أميال خراب على عهد ياقوت (توفى سنة ٦٢٦هـ) .

الأثر

يذكر أسعد يوسف داغر فى كتاب « مهرجان المربد الشعرى » ان نشاط المربد « مر فى ثلاثة أدوار متميزة ، كان شأنه فى كل منها مختلفا ، يتفق الأول منه مع عهد الخلفاء الراشدين ، اذ كان يقتصر أمره على

التجارة غالبا ، وان لم يعدم يوما ان كان ساحة حرب أو مسرح مأس ، فهو سوق البصرة أيام الراشدين ، وأغلب مايتاجر به التمر وما اليه ، والابل والسلاح والغنائم ، مما كان يقسم على المحاربين ، فيشيعه هؤلاء في المربد » .

ويمضي داغر فيقول عن الدور الثاني :

والدور الثاني هو عهد الأمويين ، فقد اتسعت السوق ، وكثر قاصدوها من الأطراف ، وازدهرت بالشعر والشعراء والأدباء والعلماء ، وازدان هذا العهد بأفحل رجاز وشعراء اخرجهم العهد الأموي ، ونخص بالذكر منهم : جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، والبعيث ، وراعي الابل وذا الرمّة ، ومن الرجاز رؤبة ، وأباه العجاج ، وأبا النجم العجلي » .

أما الدور الثالث فيأتي بين آخر العصر الأموي والقرن الثاني للهجرة ، فقد نضجت فيه حركة المربد الأدبية والعلمية ، وكان من أبطال المربد أكابر النحاة ، ورواة الشعر والأدب ، والشعراء » .

تصحيح اللغة

وقد جاء في كتاب « أسواق العرب » للأفغاني الوارد ذكره من قبل ما يلي :

« اصبح المربد غرضا يقصده الشعراء ، لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون ، يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون ، والنحويون يخرجون الى المربد يسمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ومذاهبهم ، ويخرج الأدباء الى المربد يأخذون الأدب ، من جمل بليغة وشعر رصين ، وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، اذ أن الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ الكلام عن النّظام ، وتلقف الفصاحة عن الأعراب شفاها في المربد » .

وينهي الكاتب حديثه عن المربد فيقول :

« كان المربد مسرحا لدعوات سياسية ودينية ، واستغاثات وشكوى ورثاء وفخر ، كما كانت عكاظ . واحفل ما كان المربد في النصف الثاني لعهد الأمويين ، والثلث الأول لعهد العباسيين » .

طرائف وصور

احتوت الكتب التي أرّخت للمربد القديم الكثير من الطرائف والصور والحكايات ، عما كان يدور في حلقات الشعراء والنحويين واللغويين . ومن بينها :

هاجى جرير ثمانين شاعرا ، وكان عمر بن لجأ أحدهم ، وكان جرير قد هجاه كثيرا . . . ومن ذلك .

يا تيمُ تيمَ عديَ لا أبا لكمُ
لا يقذفنكم في سوءة عُمَر
أحين صرت سماما يا بني لجأ
وخاطرت بي عن احسابها مضر

فبينا جرير واقف بالمربد وقد ركبه الناس ، وعمر ابن لجأ يتهيأ للرد عليه ببيتين ، هدأت الضجة ، فقال عمر هذين البيتين ، وكان قد رفده بهما الفرزدق .

لقد كذبت وشر القول أكذبه
ما خاطرت بك من أحسابها مُضر
ألبست فروة حوّار على لؤم
لا يستبق الحلبات اللؤم والخور

سمعهما جرير ففكر ثم فطن للأمر فقال « قبحاً لك يا بن لجأ ، اهذا شعرك ؟ كذبت والله ولؤمت ، هذا شعر حنظلي ، هذا شعر العزيز (يعني الفرزدق) فابلس عمر وما ردّ جوابا ! »

وكان في الحلقة غنيم بن أبي الرقراق ، فطار حتى



ياسين نصيّر — حاتم الصكر

أتى الفرزدق فضحك له وأخبره الخبر « فأستلقى الفرزدق يضحك ، حتى فحص الأرض برجليه ، وقال في ساعته يريد عمر بن لجأ ، هذا الذي دخل بين فحلين ، فسقط مطرحا بين أقدامهما » كما جاء في كتاب أسواق العرب .

وروى عبد الحميد العلوجي في الكتيب الذي أصدرته الهيئة العليا لمهرجان المربد ، وحمل اسم « أيام في المربد » الحادثة التالية .

« كان المربديون جميعا ، ومعهم الدين يحضرون مواسم المربد ، يعلمون جيدا أن حرية القول مكفولة للجميع دون استثناء ، وانها مباحة حتى للمجانين ، فهذا الشاعر ذو الرُمة شوهد ينشد بالمربد والناس يجتمعون اليه . واذا هو بخياط يطالعه ويقول : يا غيلان !

أأنت الذى تستنطق الدار واقفا
من الجهل هل كانت بكنّ حلول

فقام ذو الرُمة وفكر زمانا ، ثم عاد فقعد فى المربد ينشد ، فاذا الخياط نفسه قد وقف عليه ، ثم قال :

أأنت الذى شبهت عنزا بقفرة
لها دنب فوق استها أم سالم .

فقام ذو الرمة ، فذهب ولم ينشد بعدها فى المربد ، حتى مات الخياط » .

من المربد السادس

ومن طرائف المربد السادس أن أحد الشعراء الموريتانيين ، قد أصر على متابعة قراءة مطولة أُملّت ، ودفعت الجمهور الى مطالبة الشاعر بالتوقف وانهاء القصيدة . الا أن الشاعر أغمض عينيه وأصم أذنيه . ولم تفد فيه الاشارات ولا أصوات الجمهور الغاضبة ، فأكمل قصيدته حتى نهايتها ، وعندماسئل عن هذا الموقف أجاب :

انما أردت ابلاغ الناس ان فى موريتانيا شعرا عربيا فصيحا مثل غيره من الأقطار العربية .

فقيل له : لكنك أطلت . . وشعرك تقليدى لا جديد فيه !

فقهقه عاليا وتناول من جيبه قصيدة جديدة وشرع بالقراءة . .

فانفض الناس من حوله !

ومنها الحادثة التالية : اذاع المذيع اسم أحد شعراء المغرب العربي كى يلقى قصيدته ، الا أن الشاعر الذى شوهد فى القاعة من قبل كان قد اختفى منها لحظة النداء على اسمه .

وفى جلسة ثانية . . فإن الشاعر شوهد أيضا في القاعة فتم النداء على اسمه . . . الا انه كان قد اختفى أيضاً ! وبعد أن قرأ ثلاثة شعراء قصائدهم فان اسم الشاعر نفسه تكرر على لسان المذيع ليلقى قصيدته . . . فضجت القاعة بالضحك الاستنكارى ! ومع ذلك فإن الشاعر لم يظهر من غيبته . .

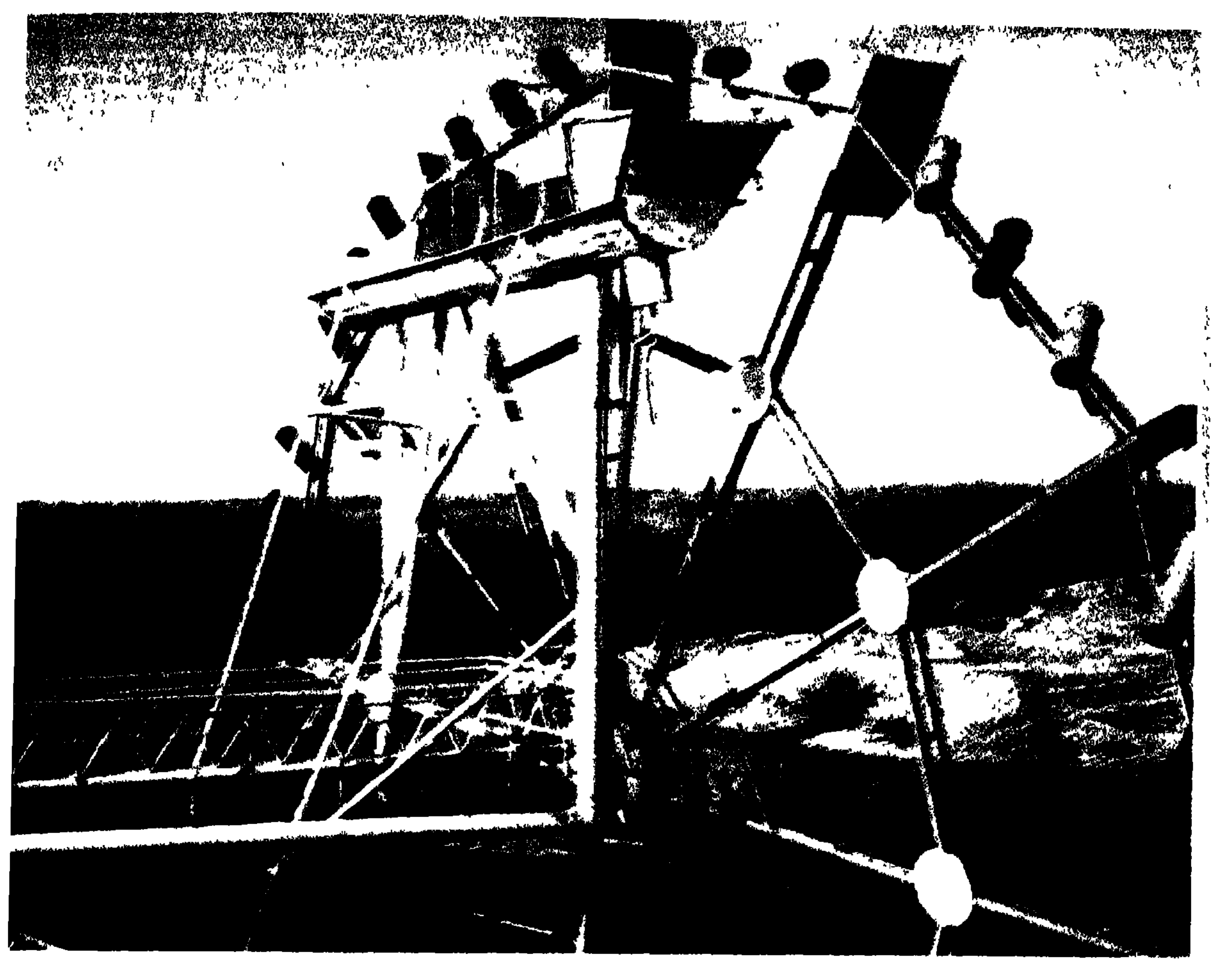
حلم دولة الشعراء

استغرقت رحلة القطار الليلى بين بغداد والبصرة ما يزيد على اثنى عشرة ساعة ، أمضاها الشعراء « والغاوون » بين سهر وندوات صغيرة ، وهرج ومرج فى المطعم ، أو الاشتراك فى كتابة القصيدة « المربدية » التى ساهم فى كتابتها عشرات الشعراء . . وهى من وزن واحد وقافية واحدة . . سجل فيها الشعراء بعض المواقف والطرائف . . وهى تعتبر من « حلمنتيشيات » القصائد ، خصوصا وأنها تضمنت بعض المواقف التى حدثت فى القطار من صفير « الميكروفون » ومضايقاته ، والنداء على كهربائى القطار كى يصلح هذا المكان أو غيره .

عندما اخذت خيوط الصباح الوليد تتوالى . . فان الحركة الكسلى الخدرة داخل القطار دب فيها النشاط والحيوية . .

ملامح البصرة المغبشة كانت قد أخذت تلوح . . بساتين نخيل على مد البصر . . القطار يصفر . . وبضعة طيور تصفق بأجنحتها وتطير ، الأحاديث فى غرف القطار ما زال يشوبها الخدر . . . . و . . . كتلة ودفق من ناس ظهرت مدججة بأصواتها وطبولها وأبواقها ، ووورودها وتمرها ولبنها ، انها محطة المعقل بالقرب من البصرة ، أهازيج وهتافات ، وعناق وكلمات ترحيب وزغاريد . . طلبة وطالبات ونسوة وعمال . .

يفاجىء البصريون الشعراء بهذا الاستقبال الحافل ، فيهزهم ويطربهم ويؤثر على حواسهم ،



ناعورة في القاطع الأوسط . . مغاريف المياه فيها دانات مدافع فمتى تسكت مدافع الحرب ؟

يتردد حلم دولة الشعر فى أذهانهم . . وتترقرق حبات دموع على خدودهم .

مكدودون . . ومتعبون كانوا . . وهاهم بين بحر الجماهير يسحون ، وتصهل بعض أصواتهم كخيول أصيلة .

على جانبى الطريق . . كان الناس من جميع الأعمار يلوحون بالاعلام والزهور . . وصل الركب الى تمثال السيّاب . . كان شامخا تحرسه أكياس الرمل . . تحلق الناس حواليه ، يحميه النهر والنخيل من الخلف . . وسدّ من زنود وسواعد الرجال على حطوط الجبهة . .

وقفت ابنتاه بشموخ أمام تمثاله ، وأجبن على الأسئلة المستفسرة

هلّ فى الخاطر تراث السيّاب وبعض قصائده . . وصوته المتميز والمتفرد فى حركة شعرنا العربى الحديث : أنشودة المطر ، غريب على الخليج ، المخبر ، المومس العمياء ، حفار القبور . وغيرها . . وغيرها

هدير المدافع يسمع دويه من بعيد . فيترسب داخل النفوس الجواب عن السؤال الذى طر- بداية هذا الاستطلاع :

لماذا لم يعقد هذا المربد السادس فى البصرة '

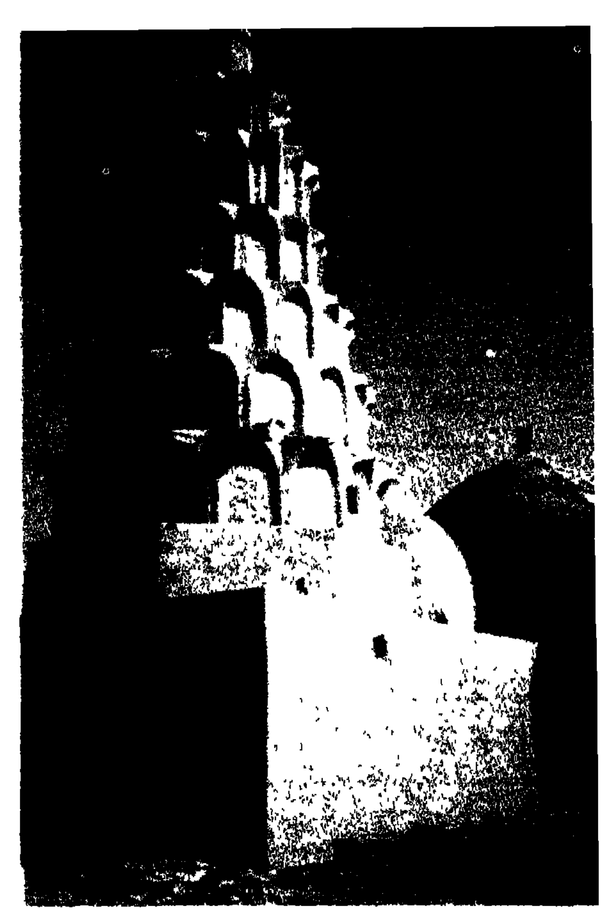
يصل الشعراء الى الفندق . فيرتاحون قلي ثم يذهبون الى المتحف الذى يحتوى على اللقطات الانسانية ، التى دهمتها قذائف الحر فقتلت الأطفال والنساء والشيوخ .

صور من الدمار ، الدماء ، الضحايا . . . . الأسئلة التى تستحث الأجوبة . . . ألا نهاية الحرب التى وقودها بشر وامكانات ؟ !

يتحرك الركب وفى الحلوق غصة . . . وآمال فى نهاية قريبة لهذه الحرب .

فى القاعة الفسيحة التى غصت بحضورها انه أصوات الشعراء . . بعض الشعر جاء باهتا لأنه على عجل . يريد تسجيل اللحظة والمناس وبعضه وخاصة من بعض شعراء البصرة الشب جاء الشعر معافى ، فيه رنة الصدق واخا المعاناة ، والتمثل الخلاق لحركات الشعر ومحطات

ينتهى المهرجان الشعرى القصير . ويبقى



ار الامام الحسن البصري بنى على الطراز السلجوقي



مدير اثار البصرة وبعض النماذج من الآثار القديمة

ودفق وحماس استقبال البصريين للشعراء ، فى قلب ذاكراتهم وملء حنايا نفوسهم .

ويرخى الليل سدوله وتتحرك « الناصات » ليعود الجمع من حيث أتى الى القطار الناس كانوا وقوفا على جانبى الطريق ، يودعون تماما كما استقبلوا . . المدينة كانت مزنرة بأكياس الرمل . وأصوات المدافع كانت تفزع طيور النوارس على مياه الخليج !

فمتى تفك المدن أربطة القطن والشاش ، وأكياس الرمل من حولها ؟ ومتى ترحل الغربان التى احتلت أمكنة النوارس ؟ ومتى يعود الخليج بحيرة آمنة ؟

هكذا توالدت الأسئلة أيضا وتواردت الأجوبة . فى القاطع الأوسط من الجبهة . . وفى مدينة الموصل .

السلاح وزنود البشر وعزائمهم . . كانت فى أماكنها وعلى أهبة الاستعداد . . لكن متى يتحول كل هذا الى سكة فلاح تلمع وتشق الأرض وتفلحها ، ومتى تعود مطرقة العامل الى صنع مايمكنه ان يفيت ويزيد من خصب الحياة وتطورها ، ومتى يعود الطالب والأستاذ . . والموظف الى أماكنهم العادية والطبيعية ؟

النوارس ترف حملى على مياه الخليج . والطيور عادرت بعض رؤ وس الجبال ، لتبحث لها عن أماكن أكثر أمنا وأمانا فى القاطع الأوسط بعد ان ، احتل الجنود بعض اماكنها . .

كان الراعى وقطيعه فى القاطع الأوسط على مسافة كيلومترات قليلة من حدود التماس علامة دهشة ، فجعلت ذلك فألا واشارة الى أن أيام الحرب يجب الا تطول . . وان النواعير التى بناها الجنود من دانات المدافع الفارغة كى تسقى زراعاتهم المستعجلة . اشارة أخرى على ضرورة عودة كل فرد الى مكانه الطبيعى . . فمتى تنتهى الحرب ؟ !

آراء فى الشعر والنقد

الاستاذ ياسين النصير ـ ناقد من القطر العراقى ، قال عندما سألناه عن تقييمه لما استمع اليه من قصائد شعرية .

« يعانى الشعر العربى عموماً ، وليس فى هذا المهرجان فقط ، فى الفترة الأخيرة من فقر دم

حقيقي ، بسبب سيطرة الأنا ومشكلاتها الفردية ، ـ وليست الذاتية ـ على مناخ القصيدة ، وانحصر البعد الاجتماعي وقضية هموم الحياة في الموقع الخلفي من وعي الشاعر

لقد غلب على الكثير من قصائد المهرجان طابع المباشرة ، والحدث الآني ، ومحاكاة منطقة الانفعال .

ـ والقصيدة الجيدة . . . ألم تكن موجودة في المهرجان ؟

كانت موجودة ، ولكنها ليست على مستوى الابداع الفني وما نحتاجه على سبيل المثال في قصيدة الحرب القصيدة المركبة التي تتداخل فيها الأصوات والمواقع والأفكار والأزمنة ، لأن القصيدة المركبة هي خلاصة دراما الحالة الشعرية

كما أن الشعر لم يكن وحده هو الهم الأساسي في المهرجان ، كما كان في المهرجانات السابقة ، بل أصبح للنقد دور مهم آخر وهذا بعد جديد .

ـ أما الاستاذ عبد الرزاق البصير ، وهو كاتب من الكويت ، فانه علق على بعض ما استمع اليه من قصائد المهرجان :

« كنت أتمنى أن يكون ما أُلقي من قصائد أقوى مما هو عليه ، وقد أرجع ضعف بعضها الى أن الأحداث لم تستقر بعد في ذهن الأديب والشاعر ، لأنها ما زالت في طور الحركة والتفاعل والاصطراب

ونحن نعلم أن هذه الحرب الضروس ما تزال دائرة يشب لظاها ، ومعنى ذلك أنها مازالت تومىء للشاعر والقصاص وغيرهما من المبدعين ايماءات هي أقرب الى الانفعال من التعمق . ونحن ان أخذنا ما أُلقي في مهرجان المربد السادس ، بناء على هذه النظرة ، فاننا يمكن أن نعذر بعض الضعف الذى جاءت عليه بعض القصائد ، لأن الحدث الكبير . . لم يفرز حتى الآن مايوازيه على صعيد الابداع الفنى »

ـ أما الاستاذ جهاد فاضل وهو ناقد من لبنان . . فإنه أجاب عن نفس السؤال بقوله :

« لقد كان في المهرجان شعر جيد وشعر غير جيد ، وهذا طبيعي ومألوف منذ أن وجد المربد الأول سنة ١٩٧١ ، وفى المهرجانات التى تبعته ، على أن الشيء الجوهري المعول عليه ، هو حصول هذا اللقاء الذى جمع جمعاً من الشعراء ، لا أعتقد أن أي مربد سابق قد تمكن من جمعه ، وفى الوقت الذى لا تستطيع فيه الكثير من المؤلفات والكتب النقاد عبر أسوار بعض الأنظمة العربية ، فإن بلدا كالعراق العربى ، أستطاع أن يجمع مئات الشعراء ، يمثلون كل الأجيال والمذاهب الشعرية .

اضافة الى مهرجان الشعر ، فإن مهرجانا آخر كان يعقد فى نفس الفترة . . هو مهرجان النقد .

ـ الاستاذ حاتم الصكر من القطر العراقى شاعر وناقد . . قال :

لم تقدم قصائد المهرجان جديدا بالمعنى الفنى ، فما استمعنا اليه إما شعر قديم ، بمعنى أنه نشر من قبل ، أو انه تنويع على صوت الشاعر ذاته ، وكان فى ظنى أن الشبان سيكونون واجهة المهرجان التى تلفت الانتباه ، لكن ذلك لم يحصل مع مزيد الأسف .

صحيح أن هذا المهرجان كان أكثر تعددا فى الأصوات ، كما أن الهموم الشعرية التي كانت مترفة فى المهرجانات السابقة ، استبدلت بما هو أكثر ارتباطا بظروف الحياة العربية ، كموضوع الحرب ، وقضية فلسطين ، وتحرر لبنان ، وهذه فضيلة تحسب للمربد السادس .

أما بالنسبة لجلسات النقد فقد تحققت فيها التعددية والتنوع ، اللذان افتقدتهما قصائد الشعراء ، فتعرفنا على مناهج حديثة ، متفاعلة مع الغرب والأصالة ، وهى فى تعددها ظاهرة حوار طيب يغنى ويضيف . وكانت « تقليدا » جيدا تمت الاستعاضة به عن جلسات نقد القصائد ، التي كانت تلقى بالمهرجانات السابقة ، لأن تلك الجلسات السابقة كانت تغلب عليها العجلة والسلق .

ـ لكن جلسات النقد فى المربد السادس ، كان لاعلاقة لها بصورة مباشرة بقصائد المهرجان . . فما قولكم في ذلك ؟

. « اعتقد ان هناك ضرورة للجمع بين الطريقتين ، أى أن يتم تجاوز السلق ، وفى نفس الوقت أن يكون لقصائد المهرجان حضورها فى جلسات النقاش » .

أضواء على جلسات النقد

عن جلسات النقد وأجواء الشعر حدثتنا الشاعرة الناقدة الفلسطينية الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسى

فقالت :

« كانت البحوث خليطا كبيرا لمستويات وتيارات متعددة ومختلفة .

واجمالا يمكن القول بأن جلسات النقد كانت متميزة بالجد ، ومعالجتها كانت جيدة جدا .

ان ماطرح فى جلسات النقد لم يواكب مواكبة مباشرة قصائد المهرجان ، وغلب عليه التنظير غير التطبيقي ، وبعض النقد التطبيقي تبني الأساليب السيوية والأستمولوجية وغيرها .

وهذه التيارات بحد ذاتها جيدة ومهمة ، ويجب متابعتها وتطويرها ، وهى اغناء ثقافى لنا ، ولكنى اعتقد بأن الشعراء لايستفيدون منها ، وتمثلها غير متحقق .

أما بالنسبة للشعر فإنه يمر في أزمة ، وأزمته تقع فى الصورة الشعرية ، وفي (أنملاتس) أشكاله ، وفي هوس التحديد

وأشدد . . الى أنني لست ضد التجديد أبدا ، لكن التجديد فى سبيل التجديد ودون حاجة فنية فإنه خطر .

كما أن اتباع الأزياء ، كزي الصورة المعقدة ، أصبحت فى الكثير من هذا الشعر خالية من المنطق الداخلى ، وهى خالية بالطبع من المنطق الخارجى ، والصورة الشعرية يجب أن يكون لها منطق داخلى على الأقل ، مما يمكن أن يفهمة الانسان شعوريا محتى ولو لم يفهمه منطقيا وحرفيا ، ومن الأزياء أيضا الموضوع الشعري فقد أصبح ضيقا فى الشعر الحديث ، وأعتقد الآن بأن الشعراء قد بدأوا يتحررون من الالتزام الصارم بالموضوع السياسي .

وأهم مثل على هذا ما حدث فى شعر محمود درويش ، وفى شعر بعض الشعراء العراقيين .

وأعتقد ان لهجة الاحتدام هى من أهم الأمور التى يجب أن تزول من الشعر ، صحيح أن حياتنا محتدمة ، ولكن الفن الجيد لايسمح بالاحتدام المستمر .

فأنت تقرأ قصيدة ما ، لتجد أن بدايتها حتى نهايتها على نفس اللهجة من الاحتدام والتوتر . ويصور الشاعر نفسه فريسة لجميع أنواع الآلام ، وتائها ومتعباً ومطاردا وملاحقاً ، والحقيقة أن الانسان المعاصر مضطهد ، ولكنه ليس بطلا ، ما عدا الذين يحاربون ، وهؤلاء ليسوا المظلومين ، بل انهم هم الذين يمارسون الحرية القصوى ، ويشعرون بالامتلاء النفسى (فى حالة الاقتناع) ، وأعتقد أنه قد حان الوقت ليكون قد حلّ بالشعراء ما يمكن أن أسميه بالارهاق الجمالى . وأرجو أن يكون قد حدث هذا بالفعل ، وأن نرى تغيرا مهما فى موضوع الشعر .

أما بالنسبة للصورة الشعرية ، فإن استيعابها الفنى غير كاف عند الكثير من الشعراء ، وما أعنيه بذلك هو الوعي بجمالية الصورة وانضباطها .

وهنا اعتقد ان النقد قد قصر كثيرا .

ـ الأستاذ الدكتور جابر عصفور استاذ النقد فى أكثر من جامعة عربية وأجنبية ، علّق على بحوث المهرجان . . فقال :

« باختصار . . . ان البحوث التى شارك بها مجموعة من الباحثين فى جلسات النقد ، ماهى الا صورة من صور الحياة الثقافية فى الوطن العربى ، بكل مستوياتها وتناقضاتها .

يمكن تقسيم المداخلات الى قسمين :

ـ مداخلات وبحوث مكتوبة .

ـ مشاركة شفاهية . . نبعت فى حينها تعليقا على ما طرح فى جلسات النقاش .

وقد غلب على أغلب البحوث المكتوبة الطابع التقليدى الذى يعتمد على جمع المعلومات وتكرار الأفكار وحشد المعارف .

والبحوث التى كانت يمكن أن تثير بمحتوياتها قضايا فكرية خصبة كانت قليلة .

اذا ما تركنا جانب السرعة ، وغياب اسهامات مجموعة من الباحثين ، فالذى لاشك فيه أن بعض المداخلات والتعقيبات الشفاهية ، لمجموعة من الباحثين ، كانت بمثابة استشراف لآفاق أكثر خصوبة من بعض الأبحاث المكتوبة .

لا يمكن اغفال أنه وجدت بعض الأبحاث التى اتسمت بطابع الحداثة ، مقابل أبحاث أخرى مازالت محافظة على المناهج التقليدية المألوفة .

مربد سنوي

هذا وقد تم الاعلان في نهاية المهرجان عن إقامته سنوياً بدلاً من كل سنتين ، وتخصيص محطة إذاعة خاصة بالشعراء أثناء انعقاد المهرجان . □





الابتسامة لاتفارق الشفاه ، والأمل متمكن في النفوس ، ونظرة كلها حب للحياة .



في يوم الاثنين . . وبالتحديد في ٢ أغسطس من عام ١٩٦٨ ، تعرضت سهير لحادث سيارة مروع ، فقدت على أثره قدرتها على السير والحركة ، بسبب كسر في العمود الفقري ، أسكن طفولتها البريئة وأقعدها عن الحركة واللعب لمدة ليست بالقصيرة . لم يكن أمام والدي الطفلة الا ارسالها للعلاج بالخارج ، ولما لم تكن ظروفهم المادية تسمح بعلاجها ، فقد تبرع لها أهل الخير ، وسافرت سهير في رحلة علاج طويلة ، لم تدخل خلالها مستشفى ولم تتناول عقارا ، بل عاشت قرابة العام في جمعية للمعوقين ، مارست خلالها أنواعا من العلاج بواسطة الطب الطبيعي ، عادت بعدها الى أرض الوطن سليمة معافاة ، وهي الآن حجر الأساس في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، واللبنة الأولى التي وضعت فوقها لبنات كثيرة ليعلو البنيان .

من سهير جاءت فكرة رعاية المعوّقين في الكويت ، واعطائهم حقهم في الحياة وفي العمل والانتاج ، باعتبارهم أفرادا يدخلون في حسابات الكم والكيف للمجتمع ، فلا تكون العاهة سببا في عزل الفرد بعيدا عن مجتمعه ، أو تكون الاعاقة سببا في نبذه ورفضه كشخص له حقوق وعليه واجبات .

وتأسست الجمعية . . لتعيد الثقة لذوي العاهات ، وتزرع الابتسامة فوق شفاههم ، وتوصلهم الى بر الأمان ، لتخلق منهم شبابا يثقون في أنفسهم ، ويعتمدون عليها كل الاعتماد .

وبمبلغ متواضع لم يجاوز ثلاثمائة دينار بذلته مجموعة من رجال ونساء الكويت ، لتخفيف آلام أطفال أقعدهم المرض ، وآباء وأمهات أعيتهم الحيلة في علاج أبنائهم - قامت الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، متخطية المصاعب ، مجتازة العقبات ، حتى أصبحت اليوم حقيقة إنسانية مشرقة ، بل هي واحدة في أهم دلائل التقدم في هذا البلد .

السيد هاشم تقي مدير الجمعية الكويتية للمعوقين ، يتحدث عن أهداف الجمعية والخدمات التي تقدمها .

يقول السيد تقي : نحن جميعا معرضون للتعّوق بين لحظة وأخرى بسبب حادث سيارة ، أو أي كارثة قد تقع داخل المنزل ، من حريق أو سقوط من أعلى . . . . الخ

ان الاعاقة كذلك قد تشمل أي شخص يجهل لغة ما ، فحين تكون في بلد لا تعرف لغتها فأنت اذا معوق بأحد من معاني الاعاقة ، ومن هنا ينبغي باديء ذي بدء أن توضح مفهوم كلمة معوق ، فالمعوق : هو كل شخص غير قادر على أن يؤمن لنفسه كليا أو جزئيا ضروريات الحياة الطبيعية نتيجة عجز أو قصور في قدراته البدنية أو العضوية أو العقلية .

المعوّق والمهارة الفائقة

ويتابع السيد تقي حديثه فيقول : « نحن في الجمعية الكويتيةلرعاية المعوقين نرفض عزل المعوق عن المجتمع ، ونحاول بقدر ما نستطيع أن نجعله يشعر بأنه طبيعي ، وندفعه الى ممارسة حياته الاعتيادية ، برغم القيود التي قد يفرضها عليه المجتمع والناس ، مما قد يؤخر علاجه ، ويحتم عليه البقاء بعيدا عن الناس ، والتقوقع في ذاته طوال سنين حياته .

بينما لو أُتيحت الفرص لهذا الانسان للخروج الى المجتمع ، ولو أحسن تدريبه ، لفاق الشخص العادي ، ولحقق ما عجز الأسوياء عن تحقيقه . فتوفير الطرق والأساليب السليمة ، وتدريب المعوّق تدريبا جيداً ، سيجعله فردا منتجا ، فلا يشعر بأنه عالة على أسرته وعلى المجتمع .

فهذه طفلة مصابة بشلل كلي ، لا يتحرك في جسمها سوى وجهها ، هذه الطفلة كانت تقرأ بعينيها ، وتدرس وتقدم الامتحانات ممسكة القلم بفمها ، واستطاعت بعزيمة قوية واصرار شديد أن تنجح في امتحانات الثانوية العامة نجاحا باهرا ، لم يقدر أي سَوِيٍّ على تحقيقه .

فاليأس ان سكن القلب قتله ، والانسان ذو الارادة القادرة على هزيمة يأسه لا بد أن يصل يوما الى مبتغاه .

إن أول ما نسعى الى تحقيقه في الجمعية توفير أكبر قدر ممكن من الرعاية للاطفال والصغار بصفة عامة ، والذين تواجههم مشاكل صحية أونفسية أو اجتماعية بصفة خاصة ، وذلك عن طريق توفير المناخ الصحي

والاجتماعي والثقافي الملائم ، لتنشئة الأطفال والصغار المعوقين ورعايتهم ، وتوفير المؤسسات والأندية المتخصصة ، لتقديم الرعاية والايواء والتوجيه السليم ، والاعداد المهني والتربوي للطفولة المتخلفة عقليا أو صحيا ، والعمل على توفير الوسائل الصناعية من أجهزة وأطراف لذوي العاهات ، بقصد تذليل الصعوبات في دخولهم الى المجتمع . ولم ننس ضرورة الاستعانة بالخبرات وبالتجارب العلمية والمتقدمة في هذه المجالات ، لخدمة المعوق على الوجه الأكمل »

ويستطرد السيد تقي : « ومن أهم الخدمات وأكثرها شمولية هي الخدمات الطبية ، فبالاضافة الى قيام الطبيب بعمله الاعتيادي ، يوجد هناك خدمات العلاج الطبيعي ، والعلاج بالعمل ، والعلاج بالنطق . فالطبيب يستقبل الحالات المحولة من لجنة التسجيل بالجمعية ، للكشف عليها واعطائها تقريرا طبيا مفصلا ، حيث يقوم بفتح ملف طبي لكل حالة ، يحتوي على ارشادات وتوجيهات الطبيب الى المرضة المسئولة ، بما يتعلق بحالة الطفل المعوق وكيفية رعايته ونوع العلاج المناسب له .

أما في مركز الخدمة الاجتماعية ، فيتركز العمل على دراسة وضع الحالة من الناحية الأسرية ، بحيث يتم التعرف على اتجاهات الأسرة وامكاناتها ، للعمل على تذليل الصعاب التي تقف في طريق علاج الحالة ، ومساعدة أسرتها ، كما يجتهد الاجتماعيون في الحفاظ على الروابط الأسرية ، فلا يكون الأمر غريبا على أي من أفراد الأسرة تجاه الفرد المعوق ، ومن أهم أعمال مركز الخدمة الاجتماعية كذلك ربط المعوقين بمجتمعهم الخارجي الكبير وتعريفهم به ، وذلك من خلال الرحلات والحفلات الترفيهية أيضا .

أما الخدمات النفسية فهي تساهم أولا في توفير الشروط الملائمة لتحقيق مطالب النمو ، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب النفسية والوجدانية ، عن طريق المتابعة والتقويم النفسي لكل طفل ، حيث يطلع الاخصائي النفسي على حالة الطفل أولا بأول ، ليتأكد من ملاءمة البرنامج المعد لحالته ، ومن مساهماتها ـ ثانيا ـ الارشاد الأسري . بل يسعى الاخصائيون النفسيون الى استثمار جهود الأسرة للنهوض بالمعوق ، عن طريق حياة هادئة ووسط متفهم لحالته ، حتى يشعر الطفل بالأمان والاستقرار » .

ويضيف السيد تقي : « وتنظم الجمعية دورات تدريبية وندوات لتوعية الأسر والأهالي ، بهدف تعليم الأسرة كيفية التعامل مع طفلها المعوق ، وأسلوب إطعامه وطريقة تنظيفه وإلباسه .

فالجمعية وجدت لتساعد الأسرة على تحمل أعباء الطفل المعوق ، ولكنها لن تكون يوما البديل الذي تلقى عليه الأسرة كل الأعباء ، فالجمعية تحتضن الطفل المعوق . وتساعده على الاختلاط في المجتمع ، وعلى الاعتماد على نفسه ، وتلقنه المبادىء الأولى للحركة والنطق ، ولكنها لاتأخذه من أسرته .

تحتضن الجمعية الطفل أربعةَ عشرَ عاما ليعود بعدها الى أسرته ، انسانا واعيا معتمدا على نفسه ، لايرهق والديه في خدمته . ولا يصح أن تعتبر الأسرة أن الطفل قد خرج عن دائرة مسئولياتها بمجرد زجه في الجمعية ، فذلك أمر مرفوض ، لأن نظام الجمعية يفرض على أولياء الأمور ضرورة الحضور لاصطحاب اطفالهم في كل عطلة أو اجازة ، وقد يكون الأمر غريبا لو قلت لكم كم يصبح الطفل كئيبا عدوانيا اذا مرت الاجازة دون أن تأتي أسرته لاصطحابه بل يقضي المدة كلها في البكاء والصراخ ، حتى أن بعضهم يمتنع عن الطعام نهائيا » .

من وراء الاعاقة ؟

بعد القفزة الواسعة التي قفزها العلم والعلماء في نهاية هذا القرن ، لم يعد هناك مستحيل ، ولم تعد الاعاقة جسدية كانت أو عقلية قدرا محتوما لا يمكن تفاديه جزئيا أوكليا ، خاصة اذا استطعنا ادراك العوامل العديدة التي تلعب دورا في تفاقم حدة المشكلة ، تقول السيدة منيرة المطوع ، أمينة السر في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين : « قد تساور الأم الحامل الشكوك والقلق حول مصير طفلها القادم ، فنراها تخشى على نفسها وعلى طفلها من أي حركة ، وتحتاط في مأكلها ومشربها ، اعتقادا منها بأن كل شيء قد يؤثر على نمو طفلها وعلى ولادته ولادة طبيعية ، ولو حرصت الأم على سلامة جنينها ، لما كانت هناك اعاقات وعاهات بنسبة عالية في الأوساط الأمية .

تدني الوعى الصحى ، وانحصار المستوى الثقافى العام ، وانتشار بعض القيم والمفاهيم والعادات الحائلة دون الأخذ بالمبادىء العلمية ، فى عملية التنشئة الصحية الواقية للطفل جسمياوعقليا ، تجعل الاعاقة متمثلة فى وجود عاهات وتشوهات ، تؤدى الى اصابة الطفل بتخلف عقلى ، أو نقص فى النمو ، ناتج عن تلوث البيئة ، والظروف الصحية السيئة ، وزواج الأقارب ، وتعاطى العقاقير والأدوية ، دون الرجوع الى الأطباء الاخصائيين ، أو التعرض للاشعة السينية أثناء الحمل ، وأثناء فترة الاخصاب ، كما أن سوءالتغذية لدى المرأة الحامل لا يلحق الضرر بها وحدها ، بل و بالجنين أيضا ، فالحامل التى تعانى من سوء التغذية قد تضع مولودها ناقص النمو ، أو فى غير أوانه ، وربما تضطر للاجهاض ، مما يعنى وفاة الجنين ، كما أن القصور فى الخدمات المقدمة للحوامل والمواليد ، وانتشار بعض العادات والتقاليد القديمة السائدة فى اجراءات التوليد ، كل هذه عوامل تهدد الأمن الصحى للطفولة والأمومة » .

وهناك عوامل عديدة أخرى تذكر منها السيدة المطوع : « اهمال أولياء الأمور تطعيم أطفالهم فى الأوقات المحددة .مما يؤدي لانتشار العدوى بين عدد كبير من الأطفال ، ونحن ننادى كل أم وكل أب بأعلى صوتنا ، ونناشد كل مسئول ، بالاهتمام بالأم الحامل والطفل الرضيع ، فالألم الذى قد يعانيه الطفل اليوم يكون سببا فى تفكك الاسرة مستقبلا ، وفى تأنيب الضمير مدى الحياة » . وتضيف السيدة المطوع : « نحن لم نقصّر . . فقد قمنا بتنظيم ندوات ومحاضرات لتوعية الأهالى ، ولا ننسى دور الاعلام الأول فى التوجيه والتنوير ، حفاظا على مستقبل أطفال لاحول لهم ولا قوة » .

المركز الدولى للجمعية

على الرغم من انه لم يمض الا وقت قصير على انشاء الجمعية ، فقد ارتبطت بالعديد من الاتحادات والجمعيات العالمية ، التى تعمل فى مجال المعوقين ، كالاتحاد الدولى للمتخلفين عقليا ، والاتحاد العالمى للمعوقين ، ومنظمة الحراك الدولى ،ومنظمة التأهيل



السيدة مسيرة المطوع ، أمينة السر



للمعوق حق اللعب والضحك ، ومن حقه أن يعيش حياة كريمة ليس فيها اهدار لكرامته ، أو تثبيط لعزيمته .

في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين لا يشعر الطفل بالغربة ، أو بأنه شيء منفصل عن المجتمع





ان التدريب المستمر والتعليم الدائب ، يكسب المعوق بلا شك مهارات فائقة في عدة مجالات مهنية وفنية .

الدولى ، كما تدخل الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين كعضو فى منظمة الشلل الدماغى الدولية ، وقد شاركت الجمعية ببحوث قيمة فى المؤتمرات الدولية والعالمية التى كانت تقام بشأن المعوقين ، فقدمت السيدة المطوع بحوثاً عديدة من أهمها « عالم بدون موانع للمعوقين » ودراسة تقييمية عن المعوقين فى الكويت ، ودراسة عن مركز المعلومات لمنيرة القطامى ، ودراسة تقييمية عن التخلف العقلى فى الكويت للدكتور موسى الحمورى .

وقد ساهمت الجمعية فى العديد من المؤتمرات العربية والعالمية ، فهناك مؤتمر دبلن السادس للمتخلفين عقليا ، ومؤتمر مانيلا الذى عقد فى عام ١٩٧٨ ، ومؤتمر صحة الطفل العربى فى عام ٧٩ ، ومؤتمر الكويت الاقليمى للمعوقين فى عام ١٩٨١ ، ومهرجان الأسبوع الفنى الدولى للمعوقين ، وأصدقائهم الذى حقد فى البحرين .

الصراع من أجل البقاء

ان نظرات الشفقة والعطف تثير فى نفس المعوق الحزن ، بقدر ما تثيره نظرات القسوة والازدراء ، التى قد ينظر بها الأشخاص تجاه المعوق ، فهذا الانسان كتلةمن العواطف الجياشة والمشاعر الصادقة ، وهو وان بدا لك غير مدرك لما يدور حوله ، الا انه شاعر بكل صغيرة وكبيرة .

الأسرة هى العضو الفعال والأساسي في نمو المعوق ونجاح العلاج الذى يتلقاه ، فأسلوب الرعاية الأسرى ، ومدى تفهم الوالدين والأشقاء لوضع الابن المعوق ، له أكبر الأثر فى خلق الطمأنينة والأمان لدى الطفل ، ورغبته الشديدة فى البقاء بينهم فى أسرة متفهمة لوضعه مقدرة لظروفه .

لا شك أن الارشاد الأسرى لذوى الأطفال ، والتقليل من الأثر الصارم لهم داخل العلاقات الأسرية ، واستثمار جهود الأسرة للنهوض بالمعوق ، وتقديم المشورة لها ،وامدادها بالمعلومات الضرورية ، له أثر فعال فى هذا الشأن .

فالمعوق انسان مثلنا ، من حقه أن يعيش حياة كريمة ، فى وسط أسرة واعية متفهمة ، من حقه أن يلعب ويضحك ويعمل وينتج ، لماذا اذن ننكر حقا من حقوقه ونحرمه رغبته فى الحياة ؟ السيد أبو خالد انسان بسيط طيب ، يؤمن بالقدر ، تزوج من احدى قريباته بحكم عادات وتقاليد القبيلة ، دون أن يقيم حسابا لأثر القرابة واختلاط الدم السلبى على الأطفال .

لقد كان الجهل سببا رئيسيا فى مشكلة هذا الانسان ، الذى هو اليوم أب لثلاثة أطفال معوقين . ويقول السيد أبو خالد : « أطفالى الثلاثة يعانون من تخلف عقلى شديد ، مصحوب بشلل نصفى ، وليس وضع أبنائى هو الذى يؤلمنى ، ولكن نظرة الناس لنا ولأولادنا هو ما يقرح جروحنا ويزيد من آلامنا ، انهم دائما يشعروننا بالذنب والنقص ، حتى اضطررنا فى النهاية للبعد عن الناس ، واغلاق بابنا في وجه كل طارق ، فأنا بعد تجربتى مع أطفالى الثلاثة ، أدرك تماما لما لهم من احساس مرهف ، فالمعوق انسان شديد الحساسية ، وأنا كأب لا أستطيع الابتعاد عن أطفالى وعن مداعبتهم ، كما أنى لا أستطيع عزلهم فى غرفة خاصة بهم ، حتى لا يثيروا اشمئزاز الآخرين ، فالعزلة تثير عند أطفالى عدوانية غريبة وكآبة شديدة ، تؤثر فى نفسيتهم وتؤخر علاجهم .

لقد حان الوقت لمجتمعنا بعد كل ما أحرز من تقدم ورقى ، أن يرتفع بمستواه الثقافى ، الى الحد الذى يتناسب والتطور الحضارى فى المجتمع .

أما السيدة سارة فهي أم لطفل يعاني من تخلف عقلي شديد ، يصحبه فقدان للسمع والنطق . تقول السيدة سارة : « لقد اشتبهت بأن حركات طفلى غير طبيعية وهو فى الشهر الثالث ، حيث لم تكن رقبته مستقرة ، وفى الشهر السادس لم يكن الطفل قادرا على الجلوس ، ولم تظهر لى قدرته على السمع ، فذهبت به لاحدى المصحات فى الخارج ، حيث أخبرت بأن طفلى مصاب بتخلف عقلى شديد ، مع ضعف فى السمع ، لا أخفى عليكم ان هذه الفترة كانت صعبة ، وكم كانت المفاجأة مدهشة لى ، لقد هالنى الموقف ، وأيقنت فى هذه اللحظات بضرورة الوقوف الى جانب طفلى ، برغم كل العقبات والصعاب ، وقررت تحمل أعباء المسئولية كاملة تجاهه ، رافضة التخلى عنه أو السماح لأي مؤسسة بتولى أمور علاجه ورعايته ، لقد بذلت من وقتى وجهدى الكثير ، ولكننى لم أيأس أو أعجز ،

وبقيت أحاول مع احدى اخصائيات العلاج الطبيعي التي احضرتها خصيصا لمساعدتي ، في محاولة علاج هذا الطفل البريء ، وبعد محاولات متعددة ، كان يمكن لها ان تنتهي بالفشل ، نجحت محاولاتي ، ومشى طفلي بعد ثلاث سنوات ، لقد كانت قدرة ابني على السير حافزا قويا زاد من تحمسي لعلاجه والاستمرار معه .

صحيح انني لا اصطحب طفلي خارج نطاق الاسرة ، لانني اخشى ان تؤثر تعليقات الناس ونظراتهم على نفسيته ، ولكن ذلك لا يعني انني اعزله وحيدا في المنزل ، فأنا اصطحبه معي في مناسبة او عطلة الى الاماكن الترفيهية ، وان كنت ارى ضرورة تخصيص اماكن خاصة للعب الاطفال المعوقين ، تتناسب وقدراتهم الجسمية والعقلية .

وتضيف السيدة سارة : ويؤسفني عدم قدرة المجتمع على ادراك الحجم الحقيقي لمشكلة المعوقين ، وعدم وعيهم بضرورة الالتفات لهؤلاء الاشخاص ، فلو كرسنا جزءا من اهتمامنا نحوهم لخرجنا بقدرات عظيمة ومهارات فائقة ، فكل طفل سواء كان طبيعيا او معوقا له اهتماماته وابداعاته الخاصة به ، لذلك لابد من توفير الحوافز التي تزيد من حماسته ، تجاه الامور التي قد يبرز من خلالها كفاءة ومهارة فائقتين .

وماذا بعد :

ان تحجيم دور الاسرة ، والقاء المسئولية كاملة على مؤسسة او جمعية لرعاية المعوق امر لايقبله عقل او منطق ، فالاسرة هي المسئولة الاولى والاخيرة ، وعليها يقع العبء ، فلو كانت كل ام قادرة على تحدي الموقف ، والأخذ بيد ابنها والوقوف الى جانبه ، والتخلي عن شبح الخوف من نظرات المجتمع ، لما كانت الاعاقة يوما مشكلة .

لقد رأت الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، ضرورة خلق قوة التحمل لدى الأسرة ، عن طريق انشاء فصول تعليمية صباحية للأطفال ، ذوي الاعاقة البسيطة ، بحيث يتعلمون مباديء بسيطة في القراءة والكتابة ، او تنمية مواهب الرسم والعزف والخياطة ، كنوع من العلاج الطبيعي لليدين ، فلا هم يشعرون بملل في الوقت ، او نقص في الامكانيات ، ولا الاسرة تشعر بان عبء هذا الطفل قد زال عنها ، وانها ليست مسئولة عنه باي حال من الاحوال ، فالطفل المعوق خاصة لا ينمو الا ملتصقا باسرته ، مستدفئا بحنانها .

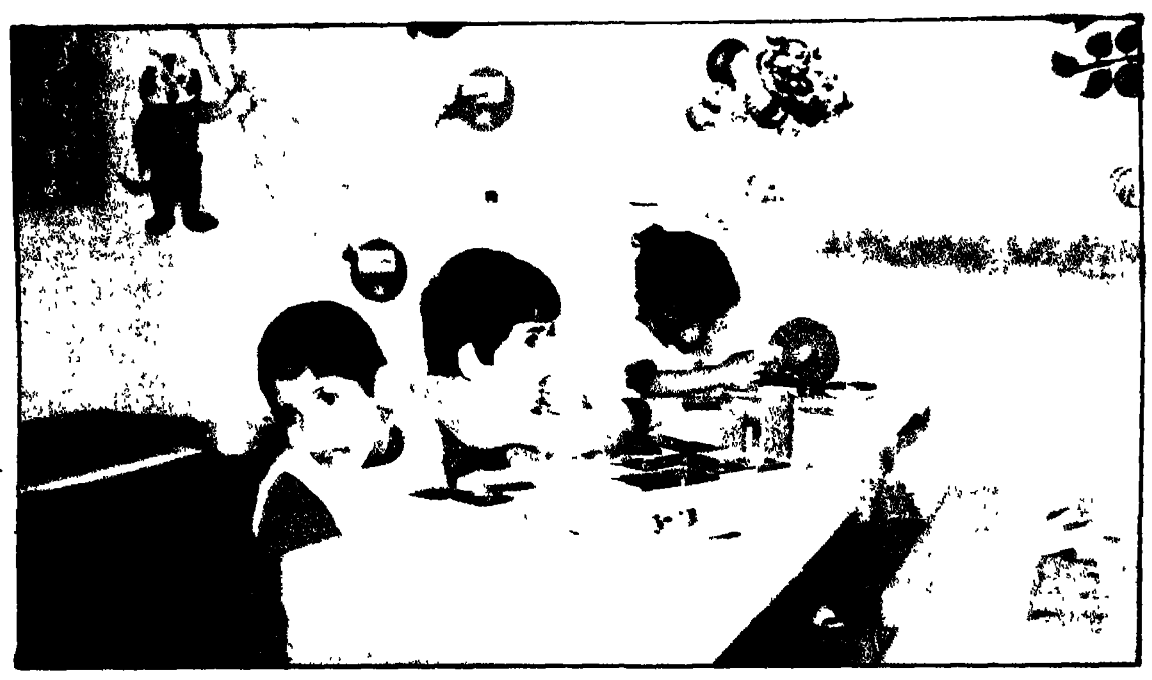
لقد استطاع عدد من الاطفال ان يثبتوا مهارة فائقة وكفاءة عالية ، فقد حقق محمد عمر عبدالله الفوز الأول في العزف على البيانو ، حيث اشترك في مسابقات محلية وعالمية ، وكان دائما يحصل على الترتيب الأول ، كذلك نجح الاطفال المعوقون في اثبات مهاراتهم الفنية في الرسم ، حتى لوحاتهم اصبحت تباع في لندن ، ولم يعد يقام معرض فنيّ محلي او عالمي ، الا ويدعي هؤلاء الاطفال لحضوره . لقد استطاع هذا المعوق ان يثبت قدرته على الابداع والعمل ، بل هو اليوم قادر على الوصول الى المركز الأول ليس في الرسم والموسيقا فحسب ، بل في الرياضة ، يشترك المعوقون اليوم في بطولات محلية او عالمية ، وحققوا فوزا ساحقا في بطولات الجري ورفع الاثقال والعاب القوى والتنس والسباحة والموانع والرمي .

ان تشجيع المعوق وبث الثقة في نفسه ، يجعله قادرا على تحقيق بطولات وانتصارات لم يحققها الأسوياء .

فهل نطمح اذن بمستقبل افضل لهؤلاء الابناء ، وهل لنا ان نغير من النظرة المتشائمة التي تثبط عزيمته وتهدر كل طاقاته ؟

هل تعود الابتسامة ؟

وبعد .. ان حماية الأسرة والمجتمع من التصدع والتفكك يحمي بالضرورة كل الافراد من التخلف والتعوق ، فتدعيم العلاقات الاسرية ، وبلورة مفاهيم الزواج والامومة والابوة والبنوة ، من شأنها تنشئة طفولة سليمة وتنظيم الفكر ، وتعزيز الانتماء ، وان توفير مناخ من الاستقرار ، واشباع الحاجات بالطرق الصحيحة والشرعية ، من شانه بالتأكيد تبديد عوامل القهر والاحباط وبناء شخصية سوية . كما ان توفير البرامج العلمية والفكرية ، وخلق المؤسسات الثقافية والمهنية ، من شأنها اعداد مواطن صالح قادر على التكيف ومواجهة الصعاب . ولا



إن ما تسعى إليه الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، هو استقرار الاطفال فيها نفسياً وذهنياً ، وتنشئتهم بعيداً عن الصراع والألم الذي قد يسببه المجتمع لهم

ننسى ما للرعاية الصحية من تأثير شديد على الطفل منذ بدايته جنينا ، مرورا بفترتي الولادة والرضاعة ، حيث يمكن في هذه الفترة الوقاية من كثير من العاهات ، هذا الى جانب توفير الحماية المطلوبة من احتمال توارث الاعاقات الجسدية او العقلية ، عن طريق المصاهرة او الزواج الداخلي .

ان العمل على انشاء المؤسسات القادرة على استيعاب جميع المعوقين على اختلاف فئاتهم كفيل بانماء قدراتهم وتأهيلهم على افضل صورة واعدادهم لحياة كريمة .

فللمعوق حق الحرية والحركة في مختلف الانشاءات والمرافق العامة ووسائل النقل والمواصلات ، وهذا يعني التمتع بخدمات المواصلات ودور التربية ، عن طريق توفير الاماكن والالعاب التي تتناسب وقدرته على الحركة واللعب ، وضرورة تقيد الدولة بالمواصفات العالمية الخاصة بالاشخاص المعوقين ، في المباني ومداخل الاسواق المركزية ، وتشجيع البعثات العلمية الراغبة في التخصص بمبادىء خدمة المعوقين ، واجراء البحوث والدراسات الكفيلة بالكشف عن ملابسات الاعاقة المختلفة ، ولا بد من تشجيع هذا الانسان على العمل ليشعر بوجوده وبكينونته ، ولا يبقى عاطلا عن العمل ، مما يزيد من معاناته وآلامه بسبب وضع ليس له ذنب فيه .

ان هذه الجولة الخاطفة في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، علمتنا الكثير ، فليس بالعطف وحده يحيا المعوق ، ان المزج بين النظرة العلمية والانسانية لهذه الحالات ، هو القادر على تغيير وضع المعوق ، وخاصة بعد ما حققه من ابداعات وبطولات ، فتراه صامدا ، برغم كل التحديات والعوائق ، وبرغم كل نظرات الاستغراب والاستهزاء ، وبرغم القسوة والازدراء ، يقف المعوق في وجه الرياح العاتية يقاومها بثبات وعزيمة ، بتصميم وقوة ، ليثبت للعالم كله، الاعاقة العقلية او الجسدية لن تزعزع ثباته وايمانه ولن تطمس قدراته ومواهبه .

ان عناية الأمة بقضايا مجتمعها الانسانية لدليل عظيم على مدى التطور الحضاري الذي تحرزه ، فليست المصانع الضخمة والبنيان الشاهق هما مقياس نهضة الأمة ، بل رعاية الانسان ، وتوجيهه الوجهة السليمة التي من شأنها خلق مواطن صالح عقلا وجسدا . □


مجلة الأسرة والمجتمع



الفنانة فالدا في مشغلها

الكهرمان

حجر أم شجر ؟

لو سألت خبيرا بالمسابح عن أفضل الأنواع لديه ؟

فانه لن يتردد في تقديم .. مسبحة فيها شفافية ودكنة في اللون ، بنى أو زيتى أو ما يشبه لون القرميد ..

وتسأل : ماهى المادة الأساسية التى يتكون منها هذا النوع من المسابح ؟ .. فإنه يجيب : الكهرمان ...

.. عندها فإنك تتذكر أن الكثير من أدوات الزينة النسائية ، وخاصة العقود والخرز وغير ذلك هى من الكهرمان ... اللماع والشفاف .

وأن صدورا كثيرة ومعاصم عديدة تلمع عليها هذه المادة ..

فهل هو حجر كريم ؟

جاء فى الموسوعة العربية الميسرة هذا التعريف للكهرمان : « راتينج أحفورى ، أصله تحجر افرازات بعض المخروطيات المنقرضة وأثمنه

الشفّاف ، ولكن بعضه « كمد » ، منه يصنع الخرز والمباسم وبعض أدوات الزينة ، عُرف منـد العصر البرونزى ، وكشف الاغريق خصائصه الكهربية . ويعد ساحل المانيا على البحر البلطى أهم مصادره »

صمغ متحول

وجاء فى مقال منشور فى العدد ١٩٤ يناير ـ كانون الثانى سنة ١٩٧٥ م فى مجلة العربى ، للدكتور أحمد زكى ما يلى عن الكهرمان ،

« والكهرمان جسم صلب ، أصفر اللون ، يميل أحيانا الى اللون البنى ، وهو شفاف أو يكاد يكون ، ولونه هذا وصفاؤه ، ولين مسه ، هو الذى حدا الى استخدامه في عمل السُّبَح وسائر أشياء الفن . وهو يُشَكَّل وهو يخرط وهو يُنحت .

والكهرمان ليس بحجر ، وكيف وهو يخرج افرازا

* مادة الكهرمان « الغفل » تتشكل من خلال الأيدي الخبيرة ، لتكتسي شكلا وحجما جديدين .

من نبات . ان الكهرمان مادة عضوية أساسها الكربون » .

ويضيف الدكتور زكى :

« ان الكهرمان راتينج من الراتنجات ، وهى سوائل لزجة « صموغ » تفرزها صنوف من الأشجار « الصنوبرية » ، والباتات تخفف فيبقى منها الحسم الجامد وهو الصمغ ، وهى وجدت وتكاثرت حول بحر البلطيق منذ ٦٠ الى ٧٠ مليون عام مضت من الزمان .

والكهرمان يُسْتَعْدَن أكثر ما يُسْتَعْدَن اليوم فيما حول بحر البلطيق من بلاد فى شمال أوروبا » .

اذن هـذه هى صفات مادة الكهرمان وتكويناتها . . ، لكن لماذا يتداخل مع المادة الصافية بعض الحشرات ، أو الألوان الأخرى غير لون المادة الأساسى ؟ وهل مازالت بلاد بحر البلطيق تَسْتَعدنه حتى الآن ؟

كهرمان بلاد البلطيق

فى زيارة بعثة « العربي » (سليمان الشيخ محرراً واوسكار متري مصوراً) لجمهوريات بحر البلطيق السوفيتية الثلاث (استونيا ، لاتفيا ، ليتوانيا) فى صيف العام الماضى ، حاولت الوقوف عن قرب على كل ما يتعلق بهذه المادة .

فى مدينة « ريغا » عاصمة جمهورية « لاتفيا » التقت بعثة « العربي » بفالدا كسندي فى مشغلها الذى وفرته لها الدولة . . كى تتولى فيه تشكيل بعض الصناعات التقليدية ومنها الكهرمان . .

قالت فالدا : الكهرمان ـ يقال له يتار فى اللغة الروسية ، مغطى بغلالة لايكشفه الا من يحبه ويعرفه تمام المعرفة .

وهو فعلا ما يزال احدى الثروات الطبيعية فى بلادنا ، وتقوم مؤسسات انتاجية تابعة للدولة بالبحث عن مكامنه ، وعمل أحافير لاستخراجه ، اذ انه تَكَوَّن عبر ملايين السنين ، من خلال تجمد صمغ أشجار السرو والصنوبر وغيرها من الأشجار والنباتات . وكهرمان بحر البلطيق هو الأفضل

تصوير : أوسكار مترى

* هذه الالتماعات الصافية هل يمكن التصديق بأنها من صمغ تجمد ؟





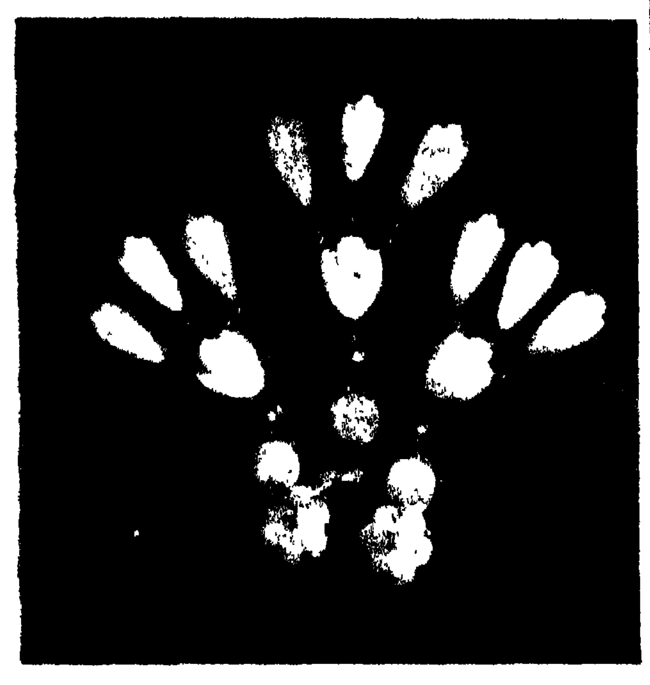


* عقود ومسابح وأساور مختلفة الأشكال والأحجام والألوان ، كلها من مادة الكهرمان

● الكهرمان . . حجر أم شجر ؟



* لمسة الفن الجميل تبرز واضحة في هذا التشكيل الفني .

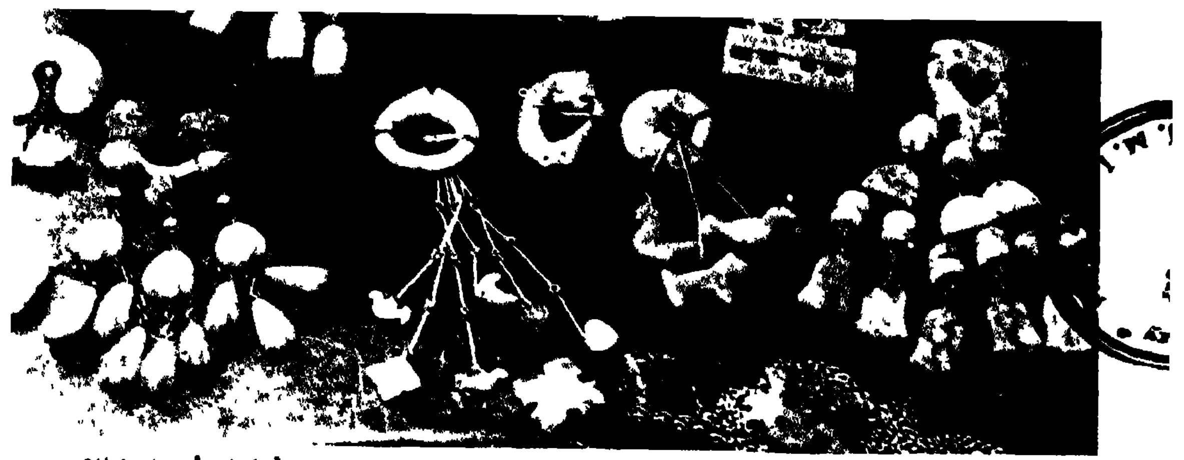


* المظهر قد لا يعطى صورة حقيقية عن الجوهر ، هكذا هو البريق واللمعان ، وتعدد الأشكال والألوان ى مادة الكهرمان ، يغرى بالقول أن المادة الأساسية فيها ما هو الا حجر كريم ، لكن الفحص المخبرى يفيد بأن المادة الأساسية ما هى الا صمغ متحول





* من ينظر اليها يظنها أحجاراً كريمة لامعة وماهي في الحقيقة الانتاج شجر تجمد خلال ملايين السنين لاحظ غنى الألوان وبعض المواد المتداخلة فيها



« تراكي » أو « تراشي » وحسب لهجات اخرى فان اسمها « حلق » . وهي هنا في أشكال وأحجام مختلفة .

والاجمل بين أنواع الكهرمان فى العالم ، لأنه جامد وغنى جدا بالألوان . . .

الأغلى والأثمن

توجد فى بعضه بعض الحشرات والنباتات الصغيرة ، فما هو تفسيرك لذلك ؟

ان هذه الحشرات والنباتات التصقت بالصمغ منذ أن ساح وتدفق من الشجر ، وباستمرار السنين والتغيرات التى تحدث فى الطبيعة ، فإن هذه المواد وغيرها تصبح جزءا أساسيا فى تكوين كتلة الكهرمان . وكلما كانت كتلة الكهرمان محتوية على أجسام غريبة ، أو دخلت عليها ألوان جديدة ، فإنها تصبح أجمل وأغلى ثمنا ، ونوعية الصمغ والعوامل التى دخلت عليها لاحقا . . أعنى التفاعلات التى حدثت لكتلة الصمغ ، هى التى تحدد وتشكل لون الكتلة . والألوان المعروفة عندنا هى : الأسود ، الأبيض ، الأخضر ، الأصفر ، لون « البريك » أى القرميدى وغيرها .

تغيير اللون

هل تتدخلون فى تغيير لون المادة ، أو ادخال مواد أخرى عليها ؟

كل ما نقوم به هو تلميع المادة وتشكيلها وتحويلها من حالتها الغفل ، الى الشكل الفنى المناسب الذى يتوافق مع طبيعة الكتلة المتوفرة ، أما من ناحية المواد المضافة فأنها لاتدخل على المادة الأساسية ، بل هى تضاف الى الكتلة المشكلة للكهرمان ، مثل الفضة والنحاس والذهب والحديد وغير ذلك . . . . « كإسسوار » جمالى ، كأن توضع مادة الكهرمان فى لدائن من الألمنيوم وغيرها من المواد ، لأجل العرض ، وربط المادة الاساسية ببعضها البعض .

اذا كانت بعض المؤسسات هى التى تقوم بتشكيل كتل الكهرمان ، فما هو دور الفنان الفرد فى هذا الامر ؟

كما قلت : هناك مؤسسات يقوم الأفراد فيها بهذا العمل ، وهناك أفراد مثلى يقومون إما بالبحث عن مادة الكهرمان على شواطىء البحر ، أو فى أماكن أخرى معروفة ، فيكتشفون الكتل الكبيرة والصغيرة ، ويقومون بتشكيلها ونحتها .

أهمية الصناعات اليدوية

هل تذهب المواد التى تقومين بتشكيلها الى السوق مباشرة ؟

انى أعمل فى هذا المجال منذ خمس عشرة سنة ، بدأته كهاوية . . ثم احترفت هذا العمل ، وكل سنة يتم ترتيب معرض تجمع فيه أفضل الأعمال وأكثرها جمالا . وتقوم بترتيب هذا المعرض وزارة الثقافة من خلال مركز رعاية الفنون الشعبية .

أما من حيث الانتاج التسويقى ، فإن ما ننتجه يعرض على لجنة خاصة ، متفرعة عن مركز رعاية الفنون الشعبية ، تقوم بفحص وتقدير الأعمال ، وبعدها يتم تحويلها الى الأسواق .

واستطيع القول بأن الناس فى بلادنا يهتمون بالصناعات اليدوية التقليدية ، ويميلون الى اقتنائها ، بل استطيع القول بأن ثلث السكان تقريبا يعملون أعمالا يدوية فنية شعبية فى بيوتهم . □

الزواج الثاني



عذاب الحساسية.. والأهل وأحلام الوفاق

اعداد : وفاء طه ناجي

أكثر من ٦٠٪ من الأشخاص المطلّقين يعودون للزواج مرة أخرى ، وعلى الرغم من ان معدل الطلاق في الزواج الثاني قد زاد في الآونة الأخيرة ، الا أن كثيرا من الزيجات الجديدة يستمر برغم جو الحساسيات والمشاكل الذي يخيم على الحياة الجديدة .



عند الحديث عن الزواج الثاني . . تتباين وجهات النظر حول طبيعة العلاقة الجديدة ، وقليلا ما يبوح الزوجان الجديدان بمشاعرهما نحو حياة زوجية ثانية ، ويبقى الخجل مصاحبا حديثهما عن الزاوية الحميمة في العلاقة . . ما هو شعور الزوجة الثانية ، وكيف يتعامل الزوج الثاني في حياته اليومية ؟ وعديد من الأسئلة والاستفهامات .

التقى « البيت العربي » بعدد من الأزواج والزوجات ، الذين يخوضون تجربة الزواج مرة ثانية ، وكان الحوار محيرا ومثيرا للارتباك ، واتسمت اعترافات الزوجات بالحرج والتصنع في كثير من النقاط ، بينما تحدث الرجال بقلب مفتوح .

وبرغم الاختلافات فقد اتفق الجميع على أن الحياة الزوجية الحميمة تتمثل أساسا في الثقة والتوافق





تقدم لي زوجي الثاني ، لم يتردد أبي في قبوله ، ووافقت ولم أهتم ما اذا كان متزوجا أم لا ، فقد كان هدفي هو التحرر من « سجن » طلاقي الأول ، بعد ذلك بدأت المشكلة الحقيقية ، ولم تكن تنبع من كوني زوجة ثانية ، ولكنها « الحياة » الثانية ، فقد كان شبح التجربة الأولى يخيم على حركتي في البيت الجديد . الخوف الدائم من الفشل جعلني أقع في هم الشعور بالعجز عن اقامة علاقة عاطفية حميمة مع زوجي الثاني ، وتبعا لذلك أصابني احساس بالضعف أمام الكثير من تصرفات وطباع زوجي السيئة . . فكنت أتحمل كثيرا في سبيل الحفاظ على زواجي الثاني ، تحملت أشياء لم أكن لاتحملها من قبل ، مما جعلني أقارن في مواقف كثيرة بينه وبين زوجي الأول ، هذا العذاب كان يتزايد اذا رجحت كفة زوجي الأول في بعض الجوانب المهمة من حياتنا الزوجية . والآن . . وبعد مضي ٥ سنوات على زواجي الجديد ، فعلاقتي بزوجي الثاني لم تتوطد بعد » .

الزوجة الثانية هل هي زوجة أب ؟

النفسي والحوار الواعي ، وتفهم كل منهما لحاجات الآخر ، وان الاخفاق في تحقيق جزء كبير من هذا المعنى هو الذي حدا بهما أو بأحدهما الى خوض التجربة مرة أخرى ، وجاءت كلمات الزوجين الجديدين لتعكس « عالما » من المشاعر اختص بها الرجل الثاني أو المرأة الثانية ، وأبدى الجميع رغبتهم في عدم ذكر أسمائهم الصريحة .

تقول السيدة منال . . س : « لم يخطر ببالي يوما أن أكرر الزواج بعد انفصالي الأول ، ولكن بعد عودتي الى بيت والدي ، وجدت تغييرا كبيرا في معاملتهم لي ، فكان علي مثلا أن أبرر كل تصرف آتي به مهما كان بسيطا ومألوفا ، حتى ضقت بالوضع ، خاصة وانني كنت محاصرة بعيون الأهل والأصدقاء ، وكلها تتهمني بالاخفاق وضاق أهلي بذلك ذرعا ، وعندما

أما السيدة مواهب فتقول : « إن أسوأ ما يحل بامرأة ، هو أن تكون زوجة ثانية ، وخاصة اذا كان زوجها قد سبق له الزواج ، ولديه أبناء ، فهذا يعني أنها في نظره لا تتعدى كونها « أما غير أصلية » لأولاده ، ويذوب معنى « الزوجة » في محيط الطلبات المستمرة للصغار ، ومراقبة الأهل والأقارب لكل سكناتي وحركاتي ، كنت أقضي الليل ساهرة على صغير مريض ، وأمضي النهار أنظف البيت وأحضر الطعام ، فلا أسمع كلمة رضا ، وعند أقل تقصير يتهمني الجميع بأنني « زوجة أب » ، وهي تسمية يعلم الجميع مدى ارتباطها بالقسوة وسوء المعاملة . وانعكس ذلك على علاقتي بزوجي ، فلم يكن رضاه عن دوري في حياتهم يدوم طويلا ، ويكفي أن يشكو له أحد الصغار من أمر ما ، حتى تتهدم كل محاولاتي لخلق علاقة عاطفية عميقة معه ، انني في لحظات يأس

كثيرة تمنيت أن أنفصل عنه ، برغم مرارة ذلك الحل ، ولكنني نكل أسف أعتمد عليه اقتصاديا ، حيث لامورد خاص لي غيره » .

ويحدثنا أحمد . . . عن وجه آخر من وجوه الزواج الثاني ، فقد تزوج امرأة سبق لها الزواج ، ولها طفلة من زوجها الأول ، يقول : « لم يكن يؤرقني مع زوجتي الثانية الا تدليل طفلتها الزائد ، وعلى الرغم من أنني تقبلت وجود الطفلة معنا ، الا أنني أصبحت أعاني كثيرا من حضورها الدائم ، وكثيرا ما كان هذا الحضور يبدد اللحظات الأثيرة بيننا ، ويتفق معه ابراهيم . . وهو يعاني من نفس الوضع ، فيعبر عن ضيقه قائلا : « كنا نضعها في فراشها ، فتظل مستيقظة حتى تحملها أمها الى فراشنا لتنام بيننا ، ونادرا ما كنا نستطيع اعادتها الى غرفتها دون أن تستيقظ » .

أما محمد . . فيحدثنا عن وجه آخر للمشكلة فيقول : « توفيت زوجتي بعد عشرة طيبة دامت عشر سنوات ، وتركت لي طفلين ، هما في الحقيقة الدافع الأول لزواجي مرة أخرى ، لذلك كان اختياري



لزوجة جديدة يتخذ من مدى حبها وتقبلها لرعاية الطفلين أساسا له ، وحالفني الحظ عندما تزوجت امرأة شابة ، سبق لها الزواج ، ولكنها لم تنجب ، احتضنت الصغار وقدمت الحب والرعاية لأسرتنا ، لم تكن تنسى مناسبة أعياد ميلاد الأولاد ، وكانت تحمل الهدايا واللعب التي يفضلونها . ولا أنكر سعادتي وأنا أرى الأولاد يتعلقون بها يوما بعد يوم ، برغم كل ذلك كنت أعاني شعورا داخليا « بالفقدان ، فقد كنت أسير « رفقة » زوجتي الراحلة ، وكانت المقارنة الدائمة بينها وبين زوجتي الأولى تعذبني طوال الوقت ، ليقف ذلك العذاب حائلا أمام اقامة علاقة وطيدة مع زوجتي الثانية » .

لماذا يفشل الزواج الثاني ؟

بعد هذه الاعترافات التقى « البيت العربي » بالدكتور محمد عودة ، استاذ علم النفس في جامعة الكويت ، ليحدثنا عن النقاط الأساسية والفاصلة التي يواجهها الرجال والنساء في الزواج الثاني ، يقول د. عودة : يغفل أغلب الأزواج دراسة الأسباب الفاصلة التي يرجح أن تكون سبب المشاكل في الزواج الثاني ، وهي غالبا تختلف عن تلك التي واجهوها في الزواج الأول ، بالاضافة الى نقطة أخرى مهمة ، هي أن الكثيرين يحملون الزواج الثاني مسئولية تحقيق السعادة ، وينتظرون منه علاقات عائلية مفعمة بالحب والود ، بما في ذلك الصغار ، ويتخيلون أن يتم ذلك تلقائيا ، وعندما تهتز صورة الحلم ، أو تنهار ، فإن العلاقة الجديدة في الواقع هي التي تنهار » .

ويستمر د. عودة في حديثه قائلا :

« واذا أخفق الزواج الثاني ، فإن ذلك يرجع الى اندفاع الرجال والنساء على السواء نحو الزواج مرة أخرى ، قبل مرور وقت كاف على طلاقهم الأول ، وهو نوع من التعبير عن تمني الشخص لنفسه ان يكون مرغوبا بعد أن كان مرفوضا ، ولذلك لا تكاد تمر سنة أو اثنتان ، حتى يكتشف كل من المرأة والرجل أنه



تسرع ، وكان الأجدى أن يختار شريكا مناسبا لعلاقة مصيرية كهذه » .

يقول د. عودة : « ومن خلال تجربتي في حقل العلاقات الزوجية فان المشاكل متشابهة ، ولذلك فكلها تخضع لأساسيات فاصلة في الحياة الزوجية الثانية ، وتنحصر تلك الأسباب في عدة نقاط مهمة :

أولا : وجود الأولاد في العائلة الجديدة ، وهو أمر له أثر عظيم في سير تلك الحياة ، سواء أكان الأولاد للزوج أم للزوجة ، أو لكليهما ، فالعلاقة بين الابن والأب أو الأم والابن . . . الخ هي علاقة سابقة لعلاقة الزوجين الجديدين ، وقد تكون وطيدة بحيث لا تفسح مجالا لشركاء آخرين ، والأمثلة التي مرت عليّ لا حصر لها ، ولذلك أجد أنه من الضروري أن يتحدث أطراف العائلة الجديدة بما فيهم الأولاد (اذا كان السن يسمح لهم بذلك) بصراحة ، ويضعون تصورا لسير حياتهم معا ، وعليهم الا يتجاهلوا الحلول الوسط ، فهي ضرورية من أجل حياة بلا حساسيات .

ثانيا : على الزوجين الجديدين أن يتخلصا نهائيا من شبح الماضي ، فكثير من الأزواج يقبلون على حياة ثانية ، وهم تحت تأثير حياتهم الأولى ، مما يوقعهم في الأخطاء التي ساهمت في اخفاقهم من قبل .

ثالثا : من الضروري أن يراعي الزوجان الجديدان وجود قدر مقبول من التوافق ، من حيث القيم التي يعتبرها كل منهما شيئا أساسيا في حياته ، مثال على ذلك أن كثيرا من الزيجات الجديدة تفشل ، لأن أحد الطرفين يميل الى الحياة الاجتماعية والتمتع بصحبة الأصدقاء ، في حين يفضل الطرف الثاني قضاء الوقت قابعا أمام شاشة التلفزيون ، والأمثلة متعددة . . وقد تكون لتلك الاختلافات آثار سيئة جدا لدى زوجين ، بينما لا يعيرها زوجان آخران أدنى اهتمام » .

بحثا عن الصحبة

وينهي د. محمد عودة حديثه قائلا : « تبقى نقطة أخيرة أحب الاشارة اليها ، وهي أنه على الزوجين الجديدين أن يتعلما كيف يتدبران وقتا يقضيانه معا ، بعيدا عن روتين الحياة اليومي ، فتلك « الصحبة الخاصة » تساعدهما على غرس أسس لعلاقة عميقة ، تعمل على توطيد ارتباطهما الجديد ، وخاصة اذا كان هناك أولاد في العائلة . ان هذا الوقت « الخاص » يمنحهما فرصة كافية لتقييم علاقتهما وسط الأسرة الثانية . . . » .

وصفة نجاح

وليست هناك (روشتة) أو وصفة سابقة لانجاح الزواج . . ولكن تظل هناك نصيحة ذهبية نهمس بها في آذان كل المقبلين على التجربة : احرصا على « الوقت الخاص » بينكما ، بعيدا عن هموم الحياة اليومية ورتابتها . . تكلما . . ثرثرا . . قولا كل التفاصيل والملاحظات ، فعبر هذه الساعات الواضحة ستنسج روابط ود وارتباط ، تدفعكما الى اجتياز الماضي وتجربته الأولى بكل ما فيه . . □



سماحة أو غفلة ؟

كنا مجموعة أصدقاء . . لنا جميعا اهتمامات مشتركة بالثقافة والكتابة والسياسة ، وكلنا يعيش هم وطنه العربي بكل تفصيلاته الموجعة والمتردية ، وبرغم المواقف التي تجمع بيننا وعرى الصداقة الحميمة الدافئة ، الا اننا انقسمنا وثار بيننا خلاف ـ انتهت جلستنا ليلتها ولم ينته الخلاف بعد . كان حادث انفجار المكوك الفضائي « تشالنجر » ما زال يحتل صدارة الأنباء ، ولم تكن تفاصيل كثيرة عنه قد اذيعت ، وكان انفجار « المكوك » هو المسيطر على حوارنا ليلتها . . قلنا عجيب امر الادارة الامريكية والعالم الغربي كله ، توفى سبعة من ركاب المكوك فأعلنت الحداد الرسمي ، وأوفد الرئيس الامريكي نائبه لحضور القداس على ارواحهم وحزن كل العالم من اجلهم ، ويموت منا نحن العرب كل يوم مئات ولا احد يهتم،ولا ضميرا واحد يتعذب معنا مثلما تعذبنا ، نحن ايضا ضمائرنا على السبعة الامريكين . وقلنا انه خلاف حول اهمية البحث العلمي والتقدم العلمي . . ولكن ألم يكن الاجدى والاكثر اهمية والحاحا ان توجه مثل هذه المبالغ لانقاذ ملايين البشر من الجوع . . وهنا ثار الاختلاف . . قال بعضنا ان ثمرة هذا التقدم هي لصالح البشر . . وقال آخرون ان هذه مقولة غير صحيحة ، فالعالم تحكمه فلسفة النظام الذي يرعاه . . والتي تصبح جزءا من تجربة العمل لا تنفصل عنه ، وهناك مستويات من العلم والتقدم تظل سرا مغلقا بأقصى درجات التكتم مثل ابحاث الذرة وهندسة الوراثة ، وازداد الخلاف عمقا بيننا عندما قال بعضنا ان العلم وابحاثه واحد من ادوات النظام لتعميق التبعية والتخلف . . ولا احد ينكر ان هناك مطامع حقيقية لكل العالم الصناعي في العالم الثالث . . وان الشركات الصناعية الكبرى التي تمول مراكز الابحاث العلمية بتبرعات كبيرة هي نفسها صاحبة المصلحة في الا يتقدم العالم الثالث ولا يتحرر من التبعية الاقتصادية . . وان الشركات الكبرى هذه هي التي تلقى بالقمح في المحيط كي تحافظ على اسعاره . . وهي التي تنتج السلاح وتقوم ببيعه بتسهيلات كبرى الى « اسرائيل » . . . واختلفنا هنا مرة ثالثة . . حول ما رآه البعض اقحاما «لاسرائيل » في قضية ليست هي طرفا مباشرا فيه ، وقال البعض ان اقحام « اسرائيل » هو نوع من فرط الحماسة ، وقال آخرون ان تجاهلها وهي طرف تابع للسياسة الامريكية لا يعدو ان يكون نوعا من ضعف الذاكرة الجمعية في شعبنا العربي ، وان سماحتنا الاخلاقية وتراثنا التربوي والحضاري ينسينا ما يفعله الآخرون . . فالاطفال الآخرون يرضعون كراهيتنا بينمانحن نربي اولادنا على قيم الخير والحق بشكلها المطلق . . على الرغم من انه لاعدل بلا قوة . . ولاسلام لا تحميه المدافع . . وليس بالاخلاق والسماحة والرحمة فقط تحيا الامم . . . □

محمود عبد الوهاب



الانحياز

لى فى الدنيا بنت وولد . . رزقنى الله بهما فى خمسة عشر عاما هى عمر زواجنا ، الذى مرت سنواته عذبة . . رقيقة ، حتى بدأت الخلافات بيننا منذ ثلاث أو أربع سنوات ، ولم تكن فى بدايتها حادة . . ولا متتالية ، ولكن مع الوقت بدأ معدلها يزداد ، وحدتها تعلو . وعلى الرغم من أن أبنائى هم نور عيناى وكل حياتى ـ شأن أى أم ـ والمفترض أن الأبناء دوما هم الرباط الذى يوثق عرى الحياة الزوجية ، ولكن أبنائى أصبحوا مصدر الخلاف الدائم بينى وبين زوجى ، الى الحد الذى اتسعت فيه الخلافات ، الى أن أصبحت تهدد الحياة الزوجية .

زوجى يتهمنى دائما أننى أنحاز الى ابنتى ـ ١٢ عاما ـ ضد ابنى ـ ١٤ عاما ـ واننى أفسد تربيتها، واننى أسىء بقدر ما أريد أن أحسن، وبالطبع فأنا لاأتفهم هذا الاتهام ولا أقبله ، الأمر وما فيه أن البنت دوما هى الأقرب الى الأم . . وهى الأكثر حنانا . . رغم صغر سنها . وهى الأكثر اتزانا ـ نسبيا ـ وهى التى تسمع وتطيع . . ورغم صغر سنها أيضا ـ ليحمها الله ـ فهي حريصة تمام الحرص على طاعتى وتقليدى . . وسؤالى . . ماذا تفعل ؟ وما تترك ؟ وماذا تقول ؟ . . وكيف ؟

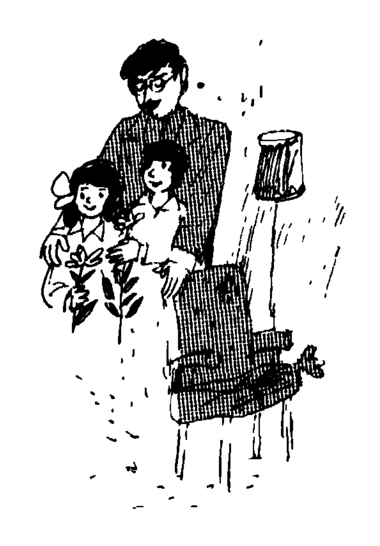
والولد شأن كل الصبية . . أهوج . . طائش . . لاهم له الا اللعب والقفز والجرى والشجار ، ولأن البنت أكثر طاعة لى ، فأنا لا أرفض لها طلبا ، ولا أدخر وسعا فى مكافأتها باللعب والثياب الجديدة . . واصطحابها معى فى زيارة بعض الأصدقاء . . . وبالضرورة فأنا اكثر سماحة معها ومغفرة . . فالذى يخطىء فى اليوم مرة ، غير الذى يخطىء عشر مرات فى ساعة واحدة .

وهنا يتهمنى زوجى بالتحيز . . وأننى أميز فى معاملة الابنة ، ولكن لانه لايقيم طوال النهار معى . فهو لا يضيق بتصرفات الصبى وسلوكه . . شأنه في ذلك شأن كل أب يرى فى ابنه الولد امتدادا له . . وأنه حامل اسمه ولقبه . . ومن هنا فهو ينظر اليه على انه العصبية و (العزوة) والحماية . . تماما كما كان ينظر ابى الى اخوتى الذكور . . فكانت طلباتهم أوامر ، ورغباتهم لاترد . . وهم المميزون علينا جميعا نحن الاناث ، بدءا من أمى وحتى كل شقيقاتى ، ولكننى لن أسمح بتكرار هذا أبداً ، ولن أترك ابنتى تعانى ما عانيته ، ولكن الثمن هو المشاكل المشتعلة فى البيت ، وما أفدحه من ثمن .

العـــدل

الاختلاف بيننا فى منهج التربية ، وليس فى التفاصيل . فى جوهر العلاقة ، وليس فى فروعها . ولكن يبدو أنها لاتريد أن تتخلص من خبراتها الماضية ، ومن ظلال الماضى .

بداية قلت لها كثيرا انه ليس صحيحا - من وجهة نظرى - ان الولد هو الامتداد والعصبية والأهمية ، وابنة واحدة طيبة خير من الف ولد عاق ، وماذا أجنى لو شب ابنى فاسدا مفسدا ، وأي ذَكَر سأخلّفه يورثنى اللعنة ، بينما الابنة هى الامتداد الطبيعى لو أحسنا مساعدتها فى اختيار زوج من أسرة طيبة ، فإن المصاهرة هى نمو العائلات وامتدادها . ومن هنا فأنا لست مؤمنا بأفضلية الولد على البنت فى التربية ، فكلاهما له علينا حق أن نحسن تربيته وتعليمه ، ونسوى بين كليهما فى الرعاية والعطف والتوجيه .



ولكن الانحياز غير المفهوم للصبى أو للفتاة ، كفيل بأن يحدث فى داخلها جروحا . . ويترك رصيدا من الأسى ، يتراكم مع الزمن ويترسخ . . فيشب كل منهما وفى نفسه مرارة من زمن مضى . . لايعرف لها سببا ، فتخلق عنده سوء فهم لطبيعة ودور كل من الرجل والمرأة فى الحياة ، ففى تصورى أن نصف سوء الفهم القائم بين الرجل والمرأة ناشىء عن التمييز - فى بداية النمو - بين الفتاة والولد . . فماذا لو دفعنا الولد الى أن يسهم مع أخته وأمه فى عمل المنزل ، لكى يدرك قيمة التعاون ، وأن البيت الذى يعيش فيه الكل يتحمل أعباءه الكل ، وماذا لو ابتعدت عن الثواب والعقاب عن طريق الثياب الجديدة أو اللعب . . فالأبناء لاينسون أبدا أن اشقاءهم تميزوا عنهم بشكل واضح وملموس و . . وعديد من الأشياء التى لو ناقشتها لتاه الجوهر ودخلنا الى الفروع . . وهى ليست قضيتى ، قضيتى بوضوح تام هى العدل الكامل فى معاملة الأبناء ، حتى نزرع بينهم ألفة ومودة تربط بينهم ، فكم من أخوة في دم وبينهم جفاء وجفوة ، وعلاقات قربى كثيرة ، لاتلمس فيها دفء القرابة ولا حنانها . . اللهم الا مجرد الأسماء . . وأوراق اثبات قرابة رسمية ، قلت لها كثيرا ولكنها لم تقتنع ، وما زالت ترى أن البنت هى امتدادها وهى الأنثى . . وهى ربة البيت وهى الأكثر حنانا وعطفا . . وأنا ما زلت أرى أن العدل والحب والرعاية بقدر متساو هى التى تفجر الحنان والعطف والحب فى قلوب الأبناء .

هـو



من الحياة

أجمل صور الحياة !

بقلم : منير نصيف

انهم يضيئون الطريق أمامنا ، أو يرسمون اللوحات الجميلة التي نقف نتأملها في إعجاب .. من هم هؤلاء الفنانون ؟

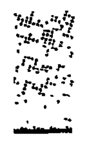
هنا ، وهناك .. تحت أقدامنا وفوق رؤوسنا ، تعيش مجموعة من البشر تصنع الحياة في أجمل صورها .. من هم أصحاب هذه الموهبة الذين استطاعوا بالكلمة والعمل أن يعلمونا المعنى الحقيقي للحياة ؟

يقول إيمرسون : « انهم هؤلاء الذين يرسمون كل يوم ، كل ساعة ، أروع صور الحياة ، إنها ليست لوحات على القماش والورق .. ولا هي تماثيل كتلك التي تعودنا أن نراها ونقف أمامها مبهورين بدقة صنعها ومهارة أصحابها .. ولا هي أيضا قصائد خالدة نحفظها وتعيش معنا في الكتب . إنها موهبة من لون جديد ، لا تمت الى هذه الصور المألوفة بصلة .. إنها شيء أقوى من هذه الأعمال الفنية التقليدية .. شيء أكثر وضوحا وجمالا .. انها موهبة الحياة ذاتها .. »

ولقد حاول العلماء أن يروا ماراه إيمرسون من قبلهم ، وما كادوا يبدأون محاولاتهم حتى وقفوا يَسْخرون من أنفسهم ، فقد وجدوا ما كانوا يبحثون عنه في نفس المكان الذي بدأوا منه .. أليس غريبا أن يكون أمامهم وهم لا يدرون ؟ !

من هم اذن هؤلاء الفنانون ؟ انهم كل رجل يعرف معنى الحياة .. وكل امرأة تعلمت فنّ الحياة .. هؤلاء جميعا هم الذين نجد في كل ما يقولون ، وفي كل ما يفعلون ، تلك المعاني الخفية التي ترفع من روحنا المعنوية .. إنهم هؤلاء الذين عرفوا كيف ينفذون من خلال تلك الخيوط المضيئة الرفيعة ، فتراهم معك في لحظات اليأس والمرض والوحدة .. حتى لو كانوا بعيدين عنك ...

أين هذه الصور الرائعة التي صنعها هؤلاء الفنانون ، الذين يؤدون عملهم في هدوء ، دون أن ينتظروا أجرا ، أو حتى مجرد كلمة شكر على ماقاموا ويقومون به ، فهذا واجبهم ، وهو عملهم .. ولكن .. وهنا يكمن الفارق الكبير ، بين من يؤدي عملا لمجرد الرزق ، وبين من يؤدي نفس العمل ، بكل ما وهبه الله له من حب واخلاص





وشعور بالمتعة الحقيقية ، وهو عاكف على تأدية نفس هذا العمل . .

* * *

روت سيدة قصتها مع « فنان » أحب الحياة . . في الربيع بدأت الحياة تعود الى الأشجار التي جفت تحت صقيع الشتاء . . وجاء البستاني ، كما تعود أن يفعل في مثل هذا الوقت من كل عام ، ليعاون الشجيرات الصغيرة على الاستمرار في رحلتها الجديدة مع الحياة . . وخطر للسيدة صاحبة البيت الصغير ، أن تخرج الى حديقتها لترقب البستاني العجوز وهو يعمل . . في البداية لم يحس بنظراتها وهي ترمقه من البعد ، كان يعلم أنها هناك ، فقد بادلها تحية الصباح ، ولكنه مالبث أن شُغل بعمله عنها . . لقد أمضى لحظات يتأمل الجَفاف الذي أصاب الأرض ، التي جاء ليعيد اليها الحياة . . ثم مالبث أن أخرج الأدوات الصغيرة ، التي كان يضعها في كيس يحمله على كتفه ، وبدأ يعمل ! .

وفجأة اختفى الرجل العجوز ، الذي كان منذ دقائق قصيرة يقف حائرا ، لا يدري من أين يبدأ . . لقد تحول الى شاب صغير .

في ساعديه القويّين وعينيه النافذتين عزم وتصميم ! ماذا حدث له ؟ انه ذلك الحب الذي يحمله في قلبه للأرض التي أمضى حياته يعمل فيها ، وللعمل الذي أصبح كل شيء في عالمه الصغير ، وسط الزهور والورود التي يزرعها بيديه ، ثم يمضي أيامه يرقبها ، وهو يرى شجيراتها الصغيرة تنمو وبراعمها تتفتح . . تماما كما لو كانت طفلا يرعاه ويعني به . . اذا اعوزها الماء قدمه لها . . واذا شحّ الغذاء حمله اليها ، وراح ينثره على الأرض الطيبة .

ومضى البستاني يعمل في هدوء . . يقلب الأرض بفأسه ، ويجمع الأوراق الجافة ، ويشق جداول الماء ، ويصف شجيرات الزهور الصغيرة في الأرض ، في شكل هندسي جميل . . ثم لا تلبث المياه أن تنساب في هذه الطرق الصغيرة ، لتروي التراب الذي جف تحت الصقيع والثلوج ، .

ووجدت السيدة نفسها ، دون أن تدري ، تمضي معه في رحلة عمله التي استوعبت كل اهتمامه ، حتى لم يعد يشعر بوجودها . . وقالت تحدث نفسها : « مسكين هذا الرجل . . تُرى هل وقف لحظة واحدة طوال هذه السنين التي قضاها مع عمله في الأرض ، ليفكر في أنه لن يصل الى أكثر مما وصل اليه ؟ . . ترى كم يكسب من عمله هذا ، وهل يكفيه مكسبه في أن يوفر ضرورات الحياة ، له ولبقية أفراد أسرته ؟



تُرى هل تمنى يوما أن يكون غير ماكان ، وأن يجمع مالا اكثر ؟ !

ولم تشأ أن تسأله ، أو أن تذكر له شيئا مما كان يدور في رأسها في تلك اللحظة . . وهمت بالدخول الى البيت ، إلا انها ماكادت تفعل ، حتى سمعت صوتا يشدها الى العودة مرة أخرى ، الى حيث كانت تقف تحت ظلال شجرتها الكبيرة . . لقد كان البستاني يغني . . وكان غناؤه كله للأرض والزرع والطيور والشمس ، التي بدأت تبعث بدفئها بعد شتاء طويل . . .

وغردت الطيور . . وسكت عن الغناء ، ليطلق صفيراً متقطعا جميلا ، وكأنه يحدثها بلغتها . . وتجمع أطفال الجيران ، ورآهم قادمين فاقترب منهم ، وراح يحدثهم من وراء سور الحديقة ، وأعجبهم حديثه ، فطلبوا اليه أن يسمح لهم بالدخول ، ودخلوا ، وجلسوا من حوله يرقبونه ، ثم مالبثوا أن بدأوا يمدون أيديهم الصغيرة الى التراب ليساعدوه فيما يفعل . . وراحوا جميعا يغطون جذور الشجيرات الصغيرة التي ثبتها في الأرض ، ويملأون الحفر بما استطاعت ايديهم أن تحمله من الترب والسماد . .

وساد الحديقة جو غريب من الجمال والسلام . . ولأول مرة منذ شهور طويلة ، جاءت الفراشات . . وراحت تتنقل بين الشجيرات الصغيرة معلنة مولد حياة جديدة في الأرض ، التي كان يكسوها الجفاف . .

وبدأ يجمع معداته وأدواته في كيسه الصغير ، الذي يحمله فوق كتفه . . وهنا فقط تنبّه اليَّ عندما ذهبت اليه أشكره وأودعه وأسأله متى تعود ؟

قال وهو يغلق باب الحديقة وراءه . ويبتعد في خطوات بطيئة : « قبل أن تجف الأرض ياسيدتي . . لا تقلقي . . فسوف تنمو شجيراتك ، وستنعمين بزهور جميلة هذا الربيع ! » . . وتركها وذهب الى بيت آخر . . الى حديقة أخرى ليعيد الى زهورها الحياة !

ماذا علّمنا هذا الرجل . . ؟ لقد قدم لنا باقة جميلة من الزهور التي يزرعها . . كل زهرة منها تحكي قصة . . انها قصص من الحياة التي نعيشها ، ولا نحس بها في كثير من الأحيان . . لقد علمنا هذا البستاني العجوز القناعة . . وعلمنا كيف نحب عملنا ونتمتع بكل لحظة فيه ، بنفس القوة التي نشعر فيها بالانتصار ، عندما نبتكر شيئا جديدا لخير كل البشر !

يقول المشتغلون بعلم النفس ، ان قبول المرء لنفسه ، وتقبله لحظِّه في الحياة بلا خجل وبلا قلق ، والعمل بعد هذا داخل اطار شخصيته وقدرته على الخلق والابتكار . . كل هذه العوامل من شأنها أن تسعدنا وتقضي على أي شعور قد ينتابنا بالخوف من المستقبل . .

* * *

وفي مدينة عربية صغيرة ، عاشت سيدة وجدت نفسها فجأة وسط مجتمع يضم مجموعة من الزوجات العاملات . . كل صديقاتها وجاراتها يعملن ، وكانت هي الوحيدة بينهن التي تفرغت لبيتها وأطفالها ، فهي لم تتلق من التعليم الا القدر اليسير ، الذي لا يؤهلها لشغل أية وظيفة . . ولكنها قانعة بحياتها . . يخرج زوجها الى عمله في الصباح ويذهب طفلاها الى مدرستهما ، وتبقى هي في البيت الذي كان عملها فيه يستغرق كل وقتها . .

وكانت جاراتها يشفقن عليها من الوحدة ، التي كانت تعيش فيها وراء جدران بيتها ، بعد أن يذهب أهل الحي كلهم رجالا ونساء الى أعمالهم ، ويتركونها وراءهم !

أما هي فقد كانت تنعم بكل لحظة من تلك الساعات الطويلة ، التي كانت تقضيها في هذه الوحدة . . فهي لم تكن وحيدة أبدا كما كانوا يتخيلون . . كان عملها في البيت يستوعب كل وقتها ، وكانت رحلاتها القصيرة الى السوق القريبة هي نزهتها المفضلة ، كما كانت تجد نفسها في الجمعيات التي تعمل للخير ، فتشارك فيها كلما

وجدت فراغا في يومها المليء . . هكذا كانت حياتها في البيت الصغير الذي حولته الى مملكة خاصة بها ، تضم أحب الناس الى قلبها ، وهكذا أيضا كانت حياتها خارج البيت ، مع الناس الذين أحبوها وأحبتهم !

وكانت حيرة جيرانها تزداد ، كلما رأوها في صباح كل يوم تقف أمام باب البيت الخارجي ، تودع زوجها وطفليها ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة تحمل كل معاني الرضا والسعادة ، بينما ارتفعت يدها تلوح لهم من بعيد ، حتى تختفي السيارة الصغيرة التي تقلهم !

وتمضي الأيام . . ويجيء اليوم الذي تحتفل فيه الجارة كل عام بعيد زواجها ، من الرجل الذي أعطته كل حياتها . . وأسرعت الزوجة الأم تدعو الأصدقاء والجيران ، الى الحفل الصغير الذي ستقيمه لمشاركتها ـ هي وزوجها ـ هذه المناسبة السعيدة !

وجاءوا جميعا . . وفي عيونهم نظرة اشفاق على الجارة التي تعيش في هذا الفراغ . . وكانت المرة الأولى التي يرونها فيها . . كم تمنوا أن يروا بيتها من الداخل . . ترى ماذا سيجدون فيه ؟ وماذا أعدت لهم في هذه المناسبة السعيدة ؟

* * *

وكانت المفاجأة ، عندما وقفوا جميعا في وسط القاعة الصغيرة ، يتمنون لسيدة البيت وزوجها عيدا سعيدا . . لقد كانوا يحدثونها ، ولكن عيونهم كانت في جولة بعيدة عن صاحبة البيت . . لقد كانت تنتقل بسرعة بين كل ما يحيط بهم في كل ركن ، في كل مكان تستطيع أن تصل أليه .

لقد أذهلهم مارأوا . . فقد كان كل شيء في البيت الصغير ينم عن ذوق رقيق . . هل يمكن أن تكون هي وحدها التي صنعت هذا كله ؟ الفستان الجميل الذي ارتدته خصيصا لهذه المناسبة السعيدة ، التي مازالت ذكراها تعيش في رأسها وقلبها . . اللوحات الرائعة التي تزين جدران البيت . . الأواني الفضية والنحاسية التي وصعتها صاحبتها في رشاقة حيث يجب أن تكون . . المفارش المطرزة التي تغطي الموائد الصغيرة بين المقاعد الوثيرة . .

وفجأة وجدت المدعوات أنفسهن يتحدثن عن أصالة هذه السيدة البسيطة ، وعن عبقريتها ، وعن قدرتها على الابتكار والتجميل !

وسمعت هي طرفا من حديثهن فقالت في خجل شديد : « انها هوايتي » ثم هو عملي الذي أعطيته كل وقتي !

ودعتهم الى المأدبة التي حفلت بكل الأطباق الشهية . . وحدث ما يحدث دائما أمام كل طعام لذيذ . . فقد بدأ الحديث يخف ، لأن الأفواه مشغولة بما هو أهم من الحديث . . وتركزت الأنظار على ألوان الطعام التي امتلأت بها المائدة !

وأكل الجميع حتى امتلأوا . . . وكان الرجال من المدعوين أكثر تأثرا بما قدمته لهم مضيفتهم من الأطباق الشهية . . ولكن قصتهم مع هذه الاطباق ، ومع ماحوته من طعام لذيذ لم تنته ، فقد كان لها بقية مع زوجاتهم ، عندما انتهى الحفل وعادوا الى بيوتهم : « إننا لم نتذوق طبقا واحداً شهيا من تلك الأطباق التي امتلات بها مائدة جارتنا منذ زواجنا ! »

قالوها في صدق وصراحة لأن معدة الرجل لاتكذب ، وأثار الاعجاب الشديد بالطعام الذي قدمته الجارة الطيبة ، ثائرة الزوجات وغيرتهن ، بالرغم من المحاولات التي بذلنها لاخفاء هذه المشاعر وراء الابتسامات الرقيقة المصطنعة !

أما هي . . صاحبة الحفل ، فلم تسكرها المجاملة ، فقد كانت تقول دائما في بساطة وتواضع ، كلما عاد الحديث عن الحفل وعن الاطباق الشهية خلال زيارات جيرانها التي لم تنقطع أبدا : « لا تنسوا أنني زوجة متفرغة لبيتي . . وهو أيضا عمل ، بل هو أهم عمل للمرأة في رأيي . . إن صنع طبق من الطعام اللذيذ لا يختلف كثيرا عن اعداد بحث في تاريخ الحياة على الأرض ، ومسح دمعة على وجه حزين ، هو أروع ما يمكن أن يصنعه الانسان ، اذا أراد ان يشعر بقيمة الحياة ».





قضايا منزلية

الحليب الآمن

الطعام الصالح للجسم لا بد له من ثلاثة شروط يجب توافرها ، وهي أن يكون مغذيا ، وأن يكون مقبولا ، وأن يكون آمنا .

والحليب يعتبر أقدم غذاء للانسان وأوسعه انتشارا ، بل هو أقرب الأغذية الى الكمال (لولا بعض النقص في الأملاح وخاصة الحديد ، وبعض النقص في الفيتامينات وخاصة فيتامين ج) كما انه أكثر الأطعمة قبولا للصغار والكبار على السواء، فهل يمكن أن يتوفر له الأمان لتكتمل له شروط الطعام الصالح ؟

ان الحليب بفضل زلالياته عالية القيمة الغذائية ، وسكرياته السهلة الهضم ، ودهونه سهلة الامتصاص ، يعتبر خير الأطعمة للانسان ، كما أنه يعتبر أيضا تربة خصبة لنمو الأحياء الدقيقة ، بما فيها الضار والنافع على السواء .

من هنا أصبح تلوث الحليب مصدر خطر على مستهلكه ، وهو الأمر الأكثر احتمالا بين مختلف أنواع الطعام ، وهذه حقيقة أدركها الانسان منذ أن عرف في الحليب طعما مستساغا وغذاء مفيدا .

ان قائمة الأمراض التي تحتمل التسرب الى جسم الانسان أكثر من أن تحصى ، ويمكن أن نضرب لها مثلا كالتيفوئيد ، والكوليرا ، والدوسنتاريا ، والتسمم الغذائي ، وحمى البحر الأبيض المتوسط ، والسل والدفتريا .. الخ

لقد عرف الانسان منذ القديم في غلي الحليب وسيلة فعالة لضمان الأمان ، فهل وصل الانسان حقا الى مبتغاه في توفير الأمان لنفسه من الحليب ؟

ان غلي الحليب - في واقع الأمر - أمر لا يتفق مع ظاهرة فوران الحليب التي يظنها البعض انها الغليان ، وما هي الا تدفق فقاقيع الغاز الى سطح سائل الحليب ، مما لا يصلح معه اعتبار الفوران تعقيما للحليب ، وخلاصا من الأحياء الدقيقة العالقة به ، هذا الى أن غليان الحليب له العديد من الجوانب غير المرغوبة ، منها :

١ - يحرق سكرياته المعروفة باللاكتوز أو سكر الحليب ، مما يؤدي الى ظاهرة الكرملة ، وهو طعم الحليب المتفحم أو السكر المحروق .

٢ - يرسب زلاليات الحليب ، ويفقد قوامه كمستحلب .

٣ - يدفع بحبيبات الدهن الى السطح على هيئة القشدة .



٤ ـ يدمر الفيتامينات الحساسة للحرارة مثل فيتامين ج .

٥ ـ يرسب جزءا من الاملاح المهمة في الحليب .

٦ ـ فوران الحليب الذي يحدث بين درجة حرارة ٦٠ ـ ٧٠ درجة مئوية يعطي شعورا خاطئاً على أنه الغليان ، ومن ثم يعطي قناعة خادعة بالأمان ، حيث انه لا يقتل الميكروبات الضارة باستثناء القليل .

من هنا طلع لويس باستير بأسلوب جديد ليصل الى الغاية المرجوة ، وقد عرفت طريقته باسم البسترة نسبة الى اسم باستير ، هذا العالم الفرنسي الفذ في علوم البكتريا .

بسترة الحليب :

ان البسترة توفر الهدف من غلي الحليب ، دون أن يدفع الثمن من قيمته الغذائية ، كما يحدث مع الغليان ، وهناك طريقتان للبسترة :

أولاهما : البسترة السريعة : التي يتم فيها رفع درجة حرارة الحليب الى حوالي ٧٢ درجة مئوية ، لمدة ١٥ ثانية تقريبا ، ثم تخفيض درجة الحرارة بسرعة الى ما دون العشر درجات مئوية .

ثانيتهما : البسترة البطيئة ، حيث يتم رفع درجة حرارة الحليب الى ٦٢ درجة مئوية لمدة ثلاثين دقيقة ، ثم تخفيض هذه الدرجة بسرعة الى ما دون العشر درجات مئوية .

إن صلاحية هذه الطريقة لا تتعدى بضعة أيام فقط ، شرط الاحتفاظ بالحليب في الثلاجة لضمان درجة حرارة متدنية لا تسمح بتكاثر الميكروبات ، حيث ان البسترة قد تقتل بعض الميكروبات بينما ينجو البعض الآخر

واذا فتحت قنينة الحليب المبستر فانه يفقد ميزته ، ويعتبر حليباً عاديا يعامل معاملة الحليب الطازج الخام ، ولما كانت عمليات البسترة لا تفي بكل الغرض الذي يأمله الانسان ، فقد ابتكر العلماء طريقة تعقيم الحليب .

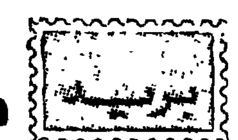
تعقيم الحليب :

لضمان تدمير نسبة اكبر من الميكروبات في الحليب ، مع توفير فترة أطول لصلاحية الاستعمال ، فقد عمد الخبراء الى رفع درجة حرارة الحليب الى ما فوق درجة المائة ، الى حوالي ١١٠ ـ ١٢٠ ، ولمدة وجيزة ، ثم تبريده على وجه السرعة ، وبهذا يتم تدمير ميكروبات لم تكن البسترة لتنال منها ، بل أصبحت صلاحية الحليب تطول شهورا عديدة ، كما أن الحاجة الى حفظ الحليب في جو بارد كالثلاجة مثلا ليس شرطا أساسيا ، اذ يمكن الاحتفاظ بالحليب المعقم في جو الغرفة المعتاد ، شرط أن لا تفتح العلبة أو الزجاجة ، والا فقدت تعقيمها ، وأصبحت حليبا عاديا يعامل معاملة الحليب الخام الطازج .

المعاملة الحرارية العالية

مع تقدم الخبرة والتجربة ، تمكن العلماء من رفع درجة الحليب حتى تجاوزت ١٣٠ درجة مئوية ، دون الاضرار بمحتوياته ، أو تدميرها ، وذلك رغبة في الخلاص من نسبة أكبر من الأحياء الدقيقة الضارة ، لهذا يمكن القول انه حليب خال من الميكروبات تماما ، باستثناء بعض الفيروسات المقاومة للحرارة ، كما أن صلاحية مثل هذا الحليب قد تزيد شهورا أطول مما هو عليه الحليب المعقم العادي ، دون شرط حفظه داخل الثلاجة مع الأخذ في الاعتبار ان فتح العلبة أو الزجاجة يفقده خاصية التعقيم والأمان .





طبيب الأسرة

العلق الطبي

● أعاني من الصداع الذي يتنابني بين فترة وأخرى ، وقد نصحني البعض-بعد أن فشلت في العلاج الطبي-باستخدام العلق الطبي الذي يعالج به بعض الأطباء الشعبيين .

فما هو العلق يا ترى ؟ وهل هناك من فوائد أم أن له أضرارا ؟

ي . س
عمان

ـ العلق الطبي هو أحد انواع العلق المتعددة ، ويسمى في اللغة العلمية هيرودو مديسناليس -Hiru do Medicinalis وينتمي الى ديدان الأرض الحلقية ، ويتميز بوجود حوصلة يدعونها المعدة مجازا ، ذات قنوات متعددة . ويعيش العلق متطفلا على امتصاص الدم واختزانه في قنوات المعدة لاستخدامه عند الحاجة ، لهذا يمكنه العيش طويلا دون غذاء .

والعلق الطبي صغير الحجم ، يتراوح بين ٢ ـ ٣ سنتيمترات ، ويتحرك في الماء سابحا أو متقلصا ، مستعملا ممصاته في الحركة ، حيث أن له ممصين ، احدهما أمامي حول الفم يستخدمه في الحركة لتثبيت جسمه ، كما يستعمله في امتصاص الدم ، والثاني خلفي في مؤخرة الجسم يعينه على الحركة والتشبث .

وللعلق ثلاثة فكوك صلبة ذات أسنان حادة يستخدمها في قطع الجلد عند امتصاص الدم ، وحتى يضمن استمرارية نزف الجرح فانه يفرز مادة مانعة للتجلط ، لهذا يبقى مكان العلقة نازفا حتى لو أزيلت أو سقطت ، والعلقة تتشبث بالجلد بواسطة ممصاتها حتى ترتوى وتشبع ، ولكنها لا تؤلم كثيرا . ولهذا فقد استعملت قديما في الطب لاستنزاف الدم في أحوال الصداع والاحتقان والأورام ، قناعة من الأطباء القدامى بان زيادة فائض الدم هو سبب العلة

لقد ولى زمن استعمال العلق لما ثبت من ضرره الشديد أحيانا ، وخصوصا عند هبوط الضغط ، أو فقر الدم ، بينما فوائده قد وجدت بديلا لها من العقاقير أو العمليات الجراحية ، أكثر فعالية ، وأمنا ، وأكثر تطورا .

شرب الماء مع الطعام

● قرأت فيما أقرأ عن أن شرب الماء مع الطعام يضر بالمعدة ، ويسبب عسر الهضم ، ولهذا يوصي الأطباء بشرب الماء قبل الأكل بساعة ، أو بعده بساعة ، فهذا أنفع للصحة . فما صحة هذا القول ؟ وهل هو رأي طبي معتمد ؟ ولكم الشكر .

أحمد بو عابد
طنجة

ـ شرب الماء مع الطعام يضر بالمعدة قناعة تشيع بين الناس ، لا أحد يدري لها مصدرا ، ويجتهد بعض الناس في تبريرها على اسس علمية لا أصل لها ولا فصل .

ربما كان الاسراف في شرب الماء له محاذير ، منها أنه يخفف من تركيز عصائر الهضم في المعدة

والأمعاء ، ولكن هذا لا يقوم حجة ضد شرب الماء على الاطلاق ، لأن الماء له ضرورات منها تسهيل عملية عجن الطعام وامتصاصه ، بل ان قلته تؤدي الى عسر في الهضم ، وجفاف في الأمعاء ، وينتهي بصاحبه الى الامساك . لقد جرت دراسة علمية تجريبية على فريقين من الناس :

فريق أول أطلق الأطباء له حرية شرب الماء باسراف مع وجبات الطعام ، وفريق ثان قسوا له شرب الماء بمقدار ومواعيد .

وانتهت التجربة الى أن الفريق الأول لم ينله أي أذى أو اضطراب في الهضم ، فيما كان الفريق الثاني الذي قسوا له شرب الماء يعاني من توعك وعسر هضم ، وهذا ما يناقض الشائعة بضرر شرب الماء مع الطعام .

اننا نعارض تقييد شرب الماء مع الطعام على أية صورة ، حيث لا حاجة تقف الى جانب هذه الشائعة الغريبة ، التي لا سند لها من الرأي الطبي ، ولكننا أيضا نقف مع الآية الكريمة التي تقول : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » . صدق الله العظيم .

العدوى الذاتية

أحب قراءة الكتب الصحية ، وقد صادفت اصطلاح العدوى الذاتية في أكثر من موضع ، ولكنني لم أستوعب معناه بوضوح ، فهل لي في شرح أو تفسير موجز ، ولكم الشكر .

ص . م / حماة

العدوى الذاتية تعني تكرار عدوى المريض لذاته بنفس المرض الذي يعاني منه ، فبعض الأمراض المعدية (أو المعروفة طبيا بالأمراض الانتقالية) تنتقل من مريض أو حامل للمرض ، انساناً كان أو حيواناً ، أو ربما نباتا ، حسب دورة معينة لكل مريض .

وحين تخرج مسببات الأمراض من جسم المريض ، ربما تكون ناضجة وجاهزة للعدوى التالية لانسان سليم آخر ، دون حاجة الى مراحل أخرى خارج جسم المريض ، فيعمل المريض بوسيلة أو بأخرى على نقلها الى نفسه مرة أخرى ، فتتوالى العدوى ويعيش في حلقة مفرغة ، يكون فيها المريض كالبائع والمشتري في آن واحد .

وحيث انه لا توجد قاعدة عامة تنطبق على كل الأمراض القابلة للعدوى الذاتية ، فانه يمكن اعطاء أمثلة لمثل هذه الحالة .

هناك دودة شريطية تعرف بالشريطية القزمة ، لان طولها حوالي ٤ ـ ٥ سنتمترات فقط ، تنتشر كثيرا بين الأطفال وتعيش في أمعائهم ، وقد تخرج بويضاتها الناضجة القابلة للعدوى المباشرة ، فيعمل الطفل الذي يفتقد عادات النظافة على نقلها من الشرج الى الفم مباشرة .

على نفس الدرب هناك دودة تعرف باسم الاكزوريوس أو الحرقوص ، تضع بيضها الناضج حول فتحة الشرج ليلا ، فتثير شعورا بالحكة مما يدفع الطفل الى أن يمد يده دون شعور منه ليحك مؤخرته فتتعلق البويضات تحت أظافره ، وعندما يمص الطفل أصابعه بحكم عادة الأطفال ينقل المرض الى فمه مرة أخرى .

ومما هو شائع ان الثآليل التي تظهر على الجلد ، وخصوصا الأيدي والأرجل ، قابلة للانتشار بفعل اللعب فيها وحكها ، مما نسميه بالعامية (تفقس) ، وما هي الا عدوى ذاتية بالفيروسات مسببة المرض وهكذا .

ادماء اللثة

* السيد ص . ب ـ السودان :

ـ لادماء اللثة اكثر من سبب ، ربما كان اشهرها نقص فيتامين ج او ربما كان التهاب اللثة، ويحتاج الى مناظر وفحص من طبيب الأسنان المختص لتحديد السبب لديك لعلاجه .

عُرْسُهَا..

شعر: فواز عيد

مرةً . . . .
والمساءُ يفرُّ على فرسٍ شاحبهْ
صاعداً في لهاث الزجاج . .
الى غيمةٍ . . سيدهْ
ساحباً حوله جدولين . . الى شمسه الغاربهْ
جدولين على فيها . .
رغوة الصبح في مهده . . واشتعال الضباب
جدولين . . بقرنيْ غزالٍ . .
يفر على دفتر من رسوم الصغار . .
ويرعى الزهور التي يبستْ في ثنايا كتابْ

***

مرةً . . والعروسُ الصغيرة . .
تطلع من دارها . .
قامة من نسيم الجنوب على جدولٍ . .
وارتباكِ الأحاديث بين القصب
ناحلٍ عودها
لا من الصيفِ فيه . . ولا من سلال الثَّمرُ
إنما أرّقتهُ وشايةُ حب

***

ثوبُها . . وَسَنٌ في الشّتاءِ . .
على بابهِ قمران
ويداها . . السلام الأخير
بُعيْدَ العواصِفِ . . في ليلةٍ
راحتاها . . الأمَان

أذكرُ الآن من عرسِها ليلةً
قبل بدءِ التواريخِ في الغربتين
وقبل القيامةِ في دورةٍ ثانيهْ
قبل أنْ تبدأ الغربةُ التاليهْ
قبل عبدِ منافٍ . . ورحلتِه في الشّتاءِ
الى دارها العاليه
قبل رحلته في ليالي الحصادِ . . ليالي المرايا . .
الى قمر نائمٍ . فوق سرجِ حصانْ
أذكُر الآن من عرسها . . قامةً مقبلهْ
في رفيفِ الطيورِ على بيدرٍ . . . .
واشتعالِ النسائم . . في غبطةِ السنبلهْ
أذكر الآن من موجةٍ للشقائق بين الزُّروع
شفقيْ وردةٍ . .
في صباحٍ من الثلجِ والدفءِ . .
قد مرَّ بي هامساً : مرحبا

مرحباً أنتِ . . . .
ياوردة الصبحِ . . ياوردتي
يازجاجَ النهارِ . . قُبيلَ الغروبِ . .
وياعُرُساً للعصافير . . قَبل الغيَابْ
مرحباً . . وسلامٌ عليكِ . .
على الروح . . إذ نهضتْ
من شَذا غامضٍ في حنين التُّرابْ

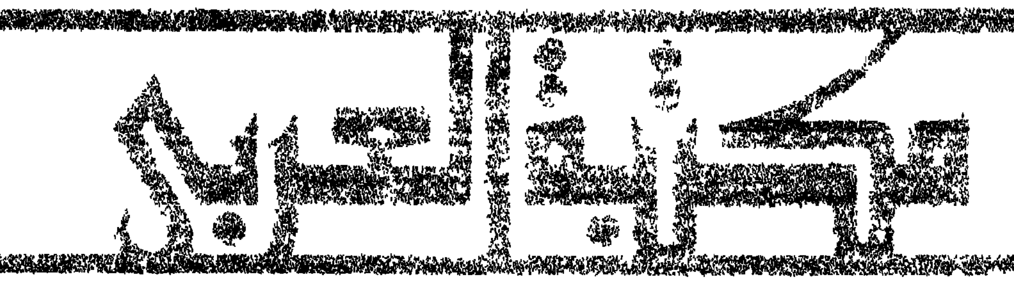
***

الترابُ الذي مسّهُ البرقُ . .

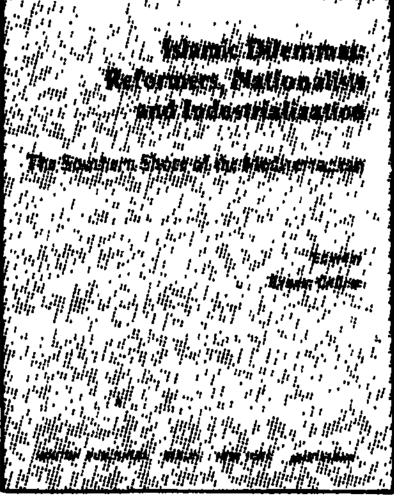


حتى استفاقَ على روحهِ . .
والترابُ الذي مسّهُ الرعدُ
حتى أفاقَ . . على هيئةِ الطير . .
أو هيئة الحقل . . .
أو هيئةِ التوت والياسمينْ
والترابُ الذي قامت الروح منه
الى رجل . . أو فتاهْ
والترابُ الذي يهبُ الأرضَ زيتونَها .
مثلما يَهَبُ الطاعنينَ الحياهْ
والترابُ الذي دار بي دورةً كاملة
من حنين أبي للصغارِ . .
الى الحرفِ . . والسطرِ . . والمفرداتْ
والترابُ الذي مرَّ بي شَفَقاً . .
أو كلاماً إلى الضوءِ والريح .
قبل ارتحالِ المصابيح . . عبرَ الضبابْ
والترابُ الذي قال لي ليلةً :
لاتخفْ
إنها الأرضُ تُصغي الى زخةٍ من ثنايا السّحابْ
الترابُ الذي صار لي جسداً
ولها جسدا
يسكنُ البرق فيهِ . .
ويسكنُ فيهِ ابتداءُ المطرْ
الترابُ الذي يعرفُ الحزنَ
والكحلَ في العينِ . .
سوق المرايا . .
تموجُ به شمس كانونَ . .
فوقَ اصطفاقِ فروعِ الشجرْ .

ليلةَ العرس . .
والليلُ زنبقةٌ من ندىً صاخبٍ
في ارتباكِ الدُّفوفْ
والمغنّون ماجوا :
رياحاً على سُفُنٍ في الموانىءِ
والشمسُ في شهوة الحب عند الظهيرة . .
عند ارتحالِ الرمالِ إلى أفُقٍ راعفٍ .
من لهاثِ السّرابْ
يستفيق التراب على عُرُسٍ وعروسْ
خلفَها الخيل معروقةً . .
والرماحُ . . التروسْ
والصغارُ يفرون من حولها . .
من بيوت القرى . . من مدارسِها . .
من نهوضِ التلالِ
الى زهرةِ الفِطْر . .
اذ عرَّشتْ جسداً من حرير السّحابْ
من حمام البساتين . . إذْ هفَّ نحو القبابْ
من يدي . . والصباحِ . .
ومن دمعةِ الثلج . .
من « مرحَباً » ياعَروسَ الحقول . .
السلامُ عليكِ . .
على الصبح فيكِ . .
على الروح . . إذ نهضتْ
من شذىً غامضٍ في حنين الترابْ
السلامُ عليَّ
أحبُّك حتى السوادِ الأخير
يُعانقُ فيَّ الترابُ . . الترابْ .







معضلات إسلامية

المصلحون والوطنيون والتصنيع في المنطقة العربية

بقلم : الدكتور إبراهيم ابو ربيع

هذا الكتاب هو حصيلة مؤتمر حول الدراسات الاسلامية عقد فى جامعة امستردام الحرة ، ونشرت أبحاثه بعد تنقيح وزيادة فى سنة ١٩٨٥ . وقد اشترك فى هذا المؤتمر اربعة عشر باحثا قدموا محاضرات تناقش موضوع الاسلام وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى بلدان عربية ثلاثة : تونس ، مصر ، ولبنان .

تنطلق الأبحاث الواردة فى هذا الكتاب من افتراض ان هناك ثلاث قوى رئيسية فى الوطن العربى الحديث وهى : التصنيع والقومية والاصلاح ان المقصود بالتصنيع هنا هو العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية الجديدة التى تطهر يوما بعد يوم ، والمربوطة بادخال التقنية الحديثة كجزء حيوى ومهمّ في حياة المواطنين ومن أهم نتائج هذا التصنيع ازدياد نسبة التعليم ، ازدياد عدد السكان مع تقليل عدد الوفيات عند الأطفال ، ازدياد الاستيطان فى المدن واستهلاك المنتوجات الصناعية الجديدة .

البعث الاسلامي والقومية

أما بالنسبة للاصلاح فالمقصود به هو الاصلاح الاسلامى أو مايسمى بعملية البعث الاسلامي ، وهى حركة قومية ظهرت بشكل رئيسى فى أوائل السبعينيات من هذا القرن ، وتنامت بشكل مطرد مع تنامى الحركة الصناعية وتشابك العلاقات الاجتماعية فى الوطن العربى وسوف نرى من خلال تحليل بعض أبحاث المؤتمر،إنه وإن كانت حركة الاصلاح قد ظهرت فى المشرق العربى وخاصة فى القرن التاسع عشر مع الطهطاوى والافغانى ، ومحمد عبده ، وفى المغرب العربى مع ابن باديس والطاهر عاشور ، وعلال الفاسي فى القرن العشرين ، الا أنها أخذت اتجاها شبه عسكري فى السبعينيات،وهذا مما يدل على مؤشرات خطيرة بالنسبة لعملية الاصلاح التى كان من أهم اهدافها ابعاد الناس عن التطرف واللاعقلانية .

ومن الملاحظ ان النشطين فى الحركات الاسلامية الحديثة يأتون من فئات اجتماعية متوسطة ، وغنية ، وان معظمهم على درجة لا بأس بها من التعليم ، وهذا يدل على أن هناك بعدا اجتماعيا واضحا لحركات الاصلاح الاسلامى وهذا البعد يوصلنا الى مفهوم القومية المستعمل فى الكتاب ، وهو مفهوم يعتمد فى الدرجة الأساسية على ازدياد هيمنة السلطة المركزية على كثير من مرافق الحياة العامة من عسكرية وسياسية واقتصادية الذى أدى بالتالى الى ربط كل المجتمعات القبلية والفلاحية والمدنية بالمرافق العامة للدولة مما أدى الى اضمحلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية غير المتطورة فى الوطن العربى الحديث .

ان انبثاق النظام الاقتصادى والاجتماعى الجديد فى الوطن العربى أدى الى تكوين وخلق انماط عمل جديدة تتطلب مقدارا وافيا من التدريب المهنى والأكاديمى ، وهذا بالتالى أدّى إلى مرونة أكثر فى مجالات العمل لعدد أكبر من المواطنين ، وبالتالى الى ازدياد شعور المواطن بأهمية الدولة فى حياته العملية وحتى الشخصية من هذاالمنطلق يجب ان نتعامل مع مفهوم القومية فعلى الرغم من المكونات الايديولوجية لهذا المفهوم كالاستقلال الوطنى والثقافى من الاستعمار الا ان له أبعاداً اقتصادية واجتماعية واضحة ، وهى الاستقلال الاقتصادى والوطنى وخلق مجتمع مفتوح يعتمد على التساند بين السلطة المركزية والمواطنين .

ويمكن أن تدرج أبحاث المؤتمر تحت ثلاثة اقسام رئيسية هي :

- حركة البعث الاسلامى فى السبعينيات : وفى هذا المجال قام الكاتب المصرى حسن حنفى بدراسة جذور الحركات الاسلامية فى السبعينيات فى الوطن العربى بشكل عام وفى مصر بشكل خاص وذلك فى مقاله :

« أصل المحافظة الحديثة والاصولية الاسلامية »

- الطرق الصوفية فى تونس وعلاقاتها بعمليات التغير الاجتماعى والاقتصادى ، وخاصة بعد استقلال تونس عن فرنسا فى عام ١٩٥٦ . وما يهمنا

هنا هو مقالة المستشرق براون عن الطريقة المدنية وهي طريقة صوفية ظهرت في العشرينيات من هذا القرن وعلاقاتها بالدولة المركزية وموقفها من التصنيع

ـ وأخيراً الدين والسياسة في لبنان : وهنا سوف نقوم بتحليل مقالة ماريون وبيتر سلوجلت المستشرقان الانجليزيان عن حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) في لبنان من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٧٩

الجذور الاجتماعية للحركات الاسلامية

في مقالة عن حركة البعث الاسلامي في السبعينيات يقوم الدكتور حسن حنفي بتحليل وافٍ للأسباب التي أدت الى ظهور الحركات الاسلامية ، والتي كانت غير مفهومة وغير منطقية من وجهة نظر العالم العربي يعرض الكاتب ثلاثة اسباب رئيسية واخرى فرعية لعملية البعث هذه

ـ فشل الايديولوجيات المعاصرة للتحديث في الوطن العربي ، والمواجهة الثقافية مع العالم العربي ثم اكتشاف قوى كامنة في الوطن العربي

ويشرح الكاتب بالتفصيل الأبعاد المركزية لهذا السبب الرئيسي التي يرى بأنها تتمثل في فشل الليبرالية العربية التي استوردت الى مصر بشكل خاص من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ وفشل اشتراكية الدولة كما طبقت في مصر زمن عبد الناصر وأخيراً فشل الماركسية التقليدية التي يرى انها لم تستطع أن تتعامل مع الاسلام بطريقة عملية

ان الليبرالية العربية التي اعتمدت بالدرجة الرئيسية على البرلمان وعلى الاقتصاد الحر فشلت مع مجيء ثورة ١٩٥٢ ، وهذا الفشل كان ناتجا عن القوة المطلقة للملك في التدخل في الحياة السياسية وحل البرلمان متى شاء ايضا . ان الاقتصاد المفتوح بالطريقة غير المنظمة وحتى الاستغلالية التي كان يعمل بها في مصر أدى الى ازدياد حدة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والى تأخر الريف بشكل رهيب ، الى جانب ازدياد نسبة البطالة وارتفاع مستوى المعيشة مع وجود نسبة ٨٥٪ من الأمية.في هذا الجو ـ كمايبين حنفي ـ نشأت حركة الاخوان المسلمين (سنة ١٩٢٨) كرد اسلامي على التناقضات القائمة آملة بذلك أن تقيم حكما إسلاميا خاليا من الشوائب والاستغلال . ان حسن البنا القائد الشعبي لجماعة الاخوان والذي اغتيل في سنة ١٩٤٩ وضع برنامجا ايديولوجيا يستوحي مشروعيته من الاسلام وبنفس الوقت غير غافل لتناقضات الواقع المعاش ، وذلك لحل المشاكل القائمة ، ولكن هذا البرنامج وان استقطب كثيرا من الافراد من مختلف التيارات الاجتماعية ، لم ينجح في الوصول الى هدفه الأسمى وهو حلم اقامة الدولة الاسلامية . وهو يرى ان ثورة ١٩٥٢ أتت لتحدث تغييرات جذرية في الأسس الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع عن طريق تطوير القطاع العام وبرنامج الاصلاح الزراعي وفتح مجال التعليم امام المواطنين ،

ولكن هذه البرامج أصيبت بنكسة شديدة مع هزيمة ١٩٦٧ وهذا كان أحد أسباب فشل اشتراكية الدولة بعد وفاة عبد الناصر في سنة ١٩٧٠ ، مما ساعد بالنتيجة الفئة السياسية الحاكمة الجديدة على الابتعاد عن طموحات الناصرية ومشروعاتها المحتلمه ، وخلق سياسات بديلة مرتبطة بالدرجة الأساسية بسياسة امريكا في المنطقة ووجهة نظرها اقتصاديا . في هذا الجو ، جو التغير الراديكالي في مفهوم المجتمع لنفسه ولمستقبله ، والابتعاد عن الناصرية ، ظهرت الحركات الاسلامية في السبعينيات . أولا ، كرد فعل ضد الناصرية التي كبحتها في الخمسينيات والستينيات وثانيا ، كانعكاس لواقع جديد مليء بالقلق والترقبات تحدث فيه تحولات جذرية في جميع المجالات . هذا الجو أدى الى تفاقم حدة المأساة للجماعات الاسلامية اذ أن البعض منها وجد ان العنف هو الرد الوحيد على المتغيرات السريعة وغير المتوقعة في المجتمع المصري ، مع أن السلطة السياسية الحاكمة نجحت بتحييد وحتى استغلال بعض الحركات الاسلامية لصالحها بشكل مباشر أو غير مباشر لعدم وضوح الرؤية الايديولوجية لهذه الحركات ، الا أنه من الواضح كما يبين الكاتب ان ظهور هذه الحركات يعكس خللا وفجوات واسعة في البناء الاجتماعي والاقتصادي والوجهة العامة للمجتمع .

كتاب الشهر

الماركسية والعرب

يقول الكاتب ان الماركسية التقليدية فشلت في الوطن العربي ويفسر هذا « الفشل » بقوله انها حاولت القضاء على المشاكل الاقتصادية ومشاكل الأمية والفقر (نظريا على الأقل) الا أنها فشلت كأيديولوجية علمانية غربية وليدة تناقضات المجتمع الرأسمالي خلال الثورة الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ان هذه الايديولوجية لاتمثل الثقافة التقليدية لمختلف فئات المجتمع العربي والمعتمدة على الاسلام بالدرجة الأساسية . فالأيديولوجية الماركسية تتكلم باصطلاحات التناقض الطبقي ، المادية الديالكتيكية ، ووحدة الطبقة العاملة وهي اصطلاحات بقيت أسيرة تفكير فئة قليلة نسبيا من المثقفين العرب المعزولين عن المفاهيم العامة للجماهير الشعبية . وهو يرى ان عدم عرض الماركسية بشكل يليق بالمجتمع العربي وبتراثه وخصائصه أدى الى فشلها كما يقول الكاتب .

وفيما يتعلق بالمواجهة الثقافية مع الغرب ، أبدى الغرب اهتماما اقتصاديا وعسكريا بالوطن العربي منذ قرون عديدة وذلك لموقع الوطن العربي الاستراتيجي ولغناه بالمواد الطبيعية . وقد أتى علم الاستشراق ليلعب دورا خطيرا كالسلاح العقلي والثقافي الذي يشهره الغرب في وجه الاسلام عن طريق درس الاسلام وحضارته بطريقة غربية تساعد على تمرير مصالح الغرب في المنطقة . اضافة الى ذلك فان الغرب قد عمل جاهدا على خلق طبقة مثقفة عربية تنهل من الأفكار الغربية بما يخص مفاهيم الله والانسان والحضارة والمادة . ان هذا التحدي الثقافي الغربي للوطن العربي لم ينقطع حتى بعد فترة الانتهاء الفعلي للاستعمار المباشر . ففي مرحلة الاستعمار الجديد ظهرت الحركات الاسلامية تدعو الناس الى العودة الى مصادر الاسلام الرئيسية وإقامة الدولة الاسلامية ، وذلك للقضاء على الازدواج الثقافي الحاصل من هيمنة الغرب الثقافية المستمرة . ففي حين ان الحركات الاصلاحية الاسلامية في زمن الاستعمار المباشر اعتمدت على العقل كقوة رئيسية للقضاء على الخرافة والتأخر ، فان الاعتماد على القوة المسلحة والسياسية التنظيمية أصبح من أهم المقاييس في زمن الاستعمار الجديد .

ان التكامل الثقافي الذاتي للمسلمين والنموذج الاسلامي الماضي من اقامة دولة شاسعة الأطراف ، كل هذه الأفكار ساعدت الحركات الاسلامية على اكتشاف قوى داخلية ، وعلى التأكيد على هويتها الثقافية والتاريخية عن طريق التشديد على الأصالة للأمة الاسلامية . ان هذه الأفكار المستوحاة من ماض زاهر انعكست على واقع شديد التغير وغير مضمون في كثير من الأحيان . والنتيجة التي يخلص اليها القارىء من مقالة حنفي هي أنه مع ازدياد الصعوبات التي يواجهها المجتمع تزداد مثالية الحركات الاسلامية وابتعادها عن تقديم حل واقعي لمشاكل موجودة في المجتمع .

منطلق الدين والدولة

قليلا ما يهتم أبناء المشرق العربي بدراسة التيارات الفكرية والأدبية والاجتماعية في المغرب العربي .

ان هذه التيارات الفكرية المختلفة تعكس واقعا يغلب فيه التناقض اللغوي (العربية أم الفرنسية ؟) والثقافي (ثقافة الغرب أم ثقافة الاسلام ؟) بالرغم من ان السياسة الرسمية للحكومات الحالية هي تنشيط وتسريع عملية التعريب في جميع المجالات . ان هناك تناقضا آخر وهو بين الحركات الصوفية وأنظمة الحكم الجديدة التي أتت بعد القضاء على

الاستعمار الفرنسي - هذا التناقض هو موضوع دراسة المستشرق براون عن الطريقة الصوفية المدنية التي أسسها الشيخ محمد المدني ، أحد اتباع الشيخ الصوفي الجزائري المعروف احمد العلوي .

ان هذه الدراسة التي تحت ايدينا تحاول أن تتقصى الجذور الاجتماعية للطريقة المدنية ، الى جانب ايديولوجية هذه الطريقة وبرنامجها للعمل ، وهذا كله يتم في سياق الأحداث السياسية التي مرت بها تونس خلال فترة الحربين العالميتين حتى استقلالها عن فرنسا سنة ١٩٥٦ . وقد توصل الكاتب بالنتيجة الى أن معظم أتباع هذه الطريقة هم من الفلاحين وبعض الفئات الفقيرة في المدن ، والسبب في انضمام هؤلاء هو الضمان الاقتصادي الذي تكفله الطريقة لهم . ويقول الكاتب ان الطريقة المدنية خسرت كثيرا من المريدين أو الأعضاء بالمفهوم الاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ انه نشأت فرص عمل جديدة ، مما ساعد الكثيرين على تجربة حظهم المادي خارج اطار الطريقة .

ولكن الصدمة السياسية والاجتماعية الكبرى التي واجهتها الطريقة كانت بعد الاستقلال في سنة ١٩٥٦ حيث ان حزب الدستور الجديد الذي أتى الى الحكم قد اتهم شيخ الطريقة المدنية بالتعامل مع سلطات الاحتلال الفرنسي مما أدى الى اضعاف وليس اماتة الطريقة امام أعين الناس .

وأحد الاستنتاجات الرئيسية لهذا المقال هو أن الصراع بين الدولة الحديثة الذي عقب مرحلة ما بعد الاستعمار هو صراع بين منطلقين مختلفين : منطلق يرى ان تونس يجب ان تكون دولة علمانية وليبرالية غير مرتبطة بالشريعة الاسلامية ، ومنطلق آخر يؤكد الجذور الاسلامية للدولة والمجتمع ، ومن هنا فان اشكال هذا الصراع قد أخذت طابعا آخر في بداية السبعينيات مع حركة بعث الصوفية والمجموعات الاسلامية الأخرى على الساحة التونسية .

ان هذا الصراع هو ظاهرة اجتماعية بالدرجة الرئيسية حسب رأي الكاتب ، انه صراع حول الهوية الثقافية للمجتمع عن طريق تجديد الأصالة ، اى الاسلام الثقافي بدل التعريب والتبعية الثقافية ، ومن ناحية اخرى فإن هذا صراع حول مشكلة العدالة الاجتماعية والفوارق المادية الموجودة في المجتمع .

ومن خلال قطبي هذا الصراع نرى ان مايسمى بعملية « الاحياء الاسلامي » قد اتخذت أشكالا ليس فقط سياسية وعسكرية ، بل ثقافية واجتماعية ايضاً ، كما يبين براون في مقاله .

الدين والسياسة في لبنان

يتحدث مقال ماريون وبيتر سلوجلت بشكل تفصيلي عن حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) ، كحركة ايديولوجية وعسكرية في لبنان ، والتي تنطلق من مبادىء غير دينية في تعاملها مع الأحداث ، وهذا المقال يوضح لنا التشابك الكثيف في العلاقات الاجتماعية والسياسية والفكرية في لبنان المعاصر ، وهدم التوازن الحاصل بين هذا التشابك . يتحدث الكاتبان عن انبثاق حركة (المرابطين) في أواخر الخمسينيات ، وذلك في اطار تنامي الناصرية في الوطن العربي ودعوتها الى « الوحدة العربية » ، وقد انبثقت هذه الحركة كحركة سياسية معارضة للوضع السياسي القائم بالاعتماد على القومية العربية . ان الأسس الايديولوجية لهذه الحركة تعتمد على الوحدة والحرية والاشتراكية ، والاحترام العظيم لمبادىء وشخصية عبد الناصر . ولكن مع هذا الاحترام ، فان الحركة لم تقم بأي تحليل عميق لفترة الناصرية في مصر والصعوبات والأخطاء التي وقعت بها الناصرية وحركة الناصريين في لبنان مع انها تشترك مع الحركات العلمانية الأخرى في المجتمع في فكرة فصل الدين عن السياسة فانهم يختلفون مع الحزب الشيوعي مثلا في أنهم لا يؤمنون بالصراع الطبقي او بالقضاء على الملكية الخاصة في المجتمع ، شرط ألا تستخدم هذه الملكية الخاصة لأغراض استغلال الآخرين .

أما بالنسبة للموقف من الدين فان (المرابطين) كما بينا لاينطلقون من مفاهيم دينية بل قومية . وبالرغم من ذلك ، فالحركة تعتبر الاسلام جزءاً اساسياً من الثقافة العربية والوطنية، وان الاسلام كبعد ديني لايتعارض مع البعد القومي . هذان البعدان يربطان مختلف ابناء الشعب من ناحية اللغة والثقافة والتاريخ والتراث المشترك والمصالح المشتركة ، بالرغم من ان هذه الحركة تقوم على فصل الدين عن الدولة الا أنها



كتاب الشهر

توظف الدين توظيفا سياسيا واجتماعيا لكى تحصل على أكبر عدد من المؤيدين .

ان هذاالتناقض بين المفهوم من ناحية والمنطلق العملى من ناحية أخرى يعكس الصعوبات وحتى التناقضات التى تقع فيها الحركات العلمانية العربية من ليبرالية وقومية واشتراكية تجاه الدين . وهذا يؤدى بنا الى الحديث عن اشكالية الدين فى الوطن العربى .

اذ أن هذه الاشكالية ليست على مستوى الفكر فقط بل على مستوى التعامل ايضاً ، فهناك بعض المجموعات والمثقفين الذين يرفضون ان يكون الدين اساسا ثقافيا وتراثيا لعلاقات اجتماعية وسياسية قائمة ، وهناك آخرون ممن يرون ان المجتمع الاسلامى كله جاهلية واننا نعيش فى جاهلية القرن العشرين .

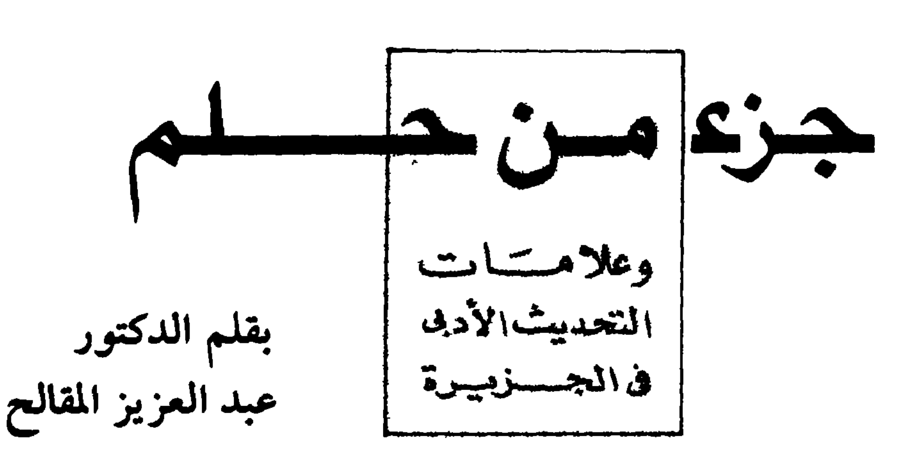
ان اشكاليةالدين تنتظر كتابات نظرية صائبة من كل المثقفين العرب فى مختلف تخصصاتهم الاكاديمية والفكرية ، وذلك لكى لا يكون هناك تناقض بين المفهوم والمنطلق العملى ، أو بين مايجب ان يكون وبين ما هو قائم بالفعل . صحيح ان الكتابات النظرية القربية فى كثير من المجالات الفكرية مازالتْ غير متقدمة الا ان هذا هو التحدى الذى يواجه الانسان العربى المعاصر . انه تحدٍّ حضاري وانساني فى الدرجة الاولى انه تحدي الابتعاد عن اللاعقلانية فى السياسة والفكر والثقافة والدين ، والاقتراب الى معاملة الواقع بكل تعقيداته بفكر متألق ونظر ثاقب وكفاح متواصل ومرونة لا تعرف التعصب الدينى أو الشطط العاطفى . هذا كله يجب ان يتم فى اطار التعامل مع الحاجات الاجتماعية والمادية والثقافية والاخلاقية لمجتمع عربى لا يعيش « فوق التاريخ أو تحته » بل مع التاريخ قدما نحو حاضر مبدع ومستقبل زاهر . □



درع للامام علي

● روى أن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد أثناء خلافته درعا كانت بحوزته وذلك عند منصرفه من صفين فالتقطها رجل من اليهود ، وذات يوم وجد الامام علي ، درعه مع اليهودي فرفع أمره الى القاضي شريح ولم تكن مع الامام علي بينة ولم يكن معه شاهد الا ابنه الحسن رضي الله عنه فقال القاضي : أنا أعلم انك صادق يا أمير المؤمنين ولكن لا بينة عندك . ولا تصلح شهادة ابنك لك ، واليهودي واضع يده على الدرع . ثم أن القاضي حكم لليهودي عملا بظاهر الأمر ، فامتثل الامام علي رضي الله عنه لحكم القاضي وخرج . فقال اليهودي : « أشهد أن هذا من أخلاق الأنبياء ، وأن هذا الدين دين الحق ، وان هذا الدرع درع علي ثم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله »

من المكتبة العربية



سيتذكر عرب الجزيرة والخليج عقد الستينيات طويلا . وستتحدث عنه الأجيال القادمة كثيراً وباعجاب ، لانه كان عقدا غنيا ومليئا بالمفاجآت التي تقود الى التغيير، وتدفع بقوة وبعنف احيانا الى تجاوز معضلات التخلف والخروج من دائرة الاحتضار الرملي .

قد يكون الفضل فيما حدث في عقد الستينيات راجعا في الاساس الى عقد الخمسينيات السابق له في التأثير ، فالتطورات ـ لاتحدث فجأة ولا تكون وليدة لحظات الميلاد ، اذ لابد لها من مقدمات وارهاصات، لكننا بالرغم من ذلك ستتذكر عقد الستينيات من هذا القرن ونختصه بالاهتمام، لانه شهد سنوات الميلاد الحقيقي للجزيرة والخليج، ولانه رأى انسان هذه المنطقة يخرج من الصمت ويبدأ الكتابة ، فالكتابة حالة جوهرية وتعبير بالممارسة عن الميلاد الجديد .

ولأن الحديث هنا سوف يقتصر على الاشارة الى تطور اساليب واشكال الكتابة الادبية بفضل المعطيات الستينية، فاننا لاينبغى ان نهمل الاصوات الادبية الرائدة التي اسهمت في تمهيد طريق التجربة الجديدة وفي فتح النوافذ للروافد الاولى . صحيح انها لم تبلور ملامح التجربة، وان انفعالها المندهش بالجديد قد كان في معظمه تعبيرا عن الاستجابة اللغوية، ولم يكن فيه نصيب يذكر من التعبير عن حركة الواقع وتناقضاته ، الا ان تلك الاصوات اثبتت من خلال تعاملها مع الاشكال الادبية التقليدية خطورة الاعجاب العاطفي وغير الواعى بالتراث ، وان ذلك الاعجاب الخطر لايساعد هذا التراث على البقاء والتجدد ، وانما يعمل على استهلاكه وافراغه من محتواه، وتحويله الى قوالب جامدة تعوق رحلة التطور، وتمنع الانفتاح على العصر والواقع والمستقبل .

الحكم بكتابة جديدة

في بداية الستينيات كان كل شيء في الجزيرة

والخليج - باستثناء اصوات الرواد - يبدو صامتا ، ربما لان الانسان في هذا المكان القديم كان قد مل الحديث عن المألوف والمكرور ، مل اللغة التقليدية والمفاهيم السائدة،وبدأت ملامح وعي ادبي تتشكل وتحلم بكتابة جديدة بصياغات مبتكرة .

واتوقف هنا لكي اثبت مرة اخرى ان ذلك الذى كان يحدث لم يكن يعني الخروج على الاصول والتنكر للتراث،او الانسلاخ عن كل الماضي بمنابعه الأصولية . كانت المتغيرات المتلاحقة تقود المواهب المبدعة ، نحو مرحلة جديدة من الابداع ، تتلاءم مع العلاقات الجديدة التي طرحتها اساليب الحياة .

ان الأطر الاجتماعية التي كانت قائمة فى النصف الاول من هذا القرن تتغير ، ان لم نقل انها تنهار ، والاساليب الادبية والفنية التى كانت سائدة في ظل امتداد مواصفات القديم وتأثيره قد تغيرت . ابناء الجزيرة والخليج يتواصلون بالعالم،وتنتشر بعثاتهم التعليمية على مستوى الكرة الأرضية ، ظروف حياتهم الجديدة تقتضى أن يكونوا أكثر صدقا وتلاؤ ما مع العصر ، والصراع الدائر بين ظواهر القديم والجديد لم يكن متكافئا ، والعبرة دائما وابدا بالجوهر، وبالقيم النبيلة التي تحدد علاقة الانسان بالانسان وعلاقته بالعالم وبالكون الكبير .

جزء من حلم الجزيرة :

تجيء رواية « جزء من الحلم » للكاتب المعروف عبد الله عبد الرحمن الجفرى بعد مجموعاته القصصية الثلاث « حياة جائعة » « والجدار الآخر » ، « والظمأ » تجيء هذه الرواية مع الثمانينيات لكي تثير كثيرا من التساؤلات عن الوضع الادبي في الجزيرة بعد ربع قرن من المخاض العسير ، وتظل الرواية وحدها بين - الأشكال الأدبية - الأقدر على إثارة التساؤلات ، وذلك لأن النتاج الروائى في الجزيرة - شمالا وجنوبا وخليجا - مايزال ضئيلا اذا ما قورن ببقية الاشكال الادبية،وفي مقدمتها الشعر بما له في هذا المكان من جذور وتقاليد راسخة .

ورواية « جزء من الحلم » هي في الظاهر قصة امرأة عربية تعيش مغتربة مع واقعها،بسبب ما طرأ على هذا الواقع من تغيرات ناتجة عن الصراع الحاد بين الاجيال ، وبين أبناء الجيل الواحد ، وبين الفرد ونفسه . وعبارة « في الظاهر » السابقة تشير الى ان الابعاد الداخلية للرواية توشك ان تجعل من المرأة الحالمة معادلاً رمزيا للجزيرة الحالمة ايضا ، والمثقلة بالعتيق والبالي من التقاليد والعادات . « ليلى » هو اسم البطلة،وهو اسم ذو نكهة تاريخية خاصة،لاسيما حينما يأتي من قلب الجزيرة محملا بقدر غير قليل من الايحاء . والجفرى لايريد لنا ان نتوقف عند سطح الاحداث التي عبرت عنها روايته ، ولا عند ليلى ، المرأة الفاشلة فى حياتها الزوجية والحالمة بالحب الذى لن يأتي ، وانما يريد لنا ان نرافقه في محاولته الجريئة الرامية الى رصد ملامح التحول فى بنية مجتمع الجزيرة الواقف على صراط التحولات،من خلال رصد الانهيار الذى يعاني منه المنزل العربي للطبقة الوسطى،بعد الانفتاح المفاجىء على الحياة الجديدة بكل حسناتها ومساوئها ،وبكل وضوحها وتعقيداتها ، وهو بذلك يفتح عالم الحريم برفق ، ويرتاده بذكاء،ويكون دليله ودليلنا في نفس الوقت الى ذلك العالم العجيب الذى كان الى وقت قريب سرا مغلقا ، يكون الدليل اليه « ليلى » المرأة الضحية التي حاولت ان تتمرد على التقاليد،وان تحتج على الاهمال المذهل الذى تعاني منه المرأة،بعد ان عرفت السفر الى الخارج،ورأت بعينيها كيف تعيش الزوجات مع ازواجهن ، ورأت كيف يضطر زوجها الى ان يتركها في المطعم او الملهى مع اصدقائه وزوجاتهم ومع آخرين لازوجات لهم، ويذهب الى مكان آخر لكي يعقد صفقة تجارية،غير مدرك للنهاية المؤلمة التي ستترتب على هذا الموقف ، وفي الوقت ذاته غير قادر على ان يتخلى عن شعوره بالسيطرة والتحكم،وغير قادر ايضا على تصور علاقة انسانية بين الزوجين،او ايجاد معنى للرابطة الزوجية غير رابطة التبعية والتملك .

عاطفة حسب الطلب

ان « حسين » وهذا اسم الزوج المنكود،يجد نفسه بحكم العادة مضطرا الى الزواج من ابنة عمه الغنية الجميلة .«كان قادراً على صنع كل شيء،الا ان يكون زوجا . وكانت عاطفته - على حد تعبير ليلى - رهن العرض والطلب . . يضعها في ثلاجة متى اراد

ويخرجها متى احتاج الى استخدامها » وهذا التعبير يوحي بانه كان تاجرا ناجحا،وان نجاحه في هذا المجال قد انساه كل المعاني الاخرى،وأفقده منذ الشهور الاولى صفة الزوج (ولكن حياتنا معا استمرت بطيئة مملة . . حتى انتهى عام كامل على هذا الرباط . كنت خلاله اقنع نفسي واصبرها ، واعدها بالمستقبل . ذلك ان صناعة التفاهم تأخذ وقتا ، ثم لم اعد احتمل . فحاولت ان « اتعود » عليه ، فلا بأس اذا وصلت به في نفسي الى قناعة التعود لحظتها ساكون مشغولة بأمومتي للطفل او الطفلة . .

وحتى هذه الامنية لم أنلها،دفعته كثيرا ان يذهب الى الطبيب ليعالج نفسه ، وكان يكذب علي عندما يدعي ذهابه وينكر الطبيب ذلك .

ومر عام آخر دون ان احظى بنعمة التعود،صرت لا اطيقه . . . ان السبب هام ، وهو انه كان يبتعد عني بروحه وحتى بجسده . . كنت اشعر انني وحيدة ، وان عالمه تحت الارض . . لايرى السماء ولا النجوم ولا القمر ولا الهواء . . كان يختنق باهتماماته الخاصة .

كم حاولت الاستنجاد به . . كم سألته ، بل ورجوته ان يكون قريبا اكثر ! سألته ان يحميني من نفسي . . فلم أكن أطالب بأكثر من حقي . . حقي من الرعاية والاهتمام .

- هل تحبني ياحسين ؟!

كنت أسأله صادقة وضائعة ، فكان يجيبني بابتسامة باردة :

- انني أحبك . . الست زوجتي ؟!

- وارد عليه : اريدك ان تحبني اكثر . . ليس لانني زوجتك فقط ، بل لانني الانثى التي ترتاح بجانبها وتعطيك وترويك وتملأ حياتك !

- ويسخر من كلماتي قائلا : لاافهم . . انت انسانة شاعرية !

وتحملت كل شيء . . حتى عجزه تحملته ايضا ، وتصور حياة امرأة مع رجل عاجز !

تحملت ثوراته بعد كل مرة يفشل فيها ان يكون رجلا . تحملت ماكنت اشعر به كأنثى من قرف ومهانة .

لم اكن اريد غير أن يحبني لا احبه . .

ماكنت اريد غير حبه لي واهتمامه وحنانه . تمنيت ان يغار علي . ان يسمعني كلمة حلوة ، دون ان يكون هناك مايريده بعدها !)

هل استطاعت المرأة ان تضع من الحيثيات في دفاعها عن نفسها مايبرر لها الانفصال عن الزوج الذى لايملك من الآدمية سوى ثروته ؟ هل الشاعرية عيب في المرأة ؟ هي لم تتمرد لكونها محرومة ، ولا لكونها مملوكة ، ولكنها تمردت لكونها مهملة ، مجرد جزء من ديكور منزل التاجر الغني . . وكان من المنطقي ان تعود الى بيت ابيها ، ان تخلع نفسها من ذلك الخواء القاتل . كانت ترغب في الانفصال النهائى ، وكان الزوج يرغب في ان تظل الزوجة بالاسم حتى ان عاشت بعيدة عنه ، ربما كان يريد بذلك ان يوهم نفسه بانه رجل ومتزوج كبقية الرجال . وطال الانفصال بين الزوجين عشرين عاما قبل ان تشترى المرأة نفسها من زوجها بنصف مليون ريال . وطوال العشرين عاما عرفت الزوجة عددا من الرجال منهم « نزار » الذى عوضها عن الهزيمة واعطته بحب ، الى ان عرفت « عادل » بطل الاحلام والفجر الجديد الذى يختلف عن كل النهارات والشروق ، وعادل هذا هو الحاضر الغائب في الرواية ، هو « جودو الذى يأتي ولا يأتي » على حد تعبير بطلة الرواية . وهو الذى تبثه اشجانها واحلامها وتروى له قصة حياتها منذ كانت طفلة الى ان التقت كما به تقول « رؤ ية » وتجدد اللقاء هنا في خيالي وتصورى ، كتبت لك ، لاكتب عنك » . وهذا هو السطر الاول في الفصل الاول من الرواية .

البناء الروائي

لن يلمس القارىء التقليدي براعة البناء الفني والقدرة التكنيكية المتقدمة في هذه الرواية،وذلك لسبب واحد،هو انه قارىء تقليدى يريد ان يقرأ الاحداث كما اعتاد متسلسلة ، وان يمتلك زمامها من الفصل الاول أو من الصفحة الاولى . في « جزء من حلم » خروج شبه تام على البناء التقليدى لفن الرواية ، وفيها كثير من عناصر التكنيك الجديد ، التداعى ، الاسترجاع « فلاش باك » - التضمين والاتكاء (مقطع من شعر امل دنقل وآخر من اغنية لاحمد رامى) . الفصل الاول يكاد يكون الفصل قبل الاخير في الترتيب الزمني للحدث الروائي القائم على

منطق تسلسل الأحداث ، وتبدأ الرواية وفقا للترتيب التقليدى من الفصل الثالث (هل ابدأ حكايتي من بوابة بيتنا الكبير ، عندما كنت طفلة . . ام ابدأها من بوابة جناحي المحدود في بيت أهل زوجي ، عندما كنت في ثمالة طفولتي ؟!

كلتا البوابتين . . كانت ذات تأثير في حياتي ، ربما حتى الآن . لكن بوابة بيتنا الكبير ـ كانت تعني « جدى » رحمه الله . جدى كان اسمه الحاج عبد الغفار الحامد » . طويل ، عريض ، مهاب شيخ وقور يحفظ القرآن الكريم ، ويلجأ اليه الكثير لحل مشاكلهم والتوفيق بين المتخاصمين ، ولديه متجر كبير . .)

في الفصل الاول كما في الفصل الثاني يعثر القارىء على امرأة فاشلة تعاني من الاحباط ، امرأة فشلت في التجربة الاولى فطاردتها آثار الفشل في محاولاتها المتعاقبة ، لاذت بالخيال ، بالشعر ، بالحلم . ولم يضن عليها الخيال فقد أمدها بحبيب في الحلم كان وسيلتها للهروب من عذابات عاشتها سنوات طويلة !! ، وما اكثر التعساء في الحياة الذين يجردون من احلامهم أو من اوهامهم ادوارا يعيشون بها في اعماق ذواتهم ويجدون فيها تعويضا عن كل ما فاتهم ويفوتهم في الواقع . والشعوب التى تعيش في انتظار « المخلص » الموعود انما تحاول تسكين الاوجاع الراهنة باستقدام آمال المستقبل واستعراض وقائع الانتصارات المنتظرة .

مناجاة نفس

في الفصل الخامس من الرواية تعود بنا الاحداث الى اجواء الفصلين الاول والثاني ، الى الفرار من الاسلوب المباشر الى مستوى التداعيات ومطاردة الحلم ، الى تمويه عالم الواقع الذى شاده في ذهن القارىء الفصلان الثالث والرابع بما حفلا به من احاديث الجد والاب ومن وقائع الزواج الفاشل . لقد عادت البطلة الى نفسها تحاورها وتبدد بمناجاتها سحب الحيرة والضجر (اريد ان ارتاح ، واهدأ . . ان اغلق عيني واحلم . . احلم ! قلق فظيع . . حيرة مرة . .

انت يا أنا . . اين تكون يا حلمي الاخضر . . يا واحتي وملاذى . . اين انت ؟! ما عادت الاماني تعطى او تلوح . ما عاد الخيال يجدى او يزرع الصبر والذكريات تريد اشتعالا !)

في هذا الفصل كما في الاول والثاني ، يظهر الحبيب المجهول او بالاصح المتخيل ثم يختفي من خلال مناجاة النفس ومن مجال استرجاع الذكريات القائمة على الرؤية الذاتية والتصوير الباطني لوقائع لم تحدث ولحوارات لم تتم ، كما هو الحال مع الحوار الطويل الذى نجتزىء فيما يلي الجزء الاخير منه .

(ـ حبيبي . لا بد انك متعب جدا ، والذى لاقيته في عملك كان مرهقا لمشاعرك . اعرفك انت حساس ، ولكن العالم مادى ، وشرس ايضا ، فلا بد ان تواجه الماديات والشراسة بصلابته وبذلك العناد الذى أعرفه فيك ، ولا تعاندني انا لوحدى « وبس » ؟!

ـ احس انني زهدت في كل شىء . . الاشياء الثمينة في الحياة انعدمت بيعت باثمان بخسة ، اللحظات الحميمة بين الناس اهدرت في الخلافات والمصالح

ـ قاطعتك : حيلك ، حيلك ، انت تخطب والا « ايه » ؟!

ـ لا . . وحتى أُريحك ، اقول لك باختصار : لقد استغنت المؤسسة عن خدماتي !

ـ فصلوك . انت يفصلوك ، طيب « ليه » ، وكيف ؟ !

ـ وانا « مين » يعنى . . لو كنت بيكاسو ، والا ارسطو . . صدقيني بالتعامل المادى الذى وصلنا اليه وبالمشاعر الاسمنتية التى غزت حياتنا . . كانوا فصلوا بيكاسو ، وطردوا ارسطو وبالوا على ارق شاعر .

ـ ارسطو يا حبيبى ارغموه ان يشرب السم !

ـ تعددت الاسباب . . والسم واحد !

ـ لكن العصر . . ما هو واحد ، العصر مختلف ، لا تستسلم .

ـ لو حدث هذا قبل عشر سنوات . اما الآن فاشعر انني تقدمت عشرين عاما نحو الشيخوخة !

ـ لكنى ما عهدتك بهذه الروح !

ـ تقصدين الانخذال ؟ ! . . لا عليك . سأصب خلاصة تجربة العمر في ابداع انساني .

ـ اعرف قدراتك يا حبيبى . . ولكن لا تبتئس اضربها على عينها !)

المتخيل والوظيفة الفنية

هذا الجزء من الحوار المتخيل لا يقف عند حدود وظيفته الفنية في البناء الروائي،وانما يوحي بالتأزم الاجتماعي الذى صار قدرا ملازما لحضارة العصر ، والذى يعرص نفسه حتى على أولئك الحالمين،ممن يكرهون مواجهة الواقع،ويفضلون معاقرته وهم في أوج الخيال وكل الدين يصيقون بالزيف في مجتمعاتهم لا ماص لهم من الاصطدام به . وهدا الموقف المقتبس من أواحر الفصل الخامس يقودنا الى الفصل السادس والأخير في روايته«حرء من حلم » وهو الفصل الذى تنتهى به أحداث الفصلين الثالث والرابع ، وفيه يكشف الزوج العاجز عن صورة أخرى للخداع والانحلال،فهو يتروج من فتاة في العشرين من عمره،مكررا معها نفس الخطيئة ، وفي الوقت ذاته يساوم امرأته على الطلاق بعد ان تدفع له نصف مليون من الريالات ، لم تكن الروحة المنكودة الحظ تملك كل هذا القدر من المال المطلوب ، لكنها لم تتردد في ان تبيع المنزل وتشترى حريتها بعد عشرين عاما من العبودية الضائعة بين السأم والاحلام وانتظار الذى يأتي ولا يأتي .

وبالرغم من التخلخل المقصود والمتعمد في الترتيب الزمنى ، فان المنطق الروائي يظل قائما، ويستطيع القارىء بعد أن يصل الى نهاية الرواية وربما قبل أن يصل الى النهاية أن يعيد في ذهنه ترتيب الوقائع، وان يفسر تعقيداتها السابقة بوضوح ، ولا اريد ان اظلم هذا العمل الفنى البديع فأدّعى ان صاحبه قد كتبه في البداية وفقا للتسلسل المنطقى،ثم اعاد توزيع فصوله على هذا النحو لكي يكسر حدة الرتابة والمنطقية التقليدية ، واجزم بأن تداعى الاحداث هو الذى صاغ هذا العمل الروائى واقام ترتيبه على النحو الذى ظهر به ، وحتى لو كان الكاتب قد عمد الى ترتيب بعض الفصول واجرى بعض التعديلات معه، فان ذلك لا ينتقص من قيمته الكبيرة ، فالعمل الفنى سواء كان قصيدة او قصة يخضع للتعديل والتطوير من قبل صاحبه،واحيانا من قبل ناقد فنان ممارس،كما هو الحال في المثال المشهور مع صاحب (الارض الخراب) ت . س ـ اليوت ، ورفيقه باوند . فقد قام الاخير باصلاح وحذف بعض المقاطع في القصيدة، واعاد ترتيبها وفقا لرؤ ية فنية مغايرة للاصل قبل ان تظهر في صورتها الراهنة هل اساء ذلك الى الشاعر الكبير او انتقص من شأن القصيدة التى اصبحت واحدة من معلقات العصر .

ملاحظة غير مهمة

قد يتساءل القارىء اذا كانت الملاحظة التى سترد في نهاية هذا المقال لا تهم ، فلماذا نوردها ؟ ! ونحن نقول له انها ملاحظة قد لاتهمه ولا تهم الروائي ولا الرواية ، ولكنها تهم المجتمع العربي في الجزيرة والخليج ، في هده المنطقة المحظوظة التى تصج بالمؤثرات والامكانيات ، وحيث الطريق منها الى باريس ولندن وواشطن اقصر منه الى ضاحية او واحة قريبه من المدينة . والملاحظة تأتي على شكل تساؤ ل صريح ، هو : لماذا يكون لنا في الغرب سلوك وفي الشرق سلوك ؟ لماذا لا تكون لنا معايير احلاقية ثابتة تحمينا من الانفصام وتقسينا اشكالية تعذيب الذات ؟ ! وهذا التساؤ ل يفسره الحوار التالي من الفصل الثانى في الرواية،حيث كانت ليلى واختها وصديقاتها يتحولن فى زواريب وازقة « الحي اللاتينى » في باريس فقالت احدى الصديقات :

(ـ ما رأيكن في الجلوس امام طاولة في المقهى ؟ !

ـ قالت اختى : هل جننت . . كيف نجلس في مقهى ؟ !

وقهقهت اصوات صديقاتى لهذا السؤال المتعجب ، وقالت واحدة منهن :

ـ لماذا . . هل نسيت اين نحن . . ام ما زلت تقصدين اننا في شارع عربي ، او في حي شعبي هناك ؟ ! نحن في باريس !

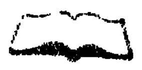
ـ قلت بلا تركيز : ولكننا لم نتعود . . صحيح ، لو رآنا احد من بلدنا على الاقل ؟ !

ـ قالت واحدة منهن : هكذا نحن كالنعامة . . هناك رجال ، وهنا رجال .

ـ قلت : ولكنه الالتزام بآداب ربينا عليها !

ـ قالت : يا شيخة . . يا عقد ! . . تعالوا بس نجلس ونتفرح . . والعالم صندوق يا عالم .) □

مختارات



الكتاب / الطب عند العرب .
المؤلف / حنيفة الخطيب .
دار النشر / الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت .
عدد الصفحات / ٣٧٥ من القطع الكبير

يعرض هذا الكتاب للحالة التى كان عليها الطب عند العرب في عصر النهضة العباسى ، وبالتحديد في منطقة المشرق العربي ، لأن تناول موضوع « الطب عند العرب عموماً موضوع واسع ومتشعب ، تقصر عنه دراسة مثل هذه » . كما يقول المؤلف

ويتناول الكاتب من خلال العرض والتتبّع التاريخي والمقارنات ، عدة قضايا مهمة ، تجمع التناول الاكاديمي والكتابة التعريفية ، ويضيء جوانب مهمة من جوانب الحياة الطبية عند العرب ، مثل المؤسسات الطبية ، والمؤتمرات الطبية ، والطب الوقائي ، والبيمارستانات العامة والمتنقلة ، والصيدلة ، وغيرها من الجوانب المهمة في هذا المجال .



الكتاب/المسرح الاجتماعي ذو الدعوة السياسية .
المؤلف / د . محمد مبارك الصورى .
الناشر / المركز العربي للاعلام - الكويت .
عدد الصفحات / ٣٥٠ من القطع الكبير .

دراسة في مسرح الكاتب المسرحي المصري نعمان عاشور ، يلقى فيها الكاتب الضوء على سيرة نعمان عاشور المسرحية التي واكبت التغيرات الحاسمة والمهمة ، على الأصعدة الاجتماعية والسياسية والثقافية في مصر والوطن العربي ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى منتصف السبعينيات .

وبالاضافة الى الأهمية الفنية للجانب الاجتماعي في مسرحيات عاشور ، يلقى الكاتب ضوءا على بعد آخر هو البعد الأسرى في مسرحه ، على أساس أن للأسرة ارتباطاتها وأبعادها السياسية .

الكتاب / صورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١ - ١٩٤٨ .
المؤلف / ريزا دومب .
ترجمة / عارف توفيق عطاري
الناشر / دار الجليل للنشر - عمان - الأردن .
عدد الصفحات / ١٦٣ من القطع الصغير .

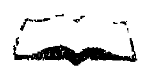
كتاب جديد حول العلاقة بين العرب واليهود ، حين كان اليهود مستوطنين يحاولون اقامة دولتهم على « أرض الميعاد » بالنسبة لهم ، وبين السكان الأصليين ، الذين كان تخلفهم عن أولئك الأوروبيين الزاحفين اليهم جزءا من التخلف العام للعرب ، الذين احتل بلادهم الاتراك لمدة تزيد على أربعة قرون .

في هذا الكتاب تحاول المؤلفة أن ترسم صورة للعربي ، كما صورها « مثقفو اليهود» الذين ظنوا أنهم قادمون الى أرض بلا شعب ، « فدهش » بعضهم لانهم وجدوا شعبا آخر يعيش هناك . وقصة الصراع بين الشعب والقادمين من أوروبا محور هذا الكتاب المهم .

الكتاب / أطفال منتصف الليل ـ رواية من جزأين .
المؤلف / سلمان رشدي .
الناشر / وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سوريا .
عدد الصفحات / ٩٧٠ من القطع الكبير

بعد الرواية الأميركية اللاتينية ، والرواية الافريقية ، اللتين أدهشتا الغرب ولفتتا عيون العالم الأدبي على لون جديد من الابداع ، يتجاوز في كثير من جوانبه ابداعات أوروبا ، جاء دور الشعوب الآسيوية كما يبدو .

أطفال منتصف الليل « هي الرواية المعلم التي جاءت لتبشر بميلاد رواية من طراز جديد ، كتبها سلمان رشدى الهندي الأصل ، الذي رحل بذاكرته وملامحه الآسيوية المميزة ، ليصوغ بلغة مستعمرية رواية من أفضل ماكتب بلغتهم . والرواية التي أحدثت ضجة في الأوساط الأدبية في انكلترا والعالم أقرب الى السيرة الذاتية لكاتبها ، الذي تنقل بين الهند وباكستان وانكلترا حيث يقيم الآن .



الكتاب / جمال عبدالناصر .
المؤلف / اجاريشيف .
ترجمة / د . سامي عمارة .
الناشر / دار التقدم ـ موسكو .
عدد الصفحات / ١٩٠ من القطع الكبير .

قصة حياة الزعيم العربي الخالد ، من خلال عيون سوفيتية ، تصوره شخصية فذة قادت نضال مصر والعرب نحو الاستقلال التام ، وسطرت تجربة رائدة في مجال التنمية المستقلة ، لبطلٍ من أبطال حركة عدم الانحياز ، التي ظهرت في منتصف الخمسينيات من هذا القرن ، تعبيرا عن ظهور كتلة جبارة من البلدان التي تحررت حديثا من ربقة الاستعمار .

والكتاب مزيج من السيرة التي تتابع تفاصيل حياة الزعيم العربي الكبير ، وسجلا لانجازاته على الصعيدين الوطني والاجتماعي ، ودوره في ترسيخ الوعي القومي في الوجدان العربي .

الكتاب / من الشعر العربي .
المؤلف / ابراهيم العريض .
الناشر / وزارة الاعلام ـ البحرين .
عدد الصفحات / ٣٣١ من القطع الكبير .

الطبعة الثانية من مجموعة القصائد التي اختارها الشاعر ابراهيم العريض للشعراء العرب ، الذين رسموا مشهد الشعر العربي خلال النصف الأول من هذا القرن .

ومع أن غالبية القصائد التي ضمها الكتاب كلاسيكية ، الا أنها احتوت أيضا على القصائد التي تؤرخ لبدايات الشعر الحديث ، تلك التي قيلت في نهاية الاربعينيات .



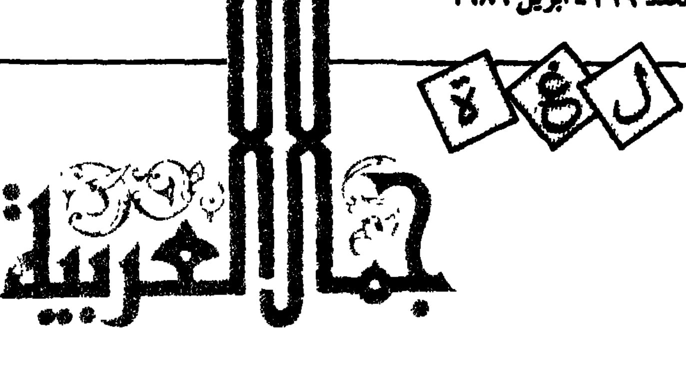
الكتاب / علم نفس الكبار .
المؤلف / ليدفوردج بيسكوف .
ترجمة / عايف حبيب ودحام الكيال .
الناشر / مؤسسة الفليج للطباعة والنشر ـ الكويت
عدد الصفحات / ٦٨٠ من القطع الكبير .

شهدت السنوات العشر الماضية نضجا أكبر وتنظيما أدق ، لما يعرف « بعلم نفس نمو الكبار » وبدأت تضيء هذا العلمَ كتب أخرى في مجالات مختلفة ، من علم النفس ، وعلم نفس النمو ، وغيرها .

وهذا الكتاب المرجعي الذي ترجم باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، يجيب على أسئلة كثيرة حائرة ، تواجه العاملين في ميدان تعليم الكبار بالنسبة لحياة الكبير ، والعوامل النفسية التي تؤثر في حركة حياته ، وخصوصا تلك التي تؤثر على تلقيه التعليم .

وهذا الكتاب هو الأول من نوعه في المكتبة العربية .

العربي - العدد ٣٢٩ - ابريل ١٩٨٦



بقلم : محمد خليفة التونسي

البَعضُ وَالكُلّ وَالكُلّ

بعض الشيء هو الجزء منه ، صغيرا كان أو كبيرا ، اذا كان الشيء كمّا متصلا كالباب والمنزل والبساط والسوائل ، مثل : شربت بعض الماء ، ويشبه الكَمّ المتصل ما كان من قبيل العواطف والانفعالات والمعاني ، مثل : هو يحب جاره بعض المحبة ، ويتألم من جرحه بعض الألم ، وقد يعبّر عن البعضية بالضعف ، أو القلّة أو الصّغر ، فيقال : حبّه لجاره ضعيف، أو قليل أو صغير. ويقال بعض الشيء لقسمه الأصغر أو الأكبر ما دام لايستغرق الشيء كلّه . .

ولكن اذا كان الشيء كما منفصلا أو أعدادا أو أنواعا كالأقلام والأوراق والكتب أطلق الجزء على أي عدد منه قليلا كان أو كثيرا ، فهو يطلق على الأقل ، كما يطلق على الأكثر ما دام لايستغرق العدد كله ، فيقال : بعض أصابع اليد للاصبع والاصبعين حتى الأربع .

وبَعْض مصدر « بَعَضَ »مثل فتح فتْحا ، وربما كان البعوض قد سميّ بعوضا لأنه يأخذ جزءا مما يقف عليه فيعضّه ، وذلك يؤذي المعضوض إن كان حيّا .

ويستعمل « بَعْض » اسماً وإن كان في أصله مصدرا ، كما في قوله تعالى : « ولأُحِلّ لكم بعضَ الذي حُرّمَ عليكم » . وقد يضعفّ الفعل « بَعَضَ » فيقال « بعّضَ الشيء » ، أي جزّأه ، ويجمع بَعْض على أبْعَاض بمعنى أجزاء أو أقسام .

« وبَعض » ملازم للاضافة ، لفظا أو تقديرا كقوله تعالى : « الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وقوله : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقوله : « فاليوم لايملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرّا » وقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويضاف « بَعْض » لفظا إلى كُلّه ، سواء كان كلّه هذا متعددا ، كقوله تعالى : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالوتين » أو كان اسم جمع دالا على متعدد كقول بشار (وكان كفيفا) :

« ياقوم ، أذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذْنُ تعشق قبل العين أحيانا »

أو مفردا ذا أجزاء ، كقولنا : « قرأنا بعض الكتاب » ومنه قوله تعالى : « اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن إثم » ويضاف « بَعْض » إلى معرفة كالأمثلة السابقة ، وإلى نكرة ، كقوله تعالى : « قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم » ، وكقولنا : « اشترينا بعض كتب » ، ومثله قول أبي بن حمام المرى :

وسيّان عندي أن أموت ، وأن أري

كبعض رجـال يـوطنـون المخـازيـا »

ويجب تكرار « بعض » اذا كان هناك تفاعل بين الأقسـام ، كقـولـه تعـالى : « وأقبـل بعضهـم عـلى بعض يتساءلون »،وكالشطر الأخير في قول الشاعر :

أبـا منـذر ، أسـرفت فـاستبق بعضنـا
حنـانيـك بعضُ الشّـرِّ أهـون من بعض

وكقولنا « يصافح الأصدقاء بعضهم بعضـا » ولا يجـوز أن نقول « يصـافحـون بعضهم »بمعنى بعض الأصـدقاء ، لأن كـل الشيء يتفـاعـل بعضـه مـع بعض .

« وبعض » مفرد مذكر لفظا ، ويجـوز أن يراعى لفظه دون نظر إلى ما يضاف إليه ، كما يجوز أن يراعي المضاف اليه ، فنقول : بعض النباتات أخضر » ، أو « بعضها خضراء » أو « بعضها خُضْر » ، كما نقول « بعض النساء طبيبة ، أوبعضهن طبيبات » ، ونقول « بعض الشعراء عبقري »و « بعضهم عباقرة » ، وقد روعي لفظ بعض في قوله تعالى « ولو نزّلناه على بعض الأعجمـين،فقرأه عليهم مـا كانـوا بـه مؤمنـين » ، وروعي المعنى الجمعي في قـول عبـدالله بن رواحـة الأنصاري يخاطب النبي عليه السلام :

« ولو سألت ، أو استنصـرت بعضَهُمُ
في جـلّ أمرك مـا آوَوْا ومـانصـروا »

وهـل يُعَرفُ « بعض » بـالألف واللام ؟ فيقـال « البعض » ؟

نعم ، يقال « البعض » وكذلـك مايقـابلها وهـو « الكل » ، وإن كان بعض مشاهير علمائنا ، ينكرون ذلك ، وفي مقدمتهم هنا الأصمعي ، قال بعضهم له : (« رأيت في كتاب ابن المقفع » « العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل » فأنكره أشد الانكـار لأنهما معرفـة بغير ألف ولام ، وفي القـرآن العزيز « وكل أتوه داخرين ») ، وتعلّة الأصمعي هنا واهية ، لأن تعريف « كل » في الآية ونحوها ناشيء من شمول معناها ، وليست هي في ذاتها معـرفة ، والتنكير في « بعض » أوضح .

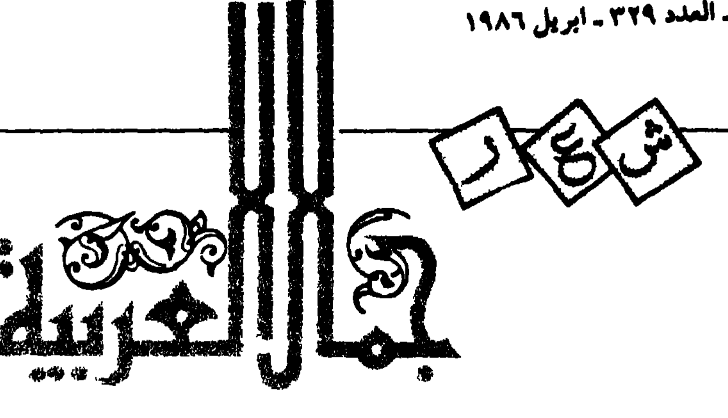
ولا تعـدو « كـلّ » و « بَعْض » أن تكـونـا مثـل « جميع » و « قسم » أو طائفـة أو جزء ، وهـذه تأتي مـعـرّفـة بـأل وتـأتي نـكـرة ، فـيـقـال « جميع » ،« والجميع » ، « وقسم » ، « والقسم » و « طائفة والطائفة » . . . ويروي « لسان العرب » عن الأزهري قوله : « النحوّيون أجازوا الألف واللام في « بعض وكـلّ » ، وان أبـاه الأصمعي » والحق أن النحاة لم يجمعوا على جواز ذلك ، ولكن كثيرا منهم بل اكثرهم يجيزونه ، وهذا يكفي ، ويؤيد جوازها أنها وردت مرتين في نص جـاهلي للبـرّاق ، هو قـوله : (شعراء النصرانية ١ / ١٤٥) :

أمّـا ايـاد فقـد جـاءت بهـا بـدعـا
فيـما جنى البعض ، إنّ البعض راضيهـا

ثم لنفرض أن أحدا من النحاة لم يقل إن تعريف الكلمتين « بأل » جائز ، وأنها لم ترد في نص جاهلي ، أليس هناك مسوِّغ لذلك ؟

إنّ قدماء المترجمين حول بداية العصر العبـاسي . حـين اشتغلوا بالتفكير المجرد في قضـايـا الفلسفـة والمنـطق ـ اضـطروا إلى استعمـال « البعض » و « الكلّ » و « الكلّي » و « الجزء » و « الجزئي » . ففي تقسيم الأشياء ميزوا « الكلّ » من « الكلّي » ، فـإن « الكلّ » حين يقسم لايجوز الاخبار بكل قسم منه عن الكل ، فاذا قسمنا الانسان إلى أعضـائه لم يجـز أن نقول : اليد إنسان ، أو الرأس إنسـان ، أو البطن انسـان » ، فهذا عنـدهم من تقسيم « الكـل » الى أجزائه . ولكن إذا قسمنا جنس الانسان إلى أنواعه جـاز أن نخبر بكـل قسم عن المقسـوم ، فنقـول : الرجل إنسـان ، والمرأة إنسـان ، والطفـل إنسان ، وكذلك ، العربي والفارسي والهندي . . . فكل منهم إنسـان ، وهذا تقسيم الكلّي إلى جزئياته . فالجزء في التقسيم عندهم يقابل الكلّ ، والجزئي يقابل الكلّي . وقالوا : « الكل أكبر من الجزء » وقالوا : « الكليات والجزئيات » .

وشيوخنا اللغويون والنحويون قديما وحديثا قد أُعفوا من مضايق الكلام التي يعانيها الفـلاسفة والمنـاطقة والأدبـاء والشعـراء والمشتغلون بـالعلوم الـطبيعيـة والرياضية وما إليها تأليفا أو ترجمة ، فليحمدوا الله أن أعفوا من الجهود في هذه المضايق ، وعليهم أن يعذروا ـ على الأقل ـ من يعـانون الاضـطرار الى الدخـول فيهـا ، والتصرف خـلالهـا ، ليؤدوا إلى النـاس مـا يفيـدهم معرفـةً ماداموا يتصرفـون عـلى وفق سنن العربية ، والله الموفق للخير . □



هكذا غنى الآباء

رثاء صديق

لأبي العلاء المعري

أبو العلاء المعرى مفكر وأديب وشاعر عبقرى كبير ، وربما كان اقرب مفكرينا الى الفلسفة واشدهم ميلا اليها . كان واسع الاطلاع على علوم عصره واديانه ، الى جانب تعمقه فى علوم الاسلام والادب واللغة . وله عدة تواليف اكثرها مطبوع ، منها بضعة دواوين اشهرها سقط الزند و « اللزوميات » وله رسائل اشهرها وارفعها رسالة الغفران .

ولد فى مدينة المعرة فى الشام (سوريا) من اسرة علم وادب وقضاء ، ونشأ فيها ضريرا درس على اهله صبيا ، ثم تنقل شابا فى مدن الشام للدراسة على علمائها حتى صار من أعلامها ، ثم رحل الى بغداد ليزداد ثقافة ، ورجع وسنه نحو الاربعين الى منزله ، وحبس نفسه فيه قرابة اربعين سنة حتى وفاته سنة ٤٤٩ هـ ، ولهذا سمى نفسه « رهين المحبسين » : منزله وعماه .

والقصيدة التي اقتبسنا منها هذه الابيات طويلة ، قالها يرثى صديقا له (فقيها حنفيا) ، وهويتسع فيها ويمتد حتى كأنها مرثية للكون كله ، بجميع سماواته وافلاكه . ومثلها نادر فى الشعر العالمى .

غـيرُ مُجْـدٍ فى مِـلتي واعـتـقـادي ... نـوحُ بـاكٍ ، ولا تَـرنُّـمُ شـاد [١]

وشـبـيـهٌ صـوتُ الـنـعِـيِّ اذا قـيـ ... ـسَ بـصـوتِ الـبـشـيرِ في كـلِّ نـادِ [٢]

أبَـكَـتْ تـلـكُـمُ الحـمـامـةُ أم غـنـ ... ـنَتْ عـلى فـرْعِ غُـصـنِها المـيَّـادِ ؟[٣]

صـاحِ ، هَـذي قـبـورُنـا تمـلأ الـرُّحْـ ... ـبَ ، فـأينَ القبـورُ مِن عهْـدِ « عـادِ »

خـفـفِ الـوطءَ ، مـا أظـنُّ أديـمَ الـ ... أرضِ الا مـن هـذه الأجـسـادِ [٤]

وقـبـيـحٌ بِـنـا ، وان قـدُم الـعَـهْـ ... ـدُ ، هـوانُ الآبـاءِ والأجـداد

سِرْ ، إن اسْطَعْتَ في الهواءِ ، رويداً لا اختيالاً على رُفاتِ العباد (٥)

رُبَّ لحدٍ قد صار لحدًا ، مرارًا ضاحكٍ من تزاحمِ الأضداد (٦)

ودفينٍ على بقايا دفينِ في طويلِ الأزمانِ والآبادِ

فاسألِ الفرقدَيْنِ عمَّن أحسَّا من قبيلٍ ، وآنسا مِن بلاد (٧)

كم أقاما على زوالِ نهارٍ وأنارا لمُدلِجٍ في سَواد (٨)

تعبٌ كلُّها الحياةُ ، فما أعـ جبُ الا مَنْ راغبٍ في ازدياد

إنَّ حُزْنًا في ساعةِ الموتِ أضعا فُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ

خلقَ الناسُ للبقاء ، فضلَّتْ أمةٌ يحسبونهم للنفادِ (٩)

إنما يُنقَلون مِن دارِ أعما لٍ الى دارِ شِقْوةٍ أو رَشادِ

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـ جسمُ فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد (١٠)

أسفٌ غيرُ نافعٍ ، واجتهادٌ لا يؤدِّى الى غَناءِ اجتهادِ (١١)

زحلٌ أشرفُ الكواكبِ دارًا من لقاءِ الرَّدى علَى مِيعاد

وَلِنارِ المرِّيخِ من حدَثانِ الد هرِ مُطْفٍ ، وإن علَتْ في اتِّقاد (١٢)

والثُّريَّا رهينةٌ باجتماعِ الشَّملِ حتى تُعَدَّ في الأفراد (١٣)

فاللبيبُ اللبيبُ من ليسَ يغترُّ بكونٍ مصيرُه للفساد (١٤)

---

(١) غير مجد : غير نافع . ترنم الشادى : تطريب المغنى

(٢) النعىّ ، والناعى : من يشهر وفاة ميت .

(٣) المياد : المهتز

٤) وطء الأرض : السير عليها . الأديم : الجلد ، أى سطح الارض مكون من جثث الموتى

(٥) الرفات : الحطام

(٦) اللحد : القبر . ضاحك : ساخر : أى يكون قبرا ثم يصير حقلا أو منزلا أو غير ذلك ثم يعود قبرا .

(٧ الفرقدان : نجمان متلازمان فى السماء . قبيل : جماعة

(٨) مدلج في سواد : سائر فى ظلام الليل

(٩) النفاد : الفناء

(١٠) السهاد : الأرق

(١١) اعتقد القدماء ان زحل أعلى الكواكب موضعا (من الارض) . وقد ظهر خطأ هذا الرأى ، حين كشفت بعده أخيرا ثلاثة كواكب . أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو

(١٢) أى أن أحداث الزمان ستطفئ نار كوكب المريخ .

(١٣) الثريا : مجموعة نجوم كعنقود العنب ، وقوامها فى اجتماعها ، فاذا تفرقت صارت افرادا .

(١٤) اللبيب : العاقل .

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٢٩
أبـــريل ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو يونيو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٢٩

(١) أمثال عربية مألوفة . ولكنها مقوصة فهل تستطيع ملء الفراغ ليستقيم المعنى والمبنى . . ؟

١ ـ كل ممنوع . . .
٢ ـ كثرة . . . . تذهب الهيبة
٣ ـ قلب الأحمق في فيه و . . . . العاقل في لسانه

(٢) ألغـــاز

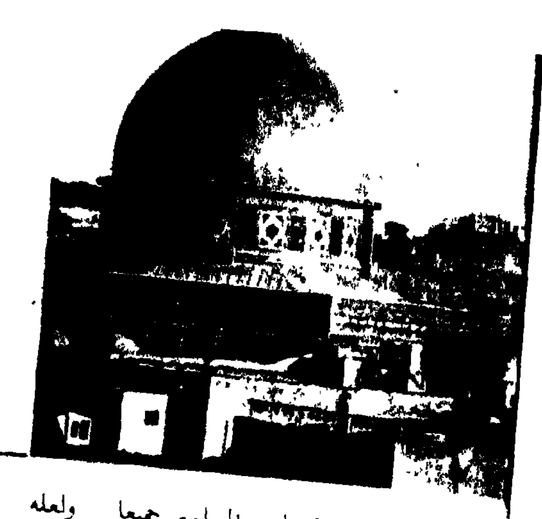
وأســود عـار أنحـل البـرد حسمـه
ومازال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الـدهر حارسا
ولـيس لـه عـين وليس لـه سـمـع

فما الذي يقصده الشاعر . . . . . الصاحب بهاء الدين زهير ؟

(٣) بناء غريب حقا . . فهل تعرف ما هو . . ؟

ـ كنيسة حديثة بنوها مؤخرا في مدخل نيويورك .
ـ دار الاوبرا الحديثة في سدني بأستراليا .
ـ كابحات الفيضان وقد بنوها في لندن وعلى مياه نهر التيمز ، وذلك لحماية العاصمة البريطانية من فيضان النهر



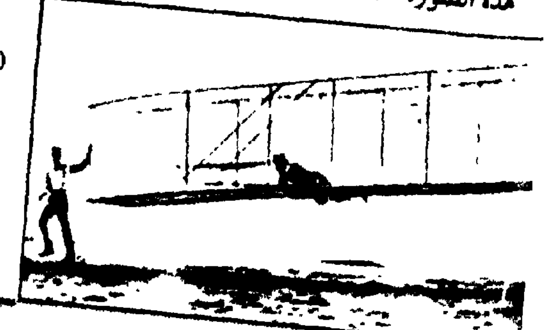


(٤) مسجد محبب الى قلوب المسلمين جميعا ولعله أشهر المساجد في العالم اطلاقا ومع ذلك فإن الكثيرين لا يعرفون اسمه بالضبط بل يخلطون بين اسمه واسم مسجد آخر غيره ، فما اسم هذا المسجد على وجه الدقة ؟

(٥) يذكر التاريخ معركة واترلو ، وهي من المعارك الفاصلة التي وقعت بين نابليون وبين أعدائه الأوروبيين ، وقد ضموا البروسيين والروس والنمسويين والانكليز والهولنديين والبلجيكيين وسواهم وقد هزم نابليون في تلك المعركة وتنازل عن الحكم ، ونفاه أعداؤه الى منفاه الثاني « جزيرة سانت هيلانه » في جنوب الأطلسي ، فيما هي مذبحة بيترلو ؟ أين وقعت ؟ ومتى ؟

(٦) تبلغ مريم من العمر ٢٤ عاما فكم يبلغ عمر اختها الصغيرة هناء ؟ علما بأن عمر مريم بلغ ضعف عمر هناء في وقت مضى ، وذلك حين بلغ عمرها مثل عمر أختها الحالي .

(٧) صورة تاريخية تعود بنا الى سنة ١٩٠٣ ، والى ١٧ ديسمبر منها بالذات ، فما الحدث التاريخي الذي تمثله هذه الصورة ؟



(٨) ماهي نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ؟

ـ لا أثر للرصاص في أقلام الرصاص . فالمادة السوداء التي بداخل القلم تسمى رصاصا وهي ليست برصاص

ـ تبلغ نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ٢٠ - ٣٠٪ ، هذا اذا ادخلنا الخشب قوام قلم الرصاص في حسابنا

ـ تبلغ نسبة الرصاص في أقلام الرصاص ٩٠ - ٩٥٪ هذا اذا اسقطنا الخشب من حسابنا .

(٩) ما الفرق بالمعنى بين الملغم والمُلغم ؟

(١٠) جمهورية بشكير تبلغ مساحتها ٥٥,٤٣٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٤ ملايين نسمه . أين تقع جمهورية بشكير ..؟ وماهو دين سكانها الأصليين البشاكير ..؟

(١١) من هي العجوز الشمطاء ..؟

ـ هي التي خالط بياض رأسها سواد

ـ هي التي ابيض رأسها كله دونما سواد .

ـ هي المرأة المسنة القبيحة الثرثارة .

(١٢) أمثال سائرة على الألسن وقد تاهت معانيها

(١) آخر الدواء الكيّ .

(٢) اتكلنا منه على خصّ .

(٣) أجرد من صلعة .

ما المعنى المقصود .. وما المناسبة التي يضرب بها كل من الأمثال الثلاثة ..؟

حل مسـ

(١) ـ انه مسجد ترانكوبرا الشهير بمئذنته التاريخية ، ويوجد في مدينة ملقا أقدم المدن في ماليزيا

« عدد ابريل ص ١٠٥ . »

(٢) ـ تمثل مدينة هيروشيما بعد ٤٠ عاما من تدميرها بالقنبلة الذرية . .

« عدد سبتمبر صفحة ٦٩ »

(٣) ـ في دولة صباح في بورنيو ، والفتاة تقطف أوراق الشاي الخضراء .

« عدد نوفمبر صفحة ٨١ »

(٤) ـ انها طائرة تدريب وقتال في آن واحد اسمها (ألفاجيت) ويجرى صنعها في ج . م . ع .

« عدد يناير ١٩٨٥ صفحة ٣٧ »

(٥) ـ فندق تاج محل في مدينة بومباى الهندية .

« عدد اكتوبر صفحة ٧٦ »

(٦) ـ سد مأرب .

« عدد يوليو صفحة ٤٥ »

(٧) ـ استاد مدينة تالين ، عاصمة جمهورية استو

« عدد ديسمبر صفحة ٢

(٨) ـ مسجد يقع في بروناى

« عدد يونية صفحة ٧

(٩) ـ شلالات تل شهاب وتقع في جنوب سوريا حدود الأردن .

« عدد مايو صفحة ٤٨

(١٠) ـ (ايكاردا) .
أو المركز الدولى للبحوث الزراعية في المناطق الجافة

« عدد اكتوبر ١٥١

(١١) ـ انه فلاح ليبيّ .

« عدد مارس صفحة ٤٥

(١٢) ـ الحسناء من سيبريا .

« عدد فبراير صفحة ٥

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٦ يناير ١٩٨٦

الجائزة الأولى : السيدة دعاء بنت محمد كوجك / حماة ـ سوريا .
الجائزة الثانية : يس محمد جمعة قطب / الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثالثة : علي سعيد المنتصر / ممباسة ـ كينيا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ فضل جبريل العطار / الطائف ـ المملكة العربية السعودية .
٢ ـ لمياء فارس / تطوان ـ المملكة المغربية
٣ ـ مسرور احمد محب الرحمن الاعظمى ـ الهند
٤ ـ نواف حسينةمعرفى / الشارع الشمالى الاول / الاحمدى ـ الكويت .
٥ ـ أنور يوسف محمد حماد / عمان / المملكة الاردنية الهاشمية .
٦ ـ كوثر عبد الهادى البشير داؤود / عطبره ـ جمهورية السودان
٧ ـ المعاون الاول محمد خريس / وزارة الدفاع الوطنى ـ لبنان .
٨ ـ فتحى الصادق محمد رجوبة / طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية .

معركة بلا سلاح

أعظم دور في التاريخ

في أدب الشطرنج أدوار خالدة لا تبلى جدتها على مرالسنين ، و الدور التالي للاعب الفذ الكسندر أليخين (بطل العالم حتى وفاته عام ١٩٤٦) واحد من هذه الأدوار ، فهو يشتمل على مناورات رائعة تنتظم الرقعة بأكلها ، وتركيبات مذهلة تتوالى واحدة تلو الأخرى ، وتضحيات عجيبة بالوزراء تارة وبالأرخاخ تارة ، كما يشتمل أيضاً على ترقيتين بالبيادق وترقية ثالثة تلوح في الأفق قبل أن يرفع الأبيض راية الاستسلام .

	بوجوليو بوف (ابيض)	أليخين (اسود)
١.	د ٤	و هـ
٢.	جـ ٤	ح - و ٦
٣.	ز ٣	هـ ٦
٤.	ف ـ ز ٢	ف ـ ب ٤ +
٥.	ف ـ د ٢	ف × د ٢ +
٦.	ح × د ٢	ح ـ جـ ٦
٧.	ح (١) ـ و ٣	ت
٨.	ت	د ٦
٩.	و ـ ب ٣	م ـ حـ ٨
١٠.	و ـ جـ ٣	هـ ٥

لا يزال (هـ ٥) محميا حماية غير مباشرة

١١.	هـ ٣	أ ٥

لمنع ب ٢ من التقدم إلى ب ٤

١٢.	ب ٣	و ـ هـ ٨
١٣.	أ ٣	و ـ حـ ٥
١٤.	حـ ٤	ح ـ ز ٤
١٥.	ح ـ ز ٥	ف ـ د ٧
١٦.	و ٣	ح ـ و ٦
١٧.	و ٤	هـ ٤
١٨.	ر (و) ـ د ١	حـ ٦
١٩.	ح ـ حـ ٣	د ٥

لتعزيز الوسط قبل الشروع في هجومه

٢٠.	ح ـ و ١	ح ـ هـ ٧

استعدادا لاحتلال الوسط بالأفراس

٢١.	أ٤	ح ـ جـ ٦

لاختراق خطوط الخصم عن طريق (ب٤) ثم (د ٣)

٢٢.	ر ـ د ٢	ح ـ ب ٤
٢٣.	ف ـ حـ ١	و ـ هـ ٨

للسيطرة على الوسط مع التهديد بكسب أ ٤

٢٤.	ر ـ ز ٢	د × جـ ٤
٢٥.	ب × جـ ٤	ف × أ ٤
٢٦.	ح ـ و ٢	ف ـ د ٧
٢٧.	ح ـ د ٢	ب ٥
٢٨.	ح ـ د ١	ح ـ د ٣
٢٩.	ر × أ ٥	ب ٤

بداية خطة بديعة بأسلوب أليخين الباهر

٣٠.	ر × أ ٨	ب × جـ ٣
٣١.	ر × هـ ٨	جـ ٢

لا توجد قوة تحول دون ترقية البيدق الآن

٣٢.	ر×و ٨ +	م ـ حـ ٧
٣٣.	ح ـ و ٢	جـ ١ (و) +
٣٤.	ح ـ و ١	ح ـ هـ ١

مهدداً بمات مخنوق من (و ٣)

٣٥.	ر ـ حـ ٢	و×جـ ٤
٣٦.	ر ـ ب ٨	لمنع (ف ـ ب ٥)
٣٦.	....	ف ـ ب ٥
٣٧	ر×ب ٥	و×ب ٥
٣٨.	ز ٤	ح ـ و ٣+!

نقلة بديعة غير متوقعة

٣٩.	ف×و ٣	هـ×و ٣
٤٠.	ز×و ٥	و ـ هـ ٢ !!

مقيدا الأبيض تماما لتصبح جميع نقلاته خاسرة

٤١.	د ٥	م ـ ز ٨
٤٢.	حـ ٥	م ـ حـ ٧

اليحين ينتظر الى أن تنفد جميع نقلات الابيض

٤٣.	هـ ٤	ح×هـ ٤
٤٤.	ح×هـ ٤	و×هـ ٤
٤٥	د ٦	حـ×د ٦
٤٦.	و ٦	الابيض لا يستطيع

حماية بيادقه

ويرى من الأفضل أن يشتّت بها بيادق الخصم

٤٦	...	ز×و ٦
٤٧.	ر ـ د ٢	و ـ هـ ٢!

نهاية بديعة لدور باهر ! مضحياً بوزيره

مقابل رخ وحصان تبسيطاً للدور

٤٨	ر×هـ ٢	و×هـ ٢
٤٩ .	م ـ و ٢	هـ×و ١ (و) +
٥٠ ـ	م×و ١	ولا يلبث الأبيض أن

يستسلم قبل أن يرقّى الأسود وزيراً ثالثاً .

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٧)

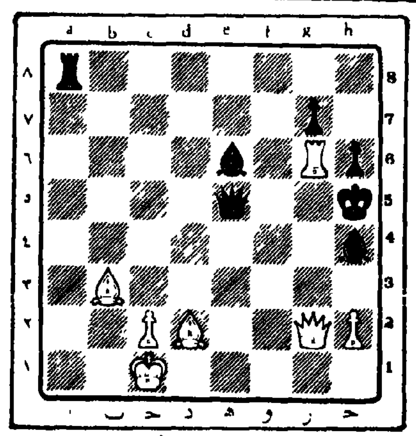
عن شهر يناير ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ جلاد اسماعيل ـ طولكرم / الأردن .
٢ ـ محمد الدوسري ـ البصرة / العراق .
٣ ـ أحمد أمين ـ الدوحة / قطر
٤ ـ صلاح خرّاث ـ الوردية / تونس .
٥ ـ فاطمة سعيد ـ امبابة / القاهرة .

الفائزون باشتراك ستة أشهر .

١ ـ أنس الشباني ـ كازابلانكا / المغرب .
٢ ـ محمد عبد الله ـ العوالي / البحرين
٣ ـ فرج القماطي ـ الخمس / ليبيا .
٤ ـ وليد عقدة ـ حماه / سوريا .
٥ ـ محمد فحله ـ الرياض / السعودية .



مسابقة العدد / مسألة (٤٠)

مات ٣

حل المسابقة (٣٨)

عدد فبراير

١ ـ ف×حـ ٧ +	م×حـ ٧	٤ ـ ر ـ ز ٨ +	م ـ حـ ٧
٢ ـ ر×و ٧ +	م ـ ز ٨	٥ ـ ر ـ حـ ٨ +	ر×حـ ٨
٣ ـ ر ـ ز ٧ +	م ـ حـ ٨	٦ ـ و ـ و ٧ كش مات	



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

حول استطلاع :

« عباسيون في تركيا »

● كنتم قد نشرتم في العدد ٣٠٩ من مجلة العربي ، الصادر في اغسطس سنة ١٩٨٤ ، استطلاعا بعنوان : « عباسيون في تركيا » وبهذا الصدد ، نود أن نشير الى أن الاستطلاع المذكور كان مقصورا على منطقة واحدة ، مع أن التواجد العربي في تركيا كثير جدا ، وعلى سبيل المثال هناك في محافظة « ماردين » عشرات القرى العربية المعروفة هناك باسم « المحلمية » نسبة الى محلة مئة بيت من بني هلال ، هذا وسأذكر لكم بعض المناطق وأسماء القرى التي يتواجد فيها عرب أصليون مثل : حلدح ، كفر حوار ، نونب ، معسرن ، شور صبح ، عنكاف .. الخ .

ونحن من ابناء محلة بني هلال الموجودين في سورية ، وبالتحديد في مدينة القامشلي ، ننتمي الى هذه القرى ، ومازال أجدادنا وبعض أقاربنا يوجدون هناك .

المرسلون :
خالد سيف الدين
جمال ابراهيم

الهلاليون من قرية حلدح العروبية الهلالية .

العربي

تحقيقا لرغبة الاخوة الذين كتبوا لنا الرسالة السابقة ، وارفقوا بها تعريفا بأصول بني هلال ، وكيف جاءوا الى هذه المناطق واستقروا فيها ، يسرنا أن نقدم هذه المعلومات المختارة مما كتبوه لنا في التعريف المرفق تعميما للفائدة :

« موطن بني هلال الأصلي هو الجزيرة العربية ، مما يلي الحجاز بنجد (في بسائط جبل غزوان عند الطائف) .

وقد رحل بنو هلال رحلتين مشهورتين في التاريخ : أولاهما للجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، مع القائد عقبة بن نافع ، على عهد الدولة الأموية .

والثانية في بداية القرن الخامس الهجري ، وأشهر من كانوا في هذه الرحلة الثانية الأمير حسن بن سرحان الملقب بأمير القبائل ، وسلامة بن رزق المشهور بأبي زيد الهلالي ، ودياب بن غانم الزغبي ، واستقر بهم المطاف في الجزيرة الفراتية ، ثم انتقل جزء منهم الى الشام في جبل بني هلال المشهور بهم ، والذي فيه قلعة صرخد المشهورة ، ثم انتقل جزء آخر الى جزيرة ابن عمر جنوب تركيا الحالية ، ثم غزوا ماردين وما حولها ، وتخلف منهم هناك مائة بيت لقبوا بعد تخلفهم فيها بالمحلمية ، وقد حافظوا على دينهم وأصالتهم العربية حتى الوقت الحاضر .

الموسوعة الفلسطينية

● قرأت في عدد شهر نوفمبر من مجلة العربي مقالا شيقا ومفيدا جدا بعنوان « الموسوعة الفلسطينية » في باب « من المكتبة العربية » وقد شعرت من خلال قراءتي لهذا المقال ، بالحاجة الماسة الى اقتناء هذه الموسوعة .

أرجو تزويدي بكيفية الحصول على هذه الموسوعة ولكم جزيل الشكر .

يوسف محمد صقر
دولة الامارات العربية - أبوظبي

الناشر : دار لاستامبا بميلانو بايطاليا ، هذا ويمكن للقارىء الكريم ان يطلب الموسوعة من هيئة الموسوعة الفلسطينية بدمشق - ص . ب ٨٠٨٤

طقوس بيع وزير سابق

● قرأت لتوي مقالة « طقوس بيع وزير سابق » في مجلة العربي للدكتور محمد المنسي قنديل ،ولم أتمالك نفسي من الامساك بالقلم لأخط هذه الرسالة ، ولا أعتقد أنني في موقف يسمح لي بالحكم على المقال ، ولكني بالتأكيد من باب ابداء الرأي - أسمح لنفسي بأن أقول : بأن المقالة ممتازة . .

لقد درست شيئا من التاريخ حين كنت طالبا ، وقرأت العديد من القصص القصيرة ، وطالعت الكثير من الشعر العربي الحديث ، لكني ازاء هذه المقالة أجدني ازاء عمل يندمج فيه التاريخ بالقصة وبالشعر ، وكل ذلك بأسلوب عربي رصين ومباشر .

وقد جعلني هذه العمل أشتاق الى أعمال أخرى مماثلة ، يتعامل فيها الكاتب مع الكلمة بجدية ومسئولية ، واني لآمل أن يكون هذا المقال التحفة حافزا للكثيرين من الذين يتعاملون مع السرد التاريخي ، لكي يعوا مسئولية التوجه الى القارىء بأسلوب ذكي فيه جدة وتشويق .

أنطون حنا لطوف
مدرس بمركز اللغات بجامعة الكويت

حول مقال « المسيحيون الصهاينة »

● طالعت المقال القيم المنشور في العربي ، العدد ٣٢٦ يناير « كانون الثاني » ١٩٨٦ ، عن المسيحيين الصهاينة ، ورأيت أن هناك بعض الغموض الذي يستدعي التوضيح ، لقد نجح كاتب المقال في ابراز اقدمية المشروع الصهيوني على مشروع مؤسس الصهيونية السياسية « هرتزل » فمنذ نابليون برز المشروع الى حيز الوجود وتبنته شخصيات سياسية أوروبية تظاهرت نفاقا بالغيرة الدينية ، « وهرتزل » هو نضوج الطبخة .

كما ان : « البروتستانتية » نشأت كحركة اصلاح داخل الكنيسة « الكاثوليكية » الا أنها اعتمدت المذهب الحر في التفسير ، دون التقيد بسنن الماضي ، فكانت شجرة مزروعة في الرياح ، هذا الانفصال عن الجذور أدى الى ظهور فرق بروتستانتينية متطرفة ، تفسر الكتاب المقدس على هواها ،وساعد هذا على اندساس اليهود فيما بينهم ، وتغلغل التفسير اليهودي في تفسير هذه الفرق ، ثم توافدت منهم الى بلادنا العربية تحت أسماء عديدة من أخطرهم شهود يهوه والسبتيون ، وفي سنة ١٩٧٥ أصدرت كتابا بعنوان



حوار القراء..

« يهوه أم يسوع » في ٢٥٦ صفحة يهدم قواعدهم ويبين نقطة الخطر في تعليم هذه الفرق ، وهي أنهم يساوون بين العهد القديم اليهودي والعهد الجديد المسيحي ، بينما نجد ان الأرثوذكس والكاثوليك وعقلاء البروتستانت يعتبرون العهد القديم توطئة للعهد الجديد ، وأن العهد الجديد أكثر رفعة ، وإن تناقض النصان كان نص العهد الجديد هو السائد ، وهو حجة مطلقة على كل مايناقضه في العهد القديم صراحة أو ضمنا

هذا المبدأ يجعل كل وعود التوراة لليهود رمزية ، وأن عهد اليهود مع الله انتهى بمجيء المسيح ، وأن مجمعهم هو مجمع الشيطان (رومية ١١ ٢٨ ورؤ يا يوحنا ٢ ٣,٩ ٩) ، اسرائيل واليهودية العالمية صنعوا من هؤلاء المتهودين أبواقا والكنيستان الكاثوليكية والارثوذكسية توقنان بسقوط اسرائيل ، وتعرفان أن عودة اليهود ذات أهداف كثيرة منها :

١ ـ اعادة بناء هيكل سليمان ،

٢ ـ يأتي المسيح اليه في ليلة عيد الفصح

٣ ـ يقيم هذا المسيح الدجال مملكة يهودية عالمية ، ينتمي اليها المسيحيون والمسلمون كأتباع .

الأب اسبيرو جبور ـ حمص

الكتابة للعربي الصغير

● أود أن أحيطكم علما بأنني من المهتمين بالكتابة للاطفال ، ولي تجارب كثيرة في هذا المجال ، وقد قرأت عن استعداداتكم لتطوير « العربي الصغير » لكي تصدر في شكل جديد مستقلة عن مجلة العربي ، المجلة الأم . . . انني على استعداد لتقديم العديد من الألوان الأدبية الموجهة للاطفال في مختلف الأعمار ، فهل لديكم أولويات محددة لما ينبغي ان يكتب للمجلة ، انني في انتظار ردكم لأوافيكم بما لدي من موضوعات واقتراحات في هذا المجال

عماد زكي
عمان

العربي

حين تنشر هذه الرسالة تكون مجلة العربي الصغير في شكلها الجديد قد صدرت في أول فبراير سنة ١٩٨٦ ، ويمكنك أن تطلع عليها ، وتوافينا بموضوعاتك التي تنسجم مع توجهات المجلة في طورها الجديد ، وبما يعن لك من مقترحات أو اراء ، وسيكون ما ترسله موضع اهتمام المسئولين في المجلة ، لنشر مايقره مجلس التحرير من موضوعات ، وبحث ماتقدمه من آراء ومقترحات

الطريق الى العمل في السلك الدبلوماسي

● ما الكلية أو المعهد الذي يلتحق به الطالب بعد الحصول على الثانوية العامة ـ الفرع الأدبي ، لكي تتاح له فرصة العمل بالسلك الدبلوماسي ، أرجو الاجابة عن هذا السؤال مع التوضيح في باب حوار القراء .

خالد حواس ـ سوريا

العربي

لعل كلية الاقتصاد والعلوم السياسية هي أكثر الكليات مناسبة للتأهيل للعمل في السلك

الدبلوماسي ، ولكن تجدر الاشارة هنا الى أنه من المعتاد أن يتم اختيار العاملين في السلك الدبلوماسي من الجامعيين بعد اجتيازهم لاختبارات خاصة ، للتأكد من توفر المهارات والقدرات والمعلومات اللازمة لمن يعمل في السلك الدبلوماسي ، فالشهادة الجامعية وحدها لاتكفي للعمل في السلك الدبلوماسي بل هي شرط للتقدم لمثل هذه الاختبارات

« كيف تتعامل الأسرة والمجتمع مع الطفل المعاق ؟ »

○ انني أتمنى أن تعني مجلة العربي بنشر المقالات الطبية عن الاطفال المصابين بالشلل الدماغي ، الذي يعاني منه عدد ليس بالقليل في الوطن العربي

وأن تعني كذلك بنشر التوجيهات اللازمة عن كيفية تعامل الأسرة والمجتمع مع هؤلاء الاطفال المعاقين ، بما يمنحهم فرصة العيش الكريم مثل غيرهم من الأطفال الأسوياء .

ثم تستطرد الرسالة في توضيح كيفية تقبل الأهل لطفلهم المعوق ، فتقول :

ان طريقة تقبل الأهل للطفل مهمة جدا،ليس فقط من أجل الطفل ، إنما من أجل العائلة كلها ، فلايجب أن يشعر الأبوان في أعماقهما بأنهما يتحملان شيئا من الذنب تجاه اعاقة طفلهما ، ومن واجب الأطباء أن يوضحوا للأهل أن حالة الطفل المعاق ليست سوى حادثة من حوادث الطبيعة ، لاذنب للأهل بشأنها ، وان أصبح من واجبهم بعدها أن يتقبلوا أطفالهم كما هم ، وأن ينسوا كل مايفتقده الطفل المعاق من مزايا ، بالمقارنة الى الأطفال الأسوياء ، لأن ذلك يسهم في تحرير الطفل من عقدة اعاقته ، عندما يشعر باهتمام والديه وتقبلهم له ، كما يجب على الاهل قبول مساعدة الأخرين من الأقارب والأصدقاء ، وبذلك لايتحمل الأبوان كل الأعباء ، ولاينعكس ذلك على حياتهما ، ولاشك أن مشاركة الاصدقاء والأقارب في تقبل الطفل المعاق بشكل طبيعي ، يسهم في تربية الطفل تربية صحيحة ، وفي تقبل المجتمع له .

فاطمة ـ سوريا/دمشق

مجلات علمية يابانية باللغة العربية

● أنا طالب من قراء مجلتكم الرائدة حقا بما تقدمه من مقالات علمية وتحقيقات صحفية تعنى بمتابعة الجديد فى العلوم فى مختلف المواقع والاتجاهات ويعجبنى مالاحظته فى السنوات الاخيرة من اهتمامكم بتسليط الضوء على التطور العلمى والتقنى المذهل فى اليابان وبخاصة فى مجالات الالكترون والكمبيوتر والصناعات الدقيقة .

ولما كنت من المهتمين بمتابعة ما يجرى فى اليابان وبخاصة فى مجالات الصناعة ، وما يحرزونه من تقدم فى ابتكاراتهم وتطبيقاتهم وأتمنى أن أجد امتنا العربية تحقق مثل هذه النهضة التى حققتها اليابان وأن أسهم أنا وأصدقائى الذين يشاركوننى هذا الاهتمام فى تحقيق هذه النهضة ، فأننى التمس من مجلتكم بأن ترشدونى فى باب « حوار القراء » الى الطريقة التى يمكن بها ان احصل انا على بعض المجلات العلمية التى تصدر فى اليابان باللغة العربية ، فقد سمعت الكثير عن وجود مثل هذه المجلات التى تهتم بتقديم وتبسيط العلوم والتقنية وان كنت لا اعرف سبيل الحصول عليها ، ولكم خالص الشكر .

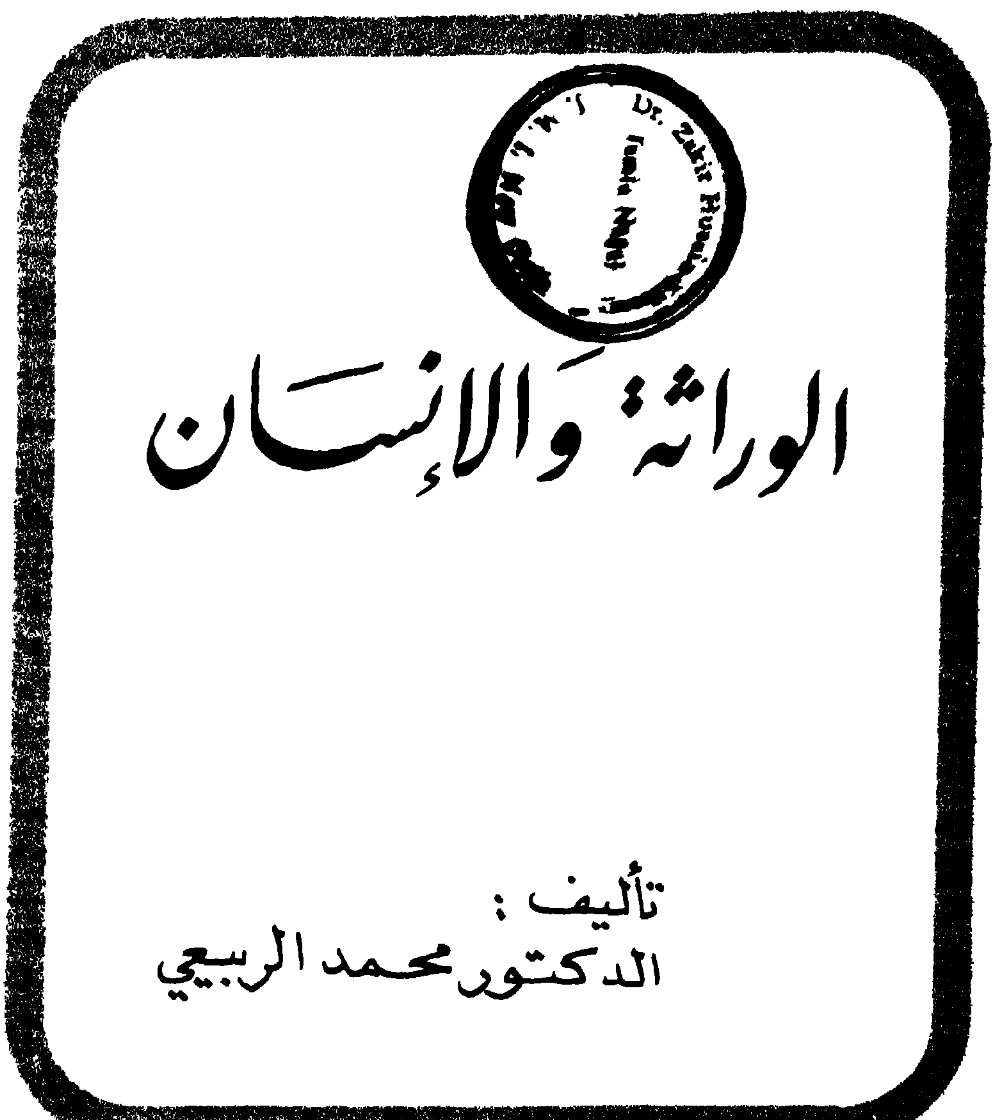
اسامه مرشد واصدقاؤه . سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

العربي

ـ نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ويسرنا أن نخبره بان السفارة اليابانية فى دمشق كما فى بقية عواصم العالم العربي ، توزع العديد من المجلات التى تصدرها الشركات والمؤسسات اليابانية باللغة العربية وكلها تتناول شتى مجالات العلم والمعرفة ، وتوضح ما احرزته اليابان من تقدم وابتكار فى هذه المجالات وفى تطبيقاتها ، ويمكنه هو وأصدقاؤه أن يجدوا لدى الملحق الثقافي في السفارة كل ما يتطلعون اليه فى هذا المجال مع تمنياتنا لهم بالتوفيق فى كل ما يطمحون اليه لتحقيق تقدمهم وتقدم وطنهم العربي .

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

ابريل ١٩٨٦م



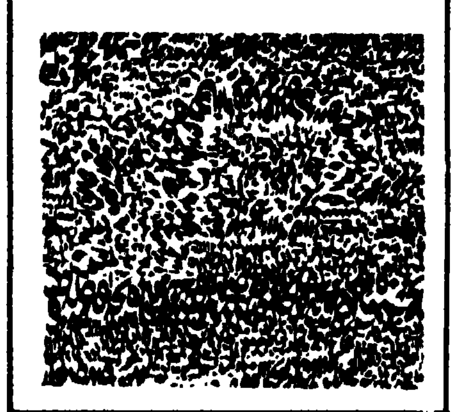
الوراثة والإنسان

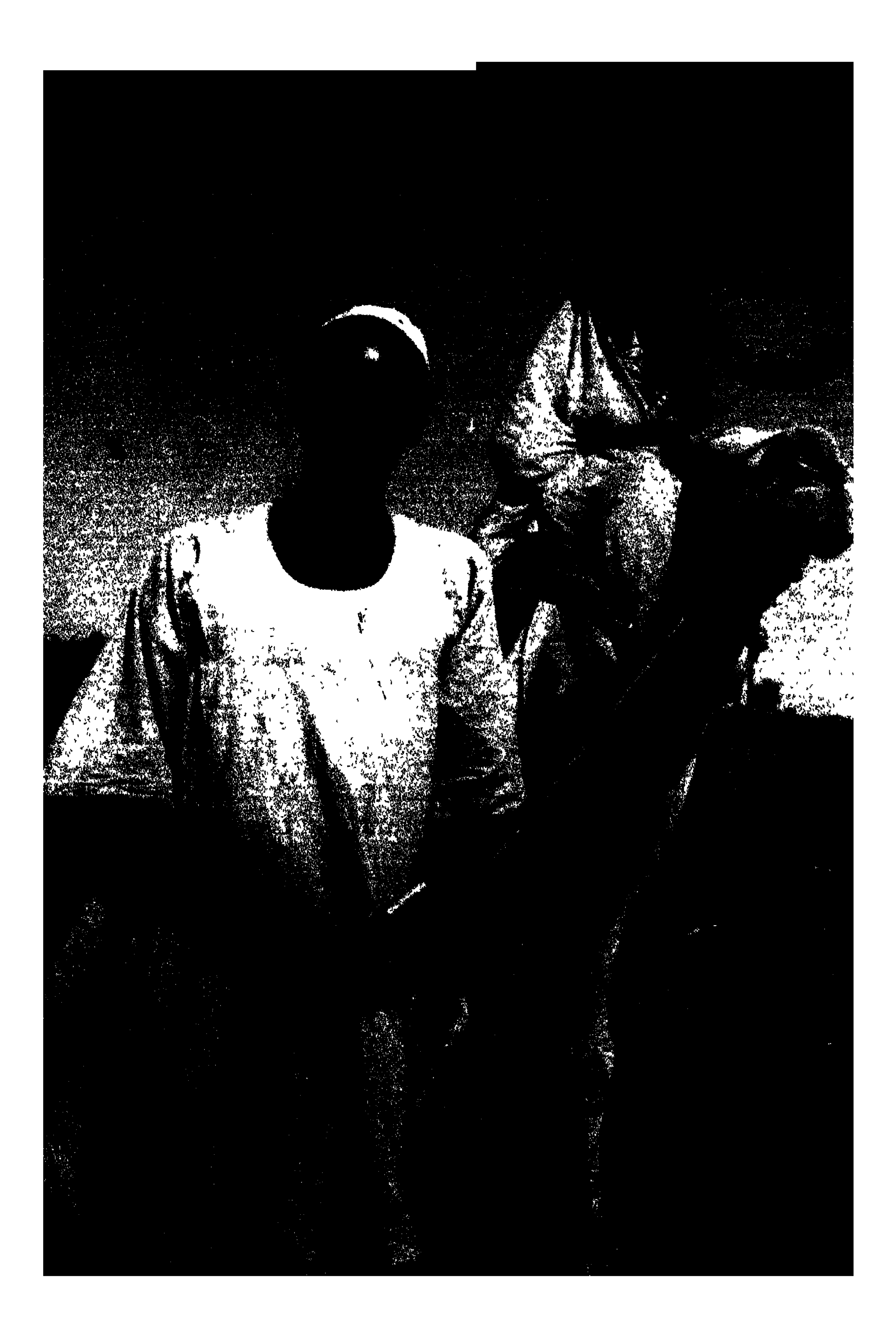
تأليف :
الدكتور محمد الربيعي

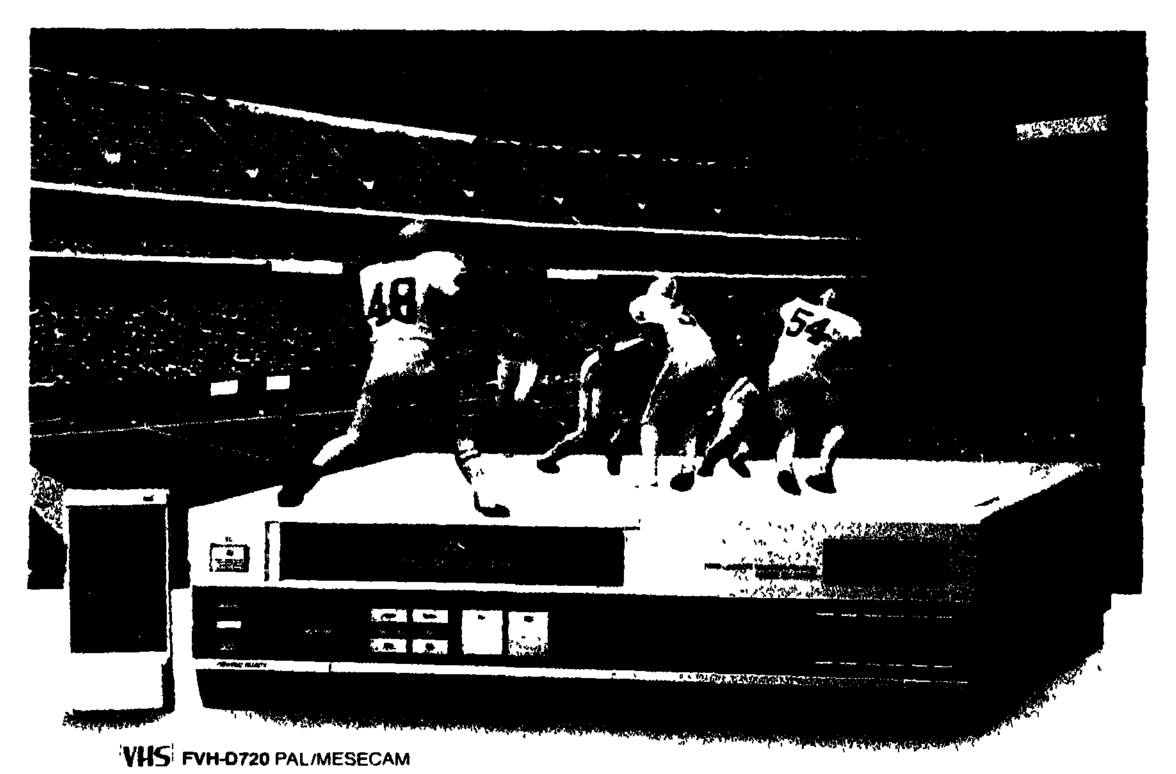
٥٠٠ فلس

الكتاب المئوي

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت







فيشر... إنّه عالم جديد مدهش.

١٩٣٧ـ السنة التي شهدت ولادة عالم جديد من التسلية مع اختراع أفيري فيشر لأول نظام سمعي هاي فاي في العالم. ولقد استمر فيشر في الطليعة منذ ذلك الحين. كيف؟ بتقديمه لأنظمة ذات جودة عالية مهيّئة خصّيصًا "للعصر السمعي المرئي". مثل جهاز FVH-D720، مسجل ڤيديو كاسيت VHS بال/ ميسيكام الذي يحتوي على كل الميزات التي يتوقعها أكثر الأشخاص تطلبًا من الأنظمة السمعية وأنظمة الڤيديو. بث عادي خال من التشويش بالإضافة إلى ٦ طرق تشغيل خاصة. جهاز تحكّم عن بعد ١١ وظيفة لاسلكيًا من أجل ضبط كامل لمشاهدة مريحة، بالإضافة إلى وثوق فيشر المشهور. كلّها في عرض واحد أنيق. مع فيشر، إنه حقًا عالم جديد مدهش.





العدد ٣٣٠ السنة التاسعة والعشرون مايو ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 330 May 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





الحديث عن أن أي تراكم رأسمالي عظيم يحدث التنمية المرجوة ، هو حديث قاصر عن الحقيقية ، وقد أثبتت التجربة العربية ذلك ، فهناك مقومات أخرى للتنمية لاتقوم بدونها ، حتى لو خرقنا الارض عرضا وطولا ، كالتعليم والتطور الانسانى ، وهذا أيضا لن يحدث دون بعد زمني يتأهل فيه جيل كامل لهذا الفعل الحضارى ، كما أن المقارنات الاحصائية الصماء لاتعني شيئا كثيرا ان لم يكن لها بُعد اجتماعي وانساني ، وتجربتنا العربية أكبر برهان على ذلك .

من مقدمة الكتاب

عزيزي القارئ

في العمل الصحفي الثقافي عقبات وصعوبات مثل الاعمال الاخرى ، الا ان خصوصية بعض هذه العقبات ملفتة للنظر حين تتعلق بأخلاقيات عامة تضع من يفاجأ بانتهاكها في دائرة الحزن ، وأي حزن .

من هذه العقبات تكرار ما يكتب لأكثر من مجلة ، بعضه يحاول الكاتب تمويهه ببعض العبارات المختلفة ، والعناوين الفرعية الجديدة ، كي يتم نشره في أكثر من مطبوعة ، والبعض الآخر لايأبه حتى بتلك المداراة .

فهو ينشر المقال بنصه في اكثر من مجلة أو مطبوعة دون أي اعتبار أو وازع اخلاقي ولقد شهدنا ـ ونشهد ـ في « العربي » وفي بعض المجلات الاخرى المشابهة ظواهر من هذا النوع .

فهناك مثلا ، من يرسل قصصه للنشر على انها لم تنشر من قبل ،ونفاجأ بعد ذلك انها قد نشرت في احدى المطبوعات قبل أشهر عديدة ، وهذا ينسحب على بعض المقالات ايضا . وأية مجلة في الوطن العربي اليوم ليست بمنأى عن هذا النوع من التدليس . فلا يستطيع المحررون مهما اتسع اطلاعهم ان يرصدوا كل ما ينشر .

والحل لايتأتى الا بسيادة معايير تعتمد على ضمير الكاتب ومستوى نضجه واخلاقياته المهنية ، صحيح ان هذا النوع من الكتاب ـ المدلسين ـ قليل نسبيا ولكن هذه القلة تجلب ازعاجا وقلقا لنا جميعا ، فهي ظاهرة تخل بالمصداقية وتثير الشكوك والارتياب والاضطراب ، لذلك فقد قررنا نحن في « العربي » كشف مثل هؤلاء المتهكين للثقة وكذلك نهيب بالزملاء في المجلات العربية الاخرى ان يتخذوا موقفا مماثلا . .

فلعل اولئك الذين يسيئون الى الثقافة العربية ان يكفوا عن غيهم ويثوبوا الى صوابهم ورشدهم .

لقد طرق هذا الموضوع بأشكاله المختلفة في مجلات اخرى كانت ضحية لمثل هذا الاحتيال الذي قد يستمر من قبل بعض ضعاف النفوس لفترة اخرى ، فتلك ضريبة لابد من دفعها ، ولكننا نناشد القارىء ألا يتردد في الكتابة الينا اذا صادف شيئا من هذا التلاعب فقد علمتنا التجربة ان القارىء في كثير من الاحيان يكون اكثر غَيْرَةً على مجلته من الكاتب نفسه !

المحرر

محتويات العدد

مساحته أكبر المساحات ، وثروته الحيوانية الاولى ، ومياهه الاكثر في الوطن العربي ، لكنه يشكو الكثير من الادواء !
فما هي الحكاية في السودان ؟ ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

الأبواب الثابتة

■ من مكتبة العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الخطاب العلمي العربي

■ أين مكامن القوة والضعف في حياتنا العلمية العربية ؟
■ الصحوة العلمية العربيّة .. ماشروطها ، ومابشائرها ؟
■ الوطن العربي هل يخرج من موقعه في العالم الثالث ؟

في ندوة عقدت بالكويت في ربيع ١٩٨١ عن الابداع العلمي العربي والاسلامي ـ شارك فيها مجموعة كبيرة من العلماء العرب والمسلمين الأجانب ـ وقف العالم الباكستاني المسلم الأستاذ محمد عبد السلام الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء لسنة ١٩٧٩ . وقف ليقول :

« لقد كان عليّ أن أختار في الخمسينيات بين أن أبقى في باكستان أو أبقى في دراسة الفيزياء ، واخترت الأخيرة »

وكانت الاشارة واضحة ، فهذه الكلمات القليلة تمثل أزمة العلماء والمشتغلين بالعلم في العالم الثالث اليوم ، لأن هناك أسبابا كثيرة ، وكثيرة جدا ، تدفع العلماء في العالم الثالث طائعين أو مجبرين أن يتركوا بلادهم حتى يستطيعوا أن يشبعوا رغباتهم في الانجاز العلمي .

لقد أردف وقتها ذاك العالم الشهير بالقول :
« لقد جئت هنا أتوسل اليكم أن تعطوا الأولوية القصوى للابداع العلمي وهي الخطوة الأولى والأساسية إن أردتم اللحاق بركب التقدم العالمي » .

لغنى والافتقار !

☐ قبل ذلك بعشر سنوات سمعنا نداء مشابها في قالب تعبيري مختلف في مؤتمر عقد بالقاهرة لتدريب العلميين ، ويومذاك قال نائب مدير اليونسكو مالكو أديشيا ـ وهو هندي ـ : « إن أمريكا أنزلت رجلا على القمر على حساب إفقار دول نامية كثيرة من العلميين » .

ولقد تكاثرت الكتابات والنداءات للاهتمام بالعلم والبحث العلمي ، وبالعلميين في الوطن العربي وفي دول كثيرة من العالم الثالث ، ذهب جلّها أدراج الرياح مع الأسف ، دول محدودة فقط في العالم الثالث التفتت بجد إلى هذه القضية وأولتها اهتماما خاصا في إطار خططها التنموية .

والوطن العربي اليوم يقف أمام تغيرات هائلة تستوجب إعادة طرح السؤال من جديد : وماذا عن العلم والبيئة العلمية والبحث العلمي بالمعنى الواسع الشامل ؟

العرب والمسلمون والعلم !

☐ لعل من نافلة القول ترديد ما كان للعرب والمسلمين في تراثهم من باع طويل في رعاية العلم والبحث العلمي شهد بها المنصفون من علماء الغرب قبل الشرق ، ولعلنا نذكر على وجه التخصيص موسوعة جورج سارتون في تاريخ العلوم ، والذي اختار أن يقسم فيها تاريخ العلم إلى فترات تبلغ الخمسين سنة لكل فترة ويربطها بإحدى الشخصيات العلمية البارزة في ميقاتها ، فعلى سبيل المثال ربط سارتون فترة ٤٥٠ ـ ٤٠٠ قبل الميلاد ـ وما بعدها بأرسطو والعلماء الاغريق من بعده ، ثم أورد الفترة الصينية ، أما الفترة من سنة ٧٥٠ م الى ١١٠٠ ميلادية ـ « ٣٥٠ سنة متواصلة » فكانت للعلماء المسلمين دون منازع ، وتبرز فيها أسماء مثل : جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الرازي ، المسعودي ، البيروني ، ابن سينا ، ابن الهيثم . . الخ ، من مستوى هؤلاء العلماء ، وبعد ١١٠٠ سنة ميلادية فقط يظهر أول الأسماء الغربية في موسوعة جورج سارتون ـ ولكن لقرنين ونصف يظل الشرف العلمي في الغرب شركة مع علماء مسلمين مثل ابن رشد والطوسي وابن النفيس .

لقد كان الاهتمام بالعلم والمعرفة جزءا من فطرة المجتمع العربي الاسلامي وسمة لتقاليده ، حتى أنه روى عن المعلم أبي الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) على لسان أحد تلاميذه أنه قال :

« لقد بلغني أن البيروني كان في حضرة الموت ، فأسرعت إلى منزله أملا في أن أراه للمرة الأخيرة ، وسرعان ما تحققت أنه لن يعيش طويلا ، وعندما بلغه قدومي فتح عينيه وقال : ألست فلانا ؟ فأجبت بالايجاب وعندها قال : بلغني أنك قد توصلت إلى حل مشكلة معقدة في قوانين الإرث في الاسلام ، ثم أشار إلى مسألة معروفة استعصى حلها لزمن طويل ، فلم أتمالك نفسي وقلت : ولكن في هذه الظروف يا أبا الريحان ! وكان جوابه : « ألا ترى أنه خير لي أن أموت عالما بالأمر من أن أموت جاهلا به ؟ » وبقلب مملوء بالأسى ، أخبرته بكل ما عندي ثم استأذنته وانصرفت ، ولم أكد أبرح باب داره حتى سمعت صائحا من داخل الدار يقول : إلى رحمة الله يا أبا الريحان ! » .

لعل هذه القصة ـ ومن أمثالها الكثير في تراثنا العربي الاسلامي ـ تؤكد حقيقة أثبتتها الدراسات الكثيرة وهي حرص هؤلاء الأجلاء على متابعة البحث العلمي دون كلل أو ملل .

ولعل القضية الأخرى اللصيقة باحتضان العلم والبحث العلمي في تراثنا أن علماءنا الأوائل لم يكونوا فقط ناقلين ، بل أضافوا وجددوا ونقدوا ما جاء إليهم من علم حضارات سبقتهم ـ وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ـ فقد أصبح اقتران العلم العربي الاسلامي بتاريخ العلوم شرطا لضمان موضوعية هذا التاريخ ، وكذلك لفهم أفضل للفترات التي أعقبت النهضة العلمية العربية .

الانقطاع والتواصل:

□ ما غاب عنا حتى الآن ، وما زالت كتاباتنا تمر عليه مرور الكرام ـ هو الاجابة المنطقية العلمية عن هذا السؤال : لماذا انقطع التراث العلمي العربي الاسلامي وضعفت جذوته ثم اختفت خلال فترة القرون الطويلة التي لحقت القرن الحادي عشر الميلادي ؟

هناك بعض الاجتهادات ، ولكن لم يتقدم أحد ـ حسب علمي حتى الآن ـ بتفسير منطقي واضح للأسباب الداخلية التي شلت النشاط العربي الاسلامي العلمي .

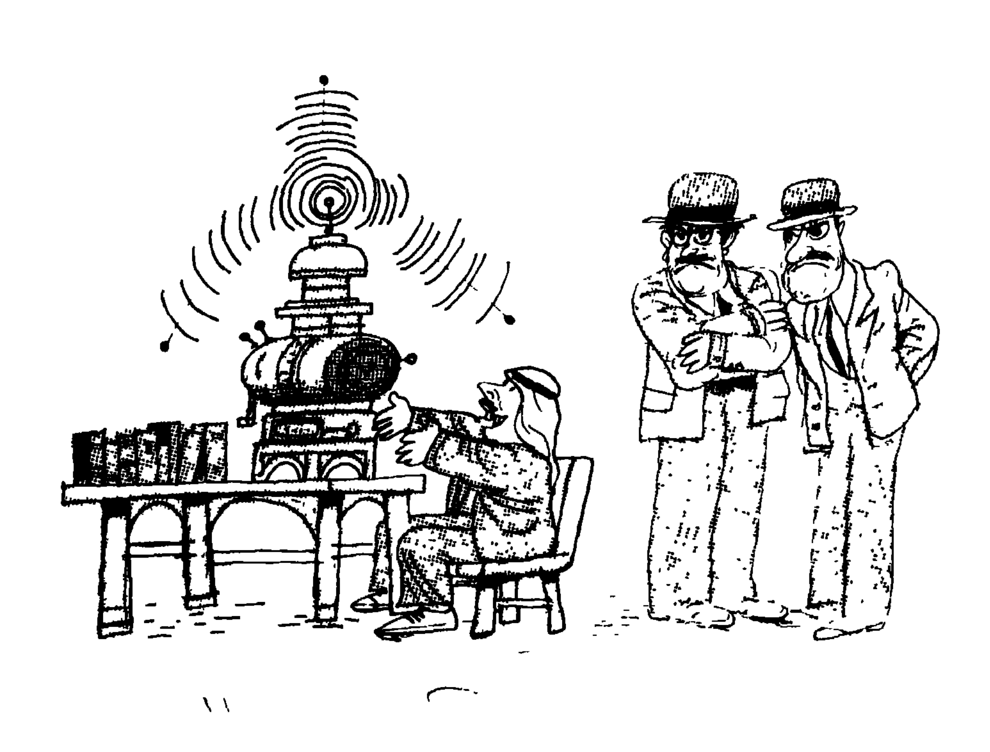
لقد تنبه العالم الاسلامي والأمة العربية في القرن التاسع عشر وما بعده على حقيقة مفادها أن الهوة العلمية والتقنية تزداد في الاتساع بيننا وبين الغرب إلى درجة أن تلك الهوة أوقعت كثيرا من بلادنا في قبضة السيطرة الغربية ، ولكن الجهود العديدة في تخطي تلك الهوة ومجاوزتها كانت تبوء بالفشل مرة تلو الأخرى ، فالسلاطين العثمانيون ومحمد علي وحكام آخرون اكتشفوا بشكل أو بآخر أن المعادلة في طرفي الهوة هي في ضعفنا العسكري والاقتصادي ، كما تكمن أيضا في حقيقة التخلف العلمي والتقني ، وعرفوا أيضا أن القوة التي يواجهونها هي قوة العلم في شكل سلاح وتنظيم وتدريب ، كذلك اكتشفوا أن العلم والتقنية ليسا في توفير الوسائل العسكرية للدفاع فقط ، ولكن كذلك في الغذاء والزراعة والاسكان والصحة والصناعة والتربية ، أي في كل مناشط الحياة .

صيحة العلم:

□ منذ ذلك الوقت ولقرن ونصف حتى اليوم أصبحت صيحة العلم والبحث العلمي تطرح بشدة أحيانا أو بضعف في أحيان أخرى على الساحة العربية والاسلامية ، وكذلك في العالم الثالث ، ولكن ـ كما يبدو ـ دون تقدم كبير في هذا المجال .

ومنذ الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا وقضية العلم والمعرفة العلمية تطرح في وطننا العربي ، لقد اقتنعت أقطار عربية عديدة بأهمية البحث العلمي وما يحققه من فوائد





جة عندما يتضح أثرها في الواقع الملموس ، وأن العلم يمكن تسخيره في التنمية والإعمار ، وقد شغلت معظم هذه الأقطار العربية بإنشاء مراكز العلوم ومجالسها . . ولكن ما نتيجة كل تلك الجهود ؟ ، في بداية الثمانينيات نجد تعليقا لأحد المختصين والمتابعين لهذا المجال هو الدكتور أسامة الخولي يجيب فيه إجابة واضحة عن التساؤل الأخير فيقول : (لم ينجح قطر عربي واحد في إرساء دعائم وطيدة لنموذج بناء القدرة الذاتية وتسخير العلم لخدمة التنمية مثلما فعلت دول في العالم الثالث مثل : كوريا أو تايوان أو المكسيك أو بلغاريا على سبيل المثال) .

فالجهود المبذولة كلها أو جلّها قد اعتورها القصور فبانت إما معطلة أو مبتورة بحيث لا تصل إلى نتائجها الحاسمة . تلك الخلاصة طبعت تساؤلا مهما : لماذا لا ننهض من جديد بمسيرة علمية حقيقية وشاملة ؟

* * *

وما زالت هناك أسئلة تطرح حتى الآن :

ما هي أولوياتنا في العلم والتقنية ؟

كيف نهيىء الانسان العربي للعطاء العلمي ؟

من المسئول عن تمويل البحث العلمي وإعداد الكوادر المؤهلة لذلك ؟ ، وبعض الأسئلة القديمة مازالت تطرح أيضا :

هل العلم ضروري إلى هذه الدرجة ؟

وإذا كان باستطاعتنا الحصول على نتائج التقنية من العالم المتقدم فلماذا نبحث من جديد في اكتشافات علمية ؟

بل ما زال بعضنا يشكك في أن التفكير العلمي مناقض لبعض القوانين في تراثنا ، يريدون بهذا الطرح أن يثبطوا همتنا مرة تلو أخرى وكأن الحقائق العلمية المتغيرة والمتطورة تهدد ماورثناه من ثوابت . وتلك لعمري مقولة مسيطرة عليهم . ولا تمت إلى العلم بصلة ، بل تتناقض تماما مع روح دعوتنا الحضارية

ولكن تبقى الحقيقة المرة بارزة مهما حاولنا طمسها

هي أن افتقادنا للأمن الوطني والقومي نابع من إغفالنا للعلم . وأنه بغير الالتزام بمخطط واضح وصريح ، وطويل الأمد ، وقومي يحتضن قضية العلم ، فليس هناك اطمئنان قريب يضفي على مشاعرنا السكينة ويكفل لنا الأمن العسكري والغذائي والثقافي الخ .

طبيعة التفكير العلمي :

□ لعل من الأخطاء الشاسعة بشأن الفكر العلمي أن نسمه بأنه « مطلق » ، فالفكر العلمي نسبي ، وما هو حقيقة اليوم قد لايكون كذلك بعد فترة من الزمن ، فهو نطاق فكري يقر النظرة النقدية والتجربة والملاحظة وتاريخ العلوم . ليس مجرد تاريخ الاكتشافات العلمية وتطور مفاهيمها ، بل إنه تاريخ حرية التفكير والسعي الدائم للتخلص من المطلقات الفكرية عندما تصبح تلك المطلقات عوائق أمام التقدم !

والعلم هو جهد إنساني منظم يحاول فهم مايجري حول الانسان في بيئته الطبيعية والانسانية . وكان تطور العلم في الاتجاهين الطبيعي والانساني متداخلا يرفد بعضه بعضا ، هذا الجهد الانساني متواصل تسلمه حضارة لحضارة . وجيل إلى جيل . وأيضا ليس هناك من شك بأن القرنين الماضيين شهدا مسيرة منتظمة وصاعدة في تخلص العلم بمعناه الدقيق من العبث والخرافة حتى تطورت مناهجه ، ولقد شهد العلم الطبيعي أيضا ـ بمعنى العلوم الأساسية والتطبيقية ـ تطورا بشكل أسرع مما شهده الشق الثاني من العلم وهو العلوم الاجتماعية (دراسة الانسان في نفسه أو في علاقاته وتنظيماته)

إلا أننا اليوم يمكن لنا أن نقرر بارتياح أن العلوم الاجتماعية والانسانية قد اكتسبت احتراما وتقبلا نسبيا بعد أن تقاربت في مناهجها ومباحثها مع العلوم الطبيعية . ولكن لعل كثيرا منا عندما يتحدث عن العلم دون تحديد ينصرف الذهن مع هذا الحديث إلى العلم الطبيعي وتطبيقاته فقط

ومن المفارقات الطريفة بين العلم الطبيعي والعلم الاجتماعي أن أهم العوائق والعقبات في مجتمعنا العربي اليوم أمام تقدم العلم الطبيعي وتطبيقاته هي عقبات مجتمعية !

فما زالت بيننا فئات اجتماعية لم تسلم بعد بالأركان الأساسية لمتطلبات التفكير العلمي ، حيث تتبنى مواقف شديدة الضرر للتقدم العلمي مثل التطير والتشاؤم والاعتقاد بالخرافات ، وأقلها ضررا الاستخفاف بما يمكن أن يقدمه العلم من حلول إيجابية لمشكلاتنا ، تلك قضية مجتمعية في وطننا العربي على اختلاف درجاتها في أقطاره ، ولعل مؤرخي العلوم يذكرون لنا مثلا آخر في التاريخ حيث توقف النمو العلمي في الصين ،



وكانت في فترة من فترات التاريخ قمة التقدم العلمي والتقني لأن الطلب الاجتماعي على العلم قد تضاءل ثم انكمش لعوامل داخلية وخارجية حينها تفشت الخرافات ، واستشرى داء الجهالة ، وخبت جذوة العلم والفكر ، فمسؤوليتنا اليوم جميعا هي حفز الجماهير واستثارة إقبالها على خوض مجالات العلم ، لا من أجل مكانة أفضل في المجتمع أو دخل أعلى ، وإنما من أجل النهوض العام بهيكل البناء على جميع مستوياته .

البعد الاجتماعي والثقافي :

□ ما هي تفاصيل البعد الاجتماعي والثقافي التي تنشط الاقبال الاجتماعي على العلم والتقنية أو تضعفه ؟

إن الخوض في التفاصيل لا شك سوف يؤدي بنا إلى تفريعات كثيرة ، إلا أن الحلقات الرئيسية يمكن إجمالها في القول بأن التاريخ قد برهن لنا أكثر من مرة أن العلم يمكن أن يقدم إلى مجتمعات تأخذ باجتهادات اقتصادية وسياسية مختلفة . . وفي بعض الأوقات متناقضة ، فقد ازدهر العلم في مجتمعات شمولية كما ازدهر في مجتمعات ليبرالية ، كما ازدهر في مجتمعات تأخذ خطا وسطا بين هذه وتلك ، كذلك في المقابل نجد أن كثيرا من الاكتشافات العلمية ظلت مهملة لسنوات طويلة قبل أن تتحول إلى التطبيق في تقنيات محددة ، لأن الحاجة إليها لم تنشط .

كما أن العلم والتطبيقات العلمية لم يكن ينظر إليها حتى في عصر النهضة الأوروبية

نظرة اجتماعية إيجابية إلى درجة أن الجامعات المحترمة ـ في بعض دول أوروبا ـ لم تكن تقبل تخريج (مهندسين) على أساس أنهم مجرد وسطاء لتطبيق نتائج العلم وتحويله إلى تقنية !

ما أريد أن أقول إن تنشيط الطلب الاجتماعي على العلم والتقنية لابد أن يسبقهما خلق وعي عام بأهميتهما في تقدم الحياة وازدهارها وتحقيق الاستقلال الوطني والقومي .

ما مجالات تنشيط هذا الوعي ؟

في تقديري المبدئي أن خلق هذا الوعي يجب أن يتكرس لدى القيادات الفكرية والسياسية ، وأن يترسخ في أذهانها إيمان كامل بأهمية بناء القدرات الوطنية والعلمية والتقنية ، وأن هذا البناء يحتاج إلى مال ووقت وجهد أيضا .

طبيعة العزلة:

☐ هناك عزلة حقيقية بين القيادات الفكرية من مثقفين من غير رجال العلم وبين ما يجري في دنيا العلم على أيدي المقتصرين عليه ، وبعضهم لا يقدرون أثره في حياتهم وحياة مجتمعهم وعالمهم ، فهناك من الناس من هم منصرفون عنه ، والبعض مبهور به بغير دراية ، والبعض الآخر خليط بين هذا وذاك . وهذا ينسحب على معظم مراتب القيادات السياسية .

هذه العزلة تتمثل في ظواهر عديدة منها على سبيل المثال الأوضاع الشاذة لتدريس العلوم في أنظمتنا التعليمية ، وأذكر ـ ولعل غيري يذكر معي ـ كيف كان مدرس الطبيعة في المدرسة الثانوية التي تعلمنا فيها يقدم لنا التجارب العلمية على أنها نوع من السحر أكثر منها قوانين طبيعية .

وفي جامعاتنا ما زال التعليم العلمي غريبا عن لغتنا ويلبس أثوابا غريبة عن مجتمعنا، ويعالج مشكلات ليس لنا بها علاقة !

ويضاف إلى ذلك ما يثور بين العشيرة العلمية العربية من وجوه النزاع والخلاف بعضهم مع البعض الآخر ، حتى دخلت العلاقات بينهم في نطاق « ماصنع الحداد » كما يقول المثل .

والحلقة الأخرى في البعد الاجتماعي الثقافي وعلاقته بالنمو العلمي ما اصطلح على تسميته بالتنشئة الاجتماعية ، فما زالت هناك علامات استفهام كثيرة .

إن ما يغرس في نفس الطفل من المحيطين به « الوالدان أو أحدهما أو أحد الأقارب المحتكين بالطفل أو أحد المدرسين » في هذه المرحلة المبكرة من طفولته هو ما يبقى ويظهر بعد ذلك في علاقاته مع الناس والمجتمع .

والتناقض الذي يواجه الصغير في معظم مجتمعاتنا العربية من تسامح مطلق في السنوات الأولى من الحياة ، وأوامر بالانضباط ترقى إلى التسلط في الطفولة المتأخرة ، يشكل في الغالب شخصية ليس لديها الاطمئنان الوجداني فيشب الولد أو البنت مترددا خجولا يخاف ولوج غير المألوف الذي هو أساس الابداع المتفاعل مع التنمية العلمية .

وقد عبر عن هذا المعنى أستاذ الاجتماع العربي « د . سعد الدين إبراهيم » حيث قال : (فالمبدع الذي يجهر بإبداعه في مجتمع سلطوي محافظ ـ مثل المجتمع العربي ـ هو في الواقع شهيد أو لابد أن يهيىء نفسه للاستشهاد !) .

الصحوة العلمية العربية:

☐ المسيرة العلمية العربية خلال الأربعين سنة الماضية فيها من النجاحات بقدر الاخفاقات ، وفيها من الايجابيات بمثل المثبطات .

« فعادل ثابت » في الكتاب الرائع الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية حول تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي يلخص لنا التجربة المصرية فيقول : « لقد وضعت الخطط تلو الخطط ـ في مصر خلال الأربعين سنة الماضية ـ وتواصلت الجهود دون تحقيق الكثير من النتائج التي تسهم في حل المشكلات الملحة للمجتمع .

إن التجربة المصرية توصلت لضرورة النظر إلى التقنية بشكل جاد وموضوعي وفقا للدراسة المتأنية الشاملة التي تشترك فيها كل جهات الاختصاص والمسؤولين عن سوق العرض والطلب من علميين وتقنيين اقتصاديين وتشريعيين » .

إذا كان هذا ملخص تجربة أكبر قطر عربي وأقدمها في تاريخ التعليم ، فالصورة في بقية أقطار الوطن العربي على اختلاف قدراتها أكثر تواضعا .

إلا أن للصورة وجها آخر ، فهذا د . أنطوان زحلان الرجل الذي اهتم لفترة طويلة بتتبع العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي حتى أصبح أحد الثقات في الموضوع يقول : إنه إذا استمرت الجهود في الانتاج العلمي التي سادت في الوطن العربي في العقود الثلاثة الماضية كما هي حتى نهاية القرن ، فإن ذلك قد (يخرج الأقطار العربية من موضعها في العالم الثالث) .

ويعتمد زحلان على مجموعة من المؤشرات من بينها الانتاج العلمي المحكم المنشور في مجلات دورية ، وكذلك على أعداد الخريجين والخريجات من الجامعات العربية والتي يقدر أنها ستبلغ اثني عشر مليون خريج في نهاية القرن الحالي .

جزر منعزلة:

☐ وبعيدا عن الاحصائيات تقول لنا دراسات متفائلة أخرى بكلمات قاطعة إن الانسان العربي قادر وصالح تماما للعطاء العلمي .

تلك الدراسات تعيد الثقة إلى النفس ، إلا أن النجاحات التي نصادفها في الوطن العربي ـ كما يقول بعض النقاد ـ هي في حقيقتها جزر منعزلة ، وما زالت بعيدة عن التأصل في المجتمع .

وإذا آن لنا أن نختم هذا الحديث فلنختمه بملحوظات الدكتور محمد كامل رئيس المركز القومي للبحوث بمصر اذ يقول عن التقنية : (إن الدراسات التي أجريت في البلدان الصناعية المتقدمة أثبتت أن من ٦٠ ٪ إلى ٨٠٪ من التحسن في مستوى المعيشة يعود إلى التقدم التقني ، وأن ٢٠٪ فقط يعزى إلى تراكم رأس المال) .

لقد تعودنا في العقدين الأخيرين ـ على الأقل ـ أن نستهين برأس المال على أساس أنه متوافر بشكل أو بآخر في الوطن العربي ، ولقد بدأت السنوات القليلة الأخيرة تثبت لنا أنه حتى هذا ـ توافر رأس المال ـ لم يعد على الأقل كما كان .

لقد كان هناك استثمار لا بأس به على مستوى الوطن العربي في الانسان ، وقد آن لنا أن ننظم هذا الاستثمار وننميه بالاعتماد على العلم بشقيه الطبيعي والاجتماعي لايجاد حلول لمشكلاتنا العربية المتزاحمة التي أصبح تزاحمها مشكلة جديدة أيضا !! ☐

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد يونيو ١٩٨٦

سيناء..

جنة بلا ناس!

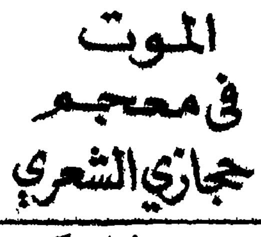
استطلاع : منير نصيف

موسوعة القرن ٢١

د. عبد الحميد يونس

ومن الرقص ما قتل!

د. عماد شمس باشا



د. غالي شكري

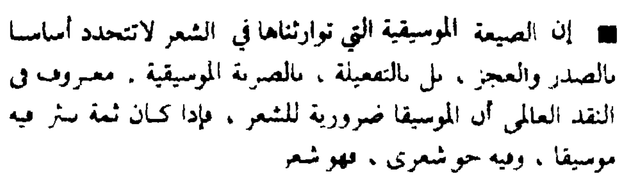
- **المورو..** ثورة في أعماق الأدغال — استطلاع سليمان مظهر
- محمود المسعدي .. والسد الشهير — محمد الحبيب براهم
- دعوة لإنقاذ جامع سالونيك ! — د. محمد موفاكو
- عصر استعمار المجرات ! — د. مازن المغربي
- اتجاه جديد في الطب ! — د. منصف المرزوقي
- هيلدرين في "أمضى كل الأيام" ! — د. عبد الغفار مكاوي
- وجهاً لوجه / د. عبد الرحمن منيف و جليل العطية
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

واقرأ أيضاً للكتاب

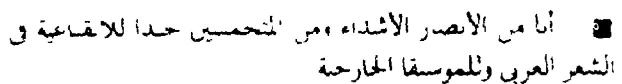
د. محمد الرميحي - د. أحمد كمال أبو المجد - د. عيسى درويش

د. فاضل حسن أحمد - عبد الغني عبد الله - ليلى العثمان - د. احمد النعمان - إسلم المدهون

اقوال

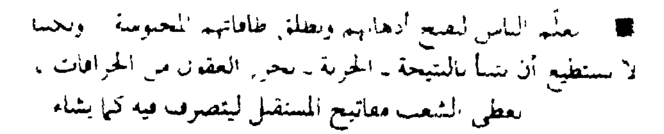

■ إن الصيغة الموسيقية التي توارثناها في الشعر لاتتحدد أساسا بالصدر والعجز ، بل بالتفعيلة ، بالصورة الموسيقية . معروف في النقد العالمي أن الموسيقا ضرورية للشعر ، وإذا كان ثمة نثر فيه موسيقا ، وفيه جو شعري ، فهو شعر

الشاعر يوسف الصايغ


■ أنا من الأنصار الأشداء ومن المتحمسين جدا للاإيقاعية في الشعر العربي وللموسيقا الخارجية

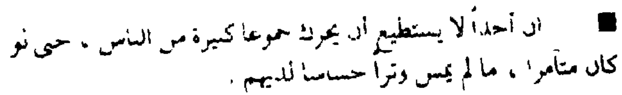
موسيقا الشعر جزء من عضوية البناء الشعري العربي ، وهي ليست عملا خارجيا لكي نتحرر منه نهائيا أو بحجة ، إن هذه التجربة قد تم خوضها منذ آلاف السنين

الشاعر محمود درويش


■ نعلّم الناس لنفتح أذهانهم ونطلق طاقاتهم المحبوسة ونحن لا نستطيع أن نتنبأ بالنتيجة ـ الحرية ـ نحرر العقول من الخرافات ، نعطي الشعب مفاتيح المستقبل ليتصرف فيه كما يشاء

الطيب صالح

في رواية « موسم الهجرة الى الشمال »


■ إن أحداً لا يستطيع أن يحرك جموعا كبيرة من الناس ، حتى لو كان متآمرا ، ما لم يمس وترا حساسا لديهم .

د . فؤاد زكريا

■ الثورية ليست حكرا على فئة أو حزب أو حركة ، ان أي منحى أو فعل يتجه نحو قضية الوطن تحريرا وتقدما فهو ثوري .

د . حسين مروة

■ لاأحد يلتفت للشكل حين يتعمد الكاتب الجاده . فالشكل الأدبي يتكون ويأتي نتيجة ثانوية للمضمون نفسه .

د . يوسف ادريس


يوسف الصايغ


محمود درويش


الطيب صالح


د . فؤاد زكريا



رمضان والمشروع الاسلامي

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

ماذا نقصد بالمشروع الاسلامي ؟ ولماذا الحديث عنه مع رمضان ؟ اما المشروع فتصور شامل لحركة الاسلام في عصر ، وقد يكون مقتصرا على اقليم او اكثر ، وأما رمضان فهو الشهر الذي انزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فالحديث فيه عن الشمول والعمل الاسلامي اقرب وان كان هذا مسئولية العام كله ، دون الاقتصار على شهر بعينه ، ومسئولية القادر عليه فكرا وعملا .

نحن نعيش عصر التعددية الحضارية الذي تتنوع فيه النماذج : من الياباني في أقصى الشرق ، الى الأمريكي في أقصى الغرب ، مرورا بنماذج الصين والاتحاد السوفيتي وشرق اوروبا وغربها ، وبمحاولات متنوعة ومتباينة فيما اصطلحنا على تسميته بالعالم الثالث ، مثل : سنغافورة ، وكوريا الجنوبية او تكون له تجاربه الذاتية والريفية كتنزانيا . .

ولنقف قليلا عندهذه التسمية : العالم الثالث . . . ولماذا الثالث ؟

ان العالم الأول والثاني ـ أو العالمين الرأسمالي الغربي والاشتراكي الشرقي ـ ومن يدور في فلكهما كاليابان . . هم جميعا عالم واحد متقدم علميا . . مسيطر اقتصاديا ، قادر على الابداع والتنافس ، فرض على الأخرين من نفس العالم ـ ومن وراءهم ـ احترامه او مهابته او الحذر منه . . فليكن بينهم التنافس على الصدارة السياسية أو العسكرية او الاقتصادية ما يكون، الا انهم دائرة واحدة ، ولكل منهم مقعد معترف به على مائدة القوة العالمية والتقدم .

ويأتي بعد هذا عالم آخر تعددت أسماؤه : النامي ، المتخلف ، الجنوب ، الذين لا يملكون ، الذين لا يعرفون . عالم قد تملك بعض دوله بعض ادوات القوة . . ولكنها لا تتكامل في دولة واحدة .

عندنا اذن عالمان ، ولنقلها بكل وضوح : العالم الأول او القادرون ، والعالم الثاني او المقدور عليهم ، وعلى هؤلاء ان يخترقوا الحاجز المضروب حولهم : حاجز الجهل والتخلف العلمي ، أو التخلف الابداعي ،

او الفقر او الجوع . . ولن يكون الاختراق منحة من احد ، انه كفاح بكل معنى الكلمة ، وحينها يتحطم هذا الحاجز الفاصل بين العالمين الأول والثاني ، سيتكون العالم الواحد ، وهو حلم الانسانية وأملها ، هذا العالم الواحد ليس ضربا من الشمولية التي تختفي فيها الفروق ، ولكنه اسلوب في التعايش والتعددية ، ليس فيه انطواء عن المسار العالمي ، ولا تنكّر للخصوصيات الحضارية . . وفي اطاره الواسع يمكن ان يعيش المشروع الاسلامي وفي داخل هذا المشروع يمكن ان تتعايش مشروعات اسلامية اقليمية ووطنية وفي دوائر تأخذ في الاتساع وتحفظ بالتناسق . . ولنبدأ من البداية ، بنماذج ترتبط برمضان ، ولها تأثيرها العميق في الحياة الاسلامية ، وتلقي أضواءها على طريق المستقبل .

الركائز العشــر

كان بدء نزول القرآن في رمضان . وفي ليلة مباركة منه : ـ « **إنا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين . .** » (الدخان :[٣]) .

ـ « **إنا أنزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** » (القدر : ١ ، ٢ ، ٣) .

فما أبرز ركائز القرآن الكريم ؟ . . ذلك لأنها ركائز المشروع الاسلامي الأول . . وأي مشروع اسلامي لاحق . . فهذه الركائز هي الثوابت القرآنية ، وهي الداعية الى الحركة وعمران الحياة والابداع :

(١) ان القرآن الكريم ختام وحي السماء ، وهو دعوة الى استخدام العقل والفكر كأوسع ما يكون الاستخدام ، يقول الله تعالى : ـ « **وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون** » (الاسراء ٥٩) .

ويقول النبي ﷺ : « **ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات (أي المعجزات) ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله اليّ ، فأرجو ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة** » (رواه مسلم عن أبي هريرة) .

فالأمر في الاسلام لم يكن تحديا بمعجزة كونية ، تمضي مع زمنها ، وتطويها الأيام : كشق البحر ، وتفجير الماء في الصخر ، وانقلاب العصا حية ، واحياء الموتى وشفاء المرضى ، معجزات لا يبقى عليها دليل الا ماجاء في الوحي المعصوم ، اما القرآن فهو المعجزة الباقية بعد انقضاء عهد المعجزات التي حفظها الله للناس بالمؤمنين ، وهو الدعوة الدائمة الى البحث والتفكير ، وهو الصراط المستقيم :

ـ « **قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين** » (يوسف ١٠٨) .

وقصة يوسف ـ وفي خواتمها جاءت هذه الآية ـ مليئة بالمواقف المتنوعة والاختبارات المتعددة مع وحدة الهدف .

(٢) وتوحيد الله ـ في كتابه الذي يخاطب العقل والعقلاء ـ مقصد اول ، وهو من اليسر ، بحيث لا يستعصي على الفكر ، وفي حياتنا اليومية والعقلية الواحد الصحيح هو الرقم الذي يقوم بنفسه ، مادون الواحد كسور ، وما فوق الواحد تعدد ، وفي الدين العقيدة : الله هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، « **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** » . (سورة الاخلاص) .

(٣) والناس جميعا اخوة لأب وأم :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنّ الله عليم خبير** » . (الحجرات : ١٣) . ويصور القرآن الانسانية على امتداد عصورها وأقطارها أسرة كبيرة واحدة . هم جميعا أهل وذوو أرحام وان تباعدت ، يقول تعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا** » . (النساء : ١) .

(٤) ويربط القرآن بين القول والعمل ، فالقرآن هو الكتاب الذي تكونت دولته والوحي ينزل ، دولة ارتفعت فوق الاقليمية وعصبية اللون والطبقة ، والفروق الاجتماعية والاقتصادية ، وأقرّت التكامل الاقتصادي والشورى مبدأ وتطبيقا ، وعاش الصحابة هذه التجربة بأنفسهم يجمعون بين الاستماع والاتباع .

قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السُلمي : حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا ، انهم كانوا يُستقرءون من

النبي ﷺ ، وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا (مقدمة تفسير ابن كثير)

وأخذ أبو عبد الرحمن القرآن عن عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد بن ثابت ، وأبي ابن كعب ، عن النبي عليه الصلاة والسلام

ولقد حدثت فيما بعد انحرافات عن هذا الخط الراشد . رفعت فيها **العصبيات** رؤوسها ، وحل الاستبداد محل الشورى وأكل الحكام واعوانهم اموال الناس بالباطل ، وانزوى الزهد امام الترف ، وهدرت مصائر الناس ، وفتحت السجون ابوابها تتلقى الأبرياء ، وأصحاب الرأي الحر . والكلمة الشريفة ، وصعد المتسلقون والمنافقون وظن بعض حكام المسلمين ـ في عصور الضعف ـ ان الجنود [illegible] قادرون على ان يحموا [illegible] [illegible] فكان أن تساقطت أركان من [illegible] الاسلام ، [illegible] الصليبيون [illegible] [illegible] ، وانهارت الخلافة العباسية [illegible] الاسلام [illegible] في [illegible] من لا [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] الاسلام عقيدة وسلوكا

(٥) يخرج من هذا مما يدعو اليه القرآن من اليقظة الدائمة والانتباه حيث يقول : « يأيها الذين امنوا خذوا حذركم » (النساء ٧١) كما يدعو الى التعاون على تقويم أي انحراف ، وذلك في قوله تعالى « **لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون** » ـ (المائدة ٧٨ ـ ٧٩)

(٦) ومع اليقظة يدعو القرآن الى اعداد قوة تستطيع أن تصون الحق ، وتدفع عنه وترهب الخصم (وهو الردع بالمفهوم المعاصر) ، يقول تعالى « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون** » (الأنفال . ٦٠)

(٧) ويدعو الى الحوار والمنهجية العلمية : ملاحظة وتجربة وتعمقا في الفهم اذ يقول تعالى : « **ولا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » (الاسراء ٣٦)

ويقول تعالى : « **قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ، ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » (سبأ ٤٦)

(٨) ويقتضي البحث تحركا في الأرض ، وعبر التاريخ . فالحركة عنصر اساسي في الحياة الاسلامية [illegible] حرية الفكر والبدن والنفس نحو الأفضل ان « مجال الحركة » من أقوى الأدلة على تقدم امة او عصر ، ونحن نعيش العصر الذي تحرك فيه الانسان في الفضاء الخارجي ، وتحرك فيه العلم ، [illegible] أعماق الذرة [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] فأصبحت من ادوات [illegible] [illegible] [illegible]

(٩) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مسابقتهم في [illegible] من التعاون [illegible] حيث [illegible] « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم **والعدوان** » (المائدة ٢)

(١٠) ومع كل هذا الابداع ، [illegible] ظهور الآيات في الأنفس والآفاق ، [illegible] [illegible] القرآن ، والمجتمع القرآني . [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] العقل والشرع معا في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دون تمزق في النفس او الجماعة [illegible] العلم [illegible] من ربه اقترابا . ومن احوانه في الانسانية تواصلا ، والدين يدعوه الى مزيد من العمل ، ويحفظه من الانحراف ، ويقيم له الميزان الاخلاقي الذي لا يزيغ مع الأهواء [illegible] ونستظهر هنا قول الامام الغزالي عن الجمع بين الشرع والعقل وقد ذكره في كتابه « معارج القدس » يقول

ـ « العقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذي يمده ، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت ، وعلى هذا نبه سبحانه بقوله تعالى « **الله نور السموات والارض . الى قوله « نور على نور** » (سورة النور ٣٥) فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان » اهـ .

ولقد قرأ المسلمون ـ وعليهم ان يتابعوا ـ كتاب الله المطور وهو الكون ، وكتاب الله المنزل ، وهو الوحي بين ايديهم ، وفيها جميعا آيات الله يقول تعالى .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (فصلت : ٥٣) هذه هي الركائز العشر التي يقوم عليها المشروع الاسلامي ، وهي مجال اجمال وتفصيل ، وعليها قام البناء الاسلامي ، وتعددت مظاهره ، وتنوعت اساليبه فلننظر نماذج من تطبيقاته عبر العصور ، لنرى كيف يجمع بين الثوابت والمتغيرات .

الاختيار الصعب

اذا كانت بعض العقول والقلوب قد سارعت الى تقبل الاسلام لأول الامر في مكة فإن الملأ من قريش ضاقوا به ، وبكل ما يدعو اليه من تحرير الانسان من سيطرة الانسان ، وتحرير العقل من سيطرة الخرافة والكهانة ، وتحرير الفقراء من سيطرة الأغنياء ورأس المال ، وتحرير المرأة من الوأد والظلم والقهر

لقد كان الاسلام في جوهره ـ ولا يزال ـ دعوة الى تحطيم الأغلال وإطلاق الانسانية الى افق كريم ، الناس فيه اخوة ، وعباد رب العالمين ، ويصف الله مهمة الرسول في كتابه فيقول :

« ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين بآياتنا يؤمنون.الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم » (الاصر هو الذنب والثقل) **والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه (أي وقّروه) ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون .** (الأعراف . ١٥٦ ـ ١٥٧) ولنذكر ان سورة الاعراف مكية ، فكيف تقبل قريش وانصارها ان تتحلى عن مآثر الجاهلية وأمجادها ؟ وكيف يقبل سدنة الأصنام ان يروا رجلا ـ ولو كان من ذرية أبي الأنبياء ـ يحطم الأصنام من جديد ، والاصنام لهم عز ومال ؟

كانت المعركة متعددة الأطراف والاهداف . . وصل مداها الى الحصار الاقتصادي والاجتماعي والأذى النفسي والبدني والقتل ، وكان أمام المسلمين اربعة بدائل .

(١) أن يخضعوا لقريش ـ رغبا ورهبا ـ ويتركوا امر الاسلام ، ولقد وعدتهم قريش بالمال والمكانة الاجتماعية والاقتصادية ، فلما أبوا أرهقتهم العسر من امرهم

(٢) ان يواجهوا قريشا في حرب انتحارية ، المسلمون فيها هم الخصم الأضعف ، الذي لم تقو شوكته بعد ، والمنطق الاسلامي الجماعي الذي يهدف الى ان تكون العقيدة في حماية قوة المجتمع المؤمن ، يختلف عن منطق ابراهيم الفرد الذي بادر بتحطيم الأصنام ، فأنجاه الله ، وبقيت الأصنام من بعد ابراهيم ، ولكل منطق زمانه وأهدافه .

(٣) ان يهاجروا الى الحبشة ، وفيها يعيش الاسلام غريب القلب واليد واللسان . فالحبشة بيئة مسيحية حلية ، كانت تصلح وقتئذ لايواء جزئي ، ولا تصلح ان تكون قاعدة انطلاق لدين جديد . ولن تسمح القوة المسيطرة فيها لهذا النفر اللاجيء ان يقوى ، حتى يسيطر او يزاحم المؤسسات الحاكمة والدينية فيها . . هذا الى جانب عائق اللغة بين السكان والقرآن .

(٤) ان يهاجروا الى موطن عربي ـ في الجزيرة العربية ـ يصلح لانطلاق الدعوة ، واستعادة مكة ، وتطهير الكعبة وارض العرب من الأوثان ، والانتشار في مشارق الارض ومغاربها .

ونقف هنا عند « الاختيارات » وفيها مجال واسع لاعمال الفكر ، والجمع بين اجراء من بديلين او اكثر ، لتتكون صورة جديدة ، مع ثبات الهدف الأكبر ، وهو تكوين قاعدة ينطلق منها الاسلام ، ويعيش فيها المسلمون عقيدتهم ونظامهم .

وكان الاختيار جمعا بين البديلين الثالث والرابع هجرة جزئية الى الحبشة ، وبحث عن قاعدة في الجزيرة العربية مع رفض البديلين الأول والثاني ، وفي المدينة اقام الرسول ﷺ أول مجتمع يحكمه الاسلام ،

وله وثيقته التي تنظم علاقات اهل المدينة : من كانوا فيها ، ومن هاجروا اليها .

يومان في رمضان

السنوات العشر المجيدة التي عاشها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة يرفع فيها قواعد المجتمع الجديد كانت مكثفة العمل والانتاج عميقة الأثر على تاريخ الحياة الانسانية كلها . . ولا تزال آثارها تتوالى .

وسنذكر فيها يومين في رمضان : غزوة بدر الكبرى ، في السابع عشر من رمضان ، في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة الفتح التي دخل فيها المسلمون مكة في العشرين من رمضان في السنة الثامنة . الأول يمثل اكبر انتصار في مطلع تكوين القاعدة ، والثاني اكبر تتويج للنصر بتحرير الكعبة من الأصنام وتحرير مكة من سيطرة الوثنية ، ومقام ابراهيم ممّن انحرفوا بحنيفية ابراهيم واسلامه .

ولا نستطيع تصور هذا النصر الا في ضوء الاعداد له والمحافظة عليه ، وتكامله مع البناء الاسلامي : .

(١) كان هناك عمل اجتماعي سياسي : تمثل في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتحصين الجبهة الداخلية من مؤامرات المنافقين واليهود ، وتمثل على الصعيد الخارجي في عقد المعاهدات التي تزيد من فاعلية قاعدة الاسلام ، وتقلل من قدرة قريش على الحركة ، وقد استمر تطوير هذه الخطوط .

(٢) يظاهر هذا تحرك عسكري تمثلت مرحلته الأولى (قبل بدر) وفي ثمان عمليات عسكرية امتدت على شكل مروحي ، يغطي مساحة تمتد شمالا الى ما وراء المدينة ، وجنوبا الى ما وراء مكة ، وغربا الى ساحل البحر الاحمر ، وشرقا الى اطراف نجد ، لتهدد طريقي التجارة الساحلي وهو الأهم والداخلي (سرية عبدالله بن جحش : رجب ٢هـ) .

(٣) قناعة فكرية وعقائدية بالمسئوليات التي يحملونها ومشاركة في الحوار والرأي واخذ القرار التنفيذي بعد المشاورة وتمثل في الحوار الذي دار بين الرسول والصحابة من المهاجرين والانصار قبل بدء المعركة،واجمعوا فيه على خوضها رغم ان قوتهم كانت كما يلي : ٣١٣ مقاتلا وسبعون من الابل وجوادان وتعادل بالترتيب :

$\frac{١}{٣}$ ، $\frac{١}{٢٠}$ ، $\frac{١}{١٠٠}$ من القوة القريشية

(٤) تخطيط علمي ودراسة ميدانية : كمثال . في غزوة بدر :

اختيار موقع الأرض الأكثر صلابة ، السيطرة على موارد المياه ، الحرب بطريقة الخطوط الثابتة التي صمد فيها المشاة والرماة امام هجوم الخيل لأول مرة في الحروب العربية ، ثم الاندفاع بعد أن تراجعت الخيل ، وانقلبت على اعقابها تحت وابل السهام المنطلقة من خط الدفاع الاسلامي الثابت .

(٥) الجمع بين العمل السياسي والعسكري وتطويره بعد غزوة الأحزاب (٥هـ) وكانت ذروة الهجوم على قاعدة الاسلام ، وقد استطاع الرسول في صلح الحديبية (٦هـ) أن يفك الارتباط بين قريش واليهود ، وان يجمد النشاط العسكري العربي ، ليتفرغ لجبهة اليهود الشمالية ، ويصفيها في العام السابع ، وتم فيه اخضاع حصون خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، في وقت نشط فيه النشاط السلمي ، والدعوة بين القبائل العربية ، وكسب المسلمون في عامين اكثر مما كسبوا من بدء الدعوة ، وأحست قريش بموج الاسلام يحيطها من كل جانب ، فخرقت شروط الصلح ، وبادر الرسول بفتح مكة في العام الثامن ، وبهذا تهيأ الطريق لاسلام الجزيرة العربية كليا ، والانطلاق منها الى القوتين الأكبر : فارس والروم .

رمضان : شاهد ومشهود

لقد كان رمضان شاهد عصر ، تكونت فيه القاعدة الاسلامية الأولى : شهد نزول القرآن ، وغزوتي بدر والفتح ، وايامه مشهودة في تاريخ الاسلام والانسانية وآيته الكبرى : انه جمع الفكرة والتنفيذ والأهداف والوسائل ، والثوابت والاختيارات والمحراب والميدان ، والعبادة والقيادة ، وقيام الليل وسرى الجيش ، وسهر الأعين تحرس في سبيل الله،واستطاع ذلك الجيل ان يجمع في تناسق وايجابية بين مسئولياته ، دون ان يصرفه واجب عن

واجب .

وفي افق النفس الانسانية ، شهد رمضان فرحة المنتصر ، ودمعة الحزين ، والحزن حق ، والصبر حق ، ولنستحضر عودة الرسول منتصرا من غزوة بدر ، ليجد ابنته رقية تجود بانفاسها الأخيرة ، بعد ان ارهقتها الهجرة الأولى الى الحبشة والثانية الى المدينة ، مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنهم اجمعين .

هكذا كان رمضان خلاصة للحياة والمسئولية ، هو الشهر الوحيد الذي ذكر الله اسمه صريحا في القرآن ، ولننظر الى ايامه واحداثه كانها للأشهر الأخرى قائد ودليل . .

وتمضي الأعوام

وفي تاريخ الاسلام الطويل نقف عند ثلاثة ايام اخرى في رمضان تحتاج الى كثير من التأمل والتحليل . . .

(١) يوم في مواجهة الصليبيين : بعد ان اندفعت حملتهم الأولى واستطاعت دخول بيت المقدس ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م . وقتلوا من اهلها عشرات الألوف ، وظلت في ايديهم نحو تسعين عاما ، وكان عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عاما اسلاميا مشهودا في ربيع الأول منه حدث انتصار صلاح الدين على الصليبية لصالح المسلمين ، وان دخلت المعارك في طور جديد ، وفي ذكرى الاسراء والمعراج (٢٧ من رجب) دخل صلاح الدين والمسلمون بيت المقدس في نظام وسلام،ثم كان شهر رمضان فرحة النصر واستعادة المسجد الاقصى والصخرة المشرفة .

(٢) يوم في مواجهة التتار : وكان في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م . . وذلك بعد هزيمة المسلمين وسقوط بغداد قبل ذلك بعامين (٦٥٦هـ) . وانهيار الخلافة العباسية . . ثم صمود المسلمين من مصر والشام بقيادة قطز ، في معركة عين جالوت ، وكانت بدء انحسار الموجة التتارية .

(٣) في مواجهة الصهيونية « واسرائيل »: وكان هذا في العاشر من رمضان ١٣٩٤هـ / ٦ اكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش المصري متعاونا مع اخوانه العرب وبتنسيق بين الأسلحة العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ان يعبر قنال السويس ، ويحطم خط بارليف ويحطم معها اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر . . وهو يوم لا يزال علينا ان نطوره حتى يؤتي ثماره ودون ان نبدد الجهود ـ من بعده ـ في تيه المحادثات ، واعماق التجميد ، ودروب الفرقة والصراعات الداخلية . .

وللغد مشروعه

ان تجارب الأمم اصابع حية ، تشير الى الابداع الذي صنع الماضي واقام الحاضر ، والذي يمهد للمستقبل ، ولا صناعة للمستقبل دون الارتكاز على قاعدة التجربة ، والانطلاق منها الى ابداع جديد .

فلتكن الركائز العقائدية والاخلاقية والثقافية من الثوابت ، ولكن المستقبل « جهاد واجتهاد » نصنع فيه متغيرات جديدة ، تستجيب لحاجات الحياة المتطورة

. . . ونقترب من ارض الواقع الساخن . . والملتهب ، فنقول : ان المشروع الاسلامي المستقبلي ـ بطبيعته وفي اكتماله ـ يتكون من جزئيات هي : قدرات العالم الاسلامي الطبيعية والبشرية ومشكلاته وآماله ، على مستوى دوله واقاليمه واطاره الكبير ، وما ينبغي ان تظل هذه الجزئيات حشدا او كثيبا ، ولكن على العقول الاسلامية ان تصوغ منها صورة شاملة واضحة المعالم والمراحل والأهداف ، لكل وطن او اقليم او مشكلة فيها قسم معلوم . . هذا مدخل .

● فان لم نستطع ، فلنفكر في مدخل آخر :

هناك قضايا رئيسية تهم العالم الاسلامي : البحث العلمي ، التربية ، الاقتصاد . . فلنحاول بالتدريج استبعادها من دائرة الصراع واحدة بعد الأخرى . ولنعاملها كانها « الهلال الاحمر » . . او « هيئة الامم المتحدة » . . ومن تعاونها ونجاح التجربة فيها ، يذوق العالم الاسلامي ـ من جديد ـ طعم التعاون والمشاركة وثمارها الطيبة ومن طبيعة النجاح ان يقود الى نجاح اذا صدق العزم .

● فان لم نستطع . فلنفكر في مدخل ثالث :

ان نركز كل جهودنا على ايقاف النزيف الاسلامي والحروب والصراعات الداخلية بيننا . . وهي معارك ان كان فيها منتصر ومهزوم فالكل فيها خاسرون. □



اجتهادات ومواقف !

بقلم : الدكتور محمد عمارة

ظفرت المرأة في ظل العقيدة المحمدية والحضارة الاسلامية بالتكريم والتكافؤ مع الرجل ، ثم سُلبت الكثير من حقوقها في عصور الجمود والتخلف . والتبست الأمور على المسلمين المحدثين ، حتى على بعض الصفوة المجتهدين منهم ، مما استوجب التبيين والايضاح .

لا ينكر منصف ما تمتع به الاستاذ المودودي من ملكة اجتهادية وتجديدية ، تركت « لمحات » من الفكر التجديدي في عدد من القضايا التي عرض لها بالبحث والتمحيص .. وهذه « اللمحات » التجديدية تسلكه ـ ولا شك ـ في أعلام الصحوة الاسلامية المعاصرة ، الذين لم يتصدوا فقط لتغريب الحضارة الغربية ، وانما تصدوا أيضا « للتخلف الموروث » ، واجتهدوا لتجاوز ركام عصور الجمود والتراجع « المملوكية ـ العثمانية » بحثا عن البديل الاسلامي الحضاري ، القادر على التصدي لفكرية الحضارة الغربية ذات الطابع المادي الالحادي الذي لاشك فيه .

لكن موقف الاستاذ المودودي من المرأة لم يكن واحدا من مواقفه التجديدية .. بل لا نغالي اذا قلنا إنه بعض من « التخلف الموروث » في هذا الميدان ! .. وانه قد غدا المنطلق لمواقف جامدة ومغالية يتخذها اليوم نفر من شباب وشابات الجماعات الاسلامية الجديدة التي أقامت وتقيم فصاما كاملا أو شبه كامل مع الواقع الذي نعيش فيه ؟ ..

الخروج على الحشمة الشرقية

ولقد كان الاستاذ المودودي على حق في تصديه لقيم العرى والتحلل والخروج عن الآداب الاسلامية والحشمة الشرقية ، التي غزتنا بها الحضارة الغربية ،

ودفع التقليد بفئات من نسائنا الى طريقها البائس ومستنقعها الراكد . .

لقد تصدى لهذه الموجة المتغربة ، والغريبة ، في الهند قبل التقسيم ، وكتب ضدها كثيرا ، وأفرد لها كتابه عن (الحجاب) . . لكن الذي زاد من انزعاجه هو ما بلغته المرأة العربية من شوط أبعد على درب التقليد للمرأة الغربية ، فلقد فاقت في هذه الأمة زميلتها الهندية بكثير .

وصحيح كذلك أن الاستاذ المودودي يؤكد في كثير من كتاباته على مساواة الاسلام بين المرأة والرجل ، في الانسانية ، وفي تكافؤ فرص السمو لكل منهما . . « فالمرأة المسلمة ميسور لها أن تسمو في النواحي المادية والعقلية والروحية الى أعلى مدارج العلم والرقي التي يستطيع أن يبلغها الرجل في الدين والدنيا ، وليس كونها امرأة ليحول بينها وبين تبوئها مرتبه من مراتب الشرف »

مبالغة في التفرقة

لكن نقطة الخلاف مع الاستاذ المودودي التي نراها قد جعلت الكثير من كتاباته عن المرأة استمرارا « للمحلف » الذي ورثه أمتنا عن الحقبة « المملوكية - العثمانية » ، والذي سبب ، زورا وبهتانا ، الى الاسلام نقطة الخلاف هذه تتمثل في مبالغة المودودي فيما بين المرأة والرجل من تمايز في الطبيعة والاستعداد والكفاية والاختصاص . حتى لقد بلغت به هذه المبالغة حد تصويرهما كما لو كانا خطين متوازيين في هذه الحياة ، من الضروري وجودهما معا ، لكن دون أن يلتقي أحدهما مع الآخر بحال من الأحوال ؟!

لقد تنبه - ونبه - الى معنى « الزوجية » في خلق الله للكائنات . (ومن كل شيء خلقنا زوجين .) فالآية « تشير الى عموم القانون الزوجي وشموله ، ويعلن صانع هذا الكون فيها سر صناعته ، فيقول انه خلق هذا المعمل الكوني على قاعدة الزوجية ، أي أن جميع آلاته (وماكيناته) قد خلقت أزواجا ، وكل ما يُرى من بدائع الصنع في هذه الخليقة ، هو راجع الى تلك المزواجة بين الأشياء » .

وهذه الزوجية والثنائية عنده - في موضوع الرجل والمرأة - لا تعني نفي طرف للطرف الآخر ، فهو كما قدمنا ، يساوي بينهما في الانسانية ، وفرص التقدم والرقي ، لكن في غلو يجعل لكل منهما طريقه الخاص دائما وأبدا ، اللهم الا في حالة الضرورات القصوى التي تبيح المحظورات القصوى كذلك .

فعنده « أن الرجل والمرأة ، من حيث انسانيتهما ، على حد سواء ، فهما شطران متساويان للنوع الانساني ، مشتركان بالسوية في تعمير التمدن ، وتأسيس الحضارة وخدمة الانسانية ، وكلا الصنفين قد أوتي القلب والذهن والعقل والعواطف والرغبات والحوائج البشرية ، وكل منهما يحتاج الى تهذيب النفس وتثقيف العقل وتربية الذهن وتنشئة الفكر ، لصلاح التمدن وفلاحه ، حتى يقوم كل منهما بنصيبه في خدمة التمدن فالقول بالمساواة بين الصنفين من هذه الجهة صواب لا غبار عليه » .

لكن . . بعد « هذه الجهة » يقع الخلاف .

فالمودودي يرى في خلاف الأنوثة للذكورة أمرا يوشك أن يفصل بين ميدان عمل كل من الرجل والمرأة فصلا كاملا . انه لا يقبل « بالتمايز » الذي يجعل هذا الميدان ، أساسا ، للمرأة مع امكان مزاولتها العمل في الميدان الآخر - وكذلك الرجل - بل يصل بهذا « التمايز » بين الذكورة والأنوثة الى حيث جعله يفضي الى « الفصل » المؤسس على « الاختلاف » الكامل و « التباين » التام .

فبعد أن حدثنا عن تساويهما في الانسانية - وتلك بدهية لم يختلف عليها عاقلان - استدرك فحدثنا عن



تباينهما في أمور ثلاثة هي : « القوة والمقدرة الجسدية » و « النظام الجسدي » . . و « الخصائص النفسية » . . ونحن اذا سلمنا بتمايز الرجل والمرأة في هذه الأمور « تمايزا نسبيا » ـ وتلك حقيقة ـ فلن يعني ذلك الانفصال الكامل بين ميداني عمل كل منهما ، لكن المودودي لا يعني « التمايز » ولا الخلاف والاختلاف « النسبي » وانما يتحدث عن « اختلاف تام » حتى ليذهب فينسب الى « علم الأحياء » أن بحوثه قد اثبتت اختلاف الرجل عن المرأة « في كل شيء » !

دائرة عمل الرجل

وعبارات المودودي ، هذه التي تأسس عليها غلوه في التفرقة بين المرأة والرجل ، يقول فيها : ان المساواة في الانسانية بين المرأة والرجل ، لا تعني « ان تكون دائرة عمل الرجل والمرأة واحدة . . ولا يصح أن يرى هذا الرأي مالم يثبت أنهما متماثلان في : قوتهما ومقدرتهما الجسدية . وأيضا في نظامهما الجسدي ، وقد كلفتهما الفطرة نوعا واحدا من الخدمات ، وانهما متشابهان كذلك في : خصائصهما النفسية . أما التحقيق العلمي الذي قام به الانسان الى هذا اليوم فينفي ويبطل كل هذه الأمور الثلاثة . . فهذا علم الأحياء قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء ، من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية الى ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية .

ونحن نقول ـ دون أن نتعدى اختصاصنا الى اختصاص الآخرين ـ ان قطع الاستاذ المودودي باختلاف المرأة عن الرجل في « كل شيء » ، هو غلو لا أعتقد أن حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة قد أقرته حتى الآن . . هناك « تمايز » بينهما يؤهل المرأة لميدان « أكثر » من الآخر ، وليس « دون » الآخر . . ومثل ذلك بالنسبة للرجل . . ولنضرب مثلا شهيرا في نظرة الاسلام وفكره في هذا الموضوع .

في الحديث الشريف الذي يرويه ابن عمر ، يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع عليهم ، وهو مسئول عنهم . والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على بيت سيده ، وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

في هذا الحديث وجدنا « البيت » موضوعا لرعاية رعاة ثلاثة : الرجل وزوجته وخادمه . . وبين الثلاثة تمايز في الاختصاص والكفاية ونطاق الرعاية ونوعها . . لكن بينهم اشتراك في « الرعاية » وفي « ميدانها » فالتمايز لا يعني « افتراق » الطرق ، كما هو حال الخطوط المتوازية ، دائما وأبدا ، دون التقاء !

ثم ، ان انصار « افتراق » الميادين واختلافها ، بين الرجل والمرأة ، يتحدثون حديث الاستاذ المودودي عن اختصاص المرأة فقط « بتربية الاولاد وواجبات البيت » وعن أنها ملكة هذا البيت وراعيته ، وهو مملكتها ورعيتها . . على حين قد رأينا الحديث يجعل من البيت مملكة للرجل ورعية له زوجا كان أو خادما ، كما أفصحت أحاديث أخرى ـ سننشير لبعضها ـ وواقع الحياة ووقائع التاريخ في صدر الاسلام أن الميادين ـ خارج المنزل ـ لعمل النساء مع الرجال . . فالتمايز حقيقة ، والاشتراك أيضا حقيقة ، أما ما لا نوافق عليه فهو تصوير « التمايز » في صورة « الاختلاف التام » في « كل شيء » كما قال الاستاذ المودودي .

إن الاستاذ المودودي يرتب على المقولة التي تزعم : الاختلاف التام بين الرجل والمرأة في كل شيء ، الاختلاف التام والافتراق الكامل في ميادين عمل كل منهما ـ اللهم الا في الضرورات التي تشبه الكوارث والنازلات ، فعنده انه « اذا روعيت هذه القسمة الطبيعية بين الصنفين ، كان تنظيم الأسرة وتعيين وظائف الرجل والمرأة في الحياة على ما يأتي :

١ ـ الى الرجل تكون عيالة الاسرة ورعايتها ، والقيام بما هو عسير وشاق من خدمات التمدن ، فيكون تعليمه وتربيته على النحو الذي يجعله أنفع ما يكون لهذه المقاصد .

٢ ـ والى المرأة تكون تربية الأولاد وواجبات البيت ، والعمل على جعل الحياة المنزلية بحبوحة أمن ودعة وراحة ، فتتحلى بأحسن ما يكون من التربية والتعليم لأجل قيامها بهذه الخدمات .

٣ ـ وجعل القوامة والحكم والأمر على سائر

الأسرة ، في حدود القانون للرجل .

٤ ـ ويجب أن تقرر في نظام التمدن التحفظات اللازمة لادامة هذه القسمة والتنظيم في وظائف أفراد الأسرة ، حتى لا يستطيع السفهاء أن يخلطوا بحماقتهم بين دوائر أعمال الرجل والمرأة ، فيدخلوا الفوضى على هذا النظام التمدني الصالح . . . » .

دائرة عمل المرأة

والاستاذ المودودي يطرق هذه الفكرة في العديد من الكتب والرسائل والمقالات والخطب التي كرسها للحديث عن مكانة المرأة في المجتمع الاسلامي . . ويؤكد على أن القاعدة الرئيسية في نظام الاجتماع الاسلامي ، هي أن دائرة عمل المرأة هي البيت . . وخروجها من البيت لا يحمد في حال من الأحوال . . فخير لها ، في الاسلام ، أن تلازم بيتها . . فلا تغادره الا للضرورة . . كما جاء في حديث :

« قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن » فليس الاذن بخروجهن من البيت الا رخصة وتيسيرا ، فيجب ألا يحمل على غير مقاصده ومعانيه .

وأمام هذا الطرح لهذه القضية ، يحسن بنا أن نسأل :

* اذا كان الاسلام قد أباح للمرأة الخروج من البيت للضرورة . . ففيم الفرق بين خروجها منه وخروج الرجل منه ؟ وهل يخرج الرجل من بيته صعلكة ، وبلا سبب ، وعلى غير هدي ؟ أو أن الضرورات ـ على تفاوتها ـ هي التي تحكم تصرفات كل العقلاء رجالا كانوا أو اناثا ؟! . . .

* وهل تقف الضرورات عند حد ؟ أو تنمو مع الزمان والمكان والمشكلات ؟

لقد دعت الضرورة خروج المرأة المسلمة الى ميادين القتال ـ طبيبات ومساعدات ومقاتلات ـ في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحدث الاستاذ المودودي عن ذلك ـ فهل نمنع اليوم جهادها للاستعمار ، وقد غدا جهاده فرض عين على المرأة والرجل باحتلاله الأجزاء من دار الاسلام ؟

ولقد بايعت النساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في صدر الاسلام فكانت بيعته لهن ، وفق حديثه اليهن ، الذي ترويه الصحابية أميمة بنت رقيقة ، اذ تقول : « جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، في نسوة نبايعه فقال لنا : فيما استطعتن وأطقتن » .

فهل نعتبر أن معيار الشئون التي تخرج المرأة لها من البيت هي كل ما تستطيع وتطيق ؟ أو نضيق هذه الدائرة في القرن الخامس عشر الهجري عنها في القرن الهجري الأول ؟

ولقد شاركت المرأة في عصر البعثة ، مع الرجال في بيعة العقبة ـ التي هي عقد تأسيس الدولة الاسلامية الأولى ـ وهذا عمل سياسي من الدرجة الأولى . . فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل لمشاركة الرجل في سياسة مجتمعنا ؟ أو نمنعها الآن ما تمتعت به في صدر الاسلام ؟

واذا كان الاسلام قد أعطى المرأة استقلالا في « الذمة المالية » قبل كل الحضارات الانسانية الأخرى ، فهل نبيح لها اليوم الخروج من المنزل زارعة وتاجرة تنافس الرجال ـ حفظا لثروتها وتنمية لها ـ في هذا الميدان ؟ .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعانا الى أن نأخذ نصف الدين ـ والسنة بخاصة ـ عن زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . . فكانت تنهض بـ « الافتاء » في الدين . . فهل نبيح لمن حقه الافتاء في الدين أن يفتي في الدنيا . . أو أن سياسة الدولة أرفع من سياسة الدين وفقهه ؟

واذا كان مذهب الامام محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ ـ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م) قد أجاز أن تكون المرأة قاضية في كل أنواع الخصومات والمنازعات ، قياسا على جواز افتائها في الدين . . فهل نبيح لها الخروج لمزاولة مهام القضاء ؟

اذا كان الاسلام قد عرف المرأة ـ منذ سنوات ظهوره الأولى ـ مشاركة في هذه الميادين : السياسة ـ والقتال ـ والطب ـ والفتوى ـ والتجارة ـ والزراعة والحرف الصناعية . . وذلك فضلا عن رسالتها الأولى والعظمى وهي ادارة البيت ، وصناعة الأجيال الجديدة ، واحاطة الزوج بحنان المودة ، والسكن الذي اليه يسكن ويستريح ـ فهل نبيح لها الخروج اليوم ، من بيتها لتسهم مع الرجل في هذه الميادين ، وفق ما « تستطيع وتطيق » وعلى النحو الذي لا يلغي أنوثتها ولا يطمس طبيعتها ، فتختل حكمة التزاوج بين « الشقين المتكاملين والمتساويين » الرجل

والمرأة . . أنبيح لها ذلك ؟ أم نستحضر قيود عصر الحريم في الحقبة « المملوكية - العثمانية » وهو عصر التراجع والجمود - لنضعها في أعناق المرأة باسم الاسلام والاسلام منها براء ؟

ثم ، اذا كان الاسلام قد عرف المرأة المسلمة مشاركة في هذه الميادين العامة . . فهل نهيىء لها أن تعلم وتتعلم علوم هذه الميادين وفنونها « وفق الطاقة والاستطاعة » - سياسة . . وقانونا . . وفنون قتال . . واقتصادا وتجارة وزراعة . . وصناعة . . الخ . . الخ . . أنهيىء لها ذلك ، ونبيحه ونترك لها حرية الاختيار ؟ أنصنع ذلك فنسلحها لدخول الميادين التي أباح الاسلام لها النزول الى ساحاتها . . ؟ أو نقف بها ، فقط ، كما قال الاستاذ المودودي عند « تعلم » ما يتعلق بشئون البيت والأولاد ؟

مدى قوامة الرجل

ان الاستاذ المودودي - وهذا موطن الخطأ في فكره عن المرأة - يخطىء في فهم « مضمون » قوامة الرجل على المرأة ، ودائرة هذه القوامة ونطاقها ، فالقوامة هي درجة في سلم القيادة « وليست كل هذا السلم . . فهي لا تلغي دور المرأة ، وانما تعطي درجة أعلى بين إرادات قائدة ، وليس في فراغ من الارادات القائدة . . فالرسول عندما يأمرنا اذا سرنا ثلاثة في طريق ، أن نختار أحدنا أميرا علينا ، فهو يعني القيادة التي تحسم عند الصراع ، وتعارض الارادات القائدة ، وكذلك قوامة الرجل على المرأة ، فإنها لا تعني انه القائد وحده . . وانما تعني ارتفاع مكانته-اذا أهلته امكاناته - درجة تتيح له اتخاذ القرار ، في ضوء الشورى ، وليس الانفراد الذي ينفي ارادة المرأة وقيادتها . . ولو لم يكن هذا هو المضمون الاسلامي « للقوامة » لما أمكن أن يكون كل من الرجل والمرأة راعيا في ميدان واحد ، هو البيت . . فهما أميران - راعيان - وقائدان في ذات الميدان . . والقوامة درجة أعلى في سلم القيادة وليست السلم بأكمله ؟

ولقد يكون فهم الاستاذ المودودي للقوامة في المنزل غير بعيد عن هذا الفهم الذي قدمناه ، فهو يقيد القوامة بأنها « ضمن حدود القانون » لكن فهمه لنطاقها ، الذي يمد هذا النطاق الى سائر ميادين المجتمع ، ومضمون هذه القوامة لديه فيما وراء المنزل ، هو الذي يثير علامات الاستفهام حول مدى حظ هذا الفهم من الدقة والصواب . . !

فنحن نراه يستخدم مصطلحات من مثل : « إن المرأة تابعة للرجل » وإنها « لم تُمنح حرية الارادة والاختيار مثل ما أعطيه الرجل البالغ » .

والأهم من ذلك انه يجعل من قوامة الرجل على المرأة في الميدان الاجتماعي والسياسي ، أي كل الميادين الخارجة عن المنزل ، « نفيا » لارادة المرأة من هذه الميادين ، فيقطع بتجريدها من كل الولايات ، ويضعها في مرتبة أدنى من المرتبة التي وضع فيها أهل الذمة - كما تصورهم في دار الاسلام ودولته ، فهو يجرد المرأة المسلمة من الحق في أن تسهم في عملية الشورى التي هي فريضة اسلامية عامة ، وصفة من صفات المؤمنين ، وفلسفة للأسرة ونظام الحكم على السواء . . وعندما يسأله سائل : هل يعود الضمير في الآية (وأمرهم شورى بينهم) الى الرجال وحدهم دون النساء ؟ ألا يمكن أن يكون هذا الحكم شاملا للنساء مع الرجال » ؟ .

يجيب الاستاذ المودودي : « ان القرآن لا يعارض بعضه بعضا ، ولا تخالف آية منه آية أخرى ، بل هي تشرحها ، فالقرآن الذي قيل فيه (وأمرهم شورى بينهم) جاء فيه نفسه (الرجال قوامون على النساء) وهكذا أوصد القرآن على النساء باب مجلس الشورى وهو قوام على الأمة كلها .

ثم يمضي الاستاذ المودودي ، فيستند الى آية القوامة والى حديث « لن يفلح قوم ولّوْا أمرهم امرأة » في تقرير عزل المرأة عن كل مناصب الدولة فيقول « ان المناصب الرئيسية في الدولة - رئاسة كانت أو وزارة أو عضوية مجلس الشورى أو ادارة مختلف مصالح الحكومة - لا تفوض الى النساء » .

وذلك على الرغم من معرفة المودودي بان ملابسات هذا الحديث تخصصه ، فلقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عمن تولى ملك فارس بعد موت كسرى ؟ فقالوا له : ابنته . . فقال هذا الحديث ، نبوءة سياسية بزوال الدولة الكسروية ، وانتصار العرب بالاسلام على الظلم التاريخي للدولة الفارسية . . رغم هذه الملابسات التي تخصص عموم هذا الحديث ، يمضي الاستاذ المودودي ليقول ،

استنادا اليه : « ان السياسة والحكم خارجان عن دائرة أعمال المرأة » .

لقد أعطى الاسلام الحق للمرأة - بل أوجب عليها - أن تجتهد في الدين ، وحجر عليها الاستاذ المودودي الاجتهاد في شئون الدنيا .. فكانت مقولته هذه - رغم اجتهاداته وتجديداته - ترديدا لبعض من تخلفنا الموروث » .

مجال الحجاب وحدوده

وفي قضية الحجاب يتسم فكر الاستاذ المودودي بالغلو أيضا .

فهو يرى أن الأصل والحكم الاسلامي هو حجب المرأة بالمنزل ، الا للضرورة القصوى - ولقد رأينا ان ما أباحه الاسلام للمرأة من ضروب الأعمال الدنيوية ، يستحيل النهوض به وهي محجوبة بالمنزل ، وهو يستدل على وجوب ملازمة المرأة المسلمة منزلها بتعميمه الأمر والحكم في الآية (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وينفي الاعتراض القائل بان هذه الآية وحكمها خاصة بنساء النبي ، صلى الله عليه وسلم فيقول : (وهل كان بنساء بيت النبي عجز دون سائر النساء لا يدعهن يقمن بالأمور خارج البيت ؟ » .

ونحن بدورنا نسأل الاستاذ المودودي : وهل كان بنساء بيت النبي عجز عن العشرة الزوجية ، حرم الله بسببه زواجهن من أحد بعد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ؟ أم ان تلك خصوصية لا يصح فيها التعميم ؟ لقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحكم النبوة ، وبحكم الامارة ورئاسة الدولة ، خصوصيات ، وعندما يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين : (ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، إن ذلكم كان عند الله عظيما) ، عندما يقول الله للمؤمنين لا تنكحوا أزواج النبي من بعده ، نفهم أنها خصوصية لبيت النبوة ، وليست عجزا من نساء النبي عن المعاشرة لغير النبي ، عليه الصلاة والسلام .. وكذلك كان زواجه صلى الله عليه وسلم ، بأكثر من أربعة هو خصوصية وليس زيادة في القوة الجنسية عن الآخرين .

على أن سياق آية (وقرن في بيوتكن) يقطع بأنها خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وليست عامة في نساء المؤمنين تشهد على ذلك « الفاظ » آيات السياق .. وليس المعنى الذي يحتمل الخلاف والتأويل ، فالله سبحانه وتعالى يوجه الحديث الى نساء النبي ، بخاصة ، في آيات خمس سبقت هذه الآية .. وفيها يقول : (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما .. يانساء النبي لستن كأحد من النساء . ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ، ففي الآيات تصريح بأن نساء النبي لسن كغيرهن من النساء ، وبأن من خصوصياتهن مضاعفة العذاب لهن ضعفين عن الفاحشة المبينة .. ومضاعفة الأجر مرتين عن القنوت لله ورسوله والعمل الصالح .. وفي سياق هذه الخصوصيات جاء الأمر لهن بالقرار في بيت النبي عليه الصلاة والسلام ..

على أننا نقول : أن أمر (وقرن في بيوتكن) ليس معناه ملازمة نساء النبى البيت لايخرجن منه ، بل هو مرتبط ومفسر بقوله سبحانه (ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى) فهو حجاب الحشمة ، والصون عن تبرج الجاهلية ، وليس التزام البيت دائما وأبدا ، ويشهد على ذلك أن نساء النبى لم يلزمن بيوتهن لايخرجن منها بعد نزول هذه الآية ، فلقد كن يخرجن لحاجاتهن ، في حياة الرسول وبعد وفاته ، وخروج عائشة للقتال في موقعة الجمل - في خلافة على بن ابي طالب - شهير ..

والأستاذ المودودي نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول :

« وتتفق الأحاديث على أن أزواج النبي ونساء

المسلمين كن يصحبن النبي ، صلى الله عليه وسلم الى ميدان القتال . . وبقي العمل عليه جاريا بعد نزول الحجاب أيضا »

حسنات الابرار . .

خصوصية الآية ليست بالامر الغامض ، الذي يحتمل الجدل . . ولا القرار في البيت هنا يعني لزومه والاختصاص به دون ماخروج منه الى غيره من ميادين الحياة .

اننا قد نطلب من ولاة الأمور الا يزاولوا التجارة مثلا ، حال توليهم وظائفهم الكبرى . . وقد نحرّم على بعض ذوي المناصب ارتياد بعض الأماكن المباحة ، وقد نمنع فئة من الناس أن ترتدي أزياء أخرى ، رغم أنها غير محرمة . . وجميع هذه خصوصيات ترتبط بالمنصب والمهمة والوظيفة . . ولاتعني النقص أو العجز . . كما أننا نقول : ان حسنات الأبرار سيئات المقربين ، دون أن نظن أن ذنوب المقربين أكثر وأعظم من ذنوب الأبرار . .

ولقد رأينا الأستاذ المودودي يخالف جمهور الفقهاء في نطاق « حجاب » المرأة المسلمة . . فجمهور الفقهاء والمفسرون يرون أن الأصل هو جواز كشف المرأة لوجهها وكفيها ، الا اذا خشيت الفتنة . . أما الاستاذ المودودى فالأصل عنده هو النقاب ، وتغطية جميع أجزاء جسم المرأة ، ولايجوز كشف الوجه والكفين - أوغيرهما - الا للضرورة وهو بذلك قد ارتاد في حركة الصحوة الاسلامية التفكير لظاهرة الغلو بواسطة النقاب التي لا تكتفي بـ « الحجاب » .

كذلك رأيناه يخلط بين « الخلوة الشرعية » التي لاثالث فيها - والتي تغرى بتجاوز الحلال الى الحرام - وبين الاختلاط في الأماكن العامة . . فيحرم الاختلاط بتعميم واطلاق . .

تلك هي نظرة الأستاذ المودودى للمرأة المسلمة ، ومكانها ومكانتها في المجتمع الاسلامي . . وهي نظرة في جملتها من بقايا « التخلف الموروث » الذي نسب - زورا وبهتانا - الى الاسلام . . وليست التعبير بأي حال من الأحوال عن جوهر فكر الاسلام في هذا الموضوع . . ويشهد على ذلك أن هناك رؤى مغايرة لهذه الرؤية ، قدمها أعلام كثيرون في حركة الاجتهاد والتجديد والصحوة الاسلامية المعاصرة . .

الاحول والأعراف

فداعية اسلامي يتحدث عن موقف الأستاذ المودودي هذا فيتعجب قائلا « ومما لايكاد يصدق أن يذهب مفكر اسلامي معاصر كالمودودي الى التمسك بالحجاب (بمعنى نقاب الوجه) كأصل من الأصول الاسلامية ، أو حتى كأدب أو عرف من آداب وأعراف الاسلام ».

وتيار من تيارات الصحوة الاسلامية يقرر في دستوره للمرأه - من بين مايقرر - « للمرأة الحق في أن تزاول التجارة والصناعة والزراعة ، وأن تتولى العقود والمعاملات ، وأن تملك كل أنواع الملك ، وأن تنمى أموالها ، وأن تباشر شئونها في الحياة بنفسها . . ويجوز للمرأة أن تعين في وظائف الدولة ، ومناصب القضاء ماعدا محكمة المظالم ، وأن تَنتخب وتنتخب في مجلس الشورى ، وأن تشترك في انتخاب الخليفة ومبايعته »

وقبل هذا وذاك قال امام التجديد والاجتهاد الاسلامي الحديث محمد عبده « ان الرجل والمرأة أكفاء متماثلان في الحقوق والأعمال ، كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل . . » وليسا - كما قال المودودى - مختلفين في كل شيء عدا الأدمية - (الانسانية) .

وعن القوامة - التي رآها المودودى « تبعية تهمل حرية ارادة المرأة واختيارها أدنى منها عند الرجل » - يقول الامام محمد عبده عن هذه « القوامة » :« انها درجة من درجات القيادة والرئاسة ، يتصرف فيها المرؤ وس بارادته واختياره . . فالمرأة من الرجل ، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن . . ان القوامة التي للرجل على المرأة ، عندما توجب على المرأة شيئا ، فانها توجب على الرجل أشياء »

انها رؤ ى واجتهادات يدخل بعضها في الاجتهاد والتجديد . . ويقف بعضها عند حدود التخلف الموروث . .

وفي هذه الرؤ ى « المحافظة » حتى « الجمود » نجد المنطلقات والجذور لقسمات الغلو - التي تنتقص من قدر المرأة - لدى بعض فصائل المد الاسلامي الحديث ! □

متراسنا الأول

شعر: الدكتور طاهر عبدالمجيد

إلى جرح رمادي كباب الموت لا يُقفلْ
إلى وجهٍ تريد الأرضُ جبهتَه ولا يفعلْ
إلى عين عن الفجر الذي سيجيء لا تغفلْ
إلى حبات سنبلة تقاومُ ضربة المنجلْ
إلى جسدٍ أمامَ الريحِ لا يُثْنى له مفصلْ
إلى من عاد من غده قتيلا قبل أن يُقتلْ
إلى أيدٍ مقيدة برغم قيودها تعملْ
إلى الطفلِ الذي اغتيلت طفولته ولم يَرحلْ
إليكمْ يا أحبائي فؤاداً بالهوى مُثقلْ
وحُبّاً لا حدود له لغير الأرض لم يُبْذلْ
أحيّيكمْ من الأعماق يا متراسنا الأوّلْ
ويا جسراً من الآلام يحملنا إلى الأفضلْ
اذا ما الفجر قد وَلّى فإن خيوطه تُغزَلْ
بأيدٍ قبلُ ما عرفتْ سوى المحراث والمعولْ
ولا مَلَكتْ سوى الخبزِ الذي بدمائها يُجْبَلْ
ومَنَ يهوى عناقَ الأرضِ كيف يموت؟ لا يَسألْ



بقلم : آمين هويدي

بيننا نحن العرب وبين « اسرائيل » صراع طويل ومرير ، وستظل مقولة « اعرف عدوك » صحيحة تماما في محاولات فهمنا الدائم لعدونا . وهذا المقال عرض لواحدة من مكونات الاستراتيجية الاسرائيلية ، يقوم فيه الكاتب بدراسة « علاقة خاصة » بين مصر ـ صاحبة ـ الحق والتاريخ ـ والعدو الصهيوني في واحدة من المشكلات المعلقة بينهما.

أخيرا وبعد شهور طويلة من الاجتماعات والحوار ، ومن الوصل والقطيعة ، ومن الخلاف حول التوفيق والتحكيم ، وصلت الى القاهرة المقترحات الاسرائيلية بخصوص « طابا » داخل مظروف مغلق ومختوم « بالشمع الأحمر » ، وعليه « نجمة داود » ، وفي أعلى ركنه الأيسر عبارة « سري للغاية » ويحمله ممثلنا في « تل أبيب » . وامعانا في أن يتم « الاخراج » في مستوى متميز يليق بالمناسبة ، اتصل رئيس الوزراء شيمون بيريز بالرئيس محمد حسني مبارك تليفونيا ـ كما أذاع التلفزيون المصري في احدى نشراته التي لم يكررها بعد ذلك ، ولا أفصحت عنها صحافتنا ـ ليطلعه على انتصاره بفرض رأيه على الحكومة الائتلافية ، وحماسة طرفها العنيد ممثلا « بالليكود » وعلى رأسهم « اسحاق شامير » وزير الخارجية الحالي « ونصف رئيس الوزراء القادم » بقبول مبدأ « التحكيم » في مشكلة « طابا » .

وبعد أن أذيعت المقترحات الاسرائيلية في كل وسائل الاعلام في « اسرائيل » وفي العالم أجمع ، وبعد أن وصل مضمون الرسالة إلى كل شعوب الأرض ، بدأت في التسرب إلى الشعب العربي « قطعة قطعة » !!

ولا بأس من أن ندون النص الكامل للقرار الاسرائيلي حول طابا ، لأنه يعد نموذجا فريدا للموضوع الذي نحن بصدده ، وهو موضوع « الترابط » .

« النص الكامل »

١ ـ تحل مسألة طابا والنقاط الأخرى المتنازع عليها ، على جانبي الحدود الدولية بين « اسرائيل » ومصر ، عن طريق التحكيم .

٢ ـ اثناء المراحل المبدئية في العملية المنصوص عليها في الفقرة (أ) ، وهي نحو ٨ أشهر ، يعمل المحكمون على حل مسألة طابا عن طريق التوفيق .

٣ ـ تعيد مصر سفيرها المقيم في « اسرائيل » .

٤ ـ يتفق على جدول زمني لتنفيذ الاتفاقيات الموقعة بين « اسرائيل » ومصر ، في مجالات التجارة والسياحة والنقل والطيران المدني ، والثقافي والحوار السياسي .

٥ ـ يتم الاتفاق على صيغة للتحكيم ، تسمح للطرفين بتقديم حججهما بالكامل ، وبتقديم أدلتهما حول المسائل المتنازع عليها ، وتخويل المحكمين سلطة البت في تلك المسائل .

٦ ـ يتخذ قرار بشأن النص الكامل والمحدد لاتفاقية التحكيم ، بما في ذلك هوية وعدد المحكمين ، والفترة التي سوف يستغرقها التحكيم بين « اسرائيل » ومصر .

٧ ـ الترتيبات التي سوف يسري مفعولها في طابا بعد انتهاء عملية التحكيم سوف يتفق عليها ، وهذه الترتيبات سوف تتضمن الحق في حرية الوصول ، وترتيبات الأمن ، والترتيبات المتعلقة بالتسهيلات الموجودة .

٨ ـ تقدم مصر« لاسرائيل » التقرير الخاص بحادث القتل في رأس بركة ، كما تناقش مسألة التعويضات للأسر الثكلى .

٩ ـ ان عودة السفير المصري ، وتوقيع صيغة اتفاق الاحالة للتحكيم ، وعملية التطبيع ، سوف تبدأ كلها بطريقة متزامنة .

١٠ ـ الالتزام بالصفقة الشاملة ـ تحسين العلاقات وعملية التحكيم ـ يشكل كيانا واحدا ، وتنفيذ كل جزء من هذا الالتزام مرتبط بتنفيذه كله .

١١ ـ تتضمن مقدمة الاتفاق اشارة الى رغبة الفريقين في أن يظلا مخلصين لاتفاقية السلام ، ولاتفاقيات كامب دافيد ، فيما يتعلق بكلتا الدولتين .

١٢ ـ تفي الدولتان بما ورد في الفقرة الثالثة من اتفاقية السلام ، وسوف تمنعان الوجود أو النشاط الارهابي ، من أراضي كل منهما ضد الأخرى ، وضد مواطنيهما .

١٣ ـ يعمل الجانبان على منع الدعاية المعادية ضد الجانب الآخر ، وسوف يسمحان بالوصول الحر والمتكافىء لكل منهما لوسائل الاعلام لديهما .

١٤ ـ المسائل الواردة في هذه النصوص ابتداء من فقرة (٣) ـ بما في ذلك نص « اتفاق التحكيم » ـ التي تحتاج الى مفاوضات مع مصر ، سوف تناقش في مرحلة لاحقة ، وتعطى « اسرائيل » موافقتها عليها بعد موافقة مجلس الوزراء .

وكما لاحظنا فإن الاقتراح الاسرائيلي « ربط » بين ثلاث مجموعات ! مشكلة طابا ، وتنشيط العلاقات المصرية الاسرائيلية في كل المجالات ، وعودة السفير المصري الى تل أبيب . والموضوعان الأخيران ليس لهما علاقة على الاطلاق بموضوع « مشكلة طابا » الا انهما وردا في « القرار الاسرائيلي » بل نصت المادة (٩) على أن « عودة السفير المصري ، وتوقيع صيغة اتفاق الاحالة للتحكيم ، وعملية التطبيع ، سوف تبدأ كلها بطريقة متزامنة » مما يعبر عنه بسياسة « الترابط ـ Linkage ـ وليس في نيتنا ـ ولو للحظة واحدة ـ ان نناقش القرار الاسرائيلي ، أو نتحدث عن مشكلة « طابا » من الناحية الواقعية أو القانونية ، فهي ملكنا دون منازع . ليس هذا في نيتي على الاطلاق اذ انني سأقصر حديثي عن « ساسية الترابط » كاستراتيجية معمول بها في السياسة الدولية بوجه عام ، وفي السياسة الاسرائيلية بوجه خاص .

والترابط ـ كما عرفته في كتابي « لعبة الأمم في الشرق الأوسط . . . نحن وأمريكا واسرائيل » ـ هو القدرة على ربط الأحداث والمشاكل الموجودة على المسرح السياسي ، داخل اطار محكم بصيغة « صاحب القرار » ليتعامل معها في وقت واحد بحيث

تحقق المحصلة النهائية ، الاغراض التي يسعى الى تحقيقها . . وتتجسد مثل هذه السياسة على شكل « صندوق » يجمع فيه « صاحب القرار » كل الأوراق الحقيقية والزائفة ، المهمة والفرعية ، ثم يقفل صندوقه بالمفتاح ، ويُحافظ عليه في جيبه ، ولا يعطى منه شيئا الا اذا وضع فيه أشياء . . أي لا يتصرف فيا هو بداخله إلا عن طريق الأخذ الكبير ، والعطاء الصغير ، وعليه ، وهو يفعل ذلك ، فحص الأوراق والتأكد من سلامتها ، حتى يستبعد الزائف منها . . والا أخذوا منه أكثر مما يتسلم ، أو ربما ـ وسط ازدحام الأحداث وارتفاع الصياح وتبادل الاتهامات ـ يدفعون اليه ببضاعة فاسدة ، يسرع في وضعها داخل الصندوق ، ولا يكتشف فسادها الا بعد فوات الأوان .

وقد أحسنت الادارة المصرية صنعاً أثناء أحداث لبنان ، بسحبها « السفير المصري » من تل أبيب وربطت عودته بعدة أمور هي :

* انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان .
* اتخاذ الاجراءات اللازمة للتحفيف عن عرب الأراضي المحتلة .
* خطوات ملموسة للتحرك لحل قضايا المنطقة .
* اعادة طابا وكافة النقاط الأخرى المتنازع عليها .

وكما نرى فان القاهرة ربطت عودة السفير المصري الى تل أبيب بمشاكل أخرى ، المفروض أنها لا بد أن تجد طريقها للحل قبل أن يتم ذلك . المهم الا نلقى بأوراقنا أو نغرقها من أول الأمر ، كما فعل السادات بعد ايقاف اطلاق النيران في حرب ١٩٧٣ .

وبمعنى أدق ، فإن مفهوم الترابط هنا يعني أنه لن يتم التفاوض حول قضية بمعزل عن الأخرى ، فلا بد من الوصول الى تسوية شاملة لكل القضايا أي لا بد أن يحدث التقدم على اتساع رقعة الأحداث ، مما يضيف مرونة الى المفاوضات الجارية ، فمقابل التنازلات في اتجاه ما ، يمكن أن تتحقق مكاسب في اتجاهات أخرى . كل ذلك يتم في ضوء « الترابط الاستراتيجي أو الأعلى » بين القوة والدبلوماسية ، والتفاوض بين الخصوم لا يتناقض مع التهديد باستخدام القوة العسكرية ، أو مع استخدامها بالفعل .

عوامل ضاغطة

وعلى الرغم من أن القوات الاسرائيلية كانت تحاصر الجيش الثالث في الشرق ، وأوشكت أن تحاصر الجيش الثاني أيضا ، الا أنه كانت توجد عوامل أخرى تضغط على الموقف .

* فقد كانت قواتنا في الشرق لم تتخل عن مواقفها بعد ! وتحاول أن تحشد جهودها في الغرب للقيام بهجوم مضاد ، وكان هناك عشرات الأسرى في يد القيادة المصرية .
* ما زال الاتحاد السوفيتي في المنطقة ، بل ومتدخلا الى رأسه في الموقف .
* قناة السويس مغلقة أمام الملاحة العالمية .
* باب المندب مقفول بحكم حصاره على البحر الأحمر وميناء إيلات .
* حظر البترول ساري المفعول ، مما شكل عامل ضغط هائل على اليابان وأوربا الغربية ، وأثار ثائرة الدول النامية .
* ارتفاع سعر البترول أحدث هزات خطيرة في الأسواق المالية العالمية .
* تحول الرأي العام العالمي ضد « اسرائيل » ، وقطعت كل الدول الافريقية علاقتها مع تل أبيب .
* الدول العربية متماسكة مترابطة في معركة المصير .

هذا الموقف جعل « موشيه دايان » يقول في كتاب « قصة حياتي »: اننا في مصيدة سياسية ، وليس في مصيدة عسكرية ، والمصريون لن يسكتوا على وجودنا في الغرب ، واذا تجددت الحرب فإن العالم كله سيقف ضدنا ، فالعالم له مصلحة قوية في البترول وليس في الحق . ثم كتب أن هنري كيسنجر يجتمع ببعض المثقفين الأمريكيين ، ويتحدث اليهم حديثا نشرته جريدة يديعوت أحرينوت الاسرائيلية في ١٩٧٣/١٢/٦ جاء نصه كالآتي : « لا يجوز أن نأمن اشتعال الحرب مرة أخرى ، اذا لم يسكت المصريون على وجود الاسرائيليين في الغرب بسهولة ، فالأمر في غاية التعقيد، إذ أن ذلك يقضي بحصول « اسرائيل » على جسر جوي آخر ، ولم يكن مؤكدا أن الكونجرس أو الحكومة الأمريكية سيوافقان على ذلك ، بعد ان تكبدنا نتيجة لحرب البترول ما بين ٣٠ ـ ٤٠ بليون

دولار حسب تقدير مجلس البترول الوطني كما أن العزلة السياسية كانت ستتزايد ، فاليابان اتخذت موقفا مؤيدا للعرب ، وأصدرت دول السوق الأوروبية المشتركة اعلانها المشهور ، تؤيد فيه الموقف العربي ، وأصبحنا نحن وحدنا الذين نقف الى جانب « اسرائيل » ومعنا ايران

اذن أدرك العالم كله مالدينا من أوراق ، ولكن كان الوحيد الذي لم يدرك ذلك هو رئيس جمهورية مصر محمد أنور السادات ، اذ بعد أول لقاء بينه وبين هنري كيسنجر صرح « هنري » تعليقا على المقابلة ، بأنه يعتبرها « احدى انجازاته الدبلوماسية الفذة ، فقد حققت تحولا رئيسيا في سياسة مصر الخارجية ، وبالتالي في التوجيه العام للمنطقة كلها . » وقد أوضحت ذلك بتفصيل في كتابي « كيسنجر وادارة الصراع الدولي » اذ عددت (الخبطات) ذات الوزن الثقيل التي حققها الدبلوماسي الأمريكي بعد أول لقاء مع السادات ، فكانت بالشكل التالي . -

* اتفاق استراتيجي بين البلدين
* عودة العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وواشنطن .
* الموافقة على النقاط الست وتوقيعها في الكيلو ۱۰۱ طريق السويس ، مما شق الصف العربي .
* التفاوض المباشر بين مصر « واسرائيل » في الاتفاقيات التالية ، واصبح المستحيل ممكنا والممنوع جائزا .
* انهاء الحصار على باب المندب
* ثم توالت زيارات هنري كيسنجر الى المنطقة ليوالي (خبطاته)
* فأعيد فتح القناة مع السماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور فيها .
* تعمير القناة واعادة المُهَجَّرين اليها .
* انشاء المناطق العازلة ، وذات الوجود العسكري المحدود ، ومناطق القوات الدولية .
* رفع حظر البترول .
* التواجد العسكري الأمريكي في سيناء واقامة قاعدة أمريكية في أم خشيب تحت ستار نقاط المراقبة والتفتيش .

لقد تحقق كل ذلك في مقابل فك الاشتباك مع العدو ، واحتاج تحريك الموقف بعد ذلك الى قيام السادات بزيارة القدس ، ثم مفاوضات كامب دافيد ، ثم توقيع المعاهدة مع « اسرائيل »

وكل ذلك تم لأن السادات - الذي كان يدعي أنه من أساطين الاستراتيجية - لم يطبق مبدأ الترابط لا تعط قبل أن تأخذ ، ولا تحل قضية في وجود قضايا أخرى معلقة ، ولا تفرط في ورقة قبل أن تقبض الثمن

وطالما تعرضنا لهنري كيسنجر ، فلا بد أن نحدد أفكاره عن « الترابط » اذ تحدث عنه في رسالته التي أعدها للحصول على الدكتوراة من جامعة هارفارد ، والتي نشرها في كتابه بعنوان « عالم اعيد بناؤه - كاستليري ومتيرنخ واعادة بناء السلام ».

الأمن الناقص

« هل بامكان دولة ما تحقيق كل رغباتها ؟ إن سعي أي دولة لتحقيق « الأمن المطلق » محل شك ، لأنه يتعارض مع تحقيق الأمن للدولة الأخرى ، ومن هنا فإن « الأمن النسبي » أو « الأمن الناقص » هو الذي يمكن تحقيقه ، لأنه هو الامر المعقول في السياسة الدولية والاتحاد السوفيتي هو القوة الوحيدة القادرة على الاخلال بالميزان الدولي القائم ، وهي الدولة التي قادت على الدوام قوى الاضطراب في النظام العالمي . والمطلوب حمل الاتحاد السوفيتي على ادراك أن مصالحه لا تقوم الا في اطار توازنها مع مصالح الدول العظمى الأخرى ، وبالتالي فإن كل مشكلة بيننا وبينه مرتبطة بالمشاكل الأخرى ، بحيث ينعكس التقدم في حل أي مشكلة على التقدم لحل سائر المشاكل المعلقة ، فإذا أراد الاتحاد السوفيتي مثلا الحصول على القروض ، أو حق الدولة الأكثر رعاية في التبادل التجاري ، أو الحصول على التقنية المتقدمة من الولايات المتحدة لتحقيق آماله في التطور ، فعليه أن يدفع ثمن ذلك بالوصول الى حل في مفاوضات الحد من انشاء الاسلحة الاستراتيجية ، فهذا يساعده على تحويل جزء من نفقاته الباهظة في هذا المجال الى الانفاق على انتاج السلع الاستهلاكية . »

ترابط مناطق الانفجار

وانطلاقا من ذلك ، وبالرغم من أن كيسنجر لم يصرح أبدا بسياسته في الترابط ، الا أنه يعتبر أن كل مناطق الانفجار في العالم مرتبطة بعضها ببعض ، وعلى ذلك فإن حل أي مشكلة يتوقف على ما يحدثه من توازن بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي ، وليس مهما حل القضية نفسها .

وسياسة الترابط هذه معناها النظرة الشاملة لكل المسرح ، ثم التحرك على جبهة واسعة بحركات مدروسة متزنة ، ثم التركيز على أضعف نقطة لاقتحامها . . ويعني آخر التحرك على نطاق واسع والاحتراق في جبهة ضيقة . . والتحرك في المواجهة الواسعة يحقق المرونة وتعدد الخيارات والمفاجأة والخداع ، والاحتراق في جبهة ضيقة يحقق مبدأ الحشد وتركيز الجهود .

ولا بد أن نربط بين السياسات والنتائج ، فهذا هو واجب السياسي الماهر ، الذي دائما يحدد سياسته ويدرس عواقبها . ومن المفروض ـ كما هو شائع ـ الربط بين الأرض والسلام ، وخاصة في مشكلة الشرق الأوسط . . البعض يرى اعطاء الأرض مقابل السلام ، والبعض يرى اعطاء قطعة صغيرة من الأرض في مقابل قطعة ماسة من السلام .

ولكن للخلل في توازن القوى ـ الذي يؤثر بدوره تأثيرا مباشرا على مصداقية الترابط ، وخاصة بالنسبة للجانب ـ الأضعف استبدل مبدأ الربط بين الارض والسلام ، بمبدأ الربط بين الأمن والسيادة . والأمن ـ بحكم قوة الطرف الأقوى ومصداقيته لا يضع الحدود السياسية ، واحترامها في الاسبقية الأولى أي أنه يبتكر ما يسمى « بالحدود الآمنة » التي لا تتطابق في أغلب الأحيان مع الحدود السياسية ، أي لا تحقق السيادة الكاملة ، هذا العدوان على السيادة يتراوح بين ضم قطعة أرض بصفة رسمية ـ كما تحاول « اسرائيل » بالنسبة لطابا ، والنقاط الأخرى الحدودية المختلف عليها ـ وبين الانتقاص من حق الدولة في ممارسة سيادتها الكاملة على ساحات متفاوتة من الأرض ، الأرض المنزوعة السلاح ، او الأرض التي لا يتواجد فيها الا قوات مدنية أو قوات عسكرية محدودة ، أو قوات دولية أو متعددة الجنسيات

واذا وصلت الأمور الى هذا الموقف ، يتجسد للعيان مبدأ الترابط بين القوة والدبلوماسية ، ويصبح من المعتاد رسم سياسة طرف من الأطراف على أساس خلق نزاع معين لربطه بنتائج بعيدة كل البعد عن مكان النزاع فالسبب الظاهر لسياسة « اسرائيل » بخصوص نزاع « طابا » هو ضمها نهائيا ، بخلق أمر واقع في المثلث المتنازع عليه ، ولكن حقيقة النتائج المترابطة مع هذه السياسة هي خلق الحافز النشط لريادة تحرك « التطبيع »لتحقيق نتائجه المرجوة ، والعمل كضامن لربط الطرف الآخر بالاتفاقات السابقة ، وعدم اعطائه أي فرصة للتحلل منها

هذه هي سياسة الترابط التي تتعامل على أساسها « اسرائيل » ، وعلينا أن نفهمها وندرسها ، وعلينا في الوقت نفسه أن نتعامل مع مشاكلنا على نفس الأساس ، فالسياسة أخذ وعطاء . ولا يمكن أن نعطي ونعطي ولا نأخذ شيئا في المقابل . مثل هذا العطاء هو التفريط بعينه ، ولكن أن نأخذ بقدر مالدينا من أوراق فذلك من السياسة الحكيمة وما أكثر ما في جيوبنا من أوراق . □

■ الزمان هو المادة الخام لكل شيء في الوجود ـ كل شيء به ممكن ، وكل شيء بغيره مستحيل ! (آرنولد بنيت)

■ وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي (أحمد شوقي) .

■ خير وقت تفقد فيه زمام غضبك ، هو الوقت الذي تتعمد فيه ألا تفعل ذلك (هربرت سبنسر) .



نصير الدين الطوسي

عالم الرياضيات والفلك

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

« كان واحداً من أعظم من أنجبتهم الحضارة العربية ... وظلمه التاريخ فلم ينل حظاً من الشهرة رغم أن كل إنجازات الرياضيات والفلك في عصر النهضة الأوروبية تعود بجذورها إلى أبحاثه ... عن حياته التي تأرجحت بين قاع السجن وقمة المجد يدور هذا المقال »

قال ابن شاكر الكتبي في ترجمته لنصير الدين الطوسي في كتابه (فوات الوفيات) :

« كان رأساً في علم الأوائل ، لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار . قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي وغيره . وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو ، وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه . وابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً ، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها ما يزيد على أربعمائة ألف مجلد . وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة ، وجعل له الأوقاف . وكان حسن

الصورة سمحا كريما ، جوادا حليما ، حسن العشرة ، غزير الفضل .

«ويحكى انه لما اراد العمل للرصد رأى هولاكو ما يلزم عليه فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته ، أيدفع ما قدر أن يكون ؟ فقال الطوسي : أنا أضرب لك مثلا ، يأمر القان من يطلع الى اعلى هذا المكان ويرمي من أعلى طشت نحاس كبيرا من غير أن يعلم به احد ، ففعل ذلك ، فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من كان ، وكاد بعضهم يصعق ، اما هو وهولاكو فإنهما ما حصل لهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع . فقال له : هذا العلم النجومي له هذه الفائدة ، يعلم المتحدث فيه ما يحدث ، فلا يحصل له الروعة ما يحصل للذاهل الغافل عنه .

«وقال هولاكو : لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه» .

من الأسر إلى المجد

واتضح من هذه الفقرة من كتاب ابن شاكر أن الطوسي كان مقربا من هولاكو ، وانه بنى له مرصدا ، وهو ما عرف تاريخيا باسم مرصد مراغة ، وقد ظل الطوسي متوليا ادارة هذا المرصد حتى وفاته ، ومن بعده احد أولاده . فكيف وصل الطوسي الى هذا المركز إبان حكم هولاكو ؟

الحقيقة أن أبا جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي قضى حياة مغامرة قبل أن يستقر به الحال في كنف حكم هولاكو ، وكان عصره هو عصر انهيار الحضارة العربية الاسلامية تحت اقدام المغول ، وقد شهد الطوسي سقوط بغداد في ايدي المغول عام ١٢٥٨م .

لقد كان الطوسي واحدا من أعظم من انجبتهم الحضارة العربية الاسلامية كعالم رياضيات وكفلكي . وفي شبابه وشى به احد وزراء الخليفة المعتصم فأودع السجن ، وفيه انجز معظم تآليفه في العلوم الرياضية ، ثم اسره المغول عام ١٢٥٦م ، وبفضل سمعته في العلوم والتنجيم استخدمه هولاكو ضمن بطانته حتى أصبح وزيرا له .

قال شمس الدين بن المؤيد العرضي يصف منزلة الطوسي عند هولاكو :

«اتخذ نصير الدين العلم عن كمال الدين بن يونس الموصلي ومعين الدين بن سالم بن بدران المصري المعتزلي . وكان منجما بعد ابيه ، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال ، واحتوى على عقله حتى انه لا يركب ولا يسافر الا في وقت يأمره به» .

ولاشك أن مرصد مراغة كان احدى التحف العلمية والتقنية الضخمة في تاريخ البشرية ، وبه يتذكر الطوسي في الكتب العربية والاوروبية باعتبار انه مفخرته الاساسية ، فقد جمع فيه حكماء علم الفلك في ذلك الزمان ، ومنهم المؤيد العرضي من دمشق ، والفخر المراغي الذي كان بالموصل ، والفخر الخلاطي الذي كان في تفليس ، والنجم دبيران القزويني ، وقد بدأ المرصد عمله معتمدا على الأرصاد السابقة له ، مثل رصد المأمون في بغداد ، والرصد البتاني في حدود الشام ، والرصد الحاكمي بمصر (مرصد المقطم ايام الحاكم بأمر الله ادارة بن يونس المصري) .

ويقول شمس الدين الجزري في وصف المرصد : قال حسن بن احمد الحكيم : سافرت الى مراغة وتفرجت في الرصد ومتوليه على ابن الخواجا نصير الدين الطوسي ، وكان شابا فاضلا في التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني ، والشيخ كمال الدين الايكي ، وحسام الدين الشامي ، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئا كثيرا ، منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من النحاس ، الاولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الارض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل .

ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب .

لم ينصفه التاريخ

ان العلامة جورج سارطون يقول ان الطوسي قد خلف وراءه اربعة وستين مخطوطا ، وان معظم مصادره العلمية كانت من عناصر يونانية لأنه كان على علم تام بلغة اليونانيين ، ومع ذلك فكثيرون من

المشتغلين بتاريخ العلم يعتقدون ان الطوسي لم يصب من الشهرة مثل ما أصاب ابن سينا والبيروني وابن الهيثم وابن رشد لانه ظهر في القرن الثالث عشر الميلادي في وقت كان العلم الاوروبي قد بدأ يستيقظ من سباته بعد ان هضم علوم العرب الاولى ، مترجمة باللغة اللاتينية . ويقول نقلا الاستاذ احمد سعيد الدمرداش في مقدمة تحقيقه لمخطوطة (تحرير المناظر لاوقليدس) للطوسي " ولم يلتفت الاوروبيون لمؤلفات الطوسي عندما وجدوا لأول وهلة أن شروحه ومخطوطاته لم تأت بجديد عما ألفوه من علوم ابن سينا وابن الهيثم " .

وتزداد هذه النظرة تأكدا من دراسة كتاب (تحرير المناظر لاوقليدس) وهو كتاب في البصريات عناصره يونانية ، فمفهوم الضوء عند الاغريق والطوسي قوامه استاتيكي ، وهو لايعدو أن يكون خطوطا مستقيمة ليست له سرعة أو دفع كما كان ينظر اليه ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي .

ان فكرة الابصار عند اليونانيين كانت تعتمد على خروج شعاع من العين الى الجسم المرئي ، بينما انجز ابن الهيثم ثورة علم البصريات بنظريته في الضوء الذي يصدر شعاعه من الجسم الى العين ، ووضع نظرية الانعكاس والانعطاف خلال اقامته بالقاهرة في كتابه (المناظر) الذي ألفه بعد وفاة الحاكم بأمر الله . . ومع ان ابن الهيثم قد وضع نظريته هذه في القرن الحادي عشر ، الا ان النظرة اليونانية لعلم البصريات التي سايرها الطوسي ، ظلت هي المعول عليها حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، وهي النظرية التي سايرها من بعد الطوسي تلميذه قطب الدين الشيرازي حتى ابطلها تلميذه كمال الدين الفارسي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن درس كتاب (المناظر) لابن الهيثم واقتنع به .

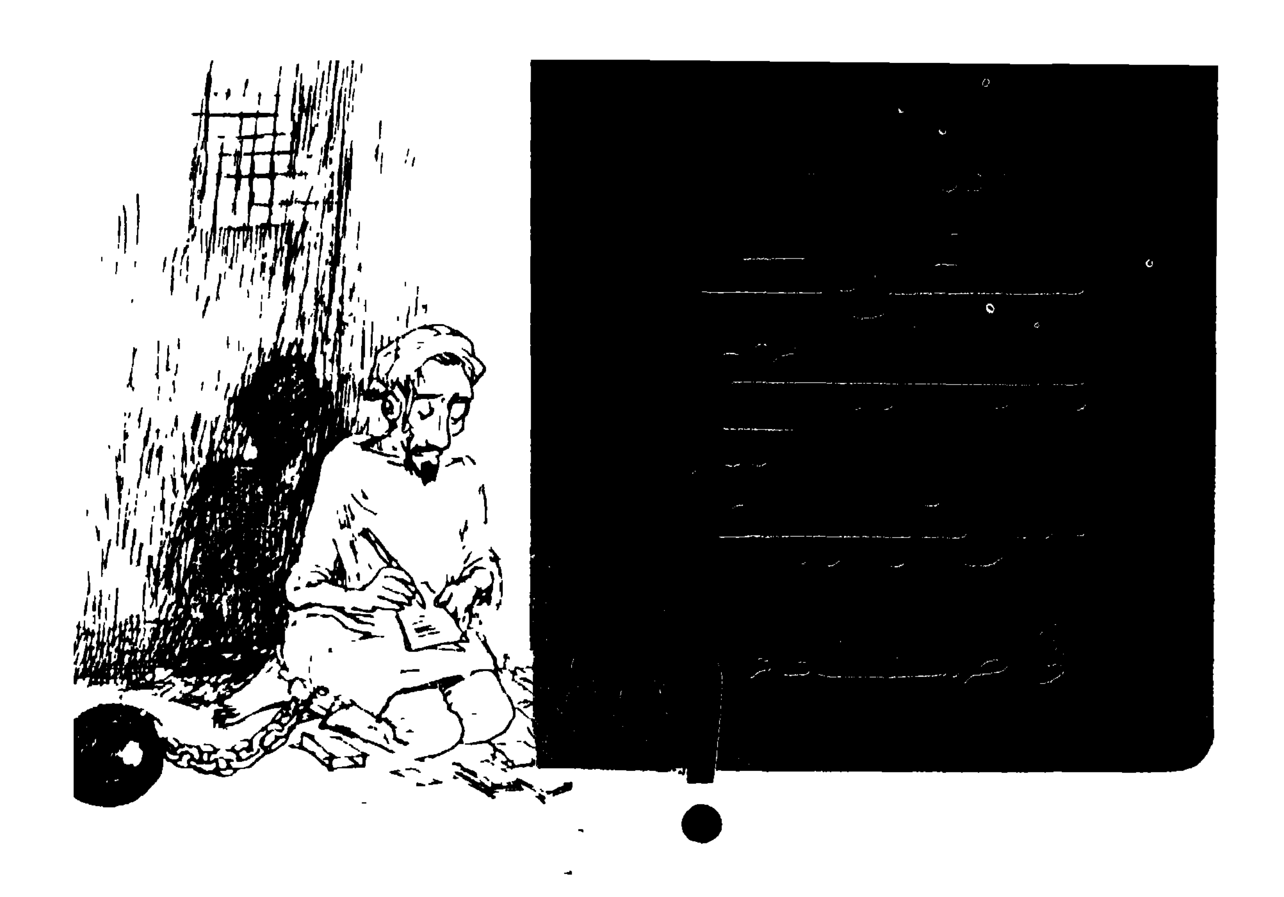
وربما كان لهذا السبب أن برونوفسكي في كتابه (ارتقاء الانسان) يعتبر ابن الهيثم العبقرية العربية الحقيقية لأن افكار ابن الهيثم هي التي أدت الى فكرة المنظور التي كانت ذات التركيز على الفن في اوروبا .

كل هذا صحيح ، لكن الدراسات التي جرت في ربع القرن الأخير قد اكدت فضل الطوسي في ميدان آخر واوضحت انه ليس صحيحا ان الاوروبيين لم يستفيدوا من مؤلفاته في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ويذكر الآن اسم الطوسي في الدراسات الاوروبية مرتبطا بقضية « مسلمة التوازي » في علم الهندسة الاقليدية » ، وكيف أن جهوده كانت بداية الطريق الحقيقي لاكتشاف الاوروبيين لما يعرف باسم الهندسة اللااقليدية .

مهد للعلم طريقاً

ان الاوروبيين يعترفون اليوم بأن الطوسي هو أول من درس (المسلمة الخامسة ومسلمة التوازي) في اصول اقليدس ، وحاول اشتقاقها من المسلمات الأربع التي سبقتها ، أي ان الطوسي حاول ان يقيم علم الهندسة الاقليدية على اساس اربع مسلمات فقط . وفي لحظة من اللحظات بدا أن الطوسي قد اقتنع بأنه نجح في ذلك ، مع ان هذا غير صحيح ، والثابت الآن أن زخاري في اوروبا قد حاول تصحيح برهان الطوسي وان كان لم ينجح في ذلك ، وقد ترجمت كتابات الطوسي في الهندسة بواسطة الرياضي الانجليزي جون والس ، وكانت اساس محاضراته في جامعة اوكسفورد في القرن السابع عشر . وهذا الاهتمام باشتقاق المسلمة الخامسة من المسلمات الاربع الاولى في اصول اقليدس ، والذي بدأه الطوسي هو الذي ادى في نهاية الامر الى قناعة علماء الرياضيات في اوروبا في القرن الثامن عشر باستحالة اشتقاق المسلمة الخامسة من المسلمات الأربع ، والى بناء نسق هندسي جديد دون المسلمة الخامسة ، وهو ما يعرف اليوم باسم الهندسات اللااقليدية .

والثابت الآن ايضا ان الطوسي هو أول من عالج علم حساب المثلثات كعلم مستقل عن الفلك في رسالته (كتاب الشكل القطاع) ، وعليها اعتمد الاوروبيون زمنا طويلا في تدريس هذا العلم في صورته المستوية والكروية ، وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية والانجليزية والفرنسية ، كما ان كتاب الطوسي (تذكرة في علم الهيئة) يمثل خلاصة مركزة للنظريات الفلكية في عصره ، وفيه ينتقد بطليموس في كتاب (المجسطي) ، وتزداد الشواهد على ان هذا النقد بالذات هو الذي مهد لكوبرنيكس القيام باصلاحاته في علم الفلك . □



بقلم : شريف الراس*

مات سقراط في أثينا التي سبقت التاريخ الميلادي بمئات السنين ، بعد أن زرع فيها الحكمة ، بالرغم من جهل الجهلاء ومقاومة الأدعياء . . . ومن ثم دسوا السلم له . أما الزلابية فهي حلويات شرقية . فكيف اجتمع سقراط بالزلابية ، ولماذا أخذ يبيعها في حوارى وأزقة صنعاء ؟ !

الزمان:سنة ١٩٥٣ .
المكان:ركن معتم ورطب في أعماق سحن «نافع الرهيب بمدينة « حجة » اليمنية .

الواقعة شاب يمي صعف نحيف ، مقيد بالاعلال ، منطو على نفسه يؤلف كتابا

سؤال من أين جاء بالورق الذى كان يدون كتابه عليه ؟

جواب وجهت هذا السؤال الى الرجل ، وقد صار الان شيخا كبيرا ، فعرض ذكريات ما قبل ٣٢ سنة قائلا

اتخذت لنفسي لوحا من الصفيح ، وقلما من الخلال ، ومحبرة من مادة العضار البيضاء ثم قمت بجمع الأوراق الداخلية لعلب السجائر ، واستعنت بسجين بقي حيا من رجال قبيله الررانيق ، ليجمع لي ما يستطيع من اوراق علب السجائر ولم يبق الا الحصول على قلم من الرصاص ، أو الحبر .

وكان الشيخ أمين عبدالواسع نعمان في سجن نافع

---

* كاتب سورى ، متعدد الاهتمامات ومتخصص في الكتابة الساحرة ، والكتابة للاطفال

الأعلى مع مجموعة أخرى ، أما نحن فكنا مع الأستاذ أحمد النعمان في سجن نافع الأسفل ، وهو نؤرة كالبالوعة . وكان يوجد في جدار السجن الأعلى ثقب صغير . كان الشيخ أمين يستغل الفرصة ، فيحدثنا من خلاله بطريقة تثير الضحك . وقد استطعنا أن نحصل منه على قلم رصاص . وكانت عملية الكتابة مرهقة الى أبعد الحدود ، فقد كان المكان « الزنزانة » مظلما ليلاً ونهارا وكان « المصباح » قزازة نملؤها بالكاز ، ونشعل ذبالتها القطنية لتعطي قليلا من الضوء وكثيرا من الدخان العاري الخانق . ولكننا ـ مع ذلك ـ كنا نكتب ونكتب بحماسة متدفقة ، دون أن يعترينا الملل لأننا كنا نتصور تصورا يصل الى اليقين الذي لا يقبل الشك ، بأن ما نكتبه سوف يغير كل شيء في اليمن ، بمجرد أن ننشره على الناس وكان عنوان الكتاب . « نحو النور »

القبس الأول

في الورقة رقم « ٤٥ » من أوراق علب السجائر نقرأ بداية حكاية عجيبة ، قد تكون أكثر غرابة من العثور على هذه المخطوطة الثمينة ، بعد أكثر من ثلاثين سنة على ضياعها ونسيانها

قال (بل كتب) :

من هو قبس الحرية الأول في تاريخ القضية اليمنية هذا هو السؤال الذي ألقاه - قبل شهور - أحد الأساتذة المصريين على لفيف من الشباب اليمني المثقف ، الذين يدرسون الآن (١٩٥٣) في الجامعات المصرية . وكنت قد صحبتهم في نزهة على شاطئ النيل

وقد آلمني وأدهشني أن لا يعرف أحد منهم من هو القبس الأول في تاريخ قضية وطنهم فهذا يجيب بأنه الزبيري أو النعمان وهذا يقول انه الشهيد السيد أحمد المطاع ، وهذا يذهب الى انه المصلح الحر أحمد عبدالوهاب الوريث . أما انا فلم أجب لأني كنت أعتقد أن القبس الأول ليس واحدا من هؤلاء على ـ فضلهم ـ لأنهم جاءوا أخيرا

وعندما عدنا من النزهة ، كتبت الى صديق عظيم من أصدقائي أصف له الموقف ، وأتحسر على جهل الأجيال اليمنية تاريخ أقباس الحرية في بلادها ، وأسأله : من القبس الأول في تاريخ القضية اليمنية ؟ وقد رد علي برسالة هذا نصها :

« في الوقت الذي أصاب الدهر اليمن بما أصابها ، وقسا عليها تلك القسوة ، ورماها بتلك الخرافة الكهنوتية ، التي لم تكن في الحقيقة الا كابوس شقاء جاثم في مهجة الشعب ، ووضعها تحت حكم فرعوني ، فإن الله قد منحها في ذلك الوقت نفسه شخصية عربية فذة نادرة المثال والأخلاق ، عبقرية التفكير والسلوك متينة في كل شيء ، في دينها وإيمانها ، وفي عواطفها وحنانها ، وفي روحها وإرادتها ، وفي علمها وأدبها ، وفي حركاتها وسكناتها ، متينة في كل شيء تتناوله أو تصدره » .



بائع الزلابية

« انها شخصية جبارة في تواضع ، خلابة في بساطة ، شجاعة في حكمة ، هادئة في ثورة ، تلهب كل ما حولها .

لاتذهب بخيالك بعيدا ياصديقي ، ولا تبحث عنه في طبقات السادة والقضاة ، ولا في عداد الأسر المشهورة المتمركزة ، ان ذلك القبس لم يكن الا الأستاذ الفيلسوف محمد بن عبدالله المحلوى الصنعاني اليمني ، هذا البطل المغمور ، والمجاهد المجهول ، والمؤمن الصابر ، والشهيد الخالد ، هذا هو ابن

اليمن البكر ، وأسرته لم تكن من الأسر اللامعة في مناصب الحكومة ، ولا الأسرة المعروفة بالثروة والجاه ، وانما هي أسرة من آلاف الأسر اليمنية الشريفة المتدينة ، المتمسكة بالمبادىء الاسلامية والأخلاق الفاضلة ، رغم ما يشوب عقائدها الدينية من خرافات .

وكان يصنع الحلوى ويبيعها .

هكذا شاءت الأقدار لهذا الفيلسوف الحكيم المسلم أن يحترف هذه المهنة ، ولكنه كان مع ذلك يصنع حلوى أخرى هي ألذ وأغلى من الأولى ، كان يصنع بيده حلوى تغذي الأبدان ، ويصنع بعقله ووجدانه حلوى تغذي الأرواح والضمائر ، لقد كان يصنعها من شهد الحكمة ، وسكر المنطق ، ودقيق الأفكار ، ويصهرها بحرارة الايمان .

وهكذا عاش يمد الناس في كل يوم بغذاءين ، غذاء من صنع يده ، وغذاء من قلبه ووجدانه وكاد يعتقد أن عليه رسالة يجب أن يؤديها في الحياة . وهي أن يبث النور في العقول والقلوب ، وأن يكشف للناس حقيقة الطغيان ودجله وتضليله ، حتى لو استشهد في سبيل ذلك .

وكان صبورا الى أبعد حدود الصبر في أداء رسالته ، فتراه يغشى مجالس الناس كل يوم ليبلغ رسالته الواجبة وبالرغم من أنه كان حكيما في تبليغها ، يلقي آراءه بأساليب شيقة ، ويبلغها بما يناسب الأذواق ، فإنه لاقى من سخرية الناس ألوانا ، وسخرية المقت والحسد من فئة أخرى ، وسخرية المستهترين الذين لا يؤمنون إلا بشهواتهم ، يدوسون كل القيم والمعاني السامية . . .

ومن السخريات اللاذعة التي اشتهرت في صنعاء حينذاك هذه السخرية « أعوذ بالله من المحلوى والشقارة » أي السيكارة ـ وكانوا حينذاك يحرمون تدخين السكائر .

ستبكون دما

وحينما دخل الامام يحيى صنعاء ، بعد استسلام الأتراك ، استقبله الناس في جنون من الحب والتقديس والابتهاج . ولكن المحلوى وقف في ذلك اليوم مهموما ، وردد في كل مجتمع هذه الكلمة : « انكم ستبكون دما بعد حين ، وان الامام يحيى سينهب أموالكم حتى يوزركم الحصير » .

وانك وانت تستمع اليه يتحدث أو يناقش لتعجب وتتساءل « أين تخرج هذا الرجل ؟ . . وكيف ألم ببعض العلوم الطبيعية والرياضية ؟ . . وعمن أخذ الفلسفة ؟ . . وكيف فهم الدين الاسلامي الفهم الصحيح بين قوم لا يفهمون من الدين الا القشور والخرافات ؟ » .

لقد شاءت الأقدار أن يأتي الى صنعاء في العهد التركي تاجر ايطالي عرف باسم « يوسف كروتي » وكان من الايطاليين النوادر الذين يعتبرون أن الأرض وطن الانسانية جمعاء ، وعلى الانسان أن ينشر المعرفة أينما وجد . ولذلك اتخذ من متجره مدرسة ، كان من حسن حظ بطلنا الأستاذ المحلوى أن يدرس فيها شيئا من العلوم والفلسفة ، وتأثر بذلك التاجر الايطالي تأثرا فجر فيه ينبوع النبوغ والعبقرية . وكان تاريخ أوروبا وقصة الحرية فيها ، وأقوال جمال الدين الأفغاني ، وبعض ما كتب الأستاذ الامام محمد عبده ، من أعظم ما تأثر به الأستاذ المحلوى ، وهي مما أدخله التاجر الايطالي الى اليمن ، وتعد أول كتب ثقافية تسربت الى أيدي بعض اليمنيين .

وعاش المحلوى يؤدي رسالته في صبر وايمان ، في البيوت وفي الشوارع ، وفي المنتديات والمجالس ، غير مبال بسخط الناس وسخريتهم وتهكمهم . حتى لقد أطلقوا عليه لقب « أوكسجين » للتندر والسخرية ، لأنه تكلم مرة عن عناصر الهواء وتركيبه ، وأدلى بكلام غريب عن غازات من بينها الأوكسجين .

كان كسقراط

وكان المحلوى رحمه الله كسقراط في مخالطته للناس وحبه لهم ، وتلقينهم الحكمة والمعرفة بطريقة الاستنباط والتدليل والمناقشة والبحث . وكان له تلاميذ تأثروا به ، كما كان لسقراط تلاميذ .

وأخيرا ضاقت به حكومة الطغيان والتضليل ، فزجت به في السجن ، ومعه تلاميذه الذين يقدسون الفضيلة والمعرفة .

والسجن في اليمن كان بالوعة موبوءة ، مفعمة بمكروبات الأمراض ، وسرعان ما ترسبت تلك

المكروبات في مجاري دم الفيلسوف المحلوى ، فأسلم روحه الشهيدة راضيا مطمئنا .

اسمع ما قاله في كلماته الأخيرة التي ألقاها على تلاميذه في ظلمة السجن الرهيب . . قال بصوته المرتعش الواهن :

« ها أنا أصعد بروحي الى ملكوت الله حيث الانبياء والشهداء والصديقون ، فلا تجزعوا ولا تقنطوا ، واصبروا واثبتوا فإن الله مع الصابرين » .

« اني ذاهب الى القبر ، وكنت أتمنى لو أن الطغاة سفكوا دمي ، وصلبوا جثتي ، فإن الحرية لاتحيا الا بدماء الشهداء ، فغذوا شجرة الحرية بدمائكم ما استطعتم ، ولا تنتظروا ثمرها ، فان ثمرها غذاء الأجيال القادمة »

« اني ذاهب الى القبر وستلاقون من بعدي عناء مريرا ، وعذابا شديدا ، ونفيا وتقتيلا ، وتنكيلا وتشريدا ، ولكن الحرية ستنتصر في النهاية ، فالعاقبة للمتقين . النهاية لكم . . وحسبي أنا وأمثالي أننا قد غرسنا هذه البذرة المباركة ، ليكون جناها لمن بعدنا » .

وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٥٤ هـ . وقد ناهر السبعين .

وهكذا يا صديقي كان قاتل سقراط أشرف من قاتل المحلوى ، ذاك سقاه السم جهارا بعد أن حاكمه أمام الناس ، وهذا قتله بان جعله طعمة لمكروبات المرض ، التي جعل الملايين من أبناء اليمن طعمة لها أيضا . رحم الله المحلوى ، ورحم الله شهداء أمتنا العربية ٢٥/٣/١٩٥٣م .

انتهى النص الذي نسخناه عن أوراق علب السكائر ، التي كان قد كتبها قبل أكثر من ثلاثين سنة شاب يمني نحيف ، ضعيف البنية ، أصبح فيما بعد نائبا لرئيس وزراء اليمن ، عندما تحررت اليمن من كابوس الحكم الامامي الكهنوتي ، انه الاديب اليمني الأستاذ محمد عبدالله الغسيل ، الذي عثر على مخطوطته المدهشة في صدفة عجيبة ، بعد ثلاثين سنة من الضياع والنسيان □

« جمال المـــــرأة »

من المعروف أن مقاييس جمال المرأة لم تكن واحدة عند العرب ، على اختلاف عصورهم وبيئاتهم وأطوارهم الحضارية ، فالبدو منهم لا يستحسنون ما يستحسنه الحضر ، وأهل الترف منهم يستحسنون مالا يستحسنه البادئون في الحضارة .

فالمرأة اذا كانت بها مسحة من جمال فهي وضيئة وجميلة ، واذا كان حسنها ثابتاً كأنه وسم فهي وسيمة ، فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ، واذا كان النظر اليها يسر الروح فهي رائعة ، واذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة ، واذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية .

واذا كانت المرأة شابة حسنة الخَلق فهي خَوّد ، واذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة ، واذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي عُطبول ، واذا كانت ناعمة البشرة فهي بضّة ، واذا كانت حيية فهي خفرة وفريدة ، واذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة .



بين الطب والأمراض الوراثية ..!

اعداد : الدكتورة فاطمة الغرباوي

هل آن لأمراض الوراثة أن تنهزم أمام ثورة الهندسة الوراثية أو هندسة الجينات ؟

وهل هناك حقا بوادر أمل في اعادة البسمة الى الملايين ممن فقدوا الأمل في حياة هنيئة سعيدة ؟

أوشكت الثورة في علم الوراثة على الانطلاق ، وظهرت البشائر تترى في جميع مراكز الأبحاث ، التي تعني بهذا الموضوع الذي أقلق البشرية ردحا طويلا من الزمن .. هكذا رسمت احدى المجلات العالمية غير المتخصصة ، صورة للصراع الذي يدور الآن بين الطب والأمراض الوراثية ، وقد نقلت هذه التجربة مع طفل صغير شُدَّ وثاقه الى سريره المبطن ، وهو مثبت في كرسيه ذي الأربع عجلات ، من النوع المخصص للمعوقين ، حتى لا يقضم أصابعه أو بعض احدى ذراعيه ، وقد خلعت أسنانه جميعا حتى لا يلتهم شفتيه أو لسانه ــ انه ضحية للشلل الذي أصابه ، والتخلف العقلي الذي مُنِي به .. لم يعد يجرؤ والداه على اصطحابه معهما الى مطاعم مدينتهم في ولاية تكساس الأمريكية ، لكثرة صراخه وشراسته وتصرفاته التلقائية العنيفة أثناء تناول الطعام ، وأمه تتفطّر أسى وهي تقول : اننا ننتظر المعجزة .. ولكن أملنا في الشفاء ضعيف !

هذا الطفل ـ تشاد ـ يعاني مرضا وراثيا نادرا . . . هو مرض ليخ نيهان وهو مرض ينتج عن نقص في الجينات المائة ألف الموجودة في كروموسومات خلايا الانسان ، ونتيجة لغياب هذا الجين ،[1] فإن الخلايا في جسمه تعجز عن انتاج مادة معينة تسمى (H.P.R.T) مجازا واختصارا حتى لا ندخل في متاهات علمية ليس مقامها هنا .

– هذه المادة لازمة لعملية الأيض الأساسية في

خلايا الجسم . وتتراكم بللورات حامض البوليك في كليتي المريض ، وفي مفاصل الجسم ، ويضمر المخ أيضا تبعا لنقص تلك المادة (H.P.R.T) ، وهكذا يبدأ مسلسل الأعراض المرضية على المصاب .

والى وقتنا هذا ، فإن تشاد وأمثاله من المرضى ليس لديهم الا فرص ضعيفة للعلاج ، باستثناء بعض العقاقير التي لا تنفع . . بل انها قد تجر عليهم بعض المضاعفات . . وهكذا فإن المصابين بهذا المرض الوراثي يتوفون وهم دون العشرين .

الأمل في الشفاء

. . ولكن . . هناك بارقة أمل قد تشرق عما قريب ، لتسعد هؤلاء التعساء ، فلقد بدأ مهندسو الوراثة عملهم بتكثيف الجهود في مختبراتهم الخاصة ، التي لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة في الولايات المتحدة كلها ، بدأوا يعملون - لأول مرة - في تجارب لعلاج الجينات غير الطبيعية . . ومن هنا بدأت المعركة من أجل هزيمة الأمراض الوراثية ، فمن خلال عدة طرق تقنية غاية في الدقة حول مادة الـ (D.N.A)[٢] الحيوية في الخلايا ، سوف يحاول العلماء حقن نسخ سليمة من الجين المريض في نخاع عظام المريض بمرض وراثي معين ، فإذا ما تهيأت الظروف ولم يحدث أي عائق ، بدأت هذه الجينات السليمة في انتاج كمية من الأنزيم الناقص ، تكفي لسد العجز الموجود بالجسم . . وبذا يشفى المريض .

ويقول الباحث إهور ليميشكا (Ihor Lemischka) الذي يعمل في معهد هوايت هيد في ولاية ماساشوستش الأمريكية للعلوم البيولوجية الحيوية - وهو معهد مختص في هذه الأبحاث - يقول هذا الباحث : « سوف يكون هذا انتصارا علميا ذا شأن عظيم » ومع التوقعات بطفرة قريبة في الأبحاث في هذا المجال ، تكونت في أمريكا لجنة من المعهد الصحي القومي (.N.I.H) من أجل أن تصدر دليلا متفقا عليه للأطباء العاملين في هذه التجارب المبدئية ، في علاج الجينات غير الطبيعية ، وكان هذا الدليل في صورة أسئلة موجهة للأطباء في مجال تجاربهم ، ومثال ذلك :

هل المرض الذي اخترت علاجه شديد الوطأة ؟

هل من المحتمل أن تكون نتائج التجارب الجديدة أفضل من الطرق السابق اتباعها في العلاج ؟

هل هناك مخاطر سيعاني منها المريض أثناء العلاج ؟

هل يتفهم المريض وأسرته ماذا يعني هذا الجهد المبذول ؟

الخلية المثالية

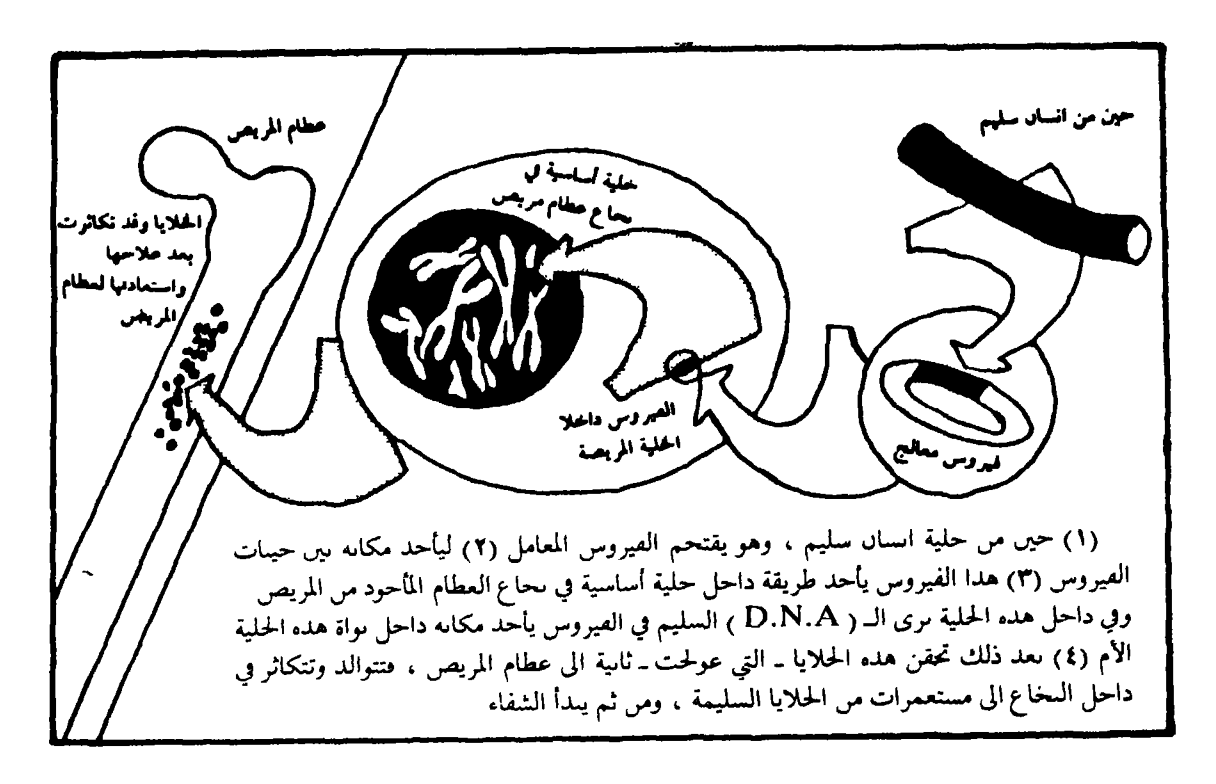
فالعلماء حريصون على تفادي المضاعفات الضارة في أبحاثهم وتجاربهم ، ولذا فهم يعملون جاهدين ، كي تمر كل الاختبارات التي تجري على الانسان دون أخطار ، وقد كانت الصعوبة الكبرى التي صادفتهم هي التخطيط لايجاد طريقة مثلى لاستخلاص عنصر الـ (D.N.A) لادخاله في الخلايا .

فمن الناحية النظرية يجب أن تكون هناك خلية مثالية للعلاج ، وخلية أخرى مثالية لتلقيه ، وهذه الخلايا المثالية هي الخلايا الأساسية Stem cells أو الخلايا الأم ، وهي في نخاع العظام غير ناضجة ، يتولد عنها خلال مراحل نضجها الكرات الدموية الحمراء ، والكرات الدموية البيضاء ، وكذلك الخلايا الأخرى المهمة التي يتوقف عليها انتاج الأنزيمات الرئيسية

ولكن . . هذه الخلايا الأساسية هي أندر الخلايا وأكثرها مراوغة في نخاع العظام . . لذا كان على العلماء أن يزرعوا الجينات السليمة في كل خلايا نخاع المريض ، آملين أن يصل بعضها لتلك الخلايا الأساسية المطلوبة .

وقد لجأ العلماء الى طريقه معينة ، ليتوصلوا لزراعة الخلايا على هذا المنوال ، وبتوسع ، وهي وان كانت تدعو الى الخوف والحذر ، الا أنها تحدث كثيرا للانسان في الأحوال الطبيعية ، هذه الطريقة تتلخص في زرع الفيروسات نفسها في الجسم ، وهذه الفيروسات هي نوع من الميكروبات الدقيقة التي تسبب بعض الأمراض .

« لقد حل الفيروس مشكلة اقتحام الخلايا لنا » . . « قالها متهللا العالم ويليام نيهان ، الذي يعمل في جامعة كاليفورنيا بمدينة سان ديجو ، وهو أحد الباحثين الذين اكتشفوا مرض ليخ نيهان الذي



(١) جين من خلية انسان سليم ، وهو يقتحم الفيروس المعامل (٢) ليأخذ مكانه بين جينات الفيروس (٣) هذا الفيروس يأخذ طريقة داخل خلية أساسية في نخاع العظام المأخوذ من المريض وفي داخل هذه الخلية نرى الـ (D.N.A) السليم في الفيروس يأخذ مكانه داخل نواة هذه الخلية الأم (٤) بعد ذلك تحقن هذه الخلايا ـ التي عولجت ـ ثانية الى عظام المريض ، فتتوالد وتتكاثر في داخل النخاع الى مستعمرات من الخلايا السليمة ، ومن ثم يبدأ الشفاء

نحن بصدد الحديث عنه . « تلك هي الطريقة المثلى » قالها مكملا حديثه بابتهاج .

السؤال المطروح

وهنا يجدر بنا ذكر العالم البارع « ريتشارد ملليجان » المتخصص في التعامل مع الفيروسات بمعهد « هوايت هيد الذي أمكنه بطريقة معينة ، أن يتحكم في فيروس لوكيميا الفأر ، وتمكن بطريقة كيميائية من أن يفقده قدرته على التكاثر ، ثم هو بعد ذلك ، وباشارات مناسبة ، تمكن من تنظيمها وابدالها بالجينات الآدمية بعد مزجها بنوع مساعد من الخلايا ، وهكذا تحول مرض فيروس اللوكيميا الى عنصر مساعد نشط في التجارب الحالية .

وبعد ذلك تم تفريغ النخاع العظمى للفأر ، ووضعه في فرن حاضن خاص ، مع ما نتج عن التجربة السابقة ، أي الفيروس والخلايا المساعدة . . وبعد ٤٨ ساعة وجدت خلايا النخاع وقد اقتحمتها الفيروسات جميعا . . ثم عرض الفأر للأشعة العميقة لقتل ما بقى من خلاياه الأصلية في نخاع عظامه ، وأيضا لافساح المجال الكافي لنمو نخاع عظام جديد . ثم زرع النخاع بخلاياه الجديدة ثانيا في عظام الفأر ، وبعد أسبوعين فقط ، وجد أن الخلايا الأساسية ـ الأم ـ قد انقسمت وبدأت في التكاثر وملء فراغ العظام الخالي !!

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل بعد هذا ما زالت الجينات الجديدة موجودة وواضحة أم تغلب الجسم عليها وقتلها ؟ والاجابة هنا عند العالم « دافيد وليم » ، الباحث في كلية الطب بجامعة « هارفارد » ، والمشارك في أبحاث « هوايت هيد » ، فهو يقول : « اننا لسنا هناك بعد . . ولكننا نقترب من النتائج حثيثا . . » ولك أيها القارىء ان تفهم ما يعنى هو بذلك التصريح . .

وهناك عدة مختبرات أخرى في أمريكا ، تقف تقريبا على نفس المستوى من الأبحاث ، فهذه المجموعة من الباحثين في جامعة كاليفورنيا ـ سان ديجو ـ يستعملون الفئران في أبحاثهم عن جينات الـ (H.P.R.T) ولكن الأبحاث الأكثر اثارة هي التي تجرى في المعهد القومي الصحي (N.I.H) على زرع الجينات في أربعة قرود . . فلقد أفرغ العالم « و . فرنش » بعضا من نخاعها العظمى ، ثم عرض القرود للأشعة العميقة ثم أعاد حقن نخاعها بعد معالجته باضافة بعض الجينات الآدمية له . . والنتيجة . . اذا نجحت تجاربه هذه تصبح ايذانا بمباشرة التجارب نفسها على الانسان .

واتفق العلماء على تحديد ثلاثة أمراض نادرة للبدء في مضمار علاج الجينات الآدمية ، تلك الأمراض نسبتها حالة واحدة في كل مائة ألف مولود . ولقد

أمكن عزل الجينات المريضة ، ودُرست دراسة تفصيلية تمهيدا لهذا الغرض .

عنصر آدمي متميز !

ويأمل علماء البيولوجيا في علاج اثنين من هذه الأمراض ، حيث وجد أن المطلوب لعلاجها كمية ضئيلة من الأنزيمات ، لاصلاح أسوأ الأعراض في المريض المصاب .

والظاهر أن هذين المرضين هما مرض ليخ نيهان ، الذي قضى على الطفل الشهير الذي كان يعيش داخل بالونة كبيرة تعزله عن العالم الخارجي ، وذلك لنقص في بعض أجهزة المناعة لديه .

المرض الآخر هو أيضا الذي يعاني المصابون به من نقص في أجهزة مناعتهم .

وهكذا . . كلما زادت معلومات الباحثين في أمراض الجينات الوراثية ، زادت قدرتهم على قهر مشكلات أكثر تعقيدا من الأمراض الوراثية ، مثل الأنيميا المنجلية والسكر وحتى مرض السرطان .

وعلى الوجه الآخر من العملة نجد أنه كلما ازدادت جهود العلماء الباحثين في هذا المجال ، ظهرت تخوفات وقلق المراقبين الذين يخشون استعمال الـ (D.N.A.) المعالج للآدميين . بل قد يذهب بعض المتطرفين الى تخيل بعض محاولات « هتلرية » لخلق عنصر آدمي متميز عن باقي المخلوقات .

يقول « أ ـ دسق موللر » الباحث في مركز فرد هتشنسن لأبحاث السرطان في سياتل بأمريكا : « انها ليست طريقة لتغيير أصل الجنس ، ولكنها طريقة مبتكرة وذكية لتناول عقار ما ، وهذا هو حال كل جديد ومبتكر . . . »

وتعتمد طرق العلاج على وجود الجين في متناول اليد ليقتحم الخلية ، ولكن الصعوبة الكبرى هي في كيفية عزل هذه الجينات منفردة ،

وفي هذا المجال أحرز العلماء تقدما ملحوظا في استنباط طريقة معينة للتركيز على جين معين ، وقد سميت هذه الطريقة اختصارا (R.E.L.P) ، وهي تعتمد على أنزيمات تساعد على تشكيل عنصر الـ (D.N.A) الى أجزاء بأشكال محددة ، فالعائلات التي يظهر فيها مرض وراثي تكون بها أشكال الجينات متماثلة وهذا مما ساعد العلماء على تحديد المنطقة التي يوجد بها الجين المريض .

والبُشرى الآن . . انه في الفترة الأخيرة من العام الماضي ، أعلن علماء البيولوجيا عن اكتشاف أشكال محددة من الـ (R.E.L.P) ، وعلامات مميزة لبعض الأمراض ، مثل التكيس الليفي الذي يصيب حوالي ٣٠٠,٠٠٠ أمريكي ، وكذلك أشكال محددة تبين الاستعداد الجسماني للاصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية ، ومرض تكيس الكلى ، وكذلك مرض ضمور العضلات .

ويقول « مانويل بوتشوالد من مستشفى الأطفال في تورنتو بكندا ، وهو مشارك في أبحاث اكتشاف العلامة المميزة لمرض التكيس الليفي : « بأن هذا هو أول معول في يدنا للقضاء على هذا المرض » .

ان الاكتشافات في مجال الـ (R.E.L.P) تحدد الموقع المريض في الجين على التقريب ، ولكن الاكتشافات الاخيرة لعلامات الـ (D.N.A) المميزة هي اللبنة الأولى في مضمار عزل الجينات نفسُها . وهناك بارقة أمل ـ على الاقل في الوقت الحاضر ـ كما يقول العالم « جون باكستر » من كاليفورنيا ، ويعمل في الهندسة البيولوجية ، وهو مكتشف العلامات المميزة للاستعداد لأمراض القلب والأوعية الدموية ، ويعتقد بأن نتائج الـ (R.E.L.P) يمكن أن تعمل كانذار لمن هم على استعداد للمرض في الوقت المناسب ، حتى يغيروا نمط حياتهم ، ويضيف محذرا بأن هذا الانذار بمثابة ارتفاع ضغط الدم الى ١٩٠ ملليمتر زئبقي . . . وهو معدل فوق الطبيعي بكثير . . .

وختاماً نقول ما أجل أن نرى البسمة على شفاه المرضى وهم يشفون فإن في ذلك متعة عظيمة دونها كل ملذات الحياة . . . . □

---

١ ـ الجين Gene وهو وحدة العوامل الوراثية التي تحملها الكروموسومات في الخلية .

٢ ـ حمض الديؤكسيريبونيو كليك أسيد

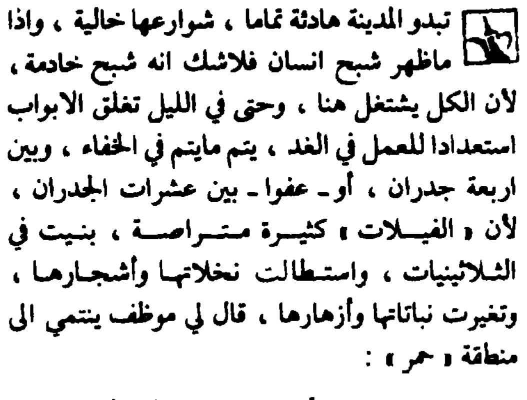
وهو مادة وظيفتها حمل الشيفرات الوراثية في خلايا جسم الانسان ، وهو يختلف تركيبا من شخص لآخر

• قصة قصيرة •



مهمة صحفية

بقلم : محمد زفزاف



تبدو المدينة هادئة تماما ، شوارعها خالية ، واذا ماظهر شبح انسان فلاشك انه شبح خادمة ، لأن الكل يشتغل هنا ، وحتى في الليل تغلق الابواب استعدادا للعمل في الغد ، يتم مايتم في الخفاء ، وبين اربعة جدران ، أو ـ عفوا ـ بين عشرات الجدران ، لأن « الفيلات » كثيرة متراصة ، بنيت في الثلاثينيات ، واستطالت نخلاتها وأشجارها ، وتغيرت نباتاتها وأزهارها ، قال لي موظف ينتمي الى منطقة « حمر » :

كان ممنوعا علينا أن ندخل الى هذه المدينة عندما كنا صغارا ، قبل الاستقلال ، وكان يسمح للخادمات ، وحدهن بذلك ، ولكننا كنا نستطيع أن نتسرب ونتجنب أعين العسس المغاربة والفرنسيين ، وكنا نتلصص على الفرنسيين وهم يرقصون ، ويشربون ، ويتعانقون ، ويأكلون الشواء ، وغير ذلك ، كانوا يعيشون في جنة ، ويقيمون الحفلات ليلة السبت في الشوارع .

وصلت الى هذه المدينة قبل حوالي ثلاثة أيام ، في مهمة صحفية لاجراء تحقيق عن وضعية عمال مناجم الفوسفات ، استطعت أن أتجول بالسيارة بين الفيلات ، وفي الحي الشعبي خلال ساعة واحدة فقط ، كانت الفيلات متشابهة الهندسة ، وليس هناك مايميز الواحدة منها عن الأخرى ، في حين أن الحي الشعبي مبني بطريقة عشوائية ، شأن باقي الأحياء في المدن الأخرى التي عرفت .

استطاع الموظف أن يربط معي علاقة بسهولة ، كما انه قدم لي موظفين آخرين يرتادون نفس النادي التابع لمكتب الفوسفات ، انهم يعرفون بعضهم ، فهم يلتقون كل يوم في العمل والنادي ، وربما كانوا يتزاورون كذلك ، كنت الوجه الغريب بينهم ، وفهمت أنهم في حصارهم ذاك يريدون أن يتسقطوا أخبارا من خارج مملكتهم : من خارج عالمهم اليومي المتكرر ، وخمنت أنهم يعيشون عزلة نفسية قاسية ، رغم شساعة « الفيلات » وتوفر السيارات ، وأجهزة الفيديو ، ووسائل التسلية الأخرى . لكن كل ذلك بدا لي عبثا في عبث ، وتصورتهم مثل الأطفال ، كلما امتلكوا لعبة طمعوا في أخرى جديدة ، دون أن تنتهي رغباتهم أبدا ، وهذا مايشعرهم بوحدتهم وبرتابة



العربي ـ العدد ـ ٣٣٠ ـ مايو ١٩٨٦

بقلم : محمود المراغي

رحلة المعونات في زمن العجز !

المعونات الدولية كلمة قديمة نشط استخدامها عقب الحرب العالمية الثانية

في ذلك الوقت كان الدمار واسع النطاق ، وكانت الحاجة للتعمير تخلق حاجة لرأس المال . . وبينما كان العالم القديم (أوروبا) يعانى بسبب الحرب ، كان العالم الجديد (أميركا) بالوفرة والقدرة على تصدير رأس المال .

وقد ظل استخدام الكلمة يحمل المعنيين . القرض والمنحة أو الهبة . . كما ظل هذا الاستخدام ـ في معظمه ـ مقصورا على العالم المتقدم ، فهو وحده الثرى . . وهو وحده القادر على أن يعطى . . وقد اتسع هذا العالم ليضم الشمال على اتساعه من الشرق الأوروبي الى الغرب الأوروبي ، ومن اليابان الى الولايات المتحدة الأمريكية . . كذلك فقد نشأت المؤسسات الدولية كالبنك الدولى للانشاء والتعمير ، وصندوق النقد وغيرهما من مؤسسات مهمتها : تقديم العون .

وبالطبع كان العون الاقتصادى على رأس أنواع العون . في السبعينيات كان هناك جديد مهم .

لقد حدثت صدمة النفط الأولى . . وأعادت الدول الصناعية تكييف اقتصادياتها خلال شهور قليلة . . بينما بقيت الدول النامية . . مستوردة للنفط ومصدرة له تبحث عن طريقة للتكييف .

في جانب الدول المستوردة ـ ونتيجة لارتفاع أسعار النفط اعتبارا من عام ١٩٧٣ ، وارتفاع أسعار السلع الصناعية بعد ذلك ـ وقع عجز ضخم في موازين مدفوعاتها مع العالم الخارجي . . ووقع عجز في الميزانيات الحكومية للكثير منها . . وكان السبي[ل] الأيسر : الالتجاء الى الخارج لسد هذا العجز .

على الجانب الآخر كانت اقتصاديات معظم بلدا[ن] الأوبك ذات قدرة استيعابية محدودة ، لقد زاد[ت] أسعار النفط الى نحو أربعة أضعافها في العالم الأول ثم توالت الزيادات . . بينما لم يزد النشاط الاقتصاد[ي] المحلى بنفس السرعة ، ولم يكن متاحا أن يساير النـ[ـمو] الاقتصادى النموُّ المالى

كان منطقيا أن تكون هناك عوائد قابلة للتصدير وأن تأخذ هذه العوائد مسارات مختلفة ، من بيـ[ـنها] تقديم العون الاقتصادى على المستوى الدولى .

قد نختلف الآن حول استخدام كلمـ[ـة] « فوائض » . فالحقائق تقول ان النفط ثروة ناضـ[ـبة] ومؤقتة مهما طالت بها السنوات . . والتجربة تقول ا[ن] سنوات الرواج قد انحسرت ، والأسعار قـ[ـد] تراجعت ، والعودة لارتفاع جديد وعاجل ا[في] الأسعار . . خارج التوقع .

اذن فلم يكن ما أسميناه فائضا غير فائضـ[ـاً] مؤقت . . لايزيد عن حاجة الاقتصاد في الدول النفطية ، لكنه يزيد عن حاجة « اللحظة » . . . بـ[ـينما] يبقى رصيدا ضروريا للمستقبل .

وقد جاء « المستقبل » في فترة زمنية قصيرة تتجاوز عشر سنوات ، بدأ بعدها الانحسار والعجـ[ـز] والحاجة للمخزون القديم . .

الآن . . يهبط سعر النفط . . وتتراجع العوائد ا[لى] أقل من نصف ما كانت عليه منذ سنوات قليلة . وتواجه دول الأوبك مشكلة التكيف مع الواقـ[ـع]

الحديد . . ويبرز السؤال كيف كانت رحلة المساعدات الاقتصادية خلال حقبة بررت فيها دول الأوبك كأكبر « مانح » دولي ؟ . . والى أين تمضي الرحلة الآن ؟ . وما هو تأثير الانكماش على الطرفين : الدائن والمدين . . صاحب العون ومتلقيه ؟ . وهل تعود الدول الصناعية لتكون أكبر المانحين ، أم تواجه الدول النامية المتلقية للعون مشكلة في التمويل الدولي ؟ .

قبل ثورة النفط كانت هناك ثلاث دول عربية مصدرة للأوبك ، وذات وزن نسبي كبير في مجال المساعدة الاقتصادية كانت هناك الكويت والسعودية وليبيا . ولكن في حدود لا تزيد عن (٤٠٠) مليون دولار في السنة .

في عام ١٩٧٤ حدثت القفزة ، وبين عامي (٧٤ و ١٩٧٧) - وطبقا لتقرير البنك الدولي - فقد بلغ صافي المنصرف من مساعدات اقتصادية من دول الأوبك (٥) مليارات دولار سنويا وأخذ الرقم يتصاعد ، وبلغ ذروته عام ١٩٨٠ ، حين بلغت المساعدات (٩٫٦ مليار دولار) . ثم عادت للتراجع لتصل الى (٥٫٠ مليار) عام ١٩٨٣ ، ولتأخذ خطا تراجعيا بعد ذلك .

حينذاك ارتفعت الأهمية النسبية لهذه المساعدات ضمن المساعدات الدولية ، وبالقياس للناتج القومي في أي بلد من البلدان المانحة

في عام ١٩٧٥ كانت مساعدات دول الأوبك تمثل (٣٠) بالمائة من اجمالي المساعدات الانمائية الرسمية الدولية من كافة المصادر . وكانت طبقا لنفس المصدر السابق - تمثل (٧) بالمائة من الناتج القومي الاجمالي للكويت ، و (٨٪) من ناتج السعودية القومي الاجمالي ، بينما ارتفعت النسبة الى (١٢٪) في الامارات و (١٦٪) في قطر وفي المتوسط العام فقد أعطت الدول العربية المنضمة للأوبك (٥٫٨٪) بالمائة من ناتجها القومي للمساعدات في عام ١٩٧٥ . لكن الرقم - وبطبيعة الحال - قد تراجع الى (٣) بالمائة عام ١٩٨٣ . .

وربما يبرز سؤال حول المسارات التي سلكتها تلك النقود ذات الحجم الضخم كل عام .

وتقول الاجابة انه بين عامي ٨١ ، ١٩٨٣ كانت معظم المساعدات التي خرجت من دول الأوبك ، وبنسبة تصل الى (٨٠٪) تتجه الى ما يسمى « البرامج الثنائية » . وكان معظم العون وبنسبة (٨٥) بالمائة من هذه البرامج الثنائية لبلدان عربية بينما كان نصيب الدول الأفريقية غير العربية (١٠) بالمائة فقط

وعلى صعيد آخر نجد أن نصف المعونات الثنائية للأوبك خلال تلك الفترة قد اتجه لدعم ميزانيات دول أخرى . بينما لم يتجه للمشروعات سوى خمس (⅕) المساعدات فقط ومعنى ذلك أن الأزمة الاقتصادية التي أصابت البلدان النامية والعلاقات السياسية كانا لهما الأثر الأول في توجيه المعونات بينما حظيت مشروعات التنمية بالقسط الأصغر .

والأكيد أنه ايجابي ذلك الانحياز الذي تبرزه الأرقام للتعاون « العربي - العربي »

أيضا ، وفي مجال الحديث عن رحلة المساعدات لدول الأوبك ، فلابد أن نقول أن ذلك التدفق قد خلق الحاجة لانشاء ادارة متخصصة ، فأنشأت أربع دول هي . السعودية ، والعراق ، والكويت ، وأبو ظبي صناديق خاصة برأسمال مصرح به مقداره (١٦) مليار دولار ونشأ العديد من المؤسسات مثل الصندوق العربي للتنمية الاجتماعية ، وبنك التنمية الاسلامي ، والبنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا . ومما يشير الى أن التحيزات في مجال العون قد امتدت من الدائرة العربية للدائرتين الاسلامية والأفريقية . . على أي حال فإن السؤال الأهم الآن : الى أين تمضي الرحلة ؟

ولا شك أن انحسار المعونات يأتي ضمن الحلول الأولى التي تعالج بها دول الأوبك مشكلة انخفاض العوائد . . ولكن بسبب انخفاض أسعار النفط أيضا سوف تتراجع حاجة الدول المدينة التي مثلت مشتريات النفط بالنسبة لها العبء الأول . . كما أن تحسن الموقف الاقتصادي الدولي قد يتيح تدفقات من الدول الصناعية بنسبة أكبر .

الصورة اذن ليست قاتمة في مجال المعونات الاقتصادية التي احتلت دول الأوبك جزءاً كبيراً منها . . لكن الصورة أيضا تقول : لقد حان الوقت لتعيد كل الأطراف حساباتها .

لقد كانت رحلة الفائض - إن صح التعبير - رحلة سهلة ، أما الآن فالأمر أكثر صعوبة . □



بقلم : خالد سعود الزيد

في بداية هذا القرن كانت المجلات العربية تصل الكويت وبقية مدن الخليج والجزيرة بعد أشهر من صدورها في القاهرة أو بغداد . وكانت المراكب الذاهبة الى الهند وسيلة نقل هذه المجلات .

لكن عشرينيات القرن شهدت حدثا مهما ، هو صدور أول مجلة محلية في الكويت والمنطقة . فكيف بدأت المجلة فكرة ثم لعبت دورها الرائد .

هذا هو موضوع المقال التالي .

ليس من السهل أن يخرج الانسان على مألوف قومه ، فحين يتحجر العقل ، يصبح المألوف إلها معبودا ، فالأوثان ليست أصناما حجرية فحسب ، بل هي كذلك تقاليد جاهلية موروثة ، تجليبها الانسان عصرا من بعد عصر ، فصعُبَ عليه نسخها ، لما أضفى عليها من قداسة مزعومة .

ولقد قصّ علينا الشيخ (عبدالعزيز الرشيد) بإسهاب وجرأة قصصا في كتابه (تاريخ الكويت المطبوع عام ١٩٢٦م في بغداد عن الصراع الذي كـ يكون داميا في الكويت في مطلع القرن العشرين بين المتمسكين بالتقاليد من جهة ، وبين أنصـ التجديد من جهة أخرى .

لقد وقف المتشيمون للتقاليد موقفا غير كريم مـ حركة البعث التي قادها (جمال الدين الأفغاني) ر

الله ، ووقفوا موقفا مضادا من أفكار تلميذه الشيخ (محمد عبده) ونفروا لقتال مشايعيها من أمثال (رشيد رضا) وغيره من رجال الاصلاح دون حياء أو مواربة ، فمنهم من نفر مكرا ومنهم من نفر اعتقادا .

لقد طعنوا بالتدريس الحديث ، وكانوا ينفّرون الناس من الكتب (العصرية) ومن أربابها ، ومن مطالعة الصحف وأصحابها زعما منهم أن ذلك من الدين .

ولقد كان للاشتراك في المجلات العربية المشايعة للتجديد نصيب وافر من هجوم شيعة التقاليد ، لقد رأوا فيها وجها للالحاد وصورة للكفر الوافد على بلاد الاسلام .

وفي مطلع هذا القرن اشتركت بعض البيوتات الكويتية ببضعة أعداد من مجلة (المنار) و (المؤيد)، وبالرغم من أن هؤلاء المشتركين بمجلتي (المنار) و (المؤيد) ، لا يتجاوزون اثنين أو ثلاثة كما يذكر (الرشيد) في تاريخه ، الا أن حربا شعواء قد شنها المتعصبون من (شيعة التقاليد) على قراء المجلتين .

دور رشيد رضا

ولقد قاد الحملة المتعصبة وكان على رأسها الشيخ (أحمد الفارسي) رحمه الله الذي نظم قصيدة همزية في هجاء (المنار) وصاحبها يقول فيها :

ورب المنار امتاز عنهم ببدعة
الى شرع شيطان عليه بلاء
فياليت شعري ما أقول بمارق
له عن سبيل المؤمنين اباء
أقول جهاراً إنه لمذبذب
له كل يوم بقعة وسماء

وقد لقيت القصيدة حظوة عند الناس يومئذ ، فكانت حديث مجالسهم وسمرهم في أنديتهم . شاكرين لمنشئها غيرته على العلم والدين ، ويذكر (الرشيد) في كتابه أن هذه القصيدة أقامت الكويت وأقعدتها ، وخيل للناس أن صاحبها من الذين لا تزال تأتيهم من الله النفحات ، إلى أن زار الأستاذ (رشيد رضا) الكويت سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م ورغب الاجتماع به ، فأبى زاعما لمن لامه أنه خشي من استياء آل الصباح الذين نزل ضيفا عندهم ، ثم من هو الحكم الذي يفصل بيننا اذا تنازعنا ؟

ويقول الرشيد : إن الاستاذ الكبير العلامة السيد (رشيد رضا) أحدث انقلابا في الكويت ، وتأثيرا عظيما بخطبه الرنانة ، وهو يتدفق كالسيل المنحدر ، فتاب كثير ممن كانوا يعتقدون فيه السوء ، وأصبح الراغبون في العلوم الراقية جما غفيرا ، وازدادت الرغبة في مجلته .

ولقد آزر الشيخ (أحمد الفارسي) في مهاجمته رجل يَفِدُ إلى الكويت من الأحساء هو الشيخ (عبدالعزيز العلجي) ويصفه الرشيد في تاريخه فيقول : (تكون الكويت آمنة مطمئنة ، وماهو إلا أن تطأ قدمه أرضها ، حتى ينكر الابن على أبيه ، والأخ على أخيه ، وينشر من زيفه وضلاله ما يضج الدين منه ، ومن أخف ما كان يحدُث به استسهال معتقديه اطلاق الكفر والالحاد على المسلمين ، واستحلال دماء الموحدين ، وتقربهم الى الله بهجر المؤمنين ، ولقد استحل هذا الرجل دم الشيخ (رشيد رضا) حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار فيها الكويت ، ولكن القدر منع الشيخ (رشيد رضا) من المرور ذلك اليوم من طريقه .

ويقول الرشيد : حمدنا الله على نجاته ، لأن قتل الأستاذ مع كونه خسارة كبيرة على الاسلام يكون نقطة سوداء في تاريخنا ، وعارا نلبسه أبد الآباد ، ويقول العلجي من قصيدة له في المنار :

إلى الله نشكو من ضلال على عمد
أتتنا به الجهالُ عن كلّ مرتدِّ
قَلَوْا كتبَ الأسلاف واستبدلوا بها
سجلات أصحاب المنار التي تُرْدي

ويقول الرشيد : إن حاكم الكويت يومئذ الشيخ (مبارك الصباح) أمر من كان يأوي إليهم بقوله : أعطوا صاحبكم ما قسم له ودعوه يذهب الى بلده ، وقد أشار الاستاذ أحمد البشر إلى هذا الصراع المرير في مقدمته لديوان (صقر الشبيب) شاعر الكويت البصير ، وسجل كثيرا من الفوائد ، وكان صقر رحمه الله من مشايعي الرشيد وأنصاره ، وقد أباح المتعصبون دمه ، وقد أفتى (العلجي) بتكفير صقر وحرمان صقر من الجنة فقال صقر :

إنْ كـان لا يـنـعـم بـالجَنـة
إلا امـرؤٌ مـثـلُك ذوجِـنّـةِ
ممن يـصـبّـون عـطـايـاهُـمُ
في جيبك الفارغ ذي الفسحـةِ
فـليس لي في جـنـة مـأربٌ
فـأعطِ مَنْ شئت بهـا حصّتي

لقد امتد هذا الصراع حتى شمل الناس جميعا عامتهم وخاصتهم ، وقد سطا الرشيد في تاريخه جانبا منه ، فكان من نصيب تاريخه المسمى بـ (تاريخ الكويت) أن حُجِزَ في الجمارك الى أن توفي الله الرشيد عام ١٩٣٩م ، في (جاوة) وأفرِجَ عنه بعد موت صاحبه بشفاعة رجال حكماء ، وقد أكلت الأرضة معظم الموجود منه .

وبعد كتاب التاريخ عزم الرشيد على اصدار مجلة تحمل هموم العصر في مثل هذا الجو المشحون بالجهل والأمية ، المشدودين بأوتاد التعصب الديني غير الواعي لمتغيرات العصر . بدر الرشيد بدرته الصحفية الأولى فأصدر مجلة (الكويت) في شهر رمضان سنة ١٣٤٦هـ الموافق شهر فبراير سنة ١٩٢٨م ، فكانت (الكويت) أول مجلة في الخليج العربي تصدر

لقد لقي عنتا وشدة وهو يصدرها ، كان أمل أعدائه أن ينطفىء ضوء هذا السراج ، وسنجمل مجموعة من هذه الصعاب التي واجهها ، وسيأتي طرحها في ثنايا بسطنا لسيرة مجلته منذ ميلادها وخطواتها الأولى ، حتى منتهى شوطها وغاية مضمارها .

المحتــــويات

صدر العدد الأول كما بينا من قبل ، في رمضان سنة ١٣٤٦هـ الموافق فبراير ١٩٢٨م ، وكان يطلق على العدد اسم (الجزء) فيقول (الجزء الأول) ويطلق على (السنة) اسم المجلد فيقول (المجلد الأول) .

و (الكويت) كما كَتَبَ على غلافها صاحبُها الرشيد (مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية لغوية شهرية تصدر في الكويت) . . رئيس تحريرها ومديرها المسؤول (عبدالعزيز الرشيد) . . سنة المجلة عشرة أشهر ، وتقدم للمشتركين في آخر السنة كتـ[illegible] هدية . . الاشتراك السنوي في الكويت والبـ[illegible] المجاورة (تسع روبيات . وفي الخارج [illegible] روبية) . . والروبية ٧٥ فلسا .

وقد أهدى العدد الأول من السنة الأولى للشيـ[illegible] أحمد الجابر الصباح أمير الكويت حينئذ ، وقدّم [illegible] بقوله (وبعدُ فإن اصدار مجلة للكويتيين في الكويت أمنية كان الوصول الى قمتها من أسمى ما تتوق إ[illegible] النفس ، ومن أجلّ ما تتمناه في هذه الحياة ، غير [illegible] أشباح المثبطات التي مازلت أبصرها في الطريق كادت ترميني في هوة اليأس . . .) .

أما أبواب المجلة فها هي كما ذكرها صاحب المجـ[illegible] على صفحات العدد الأول :

١ ـ الدين . . وفيه البحث عن أصوله وفروعه وعن عقائده وقواعده وأحكامه وأسرارها .

٢ ـ رد الشبهات عن الدين ـ تطل فيه كل شبهـ[illegible] توجه إليه وإلى أحكامه ، وإلى النبي صلى الله عليـ[illegible] وسلم والقرآن ، مما نخشى أن يكون في الوقوف عليـ[illegible] فتنةٌ لبعض الضعفاء ، ومن هذا الباب الجمع بيـ[illegible] آيات ظاهرها التناقض ، والجواب عما يُرى أنه مخالفـ[illegible] للواقع منها وليس كذلك

٣ ـ الأخلاق ـ يذكر فيه المهم من حَسَنِهـ[illegible] وقبيحها ، مع بيان ما ينشأ عن القسمين من منافـ[illegible] وأضرار ، والاستشهاد على كلّ بما يحسن الاستشهاد به

٤ ـ القديم والجديد ، يدور محوره على مساوئ ومحاسن كل من القسمين ، من عادات وأخلاق وعلوم وآداب ومناهج وآراء .

٥ ـ الأدب ـ ويعني قبل كل شيء بالأدب في الكويت ، وبنَشْرِ ما تجود به قرائح شعرائنا اليوم ، ثم بالأدب في البلاد التي على ضفاف الخليج كالبحرين وعمان ومسقط وبلاد نجد والأحساء .

٦ ـ التاريخ ـ يُنشر فيه ما فات من تاريخ الكويت الذي طبعناه في بغداد ، وبالأخص البحث عن القبائل البدوية هناك ، وعن أحوال البيوتات الكبيرة فيها ، وما يسمح الوقت بنشره من حوادثها المستجدة ، ثم نُتبِعُهُ بما نعثر عليه من تاريخ نجد والأحساء والبحرين وعمان وقطر وما جاورها من البلاد .

٧ ـ التراجم ـ ينشَرُ فيه تراجم القسم الثاني من تاريخ الكويت ، الذي لم نطبعه إلى الآن ، ويزاد فيه من نرى بذكر تراجمهم فائدة عامة ، من الموجودين والماضين أيضا ، ولو كان خارجا عن شرط القسم الثاني من التاريخ .

٨ ـ الفتوى ـ فتحناه لجواب كل سؤال لا يخرج عن دائرة المجلة من مشترك أو غيره .

٩ ـ اللغة ـ يُبْحَثُ فيه بنوع خاص عن اللغة العامية في الكويت ، وعن كل ما يستفيد منه المبتدىء والمنتهي من الفوائد اللغوية بسائر أنواعها ، نحوية أوصرفية أو غيرها

١٠ ـ متفرقات الفوائد . يحوي كل ما لا يدخل في أحد أبواب المجلة من سائر الفوائد على اختلافها .

١١ ـ التقريظ والانتقاد : توزن فيه المؤلفات بميزان الانصاف ، ويعطي كل منها ما يستحق من تقريظ وانتقاد .

لقد أصدر (الرشيد) مجلته وهو في الكويت مقيم ، كان يطبعها في مصر في مطبعة (الشورى) لذا كان يطبع أحيانا مادة عددين في مجلد واحد ، ولربما ضاع عدد من أعداد المجلة وهو في سبيله الى المطبعة فيرسل الرشيد مادة العدد الذي يليه ، فيصدر ، ويتأخر عن الصدور العدد الذي قبله . إنها مهمة شاقة ، وقد كتب الرشيد معتذرا إلى قرائه قائلا :

أبلغنا وكيل طبع مجلتنا الفاضل ما يلي :

« ان أوراق الجزء الثامن والتاسع من مجلة (الكويت) أصيبت عند تقديمها للطبع بحادث جعلها في خبر كان ، ولم يُعْثَرْ لها على عين ولا أثر بعد البحث الشديد والتنقيب .

فهذا الحادث الفجائي الذي نتقدم إلى قرائنا الكرام بالاعتذار عنه ، أوجب أن نقدم طبع الجزء العاشر الجاهز على هذين الجزأين ، اللذين سنحرص كل الحرص على جمع موادهما ، وانجاز طبعهما في أسرع وقت ، والعذر عند كرام الناس مقبول .

كما أننا نعتذر من حضراتهم أيضا عن هذا التأخير الفظيع ، الذي جرى للمجلة في سنتها الثانية ، مما لم يكن لنا فيه يد ، ولا كان بودنا وقوعه ، ولكن هي الظروف القاسية التي تجر المرء إلى غير ما يريد ، واننا نعدهم الوعد الأكيد في سنة المجلة الثالثة ـ إن شاء الله ـ أنها ستكون أحسن من ماضيها ، وانها ستصدر في أوقاتها المعينة أسوة بغيرها من الصحف » .

التوقف عن الصدور

ولم تعط المجلة فرصة للصدور سنة ثالثة أخرى ، فلم تصدر بعد عددها العاشر من عامها الثاني ، لقد توقفت عن الصدور .

ويعلل الرشيد سر ضياع بعض أعدادها أو تأخر طبعه بقوله :

(على أن القارىء المنصف ، إذا ما علم ببعد الشقة التي بين مركز المجلة والمكان الذي تطبع فيه ، فإنه ولاريب يعذرها في مثل هذا التأخير ، الذي لم يسلم منه حتى بعض المجلات التي يصدرها أربابها في أوطانهم ، وفي مطابعهم التي لها يملكون . وهذا المنصف من القراء هو الذي أحرص على ارضائه وعلى كشف الحقيقة له ، أما من امتلأ قلبه غلا أو حسدا فلا شأن لي واياه ، وان أثار الخواطر وهيَّجَ الأفكار ضدي وضدَّ مشروعي ، الذي يرى من وجوده شبحا مخيفا يخشى أن يلتهم ما له من أبهة ، أو يُسقِط ما يروح ويغدو به من جاه ، لا شأن لي واياه ، ولا عتب لي عليه) .

إن بعد الشقة بين مركز المجلة والمكان الذي تطبع فيه من أسباب تأخير صدورها ، ومن أسباب تأخير وصولها . فالبريد مشكلة كبرى تعوق المجلة عن صدورها ووصولها في وقتها المحدد ، لقد كانت الرسائل ترسل من الكويت إلى البصرة بواسطة السفن الشراعية الكويتية ، ومن البصرة إلى (بومبي) بالسفن البخارية ، ومن بومبي يتم توزيع البريد ، وقد يسافر البريد من البصرة إلى بغداد ، ثم إلى الشام وفلسطين ، ومن فلسطين إلى مصر . رحلة شاقة وطويلة وغير مأمونة ، فوسائل البريد اليوم غير وسائله بالأمس ، والمواصلات غير المواصلات .

وحين بات البريد يصل من البصرة إلى الكويت بالسيارات فرح الناس واستبشروا ، وكتب الرشيد مبتهجا بهذه الخطوة مثنيا عليها بقوله :

(في أول مايو ١٩٢٨ ـ ذي القعدة ١٣٤٦هـ اتفقت مصلحة البريد مع شركة السيارات الكويتية العراقية على نقل البريد من الكويت إلى الزبير ومن الزبير إلى الكويت في الأسبوع ثلاث مرات ، منها يوم

رسمي ، لابد من سير البريد فيه مهما كان هناك من موانع وأسباب ، وهو يوم الجمعة من الكويت ، ويوم السبت من الزبير ، وأما الآخران فعلى وجود السيارات ووجود ما حقه أن يُحْمَلَ من أدوات البريد وحاجياته .

وقد زالت بهذه الخطوة عقبات ، كان الكويتيون يئنون منها في سبيل مصالحهم الخارجية تجارية أو غيرها ، ومن يعرف أن البريد كان يحمل قديما على ظهر أحد المراكب البخارية القادمة من البصرة ، أو في احدى السفن الشراعية كذلك ، ويعرف أنه لا يصل إلى الكويت إلا بعد عشرة أيام على الأقل ، مع قرب المسافة بين الجهتين التي لا تتجاوز أربع ساعات في السيارات البرية ، يعرف مقدار التسهيل الذي حصل من هذا الاتفاق الجديد الذي يعد خطوة واسعة في اصلاح التجارة .

ان من التطور الخطير في سبيل المواصلات بين البلاد العربية ، أن يقرأ الكويتي مثلا جرائد مصر ومجلاتها ، أو رسائل اخوانه منها ، بعد ثلاثة أيام من تاريخها ، بعد أن كان لا يتسنى له إلا بعد عشرة أيام من البصرة فقط ، والحقيقة أن قيام تلك الشركة بهذه المهمة لمن أجلّ ما قامت به منذ نشأتها ، ومن أجل ما تُبْقِيه بعدها من أثر ، في سبيل المصلحة العامة والخاصة) .

صلات ومهام

ولقد حدثنا الرشيد عن رغبة أمير البلاد الراحل الشيخ أحمد الجابر الصباح باصدار جريدة أسبوعية تطبع في مطبعة تُسْتَحدثُ في الكويت فقال :

(أراد سمو الأمير الجليل أن لا يقتصر على اصدار مجلة (الكويت) في وطنه وحسب ، بل أراد أيضا أن يكون بجانبها جريدة أسبوعية باسم (الصباح) تطبع في نفس المطبعة التي استحدثها سموه . وقد أصدر أمره بذلك ، وعهد بادارة تحريرها إلى صاحب هذه المجلة وستصدر قريبا إن شاء الله) .

لكننا بعد هذا الخبر الذي أورده الرشيد في العدد السادس من سنة المجلة الأولى ، لم نعلم من أمر الجريدة ولا المطبعة شيئا .

لقد حاولت مجلة (الكويت) التعريف بعالم عصرها ، وحاولت تقريب الشقة مابين المشرق العر والمغرب العربي ، فعقد الرشيد صلات صداقة مـ أقطاب الوطن العربي مشرقا ومغربا .

لقد أهدى كتابه (تاريخ الكويت) من قبل إ (عبدالعزيز الثعالبي) الزعيم التونسي المعروف وكان ينزل إذا رحل إلى الشام على بعض بيوتا العلمية . وتعرف على (سليمان الباروني) الزعي الليبي الذي رحل إلى المشرق العربي ، حيث أقام (مسقط) عاصمة عمان فترة من الزمن ، ثم رحـ إلى الهند للسياحة فمات فيها .

بيد أن أهم هذه الصلات التي عقدها الرشيد هو هذه الصلات الفكرية . لقد خصص ركنا للأدب المغربي ، فكان في المجلة باب للأدب عن المغرب العربي عرفنا منه أسماء شعراء وأدباء من الجزائ والمغرب وتونس ، كانت ذات مكانة في عصره منهم : محمد الشاذلي خزنة دار والعمردي والطاهر بر عبدالسلام . . وقد حدثنا (الرشيد) في مجلته عر جريدة (الاصلاح) الجزائرية فقال عنها : انها جريد اسلامية حرة في مباحثها . . تصدر كلما تهيأت أسباب طبعها في (بسكرة) من قطر (الجزائر) . رئيس تحريرها ومديرها المسئول (الطيب العقبي) .

وقد تعرف الرشيد عليه في المدينة المنورة ، حين كان مجاورا فيها عام ١٣٣١ هجرية ١٩١٢ ميلادية . وناب عن اللقاء بعد الفراق الرسائل المتصلة بينهما

ولعل مجلة (الكويت) أول من نَوَّهَ وأشار في عددها السادس من السنة الأولى الصادر في صفر ١٣٤٧ هجرية ، الموافق لشهر يوليو من سنة ١٩٢٨ ميلادية ، إلى كتاب (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) للعالم الجليل المرحوم (نور الدين بن عبدالله بن حميد السالمي) الذي توفاه الله في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هجرية ، الموافق ٣١ يناير سنة ١٩١٤ ميلادية . وقد قال الرشيد رحمه الله : (من المؤسف أن تبقى مثل هذه المؤلفات النفسية مهجورة لا يستفيد منها إلا أفراد قلائل ، فعسى أن سعادة الباشا (ويعني به الباروني) أو من لهم الكلمة النافذة في تلك الأرجاء ، يتفضلون على الأمة العربية بابراز تلك الكنوز الثمينة ليذكروا فيشكروا) . ولقد بقي الكتاب بجزأيه مهجورا ، لم يطبع حتى عام ١٣٨٠ هجرية ـ ١٩٦١م ، حيث طبع في مصر باشراف

الاستاذ المرحوم (ابراهيم طفيش) .

لقد سُطِّرت على صفحات مجلة (الكويت) أول قصة كويتية بعنوان (منيرة) لخالد الفرج في عام ١٩٢٨م . وكتب الرشيد في مجلته شيئا غير قليل مما فاته في (تاريخ الكويت) . وترجم لكثير من رجالات الكويت والخليج والجزيرة العربية .

ولقد حاول (الرشيد) التعريف بما جاور الكويت من مناطق وبلدان ، فكتب عن (حائل) وعن تاريخ (الحجاز) في حلقات متصلة ، واستقطب أقلام ذوي الفكر في الوطن العربي ، وتحدث عن القديم والجديد من عادات وأخلاق وعلوم وآداب ومناهج وآراء ، مبينا مساوىء ومحاسن كل من الدعوتين .

الرشيد في البحرين

وفي ١٥ جمادى الآخرة عام ١٣٤٧ هجرية ، الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٢٨ ميلادية ، وصل الرشيد البحرين مغادرا الكويت بعد صدور عشرة أعداد من مجلته (الكويت) ، وقد واصل اصدارها من البحرين .

وأول ما يطالعنا من أعداد السنة الثانية وهو العدد الأول ، نرى أن الرشيد يهدي المجلة في سنتها الثانية إلى الملك عبدالعزيز آل سعود ، ثم انه حاول أن تكون المجلة صورة لما يجري في البحرين . تحدث عن منتدياتها ونشاط أنديتها ومشاريع الدولة فيها ، وهو يقول في فاتحة السنة الثانية (وبعد فليس أشرح لصدر المرء أن يرى أثر ما يقوم به من عمل ، في نفع دينه واخوانه ، ماثلا أمام عينيه ، في وقت وقف له بالمرصاد أعداء ألدّاء وخصوم أشداء . . وهكذا ياصاح كانت (الكويت) في سنتها الأولى مع قوم يؤسفني أشد الأسف أنهم من أبناء وطني ، الذين نالهم من شرف هذا المشروع حظ ونصيب ، وهنا لا يسعني وقد رفع الله قدرا أرادوا خفضه ، وأحيا ذكرا حاولوا قبره ، إلا أن أرفع إليه تعالى أكف الابتهال قائلا : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

إنّ مجلة (الكويت) قد سارت في طريق شائكة ، بلا رافد يرفدها ولا إعلان يعضدها ، لذا كان اهداؤها في سنتها الثانية إلى الملك (عبدالعزيز آل سعود) مقصودا . وطالما خاطب (الرشيد) قراءه مسترفدا ومشيرا إلى ما يلاقيه في اصدار مجلته من صعوبات مالية مثل قوله :

(نقدم هذا العدد الأول من سنة الكويت (الثانية) لكل من نتوسم منه الرغبة الصادقة في معاضدة المشاريع النافعة ، آملين أن يلقى قبولا واستحسانا من حضراتهم ، وسوف نعتبر من نقدم إليه هذا الجزء مشتركا ، إلا إذا أرجعه بنفسه إلينا ، أو سلمه إلى وكيل المجلة . وعسى أن لا نصادف في سنتها الثانية ما صادفناه في سنتها الأولى من التلاعب الذي أقدم عليه بعض الاخوان سامحهم الله . فقد أرجعوا بعض أعدادها وسكتوا على ما وصل اليهم من بقيتها ، وهم يعلمون ما يكلفنا ذلك من مصاريف في طبعها وفي أجرة بريدها . فليتهم إذ رفضوا الاشتراك بها أرجعوا إلينا كل ما لديهم منها ، ولا سيما الجزء الأول الذي نضطر إلى اعادة طبعه للحاجة اليه) .

وعلى الرغم مما كتب عن المملكة العربية السعودية ، منوها بجهود حكومتها ، وعلى الرغم من أمله الواضح برفد مؤسسها ، إلا أنه لم يتلق من صلات الملك عبدالعزيز شيئا . لذا نراه في العدد الثالث الصادر في ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ ، الموافق شهر أغسطس عام ١٩٢٩م ، يستحث قراءه ويهيب بهم لتسديد اشتراكهم إلى وكلاء المجلة في البحرين والكويت ، وقد أعلن عن أسمائهم في نفس العدد ، وذلك عن سنتها الأولى . وقد ختم قوله بهذه الكلمة : (وبهذا يشجعون أخاهم للمضي في هذا السبيل الوعر ، الذي هو في أشد الحاجة إلى المادة ·

وعند العدد العاشر من السنة الثانية الصادر في شوال سنة ١٣٤٨هـ الموافق مارس عام ١٩٣٠م ، ختمت المجلة أعمالها في الكويت والبحرين ، لينتقل صاحبها الرشيد في عام ١٩٣٠ الى أندونيسيا ، وليصدر من هناك مع يونس بحري مجلة (الكويت والعراقي) . وقد صدر العدد الأول منها في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ ، الموافق ١٣ سبتمبر من عام ١٩٣١م ، ثم توقفت بعد عشرة أعداد من صدورها أ فأصدر مجلة (الحق) ومجلة (التوحيد) .

رحم الله (عبدالعزيز الرشيد) لقد فقدت الكويت بغيابه ركنا من أركان نهضتها الفكرية ، وقد توفاه الله في (جاوة) عام ١٩٣٩م ، عن عمر يناهز السابعة والخمسين . □

قضية

أضواء جديدة على اللفائف الفلسطينية !

بقلم : محمد الأسعد

في أحد أيام شهر حزيران من العام ١٩٦٧ ، اتجهت سيارة مدنية تقل عددا من الباحثين اليهود ، الى المتحف الفلسطيني في القدس . كان ذلك اليوم بالتحديد هو يوم ٦ حزيران ، أي اليوم التالي على بدء ما عرف بحرب حزيران . وكانت مهمة هؤلاء الباحثين ، هي الاستيلاء على عدد كبير من اللفائف الجلدية القديمة ، ونقلها الى داخل فلسطين المحتلة . وبهذا العمل تكون سلطات الاحتلال الصهيوني قد وضعت يدها على الجزء الأكبر مما عرف باسم « لفائف البحر الميت » ، بعد أن سبق لها وضع اليد على بعض منها عن طريق الشراء في العام ١٩٥٥ .

لقد أثارت هذه اللفائف منذ اكتشاف أوائلها في العام ١٩٤٧ ، مناقشات واسعة في أوساط علماء الآثار واللغات والأديان والتاريخ ، وفي الأوساط الصحفية الغربية . ونشرت عنها مئات البحوث والكتب باللغات الأوروبية . والسبب هو أنها تضمنت أسفارا من التوراة اليهودية بالعبرية والآرامية ، كما أنها تضمنت تعاليم جماعة دينية ، عاشت على الشواطىء الشمالية الغربية للبحر الميت في فلسطين ، واعتبرت هذه النصوص أقدم ما وصل الى أيدي الباحثين من نصوص التوراة بالدرجة الأولى . وسلطت الأضواء على هذه الزاوية دون غيرها .

أعظم المكتشفات

بدأت قصة اكتشاف هذه اللفائف في العام ١٩٤٧ ، في وقت كانت فيه الحركة الصهيونية تستكمل اقامة القاعدة البشرية والاقتصادية والسياسية والجغرافية لدولة « اسرائيل » في فلسطين .

والرواية الأكثر تواترا ، هي أن فلسطينيين من عشيرة « التعامرة » عثروا في كهوف تقع الى الشمال الغربي من البحر الميت على لفائف اسطوانية من الجلد ، محفوظة في جرار فخارية ، ومكتوبة بلغة غريبة عنهم . ومن هؤلاء تسربت اللفائف الى تاجر من « بيت لحم » أوصلها بدوره الى مطران دير

« مارمرقس » للسريان الأرثوذكس في القدس ، وقام هذا بشرائها .

من جانب آخر وصل بعض هذه اللفائف الى الدكتور « سوكنيك » مدير الجامعة العبرية ، الذي نشط لمعرفة المزيد عن هذه اللفائف وجمع ما أمكن جمعه منها

وعرف فيما بعد أن لفائف المطران قد عرضت للبيع في نيويورك ، وأن الذي قام بشرائها هو (ييجال يادين) رئيس الأركان الاسرائيلي ، بمبلغ وقدره ربع مليون دولار . وذلك في العام ١٩٥٥

وهكذا تجمعت الحصيلة الأولى من اللفائف المكتشفة في الجامعة العبرية . وحتى مارس ١٩٤٨ لم يكن لدى دائرة الآثار الفلسطينية في القدس علم بهذه اللفائف ، لأن أحد العاملين في هذه الدائرة حين عرضها عليه المطران لأخذ رأيه في قيمتها ، أخبره أن ليس لهذه اللفائف من قيمة ، ولم يجد هذا الموظف انها تستحق أن تذكر في تقرير يقدمه الى دائرته .

اهتم بعض الأمريكيين العاملين في معهد دراسات الشرق الأوسط في القدس بهذه اللفائف ، فسارعوا الى تصويرها وبدأوا بدراستها ، وأرسلوا نسخا من الصور الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهنالك أعلن عالم الآثار « أولبرايت » أن هذه اللفائف من أعظم المكتشفات في العصور الحديثة . مما أثار الاهتمام المضاعف بالبحث والتنقيب . وواصل سكان المنطقة التنقيب في كهوف البحر الميت ، وفي منطقة قريبة تسمى « خربة قمران » . وقامت السلطات الأردنية بعد الانتباه الى الموضوع بسلسلة من الاكتشافات ، تواصلت حتى أوائل الستينيات ، وكانت حصيلتها عددا كبيرا من اللفائف الجلدية الممزقة ، ولفائف نحاسية مميزة . وبدأت دائرة الآثار الأردنية بحصر المكتشفات وشرائها من مكتشفيها ، حتى تجمعت لديها حصيلة ضخمة ، جرى جمعها في صناديق ، وتسجيلها بالوزن بعد أن تعذر احصاؤها . واستعانت دائرة الآثار في ذلك بتبرعات مالية من عدة جامعات غربية .

وتعرضت اللفائف أثناء ذلك الى محاولات للاستيلاء عليها ، وارسالها الى الجامعات الغربية . ولعب مدير دائرة الآثار الانكليزي « لانكستر هاردنغ » دورا في هذه المحاولات الا أنه بعد تعيين مدير عربي للدائرة تشدد في قضية اللفائف ، وطالب بالحفاظ عليها ، وخاصة ان معظمها اشترى بأموال المتحف الفلسطيني . وهكذا بقيت هذه اللفائف في المتحف الى ان تم الاستيلاء عليها عقب حرب يونيو ١٩٦٧ .

نقض التاريخ التوراتي

تشير قراءة اللفائف الى أنها تتضمن أسفارا توراتية ، أهمها سفر « أشعيا » وشرحا لسفر « حبقوق » ونصوصا لا علاقة لها بالتوراة مثل ما أطلق عليه كتاب « النظام » وكتاب « حرب أبناء النور والظلام » وأجزاء من الأناجيل ، وقطعة أدبية ليوربيدس ورواية ارامية عن الملك البابلي « نبونيدس » وعددا من الوثائق الاخبارية ، والصكوك التجارية ، وعقود الزواج .

واللغات المستعملة هي العبرية ، والآرامية واليونانية ، والكنعانية ، والعربية . وقد وجدت هذه اللفائف في مناطق واسعة غربي البحر الميت ، وترجع تواريخها الى عهود تاريخية مختلفة .

كان الهم الأول للباحثين هو تحديد تاريخ هذه اللفائف . اعتمادا على الاختبارات الكيماوية للمواد ، وعلى الدراسات اللغوية للخطوط ، وعلى فحص المكتشفات الأثرية لخربة قمران القريبة من مكان الكهوف ، لم يتوصل أحد الى تحديد تاريخ متفق عليه ، وأقصى ما توصلت اليه البحوث هو تحديد زمن كتابة اللفائف والمخلفات الأثرية ، من جرار وأقمشة ومحابر ، وجدت في الخربة بحدود قرنين قبل ميلاد المسيح والقرن الأول الميلادي .

ومن ثم فقد تركز البحث على ناحيتين ، الأولى مقارنة الأسفار التوراتية المكتشفة بنصوص التوراة المتأخرة والمعتمدة ، والثانية : البحث في هوية الجماعة الدينية التي دلت آثار « قمران » على أنها كانت تعيش في المنطقة .

وقد قادت دراسة الأسفار التوراتية الى الكشف عن اختلافات خطيرة بين نص اللفائف ونصوص التوراة المعتمدة . فهناك ١٣ قراءة مختلفة في سفر « اشعيا » وهناك ٥٠ قراءة مختلفة في سفر « حبقوق » بالاضافة الى اختلافات في جذاذات تضم شيئا من

سفر « الجماعة » و « المزامير » .

ومثال ذلك أنه ورد في النص المعتمد « الخمرة غدارة » بينما هي في اللفائف « اليونانيون غدارون وورد في النص المعتمد « اشرب ولا تتطهر » بينما هي في اللفائف « اشرب وترنح »،وحسب النص المعتمد ورد في سفر « الجامعة » « ابناء اسرائيل » بينما « حسب جذاذة » من اللفائف وردت « حسب عدد أبناء الله . . . »

ولاحظ بعض الباحثين أن النص المعتمد المسمى بالنص « المسور » والذي يرجع تسويره الى القرن السابع الميلادي ، يخالف أيضا ما يسمى بالترجمة السبعينية للتوراة ، وهي ترجمة يونانية تمت بحدود القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي أكثر اتفاقا مع اللفائف .

بالاضافة الى ذلك كشف النص الآرامي لقصة الملك البابلي « نبونيدس » أصل القصة التوراتية عن مرض الملك البابلي « نبوخذنصر » وأظهرت عدة مكتشفات أثرية تؤيد النص الآرامي ، ان القصة التوراتية كانت مختلقة ، ولا أصل تاريخي لها . فقد نسبت الى « نبوخذ نصر » احداثا هي في حقيقتها ترجع الى « نبونيدس » آخر ملوك بابل . . !

وقد اثار الباحث « بول ديفيز » في كتابة « لفائف البحر الميت » مسألة العلاقة بين هذه الطائفة وبين ظهور المسيحية ، استنادا الى مقارنة بين كتاب « النظام » و « حرب أبناء النور والظلام » وبين تعاليم الأناجيل ورسائل الرسل ، وتعاليم يوحنا المعمدان . ودار طويلا حول موضوعه مثيرا عددا من الأسئلة حول لقب « الناصري » الذي أطلق على المسيح ، بعد أن أظهرت تحرياته التاريخية عدم وجود مدينة « الناصرة » في القرن الأول الميلادي أو القرن الذي سبقه . كذلك أثار عددا من الأسئلة عن منطقة البحر الميت ، التي عاش فيها يوحنا المعمدان ، والشبه بين تعاليمه وكتاب « النظام » . وأخيرا توصل الى اثارة سؤال حول الجماعة التي خرج عليها المسيح ، حين أعلن في « معبدها » انه المنتظر ، بعد ان لاحظ ان هذه الجماعة لا يمكن أن تكون من الفرق اليهودية المعروفة انذاك ، التي وقف منها المسيح موقفه المضاد منذ البداية نعني « الفريسيين . . والصدوقيين » .

الا أن من الملاحظ أن هذا الباحث شأن الباحثين الآخرين ، لم يستطع أن يخرج من الاطار الذي زج فيه نفسه ، وهو علاقة المسيحية باليهودية ، بدون التفات الى ما فتحته هذه الأسئلة من آفاق ، الى نطاق آخر للبحث هو نطاق « جماعة قمران » وعلاقتها بالصابئة المندائيين ، وكان من الممكن الاجابة عن كثير من الأسئلة عن هوية هذه الجماعة ، وعن منابع المسيحية وصلاتها العميقة « بالصابئة ».لو أفلت الباحث من اطاره الضيق واتجاهه نحو اثبات نشوء الديانة المسيحية من العقيدة اليهودية . ذلك لان لفظة (الناصري) لفظة متداولة ، وهي بالآرامية ـ لغة الصابئة الدينية ـ تعني رجل الدين الصابئي المندائي ناصروثا،وتثبت كتب هذه الطائفة عدة أمور ذات مغزى في بحث مسألة اللفائف وجماعة قمران ، فهي تتحدث عن شعيرة العماد الأساسية في نهر الأردن وعن الاقامة هناك حتى سبعينيات القرن الأول الميلادي . ولا تتضمن تعاليمها شبها بتعاليم يوحنا المعمدان والمسيح فقط ، بل ان يوحنا المسمى لديها « يحيى بن زكريا » هو نبيها الذي تتحدث عن مقتله في دمشق،وتشبه الرواية الصابئية لسيرة حياته ، ماورد في لفائف البحر الميت « كتاب حرب أبناء النور والظلام » عن معلم الحق الذي تآمر عليه الكاهن الشرير وسلمه الى السلطة ليقتل .

وفي اعتقادنا أن دراسة اللفائف ومجتمع « قمران » في ضوء ديانة الصابئة ، ومجتمعهم في فلسطين ، وعلاقة اليهود العدائية بهم ، الى درجة هجرتهم من هناك الى الشام ، ومن ثم الى العراق في القرن الاول الميلادي ، هي التي يمكن أن تجيب عن أسئلة « ديفيز » الحائرة ، وتلقي ضوءا على المنابع الأولى للمسيحية . □



قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فقد جعل الله لك أذنين وفماً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول .

منتدى العربي
تعقيبات



الحوار الثقافي العربي الأوروبي :
وحوار حول الحوار

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

لايسر الكاتب شيء في الدنيا مثل أن يكون كلامه موضع تمحيص وتفحص ، و حتى لو تضمن ذلك مآخذ وانتقادات ، وقد سعدت لما قرأته من تعليق الاستاذ الفاضل عبدالرزاق البصير (العربي ع ١٩٨٥/٣٢٤) على مقالة لي حول الحوار الثقافي العربي الأوروبي ، نشرت في العدد ١٩٨٥/٣٢١ من العربي . ونزولا عند الرغبة التي تضمنتها خاتمة المقال الناقد ، فانني أجيب باختصار عن النقاط التي أثيرت فيه .

عرض مُركز

١ ـ فيما يتعلق باعطاء (صورة واضحة للقضايا التي طرحت في الحوار ، والاعتراضات والعقبات والشبهات التي برزت من قبل كل من المتحاورين) أقول : إنني تجنبت أي تعليق اخباري أو انتقادي لمادة الحوار ، لأن ذلك يقتضي صفحات وصفحات . وقد نشرت الصحف وقائع من هذا الحوار ، وكان غرضي التعليق على مبدأ الحوار وحصيلة تطوراته مما يتناسب مع عرض مركز في مجلة منوعة مثل (العربي) .

ولعل الأستاذ البصير لا يحتاج لمن يذكره أن مادة الحوار متوفرة في الدوريات والمنشورات التي تصدر عن مراكز الحوار وغيرها ، ومن ذلك مثلا :

ـ دورية آفاق اسلامية التي تصدر عن جمعية الاسلام والعرب (بالعربية والانكليزية)

ـ دورية (الحوار) التي تصدر عن الاتحاد البرلماني العربي ، وتعنى بالجانب البرلماني من الحوار (بالعربية والانكليزية) . . . وغيرها .

وهذا غيض من فيض ، فكيف يراد لي أن أقدم الاقتراحات والاعتراضات والقضايا في مقال مختصر ؟

٢ ـ تقول الفقرة الثانية من مقالة الأستاذ البصير ان « الدكتور بدأ مقاله برأي يقول : إن الحوار الثقافي ليس أفضل من الحوار السياسي . . . » وتعترض المقالة على ذلك وتبرهن فيما يقرب من ثلثها أن الحوار الثقافي شديد الأهمية . وبما أن رأيي غير بعيد عن رأي الأستاذ البصير ، فقد عدت الى مقالتي ، فوجدت أن سقوط كلمة واحدة من قراءة الاستاذ البصير غيرت المعنى تغييرا مجحفا . فقد نصت مقالتي على أن الحوار الثقافي ليس أفضل حالا من الحوار السياسي والاقتصادي . وواضح من السياق أن المقصود الاشارة الى ضآلة حصيلة الحوار بجوانبه السياسية والاقتصادية والثقافية ، وهذا وزر لا يتحمله العبد الفقير ، بل هو نتيجة لتراكمات تاريخية وصعوبات متنوعة .

٣ ـ يستنتج الاستاذ البصير أنني كنت متابعا للحوارين الاسبانيين من الصحف ، مع أنني أشرت

بوضوح في أول مقالي أنني شاركت في أعمالها ، وما كنت بحاجة الى الصحف لتدلني على ما شاهدت وسمعت وحاورت .

٤ ـ وتشير مقالة الأستاذ البصير الى أن « الذي منع الدكتور من تلخيص وقائع هذا الحوار تخوفه من اثارة الناس عليه » .

وقد عجبت لهذا الحكم يطلقه أستاذ منصف ، ولكن يخطر لي الآن أن طريقة بعض الناس في القراءة تسوغ بعض هذا التخوف ، ومرة أخرى لم يكن غرضي تلخيص الجوانب المتعددة للحوار في تلك المقالة ، وان كنت لا أستبعد (الاقدام) على ذلك في دراسة مطولة .

٥ ـ انني لا أشك في مبدأ جدوى الحوار، ولو كنت أعتقد بعدم جدواه لما شاركت فيه ، ولكن سنوات الحوار الطويلة لم تتمخض عن أية نتيجة ملموسة ، وهذا ليس ذنبي مرة أخرى ، ولكنه ذنب التاريخ بالدرجة الاولى .

٦ ـ معاذ الله أن أقول ان الذين يذهبون الى الحوار غير مؤهلين للقيام بهذا العمل ، لقد كان جوهر اعتراضي هو قَصْر الحوار على تلك النخبة من الطرفين التي هي أقرب بثقافتها الى الطرف الآخر ، ولا سيما من مثقفي الطرف الاسلامي الذين يستعملون مفاتيح ومصطلحات ومفهومات منتقاة من الغرب ، وواضح أنني لا أطعن في أهليتهم ، ولكنني أطلب مشاركة أوسع ، ولا سيما من قبل ممثلي المحافظة والتشدد على الجانبين ، وقد قلت بالحرف الواحد . « ألا يحسن أن يضم الحوار بين الجانبين ممثلين للموقف التقليدي ، الى جانب غيرهم بالطبع ؟ » .

هل يمكن أن يكون هناك كلام اوضح من هذه العبارة !

في المعنى

للحوار اليوم معنيان :

الاول : هو المعنى العام المتداول ، وهو تبادل الأفكار توصلا الى مزيد من الوضوح لدى الجانبين ، وإزالة الشوائب والمغالطات ، وبهذا المعنى فإن الحوار مستمر دائما بين ثقافتي الشرق والغرب ، ولكن ـ مرة أخرى ـ لا تبدو الحصيلة مبشرة وياللاسف ، ان المستشرقين في أوروبا الذين يعدون أقرب الناس الى مصادر الثقافة العربية الاسلامية ، يجابهون في بلادنا بعشرات المطاعن ، فما بالك بالذين يمثلون التيار التقليدي في الثقافة الأوروبية ، الذي مازال يعتبر أوروبا مركز العالم (انطلاقا من مقولة المركزية الأوروبية) ؟

ان هذه النقطة وحدها يمكن أن تكتب فيها مجلدات .

الثاني : الحوار بمعناه المؤسسي : أي الحوار الذي يتم في اطار مؤسسات وجمعيات ، ويهدف الى التوصل الى برامج واجراءات لتحقيق أهداف التفاهم بين الثقافتين على مستوى تاريخي ، لأن المسألة ليست مسألة اقتناع فرد أو أفراد بالفكرة والفكرة المقابلة ، بل هي مسألة خلق استعداد عام للتفاهم في مجالات الفكر والتربية والدين والتاريخ والحضارة والمجتمع الراهن:مثل تعليم اللغة المتبادل والكتب المدرسية ووسائل الاعلام الجماهيرية والاعلام الثقافي والاوضاع الثقافية للجاليات المهاجرة وغيرها

ومن الملاحظ أن أوروبا لها جامعات في بلادنا ، ولكن ليس لنا جامعات في أوروبا ، والعجيب أن العرب ليسوا هم الدين اقترحوا انشاء جامعة عربية أوروبية ، بل ان البرلمان الأوروبي اتخذ قرارا بهذا الشأن ، وأيدته في ذلك ندوة هامبورغ للحوار العربي الأوروبي والمؤتمرات الأخرى ، وقد رصدت موازنة في البرلمان الاوروبي لهذا الغرض ، واختيرت اسبانيا (وربما غرناطة) مركزا للجامعة ، وجرت اتصالات كثيرة بشأنها ، وقد وضع الدكتور فان آيرسن هذا المشروع في السياق التاريخي للتبادل الثقافي والعلمي والتقني بين المنطقتين العربية والأوروبية ، وحدد الأهداف العامة لهذه الجامعة بما يلي : ـ

« ينبغي أن تكون الجامعة الأوروبية ـ العربية ، بالدرجة الأولى ، مركزا لتبادل الأفكار التي من شأنها تنمية التفاهم ، ومقارنة التطورات الثقافية المنطلقة من جذور مشتركة كثيرة » .

ومن الملاحظ أن هناك مشروعات لمراكز عربية في أوروبا بدأت تتبلور في فرنسا ، وتقتضي الأمانة الاعتراف بأن أول من فكر في إنشاء هذه المراكز (للتفاهم وليس للبحث فقط) هو السناتور الايطالي الراحل ليليو باسو ، الذي أنشأ مركزا في روما من هذا القبيل قبل بضع سنوات ، وكان على الجانب العربي أن يفيد من هذه التجربة ويتابعها . □

شاعران ووصيتان

رلكة وأبو تمّام

بقلم : دكتورة وديعة طه النجم

الشاعر هو الشاعر في أي زمان وأي مكان . انه ذلك الوتر الحساس الذي تعزف عليه يد الكون الخفية أنغامها . والشاعر عربيا كان أو فرنسيا أو ألمانيا أو انجليزيا . . هو الشاعر وان اختلفت أداة التعبير . . وليست اللغة الا تلك الآلة التي تشد ذلك الوتر . عن الشعر والشاعر يتحدث هذا المقال . . .

ان علاقة الشاعر بالشعر لاتختلف باختلاف المكان أو الزمان أو الأقوام والشعوب ،لكن هذه العلاقة تحكمها ارادة ذاتية هي ارادة الشاعر ، أو تتحكم فيها ارادة خارج ذات الشاعر . .حينذاك تختلف طبيعة هذه العلاقة باختلاف طبيعة الارادة . . وكلما غاص الشاعر في أعماق نفسه ، تدفق نبع الحياة صافيا أصيلا . . والنبع هو النبع ، هو الحياة ، هو الأم . . . ولكن حينما يحول شيء ما دون الغوص في تلك الأعماق ، لن تظفر بغير الأصداف قشورا خاوية لايضم قلبها الا الفراغ . .

هكذا كان الأمر منذ الأمس البعيد ، حتى يومنا هذا . . . هنا يكمن مصدر الطرافة في هذا التوافق أو التفاوت الذي ستتلمسه في وصيتين لشاعرين تباعدا زمانا ومكانا وقوما وثقافة وأصلا . . واتفقا في شيء واحد وحسب : في أنهما شاعران : الاول : ابو تمام الطائي ـ شاعر العربية المعروف ، الذي عاش في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد .

والثاني : رلكة ـ الشاعر الألماني الذي عاش مابين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين (١٨٧٥ ـ ١٩٢٦) ، وقضى أكثر

حياته متنقلا بين ألمانيا وبلدان أوروبا المختلفة ، وفي أثناء جولاته قصد روسيا والتقى بأديبها المعروف (تولستوى) .

رلكة وأبو تمام

أما أبو تمام فقد نسبت اليه وصية يوصى بها شاعرا ويوجهه في عمل الشعر . .

وأما (رلكة) فقد كتب مجموعة (رسائل الى شاعر ناشىء) ينصحه فيها ويوجهه أيضا الى كيفية كتابة الشعر .

ولست هنا في معرض مناقشة مدى صحة الوصية المنسوبة الى أبي تمام ، اذ حسبي أنها موجهة في الأصول العربية الى الشاعر الناشىء ، وتحدد له المعالم البارزة في طريق الشعر ، وتوجز كثيرا من مقومات وهموم الشاعر العربي . سواء كان كاتبها أبو تمام حقا أو لم يكن ، فإن هذا لا يقلل من شأن محتواها .

ويتجلى وجه الطرافة في الأصداء المشتركة بين الرسالتين (أو الوصيتين) ، كما يتجلى في النظرات المتباعدة شيئا فشيئا بين الشاعرين :

فعلى حين ينطلق كلا الشاعرين من منطلق واحد أصيل ، ما نلبث أن نجد الشاعر العربى الذى تحكمت في ارادته قوى خارج نطاق نفسه ، يزل عن السمت الذى هو فيه ، فيخرج الى الجرف القريب التناول ، ليتلاعب بالأصداف التى يصادفها في الماء الضحل ، بينما يتابع الشاعر الأوروبي غايته الى منتهاها ، لأنه يبقي قريبا من الأعماق يغترف من النبع مباشرة .

تبدأ الوصية المنسوبة الى أبي تمام بالحديث عن تخير أنسب الأوقات لكتابة الشعر فيقول :

« تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شىء ، أو حفظه في وقت السحر . . »

ويقول الشاعر (رلكة)

« . . . . اسأل نفسك في أهدأ ساعة من ليلك : هل (يجب) أن أنظم الشعر ؟ ثم نقب في أعماق نفسك عن جواب واضح ، فإذا كانت النتيجة موجبة . . . اذا قابلت هذا السؤال الخطير بـ (يجب علي) بوضوح وقوة ، فعند ذلك ، ارسم حياتك تبعا لهذه الضرورة . . . »

فكلا الشاعرين يبحث عن أهدأ ساعة للنفس . حين تكون خلوا مما يشغل الناس من معتادهم ومرتادهم من هموم الليل ومشاغل النهار . ويختار كلاهما (أهدأ ساعة من الليل) أو (السحر) ، فتلك هي الساعة التي يخلو فيها الانسان لنفسه ليتعرف عليها كما هي ، دون حواجز تحول بينه وبينها . تلك هي الساعة التي يختارها الشاعر الألماني ليجابه نفسه بصراحة ، ولكى يسبر أغوارها ، وليعرف مدى أصالة موهبته : (هل يجب عليه أن ينظمَ الشعر) ، بل هل من الممكن أن يحيا بدونه ؟ ويمضي قائلا :

« وربما بعد هذا الغوص في نفسك وفي وحدتك ستتخلى عن دعواك في أن تكون شاعرا . ويكفي - كما قلت - أن يشعر الانسان ان بامكانه أن يحيا دون أن يكتب ، كي لايخاطر بالكتابة أبدا . . . . »

الشاعر ونفسه

تلك هي المجابهة بين الشاعر ونفسه ، فإذا كان هناك بعد هدأة الليل وهدأة النفس - أدنى شك في ضرورة الكتابة لحياته ، فلا عليه أن يجازف ويخوض غمار تجارب قد تكون جناية عليه وعلى الشعر ، فهو ان وجد - بعد هذه المكاشفة بينه وبين نفسه - أن كتابة الشعر ليست هي حياته نفسها ، فمعنى ذلك أنه لن يفلح في أن يكون شاعرا أبدا . . يقول :

« . . . . . لذلك ياسيدي العزيز ، ليس لي الا ان أنصحك ، هذه النصيحة :

ان تغوص في أعماق نفسك لتكشف عن منابع حياتك ، فعلى منبعها ستجد الجواب عن سؤالك : ان كان يتوجب عليك أن تبدع ؟

فاذا وجدته تقبله كما هو دون ان تلح في السؤال ، تقبل نصيبك وتحملْ ضرره ونفعه ، دون أن تطلب جزاء . . فالمبدع يجب أن يكون عالما بذاته ، وأن يبحث عن كل شيء من داخل نفسه . . . . »

ونعود الى شاعرنا العربي لنرى كيف ينظر الى ذاته والى عملية الابداع . وقد تركناه وهو يتخير الأوقات

لينعم بهدوء البال وقلة الهموم . . عند السحر . . ثم يتابع قائلا :

« واذا عارضك الضجر فأرخ نفسك ، ولاتعمل الا وانت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه . فإن الشهوة نعم المعين .... » .

فالشعر لايمكن أن يكون بدون (رغبة) ملحة في الامتزاج والتوحد معه : وهو مايعبر عنه الشاعر العربي بـ (الشهوة لقول الشعر) . تلك هي الذريعة والوسيلة الموصلة الى الابداع .

وذاك هو نفسه مايصفه الشاعر الأوروبي بقوله :

« اتجه الى داخل نفسك ، اكشف عن الدواعي التي تجبرك على الكتابة ، اختبر ان كانت هذه البواعث ترسل بجذورها الى اعمق عمق من قلبك . . واحة نفسك : هل تفضل الموت ، اذا ماحيل بينك وبين الكتابة ؟ » .

فالدافع الأصيل الى قول الشعر لايمكن أن يكون الشعر الا به ، والمسألة عند الشاعر الألماني مسألة حياة أو موت ، وهذه أسمى درجات التوحد الوجداني بين الشاعر وفنه ، فلاحياة له بدون هذا الفن ، ولافن بدون الانغماس التام من أجله . فاذا كان الأمر كذلك فهو يستحق أن تضحي بكل ما عداه من أجله . . . . .

الشاعر وارادة الشعر

على أن الشاعر العربي ـ لسوء حظ الشعر ـ لم يكن دائما مالكا لارادة الشعر . . وهنا يبدأ الشاعر بالتخلي عن خطه الذي رسمه لنفسه في أول الطريق . . فاذا بنغماته وقد أصبحت نشازا لاتتناغم مع تلك الدوافع الوجدانية الأصيلة لقول الشعر ، انها الارادة المفروضة عليه من خارج نفسه ، سواء كانت ارادة التقليد الأعمى أو السلطة المضللة أو . . كل ذلك . وهنا يقف الشاعران عند مفترق الطريق . . . . .

فبينما يهوي شاعرنا فتضيق نظرته ، وينفك شيئا فشيئا عن ذاته ، يتسامى الأخر في آفاق انسانيته الرحبة ، حتى يصل الى أعمق منبع من منابعها الأصيلة :

تقول وصية الشاعر العربي :

« فاذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الشوق ، ولوعة الفراق . . . »

ولعل هذا الكلام الذي ينسب الى شاعر مثل أبي تمام يفضح زيف هذه الوصية ، أو بعضها ، فكلام مثل هذا لايناسب آخره أوله ، فهو أشبه باتباع (قولبة) الشعر ، لابورود ينابيعه الصافية . والشاعر المرهف الحس الذى نظر النظرات المتأملة لاينصح شاعرا ناشئا أن يسلك خلاف طبعه ، مبالغا في اظهار لوعة (الصبابة وتوجع الكآبة) ارضاء لما جرى عليه العرف والتقليد . .

ولعلها الارادة المفروضة عليه . . لعلها . .

أما الشاعر الألماني الذي يخاطب الناشىء فيقول :

« لاتكتب أشعار غزل،تجنب من البداية هذه الأشعار والهيئات الشائعة المعتادة ، فهي من أصعب الأشياء . . . .

انصرف عن المواضيع الشائعة الى تلك التي تقدمها لك حياتك اليومية ، صور أحزانك وآمالك . . أفكارك العابرة وايمانك بالجمال ، صف كل هذا بأخلاص قلبي هادىء متواضع ، فاذا بدت لك حياتك اليومية مفتقرة لاتلمها أو تتهمها ، بل اتهم نفسك . أخبر نفسك بأنك لست بالشاعر المبدع القادر على استخلاص ثرواتها ، فما دام هناك مبدع ، فليس هناك جدب أو خواء .

وحتى لو كنت في سجن لاتسمح جدرانه بأن يصل الى حواسك أي صوت من العالم الخارجي . . أفلا تحمل معك دائما أيام الطفولة ؟ ذلك الثراء الرفيع ، ذلك الكنز من الذكريات ؟

اصرف انتباهك اليها ، وحاول أن تستثير المشاعر القديمة من ذلك الماضي البعيد . فإن شخصيتك ستصبح أقوى ، وستتسع وحدتك لتصبح محورا يشع بالنور . . . »

أين هذا من شاعرنا العربي الذي ابتلى بأمراض الأخرين ؟! □







استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : طالب الحسيني



صورتان متناقضتان للفقر والقحط معاً .
الأولى تبرز سودانياً يجني زرعه في أرض
السودان . يقابلها صورة تمثل شبح الجوع في
منطقة تكيت ، أو ساحت عليها جموع
اللاجئين .

مهما تكن النتائج التي ستتمخض عنها الانتخابات النيابية في جمهورية السودان ، ومهما تكن اتجاهات وطبيعة القوى التي ستحصد أغلبية أصوات الناخبين ، فإن المشاكل التي توطنت في السودان لن تغير من الوانها وطبائعها الا بتوفير العلاج المناسب لها ، فما هي طبيعة المشاكل التي ستكون بانتظار القابض على سلطة القرار في الخرطوم ؟

عندما سألت جميل محمد - من منطقة كرن في أرتيريا - عن مدى استعداده للعودة الى بلاده بعد هذه الغربة القسرية . . قال :

علينا ان لا نقنط من رحمة الله .

تابعت حديثي مع اريتريين آخرين ، ومن اقليم تيغراي الأثيوبي أيضا . . وسألت نفس السؤال وجاءت الاجابات تؤكد كلها على العودة اذا ما انتهت الأسباب .

حب الوطن :

عندما غابت الشمس ولم يبق الا أقل القليل من الناس بالقرب من قرية الحنان الكويتية في أبي رخم بالسودان ، فإن الرجل عاد . . وسيماء وجهه كانت تنطق بكلام . . ضاق به صدره فجاء يبوح به ، دخل في الموضوع مباشرة ، وقال بلغة عربية فيها بعض التكسير ، مع أنه نزح الى السودان منذ سنة ١٩٧٩م .

اسمع ياولدي من لا يحب وطنه وأرضه . . لا خير فيه . . لقد كان سؤالك محرجا لي . . كأنك كنت تتهمني بعدم حب وطني . . من هو الذي لا يحب وطنه ، ولا يحب العودة اليه في الحال ؟

لقد أجبرتنا الحرب على مغادرة أرضنا ، أنا فلاح وابن فلاح ، والأرض جزء من تكويني ، لا تصدق أنه يوجد ما يعوض الوطن .

كان الكلام يتلجلج في فم الرجل ، وكانت اللغة لا تساعده على البوح التام بكل ما يريد أن يقول ، مقاطع من الكلام . . كان يقف عندها . . فتختنق عباراته ، ويربد وجهه ، فيستعمل يديه للتعبير . . ثم يصمت قليلا . . ويستجمع حصيلته من اللغة العربية ، ثم يعيد التعبير عن فكرة حب الوطن . . بطرق شتى وأساليب عدة . . الفكرة كانت واحدة ، لكنه كان يريد توكيدها .

استمر الرجل ملازما لنا ، كان يعمل حارسا ليليا في قرية الحنان ، وعندما ذهبت الى غرفة قريبة كي استريح . . فإن حنينه للوطن استمر يتفاعل في نفسه ، ثم تحول الى مواويل شجية . . كان يرددها في الليل البهيم . . ولم أكن أفهم منها الا : أرتيريا . . أرتيريا .

غفوت ولم أستفق . . الا والرجل يؤذن لصلاة الصبح . ثم يتبع ذلك بمواويله الشجية عن الوطن . . أرتيريا . أرتيريا .

عزيزي القارىء

جميل محمد واحد من مئات الآلاف التي قذفها الجوع والحرب والجفاف والتصحر من أماكن وبلدان عدة ، الى داخل جمهورية السودان ، فما هي حكاية كل ذلك ؟ وما هو حال الوضع الآن ؟ وكيف تعامل ويتعامل السودان مع مأساة الجفاف التي صرمت أقاليمه ؟ وكيف يتعامل مع الآلاف التي تدفقت على أراضيه من الشرق والغرب والجنوب ؟

علماً بأن المرحلة التي عاشها السودان - منذ سنة - ما هي الا مرحلة انتقالية ، ثم تحديدها بسنة بعد الانتفاضة التي أزاحت السلطة السابقة في ١٩٨٥/٤/٦ . فهل هي الصحوة . . لمعالجة الأدواء المستوطنة في السودان . . أم هي صيحة تحتاج الى رفدها بصيحات أخرى لتتحول الى صحوة حقيقية ؟

قال لنا السيد محمد حبيب مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة :

« الاحصاء الأولي يفيد بأن عدد اللاجئين الذين دخلوا السودان وصل الى حوالي مليون ومائتي ألف لاجيء حتى الآن - منتصف شهر يناير ، كانون الثاني من هذا العام - كان نصيب الاقليم الشرقي - كسلا وما جاورها - حوالي ٨٥٠ ألف لاجيء .

وهؤلاء كلهم - أي الذين نزحوا الى شرق السودان - إما أنهم من أرتيريا ، أو من اقليم تيغراي الأثيوبي المحاذي لمدينة القضارف السودانية ، أما العدد الباقي

من اللاجئين فهم قد جاءوا من تشاد التي يسودها الحرب والجفاف ، وهؤلاء لجأوا الى غرب السودان . أو جاءوا من أوغندا التي يسودها الحرب والجفاف أيضا أو من زائير وكينيا ، وهؤلاء لجأوا الى جنوب السودان .

ويضيف السيد محمد حبيب : فاذا ما علمنا بأن أقاليم السودان التي ذكرناها ما هي الا مناطق نكبت بالجفاف والتصحر أيضا ، حصوصا في الأقليم الغربي منها ـ دارفور وكردفان ، وأن الجنوب وحتى الأقليم الغربي أحيانا فيه مناوشات عسكرية وحروب ، فإن المأساة هي العنوان البسيط الذي يمكن اطلاقه على هذه الحالة ، صحيح أن موسم الذرة الحالي كان جيدا في السودان ، وان المساعدات العالمية قد لبت بعض الاحتياجات ، الا أن الأقليم الغربي وخصوصا دارفور منه مازال الناس فيه يعانون من أزمة غذاء ، وأن ما يزيد على المليون مازالوا متأثرين بالجفاف » وهناك مصادر أخرى ترفع الرقم الى ما يزيد على ثلاثة ملايين انسان .

اذا كانت أحوال الحرب وأسبابها في أثيوبيا وأرتيريا ، ويوغندا ، وتشاد ، لا دخل للسودان في مجريات قيامها ، وهي تدفع مغارم الجيرة ، وتقسم لقمتها الى لقم ، فما هي حكاية التصحر والجفاف في البلدان الافريقية ، وما هي حكايتها خصوصا في السودان ؟

جاء في كتاب « التصحر في الوطن العربي » للدكتور محمد رضوان خولي ما يلي : « ان التصحر معضلة بيئية وحضارية ثقافية ، سببها على الأرجح هو الاستغلال الضاغط من قبل أوجه الحياة للثروات الطبيعية في المناطق شبه الجافة ، ولكن من الأسباب الأساسية ، غير المنظورة تماما ، التحولات الطارئة في البيئة المجتمعية ومستوى التقنية ، وقد أسهمت عناصر المناخ والتربة والبيئة والتاريخ الاجتماعي ، والتقنية ، والادارة السياسية في السودان في عملية التصحر »

وعلى عكس الكثير من المعلومات المتداولة ، فإن المؤلف يوثق تاريخ الجفاف في السودان والمنطقة الافريقية التي تحاذيها ، الى زمن يسبق عقد الثمانينيات اذ تؤكد الكثير من المصادر أن الجفاف قد توسع وانتشر خلال سنواته الأولى ، يقول المؤلف : « لقد ضرب جفاف هائل سنة ١٩٧٣ منطقة الساحل بما فيها السودان ، ولم تتناقل أجهزة الاعلام العالمية قضية السودان ، وذلك لأن اقتصاد السودان



مساحة قارة واراضي خصبة تحتاج الى علاجات مناسبة

يعتمد على الزراعة القائمة على ضفاف النيل .

ويضيف المؤلف :

« ان خطر التصحر يكمن في مناطق السهول الرطبة الرعوية (السفانا) أكثر منه في المناطق شبه الجافة ، فهناك مساحات شاسعة حول كردفان ودارفور ، تتأثر منذ خمسين سنة خلت ـ ليس بالضرورة بزحف الصحراء ـ وانما بوجود جزر متصحرة مضروبة البيئة » .

وفي تقرير نشرته مجلة الشاهد الشهرية التي تصدر في قبرص بالعربية ـ العدد الخامس ايلول ـ سبتمبر ١٩٨٥ جاء فيه :

« لقد بلغ عدد الجياع ـ في عام ١٩٨٥م ـ في القارة الافريقية وحدها حوالي ١٥٠ مليون انسان ، وعدد اللاجئين أربعة ملايين ، فيما كانت نسبة الذين يعانون سوء التغذية قد وصلت الى ٢٢ في المئة من مجموع سكان القارة (٥٠٠ مليون) » .

النهب والارتهان :

هذه الأرقام المخيفة ، وهذه المآسي الفظيعة لم تنتج عن مشكلة التصحر أو الجفاف فقط ، بل هي نتاج زمن طويل من السيطرة الاستعمارية النهابة ، وصولا



حديث صامت مع الذكريات

أطفال الغربة
وخيام لا تقي من
حر أو قر !

مظاهرة . . . حتى للحصول على المياه !



الى الادارات السياسية « الوطنية » التي لم تحسن الادارة ، وانساقت في تيار النهب والارتهان للسياسات الاستعمارية والصراع على الكراسي ، والدخول في نفق الانقلابات العسكرية المتتالية .

يقول التقرير المنشور في مجلة الشاهد عن السودان على سبيل المثال لا الحصر :

« ان السودان الذي تم احتسابه كسلة غذاء للعالم الثالث ، وقف أمام الجفاف والتصحر ، موقفا « مريضا » لا بسبب قلة القروض والمال الصعب ، ولا بسبب قلة المساعدات ، بل بسبب بنية النظام وتوجهاته » .

وفي هذا الشأن . . قال لنا الدكتور سيد أحمد طيفور وزير المالية والتخطيط الاقتصادي في حكومة الانتفاضة :

« ان مشكلة السودان الاقتصادية ليست ابنة اليوم ، انها مشكلة موروثة ، تراكمت حلقاتها حتى وصلنا الى ما نحن عليه.ذلك أن النظام السابق أهمل القطاعات الانتاجية ، مما أدى الى تدهور البنى الانتاجية الأساسية ، ونتيجة لتدهور هذه البنى فإن الاقتصاد القومي ازداد اعتماده على الاستيراد والاقتراض من الخارج ، مع أن الكثير من السلع يمكن انتاجها محليا .

وجوهر الأزمة أو المشكلة يتمثل في محاولة الخروج من هذا المأزق وتنمية الطاقات الانتاجية ، واعادة تأهيل وتعمير البنى الانتاجية الأساسية ، على أن يتم ذلك وفق أولويات معينة ، والتزام جاد للتنفيذ من جانب الحكومة ، وقطاعات الشعب السوداني العاملة في مجال الانتاج » .

* هذه بعض الأسباب والظروف التي أوصلت السودان الى ماهو عليه ، أضيفت اليها ظاهرة الهجرة ، فتراكمت المشاكل وتزايدت ، ووصل اجمالي المديونية العامة الى حوالي ٩ بلايين دولار ، من المفروض أن يقتطع السودان من ناتجه الاجمالي ما يزيد على ٥٠٠ ميلون دولار سنوياً كي يدفعها فوائد لبعض القروض ، ومنها قروض البنك الدولي . . التي عجز السودان عن دفع فوائدها منذ أشهر قليلة ، فأوقف البنك مساعداته أو أية قروض جديدة للسودان ، الا اذا طبق السودان بعض الشروط المتعلقة ببنية الاقتصاد السوداني ، وسحب دعمه للسلع المعيشية الأساسية للناس .

معسكرات وضغوط معيشية :

قال لنا مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة الذي سبق ذكره من قبل :

ـ « يوجد حوالي نصف مليون لاجىء في المعسكرات التي نديرها ونشرف عليها ، أما بقية اللاجئين ـ أكثر من نصف مليون ـ فقد تسربوا الى المدن والقرى والحواضر ، وهؤلاء لا تصل اليهم أية مساعدات منتظمة ، وهم يمثلون عبئا على الخدمات التي تم توفيرها للأماكن التي لجأوا اليها .

ان الخدمات قد تم تصميمها لعدد معروف ، ولزيادة معروفة ، لكن أن تتضاعف الأرقام ، وأن تتزايد بشكل غير مخطط ، فإن ذلك يؤدي الى استهلاك وتخريب سريع للخدمات القائمة ، وقصور في المواد المخصصة لكل منطقة »

* صحيح أن الظاهرة بارزة واضحة في العاصمة المثلثة (الخرطوم ، أم درمان والخرطوم البحري) ويلمسها الرائر أو المقيم من خلال كثرة الذين يمدون أياديهم طلبا للصدقة ، أو من خلال بعض المظاهر السكنية غير القانونية التي زنرت الأحياء الأساسية في المدينة .

الا أن ذلك لا يكفي لادراك عمق المأساة ، لذلك فقد آثرنا أن ننتقل الى معسكرات اللاجئين في شرق السودان ، والى المعسكرات القائمة في منطقة الفاو ، ثم كسلة بالذات .

* وأن تصل الى منطقة كسلة ، فإن عليك أن تقطع حوالي ٧٠٠ كيلو متر بالسيارة ، وستمر في هذا الطريق على مدن وحواضر وقرى كبيرة وصغيرة منها :

ـ الحصاحيصا . . وتبعد عن مدينة الخرطوم حوالي ١٥٠ كيلو متراً ، والغريب أننا وجدنا في هذه المدينة مجموعة من اللاجئين الآتين من تشاد ، وتشاد تحاذي كما هو معروف منطقة الغرب السوداني ، والحصاحيصا تقع في الوسط . . مما يدل على أن رقعة انتشار اللاجئين كبيرة .

ـ واد مدني وهي عاصمة المنطقة الوسطى ، وتبعد حوالي ٢٠٠ كيلو متر عن الخرطوم .

ـ منطقة الفاو وتبعد عن الخرطوم حوالي ٣٠٠ كيلو متر ، ويوجد فيها ٦ معسكرات للاجئين ، ثلاثة من بينهم للاجئين القادمين من أقليم تيغراي الأثيوبي ، والثلاثة الباقية للاجئين القادمين من أرتيريا ، ويتراوح عدد سكان كل مخيم بين خمسة آلاف وعشرة آلاف لاجىء .



د عز الدين عامر — الصادق المهدى — محمد حبيب

وأغلب المعسكرات تقع في منطقة تسمى بأبي رخم ، وتبعد عن الشارع الرئيسي حوالي ٧٠ كيلو مترا،٥٠ كيلومتر من بينها-مسفلتة-، ويخترق الطريق مشروع الرهد الذي يزرع فيه القطن بكثافة ، أما العشرون كيلو مترا الباقية فهي طريق غير ممهدة ، تحيط بها مزارع الذرة البيضاء الواسعة ، وفي منطقة أبي رخم يقام مشروع قرية الحنان الكويتية .

- ثم يلي الفاو مدينة القضارف المحاذية للحدود الأثيوبية التي تكثر فيها معسكرات للاجئين من اقليم تيغراي (وصل عدد اللاجئين من هذا الاقليم حوالي مائة الف ، توزعوا على مخيمات عديدة بالقرب من القضارف .. وفي أماكن أخرى غيرها) . وتبعد المدينة عن الخرطوم حوالي ٥٠٠ كيلو متر .

ويلي منطقة القضارف بعد حوالي مائتي كيلو متر مدينة كسلة ، ويبعد المعسكر الرئيسي للاجئي أرتيريا حوالي ١٥ كيلو مترا عن المدينة ، ويطلق عليه اسم ود الشريفي (اي ولد الشريفي) ويبعد المعسكر حوالي ١٥ كيلو مترا عن الحدود السودانية الأثيوبية .

الحنان في عالم قاس :

كنا نسابق الشمس ، هي تسعى الى منتهاها وراء الأفق ، ونحن نسابقها للوصول الى قرية الحنان الكويتية بأبي رخم .

الطريق ترابية فيها حفر ومطبات ، حقول الذرة على جانبي الطريق ، ومشروع قناة مياه الرهد يحاذيها أحيانا أو يفترق عنها في أحيان أخرى ، قطعان الماعز والخراف والأبقار تصادفنا .. فنتخطاها مسرعين . خيم كثيرة تبرز فجأة على يسار الطريق ، مواسير مياه تبعد حوالي كيلو متر عن الخيم . والنساء والأطفال يحملون أوعية الماء ، بعضهم غاد .. وآخرون قادمون .

نسأل بعض الرجال عن المخيم وسكانه . كانت عربيتهم مكسرة ، لكننا فهمنا منها أنهم من اقليم تيغراي الأثيوبي ، وأن المخيم حديث القيام .. مازلنا نسابق الشمس ، ولم تظهر آثار قرية الحنان بعد !

وصلنا القرية .. وبدأ زميلي المصور يحاول التقاط المناسب من معالم القرية ، ثم التقينا بمهندس المشروع ومديره السيد سعيد أبو شمو . قال لنا :

« اننا نبذل كل طاقتنا كي نسلم المشروع فى منتصف هذا العام ، ولذلك فإن العمل يستمر لمدة أربع وعشرين ساعة ، نقسمه على ثلاث ورديات عمل ، كل وردية تعمل ٨ ساعات ، ويبلغ اجمالى عدد العمال حوالى ٤٥٠ عاملا موزعين على شتى المهن والاختصاصات ، وهم سودانيون وارتيريون وأثيوبيون من اقليم تيغراى ، وكما ترى فإن المنشآت قد قاربت على الانتهاء ، ويبقى علينا رصف الطرق الداخلية ، وقد بدأنا العمل سنة ١٩٨٢ على هذه الأرض التى منحتها الحكومة السودانية للجنة طبق الخير الكويتية ، وتبلغ مساحتها حوالى مائة فدان ، وهذه الأرض محاطة بمعسكرات اللاجئين ، والهدف من اقامتها هو استيعاب وتشغيل الف طفل يتيم من



الشمس لافحة . . . فأين الأمن والأمان ؟ ـ اعلى ـ معلمة سودانية . . . تحاول تعويض ما فات على جيل اجبرته الحروب والمجاعات على فقد الكثير ـ اسفل ـ



اللاجئين الأرتيريين المسلمين ، وتشغيل الأيدى الفنية فى هذا المشروع الخير .

كان الليل قد أرخى سدوله تماما . . وكانت المنطقة التى تحيط بالقرية قد غرقت بظلام كثيف . .

وجها لوجـــه :

استأذنت المهندس فى مقابلة بعض العاملين فى القرية من اللاجئين الأرتيريين والتيغرايين . . توالوا فى الحضور . . جميل محمد الذى ذكرته فى بداية هذا الاستطلاع . . ثم محمد آدم .

قال محمد آدم : عمرى ٥٤ سنة . . من منطقة سراى فى ارتيريا ، كنت أعمل فى الزراعة ، الأرض ارضى . . وكنت أزرعها بالأرز والسمسم . . ثم جاءت الحرب . . فأصبحت حياتنا مهددة ، قتلوا عشرات الأفراد من قريتنا ، فدفناهم وخرجنا هائمين على وجوهنا . . .

لغة الرجل العربية كانت سليمة تقريبا . . فسألته عن ذلك ؟

قال : لقد خرجنا من أرتيريا منذ سنة ١٩٦٧ عملت بعدها بالزراعة فى منطقة ود الحلوى لمدة ١٠ سنوات ، ثم جئنا الى هذه المنطقة ، وأنا أعمل فى القرية منذ ٤ سنوات .

سألته عن المساعدات التى تصلهم . . ومدارس الأولاد . . فقال :

تصلنا بعض المساعدات من مديرية اللاجئين السودانية ، والصليب الأحمر ومؤسسات عالمية أخرى ، وجبهة التحرير الأرتيرية لها مدارس فى المنطقة .

* **هل تعود الى قريتك . . اذا ما انتهت الحرب ؟**

ـ طبعا أعود . . لا يوجد أغلى من الوطن .

* **اين تسكن ؟**

ـ اسكن فى «قطية» ـ عشة مبنية من القش بشكل مخروطى ـ فى المعسكر القريب .

* **محمد صالح ابراهيم** عمره ٢٨ سنة من قرية قرب ميناء مصوع الأرتيرى قال : لقد أجبرت على الخروج سنة ١٩٧١ ، واشتركت فى الثورة منذ سنة ١٩٧٢ ، وحتى سنة ١٩٨١ ، إذ أن يدى بترت فى هذه السنة ، فدخلت المستشفى التابع للجبهة التى كنت أحد مقاتليها ، ثم جئت الى منطقة كسلة بالسودان ، ثم عملت بقرية الحنان منذ حوالى ثلاث سنوات ونصف ، متزوج ولى ولدان . . كنت أتعلم العربية والانكليزية فى مدارس أرتيريا ، ولم أقطع صلتى بالجبهة حتى الآن .

عندى استعداد لمعاودة القتال وتحرير أرتيريا .

المساعدات التى توزعها المؤسسات علينا قليلة ١/٢ وعاء دقيق للشخص الواحد ، ورطل واحد من الزيت ، و ٣ أكواب من الفول . . كل عشرة أيام ، أسكن فى «قطية» فى المعسكر القريب .

× **برغاوى حلوف مسيحى** عمري ٤٠ سنة ، من اقليم تيغراى بالحبشة ، متزوج ولى ٣ أولاد ، الكبير عمره ١٠ سنوات .

جئنا الى السودان بسبب الجفاف وبعض آثار الحرب التى تصيبنا أيضا . كنت اعمل فى الزراعة ، وعندما أمحلت الأرض وشح المطر . . وفقدنا مواردنا وما نختزنه ، فإننا قررنا الخروج من بلادنا ، وصلنا الى كسلة مشيا على الأقدام ، جمعتنا الحكومة السودانية مع بعضنا البعض ـ التيغراى ـ ووضعتنا فى خيام مؤقته فى معسكر قريب من المدينة ، ثم نقلتنا الى معسكر قريب من أبى رخم منذ سنتين ، وأنا اعمل فى القرية منذ سنة ونصف تقريبا .

كان برغاوى لا يعرف العربية . . وتولى الترجمة له محمد صالح ابراهيم الذى قال انه يعرف لغتهم بشكل جيد .

عندما سألت برغاوى : هل تحب العودة الى بلادك ؟ فإنه أجاب : طبعا أعود اذا ما انتهى الجفاف .

× **حلوف كحصاى** ٣٥ سنة ، من اقليم تيغراى ، مسيحى لا يتكلم العربية قال : خرجت وعائلتى مع الكثير من العائلات ، وتركنا البلاد بعد أن انتشرت فيها المجاعة ، ومات ناس كثيرون بسبب الجفاف ، ونعيش الآن فى معسكر قريب كله خيم ، يمكن أن يقتلعها الهواء والمطر بكل سهولة . . قال ان اقليم تيغراى يسكنه مسيحيون ومسلمون أيضا .

بعد أن انتهيت من تدوين المعلومات السابقة ، طلبت من المهندس مرافقتى لمقابلة مدير شؤون اللاجئين فى المنطقة ، فابتعدنا عن القرية . . العتمة كانت سائدة . . وقلما كنا نسمع صوت انسان . .

اقتربنا من مكان فيه بعض الأضواء . . كان مقهى على مفترق طرق يوصل الى عدة مخيمات . . تابعت حديثى مع المهندس سعيد . . فقال : « هل تدرى انه يوجد فى السودان وخصوصا فى هذه المنطقة بالذات مئات اللاجئين من نيجيريا » . استغربت

ذلك .. على أساس أنه لا توجد حدود مشتركة بين السودان ونيجيريا .

قال المهندس : لقد جاءوا منذ ما يزيد على ثلاثين سنة ، وربما خمسين ، وبعضهم حصل على الجنسية السودانية .

قلت : من الواضح أنه لا توجد كهرباء ، والمياه لها خزانات قريبة من المخيمات .

قال : هذا هو الوضع بالضبط .

والطبابـة ؟

- توجد مستوصفات تابعة للحكومة ، وبعضها تابع لبعض الهيئات العالمية . وصلنا بيت مدير اللاجئين في المنطقة . هو وبيوت يقل عددها عن أصابع اليد الواحدة ، كانت مضاءة بالكهرباء فقط .. قال المهندس انها بيوت موظفي مديرية اللاجئين . لم يكن المدير في البيت ولا مساعده ولا حتى مساعد مساعده .

عدنا من حيث أتينا .. وجاءني جميل محمد .. كي يثني مواجعه وأشواقه وحبه ومواويله للوطن .

استأنفنا جولتنا في القرية مع المهندس سعيد في صباح اليوم التالي .. يوم عمل جديد .. والأيدي تدق وتبني وتصيف أشياء جديدة .. هنا المستشفى .. هناك الجامع والروضة وابتدائية الصبيان .. والمشغل ، وابتدائية البنات ، والمتوسطة الفنية .. وورشة فنية ، وداخلية اطفال ، والسوق المركزي ، ومنتدى العاملين ، المطبخ ، وغير ذلك عشرات الأماكن التي ستلعب دورها في توفير حياة حرة كريمة لمئات العائلات وآلاف الأطفال .

أعاد زميلي المصور تصوير عشرات الصور للمكان . وانطلقنا الى المخيم القريب الذي كانت تعج طرقاته المتربة بعشرات الرائحين والغادين ، والأطفال الذين يمارسون لهوهم البريء ، وبعضهم كان لا ينتعل شيئا في رجليه .. ولا يستر جسده أية قطعة قماش .

عودة الى الحنان :

« من متابعتنا لما يجرى حولنا نجد صورا كثيرة تحتاج الى أن نحيطها بالخير ، أمامنا وخلفنا وبجوارنا صور تحتاج الى أن نرعاها بالخير » .

هكذا ولدت الفكرة في ذهن رئيسة تحرير مجلة أسرتي الكويتية السيدة غنيمة المرزوق ، وهكذا ولد مشروع « طبق الخير » منذ سنه ١٩٧٥ ، وبدأ تنفيذه الفعلي سنة ١٩٧٧م ، بعد أن تبنت الفكرة الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية التي ترأسها الآنسة لولوة القطامي .

طبق أكل بسيط ، سعره رمزي .. ومغزاه كان توفير الحنان للطفولة المعذبة التي حرمت من عطف وحنان أحد الوالدين أو الوالدين كليهما ، هذا هو أساس مشروع طبق الخير وهكذا استمر .

النساء والرجال الأفاضل في الكويت ساهموا وتابعوا مساهماتهم كل سنة ، فولدت مدرسة الحنان في سوق الغرب بلبنان التي وضع حجر الأساس لها سنة ١٩٧٩ .

وفي نفس السنة سافر وفد نسائي يمثل مشروع « طبق الخير » الى السودان للوقوف على معاناة اللاجئين في شرق السودان ، وفي نفس ذلك العام تبلورت فكرة اقامة قرية الحنان الكويتية بأبي رخم . فتبرعت الحكومة السودانية بالأرض ، واستعدت نساء وفتيات المشروع « طبق الخير » والمجلة والجمعية لتوفير المبلغ من المحسنين .

وهكذا تم توقيع عقد بناء القرية سنة ١٩٨٢ ، والمؤمل الانتهاء من بناء جميع مراحلها هذا العام .

والعدد الاجمالي الذي ستستوعبه القرية هو ألف طفل في مراحل الروضة والابتدائي والمتوسط ، ومدرسة فنية متوسطة للذكور والاناث من الأطفال ، اضافة الى مشغل فني للنساء ، وورشة فنية ، وتبلغ تكاليف المشروع في جميع مراحله حوالي سبعة ملايين دولار .

حتى ولو تحت شجرة !

أنهينا جولتنا في المخيم القريب من قرية الحنان ، وأثناء استعدادنا للرحيل لفت نظرنا تسرب بعض الأطفال الى مكان محدد .. فتبعناهم . حوالي عشر «قطاطي» جمع قطية ـ وهي العشة كما ذكرنا ، كانت مسورة وساحتها نظيفة .. وصوت الأطفال كان يتردد بين الفينة والأخرى .. بعضهم كان يجمع الأعداد الحسابية ، وآخرون كانوا يرددون درسا في الدين ، وغيرهم درساً في العربية .

مدير المدرسة السيد عمر ابراهيم .. قال : ان المدرسة تتبع جبهة التحرير الأرتيرية ـ التنظيم الموحد ، وان فيها ١١ فصلا من الصف الأول الابتدائي الى الصف السادس ، وان عمر المدرسة ٦ سنوات ، وانها نشأت منذ نشوء المخيم . المدرسون



مشروع لادخال الحنان فى قاموس حياة عاشت الأهوال مع أنها غضة وطرية !



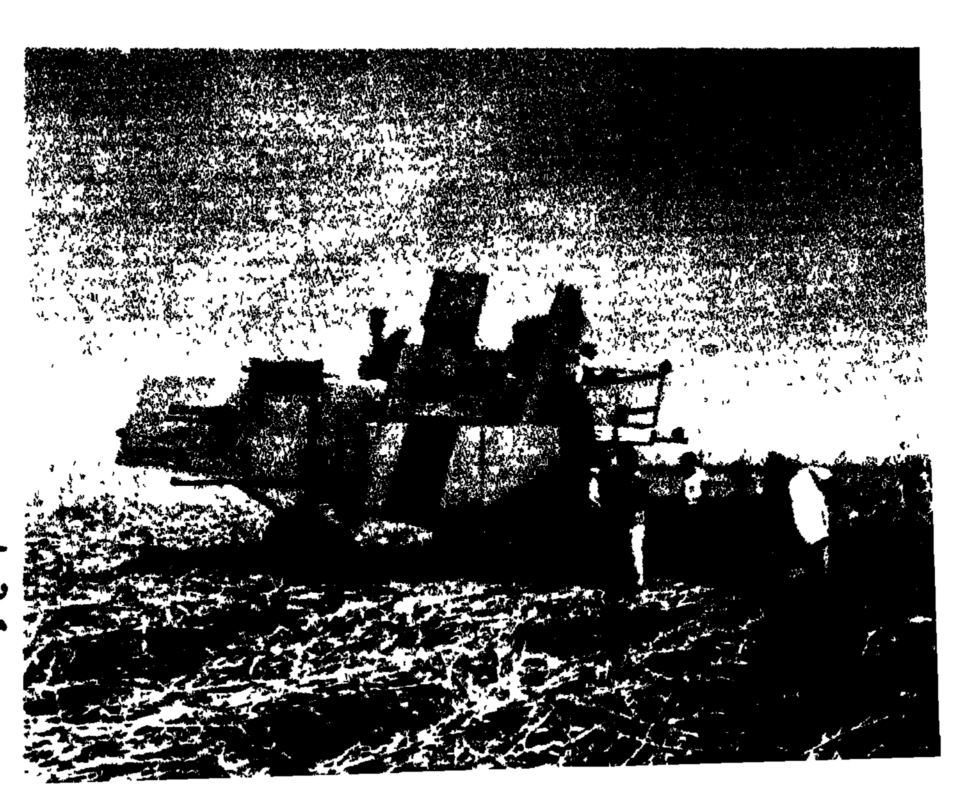
المهندس سعيد أبو شمو .. يشرف على انجاز بعض الأقسام فى قرية الحنان .



بانتظار ما يقيت ويستر !



انا من هذا العالم . . فمتى يصغى اليَّ ؟



حاصدة وحاصدون
وموسم جيد للذرة
هذا العام

في المدرسة سودانيون وأرتيريون ، والجبهة تصرف على المدرسة اضافة الى بعض المساعدات من مؤسسات محلية وعالمية أخرى .

كان شيخ يلقن تلاميذه بعض السور القرآنية . . تحت ظلال شجرة .

قال السيد عمر : لقد انهارت «القُطية» كما ترى.. فلجأ الشيخ الى ظلال الشجرة كي يؤدي واجبه ، وافترش الأطفال الأرض العارية !

دخلنا بعض الفصول ، أولاد وبنات في نفس الفصل ، الأولاد في جانب والبنات في جانب آخر ، واللوح الأسود على حائط القش ، والطاولات والكراسي من الخشب ، وفي بعض الفصول افترش الطلبة الأرض .

أنشدوا أناشيد وطنية بالعربية والأرتيرية .

وطن . . وطن . . من هو الذي يرضى أن يحيى بلا وطن ، أو يسلم للغاصب فيه ؟

اذن فليرضع الأطفال هذا الاكسير ، الحلم ، الرغبات ، الآمال ، الطموحات . . ووعود الكرامة والعيش الحر . . ليرضعوا هذا المزيج من الأماني مع الحليب . . ولتذهب خيالاتهم الغضة مع الصور التي تنهال على ذاكرتهم من المدرس والأب والأم . . والأقارب وغيرهم . . هكذا انساقت نفسي مع أغانيهم ، تمعنت المكان جيدا ، كان بسيطا وفقيرا الى أقصى درجات الفقر ، مع ذلك فإنه كان يؤدي رسالته على أكمل وجه .

على بعد أمتار قليلة . . كانت قرية الحنان بمبانيها الضخمة وامكانياتها المقتدرة مجرد وعد لمشروع يمكن أن يوفر على آلاف الأطفال مواجهة القسوة والفظاعة ودمامة الواقع ، كانت ومازالت وعدا بلمسة حنان ، بلقمة نظيفة ، وببيت دافىء آمن من تقلبات الطبيعة ، فيه وسائل تعليمية أفضل ، ورعاية أدق وأشمل ، بليل فيه ضوء أفضل للقراءة والمراجعة . . وبنهار يستعيد فيه الانسان انسانيته . . ليضع حلم العودة الى الوطن على أرض صلبة .

اشارات ووعود :

تبعد مدينة كسلة عن قرية الحنان الكويتية حوالى ٤٠٠ كيلومتر ، الطريق اليها مرصوفة ومسفلته بشكل جيد ، على جانبي الطريق كان موسم الذرة قد حان قطافه ، بعضه قطف وينتظر الشاحنات لتشحنه ، وبعضه كانت الحاصدات والعمال يتولون حصده ، والباقي فإن عناقيده كانت متدلية . . الطيور تأكل بعضها . . والبعض الآخر ينتظر مناجل الحصادين وسكاكين الحاصدات .

حقول ممتدة على أبعد ما يمكن أن يصل اليه النظر ، أرض حمراء سمراء غنية . وقنوات المياه تغنيها من عطش شح المطر ، الشمس تلهب الطريق وتلهبنا بأشعتها ، درجة الحرارة تزيد على الثلاثين ، ونحن في شهر كانون الثاني - يناير - السودان من الأقاليم التي تتلقى المطر في أشهر الصيف ، أي من مايو - أيار . حتى ايلول - سبتمبر . انها طبيعة الأقطار الموسمية . . والسودان أحدها ، لذلك فإن أمطاره موسمية .

*** ماذا غير حقول الذرة يمكن أن تلفت نظر الزائر الحديث على جانبي الطريق الرئيسي بين الخرطوم وكسلة ؟**

- منذ أن تغادر واد مدني عاصمة المنطقة الوسطى في وسط السودان ، وحتى كسلة ، فإن معظم بيوت القرى والكثير من الحواضر والمدن مبنية من القش المخروطي الشكل التي تسمى بالقطاطي ، وهذه البيوت ظاهرة أفريقية منتشرة في الكثير من البلدان الأفريقية ، وهي مظهر من مظاهر بساطة العيش وتواضعه ، واذا كانت مدينة مثل مدينة القضارف يزيد عدد سكانها على مائة ألف نسمة ، فإن الكثير من سكانها يعيشون في بيوت - قطاطي - مبنية من القش .

- الوسيلة الأساسية للتنقل وخصوصا في القرى وبعض الحواضر ، مازالت تعتمد على الحمير والجمال . . والقليل من الخيول ، وقد صادفتنا قوافل كثيرة من هذه الحيوانات ، بعضها كان يرعى في الحقول أو يقترب من بعض برك الماء المتبقية من أمطار سابقة ، أو يمتطيها الرجال والنساء في تنقلاتهم ، كما صادفتنا الكثير من الثروة الأساسية في السودان ، أعني مجاميع الغنم والماعز والأبقار والجمال التي كانت ترعى أو ترد أماكن الماء .

وصادفتنا أيضا خلال اقترابنا من مدينة كسلة عشرات المخيمات لبدو المنطقة ، أناخوا رحلهم بالقرب من بعض أماكن الماء .

- لقد تم مد المياه الى وسط الجزيرة بواسطة قناة الرهد ، وقامت بسببها العشرات من المشروعات الزراعية وبعض المصانع والمحالج ، كما أن عشرات المصانع قد أقيمت على جانبي الطريق ، بعضها خاص بالنسيج ومحالج القطن ، وصناعة الزيوت ،

والسكر ، والترابة ، والدباغة ، وصناعة الدقيق وغيرها .

وهذا دليل على أن الأرضية الانتاجية سليمة ، وكل ما تحتاجه يتمثل في اعادة تنشيط وتأهيل .

ـ مازالت بقايا أحراش متعددة الأنواع من الأشجار تحف بالطريق الرئيسي ، وبعضها يقطع ويحرم ويباع بقروش قليلة مثل : الدوم ، السيال ، السنط ، والكتر ، واللعوت ، والطلح ، وهذا الأخير له حضوره في الموروث الشعبي السوداني ، اذ يعتقد بأنه يزيد من القابلية الجنسية عند الرجل والمرأة .

جاء في كتاب « دراسات في البيئة السودانية » للدكتور حسن مصطفى حسن ما يلي عن الشجرة :
« في السودان تتدخن النساء بخشب الطلح وهو نوع من الزينة وعلاج لبعض الأدواء ، ومراسيم الدخان ان المدخن يجلس على حفر الطلح بعد أن يوقد به النار وبعد أن يلف جسده بالشملة ، وهي من الصوف السميك ، فلا يخرج الدخان الا من خلال الشملة حول عنق الجالس » .

وقد قيلت أشعار كثيرة حول هذا النوع من الشجر . . منها هذا البيت للشاعر عبدالله الطيب
« وشجا الاضلاع قُمريٌ على الطلح ينوح » .

وهذه الأحراش ينتج بعضها الأصماغ التي اشتهر بها السودان . ويمكن بواسطة خطة مدروسة اعادة تأهيل هذه الأحراش ، وجعلها تستعيد دورها في بنية الاقتصاد السوداني .

توتيل وكسلة :

قال الشاعر عبدالله الطيب وهو يمزج صورة جبل كسلة « بالمدخن » الجالس على حفر الطلح :
« والجبل السامي المطل على الوادي الذي حله بنو حُسنهُ
متوجاً بالسحاب مثل دخان الطلح قد عج حول مُدخنهَ »

وهذا يفيد بأن الجبل المحيط بكسلة هو أبرز معالمها ، ويسمونه هناك بجبل توتيل وهو أقرع أصلع ، يرتفع ارتفاعا حادا يصل أعلاه الى ألفي قدم . صخوره بركانية ، تنتظر نحاتا ينحت عليها بعض صور الفن التي تتراءى له وتشغله .

سكان المدينة يتجاوزون المائة ألف ، وهي مقر طائفة الختمية ، وقد جاء في كتاب « **مختصر تاريخ السودان الحديث** » للدكتور **مكي شبيكة** ، حول كيفية نشوء المدينة ما يلي . ـ

« وأكبر نشاط قام به أحمد باشا (والي محمد علي باشا على السودان) في عهده ، هو فتحه لاقليم التاكة في شرق السودان ، فسار على رأس جيش الى شندي ومنها اتجه شرقا الى قوز رجب ، وسلمت له بعض القرى دون مقاومة ، ولكنه عندما توغل في منطقة خور القاش وأرضه الوعرة ذات الغابات قاومه الهدندوة ، ولكن لاقبل لهم بالأسلحة النارية ، وطلبوا الصلح ، وأقام أحمد باشا معسكره في المكان الذي عرف فيما بعد بكسلة » .

أي أن المدينة بنيت في الأربعينيات من القرن الماضي ، ويقطعها نهر القاش الذي يجف في الأشهر غير الممطرة ، وتكثر حول المدينة بساتين الموالح (البرتقال ، والماندرين والمندلية ـ يوسف أفندي ـ) والموز والكثير من الخضراوات ، وتعتمد في سقايتها على الآبار .

قبل أن ننطلق الى معسكر ود شريفي الذي يبعد عن المدينة حوالي ١٥ كيلومترا ، آثرنا اللقاء بالسيد محمد حبيب مدير مشروع اسكان اللاجئين في منطقة كسلة .

صور من الشقاء الانساني :

قال لنا السيد حبيب ، لقد أُنشىء معسكر ود شريفي سنة ١٩٨٢ ، وصمم كي يستوعب حوالي خمسة آلاف لاجيء ، وهو معسكر انتقالي ، من المفروض أن يقضي فيه اللاجئون أسابيع قليلة ، ثم يُنقلون الى أماكن استيعابية أخرى ، وقد بنيت فيه مؤسسات خدماتية على هذا الأساس ، كالعيادة ، وأماكن المياه ، وأماكن التموين ، و « الخلاوي » الدينية وغيرها من أماكن .

الا أن حدوث الجفاف في أثيوبيا وأرتيريا دفع بآلاف السكان الى مغادرة أراضيهم ، واللجوء الى السودان منذ أواخر مايو سنة ١٩٨٤ ، ومعظم الذين وفدوا الى منطقة كسلة هم من الأرتيريين ، وبينهم ٩٠ بالمائة مسلمون ، و ١٠ بالمائة مسيحيون .

وقد وصل عدد اللاجئين في المعسكر حتى الآن حوالي ١٧٤ ألف لاجيء .

ـ لقد ذكرت انه يستوعب خمسة آلاف ؟

نعم ان المعسكر قد صمم لاستيعاب هذا العدد ، لكن ماذا نفعل ازاء الالاف المؤلفة التي أخذت تتوافد

السوق الفقير . . فرجة وبيع ايضا . والجبل هو جبل توتيل





طوابير لاستلام المؤن . . . من يقرأ من يسمع ، من يرى ، ومن يتحرك ؟

وجه من تشاد . . . . ماذا يخبيء المستقبل ؟ - يسار

وهي تعاني من الجوع وفقدان كل ما تملك فاضطررنا الى توسيع المعسكر ، وبالتالي الى توسيع الخدمات فيه ، لقد وصل الدفق البشرى الى حوالى ألفين في اليوم الواحد ، وقد أخذ يقل الى أن وصل المعدل اليومي الى حوالي مائتي لاجيء (الان)

ـ لقد شاهدنا بعض اللاجئين من اقليم تيغراى الأثيوبي ومن تشاد . وقيل من نيجيريا !

● اللاجئون من اقليم تيغراى لجأ معظمهم الى منطقة مدينة القضارف القريبة من حدودهم ، أما التشاديون فقد لجأ بعضهم الى الغرب السودانى ، وتسرب بعضهم الى مناطق أخرى ، أما النيجيريون فقد جاءوا منذ عشرات السنين ، والكثير منهم حصل على جنسيات ، وهم إما أنهم كانوا في طريقهم الى الحج فأعجبتهم البلاد وتوطنوا ، أو لهم بعض الأقارب ، أو جاءوا للعمل ثم توطنوا

ـ هل عاد بعض اللاجئين الى بلادهم بعد أن خفت حالة الجفاف ؟

● ان الجفاف هو عامل واحد بين عدة عوامل دفعت الناس الى الهجرة ، وهناك عامل الحرب ، والتجنيد الاجبارى وغير ذلك . ومع ذلك فإن حوالى ٣٠ ألفاً من اقليم تيغراى الأثيوبي عادوا الى بلادهم بعد أن خفت حالة الجفاف

ـ لاحظت أن الارتيريين يتكلمون العربية بلهجة خاصة ؟

● ان الكثير من الارتيريين هم من قبيلة بني عامر المنتشرة على الحدود بين اقليم ارتيريا والسودان ، وهذه القبيلة هي قبيلة عربية ، لها لهجتها الخاصه المشتقة من العربية بطبيعة الحال .

ـ هل تمارس الجبهات الارتيرية العمل السياسي داخل المعسكرات ؟

● ان العمل السياسي ممنوع داخل المعسكرات ، وهناك بعض المساعدات التي تقدمها الجبهات ، طبية ومعيشية ، ولها بعض المدارس في المعسكرات الثابتة

ـ ألا يوجد حل لهذا التدفق البشرى الذي يمثل أعباء كبيرة على السودان ؟

● ان السودان يحاذي في حدوده ثماني دول ، وحدوده طويلة ، ولا يمكنه السيطرة على كامل هذه الحدود ، اضافة الى أن بعض هذه الدول فيها حروب ، ولا يوجد استقرار سياسي فيها كي يتم بحث وحل هذه الأمور مع حكوماتها .

وبالرغم من أن الحكومة السودانية راجعت بعض هذه الحكومات ، لوقف تدفق اللاجئين ، الا أن الأمر لم يصل الى حالة مرضية ، فتولت الحكومة السودانية بالتنسيق مع المنظمات الدولية المختصة ايجاد ثلاثة أنماط من مشاريع الاعاشة الثابتة

أولاً . توزيع بعض الأراضى على اللاجئين المزارعين ، مساحتها من ٥ الى ١٠ فدادين لزراعتها والاستفادة من محصولها .

ثانيا : بناء معسكرات قريبة من المشروعات الزراعية كالرهد ، ومؤسسة حلفا الزراعية وغيرها ، وذلك لتوفير فرص ومجالات العمل للأيدى القادرة على العمل من بين اللاجئين

أما الطريقة الثالثة فهي تجمع بين الطريقتين السابقتين ، وهناك بعض المعسكرات اقيمت بالقرب من المدن ، وأسكن فيها اللاجئون القادمون من المدن لتوفير فرص العمل للأيدى الفنية المتخصصة .

ـ ألم يترك ذلك آثاره السلبية على المواطنين ؟

● لاشك أنه حصلت تململات وعدم رضا نتيجة مزاحمة اللاجئين للمواطنين في الخدمات التي زاد الضغط عليها ، كما أن بعض ملاك الأراضى احتجوا على تخريب بعض مواسمهم ، نتيجة لوجود معسكرات اللاجئين بالقرب من مزارعهم أو داخلها وهناك حالات سلبية أخرى عديدة .

ـ اذا كان النشاط السياسي غير مسموح به ، فما هو الوضع بالنسبة لحرية الاعتقاد الديني ؟

ان حرية الاعتقاد الديني مكفولة للجميع ، وهناك « خلاوى » أى مساجد صغيرة وكنائس داخل وخارج المعسكرات ، يمارس فيها الناس حريتهم التامة في العبادة

داخل المعسكر :

قبل الوصول الى المعسكر الذي يحاذى جبل توتيل ، فإن مزارع الموز والبرتقال تنتشر على جانبى الطريق ، وقرية ود شريفي تتداخل مع المعسكر الى درجة أن الرائي من بعيد لا يفرق بينهما ، لأن بيوت القرية ـ القطاطى ـ مبنية من القش مثل بعض بيوت المعسكر ، نتيجة لهذا التداخل ونتيجة لقيام المعسكر على بعض أراضى المزارعين ، ونتيجة لدخول بعض صبية اللاجئين الى المزارع ، فإن بعض السلبيات قد قامت بين الطرفين ، لكنها بقيت ضمن حدود السيطرة والتفاهم

السيد محمد عثمان علي الضابط التنفيذي لمكتب شؤون اللاجئين التابع لوزارة الداخلية السودانية قال

لنا ونحن في المعسكر : « انه من المفترض ترحيل حوالى ٢٠ ألفا من اللاجئين خلال أيام معدودات الى منطقة الفاو ، وذلك بعد الانتهاء من التجهيزات المناسبة هناك ، لأن الضغط السكاني في المعسكر ازداد ، وهذا يمثل ضغطا على كل الخدمات ، مما يقلل من كفاءتها . »

وحول سؤالنا المتعلق بالمساعدات التي وصلت للمخيم . . قال :

« لقد وصلت بعض المساعدات الغذائية من بعص الدول الأوروبية ، والعربية ، ومنظمات عالمية أخرى ، ولبعضها مراكز تغذية وعيادات طبية داخل المخيم

● **السيد عصام** ، الباحث الاجتماعي ، رافقنا في جولتنا داخل المخيم . . قال : ان المشاكل الاجتماعية الموجودة في المخيم هي مشاكل عادية ، وانهم يمارسون عاداتهم وتقاليدهم في الزواج وغيره كالمعتاد .

كانت الشمس ترسل سياط أشعتها فتلهب أرض المخيم بالحرارة . . وغطاء الناس كان قماش خيمات يقي ولا يقي ! .

عشرات من النسوة والفتيات اصطففن بطوابير عديدة لاستلام المؤن المقررة ، صور من الشقاء الانساني كان يتجسد لمن يريد أن يرى . . لكن العالم . . أعني العالم القادر كان لا يرى الا ما يريد أن يراه !

أطفال تدفقوا على المركز الغذائي السويدى . . الأطباء والممرضون فيه أريتيريون ، ووجه نسائي أحمر كان يتحرك بين الأطفال . . مجرد قطع من القش كانت موزعة على عصى وأخشاب ، لتقى الأطفال من لهيب الحريق المنبعث من سياط الشمس ، قال لنا أحد الأطباء أن سوء التغذية ، والملاريا ، والسل هي أكثر الأمراض المنتشرة بين الأطفال .

● **محمد حاج محمد** شاب عمره ١٦ سنة ، اقتحمنا عليه خيمته ، كانت أمه وأخته في خيمة مقابلة . . قال لنا : « انهم جاءوا من منطقة غواردات في أرتيريا في الشهر السادس من عام ١٩٨٥ ، وهم من قبيلة بنى عامر ، وانهم نزحوا بسبب الحرب والجفاف ، وان والده الذي لا يعمل ذهب يبحث عن أخيه الذي انقطعت أخباره منذ أسابيع ـ الولد يعمل راعيا بالقرب من مدينة واد مدنى ـ .

وأضاف أن المساعدات التي يتلقونها قلما تكفيهم ، وانه على استعداد للعمل اذا ما توفر له العمل المناسب ، وانه تعطل عن دراسته بسبب عدم وجود مدارس في المعسكر .

قالت والدته . . هذا هو وضعنا . . ونحن تحت رحمة الله . . خيمتان متقابلتان في كل منهما سرير مجدول من خشب وخيوط النخل . . أوان . وملابس قليلة . . لا كهرباء . . ولا ماء الا ما تحضره الفتيات من الأماكن العامة ، لا بيوت خلاء الا الأماكن العامة أو الخلاء الفسيح نفسه . .

نخرج ، دوار يلف رؤوسنا ، وعيوننا زائغة ، وفي النفس كلمات وعبر . . ننظر الى الأطفال والى عابري السبيل . . الى المدى الموشوم والمطرز بآلاف الخيم . . والى سياط الشمس المقذوفة كاللهب على الرؤوس ، يصيح داخلنا : ألا ما أظلم بنى البشر ، القمح والحليب يقذفونه في قلب البحر لأن سعره قليل ! وهنا بشر تحت سماء نفس الكوكب يتضورون جوعا . . وتفتك بهم الأمراض والحروب ! ألا ما أظلم الانسان عندما يعميه الشبع عن ان يرى وجهه الآخر .

المشهد السياسي :

من لا يلتفت الى المشهد السياسي في السودان الآن وغير الآن ، فانه يفقد أبجديات البوصلة التي توجه الأحداث والسياسات . لقد قامت انتفاضة في مارس وابريل من العام الماضى فأطاحت بالنظام ، وهي كانت صرخة وصيحة حق تبحث عن سبيل خلاص للأمراض والأدواء التي عششت ونخرت بعض خشب البناء في البيت السودانى . . والصراع الآن انتقل الى صناع الانتفاضة ، هو صراع سياسي لكسب الأصوات في الانتخابات .

لكن الأصوات ، أى أصوات الناس في الانتخابات ، بامكانها أن ترجح كفة على أخرى . . ومن يكسب ثقة الناس ، عليه أن يواجه حقائق الأمور . . جوع وفقر دخل الكثير من البيوت ، اقتصاد منهوب ، هجرات وتدفق بشري لا يبدو انه سيتوقف ، حرب في الجنوب وقودها بشر وامكانات . . طوائف واتجاهات وأحزاب ، وأياد أجنبية تلعب وتحرك وتتحرك ، ولا تريد للمنجم الذي ذاقت من خيراته ان يتوقف عن المد والرفد .

فكيف يمكن تحويل الصيحة والصرخة التي أطلقها الغضب الذي تجمع في كبت السنين الماضيات الى صحوة تقوم الأعوج ، وتوقف التدهور ، وتسد

الثقوب التي دخلت سلة طعام الذات والوطن العربي ؟

السيد الصادق المهدى رئيس وزراء أسبق ، قال جوابا عن سؤال يتعلق بالمجاعة ، والهجرات ، وبنية الاقتصاد السودانى :

« ان مقومات السودان الزراعية والاقتصادية جيدة ، ويستطيع الاعتماد على ذاته ، صحيح أنه أصيب بكبة الجفاف سنة ١٩٨٤ م ، لكن لو كانت هناك حكومة عاقلة في ذلك الوقت فإنها كانت تستطيع أن تمتص المشكلة وتواجهها وتحلها . . لكن الحكومة لم تكن عاقلة في ذلك الوقت . . ولا رشيدة ، لقد استمرت تلك الحكومة بتصدير الذرة الى الخارج حتى شهر اكتوبر من سنة ١٩٨٤ م ، وهذا دليل على أن الحكومة السابقة كانت مهملة ، وتتصرف باستهتار بكل ما يتعلق بالشعب السودانى .

ـ أما بالنسة للسؤال المتعلق بالهجرة من الريف الى المدينة . . فإن السيد الصادق أجاب عنه بقوله :

● هي حالة عرضية مؤقتة ، وعلاجها يبدأ بالريف نفسه ، اذا ما تم توفير وسائل انتاج وخدمات ، وتم انعاش واعمار الريف . . فلماذا يهاجر الفلاح أو الريفى من أرضه وقريته ؟

لقد عوقب أولئك الناس في العهد السابق ، وعلينا الآن أن نستجيب للوقائع والحقائق كما هي . . لقد وصل معدل الزيادة السنوية في المدن الى ٨٪ في السنة ، وهذه نسبة عالية ، لأن النسبة العادية والطبيعية لا تتجاوز ٣٪ ، والباقي هو نزوح له أسبابه وحيثياته . . والعلاج يبدأ بدراسة هذه الأسباب ومعالجتها على الطبيعة .

ـ والهجرات الآتية من خارج السودان ؟

● انها مشكلة أضيفت الى مشاكل السودان الكثيرة ، وباعتقادى أن حلها يتم عن طريق عدة وسائل وأساليب منها :

* توفير الاستقرار السياسي في السودان نفسه ، ثم التباحث مع الحكومات المعنية ، والبحث عن الوسائل والأساليب المناسبة لمواجهة هذه المشكلة .

● أما الدكتور عز الدين على عامر السياسي السودانى المعروف ، فإنه أجاب عن السؤال المتعلق بمشاكل السودان الاقتصاديه بقوله : ـ

« يعانى السودان من أزمة اقتصادية حقيقية ، نتيجة لتوجهات السياسة السابقة ، والخروج من هذا الوضع يتطلب وضع سياسات وبرامج معينة طويلة المدى ، وباعتقادى أن من الصعب على الحكومة الانتقالية الحالية القيام بهذا الأمر ، لذلك فإن المعالجات الاقتصادية الطويلة الأمد ، ستقع على عاتق الحكومة التي ستلى الانتخابات .

ومن الأمور المهمة العاجلة : محاولة الخروج من اطار الاقتصاد الطفيلى ، والتوجه لبناء اقتصاد انتاجى ، وهذا يتطلب وقتا بطبيعة الحال ، وخلال هذا الوقت فإنه يجب استنهاض القوى المنتجة وتحريكها لزيادة الانتاج ، ووضع البرامج المناسبة التي تستجيب لآمال وطموحات معظم السكان ، وتقديم الحلول المناسة لمشاكلها .

كل ذلك يتطلب وجود حكومة وادارات سياسية مستقرة ، ومستقلة عن ايماءات ومصالح الدوائر الاستغلالية ان كانت في الداخل أو الخارج .

أقسى الشهور جميعا !

عزيزى القارىء ،

المشهد السياسي السودانى ما زال في طور الشد والجذب ، وطرح الشعارات والمفاهيم . .

رياح العصف الجماهيرى أدت دورها في الاطاحة بالسلطة السابقة ، والجماهير نفسها الآن موضوعة على محك اختيار من يمثلها لقيادة المرحلة القادمة . . فهل تنتهى حالة الشد والجذب الى الاستقرار المنشود . . والى الصحوة التى تعيد عجلة الحياة الى ما تتمناه أغلبية الجماهير ؟ نترك السؤال معلقا لتجيب عنه الأيام . . والقوى الفاعلة في السودان !

قال الشاعر الانكليزى ت . س . اليوت في قصيدته المشهورة « الأرض الخراب » : « نيسان ـ ابريل » أقسى الشهور جميعاً !

من المؤكد ان نتائج الانتخابات في السودان ، اذا ما سارت الأمور سيرها العادى والطبيعى ، وحسب ما تم الاتفاق عليه اثر الانتفاضة في شهر نيسان من سنة ١٩٨٥ م ، ستكون قاسية على الكثير من القوى والمؤسسات .

لكن ـ وبالتأكيد ـ لن تكون قاسية على قوى أخرى ، وعلى الأغلبية من الشعب السودانى ، اذا ما تم تكريس ارادته في الاختيار الحر . . وفي ارساء معالم الديموقراطية الحقيقية ! □

رحلة إلى قلب «الكازار»

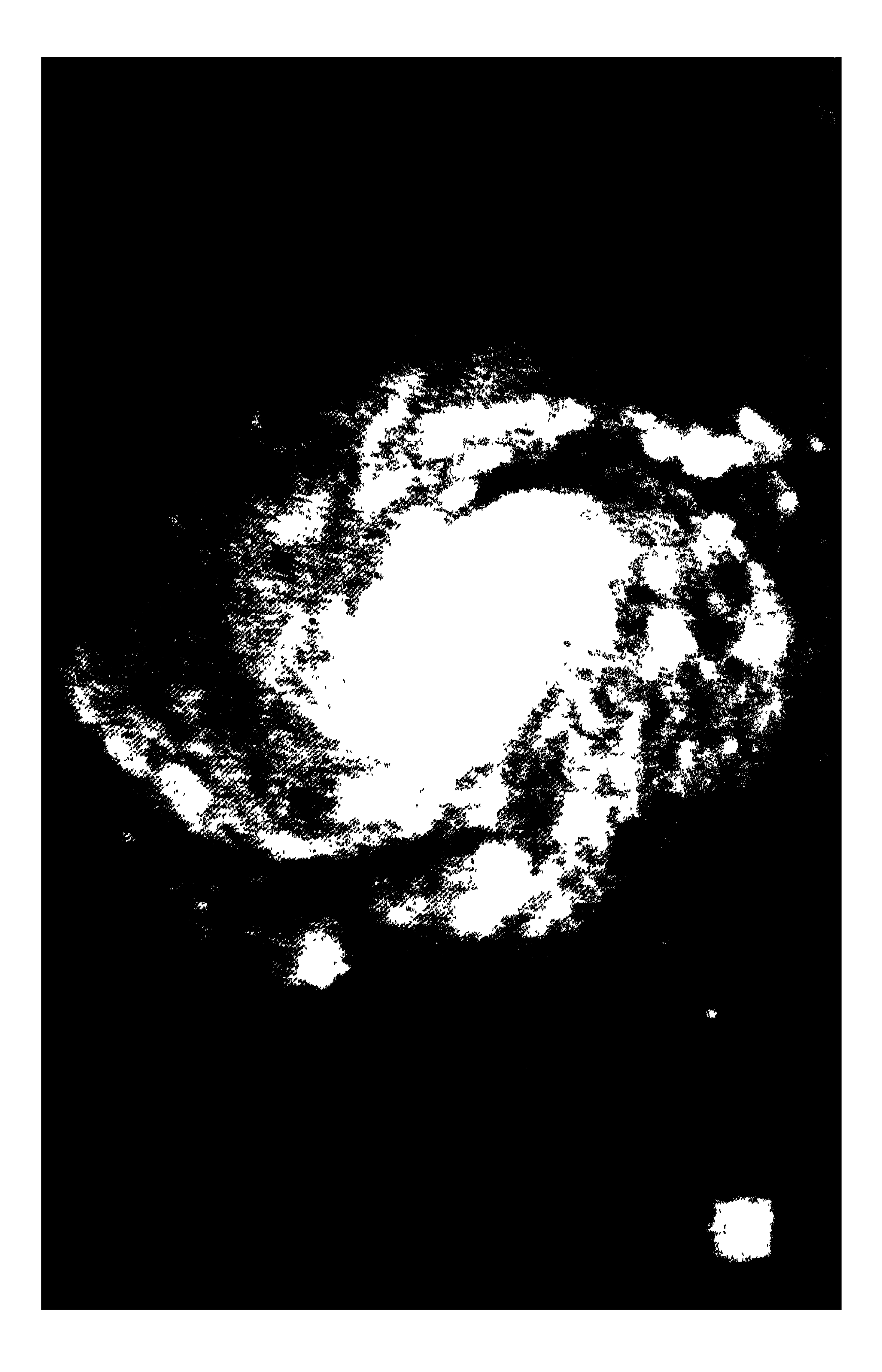
أضخم مولِّد سماوي للطاقة

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م ، نشرت مجلة صورة العلم ، الألمانية خبرا مثيرا يثلج صدر كل من تتوق نفسه الى معرفة اسرار الكون الغامضة ، والتعرف على النظام البديع الذي تتجلى فيه حكمة الخالق بأبهى صورها : لقد تمت اماطة اللثام - وبصورة نهائية - عن وجه (الكازار) اضخم مولد سماوي للطاقة بعد حيرة ظلت مسيطرة أكثر من ٢٠ سنة .

منذ اكتشاف هذه الاجرام الغريبة وتحديد هويتها في عام ١٩٦٣م ، يتساءل العلماء والفلكيون : ما هي طبيعة « المولد » (الدينامو) الذي يجعل (الكازار) يتربع على عرش البريق واصدار الطاقة ، رغم انه صاحب الرقم القياسي في البعد عن كوكبنا الأرضي ؟

كلفت رحلة الذهن الى قلب (الكازار) واستكشاف مولده العملاق عقدين كاملين من المراقبة ، وامعان الفكر والحساب . واخيرا سقط آخر الحجب التي كانت تلف لغز (الكازار) الغامض ، بفضل دراسة صور الأشعة السينية (أشعة اكس) الملتصقة بالكازار من قمر صناعي يدور حول الأرض . ايدت هذه الصورة المؤشرات المتراكمة في السنوات الأخيرة ، بأن « ملكات البريق » هذه انما هي « نوى نشيطة جدا لمجرات بعيدة ، تقوم فيها « الثقوب السود » بدور المولد .



الكازار والمجرة :

قبل بضعة اشهر تم تقديم احدث الاثباتات المؤيدة لهذا الرأي « لاحجبة الكازار » من قبل الفلكي الأمريكي ماتيو مالكان ، الذي يعمل في معهد كاليفورنيا للتقنية ، فقد قام مالكان وزملاؤه بدراسة مجموعة مؤلفة من ٢٤ كازارا تتميز عن الكازارات الأخرى باصدارها للاشعة السينية .

الكازارات السينية هذه تم كشفها من قبل المرصد السيني الفضائي الأمريكي (HEAO-2) الذي أطلق عليه فيما بعد اسم « مرصد اينشتاين » الذي تم وضعه في مدار حول الأرض ، في تشرين الثاني ١٩٧٨م . وكان هذا ثاني مرصد سيني فضائي تطلقه وكالة بحوث الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) ، بحثا عن منابع الأشعة السينية السماوية ، التي تصطدم « بالدرع » الذي يمنعها من بلوغ سطح كوكبنا الأرضي ، ألا وهو الغلاف الجوي . كان « مالكان » يبحث عن اجابة شافية عن التساؤل التالي : لماذا تقوم بعض الكازارات باطلاق الأشعة السينية ، بينما تبدو « الكازارات » الأخرى عاجزة عن ذلك ؟

فوجيء مالكان في مرحلة مبكرة من دراسته بالنتيجة الفرعية التالية : وجد مالكان وزملاؤه في جميع الكازارات السينية ، التي تقل مسافتها عن ٦ مليارات سنة ضوئية بنية « شبيهة بالدم » . وهم يخمنون بأن الأمر يتعلق هنا بمجرات حلزونية عادية تماما - مثل مجرتنا درب التبانة - يقع الكازار في مركزها .

ازدادت حيرة هؤلاء الفلكيين ، عندما قاموا بتصوير هذه المناطق المركزية المتألقة بواسطة عدسة تصوير الكترونية ، مركبة في محرق مرقاب بصري قطر عدسته « ١,٥ مترا » في جبل بالومار : فقد وجدوا ان القطر الظاهري لهذه المناطق المتأججة قلما يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية .

وأيدت هذه المشاهدات الحديثة العديد من « التخمينات » القديمة .

صور قديمة لأجرام حديثة :

مما لاشك فيه ان المسافات الكونية الشاسعة هي واحدة من خصائص الكازار المحيرة . وعلى سبيل المثال فإن الكازار المسمى (OH 471) يبعد عن كوكبنا الأرضي حوالي ١٦,٠٠٠ مليون سنة ضوئية . وقد تنبه العلماء الى انهم يلتقطون صورا للكازار ترجع الى سنين عديدة في الماضي ، دون اعطائها حقها من الاهتمام . اذ كانوا ينخدعون بمظهرها « الشبيه بالنجوم » فيعتبرونها نجوما اعتيادية ، على مر عقود طويلة .

وقد سيطر على بعضهم « شعور بالخيبة » عندما تبين ان تاريخ بعض صور الكازار الفوتوغرافية القديمة يرجع الى ثمانينيات القرن الماضي .

وعلى الفور بدأ العلماء بمقارنة الصور الحديثة مع الصفائح الفوتوغرافية القديمة ، ليصطدموا بالحقيقة المفاجئة : وهي ان بريق الكازار يتأرجح بسرعة كبيرة ، فقد يتأرجح الكازار ليزيد بريقه بمقدار ٥٠ الى ١٠٠ بالمائة خلال اسبوع واحد فحسب . وشوهد ايضا انه من المألوف جدا ان يتغير البريق بشكل ملموس من اسبوع الى آخر . . والسؤال الذي يطرح نفسه هو : الا يوحي ذلك بصغر حجم الكازار ؟

تنص احدى القواعد الفلكية على ان اي جرم يعجز عن تبديل بريقه خلال فترة زمنية ، تقل عن الزمن الذي يستهلكه الضوء لاختراق ذلك الجرم . وبما ان الكازار يغير بريقه من اسبوع الى آخر ، فهذا يعني ان قطره لن يزيد عن اسبوع ضوئي (وهذا يقارب ٢٠٠ مليار كيلومتر ، اي حوالي ١٥ ضعف اتساع مدار بلوتو ابعد كواكب الاسرة الشمسية) .

بين الكازار والمجرات :

بدأ - بعد كشف الكازار للمرة الأولى في بواكير الستينيات - وجود شرخ غير قابل للرأب بين المجرات الاعتيادية ، وبين هذه الأجرام الغامضة ، الكثيفة خارقة البريق . لكن الفلكيين وجدوا في السنوات الأخيرة ، أن هناك عددا كبيرا من المجرات ، التي تتمتع بخصائص تؤهلها لأن تكون « جسرا » يصل بين الكازار والمجرات الاعتيادية .

وعلى سبيل المثال ، فإن المجرة المسماة (M82) - ذات الرقم ٨٢ في تصنيف Mesier تطلق من نواتها ألسنة من الغاز تمتد عشرات آلاف من السنين

الضوئية ، يضاف الى ذلك قيام المجرة ونواتها باصدار موجات راديوية ، واشعاعات سينية قوية . كل هذا اوحى للعلماء بضرورة وقوع « حوادث متطرفة الضراوة » في نواة المجرة .

تقع مجرة (M82) غير المتظمة في سمائنا الشمالية ، في كوكبة (الدب الأكبر) ، يقابلها في سمائنا الجنوبية مجرة متميزة أطلق عليها اسم (NGC 5 128) (ترتيبها ٥١٢٨ في التصنيف العام الجديد في كوكبة (سنتاوروس) ، يخترق وجه هذه المجرة « حارة » عملاقة مقطعة من الغبار . هذا المظهر المهشم لحارة الغبار العملاقة يوحي بوقوع بعض الحوادث العنيفة في نواة المجرة ، ويؤيد ذلك اطلاق (NGC 5 128) لاشعاعات سينية قوية . اضافة الى ذلك فهناك كميات كبيرة من موجات الراديو تصل الينا من بقعتين سماويتين عملاقتين ، تقعان فوق المجرة وتحتها ، على خط عمودي تقريبا على حارة الغبار « الدارماتيكية » . وتجدر الاشارة هنا الى أن مجرة (NGC 5128) تمثل واحدا من اشد منابع موجات الراديو بريقا في السماء بأسرها .

تشهد الأجرام الشبيهة بـ (NGC 5128, M82) بجلاء بأن المجرات تعني ـ احيانا ـ شيئا أكثر من مجرد مجموعة كبيرة من النجوم التي تدور حول نواة المجرة . اذ لابد أن تكون أمثال هذه الأجرام « مسرحا » لحوادث غير اعتيادية على الاطلاق .

لكن الفلكي الأمريكي (ويليام كاوفمان) أعرب في كتابه « الثقب الأسود» عن اعتقاده بأن عنف هذه المجرات أقرب الى « عبث الأطفال » اذا ما قورن بأنواع المجرات المرشحة لسد الفجوة القائمة ـ ظاهريا ـ بين الكازار والمجرات الاعتيادية . يطلق على هذه الاجرام « البنية » اسم « مجرات زايفارت » نسبة الى الفلكي الألماني (كارل زايفارت) الذي كان أول من لفت النظر الى بعض خصائصها الشاذة في بواكير الأربعينيات .

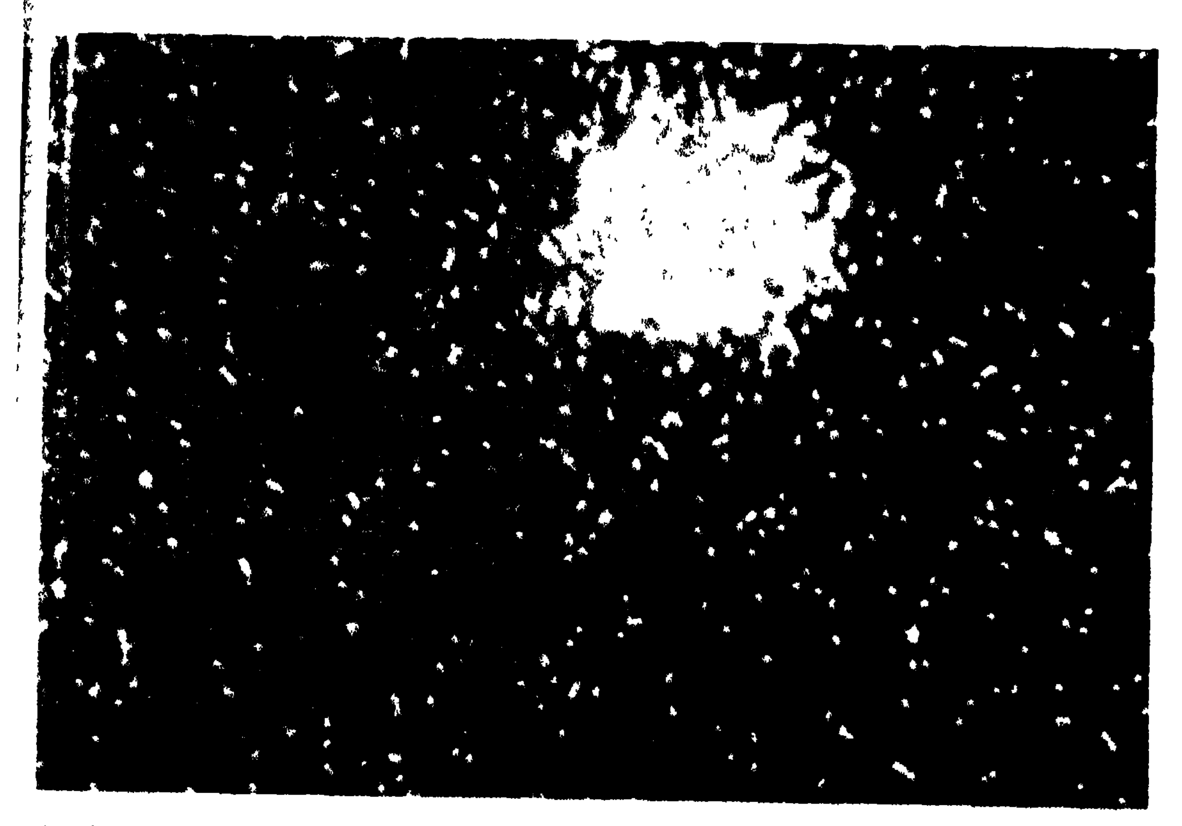
الرابطة المفقودة :

احدى مجرات زايفارت موجودة في كوكبة « فرساوس » وهذه هي تسمية الأجداد لكوكبة برسيوس) ويطلق عليها اسم (NGC 1275) هذه المجرة تطلق كميات هائلة من الطاقة ، تجعلها تتفوق على جميع المصادر الأخرى المرسلة للاشعة السينية ، وموجات الراديو في الجزء القريب منها في السماء ، ليس هذا فحسب . . بل تمتد منها ألسنة من الغاز ، تمتد في جميع الاتجاهات آلاف السنين الضوئية ، موحية بجلاء بوقوع انفجارات عنيفة جدا في قلب المجرة .

تسمح دراسة قلب مجرات زايفارت بمعرفة السبب الذي يرشحها لشغل منصب « الرابطة المفقودة » بين المجرات الاعتيادية والكازار . ففي ١٩٤٣م أبرز كارل زايفارت ان مجرات زايفارت (مثل (M77) و (NGC 4151) تتميز بنوى متطرفة البريق ، اذا ما قورنت بالاذرع الحلزونية المحيطة بها . لكن الأهم من ذلك هو تزايد بريق هذه النوى ، ثم تناقصه بشكل منتظم ، في دورات قصيرة نسبيا تستغرق شهورا أو اسابيع ،وهذا يعني ان كل طاقة هذه النوى الشبيهة بالنجوم تصدر عن « مولد » صغير الحجم.

منذ ما ينوف عن ١٠ سنين توصل (جيروم كريستيان) إلى أول الدلائل على ارتباط الكازار بالمجرات : لقد أوحت اللوحات الفوتوغرافية الملتقطة بواسطة مرقاب جبل بالومار ، المزود بعدسة قطرها (٥) أمتار « لطخاً ضبابية » تحيط بالكازار . . الا أن التأكد من وجود مثل هذه المواد المبرقة في المناطق المحيطة بالكازار تأخر حتى بواكير الثمانينيات ، ويعود الفضل الى ابتكار التضخيم الالكتروني للصور في اكتشاف المجرة المرتبطة بالكازار الشهير 3c273 الواقع في كوكبة العذراء في ١٩٨٠م .

وهكذا وجد العلماء ان الكازار « يقبع » في نوى بعض المجرات ، ويقول (هيرمان هان) في مجلة « صورة العلم » الألمانية ، ان معظم الفلكيين يميلون الى ازالة الخط الذي كان يفصل في الماضي بين الكازارات البعيدة ومجرات زايفرت القريبة ، وقد ايد مالكان هذا الرأي بعد دراسة الكازارات السينية ، مشيرا الى عدم وجود أي تباين في الخطوط الطيفية لهاتين المجموعتين من الأجرام السماوية ، ويضيف مالكان بأن المشاهدات الحديثة توضح ان ضعف دقة امكانيات تقنية المراقبة القديمة هي التي قادت الى الاعتقاد بوجود اختلاف بين الكازارات باهتة البريق من جهة ، ومجرات زايفرت شديدة البريق من جهة



صورة بالأشعة السينية للكازار (3C273) في كوكبة العذراء . وهـو اول منبع راديـوي سماوي يتم التقـاط اشعاعاته المرئية والبصرية .

اخـرى . . فلو انتقلت المجرة النشيـطة نفسها التي نطلق عليها اسم المجرة زايفارت لقربها من الأرض الى مسافة بعيدة جدا ، فإنها ستبدو لنا بشكل كازار .

ورغم كل هذا فقد ألح التساؤ ل التالي : مادام الكازار يقع في قلب المجرات النشيطة ، فما هي طبيعة المولد الموجود في قلب الكازار ؟

اللســـــان البـــراق :

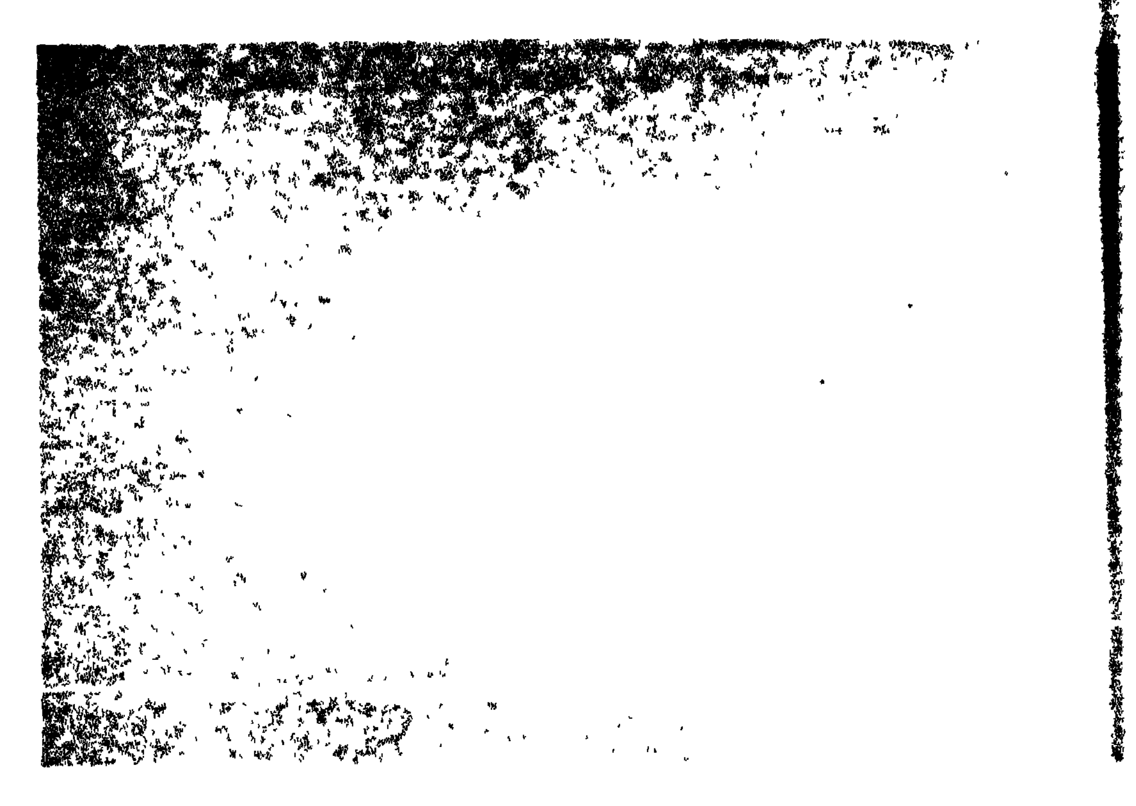
من المؤسف ان جميـع الكـازارات التي كـانت معروفة حتى عهد قريب ، بعيدة جدا عنـا ، وهذا يعني تعذر دراستها عن كثب ، لكن لنا بعض العزاء بوجودنا على مقربة من مجـرات زايفارت النشيـطة - والمتفجرة احيانا - التي تمثل قلوبها مسرحا للعمليات العنيفة الشاذة ، وتفاءل العلماء بأن الفحص الدقيق لهذه الاجرام « القـريبة » قـد يفيدنـا في فهم طبيعة « ابناء عمومتها » البعيدة والغامضة : الكازارات .

من المعروف ان اقرب عناقيد المجرات « الغنية » تقع في كوكبة العذراء،ويبعد هذا العنقود العملاق عنا بمسافة تزيد عن ٥٠ مليون سنة ضوئية ، ويغطي عند النظر اليه من الأرض - مساحة في السماء تعادل ١٦٠ ضعف مساحة القمر البدر (او ١٢٠ درجة مربعة) .

وكما هي الحال مع معظم عناقيد المجرات الغنية ، فإن المنطقة المركزية لعنقود العذراء « تـطغى » عليه المجرة الاهليلجية العملاقة المسماة (M87) .

تشد (M87) انتباه العلماء لأسباب عديدة : فهي منبع قوى لموجات الـراديو ، ويقـع فيها - كـذلك - مصدر قوي للاشعة السينيـة ونواتهـا شبيهة المـظهر بـالنجوم . الا أن أكـثر ما يثير الاهتمام هـو ذلك « اللسان » الطويل البراق ، الـذي ينبثق من النواة الشبيهة بالنجوم . هذا اللسـان يجعلها تذكرنا بلسان الكازار (3C273) .

وفي عام ١٩٧٧م صمم بعض العلماء على معرفة طبيعة هـذه المجـرة المتميـزة ، لـذا قـام فـريقـان من



« لسان » الكازار (3C273) ينم عن حوادث عنيفة في مركزه .

الفلكيين بإجراء قياسات مفصلة للمجرة (M87) ، أجرى علماء الطاقم الأول قياسات دقيقة لشدة البريق في سائر أنحاء المجرة ، فوجدوا ان قلب (M87) الشبيهة بالنجوم ، يتميز ببريق اعلى بكثير من الأطراف الخارجية للمجرة . . وتساءل علماء هذا الطاقم ما السبب ؟

لم يجد الفلكيون تفسيرا افضل من الاعتقاد بوجود « منبع جاذبية مرتفع الكثافة » في مركز المجرة : منبع الجاذبية ـ غير المرئي حاليا ـ متطرف القوة بشكل يجعل النجوم تتزاحم حوله ، وبالتالي حول مركز المجرة . . وعليه فإن ازدحام النجوم هذا هو الذي يجعلنا نرى قلب المجرة ـ في الصور الفوتوغرافية ـ شبيها بالنجوم . شغل منبع الجاذبية غير المرئي هذا فلكيي هذا الفريق ، فلجأوا الى الحساب لتسيطر عليهم الدهشة : كتلته أكبر من كتلة شمسنا ٥ مليارات مرة .

اما علماء الطاقم الثاني فقد ركزوا اهتمامهم على الفحص الدقيق للخطوط الطيفية لسائر أنحاء المجرة (M87) . وقد شد انتباهم ان الاقتراب من مركز المجرة كان يؤدي الى « اتساع خطوط الطيف » ، وزيادة عرضها بشكل غير مألوف . وقد استخلص العلماء من ذلك ان النجوم القريبة من نواة المجرة تنطلق بسرعات عالية جدا ، وغير مألوفة .

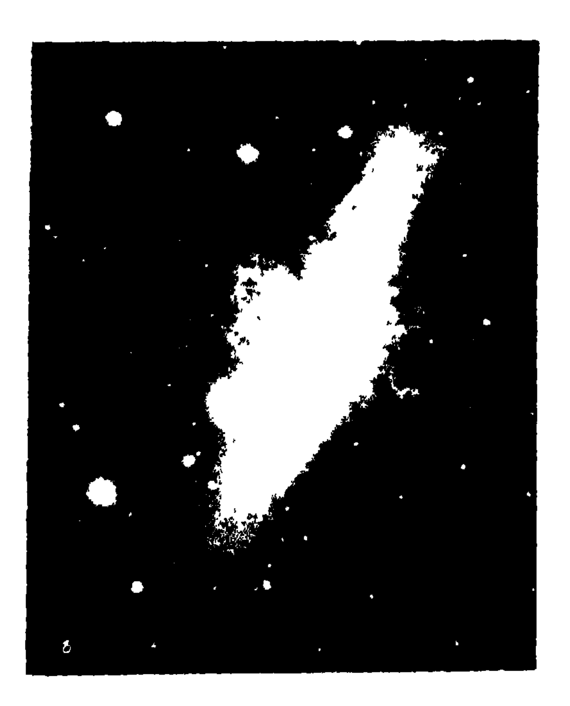
ومرة أخرى تساءل علماء هذا الفريق : ما السبب ؟ ومرة اخرى توصل علماء الفريق الثاني ايضا الى ضرورة وجود « منبع جاذبية قوى مرتفع الكثافة » في مركز المجرة . . ومرة اخرى كشفت الحسابات ان كتلة منبع الجاذبية غير المرئي هذا يجب ان تكون مساوية لـ ٥ مليارات كتلة شمسية . توحي هذه الدراسات بنتيجة واضحة ، مفادها ضرورة وجود « ثقب اسود خارق الكتلة » في نواة المجرة (M87) . لكن الثقب الأسود لم يعد مجرد افتراض فحسب . . وقد استعرضت في مقالي المنشور في عدد كانون الأول (ديسمبر) من مجلة « العربي » دلائل

وجوده ، المعتمدة على القياس ، في المجرة النشيطة (NGC 4151) ، لكن الثقب الاسود «يشفط» كل شيء يقترب منه متجاوزاً مسافة الأمان ، بما في ذلك الضوء نفسه ، وهذا مادعا الى تسميته «بالأسود» وحري بنا ان نتساءل هنا : كيف يساهم جرم سماوي لا يخرج منه اي شيء في توليد كميات الطاقة الهائلة ، واطلاقها في الفضاء ، بصورة تجعل الكازار ملك البريق ؟

رحلة الى قلب الكازار :

يعتقد العديد من الفلكيين ان ما يجري في مراكز مجرات زايفارت والمجرات المصدرة «لألسنة» الموجات الراديوية مشابه - من حيث المبدأ - لما يقع في مركز الكازار نفسه . لذا فقد قاموا بتجميع خيوط الأدلة حول هذه الأجرام السماوية ، للتنبؤ بالمشاهدات التي سيعيشها الرحالة ، الذي يمتلك شجاعة كافية تخوله لاستكشاف قلب الكازار .

فإذا سمحنا لمخيلتنا بركوب «سفينة الذهن



المجرة الغريبة (M82) تطلق ألسنة ضخمة من الغاز ، وهي مصدر قوي لكل من الموجات الراديوية والسينية وتحت الحمراء ، تقارب مسافتها مليون سنة ضوئية .

الفضائية» واتجهنا نحو قلب الكازار ، فإننا سنمر اولا على النجوم الموجودة على حواف «المجرة» المحيطة بالكازار . نقترب من مركز المجرة المحيطة بالكازار لنمر عبر «سحب من الغاز» غير المرئي - تقريبا - تنطلق بسرعات عالية متجهة نحو الفضاء الذي تركناه وراءنا ، ونحن نعرف ذلك لأن هذه السحب تمتص جزءا من نور الكازار او فلنقل انها وراء ظهور مناطق داكنة في طيف الكازار) . وقد نرى في بعض انواع الكازار لسانين براقين متناظرين بشكل حزمتين من «الألكترونات السريعة». يخرجان من المركز . . ومن الحكمة هنا ان نختار مسارا يجنبنا التعرض لهذه الحزمات المركزة من الطاقة .

المسافة التي تفصلنا عن المركز تقارب ١٠ سنين ضوئية . . هنا يستقبلنا «سرب» كامل من السحب الساخنة متألقة البريق . . ونحن نعرف ذلك لأنها وراء الخطوط البراقة في اطياف الكازار ومجرات زايفارت ، وهي الخطوط عينها التي تعرف فيها مارتن شميلت على الهيدروجين في طيف الكازار، وبينت الدراسة المفصلة لهذه الخطوط ان سحب الغازات هذه تنطلق بسرعة هائلة . . ويعتقد بعض الفلكيين انها تدور حول المركز ، بينما يعتقد بعضهم الآخر اندفاعها تحت تأثير انفجار عظيم . ويقول (نيفل هينبيست) في كتابه «ألغاز الكون»، انه بغض النظر عن الاسلوب ، فإن ما يدفعها ويجعلها تتألق هو جسم براق جدا ، ضئيل الحجم ، يقع في مركز الكازار .

يحتضن هذا الجسم القوة المذهلة للكازار : فهو يولّد كميات هائلة من الضوء ، ومن الأشعة السينية القاسية واشعاعات غاما ، وحزمات الالكترونات السريعة . طبيعة هذا «المولّد» القوي هي اللغز المحير للكازار .

تعتبر التبدلات السريعة لبريق الكازار ، او تغير كمية الطاقة التي يصدرها من الدلائل المهمة ، لانها تفضح «ضآلة حجم» المولد ، فبعض انواع الكازار يغير بريقه خلال شهر او شهرين . . لكن الاشعاعات السينية الواصلة الينا من الكازار OX169 تتبدل في اقل من ساعتين . . ويعتقد (هينبست) أن مولد الطاقة في هذا الكازار يمكن احتواؤه ضمن مدار كوكب زحل .

ولكن ما هي طبيعة المولد ؟ في السنوات الماضية

ضمّن بعض الفلكيين وقوع انفجارات « سوبر نوفا » متتالية ضمن مجموعة متضاربة من النجوم ، او انفجار نجم وحيد « خارق الكتلة » يعادل مليون كتلة شمسية ويدور بسرعة كبيرة ، لم ينجح انصار هذين الرأيين في سد المآخذ على فرضياتهم ، ويقول (هينبست) ان دراسة المجرة الراديوية (M87) قد أقنعت «معظم الفلكيين بأن المولد هو « ثقب أسود ثقيل موجود في قلب المجرة ».

أثار بعض العلماء الجدل حول هذا الاستخلاص مشيرا الى ان مجرة (M87) تختلف عن الكازار . واجاب بعضهم الآخر على ذلك بانه ربما كانت هذه المجرة الراديوية القوية كازارا في الماضي ، لكنه استهلك جزءا كبيرا من طاقاته « المدخرة » في توليد ألسنة حزمات الألكترونات .

ومن المتفق عليه حاليا أن قلب الكازار المتواري عن الأنظار عبارة عن ثقب أسود هائل الكتلة ، « يتغذى » على غازات النجوم المحطمة التي تتخطى مسافة الأمان ، يقترب الغاز من الثقب الأسود على مسار حلزوني ، فترتفع درجة حرارته بالتدريج ، ليشكل قرصا يدور حول الثقب ، بفعل الدوران الذاتي للثقب الاسود .

هذا القرص المضطرب الساخن هو مولد الكازار ، وهو النور المبهر الذي نراه ، لو بلغ بنا الاستهتار حد الاقتراب من قلب الكازار .

يطغى الضوء والاشعاعات الأخرى الصادرة عن هذا القرص المتطرف السخونة على بريق ١٠٠ (مائة) مجرة شبيهة بدرب التبانة ، علما ان اتساعه يقارب حجم اسرتنا الشمسية .. وفي الوقت نفسه فهو يسّرع الالكترونات الى قيم « خيالية » ويطردها بعيدا عن القرص بشكل « ألسنة أو أكياس » مصدرة بذاتها لموجات الراديو ، عبر مسافات قد تصل الى ملايين السنين الضوئية.

عود على بدء

كان الثقب الأسود أشد ألغاز الكون غموضا ، لكن دأب العلماء أثمر ، بعد كفاح استمر قرابة نصف قرن ، في كشف الدلائل التي حولته من فرضية حائرة الى واقع تؤيده القياسات . وما كاد الحبر الذي كتب



المجرة المتفجرة (NGC1275)

دلائل وجوده يجف ، حتى تم تسخيره في انقاذ العلماء من الحيرة الطاغية ، التي أثارها اكتشاف ملك البريق ، من حافة الكون : الكازار . وبعد حيرة استمرت عقدين كاملين ، أوصلنا العلم الحديث الى أن الكازار ليس الا مجرة يوجد في قلبها ثقب أسود .

مما يلفت النظر هنا ان الكازار (OH471) يبعد عن كوكبنا الأرضي مسافة تقارب ١٦ مليار سنة ضوئية ، وهذا يعني ان الضوء والاشعاعات الأخرى الصادرة عنه ـ قد استغرق مدة تقارب ١٦ مليار سنة حتى وصل الينا . وعليه فنحن لا نراه في وضعه الحالي ، بل ننظر الى ماضيه والى ما كان عليه قبل ١٦ مليار سنة . وهذا يعني أننا كلما ابتعدنا عن الأرض باتجاه حافة الكون ، عدنا بالزمن الى الوراء تبعا لذلك .

وقد يتساءل المرء هنا : هل يعني ذلك أن بلوغ « الحافة الحقيقية » لكوننا الذي نعيش فيه ، يسمح لنا بالرجوع الى « ساعة الصفر » الى لحظة « ميلاد الكون »؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه في لقاء آخر ان شاء الله . □

وجهاً لوجه





الفريق أول محمد فوزي و اللواء طلعت مسلم

العرب .. والحرب .. القدرة .. والرغبة

- سر يذاع لأول مرة . . الحرب النووية كادت «تنشب بين مصر واسرائيل»
- الجيش العربي الموحد ضرورة . . والبداية ليست مستحيلة رغم الظروف .
- الخلافات العربية وضع مؤقت والمطلوب حد أدنى للاتفاق وحد أقصى للخلاف .
- استعمال «اسرائيل» للسلاح النووي . . بين الممكن . . وغير الممكن !

نعم

نحن نملك الامكانات والقدرة . .

التعداد العربي يفوق تعداد « اسرائيل » أربعين مرة.

الناتج القومي العربي أكثر من عشرة أمثال الناتج القومي الاسرائيلي .

القوات المسلحة العربية أكثر من عشرة أضعاف الجيش الاسرائيلي . .

الدبابات العربية أربعة أمثال الاسرائيلية وكذلك الطائرات . .

الصواريخ العربية ستة أمثالها . .

لكـن . . .

حول الامكانات والقدرة العربية كان الحوار بين الفريق محمد فوزي قائد عام الجيش المصري ووزير الحربية السابق . . واللواء المتقاعد طلعت مسلم وجها لوجه . .

أدارت الحوار . . الزميلة نجاح عمر

مسألة منطقية

الفريق فوزي :
الحروب أساسا تكون شاملة ، وكلمة الشمول ، تعني تدبير الامكانات المادية والمعنوية والبشرية وتوافرها ، استعدادا للفوز في الحرب الشاملة ، وقد اتضح ان التزامات الحرب الشاملة ومطالبها تستدعي تجميع وتدبير امكانات وقدرات من دولة واحدة متحاربة أو شعب واحد .

هذا الاستنتاج هو حصيلة الحرب العالمية الثانية ، ونلحظ بعد هذا الدرس أن الدول صاحبة الاتجاه الواحد والاستراتيجية الواحدة ، اضطرت لتجميع امكاناتها وقدراتها الحربية في نطاق حلف ، فرأينا على الطبيعة مثلين واضحين .

حلف الأطلسي ويجمع الآن أحد عشر شعبا متنوع اللغات والعادات والأديان والمصالح الوطنية . . ورغم هذا اتفقوا تحت ضغط الحاجة الى تجميع القدرات والامكانات ، وأصبحوا يكونون حلفا واحدا ذا استراتيجية عليا واحدة ، واتجاهات سياسية واحدة ، ثم بدأت عجلة التنسيق في التزامات الحشد والتخطيط في جميع المجالات السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمعنوية ، فتكونت كتلة واحدة قوية ، تواجه العدو المعروف لديهم .

● **اللواء طلعت مسلم . .**

كان شعور العرب بهذا كله أسبق من الكتلة الغربية التي بدأت عام ١٩٤٩ بانشاء حلف الأطلنطي .

فقبل ذلك . . ومع قيام الجامعة العربية تكون جهاز عسكري بالأمانة العسكرية داخل الجامعة العربية ، ثم في عام ١٩٤٨ تكونت قيادة عليا عسكرية في فلسطين .

نجحت الدول العربية ـ وكان بعضها حديث الاستقلال . . والبعض الآخر منتقص الاستقلال . . في أن تجمع قواها الشاملة في مواجهة الخطر الصهيوني في فلسطين . .

العربي : لكن رغم تجميع هذه الامكانات لم نصل الى نصر حاسم . . لماذا ؟

● اللواء طلعت مسلم . .

لا شك أن هذه المحاولات كان ينقصها الكثير من مهم لطبيعة الحرب وطبيعة العدو ، كما ينقصها التقدير الدقيق للامكانات اللازم حشدها للمواجهة .

لكن الذي لا شك فيه أيضا أن هذه المفاهيم تطورت عبر جولات الصراع العربي الاسرائيلي . . غير أنها تأثرت بتلك الآثار الناتجة عن فترة الاستعمار السابقة على بداية الصراع ، والذي نلاحظه أن الاستعمار كان حريصا على تجريد هذه الدول من القوة العسكرية ، وأكبر مثل على ذلك . . انه في الحرب العالمية الثانية كان يقاتل على أرض مصر جيوش من الهند وجنوب أفريقيا ، بينما القوات المصرية صاحبة الأرض لم تستدع للقتال ، لم تحاول بريطانيا أن تنشيء قوات عسكرية مصرية عربية ، رغم أنها تأتي بالقوات العسكرية من مستعمراتها الأخرى . . استراليا ، حنوب أفريقيا . .

في نفس الوقت كان الاستعمار حريصا على وضع بذور الخلاف بين الدول العربية .

العربي : والدول العربية ، ألم تتنبه الى ذلك ؟ . .

● اللواء طلعت . .

جرت عدة محاولات لتجميع القدرات العربية . . فميثاق الضمان الجماعي . . والوحدة الاقتصادية . . صدرا في الخمسينيات (١٩٥٠) . وفي ١٩٥٤أعيد تطويرها بمبادرة مصرية في مواجهة حلف بغداد والاعتداءات الاسرائيلية . . ثم ميثاق الدفاع المشترك . .

ويمكن القول انه في الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٧ قامت عدة محاولات أخذت شكل الاتفاقيات الثنائية لتجميع القدرات العسكرية لدول المواجهة ، ولكن أثرت عليها الخلافات السياسية التي كانت قائمة أساسا حول سياسة الأحلاف العربية . . حلف بغداد . . الحلف الاسلامي .

ثم كانت قمة هذه الجهود في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤ ، حيث اتفق على قيادة عسكرية موحدة .





تقديم المتحاورين

كان طالبا في الكلية الحربية عندما كان هو أستاذا له وعندما أصبح الطالب أستاذا . . كان المدرس قد كبر وأصبح مديرا للكلية .

الاستاذ هو . . الفريق أول محمد فوزي . . أربعون عاما من العمل العسكري منذ عام ١٩٣٤ حتى مايو ١٩٧١

* اشترك في الدفاع الجوي عن الاسكندرية وبورسعيد وقناة السويس خلال الحرب العالمية الثانية .
* حارب العدو الصهيوني على أرض فلسطين عام ٤٨ ، وفي حرب السويس عام ١٩٥٦
* قام بمهمة اعادة بناء الجيش المصري بعد حرب ٦٧ ، في الفترة ما بين ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .
* كان منصب وزير الحربية آخر مناصبه ، حيث انتهت خبرته العسكرية الميدانية بحرب السنوات الثلاث وكان مركزه القيادي كوزير للحربية يسمح له بالاشتراك في صنع القرار الاستراتيجي للدولة .
* أصدر الجزء الأول من مذكراته تحت عنوان . . حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .

■ الطالب هو . . لواء أ . ح . طلعت مسلم :

* تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٥٢ .
* حصل على زمالة كلية الحرب العليا من أكاديمية ناصر العسكرية .
* سافر الى الاتحاد السوفيتي في بعثة علمية دراسية بأكاديمية فرونز العسكرية .
* ماجستير العلوم العسكرية .
* عمل قائدا لثلاثة لواءات . . ميكانيكي مشاه في حرب ١٩٥٦ كان قائد سرية ، وفي حرب ١٩٧٣ عمل كقائد لواء ، وقبل ذلك تولى مهمة رئيس أركان حرب لواء الاستنزاف .
* حصل على عدد من الأوسمة العسكرية .
* يعمل الآن رئيسا لوحدة البحوث العسكرية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام .

بدأت هذه القيادة تمارس اختصاصاتها ، الا أن الخلافات حالت دون قيامها بالدور المرسوم لها

ورغم ذلك . . ومع اقتراب الصراع مع « اسرائيل » عام ١٩٦٧ ، تناست هذه الدول خلافاتها ، وسعت الى تجميع قواتها لكن الوقت كان متأخرا . حيث لم تتمكن غالبية دول الدعم من تقديم المعونة العسكرية المناسبة في الوقت المناسب لدول المواجهة

بعد عام ١٩٦٧ جرت عدة محاولات لتجميع القدرات العربية . في جبهات شرقية . . وجنوبية . وفي النهاية كانت القيادة الاتحادية التابعة لاتحاد الدول العربية التي تولت التحضير لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ورغم نجاحها في أمور كثيرة ، لم تكن قادرة على ادارة عملية تشترك فيها دول من خارج الاتحاد . مما أظهر الحاجة الى قيادة موحدة مرة أخرى ، الا أنه بتوقف القتال في عام ١٩٧٣ ، بدأ انفراط العقد العربي ، ووصلت قمة المأساة عام ١٩٧٧ عندما توجه أنور السادات الى القدس دون موافقة سائر الحكام العرب

هنا اختلف العرب حول العدو ، ففقدنا أهم عناصر الاستراتيجية العسكرية وهو تحديد العدو كي نحدد أسلوب المواجهة ، لذا فإن العرب الآن رغم ما لديهم من قدرات عسكرية ، الا أنهم يفتقدون استراتيجية عسكرية موحدة توجه الصراع

العربي نعود للموضوع حول القدرات العربية العسكرية هل يتفق الفريق محمد فوزي مع اللواء طلعت مسلم في هذا التقييم ؟

● **الفريق فوزي**

أولا أفضل أن نقول القدرات الحربية لا العسكرية

بعد ذلك . أرى أن كل محاولات التعاون التي تمت في الخمسينيات والستينيات ـ حتى القيادة المشتركة أو الموحدة ـ لم تؤت أكلها من الناحية العسكرية البحتة ، فعندما أقيمت كانت اسما احتوى المضمون السياسي في التعاون والمشاركة بين أكثر من جيش

لكن من الناحية العسكرية لم يعط القائد الواحد اختصاصات تسمح له بالسيطرة على الجيوش المختلفة . . ولم تكن لديه هذه السلطة في التنفيذ ، فلم يكن للفريق علي عامر سلطة أن يقود الفرقة العلانية مثلا لتتمركز في المنطقة المعينة . الساعة كذا . لم يتمكن القائد الواحد من القيادة الميدانية .

لقد وضعوا أسماء . . القائد العام للجيوش المحيطة « باسرائيل » ، وفي عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ وضعت الخطة ، وفي التنفيذ لم يتمكن من تنفيذها ، ولن يتمكن أي قائد عام من ذلك ما لم ينص عليه في التشريع ، وتعطى الحكومات حق التعويض للقائد المعين من هذه الدول ، وينص على ذلك صراحة في مثل الصيغة التالية

على الدول المعنية ، اعتماد أسلوب الدفاع القومي ، واعتماد أسلوب القيادة والسيطرة على الجيوش المخصصة لهذا الغرض

هذا هو العنوان الذي يجب أن يعتمد ، أما تفاصيله فتوضع في دستور الدول المعنية

العربي على مدى مراحل المواجهة العربية الاسرائيلية يبدو الخط العام لصالح « اسرائيل » فهل يرجع ذلك الى نقص في الامكانات العربية على ما يبدو أو عجز في ادارة هذه القدرات ؟

● **اللواء طلعت مسلم**

القدرات الحربية العربية ليست هينة فالتعداد السكاني أكثر من أربعين ضعفا « لاسرائيل » ، والقوات المسلحة العربية أكثر من عشرة أمثال الجيش الاسرائيلي . والناتج القومي العربي أكثر من عشرة أمثال اسرائيل ، اذ يبلغ عشرين بليون دولار ، بينما الناتج القومي الاسرائيلي أقل من ناتج مصر القومي

هذا فضلا عن أن عدد الدبابات العربية أربعة أمثال الاسرائيلية وكذلك الطائرات . .

الموقع العربي متميز بالاتساع ، ولكنه في نفس الوقت يفتقر الى العمق ، وبالذات في الجزء الغربي ففي شمال أفريقيا يسهل الانشطار ، وهنا تظهر أهمية سيناء بالذات ، اذ تستطيع « اسرائيل » أن تقسم الوطن العربي الى قسمين . . شرقي وغربي ، آسيوي . . وأفريقي . العمق في غرب

الوطن العربي ليس كبيرا ، وبالذات في نقطة الاتصال بين المغرب والجزائر ، مما يعرض الوطن العربي لسياسة شد الأطراف .

القدرات العربية تفتقر الى قوة بحرية كافية لحماية السواحل العربية ، والبحار المهمة التي تشرف عليها البلاد العربية شديدة الافتقار الى المواقع الطبيعية التي يسهل الدفاع عنها .

كذلك تفتقر القدرات العسكرية العربية الى القدرة النووية في مواجهة « اسرائيل » التي تقدمت في هذا المجال ، حيث أصبح لديها أسلحة نووية ووسائل لاطلاقها ، ولم تنجح المحاولات العربية حتى الآن في تغطية هذا النقص ، ونحتاج الى وقت لايقل عن عشر سنوات حتى نسد هذه الفجوة .

القنبلة النووية . . والقدرة العربية

العربي : هذه القدرة النووية هل تستطيع « اسرائيل » استعمالها ، أو أنها تمتلكها كنوع من الردع المعنوي ، وخصوصا أن الدول الكبرى ذاتها لايمكنها أن تقدم على مثل هذا العمل ؟

● **اللواء طلعت** : استخدام « اسرائيل » للقوى النووية أمر وارد .

● **الفريق فوزي** : أختلف في هذه النقطة مع اللواء طلعت . نعم الامكانات النووية موجودة في « اسرائيل » ، لكنها لم تخط الخطوة الفعالة في التجارب العملية ، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن قدرة « اسرائيل » النووية تقف عند مرحلة التصنيع النووي ، هناك أقوال حول انتاج « اسرائيل » للأسلحة النووية بالتعاون مع جنوب أفريقيا ، الا أن هذا الحدث لم يثبت بعد .

ثم يستطرد الفريق فوزي مؤكدا على وجود التصنيع النووي ودليله على هذا عدم توقيع « اسرائيل » على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية .

كان هذا هو رأي الفريق محمد فوزي . الا أن اللواء طلعت مسلم يختلف معه مرة أخرى مشيرا الى أنه « رغم أن احتمالات استخدام الأسلحة النووية ضعيف ، الا أن مجرد التهديد باستخدامها يمكن أن يؤثر على مجرى الصراع ، ولنتصور ماذا يمكن أن يحدث لو أن « اسرائيل » هددت خلال احدى المعارك بضرب مدينة عربية بقنبلة نووية ، ألا يؤثر ذلك على القرار السياسي للدولة المعرضة لهذه الضربة ؟ وخصوصا أن مدننا شديدة الكثافة السكانية ، عالية المباني ، ولا تتوفر فيها احتياطات الأمن التي تواجه مثل هذا التهديد ، ويضرب مثلا على ذلك : حدث خلال احدى المعارك العربية الاسرائيلية ، عندما نشرت احدى المجلات الأجنبية تصريحا لمسؤول في وكالة المخابرات الأمريكية يعلن فيه « امتلاك اسرائيل » لثلاث عشرة قنبلة نووية ، وان الاتحاد السوفيتي أرسل الى احدى البلاد العربية رؤوسا نووية لبعض الصواريخ المجهزة في جميع أنحاء العالم وهنا توقف الصراع »

ثم يسأل اللواء طلعت : ماذا لو حاولنا اعادة هذا « السيناريو » مرة أخرى ؟

ويجيب : أعتقد أنه بالنسبة لبعض البلاد العربية قد لايجد الاتحاد السوفيتي الدافع لاتخاذ الموقف السابق ، وهنا تصبح الخطورة كبيرة ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تغض الطرف عن بعض تصرفات « اسرائيل » غير العقلانية . . قد يكون ذلك احتمالا ولكنه وارد ، ولا يمكن استبعاده نهائيا ، وخصوصا أن « اسرائيل » تملك نوعا من الصواريخ ، لو استعملته برأس تقليدية يصبح عديم القيمة ، لأنه صاروخ مخصص للسلاح النووي فقط ، ان وجود مثل هذا الصاروخ لايمكن تجاهله ، بالاضافة الى أن « اسرائيل » تدرب طياريها وطائراتها (F 16) الآن على القاء قنابل نووية

من ناحية أخرى أعلنت « اسرائيل » أنها قادرة على انتاج السلاح النووي في أي وقت تراه ، يعني هذا أنه اذا كان لديها قنبلة ينقصها قطعة ما . تستطيع استكمالها في أي وقت . .

● **الفريق فوزي** . .

في هذا الموضوع مازلت عند رأيي ، ان « اسرائيل » لديها امكانات تصنيع القنبلة النووية ، ولكنها لم تستكمل مراحل التصنيع حتى الآن .

وأقول في هذا الموضوع ان « اسرائيل » بمساعدة أمريكا وتأييدها ، لديها الامكانات التقليدية التي تمكنها من التهديد أو القصف للاجهاض ، أو الردع لأي دولة عربية دون الدخول في المحاذير الدولية التي تترتب على استخدام القنابل النووية ، « فاسرائيل » بوضعها الحالي وامكاناتها الحالية تستطيع أن تحقق الهدف بالأسلحة التقليدية ، اذ أنها متفوقة تفوقا ساحقا على جميع الدول العربية .

العربي : هل يصح أن نقول ان امتلاك « اسرائيل » للأسلحة النووية يمكن أن يحسم الصراع ؟

● **اللواء طلعت مسلم . .**

لايمكن (لاسرائيل) أن تحسم الصراع اذا كنا نحن مستعدين لمواجهتها ، أما في وضعنا الحالي فإنني أرجح قدرتها على ذلك .

العربي : ما هي درجة الاستعداد اللازمة لنا . . هل لابد أن نكون على نفس المستوى في امتلاك أسلحة نووية ؟

● **اللواء طلعت . .**

لايشترط في وسائل الرد أن تكون نووية ، ولكن نستطيع المواجهة باتخاذ اجراءات تقلل حجم الخسائر في حالة استخدامها . .

العربي : هل يسمح التوازن الدولي بذلك ؟

● **اللواء طلعت . .**

ليس هناك سوابق ، وليس أمامنا الا أن نتصور اذا هددتنا « اسرائيل » بالأسلحة النووية ماذا يمكن أن يحدث ؟

هل تكون الولايات المتحدة الأمريكية جادة في ردعها ؟

وهل السوفيت جادون في منعها ؟

في حرب ١٩٧٣ قالت احدى وكالات المخابرات ان « اسرائيل » تملك الأسلحة النووية ، وانها قد أعدتها للاستخدام ، ولكنها توقفت نتيجة تدخل السوفيت .

فهل يكرر الاتحاد السوفيتي موقفه هذا ؟

● **الفريق فوزي . .**

أنا موافق على تقديرات اللواء طلعت الخاصة بالقدرة الحربية العربية ، الا أنني أقول كلمة واحدة . . القدرات العربية ليست مجتمعة ، وليست موحدة ، ولا يمكن استخدامها في اتجاه سياسي موحد ، فما قيمتها وهي متفرقة ؟ ان قرار استخدام هذه القدرات ليس متوافرا .

تنوع السلاح . .
والجيش العربي واحد

العربي : اذا افترضنا نظريا اتخاذ هذا القرار . فما تأثير تنوع السلاح على القدرات العربية سلبا أو ايجابا ؟

● **الفريق فوزي . .**

لنضع أنفسنا أمام الدول العربية الموحدة . . حيث تتواجد الجيوش العربية ذات القائد الواحد الذي يتمتع بسلطة اصدار القرار الواحد على جميع الجيوش العربية الموحدة .

ولنتصور أن يكون ولاء هذه الجيوش خالصا له من الناحية القومية ، دون أن يخدش هذا الولاء باتجاهات الدول التي تتبعها هذه الجيوش .

هذا هو الحلم الذي يبغيه كل عربي قومي يعيش في جيلنا الحالي ، فلو حدث هذا فإنه يحق لي أن أقول . . ان هذا الحلم ليس بعيد المنال ولا مستغربا ، لو تحقق فلا « اسرائيل » ولا الولايات المتحدة الأمريكية ولا أي قوة أخرى يمكنها منع هذه القوة العربية الجديدة من أن تدافع عن كيانها الموحد ، وأن تسعى الى تأمين أمنها القومي ، وتصبح « اسرائيل » في هذه الحالة نواة دخيلة لايمكنها الصمود داخل هذا الحشد ذي الامكانات الكبيرة .

تنوع السلاح اذن ـ مازال الكلام للفريق فوزي ـ ليس له التأثير الكبير أمام حجم كتلة متراصة ذات اتجاه سياسي واستراتيجي واحد .

● **اللواء طلعت . .**

هذا صحيح لكن عند صدور هذا القرار . . فنحن في حاجة الى وقت حتى تصبح القيادة قادرة على

توجيه جزء منه لمعالجة الجانب الخاص باختلاف الأسلحة والمعدات . . وعلى سبيل المثال . .

معدات من المغرب وصلت الى مصر . . انها بالقطع تختلف في تكوينها عن المعدات الموجودة في مصر ، وتحتاج الى ذخيرة وقطع غيار ونوع من الوقود يختلف عن ذلك المستعمل في مصر ، ومن هنا تتطلب المسألة أن تأتي هذه القوة ومعها احتياطيها من المواد . . ويسهل الأمر كثيرا لو أن المعدات موحدة ولكن هذه عملية صعبة ، لهذا فلا بد من توافر الاحتياطات عند دول المواجهة التي تصلها قوات الدعم .

نقطة أخرى . . دراسة مسرح العمليات . . فكثير من الدول العربية لم تدرس مسرح العمليات التي يمكن أن تشترك فيها . هذه الدراسة مهمة جدا لادارة الصراع مع العدو الصهيوني أولا ، وأكثر أهمية في تأمين الحدود العربية من جهة أخرى .

نقطة ثالثة . . الدفاع الجوي والطيران : هناك نظام للتعاون لابد أن يتم بين وسائل الدفاع الجوي في كل دولة ، حتى لاتصيب بعض الطائرات بعضها الآخر ، فوجود طائرات من دولة في المجال الدولي لدولة أخرى يحتاج الى تعارف بين الطائرات ، كذلك نحتاج الى تدريب مشترك بين القوات التي سوف تتعاون . . وهكذا . .

كل هذه العناصر لابد أن تتوافر قبل الدخول في معركة مشتركة . . ثم يضيف اللواء طلعت قائلا :

« نحن نحتاج الى قرار سياسي لكي نخطو هذه الخطوات ، لأن الخطأ أن تبدأ البلاد العربية في دراسة مسارح العمليات ، قبل الحرب بأيام قليلة ، لذلك لم يكن للتعاون الفعالية المطلوبة في الحروب السابقة . مع التأكيد على أهمية تواجد القيادة الموحدة ، الا أن التعاون يحتاج الى وقت لاستكمال عناصره الأساسية ، ويمكن اختصار هذا الوقت لو أننا بدأنا من الآن في ايجاد التعارف بين الجيوش العربية .

● **الفريق فوزي . .**

أرى أن تنوع السلاح ليس عقبة . . وليس شرطا أساسيا أن يتوحد السلاح ، فالوقائع التاريخية في المسرح الغربي في أوروبا تقول ان سلاحهم اشتمل على السلاح الامريكي . الانجليزي . . الفرنسي . . وكل منهم صاحب مدرسة عسكرية مختلفة في التسليح . . والتدريب والتنظيم ، لكنهم جميعا عملوا في جبهة واحدة ، على مسرح العمليات الغربي ، أيضا كان هذا التناقض النوعي موجودا في مسرح عمليات شمال أفريقيا ، كذلك أذكركم بالدعم الامريكي والانجليزي الذي وصل الى مسرح عمليات الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان ، كان يصل عن طريق ايران والبحر الأسود ثم يأخذ مكانه في الجبهة السوفيتية ضد الالمان .

من ناحية أخرى كان تأهيل الجنود السوفييت على أسلحة غربية قد تم بيسر ، علما بأن الفارق في نوعية السلاح كان كبيرا ، ان موضوع تبادل المعلومات والخبرات الخاصة بالتسليح والتدريب ومسارح العمليات ، يعد أساسا في مراحل التحضير لانشاء القوة المجمعة الموحدة .

العربي : القوة المجمعة الموحدة كيف تتكون على خريطة الجيوش العربية وهى بهذا الحجم . . والاتساع . . والتعدد ؟

● **الفريق محمد فوزي :**

يتم ذلك على مستوى الوطن العربي كله كدولة عربية موحدة فهذا أمل ، لكن حتى يحدث ذلك أرى أن تتكون هياكل وسيطة ، أقترح أن تكون من أربع دول كركيزة استراتيجية ذات محور واحد ، هذا اذا قلنا أن جمع اثنتين وعشرين دولة عربية أمر صعب . . واستخدام قرار موحد في مثل هذه الظروف شيء أصعب .

العربي : تحقيق هذا الأمل صعب . . أو مستحيل ؟

● **الفريق فوزي :** رأيي في أن الخلافات العربية رغم وصولها الى درجة الصدام ، المسلح ، الا أنها شيء عابر مؤقت . . لأن المصلحة العربية ستفرض نفسها ان عاجلا أو آجلا . والخلاف هنا شيء مؤقت .

وأعتقد أن تنظيم اعداد الجيوش العربية كي يحقق هدفا واحدا وفكرا واحدا وقيادة واحدة شيء ممكن . . أقول ممكن . .

القواعد . . والتسهيلات . .
والتعاون العسكري

العربي : هناك خيط رفيع بين التعاون العسكري . . والقواعد والتسهيلات ، فما مدى تأثير ذلك على القدرات العربية ، وما هي ظواهر الوجود الأجنبي على الأرض العربية ؟

● **اللواء طلعت مسلم .**

مظاهر الوجود العسكري على الأرض العربية مختلفة ، فهناك وجود لقوات وهناك تسهيلات . وقواعد ومناورات عسكرية مشتركة وبعثات وخبراء تدريب . بالطبع الوجود العسكري الأجنبي مسود لأنه يمثل في النهاية قيدا على القرار السياسي والعسكري للدولة ، ولكنه أحيانا قد يكون ضرورة . يحدث هذا بالنسبة لتدريب القوات المسلحة على أسلحة جديدة ، أو لتغطيه ضعف معين . والأساس هنا هو وظيفة هذا الوجود هل هو لصالح الدولة المضيفة أو أن الدولة سخرت لصالح الدولة الأجنبية في فترة ما بعد حرب ١٩٦٧ اضطررنا الى وجود عسكري سوفيتي محدود ومعلن ومحدد الواجب

وهنا يضيف **الفريق فوري**

كان محدد الواجب والوظيفة والتعامل ، وكان هذا الوجود لصالح مصر ، ولتغطية نقص معين ، ولفترة محدودة ، حتى أن بعضهم قتل أثناء المعارك (٤٠ شخصا)

اللواء طلعت يكمل .

الان يوجد وجود عسكري سوفيتي غير كامل في بعض البلدان ، وقواعد عسكرية أمريكية في بلاد أخرى ، وتسهيلات في بلدان ثالثة ، وقوات متعددة الجنسية في مناطق رابعة ومستشارون عسكريون سوفيت في بلاد وأمريكان في أخرى ، ومناورات مشتركة . و . . و

هذا الوجود يشكل خطورة على الدول العربية . ويمثل قيدا على القرار السياسي ، وتزداد بالطبع درجة الخطورة اذا وظفت لصالح الدولة الأجنبية ، وبالذات أمريكا ، حيث أن دخولها في تحالف استراتيجي مع « اسرائيل » يوظف المنطقة كلها لصالح أهداف الولايات المتحدة الامريكية . لا لصالح المنطقة ، فإذا مادخلنا صراعا مع « اسرائيل » ، تحوّل هذا الوجود الأمريكي بالطبع لصالح العدو الصهيوني

الأمر الأكثر غرابة هو أن أمريكا قدمت مساعدات لنظام نميري في السودان ، بدعوى حمايته من عدوان ليبي مزعوم ، في الوقت الذي لم تقدم اليه أي معونه ضد حركات الانفصال في جنوب السودان

الاستراتيجية العربية . . كيف ؟

العربي اذا كان الأمر كذلك فكيف تبرز استراتيجية عربية ؟

● **الفريق فوري**

لا توجد استراتيجية عربية الآن وحتى توجد لابد من عودة مصر الى الصف العربي

● **اللواء طلعت**

حاليا لاتوجد استراتيجية عربية عسكرية ، فأنا لاأذكر اخر مرة اجتمع فيها مجلس الدفاع المشترك التابع للجامعة العربيه حتى الاتفاقات العسكرية الثنائية بين بعض الدول العربية لم تظهر لها فعالية . هذا بالطبع عدا مايخص مجلس التعاون الخليجي

وحتى توجد الاستراتيجية العربية العسكرية ، فالأمر يحتاج الى نوع من الاتفاق السياسي ، وأعتقد أن المجال الأساسي هو الجامعة العربية ، فصعوبة الوصول الى اتفاق كامل لايعني أن نترك الأمور هكذا بل يمكن الوصول الى حد أدنى من الاتفاق ، كما أنه يجب أن يكون هناك حد أقصى للاختلاف فالسلاح العربي يجب أن لايوجه الى صدور عربية ، والصراع المسلح يجب ألا ينشب بين الدول العربية ، وفيما بين هذين الحدين يمكن التقدم في الوصول الى استراتيجية عربية قد تبدأ بصعوبات ثم تنتهي الى التذليل .

العربي والمستقبل كيف تراه ؟

● **اللواء فوزي :**

مازلت أعتبر أن الخلافات العربية مؤقتة وغير

طبعه ، وعند ازالة هذا الشيء تعود المسألة طبعه ، وبدأ عمليات التنسيق والتخطيط وليس هناك مستحيل

● اللواء طلعت

رغم كل ماحدث من أزمات فهناك بدايات مبشرة ، فعدم تطور الأمور بين مصر وليبيا وبين ليبيا والجزائر ، ثم لقاء الرئيسين الليبي والجزائري ، كل ذلك يشير الى أن الخلافات ليست جوهرية بين البلاد العربيه ، مما يعطى الأمل في امكان التعاون العربي

البترول والقدرة العربية

العربي مع نمو عوائد النفط زاد الانفاق العسكري بدرجة كبيرة . فهل صاحب ذلك زيادة حقيقية في القدرات العربية الحربية ؟ ثم هل أثر ذلك على التوازن العسكري بين العرب و « اسرائيل » وأخيرا ما العائد الاقتصادي للعمل العربي الموحد ؟

● الفريق فوزي

ـ زيادة الميزانيات في القوات المسلحة بالمقارنة مع السنوات السابقة ليست دليلا على نمو القدرات ، بقدر ما هي زيادة في رفع الأسعار وارتفاع تكاليف حمدي

أما عن توازن القوى فلا نقاش في درجة النمو والتطور في جهاز العسكرى الاسرائيلي . وقد وصل الى أقصى مداه بعد اتمام التحالف الاسرائيلي الأمريكي الاسرائيلي . وبدرجة لا تسمح بالمقارنه بينها وبين الجيش العربي كله

● اللواء طلعت

زيادة الانفاق العسكري ليست عامة بالنسبه للدول العربية كلها . لكنها واضحة في العراق والخليج ، وذلك بسبب الحرب الايرانيه العراقيه

وبصفة عامة يمكن القول ان زيادة الانفاق العسكري تمثل بشكل عام زياده في المرتبات في جزء منه ، والجزء الآخر في شراء معدات أمريكية مرتفعة الثمن . هذه المعدات لا تمثل زيادة في القدرة العربيه . اذ أنها وأعلنها عليها قيود ، بحيث تحتفظ

● وجها لوجه

« اسرائيل » بالتفوق النوعي . فالأسلحة العربية التي تباع للعرب أقل نوعا من تلك التي تعطى « لاسرائيل » ، وبالتالي لايحقق الانفاق الزائد هدفه بدرجة كافية

● الفريق فوزي

اذا وضعنا في الاعتبار أن التجهيزات العربية عموما تستغرق وقتا طويلا حتى يتم التسليم ، فمن الصعوبة أن نقول إن القوات العسكرية زادت بدرجة تتناسب وحجم الانفاق العسكري

العربي يبقى الجانب الاقتصادي للعمل العسكري الموحد

● الفريق فوزي

من ... توحيد الجهد الحربي للدول العربيه . بأن الاقتصاد في دائرة الانتاج الحربي ، فلو أن المشروع الموحد للتصنيع الحربي تم عربيا . لظهر الفارق الكبير في المطالب المالية بين ماتدفعه البلاد العربية الان في استيراد السلاح الاجنبي . وبين ما يمكن تصنيعه في المصانع العربيه عند توحيد مجهودات هذه الدول . لاشك أن التكامل في تصنيع السلاح يعطي عائدا اقتصاديا ... هذا فضلا عن العائد الحربي

● اللواء طلعت

التعاون العسكري يعطي عائدا عسكريا أكبر من الوضع الحالي . وقد يؤدي الى تخفيض بعض النفقات . ذلك بالاضافه الى تأثير ذلك ايجابيا على الدول التي تعاني من أزمات اقتصادية حادة

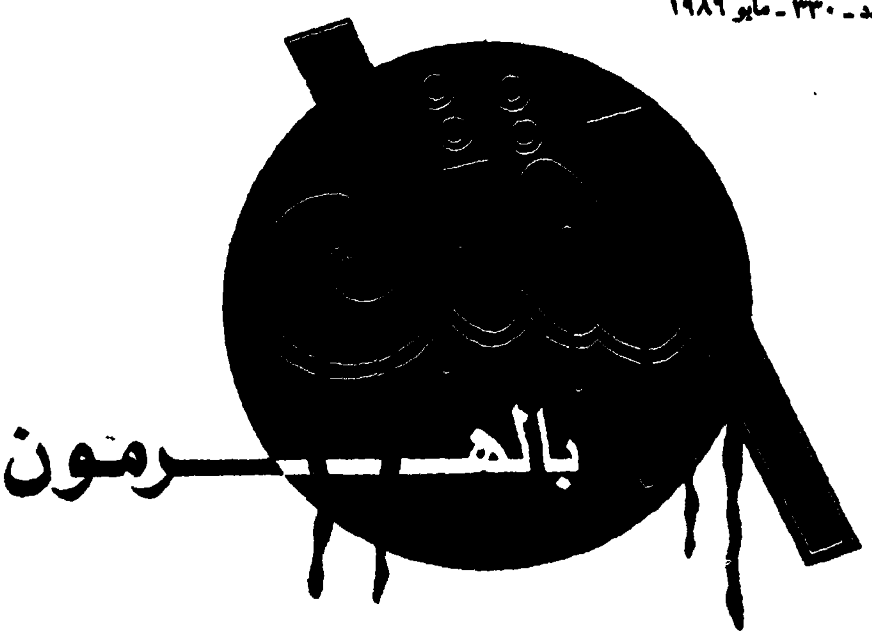
● الفريق فوزي

المسألة ليست غريبه ... فمنذ محمد علي باشا والترسانه التي جهزها كانت تواجه دولا حربية حديثه ، وكانت هذه الترسانة قدرة حربية كبيرة . فقد صنع المدفع والذخيره وقطع الأسطول

وعندما نعود الى « طلعت حرب » نجد أن صناعة النسيج جعلت مصر الأولى في العالم الثالث المتفوقة في صناعة النسيج ومشتقاته . وقد وصلنا الى تغطيه أسواق أوروبا .

من هنا أقول .

ان التاريخ يؤكد ... أن المستقبل للعمل العربي الموحد وهذا شيء ممكن . فالخلافات القائمة ليست دائمة ولكنها فترة عابرة من حياة الشعب العربي . □



بقلم : الدكتور سينوت حليم دوس*

الهرمونات مواد عضوية ، تفرزها الغدد الصماء (أو الغدد اللاقنوية) ، ذات الآثار الحيوية المهمة ، تصل في مراحلها النهائية الى التحكم في كل مظاهر الحياة ، في أدق ملامحها وأخطر ظروفها . . وبرغم أهمية الهرمون للجسم الا أن له أيضا مخاطره .

قبل أن نبدأ الحديث عن الهرمونات في جسم الأنسان .. نحب أن نسوق مثلا لما يمكن أن يحدث ، حين تزيد نسبة الهرمون في الجسم . . وهو أمر قد يحدث أيضا عن عمد كما تصور القصة التالية :

اشتبه البوليس البلجيكي في وفاة متكررة لبعض المسنين المقيمين في ملجأ للعجزة ، فأمرت النيابة العامة باستخراج جثث المشكوك في أمر وفاتهم ، وبخاصة الذين حدثت وفاتهم بطريقة مفاجئة ، وجمعت عينات من عشر جثث ، تراوحت تواريخ الدفن بين بضعة أشهر الى ست سنوات ، وبطبيعة الحال فإن الجثث كلها كانت متحللة ، وتراوحت أعمار هذه الجثث من ٦٩ ـ ٩١ عاما ، ورغم مضي هذه المدة الطويلة من الدفن ، الا أن اعادة التشريح والبحث في الأجزاء المتحللة أوضحت اصابة بعض الجثث بتصلب الشرايين أو سرطان في البروستاتا . . . الخ . ولم يكن ممكنا الحصول على دماء من كل هذه الجثث ، وأخذت عينات من الجلد والعضلات التي تحتها ، في بعض الأماكن التي يحتمل أن يكون الحقن قد تم فيها .

استخدمت طريقة بركن شو في استخلاص الانسولين من العضلات التي قدرت بخمسين جراما من كل جثة ، باستخدام الكحول وحامض الفسفوريك مع تغيير الأس الايدروجيني ، وأمكن الحصول على مستخلص نقي يحتوى نسبة الأنسولين التي تم الحقن بها ، والتي اعتبرت الجرعة القاتلة ، وعن طريق استخدام التحليل الاشعاعي المناعي

* الاستاذ بكلية العلوم الطبية المساعد ـ جامعة الملك سعود ـ والمنتدب بالمركز الوطني للعلوم والتقنية ـ الرياض .

أمكن تقدير الجرعة التي حقنت ، والتي نجمت الوفاة عنها .

ومع استخدام التجارب الضابطة ، أمكن الجزم بأن ثلاثا من الحالات العشر قد قتلت بجرعات مضاعفة من الانسولين ، كما لوحظت في ثلاث حالات أخرى جرعات قاتلة من الكلوربرومازين .

واعترفت احدى الممرضات (مدمنة على تعاطي المخدرات) بأنها ارتكبت هذه الجرائم ، رغبة في التخلص من الازعاج أثناء رقابتها المسائية ، وخرجت لتقضي عقوبة بالسجن لمدى الحياة .

الهرمون والتلكس

ما أشبه عمل الهرمون بالجسم بعمل التلكس في وقتنا الحاضر ، فالرسالة الهرمونية سريعة لا تحتمل التأخير ويفسدها التمهل ، فصحة الجسم بحاجة الى التوازن السريع . ففي الصيام - على سبيل المثال - توجه الغدد إشارتها برفع مستوى السكر في الدم ، أما بعد الافطار فيكون التوجيه الى دفع السكر في الأنسجة بعد الغذاء . واذا واجه الجسم خطرا غير متوقع ، أمرت غدة معينة الأدرينالين بالنزول الى ساحة المعركة ، معطيا اشارة التأهب لمواجهته . . وأمثلة أخرى غير ذلك كثيرة ، ذلك لأن لغة الهرمونات (كيميائية)،ولغة الجهاز العصبي (عصبية)،ويشترك الجهاز العصبي والجهاز الهرموني في كثير من عمليات الجسم ، فالأعصاب تتصل بالعضلات ، والهرمونات تصل الى أدق أجزاء الخلايا .

وتبسط الغدة النخامية سلطانها على كل الغدد الأخرى ، فتكثر من افراز احداها أو تقلل من افراز الأخرى ، فهي تقع تحت سلطان مراكز عصبية مجاورة لها ، فتتلقى الأوامر تارة من عالم العواطف ، وطورا من المحيط الخارجي ، وأحيانا من تركيب الدم عن طريق خلايا حساسة لهذا المركب أو غيره ، مثل الجلوكوز أو الماء .

ومن الغدد المهمة التي تتحكم في سكر الدم غدة البنكرياس ، وهي غدة قنوية وغدة صماء في نفس الوقت ، ويبلغ وزنها ٨٠ - ٩٠ جراما ، وتتكون من نوعين من الأنسجة : هما نسيج الغدة ونسيج لانجرهانز ، الذي يقوم بوظيفة الافراز الداخلي ، وتكون نسبته (١ - ٣)٪ من مجموع أنسجة الغدة بالكامل ، ووزنه حوالي واحد جرام .

وتحتوي جزر لانجرهانز على نوعين من الخلايا هما : خلايا من نوع (الفا) تفرز هرمون (الفلوكاجون) . وخلايا من نوع (بيتا) وتفرز هرمون (الأنسولين) .

وعمل كل من هذين الهرمونين يضاد الآخر ، فالأنسولين يخفض من تركيز السكر في الدم ، أما الفلوكاجون فيرفع نسبة السكر في الدم اذا انخفضت . .

ويعتمد عمل هورمون الأنسولين ، في جسم المريض بالبول السكري ، على مدى استفادته من كمية سكر الجلوكوز الموجودة في تيار الدم ، ومن ثم دور الكبد في تنظيم نسبة الجلوكوز في الدم ، بحيث تبقى ثابتة تقريبا .

وهرمون الأنسولين له أهمية كبرى في عملية فسفرة الجلوكوز ، حيث يساعد أنزيم الهكسوكيناز ، وهو الذي يقوم بتحويل الجلوكوز الى سداسي فوسفات الجلوكوز ، أي تحويل الجلوكوز من الصورة غير النشطة الى الصورة النشطة ، وعملية الفسفرة من الخطوات الأساسية بالنسبة لعملية أكسدة الجلوكوز ، ففي حالة الفسفرة لا يتمكن الجلوكوز من الانتقال من الدم الى الخلايا الجسدية ، حيث تتم عملية الأكسدة ، وهذا يؤدي الى ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم عن المعدل الطبيعي ، محدثا ما يعرف بسكر الدم ديابيتس مليتس .

ومن المتعارف عليه أن نسبة السكر في الدم في الظروف العادية تتراوح بين ٨٠ - ١٢٠ مجم من الجلوكوز في كل ١٠٠ سم^3 من الدم ، وتنخفض هذه النسبة قليلا قبل تناول طعام الافطار ، أما بعد الافطار فإن هذه النسبة ترتفع لتصل الى ١٥٠ مجم/ ١٠٠ سم^3 ، ويرجع ذلك الى امتصاص المواد المهضومة من الأمعاء الدقيقة ، وعندئذ يقوم الكبد في الحال بمساعدة هورمون الأنسولين ، باستخلاص كميات السكر الزائدة وتحويلها الى الجليوكوجين ، وهو المسمى بالنشا الحيواني ، الذي يترسب في خلايا الكبد والعضلات ، ويظل مختزنا الى حين الحاجة اليه مرة أخرى ، وعندما تزيد كمية الجلوكوز ، فإنها



(١) مقدمة

أنا الأسوَدْ
ويعجبني سوادُ الوجه والكفينْ ،
تعجبني
خشونة وجهي الفحميِّ ،
تعجبني
شموس بلادي السمراء
تعجبني ثمار الموز والباباي ،
ووجه حبيبتي الأسمرْ
وأقمارٌ تطل على مدينتنا
تقول لنا :
مساء الخير يا أحباب ليلتنا
مساء الخيرَ يا أرضنا . .
تُغرّدُ بين تُربتها
عروق التبر والألماس والعنبرْ
وتهمس طفلة في الدار :
يا أمي متى أكبر ؟ !
متى تتفتح الأقمار أصحاباً
وأحباباً
وترقص لي فتاة ابني
تنثر شَعرها الأشقر ؟ !

(٢) تعريف

أنا الأسوَدْ
أنا الشاعرْ . . .
أنا الانسانْ . .
أحب الطَّيرَ والأغصانْ
أحب النورَ
والأضواءْ
والشمسا
أحب اللّيلَ إن أمسى !!
أحب الرقصَ إنْ دَقّتْ طبول الليلِ
واجتمعت بنور النّارِ
أغنيتانْ
فأغنية
تُمجد شعلةَ الثورة
وأغنية
تغني للهوى مرّة
وتهتف في فضاء الليلِ
كورشيجا ●
كورشيجا

● كورشيجا : معناها في لغة الشاعر « يحيا الحب . . »

في شهر أكتوبر الماضي أعدمت السلطات العنصرية في جنوب أفريقيا الشاعر الشاب « بنيامين مولويز » بتهمة اغتيال رجل بوليس أبيض . . وكان بنيامين بريئا من هذه التهمة تماما ، كما أذاعت السلطات بعد ذلك ، وهذه هي كلماته الأخيرة » .

(٣) (استطراد)

أنا الأسود
وأمقت وجهَ جلادي
وأصرخ حين ألقاهُ
أجل يا أيها الجلادُ أمقتكَ
وأمقت كفكَ البيضاء
حين قَطّعتَ أوصالي
وحينَ وضعتَ أغلالي
وحين ملأتَ أوقاتي
بأحزانٍ . . بأنّاتٍ
وحين سرقتَ غاباتي
لتصنعها سريراً لكْ
أراجيحاً لأطفالكْ
ومشنقة . . لأطفالي



(٤) (خاتمة)

ويا أمي
أيا ضحّاكة العينين
لا تبكي
فإن دمائيَ الحمراء
تجري الآنَ
تغمر أرضَ أجدادي
تعطرها . . .
وترويها
وتنبت في روابيها
زهور الثأر والثورة
فلا تبكي . .
وضمي نعشيَ الورقيْ
رُشي فوق جثماني
ترابا من ثرى بلدى
وأوطاني
سأسمع كل أطفال البلاد السمر
تهتف لي كما الطوفان
كورشيبا
كورشيبا ●

العربي - العدد - ٣٣٠ - مايو ١٩٨٦

القصة الفائزة بالجائزة الخامسة في مسابقة « العربي » .

أغنية للخريف

بقلم : عاطف فتحى حسن

تلك كانت المرة الاولى - ولعلها الأخيرة - التى يختار فيها هذا المكان العريب للقائهما . ترى ما الذى احتذبه اليه ؟ لعله اسمه الافرنجى ومظهره ، وربما لأنهما كانا قد تعبا من المشى على غير هدى ، بدا لهما بشكله المتواضع ، وكآبته وعزلته الفريدة ، وكأنه ما وجد هنا على جانب الطريق الا ليستقبل من هم على شاكلتهما

« كاريبو . . وكافتيريا . . « باليرا »

تناهى الى سمعه صوت انغام موسيقا أوروبية خفيفة ، تنبعث من مكان ما . أطل برأسه من الباب القصير الذى يشبه أبواب البارات ، وألقى بنظرة متفحصة على المكان شبه المعتم ، لم يكن هناك بالصالة الواسعة التى تناثرت على حواسيها غرف صغيرة ، سوى رجل عجوز يجلس تحت نافذة ، تسقط منها حزمة واهنة من أشعة الشمس فوق جسده المكمش ، وكانت هناك بضع مناضد مركونة على مسافات متباعدة ، لصق الحوائط المكسوة بورق حائط قديم لا تكاد تتبين لونه

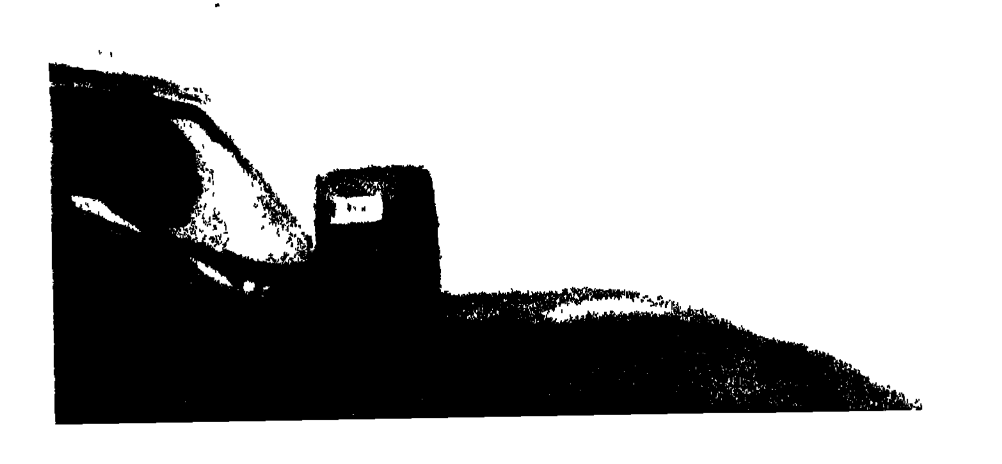
جذبها من يدها ودفع الباب ، الذى صر صريرا أيقظ الرجل من غفوته . تقدما نحوه بوجل . وسألت هى بتوجس .

- هل من الممكن أن نقعد هنا ؟

افتر ثغر العجوز عن ابتسامة ، ولمعت عيناه - فى وجهه الملىء بالتجاعيد - ببريق يكشف عن بقايا حيوية ، وقال بلكنة أفصحت عن يونانيته :

- أهلا وسهلا . تفضلوا

أومأ برأسه للرجل فى امتنان ، وتلفت حوله يبحث عن مكان ملائم . كانت هناك منضدة على اليمين -





يعرضون عليهم بضاعتهم ويسمعونها هم . لأنهم يعرفون بأنهم يملكون الشمس ' لمح نظرة عتاب صريحة في عينيها . قال بسرة مستفرة · كان من الممكن أن أتروحك .

ـ لماذا . ؟ لكنك لم تحاول

ـ لأنى أحترم نفسى !

ـ برغم أنك تعرف حقيقة شعورى . . ؟

وما هى أهمية المشاعر فى صفقات الزواج ؟

ـ انت قاس جدا

ـ أبدا . أنا واقعى

غطت وجهها بكفيها مرة أخرى ، وراحت تنهنه فى صمت .

أخذ ينظر الى صفحة السماء التى بدأت تغيم وتعتم تدريجيا ، مع انسحاب الشمس وأفولها ، ولمح الرذاذ الناعم يعاود السقوط ، ثم لم يلبث أن أبصر السيدة تخرج مكفهرة ضائقة ، لتمد يدها الى الخارج تتلمس المطر ، ثم تنظر الى السماء بلا مبالاة وتنسحب الى الداخل .

واخترق سمعه لحظتئذ صوت أذان المغرب ، يأتى من ميكروفون أحد المساجد القريبة ، فتذكر فجأة وجه أبيه المتغضن الوقور ، وقد بدا له من خلف زجاج نافذة القطار ، كان يقف فى المحطة لوداعه ، لما جاء لزيارته فى المرة الأخيرة أوائل العام الماضى

كان زجاج النافذة التى جلس أبوه خلفها مغلقا « بالرتاج » . ولم يفلح الأب برغم محاولاته اليائسة فى فتحه ، فألصق وجهه بالزجاج البارد ، وراح يحدثه ، أخذ يراقب شفتيه دون أن يسمعه وسط ضجيج المحطة ، ولمح عينى أبيه الكليلتين تغرورقان ، والأسى يغمرهما ، بينما القطار يغادر الرصيف بسط وهتف به هاتف خفي فى تلك اللحظة بأنه لن يرى .. بعد الآن . لوح له بيده فى تخاذل ، وتمتم « ... السلامة » ، ثم عاد يجر قدميه منقبض الصدر

أضاء الرجل العجوز « النجفة » الكبيرة .. تتوسط الصالة ، فتوهج المكان . وبدأ بعض الرواد يقبلون ، قال لنفسه انه ينبغى أن يقوم الآن ، فلا معنى لاستمرار هذا الموقف ، صفق بيده « للخواجة » فرفعت وجهها لحظتئذ وقالت متسائلة ستغادر المكان ؟

ـ أومأ برأسه .

ودفع الحساب للرجل الذى ابتسم لهما مودعا وخرج فى اثرها . توقفا بالقرب من محطة الأتوبيس . وأحس بعتة بيدها تتعلق بمرفقه وتتشبث به بعصبية ، ثم سمعها تهتف به ·

ـ لو طلبت منى عدم السفر . فإنى لا أسافر !

هز رأسه فى اباء ، وبرع يدها من يده ، واستوقف « تاكسيا » كان يُنزل راكبا ، ودفعها برفق لتركب ، ثم أغلق الباب وراءها .

قالت وهى تطل من نافذة السيارة ألا تأتى معى ؟

أجاب باقتضاب .

ـ لا ليس طريقى !

ثم لوّح لها وهى تمضى ، وسار مطاطىء الرأس ، وهو يصفر بشفتيه حزينا ، ونظر الى السماء التى اكفهرت وصارت فى لون الرصاص ، ثم شقها فجأة برق عاصف ، بعد أن كف الرذاذ وانقطع . . وأحس احساسا لا يخيب بأنها سوف تمطر الآن بغزارة

« ادعونى استجب لكم »

اللهم انا نسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا والآخرة .

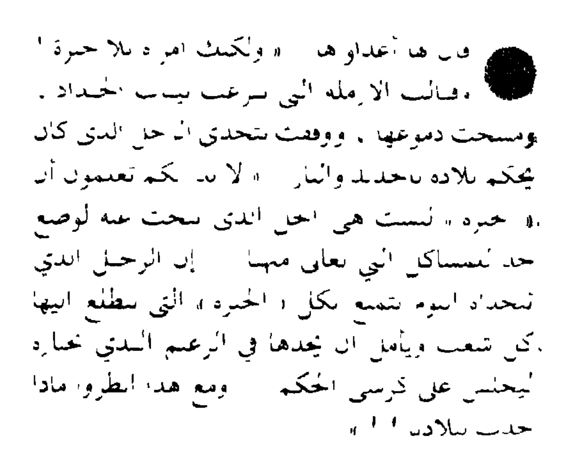
اللهم انا نعوذ بك من شر ما نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه .

اللهم انا نسألك ان ترد الناس الى الحق والعدل ، وان تصون بلاد المسلمين من كل مكروه وسوء . .

انت حسبنا ونعم الوكيل . ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

حكايات شرق وغرب

« كوري » .. ووعاء الأرز ! »



● [illegible] أعداؤها « ولكنك امرأة بلا خبرة ! » قالت الأرملة التي ترعرعت بيت الحداد . ومسحت دموعها ، ووقفت تتحدى الرجل الذي كان يحكم بلاده بالحديد والنار « لا . لكنكم تعلمون أن « الخبرة » ليست هي الحل الذي نبحث عنه لوضع حد للمشاكل التي نعاني منها .. إن الرجل الذي تحداه اليوم نتمتع بكل « الخبرة » التي تتطلع إليها كل شعب ويأمل أن يجدها في الزعيم الذي يختاره ليجلس على كرسي الحكم .. ومع هذا انظروا ماذا حدث لبلادنا !! »

وقالت هي لأصدقائها ومؤيديها قبل شهور من النصر الذي حققته . « إن التحدي الحقيقي الذي يواجه المعارضة ، يكمن في العثور على مرشح لمنصب الرئاسة لايكون استمرارا لحكم الدكتاتور ماركوس !

وقد كانت هي ذلك المرشح ، إنها السيدة كورازون أكينو أوكوري كما يسمونها ، رئيسة الفلبين الجديدة .. صحيح انها بقيت تعيش داخل جدران بيتها كزوجة وربة بيت وحدة لأكثر من حميد ، بعيدا عن السياسة حتى عام ١٩٧٢ ، عندما أعلن ماركوس الذي حكم الفلبين لأكثر من عشرين عاما ، الأحكام العرفية ، التي استطاع في ظلها أن يعتقل زوجها بينوي ويلقي به فوق أرض السجون الرطبة العفنة مع اللصوص وقطاع الطرق .. وكان بينوي أقوى مرشح لانتخابات الرئاسة في عام ١٩٧٣ خلفا لماركوس .



وبقي الرجل في السجن سبعة أعوام وثمانية أشهر ، كانت زوجته خلالها هي حلقة الاتصال الوحيدة بينه وبين العالم الخارجي ، فكانت تلتقي بالصحفيين ، وتقوم بتهريب رسائله الى أعوانه ، وأهم من هذا كله ترعى الأسرة الكبيرة التي عاشت لها

وعندما أطلق ماركوس سراح زعيم المعارضة في عام ١٩٨٠ وسمح له بالسفر الى خارج البلاد ، قصد الى الولايات المتحدة لاجراء عملية جراحية في القلب ، ثم مالبثت زوجته أن لحقت به هي وأولادها الخمسة ، أربع بنات وولد واحد .. وحصل « بينوي » على منحة دراسية في مركز الدراسات الدولية بجامعة هارفارد .. وكانت هذه هي أسعد سنوات حياة الزوجة التي أحست لأول مرة بزوجها قريبا منها ،

ومن بيته ولأولاده الذين حرم منهم في غمرة معاركه السياسية من أجل الاصلاح في بلاده .

حصل نينوى على درجة الزمالة ، وبدأ يستعد للعودة الى الفلبين لمواصلة كفاحه ، وسبقته زوجته وأطفاله ، ولم يكن يدري أن ماركوس ورجاله كانوا في انتظار هذه اللحظة . فما كاد يهبط من الطائرة التي أقلته الى مانيلا عاصمة الفلبين ، حتى انطلقت رصاصتان لتضع نهاية لحياة هذا الرجل المكافح فوق أرض المطار في اليوم الحادي والعشرين من شهر اغسطس عام ١٩٨٣ .

في هذا اليوم ولدت كوارزون من جديد . فقد صممت الأرملة الجدة أن تستمر في الكفاح الذي بدأه زوجها الراحل ، وعندما خلعت ملابس الحداد . وراحت تجفف دموعها ، كانت قد قطعت شوطا بعيدا في صراعها ضد ماركوس .

قالت : « أنا لا أزعم أنني في قوة أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند التي أنهى العنف حياتها ، ولا مسز باندرانيكة ، ولكنني على استعداد لأن أتعلم ! » وكان أول درس تعلمته « ربة البيت » هو ألا تكتفي بأن تملأ الوعاء بالأرز لأبنائها هي فقط ، ولكن لكل أبناء الفلبين . !

« جالا » . . و « سلفادور » وقصة حب كبير !





سلفادور دالى أمس واليوم   و« جالا » ملهمته في شبابه وشيخوخته

● زوجته الحبيبة رحلت . لقد كانت صديقته وملهمته وسلواه ، في كل مرة جلس فيها أمام لوحاته ، وأحس بالوحدة أو الضياع بين خطوطها المتشابكة . ! ولذلك فقد ترك رحيلها في قلبه العجوز جرحا لا يندمل . !

انه الفنان السيريالى سلفادور دالى الذي جاوز الثمانين ، لقد خرج أخيرا من العزلة التي اختار أن يعيش فيها وحده مع الذكريات مدة خمس سنوات متصلة ، بعد أن أمضى عامين مع دموعه في الظلام .

وفي مدينة فيجوراس باسبانيا ، قرر أعظم الفنانين الأحياء في القرن العشرين ، أن يخرج عن صمته الحزين ويتكلم . . ولكنه كان كلاما قصيرا ، اختلط فيه الأمر عليه ، فهو لايدرى من أين يبدأ . . هل يعود الى « جالا » زوجته وحبيبته . . أم يتحدث عن ماضيه الذي حفل بالأحداث التي صنعت منه فنان اسبانيا الأول . . أم يعيش حاضره ويتحدث عن آلامه في شيخوخته . . ؟

لقد كاد سلفادور أن يحترق مع النار التي شبت أثناء نومه في القصر الصغير الذي كانت تمتلكه « جالا » حبيبته في ضواحي مدينة فيجوراس ، وتمنى يومها لو أن اصاباته كانت من القسوة بحيث لم تعطه فرصه للافلات من الموت !

ولكن يبدو أن سلفادور عاد يعيش حياته من جديد : ويقول لمن حوله في أول حديث له بعد المحنة التي عاشها قريبا من الموت : « لا . . لن أموت الآن . . لأنني أريد أن أتحدى هؤلاء الذين طالما وقفوا يتحدونني ، أو يحملون عليّ في أغلب الأحيان » .

ثم يقول وهو يشير الى احدى لوحاته : « ان الفرق

بين المتشكك المرتاب المجنون وبيني ، وهو أنني لست مجنونا ! »

كيف يعيش سلفادور دالي اليوم ؟

انه يمضي معظم ساعات نهاره وكل ليله بين فراشه وبين المقعد الوثير الذي يتوسط غرفة نومه في قصره الـذي يحمـل اسم زوجتـه « جـالا » بمـدينـة فيجوراس . . المدينة التي ولد فيها وعاش طفولته وصباه بين أحضانها . وهو يشعر بالضيق أحيانا عندما يتذكر يده اليمنى ، فينظر اليها وهي ترتجف . يقول الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، والـذين كانوا قـريبين منـه عندمـا احترقت سـاقه وهـو نائم والنيران من حولـه تلتهم كل شيء . . يقـولون ان سلفادور يستطيع أن يمشي ويتحرك وينزل الى حديقة البيت اذا شاء ، ولكنه عازف عن أن يفعل شيئا من هـذا ، حتى الطعـام الذي يقـدم لـه من النـادر أن يقربه ، فهو قد فقد شهيته ، ولا يـريد أن يـأكل ، وكان لابد أن يفعلوا شيئا لايصال الغذاء الى معدته ، فوضعوا انبوبا في أنفه وعن طريق هذا الأنبوب يتغذى سلفـادور ، فلم تكن ساقـه هي التي احتـرقت . . ولكنه قلبه الرقيق .

يعود فيقول وكأنه يقرأ مايدور في أذهان أصدقائه وزائريه : « إيـاكم أن تتصوروا أنني فقـدت شهيتي للرسم . . فأنا مازلت فنانا ، ومازلت أتمتع بذاكـرة قوية ، كل ما في الأمر أنني لاأريد أن يـراني هؤلاء الذين أحبهم والذين عرفوني أيام شبابي الذي أحرقته السنون . !

لقد كان ظهور سلفادور المفاجيء محزنا مثل أي شيء آخر من حياتـه . . حتى لوحـاته في كثـير من الأحيان . . وربما كان هذا هو السبب الذي دفعه الى التخلص من كل من كان يعمـل في خدمتـه عندمـا كانت « جالا » قريبة منه !

هل يعود الى فرشاته ؟

يقول دالي : « نعم . . وسوف ترون قريبا لوحات جديدة ، ولكنها ستكون في هذه المرة مليئة بالحياة التي أحببتها من أجل « جالا » فهي مازالت تعيش معي في كل ركن من هذا القصـر الذي أصبـح خاويـا بعد رحيلها ! »

. . والتقيا بعد خمسين عاما !

● احبتـه وهي لاتعـرف بـأي لغـة تنقـل اليـه مشـاعرهـا . . وأحبها كـما لم يحب رجل امـرأة من قبل كانت هي في السـابعة عشرة من عمرها ، فتاة يابانية جميلة اسمها ساتيا كيميتو ، وهو طالب من أبناء الصين يدعي وانج بنجباي ، وكـان أكبر منهـا بعام واحد . .

وكان لقاؤهما لأول مرة في بكـين في عام ١٩٣٦ عشية الغزو الياباني للاراضي الصينية . . وافترقا ، فقد كان لابد أن تعود ساتيا الى بلادها في اليابان ، بعد ان اندلعت الحرب بين البلدين . . عادت ساتيا وقلبها مازال يخفق بحب هذا الشاب الـذي شاءت الأقدار أن تفرق بينها وبينه !

ومضى على هذه المغامرة العاطفية البريئة أكثر من نصف قرن من الزمان . . ومنذ بضعة أسابيع مضت كـانت ساتيـا تقوم بـزيـارة للصـين ، ودفعهـا حب الاستطلاع الى البحث عن صديقهـا القديم الـذي ظلت تحمل صورته في قلبها وفي حقيبة يدها الصغيرة طوال هذه الأعوام . . وراحت تبحث في السجلات الرسمية ، وكانت المفاجأة التي لم تكن تتوقعهـا . . لقد عثرت على اسمه ، وعرفت عنوانه ، فأسرعت تستقل أول طائرة أقلتها الى مدينة شنغهاي حيث يقيم وانج . . !

وعـرفها عـلى الفـور . . وكـان لقـاء حـارا بـين الحبيبـين ، ولم تكد تنقضى بضعـة أيـام حتى كـان الصديقان يحتفلان بزواجها ، وفي ضاحية صغيرة في مدينة شنغهاي ، أقاما عش زواجهما السعيد . . وبعد أيام كانت العروس تقف لتطفيء سبعا وستين شمعة في أول عيد ميلاد تحتفـل به ، وهي زوجـة للشاب الذي ظلت تعيش مع صورته خمسين عاما !! □

قاموس العربى

ط

طبقة

مفهوم اجتماعى واقتصادى وسياسى ، يدل على تصنيف تقسيم موجه الفئات الاجتماعية الى مجموعات داخل السياق الاجتماعى ، وأساس التقسيم قائم على الوضع الاقتصادى ، وامتلاك هذه المجموعات لأدوات الانتاج الاجتماعى بشكل عام

وتتكون هذه المجموعات بطريقة طبيعية دون اصطناع أو اجبار ، وهى من حيث الناحية القانونية مفتوحة على المجموعة الاجتماعية الأخرى ، ولكنها تكاد أن تكون مغلقة على نفسها من الناحية الفعلية

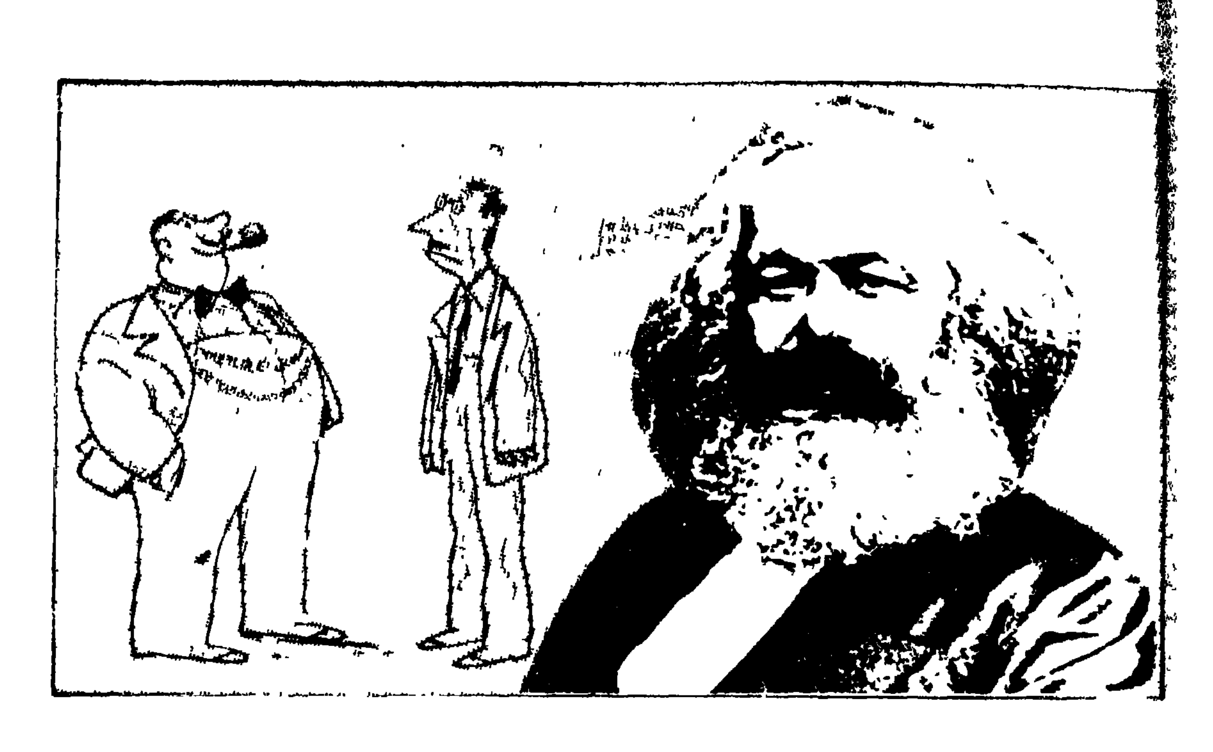
والطبقات الاجتماعية ـ وفق أساس التمايز الاقتصادى ـ تعنى عدم التجانس وعدم المساواة بين قوى المجتمع فى الدور الاجتماعى والملكية ، ومدى التحكم في أدوات الانتاج

وتنتج الطبقة الاجتماعية ـ نتيجة التفاوت واللامساواة في الوضع الاجتماعى ـ تفاوتا آخر في الثروة ومستوى التعليم والمهن والسلطة والدور الاجتماعى ، أى أن التفاوت الوضعى الطبقى يظل لعنة أو نعمة تورث للأجيال المتعاقبة

ومن هنا فقد حرصت كل القوانين والدساتير الحديثة على النص على ان المواطنين جميعا متساوون أمام القانون . ورغم هذا الالغاء للتمايز الطبقى التاريخى الموروث ، فإن تحديد الطبقات في العصر الحديث يخضع الى اعتبارات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، وظلت هذه الاعتبارات مثار خلاف دائم بين علماء علم الاجتماع ، والذين انقسموا حول وجود الطبقات وتحديدها وماهيتها . الا أننا يمكن أن نرصد تيارين أساسيين لدى علماء الاجتماع المعاصرين ، فهناك تيار يقول إنه لاتوجد طبقات اجتماعية ، وليس هناك بالتالى صراع طبقى . ولكن هناك « حراك اجتماعى » أى قدرة الفرد على الانتقال من مكانة اجتماعية اقتصادية الى مكانة أخرى ويرتبط هذا التغير بتغير آخر في الدّور الاجتماعى والوضع الاجتماعى للفرد ، وهناك تيار آخر يؤكد وجود الطبقات والصراع بينها

الا أن التيارين يتفقان على أن هناك تمايزا اجتماعيا بين القوى الاجتماعية المختلفة ، وأن هذا التمايز يجعل من المجموعات الاجتماعية مجموعات شبه منظمة على المستويات المختلفة ، سواء على المستوى الاجتماعى (الأندية) أو المستوى الاقتصادى (الاتحادات .) أو على المستوى السياسى (الأحزاب)

وبهذا الاتفاق على المعنى بين أصحاب التيارين فإنه يتضح أن المنكرين لوجود الطبقات انما يكرون وصولا الى نفى الصراع الاجتماعى وهم بذلك يكونون قد استبدلوا الصراع الاجتماعى بالحراك الاجتماعى . أى امكانية أن ينتقل الفرد من مكانه



اجتماعيه الى أخرى بشكل طبيعي وسلمي ، شريطة أن يسلك السبل التي تؤهله الى هذه الحركة

وتاريخيا تعود الجذور الفكرية لكل الأحزاب السياسية في أوروبا الى وعي الطبقات بدورها التاريخي . وعدم رضاها عن دورها في السيطرة على البناء الاقتصادي . الذي تشعر أنها ضحيته ، وبالتالي تكوّن تنظيمات سياسية لتعكس موقعها الاقتصادي وتطالب لها بحقوقها

وتضم كل طبقة عدة فئات ومستويات ، تختلف اختلافات ثانوية عن بعضها البعض ، ولكنها تشترك جميعا في السمات العامة للطبقة التي تنتمي اليها

ويعد كارل ماركس وماكس فيبر من أبرز الذين أسهموا في الكتابة حول الطبقات الاجتماعية ، وتعود لماكس فيبر فكرة التمييز والتمايز التي عبر عنها « بالوضع الطبقي » وفكرته أن المجتمع ثلاثة أنواع من الدرجات : هي السلم الاقتصادي ، والسلم الاجتماعي ، والسلم السياسي فتتحدد الطبقة من خلال الوضع الاقتصادي ، والوجاهة من خلال الوضع الاجتماعي ، والحزب من خلال الوضع السياسي وأن هذه المراتب ليست مرتبطة ولاحتمية التوازي ، فقد يكون هناك شخص ما يتمتع بالوجاهة الاجتماعية كميراث اجتماعي ، ولكنه لايتمتع بالوضع الاقتصادي المتميز والعكس صحيح وهكذا تعددت التحليلات والتفسيرات « للطبقة »وتوظف المفهوم بشكل سياسي اجتماعي للتعبير والدلالة عن مجموعة اجتماعية تتميز بوضع اجتماعي ، نتيجة تمتعها بملكية أكبر قدر من أدوات الانتاج الاجتماعية ، وتمتعها بنسبة أكبر من عائد الدخل ، الأمر الذي يتيح لها قدرا من المشاركة في التمثيل السياسي وسلطة الحكم □

قال حكيم :

« كن حذراً من الكريم ان أهنته ، ومن اللئيم إن أكرمته ، ومن العاقل إن أحرجته ، ومن الأحمق إن مازحته » .

من ملوثات البيئة



اعداد : دكتور رياض العلمى

الغبار الطائر هو مجموعة من المواد الترابية والرملية دقيقة للغاية قابلة للتعلق في الهواء . ترفعها من موقعها الأصلي التيارات الهوائية ، ثم تتساقط بالتدريج بفعل قوة الجاذبية ، عندما يهدأ الجو ، ويبدأ الترسب . وتتمكن الرياح من حمل كميات هائلة من الغبار من مكان الى آخر فوق الكرة الارضية .

يلعب الغبار دورا بارزا في تكوين الغيوم وهطول الامطار من الجو . وفي عام ١٨٧٥ تمكن العالم « كوليير » من اكتشاف أن تكثف بخار الماء في الهواء يحدث عند وجود ذرات صغيرة ، تتجمع حولها ذرات الماء ، وليس بالضرورة أن تكون تلك الذرات من النوع الصلب ، إذ أن بعضها قد يكون من السوائل ، كحمض النيتريك أو حمض الكبريتيك أو ذرات من الغازات المختلفة ـ وقد تمكن العالم « جانج » في عام ١٩٣٥ من اثبات أنه يلزم حوالى ٣٠٠ ـ ٥٠٠ نواة في كل سنتيمتر مكعب من الهواء حتى تتكون الغيوم .

مصادر الغبار

ان المصادر الأساسية والرئيسية للغبار في الجو عديدة ، مثل تطاير التربة ، او رذاذ المحيطات ، أو آثار البراكين ، أو حرائق الغابات ، أو حالات الاحتراق المنزلية ، أو الصناعية ، وكذلك غازات

* الغبار الطائر يسمى « طوز » في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ويسمى رياح الخماسين او الهبوب في مناطق عربية اخرى .

م السيارات ، والنيازك المتساقطة من أعالي الجو الى سطح الأرض وغير ذلك . كما أن الغبار العضوي الناتج من النباتات أو البكتريا ، أو حبيبات اللقاح ، انما هو الا أجزاء بسيطة من الغبار الجوي . فان التيارات الهوائية والعواصف الجوية هي المسؤولة عن توزيع الغبار وذراته عموديا وافقيا الى مسافات بعيدة جدا عن مصدرها الأصلي .

وقد قدر العلماء أن الرذاذ المحيطي يأتي بحوالي ألفي مليون طن من الغبار الملحي الى الهواء . وأن التكوين الكيميائي لهذه المادة المالحة المتبقية في الهواء بعد تبخر الماء ، هو ملح كلوريد الصوديوم ، وكلوريد الكالسيوم ، وبروصور البوتاسيوم ، وكلوريد الماغنيسيوم .

أما في المناطق المأهولة ، فتعتبر عوامل الحريق والانفجار ثاني أهم مصدر للغبار ، بما في ذلك الانفجارات الذرية . ان البقايا من الاحتراقات النووية تنتقل مع الهواء الى جميع أنحاء الأرض . وأحيانا تسبب الانفجارات البركانية كميات هائلة من الغبار تدفعها الى الجو . ان انفجار بركان « كاراكتان » الواقع بين سومطرة وجاوا الذى حصل في ٢٦ و ٢٧ أغسطس من عام ١٨٨٣ ، قد قذف الى الجو بحوالى ٤ أميال مكعبة من التراب ، بقى بعضها معلقا في الهواء مدة ثلاث سنوات متتالية .

ان العواصف الرملية الصحراوية التى تحدث أثناء فصل الجفاف ، وخاصة في المناطق التى لا توجد بها نباتات ، تحمل آلافا من الأطنان من الغبار الى الهواء ، إلى مسافات بعيدة قد تصل الى ٢٠٠٠ ميل بعيدة عن المصدر الأصلي . ومثال ذلك العاصفة الرملية الضخمة التى حصلت في ١٢ و١٣ نوفمبر عام ١٩٣٣ ، والتي بدأت من الولايات المنبسطة في أمريكا ، والتي سببت تكوين الثلوج في ولايات نيو انجلاند (شمال شرقي الولايات المتحدة) حيث سقط من الغبار حوالى ٢٥ طناً على كل ميل مربع من الأرض . كذلك فان غبار « الصحارى » الافريقية تمكن من الوصول إلى جو سوريا (في آسيا) . كما سقط أن كميات من الغبار في أعالي جبال الألب الأوروبية ، كان مصدرها الأصلي من العواصف الرملية في شمال افريقيا ، وقد سببت تكوين الثلوج هناك باللون الأصفر الضارب إلى الحمرة ، بالاضافة الى نزول الأمطار الدموية (الحمراء اللون) .

غبار النيازك

وبعض الغبار ينجم عن النيازك المتساقطة من أعالي الجو ، الى جو الكرة الأرضية . ويقال ان بعض الغبار المغناطيسى الذى لاحظه بعض العلماء يعود الى هبوب عاصفة رملية فى ١٣ يناير ١٨٥٣ في ولاية ساكسوني . وفي عام ١٨٨٣ صرح العالمان موري ورينارد أنهما وجدا غبارا ممغنطا في الترسبات الموجودة في قاع البحر . وأن لون ذرات الغبار ذات قطر يتراوح من ٢/١٠ الى ٥/١٠ مليمتر ، سواء كانت بنية أو سوداء اللون .

ان عمر الغبار المتراكم يتراوح من عدة مئات من السنين ، إلى عدة آلاف من السنين ، وان كمية غبار النيازك الذي يتساقط على سطح الكرة الأرضية ما زال موقع جدال ، اذ يعتقد البعض أنه يتراوح من ١٢٥ طناً سنويا ، الى ٨٠٠ طن سنويا لكل يوم من الأيام ، أى بحدود ٢٩٢ ألف طن سنويا . وقد نشر العالم « هودج » عام ١٩٥٦ أنه يعتقد أن كمية الغبار قد وصلت الى حوالى مليون طن سنويا .

يوجد الغبار في الجو بكميات هائلة . ويقدر أنه فى عام ١٩٧٠ قد رسب فوق أرض الولايات المتحدة الامريكية حوالى ٤٣ مليون طن . منها حوالى ٣١ مليوناً من أصل طبيعي ، ومليون طن من حبيبات اللقاح . أما الباقي ومقداره حوالى ١٢ مليون طن فان مصادره من الانسان .

وقد أجريت قياسات عديدة لكمية الغبار المتساقط فوق الولايات المتحدة . وبالنسبة لكل ميل مربع شهريا ، وتبين أن ذلك يتراوح من ٣٣ طناً الى ٢٠٠ طن ، من مدينة الى أخرى .

من أسوأ كوارث الطقس (عاصفة Smog)وقد حدثت في ديسمبر من عام ١٩٥٢ بمدينة لندن ، عندما توفى حوالي ٤٠٠٠ شخص نتيجة تعرضهم لنسبة عالية من التلوث ، وصلت الى ٤ ملغرامات لكل متر مكعب ، هذا يعني حوالى عشرة أضعاف الكمية الموجودة عادة في المناطق الكثيرة التلوث . ان عمليات الاحتراق الصناعي ، وعمليات الانصهار

والتعدين والبناء ، ورصف الطرق ، وحركة السير والمحارق ، هي أسوأ المصادر للغبار

أما في داخل المنازل وبين البنايات ، فان نسبة تركيز الغبار تكون عادة أعلى من تركيزه في الهواء الطلق ، ويعتمد ذلك الى حد بعيد على مدى التهوية وفي العادة يحتوي جو الغرفة ما بين ٥٠,٠٠٠ الى ١٠٠,٠٠٠ نواة تكثيفيه لكل سنتمتر مكعب ومن الناحية الصحيه فان عدد الجراثيم داخل المنازل تتناسب طرديا مع عدد ذرات الغبار أي كلما زاد الغبار زادت الجراثيم

ومنذ حوالي منتصف الخمسينات ، تطورت مشكلة تلوث الجو بالغبار المشع ، الناتج عن الانفجارات النووية (الذرية) ، اذ باتت مشكلة ذات اهمية بالغة فان المواد المشعة الطبيعية تكون بنسب ضئيلة في الجو ، مثال ذلك كربون (١٤) وبوتاسيوم (٤٠) . ولكن سنه واحدة بعد انفجار القنبلة الهيدروجينية في جزر مارشال ، كان غبار سترينتوم (٩٠) الناتج عن هذه الانفجارات ، قد أدى الى تلوث جو الولايات المتحدة نفسها

الغبار والصناعة والصحة

يعتبر الغبار من أهم المشاكل التي يواجهها كثير من الصناعات فان الغبار قد يؤثر على الآلات والأجهزة ، بالاضافة الى تهديده لصحة الانسان ومن أسوأ وأخطر الحوادث التي تحصل ، هي الانفجارات الناجمة عن التعدين ، وفي المناجم خاصه نتيجة لانفجار غاز الميثان (Methane) وتحدث هذه الانفجارات عادة نتيجة لشرارة كهربائية ، تتولد في المنجم من الأسلاك أو غير ذلك أما بالنسبة لصحة العاملين في المناجم ، فانها دائما مهددة ، نظرا للكثافة الكبيرة لذرات الرمال والغبار التي يمكن أن تكون . -

(١) سامة وتسبب التسمم لدى الانسان

(٢) غبار يسبب الأمراض وخاصة في المسالك التنفسية .

(٣) غبار يسبب التليف في الرئتين والقصبات الهوائية .

أما الغبار السام فيشمل الرصاص والزرنيخ [illegible] الغبار الذي يسبب أمراض الرئتين نذكر [illegible] الاسبستوس .

ويعتبر أخطر ما يمكن حدوثه للانسان هو استنشا[ق] مادة السيليكا في المناجم والمحاجر ومعامل الحرف كما أن بعض الأمراض تنتج عن مواد سيليك[ية] أخرى ، مثال ذلك سيليكات الألمونيوم ، وكذلك سيليكات الماغنيسيوم (التلك)

ان أخطر شيء على الصحة هو ذرات الغبار ، كذ[لك] تناهت بالصغر ، والتي قد يكون قطرها حوالي [١] ميكرون أو اقل ، كما أن هذا الخطر يزداد كلما [طال] الوقت الذي يتعرض له الانسان لاستنشاق هذ[ه] الذرات وان الخطر الحاد قد يحدث اذا ما وصلت كثافة ذرات الرمال في الهواء الملوث بحدود ٥ ملايي[ن] ذره من السيليكا لكل قدم مكعب من الهواء

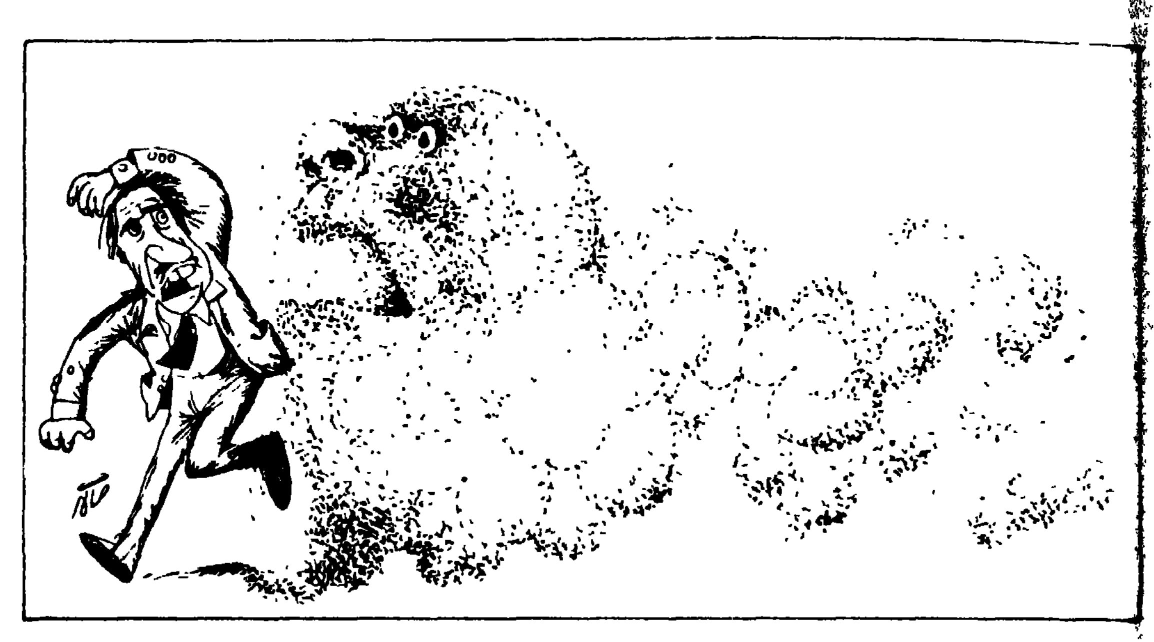
ان أكثر من ٢٥ ٪ من هذه الذرات تبقى داخ[ل] الرئتين والقصبة الهوائية بعد استنشاقها

ولذلك يجب استعمال المقانع ووسائل التهوية الجيدة في المصانع ، وكذلك استعمال المكان[س] الكهربائيه والمراوح للتخفيف من كثافه الغبار ، [لان] ذلك يخفف من ضررها كما أن ترطيب الهواء [بالماء] يقلل من نسبة كثافة الرمال في الجو . وبالتالي تخفف من ضررها ، كما يجب على العمال ارتداء الأقنعه ع[لى] أنوفهم وأفواههم للتخفيف من نسبة الاستنشاق والجدول التالي يبين النسب المسموح بها في الصناعه

	ملغرام لكل لتر
أكسيد الحديد	٠,٠١٥
أكسيد الزنك	٠,٠١٥
الزرنيخ	٠,٠٠٠٥
الرصاص	٠,٠٠٠١٥
اليورانيوم	٠,٠٠٠٠٥

الرمال العاصفة

يقصد بالعواصف الرملية حدوث موجات [من] الغبار والرمل ترتفع عن الأرض الى الهواء ، ويش[مل] ذلك العواصف الرملية ، الرمال المتطايرة ، الـ[...]



المدفعة ، والتيارات الرملية والغبار المتطاير وغير ذلك وتكثر هذه في الأراضي الصحراوية الجافة

وقد درس علماء الأرصاد والجو حدوث عواصف الغبار بالنسبة للمظهر والشدة والتوزيع في مختلف المناطق والفصول والأوقات ، وغير ذلك من العوامل وان أهم الملاحظات بهذا الخصوص كان قد أبداها الرائد « باجنولد » في الصحراء الكبرى بالنسبة لطبيعة الرمال العاصفة .

وقد أجرى عليها فحوصات مخبرية عديدة ، وقد تبين انه في الجو غير المستقر يتكاثر الغبار والرمال الناعمة بسرعة الى أعلى ، قد تصل الى علو ١٥٠٠٠ ق م

وقد تبين أن هناك أسبابا أساسية لحدوث العواصف الرملية .

(١) رياح سرعتها على الأرض حوالى ١٥ - ٣٠ ميلاً في الساعة ، ويعتمد ذلك الى حد بعيد على شكل وحجم ورطوبة وحرارة الرمال ووزنها النوعي ، بالاضافة الى ذلك فان العواصف وعدم استقرار الأجواء السفلية ، تساعد على رفع الغبار الى أعلى

(٢) يجب أن تكون درات الرمال من أحجام صغيرة ، وتتمكن من الارتفاع في الجو ، وبالتالى الطيران ، وغير رطبة من الندى أو الأمطار ، لأن ذلك يمنع الرياح من رفعها .

هذا وان العواصف الرملية تقسم عادة الى الأنواع التالية :

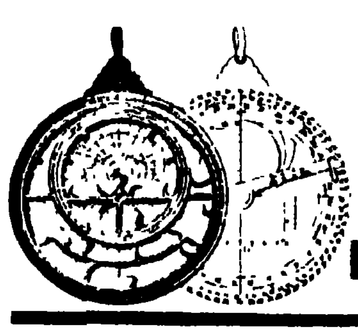
(١) « الخماسين » في مصر (٢) أو « القبلة » في ليبيا ، هى أمثلة معروفة عن هذا النوع . وان الغبار المتطاير يحدث فوق مساحات شاسعة ، مرتبطا مع التيارات الهوائية المتاحة .

وان « الخماسين » تحدث عادة في الطقس الذى يميل الى البرودة ، أى فى نهاية فصل الشتاء والربيع ، كالذى يحصل فوق شمال افريقيا وهناك عواصف رملية كثيرة مشابهة للخماسين ، تحصل في آسيا الصغرى وايران والاتحاد السوفيتى والهند والصين واستراليا والولايات المتحدة

(٢) أما النوع الثانى فهو النوع المحلى المصحوب بالعواصف الرعدية أو الغيوم ، مثال ذلك الهبوب في السودان

وتنتمى الهبوب عادة الى الفصول الدافئة ، وخاصة في نهاية الربيع ، وأوائل الصيف . وتحدث هذه عادة في المناطق الرملية عبر الخرطوم ، وخاصة في الهند وآسيا الصغرى واستراليا وغرب افريقيا

ان العواصف الرملية لها نتائج عملية سيئة ، في منع الرؤية واتلاف الآلات والمواد ، واحداث الشحنات الكهربائية ، مع تعرية التربة ، وتساقط الغبار واحداث الأضرار بحياة الانسان ، وغير ذلك انها مشكلة من مشاكل التلوث يجب الاهتمام بها تماما . □



الجديد في العلم والطب

فيروس الزكام يراه العلماء لأول مرة

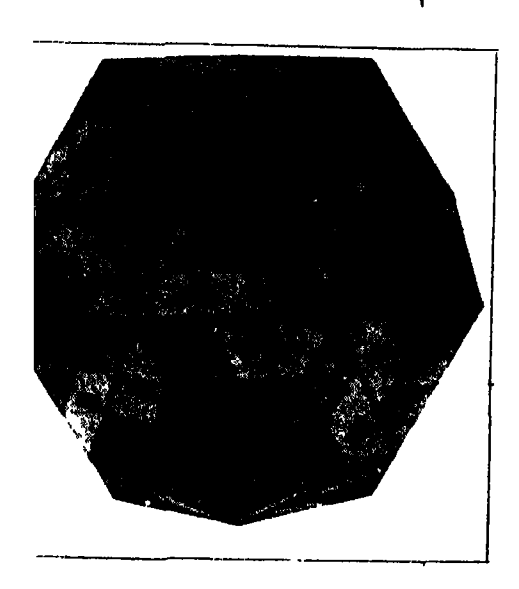
■ من المعروف أن الزكام أو الرشح العادى آفة فيروسية ، لابكتيرية .. وانها ، فى الغالب ، أكثر الآفات انتشارا فى العالم . ومن المعروف أيضا أن الطب مازال يفتقر الى علاج ناجح للرشح .. لاعجب اذن أن كانت الآفة وفيروسها وعلاجها موضع دراسة فى مراكز عديدة فى العالم . ولقد تسنى للعلماء الأمريكيين اكتشاف عدة فيروسات للآفة الواحدة .. وتبين لهم أنها كلها كروية الشكل ، وذات زغبر ، وذلك حسبما ظهرت لهم تحت الميكروسكوب .. ذلك هو مظهر الفيروسات .. فيروسات الزكام التى تسمى rhiroviruses أما جوهرها أو حقيقة بنيتها فقد بقى طى الغموض .. طوال السنوات الماضية وحتى العشرينيات من شهر سبتمبر الماضى (١٩٨٥) .

فقد نشرت مجلة ناشر Nature تقريرا علميا مفصلا وضعه عدد كبير من العلماء .. بعضهم من جامعة بوردو Purdue وبعضهم من جامعة وسكونسن فى الولايات المتحدة .. ولم يكن محور ذلك التقرير سوى فيروس الرشح الذى أطلقوا عليه اسم HRVIY ، ولم يكن فحواه سوى تحديد بنية الفيروس بقدر من الدقة والتفصيل يبعث على العجب .. وهكذا بات من الممكن التوصل الى علاج ناجع للرشح فى مستقبل قريب .

وأول مايلفت النظر في بنية الفيروس (HRV IY) هو تعقيده الرائع .. فهو شبه كروى وذو أضلاع عشرين .. ويضم كل جانب من جوانبه ٣ مثلثات متساوية الزوايا .. وتحتوى كل زاوية على (٣) بروتينات على سطحها غير السوى وبروتينية واحدة تحت السطح .. وتوجد المادة الوراثية داخل هذا الغلاف شبه الكروى .

واكتشف العلماء ان البروتينات الثلاث السطحية تبدو تحت المجهر كقمم الجبال .. وثبت لهم أن هذه المعالم ليست في الحقيقة الا أنتيجنات تتجه اليها الأجسام المضادة وتلتصق بها حين تهاجم الفيروس .

واكتشفوا أيضا ماهو أغرب من الجبال والقمم .. اكتشفوا ما يشبه الوادى



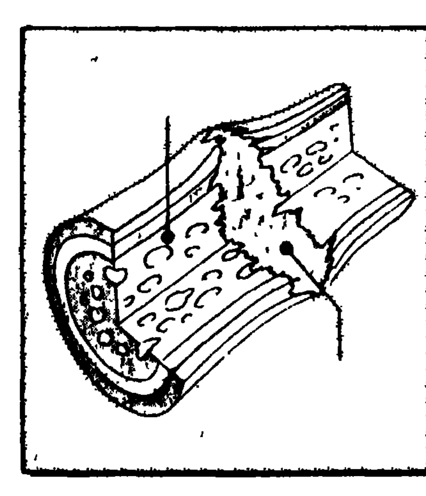
الضيق بين تلك الجبال .. وظهر لهم انه واد متعرج ، بما يلائم النتوءات أو المجسات التي توجد على سطح الخلايا الانسانية .. فالفيروس اذن يطبق على هذه الخلايا بإحكام ، حيث تتداخل الالتواءات بالفجوات .. وذلك قبيل مهاجمته الخلية ..

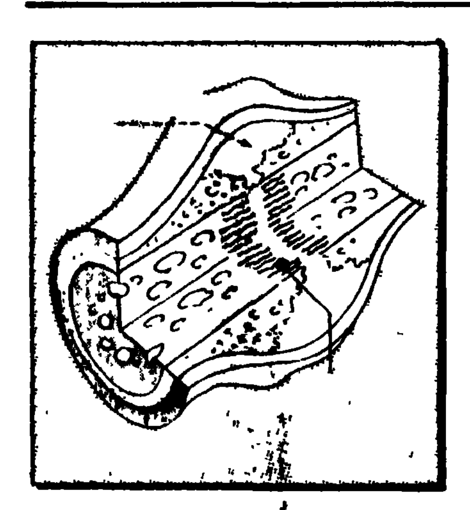
وهكذا أصبح في الامكان التصدي للفيروس ، والحيلولة دون التصاقه بالخلية ، وذلك بواسطة جسم مضاد يمكن تصنيعه في المختبر . حيث ينزلق الى « الوادي » الموجود في الفيروس ويقطع عليه الطريق ، ويحول دون التداخل بينه وبين نتوءات الخلية ..

ولكن الأجسام المضادة كبيرة جدا نسبيا ، ويتعذر انسيابها في الوادي .. لذا كان اتجاه العلماء الى ابتكار مستحضر خاص تطلى به مجسات الخلية ، فيحول بينها وبين « وادي » الفيروس ، ويحول بالتالي بين هذا الفيروس وبين الخلية .

ولعل أهم ما تمخضت عنه جهود العلماء الأمريكيين تصوير بنية الفيروس على نحو ما ترى في الصورة ، ولكن كيف أمكنهم هذا التصوير أصلا ؟

لجأوا الى جامعة كورنل ، واستعملوا الأشعة السينية ، التي تنفرد تلك الجامعة في توليدها .. وذلك بتمرير رزمة من تلك الأشعة عبر عينات متبلورة من الفيروس (HRVIY) .. ثم رجعوا الى جهاز السوبر كمبيوتر الذي اشتهرت به جامعة بوردو (ويسمى CYber 205) فاستطاعوا الحصول بواسطته على الصورة الثلاثية الأبعاد لبنية الفيروس ، أضف الى ذلك انه استكمل من الحسابات النهائية في شهر واحد ، ما يمكن استكماله في أقل من عشر سنوات بدون الجهاز ..





أسلوب طبيعي حديث في تجبير العظام

■ من المعروف أن العظام تصاب بالوهن مع الشيخوخة ،وان كسورها تستغرق وقتا طويلا حتى تجبر . ومن المعروف أيضا أن الجراحين درجوا على اصلاح كسور العظام باحدى طريقتين .. فإما الرقع بعظمة تقتطع من عظم الفخذ .. واما الزراعة بمواد كيماوية نادرة وباهظة الثمن ...

والظاهر أن هذه الصورة القديمة ستتغير تغيرا جذريا عمّا قريب . فقد اكتشفت احدى الشركات الأمريكية في احدى المواد العضوية خصائص تبعث على الدهشة ، من هذه الخصائص أن المادة تعجل بالتحام العظام المكسورة .. ومنها ـ وهذا هو الأغرب ـ ان المادة تقي العظام من وهن الشيخوخة .

ونجحت الشركة في عزل المادة العضوية المذكورة وهي مادة بروتينية شبه هرمونية . من شأنها ان تساعد خلايا الفيبروبلاست ، (وهي التي تصل بين أنسجة الجسم) على تكوين الغضاريف،وتوجد الخلايا هذه على سطح العظام . . . ومادامت المادة المكتشفة تقوم بهذه المهمة . . مهمة تكوين الغضاريف كان الاسم الذي اطلقوه عليها عامل تكوين الغضاريف اختصار (CIF).

يقول نجحت الشركة في عزل المادة العجيبة . لأن المادة موجودة أصلا في بنية عظام الانسان والحيوان ولكنها موجودة بمقادير ضئيلة لا تسمح باستعمالها لصالح البشرية على نطاق واسع وقد عمدت الشركة الى استخراج المادة ـ بعد ان تمكنت من عزلها ـ من مسحوق او رذاذ عظم الحيوان ثم اضافت اليه خليطا بروتينيا ملائما

ولا يحتاج الجراح الى أكثر من ملء الموقع الذي توجد فيه العظمة المكسورة بالمسحوق وخليطه البروتيني ولا تلبث الخلايا السالفة الذكر ان تأخذ سبيلها الى العظمة المكسورة . ثم لا تلبث ايضا ان تصبح منتجة للغضروف بتأثير الخليط البروتيني

فهي لا تستغرق أكثر من أسبوعين لصنع الغضروف الذي يظهر فيما بين طرفي الكسر . . ولا يحتاج الغضروف أكثر من أسبوعين آخرين ليتصلب ويصبح عظما (او يتعظم) والجدير بالذكر ان هذا الاسلوب انما هو الأسلوب الذى تتحول فيه الغضاريف الى عظام في الأجنة .

وقد اجرت الشركة تجارب عديدة . ولكنها اقتصرت كلها على الحيوان وستبدأ تجاربها على بني الانسان في هذا العصر (ربيع سنة ١٩٨٦) ، وهي تسعى بالتعاون مع شركة أخرى كبيرة لانتاج ماده [illegible] على نطاق واسع وذلك بواسطة الهندسة البيولوجية وتسعى بالتعاون مع شركة ثانية [illegible] تطوير المادة بحيث تصبح بحجم الاسمنت الطبيعي او العضوي وذلك للعمل على تثبيت المفاصل والاطراف الصناعية في أماكنها تثبيتا عضويا محكما .

وتأمل الشركة ان يأتي اليوم عما قريب حين يصبح في الامكان استبدال العظم المفقود (بسبب مرض كالتسمم الرصاصي) أو دمج الفقرات بعضها ببعض بواسطة المادة العضوية الجديدة سيف

بقى ان نذكر ان الشركة تقدمت بطلب ترخيص استعمال مادة السيف من قبل وكالة الغذاء والدواء المعروفة .

لقاح منع الحمل

ستبدأ عما قريب التجارب الأولى للقاح منع الحمل المصنع في اديلايد في استراليا . . وقد يعرض اللقاح للبيع في الأسواق في أواسط التسعينيات

وقوام هذا اللقاح هرمون هو (شوريونك جونادوتروفين البشري) (human chorionic gonadotrdphin) ويفرزه جسم المرأة عقب الاخصاب . وهو ضروري لتوطيد الحمل المبكر والحفاظ عليه . .

ومن شأنه أن يثير ردود فعل من جانب أجهزة المناعة . مما يكفل تحييد الهرمون

ووقف عملية الحمل قبل ان تتمكن البويضة المخصبة من أن تجد سبيلها الى الرحم لتنزرع فيه □

مكتشفون ومخترعون

روبرت جودارد ، الثاني من اليمين يساعد على حمل أحد صواريخه التي اطلقت سنة ١٩٣٢

روبرت هاتشنج جودارد
رائد صواريخ الفضاء

شعف بالصواريخ منذ الصغر . ولم يخف شعفه على أحد في بلدته وستر (أو ورسستر worcester) في مساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية ولكن الشغف وحده لايكفي اذ لابد من وجود الموهبة ولا بد من توفر الدأب . . وقد اجتمعت الشروط الثلاثة جميعها لروبرت جودارد

ذلك انه لم يكن قد جاوز الثانية والثلاثين حين عين مدرسا للفيزياء في جامعة كلارك في بلدته سنة ١٩١٤ ، وحين سجل جهازين وصاروخين من تصميمه وصنعه في تلك السنة نفسها

وقد أجرى جودارد تجاربه الأولى سنة ١٩٢٦ باستعمال وقود سائل واتخذ من مزرعة عمته إيفي حقلا لتجاربه

ونجحت التجارب

وفوجىء جودارد بالأوامر التي صدرت اليه من دائرة البوليس وحظرت عليه اطلاق الصواريخ في الولاية ولاية مساتشوستس ذلك أن الضوضاء التي أحدثها صاروخه ، ارعجت الناس وافزعتهم . فشكوه الى سلطات الشرطة .

لا عجب اذن أن حرم المخترع الطموح الدعم الرسمي الذي حظي بمثله الكثيرون ممن كانوا دونه نبوغا وكفاءة ، وقد شعر جودارد بأمس الحاجة إليه ، وشعر بالحسرة لعدم ظفره به

غير ان مشاعر المرارة تلك لم تدم طويلا . . فقد شاءت الصدف ان يسمع الطيار شارلز لندنبرغ عن جودارد ومواهبه . . فحدث أحد الاغنياء الصناعيين والمحسنين بشأنه . . فلم يتردد هذا الغني المحسن دانيل جوجنهايم في منح جودارد مبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار . كان ذلك سنة (١٩٢٧) وهي السنة التي قطع فيها لندبرغ المحيط الاطلسي مفردا للمرة الأولى في التاريخ .

وما أسرع ما انشأ جودارد محطة لتجاربه في صحراء نيومكسيكو . بعيدا عن الناس واعتراضاتهم . . وراح يبني الصواريخ ويطلقها كما يشاء .

وما لبث أن نجح سنة ١٩٣٥ في بناء صاروخ يعمل بوقود سائل وتفوق سرعته سرعة الصوت . ٧٦١ ميلا في الساعة ، وقد سجل من براءات الصواريخ التي اخترعها ما يزيد على ٢٠٠ . . وكان بعض هذه الاختراعات الاساس الذي تقوم عليه صواريخ هذه الأيام التي تعتمد على مراحل التقوية الثلاث . .

بيد أن السلطات المعنية في الولايات المتحدة الامريكية لم تبال بما حققه جودارد من نجاح . وقد اغفلت او تجاهلت اختراعه السابق . . البازوكا ، المدافع المضادة للدبابات ، واختراعه اللاحق الذي صممه ابان الحرب العالمية الثانية ، والذي ضمن به لطائرات الأسطول الاقلاع من على سطح حاملات الطائرات . . وهكذا بقي جودارد رجلا عاديا في نظر حكومته . . حتى بدأ عصر الفضاء في الخمسينيات . . وبدأت تتحسس خطورة اختراعات جودارد . . ولكن بعد موته بسنوات عديدة ، خمس عشرة سنة على وجه التحديد . . فقد قررت سنة ١٩٦٠ أن تكافىء المخترع الراحل وورثته . . بمبلغ مليون دولار لاستعمالها اختراعاته .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

البحر المتوسط هل يعود الى الحياة ثانية ؟

تعرضنا في عدد سابق الى خطورة مصانع تحييد القمامة أو تحويلها الى سماد .. وتحدثنا في عدد أسبق عن البحر المتوسط . بوصفه احدى بؤر التلوث الأولى في العالم .. ونتحدث اليوم عن مؤتمر جنوة الذي عقدته دول البحر المتوسط برعاية برنامج البيئة التابع لهيئة الأمم المتحدة ، في سبتمبر الماضي ، واتخذت فيه عددا من القرارات المهمة . تدعو فيها تدعو اليه الى اقامة المصانع الخاصة بمعالجة القمامة وفضلات الانسان .

بلغ عدد الدول التي اشتركت في مؤتمر جنوة المذكور (١٦) دولة ، ضمت فيمن ضمت ألبانيا ، التي طالما أحجمت عن الاشتراك في المؤتمرات ... أية مؤتمرات .. كما ضمت اسرائيل الجسم الغريب في المنطقة .. والعدو اللدود لكثير من تلك الدول الست عشرة .

والظاهر أن اسرائيل لم تكن مصدر عدوان وحروب فحسب..وانما كانت أيضا مصدر تلوث كبير لمياه البحر المتوسط..فقد قذفت ومازالت تقذف في مياهه كل قمامتها وفضلاتها الأمر الذي حملها في مؤتمر برشلونة الذي عقدته دول المتوسط برعاية المنظمة الدولية قبل عشر سنوات ، على الالتزام باقامة مصانع لمعالجة الفضلات في تل أبيب .وكان مقرراً أن يكتمل العمل في هذه المصانع في شهر ابريل الماضي١٩٨٦.

وأعلنت سوريا أنها ستبني المزيد من مصانع القمامة ، وأنها حصلت على قرض بمقدار ٣٠ مليون دولار لهذا الغرض ..

أضف الى ذلك أن كتل القار التي زخرت بها رمال الشواطىء . شواطىء السباحة . قد تناقصت بصورة ملحوظة خلال السنوات العشر الأخيرة ، وذلك تبعا لتناقص بقع الزيت في أعالي البحر ونتيجة لتعاون الدول المعنية في مكافحة التلوث عامة ، وتلك البقع بخاصة ، وفقا لقرارات مؤتمر برشلونة التي التزمت بها سنة ١٩٧٥ . وهكذا أصبح في الامكان القول مع (الدو مانوس) « البحر المتوسط ليس آخذا في الموت ، ولكنه مريض ومرضه خطير . ومهما يكن ، فان العلاج لمرضه هذا أصبح قريب المنال » وقائل هذه الكلمات هو أحد كبار المسؤولين في برنامج البيئة التابع للمنظمة الدولية .. والمكلف



بالاشراف على تنسيق الجهود والخطط الهادفة الى المكافحة . . مكافحة التلوث في البحر المتوسط .

غير أن العلاج القريب المنال لم يصبح في متناول اليد بعد ، لذا كانت المقررات المهمة التي اتخذها مؤتمر جنوة ، والتي نجملها فيما يلي :

١ ـ اقامة مصانع لمعالجة الفضلات في كل المدن التي تقع على سواحل البحر المتوسط والتي يزيد عدد سكان الواحدة منها على ٠٠٠ , ١٠٠ نسمة .

٢ ـ اقامة المزيد من منشآت الموانىء الكفيلة بمعالجة المياه الزيتية ، وبعزل الزيت عن الماء . . فناقلات النفط تعمد الى ملء مستودعاتها بالماء ، بعد تفريغها من النفط وذلك من أجل الحفاظ على الثقل المطلوب .

ويختلط هذا الماء لامحالة ببقايا الزيت المترسبة في المستودعات . وتعمل الناقلات على التخلص من هذا الماء بضخه الى البحر قبيل تحميلها بالزيت الخام ، وذلك خلافا لكافة القوانين الدولية والاقليمية . . وقد بلغت كمية البترول التي يحتوي عليها هذا الماء الزيتي ، والتي تنتشر في مياه البحر تبعا لخرق تلك القوانين حوالي ٠٠٠ , ٣٠٠ طن سنويا . . ولا يخفى أن ناقلات البترول تمتنع عن ضخ المياه الزيتية وهي في أعالي البحار اذا أصبح في الامكان ضخها في المنشآت الصناعية ، التي قرر مؤتمر جنوة اقامة المزيد منها في موانىء البحر المتوسط .

٣ ـ انشاء شرطة مرور بحرية على غرار شرطة مرور اليابسة . . فهذه تنظم سير المركبات ، وتحول بذلك دون اصطدامها . . وتلك تنظم سير السفن والمراكب والناقلات ، وتحول بذلك دون اصطدامها ، واندلاع بقع الزيت منها . .

٤ ـ وقرر مؤتمر جنوة كذلك زيادة الميزانية الخاصة بالنفقات الهائلة لهذا المخطط بحيث تصبح ٤ ملايين دولار سنويا . .

٥ ـ وقررت دول البحر المتوسط المشتركة في مؤتمر جنوة . . الحد من التلوث الصناعي . . وهو بلا ريب أسوأ وأخطر ضروب التلوث اطلاقا . .

وحسبك أن ما يلقى من هذه الملوثات الصناعية السامة في البحر المتوسط يبلغ بمجموعه ١٠ مليون طن سنويا . . ولعل البحر أي بحر ، ليعجز عن حماية نفسه من عدوان أو تجن ضخم كهذا . . . . ناهيك بالبحر المتوسط . . وهو بحر مغلق تقريبا ، وأشبه بالبحيرات منه بالمحيطات . .

هذا ماقاله مصطفى طلبه المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للمنظمة الدولية . .

على أن مكافحة التلوث الصناعي ليست بالسهولة التي قد تبدو للقارىء . . فهي صعبة وباهظة التكاليف . . وتقدر نفقاتها بنحو ١٠ ملايين دولار اذا اختارت الدول المعنية اجراءات وقف قذف الملوثات . . ولكن تلك التكاليف تهبط كثيرا فيما اذا عمدت تلك الدول الى اجراء بعض التعديلات التقنية في بقية مصانعها نفسها . . وقد أثبتت تلك الاجراءات كفاءتها على تخفيض الملوثات التي تقذفها تلك المصانع في البحر بنسبة ٩٠٪ . . وذلك في مدينة مرسيليا . .

شهب فى القطب الجنوبى

تدل دراسة حديثة أجراها العلماء فى اليابان على أن قارة القطب الجنوبى ليست هدفا محببا للشهب والنيازك فحسب . . ولكن الشهب والنيازك التى تهوى عليها تختلف من حيث تركيبها الكيماوي . .

ويعود نشاط أولئك العلماء فى هذا الصدد الى سنة ١٩٦٩ حين اكتشفوا أن الجزء الغربي من القارة ذو جاذبية خاصة للشهب . ولكن هذه الشهب تغوص فى الجليد وتبقى مدفونة فيه مئات الآلاف من السنين .

وتدل دراسة أخرى قام بها فريق من علماء جامعة بوردو الأمريكية برئاسة الدكتورة جين دنسون ، ونشرتها مجلة (سيانس) المعروفة فى شهر فبراير الماضى . . تدل على أن الشهب الحجرية التى تم العثور عليها فى القارة القطبية الجنوبية تختلف من حيث العناصر التى تتكون منها عن الشهب التى عثروا عليها فى مناطق أخرى . .



منظر حرم الجامع وتبدو فيه قبة الخزنة ووراء ها حرم الجامع تعلوه قبة النسر

---

* كلية التربية ـ جامعة دمشق



مئذنة العروس

ينظر بعض الدارسين الى نشوء المدارس انه بداية نظام التربية العربية ـ الاسلامية ، الا أن المدارس تشكل واحدا من جوانب النظام الذي بدأ مع ظهور الاسلام ، ونما مع انتشاره في الجزيرة العربية وما حولها ، على هدي النموذج الأول الذي وضعه (الرسول صلى الله عليه وسلم) وتلبية للحاجات المتزايدة التي تمخص عنها هذا الأنتشار .

ويهدف هذا العرض الى تقديم صورة عن تنظيم التعليم في الجامع الأموي بدمشق خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة .

للمسجد الجامع مكانة عظيمة في حياة الجماعة الاسلامية ، فقد كان يقوم قديما مقام عدد كبير من مؤسساتنا المعاصرة . كان المعبد الذي يؤدي المؤمنون فيه شعائر دينهم . والمعبد الذي يتعلمون فيه أمور هذا الدين (وأمور دنياهم أحيانا) ، والمنتدى الذي يؤمونه ليتصل بعضهم ببعض ، ويتداولون شؤونهم الادارية والسياسية والعسكرية ، والساحة التي يجتمعون فيها لسماع قرارات أمرائهم ، وأخبار فتوحهم ، ودار القضاء التي يلجؤون اليها لحل خلافاتهم . وكان أحيانا مضافة الغريب وصومعة الناسك ، وأحيانا أخرى موضع بيت المال . أو مستقر خزائن الكتب ، أو غير ذلك مما تتطلبه حياة الجماعة بأوسع معانيها . الا أن الوظيفة التربوية للمسجد الجامع كانت تحتل مكان الصدارة .

هذه المكانة الكبرى للمساجد الجامعة ، جعلت المسلمين يباشرون انشاءها فور حلولهم في منطقة ما . وهكذا أنشىء المسجد الجامع بدمشق عقب الفتح مباشرة ، فقد خطه أبو عبيدة بن الجراح بجانب كنيسة القديس يوحنا . وكان بناؤه بسيطا على الأرجح ، الا أنه كان يتسع لما يقارب الفي شخص . وسرعان ما ضاق البناء بقاصديه على سعته ، نظرا لاستقرار الفتح وازدياد اعداد المسلمين ، فأمر الخليفة الوليد بن عبدالملك باضافة كنيسة القديس يوحنا اليه لزيادة سعته ، وأعاد بناءه عام ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م .

المعلمون الأوائل

كان جميع المسؤولين والمعلمين الأوائل من الصحابة والتابعين الذين شهدوا تعليم المعلم الأول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أو ذاك الذي قام به أصحابه بحسب توجيهاته ، فحين فتحت الشام ، كتب يزيد بن أبي سفيان الذي تولى جند دمشق الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) طالبا ارسال معلمين يعلمون أهل الشام القرآن ويفقهونهم فأرسل الخليفة ثلاثة من الصحابة الذين حفظوا القرآن على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهم : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأوصاهم أن يبدأوا بحمص ، فإن رضوا عليها فليخرج واحد الى دمشق وآخر الى فلسطين . فأقام عبادة بحمص ، وخرج أبو الدرداء الى دمشق ، ومعاذ الى فلسطين . ومات معاذ عام طاعون عمواس (١٨ ـ ٦٣٩ م) فسار عبادة بعدها الى فلسطين ، ومات بها عام (٣٤ هـ ـ ٦٥٥م) ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات عام ٣٢ هـ ـ ٦٥٣م .

وحين توفي يزيد بن أبي سفيان ، دأب خلفاؤه على تعيين مشيخة للجند (أو للمسجد) تضم معلمين للاقراء والقصص . وكان المعلم الذي يكلف الاقراء يسمى (قارىء الجند) والذي ينتدب للقصص يسمى « قاص الجند » فكان ممن كلف القصص: عائذ الله بن عبدالله أبو ادريس الخولاني ، وكان ممن كلف الاقراء : عطية بن قيس الكلابي ، وعبدالله بن عامر اليحصبي ويحيى بن الحارث الذماري وأبو عبدالملك .

وعلى الرغم من أن هؤلاء المعلمين تصدوا

لموضوعات أخرى غير تلك التي ندبوا من أجلها ، فقد ظهر في القرن الثاني منصب تعليمي آخر في جامع دمشق ، وهو منصب فقيه الجند ، كلف صاحبه الاجابة عن استفسارات المؤمنين ، بشأن ما يستخلص من القرآن والسنة من الأحكام ، لتطبيقها في الحياة العملية ، وقد تقلده عدد من العلماء نعرف منهم : العلاء بن الحارث الذماري ، وقيس بن موسى الأعمى ، وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ، ويزيد بن السبط ، ويزيد بن يوسف .
وكانت هناك توجيهات عامة تحث المعلمين على التعليم في المساجد ، فقد كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى عماله . « أما بعد . . فأمروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت » .
وكان أولو الأمر يسهمون في هذا التعليم أحيانا ، كما يستدل من بعض الشواهد ، فقد روى عن يونس بن ميسرة بن حلبس (أن معاوية توضأ للناس وضوء رسول الله ثلاثا) وروى عن ورّاد أبي الدر ، كاتب المغيرة بن شعبة ومولاه « أن معاوية كتب الى المغيرة ، أن أكتب الي بشيء سمعته من رسول الله . فكتب اليه المغيرة أن الرسول كان يقول بعد انصرافه من الصلاة (دعاء) وانه حين وفد على معاوية بعد ذلك ، سمعه على المنبر يأمر الناس بذلك القول ويعلمهموه .

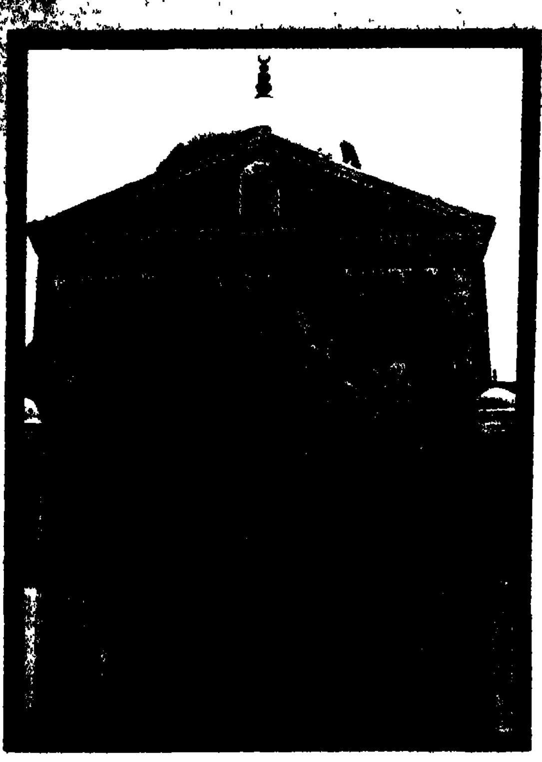
على الصعيد الرسمي

الا أن العناية بالتعليم الديني على الصعيد الرسمي لم تكن لتمنع حملة العلم من الجلوس في المسجد ، وتقديم التعليم بصورة دائمة أو عابرة . بل ان من كان عنده شيء من العلم كان يعرف تماما أن واجبه يقتضيه تعليمه الى سائر المؤمنين . وكما قال ابن شهاب الزهري : « ان هذا العلم أدب الله الذي أدّبَ به نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأدّبَ النبي به أمته ، أمانة الله الى رسوله ليؤديه على ما أُدي اليه ، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله » لذلك ليس من المستغرب أن نسمع أحد شيوخ القرن الأول يقول : « عهدت المسجد الجامع بدمشق ، وان عند كل عمود شيخا ، وعليه الناس يكتبون العلم » .
كما أن وجود مقرئين وفقهاء ووعاظ مكلفين لم يكن يمنع جمهور المؤمنين من التوجه الى كل من يعرف بالعلم للافادة من علمه ، وكان جامع دمشق هو المكان الرئيسي للقاء حملة العلم وطلابه .
وكما اعترف للمعلمين بحقهم في ممارسة التعليم في المسجد بناء على مبادرتهم الشخصية ، تركت لهم أيضا الحرية في تنظيم عملهم ، من حيث تحديد زمانه ومكانه ، ومقاربته للمتعلمين بصورة تتناسب مع موضوع تعليم كل منهم ، وتوفق بين عمله وعمل زملائه من جهة والنشاط العام للمسجد من جهة أخرى ، وقد أفاد المعلمون من هذه الحرية التي منحت لهم ، فنظموا تعليمهم في تلك الفترة بحسب نماذج رئيسية أربعة ، كما يستدل من الشواهد المتوافرة ، وهذه النماذج هي :
التعليم الزمري ، والتعليم الفردي ، والتعليم الجماعي ، والحلقات أو المجالس ـ وقد اتخذ بعض الحلقات أخيرا اسم الزوايا (جمع زاوية) .
ومن الممكن أن يكون بعضهم قد اتبع نموذجا واحدا ، الا أن قسما كبيرا منهم كان يناوب بين أكثر من نموذج ، ولا سيما أن معظم المعلمين كانوا يعلمون أكثر من موضوع ، في تلك الفترة المبكرة من تاريخ التربية العربية ـ الاسلامية ، وأن بعض النماذج يناسب بعض الموضوعات أكثر من غيرها .

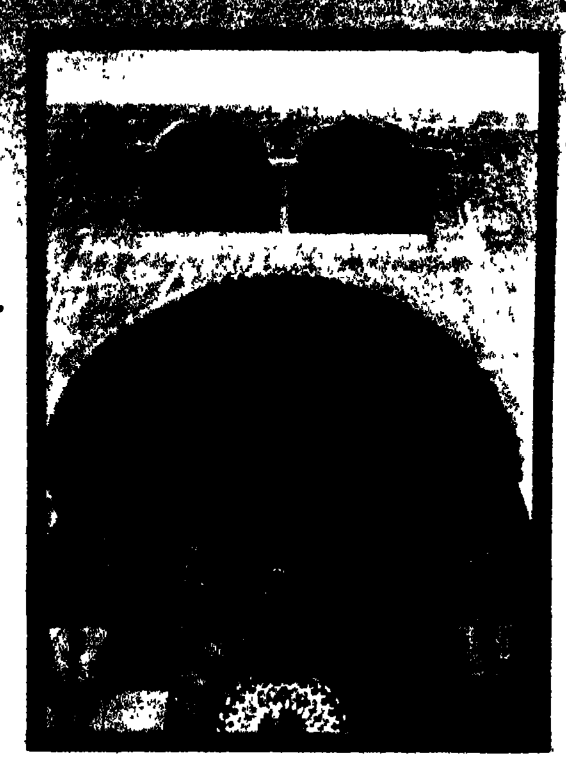
أريد من هذا التنظيم تلبية الحاجة الماسة في البداية الى تعليم القرآن الكريم ، لأكبر عدد ممكن من المسلمين ، في أقصر فترة ممكنة ، دون وجود نص مكتوب يعتمد عليه ، ذلك أن القرآن لم يكن قد جمع ووزع على الأمصار . ولما كان ذلك يتطلب تكوين أعداد كبيرة من المقرئين في الوقت ذاته ، لجأ أبو الدرداء على مايبدو الى اجراء اختبار أوّلي ، مكنه من اصطفاء ذوي المعلومات السابقة أو القدرات المتميزة ، واتخاذهم مساعدين له أو عرفاء على بقية المتعلمين ، وقسم المتعلمين بدورهم الى فئات صغيرة ، خص كلا منها بأحد المساعدين ، كما جاء على لسان أحد تلاميذه :
« قال أبو عبيدالله مسلم بن مشكم ، قال لي أبو



منبر الجامع الكبير



المدخل الغربي للجامع الكبير



واجهة الحرم المطلة على الصحن

الدرداء : أعدد من يقرأ عندنا ، يعني في مجلسنا هذا ، فعددت ألفا وست مائة ونيفا ، فكانوا يقرأون ويتسابقون . عشرة عشرة ، لكل عشرة منهم مقرىء . وكان أبو الدرداء قائما يستفتونه في حروف القرآن (يعني المقرئين) فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول الى أبي الدرداء » .

« وقال يزيد بن أبي مالك : ان أبا الدرداء هو الذي سن هذه الحَلَق يقرأ فيها » .

ولهذا التنظيم ميزتان رئيستان ، تتمثل الأولى في قدرته على تحقيق الاتقان المطلوب في بعض الموضوعات ولا سيما القرآن ، والثانية في اشتماله على مقومات نموه ، لأنه اتخذ من الربط الوثيق بين عمليات التعلم والاختبار والاصطفاء مبدأ عاما ، يطبق في نطاق جماعة المتعلمين كلها ، وعلى صعيد الزمر فيفرز المزيد من المعلمين ، وهؤلاء يلبون بدورهم حاجات أعداد أكبر من المتعلمين ، وهكذا . .

لذلك أرى أن تسمية هذه المجموعات الصغيرة بالحَلَق (جمع حلقة) لا يعطي فكرة صحيحة عنها ، والأحرى بها أن تسمى زمرا ، لأنها تضم عددا قليلا من المتعلمين يختص بهم معلم واحد ، يستطيع أن يعنى بهم ويتابع تقدمهم .

ومن الممكن تسمية هذا التنظيم أيضا بتنظيم « المعلمين المساعدين » أو « العرفاء » كما ورد على لسان أحد الشيوخ القدامى . ففي رواية سويد بن عبدالعزيز « كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفا ، ويقف في المحراب يرمقهم ببصره . فاذا غلط أحدهم رجع الى عريفه . واذا غلط عريفهم رجع الى أبي الدرداء يسأله عن ذلك . وكان ابن عامر عريفا على عشرة » .

التعليم الفردي والجماعي

وجد هذا التنظيم الى جانب أشكال التنظيم الاخرى من البداية ، بالرغم من أنه يتطلب قسطا كبيرا من وقت المعلم . الا أن المعلمين الأوائل الذين نذروا أنفسهم لنشر الدين والذود عنه ، كانوا إما في جهاد أو تعليم أو عبادة . وهكذا تسنى لهم الوقت الكافي لأن يعنوا بالطلاب الأكفياء ، عناية فردية ، مكنت هؤلاء من الانتقال بدورهم الى مرتبة المعلمين .

ومن أمثلة هذا التعليم ما اتبعه فضالة بن عبيد الأنصاري ، الذي أقرأ في خلافة معاوية في تعليم طلابه . فقد كان يقرئهم كلا على حده ، ويقول لكل منهم : « خذ المصحف فأمسك علي ، ولا تزد على ألفا ولا واوا » ، وكان الطالب يمسك عليه القرآن حتى يفرغ منه .

كما استخدم التعليم الجماعي بصورة رئيسة في القصص أو الوعظ . إلا أنه استخدم كذلك في تدريس الحديث والفقه ، وفي القرآن أحيانا والأساس فيه أن يتجه العالم الى الجماعة كلها ، ومن هنا جاء هذا الاسم أطلق عليه .

لذلك كان يتخير له الوقت الذي يجتمع فيه أكبر عدد من المتعلمين ، ولا سيما بعد صلاة العصر ، حين ينتهي الناس من أعمالهم ، ويؤمون المسجد للصلاة وسماع الشيخ . ويوم الجمعة ، حين يضم المسجد جموعا كثيرة من داخل المدينة وخارجها . ويمكننا تشبيهه بالمحاضرة العامة في أيامنا هذه .

المجالس والحلقات

لا يتضمن المعنى اللغوي للمجالس والحلقات ما يشير الى تنظيم ، فالمجلس لايعني أكثر من فعل الجلوس أو مكانه ، والحلقة لاتعني الا الشكل الدائري . ولكن جلوس المعلمين المرة تلو المرة للتعليم ، وتحلق الطلبة حولهم عفويا للتعلم ، كوّنا مع الزمن تقاليد وقواعد تشبه من بعض الجوانب الصفوف أو المسافات الدراسية في أيامنا هذه ، وجعلا المصطلحين مترادفين الى حد ما في هذا المجال . لذلك كان التنظيم منصبا بصورة رئيسية على المجالس والحلقات الدائمة أو شبه الدائمة ، لاعلى تلك التي كانت تتم عرضا أو بصورة مؤقتة ، بمناسبة زيارة شيخ من خارج المدينة ، أو قبول أحد الشيوخ عقد بعض المجالس نزولا عند طلب الجمهور .

والواقع أن الشواهد الأولى لاتوحي بوجود نظام للجلوس والتحلق ، وربما استند بعض المعلمين الى احدى الدعامات الخشبية التي تقوم عليها الظلات .

وتحلق الطلبة حوله في المكان الظليل ، فهذا ترتيب يريح المعلم والمتعلم على السواء . ولكن توسيع المسجد ، وتوزيع القسم الأكبر من مساحته الى أروقة ، تحف بها عشرات من العمد ، ساعدا على تنظيم الحلقات والمجالس في المكان ، كما أن زيادة الطلب على التعلم ، وتنوع محتواه ، دفعا الى تنظيمها في الزمان . وهكذا اتخذ المعلمون المعروفون لمجلسهم أو حلقتهم موضعا ثابتا وزمانا محددا ، بحيث يتمكن الطلبة من الحضور الى مجلس معلمهم في الموعد المحدد ، والانتقال الى آخر اذا كانوا يرغبون في سماع أكثر من معلم . ومن شواهد ذلك ماذكره سعيد بن عبدالعزيز عن تنظيم مجالس الفقه والحديث ، في هذا الجامع أثناء دراسته فقد قال :

« كنا نجلس بالغدوات مع يزيد بن أبي مالك وسليمان بن موسى ، وبعد الظهر مع اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر ، وربيعة بن يزيد ، وبعد العصر مع مكحول » .

وكان المجلس أو (الحلقة) في تلك الفترة يسميان غالبا باسم الشيخ الذي يتولى التدريس فيه . ولا سيما أن الشيوخ الأوائل كانوا يعلمون أكثر من مادة دراسية . الا أن اختصاص المعلمين تدريجيا بموضوع محدد ، أضاف الى المجلس (أو الحلقة) الموضوع الذي يتناوله فقيل : مجلس حديث ، ومجلس فقه ، ومجلس وعظ أو تذكير ، ومجلس إقراء ، ومجلس نحو . .

ومن الحلقات والمجالس التي درست فيها موضوعات مختلفة في الفترة الأولى :

- مجلس قبيصة بن ذؤيب ، ذكره محمد بن مسلم بن شهاب الزهري في روايته عن قدومه الى دمشق ، في أيام الخليفة عبدالملك بن مروان ، وقال عنه انه كان أعظم المجالس التي رآها في المسجد ، وأكثرها أهلا . وقد درس فيه الحديث والفقه .

- حلقة سعيد بن عبدالعزيز التنوخي ، التي استمرت أكثر من نصف قرن ، وكان يدرس فيها الحديث والفقه .

ومن المجالس والحلقات التي اقتصرت على موضوع بعينه نذكر مجلس القارىء عبدالله بن عامر اليحصبي ، الذي تنسب اليه القراءة المشهورة بقراءة ابن عامر . وقد طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك منه الجلوس للاقراء بين الحناية والقنطرة من جامع دمشق . وحلقة كنيز بن عبدالله للفقه على مذهب الشافعي . وكان أحمد بن طولون قد حبس كنيز هذا طوال سبع سنين ، لتحمسه الشديد لمذهب الشافعي ، ولما مات الأمير خرج من السجن ، فجاء الى دمشق ونشر هذا المذهب فيها . وحلقة القاسم بن عثمان الجوعى الزاهد في الزهد والتصوف، وحلقة علي بن طاهر بن جعفر ، أبو الحسن القيسي السلمي النحوي ، في النحو وقد وقف في حلقته خزانة تضم كتبه .

الأماكن والحلقات

ويلاحظ في هذه الحلقات ان الطلاب كانوا يتخذون أماكنهم بحسب زمن وصولهم الى الحلقة ، عملا بالسنة التي تقضي بأن يجلس الشخص حيث تنتهي به الحلقة ، كما يلاحظ أن بعض المعلمين كانوا يوصون بحلقتهم الى بعض طلابهم من بعدهم ، فقد جاء يزيد بن عبدالملك الأموي أيام طلبه العلم ، الى حلقة الفقيه مكحول في جامع دمشق ، فلما رآه أصحاب مكحول هموا بالتوسعة له فقال لهم مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ليتعلم التواضع . وقد أوصى مكحول بحلقته بعد وفاته الى تلميذه ثابت بن ثوبان . الا أن طالبا آخر من طلابه جلس فيها بعده .

كما كان التلميذ يطلب أحيانا من أستاذه أن يوصي له بحلقته ، فحين رأى يزيد بن عبدالصمد أن معلمه عبيدالله بن عبدالكريم أبا زرعة الرازي يوشك أن يعود الى بلده قال له : يا أبا زرعة اجعلني خليفتك في هذه الحلقة ، فأجابه الى طلبه .

وهكذا نرى أن انتظام الحلقات كان يعني استمرارها في المكان نفسه من الجامع ، وانتقالها من شيخ الى آخر ، مع محافظتها غالبا على الموضوع نفسه والاتجاه نفسه .

وفي الحلقات التي اجتمعت فيها هذه الصفات ، في نهاية القرن الخامس الهجري « الزاوية الغربية » وهي حلقة تدرس الفقه على المذهب الشافعي ، بدأها الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي ، الذي أقام

في دمشق يدرس في ركن يقع في الزاوية الشمالية الغربية من الجامع ، من عام ٤٨٠ هـ ـ ١٠٨٧ م ، حتى وفاته عام ٤٩٠ هـ ـ ١٠٩٧ م ، دون أن يتقاضى أجرا أو يقبل صلة (وكان يقتات من غلة تحمل اليه من أرض كانت له بنابلس ، ويخبز له منها في كل ليلة قرص في جانب الكانون) . واستمرت الحلقة بعده حاملة اسمه حينا ، واسم « الزاوية الغزالية » نسبة الى أبي حامد الغزالي ، الذي جلس فيها فترة ، حتى « صَفَر من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وفيها وقف السلطان (الملك الناصر) قرية حزم باللوى من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة ، أو بعلم يحتاج اليه الفقيه ، والى الحضور لسماع الدرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المقدسي ، رحمه الله تعالى ، وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضوع من أصحاب الامام الشافعي ، رضي الله عنه تعالى عنه ، وجعل النظر (في الوقف) للشيخ قطب الدين النيسابوري رحمه الله تعالى . . كما يقول أبو شامة في الروضتين . وبحصول هذه الحلقة على الوقف ، استكملت جميع الخصائص التي تميزت بها المدارس ، التي نشأت خارج الجامع ، بدءا من عام ٤٩١ هـ ـ ١٠٩٨ م كما رأينا ، وهكذا أصبح من الطبيعي أن يطلق عليها اسم المدرسة الى جانب الاسمين السابقين وهما : الحلقة والزاوية .

الخلاصة

المسجد الجامع بدمشق هو المؤسسة التربوية الأم ، التي حملت مسؤولية التربية العربية الاسلامية بصورة رئيسية في المدينة وما حولها ، في القرون الأربعة الأولى للهجرة . وقد ازدهرت فيها أشكال من التقديم والتنظيم ، أسهم فيها أولو الأمر ، بتعيين قراء وقصاص وفقهاء للجند ، يمارسون عملهم داخل الجامع ، وعمد المعلمون الى تكييف طرائقهم بحسب الأهداف التي يعملون من أجلها ، وهكذا تمايزت موضوعات التعليم تدريجيا ، وانصب اهتمام كل فئة منهم على تعميق ما تتقنه منها ، دون اغفال التكامل بين الموضوعات المختلفة والتنسيق فيما بينها .

وحين شعرت بعض الفئات برسوخ أقدامها في الميدان الذي تعمل فيه ، بادرت الى انشاء مؤسسات خاصة بها ، معتمدة على الخبرات التي اكتسبتها في الجامع . وأول هذه الفئات الزهاد والمتصوفة ، الذين أقاموا لأنفسهم دويرات وحوانق ، ذكرت لنا المراجع منها أول ماذكرت « دويرة حمد » التي أنشئت في بداية القرن الخامس ، ولم يتأخر القراء عنهم ، فقد أنشأ رشأ بن نظيف أولى دور القرآن بدمشق ، وهي « دار القرآن الرشائية » عام ٤٠٠ هـ ـ ١٠٠٩ م ، أما الفقهاء فبعد أن أقام بعضهم مجالس لهم في بيوتهم ، أنشأ أولو الأمر لهم المدارس ، بدءا من نهاية القرن الخامس ـ كما رأينا ـ ولم يأت دور المحدثين في الحصول على مؤسسات خاصة حتى أواسط القرن السادس حين بنى (نور الدين محمود بن زنكي) بدمشق أيضا دار الحديث (النورية)،ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة،« وهو أول من بنى دار حديث في علمنا » كما يقول أبو شامة في أول الروضتين في ترجمة نور الدين .

ولكن المؤسسات الجديدة لم تضعف التدريس في المسجد الجامع ، باستقطاب الاكفياء من المعلمين في كل ميدان ، بل زادته شمول وعمقا ، لحرص المعلمين البارزين على الاحتفاظ بمكانهم في الجامع ، الى جانب الوظائف التي تبوءوها في المؤسسات الجديدة ، ولاحتضان الجامع عددا من هذه المؤسسات الجديدة بين ظهرانيه ، كالزاوية الغربية ، وغيرها من مدارس الفقه . كما أن ازدياد المؤسسات وتنوعها لم يخل من وحدة نظام التربية العربية الاسلامية وتكامله ، لأن المؤسسات المختلفة انطلقت من الأصل نفسه ، وراحت تدور حوله كما تفعل الأقمار في المنظومة الفلكية الواحدة . □

■ كل امرىء يعرف بقوله ، ويوصف بفعله ، فقل سديدا ، وافعل حميدا

■ اذا كان الحب يعمى عن المساويء فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن



السلطان لم ير الشمس !

بقلم : الدكتور محمد المنسى قنديل

لاوقت للبكاء « ياخوند » فاللعبة خاسرة والسلطان قد مات .

اغمض عينيه ومات ببساطة ، وكأنه شحاذ ترك القاهرة واجفة القلب من الفتنة ،

والنيل قد ابحر واغرق القرى ، وقافلة الحج فريسة في يد العربان ، والعرش خال . .

مسحت « خوند سعادات » دموع الحنق وهي تقول : خذلني السلطان « المؤيد » .

كان وجهها يشع بدفء غامض ، لم تكن حزينة على المؤيد رغم أنها كانت آخر زوجاته منذ أن رآها ، وقد أدرك أن هذه هي المرأة التي سوف تعطيه الابن الذي يرث العرش . . وهاهو الابن نائم في المهد يمص أصابعه . . عمره عام وثمانية أشهر . . وسبعة أيام ، والسلطان ميت .

كانت تسمعهم . المماليك المؤيدية ، والظاهرية ، والأتابكة ، ومقدمي الألوفات ضباعا جائعة ، تجوس أروقة القلعة ، يصعدون من أسفل ، يريدون الانقضاض على جثة السلطان التي لم تبرد بعد . . وفي مقدمتهم الخليفة العباسي وقضاة المذاهب الأربعة كلهم يريدون العرش ، وصاحب العرش يمص أصابعه . .

نهضت خوند سعادات بطولها الفارع وبياضها المشرّب بالحمرة ، ونظرت من نافذة جناح الحريم . . كانوا يصعدون سراعا ، وكل واحد منهم يستعجل نوال الارث . . ووجدت نفسها تهتف في فحيح غامض ملء بالرغبة والمرارة .

من يأخذ عرشي . . سوف يكون السم من نصيبه . .

ظهور المملوك القصير :

في قاعة العرش وسط الصراع المحتدم ، ظهر المملوك القصير لأول مرة . . كان أمراء المماليك يقفون في مواجهة بعضهم البعض شاهري السيوف ، وفي الوسط يقف الخليفة العباسي ، والقضاة الأربعة ، والعرش . جميعهم فريسة لأول لحظة من لحظات الغضب . كان الأمراء جميعا متساوين في القوة وفي الضعف ، وهذه هي الكارثة ، كما كان الخليفة العباسي يفكر ، فلا يوجد أمير بالغ القوة فيتسلطن ، ولاأمير بالغ الضعف فيبدأ رحلة الخضوع . الاتابكي الوحيد نائب السلطان الذي كان يمكن أن يقبض على العرش في هذه اللحظة ليس غير (الطنبغا القرشي) والطنبغا خارج البلاد ، ذهب ليؤدب نواب الشام المتمردين لحساب سلطانه الذي احتطفه الموت .

هتف الخليفة : اهدءوا بالله يا أمراء .

بلا جدوى . . لم يكن للحليفة أي سلطة فعلية . ولعل هذه هي احدى المرات القليلة التي يغادر فيها قصره ، ويظل واقفا هكذا مرتعدا ، حتى يتم اختيار السلطان فيبايعه ، ثم يهرع الى قصره ، ويظل مختبئا حتى نشوب فتنة جديدة .

ثم اقتحم القاعة « الأمير طرطر » أمير المجلس بقامته القصيرة . وكان خلفه عشرات المماليك المؤيدية . وكان واضحا أنه يوجد منهم المئات خارج القاعة . يملأون الايوان السلطاني وقبة الهواء . وهتفوا في صوت كالرعد :

ـ لا نسلطن الا ابن أستاذنا ومولانا . . .

وقال الخليفة مندهشاً . .

ـ ماذا . . ماذا يا أمراء ؟ انه صغير ، عمره عام ونصف . .

تقدم الأمير طرطر مصححا :

ـ عام وثمانية أشهر . وسبعة أيام .

وصرخ مملوك آخر يحرض الباقين :

ـ سوف نسلطنه ولو كان عمره يوما واحدا . .

لم يتصور الخليفة أن طرطر بقامته القصيرة ـ وهو الذي لم يبرز في أي وقت ـ هو الذي قاد كل هذه الحملة . لو أن الطنبغا موجود لقاد الجميع من أنوفهم . ولكن طرطر . . مستحيل . . قال الخليفة :

ـ مهما كان عمره فهو مازال صغيرا ، وسوف تضيع أمور المسلمين بين الامراء ، وأدرك الخليفة أنه كان مخطئا في ظنه عندما هتف المماليك في صوت واحد :

ـ يكون الامير « طرطر » مدبر المملكة حتى يحضر الأتابكي الطنبغا . .

وضرب الامير الخليفة كفا بكف . لا حول ولا قوة الا بالله . ونظر الى القضاة الأربعة في عجز . لم يكن أي منهم له القدرة على الاعتراض . كانوا يعرفون أنه لايوجد أحمق من مملوك عندما يتحامق . كان المماليك المؤيدية مصممين . يتكاثرون خلف « طرطر » ، داخل القاعة وخارجها ، كأنهم يهبطون من الهواء . لم يتصور الخليفة من قبل أن السلطان المؤيد كان يمتلك كل هذا العدد من المماليك ، والأغرب من هذا أنهم مازالوا أوفياء له ، والوفاء كان دائما عملة نادرة بين المماليك . .

وفي النهاية لم يكن هناك مفر من الموافقة . وعندما سمعت خوند سعادات الخبر لم تصدق أذنيها . لم تكن تهتم بمن يكون مدبر المملكة ، يكفي أن العرش لابنها ، عندما يحين الوقت سوف تتخلص من أي مدبر . .

وعندما جاءوا ليأخذوه من الحريم الى غرفة العرش أصرت « خوند سعادات » أن تصحب ابنها لتشاهد بيعته . كانت المرضعة تحمله . وهي تسير بجانبه . على وجهها نقاب شفاف ، ولكن وهجها الخاص كان يشع من تحته . وعندما رآها طرطر ظل يحدق فيها مبهورا . . لم يتصور أن سلطانه الشيخ ، كان يمتلك هذه المرأة التي لا تمتلك .

وضعت المرضعة الرضيع على العرش وحيدا . لم يكن مرتاحا لهذا الوضع ، فقد أخذ يتحرك متحفزا ، والمرضعة تربت عليه لعله يهدأ . والخليفة يتلو مراسيم البيعة ، والقضاة الأربعة يومئون في صمت ووقار . . وأعلن الخليفة عن مبايعته للسلطان المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد . . وهتف المماليك ، ودقت الكؤوس في صوت له دوي الرعد ، حتى تسمع القاهرة كلها أن هناك سلطانا جديدا قد بويع . واستيقظ الطفل مفزعا من هول الضجة ، وانخرط في بكاء حاد مفزوع . وعبثا حاول الجميع تهدئته .

أسرعت المرضعة تحمله ، وّالأمراء يصدرون أصوات التلاطف ، ويحركون قطع الزرد من على رؤ وسهم ، ويصفرون ويقلبون شفاههم ، ولكن كل هذا زاد من فزع السلطان ومن حدة بكائه . ولم يبق هادئا الا خوند سعادات وهي واقفة بجانب العرش ، وطرطر الذي ظل واقفا في مواجهتها في أقصى القاعة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ترى فيها وجهه ، والمرة الأولى التي يرى فيها عينيها . .

القصير . . . يتجرأ

ولكن الأمر لم يقف عند البيعة واخماد الفتنة مؤقتا . . كان الامير « طرطر » زاهدا في السلطة . أو على الأقل زاهدا فيها بهذه الصورة الناقصة التي لا تحل ولا تبرم . . .

في اليوم الأول أصر على جمع الأمراء والخليفة والقضاة ، وأعلن أنه متورط . . فلا هو يعرف أفكار السلطان الطفل . ولا يدري بنوايا « الطنبغا » الغائب . لذا فهو يستعفي نفسه . وقد أثار هذا الزهد غير المتوقع ثائرة الكثيرين . وأصروا على التمسك به فهتف . .

ـ لا سلطة لي يا أمراء . .

قالوا : بل لك كل السلطات ونحن أمراؤك .

اعترض صوت وحيد : حتى يحضر الطنبغا .

ولكن الاعتراض ضاع . ونهض « طرطر » وجلس على يمين العرش . وأشهدوا الخليفة ووقع القضاة ، وبدأ في نفس اليوم في اصدار تغييرات بسيطة لا تكاد تذكر ، فقد دفع الرواتب المتأخرة للجند . وأعفى الناس من عدد من الضرائب الباهظة . .

وصمت قليلا ، ثم فتح السجون وأخرج منها أناسا كان يعتقد أنهم موتى . وصمت قليلا قليلا ثم أدخل أناسا غيرهم . ثم بدأ يغير مقدمي العشرات والألوف ونواب الاقطاعيات . . وبدأت أصابعه تغوص ببطء في لحم المدينة المرتجفة . كان مختلفا ، لا يعلن عن نفسه ولا عن أعماله ، وكانت خوند سعادات تحس بالحنق تجاهه ، وتحس بالحنق تجاه ابنها الذي مازال صغيرا ، رغم مرور شهر على توليه العرش ، وطرطر لم ينس أن يزوره يوما واحدا ، لم ينس أن يصطحب معه الحلوى والألعاب ويتبادل كلمات قصيرة مع خوند سعادات التي ترد عليه دائما بلهجة جافة . .

ـ كيف صحة مولانا السلطان . . هل بكى في الليل . . ؟ !

ـ السلاطين لا يبكون ، حتى لو كانوا أطفالا . .

كان يبتسم.ويتراجع.ويظل يسمع صراخه طوال الليل من نافذة حجرته . ويجمع كل الخيوط في يديه ، ويباشر كل الاصلاحات التي كان المؤيد قد تركها بدافع البخل أو التقاعس . كان الجميع يتساءلون : لماذا يشتغل بهذه المهمة والطنبغا عائدة لا محالة ..؟ ولكن كان لطرطر نواياه التي لم يعلن عنها ، كان ينتظر هذه العودة بروح عالية ، لم تغره السلطات الكثيرة التي أصبحت بين يديه . ولا أحد يدري ان كان يتنبأ بالغيب أم لا ، ولكن ذات يوم جاء رسول من الشام ووقف أمامه في مجلسه وأعلن بصوت مدوٍ . .

ـ الطنبغا انضم لحاكم دمشق . . « جقمق الأرغوني » وأعلن تمرده .

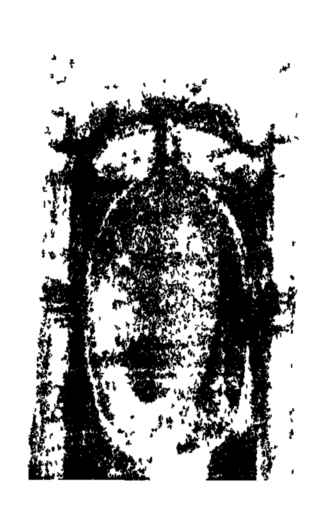
ولم يظهر على وجه طرطر أي انفعال ، وكأنه كان يتوقع هذا النبأ . وخيم الصمت على شهود مجلسه . وأخيرا قال طرطر ببطء :

ـ لقد أعطاني طرف مشنقته . . لن يدخل مصر الا وهو جثة هامدة .

وفي نفس الليل بعد أن انتشر الخبر في القلعة ، أرسل طرطر رسولا الى خوند سعادات يطلب منها الزواج ، ولكنها هتفت في استنكار . .

ـ كيف يجرؤ هذا المملوك القصير القميء على طلب يدي . ! ؟

ولم يرد طرطر الاهانة رغم أنها وصلت اليه كاملة .



خروج مدبر المملكة

أعلن الأمير « طرطر » مدبر المملكة أنه سوف يخرج الى الشام ليؤدب المتمردين باسم السلطان ، وتأييدا لذلك سوف يكون السلطان في صحبته . وهتفت خوند سعادات . . كلا . . سوف يقتلونه في الطريق ورد عليها طرطر بهدوء . . اذا كنت خائفة لهذا الحد فسافري معه وقبلت خوند سعادات التحدي . كانت فرصة عمرها أن يشتبك طرطر والطنبغا في قتال دام . . والأهم من ذلك ألا يكون هناك منتصر منهما .

زحف الجيش كله الى الشام . جراد جائع . وفي مقدمته السلطان الذي وجد سببا جديدا للبكاء المزعج وفكر طرطر . . حتى لو انتصرت على الطبغا وكل أمراء الارض كيف أجعل هذا الطفل يتوقف عن البكاء . . ؟

كان الطريق وعرا ، وخاصة خلال صحراء سيناء . وكان نواب الشام وفلسطين خلال عهد المؤيد ينقضون بالشمال ماأقروه باليمين . . وما فعله الطنبغا هو أنه ضاع وسط المدن العاصية والحصون المتمردة . ولكن طرطر كان ينوي الانتهاء من هذا الامر . .

ومع أول مدينة قابلوها أعلنت الحملة هدفها بوضوح . . لقد جاءت للتأديب ولم تأت للغفران . لذلك كان هجومه على مدينة « صفد » بالغ العنف . ولم يكتف طرطر بالمدينة التي سقطت بين يديه ولكنه وضع لأميرها مشنقة عالية علقه عليها كأنه كان يريد لكل من في الشام أن يروها . .

وتوالى سقوط المدن ، وهروب المتمردين ، واكتساح الجيش ، وبزوغ طرطر كقوة جديدة خارقة . .

ووصلت رسالته المفزعة الى دمشق . الى أميرها جقمق والطنبغا ، وقد ملت هذه الانتصارات تحالفهما الهش يصيبه الوهن . واجتمعوا وهم يتساءلون . . ماذا نفعل ؟ أنقاتل ونواصل التمرد حتى نهايته ، أم نعلن الطاعة للسلطان ؟ كان جقمق يرى أن من خلع طاعة المؤيد من الاجدى به أن يخلع طاعة طرطر وسلطانه الصغير . ولكن « الطنبغا » كان





يمر بحالة من القلق المرعب ، لايدري متى أصاب ، ومتى أخطأ . كان هو الوحيد فيهم الذي يعرف طرطر جيدا ، لذلك جمع أمراءه وقرروا العودة الى طاعة السلطان مرة أخرى .

وقبل أن يصل جيش السلطان بمسافة ، كانت الحرب قد اشتعلت بين جقمق والطنبغا ضارية ، ومنهكة . شملت كل شوارع المدينة . واستطاع الطنبغا أن ينتصر وأن يقتل حليفه السابق ، ويعلن أن دمشق قد عادت الى طاعة السلطان المظفر (أبو السعادات) ، ولكن هذا كان متأخرا . فقد وصل طرطر ، ودخل بوابات دمشق دون أي مقاومة ، وصعد الحصن ليجد الطنبغا طائعا في انتظاره . ينحني أمامه . فقال له ببرود . .

- لا تنحن لي . . ولكن انحن أمام السلطان . .

وكانت خوند سعادات واقفة ، فرأت الطنبغا وهو ينحني . وهو يقبل ذيل ثوب السلطان . وبدا عجوزا منهكا ، أقصر قامة من طرطر . أخطأ التفكير مرتين . وضيّع العرش الذي اقتنصه طرطر . وبقي خائنا والجيش السلطاني يحيط به ، وطرطر يصرخ . .

- خذوا هذا الخائن وضعوه في السجن . .

وهتف الأتابكي مدهوشا . .

- لقد حاربت « جقمق » وانتصرت عليه . .

وواصل طرطر متجاهلا كلماته

- واقطعوا رأسه عند الفجر . .

وأسرع الحرس يجذبونه الى السجن . وخيم الذهول على الجميع ، كان طرطر آمرا ، ناهيا ، قاسيا ، لم يعد يستمد سلطته من اتفاقه مع الخليفة والقضاة ، أو من الطفل النائم على العرش ، لم يعد يستمدها الا من طرطر القوى الكامن في داخله .

والتفت الى خوند سعادات وهو يهتف :

- خوند سعادات . . . هل تتزوجينني . . ؟ . .

وأحنت خوند رأسها وهي تقول :

- أمرك مطاع ، يا . . . مولاي . .

السلطان يبكي

ولم يكف السلطان ليلتها عن البكاء . كان طرطر يسمع صوته قادما من غرفة المرضعة ، وهو واقف بجانب النافذة يتطلع الى المدينة النائمة . وخوند سعادات مستلقية يقظة فوق السرير . جسمها مليء بالجروح الصغيرة . كلما تحركت آلمتها . حتى أنها لم تجرؤ على النهوض لكي تهديء من روع ابنها .

في صباح اليوم التالي فقد السلطان المظفر أبو السعادات عرشه . وفقدت خوند سعادات بهجة عرشها . . ووضعا معاً في السجن ريثما ينقلان الى أحد سجون مصر . وأعلن عن تولي السلطان الظاهر طرطر . . وأرسل بذلك رسالة الى القاهرة ليجد البيعة جاهزة حال وصوله ، والمدينة مزدانة فرحة لعهده .

وعاد الجيش وعلى رأسه سلطانه الجديد . وقبل أن يصلوا الى القاهرة انفصلت فرقة من الفرسان تضم السلطان المخلوع والزوجة المهجورة ، واتجهوا الى الاسكندرية ، وفي الوقت الذي كانت فيه القاهرة تستقبل سلطانها الجديد ، وترش على موكبه أوراق الورد وماء الزعفران ، كان سجن الاسكندرية يضم في أحشائه السلطان المخلوع ، ويغيبه في زنازينه الرطبة ، ويلفه بالروائح الكريهة . ورغم أن الخليفة كان صادقاً في بيعته . والأمراء راضين بسلطانهم القوي . والنيل وافياً بالزيادة . الا أن السلطان كان يعيش حالة من الرعب . . كان بكاء الطفل يطارده ، يسمعه من كل مكان في القلعة ، وخاصة اذا جاء الليل ، ثم بدأت تظهر على جلده بقع غريبة قاتمة ، كأنها ديدان رفيعة تمتد وتلتهم جلده الأبيض . وتفاقمت الحالة ، حتى أحس كأن روحه تتآكل . .

الجلد يتساقط

واجتمع الأطباء . فحصوه وتشاوروا ثم فحصوه . وأعلنوا أن السم يسري في جلد السلطان ، ثيابه كلها مسممة ، وكذا أغطية فراشه . وصرخ السلطان ، وأمر باحراق كل الثياب ، وظل جالساً طوال الليل والنهار في حوض الماء . ولكن جلده كان يتساقط طافياً أمامه . والآلام التي يحس بها تفوق أي ألم ، تفوق الاحساس بالندم أو العزلة أو التكبر أو المباهاة ، تفوق كل الرغبات والنوازع ، وتقف به كل لحظة على حافة الموت . . وفي الليلة الأخيرة ظل يصرخ طوال الليل ، وكان صراخه من القوة بحيث ردد المقطم صدى صوته ، وجعله

مسموعاً بطول المدينة وعرضها . .

ولم تستمر ولاية السلطان الظاهر طرطر الا أشهرا قليلة . . ولكن سجن السلطان المظفر استمر طويلاً . . فعندما جاء سلطان جديد لم يأبه بمن هو في سجن الاسكندرية ، ولم يخطر ببال أي سلطان على العرش أن يخرج سلطاناً آخر من السجن ، حتى ولو كان طفلاً صغيراً . وشب « المظفر » وسط الظلام والرطوبه ورائحة العفونة . تعود على طعام السجن الخشن . وصليل السلاسل . وقرص الفئران ، وزحف الحشرات ، وصراخ الحرس في الليل . .

وعندما كبر وتعلم الكلام أخبرته أمه أنه كان سلطاناً على كل مصر والشام . . فلم يعرف ماذا يعني السلطان ، ولا ماذا تعني مصر ، ولا الشام . حاولت أن تقول له أنه خلف هذه الجدران الضيقة الخانقة يوجد عالم آخر . ولكن ماذا يعني العالم ؟ ماذا تعني السماء والشمس والبحر واللون الأزرق والأحمر والأصفر ؟ ماذا يعني العرش ؟ لم يكن باقياً في ذاكرته أي نتفة من الذكريات . . اللهم الا تلك الرجفة التي تعتريه ، والتي لازمته منذ اللحظة التي تولى فيها العرش . .

وكانت خوند سعادات ما زالت تحلم . تستقي الأخبار الشحيحة من فم الحرس وتواصل حلمها ، . . أي سلطان يجلس الآن ؟ وكيف صارت المماليك المؤيدية ؟ وما هي أحوال مصر ؟ ثم تجلس اليه كل مساء لتفهمه واجباته كسلطان . . وعندما بلغ السابعة من عمره كانت قد أصبحت عجوزاً ثرثارة مزعجة . وحانت لحظتها الأخيرة ، فأحس الطفل بالراحة لأنه سيتخلص من ثرثرتها . . ولكنها مدت يدها وأخرجت من تحت حصيرة القش التي كانت تنام عليها خاتماً صغيراً كان يتألق في العتمة . . طوال هذه السنوات الماضية كانت حريصة على إخفائه . .

وهتفت به :

ـ هذا خاتم السلطان المؤيد . . أبوك احتفظ به . .

وماتت قبل أن تشرح له ماذا يعني الخاتم . ولكنه احتفظ به . وحسب أنه سوف يأخذ نصيبها من الطعام ، ولكن الحراس احتجزوه لأنفسهم . وأصبح وحيداً في الزنزانة . . وفي ظلام الليل وهو يسمع قريض الفئران حوله في كل مكان كان يخرج هذا الخاتم ويتأمله . . ويعجب من أين يأتيه ذلك التألق الواهن . لعله كان يحمل شيئاً ما اليه . . حلماً لم يحلم به أبداً . . لعلها كانت على حق . . لعله كان سلطاناً كبيراً . . ولكن ماذا يعني ذلك ؟ . .

لمحة من الملك :

ولا بد أن أحد الفئران التي كانت تشاركه في الزنزانة حمل اليه الطاعون الذي كان منتشراً في المدينة في هذا الوقت . فقد أخذ يهذي طوال الليل . . وظهرت عليه الأعراض في الصباح ، فانتابت الحراس حالة من الذعر . . أحسوا بخطورة أن يلوث ذلك السجن المغلق بهذا المرض . . وقرروا أن يحضروا عربة خشبية وينقلوه بعيداً عن السجن حتى يموت ويدفن دون أن تصيبهم لعنة الموت الأسود . .

أحضروا العربة . ونقلوه وهم يحاذرون من لمسه . وفتح باب السجن له لأول مرة منذ أن دخله . وسارت العربة الخشبية القديمة ، وصوت عجلاتها يصدر أزيزاً مزعجاً . . وكانت الشمس مشرقة ، تكاد تعمي عينيه . ما أغرب ذلك . . وتلك السماء الزرقاء البعيدة والسحب البيضاء ، والطيور العابرة ، وهذا الهواء الخالي من العفونة ، والبيوت التي تطل عليه ، والناس الذين يسمع أصواتهم ، هذا هو العالم الذي وصفته له أمه . . وهذه لمحة من ملكه البعيد الذي لم يعرف عنه شيئاً . . هل كان هو حقاً سلطاناً على هذا العالم الواسع الممتد ، الأرض والبحر والسماء . مد يده وأخرج الخاتم من جيبه وظل قابضاً عليه . وابتسم لأول مرة وهو يحس بالشمس تبعث في داخله دفئاً جديداً . . إحساس متأخر بالحياة . . لو أنه يستطيع النهوض . والركض في هذه الشوارع . . والغناء ـ والهروب الى الأبد من جدران الزنزانة ورطوبتها وعفونتها . .

وتوقفت العربة بجانب البحر أخيراً . وأحس بحذر شديد . . وابتسم للسحاب وللطيور التي تحوم من حوله ، وسمع صوت الحارس وهو يقول في تبرم . .

ـ هيا نلقي به في البحر . . □

منظر عام لأحد العروض المعادية للفاشية والنازية



شاب كويتى مشارك
فى المهرجان يؤدى
رقصه العرضة الكويتية

ما زالت البشرية تئن من وطأة الحروب ، وما زال الناس في كل مكان يصطلون بنارها ، ولقد علقت الانسانية آمالاً كباراً على عقلائها وحكمائها من رجال السياسة والفكر ، في الوصول الى صيغ للسلام تحفظ للمعذبين أمنهم واستقرارهم ، ولكن أحداً منهم لم يفلح في الوصول الى الصيغة المرجوة ، فهل يفلح الشباب فيما أخفق فيه الكبار ؟ .

عندما خابت الآمال في الكبار ، أخذ الصغار والشباب زمام المبادرة ، فالتقى شباب العالم في موسكو ليجعلوا من لقائهم مناسبة يؤكدون فيها العزم على السعي من أجل السلام .

كان لقاء الشباب في موسكو حيث اتخذوا لهم شعاراً : « سلام .. صداقة .. تضامن » .. وقد احتشد في هذا اللقاء أكثر من عشرين الفاً من شباب العالم من الجنسين ، للمشاركة في مهرجان الشبيبة العالمي الثاني عشر ، الذي أقيم في النصف الثاني من عام ١٩٨٥ .

وكان « للعربي » حضور في المهرجان ، أردنا من خلاله تسليط الضوء على الأنشطة المختلفة التي قام بها الشباب .

فكرة المهرجـــان

كانت المآسي التي شهدتها البشرية في الحرب العالمية قد أشاعت أجواء من الكآبة ، حثت الكبار والصغار معاً على البحث عن سبل للسلام .. وقد عبر الشباب عن تلك الكآبة ، وعن مخاوف تكرار التجربة ، بتظاهرة عالمية أبدوا فيها آراءهم وحرصهم على وجوب أن يتجنب المجتمع الانساني تكرار الكارثة .

لقد انطلقت الفكرة من اجتماع لممثلي الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية ، كان قد عقد في لندن في عام ١٩٤٦ ، للاعداد للمهرجان ، وفي عام ١٩٤٧ وضعت الفكرة موضع التنفيذ ، وعقد أول مهرجان شبيبة عالمي في براغ العاصمة التشيكية - هتفت فيه حناجر سبعة عشر الف شاب وشابة بشعارات السلام والصداقة ، كما نوقشت أفكار من أجل بناء عالم جديد ، يقوم على انقاض العالم القديم الذي دمرته الحرب ، وطالب الملتقون بحقوق الطبقة العاملة ، وبالعمل على تحرر شعوب العالم الرازحة تحت السيطرة الاستعمارية .

ونجحت الأفكار والمبادىء التي تمخضت عن المهرجان ، مما حفز على الدعوة الى مهرجان جديد ، اتخذ من بودابست - عاصمة هنغاريا - مكاناً لانعقاده ، وكان ذلك في عام ١٩٤٩ ، وقد رفع فيه شعار « من أجل استتباب الأمن والسلام والديمقراطية واستقلال الشعوب » . حضر المهرجان آنذاك أحد عشر الفاً من الشباب ، يمثلون ٨٢ دولة من دول العالم ، وجابت شوارع بودابست قوافل السلام المتضامنة مع الشعوب المطالبة بالاستقلال .

وقد لوحظ انخفاض عدد المشاركين من الشباب في مهرجان بودابست ، ولكن المهرجان الثالث الذي عقد في برلين سنة ١٩٥١ ، حقق رقماً قياسياً في عدد الشباب والدول التي مثلت فيه ، فقد بلغ عدد الشباب ستة وعشرين ألفاً ، في حين ارتفع عدد الدول التي مثلت فيه الى ست وعشرين دولة ، كان من بينها دول تشارك لأول مرة ، كاليابان ، وتايلند ، والصين الشعبية ، وغيرها ، وكانت المناضلة الفرنسية « ريموند دين » من بين أهم الشخصيات التي حضرت المهرجان ، ولم يكن قد مضى على مغادرتها السجن الا وقت قصير ، بعد أن استلقت على خط السكة الحديد ، أمام قطار يحمل جنوداً وأسلحة فرنسية ، توجهوا لمحاربة الشعب الفيتنامي ، واستمرت مهرجانات الشبيبة في عواصم مختلفة مثل : بوخارست عاصمة رومانيا في عام ١٩٥٣ ، ووارسو عاصمة بولندا في عام ١٩٥٥ ، وكان الكاتب غبريال جارسيا ماركيز الذي حاز علي جائزة نوبل

للآداب في الأونة الأخيرة ، ضيف شرف في المهرجان السادس الذي أقيم في موسكو في عام ١٩٥٧ ، مما قاله : « إن المهرجان كان اكتشافاً حقيقياً للانسانية » .

أول مهرجان في الغرب

ولقد أقيم المهرجان السابع ـ لأول مرة ـ في عاصمة من المعسكر الغربي بعد لندن هي فينا ، ولقي معارضة من الدول الغربية الأخرى ، ولكن المظاهرات التي قام بها سكان فينا تأييداً لعقده في مدينتهم ، هي التي مكنت من انعقاده . لقد تميز المهرجان التاسع الذي أقيم في صوفيا في عام ١٩٦٨ بمنظر البواخر البلغارية المحملة بوفود الشبيبة الفيتنامية الهاربة من نيران الحرب الطاحنة التي كانت تتعرض لها بلادها ، كما تميز المهرجان العاشر الذي عقد في برلين بالتضامن مع الشعب الفلسطيني ، في كفاحه من أجل استعادة حقوقه المشروعة في وطنه ، وتوالى انعقاد هذه المهرجانات حتى جاء دور المهرجان الثاني عشر في موسكو .

موسكو زهرة المهرجان :

حضر هذا المهرجان الأخير وفود من الشباب والضيوف ، بلغ تعدادها أكثر من ثمانية وعشرين الفاً ، يمثلون مئة وسبعة وخمسين بلداً ، وكان رمز المهرجان زهرة الأقحوان ، تتوسطها حمامات السلام ، وتحيط بها خمس دوائر ملونة ، ترمز الى القارات الخمس .

ولقد بذلت الشبيبة السوفيتية جهوداً غير عادية من أجل انجاح المهرجان ، فقد دربت الفرق الفنية ، ونسقت لوحات حفل الافتتاح والختام لتقديم عروض فنية ، خصص ريعها للمهرجان ، حيث انفقت عليه الدولة ما يقرب من ثلاثمائة مليون دولار ، وكانت عملية حشد هذه الآلاف من الشباب تحت سماء واحدة ، من الدقة والتنظيم مما جعلها ملفتة للنظر ، لقد بدأ مطار موسكو في استقبال الضيوف منذ أن اقترب موعد انعقاد المهرجان ، وكانت صالات المطار قد اعدت اعداداً خاصاً ، وحظي كل مشارك ببطاقة هوية يعلقها في رقبته ، تحمل صورته والبيانات



هذه الفتاة من أمريكا اللاتينية ، وجد المصورون الشباب في زيها الفلكلوري مادة جيدة للتصوير



شباب من القارة السوداء يحملون المراوح
هاتفين سلام صداقة تضامن

روح الشباب التى لا تخبو يجسدها الشباب اليمنى

أزياء شعوب العالم . قوس قزح لون نسجته شبيبة العالم



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة الشيمو في البيرو

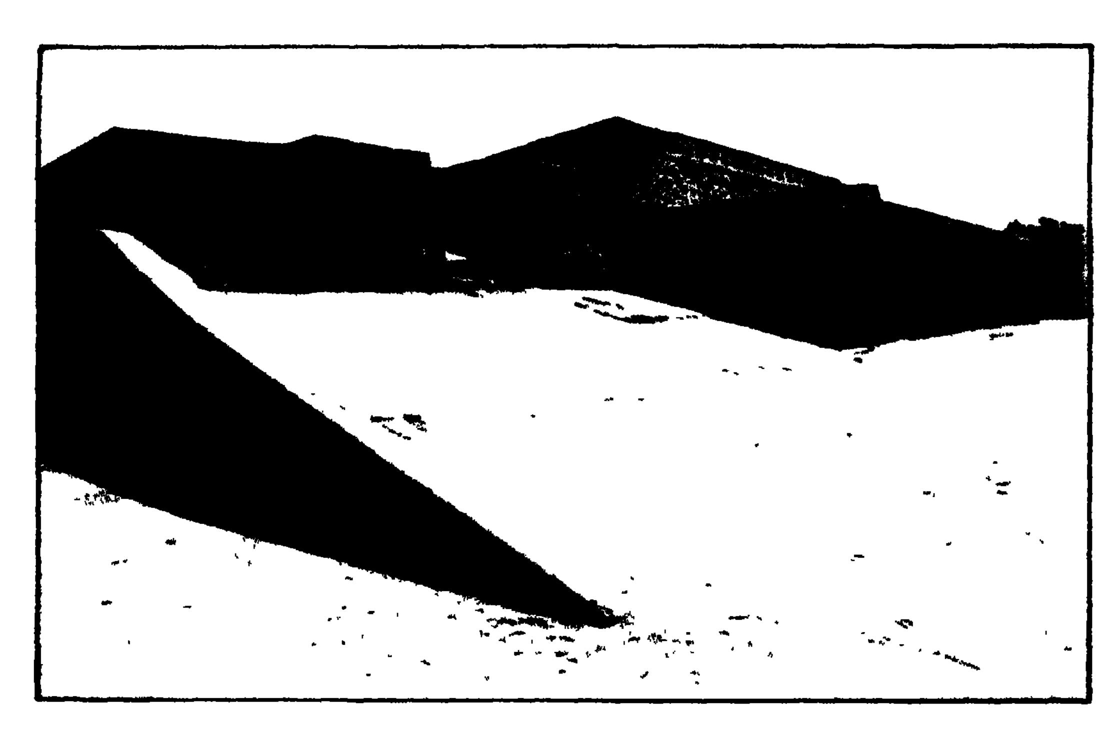
ازدهرت حضارة الشيمو .. فى البيرو فى أمريكا الجنوبية . قبل ظهور حضارة الأنكا مباشرة .. واشتهرت بحب أهلها للذهب ، واقبالهم على اقتنائه .. حتى باتت كنوز عاصمتهم شانشان الهدف الأول الذى سعى اليه المستعمرون الاسبان فى العصور الحديثة .

ولم تكن حضارة الشيمو الوحيدة التى ظهرت فى البيرو قبل ظهور حضارة الأنكا .. فقد ظهرت حضارات أخرى عديدة غيرها .. نذكر منها حضارة الشافين التى ازدهرت فى حوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد .. ثم ظهرت حضارة الماراكاس فى وسط البلاد ، وقد اشتهر أهلها بتحنيط جثث موتاهم ولفها بأقمشة رائعة عند دفنها .. ونذكر أيضا حضارة الموش التى ظهرت على السواحل الشمالية واشتهر أهلها بالبناء والصياغة .. ثم نذكر حضارة النازكا التى ازدهرت فى جنوب البلاد حوالى سنة ٥٠٠ م .... ومما يذكر عن هذه الحضارة لغز النقوش والرسوم (العصافير والعناكب) والأشكال الهندسية التى نقشتها على قيعان السهول الجنوبية نقشا باقيا لايمحى ...

ونذكر بعد ذلك حضارة تياهواناكو التى ازدهرت فى حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية ، وطغت على معظم بلاد البيرو ، لقد جاء أهلها من المرتفعات ، واحتلوا شتى السهول والشواطىء والوديان ، ووضعوا الأسس التى قامت عليها من بعدهم حضارة الشيمو ..

أما أصل الشيمو فتدور حوله الحكايات والأساطير .. ومحور هذه الروايات البطل تايكانامو الذى جاء من وراء البحار محمولا على قارب ، .. وقد امتلأت يداه بمسحوق سحرى عجيب أصفر اللون .. هو الذهب ، كما لايخفى .. وتعلّم نيكانامو لغة اهل البلاد ، وأقام لنفسه قصرا .. ومالبث أن بايعه السكان المحليون حاكما أو رئيسا عليهم .

وَخَلَفَ البطَل ابنُه .. ثم ابنُ ابنه ، وكانت بلاد الشيمو تتسع وتزداد مساحة المرة تلو المرة .. وخلف هذين الحاكمين سبعة ملوك آخرين .. كان آخرهم منشان ـ سامان ، وقد بلغت المملكة فى عهده أوجها ، وأصبحت في منتصف القرن الخامس عشر امبراطورية مترامية الأطراف .. امتدت أراضيها الى



تمثل الصورة جانبا من أحد مجمعات الأهرامات التي بناها الشيمو خارج العاصمة وتختلف أهرامات أمريكا الجنوبية عن أهرامات الفراعنة في كونها ذات سطوح منبسطة لاحظ النقوش الدقيقة على الجدران الداخلية

نحو من ١٠٠٠ كيلو متر بمحاذاة الساحل

الا أن عهد الملك منشان الذي شهد ذروة حضارة الشيمو شهد أيضا بداية انحلالها على يد الأنكا . والغريب أن المصير الذي لقيه الأنكا على يد بيزارو والمستعمرين الاسبان لقيه كذلك الشيمو على يد الانكا .

العمران

كانت شانشان هي العاصمة . . وقد تجلت فيها عبقرية الشيمو العمرانية . على أن لهذه المدينة ماضيا موغلا في التاريخ . . . . . ويعود بنا الى القرن الثامن قبل الميلاد ، كما دلت على ذلك آخر الدراسات ، ومعنى هذا أن الشيمو لم يؤسسوا العاصمة ، بل انهم وجدوها قائمة ، وعلى جانب من العراقة حين احتلوها ، واتخذوا منها عاصمة لهم سنة ١٣٠٠ م ، ومهما يكن من أمر ، فقد كان للشيمو فضل تطوير شانشان وتحسينها عمرانيا ، حتى ذاع صيتها في شتى البلدان المجاورة . . وحسبك أن المدينة اتسعت رقعتها في عهد الشيمو ، حتى بلغت ٢٠ كيلو مترا مربعا ، وبلغ مجموع سكانها ٤٠,٠٠٠ نسمة . .

وكانت القلاع - القصور العشرة - أبرز معالم شانشان العمرانية . . فقد تميزت بالضخامة والاتساع . اد تراوح ارتفاع جدرانها أو أسوارها مابين ٧,٥ - ٩ أمتار ، وبلغ سمك تلك الجدران ٣,٥ أمتار عند القاعدة . وبلغ من اتساع مساحتها ما جعلها أقرب الى المدن منها الى القصور . . لقد كشفت الحفريات عن عشر من هذه المدن أو القلاع - القصور . . كانت كلها مستطيلة الشكل . . ومسورة بالكامل ، وذات مدخل رئيسي واحد يقع في السور الشمالي . .

وكان تقسيمها الداخلي واحدا ، وكأنها بنيت وفق خريطة هندسية واحدة ، فالأحياء الشمالية والوسطى في المدينة خصصت للمباني . . وقد شملت هذه فيما شملت الساحات وقاعات المجالس العامة ، ومنازل السكن والمخازن ، وكذلك المطابخ وخزانات الماء .

أما الحي الجنوبي فقد اقتصر على تل مرتفع . . أخفى مقبرة جماعية عثروا في احداها (سنة ١٩٦٩) على رفات مائة جثة أو يزيد . . . ودلت الفحوص

والدراسات أن تلك الجثث كانت لفتيات أقدس على شرب السم والموت . ليكنّ الأضاحي التى درج قوم الشيمو على تقديمها بين حين وآخر .

ولعل أغرب ما يذكر عن هذه المدن أو القلاع ، أنها كانت قصورا ملكية .. مجرد قصور .. يعيش فيها الملك ويصرف شؤون حكمه .. ثم يدفن فيها حين يموت . وقد بلغ عددها (١٠) وذلك لأن الملوك الذين حكموا الشيمو كانوا عشرة . ومعنى هذا انها لم تبن فى فترة زمنية واحدة .. وانما على مدى عهود الملوك العشرة جميعا .

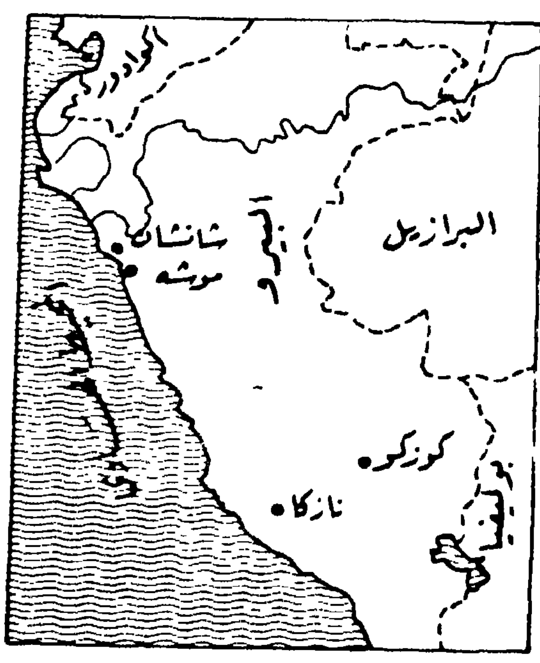
على انها لم تبن بحجارة ، وانما بالطين المجفف فى الشمس ، والمصنوع على شكل الطوب . تلك هى مادة البناء التى بنيت بها تلك المبانى ، وسائر المبانى التى انتشرت فى مدينة شانشان .. ومما يذكر أن سقوف تلك المبانى بما فيها المنازل والمخازن وقاعات المجالس العامة ، انما صنعت من بوص وقش وطين .

وتجدر الاشارة الى الأهرامات ذات القمم المسطحة . وقد بناها الشيمو خارج عاصمتهم ، ولكن بالقرب منها . وحرصوا على أن ينشئوا فى بقعة واحدة عدة أهرامات لاهرما واحدا منفردا .. ولا عجب . فالأهرامات هى معابد الشيمو . الا أنها ليست من ابتكارهم .. وانما من ابتكار أقوام آخرين غيرهم ، عاشت فى البيرو فى الألف الثانى قبل الميلاد .

الحكم والمجتمع

لعل من البديهى أن اقامة مثل تلك الصروح الضخمة ، فى زمن متخلف تقنيا ، لدليل على وجود حكومة قوية تستطيع ادارة الأعمال الانشائية الواسعة المتشعبة بحزم وانضباط .. اذ لابد أن يكون عدد الذين ساهموا فى تلك الأعمال بلغ عدة آلاف .. ولابد أن يكونوا قد عملوا تحت اشراف عدد كبير من المراقبين ضمانا للضبط والاتقان ..

على أن نظام الحكم فى شانشان كان استبداديا .. فالسيادة كل السيادة تركزت فى الملك أو السيد العظيم (بلغتهم quie quic) فهو منحدر من الآلهة .. كما اعتقد الشيمو وملوكهم ... ولابد من أن ينتقل الحكم بعد موته الى أخيه أو ابنه .. ولا يخفى أن هذه



هذه هى شانشان عاصمة الشيمو . وذلك إبّان ازدهارها ، فيما بين سنة ١٢٠٠ وسنة ١٤٠٠ م لقد ضمت معازل مختلفة فصلت بينها الطرق والساحات

القاعدة المزدوجة كانت مصدرا لكثير من الخلافات والمشاحنات التى أعقبت موت ملك من ملوكهم .

واحتل رؤساء القبائل المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الملك .. على أنهم لم ينفردوا بتلك المنزلة ، وقد شاركهم فيها أبناء الأسرة المالكة .. فطبقة النبلاء اذن ضمت فى عُرف الشيمو كلتا الفئتين .. فئة رؤساء القبائل ، وفئة أفراد الأسرة الحاكمة ..

ومن طريف ما يُذكر أن الملك والنبلاء انحدروا أصلا من نجمين ، بينما انحدر عامة الشعب من نجمين آخرين .. من هنا كان مجتمع الشيمو مجتمعا طبقيا متزمتا الى أقصى الحدود ، ولا يسمح مطلقا بالاختلاط بين طبقاته .

« الزراعة والرى »

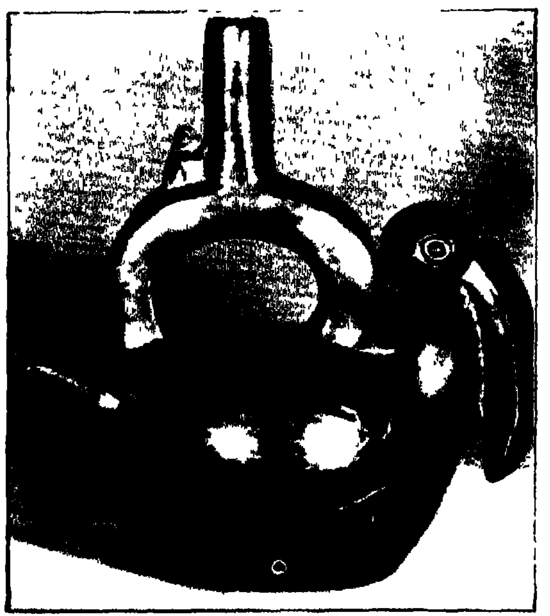
الملكية الخاصة لم تكن معروفة لدى الشيمو .. والأرض كل الأرض كانت ملكا خالصا للملك والنبلاء .. وان كانت طبقة العوام هى التى تولت زراعتها ، فما ذلك الا على أساس التصرف لا الملكية .. ولا تعارض بين هذا وبين اعتماد الشيمو

جميعا على الزراعة .. كمصدر لغذائهم ..

ومما يذكر أنهم ربوا عددا من الحيوانات المؤنسة .. ليأكلوا لحومها .. وكانت الكلاب من بين تلك الحيوانات ..

على ان المفخرة الكبرى التى يحق للشيمو أن يباهوا غيرهم بها ، هى شبكة الرى الواسعة المتشعبة .. فقد مكنتهم الأقنية من رى أراض بعيدة نائية .. كانت صحراء قبلهم .. ثم أصبحت صحراء بعدهم .. ولكنها كانت سهولا خضراء فى عهدهم .. سقوها بما تحتاجه من ماء ، وزرعوا حبوبا وغير ذلك ، وجنوا من ثمراتها الطيبة .. طعاما وكساء ما فاض عن حاجتهم .. وما اضطروا لتصديره أو بيعه لأقوام آخرين عاشت بالقرب منهم ..

وثمة مفخرة أخرى تتميز بها الشيمو .. هى الذهب والمصوغات الذهبية الدقيقة .. فقد اعتمدوا أساليب فريدة فى صنع مصوغاتهم الذهبية ، حتى جاءت هذه نموذجا فنيا رائعا .. ولايعرف سبب تعلقهم بالذهب ولا المصادر التى استخرجوه منها .. ولكن شغفهم البالغ بالمعدن الأصفر جعلهم يعتقدون بأن مؤسس مملكتهم الأول واسمه تايكانامو،انما جاء الى البيرو الى وادى موشة بالذات حيث استقروا



انية فخارية أنموذجية باللون الأسود اللماع الذى أضفاه عليها صناع الشيمو

بادىء ذى بدء ، وقد جاء على قارب صغير من وراء البحار ، وجاء ويداه ممتلئتان بمسحوق سحرى .. لونه أصفر .. هو الذهب بلا نزاع .

غير أن الشيمو استعملوا النحاس والبرونز وغيرهما فى صنع سلع معدنية مختلفة .. وحققوا فى صنعها مثل المستوى الرفيع الذى حققوه فى المصوغات الذهبية .. ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى خناجر التومى التى اشتهر بها الشيمو التى اعتمدت الصوف والقطن وريش الطيور خامات لها ...

الدين والمعتقدات

غلبت الوثنية على معتقدات الشيمو الدينية .. أى أنهم ألّهوا عددا كبيرا من قوى الطبيعة وأجرام السماء .. ألّهوا البحر وألّهوا الشمس والقمر . (أوسى Si فى لغتهم) ، والطريف انهم اعتقدوا بأن القمر أقوى من الشمس من حيث هما آلهة،فأنت ترى القمر فى الليل وتراه في النهار أيضا أما الشمس فلا تراها .... الا فى النهار .. لذلك ميزوا القمر ونسبوا اليه من الجبروت مالم ينسبوه الى الشمس .. لاعجب اذن أن وجدوا فى كسوف القمر نذير شؤم لهم .. ولم يجدوا فى خسوف الشمس بشائر تبعث على بهجتهم وسرورهم .

وقد انتشر فى مجتمع الشيمو المنجمون والسحرة .. الذين وهبوا من القوى الخارقة ما مكنهم من التحكم فى أحداث الطبيعة .. بيد أن هؤلاء لم يحظوا بغير الكراهية والاحتقار .. من الشيمو .. أما الحماية والاحترام والرعاية فقد كانت وقفا على الكهنة .. والأطباء ...

تلك هى حضارة الشيمو التى ازدهرت ثم ما لبثت ان اندثرت ، وقد جاء اندثارها على يد قبيلة الأنكا التى قدمت الى السهول من المرتفعات الشمالية ، وبدأت غزوها لبلاد الشيمو وتغلغلها فيها اعتبارا من سنة ١٤٦٠م .

الا أن حكم الانكا لم يطل أكثر من قرنين وثلاثين عاما (١٢٠٠ - ١٥٣٠) .. فقد غزاها فرانسيسكو بيزارو المستعمر الأسبانى - سنة ١٥٣٠ وأطاح بها .. هذا بالرغم من أن جيشه لم يزد تعداده على (١٨٠) رجلا .. □



خفيف جداً ، منعش جداً
ورائع جداً للضيوف
شاي الصين الاخضر
اليوبح هيصون
قدم لضيوفك شاي مميز منعش شاي اخضر دائم الخضرة
من الصين سوف يستمتعون بطعمه الخفيف البارد وعبيره المنتقى بعناية
فائقة ونكهته التي لن ينساها ابدا
خبراء الشاي معجبون بطريقته في اطفاء العطش
والمساعدة في عملية الهضم وفي تقوية معنوياتك ولاسركك
حتى تشعر بالارتياح التام
الصين من اقدم البلاد واكثرها خبرة في زراعة
الشاي في العالم والان الشاي الاخضر القادم من هناك
تحت اسم شاي دائم الخضرة قدمه لضيوفك بدون حليب
او سكر حتى يستمتعوا بالنقاء فهو منعش بطبيعته
للمناسبات السعيدة والاحتفالات والولائم الشاي
الاخضر من الصين هو افضل شراب مكمل تقدمه
يوبح هيصون
١٠٠٠ ع
شمعي
٥٠٠ ع
يوبح هيصون
٣٠٠ ع (علبة)
السمعي الخصوصي
١٥٠ ع (علبة)
دائم الخضرة
شاي أخضر من الصين


مجلة الأسرة والمجتمع
التوافق النفسي
أساس الحب



التوافق النفسيّ أساس الحبّ

لكي يتقبلك الآخرون .. تقبّل نفسك !

بقلم : راجي عنايت

يدب الفشل فى أى علاقة حب ، اذا كان أحد طرفيها مقتنعا - فيما بينه وبين نفسه - أنه غير جدير بحب الآخرين ، وشاعرا بأنه لاقيمة له . فبغير تقبل الانسان لذاته وتقديره لها ، تتبدد السعادة ، فالسعادة تأتى من داخلنا .. ولاعبرة للوهم الشائع الذى يقول بأنه فى مقدور الآخرين أن يجلبوا الينا السعادة .

يقول باحث علم النفس الاجتماعى « كين كييز » : « يقول الواحد منا لنفسه : اذا أمكننى أن أجد الشخص المناسب الذى يستطيع أن يقيم معى علاقة حب ، فستتحقق لى السعادة .. وهكذا نمضى لنبحث عن الشخص ، الذى توحى لنا توجهاتنا الخاصة أنه الضالة المنشودة ، ونحن قد نستمتع معه ببعض اللحظات السعيدة ، الا أن مثل هذه العلاقة مصيرها التدهور ، نتيجة لأننا لانعرف كيف نحب .. »

عليك أولا أن تعرف نفسك ، قبل أن تسعى للبحث عن الطرف الآخر المناسب ، وقد يستخف البعض بهذا الشرط .. وقد تسأل ساخرا ، ومن الذى لايعرف نفسه ؟ .. الا أن الأمر ليس بسيطا أو سهلا ، فلكى تعرف نفسك بصدق ، لابد أن تتجاوز المظهر الخارجى المضلل ، وأن تواجه نفسك بامانة كاملة .. عليك أن تنهى التناقض بين ماتقول وماتفعل ، وأن تقرب الفجوة بين الانجازات والأحلام .. والأهم من هذا كله ، عليك أن تؤمن بانك تستطيع أن تخلق ذاتك بإرادتك ، لا أن تكتفى بالعثور عليها ! ...

تغيير الماضى :

قبول الذات والرضا عن النفس ، يتطلب عدم التوقف عند هزائم الماضى ، وعدم التعلق بالمعاناة الدائمة كوسيلة دفاع ، فى وجه عالم شديد التركيب والتعقيد .. وهذا يقتضى عدم معاودة ارتكاب الاخطاء الماضية ، واتباع أساليب جديدة فى انشاء العلاقات البشرية . فالذين يخافون التغيير ويستكينون الى الجمود ، يقول الواحد منهم مبررا



« لقد كنت دائما هكذا » أو « انا كذلك ، نتيجة لخبرات حياتي السابقة التي لايمكن تغييرها » . والسر في هذا أن طرق التصرف القديمة المجربة تكون بالنسبة لهم مريحة ، بعكس الطرق الجديدة التي تحمل في طياتها احتمالات المخاطرة ، وحتمية بذل الجهد .

وجهد تغيير الماضي ليس أمرا سهلا ، فأنماط السلوك ، والعادات التي نتعلمها في الصغر تكون عميقة وقوية . وفي بعض الأحيان ، يكون تغيير هذه العادات واقتلاع انماط السلوك القديمة ، محتاجا الى الكثير من جهد الاكتشاف ، وصلابة الارادة . علينا أن نمسك بتلابيب الماضي ، ونؤمن بقدرتنا على صنع قراراتنا ، وعلى تحديد اختياراتنا ، وانتحاب تصرفاتنا ، بحرية كاملة .

عندما يتوفر هذا تتضاعف احتمالات تحقيق الآمال والأحلام .

المشاعر الخفية :

كلما زاد تحكمك في أمور حياتك ، أصبحت أكثر سيطرة على قدرك ، وصرت أكثر شجاعة في قبول وتحمل المزيد من مسئولية ما يحدث لك . . بهذا سيقل لومك الاخرين على ما يحدث لك ، ويصعب عليك تبرير فشلك ، وارجاعه الى الحظ السيىء .

وملاحظة الانسان لتصرفاته الخاصة ، يمكن أن تعطيه مؤشرا هاما لمشاعره الخفية ، التي قد لايعيها ، والتي تفعل فعلها في التأثير على قراراته الهامة . وهذا يسمح للانسان باكتشاف المزيد من ذاته ، اذا ماحرص على أن يختار بنفسه ولنفسه من بين البدائل التي تعرض له .

أحرص دائما ، كلما كنت بصدد اصدار قرار ، على أن تعتمد على مشاعرك واحاسيسك والهامك



الخاص ، وأن تعتمد على ذكائك . . فأنت لن تحقق أقصى طاقتك ، الا اذا أتيح لك أن تتأمل نفسك من الداخل جيدا ، لتختار من بين بدائل التصرف ، ذلك الذى يجعلك تشعر شعورا طيبا نحو نفسك .

وضوح الهدف :

ووضوح الهدف عنصر هام فى الوصول اليه . . فالذين يتمكنون من تحديد مايريدونه بالضبط ، هم أكثر قدرة على تحقيق هدفهم ، والشائع الا تكون لدى الناس سوى أهداف وقيم ضبابية غير واضحة .

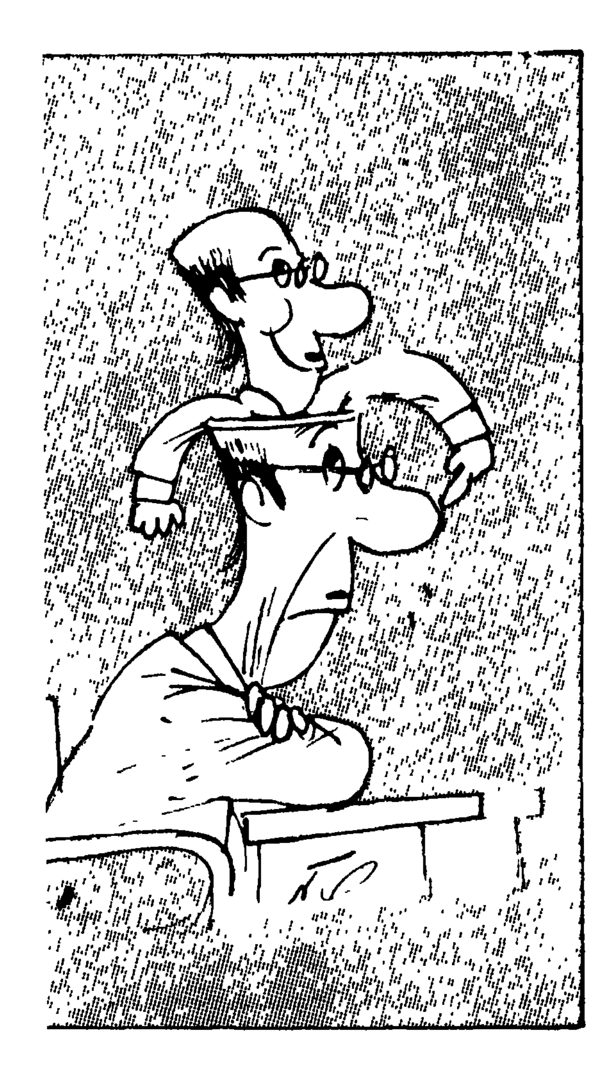
وينصح علماء النفس الاجتماعى بأن يجرى الانسان التدريب التالى لكى يتثبت من أن أغلب الأشخاص الذين يعجب بهم اعجابا شديدا ، هم أولئك الذين يتميزون بوضوح أهدافهم .

فكر فى خمسة أشخاص تعجب بهم أشد الاعجاب ، من محيط حياتك ، أو من الشخصيات المعاصرة المعروفة ، او حتى من الشخصيات التاريخية . دون الأسماء فى صفحة من الورق ، ثم حاول أن تسجل أمام كل اسم مصدر اعجابك به ، ستكتشف آخر الأمر أن مايتميز به هؤلاء الأشخاص ، هو نفس ماتسعى الى تحقيقه .

بعد ذلك ، حاول أن تفكر فى نمط الحياة الذى تريده لنفسك ، وسجل الأهداف والقيم التى تود أن تتمسك بها . . ثم تأمل بأمانة ، لتعرف ماالذى قمت به فعلا لتحقيق هذه الأهداف .

وينصح خبراء علم النفس الاجتماعى بالانتقال الى تدريب آخر ، يطلب فيه منك أن تسجل حصرا بما تجيد انجازه من أعمال ، ماالذى تفخر بعمله ، وماالذى تسعد بانجازه . . حاول أن تتذكر وقائع نجاحك فى الحياة ، ثم سجل انجازاتك الناجحة .

عندما تنتهى من هذا ، تأمل هذه الانجازات التى سجلتها ، وحاول أن تدرسها ، لتحدد كيف وصلت اليها . . ثم اجب عن هذه الأسئلة : هل أنت قادر على القيام بأعمال لم تكن تظن انك قادر عليها ؟ وما هى القدرات الخاصة التى أمكنك أن تحققها ؟ هل



أتاحت لك هذه الانجازات تقديرا افضل لطاقتك ؟ وأخيرا ، كيف يمكنك ان تستخدم قواك وقدراتك هذه فى انجاز ما تسعى اليه فى حياتك المقبلة ؟

أكثر من (أنا) :

الا أن اختيار أهداف الانسان لحياته المستقبلة ، من العمليات المركبة ، دائمة التغير . عن هذا قال داج همرشولد ، السكرتير العام السابق للأمم المتحدة « فى كل لحظة يتوجب عليك أن تختار نفسك . . ولكن ، هل تختار نفسك فعلا ؟ . . هل تختارها

بصدق وأمانة ؟ . . فحسد الانسان وروحه يوفران له آلاف الاحتمالات ، التى يستطيع عن طريقها أن يبنى أكثر من (أنا) واحدة . . ولكن من بينها ، توجد (أنا) واحدة فقط لايستطيع الانسان أن يعثر عليها ، الا اذا استبعد كل الاعتبارات السطحية الخادعة ، الكائنة والمحتملة .

الا اذا استبعد الاعتبارات التى يغذيها الفضول والجشع ، والتى تعوق وصول الانسان الى فهم سر الحياة ، والتى تسد طريق تعرفه على جوهر المواهب التى اختص بها » .

عندما نعثر على هذه « الأنا » الخاصة بنا ، وعندما نظهر تقبلا لذواتنا فسنجد فى هذا خير عون لنا على بناء اساس قوى لعلاقات بشرية حميمة وصادقة . . فلكى نحب الآخرين لابد أن نحب أنفسنا ونقيم معها انسجاما وتوافقا .

اشتراطات التوافق :

وحتى نفهم بالتحديد ، معنى أن يتوافق الانسان مع ذاته ويتقبلها نطرح هذه الخلاصة التى توصل اليها خبير علم النفس الاجتماعى يوحين ماكدونالد ، وهى تتضمن الاشتراطات التى يجب أن تتوفر فى الشخص المتوافق مع نفسه ، المنسجم مع ذاته : ـ

* يكون مشاركا فى الحياة ، وليس متفرجا عليها .
* يميل الى أن يكون موضوعيا ، تلقائيا ، أمينا فى عواطفه وأفكاره .
* يحاول أن يفهم العلاقات البشرية ، والظروف الموضوعية الداخلة فى أى مشكلة تعرض له . . على الا يبالغ فى هذا الجهد بما يتجاوز حدود قدراته .
* يعلم أن وصوله الى أفضل توافق ممكن مع الحياة غالبا ما يتم دون فهم كامل لكل مايدخل فى عملية التوافق هذه من عناصر .
* يكون مستعدا لممارسة كل المباهج والآلام التى تحيط بعملية كشف الذات ، اى أن يقبل مزيج الألم والسرور الذى يصاحب كل تغيير يجريه على مواقفه ، وفى مشاعره نحو نفسه ونحو الآخرين .
* أن تكون مطالبه فى الحياة خاضعة لعقله فى معظمها ، اذا كان يحلم بشراء سيارة من نوع خاص ، ويكتشف ان قدراته الاقتصادية دون ذلك ، فإنه يعمد الى شراء سيارة أخرى أصغر وأقل ثمنا ، تناسب ميزانيته .
* أن يفهم الشخص ، اذا لم تتوفر لديه الموهبة الملفتة والقدرة المتميزة ، حقيقة وضعه ، ويكون قادرا على المشاركة والاستمتاع بصحبة الموهوبين ، دون أسف لعجزه عن الوصول الى مستوى انجازهم .
* وهو لايتوقف عند الفرص الضائعة ، والقضايا الخاسرة ، والخطأ الذى يرتكبه ، والفشل الذى يلاقيه . . بل على العكس من ذلك ، يكون ميالا الى أن يتأمل هذا جميعه محاولا استخلاص فهم جديد لطبيعة التغيير الذى لابد أن يدخله على سلوكه حتى يصل الى مستقبل أفضل .
* يجب ألا يقف جامدا بطريقه غير عقلانية ، ازاء مايمر به من مشاعر الحب ، والكراهية ، والحسد ، والغيرة ، والشك ، والطمع . بل يسعى الى أن يستخلص من كل شعور من هذه المشاعر ما يحمله من رسالة خاصة تساعد فى كشف المزيد من الحقائق حول الذات .
* بالرغم من أن الشخص القابل لذاته ، المتوافق معها ، يميل الى صحبة الآخرين ، الا أنه فى بعض الأحيان ، عندما تكون الوحدة أو العزلة ضرورية ، فإنه يتحمل عدم الاتصال بالآخرين .
* وهو لايكون تقليديا فى تفكيره ومشاعره وتصرفاته ، لكنه عندما يتخذ موقفا غير تقليدى ، فلا يكون ذلك لمجرد مخالفة ما جرى عليه الناس ، ولكن لرغبة فى التعبير عن اجتياح قوى ، ازاء موقف شخصى أو عام .
* كذلك هو لايخضع بجمود وعبودية للقواعد والقيم الثابتة فى مجتمعه ، بل يسعى الى تغييرها مهتديا ببصيرته .
* وهو يعطى الآخرين الحق فى اعتناق أفكار تختلف عن أفكاره ، والايمان بقيم قد تتناقض مع القيم التى يتبناها . □



متى يكون الطفل مستعداً للقراءة ؟

اعداد : زينب الكردي

ما الذي يجعل طفلا في الثالثة من عمره يتحدث وكأن في جوفه آلة تسجيل . . وآخر في السادسة يتأتىء ، ويتهته ، ويعجز عن التعبير عما بداخله ؟ هل هى حالة نفسية أم أن هناك عوامل اخرى تتدخل في إحداث هذا الاختلاف . ؟

يقول الاستاذ محمد رضوان في كتابه « الطفل يستعد للقراءة » : أنه قد ثبت بالدراسة وجود عوامل اخرى تتدخل بالفعل منها مثلا : حجم الاسرة العددى . علاقات الاسرة الاجتماعية ، ومدى انفتاحها على المجتمع من عدمه ، وجود أطفال آخرين في مثل سن الطفل يتعاملون معه ، وحجم هذا التعامل ، طبيعة الأبوين والظروف التى يعملان فيها ، وما إذا كانت مؤثرة في علاقتهما به ، بمعنى : هل هذه الظروف تَحدّ من الوقت الكافى للثرثرة معه ومحاورته وتشجيعه على التعبير عن نفسه ام ان عملهما يجعلهما في حالة ارهاق وشغل دائم مما يجعلهما يضيقان بكلامه واسئلته التى عادة ماتكون كثيرة في هذه المرحلة ؟ . . والحالة الصحية للطفل نفسه كأن يكون ثمة مرض ما في الاذنين أو في احدى عضلات اعصاب جهازه الصوتى

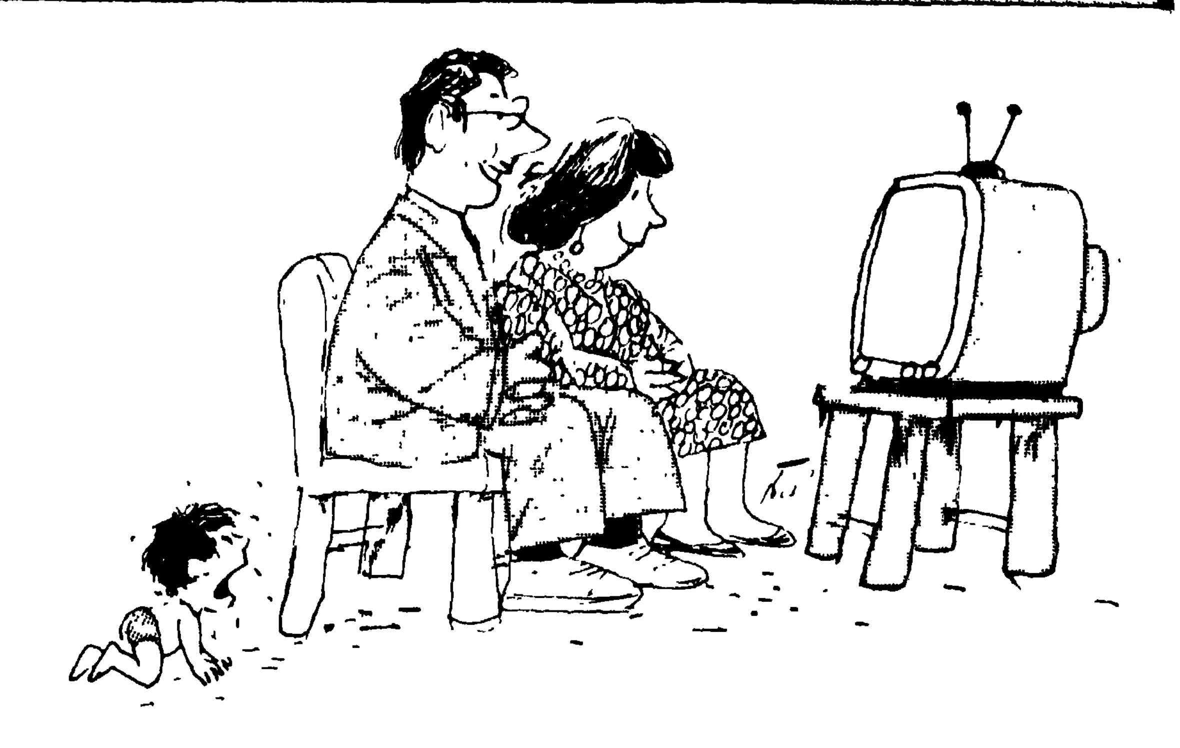
بشكل عام . دلت الأبحاث على أن الغبى أبطأ من الذكى في الكلام ، والطفل الوحيد لايتعلم الكلام بنفس السرعة التى يتحدث بها الطفل الثانى او الثالث . . .

لوحظ أيضا أن الطفل الذى تحرص أمه على أن تشترى له الكتب الملونة وتقص عليه الحكايات الجميلة بسعة صدر ودون تبرم أثناء النهار أو قبل النوم تكون لديه محصلة لغوية ، وقدرة في التعبير عن نفسه اكثر من هذا الذى يُقمَع باستمرار بحجة أن امه تعانى من صداع . . أو مرهقة وباقى الحجج المعروفة . . .

والغريب أن البنات لديهن قدرة أكثر من الذكور على اكتساب حصيلة لغوية أكبر والتعبير عن أنفسهن ببساطة ، والذكور أقل دقة وعناية من البنات في تعبيراتهم وأكثر إغفالا لقواعد النحو . . .

التمركز حول الذات

والطفل حين يتعلم الكلام يبدأ بما تقع عليه حواسه ، فهو ينطق بابا . . ماما . . لبن . قطة ، وبعد ذلك يأتى دور الافعال والحروف فيبدأ بقول : « احبك » « سيئة » . . الخ . . وبشكل عام تتركز لغته حول ذاته هو ، لأنه في فترة ماقبل المدرسة تغلب



عليه روح الفردية والأنانية ، وهذا طبيعى فهو حتى هذه السن يكون محصورا في دائرة ضيقة كأن تحبه وترعاه بما هو عليه بعكس المدرسة التى يصبح فيها محبوبا بقدر ما يفعل ويتصرف .. أيضا نلاحظ أن كلماته تغلب عليها البساطة وعدم الدقة والتحديد ، وأن له مفاهيمه وتراكيبه الخاصة في الكلام ، فليس في الامكان أن نفصل بين النمو العقلى والنمو اللغوى للطفل ، فالنمو اللغوى ايضا يخضع لعاملى النضج ، والتعلم ، وهذا يعني لغة لها خصائص تختلف عن لغة الكبار ، وحتى عن لغة الكتب والتعليم،والدليل على ذلك أن كلمة بحر تعنى بالنسبة لنا غير ماتعنيه بالنسبة له ، اذ أنه يعتبر أى تجمع للماء هو « بحر » ، وفي السادسة يطلق على الترعة أو المستنقع كلمة « بحر » .. ايضا كلمة « فرح » تعنى بالنسبة لنا إما حفلة عرس أو حالة نفسية خاصة لكنها بالنسبة له تعنى فقط حفلة عرس ... اذن هناك اختلافات ويجب على كل من يتعامل مع الطفل او يكتب له أن يلم بها ويضعها في اعتباره ...... لكن ما هى سمات اللغة التى يتحدث بها الطفل ؟ ...

لغة الطفل

يمكن القول ان لغة الطفل من عبارات وتراكيب تتميز بتكرار الكلمات والعبارات وهذا ينسجم تماما مع طبيعته اذ أنه حتى في سلوكه يميل لتكرار مايفعله أو يسمعه ويقلده لأنه بيولوجيا يتوق لاستخدام طاقاته النامية سواء كانت عقلية او جسمية ، ولأن مجال استخدامه لهذه الطاقات محدود بسبب قلة خبراته ، فليس امامه الا أن يعيد ماألف ويكرره من باب تأكيد الذات ، فهو يقول مثلا مصورا حالة ابتهاج في الأسرة : ماما ضحكت .. وانا ضحكت . وبابا ضحك .. واخويا ضحك »

وعندما يتذمر من امه يقول : « طول النهار ياولد اسكت . ياولد اسكت . وأنا اسكت . اسكت »

ايضا يلجأ الى تقديم المسند اليه عند الكلام فيقول مثلا : بائع الحليب في الشارع . ابنة الجيران معها مائة فلس .. مع ان كُتّاب الاطفال يكتبون بلغة مختلفة فيقولون : خرج جاسم ذات يوم الى السوق .. أو تطلع الشمس كل يوم من الشرق ..



وكما ترون هى لغة مختلفة تماما . .
وهكذا يفاجأ الطفل منذ اليوم الاول له في المدرسة بلغة لم يعهدها مطلقا ، وليست له بها أية صلة رغم انهم يقولون له ان تلك هى لغته العربية الفصحى . . هذا لا يعنى أننا نعارض أن يتعلمها ، ماننكره هو ان يتعلمها فجأة او نجبره على التعرف عليها دون تدرج كى لايكون رد الفعل الطبيعى لهذا ان يكرهها منذ اليوم الاول
تصور مثلا ان تقول لطفل هذه المرحلة : كيف ؟ . . ما معنى « كيف » هذه ؟ . . كيف يفهمها وهو لايعرف الا مرادفها العامى ؟ . المفروض طبعا أن نزاوج بين اللغة العامية التى اعتادها والعربية الفصحى التى يجب عليه أن يتعلمها ، بمعنى أن نقدم له اولا الكلمة العامية التى لاتفترق كثيرا عن الفصحى وما أكثرها في لغتنا ، مثلا : حماسة . خروف . ارنب . مشيت . حكاية . جديد . . الخ

السن الملائمة

والسؤال الآن ماهى السن الملائمة التى نتوقع فيها من الطفل أن يبدأ في تعلم القراءة ؟
مايحدث حاليا هو أن كل الاطفال رغم الفوارق البيئية بينهم جسميا وعقليا ، وحتى في مستوى الذكاء ونوعية البيئة الاجتماعية التى جاءوا منها ، واختلافهم من حيث الخبرات التى اكتسبوها قبل ان يأتوا الى المدرسة . . رغم كل هذه الفوارق يطبق عليهم جميعا منهج واحد واسلوب تعليمى وتربوى واحد وكأنهم نسخة مكررة من أصل واحد ، والنتيجة أن البيت يتهم المدرسة بالاهمال والفوضى ، والمدرسة تتهم البيت بعدم الرعاية والمتابعة
الطفل لايكون مستعدا لتعلم القراءة الا اذا بلغ حدا من النضج، والمقصود « بالنضج » نمو السمات الكامنة في الفرد بعكس التعلم الذى يحدث عن طريق نشاط الطفل نفسه أو بالتدريب الموجه ، فمثلا الطفل لايتعلم المشى او يتدرب عليه الا اذا بلغ حدا من النضج،والتعلم يؤهله للنجاح في هذه العملية . .

وهذا لايعنى الفصل بين النضج والتعلم كعاملين منفصلين ، متميزين ، لأنهما متداخلان الى حد بعيد ، وقد يسبب احدهما تعويق الثانى او مساعدته بمعنى انه لكى نساعد على نمو السمات الكامنة في الفرد لابد ان نبذل جهدنا في التعليم والتدريب ، واذا لم تنضج هذه السمات فإن أى جهد يبذل سيكون غير مجد لأن النضج يعد المادة الاولية في التعلم ، فالنمو الجسمى ، والعقلى لابد أن يحدثا قبل بناء مهارات جديدة . . أى لايتعلم الطفل شيئا الا اذا كان مستعدا لتعلمه ، هذا الى جانب ضرورة توفر اشياء اخرى منها : بيئة الطفل . محصوله اللغوى . الجو المدرسى .
بعد الشقة بين البيت والمدرسة ومدى هذا البعد او القرب ، وهل المدرسة او المعلمة على مستوى المسئولية ام لا . .
ان القراءة وظيفة عقلية يمكن أن تنمى ويمكن أن تهمل ، ويتوقف نمو هذه الوظيفة على : توفر العناصر الغذائية . الوراثة . البيئة . النضج . التعلم ، ولعل هذا يبين خطورة نظرة بعض الآباء الذين ينزعجون جدا اذا لم تقم المدرسة بتعليم ابنائهم القراءة والكتابة خلال شهور قليلة من التحاقهم بالمدرسة



ويلاحظ في عملية التعلم ان التكرار والتدريب الآلى المتواصل لاينبغى ـ بالضرورة ـ ان يستمرا الا في حالات معينة منها مثلا :

١) انتباه الطفل وتركيزه الشديد اثناء التكرار

٢) وجود حافز لديه يدفعه الى التكرار والتعلم

٣) يكون هو نفسه قد بلغ مرحلة النضج والاستعداد للتعلم

ويلاحظ ايضا أن تدريب التلاميذ ـ مهما كان جهد المعلم ـ لايجدى الا في حالات الاطفال الذين جاءوا من منازل تنقصها الخبرات او بيئات تعوزها الثقافة ، لكن الاطفال المتخلفين بسبب عدم نضجهم ، فلا تجدى معهم الوسائل العلاجية .. واكراه الطفل على تعلم القراءة وهو غير مستعد لها ربما أثمر نجاحا ما .. الا انه نجاح مؤقت الى جانب أن هذا الاكراه ومايصاحبه من ضغوط ستجعله يُعانى من بعض الاضطرابات أخطرها أن ينمو وفي داخله عداء شديد للكتاب حتى لو كان غير مدرسى،والحل ... ؟

الأطفال والبيئة

الحل بسيط جدا ومجهد في نفس الوقت ... واقول مجهد لأنه يحتاج لصبر وجهد أكبر .. لابد ان نصبر على طفل هذه المرحلة ونوجهه بقدر ما ، وغير مباشر وضاغط في الاتجاه الصحيح لأن الاطفال يختلفون في استجاباتهم للبيئة التى تحيط بهم ، وهم يختارون منها مايناسبهم ، ووظيفة المعلم في هذه الحالة أن يمد الاطفال بجو القراءة المناسب حتى تظهرعليهم علامات الاستجابة لعملية القراءة في مواقف معينة ، كأن يتلهف على النظر في الصور او بالقاء الاسئلة او الاهتمام بالكتب والكلمات والاعداد ومحاولة الكتابة الى جانب امتلاكه قدرة استرجاع الكلمات أو حفظ اغنيات الاطفال التى يسمعهابالاضافة الى القدرة على التعبير عن نفسه والاصغاء لمن يحدثه ، أما اذا تأخرت الاستجابة فليس امام المعلم الا ان ينتظر دون أن يبدر منه ما يوحى للطفل بأنه كائن غبى لا فائدة منه ، أو يتعامل معه بطريقة توحى له انه على وشك ان يفقد تقدير معلمه واحترام رفاقه لهذا السبب . ولأن دور المعلم على تلك الدرجة من الأهمية فإنه ينبغى أن :

١) يكون ملما بالعوامل المختلفة التى تلعب دورها في استعدادات التلاميذ ودور كل عامل على حدة .

٢) ان يدرك الدور الذى ينبغى عليه ان يقوم به هو شخصيا تجاه كل عامل من هذه العوامل.

المعلم لطفل هذه المرحلة ينبغى أن يكون مؤهلا ومدربا نفسيا وعلميا وتربويا ، وعلى المسئولين أن يدققوا في اختباره ولا يحملوه هذه المسئولية الا بعد التأكد من انه لايرى في مهنة التعليم مجرد مهنة للتكسب بل فرصة تتيح له أن يعبر عن الطفل داخله ...

المناهج والحياة المدرسية بكل مافيها يجب ان تكون امتدادا للبيت .. التعليم والتلقين يتمان من خلال نشاط تلقائى حر .. الالعاب . تربية حيوانات الحديقة وتأملها . اشرطة فيديو يعايش فيهاعالم الحيوان ويتعرف عليه .. وعلى الابوين ايضا ان يدركا انه لايهم ان يتعلم الطفل في السنة الاولى مبادىء القراءة والكتابة .. الأهم ان يتأقلم مع عالمه الجديد ويحبه . ان يتخلص من ارتباطه الشديد بأبويه وأن يشكل شخصيته الخاصة . أن يتعلم من خلال رفاقه معنى الاخذ والعطاء والتعاون والتخلى عن انانيته ، وان يتشرب كل القيم التى تتيح له ان يكون نواة لانسان جديد بناء ... وهذا لن يحدث الا اذا جعلنا عالم المدرسة رحبا منطلقا يتيح للطفل ان يعبر فيه عن نفسه بحرية بعيدا عن الاوامر والنواهى التى لا معنى لها .. والاهتمام باختيار نوعية من يقومون بتعليمه ، والزامهم بدورات تدريبية من وقت لآخر ، ووضع وسائل علمية ونفسية متخصصة لمعالجة المتخلفين في القراءة والكتابة منذ السنة الاولى .. وسائل تخضع للدراسة والبحث والاحصاء والتقصى .. ايضا ينبغى عن طريق الاعلام والمدرسة نفسها توعية الأبوين بهدف ضمان حد ادنى من الاخطاء التربوية والتناقضات بين البيت والمدرسة والتى عادة مايكون الطفل نفسه ضحيتها الأولى والأخيرة .. □



هو ....

أمي

● أقطن مع أمي في مدينة واحدة ، بيني وبينها نصف ساعة فقط ، ورغم أن كثيرات من صديقاتي يحسدنني على هذه النعمة ، الا أنها تسبب لي كل يوم مشكلة ونقاشاً لا تهدأ حدته أبدا .
أنتهي من عملي كل يوم بعد الرابعة ، يكون زوجي وقتها قد عاد الى عمله في فترة العمل المسائية ، وبدلا من أن أذهب الى بيتي مباشرة ، أتجه الى بيت أمي ، على أن يمر زوجي عليَّ في طريقه وهو عائد من العمل ليصحبني الى البيت .

ومن بيت أمي الى بيتنا يتحول الطريق الى رحلة عذاب .. لا تنتهي مناقشاتنا حتى بعد أن نعود الى البيت .. يبدأ كل يوم الحوار بالأسف على الوقت الضائع ، والزمن الذي لا قيمة له عندي ، وشغفي بجلسات الثرثرة والحكايات النسائية ، والكلام الذي لا معنى له ولا طائل فيه ، يقول لي لماذا تذهبين الى أمك كل يوم ؟ ألا تكفي زيارتان في الأسبوع ؟ وأحاول أن أشرح له والدمع يخنق نبرات صوتي .. ان علاقة البنت بأمها شيء آخر ، ومغاير لكل العلاقات الانسانية ، وانه لا يمكن أن أضع جدولا زمنيا أذهب اليها وفق مواعيده ، فلا أحد يستطيع الابتعاد عن أمه ، ولا أتصور أن ابنا أو ابنة يكون بمقدور كل منهما أن يرى أمه كل يوم ولا يفعل ، وأحاول أن أنقل له احساس الأبناء عندما يكبرون ، وتظل خيوط اتصالهم مع آبائهم قائمة .. وكيف يستشعرون بالحنان الغامر .. وكيف يصبح للحوار معنى مختلف واحساس مغاير ، وكيف تصبح كل الأمور قابلة للمناقشة والاتفاق والاختلاف ، وكيف يسبح الأبناء في بحور لا نهاية لها من أحاسيس رائعة بآبائهم . وهم يلمحون في عيون الآباء فرحتهم بهم ...

أحاول أن أقول له ما معنى أن تحتمي ابنة صغيرة - مهما كان عمرها بخبرة أمّ لها من أخطائها الصغيرة والكبيرة ، وكيف تأخذ الأم بيدها وتربت عليها .. وتنقل اليها حصاد عمر .. اقول له ان الجلسات بيننا ليست ثرثرة نساء ، ولكنها اتصال رقيق رائع نادر يربط ما بين الأم - مصدر الحب والحنان - والابنة . تحكي لها الابنة عن أشياء كثيرة وتفاصيل صغيرة ، لا تسمعها الا أمٌ ولا يتحمل سماعها الا أمٌ .. وتمد الأمّ خيوط كلماتها وحنانها ، تمنح السلام والرعاية والحب .. تصحح وتوجه وتعلم .. وتبني .. تماما كما كانت . وستظل .. كما ربّت في الصغر .. تكمل ما فعلت ونحن كبار ، فما أشد حاجتنا لأمهاتنا كلما تقدم بنا العمر .

هي

هي.... مستقبلنا

● يغيب العقل والمنطق عندما تقترب المناقشة من أمها ، ولن تكون أبدا أكثر حبا لأمها من حبي لأمي ، ولن تكون أكثر تفهما مني لشكل العلاقة بين الآباء والأبناء . وفهمي ويقيني لضرورة بر الانسان بأهله ووفائه لهم . . وأن الرابطة بين الابن وأهله هي رابطة عضوية ، تمتد في الدم والأعصاب والثقافة والحياة .

ولكن القضية عندي ليست في هذا على الاطلاق . . ليست في ذهابها لأمها أو علاقاتها بها ، فليس لي أن أتدخل . . وأعترف أنه كان يسوؤني كثيرا لو كان وفاؤ ها وبرها لأمها أقل . . أقول ان هذه ليست هي القضية ، فموقفي كان سيظل كما هو ، سواء كانت تذهب لأمها وصديقاتها أو أحد أقاربها . . الموقف عندي هو هذا الفقدان في الوقت . . اهدار الزمن والأيام . . في شبكة علاقات اجتماعية بمرور الوقت تحيط بنا وتأكلنا كالعنكبوت وهو يلتهم فريسته .

نحن في بدء حياتنا . . كلانا مازال في بداية عمره المهني ، الأفضل والأجدر أن نحول وقتنا الى قيمة تضاف الى مستقبلنا . . نقرأ شيئا ينفعنا . . ننضم الى احدى مراكز الدراسات المسائية التي تكسب الانسان قدرا من التأهيل الاضافي . . . نتعلم لغة جديدة . . . نطرق أبوابا جديدة لعلاقات اجتماعية أخرى تضاف الى رصيد الخبرة . . نجلس معا . . نستمع للموسيقا . . نقرأ جريدة . . نشاهد برنامجا تلفزيونيا . . نستثمر الوقت بطريقة أو بأخرى . .

لكن السيناريو اليومي لا يتغير ، أعود مساء . . أمرُّ عليها في بيت والدها . . أصعد . . يصرّون أن أجلس قليلا كي أشرب كوب شاي . . يتلوه فنجان قهوة . . فعشاء خفيف . . فدردشة فسهرة . . فنكتشف فجأة أن الليل قد انتصف ، ونسرع عائدين الى بيتنا . . . وقد ضاع منا الأسبوع . . الشهر . . العام . . العمر . . يوم يليه آخر وآخر ، وتتوالى الأمسيات متشابهات . . قد يكون هناك تغير بسيط ، ولكن المحصلة واحدة . . فاما أن يكونوا بانتظاري للذهاب الى زيارة . . أو لديهم ضيوف . . وتضيع الأيام . .

ما دخلنا بهذا كله . . ؟ ولماذا نترك العمر يضيع ويتسرب سدى . . ؟ لماذا لا نستثمر الأيام والوقت فيما يمكن أن يفيد . . ؟ وهذه هي القضية الرئيسية عندي لكنها تضغط على أعصابي وقلبي ووجداني . . وتحول القضية الى أمها وأهلها . . والى احتياجها الى الأم في هذه المرحلة من العمر أكثر مما مضى وطالما أفهمتها اننا كلما أوغلنا في الزمن . . اشتدت قوة الشد والارتباط بيننا وبين الجذور،الأرض . العمر . . أمهاتنا . . ولكنها تصر على أن تلوي ذراعي ، وتضغط على قلبي ، وتدخل عواطفها النبيلة فيما لا دخل لي به .

هو





من الحياة

مع اذان الفجر في رمضان

بقلم : منير نصيف

كانت تمر بأعظم تجربة في حياتها . . فقد كانت تنتظر مولودها الأول الذي بدأ يتحرك في أحشائها . . ولكنها كانت تعيش حياة تعسة ، فقد كانت تحس أن سفينة زواجها توشك أن تصطدم بالصخور ، وهي بعد مازالت على شاطىء الحياة ! فاتجهت الى الله وكان الله دائما معها .

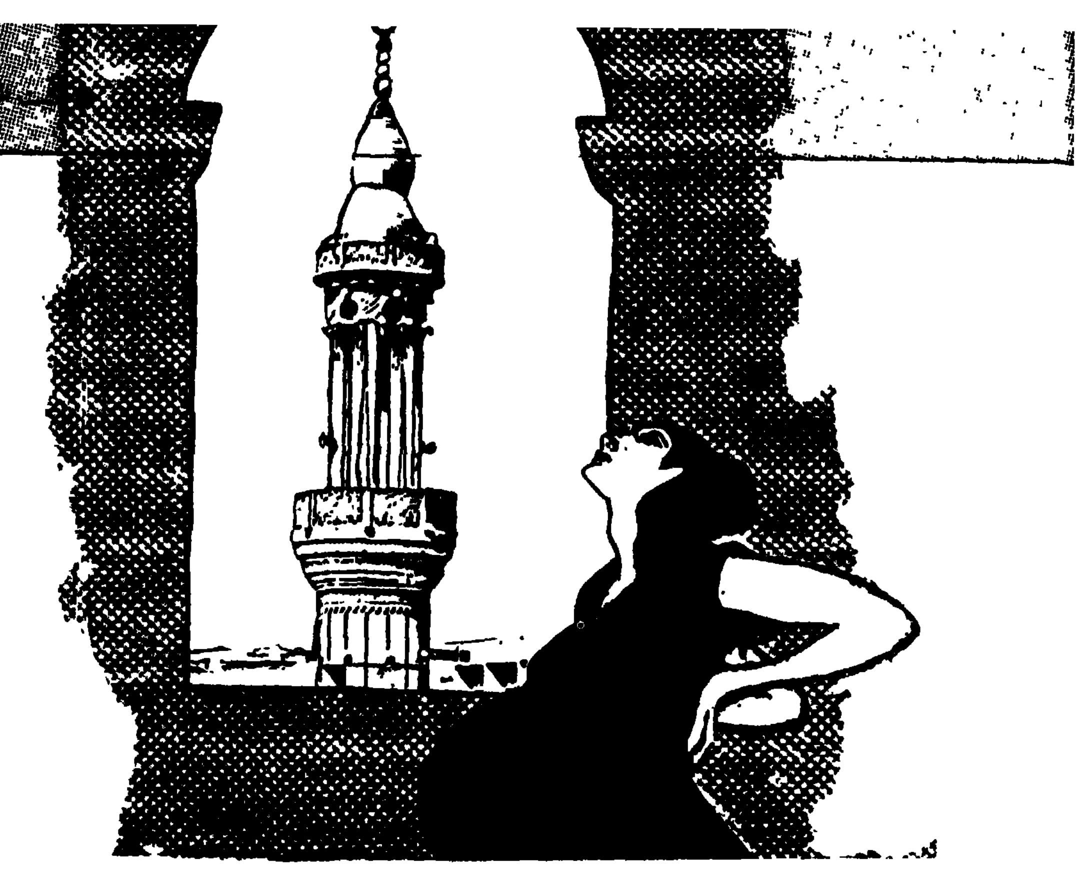
كانت تصحو من نومها في الصباح على صوت أذان الفجر ، فتقوم من فراشها في هدوء ، وتتجه الى النافذة الصغيرة في غرفة نومها ، وتقف وراء الزجاج ، وترفع يديها الى السماء وتقول « يا رب » .

لقد كان صوت المؤذن في هذه الساعة المبكرة من الصباح في حر الصيف القائظ هو أجمل صوت سمعته في حياتها . . لا لأنها تسمعه لأول مرة ، ولكن لأنها تسمعه في تلك الأيام القليلة الباقية على موعد ولادتها في شهر رمضان المبارك . وكانت تشعر وهي راقدة في فراشها قبل أن يأتيها هذا النداء ، الذي يدعو فيه إمام المسجد القريب من بيتها ، المؤمنين للصلاة كانت تشعر ان النداء موجه اليها وحدها .

فإذا ما انتهت من صلاتها القصيرة ، عادت الى فراشها وأسلمت نفسها للذكريات . . وما أكثر اللحظات التي كانت تشعر فيها بدموعها تملأ عينيها الجميلتين السوداوين ، وهي ماضية في ذكرياتها مع الماضي القريب مع الشاب الذي اختارته زوجا وأبا لطفلها الذي بدأ يدق الباب بيديه وقدميه ، ويتعجل الخروج الى الدنيا . . ماذا حدث لها . . وما هي قصتها ؟

* * * *

هي زوجة شابة في العشرينيات ، وهي وحيدة أبويها ، تزوجت منذ أربع سنوات من الشاب الذي أحبها ، وقضى شهورا طويلة يبني معها قصورا في الهواء ! انها لاتزال تذكر اليوم الذي تقدم بطلب يدها . . لقد كان موظفا صغيرا لايكاد مرتبه يكفي ضرورات الحياة ، وكانت هي أيضا تعمل في احدى المؤسسات الكبرى ، بمرتب متواضع ، بعد ان أهملت تعليمها الجامعي ، ولكنها كانت سعيدة بهذا العمل الذي كان يشغل وقت فراغها . . فلم يكن الهدف من خروجها الى العمل هو الكسب المادي ، فلم يحدث ان أحست يوما بأن والديها يبخلان عليها بشيء . .



كانت تعلم أن الفرصة لاتمام تعليمها الجامعى قد أفلتت منها ، لأنها لم تحصل على المجموع الذى يؤهلها للقبول ، ولو أنها كانت طالبة منتظمة في الجامعة لتغير مجرى حياتها كلها . . ولكنها كانت طالبة منتسبة . . وربما كان الشعور بالملل الذى كان ينتابها وهى تنتقل بين القراءة في الكتب ومشاهدة برامج التلفزيون ، أو الخروج في صحبة والديها في نزهات أو زيارات قصيرة . . ربما كان هذا الشعور الذى سيطر عليها في كثير من الأحيان ، وهى تجد نفسها تعيش داخل اطار هذه الدائرة الضيقة ، دون أن يكون لها أخ أو اخت ، من الأسباب الأساسية التى دفعتها الى التمرد على الكتاب ، وهى تبحث حولها عن رفيقة تشاركها آمالها ، وتحكى لها مايدور في رأسها من أحلام ، وما يعتمل في صدرها من انفعالات !

حقيقة كانت أمها دائما قريبة منها . . وكانت بالنسبة لها أختها الكبرى ، وصديقتها التى لاتخفى عنها شيئا . . ولكن الفتاة تشعر رغم هذا ، أن هناك أشياء كثيرة لا تستطيع أن تتحدث فيها مع أمها بنفس الصراحة ، التى كانت طابع حياتها ، مع زميلاتها في المرحلة الثانوية ، التى أكملتها بنجاح ، واستعدت بعدها للالتحاق بالجامعة ، كم تمنت لو أنها بقيت في مدرستها ، وطالت رحلتها مع زميلاتها اللواتى لم تكن تفترق عنهن أبدا ، الا عندما يحين موعد النوم !

* * * *

وتمضى الأيام ، والفتاة مقبلة على عملها الجديد ، في هذا العالم الغريب الذى وجدت نفسها فيه تعتمد على نفسها لأول مرة في كل شيء . .

الى أن كان اليوم الذى ظهر فيه هذا الشاب الذى ظل يلاحقها في عملها ، ولا يترك مناسبة تمر دون أن يعبر لها فيها عما يحمله لها في قلبه . . وكان يعرف كل شيء عنها . . أما هى فلم تكن تعرف عنه شيئا ، أكثر من أنه مجرد موظف تستعين به المؤسسة التى تعمل فيها من وقت لآخر لإنجاز بعض أعمالها الفنية . . بل أكثر من هذا فهى لم تشعر يوما بأنها تميل اليه ، وكانت تجد في حديثه معها ـ وقد كان دائما حديثا مقتضبا بريئا ـ ما يدفعها الى النفور والهرب منه ، فقد كانت تستثقل دمه .

ولم يكن هذا الذى يحدث في مكتبها بعيدا عن البيت سرا لا يعرف به والداها . . فقد كانت كثيرا ما تعود من عملها وتجلس مع أبويها تحكى لهما عن الضيق



الذى تحس به في كل مرة ترى فيها هذا الشاب قادما اليها ، حاملا معه ابتساماته وأحاديثه الثقيلة !

ولقد كان من الممكن أن تنتهى العلاقة بينهما عند هذا الحد ، فيبتعد الشاب ، وهو يشعر بفشله في الفوز بقلب الفتاة التى اختارها ، وراح يبذل كل ما في وسعه للتودد اليها .

ولكن الذى حدث بعد ذلك ، كان مفاجأة حتى بالنسبة للفتاة نفسها . . فقد تقدم الشاب يطلب يدها من والدها ، وأجفلت الفتاة ، وازدادت حيرتها عندما علمت بالأمر . . « هو يطلب يدى ، رغم كل ما أظهرته له من مشاعر أبعد ما تكون عن الود والتعاطف ! ؟ » .

وتكررت زياراته لبيت والديها ، والفتاة تزداد حيرة ، ولا تدرى ماذا تفعل ، ولا ماذا تقول ؟ ! وشيئا فشيئا بدأت ترى فيه مالم تكن تراه من قبل . . شاب هادىء مرح يحب الحياة ، متفوق في دراسته ويمتلىء طموحا . . ثم هو يحبها حتى في ثوراتها ، وحتى عندما خلعت خاتم الخطوبة والقته في وجهه أكثر من مرة ، عندما يتخاصمان ويختلفان ، وما أكثر ماكان خصامهما . .

وتمر الشهور . . أكثر من اثنى عشر شهرا كاملة هى فترة الخطوبة التى شاء الأب أن يجعلها أطول ما تكون ، وهو يرى الحيرة في عينى ابنته . . فقد كانت بعض الخصال في الخطيب أصيلة لها جذور تمتد في داخله ، ولكن كانت هناك خصال أخرى زائفة ، انها تلك التى يصطنعها الرجل ، أى رجل ، خلال هذه الفترة ، فيمتلىء بها هذا القناع الذى يضعه على وجهه في كل مرة يلتقى فيها بالمرأة التى ستشاركه حياته . . اما هى فقد كانت هى هى دائما الطفلة الصغيرة الكبيرة التى يمكن أن تبكى وتضحك في لحظة واحدة ، اذا اصطدمت بشىء يثير البكاء ، ثم التقطت اذناها نكتة أطلقها أحد الجالسين معها ، محاولا أن يمسح بها الدموع التى امتلأت بها عيناها السوداوان الواسعتان ! فقد كانت تكره التمثيل ، وتعرض عن التصرفات المصطنعة ، ولا تعرف الدلال الذى تجيده كل فتاة في مثل سنها . . وكانت بعد هذا كله صغيرة جميلة ، تعيش دوما مع الأحلام الحلوة التى يمتلىء بها رأسها الصغير وقلبها الرقيق .

وتزوجا . . وقال الأب يحدث خطيبها ، وكان آخر حديث له معه قبل أن يعطيه ابنته الوحيدة ، أعز وأغلى ما يملك كل أب : « لايهمنى أن أعرف كم تكسب ، ولا يهمنى مستوى الحياة الذى تستطيع أن توفره لابنتى ، فقط أريد أن أسمع منها دائما أنك عرفت كيف تسعدها ! »

* * * *

وسقط القناع عن وجه الزوج حتى قبل أن تبدأ رحلة زواجه مع عروسه . . وبدأت الزوجة الشابة ترى فيه أشياء كانت خافية عليها تماما . . انه شاب عنيد لايلين ، حتى لو كان على خطأ . . انه رجل لا يعرف ماذا يريد ، ولا في أى طريق يسير . . رجل يعيش حياة غير مستقرة . . انه هنا ، ولكنه غدا يريد أن يكون هناك في عمل آخر . . في بلد آخر . . المهم ألا يبقى في مكانه طويلا . . ربما كان الشىء الوحيد الذى يعرف أنه يريده ، والذى أصبح هدفه الوحيد في الحياة ، هو كيف يجمع أكبر مبلغ من المال ، وفي أقصر وقت ممكن ، ولكن كيف ؟ ومن أين يبدأ ؟ لا أحد يدرى ، ولا حتى هو نفسه !

وبدأت المشاكل . . فلم تعد الزوجة تشعر بالاستقرار الذى تبحث عنه كل فتاة في الزواج . . وبدأت الاضطرابات تلف حياة الزوجين الشابين ، وكثرت مشاكلهما ومشاجراتهما . . ولم تعد حياتهما تعرف الهدوء . . لقد تحول الزوجان الى متنافسين ، كل منهما يحاول أن يكون صاحب الكلمة الأخيرة . . وعندما أحست الزوجة بأن حياتها قد أصبحت مباراة داخل هذا البيت الصغير ، انطوت على نفسها ، وتركت له مقعد القيادة ، وأوشكت السفينة على الغرق !

ونصحها أبواها . . وقد كانا يرقبان هذا الذى يحدث بين ابنتهما وزوجها في دهشة وخيبة أمل ، رغم كل ما بذلاه ويبذلانه من جهد ومال لتذليل كل عقبة تعترض طريقهما ، نصحها الأبوان : « الأسرة لا تكتمل الا بمجيء الأطفال . . ألا ترين أن الوقت قد حان لكى تصبحى أمّا ، ولكى تجعلى من زوجك أبا . . ربما يسهم شعوره بالمسئولية في اصلاح حاله ! »

وحملت الزوجة . . ولكن الزوج ، كان قد بدأ يضع قدمه على بداية الطريق الذى كان يبحث عنه لكسب المال . . وفي البداية ، وقفت وراءه تدفعه وتشجعه وتسهر الليالى في انتظار عودته من عمله . . ولكن عندما طال بها السهر وامتدت الليالى وتعاقبت ، والزوج عارق في عمله الذى أنساه بيته وزوجته . حاولت أن تذكره بالحدث السعيد الذى ينتظرانه ، وبالضيف الجديد الذى اقترب موعد مجيئه الى البيت الذى بدأت تعده لاستقباله !

ولكنها لم تر من جانبه سوى هذا الشعور باللامبالاة الذى لم تخطئه عيناها . . كانت هى في واد وكان هو في واد آخر ، لا يتصل بعالمها الجديد بصلة . . فقد كانت تعتمد على نفسها وعلى أمها في كثير من الأحيان في تلك الزيارات المتكررة للطبيب الانسان الذى رعاها ، وأشرف على مراقبة الجنين في أطوار نموه . . حتى جاء موعد الوضع في النهاية ، فدخلت المستشفى قبل اليوم الذى حدده الطبيب بفترة لتكون تحت المراقبة ، بعد أن لاحظ تطورات توحى بأن حالة الأم غير مطمئنة !

وكانت الولادة متعسرة ، ولكن الله كان معها ، ومع الطبيب الذى أشرف على وصول الضيف الجديد . . وكان ولدا جميلا ، ما كاد يطلق صرخته الأولى حتى نسيت الأم كل مامرت به من آلام ! لقد جاء الضيف في شهر الصوم المبارك . جاء في رمضان .

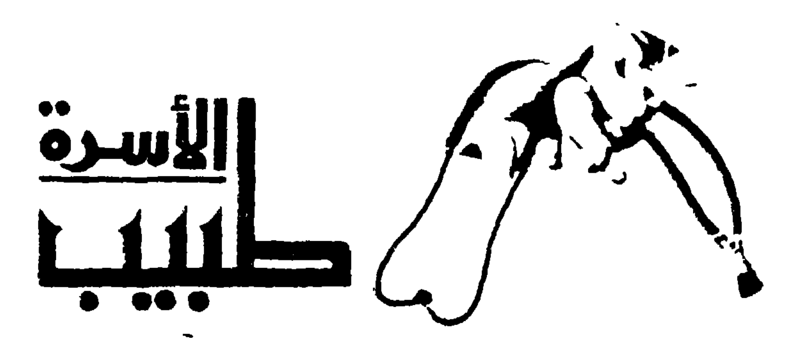
وعادت الى البيت تحمل صغيرها ، وكأنها تحمل الدنيا كلها بين ذراعيها . . وبحثت عن الأب فلم تجده ، لقد أصبح عمله الجديد يستوعب كل وقته . . لم تر الأم شيئا مما توقعت أن تراه بعد أن جنى الزوجان ثمرة زواجهما ، أصبح المكتب الذى يعمل فيه الأب ، هو بيته وفراشه ، وهو المكان الذى يقضى فيه كل نهاره وليله . . لم يكن يعود الى بيته الا فيما ندر ، حتى طفله الجديد ، نسيه في زحمة تكالبه على جمع المال .

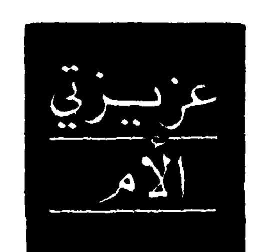
وبدأت الأم تعود نفسها على هذه الحياة الجديدة ، كانت اللحظات التى تقضيها مع طفلها أمتع وأجمل لحظات عمرها . . شيء واحد ظلت تذكره ولم تنسَهُ أبدا إنها الهدية الصغيرة التى نذرتها للمؤذن الذى كانت تسمع صوته في الفجر وهو يدعوها الى الصلاة . . وأعطتها لصديق كريم عزيز ، تولى بالنيابة عنها تقديمها اليه . .

ومرت على حياتها الجديدة مع طفلها الصغير أربع سنوات كاملة ، والأب والزوج لاه عنهما بعمله وبالبحث عن مزيد من المال . . الى أن جاء يوم جلست تحدث نفسها « ولماذا أمضى في حياتى مع هذا الرجل ؟ . . انه لايشعر بوجودى ، والطفل الصغير الذى توقعت أن يكون مجيئه بداية صفحة جديدة في حياتنا ، لم يستطع أن يحرك فيه مشاعر الأبوة . . انه رجل أنانى لايحب الا نفسه ، ولا يسعى الا من أجل مصلحته . . وقد بدأ يمعن في اذلالى . . انه يتصور انه يستطيع أن يشترى الدنيا كلها بالثروة التى جمعها ، وراح يفاخر بها بين الناس . . لقد سقط القناع ، وبدأت أراه لأول مرة على حقيقته ! أى مستقبل ينتظرنا ـ طفلى وأنا مع هذا الرجل ؟ ان الحياة نعيشها مرة واحدة . وأنا أريد أن أعيش حياتى مع طفلى . . ابنى الصغير الذى أعيش وأعمل وأكافح من أجله وحده » .

وحملت ابنها وذهبت لتبدأ حياتها الجديدة ، ولم يتخل الله عنها لحظة واحدة !

اما هو فقد فاته ان يعرف شيئا واحدا لا يمكن أن يشتريه بكل أمواله . . انه الحب الذى تهبه المرأة للرجل الذى اختارته شريكا لحياتها ، عندما تجد فيه الزوج والأب والأخ الذين تركتهم جميعا لتبدأ معه حياة جديدة . □





ولكنْ هناك أمراض تنقلها القطط !

تحتل القطط في البيئة الاسلامية خاصة والشرقية عامة موقعا متميزا عن الكلاب ، وتنال القطة من الناس حظوة لا ينالها الكلب ، قناعة منهم بوداعة القطة ونظافتها ، وخلوها من أمراض تنقلها للانسان ، على عكس ما هو شأن الكلب ، ولكن الطب الحديث يرى أن هذا الايثار كان في غير موضعه ، لأن القطط ليست آمنة كما توهم الناس، بل هي مصدر خطر كامن لم يستبن لهم طويلا لأسباب عدة ، منها أن أمراض القطط تصيب أغلب ما تصيب فئة الأطفال وهم أقل الفئات شكوى ، وان كانوا أكثرها تأثرا ، كما أن أغلب الأمراض ذات أعراض عامة غير واضحة المعالم ، تصعب ملاحظتها في مراحلها الأولى ، مما قد يشتبه مع أمراض أخرى تعزى لأسباب أخرى ، كالحمى والتعب ، وفقدان الشهية ، والآلام العامة وهكذا .

ربما كان من حسن حظ الانسان أن أمراض القطط ليست بالقاتلة ، ولكنها دون شك مجهدة ، وقد تحمل للمريض مضاعفات خطيرة ، كما انها أوسع انتشارا مما نتوهم أو نقدر .

وقائمة الأمراض التي تنقلها القطط للانسان عبر معايشتها والتصاقها به أكثر من أن تحصى ، مما يضيق المقام عن تعدادها ، لهذا سنتخير بعضا منها مما له خطورة وانتشار ، سنعرضه كنموذج لهذه الأمراض المحتملة ، التي تحملها للناس قطة تبدو الوداعة على ملامحها

أولا : حمى خدش القطط : سببه فيروس مسالم بالنسبة للقطة ، ولكنه شرس بالنسبة للانسان ، لهذا فهو يعيش على مخالب القطة وبين أسنانها ، دون أن يسبب مرضا أو يؤدي الى عرض ما ، ولكن ما أن ينتقل الى جلد انسان مع خدش من مخالب قطة ، أو عضة من أسنانها أثناء المداعبة ، حتى يؤدي الى التهاب يتميز بالاحمرار والورم والألم يدوم أياما وأسابيع ، يصاحبه حمى وفقدان شهية وهبوط عام .

ثانيا : مرض التوكسوبلازما : لقد اكتشف مؤخرا نوع من الطفيليات وحيدة الخلية يعيش في أمعاء القطط ، يدعونه التوكسوبلازما ، كان مجهولا غامضا لأهل الطب ، حتى اكتشفت خطورته في احتمال تسربه الى الجنين عبر المشيمة من أمه

الحامل ، مما يؤدي الى عيوب خلقية وتشوه ، وربما التعوق والتحلف العقلي .

ثالثا شريطية الكلاب : وهده تصيب الكلاب وتصيب القطط أيصا ، كما تصيب الانسان ، اد تعيش في الأمعاء الدقاق ، وهي اد تخرج شريطياتها وقطع حسمها المتحمة بالبويضات ، تتناثر هذه البويضات فتلتهمها يرقات براغيث القطط والكلاب ، وتكبر معها حتى يبلغ البرغوث أشده ، واذا ما تصادف أن قفز البرغوث أو سقط في طعام طفل ، فان الدودة تنطلق الى أمعاء الطفل ، وتبدأ دورة من المعاناة .

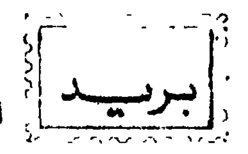
رابعا شريطية السمك هذه أطول انواع الشريطيات اد يصل طولها الى عشرين مترا ، كما أنها أطولها عمرا ، اذ تعمر حتى العشرين عاما داخل أمعاء الانسان والقطط والكلاب ، وقد اكتسبت هذا الاسم لان السمك يعمل وسيطا مشتركا اذ تكمن في طيات لحمه حويصلات الدودة ، التي تعتبر أوسع أنواع الديدان الشريطية انتشارا ، لأن الدودة الواحدة منها تبيض مليون بيضه كل ثلاثة أيام ، وأخطر ما فيها انها تتغذى على فيتامين ب ١٢، ونقصه أهم أسباب فقر الدم الخبيث .

خامسا . اسكارس القطط : يعيش في أمعاء القطط نوع من الديدان الأسطوانية المتطفلة تسمى بالاسكارس ، وربما صادف أن ابتلع الانسان بويضة منها ، فانها تفقس في أمعائه ، وتنطلق يرقة صغيرة تجوب داخل أحشائه ، ولهذا تسمى عند الانسان مرض اليرقات المتجولة الحشوية ، وهذه قد لا تعيش أكثر من أيام أو أسابيع ، ولكنها قد تسبب الكثير من المعاناة والضرر .

سادسا : انكلستوما القطط : والانكلستوما على ما هو معروف ديدان صغيرة ، تعيش على امتصاص الدماء داخل الأمعاء الدقيقة ، وتخرج بويضاتها لتفقس الى يرقات في الأرض الطينية المبتلة ، فاذا صادفت يرقات انكلستوما القطط نفس فصيلتها أكملت دورتها الطبيعية ، ولكنها لو صادفت انسانا يسير حافي القدمين ، فانها تخترق جلده ، وتتجول فيه ، ومن هنا سموها اليرقات المتجولة الجلدية ، التي تسبب الحكة والألم والبثور .

سابعا . القراع : وهو مرض فطري يصيب الشعر ، ويؤدي الى تساقطه .

ثامنا : الحساسية : حيث ان بعض الناس لديهم حساسية خاصة لفراء القطط ، مما يؤدي الى الارتيكاريا أو الاكزيما ، أو الربو الشعبي ، وما إليه هذا بعض ما يمكن أن يقال في أمر القطط ، أو احتمال عدواها التي كانت حافية فيما مضى من زمان طويل .



بريد طبيب الأسرة

الأرتيكاريا أو الشرى

● اصبت بمرض جلدي قيل عنه انه الارتيكاريا فهل لي ان اعرف ماهي الارتيكاريا وماهو علاجها ؟

م ي م
المنزلة - الدقهلية - مصر

- الارتيكاريا Urticaria التي تعرف في العربية باسم الشرى وقد يسميه أهل العرب بلغتهم الدارجة Nettlerash او الطفح القرّاصي نسبه الى نبات ذي وبر شائك ، هي طفح جلدي يتميز بورم خفيف ذي مساحات متفاوتة ، ومنها ماهو صغير في مساحة رأس الدبوس ومنها ماهو كبير يحتل مساحات واسعة من سطح الجلد ، ويكتسب الوانا شتى يغلب عليه أن يكون ابيض وربما كان احمر او قرمزيا اشبه مايكون



بلسع الحشرات ، ويصيب اكثر مايصيب جلد الوجه او الأطراف أو البدن ، ولكنه قد يمتد الى الشفتين واللسان ، وربما يصاب الغشاء المخاطي للفم والجهاز الهضمي والجهاز البولي وسببه تمدد الاوعية الدموية الدقيقة في الجلد مما يسمح بتسرب زلاليات الدم وسوائله خلال الطبقة المسماة بالأدمه

وعادة يحس المريض بشعور الحرقان ورغبة ملحة في الحكه التي تزداد خلال ساعات الليل عنها في ساعات النهار وربما صاحب هذا اعراض اخرى تختلف حسب موقع الاصابة ، فقد يحس المريض بالحمى أو الغثيان والم البطن واذا اصابت اللسان والحلق فقد يعاني من شعور بالاختناق او ربما هناك الم في المفاصل

ان الارتيكاريا لاتستثني عمرا صغيرا أو كبيرا لكنها تغلب على من هم في العقد الثاني أو الثالث من العمر ، وقد لوحظ أن الاناث يصبن ضعف مايصاب به الذكور

واسباب الارتيكاريا متعددة من أهمها

١ ـ مثيرات الحساسية الخارجية وأهم هذه الادوية (العقاقير) والأطعمة وأدوات التجميل والمنشطات

٢ ـ مثيرات الحساسية الداخلية كالالتهابات والأمراض العامة

٣ ـ عوامل فيزيائة طبعية كالحراره (من برودة او سخونة) والتعب والاجهاد والعرق الغزير

٤ ـ الاضطرابات النفسية

٥ ـ عوامل اخرى كلدغ الحشرات أو لمس النباتات،فيما مضى كانت الاطعمة والاشربة تتصدر اسباب المعاناة من الارتيكاريا غير ان العقاقير في عصرنا الحاضر تبوأت مركز الصدارة في قائمة الأسباب ، اذ تشكل مابين ٣٠ الى ٣٥ بالمائة من مجموع الأسباب،بل قد تصل الى اكثر من ٥٠ بالمائة من أسباب المعاناة الحادة ، ولعل اهم العقاقير المعروفة هو البنسلين وأمصال الدم ، غير أن الانسان قد يتعرض للمعاناة من الشرى كصورة من صور الحساسية لأي عقار آخر ، وربما كان عقارا مضادا للحساسية نفسها

اما الأطعمة فلا حدود لحصرها ، غير أن بعضها يتصدر بقية الاطعمه وخصوصا تلك التي يدخل في تركيبها الزلال ، وأهم مافي قائمة الاطعمة المسببة للحساسية عامة والارتيكاريا خاصة هو الحليب ومشتقاته والبيض وأصنافه ، ثم الأسماك والأطعمة يضاف الى هذا المكسرات والحبوب واللحوم البحرية

والتوابل وبعض أصناف الفواكه (الموز والمانجا والفراولة) وبعض من الخضراوات (الطماطم والكرنب) ثم لاننس الشيكولاته والقهوة وربما يكون الشاي ايضا .

أما عن الأمراض الداخلية فهذه تثير حساسية في الجسم من داخله ، لهذا قد يدعوها بالمناعة الذاتيه ، كما قد تنسب من ميكروبات (كالمكورات السبحيه) أو من ديدان البطن او ربما تلف الكبد

ولو طرحنا أمر العلاج فهو لايعدو التقصّر والحذر من سبب الحساسيه بعد التقصي والفحص عنه،وربما لجأ الطبيب الى مايعرف بالتطعيم ضد التحسس ولكن علاج الحالة الطارئة للشرى يكون بعقاقير مضادة للهستامين ، ودهانات موضعية يغلب عليها مضادات الهستامين والكورتيزون ودهان الكالاميا للتخفيف من شده الحكة .

ردود سريعة :

*** السيد ف . ع . الرياض ـ السعودية .**

ـ ان البواسير درجات متفاوتة ، يترك أمر تقديرها وعلاجها للجراح ، ويبدأ عادة باستعمال التحاميل والمراهم التى قد تفيد في الأحوال البسيطة الأولية ، والا كانت الجراحة هي العلاج ، وعادة لا تعود البواسير بعد استئصالها الا نادرا ، وينصح المريض بتوقي الامساك والابتعاد عن الأطعمة الحريفة

*** السيد عبدالعزيز أحمد عبدالله ـ الدقهلية ـ شربين ـ ج . م . ع . :**

ـ تساقط الشعر له أكثر من سبب ، أهمها السبب الوراثي ، وخصوصا في الأعمار الصغيرة . ولا يمكن معرفة السبب وعلاجه الا بالكشف الطبى ، يتولاه أخصائي الأمراض الجلدية . □

مساحة ودّ

إلى صديـــق ..!

وقْعُ الأيام . يصبح أكثر وضوحا داخل نفسى . . أكاد أن أحسَّ الزمن وأتنفسه ، يمر شريط الحياة كلها بما فيها من جلال وكبرياء وضعف وألم . . وزهد ونشوة وجوع وشبع وظمأ لاينتهى

فمع بواكير أيام شهر مايو . . تتغير كيمياء الأحاسيس عندى ، ويصبح للزمن والحياة وقع آخر غير ما اعتدت ، راقبت نفسى طويلا . . لعلى أمسك بالخيط الذى يغير كل هذه الموازين داخلى ، لكننى لم أستطع أن أقتلعه من جذورى . . ففى خلال أيام الشهر يتعانق الميلاد والموت . . الخلود والفناء . . البقاء الراقى والرحلة القصيرة

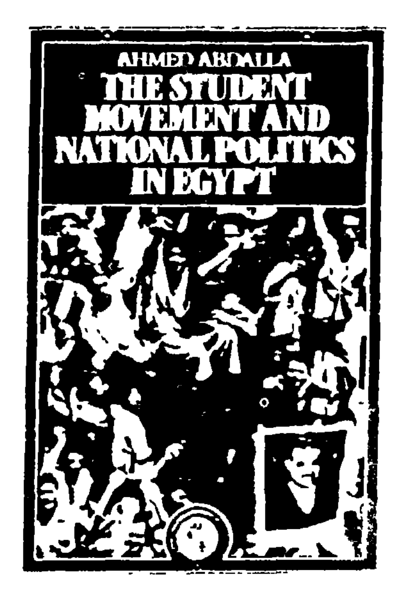
اقتحم علينا دنيانا وعالمنا ، وفرض نفسه كواحد من ألمع شعراء العربية الكبار . . بعدما ترك قريته الصغيرة في أعماق صعيد مصر ، وسافر مع الطمى والنيل من الجنوب الى الشمال . فقيرا بسيطا ككل القديسين والورعين في سفوح الجبال . . كانت المدينة الكبيرة . . جبلا هائلا . . حوتا يبتلع كل الوافدين اليها . . يجلس على أبوابها أنصاف المثقفين وأنصاف الموهوبين . . يعطون من يشاؤون تأشيرة مرور واذن دخول . . وكان هو عالما آخر . . أكسبته قسوة الحياة حدة وشراسة . . لم تكن أبدا طبعا أصيلا فيه . . فكم صحبته في أمسيات طويلة . . نمشى في الطرقات . . نتسكع . . ويحكى وأسمع منه . . كان داخله طفلا رقيقا كالندى . طاهرا كالقديسين . . حالما كالطيور . . انسانا كأنبل مايكون الانسان . . وكنت أدرك ـ بعد فترة من الصحبة ـ انه يكون هكذا عندما نكون وحدنا . . وسرعان ما يرتدى قناع الشراسة اذا ما اقتحم عالمنا ثالث . . وعرفت مع الزمن أنه يمنح انسانيته ونبله وطفولته للبعض فقط ممن يحيطون بحياته . ومع أيام مايو التى اختطفته . . أتذكر مشواره الطويل الثرى . . وكيف كانت بدايته منطلقة كالنجم ، فتجاوز كل جيله ، ووازى قمم الشعر العربى ثم اجتازها ، ليجلس وحده متربعا في ديوان خاص به في هذه المملكة السحرية . منذ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ، وانتهاء بأوراق الغرفة رقم ٨ ، كان انجازه الشعرى معبرا وثريا ومغنيا للوطن . . خرجت صرخته الأولى مع عذابات الضياع في صحراء الصيف . . ومحنة التيه عقب النكسة . وظلت كلماته أناشيد عشق للحرية وللوطن . . ظل دوما « معلق أنا على مشانق الصباح . وجبهتى بالموت محنية . . لأننى لم أحنها . . حية » لأنه كان ينفق العمر كي يثقب الجدار . . . « كي يمر النور للأجيال . . ولو مرة » ويا أيها الغائب الحاضر الزاهد الانسان الجليل المتألم . . ياصديقي الخالد . أمل دنقل . كم أفتقدك . . ! □

محمود عبد الوهاب



صدر العدد الرابع من
مجلة
العربي الصغير
للفتيان والفتيات العرب
٦٤ صفحة بالألوان
مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار
في الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من ٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة
١٠٠ جائزة قيمة
تنتظر طفلك شهريًا في مسابقة العربي الصغير





الحركة الطلابية والسياسة الوطنية في مصر

تأليف : أحمد عبدالله
عرض وتعليق : جمـــال وردة

كان لصنع القرار السياسي في مصر قبل ١٩٥٢ قبتان : قبة البرلمان وقبة الجامعة ، فهل ذلك يعني ان انتقال القرار السياسي الى الشارع المصري حيث دفء الأرصفة وحرارتها قد جعله لاهبا صاعقا فاخترق السقف وانهارت القباب ؟؟



كتاب الشهر

يقولون ان الثورات دائما تأكل أبناءها ، ولكن أن يأكل الأبناء ثورتهم فهذا كثير حتى على عشاق مسارح « الفارس » واتباع المدرسة « العبثية » ، فقد عكست المعادلة تماما وأصبح الخطأ خطيئة .

الحركة الطلابية المصرية والحركة الوطنية أكثر من خطين متوازيين ، فهما اقرب الى التفاعل والتأثر والصهر والانصهار . ففي سنوات الجمر والنضال الوطني والقومي ينتفي عنصر التصنيف الفئوي لشرائح الأمة ، فالقضية وطنية والوطن بفئاته جميعا عماله وفلاحيه ، ومثقفيه ، والشبيبة المثقفة تبقى دائما سراج أمتها ووقودها معا .

قد تتعثر الحركة الطلابية لسبب او لآخر ، وقد تسبق الحدث او تواكبه ، ولكنها تبقى دائما الضمير المستتر لامتها . ويحاول الكتاب في تصورنا - رغم انه سجل حافل وطويل لتأريخ الحركة الطلابيه ورصد كل صغيرة وكبيرة عنها منذ ثورة ١٩ حتى منتصف الثمانينيات يحاول التركيز على مدى المحنة الطلابية المعاصرة وكأنها نتاج شرعي ووحيد للطريقة الناصرية في ثورتها التعليمية - لأن الالوف المؤلفة من الخريجين والتي كانت الظروف الاقتصادية التعسة اكبر من احلامهم وطموحاتهم ، فاتسعت الثغرة بين الحلم والواقع ، وانعكس ذلك الموقف بمرارته على وجدان الجسم الطلابي ، فتمزقت العرى وجفت الأواصر .

ولكن هذا التفسير البراجماتي يضعف من زخم الحركة الطلابية وديمومتها . فالشباب المتعلم لايقاس بتطلعاته فقط بل بانتمائه الى حركة امته التاريخية .

ان ميزة الشباب المثقف انهم دائما فوق الطبقات وفوق الانظمة . فهم اخضرار الفكر وشفافيته وجرأته وتفانيه - انهم الدم الجديد اللازم والحتمي لمسيرة الامة التاريخية - فالشباب مزاجيا وسيكولوجيا يرفض القيد مهما كان ، كالخيل الجامحة ابدا ، قد يهجنون ويلجمون ولكن تبقى في النفس بقية ، وفي الاعماق رجفة رفض وتمرد . فهذا الشريان الهادر هو الطاقة اللازمة لحركة امته ، وأي تجلط بعتريه تكون عندها الفاجعة ، وتصاب الامة وقتها بالسكتة الدماغية .

ان فترات البحث عن الذات تكون دائما حرجة ومريرة فهي كالخروج من الصورة لاعادة رسمها من جديد - قد يصاحب ذلك تهشم بعض الأطر التي ضاقت بهم ولكن يغفر لهم ان الصورة الجديدة ستكون ارحب واجمل ، ليس هذا بدفاع عن الحركة الطلابية المصرية ، فالكتاب نفسه عبارة عن وسام على صدر هذه الحركة ، ولكن الكتاب لم يُقيّم أو يحاسب بل كان يلهث وراء كل حدث طلابي لرصده وتأريخه ، وامام هذا الكم التراكمي كانت لنا هذه الوقفه ، وهي ليست بالضرورة مغايرة لرأي الكاتب الشاب الذي بذل الكثير من جهده ووقته من أجل هذا الكتاب عن الحركة الطلابية المصرية والذي كان هو نفسه في وقت ما أحد فرسانها

الاستقلال المنقوص :

كان من أهم نتائج ثورة (١٩) وعقب السماح لوفد مصري يضم قادة مصر الوطنيين بالسفر الى لندن والى حضور مؤتمر السلام في باريس لعرض قضيته ومطالب الوطنية ان اضطرت بريطانيا الى الاعتراف بمصر كدولة ملكية دستورية مستقلة . ولكن رغم هذا الاعلان فقد احتفظت بريطانيا بسيطرتها الكاملة على الأمن والدفاع مع الابقاء على نظام الامتيازات الاجنبية ، حيث يُعفي الرعايا الاجانب من الضرائب ولهم محاكمهم الخاصة بهم . وفي حين رأت بريطانيا في الاعلان وسيلة لتقوية نفوذها ومواقعها في مصر كانت وجهة نظر أول حكومة مصرية بقيادة الوفد انه مجرد خطوة نحو الاستقلال التام ، وكان لهذا التناقض ان وضح الرؤيا فعليا للمصريين لاستنكار هذه المواقف البريطانية ، واعتبار ذلك تدخلا سافرا في شئون دولة مستقلة ذات سيادة،ولكن بريطانيا تمادت

في عطرستها واستمرت باستخدام كافة الضغوط والنفود على جميع صانعي القرار السياسي في مصر . بل انها لم تتردد حتى عن التدخل العسكري لفرض ارادتها ، وحدث ذلك في ثلاث مناسبات منفصلة .

عقب اغتيال سير لي ستاك ـ سردار السودان ـ في نوفمبر ١٩٢٤

وعقب تعريب مراكز القيادة في الجيش المصري في مايو ١٩٢٧

واخيرا عقب تقديم العريضة الشعبية الى البرلمان بخصوص تنظيم الجمعيات في مارس ١٩٢٨ وقد كان قطبا النظام السياسي لهذا الاستقلال الوهمي هما القصر من ناحية ، وحزب الوفد من ناحية اخرى .

ولكن في الحقيقة كان لهذه اللعبة السياسية قطبها الثالث ـ القطب الاكثر ايجابية ـ وهي السلطة البريطانية ـ ونستطيع القول ان الصراع استمر بين هذه الاقطاب الثلاثة الى أكثر من ثلاثة عقود وذلك حتى معاهدة ١٩٣٦ ، فمع بروز التيارات الفاشية في اوروبا والتطرف السياسي للحركة المصرية نفسها ـ توصلت بريطانيا الى عقد اتفاقية ١٩٣٦ والتي اعتبرت في وقتها انتصارا للسياسة البريطانية ، فبعد (٥٤) سنة من الاحتلال اكتسبت بريطانيا الصفة القانونية لوجودها مما خلف شعورا بالمرارة لدى طبقة المثقفين المصريين وذلك رغم بعض الايجابيات كالغاء الامتيازات الاجنبية ـ والجيش الوطني المستقل ـ وعضوية عصبة الأمم . ونستطيع القول ان معاهدة ٣٦ قد غيرت الاستقلال الوهمي خطوة الى الأمام وحولته الى استقلال جزئي . غير ان المعاهدة لم تغير شيئا من النظام السياسي المثلث الاضلاع بل استمر البريطانيون بلعبة التوازن بين حزب الأغلبية وبين الطموحات الاتوقراطية للقصر .

ونتيجة لهذه اللعبة الطويلة الامد والمكشوفة خرج المواطن المصري بقناعات ثلاث :

ان بريطانيا هي النصير الفعلي للقصر ـ وان سياستها الأولية هي رعاية مصالحها الخاصة وليس المصالح المصرية ، واخيرا ان اي حكومة مصرية لن يكتب لها البقاء الا برضا السفير البريطاني ومباركته وادرك المواطن المصري ان السفير البريطاني هو الحاكم الفعلي لمصر وملكها غير المتوج .

غير ان الدستور نفسه أعطى الملك صلاحيات واسعة جدا . فله الحق المطلق بحل البرلمان واقالة الوزارة ، وحق العفو العام والغاء حكم الاعدام ، وحق تعيين ضباط ورجال السلك الدبلوماسي وتعيين شيخ الازهر ، وحتى تعيين (٥/٢) مجلس الشيوخ كل هذه الامتيازات جعلت من الملك فؤاد وهو شخصية استبدادية متكاملة لا يتردد في الاستفادة من هذه الصلاحيات ، ويسحب انصاره على تشكيل احزاب سياسية يكون ولاؤها للقصر ، ومن هذه الأحزاب « الملكية » حزب الاتحاد الذي اسس عام ١٩٢٥ وحزب الشعب الذي تشكل عام ١٩٣٠ . ونتيجة لهذه التدخلات « الدستورية » السافرة لم يبق برلمان واحد طوال مدته القانونية وهي أربع سنوات ، وكذلك لم تدم اي وزارة اكثر من ثمانية عشر شهرا .

في مواجهة جيل غاضب

في وسط الثلاثينيات بدأ النظام السياسي في مصر يواجه جيلا ساخطا غاضبا ان التوسع التعليمي قد اعطى الحركة الطلابية قوة عددية في حين خيب المستوى الاقتصادي المتدني للبلاد آمال الطلبة وقضى على طموحاتهم ومستقبلهم الوظيفي . كما ان الفشل السياسي للحياة النيابية الدستورية قد زاد من عدد المتشككين بجدية هذا النظام ومصداقيته . ان عجز النظام عن تحقيق الاستقلال التام لمصر ـ وهو الشعار الأول لثورة ١٩ ـ كان البرهان الساطع على فشل هذا النظام ، وبسقوط حكومة اسماعيل صدقي باشا الدستورية (١٩٣٠ ـ ١٩٣٣) وقدوم حكومة توفيق نسيم باشا (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦) والغائها دستور ١٩٣٠ بمساعدة البريطانيين متجاهلة دستور ٢٣ ، ومفضلة العمل على ايجاد دستور جديد كما جاء في اعلان سير صامويل هور في ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأن مصر تحتاج الى دستور جديد بحجة ان الدستورين القديمين لم يعودا صالحين للعمل ، كان هذا الاعلان بمثابة الصاعقة على الشارع المصري ، وبدأ الجسم الطلابي بتنظيم نفسه ، وبالتحرك النشط الى مقار الأحزاب ومناقشتها وتحريضها ، وفي ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وفي خطاب جماهيري حاشد طالب سعد زغلول بوقف التعاون مع البريطانيين ، كما طالب باستقالة الحكومة ، وفي نفس اليوم قام اكثر من الفي طالب بمسيرة احتجاج من

جامعة الجيزة الى شوارع القاهرة ، هاتفين بسقوط الاستعمار متحدين السلطات الحكومية واستمرت المظاهرات لليوم الثاني واصطدمت برجال الشرطة حيث قتل الطالبان محمد عبدالمجيد مرسي من كلية الزراعة والطالب عبدالحكم الجارحي من كلية الآداب لقد حركت المظاهرات والاضرابات الطلابية الشارع المصري بكل مؤسساته من صحافة واتحادات نقابية ومدرسين وقضاة ، الامر الذي دفع الحكومة الى اغلاق الجامعة ، وقد كانت هذه الانتفاضة صفحة مجيدة في تاريخ الشعب المصري ، بل كانت نموذجا مصغرا لثورة ١٩ كما وصفها المؤرخ المعروف عبدالرحمن الرافعي

ان النتيجة المباشرة للنشاط السياسي الطلابي كانت قيام الجبهة المتحدة التي ضمت جميع الاحزاب ، وكان للطلاب الدور الرئيس في قيام هذه الجبهة لما بذلوه من جهد توفيقي بين قادة الاحزاب المتناحرة على السلطة

وامام هذا الزخم السياسي ضاغط اضطر الفصر ان يصدر مرسوما ملكيا باعادة العمل بدستور ٢٣ كما مهد الطريق الى توقيع اتفاقية ١٩٣٦ وقد ساهمت هذه الانتفاضة في بروز الحركة الطلابية كقوة مميزة في السياسة المصرية

الطلاب والنشاط السياسي

يعود تاريخ النشاط الطلابي السياسي الى أيام ثورة (١٩) حيث بدأت شرارتها الأولى في كلية الحقوق جامعة القاهرة ، كما ان عبدالرحمن فهمي ـ سكرتير اللجنة المركزية للوفد ـ كان يعتمد كليا على الطلبة لنقل تعليماته وتنفيذها في كل ارجاء القطر المصري

وعندما عاد سعد زغلول من منفاه وجد ان الطلبة كانوا قد شكلوا لجنة تنفيذية لتنظيم العمل الحزبي في كافة المحافظات ، وكان يسمح لهذه اللجنة ان تجتمع مرتين كل اسبوع في بيته (بيت الأمة) وقد وعد رئيس هذه اللجنة الطالب حسن ياسين بتقديمه كمرشح للانتخابات البرلمانية ـ وقد حدث ذلك فعلا حيث اصبح حسن ياسين اول طالب يدخل البرلمان عضوا منتخبا . كما كان الطلبة يشكلون الغالبية العظمى لخلايا الجهاز السري لحزب الوفد الذي كان يشرف عليه عبدالرحمن فهمي نفسه . كذلك كان حسن البنا يعتبر الطلبة القوة الضاربة في تنظيمه ، وكان يحرص على تكريس كل وقته واهتمامه بهم ، من لقاءات واجتماعات وندوات ، كما كان يحرص على اقامة علاقات خاصة مع الطلبة لتقريبه منهم ولتقربهم منه ، فقد كان يعرف كل كبيرة وصغيرة عن حياتهم ودراستهم وشئونهم الخاصة ، وكان اعضاء التنظيم يجتمعون على شكل أسر دوريا كل اسبوع لتلقي التثقيف الديني المناسب هم مرحليا كما كان اعلمهم اعضاء في تنظيم الجوالة التابع للاخوان

وفي البداية لم يستطع التنظيم استقطاب اعداد كبيرة من الطلبة ، وقبل الحرب العالمية الثانية بقليل فقز الرقم الى خمسمائة طالب معظمهم من الأزهر ، وكان ذلك عقب جدل فكري قام في عام ١٩٣٧ بين طلاب اللغة العربية في جامعة الازهر وبطرائهم من كلية دار العلوم . وحدث ان انتصر الاخوان لرأي الازهر الأمر الذي دفع الكثير من طلبة الازهر للانضمام الى حركة الاخوان المسلمين ـ وقد اصبح للاخوان دور فعال في الحركة الطلابية المصرية بعد الحرب . ويقدر عدد الجوالة وهو تنظيم شبه مسلح عشية نهاية الحرب العالمية الثانية بين عشرين الى اربعين الفا ، وفي عام ٥٢ عند قيام الثورة زعم احد امرائهم بان الاخوان يشكلون ثلث الجسم الطلابي المصري وقد كان انتصارهم ساحقا في انتخابات اتحاد الطلبة في نوفمبر ١٩٥١ ، فقد حققوا الفوز في معظم كليات جامعة القاهرة بما فيها كلية الحقوق التي كانت معقلا للوفديين . ومن ابرز زعمائهم الطلابيين

في تلك الحقبة مصطفى مؤمن الذي عرف عنه حماسته ، ويذكر له نقل صوت مصر الى مجلس الأمن التابع للامم المتحدة عام ١٩٤٧ حيث رافق الوفد المصري الرسمي حاملا عريضة الاستقلال التي كتبت بدماء الطلاب . ولكن يؤخذ عليه انه شبه اسماعيل صدقي بالنبي اسماعيل ايام كان الاخوان على وفاق معه . ومن زعمائهم الطلابيين ايضا حسان حتحوت وعز الدين ابراهيم اللذان اشتهرا بالمهارة التنظيمية للحزب

دور التنظيمات الشيوعية

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت التنظيمات الشيوعية بالتأثير على الحركة الطلابية ، وقد شهد العام الدراسي ٤٥/٤٦ نشاطا ملموسا للشيوعيين بين الطلبة ، خصوصا في كليات العلوم والطب في جامعتي القاهرة والاسكندرية ، وفي كليات التجارة والحقوق في جامعة القاهرة ، حتى كان يطلق على كلية العلوم في الاسكندرية ـ الكلية الحمراء ـ وقد شكل الشيوعيون جماعات منظمة داخل الهيئة الطلابية ، وكانت اكثر هذه التنظيمات فعالية ونشاطا « تنظيم » « اسكرا » وتنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطني . وتنظيم « القلعة » وجماعات الفجر الجديد . وكان التنظيم الطلابي في « اسكرا » يضم اكثر من ثلاثمائة طالب ، وقد سموا رابطة الطلبة المصريين ، ومن زعمائهم جمال غالي وعبد المنعم الغزالي وسعد زهران ومحمد الخفيف وحمان شلبي ، وقد مثل « غالي » الرابطة في المؤتمر التأسيسي لاتحاد الطلاب الدولي .

اما تنظيم الحركة المصرية لتحرر الوطني فقد استطاع ان يوسع من نشاطه خارج القاهرة والاسكندرية ، ويصل الى الازهر والى كلية الفنون الجميلة ، واستطاع تجنيد بعض الطلبة السودانيين ، وبتحالف « اسكرا » فقد ضم تنظيمه ابناء الطبقات الكادحة ، واستطاع الطلاب في كلا التنظيمين ان يضغطوا على قادتهم لتوحيد التنظيمين تحت اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني « حدتو » .

ولكن الانقسامات الكثيرة والموقف السياسي للتنظيم من حرب فلسطين ٤٨ أديا الى تقلص نفوذه داخل الحركة الطلابية من عام ٤٨ ـ ١٩٥٠ ـ ولكنه عاد من جديد بعد ان تبنى القضايا الوطنية ومشاركة بعض افراده في القتال ضد الانجليز في منطقة القنال حتى الضباط الذين شاركوا في ثورة ٥٢ كانوا ينتمون سرا الى بعض هذه التنظيمات الشيوعية .

اما « مصر الفتاة » فهي التنظيم السياسي الوحيد الذي اسسه وقاده الطلاب انفسهم . فقد كان المبدأ الرئيسي لهذا الحزب هو الاهتمام بدور الشباب ، وعلى الجيل الجديد ان يستعيد مجد بلاده ويحقق استقلالها . ويؤرخ احمد حسين زعيم الحزب لبداية تفكيره الحزبي الى الثلاثينيات عندما تقدم وميله فتحي رضوان لترشيح نفسه في انتخابات الطلبة عام ١٩٣٠ في كلية الحقوق ، وقد قام احمد حسين وزملاؤه بمشروع « القرش » لدعم الصناعة الوطنية ، وعندما تأسس الحزب رسميا عام ١٩٣٣ بدأ جريئا منذ انطلاقته ، وبدأ يستقطب العديد من طلبة الجامعة لدعوته الجديدة ومبادئه الوطنية البعيدة عن الزعامات التقليدية . وفي عام ١٩٣٤ كان الطلاب يشكلون اكثر من ٤٠٪ من اعضاء الحزب ، وحين داهمت الحكومة الحزب وسجنت قادته الذين اعتبرتهم خطر على الامن العام كان هؤلاء القادة محاميين وطبيباً وستة طلاب جامعيين . ومن ابرز الاسماء الطلابية التي لعبت دورا اساسيا وقتئذ من داخل اطر الحزب ابراهيم شكري ونور الدين طراف .

بين الزعامة الطلابية

بعد انتفاضة ٤٦ الطلابية ضد استمرار الاحتلال البريطاني وعشرات الضحايا والشهداء الذين قدمتهم الحركة الطلابية ستكشف ان العلاقة بين الزعامات السياسية والقيادات الطلابية لم تعد على وفاق كما كانت في السابق حتى داخل التنظيم الواحد ، وقصة الصراع بين فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ومصطفى موسى زعيم الجناح الطلابي في الوفد اصبحت معروفة وقد امتد هذا الصراع الى التنظيمات الاخرى فالجناح الطلابي داخل المجموعات الشيوعية مثل اسكرا « مثلا » هو الذي اصبح القوة الضاغطة من اجل الاتحاد مع الحركة المصرية للتحرر الوطني مهددين بالانسحاب ان لم يتم ذلك ، كما ان الصراع الذي حدث داخل تنظيم الفجر الجديد كان

كتاب الشهر

باعثه الجناح الطلابي أيضا ، حتى داخل حركة الاخوان نجد انه كان هناك وقت لم يعد حسن البنا مسيطرا على التنظيم الطلابي داخل حركته وفشل في ضبطهم وتهدئتهم . وكان ذلك قبيل مصرع سالم زكي ـ رجل الشرطة السيىء السمعة ـ كما واجه حسن الهضيبي نفس الموقف ولكنه كان اكثر حزما مُصّراً على تجاهل المطالب الطلابية طالما لم تصدر عن القيادة نفسها .

لقد تجاوز الدور الذي تلعبه الجامعة الدور الكلاسيكي للزعامات السياسية الحزبية وهو خير دليل على افلاس هذه الاحزاب التقليدية البرلمانية ، وقد بدأ شعار الوحدة الوطنية الذي كان يرفعه الطلاب اثناء مسيراتهم ومظاهراتهم غامضا بعض الشيء ، فهو عند البعض الغاء للحزبية ودعوة الى التحالف الشعبي والميثاق الوطني ـ ولكن الى اي مدى استطاعت الحركة الطلابية ان تكون الضمير الوطني والمحور الرئيسي للعمل السياسي لكافة الفئات والطبقات . ؟

ان العلاقة الجدلية بين الطلبة والعمال كانت ضعيفة ورغم تشكيل اللجان المشتركة الا انها لم تفلح ان تكون الصوت الحقيقي للطبقات الكادحة ، فلم تهتم بقضية الاجور مثلا ولم تناقش مشكلة البطالة او القضايا العمالية الأخرى . حتى انها لم تحتج على اعتقال بعض الزعامات العمالية عقب تشكيل هذه اللجنة المشتركة بقليل . ولم نشر من قريب او بعيد الى كفاح الطبقة العاملة وهذا ما ينطبق على العلاقة الطلابية مع الفلاحين فقد كانت واهنة ضعيفة ايضا . وعلى العكس من ذلك كانت العلاقة مع الطبقة المتوسطة لأنهم كانوا ابناءها وخير ممثل لها .

ورغم ذلك فقد بقيت الجامعة محور الحياة السياسية في مصر واستطاع الطلبة ان يلعبوا دورا هاما بكشف امراض مجتمعهم السياسية والاجتماعية ، وتستطيع القول ان هذه الهوة بين الطلبة وقادة الاحزاب التقليدية قد اتسعت حتى انهار النظام كله عام ٥٢ على يد الثورة الناصرية .

بين حربين

لقد ورثت ثورة ٥٢ نظاما لعبت فيه الجامعات دورا رئيسيا سواء في الحركة الوطنية او الصراع على السلطة ، ومن أجل ذلك ارادت الثورة تعزيز موقعها داخل الجامعة ، وعن طريق احتواء الجسم الطلابي . وقد تعزز هذا الاحتواء بعد ازمة ١٩٥٤ السياسية والمواجهة الساخنة مع التنظيمات الطلابية .

ولم تتطلب عملية الاحتواء اسلوبا تصفويا او قمعيا بل تدريجيا وذاتيا من خلال الانجازات القومية الاجتماعية التي حققها النظام السياسي الجديد . وقد رحب الطلبة كغيرهم من المواطنين بهذه الانجازات العظيمة للثورة كنوع من الفخر والكبرياء الوطني وساندوا الثورة لبرامجها التعليمية الفنية الموسعة وإتاحة فرص العمل امام هؤلاء الخريجين الصناعيين لانهم انفسهم كانوا يشكلون هذه الطبقة الجديدة التي كان عبدالناصر يستند عليها في حكمه . ولم يحدث اي انفصام عقائدي بين الجسم الطلابي والثورة الا عقب هزيمة ٦٧ ، وتوقف الخطة الصناعية عن العمل بسبب الجهد والمصروفات العسكرية . لقد كان هذا الانشقاق اشبه بانفصام الشخصية لجيل عاش منجزات الثورة في ذاكرته وشاهد الهزيمة وبعينه .

وكان من اهم نتائج انتفاضة ٦٨ وطنيا وجامعيا اصدار بيان ٣٠ مارس الاصلاحي ، وتمهيد الطريق في الجامعات لازالة بعض القيود التي كانت تعيق حركة الهيئة الطلابية ونشاطها ، كرفع الرقابة عن مجلة الحائط الجامعية . ولم يعد حرس الجامعة يتدخل في النشاط السياسي الطلابي .

وبعد حرب ٧٣ وجدت الحركة الطلابية المصرية نفسها في موقف التصدي لاتجاه النظام نحو واشنطن

بحثا عن حل سياسي وكان لهذا التحول اثره الكبير في السياسة والاقتصاد ، الامر الذي دفع الطلبة لاتخاذ مواقف اكثر حدة وعمقا . وقد برزت خمسة تيارات على سطح الجسم الطلابي آنذاك . اليسار الماركسي واليسار الناصري ، والاسلاميون الاصوليون ، واليمين الذي كان يرحب بهذا الاتجاه الجديد ، ويطالب بالمزيد من الانفتاح ، ثم اعوان النظام الذين كانوا يتظللون بشعارات انتصار اكتوبر .

لقد قاد اليسار حملة المعارضة لهذه الاتصالات الجديدة مع واشنطن بدأ بتنظيم المعارضة التي تدين الامبريالية الامريكية ، واقامة الندوات لنصرة الثورة الفلسطينية في كافة الكليات والجامعات ، ثم انتقلت راية المعارضة الطلابية الى التيارات الاسلامية التي استطاعت ان تسيطر وتصبح القوة المحركة الوحيدة ، خصوصا بين ١٩٧٧ ـ ١٩٨١ وزيادة ذلك بفوزها الساحق في الانتخابات في مصر وكان لاندلاع الثورة الايرانية وقتها وزيارة السادات الى القدس ان اشتعل الموقف السياسي في مصر ، ولو ألقينا نظرة على اعتقالات سبتمبر ٨١ لوجدنا اكثر من ٦٠٠ طالب كانوا ضمن المعتقلين .

كان للثورة الناصرية تأثير كبير على نظام التعليم في مصر ، فلأول مرة في تاريخ العالم الثالث تفتح الجامعات ابوابها امام الطموحات الفردية غير متوازنة مع القدرة التنموية للدولة . فهذا السيل الجارف من الخريجين لابد له من فرصة للعمل ، وقد تأثرت لأكثر من سبب داخلي وخارجي بحكم واقع الثورة المصرية كرأس الحربة للتصدي للامبريالية والصهيونية . ولكن هذا لا يعطي الحق لبعض هذا الجيل ان يَعُضّ اكتاف آبائه . ان الشباب المثقف هو فخر أمته وزهوها انه الشريان المفكر والنهر الجامح طموحا واقتدارا قد تحتويه الأنظمة ، وقد تروضه لكنه ابدا يبقى الطهارة والجرأة الضروريتين لصنع القرار السياسي ، والشباب المصري المثقف كأخوانه من الشباب العربي لم يكن بعيدا عن مجرى الاحداث الوطنية بل كان دائما في قلب الحدث مشاركا ومناضلا ـ وهكذا كانت الحركة الطلابية المصرية في قلب الحركة الوطنية . □



العرب وكروية الأرض

آمن العرب بنظرية كروية الأرض ، ونادى بذلك أكثر من واحد من الجغرافيين العرب ، مثل ابن خرداذبة وابن رستة وغيرهما ، فابن خرداذبة يقول : « ان الأرض مدورة كتدور الكرة ، موضوعة في جوف الفلك » .

أما ابن رستة فيقول : « إن الله ـ جل وعز ـ وضع الفلك مستديراً كاستدارة الكرة ، أجوف دواراً ، والأرض مستديرة أيضاً كالكرة ، مصمتة في جوف الفلك

أما المسعودي فيقول : « ان الشمس اذا غابت على بحر الظلمات ، كان ظهورها بعد ذلك على شواطيء الصين الشرقية .

ذلك في الوقت الذي كان فيه الغرب منقسماً على نفسه في العصور الوسطى حول موضوع كروية الأرض .

وقد دفع ذلك كاتباً مثل ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) الى أن يتنبأ باحتمال وجود أرض جديدة في المحيط الأطلنطي ، ومما قاله « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من تلك الجهة ، ولا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى ، والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه وبالله التوفيق » .

ضرورة النقد الذاتي للحركات الإسلامية

تأليف : خالص جلبي عرض وتحليل : د . أحمد محمد كنعان

طرح الفكر الاسلامي المعاصر نفسه في صورة فكر وحركة ، ووضع أمامه هدف تغيير المجتمع وتولي قيادته ومع كل الاخلاص الذى اندفع به العمل الاسلامي فقد عجز عن الوصول الى هدفه مما يستدعي إعادة الدور الفعال للنقد الذاتي في حياتنا الفكرية : باعتباره مفهوما اسلاميا اصيلا

يقع الكتاب في ٣١٢ صفحة من الحجم المتوسط ، وقد قسمه المؤلف الى مقدمة وثلاثة فصول ، فتناول في المقدمة مجموعة من الأفكار التي تعتبر العمود الفقرى للكتاب ، أما الفصل الأول فقد خصصه للحديث عن مبررات النقد الذاتي ، وتحدث في الفصل الثاني عن وجه الممارسة لمبدأ أو فكرة ما ، من خلال مفهوم النقد الذاتي ، ثم تحدث في الفصل الثالث عن التطبيقات

لماذا النقد الذاتي ؟

ركز المؤلف في الفصل الأول على أهمية النقد الذاتي لأنه وحدة أساسية من وحدات العمل المتكامل وهي (التصور ، الممارسة ، النقد الذاتي) ولأنه يعيد ربط النتيجة بالسبب . فالكون كله يخضع لسنن الله في الخلق ، وهذه السنن لا تتبدل ولا تتحول ، وقد أشار المؤلف الى أن أبحاث البشر قد تطورت كثيرا في القطاع المادى والبيولوجى ، أما الابحاث التي تناولت (سنة التاريخ) فما زالت ضحلة مهترة وغير واضحة ، الى جانب أن الاراء فيها متناقضة ، فقد اتجهت جهود المؤرخين نحو تسجيل الحوادث فحسب ، وبهذا كان الخطأ مضاعفا ، فقد تجمعت لدينا كومة من الحوادث التي تحتاج الى تحليل ، وبغياب أداة التحليل (وهي فهم التكوين الداخلي للتاريخ . أو سننه) فقد تعذر فهم التاريخ فهماً صحيحاً ، كما ان الذين دونوا التاريخ أعطوا الجانب السياسي وتاريخ الملوك والحروب جل اهتمامهم ، وأغفلوا الجوانب الاجتماعية وحركة العقل الانساني عبر العصور . أما في العقود القليلة الماضية ، فقد بدأ يسمو اتجاه جديد لفهم قانون

التاريخ ودورات الحضارة ، وهذا ما لاحظه المؤلف وخاصة في الغرب » ، ولا بد من الاشارة هنا الى أن العلامة المسلم (ابن خلدون) كان رائدا في هذا الحقل ، حين قدم محاولته الرائعة في دراسة التاريخ ، وحاول فيها كشف سنن التاريخ وقوانينه ، انطلاقا من المفاهيم الجديدة التي قدمها القرآن الكريم الذى ركز كثيرا على سنة التاريخ

وقد أسهب المؤلف في تناوله لسنة التاريخ ، وعرض بعض الحقائق التي تتعلق بفكرة السنة ، مستشهدا لذلك بكتاب « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » لمؤلفه « باقر الصدر » رحمه الله .

ثم تحدث المؤلف عن علاقة السنة بتطور العقل البشرى على مدار التاريخ ، فأورد أمثلة من قصص الأنبياء عليهم السلام ، والذين كانت دعواتهم تنتهي بإهلاك أقوامهم الذين كذبوا بآيات الله ، ويقول : « كانت هذه السنة تتكرر بعد يأس النبي ، ثم دعاؤه أخيرا على قومه بالهلاك » ، وببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حدث تطور مهم في أسلوب الدعوة ، اذ كانت هذه البعثة المباركة تأكيدا على استخدام العقل كأداة للايمان ، ومن ثم الاقلاع عن استخدام المعجزة كأسلوب مباشر ورئيس للاقناع ، وبهذا تغيرت صورة انتصار الدعوة بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تعد تنتظر النصر بالتدخل الالهي المباشر ، بل النصر من خلال سنة الله في الخلق

جدلية الزوجية

والنقد الذاتي يخصب جو الحركة ضمن جدلية (الزوجية) باعتبار أن الزوجية هي قاعدة الوجود التي ينطلق منها النمو والتكاثر ، فتزاوج فكرتين بشروط الزوجية يخصب العلاقة بذرية جديدة صحيحة البنية من الأفكار ، بشرط أن تصدر هذه الأفكار عن شخصين عاقلين ، والله سبحانه وتعالى قد خلق الناس مختلفين ، لأن في الاختلاف تفاعلا وصحة وخصوبة ونشدانا لصورة الحق

وكما أن الحوار وتبادل الاراء ـ أى أسلوب النقد الذاتي ـ هو زوجية الفكر ، فان الصممية هي عقم هذا الأسلوب ، ونلاحظ مثل هذه الصممية عندما يعيش المرء في بيئة تتكلم بغير لغته ، أو عندما يتحاور شخصان لكل منهما ثقافة تختلف عن ثقافة الاخر

وفي النقد الذاتي أيضا التفات إلى « العامل الداخلي » الذى له أهمية حاسمة في ولادة الاحداث ولقد ركز المسلمون انتباههم حتى الان على خصومهم ، وحددوا أنفسهم من المشكلة ، أى أن العامل الخارجي هو المتهم حتى الان ، مع العلم بأن العامل الداخلي هو الأصل في ولاده الأحداث فالنخر الداخلي هو الذى يؤدى إلى سقوط الغصن عن الشجرة ، و« إسرائيل » مازالت تعيش بيننا بسبب تناقضات الوسط العربي ، والخلافة الاسلامية لم تنهر على يدى « أتاتورك » إلا بسبب ضعف هذه الخلافة وشيخوختها ، والحضارات تنهار بانتحارها الداخلي أو انحلالها

ومن هذا المنطلق ينتقل المؤلف ليتناول ظاهرة الاستعمار ، فيرجعها إلى العامل الداخلي الذى يستعير وصفه من المفكر الاسلامي « مالك بن نبي » رحمه الله حيث دعاه (القابلية للاستعمار) ، فالشعوب يستعمرها الاستعمار ليس بسبب قوته ، بل بسبب الضعف الداخلي لهذه الشعوب

والمؤلف يرد هذه الظاهرة النفسية إلى العلاقة بين سلوكين بشريين مختلفين هما (الاستكبار) و (الاستضعاف) ، ويقول . « إن الاستضعاف هو الذى يولد على الطرف الآخر الاستكبار ، ويقود إلى حالة التأله الكاذبة عند المستكبر » ، ومن هنا كان إصرار القرآن على تثقيف الانسان ضد هذا المركب حتى لايسقط فيه ، وقد رد القرآن الكريم هذه الظاهرة إلى (النفس) ومن ثم فإن التحرر من هذا المركب النكد لا يكون إلا بالايمان الذى يحرر النفس من الهوى ، ويعرف الانسان ماله وماعليه ، وهذا التحرر يتقدم وفق مراحل هي تعلم الاسلام ، والخروج من طاعة من يأمر بمعصية ، ومنع الآخرين من ممارسة الظلم .

وفي النقد الذاتي تدريب على توجيه العقل وقيادته لتكوين الأحكام الصحيحة ، ويرجع المؤلف ضعف روح النقد الذاتي في صفوف الاسلاميين إلى الضعف في تركيب عقليتهم ، وذلك لاعتمادهم الروح (النقلية) وعدم اهتمامهم بالروح (النقديه) ويشير إلى أن ابن خلدون كان من أوائل الذين اعتمدوا

العقلية النقدية في تناول أحداث التاريخ ، وهو الذي نبه إلى أن مجرد النقل لا يكفي فيها . غير أن المسلمين ـ للأسف ـ لم ينتبهوا إلى هذه التجربة في تاريخهم ، ولم يعطوها الاهتمام اللائق بها .

جدلية كيف ولماذا ؟

يبين المؤلف في الفصل الثاني أن ثمة علاقة جدلية ما بين « لماذا » و « كيف » أو بين مبرر العمل وممارسة هذا العمل ، فالمبرر يدفع الى الممارسة ، والممارسة تؤدي إلى إيضاح وتعديل الحركة ، ووضع قوالب تدفع بعملية الفكر إلى الأمام . ومن هذا المنطلق يتطرق المؤلف إلى موضوع (العنف) باعتباره إحدى الممارسات التي لجأت اليها بعض الجماعات الاسلامية بهدف التغيير ، ويريد المؤلف هنا أن يوضح وجه الخطأ في هذه الممارسة ، فيؤكد أن علاقة الانسان بالانسان يجب أن تقوم على الحب والدفع بالتي هي أحسن ، وعلى الدعاة أن يعتمدوا الاقناع في سبيل التغيير ، لا أن يحاولوا استخدام القوة ، لأن التغيير يعني تبديل القناعات ، وهذا يأتي عن طريق الفهم لا عن طريق القوة ، ويذكر المؤلف مثالا من التاريخ الحديث ، وهو أن الجماعة الاسلامية في مصر أرادت أن تحمي نفسها فاخترعت (النظام الخاص) حاسبة أنه سوف يحميها . فقضى عليها !

وفي الفصل الثالث تناول المؤلف عدة مواضيع ، مرتكزا في عرضها على النتائج التي انتهى إليها في الفصلين السابقين ، فتطرق إلى العلاقة ما بين النص (الآية أو الحديث) والعقل ، فبين أننا في مواجهة النص نتعرض لمشكلة ذات شقين ، أحدهما (نفسي) حين يلجأ بعض الناس إلى إمالة النص مع هوى النفس ، والآخر (عقلي) ينشأ عن تفاوت أفهام الناس ، وبناء على هذا يتوجب علينا فصل النص عن الشخص لتجنب الهوى أو سوء الفهم ، إذا أردنا الوصول إلى فهم موضوعي للنص ، ولابد مع هذا من توفر ثقافة معينة للاستفادة الصحيحة من النص ، وليس اختلاف تفاسير القرآن الكريم بين القديم والحديث غير أثر لاختلاف ثقافة المفسرين ، وتفاوت قدراتهم على الادراك .

كما ينبه المؤلف إلى ملاحظة أن تطور البشرية وتطور مشكلاتها قد ولدا أفكارا واتجاهات جديدة ، ولهذا فإن التفاسير الحديثة للقرآن الكريم التي تفسر النصوص على ضوء هذا التطور ، تتمتع بحيادية خاصة في أيامنا الحاضرة ، أكثر مما تتمتع به التفاسير القديمة التي كتبت لعصر ذي مشكلات ومفاهيم من نوع آخر . ولا يعني المؤلف ـ بطبيعة الحال ـ تطليق التراث ، بل هو يدعو للاستفادة منه وفق هذا المنظور ، أي من خلال حركة العقل النقدية ما بين التراث ومعطيات الحاضر .

كما يرى المؤلف أن الجمود المسيطر الآن على الساحة الاسلامية الذي يتجلى بالتركيز على نصوص مخصوصة ، وفهم هذه النصوص فهما جامدا لا يكاد يتغير ، قد حوّل الدين من قوة منمّية للحياة ، وفكر متطور يضع القواعد المنهجية لحل المشكلات المختلفة . إلى نوع من الكهنوت الجامد ، بحيث يظهر وكأن القرآن الكريم ينكمش على نفسه ، ويمكن أن يقال الكلام ذاته عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فالحديث ـ وإن كان متنه صحيحا ـ فإنه يمسخ من ناحية استعماله ، وهذا ما دعا المؤلف لاقتراح مصطلح جديد في الحديث أسماه (وضع الاستعمال) وذلك للخروج من مشكلة الفهم الجامد للنص .

حمى الانقلابات

ويرى المؤلف أن النظرة السلبية للتراث قد أصابت عقليتنا الحاضرة بمرض عدم الفعالية ، لأن ثقافتنا مازالت تخضع لوعي انتقائي معين ، وامتصاص ثقافي خاص ، وتمثل للحياة مختلف . مما كبّل إرادتنا بتصور مؤداه أن علينا انتظار عوامل خارجية للتغيير ، ونغفل عن القوة التي هي بين أيدينا ، والتي تتمثل بالتراث ، وبأنفسنا التي منها ينبع كل تغيير .

ولقد أدى تحول الأوضاع سريعا في العالم الاسلامي ودخول المنطقة (حمى الانقلابات) إلى تبني الاسلاميين للعنف ، أو خلق مناخه على أقل تقدير ، والمؤلف يقف بإصرار ضد العنف ، ويؤكد أن تلوث الوسط بألغام العنف جعل الذين لا علاقة لهم بالقضية يدفعون بعض الثمن .

ومن جهة ثانية . فإن التحول السريع المفاجيء في الأوضاع السياسيه قد دفع الحركة الاسلامية للاحتفاء والعمل السرى من أجل حماية أفرادها ، وبهذا انفصلت الحركة عن جماهير الامه ، وخسرت الرأى العام الذي يشكل رصيدها الرئيس

ثم تناول المؤلف تحت عنوان (بحث في مرض الجماعات) بعض الأمراض التي أصابت الجماعات الاسلامية ومنها

تعدد الجماعات الاسلامية واختلافها وهو يرجع هذا المرض الى اختلاف النظر في نصوص القرآن والسنة ، كما سبق أن ذكرنا في علاقة النص بالعقل ولئن كان المؤلف لا يعترض على وجود اتجاهات متعددة مادامت تسير لهدف واحد ، إلا أنه يحذر من خطر النزاع ، والاتهام بالنوايا ، لأنه يحول دون إمكانيه التحاور والبحث عن حل

ومن أمراض الجماعات الاسلامية يذكر أيضا تبني هذه الجماعات الفهم الشمولي الانقلابي للتغيير على طريقة الأنبياء عليهم السلام ، ويقول ان هذا الأمر حسن اذا ما أعدّت له عدته ، وإذا ماقام على جهد مكافيء من الدراسة والنشاط غير ان ما حدث هو أن المسلمين وضعوا لأنفسهم مثلا أعلى لا يستطيعون الوصول اليه ، فوقعوا من جراء ذلك في حرج شديد ، اذ أصيبوا بالاحباط ، ومال أكثرهم الى الانعزال ورفض الواقع الحالي الى درجة الكراهية ، وما لفظ (الجاهلية) الذى أطلقه بعضهم على المجتمع غير واحد من إفرازات هذا الوضع .

وقد ذكر المؤلف أيضا من امراض الجماعات (التنظيم . والسرية والعنف) ففي مجال (التنظيم) أوضح أن الاسلام يشكل في عالمنا الاسلامي ثقلا تاريخيا تصعب مواجهته ، ولهذا يلجأ بعض الحكام في المنطقة الى مداورة شعوبهم ، والتظاهر بالاسلام ، لاعن قناعة بالاسلام ، بل تملقا ، ثم يلجأون الى محاربة الاسلام من وراء ستار ، فيعمدون الى مطاردة المسلم من خلال اطار التنظيم ، وليس من خلال محتوى التنظيم (الاسلام) فيدور التحقيق في منطقة ضعف المسلم ، لا في منطقة قوته ، ويرى المؤلف أن الخروج من هذه الدوامة يتطلب أن نتقدم بصراحة لاعلان ديننا في بلاغ مبين ، لكي نجعل التحقيق يدور ضمن طبيعة الصراع العقائدى ، بعيدا عن متاهات (التنظيم) ، ولكي يظهر للرأى العام أن الخصم إنما يحارب الاسلام ، ولا يحارب أشخاصا أو مجرد تنظيم وبهذا يخسر الخصم أكبر قدر من المشاعر والعطف الاسلامي ، بينما تلتحم الجماهير المسلمة مع المناضلين

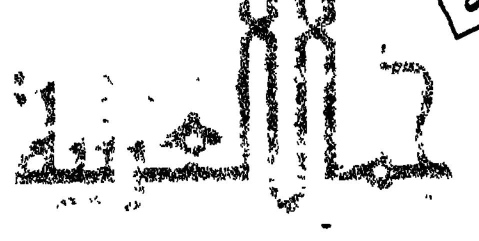
السرية

ويتطرق المؤلف بعد هذا الى موضوع (السرية) فيقول « قناعتي فيما يسمى بالتنظيمات السرية انها خرافة ، لأنه لا يمكن في مواجهة سلطة عاتية غاشمة ، وأساليب تعذيب متنوعة ، أن يصمد أي تنظيم سري » ويوضح أيضا أن طبيعة العمل الاسلامي (الذى يبتغي الانتشار الواسع ويمتاز بأنه عمل تربوى طويل الأمد) تخالف مقتضيات العمل السرى ، وهو يفند دعوى بعض الجماعات التي أرادت العمل عمداً (سرية التنظيم وجهرية الدعوة) لأن الجهر بالدعوة يعني تصعيد الفعالية ، وهذا التصعيد يشكل خطرا كبيرا على التنظيم ، ويرى المؤلف أن الخروج من هذا المأزق يتطلب أن يسير العمل الاسلامي وفق فكرة (الكتلة الحرجة) ، أى تشكيل كمية كافية من الناس والمؤسسات والرأى العام ، وتمليح المجتمع بالأفكار الى قدر معين ، بحيث يتحول المجتمع سلميا الى الصيغة الجديدة التي نبتغيها ، وهذا الشكل من التنظيم (الهلامي) سوف يجعل القضاء عليه مستحيلا .

أما عن استخدام (العنف) فقد نبه المؤلف أولا الى الفارق بين (الوظيفة الاجتماعية) و (الوظيفة الفردية) في الاسلام ، ويقول ان الجهاد المسلح يرتبط بالوظيفة الاجتماعية التي هي من مسؤولية الدولة لا من مسؤولية الأفراد أو الدعاة ، ومن ثم لا يصح ان تتحول الدعوة لتصبح دولة تقوم بالجهاد المسلح وإراقة دم الناس ، أو استحلال هذا على الأقل . .

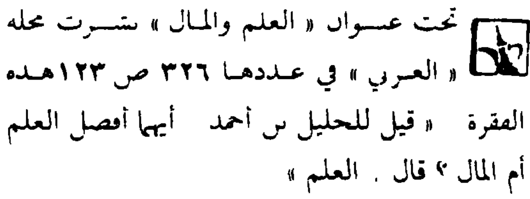
وينتهي المؤلف إلى أن المشكلة الآن في العالم الاسلامي ليست في توفر الاخلاص للاسلام ، فهذا الاخلاص متوفر والحمد لله ، ولكن المشكلة تكمن في كيفية تنفيذ هذا الاخلاص ، أى في الفنية والصواب لتحقيق الهدف □

لغة



بقلم : محمد خليفة التونسي

أيُّهَا وأيُّهمَا



تحت عنوان « العلم والمال » نشرت مجلة « العربي » في عددها ٣٢٦ ص ١٢٣ هذه الفقرة « قيل للخليل بن أحمد أيها أفضل العلم أم المال ؟ قال . العلم »

وقد جاءنا تعقيبان على هذه الفقرة أحدهما من السيد محمد أحمد ابراهيم (درعا/ سورية) والثاني من السيد عمر هاني (بغداد/ العراق) ، وكلاهما يشيران الى أن استعمال « أيُّها » في الفقرة خطأ ، وان الصواب « أيُّما » ويطلب المعقب الثاني بيان معاني « أي » ومواضع استعمالها

ونحن نرى أن استعمال كلتا الكلمتين هنا جائز ، كما سنبين ، أما « أي » فأنواعها وفقا لمعانيها خمسة ، وكلها مبهمة ملازمة للاضافة ، صالحة لكل أمر محسوس أو معقول ، وهي تكون

١ ـ استفهامية ، كقوله تعالى في قصة سليمان والأميرة السبئية أيُّكم يأتيني بعرشها ؟ وقولنا . « هذه بيوت مريحة . فأيَّا تسكن ؟ » .

٢ ـ شرطية ، كقوله تعالى « أيَّما الأجلين قضيتُ فلا عدوان على » وكقوله تعالى « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » .

٣ ـ موصولة ، كقولنا : أحترم نوابغ الشعراء وأحب أيَّهم هو أصدقُ فنا » (أي الذي هو أصدق فنا) وقولنا « أطالع كل كتب الفلسفة ، وأفضل أيًّا هو أوضح عبارة (أي الذي هو أوضح عبارة)

٤ ـ نعتية (ويكون منعوتها نكرة أو معرفة) كقولنا « الشريف الرضي شاعرٌ أيُّ شاعر » وقولنا « يعجبني الشجاع أيَّ الشجاع »

٥ ـ حالية (ويكون صاحب الحال معرفة) كقولنا · « تعجبني خطب الامام على ، أيَّ خطب بليغة »

والأنواع الثلاثة الأولى (الاستفهامية ، والشرطية ، والموصولة) ملازمة للاضافة معنى ، وقد تضاف لفظا أيضا ، كما في أمثلتها السابقة ، والنوعان الأخيران (النعتية والحاليه) ملازمان للاضافة معنى ولفظا معا ، كما في أمثلتها السابقة .

وهناك نوع سادس هو « أيُّ » التي تستعمل وصلة لنداء ما فيه « أل » مهما يكن جنس المنادى وعدده ، كقوله تعالى في مخاطبة النبي « ياأيها المدثر ، قم فأنذر » وقوله: « يا ايها الناس اتقوا ربكم »، وقوله « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » ، و « أي » في هذه الأمثلة الندائية ونحوها مبنية وليست مضافة إلى « ها » لأن « ها » ليست ضميرا ، ويبدو أنها مجرد أداة تنبيه صوتية كما هي في أسماء الاشارة (هذا ، هذه . .)

ونعود الى الاستفهامية لأنها الموضوع المُشترك بين التعقيبين . لا خلاف في حوار « أيُّما أفضل : العلم أم المال ؟ » ونحو هذا المثال . ولكن علينا أن نلاحظ أن

المقصود هنا « أيّ » وأنها ـ وهي استفهامية ـ لابد أن تكون مضافة معنى (أي منقطعة عن الاضافة اللفظية) أو معنى ولفظا معا ، كما لاحظ النحاة وأشرنا اليه سلفا ، و « أي » هنا مضافة معنى ، وليست مضافة لفظا إلى « ما » وأن « ما » كالخبيئة والطرفة للتوسع في التعبير ، وكان يمكن أن نقول « أيٌّ أفضل العلم أم المال » فما الجديد في قولنا « أيهما » هنا ؟

الجديد هو إضافة « أي » لفظا إلى الضمير «هما» « فهل ظهور الضمير هنا يجعل العبارة خطأ ؟ ولماذا ؟

يرى بعض النحاة أن الضمير هنا يعود على متأخر ، وان هذا الموضع ليس من المواضع التي يجوز عود الضمير فيها على متأخر ، كأنهم استقرءوا كل هذه المواضع ، وكأنهم لم يجدوا شاهدا فصيحا وردت فيه مثل هذه العبارة « أيهما أفضل العلم أم المال؟ » ، كما انهم لم يجدوا لها منفذا لغويا

أما الشواهد فحسبنا منها كلمة للنبي قالها عقب فتح خيبر وقد عاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب وآخرون الى المدينة ، وكانوا قد هاجروا إلى الحبشة ، وقد نقلها ابن هشام في سيرته ، وكلمة النبي يومئذ « ما أدرى بأيّهما أنا أسرُّ . بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ »

وفي نهج البلاغة للامام علي ، أنه سئل « أيهما أفضل العدل أم الجودُ ؟ »

وفي الأمالي ... عن القالي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب « أيُّهما أطيب : العنب أم الرطب ؟ » فأرسل عمر الى خيبر بالفواكه (ان حثمة) وسأله « أيُّهما أطيب · « الرطب أم العنب » ففضل الرطب وهناك أكثر من منفذ لصحة العبارة ، والأوسع والأقرب منفذ بلاغي ، وهو الاغماض

فالايضاح ، أو الاجمال فالتفصيل ، فالغموض يثير في النفوس الشوق الى المحتجب وراءه ، ويغريه بالتطلع اليه [1] وظهور الشيء بعد غموضه أوقع في الفكر والشعور ، وذلك شائع في لغات أخرى ، فيأتي الضمير في عباراتها سابقا لما يدل عليه فيثير الشوق والتطلع اليه ومن ذلك في لغتنا

١ ـ الضمير يقع مبتدأ يفسره اسم ظاهر كقوله تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » وقوله « قل هو الله أحد »

٢ ـ الضمير بعد (رُبّ) يفسره تمييز كقولنا « رُبّهُ رجلا يغني في الأزمات عن رجال » ، وقول الشاعر رُبّه فتية دعوت إلى ما

يورث المجد دائبا ، فأجابوا

٣ ـ ضمير الشأن او القصة يفسره ما بعده ، كقولنا « اعلم أنه لا إله إلا الله » وهناك مواضع اخرى كما في قول الشاعر

كسا حلمُه ذا الحلم اثواب سؤددٍ
ورقّى نداه ذا الندى في ذرا المجد

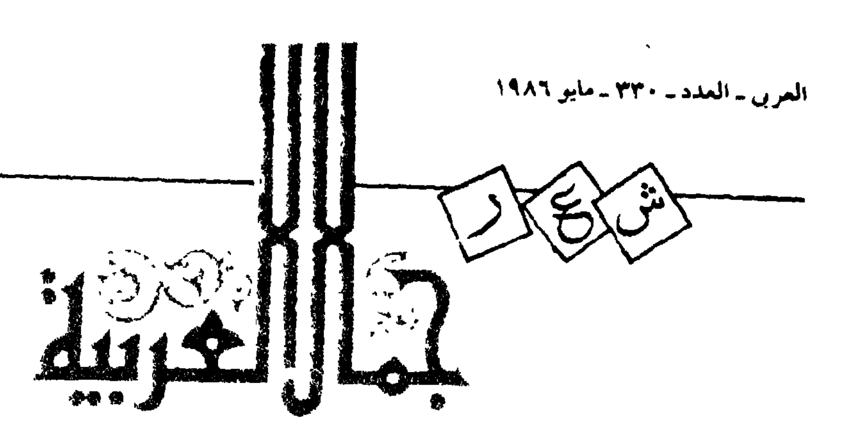
ويمكن أن نعدّ من الشواهد قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات ، فالضمير « هن » في الآية يعود على ما بعده ، لا ما قبله وهو السماء ... فسواء هنا ظهر الضمير فقول أيّما أفضل . العلم أم المال ؟ » أو نقول . أيهما أفضل ؟ » أو « أيٌّ أفضل » كذلك نقول · ايّ أشعر ، أبو تمام ، أم البحترى ، أم المتنبي ؟ كما نقول أيّ ، أو أيّما ، أو أيّهن كانت أعظم معونة للنبى من زوجاته · خديجة أم عائشة أم مارية ؟

وما قلناه في أيّ الاستفهامية نقوله في أي الشرطية ، وأيّ الموصولة ولكن موضوعهما يحتاج الى تفصيل وأمثلة أخرى . □

---

(١) وهذ ما تنتهجه فطريا بنات أمنا حواء ، في صدودهن تيها ودلالا ، وهو ما يسعي لهن في خفرهن واحتجازهن بحكم أنوثتهن ، وأدركه شاعرنا بشار الضرير ، فقال من أرجوزة له .

سقّيا لأسماء ابنة الأشدّ	قامت تراءى اذ رأتني وحدي
صدّت بخدّ ، وجلت عن خدّ	ثم انثنت كالنفس المرتدّ



هكذا غنى الآباء

شكوى الزمان

لأبى الطيب المتنبى

اسمه أحمد بن الحسين · من أشهر شعرائنا العرب ، وله كثير من شعر الحكمة والأفكار وق-: البديعة ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ وبها نشأ ، أعرابها ، واتهم حالبادية واكتسب المصا- ـة من .. الك بانه ادعى النبو (ولهذا لقب المتنبى) ثـ- . .. من السحن جال فى بلاد الشام يمدح الرؤساء والأمراء وبعض العامة حتى التقى بسيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، واستقر عنده سنوات ، ثم تركه عاتبا غاضبا وقصد مصر وهى تحت حكم كافور الاخشيدى ، وبعد سنوات تركه هاربا منه وهو ينقم عليه ، واتجه إلى فارس قاصدا عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه هناك فمدحه ، كما مدح وزيره الأديب ابن العميد ، ورجع الى العراق بأموال كثيرة ، وفى طريقه قرب بغداد خرج عليه جماعة من البدو ، كان قد هجاهم هجاء مقذعا فقتلوه هو وابنه محسّدا ، ونهبوا كل ما معه سنة ٣٥٤هـ .

والمتنبى احد شاعرين فى تراثنا ، تكثر فى شعرهما الحكمة ، ولذلك يوصفان بالحكيمين ، والثانى أبو العلاء المعرى ، ولكن المتنبى كان حكيما فى كلامه فحسب ، فهو حكيم لغيره لا لنفسه ، ويخالفه المعرى فى ذلك ، كما أنهما يمثلان الطبيعة العربية خير تمثيل : من وجهة عملية ، والمعرى من وجهة نظرية ويكاد... في اهم نظراتهما الى الحياة وان اتفقا فى الشكوى من ... المعري يقول شاكيا :

تعب كلها الحياة فما
الا من راغب فى ازدياد

فيدعو إلى الزهد فيها تباعدا عن متاعبها والمتنبى يشكو قسوتها ولكنه يدعو الى الاقدام على مصاعبها فالموت نهايتها على كل حال ويهونه بان الانسان لا يحس قبل حلوله ، ولا بعده ، كما قال هنا .

وقد نظم المتنبى هذه القصيدة فى مصر ولم ينشدها كافورا .

(*) انظر هذه القصيدة فى العدد الماضى ٣٢٩ - ابريل ١٩٨٦ (ص ١٩٧)

صَحب النـاسُ قـبلنـا ذا الـزَّمـانـا وَعنـاهُـمْ مـنِ شـأنـه مـا عَـنـانـا(١)

وتـوَلَّـوْا بـغُـصـة كـلُّهـم مـنْـــــ ــه ، وإن سـرَّ بـعضـهـم أحيـانَـا(٢)

ربمـا تحـسـن الـصـنيـعَ لَـيـالـيـــ ــه ، ولـكـنْ تـكـدِّر الاحـسـانـا(٣)

وكـأنـا لم يـرض فـينـا بَـريْـبِ الـدَّ هْـر حـتى أعـانـه مـن أعـانـا(٤)

كـلَّما أنـبـتَ الـزمـان قـنـاةً ركَّـبَ المـرء فى الـقـنـاةِ سِنـانَـا(٥)

ومـراد الـنـفـوس أصـغـر مِـنْ أنْ تـتـعـادَى فـيـه ، وأن تَـتـفـانى(٦)

غـير أن الـفـتَى يُـلاقِـى المـنـايَـا كـالحـاتِ ، ولا يُـلاقِـى الهَـوانـا(٧)

ولـو ان الحـيـاةَ تـبـقَـى لحـىٍّ لـعـددنـا اضـلَّنـا الـشـجـعـانَـا(٨)

وإذا لم يـكـنْ مـن المـوتِ بُـد فـمن الـعـجـرِ أن تـكـون جبـانـا(٩)

كـلُّ مـالم يكن ـ من الـصـعب فى الأنـ ـفـس ، سـهل فيـهـا اذا هـو كـانا (١٠)

---

(١) السابقون اهتموا بالزمان كما بهتم نحن به ، وقد شعلهم ما يشعلنا منه

(٢) ودهبوا وكل منهم يحس عصة من آلامه وخيبة آماله ، وان أحس السرور أحيانا

(٣) قد تنعم لياليه بالخير ، ولكن نعمها لا تسلم من الكدر ، وقد تسلب بعد ذلك

(٤) ريب الدهر · احداثه : كأن الزمان لايكتفى فينا بشدائده ، فيسلط بعضنا على بعض بالتنازع .

(٥) القناة عمود الرمح ، والسنان طرفه المدبب ، أى كلما حدث خير أو بليةَ لانسان جاء غيره فجعلها وسيلة شر

(٦) مطالبنا من حطام الدنيا وطيباتها أحقر من ان يعادى بعضنا بعضا فيها ويهلكه بسببها .

(٧) المنايا جمع منية ، وهى الموت وكالحات . عابسات اى إن الحر يحتمل الأهوال ويقبل عليها حتى الموت ولا يرضى بالذل .

(٨) لو كانت الحياة تدوم لحى لكان من الضلال ان يقدم الشجعان على الاخطار المهلكة .

(٩) اذا حق الموت دفاعا عن الكرامة فمن العار أن نجبن .

(١٠) الموت صعب على النفس ، ولكنه سهل بعد وقوعه ، لأن الميت لايحسه

أين الصديق ؟

أيـن لي بـامـرئٍ ، اذا أنـا أحـسـنـت الـيـه أمِـنـتُ سـوءَ الجـزاءِ

انـني لـو كـسـبتـه لـكـفـاني حـاجَـتي في الحـيـاةِ لـلأصـدقـاء

لي فـؤادي حـبٌّ ، اريـد لـه أهـــــلاً ، لأسـعـى لـه بـه فى سـخـاء

أنـا أصبُـو الى صـديـق ، ولـكـنْ أيـن لي بـالـنـبيـل مـن خـلطائـي .

(من « رباعيات التونسي » م.خ.ت)

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٣٠
مــايــو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
قيمة كل تشجيعية منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يونيو ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون



١ ـ هذه صورة سترة موشاة بالذهب والأحجا الكريمة ، درج على استعمالها فى الماضى أحد الشعوب العريقة فى التاريخ .. وذلك كستر للموت ، وقد سمّوها الجنازة .. فأى شعب هذا

* الازتك * الهنود * الصينيون

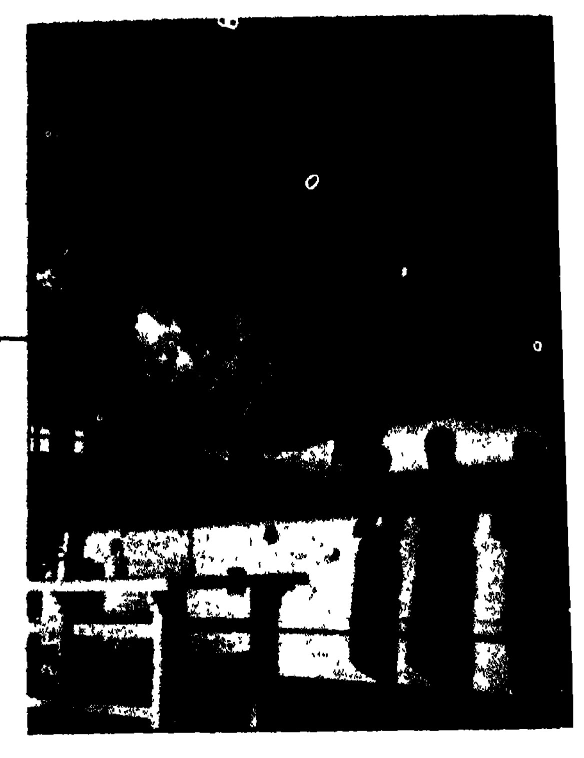
٢ ـ ثمة حشرة ... جدا .. تسمى فى لبن السكّيت ، وفى دمشق ال... ، وفى العـ... النجرس أو النقرس .. ترى ما الاسم ... السلف الصالح على هذه الحشرة ؟

٣ ـ إقامة « الملحق بعائل » هل العبارة صواب خطأ ؟ علّل .

٤ ـ ساعات الكوارتس أكثر ضبطا للوقت الساعات العادية .. ترى ما القطعة الموجو الساعات العادية والتى حل محلها الكوارتز ساعات الكوارتس :

* البندول * ابرة * زمبرك

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٣٠



٥ ـ صورة تمثال : من هو .. ؟ وأين يوجد .. ؟ وأى المذاهب يقدس هذا التمثال ؟

٦ ـ مالفرق بين الزيتون الأخضر والزيتون الأسود ؟* الفرق نوعى .. فهما فصيلتان مختلفتان وبذورهما مختلفة ..
* الفرق عرضى .. فقد يقطف الزيتون وهو أخضر وقد يترك حتى ينضج فيتحول لونه الى الاسود ..
* الفرق بيئى .. ومرده الى التربة والماء وما الى ذلك من عوامل .

٧ ـ تنظر إلى النجوم فى ظلمة الليل فيبدو لك أن ضوءها يتلألأ .. لماذا ؟

٨ ـ قال فؤاد ردا على سؤال صديقه : السيدة ليست جدتى ولا عمتى ولا ابنتى .. وليست خالتى كذلك ، علما بأنها أخت خالى ..
فما علاقة السيدة بفؤاد .. ؟

٩ ـ بلغ طول سياج الحقل ميلا واحدا .. وبلغت مساحة الحقل ٤٠ فدانا .. فكم تبلغ مساحة الحقل فيما لو بلغ طول السياج ميلين ؟

١٠ ـ بلغ رصيد مصطفى فى البنك ٥٤ دينارا .. سحب منه ٢٠ دينارا فعشرين اخرى فعشرة دنانير فاربعة .. فبدت العملية فى دفتره كالتالى :ـ

السحب الاول ٢٠ دينارا	الرصيد ٣٤ دينارا
السحب الثانى ٢٠ دينارا	الرصيد ١٤ دينارا
السحب الثالث ١٠ دنانير	الرصيد ٤ دنانير
السحب الرابع ٤ دنانير	الرصيد ٠
٥٤ دينارا	٥٢ دينارا

لاحظ مصطفى الفرق البالغ دينارين بلا طائل .. فهل تستطيع مساعدته فى اكتشاف الخطأ والعثور على الدينارين : .

١١ ـ الالماس والزمرد والذهب والمرجان واللؤلؤ .. ثلاثة منها متجانسة .. واثنان ناشزان .. فأيهما الناشزان ولماذا هما ناشزان ؟

١٢ ـ هل فى الامكان رؤية قوس قزح أثناء الليل . ؟
* لايمكن .. فنور القمر يطمسه اذا كانت الليلة مقمرة .
* لايمكن .. فالظلام الحالك يطمسه اذا كانت الليلة مقمرة .
* نعم يمكن .. فضوء القمر ، كضوء الشمس ، يحدث قوس قزح اذا سقط على بعض المطر .

١ ـ القمة هى قمة جبل افرست . والرحل هو السير أدموند هيلارى . . متسلق الجبال النيوزيلندى وقاهر افرست ، من مواليد سنة ١٩١٩ . . وكان رفيقه فى رحلته تلك (١٩٥٢) الشيْربا تِنْسِنْج . . أحد أبناء المنطقة .

٢ ـ سباجتى

٣ ـ الفتاة ابنة الرجل . . أو ابنة زوجته على الأقل .

٤ ـ ملأت مكيال الخمسة جالونات بالحليب ، ثم أفرغته فى مكيال الثلاثة ، فبقى فى مكيال الخمسة جالونان كما لايخفى . . وكررت العملية مرة ثانية فتجمع فى الوعاء الذى جاء به الرجل ٤ جالونات بالضبط .

٥ ـ صاحب السيف هو عمرو بن معد يكرب . . وقد توارثه كثيرون ، الى أن اشتراه الخليفة المهدى بثمانين ألف درهم . . ويعنى اللفظ المضاء والحدة وشدة القطع . . وقد توافرت لسيف عمرو أكثر مما توافرت لغيره من السيوف . .

وصممه : جعله أصم . وصمم على الأمر : مضى على رأيه فيه ، ولم يصغ الى من يردعه عنه كأنه أصمّ .

٦ ـ قائل البيت ، كما يدل على ذلك معناه ، هو عنترة ابن شداد العبسى (ت ٦٠٠م)

٧ ـ صفى الدين الحلىّ من مواليد الحلة فى العراق (١٢٧٨ ـ ١٣٤٩) أديب وشاعر ، واشتغل بالتجارة . والبيت المقصود هو الذى يقول فيه :

بيض صنائعنا سود وقائعنا
خضر مرابعنا حمر مواضينا .

٨ ـ فالنتينو هو الممثل (١٨٩٥ ـ ١٩٢٦) وهو ايطالى ، وقد اشتهر بأفلام عديدة اشترك فيها . . نذكر منها دماء ورمال . .

ودون جوان هو الشخصية الخيالية ، وهى تعزى الى الأساطير الاسبانية ، التى تفترض أن شخ باسم دون جوان تينوريو عاش فى القرن الرابع عش واشتهر بمجونه ومغامراته . وكان موزار وبايرون وبرناردشو وموليير من بين الذين اتخذوا من ت الشخصية الاسطورية أساسا نسجوا حوله . .

وكازانوفا هو المعاصر الحقيقى (١٧٢٥ ـ ٧٩٨ وكان ايطاليا ، ولد فى البندقية ، وكتب مذكراته تحدثت عن غرامياته ومغامراته .

٩ ـ غاز الايدروجين لايحتاج الى الأوكسجين ل يحترق . . وقد يحترق فى غاز الكلورين ليكون كلوريد الأيدروجين .

اما الاحتراق الذاتى فيحدث عندما تتأكسد ببطء ، فترتفع درجة حرارتها تدريجيا ، حتى تصل درجة الاشتعال . . ويحدث هذا أحيانا فى مح الفحم .

١٠ ـ ابن ماجة (وليس كما ورد خطأ فى الأصل ماجد مكررا) هو أبوعبدالله محمد بن يزيد (٢ ٨٧٦) من أعلام المحدثين ، كتب فى التف والتاريخ والحديث أشهر كتبه (السنن) .

أما ابن ماجد . . وهو غنى عن التعريف ، و الكامل شهاب الدين أحمد بن ماجد . . وقد كان بالاضافة الى كونه ملاحا . . عاش فى النصف من القرن الخامس عشر . . وألف ثلاثين كتا الملاحة وأعمال البحار .

١١ ـ معنى الابطال لايفيده أى من الفعلين . . الذى يؤديه فهو فعل (ألغى) أما لغا فمعناه (لغا فى قوله) واما لغى (بالأمر) فمعناه لهج ب ولغى بالماء . . أكثر منه وهو لايروى من ذلك

١٢ ـ أدموند هالى لم يكتشف المذنب الذى ب اسمه . . وانما اكتشف مداره ومدار غير المذنبات . . فهو صاحب فضل فى الجزم بأن المذنبات تظهر ثم تعود لتظهر ثانية وثالثة وهكذ

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٧ فبراير ١٩٨٦

الفائز بالجائزة الاولى راغب مصطفى السمري / دقهليه / مصر

الفائز بالجائزة الثانية حسن توفيق الحركة / بيروت / لبنان

الفائز بالجائزة الثالثة وليد سليمان السلوم / دمشق / سوريا

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ رهية محمود محمد القطامي / عمان / الاردن
٢ ـ عبد القادر علي النعيم / الخرطوم / السودان
٣ ـ ربح الخديري / سبية / تونس
٤ ـ خيرية عمر المبروك / طرابلس / ليبيا
٥ ـ ليلى علي محاسنه / الرياض / السعودية
٦ ـ مالك تويرات / الجزائر العاصمة / الجزائر
٧ ـ جاسم محمد سلمان / بغداد / العراق
٨ ـ محمد بن الربيع / العديلية / الكويت

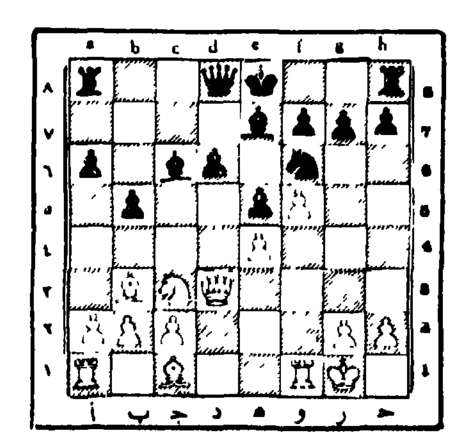
معركة بلا سلاح

□ فن التبادل

إن ما نعنيه بالتبادل في هذا المقام هو تبادل أو تكسير القطع لا البيادق اذ أن تكسير البيادق يحتاج منا الى وقفة خاصة ، ويجدر بنا أن نستهلّ هذا الموضوع بتعداد الأسباب الداعية الى التبادل والتي نوجزها فيما يلي :

١ ـ حرمان الخصم من قطعة جيدّة .
٢ ـ تحطيم هياكل بيادق الخصم .
٣ ـ تبسيط الموقف عند التمتّع بتفوق ماديّ .
٤ ـ الأخذ بزمام المبادرة تمهيداً لهجوم وشيك .
٥ ـ التخلص من موقف مقيّد لحرية الحركة .

ويجدر التنويه هنا إلى أن الفوارق بين هذه المبادىء العامة لا تكاد تكون ملحوظة أحياناً ، فهي كثيراً ما تتداخل فيما بينها بحيث يغدو من الصعب التعريق بين أحدها والآخر كما هو الحال في المثال التّالي (شكل ١) حيث يقوم فيشر بطل العالم بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥ بمبادلة قطعتين من قطع الخصم الفاعلة ليترك له قطعةً ضعيفةً شلّاء (فيل الملك) ، أو إذا شئت لاستغلال نقطة الضعف الكامنة في المربع (د ٥) واحتلاله بحصانة .



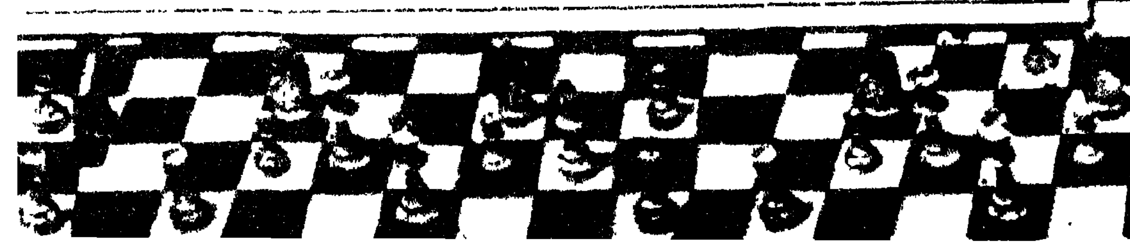
(شكل ١)

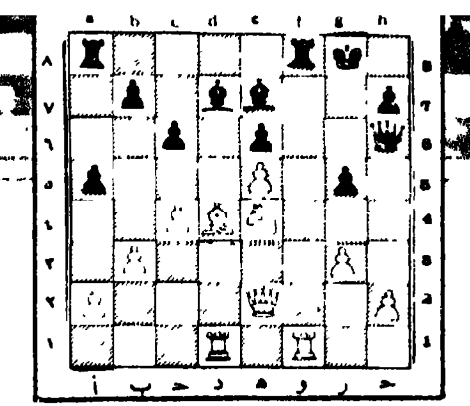
١٣ ـ ف - ز ٥	و - ب ٦ +
١٤ ـ م - حـ ١	ت
١٥ ـ ف × و ٦	ف × و ٦
١٦ ـ ف - د ٥	ر (أ) - جـ ٨
١٧ ـ ف × جـ ٦	ر × جـ ٦
١٨ ـ ر (أ) - د ١	ر (و) - جـ ٨
١٩ ـ ح - د ٥	و - د ٨
٢٠ ـ جـ ٣	ف - هـ ٧
٢١ ـ ر - أ ١	

تمهيداً لِشَنّ هجوم على جناح الوزير .

٢١ ـ	و ٦
٢٢ ـ أ ٤	ر - ب ٨ ؟ ؟

متخلياً عن أحد أرخاخه مما يضطره للاستسلام بعد ٢٣ ـ ح × هـ ٧ نظراً لوقوع ملكه ورخه بعد ذلك تحت كشّة مزدوجة .





(شكل ٢)

أما في الشكل ٢ أعلاه فإن موقف الأسود يعاني من صعف مرمن في المربع د ٦ والمربع و ٦ حيث يحس تروسيان بطل العالم بين ١٩٦٣ ـ ١٩٦٩ استغلال هذا الضعف فنحده يحرم الأسود بضربة واحدة من القطعة الوحيدة الحامية لهذين المربعين تاركاً له فيلا أشلّ .

٢٦ ـ ف - حـ ٥	ر × و ١
٢٧ ـ ر × و ١	ف × جـ ٥
٢٨ ـ ح × حـ ٥	ف - هـ ٨
٢٩ ـ ر - و ٦	ف - ر ٦
٣٠ ـ ح × هـ ٦	ر ٤
٣١ ـ ح - و ٤	و - ر ٥
٣٢ ـ ح × ز ٦	

لأن مجال نشاط الفيل قد اتسع ولأن الأبيض يتمتع بعض التفوق المادي لذا فإنه يعمد الى تبسيط الدور بالتبادل وتعرية الملك في الوقت ذاته .

٣٢ ـ ..	حـ × ر ٦
٣٣ ـ ر - و ٤	م - ز ٧
٣٤ ـ و - هـ ٣	و - د ٨
٣٥ ـ هـ ٦	و - هـ ٨
٣٦ ـ ر - و ٧ +	يستسلم

(حل المسألة رقم ٣٩)

النقلة التي أدت الى انهيار الدور هي ٤٠ ـ هـ ٥ لأنها أتاحت لفيل كاسباروف فرصة الانقضاض على الملك بمؤازرة الوزير .

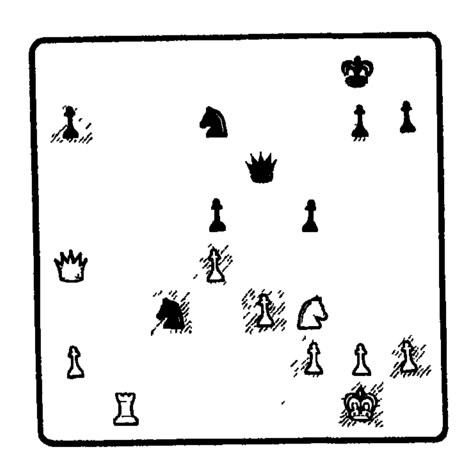
الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٨)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ محمد عبد الرزاق ـ الأسكندرية /ج م ع
٢ ـ حسين شلبي ـ الكويت
٣ ـ د شعراوي عطية ـ الباحة / السعودية
٤ ـ عدنان ذيب ـ عمان / الأردن
٥ ـ انصاف ابراهيم ـ السودان

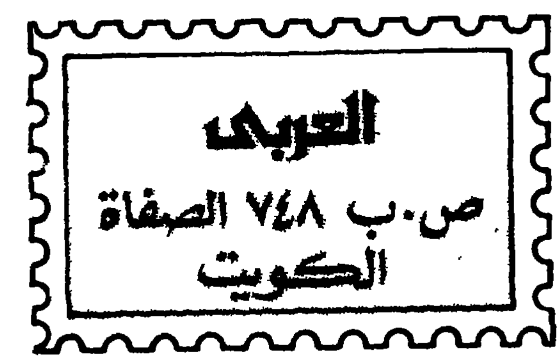
الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عبد المعطي حميل ـ طرابلس / ليبيا
٢ ـ أحمد سلامة ـ الدوحه / قطر
٣ ـ ماجد ادم ـ المحلة / ج م ع
٤ ـ عبد الحسين قنديل ـ بيروت / لبنان
٥ ـ محمد الشافعي ـ أبوظبي / الامارات



مسابقة العدد
مسألة رقم ٤١

الأبيض يلعب ويفوز بالدور



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..

« تيمو » .. هل تستحق الجائزة الأولى ؟

ولماذا لايكون هناك باب للحوار مع الادباء ؟

● لقد قرأت القصة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة العربي للقصة القصيرة . وهي بعنوان « تيمو » لسحاب سوري ، ولا أخفي عليكم أني شعرت بنوع من المفاجأة ، فالقصة ليست جديدة ، ولم تقدم ما يمكن أن نسميه ابتكارا أو ابداعا ، فعلى أي أساس تم اختيارها ؟ ربما كانت هي الأفضل الموجود ، ولكن هل هذا هو مستوى القصة القصيرة في الوطن العربي ؟ ان قصة « تيمو » بهذا المعنى قد تكون شاهدا على ضعف مستوى القصة القصيرة العربية ، كيف يتجاهل كاتب القصة واقعه العربي وسائر مشكلاته وهمومه ، ويراه فجأة يتحدث عن القطط والكلاب ، لكأن الناس نالوا حقوقهم الضائعة ، ولكأن الواقع العربي حلا من القضايا والمشكلات ولم يبق الا « تيمو » .

وإذا كان صاحب « تيمو » لم يبحث ، فالعلم اليوم يقدم الوسائل العديدة للابحاث ... ادن فهناك أشياء أخرى أهم من هذه السطور التي قرأتها في « تيمو » ... الخ .

وفي الجزء الأخير من ذات الرسالة يقدم كاتبها اقتراحا آخر فيقول :

« رجائي أن تهتم العربي بما يرسل اليها من أصحاب الأقلام الجدد ، ويتساءل : كيف تكون المجلة بدون باب للحوار مع الأدباء الشبان الى جوار باب « حوار القراء » ثم يضيف ... « قد يكون هذا الباب الذي ندعو اليه من انجح الابواب ، ورب كلمة مشورة لأديب جديد يكون لها فعل السحر في دفعه الى الأمام ، وهذا جزء مهم من دور المجلة في خدمة الحركة الثقافية والأدبية ... الخ

رمضان الجرس المحامي

ـ القاهرة

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ونود أن نوضح الاعتبارات التالية :

* كان من الواضح من شروط المسابقة أنها للجدد من أصحاب المواهب في كتابة القصة القصيرة ، وليست لمن لهم كتب أو تجارب معروفة في هذا المجال ، بهدف توفير الفرصة لهؤلاء ليضعوا أقدامهم على بداية الطريق ، ولتسليط الضوء على مواهبهم وانتاجهم وأسمائهم ، بما يمكنهم من مواصلة السير على طريق شائق وشاق ، وبالتالي فإن انتاجهم ـ مع جودته ـ ليس هو المعيار الدقيق للحكم على مستوى القصة القصيرة في الوطن العربي .

* من طبيعة هذه المسابقات أن تكون سرية

ومقننة ، ويشترك فى تحكيمها عدد من الكتاب ممن لهم خبرة معروفة فى كتابة القصة ، وأن يكون ترتيب الفوز فيها للقصص التى تحصل على أعلى الدرجات بترتيب الجوائز المقررة سلفا .

ومن المألوف بالنسبة لهذه المسابقات فى ضوء التجارب السابقة ، أن القصص التى تأخذ فيها فرصا أفضل للفوز ، هى فى الغالب من النوع الذى يبحر فى المياه الآمنة ، ويستجيب أكثر لما هو مستقر من تقاليد القصة القصيرة ، ويكشف عن موهبة ، وينجح فى مخاطبة القدر المشترك من القيم الفنية بين جميع أعضاء اللجنة أو اللجان ، على اختلاف تجاربهم واتجاهاتهم وأذواقهم ، فى اطار كثيف من القصص التى هى فى نهاية الأمر لمبتدئين أو هواة ، فى مثل هذا الاطار قد لاتحصل على أعلى الدرجات تلك القصص التى تجنح الى المغامرة الفنية ، سواء فى التجربة أو فى أسلوب معالجتها ، فقد تحصل مثل هذه القصص على درجة عالية من بعض أعضاء اللجنة ممن يتحمسون لاتجاه هذه المغامرة الفنية ، ولكنها فى الوقت ذاته قد تفقد الكثير ، اذا وجد آخرون فى اللجنة أن المغامرة لم تحقق أهدافها ، أو أنها ليست مغامرة أصلا .

ومع ذلك فتبقى مثل هذه المسابقات التى تحكمها لجان تتنوع فيها الاتجاهات والخبرات أقرب الى الموضوعية والعدالة ، ولاشك أنها تمنح فرصا لاينبغى التضحية بها ، من اجل هدف بالغ الصعوبة ، هو الوصول الى قصة أو قصص يتفق بشأنها الآراء

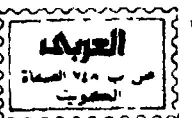
* فى هذا الاطار حصلت قصة « تيمو » على أعلى مجموع من الدرجات ، ربما لما فيها من بساطة وانسانية وتركيز وشاعرية ، لمست فى لحظة نفوس أعضاء اللجنة ، مع أن كل واحد منهم قرأها وحده ، ومنح درجتها وحده

* أما بالنسبة لما أشارت اليه الرسالة ، من أن القصة تركت الواقع الزاخر بالمشكلات الكبيرة ، وراحت تتحدث عن الكلاب والقطط . . فلا نظن أن المسألة يمكن أن تناقش بهذه الكيفية . . فهناك أولا حرية الكاتب التى يجب أن تكون أساسا لالتزامه ، وهناك ثانيا رؤيته لما يكتب عنه ، وحين تكون هذه الرؤية نافذة فإنها تصل الى العام من خلال الخاص ، والى الموضوعى مما قد يبدو شخصيا أو ذاتيا ، والى ما هو غير عادى من خلال المألوف والعادى وهذه الرؤية هى التى تحدد قيمة الالتزام ومدى الحرية وقيمتها كذلك

وقيمة « تيمو » انه فجر ينبوع الحنان فى قلب زوجين وحيدين ، وربط بينهما ، ووضع العدالة فى مواجهة بين نبض الحنان وآلية القانون . وعقد مقارنة ساخرة بين أنانية طبيب بيطرى ، ينقل الى عالم الحيوان الفروق الطبقية بين البشر . فى الوقت الذى أذاب فيه هذا الحنان الفروق بين البشر وبين الحيوان

* يبقى أننا نعرف جميعا ـ وليس فى هذا عزاء لأحد ـ أن الكاتب الحقيقى سيشق طريقه مادام يملك الارادة ، سواء من خلال الفوز فى مسابقة للقصة . أو من خلال الفوز فى مسابقة الحياة ذاتها

* فيما يتصل باقتراح القارىء الكريم لباب « حوار الأدباء » فلا خلاف حول قيمة اقتراحه ، وان كنا نرى أن المجال الأنسب لتنفيذه هو مجلة أدبية متخصصة ، تعنى بنشر النصوص الأدبية فى المقام الأول ، أما بالنسبة « للعربى » التى تعنى بشتى ألوان الثقافة ، فقد يخرج هذا عن طبيعة مهمتها ، على أن العربى تخدم ضمنا هذا الهدف من خلال ما تنشره من قصص وأشعار للكتاب الجدد مادامت جيدة . ومن خلال أبواب عديدة مثل منتدى العربى والمكتبة العربية وحوار القراء





اللعب . . . علاج أيضا

● في عدد يوليو ١٩٨٥ من مجلة العربي تحدث الأستاذ راتب المسعود عن أثر اللعب في التربية ، وكان مقاله جادا ومفيدا ، الا أنني لاحظت ولاحظ كثيرون غيري ، أن الفائدة كانت ستكون أعم لو أن الكاتب تعرض في موضوعه الى استخدام اللعب كعلاج ، وهو اتجاه حديث بدأ يحظى بقدر كبير من اهتمام الباحثين والمعالجين النفسيين في السنوات الأخيرة

نرجو أن تعنى مجلة العربي بنشر دراسات حول دور اللعب في العلاج التربوي في أعدادها المقبلة بمشيئة الله ، وندعو لمجلتنا بمزيد من النمو والازدهار .

عبدالرحمن سيد سليمان
مدرس الصحة النفسية المساعد
بكلية التربية ـ جامعة
عين شمس . القاهرة

عتاب . . . . . . واعتذار

● بما أنني من المغرب العربي ، فانني أتقدم الى أسرة مجلة العربي باعتذار عن العتاب أو اللوم الذي وجهه الأخ الليبي سليمان بركة محمد في العدد ٣٢٠ من مجلة العربي الى مجلتنا ، مدعيا انها لاتهتم بقضايا المغرب العربي ، فالحقيقة أن مجلة العربي لاتغفل أبدا عن ذلك ، فبالاضافة الى نشر رسالة المغرب العربي في العدد ٣٢٠ ، نشرت العربي موضوعا مهما يتحدث عن اكتشاف ليبيا نهرا في الصحراء ، في عدد مارس سنة ١٩٨٥ ، وفي عدد مايو سنة ١٩٨٥ نشرت المجلة رسالة المغرب العربي عن تونس والجزائر ، وكانت المجلة قد تحدثت في عدد فبراير سنة ١٩٨٤ عن مهرجان قرطاج بتونس ، وفي عدد فبراير سنة١٩٨٣ نشرت بحثا عن الأديب التونسي علي الدوعاجي ، كما نشرت في عدد أغسطس سنة ١٩٨٣ بحثا عن المفكر الجزائري مالك بن نبي . . . . الخ . .

ومن هذا كله يظهر ان عتاب الأخ الليبي ربما كان سببه انه لايتابع المجلة متابعة دقيقة .

ك . ر
المدية / الجزائر

العربي

نشكر للأخ العزيز اهتمامه بتوضيح موقف مجلة العربي واعتذاره ، كما قبلنا عتاب الأخ الليبي ، فالعتاب والاعتذار كلاهما دليل على اهتمام القارىء الذي هو أهم ما نتطلع اليه .

ردود خاصة

● الى السيد الدكتور محمد محمد الجوادي
رجاء التفضل بارسال عنوانك الى مجلة العربي للأهمية . . وشكرا



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٦م

الأدب في البرازيل

تأليف
د. شاكر مصطفى

٥٠٠ فلس

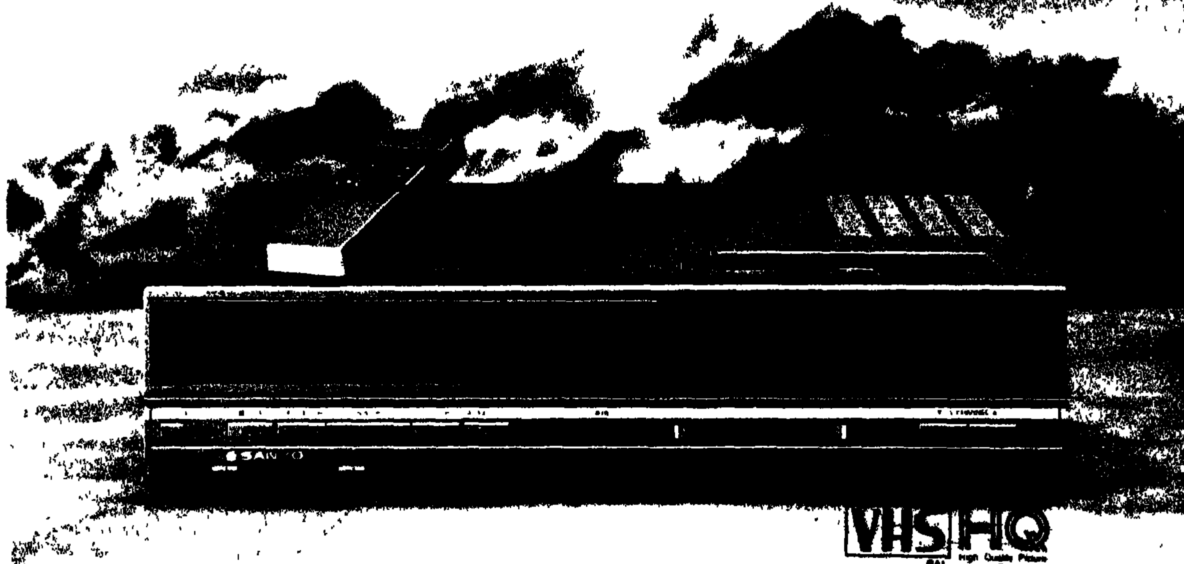
الكتاب الواحد بعد المئة

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

★★★



طرأ تطوّر جديد على فيديو سانيو



مسجّل فيديو كاسيت سانيو نظام VHS يعتمد الصّورة HQ، الأكثر نقاء

سانيو، المعروفة بالأداء العالي المستوى لمسجلات الفيديو كاسيت بيتا، قدّمت حديثاً مسجل الفيديو كاسيت VHS.

المسجّل الجديد ليس VHS إعتيادي، بل هو يعتمد نظام HQ (الصّورة الرفيعة المستوى)؛ هذه التكنولوجيا تضاعف [illegible] الصّورة وضوحاً وديناميكية. جهاز VHR - 1200PS الجديد من سانيو، يعتمد تسجيل بلمسة زر واحدة، ٩ أزرار تحكّم، جهاز تحكّم من بُعد ١٢ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء، تشغيل الجهاز أوتوماتيكياً، وموقّت برنامج واحد/١٤ يوماً. متوفّر باللون الذهبي، الفضي أو الأسود. سانيو تقدّم لك الآن إختياراً فوق العادة: نظام بيتا أو نظام VHS - وهذا ما تتوقعه من سانيو.





العدد ٣٣١ السنة التاسعة والعشرون يونيو ١٩٨٦

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

Issue No. 331 Jun. 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





النفس البشرية ذلك الصندوق المغلق الذي حاول العلماء سبر أغواره ، بعضهم أقترب من الحقيقة والبعض الآخر ابتعد عنها ، أما تفسير السلوك البشري فانه لاينبع فقط من التركيب البيولجي للانسان ولكنه أيضا خاضع للثقافة والبيئة التي يحياها الانسان . عن هذا الموضوع الشيق ـ النفس والسلوك ـ يصدر كتاب العربي الجديد الذي كتبه أحد الاختصاصيين العرب في مقالات قصيرة وممتعة في مجلة العربي ، وها نحن نجمعه في هذا الكتاب فائدة للقارىء ومتعة .

عزيزي القارئ

المطبوعة المتفاعلة بصدق مع بيئتها ، لا بد أن تثير ـ بما تنشره ـ قضايا متعددة ، وهكذا هي « العربي » . .

فقد نشرنا في العدد ٣٢٦ (يناير ١٩٨٦) موضوعا مهما للأستاذ يوسف الحسن وكان عنوانه « مؤتمر دولي للصهاينة المسيحيين أيضا » تناول عرض مادار في المؤتمر الصهيوني المسيحي الدولي الذي عقد في مدينة بازل في أغسطس ١٩٨٥ والذي شاركت فيه فئة محددة من المسيحيين ، الا أن ردود الفعل الاولى كانت متسرعة بعض الشيء . . ورجحنا أن بعض من قرأ الموضوع في ذلك الوقت اكتفى بالعنوان ، ولم يستوعب تفاصيل الموضوع نفسه ، ولكن بعد فترة وجدنا أن من قرأ الموضوع قراءة جادة متأنية ، وبخاصة بعض اخواننا المسيحيين الوطنيين الغيورين تفهموا الأسباب الحقيقية التي دفعتنا الى نشر الموضوع . ولم يكن القصد ـ كما هو ثابت في المقال ـ تجريح المسيحية كدين بقدر كشف فئة قليلة لها موقف معاد من أمانينا القومية ، وقد تفاعل الموضوع بشكل ايجابي في وقت لاحق ، اذ تلقينا أخيرا رسالة تؤكد ماذهبنا اليه ، فقد كانت الرسالة تضم ملفا كاملا أرسله لنا الدكتور « دانيال كاتبه » من مدينة حمص بسوريا ، يشرح الدكتور دانيال في رسالته مدى اهتمام الكنيسة الانجيلية المسيحية الوطنية بحمص بما نشرته العربي ، وأن الموضوع قد اثير اثناء انعقاد مؤتمر الكنائس الانجيلية المسيحية في لارنكا بقبرص ، وشجب المؤتمرون مادار في مؤتمر بازل وأمثاله من المؤتمرات المشبوهة . وتحدثت الرسالة عن عدد من الأنشطة التي قامت بها كنيسة حمص الانجيلية ، لتفنيد « أضاليل المسيحيين الصهاينة » والتأكيد على بطلانها ، والاشادة بالمثل الانسانية المتسامحة التي يتحلى بها العرب مسلمون ومسيحيون ، استنادا الى مانصت عليه الكتب السماوية المقدسة . . . . . .

ويتضمن الملف أيضا بيانا صادرا عن « السينودس الانجيلي الوطني » في سوريا ولبنان ـ وهي الكنائس الانجيلية الوطنية المسيحية في القطرين السوري واللبناني ـ ينطوي على رفض لما دار في اجتماع مؤتمر بازال في اغسطس ١٩٨٥ الذي اشار اليه مقال الاستاذ الحسن كما يرفض فكرة عقد مؤتمرات تتناول موضوعات سياسية هدفها دعم « اسرائيل »

ويتبنى البيان فكرة القيام بحملة من الأنشطة والاتصالات على جميع المستويات مع الكنائس الانجيلية محليا وعالميا ، لتوعية الرأي العام بخطورة مثل هذه المؤتمرات على العقيدة المسيحية .

و« العربي » اذ تشكر كل المواقف التي أسهمت في توضيح بعض الجوانب المهمة حول هذا الموضوع الشائك ، واضاءة الجوانب الأخرى بالمعلومات ، إنما تود أن توضح مرةاخرى احترامها لكافة الاديان والمذاهب ، وتؤكد في الوقت نفسه على ان الموقف الايجابي من قضايا العرب الأساسية معيار اساسي من معايير النشر في « العربي » .

المحرر

أشجار النحيل في احدى مدن جنوب سيناء الفة بين الانسان العربي والشجرة التي رافقته رحلة الحياة القاسية فوق رمال الصحراء

ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبـواب العـربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

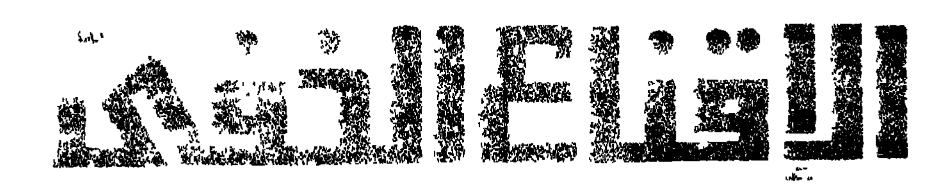


البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

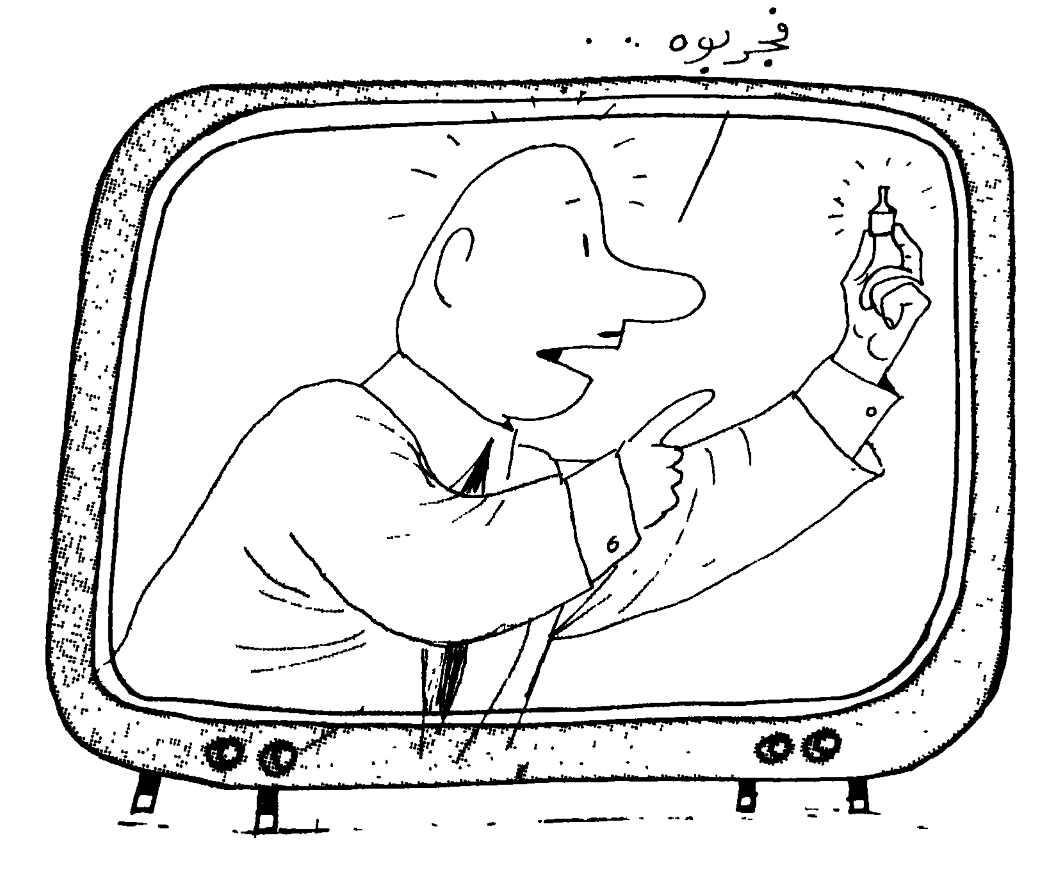


- ماذا نختار لأنفسنا ؟ وماذا يُفرَضُ علينا ضغطاً ؟
- لقد صنعُوا أولاً ، وتحكّمُوا ثانياً في ثقافتِنا الاستهلاكية !
- هل تريدُ أن نقرأ لكَ طالعَكَ ؟ إذن اكتُبْ إلينا على هذا العُنوان ...!!
- هَل تستطيع الصّحيفة أنْ تقبلَ الإعلانَ معَ احتفاظِهَا باستقلالِهَا ؟!



بعض الأمور في حياتنا اليومية المعيشية نمر بها مر الكرام لا نفكر فيما وراءها .. ما هي ومن أين جاءت ؟ ومن المستفيد منها ؟ ويهتم الدارسون غالبا بالمظاهر الكلية والعامة في حياة الشعوب ، ويقفزون على القضايا التي يبدو للكثيرين أنها قضايا صغيرة غير مهمة ، من هذه القضايا الصغيرة في الظاهر ، الكبيرة في حقيقة الأمر ، قضية الاعلان .. وصناعة الاعلان العالمية ، ومدى انتشارها وتأثيرها في وطننا العربي .

ففي الوقت الذي تقدر فيه بعض الدراسات الاحصائية أن المديونية الخارجية للأقطار العربية زادت عن (مائة مليار دولار) في مطلع هذا العام ١٩٨٦ . وهو مبلغ تبدو ضخامته اذا عرفنا أن بعض أقطارنا العربية تتناسب قدرتها على الوفاء



بالدين تناسبا عكسيا مع عدد سكانها . . في هذا الوقت نرى بالعين المجردة في شوارعنا ووسائلنا الاعلامية المختلفة إعلانات ينفق عليها ملايين الدولارات لاقناعنا باستخدام هذه البضاعة أو تلك

وإذا كان البعض يعتقد لأول وهلة أنه لا يوجد علاقة مباشرة بين حجم المديونية وبين حجم الاعلانات الخاصة بالبضائع المستوردة من أنحاء عديدة من العالم ، فليعد إلى حساباته ، لأن هذه الاعلانات تحثنا في الحقيقة على ولوج طرق ودهاليز « المجتمع الاستهلاكى من أوسع أبوابه » .

لعل « الظاهرة الاعلانية » في الوطن العربي لا تثير تساؤلات كثيرة . فهناك عواصم عديدة ومدن وقرى في العالم يظهر فيها الاعلان بأشكاله المختلفة ، ذاك في حقيقة الأمر صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن كثيرا من المدن والقرى المتعددة ترتفع فيها اللافتات الاعلانية ، وتزخر صحفها بالاعلانات وكذلك وسائلها الاعلامية الأخرى . . ولكنها في الغالب الأعم اعلانات عن منتج محلي . فليس غريبا ـ على سبيل المثال ـ أن ترى اعلانا « لسانيو » أو « سونى » أو مازدا في اليابان ، ولكن من النادر أن ترى في اليابان إعلانا عن سيارات « مرسيدس » أو

« شفرليه » . . وهذه ظاهرة قائمة وملموسة في كل البلاد الأخرى . إنهم يعلنون عن منتجاتهم وحدها فهي عماد اقتصادهم .

واذا كانت هذه البلدان الصناعية الغربية وغيرها تشكو مر الشكوى من هجمة الاعلان المنظم والطرق المختلفة لاقناع الناس بالاستهلاك ، فإن شكوانا في الوطن العربي مضاعفة . ذلك لأن بلادنا العربية في أكثرها تزداد مديونيتها للخارج عندما تجد نفسها تدفع دفعا لاستهلاك بضائع قد لا تكون في واقع الحال في حاجة إليها بهذه الدرجة أو تلك .

« هي الأصل » إعلان الكوكاكولا المشهور . . بدأ يغزو بعض عواصمنا العربية ، وأصبح اقتناء « المرسيدس » جزءا من وضع اجتماعي نقرؤه في صحفنا ونشاهده في مسلسلاتنا التليفزيونية .

* * * *

مفهوم الإعلان

□ وعند البحث عن معنى الاعلان الدقيق في لغتنا العربية ، لا نجد له الاصطلاح المعروف بيننا اليوم وأعني به الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور العريض بمنشأة صناعية أو تجارية ، ومحاولة اقناعه بمدى حاجته لمنتجات هذه المنشأة . . الاعلان عند العرب هو المجاهرة بالشيء .

ولقد انتقلت الدلالة في هذه الكلمة ـ كما انتقلت في مفاهيم أخرى كثيرة ـ لتعني الاعلان بمعناه المتعارف عليه عندنا اليوم .

ولعل حديثنا في المفاهيم والاصطلاحات يجرنا إلى القول بأن (الاعلان) في لغتنا العربية يشوبه ـ في اعتقادي ـ بعض الخلط من جهتين : فهناك خلط بين « الاعلان » و « الدعاية » من جهة . . وبين « الاعلان » و « العلاقات العامة » من جهة أخرى ، وهي أمور مختلفة بطبيعتها الدقيقة .

لقد ذكرنا مفهوم الاعلان في السابق كما يحدده كثير من المتخصصين ، أما الدعاية ، فإنها تعني جذب الناس الى نظام (سياسي أو اقتصادي ، أو ديني) فهي قلما تتضمن نشاطا تجاريا . وتلجأ الدعاية في الأغلب الى وسائل غير ظاهرة ، أما العلاقات العامة فهدفها خلق جو من الاهتمام أو تنميته ، وإثارة التعاطف نحو مشروع ما أو جماعة محددة ، وفي هذه الحالة أيضا لا ترمي العلاقات العامة مباشرة أو بشكل حتمي الى الكسب .

الإعلان والدعاية

□ لماذا يحدث الخلط في أذهان الكثيرين بين هذه الطرق الثلاثة ، أو على الأقل بين الطريقتين الأخيرتين وبين الاعلان ؟ . لا شك أن الخلط نابع من استخدامها وسائل تأثير متشابهة مثل وسائل الاعلام ، والمحاضرات والمعارض . . الخ وأيضا أنها ذات هدف مشترك وهذا الهدف يتمثل في إرغام الضمير الفردي بشكل ما على القبول بمقولاتها ، فهذا الفرض الضاغط ـ ظاهرا كان أو خفيا ـ لا يطلبه الانسان بنفسه ، كما يحدث له في التعليم والتدريب أو في ملء وقت الفراغ بل يفرض عليه عنوة .

الاعلان في حد ذاته ـ وكما اتفقنا على فهمه ـ به من وجوه الاختلاف عما قدّمت إليه ما ينبغي الاشارة اليه ، فهناك إعلان تقوم به الدولة لصالح الجمهور كافة ، كالاعلان عن ترشيد استخدام المياه أو الكهرباء أو حملة إبادة القوارض . والاعلان الذي تقوم به المؤسسات العامة أو الخيرية ، كإعلان جدول السكك الحديدية ، أو إعلان عن حفلة خيرية لصالح المعوقين . والذي نحن بصدده في حقيقة الأمر هو الاعلان التجاري . هذا الذي تنفق عليه بلايين الدولارات في أنحاء العالم ، والذي هدفه في نهاية الأمر بيع البضائع وتسويقها ، وقد أصبح اليوم علما قائما بذاته

الاقتناع الخفي

□ منذ أن صدم عالم الاجتماع الأمريكي « فانس بيكرد » الجمهور عندما كتب كتابه الذائع الصيت في بداية الخمسينيات ، والذي سماه « الاقناع الخفى » ، بدأ الكتاب والمحللون يدرسون هذا « الوحش » المسمى بالصنعة الاعلانية ، لقد قال وقتها بيكرد : (اذا تركنا صناعة الاعلان بغير رقابة فسوف تسيطر على حياتنا وتأسرها) .

منذ ذلك الوقت زاد ملوك صناعة الاعلان في التحكم في حياة الناس ، ولم تتضاءل سطوتهم ، بل على العكس من ذلك ، فقد أفسح لهم التليفزيون مجالا هائلا لاستخدام كل ما توفره التقنية العصرية لمزيد من الاقناع المُلِحّ . ويذهب بعض المؤمنين بقوة الاعلان وتأثيره إلى القول بأنه في مقدور الاعلان ـ لو أحسن استخدامه ـ أن يكيف حاجات المستهلكين حسب ما يبتغيه المنتجون . . . . !

ولقد احتشدت علوم اجتماعية كثيرة في خدمة الصناعة الاعلانية وأصبح علم النفس الاجتماعي أحد المداخل الرئيسية لفهم طبيعة المستهلك والمجتمع الذي يعيش فيه ، ومن المعروف اليوم أن الطبائع البشرية كالخوف والجشع والغضب والعداء العرقي ، والتوق إلى الرجولة أو الأنوثة ، أصبحت كلها جزءا من اهتمام مصمم الاعلان ، وتوجهت أبحاث مصممي الاعلان عن الجوهرى والعام والمشترك لدى الجمهور ، أو ما يسميه المهنيون في الصناعة الاعلانية « الزر » ، فكلما كثر عدد الأشخاص الذين ينضوون تحت خصائص هذا (الزر) وسماته ، كان إعلان بضاعتك ناجحا . .

ويدخل علم الاجتماع هذه الحلبة أيضا ، فالشباب المراهق إن كان يبحث عن هوية فلابد من ربط إعلان (السجاير) بأشكال الرجولة وأنماط الفتوة ، وإن كانت حياة الجماعة مهمة في مجتمع ما فعلى المعلن تسويق بضاعته بشكل أسرى كالتعبئة الكبيرة للدجاج المقلى والمشوى في محال الوجبات السريعة ، والقارورة ـ العائلية ـ الكبيرة « للبيبسي كولا » ، وهكذا على سبيل المثال .



صناعة الاعلان

□ علينا أن نأخذ موضوع الاعلان التجاري بجدية ، فقد أصبح صناعة جادة تنشر عنها الكتب والمقالات . وقد نشر أخيرا في الولايات المتحدة كتاب بهذا الاتجاه (لوليم ميرسى) عنوانه « صانعو الصور » ، يبحث فيه بجدية شديدة ، مستقبل صناعة الاعلان في الولايات المتحدة ، وحتى يتم البحث بصورة علمية ، ينذر



الكاتب أرباب الصناعة الاعلانية بأن الطبقة الوسطى العريضة التي كانت هي السائدة في الولايات المتحدة منذ الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات ، قد بدأت في التآكل نتيجة للمشكلات السياسية والاقتصادية والظواهر الاجتماعية الجديدة ، هذه الطبقة التي كانت تشكل الهيكل الرئيسي لمجتمع الاستهلاك الكبير ، والتي كانت شديدة الانقياد للثقافة الاستهلاكية ،لن تكون موجودة هناك في التسعينيات ، وسوف يحل محلها مجتمعات متعددة المشارب شديدة التردد والانتقاء في استهلاكها . ويدلل الكاتب على انحسار هذه الطبقة المتجانسة ـ على سبيل المثال ـ بتقلص المجلات ذات الاهتمامات العامة ، والتي كانت واسعة الانتشار مثل مجلة « لايف » و « لوك » وخروجهما من السوق . . كما أبدل الجمهور بها مجلات متخصصة ذات اهتمامات محدودة ، كمجلات العناية بالحدائق ، أو الصحة أو أعمال المنزل ، أو مجلات القصص القصيرة . . الخ . وكذلك انتقلت أذواق الناس من الشبكات التلفزيونية المتاحة للجميع الى الشبكات التلفزيونية الخاصة .

ويتنبأ الكاتب بتشكلات جديدة في المجتمع الأمريكي لها ذوق استهلاكى مختلف في بعضها عن بعضها الآخر ، يحددها ـ كما يقول الكاتب مركز ستنفورد للدراسات (وهي جامعة محترمة ومشهورة) بخمس مجموعات من المواطنين هي :

ـ المنتمون ـ المتنافسون ـ المتنافسون المنجزون ـ المنجزون الاجتماعيون ـ المحتاجون الى التوجيه .

ويشير الكتاب الى الاهتمامات الاستهلاكية الخاصة بكل فئة . . السيارات ، السجاير ، الملابس . . الخ من البضائع الاستهلاكية .

هذا النوع من الدراسات ليس مقصورا على المجتمع الأمريكي وحده ، فهناك دراسات متعددة للمجتمعات المختلفة في البلدان الأخرى من أجل بيعها قدرا أكبر من البضائع الاستهلاكية .

إن العاملين بالاعلان يكادون يقررون نوع الأكل الذي نأكله ، والمياه التي نشربها ، والسجاير التي ندخنها ، والسيارات التي نستخدمها، وفي بعض الأقطار يروجون للناس الرئيس الذي ينتخب ، إن اقتحام الاعلان لأهم مجالات حياتنا هو إحدى حقائق العصر التي لا منجى منها اليوم .

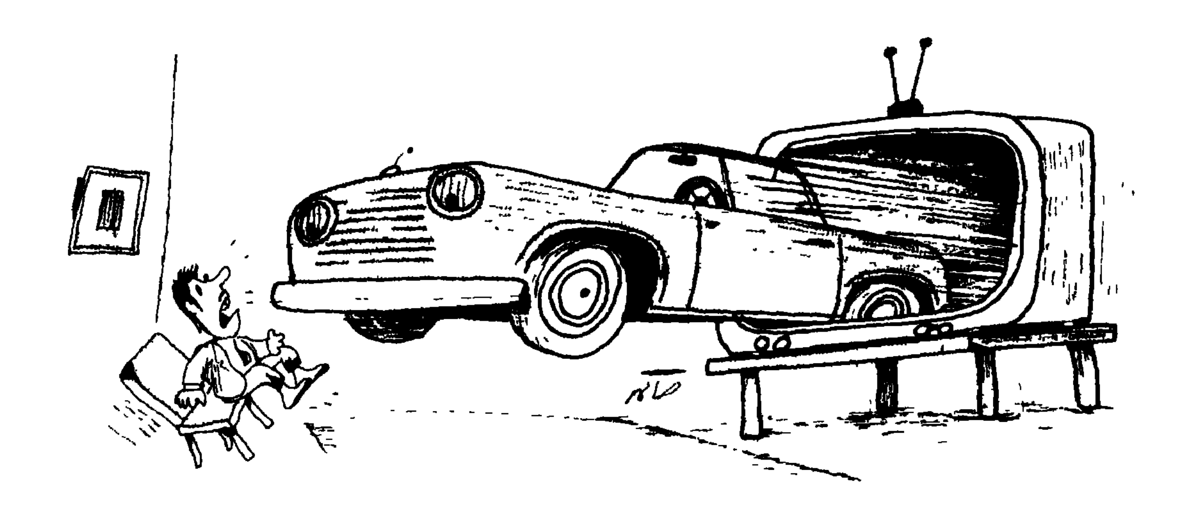
الإعلان التلفزيونى

□ لعل أوسع أشكال الاعلان انتشارا من حيث وصولها للجمهور هو الاعلان التلفزيوني . ومن الطريف أن تعرف أنه آخر وسيلة استخدمت للاعلانات بعد أن جربت وسائل متعددة ، فالناس يجلسون أمام هذا الصندوق السحرى الذي نسميه بالتلفزيون لساعات طويلة حيارى فاقدين إرادتهم يستقبلون رسائله الاعلانية وخلافها دون مقاومة تذكر . لقد دخل الاعلان الشاشة التلفزيونية متأخرا نسبيا ـ أي في أوائل الخمسينيات من هذا القرن ـ ونما بسرعة الى درجة أن أحد الاقتصاديين علق على ذلك في وسط الستينيات ـ وحديثه مقصور على الاعلان التلفزيوني في الولايات المتحدة-بقوله : (لو اختفت الاعلانات فجأة من شاشات التلفزيون فإن الناتج القومى العام سينخفض بنسبة ٥٠٪ على الأقل) ، وبالمقارنة لا توجد

احصاءات دقيقة في وطننا العربي لميزانيات الاعلانات التلفزيونية أو تقديرات تأثيرها على الناتج القومى ، وكلنا نعرف قصة المذيعتين في إحدى قنوات التلفزيون العربي اللتين حدثت بينهما مشادة كتبت عنها الصحف في بلدهما بسبب الخلاف على أيتهما التي تقدم الفقرة الاعلانية ! !

التقدم في التقنية التلفزيونية ربما هو المسئول ـ أكثر من أي شيء آخر ـ عن اتساع قاعدة الاعلان في العقود القليلة الأخيرة على مستوى العالم ، إن نصف الدقيقة الاعلانية التي نشاهدها في التلفزيون ، والتي تجمع الحركة بالصورة ، واللون بالصوت ، لكافية أن تغرس في أذهان الكثيرين منا ـ بصورة تقارب فعل السحر ـ ما يريد منا المعلن أن نعرفه ، وأيضا تستخدم هنا قواعد علم النفس والاجتماع بأكبر قدر من الدقة .

فالاعلان التلفزيوني يؤكد في البداية على استثارة المشاهد بحاجته ، فيضعه في حالة من التشوق والضعف وفقدان الأمن ، ثم فجأة يخلق له سبيل الخلاص من كل ذلك عن طريق السلعة التي يعلن عنها ، فهناك ممثلون يلبسهم المعلن ملابس أطباء للاعلان عن نوع معين من مزيل الألم . أو فتاة يرتبط توهجها في نظر الجنس الآخر بنوع العطر الذي تتزين به ، ومرة ثالثة لاثارة المشاعر المختلفة مثل الخوف والرغبة والتعصب ، والحرص على التشبه بالآخرين ، والسعى إلى الرقى والرفاه ، وربط أي ميل أو شعور من ذلك كله بسلعة محددة . واذا كان المواطن مشغولا بممارسة حياته اليومية وتدبير معيشته أكثر من اهتمامه بالشراء ، فلا مناص من خلق عادة الشراء فيه عن طريق اعلان خفي آخر ، مثل تقديم المسلسلات التلفزيونية لنجوم يحبها الجمهور وهي تقوم باستهلاك نوع معين من المنتجات لجذب الجمهور تلقائيا لذاك المنتج . لقد أصبح التلفزيون أداة ترويج طاغية لمختلف أنواع السلع والبضائع .



الإعـــلان وحـريـــة الصـحـافـــة

□ لعـل الكاتب الفـرنسى « مونت لامبـير » لم يكن واعيـا لتقلبـات الـدهـر ومستجدات الحضارة عندما قال في عام ١٨٣٨ : (إننا لم نكتشف بعد الوسيلة التي نستطيع أن نكسب بها المعارك دون أن نقتل الجنود ، ولا أن نروج صحفا دون أن ننفق المال) .

ربما لا يزال نصف مقولته صحيحا ، فنحن لا نكسب حربا دون قتل جنود ، ولكن يمكن أن نروج صحفا اليوم ونعتمد على الاعلان . ولقد طرح في السابق - وما زال مطروحا لدينا ، ولدى غيرنا من شعـوب الارض - السؤال الملح : ما مدى تأثير الاعلان على حرية رأى الصحيفة أو المجلة ، والسؤال المطروح يتجلى ببساطة فيما يلي : « هل تستطيع الجريـدة أن تقبل الاعـلان ، وأن تحتفظ بمطلق استقلالها في نفس الوقت ؟ »

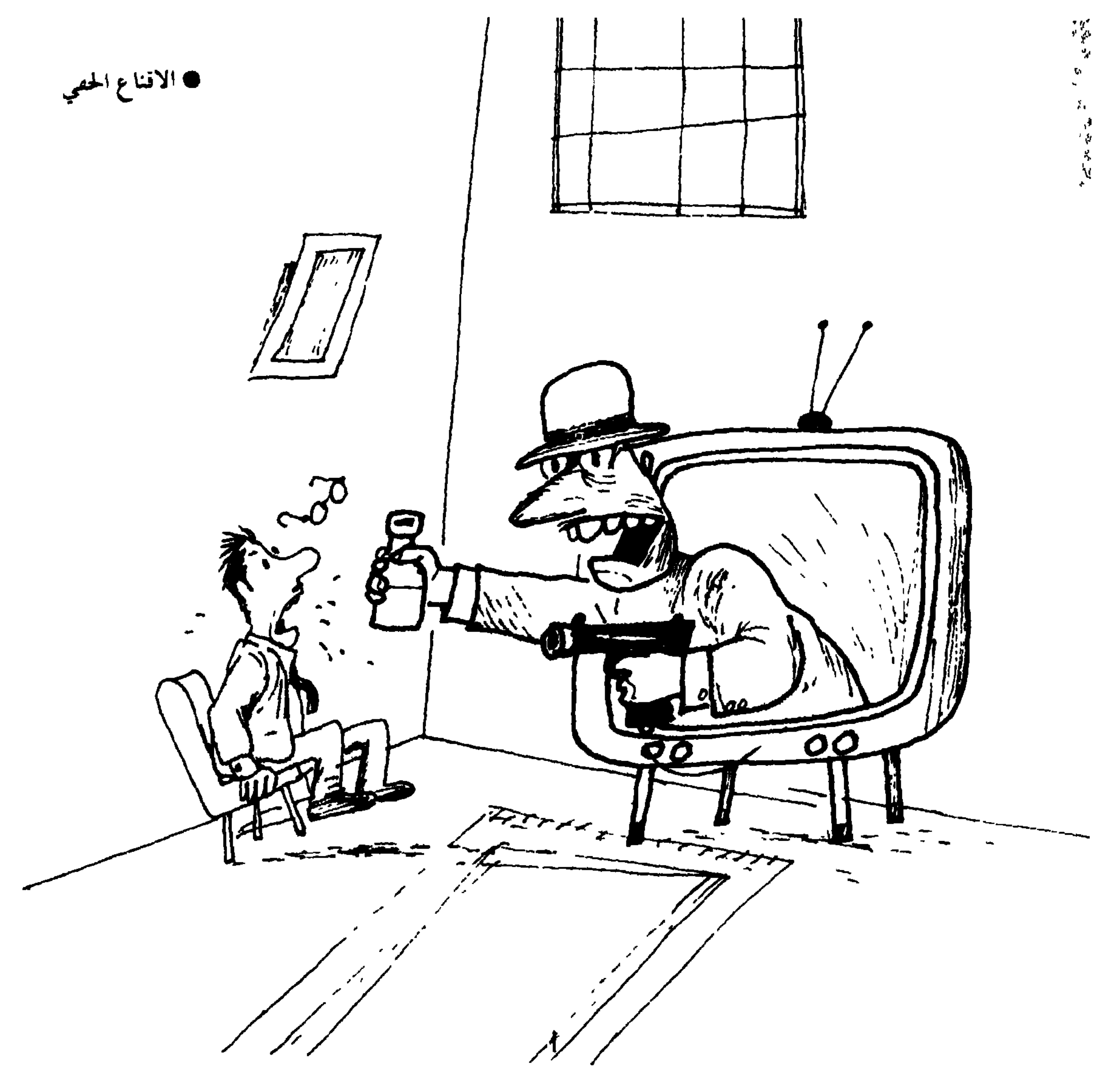
الاجابة عن هذا السؤال لا تأخذ شكلاً واحداً ، فالبعض - لأسباب يعددها - ينفي بشدة تأثير الاعلان على الصحيفة ، والبعض الآخر يؤكد بشدة هذا التأثير ، وما بين هاتين الحافتين سلبا وإيجابا تتعدد الاجتهادات نظرا للظروف المتجددة ، وموقف الصحيفة منها ، والمكان والزمان المحـددين ، ولابد لتـأكيد ونفى هـده العلاقة من دراسة كل حالة على حدة . البعض يقول ان المعلن في الصحف يبحث عن الصحيفة الناجحة التي تصل الى أكبر عدد من الجمهور للترويج لبضاعته دون الاهتمام بموقفها السياسي . قد يكون ذلك صحيحا جزئيا ، ولكن أيضا هناك من يقول ان الاعلان هو مقياس نجاح الصحيفة ، وهذا يجعلها تركض خلف الاعلان حتى مع بعض التنازلات ، وقد يكون ذلك أيضا صحيحاً في بعض جوانبه .

والصحيح في كل الحالات هو أن الصحافة - خصـوصا في بيئتنـا الثقافيـة العربية/ الاسلامية - لها نفوذ كبير على القراء ، فالكلمة المكتوبة في تراثنا لها قوة مؤثرة ، حيث إن ناشئينا يشبون - في معظم الأوقات - على قراءة كلمات كتاب الله (القرآن) وأحاديث رسوله (ص) . . وتلتصق في أذهاننا أهمية الكلمة المكتوبة وقدسيتها منذ الصغر . من هنا فإن الاعلان في الصحافة العربية له أهمية وجب علينا دراستها .

قـــــوة المعـــــلن ونفـــــوذه

□ في المجتمعات الأكثر تنظيما هناك شروط محددة للاعلان المكتوب والمنشور في جريدة . صحيح أن هذا التنظيم أخذ وقتا طويلا - أكثر من قرن ونصف - حتى خرج بهذه الدقة المعروفة اليوم ، فقد كان طابع الاعلان فيما مضى لا يهتم بالحقيقة البتة ، كأن يعلن عن البن مثلا كدواء ضد الاستسقاء ، وألم المفاصل ، وتسمم الدم ، وأمراض العيون . واليوم أصبح للأعلان قواعد دقيقة متبعة عندهم ، أما عندنا فما زال الأمر - في أكثر العبارات تهذيبا - غير منضبط .

فما زلنا نرى إعلانات تدخل في إطار الشعوذة وقراءة الطالع ، كالاعلان عن الفلكي الفلاني الذي ينشر أرقام حساباته وعنوانه ويطلب من القراء مراسلته ، وتنشر الصحيفة ذلك الاعلان دون تمحيص أو تدقيق لحماية قرائها . ويذكرك هذا النوع من الاعلانات بالاعلانات الأوروبية في القرون الماضية ، وفي أحيان أخرى



تتعدى أغراض الاعلان من التعريف بالمؤسسة الى إسكات الأصوات المضادة . . فلا نقد لمؤسسة المعلن أو شخصه مادام يزود الصحيفة بالاعلانات بانتظام .

إن مشكلة الاعلان وعلاقته بالصحافة مشكلة ليست هينة ، فالقارىء غير مستعد أن يدفع ثمن الصحيفة الفعلي ، أي ثمن الحبر والورق والادارة وأجور المحررين . . ونسخة الجريدة ـ أية جريدة ـ تكلف أكثر بكثير من الثمن الذي تباع به ، فكيف يمكن أن يعوض العجز إذن ؟

والحل يكمن في أحد أمرين :

إما أن تلجأ الجريدة لمد يدها للمساعدات المشروطة بأثمان مختلفة ، أو تلجأ الى الاعلان وهو الباب الأوسع الذي تدخل منه معظم الصحف لتعويض عجزها .

لقد أصبح الاعلان هو الذي يأتي بالمال اللازم سواء أكان اعلانا حكوميا أم تجاريا . لقد أصبح التكالب على جلب الاعلانات هو الحليب والتمر لرئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة في معظم صحفنا العربية ـ سواء أكانت مملوكة للأفراد أم مملوكة للدولة من خلال مؤسسات ـ وأصبح دافع الاعلان له الأفضلية على حساب أمور أخرى قد تكون ضرورية لنشر ما نريده من تنوير للرأي العام .

ويزداد الأمر خطورة عندما تعتمد الصحف على الاعلان الخارجي ، فالدول الأجنبية التي تنشر اعلانات مدفوعة في الصحف تتوقع ألا يوجه نقد من هذه الصحف الى سياساتها ، واذا حدث ذلك فإن حرمان تلك الصحف من الاعلانات أولى الخطوات المتوقعة .

الــوعي بالمسألة الإعلانية

□ الاعلان قديم قدم المجتمع الانساني ، منذ صيحات المنادين في الشوارع على بضائعهم في أول عهود التجارة القديمة الى أنصاف الدقائق المتلاحقة بالصور الملونة في التلفزيون العصري ، منذ عهد الدجالين في العصور السالفة ، ومرورا باعلانات قراءة الطالع ، ثم بأدوية انبات شعر الصلعات في صحفنا اليوم ، وتقريبا في جميع المجتمعات على اختلاف اجتهاداتها من المجتمع الأمريكي الى السوفيتي ، ومن الهند الى السويد . فالاعلان وفنونه هو منجم الذهب الجديد للحضارة الانسانية ، صلب الاعلان تلك البضائع العادية التي تمتلىء بها الأسواق من ورق (التواليت) الى معجون الأسنان ، ومن الصابون الى القهوة . بضائع أصبحت قريبة من الحاجات الأساسية للانسان فهي سلاحه الأساسي ضد القذر والجراثيم وخبث العرق ، ولم يعد الاستغناء عن الاعلان ممكنا ، فقد أصبح ترسا مهما في جهاز ادارة الأعمال ، وهو أيضا ليس ترفا كله أو شرا كله ، كما أنه لا يستطيع أن يأتي بالمعجزات . الا أن الوعي بالاعلان وفهمه وإعطاءه حجمه الصحيح ضرورة ملحة في حياتنا العربية . فلا يجوز الاعلان بكثافة عن بضائع لا نصنعها أو بضائع لا نحتاجها . . فكثير من الرسائل الاعلانية في حقيقة الأمر مزيفة ، ويعرف كثيرون أن مديري حملات الاعلان في كثير من الأوقات غير صادقين ، فقد جاء ترتيبهم في أحد استطلاعات الرأي حول من هم أصحاب أكثر المهن احتراما ـ في الولايات المتحدة - جاء في آخر القائمة ، يسبقهم بائعو شهادات التأمين وأصحاب دكاكين الرهونات

لقد استخدموا المرأة والطفل والحيوان والرجل سبيلا لترويج منتجاتهم ، ودفعوا بلايين الدولارات في كل بقاع العالم لاقناع الناس بمزايا منتج ما ، لقد استخدموا العواطف والدوافع الانسانية في إعلاناتهم . وأصبح لدى الكثير منا ـ نحن أبناء العالم الثالث ـ اقتناع بأن معجون الأسنان هو « كولجيت » فقط . وأن الورق الصحي هو « كلينكس » فقط ، وكلاهما واحد من أشكال المنتج وليس جميع أنواعه ولا أفضلها ، وأصبحت معظم جرائدنا أسيرة الاعلانات بدلا من أن تكون أسيرة الجمهور ومصالحه ، وأصبح (مكدونلد هامبورجر) و (الكوكاكولا) والمرسيدس أسماء يتداولها أبناؤنا باستسلام عجيب ، وغزتنا مطاعم الأكلات السريعة التي ابتدعها « ايرل أوف ساندوتش » فحملت اسمه وأصبحت الرجولة تتجسم عند بعضنا في شخص جي . آر . بطل مسلسل دلاس ، وفوق ذلك كله يقول لنا الاختصاصيون في الاقتصاد إن بعضا من أقطارنا مدينون للآخرين ببلايين الدولارات ؟

محمد الرميحي

اقرأ في العدد القادم من العربي

عدد يوليو ١٩٨٦

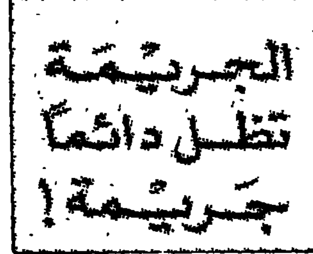
عسير

الحياة وسط السحاب وتحدي المستحيل!

استطلاع : محمود عبدالوهاب

مرض عربي اسمه الطاعة!

د. فؤاد زكريا



د. عبدالوهاب حومد

سيمون دوبفوار والسارترية

د. أحمد أبو زيد

- الاستراتيجية الاسرائيلية في ظل سياسة التقابل / أمين هويدي
- البحر الميت .. يموت! د. عبدالإله أبو عياش
- بدايات المسرح في الكويت / د. محمد مبارك الصوري
- من صور المحاربين في تاريخنا / د. هاشم ياغي
- كلاب تساوي وزنها ذهباً / د. عبدالمحسن صالح
- المخترعون الشباب في المدينة القديمة / استطلاع ملون صلاح حزين
- وجهاً لوجه .. د. المهدي المنجرة وعلاء الدين محسن
- سرطان الفم بين المرأة والرجل / د. ابراهيم أبو طاحون
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر والبيت العربي

واقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. عبدالعزيز المقالح - د. حسن فتح الباب - أبو المعاطي أبو النجا

د. عماد شمسي باشا - د. فضل الأيوبي - شوكت يوسف - د. عبدالكريم أبو شويرب



بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

يناقش الكاتب في هذا المقال موقفين متناقضين ، أحدهما موقف بعض دوائر الغرب المعادي لكل مظاهر النهضة الحضارية الاسلامية ، وموقف بعض دعاة الصحوة المغالين في خصوصيتها .

منذ سجل المحللون والباحثون ظاهرة تعاظم موجة « المد الاسلامي » في الفكر وفي الحياة السياسية والاجتماعية داخل الأقطار الاسلامية ، ومنذ شاع اصطلاح « الصحوة الاسلامية » للتعبير عن هذا المد ، كان المستشرقون والعربيون بصفة عامة ، أكثر الناس اهتماما بفهم هذه الظاهرة ، ورصد حركتها ، وتحليل محركاتها . . وكان طبيعيا أن يتم ذلك كله في اطار رؤيتهم للمصالح الغربية في « الوطن العربي والعالم الاسلامي » ولذلك وجهوا الجانب الأكبر من اهتمامهم الى البحث عن الآثار السياسية لهذه الظاهرة الجديدة ، ومدى تأثيرها على استقلال المجتمعات العربية والمسلمة في مواجهة النفوذ الغربي الذي استقر وثبت أقدامه في حياة العرب والمسلمين . . .

ولذلك ركز كثير من علمائهم وباحثيهم دراستهم « للصحوة الاسلامية » على ظاهرتين أساسيتين : هما ظاهرة توجه هذا التيار الاسلامي الجديد الى ممارسة دور سياسي متعاظم ، درسه هؤلاء الباحثون تحت عنوان : « الاسلام السياسي » وظاهرة « العنف » الذي مارسه أفراد أو جماعات قليلة منتسبة الى هذا التيار ، ومع ذلك صوره أولئك الباحثون على أنه قاسم مشترك ، وصفة ملازمة لكل الحركات ذات التوجه الاسلامي . وليس في هذا كله شيء من الغرابة . وانما الغرابة أن كثيرا من الدارسين لهذه الظاهرة من العرب والمسلمين قد ساروا على الطريق الذي رسمه الباحثون من غيرهم ، فصرفهم ذلك عن دراسة أمور أكثر أهمية وأكثر عمقا ، وأقرب اتصالا بمكان هذه الجماعات الاسلامية ، ودورها في التيار العام لحركة اليقظة والانبعاث داخل المجتمعات العربية والاسلامية . . وفي مقدمة هذه الأمور تشخيص وتحليل المنطلقات والمكونات الفكرية لروافد هذا التيار الاسلامي الجديد . .

ستقلال والنّدية

ولقد آن الأوان ـ فيما نرى ـ لتصحيح هـذا
جه ، وللتوقف الهادىء أمام بعض التصورات
كرية ، والمواقف السلوكية التي تميز حركات التوجه
سلامي المعاصرة . . ومناقشة ذلك كله في
ضوعية وصراحة وبروح نقدية تستهدف الاصلاح
لتصويب عن طريق الحوار وتبادل الرأي ، بعيدا
ن الهواجس والمخاوف الكثيرة التي ولدتها عند كثير
ن الباحثين من غير العرب والمسلمين رؤيتهم
صالحهم كما زكاها انتماؤهم الثقافي والحضاري
لحضارة مختلفة نريد ـ نحن العرب والمسلمين ـ أن
تحرر من الانقياد لها ، وأن نحتفظ تجاهها بموقف
الاستقلال والنّدية

وفي مقدمة المنطلقات والمعالم الفكرية لتيار التوجه
الاسلامي الجديد . حرص واضح لايخطئه الباحث
على توكيد حد أقصى من التميز والتفرد للاسلام
ونظمه ، ينفي عنه مشابهة أي عقيدة أخرى ، وأي
حضارة أخرى ، وأي نظام غيره ، عرفه الناس قديما
أو يعرفونه حديثا وإذا كان الحرص على تقرير
« التميز » أمرا مشروعا تماما لتحقيق « ذاتية الأنا
الحضارية » ، ولرسم حدودها داخل العقل والنفس
جميعا ، ولوضع الخط الفاصل بين « الذات » وبين
« الآخرين » ومنع ذوبان تلك الذات في غيرها .
فإن الاسراف الشديد في تقرير هذا « التميز » وتلك
الخصوصية والاحساس بالضيق والرغبة الملحة في
الانكار والرفض تجاه أي دعوى لتقرير المشابهة أو
الاشتراك في الرؤية النظرية والموقف العملي مع
الآخرين . هذا الاسراف الشديد ـ فيما نرى ـ يحتاج
الى مراجعة واستدراك من وجهة نظر تاريخية
واجتماعية . . ووجهة نظر اسلامية خالصة من ناحية
أخرى

ويستطيع الباحث أن يجد مظاهر هذا الحرص
الشديد على توكيد الخصوصية فيما تعلنه الكتابات
العديدة الممثلة لتيار الفكر والتوجه الاسلامي من أن
نظام الاسلام في المجال السياسي . . ليس هو
الديمقراطية ولا هو مشتبه بها أو ملتق معها . . وأن
نظامه الاقتصادي « ليس رأسماليا ولا اشتراكيا » . .
وأن مذهبه في نشاط الدولة ومؤسساتها ليس مذهبا
فرديا ، ولا جماعيا . وأنه حتى حين يلتقي في هذه
المجالات مع نظام آخر ، فهو لقاء عابر تعقبه مفارقة
كاملة . . ويحكمه اختلاف أساسي . وأن التشريع
الاسلامي في مجالاته كلها نظام متميز متفرد مختلف
عن سائر النظم القانونية التي عرفها الناس قديما
وحديثا وأنه حتى حين تتماثل بعض أحكامه
الجزئية مع أحكام شرائع أخرى ، فهو تماثل ظاهري
لأن « التصور الاسلامي » كله تصور متميز تماما . .
ونحن لا نجادل في أن لكل حضارة انسانية منطلقاتها
الأساسية التي تميزها عن غيرها ، وأن لها
« خصوصية » هي التي تجعل منها كيانا حضاريا له
استقلاله عن سائر الحضارات .

استدراك

كذلك لا يغيب عن بالنا ـ وما نحسبه يغيب عن
بال مسلم ـ أن الاسلام نظام متكامل يقوم على قاعدة
أساسية ذات مصدر ديني ، هي قاعدة الايمان بالنبي
(ﷺ) الذي تلقى الوحي عن ربه ، وأن من
الطبيعي أن ترتد أحكامه الجزئية وتفصيلات نظامه
السياسي والاجتماعي الى أصول التصور الكلي العام
الذي جاء به الوحي . عن الخالق سبحانه ، وعن
الكون ، وعن الانسان ، ووظيفته ومسئوليته ، ولكن
الذي نستدرك عليه هنا ، ونراجع بعض الكتاب
والدعاة في شأنه ، هو المدى الذي يصلون اليه في
تقرير هذه الحقائق وترتيب النتائج عليها . . فنحن
من ناحية لا نرى انه يجوز لمسلم أن يذهل عن بعض
الحقائق الكبرى الثابتة ـ بالعقل والنقل جميعا ـ التي
تجعل « المسلمين » جزءا من التاريخ العام
للانسانية ، وتجعل سلوكهم كله جزءا من تيار السلوك
الانساني ، تحكمه ذات السنن والضوابط التي تحكم
الناس في مسيرتهم عبر التاريخ كله . .

ونحن من ناحية أخرى نرى بأسا شديدا وخطرا
كبيرا في هذا الاسترسال الذي لايعرف الحدود في
تقرير الخصوصية وتوكيدها وذلك لخطأ وخطورة
بعض النتائج العملية التي تترتب عليه في النظر وفي
السلوك جميعا ، وهي نتائج تعاني منها كثير من
الجماعات المعبرة عن « التوجه الاسلامي » ، كما
يعاني منها عامة المسلمين ، ونخشى أن يكون بعضها

سسا في عشرات كثيرة ، تحرم المجتمعات العربية والاسلامية من الثمرات الطيبة ، ومن الرشد والهداية اللذين جاء الاسلام كله طلبا لهما وسعيا لتحقيقهما .

وحدة الرسالات السماوية

١ - وأول ما يذكر به - وان كان معروفا ومسلما به أن الاسلام حريص كل الحرص على التذكير بوحدة الخالق ، ووحدة الانسانية ، فالحق سبحانه قديم ، يقول تعالى « أنما الهكم إله واحد » ويقول أيضا « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ، ونحن له مسلمون » - وسور الشعراء والانبياء وهود وغيرها من سور القرآن الكريم زاخرة بالآيات التي تؤكد وحدة الحق سبحانه ، ووحدة رسالته للناس ، ووحدة النبوات على تعاقبها واختلاف أزمانها . يقول تعالى « فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» .

والنبي(ﷺ) يقول عن الأنبياء انهم ابناء علات « أي بنو أمهات شتى وأبوهم واحد » أي أصل رسالتهم واحد ، وهو (ﷺ) يذكر بوحدة الرسالات السماوية حين يعبر عن ذلك بأن مثله ومثل الأنبياء قبله كمثل رجل بني بيتا فزينه وجمله إلا موضع لبنة في زاوية من البناء . «فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الأنبياء » .

أما وحدة الانسانية فثابتة بالعقل والتاريخ والمشاهدة ، وثابتة بالنقل الذي لايفتأ يذكر الناس بها حتى لايشردوا ويتوقفوا عند عوارض اختلاف اللغات والأجناس يقول تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

ومن هنا لايجوز أن تغيب هذه الحقيقة عن عقل المسلم ووجدانه ، بل ان القرآن الكريم حين يتحدث عن استخلاف الانسان في الأرض فهو يتحدث عن « الانسان » بعمومه . . عند نقطة البدء في تاريخه حيث يقول « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » - ثم يقول سبحانه « ولقد كرمنا بنى آدم » ويقول : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

صفات ممتزجة

٢ - ان الاسلام ، وان كان في مصدره نظاما إلهيا أوحى به الله سبحانه الى نبيه (ﷺ) فان (ﷺ) تمتزج فيه بشريته مع نبوته ، « قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الى أنما الهكم اله واحد » - وهو (ﷺ) لا يفتأ يذكّر الناس بهذا المعنى « انما أنا بشر وانه يأتيني الخصوم ، فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له » وكذلك المسلمون من بعد النبي (ﷺ) ناس من الناس ، وبشر من البشر يصيبون ويخطئون ، ويعدلون ويظلمون ، وهم - بما يتبعونه من الحق والهدى - شهداء على الناس ، يذكّرون بآيات الله ، ويدعون اليه سبحانه على بصيرة ، ولكنهم لاسلطان لهم على أحد » ، « فذكّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » - ولا يحق لهم - لذلك - أن يمنوا على الله اسلامهم « قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان »

وتاريخهم بعد ذلك جزء من التاريخ العام للانسانية ، وحياتهم خاضعة للسنن والنواميس التي تحكم الناس جميعا . وهي ليست استثناء من تلك السنن،اذا اجتهدوا وأخذوا بالأسباب وصلوا وأدركوا غايتهم وارتفع شأنهم ، واذا تقاعسوا وقعدوا وقصروا وتمنوا على الله الأماني ، وقالوا نحن خير أمة ، ثم لم يعملوا شيئا ، تراجعوا وزال سلطانهم وهان أمرهم ولم ينفعهم ما يرفعونه من شارات ورايات ، وان حملت أقدس الأسماء وأرفع الأنساب .

رسالة عالمية

٣ - ان المسلمين لهم رسالة انسانية عالمية ، ودعوة الاسلام موجهة للناس كافة يقول تعالى : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا » - وهذه العالمية لا يصلح للدعوة اليها الا من اتصل بالناس وأقام الجسور معهم ، ومد بينه وبينهم حبال المعرفة المتبادلة ، وأحسوا أنه منهم وأنهم منه . أما الذي يتعالى على الناس ، ويظل يذكرهم صباح مساء بأنه مختلف عنهم شديد الاختلاف . . وألا صلة تجمعه بهم . ولا أمر مشترك بينه وبينهم . . فأنى يستجيبون

وهو يصعهم بعيدا عه في موقف العزلة
'حتلاف وانقطاع الصلة ؟
ـ ان الاسـلام حين جـاء لم يقطع صلة المسلمين
ـيا التي حولهم ، ولا بالدنيا التي كانت قبلهم
ـا النبي (ﷺ) يقول لأصحابه . « الناس معادن
عـادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجـاهلية
ـارهم في الاسلام اذا فقهـوا » ـ وهو (ﷺ)
ـدث بكل الرضا والثناء عن حلف شهده في
ـاهلية هو حلف الفضول لما انطوى عليه من
'هد على الحق وتعاون على الخير . وتقرير لمـبدأ
كافل بل ان شعائر الاسلام وشرائعه لم تنفصل
ـ شعـائر النـاس قبل البعثة الا حيث كان هـذا
نفصال تصحيحا لعقيدة أو تصويبا لخطأ ، أو نفيا
ـلال ، أو هدمـا لظلم ، أو درءا لمفسـدة أما
ث أقـام الناس ـ قبـل الاسـلام ـ الحق والعـدل
لرحمة ، فقد أقر الاسلام كثيرا مما كان أو هذبه
ـذبه ووضعه موضعه المناسب من البناء المتكامل
ـتي جاء به نعم أقام الاسلام صرحا هائلا من
'فكار والعقائد والنظم . وذلك اسهامه الكبير في
ـدم الانسانية ووضع أقدامها على طريق الحق
كن هذا الاسهام قـد تم دون قطيعـة مطلقـة مع
ـاضي ، أو خصومة ـ لا ضرورة لها ـ مع الحـاضر
ـذي عليه الناس

التميز والخصوصية

ولقائل ـ بعد ذلك ـ أن يقول ان كان الأمـر
ذلك ، فأين خصوصية الاسلام وأين تميزه وأين
رسـالة » المسلمـين الذين جعلهم الله أمـة وسـطا
يكونوا شهداء على الناس ؟
والجواب واضح لا غموض فيه . . ان البشـرية
بغير دين يهدى ـ تزل وتتعثر وتزيغ في سهولة
عن قيم الحق والخير والرحمة والاصلاح وتختلط في
مسيرتها نداءات العقول مع دواعي الأهواء وقد
تندفع الى مسارات أولها خير وآخرها شر عظيم أو
ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب وقد تذكر
في مسارها أشياء وتنسى أشياء . فجاء « الوحي »
هاديا وعاصما وجاء النبي (ﷺ) هاديـا وبشيرا
ونذيرا « فذكّر انما أنت مذكر » .

وحيـاة المسلمين لا تكـون اسـلامية ، بتحـرى
مخالفتها لكل ما عداها ، وانفرادها بمسلك لا يسلكه
غير أصحابها وانما تكون هذه الحياة ـ وهي عادية
في جوهرها ـ حياة اسلامية بقدر ما توجهها « قيم »
الحق والعـدل والـرحمـة واصـلاح ذات البـين بـين
الناس ، « وقيم الايثار والعطاء » والعفو في اطار
من سكينة النفس المطمئنة الى قضاء الله . . الساعية
بين الناس بأمره وهداه الصادرة في ذلك كله عن
ايمان به سبحانه ، وتوجه لمرضاته . « قل ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . »
نعم إن الحضارات في نشأتها تحتاج الى مرحلة
اعلان للمبادىء وتحديد للهـوية ، وتشخيص لمعـالم
التميز والخصوصية . ولكن هذه الحاجة تكون لها
الأولوية عند مولد الحضارة ، أو انفصالها عن حضارة
أخرى وفي هذه المرحلة الأولى يشتد الحرص على
رموز التميز وشعائر الخصوصيه . ويحتاج الأمر الى
تعقب مظاهر « التشبه » بالغير ، حتى يكتمل مـولد
الحضـارة الجديـدة أما بعـد أن تتحدد المعـالم ،
وترسخ أقدام الحضارة الجديدة في الأرض . وتحتل
مكانها على خريطة الناس والشعوب . . فان الحاجة
الى تـوكيد « الخصـوصية » تقـل ، ان كـانت تبقى
قائمة . والدعوة الى « التميز » تحتاج الى أن توازنها
دعوة أخرى الى توكيد « العناصر المشتركة » التي تعين
على التواصل . وتفتح أمام دعاة الحضارة الجديدة
عقول الناس وقلوبهم . خصوصا اذا كانت دعوتها
انسانية وعالمية على ما هو الشأن في دعوة الاسلام .

معادلة صعبة

والمعـادلة الصعبـة التي يـواجهها تيـار « الفكـر
والحركة » الاسلامية ان المسلمـين اليوم بحـاجة الى
العمل في اتجاهين .
أ ـ فنحن ـ العرب والمسلمين ـ نتعرض لعلاقات
ثقافية وحضارية وسياسية غير متكافئة بيننا وبين الدول
الكبرى التي تنتمي الى حضارات غير حضارتنا
وهو ما يتحدث عنه رجال الثقافة عادة تحت عنـوان
« الغزو الثقافي » ولهذا فنحن ـ ولا شك ـ نحتاج الى
أن نعتصم بذاتنا الحضارية وأن نتمسك بمعالمنا الفكرية
والسلوكية . . وأن ننتبه الى مخـاطر « الـذوبان » في

حضارة الآخرين ، حين ندخل معهم مرحلة « الاختلاط » ونحن الجانب الضعيف الذي « يستقبل » التأثيرات الحضارية والثقافية ، ولايكاد « يرسل » شيئا للآخرين .

ب ـ ونحن ـ من ناحية أخرى ـ نواجه عزلة حضارية ، بعد عصور طويلة من التخلف والاقتصار على الذات ، تراجع فيها اسهامنا في حضارة العالم ، وقل فيها ـ الى درجة الشح الشديد ـ عطاؤنا في أكثر الميادين . . والحملة من حولنا شديدة على حضارتنا وأفكارنا وأسلوب حياتنا ، تصورنا على غير حقيقتنا ، وتريد أن تصرف الدنيا كلها عنا ولهذا فنحن نحتاج الى دعوة والى اعلام كما نحتاج الى مشاركة الدنيا من حولنا سعيها الدؤوب الذي تقفز به قفزات هائلة في ميادين العلم وادارة الحياة . . ولا يمكن أن يتم لنا شيء من ذلك اذا عاش جيلنا المعاصر في عزلة نفسية وعقلية ، تحيط به الهواجس ، وتستولى عليه الوساوس والمخاوف ويدفعه الحرص على النقاء الى رفض كل جديد ، ومحاربة كل وافد . مخافة أن يكون عدوا في ثياب صديق أو سما قاتلا في وعاء غذاء أو دواء . . وحجتنا التي نلوذ بها .في.ذلك :أننا نقفل أبواب الشر ، ونسد ذرائع الفساد الحضارى . .

وهذا الأسلوب في « مقاومة الغزو » لم يعد ممكنا ، ولم يعد صالحا ، فالحواجز بين الشعوب تتساقط وتتهاوى يوما بعد يوم . . والاتصال بين الحضارات حقيقة قائمة . . لهذا فان الاسلوب الفعال والصحيح في الدفاع عن الذات الحضارية ، لا بد أن يقوم على تربية الجيل كله على الحركة في الاتجاهين جميعا . . اتجاه معرفة « المعالم الذاتية » والتمسك بها . . واتجاه معرفة « الخصائص المشتركة » ، والنسب الانساني العام . . وتقبله . . والتعامل السوى مع « الغير » على أساس هذا النسب المشترك . .

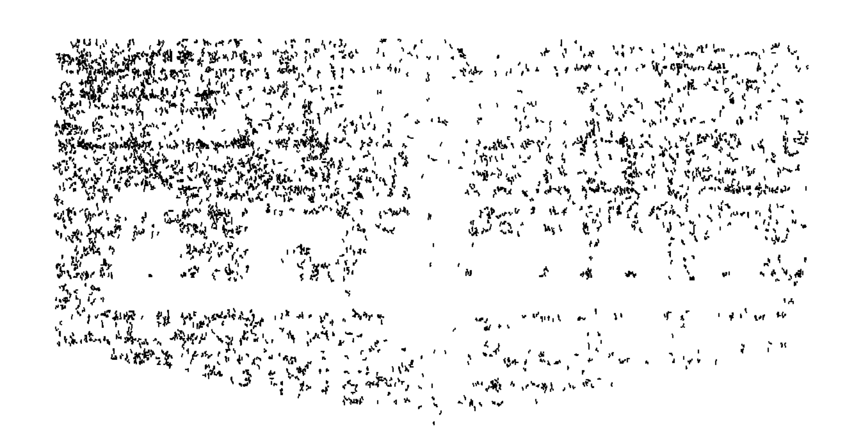
الحق والواقع

إن الالحاح المبالغ فيه على « الخصوصية والتميز » ليس ـ فيما نرى ـ مجرد موقف فكرى يحتمل المراجعة . . وانما يكمن الخطر الحقيقى في الآثار العملية التي تترتب عليه . . آثار ممارسة العزلة والاتهام المستمر للآخرين . . وحرمان « الغير » من أن يكون له مكان في دنيا « المؤمنين » والتشديد على الاتباع والأنصار ليتركوا كل مظاهر « التشبه الحضاري » حتى ولو كانت تشبها في خير ، واتباعا لحكمة . . ولحاقا بموكب عدل وحق . . وكذلك تترتب عليه نتائج عملية شديدة الغرابة ، تنتهى ببعض الدعاة الى أن يقدموا الاسلام للناس في صورة ملؤها الغموض والخفاء . . قصاراها أن تؤكد أنه مختلف عن كل ما عداه متميز عن كل ما عرفه الناس أما خصائصه الموضوعية المحددة فتبقى عائمة باهتة لا حدود لها وينسى هؤلاء أن نفى المشابهة لا يجب الا في حق الحق سبحانه الذي « ليس كمثله شيء » أما الناس وثقافاتهم وحياتهم فتبقى مزيجا من الحق والواقع . ومن القيم المثالية . والأوضاع الاجتماعية المؤثرة . . لا ينقص ذلك من قدرها . . ولا ينال من خصوصيتها

وليت الذين يملؤهم الحرص على الاسلام ، والرغبة في خدمة دينهم وثقافتهم يعرفون ذلك كله فلا يخرج الواحد منهم علينا ببحوث قد تبلغ آلاف الصفحات ليعلن في حماس لا حدود له أن الاسلام « مختلف تماما » عن كل ما عرفنا ونعرف . وأن من الاخلاص له والمحافظة على نقاوته اثبات هذا التميز الذى لاحدود له ولا نهاية .

اننا نتمنى عليهم أن يتواضعوا قليلا ويصفوا كثيرا . ويتوقفوا عن الخوف الذي لا مبرر له على دين أنزله الله على رسوله « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . . وليت الذين لا يتوقفون عن الحديث عن الصحوة الاسلامية . حديث الخائف أو حديث المتربص . . أو حديث المتحمس المفتون . . ليت هؤلاء جميعا يتوجهون الى دراسة المزيد من المواقف الفكرية والسلوكية لهذا التيار المتعاظم ، حتى يعينوا أصحابه على مزيد من الرشد . . ويعصموهم ويعصموا أنفسهم من عثرات قد نشترك جميعا في تحمل مخاطرها الكبيرة . □

■ الشجاعة تنبع من القلوب ، لا من كثرة العدد (دريدن)



القرن الواحد والعشرين

بقلم : الدكتور عبدالحميد يونس

عالمنا اليوم هو عالم التقدم المتوثب ، واهم مقوماته المعرفة والمعلومة ، واذا كان اجدادنا العرب قد اسهموا بشكل مشرف فى رصد المعلومات وتصنيف المعارف ، وقدموا للتاريخ الحضارى اروع موسوعاته ، فليس بعزيز على العلماء والمفكرين من العرب المحدثين أن ينهضوا بهذا الانجاز الموسوعى للقرن الواحد والعشرين .

لااريد ، وأنا أتحدث عن دوائر المعارف أو الموسوعات ، أن أشرح ما اصطلحنا على ـديده بكلمة « المعرفة » ذلك لأن هـده الكلمة ـسحت ترتبط بالتركيز على أصل المعرفة الانسانية طبيعتها ومداها وكان من الطبيعى ان تختلف حولها ـداهب . وحسبنا أن نتخد المعنى الدارج الدى يؤكد ـلاقة المعرفة بانسانية الانسان ، وما من امرىء تقوم حياته على المعرفة سواء أكان ذلك بالاحساس ـم الادراك أم الفكر ، بيد ان هـذا كله قد تجاوز ـذاكرة بالطفرة الحضارية التى اعتمدت على تدوين ، وأتاحت حرية النقل من فرد الى فرد ومن ـماعة الى جماعة ومن جيل الى جيل ، وكانت حوافز ـصنيف المعرفة من اهم المعالم التى أصلت النزعة الحضارية وتواصلها وتبادل التأثر والتأثير فيها بين الأوطان والعصور

ومن الضرورى أن نفرق بين القاموس من ناحية وبين دائرة المعارف من ناحية اخرى ، فالقاموس يجمع الكلمات التى تستوعبها اللغة ويرتبها على حروف الهجاء على اختلاف مناهج الذين اشتهروا فى هـذا المجال على طبيعة اللغة من حيث الأصل والاشتقاق ، والحضارة العربية ذخيرة لاتزال تعتبر من أهم الذخائر العالمية فى تتبع الكلمات وتصنيفها وترتيبها وعرض معانيها ودلالاتها ، وكثيرا ما اتخذت الشواهد التى تضبط اللفظ وتوثق المعنى ، ونحن اليوم لانزال نحس بالحاجة الماسة الى الاعتماد على تلك القواميس والمعاجم العربية مع مرور اكثر من ألف

عـام على جمعهـا وتصنيفها ، وسيـظل العلماء الذين نهضوا بهذه الجهود الشاقة المضنية في مكانهم الممتاز في تاريخ الحضارة العربيـة بل العـالمية امثـال « ابن منظور » صاحب « لسان العرب » و « الفيروزابادى » مصنف القـاموس المحيط والـزبيـدى الـذى شرح القاموس المحيط في معجمه « تاج العروس »

وبدأنا في أيامنا هذه نعترف بتبادل المعلومات بيننا وأن نجعل هذا التبـادل يكافىء وظيفـة المصارف في الحيـاة المـاديـة ، واشتهـر بيننـا مصـطلح « بنـك المعلومـات » وهـو مـا قـامت ، ولاتـزال تقـوم بـه الجماعات في تبادل المعارف ، وانا أملي هذه السطور بعد لحظات من استعراض الطبعة الاخيرة من دائرة المعـارف البريـطانية ، وأخـذت اوازن بين إحـدى طبعاتها السابقة وبين هذه الطبعة الجديدة ووجـدت اتساع الأفق وتنوع المعارف ، ولكن الجديد يشهد على تنوع الحوافز ، فهناك مواد احتفظت بمكانها وأخرى أصبحت معلومة قصيرة مـع التركيـز على المقـومات الأساسية لها ، الى جانب ما أضافته السنوات الأخيرة من معـارف ومعلومات ، والانسـانية ظلت تتـوسل بتبادل المعارف على أساس ما اصطلحنا على تسميته بالموسوعات ، ونحن مهما اختلفنا حول المقصود من المـوسوعـة أو دائرة المعـارف فانـنا نجمـع عـلى أنها الصحف التي تضم بين دفتيها كل ما تستوعبه المعرفة الانسانية من حقائق ووقائع وظواهر وعلوم ، وهذا الجهاز المتخصص في تبادل المعارف احتفل بأحد فروع المعرفة احتفاله بكل ما تحتاج الانسانيـة الى التعرف عليـه بصفة عـامـة ، وأصبـح هـذا الجهـاز يشتهـر « بالانسيكلوبيديا » أو الموسوعة أو دائرة المعارف .

جهود عربية للقدماء والمحدثين

وهنـاك دارسون عنوا بتتبع هـذا المنهج الجـامع للمعـارف ووجدوا أنـه يسايـر التطور الحضـارى ، ويذكرون شواهد صنفت في العصور القديمة . أما في تاريخنا العربي الاسلامى فاننا نجد شواهـد بارزة في تتبع العلوم والمعارف والفنـون وتصنيفها،ويكفى أن أذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ موسوعة الفارابى « احصاء العلوم » وقد صنف فيه المعرفـة الانسانيـة بصفة عامة الى خمسة أقسام هى علوم اللسان والمنطق والطبيعة والالاهيات والفقه ، ويجمع الباحثون على الاعتـراف بتعمقـه في التصنيف والبحث ، وهنـاك شاهد آخر هو « النويرى » الذى نهض بجهد كبير في موسوعته الضخمة « نهايـة الأرب في فنون الأدب » التي تضم ثـلاثين مجلدا تستـوعب الكون والـطبيعة والانسـان والحيوان والنبـات.ولم يغفل النـويـرى في موسوعته تسجيل التواريخ التي جعل لها قسما خاصا ، ونحن في عصرنا الحديث نرجع في البحث عن معرفة أو علم الى « دائـرة معـارف البستـانى » التي قيام بمجلداتها الأولى « بطرس البستانى » وأكملها أبناؤه فيما بعد ، والى « دائـرة معارف القـرن العشرين » وهى في ٢٠ مجلدا،وعمل على جمع موادها وتسجيلها وتصنيفها « محمد فريد وجدى » ، ولعل اختياره لهذا العنوان هو الذى جعل معظم الذين اهتموا بشخصيته أو ترجموا له يكتشفون عن الحافز الكبير على هذا الجهد الذى دفعه الى تحقيقه وهو الأصالة والمعاصرة

وفى العقد الثالث أحس جيلنا بالحاجة الماسة الى الكتب الموسوعية ، على أن تساير النماذج التي أخذنا نفيد منها في اللغات العربية كالانجليزية والفـرنسية والألمانية ويبدو أن حماسة الشباب هى التي جعلتنا نتحول من مجرد الدعوة الى محاوله التحقيق ، واخترنا موسوعة أوروبية مشهورة وعقدنا العزم على ترجمتها الى اللغة العربيةوأدركنا العقبة التي اعترها أساتذتنا وزملاؤ نا من المستحيـلات،وهى الخلاف في تـرتيب الحروف الهجائية بين اللغة الأصلية للموسوعة وبين حروفنا في اللغة العربية الى جانب بعض الحروف التي ليس لها مقابل عند الأوروبيين ، بيد أن الاصرار دفعنا الى التعرف على صنيع المستشرقين في نقل الأسمـاء والكلمـات العـربيـة الى كتـابتهـا عنـد الانجليـز والفـرنسيين مثـل حـروف الخـاء والحـاء والصـاد والعين . . الخ وقمنا بخطوة أوليـة في جمع الحـروف وترتيبها على أساس الهجاء العربي ، وتخيلنا التشبث الكامل بحقـوق التأليف وبعثنـا الى ادارة الموسـوعة الأوروبيـة الكبيرة نطلب منها المـوافقة عـلى ترجمـة الموسوعة الى لغتنا العربية ، وعـلى الرغم من مضى نصف قرن وأكثر على ذلك المشروع الا أننا لا نزال نحس بالدهشة على تجاوزنا للواقع ، ذلك لأن ادارة تلك الموسوعة الأوربية الكبرى طالبتنا بمليون جنيـه استرليني لمنحنا حق الترجمة ، ولو أننا طبقنا حساب

الأيام لأدركنا أنها تريد ما أضعاف هذا المبلغ
ستطيع النهوض به الشركات الكبيرة واللجان
مية التى تستوعب التخصصات المختلفة ، ومثل
الموسوعة تتطلب التكامل والمثابرة على تنفيذها
اقة فى الانفاق عليها

وفى هذه الفترة نفسها نهضنا بترجمة موسوعة
صصة فى حضارتنا وهى « دائرة المعارف
سلامية » وأخذنا الكثير من الاعداد لها وتمهيدها ،
، لأننا درسنا بمنهج عملى ما هو المقصود بالموسوعة
تصصة وأدركنا أنها حضارة متسعة لها حدودها
مارية ولها شعوبها وأحداثها وتفاوت مقومات
نها ، واتضح لنا آخر الأمر أن عادة ترتيب مواد
سوعة على الاساس الهجائى ممكن ، بيد ان
تدتنا سخروا منا ، ولم يكونوا يتصورون اقدامنا
ذلك ، وكلما وازنت بين هذا الجهد وبين ما
لب به بوجوب المبادرة الى اصدار موسوعة القرن
حد والعشرين يتأكد ان كان تحقيق هذا المشروع
سير تعوزه الافادة من الدروس المستخلصة من
جهة الواقع . ودفعتنا المثابرة على أن يشجعنا
ثيرون من أعلام الفكر ، ثم اقتنع الذين انتقدونا
مه عملنا ، واعترف مع ذلك بأن حاجة ترجمة هذه
سوعة الى ما يمكن أن نطلق عليه « طول النفس »
ور الخلاف بين العمل الأصيل فى التأليف والترجمة
، الطبع والنشر ، وهو ما يجب أن نضعه فى حسابنا
حن نادى بالأعمال الجامعة للمعارف وتطويع
بهره الطبع والنشر لها حتى تتغير بعض الأهداف
دية وتستقيم الحياة الفكرية فى السنوات القليلة
قية من القرن العشرين ، ونكرر القاعدة التى
ل إن الوظيفة هى التى تخلق العضو ، وهو ما
ل أجهزة الطباعة والنشر ما هى الا أعضاء تحفزها
ظيفة الحيوية فى الفكر والفن ، وتستحيل المعارف
اصة بهذه الوظيفة هو ما تعمل الطباعة والنشر على
يقه فى الحياة الانسانية التى تقوم الحضارة فيها على
صل المعارف والخبرات والتجارب

نهج الموسوعى
الطفرة الحضارية

وعدت أكرر وجوب العمل الجاد على اصدار
الموسوعة العربية الكبرى فابتسم بعض المعروفين فى
عالم الفكر ، وكأنهم يريدون أن يقولوا لى : إن من
المستحيل تحقيق هذا المشروع الخيالى ، ولم يقف الأمر
عند هذا الحد فقد صدرت قرارات واضحة
وموضوعية طالب بعضها بتحقيق هذا المشروع
العظيم وبدأ بعضها الآخر فى إعطاء النور الأخضر
للشروع فى التنفيذ ، وتجاوز ذلك الحدود الرسمية
للأقاليم والأوطان العربية مثل المنظمات الخاصة
بالتربية والثقافة والعلوم فى هيئة الأمم أو الجامعة
العربية ، ولا أجد حرجا على الاطلاق فى ان أذكر
اصدقائى وزملائى بآخر لقاء شاركت فيه لاعادة النظر
فى مشروع دائرة المعارف العربية الكبرى وهو الذى
عرض فيه بعض الزملاء للطاقة البشرية والفنية التى
تحتاج اليها الموسوعة ، واختلف المجتمعون على
الاطار الذى يتحقق فيه تنفيذ العمل ، بعضهم أصر
على ان الهيئة العامة ممثلة فى هذه الدولة او تلك هى
التى تستطيع ان تنهض بالمسئولية أو بعبارة أخرى إن
القطاع العام هو الذى يقوم بالتخطيط ويرسم الطريقة
الى جمع المواد وتصنيفها واعدادها ثم الى طبعها
ونشرها بما يملك اويشرف على مؤسسات للطباعة
والنشر المجهزة بأحدث الوسائل والالات . ورأى
البعض الآخر أن الأفراد والشركات فى القطاع
الخاص أقدر على تنفيذ هذا المشروع لأنه فى نظرهم
أكثر مرونة ولأن الحافز المادى المباشر يرتبط بالأثر
والعائد

وفى غضون أكثر من خمسين سنة اتسعت آفاق
النهضة الفكرية بمجالاتها المختلفة فى العالم العربى ،
ووجدنا تقديرا للآداب والفنون العالمية والعربية على
السواء ، واحتفلت الهيئات المشرفة على الثقافة بتيسير
الحصول على ثمرات الفكر على اختلاف مجالاته
ولغاته ، وأصبح القارىء لا يجد الحاجز بين نفقات
الانتاج وبين الغذاء الوجدانى والروحى مما يدل على
أن الكثير من الدول العربية أصبحت تعترف بقيمة
الكتاب وأثره ، مع العناية باختياره والتفنن فى
اجتذاب القارىء للحصول عليه وهو الجو الذى
أصبح فى نظر كاتب هذه السطور ملائما للتذكير
بالحاجة الملحة الى إصدار الموسوعة العربية الكبرى ،
ويبقى أن أقترح في هذه الكلمة أن تستجيب المنظمات
الدولية أو العربية الى تأليف لجنة دائمة تكون بمثابة

الجهاز الذى يتابع التخطيط والجمع والتصنيف للمواد الخاصة بموسوعة القرن الواحد والعشرين التى تظهر فى مستوى دوائر المعارف الانجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية والروسية وغيرها ، وعلى الرغم من عالمية هذه الموسوعة فان ظهورها باللغة العربية يجعلها تعيد التوازن بين القوميات واللغات حتى تقف مواد الحضارة العربية فى المكانة التى لها فى التاريخ وفى مسايرة العصر الحديث ، وهكذا نتبين أن المنهج الموسوعى يعترف بالواقع الحضارى ولا يخضع لاتجاهات تستعلى ـ بطريق غير مباشر ـ الواقع الحضارى وماللشعب العربى من مكانه إيجابية فى المسار الانسانى .

عالم لا يسير . . . بل يطير

وفى الاشارة الواقعية الى تحقيق الوظيفة الانسانية والقومية لهذا المشروع الكبير نرى لزاما علينا ان نسجل اهم مقومات المنهج الموسوعى . انه يكاد يطابق ، ولا أقول يشبه ، المنهج المعمارى فى مجال الهندسة ، ذلك لأن دائرة المعارف الكبرى فيها من السعة والتعقيد ما فى المنهج المعمارى فى ايامنا هذه ، وشتان بين العمارة فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، ذلك لأننا نواجه الآن طفرة حضارية أخرجت التطور من خطواته التى اتسمت بالايقاع المنظم ، حتى وان أدخلنا فى حسابنا أن سرعة التطور الانسانى أخرجت الانسان من ذلك الايقاع الى ما يشبه الطيران . ان الانسان بدأ يخرج من جاذبية الأرض ، والموسوعة الكبرى تساير محصلة الحضارة ولذلك يكثر الجديد فى أحداثها وشخوصها وفى علومها وفنونها ، ولم تعد الملاحق التى يصدرها المشرفون على هذه الموسوعة تلائم هذه الطفرة ، ولقد علمت منذ أيام قليلة أن بعض المؤسسات الخاصة باصدار الموسوعات الكبرى تعنى بالاستجابة الفورية لكل من يطلب التعرف على مادة جديدة ، وبذلك تصبح بالفعل مصدرا أساسيا للمعارف الجديدة التى لم تطبع وهو ما يؤكد أهمية تحقيق ما نلح على المطالبة به وهو مصدر حى للمعارف كما خرج الى عالم الواقع فى الدول والشعوب المتقدمة .

والعمارات فى هذه المرحلة الأخيرة تتسم بالضخامة والطول ولكنها فى الوقت نفسه تستوعب فى أدوارها وحدات منوعة،فهى تستجيب لمطالب الحياة والعمل ، وكثرتها وتزاحمها يعبران عن التعقيد وعن الايقاع السريع فى الحياة المدنية اليوم ، ويتخيل الكثيرون من الذين يحتفلون بالمستقبل والذين يرون انه يباين الحاضر ، ولو سجلنا بعض ما يتصورونه لحكمنا على رؤيتهم بأنهم يجنحون الى الخيال لقد شاع فى كتاباتهم أنهم يخططون لمدن وعمارات خارج جاذبية الأرض ، وتسجيل هذا التخطيط المستقبلى من مهمات الموسوعة الكبرى مع نسبة هذا التصور الى أصحابه والى مكانتهم من المعرفة الانسانية ، فالمنهج الموسوعى يحتاج الى سعة الأفق فى الكون وفى الأرض ويحتاج الى تقديم محصلة الجهود الانسانية الى كل انسان على قدر من الوعى والعلم ، ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الحية التى تحقق هذه المهمة الكبيرة ، فالكتاب سجل لجميع المعارف والتجارب والخبرات وصورة لعالم الوجود فى الأرض والكون وموسوعة القرن الواحد والعشرين تحكى هذا المسار فى الزمان وفى المكان جميعا

لا معنى للتردد

واسمحوا لى أيها الأصدقاء أن نشحذ همتنا وأن نحاول السير فى السنوات الباقية فى القرن العشرين وأن نستغل هذه الفترة القصيرة بالتخطيط لموسوعة القرن الواحد والعشرين ، والانسان هو الكائن الذى يواجه المستقبل معتمدا على ذخيرته فى مجالات العلم والفن والأدب واذا كان العلماء يعترفون بمكونات اللاوعى فى صياغة الشخصية فان مكونات اللاوعي تفيد من تيسير الذخيرة الحضارية فى الموسوعة الكبرى ، وبين أيدينا المصادر والمراجع العربية وغير العربية ، فلنتحول من الدعوة الى الشروع فى الخطوة الاولى ، وهذه الكلمات أقولها لنفسى كما أقولها للمثقفين بالمفهوم الخاص فى عالمنا العربى فهى صرخة عتاب وليست مجرد همسة عتاب كما هو مشهور . . ان الموسوعة تبدأ بجذاذة أو بطاقة وتنتهى بمَعْلم حضارى عصرى يواجه القرن الواحد والعشرين . □



الزنبقة العاشقة

شعر :
الدكتور عيسى درويش

بسمت زنبقة لي مرة ... وأرتني ثغرها العذب الجميلْ
قلت : « يازنبقتي ما المبتغى ... من فتى أصبح كالعود نحيلْ »
فأجابتني بصوت ناعم ... وبدمع من مآقيها . . يسيلْ
إن يكن جسمك من داء ذوى ... ان في حبك مايشفي العليل

****

قلت : « يازنبقة الروض اسْمعي ... أي نفع في هوانا المستحيلْ
في غد يسقطنا الموت به ... هل لانسان عن الموت بديلْ
يسقط العمر على أبوابه ... يستوي فيه كثير وقليلْ
قلما نرشف من كأس الهوى ... وكلانا بين جنبيه قتيل

****

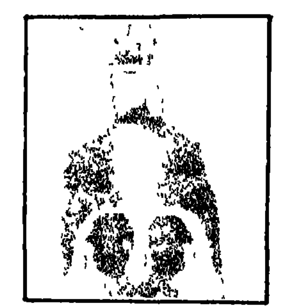
صاح بالزنبقِ طير عاشق ... جاء يرتاح على الغصن الخضيلْ
« آه ياأختاه اني عاشقٌ ... ولَكم جئت الى هذا الخميلْ
أرقب الآفاق أرضا وسماً ... ربما ألقى لمن أهوى سبيل
إنما الأيام حب دائم ... فاذا راح الهوى ـ آن الرحيل »

****

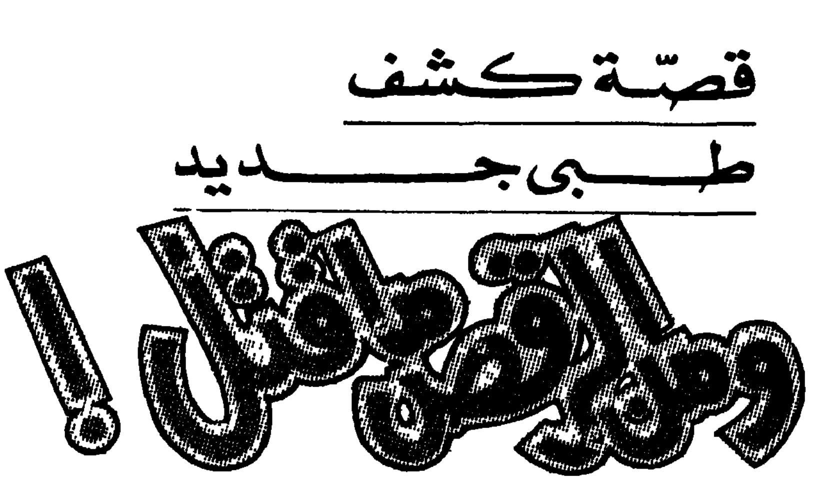
قلت : « ياطير الهوى طاب اللقا ... الشذى . . والشعر والحب الأصيلْ
أعطني اللحن وخذ أغنيتي ... هات يازنبقتي ـ روى الغليلْ
واجعل العمر ربيعا دائما ... وامزج العطر بهذا السلسبيل
فاذا غبت على لوح الدجى ... عدت مزهوا مع الصبح البليلْ »

*****

يا أخي الانسان لا تيأس اذا ... حلت الأحزان والهم الثقيلْ
واجعل الأيام تمسي مثلما ... شاءها الله فما ضيق يطول
وعش اللحظة في نشوتها ... واختم النعمة بالشكر الجزيلْ
واطلب الخير الى كل الورى ... ودع الشر من الدنيا يزول



قصّة كشف طبي جديد



بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

ليس الرقص دائما تعبيرا عن البهجة والسرور . . فقد يكون تعبيرا عن مرض نهايته الهلاك . . ومع أن هذا المرض قلما نجده في أغلب البلدان ، الا أنه ليس كذلك في احدى القرى الصغيرة المطلة على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا ، حيث يقع الكثير من سكان هذه القرية ضحايا لهذا « المرض الراقص » . . فماقصة هذاالمرض . . . وما حقيقة المأساة فيه ، وهل تلوح في طوايا هذه القصة وأحداثها بارقة أمل في نصر طبي جديد ؟ . . .

الدنيا ما تزال في سويعات البكور . فالصباح لم يعلن عن قدومه الا منذ قليل . . والاجتماع المقرر لن يكون قبل حلول ساعة العصر من هذا اليوم ، ومع ذلك فقد أخذت « ايريس سوتو » تعد نفسها لهذااللقاء الذي سيجمعها بفريق البحث الطبي القادم من أمريكا . . كانت تشعر بسعادة غامرة وهي تتهيأ لهذاالاجتماع المهم ، وكان أكثر ما يثير في نفسها الشوق اليه أنها ستلتقي فيه برئيسة الفريق التي تحبها ، تلك السيدة ذات الشعر الأشقر « نانسي وكسلر » . .

لقد انتقت « ايريس » لهذااللقاء ثوبا أسود مزركشا لتلبسه ، فهو أفضل ما عندها ، وهي تعلم مسبقا أن أهالي القرية جميعا، ولا سيما النساء ، سيتبارين في لبس أفضل ما عندهن من ثياب . .

طلبت « ايريس » من والدتها أن تساعدها في ارتداء ثوبها الأسود المزركش ، ورغم هذه الاستجابة فقد استغرق لبسها لهذا الثوب وقتا طويلا . . وعندما حاولت أن تلبس حذاءها بمفردها فشلت أكثر من مرة ، فجلست لأكثر من ساعة محلقة الى صمت حزين .

ولكن « ايريس » تعيش مأساة . . إنها مصابة بداء (هانتينغتون) ' Huntington ' فما هو

المرض ، وكيف أخذ طريقه إليها ؟ .
(هانتيغتون) هذا مرض عصبي ، انتقل اليها طريق الوراثة ، وأدى الى وفاة العديد من ائها انه مرض يجعل جسم المصاب به يتلوى راقص ، ويأتي بحركات مستمرة لاارادية . كات تشبه الى حد بعيد تلوي الافعى ، والحركة . تكون في الرأس أو في الدراعين أو في الجسم مله . والمؤلم في هداالمرض أن المريض يشعر عجز التام عن ايقاف هده الحركات التي تجر الجسم أن يتخد أوصاعا غريبة ، دون أن تكون له أدنى طرةعليها

لقد أصاب هدا المرض القاتل « ايريس » مند عدة سوات ، ومند دلك الحين وهو احد في الاشتداد ها الان في الأربعين من عمرها ، ورعم دلك فهي لا ستطيع أن تمشي بسهولة ، ولا أن ترتدي ملابسها ، تتناول طعامها ، دون عون الاخرين فان سمها النحيل دائم التحرك والتلوي

وككل المصابين بهدا المرض ، فقد ولدت ايريس » وبدور المرض كامنة في جسمها ، وأمضت لسنوات الباكرة من حياتها في صحه تامة . فلم تكن شكو من أي عرض ، حتى ادابلغت الثلاثين من عمرها بدأت بدور المرض تكشف عن نفسها لقد بدأت المتكلهمعها بأعراض بسيطة ، لم تلق لها بالا في أول الأمر ككثرةالنسيان ، وسرعه الغضب دون مبرر ، ثم بدأت الأمور معها تتجه نحو الأسوأ ، فأخد جسمها يتحرك دون ارادتها ، ودخل ظهرها وكتفاها في حركة لا تهدأ ، كما لو كانت تبحث لنفسها عن وضع مريح دون أن تجده !

وأينما توجهت ـ خارج تلك القريه ـ كانت هده الحركات تبعث استغراب وتأويل وتفكه ولكنها بالنسة لـ « ايريس » ولكل فرد من أفراد قرية سان لويس يبدو الأمر مختلفا تماما فهم يعلمون جيداماالذي تعنيه هده الحركات ،ومامصير من يصاب بها - انه « الداء » كمايسمونه في « سان لويس » ، وهي قريةمتواضعة تطل على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا .ومعظم منازلها مبنية من الخشب ، طرقاتها ترابيةضيقه ملتوية ، غالبيةأهلها يجهلون القراءة والكتابة ، يقدر عدد سكانها بحوالي ثلاثة الاف شخص ، تتوزعهم أسر كثيرة الأفراد ، جلهم مترابطون بقرابةالدم والاصهار ، أما مصدر رزقهم الوحيد والمحدود فهو صيد السمك .

وقد يصعب عليك أن تتوقع أن قريةصغيرةكسان لويس هده تضم بين جنباتها أحوبةشافيةلكثير من الغموض الذي يكتنف مرض (هانتيغتون) ، ولكن يبدو أن هذا هو الواقع . .

أسرة سوتو

ان الاهمية العلمية لهذه القرية انما تعود لاصابة العديد من سكانها بهدا المرض ، فبينما يبدو هدا المرض قليل المشاهدة الى درجة الندرة في معظم بلدان العالم ، حتى أن عدد المصابين به في الولايات المتحدة ، مثلا ، لا يزيد على عشرين ألفا ـ أي بنسبة انتشار تعادل من ٥ الى ١٠ لكل مائة ألف من



السكان ، نجد أن انتشار هذا المرض في سان لويس يفوق بمقدار سبعمائة ضعف نسبة انتشاره في أمريكا . . وأكثر من ذلك أن أسرة « سوتو » التي تستوطن هذه القرية ، تضم بين أفرادها أكبر تجمع معروف في العالم للمصابين بهذا المرض . ومع أن هذه الحقيقة تجسم المأساة الحادة لهذه الأسرة ، الا أنها ـ في ذات الوقت ـ توفر البيئة المناسبة والأرض الخصبة للبحث والدراسة ، وأحيانا تبدو صحيحة ومفيدة الى درجة الايلام .

ومنذ أكثر من عام ، وعن طريق دراسة عينات دم مأخوذة من أفراد عائلة « سوتو » التي أصبحت تعد أربعة آلاف شخص على مدى ثمانية أجيال متداخلة ومتعاقبة ، استطاع العلماء أن يحققوا نصرا كبيرا في مجال الكشف العلمي ، فقد تمكنوا من تحديد مكان الجينة (Gene) المسئولة عن مرض (هانتيغتون) ، ضمن أحد الكروموسومات التي توجد في نواة الخلية البشرية ، وقد اتضح لهم أن الداء انما ينجم عن عطب يصيب احدى الجينات (وهي عناصر البرمجة الوراثية التي تتحكم في كل صفة أو وظيفة في الجسم ، وعن طريقها يتم انتقال الصفات الوراثية عبر الأجيال) وأن هذه الجينة المعطوبة تتخذ لها موضعاً على الكروموسوم رقم (٤) من الكروموسومات الستة والاربعين التي توجد في كل خلية من خلايا جسمنا . .

لقد كان من المعروف مسبقا أن مرض (هانتينغتون) ينجم عن خلل في احدى الجينات ، ولكن لم يكن من الممكن وقتها تحديد مكان تلك الجينة بدقة ، ولا شك أن مقدرتنا على تحديد مكان تلك الجينة ، يضع بين أيدينا اداة مهمة للتحري عن المرض منذ بدايته ، ويجعلنا في غنى عن أن ننتظر سنوات عدة ونحن نترقب ظهور المرض ، بينما يكون المصاب قد تزوج ـ أو تزوجت ـ وأنجب أطفالا يحملون بدورهم نذير الاصابة المميتة طي رسالة مغلقة ! بل ان هذا الكشف الجديد قد يكون نقطة البداية للتوصل الى علاج ناجع ، يضع حدا لهذا المرض عن طريق « تعويض » تلك الجينة المريضة بأخرى سليمة وطبيعية ، ولا شك أن هذا لم يعد بالأمر المستبعد في عصر الهندسة والجراحة الوراثية .

بداية الاهتمام بسان لويس :

في الوقت الذي كانت فيه « ايريس سوتو » تعد نفسها ـ هي وجميع سكان سان لويس ـ لاستقبال فريق البحث القادم من أمريكا ، كانت السيارة التي تقل هذا الفريق تنهب الأرض باتجاه القرية المذكورة وكانت مهمة القيادة في هذا الفريق ملقاة على عاتق سيدة في الثلاثين من عمرها . انها « نانسي وكسلر » وفي هذه الأثناء كانت مشاعر وأفكار تدور في نفس « نانسي » وفي عقلها إنها الآن في طريقها الى القرية المحتضر ـ كما حلا لها أن تتصور ـ وهذه هي زيارتها الرابعة لها ، ولكنها اليوم أكثر ثقة بالنجاح ، وأكثر أملا في أن تعود من رحلتها هذه بفتح جديد . لقد كانت زياراتها الثلاث السابقة كمن يسير الى هدفه معصوب العينين . أما اليوم ، وبعد أن استطاع العلماء بفضل حماستها البالغة لهذا الموضوع ، أن يمسكوا ببداية الخيط ، وأن يكتشفوا مكان الجينة المسئولة عن المرض ، فالأمر يبدو لها مختلفا تماما ، إن مهمتها اليوم جمع المزيد من عينات الدم من سكان (سان لويس) ومن غيرها من القرى المجاورة التي ارتبطت معها برباط مصاهرة وقرابة دم ، بهدف اجراء المزيد من البحوث لتحديد ماهية الجينة المسئولة عن المرض بدقة أكبر وأشمل .

ومع الأمل الذي كان يحدوها ، وفي غمرة التفاؤل الذي كانت تحس به ، كان هنالك شعور آخر ينتابها . . انه الشعور بالقلق والاضطراب . كان قد وصل الى علم « نانسي » أن شائعات غير صحيحة قد انتشرت في القرية التي تسعى اليها ، شائعات تقول بأنه قد أمكن التوصل الى علاج للمرض الذي يقاسون منه . . وهي لا تعرف الآن ما الذي تستطيع أن تقوله لهؤلاء الذين يترقبون وصولها ، هل تقول لهم ان كل ما توصلنا اليه حتى الآن هو معرفة من سيصاب منكم بهذا المرض في غضون سنوات . . . وأي خبر أسوأ من أن يعرف انسان ما أنه سيموت في وقت قريب ؟ ولقد كان بودها أن تحمل اليهم بيدها اليسرى العلاج الذي يحميهم من المرض ، ويقيهم شر الاصابة به ، في الوقت الذي تحمل اليهم بيدها اليمنى وسيلة الكشف عن المرض قبل ظهوره ، وبما

ـاعف ضيقها وانزعاجها أن لها في هذه المنطقةالكثير ـن الأصدقاء الذين تعرفت اليهم في ـياراتهاالسابقة ، وقامت بينها وبينهم مودة من نوع ـاص ، وهؤلاء جميعا ينتظرون بفارغ الصبر وصول ـديقة لهم ، تحمل معها البلسم الشافي لمعاناتهم ـصامته

نانسي تحكي قصتها

وتتحدث نانسي الى رفاقها في الرحلة عن قصة اهتمامها الشخصي بمرض (انتيمغتون) ، فتقول . كان ذلك في عام ١٩٦٨ ، وكانت في الثانية والعشرين من عمرها ، حينما دعاها والدها ـ كما دعا شقيقتها ـ للحضور الى منزلهم في لوس أنجلوس لأمر مهم . ولقد أحست بالقلق حينما رأت والدها يستقبلها في المطار بمفرده ، دون صحبة والدتها التي لم تكن لتتأخر يوما عن استقبالها في ذلك اليوم القاتم عرفت نانسي الأمر المهم الذي عناه والدها حينما دعاها للحضور . ان والدتها مريضة . وباصابة على وجه التحديد بمرض (هانتينغتون) ، وان اصابة الوالدة بهذاالمرض يعني ـ كمااستطاعت أن تفهم ـ أنها هي الأخرى وشقيقتها كذلك ، معرضتان للاصابة بالمرض ذاته بنسبة ٥٠٪ ، وان كانت أي منهما لا تشعر بأي عرض في الوقت الراهن .

عاشت نانسي بعد ذلك مرحلة صعبة من القلق والخوف المستمر فان أي نسيان عابر لأمر ما يجعلها تعتقد أنه بداية المرض ، وان أي نوبة غضب تنتابها تفسرها على أنها عرض من أعراض الاصابة . . وطالما أن المرض يمكن أن يظل كامنا حتى سن الخمسين أو الستين ، ثم يبدأ في الظهور ، فهذا يعني أن الخوف سيظل ملازما لها طوال سنوات كثيرة . ولعل هذاالخوف كان مبعث الأمل في العثور على وسيلة ما للتشخيص الباكر والعلاج الشافي . ومنذ ذلك الوقت أصبح مرض (هانتينغتون) محور اهتمام نانسي الاول وموضوع تفكيرها الدائم . . ثم تعزز هذاالاهتمام عندماأنشأ والدها مؤسسة خاصة لدراسة هذاالمرض

أما كيف توجه الاهتمام نحو « سان لويس » فلهذا قصة اخرى . . فهي أحد المؤتمرات التي عقدت في ولاية أوهايو حول هذا المرض ، استمعت نانسي الى بحث طبي يشير الى منطقة في فنزويلا تكثر فيها الاصابات به ، الى حد يشكل ظاهرة لافتةللنظر ، كما شاهدت فيلما تسجيليا عرضه المحاضر يصور المرضى في قرية « سان لويس » . . . ومع أن صورة هذه القرية ظلت عالقة في ذهن نانسي لفترة طويلة ، الا أنها لم تفكر أن تقوم بأي عمل لتنشيط دراسة تلك القرية ، فقد كانت آنذاك مشغولة بالتحضير لرسالة دكتوراة في علم النفس ، وانقضت على ذلك المؤتمر سنوات خمس ، وبدأت أحاديث تدور في كاليفورنيا حول امكان البحث عن الجينة المسئولة عن المرض ، وكان ما يسعى اليه العلماء وقتئذ هو العثور على شخص مصاب بالمرض ، يكون قد توارثه من كلا أبويه وليس من أحدهما فقط ، لان احتمال العثور على الخلل تكون في هذه الحالة أكبر من احتمال العثور عليه عند شخص ورث المرض عن أحد أبويه فقط . ومع ندرةالمرض في أمريكا فان امكان العثور على شخصين مصابين تزوجا وأنجبا طفلا مصابا تبدو محدودة جدا ، وهنا توجهت الأنظار نحو قريةسان لويس الفنزويلية ، بعد أن تذكر الجميع الفيلم الذي عرض في المؤتمر قبل خمس سنوات ، في ذلك الوقت كانت نانسي قد أصبحت المديرة التنفيذية للجنة تابعة للكونغرس ، لدراسة مرض هانتينغتون ، واستطاعت أن تقنع أصحاب الشأن في واشنطن بتمويل « حملة » بحث الى ماراكيبو وقراها لدراسة المرض في بيئته ، وتم لها ما أرادت ، ومنذ عام ١٩٨١ أصبح هنالك رحلة سنوية الى تلك المنطقة لجمع العينات ، واجراء المزيد من البحوث . .

اللقاء الرابع

وصل فريق البحث الى القرية ، وانتشر الخبر سريعا بين الاهالي ، وما أن سمعت به « ايريس سوتو » حتى اندفعت الى الخارج باتجاه عيادة القرية ، حيث سيكون الاجتماع المقرر . لقد انتظرت ايريس قدوم الفريق ـ ونانسي خاصة ـ بفارغ الصبر ، حتى أنها سارعت الى مكان الاجتماع قبل الموعد المقرر لانعقاده . . ان أمر هذا الاجتماع يهمها كثيرا ، وربما أكثر من كل الناس في القرية ، فأسرة

« سوتو » معروفة للجميع بكثرة انتشار المرض بين أفرادها ، فايريس وشقيقتها وشقيقها مصابون بالمرض، وايريس متروحة ولها أولاد ، ولكن زوجها هجرها بعد أن تفاقمت علتها ، وأصبحت عاجزة عن القيام بأعباء المنزل ، فتركت بيتها ، وانتقلت الى حيث تقيم والدتها ، بأمل أن تجد العون والمساعدة .

وما أن وصلت « ايريس » الى العيادة ، وشاهدت صاحبتها ناسي ، حتى اندفعت نحوها لعناقها . ولكنها لم تتمكن من ذلك ، فحركات جسمها المستمرة أعاقتها عن العناق ، فاكتفت بأن وضعت يدها على كتف ناسي ، راسمة على وجهها ابتسامة السعادة باللقاء ، ثم اختارت لنفسها مكانا خاليا ، وجلست تنتظر أن يحين موعد الاجتماع مع أهالي القرية .

في تلك الأثناء كان أفراد الفريق الطبي يعدون المكان للاجتماع ، ! وكانت نانسي تقوم بتثبيت أوراق كثيرة على جدران الغرفة الأربعة ، وكلها تحمل رسوما لشجرات الأسر التي تضم مجموعها ثلاثة آلاف فرد من أبناء القرية عبر أجيال ثمانية . . . .

لقد كان الهدف الأول جمع الدم من أشخاص دوي قرابة وثيقة بالمصابين ، وكان الأمر غاية في الصعوبة ، فالأسماء كثيرة التشابه في هذه القرية المنغلقة على نفسها ، وانتقاء الشخص المناسب لأحد العينات مع



ما يقتضيه الأمر من تتبع شجرة الأسرة عبر هذه الأوراق المنشورة على الجدران ليس بالأمر الهين . . ومع ذلك فقد كان هنالك تصميم على عمل شيء مفيد في هذا الاجتماع ، وعندما حان موعد اللقاء كانت جميع المقاعد قد شغلت بأعداد من سكان القرية ، وكان عدد منهم « يتراقصون » ويتمايلون على مقاعدهم بصورة تبعث على الشفقة والحزن ، فهم من ضحايا « الداء » .

ولم تستطع « ناسي » أن تصارح الحاضرين بحقيقة مؤلمة جديدة ، وهي أنه قد تمت معرفة أشخاص آخرين سيظهر عليهم المرض بعد حين ، فقد كانت تشفق ان تضيف الى مآسيهم مأساة جديدة ، ولكنها سارعت الى القول بأنه سيكون بالامكان في غضون الأعوام القادمة ، من خلال فحص دموي معين ، معرفة ما اذا كان المولود حديثا سيأتي حاملا لبذور المرض أو خاليا منها ، وهنا قاطعها أحد الحاضرين سائلا وهل توصلتم الى علاج لهذا الداء ؟ فأجابت ناسي برفق « ودبلوماسية » ان الأمل في المستقبل كبير ! وانفض الجمع على وعد بلقاء آخر في صباح اليوم التالي لجمع العينات

أصل الداء

لا أحد يعلم على وجه الدقة كيف بدأ مرض (هانتينغتون) في أسرة سوتو ، ومن أين وصلها ، ولا أحد أيضا يستطيع أن يثبت أو ينفي الرأي الذي يقول أن المرض تسلل الى فنزويلا عن طريق تجار أوروبيين ، الا أن الروايات المحلية تشير الى أن « الداء » أتى مع بحار اسباني في القرن التاسع عشر ، وأن هذا البحار كان قد اختلط بعدد من النساء من أهالي القرية ، وأنجب منه أطفالا ثبتت اصابتهم بالداء فيما بعد ، ومع أن كثيرا من الشكوك تثور حول صحة هذه الرواية ، الا أنه يكاد يكون من الثابت تاريخيا أن الداء موجود في القرية منذ عام ١٨٣٠ ، ولكن لا أحد يعلم مصدره ، كما أن احداً لا يعلم الكيفية التي انتقل بها اليها .

وتساؤل آخر يطرح في هذا الصدد : ما الذي جعل أهالي قرية سان لويس يصرون على البقاء في قريتهم المريضة ، وعلى التزاوج فيما بينهم عبر أجيال

عديدة ، رغم معرفتهم الأكيدة باحتمال الاصابة بالداء ؟ انه سؤال طرح على الأهالي أكثر من مرة ، . ودائماكانت الاجابة هي نفسها · أسراتنا هنا أصدقاؤنا هنا والسمك أيضا كثير هنا ! ويبدو أن استيطان المرض في سان لويس جعل القرى والمدن المجاورة ترفض القادمين من تلك القرية « المخيفة » ، وتوصد الأبواب في وجوههم ،ومن هنا أيضا كان من النادر أن يرى شخص غريب يعبر طرقات سان لويس ، الأمر الذي ساعد على انغلاقهم على أنفسهم وعلى تكتلهم واختلاطهم الشديد فيما بينهم .

جمع العينات :

في صباح اليوم التالي بدأت الجموع تتوافد على عيادة القرية أمهات وجدات يحملن أطفالا على أيديهن ، ويتبعهن أطفال آخرون متفاوتو الأعمار ، وما أن انتصف النهار حتى كانت العيادة تغص بالأهالي وبدأ الفريق المكون من ستة أشخاص عملا جادا لانجاز المهمة ، وفي وسط هؤلاء جلست نانسي وأمامها قوائم الأسماء ، وأنابيب العينات الفارغة وكانت مهمتها أصعب المهام كلها ، فقد كان عليها أن تحدد الشخص الذي يصلح لأخذ العينة من دمه ، وهذا يتطلب أسئلة واستفسارات كثيرة ، كما يتطلب عودة الى الأوراق الطويلة الملصقة على الجدران ، للتحقق من صلة هذا الشخص بالمرض أو المشتبه بأنهم كذلك .

وفيما كانت نانسي تقوم بعملها المضني هذا . كان هنالك باحثون آخرون يعملون على صعيد آخر كان هنالك الدكتور (ماريا) اختصاصي الوراثة في جامعة أنديانا ، الذي كان يجري اختباراته على بعض الأشخاص لتقييم حالتهم النفسية ، والتحري عن أي تبدل في قدراتهم العقلية ، مما قد يشير الى احتمال بدء المرض عندهم ، وكان هنالك أيضا الدكتور « سيمون » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة مينيسوتا ، الذي كان يقوم باستجواب أفراد أسرات جديدة ، بغية اضافة فروع أخرى للشجرات المستمرة النمو ، وكان هنالك أيضا الدكتور « ايرا » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة روشستر ، الذي كان يجرى الفحوص العصبية السريرية لتقييم الحالة العصبية للمرضى وللأسوياء ، في محاولة للكشف عن أية علامات عصبية باكرة للمرض . فريق متكامل ، كل واحد من أفراده يعمل في ميدانه بحماسة الجندي المؤمن بقضيته ، والذي يعتزم الا يلقي السلاح حتى يحقق النصر ويبلغ القصد . .

وغدا يشرق فجر جديد :

ومع نهاية شهر مارس / آذار من عام ١٩٨٤ أنهت الحملة مهمتها ، وعادت الى موطنها ، بعد أن تمكنت من جمع ما يزيد على مائتي عينةمن الدم ، ليصبح مجموع ما حصلت عليه خلال الحملات الأربع قرابة ثمانمائة عينة ، عادت الى موطنها . لا لتستريح ، وانما لتدخل معركة جديدة ، تحقق فيها للعلم والطب نصرا جديدا تذكره الأجيال ، ويستريح به المعذبون على الأرض . .

تلكم كانت قصة التعرف على المرض المأساة . . أما تتمة القصة وأعني بها قصة التوصل الى علاج يريح ضحاياه والمعذبين به ، فان خيوطها تنسج الآن في دأب وصمت ، وعسى أن تكون في الغد القريب خبرا ينشر وبشرى تذاع . □



■ لا وصول الى ساحة السعادة ، الا من أحد أبواب ثلاثة : الايمان والفن والحب (يحيى حقي)

■ أن ترى ما هو حق ، ثم لا تعمله ، فهذا دليل على فقدان الشجاعة (كونفوشيوس)

بقلم : محمود المراغي

نقول : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » . .
ونقول : « ان التجارة مهنة عربية قديمة ، وان قوافل التجارة العربية لعبت فى يوم ما الدور الأول فى التواصل بين أجزاء الوطن العربى . . شماله وجنوبه . . شرقه وغربه . .

و . . مع السلع ، كانت تنتقل الأفكار والأخبار . .

خارج المنطقة العربية لعبت التجارة ، كما لعبت الحدود المفتوحة دورا كبيرا فى تنشيط الانتاج ، وخلق روابط الصلة بين أجزاء المنطقة الجغرافية الواحدة . . حدث ذلك فى غرب أوروبا ، وبدرجة متزايدة بعد انشاء السوق الأوروبية المشتركة . . وحدث فى شرق أوروبا فى ظل سوق مشتركة أخرى ونظام اقتصادى مختلف . .

وفى كل الأحوال كانت التجارة قناة تحمل رغبات المستهلك ، وتحيلها الى قرارات فى مراكز الانتاج . . . وكانت - على الجانب الأخر - تعبيرا صادقا عما وصلت اليه القدرة الانتاجية . .

والسؤال :

هل تلعب التجارة العربية فى الوقت الراهن هذين الدورين المتميزين . . دور التواصل ودور تنشيط وتوجيه الانتاج ؟ . .

هل لعبت التجارة العربية - مثلا - دورها فى ربط أجزاء الوطن العربى ، بحيث يصبح نسيحا واحدا تكون التجارة أحد شرايينه . ؟ .

وهل ساعدت هذه التجارة - فى الحقبة الأخيرة - على تنمية عربية ، توفرت مواردها المالية فى معظم الأحوال ؟ . .

الأرقام تصدم العين والعقل والسمع . .

فى ندوة أخيرة للمؤسسة العربية لضمان الاستثمار وغرفة الكويت التجارية أذيع الرقم . (٩٢,٥) بالمائة من تجارة العرب تتجه للعالم الخارجى . . . . (٧,٥) بالمائة فقط تتجه عربيا ، وذلك كمتوسط عام للسنوات العشر الأخيرة

فى التفاصيل يقف العرب بين أكبر المستوردين فى العالم . .

وفى التفاصيل تبدو المجموعة العربية أشد اعتمادا على الآخرين من أى مجموعة دولية أخرى . .

وبتحديد أكثر ووفقا للتقرير الاقتصادى العربى الموحد فان واردات العرب الزراعية قد ارتفعت من ٧,٧ مليار دولار عام ١٩٧٦ ، . . الى ٢٤ مليارا عام ١٩٨٢ . . بينما ظلت الصادرات الزراعية فى حدود ٣ - ٣,٤ مليار . . ! .

أيضا ، وفى التفاصيل تبدو الحقيقة الغريبة ، وهى أن الوطن العربى الذى يملك مساحات زراعية شاسعة ، وله تاريخ طويل فى تربية الأغنام،استورد

عام ١٩٨٢ (على سبيل المثال) :

** (٧٧) بالمائة من واردات العالم كله من الأغنام والماعز

** وثلث واردات العالم من لحوم الدواجن

** و (٢٧) بالمائة من البيض الذى يستورده العالم

** و (١٧) بالمائة من القمح و (١٨) بالمائة من الحليب

** و (وفى الأرقام الاجمالية) يستورد نحو (٨) بالمائة ـ من واردات العالم الزراعية و(١٥) بالمائة من واردات العالم الغذائية

وبالطبع فان معظم هذه الواردات من خارج الوطن العربى !

نحن اذن نتجه عبر الحدود البعيدة . حتى فى الغذاء ، وبما يضاعف تكلفة الاستيراد نتيجة النقل الطويل

ونحن اذن لا نتعامل مع الذات . الا فى أضيق الحدود .

وحين نتأمل الأوضاع نجد اطارا سياسيا يجمعنا اسمه · الجامعة العربية ومجلسها الاقتصادى

ونجد اطارا اقتصاديا يجمع أكثر من ثلثى العرب ، وهى اتفاقية الوحدة الاقتصادية . ونجد سوقا مشتركة ينضم لها أكثر من نصف البلاد العربية . وأكثر من ثلاثة أرباع عدد السكان . !

أيضا ، نجد هجرة داخلية واسعة بين أجزاء الوطن العربى ونجد اتصالا بشريا كثيفا . .

و مع ذلك فالنتائج : قدر محدود من التعامل التجارى !

بالمزيد من التحليل نجد أن هناك حدودا مفتوحة وحدودا مغلقة . والحدود المفتوحة تضم ـ فى معظم الأحوال ـ البلدان ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، والقدرة المالية والاستيرادية الصغيرة . وعلى العكس فان الحدود المغلقة التى لم تشملها السوق العربية المشتركة ، تضم على الأرجح البلدان ذات القدرة المالية والاستيرادية الأكبر . .

لقد نادينا فى الخمسينيات « أن اتحدوا» . . وكان أمامنا نموذج وليد هو السوق الأوروبية المشتركة . . وحينذاك قلنا : « هاهى أسباب النجاح قائمة وحدة جغرافية . . وسوق متسع . . وقومية واحدة » . وقلنا · ان ازالة الحواجز الادارية والجمركية والنقدية بين البلدان العربية كفيلة بأن تحقق انسياب السلع والأموال والأفراد بين أجزاء الوطن العربى . .

ولكن .

وبعد سنوات من التطبيق لم يحدث ذلك الانسياب فتحنا الحدود فى عدد كبير من البلدان ، ولم تتدفق السلع أو الأموال . . وأصبح واضحا أن هناك عاملا ثانيا فى انكماش التجارة « العربية ـ العربية » . . وهذا العامل هو قضية الهيكل الاقتصادى ، وما يفرزه من سلع .

لقد انفتحت بعض الأبواب وتوفرت بعض التسهيلات . لكن السلع لم تمر ، وكان أحد الأسباب فقدان الانتاج الصالح للتبادل . . فالهياكل الانتاجية لم يتم تطويرها لتفرز ما يسد حاجة قائمة والتكامل الاقتصادى لم يتحقق ليصنع التشابك الضرورى الذى تتوزع فيه الأدوار بين مختلف البلدان ، ليستفيد كل منها بتخصص قائم وسوق متسع .

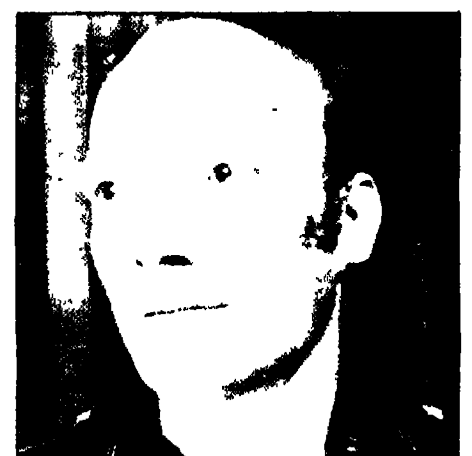
لقد قدنا الاقتصاد العربى بسياسات قطرية ، ولم نقده بسياسات قومية . ومن هنا كانت المأساة : بين كل أربعة عشر دولارا ندفعها للشراء من الخارج . . ندفع دولارا واحدا للشراء « العربى ـ العربى » . . لأن البعض وفى مجال السلع يفضلها غير عربية .

أليس ذلك واحدا من وجوه المأساة ؟ .

أظن ذلك . . □

الأمل . . . . والنوم

يقول الفيلسوف الفرنسى فولتير : ان السماء أرادت أن تعوضنا عن بعض ما ابتلتنا به من محن في هذه الحياة ، فمنحتنا الأمل من جهة والنوم من جهة أخرى .









بقلم : الدكتور غالي شكري

ليس المعجم الشعري خلاصة لغوية لتكرار المفردة في القصيدة الواحدة ، أو في عدة قصائد أو في مجموعها ، وانما هو الرصيد المتحرك من المفردات والأوزان والصور والمتخيلات الثقافية الأخرى ليس المعجم جدولا من الاحصاءات ، وانما هو أقرب الى الخط البياني الشامل ، الأكثر شمولا من تسجيل درجات الحرارة ، أو عدد ضربات القلب . . ولكنه الأقرب الى تحليل العلامات الفارقة والبنى والجذور

هل لهذا « المعجم الشعري » أية أهمية في تقويم الشعر ؟

في طي ، أنه في مجال تأصيل الظاهرة الشعرية يتحول « المعجم » الى مقدمة ، بعد أن كان احدى النتائج أي يتحول الى أداة منهجية في النقد ، بعد أن كان خلاصة تحليلية للتصنيف .

هيكل القصيدة هو توصيف وتصنيف ، يؤديان بنا الى معجم الشاعر ، ولكن هذا المعجم الذي حصلنا عليه ثمرة للتشخيص ، يعود فيقودنا ، ويصبح هو بوصلتنا في الابحار الى رؤيا الشعر .

اطار مرجعي

أي أن المعجم نتيجة ومقدمة في آن ، غاية ووسيلة . . وهو حركة دائمة التحول ، ليس سجلا

ثابتا لبعض الرموز ، ولكنه « الاطار المرجعي » على أية حال ولا يعني ثمة مبرر لاستباق « التحليل » بلوحة كاملة الأوصاف الاجتماعية والسياسية والثقافية لبيئة الشاعر وعصره ، حينذاك لن نحصل على أكثر من المصادرة على المطلوب ، ولكن المعجم الشعري كاطار مرجعي هو الذي سيهدينا سواء السبيل الى البيئة والعصر والثقافة ، لا كشعارات على الجدران ، وانما كمشاعر وشعائر تتجلى في رؤيا الشعر والشاعر

هذا المعجم اذن ، هو كالشاعر نفسه ، خاص وعام وهو أبعد مايكون عن الانثروبولوجيا الثقافية ، وبالتالي عن النموذج المسنن في البنيوية ، وأيضا أبعد ما يكون عن التبسيط الميكانيكي لفكرة الانعكاس من أسفل (حيث التكوين الاقتصادي - الاجتماعي) الى أعلى (حيث البنى الفوقية من ثقافات وآداب وسياسات وحقوق وفنون) . فالمعجم الشعري شديد الاتصال والاستقلال ، متصل بما هو أعلى وما هو أسفل ومستقل عنهما ، ولذلك فهو يملأ الفجوة المتوهمة بين داخل العمل الشعري (المقصود هنا الفن عموما) وخارجه ، ولا يعود صحيحا أن هناك نقدا - أدبيا - من الداخل ، وآخر من الخارج

وانما تصبح أمامنا في الطريق من هيكل القصيدة الى معجم الشاعر ، ومن هذا المعجم الى رؤيا الشعر ، عدة مفارق لابد من اختيارها ، منها :
الأصول الاجتماعية أو (اللاوعي) : وبالطبع فالأصول الاجتماعية المعنية هنا بوضوح ليست الأصول الشخصية للشاعر ، وانما أصول حركة القصيدة كايقاع وتشكيل ودلالة ، هذه الأصول هي « اللاوعي » الابداعي في معناه البعيد كليا عن التحليل النفسي عند فرويد ، أو العقل الجمعي عند يونج ، أو الابداع الجماعي عند جولدمان

أصول، تراثية وأخرى معاصرة

أولاً هذه الأصول أيضا ليست مجموعة من القيم،ولا هي رواسب من الأعراف الاجتماعية القديمة ، وانما هي حملة التحولات الايقاعية والتشكيلية والدلالية التي وصل بها التراكم عبر التاريخ داخل الشاعر وشعره ، الى حصيلة نوعية من الخبرة « اللاواعية » الى ما قبل عملية الخلق ، حيث تتفجر هذه الخبرة وتطفو و « تبدع » وعيها الجمالي الفريد .

ثانيا - الأصول التراثية : وليس المقصود هنا هو الحافظة الشخصية للشاعر وما تحمله من تراث الأقدمين وانما المقصود ، هو ما يملأ الداكرة من قيم معيارية ، تنقت في المخيلة التاريخية للشاعر ، وهي الغربال الواسع الثقوب . هذا النوع من الداكرة - ان شئنا التبسيط - هو الذي يجعل المرء ينطق لغته نطقا نحويا صحيحا دون لحن ، ودون معرفة بالقواعد النحوية معرفة دقيقة أيضا . ولكنها في الابداع - الشعري خاصة - تتجاوز هذا التبسيط الى ما هو أعمق ، الى تطويع المفردات والتفاعيل والقوافي وحروف الروى ، لما يطمئن الشاعر الى أنه الشعر ، مهما احتفت منه أو أضيفت اليه من ضوابط اعرابية أو موسيقية « شرعية » أو « غير معتمدة »

ثالثا - الأصول المعاصرة . وهي التي تقوم بدور « الوعي » الشعري وليس الوعي السياسي أو الاجتماعي ، وانما هو الوعي « المعاصر » ، وكما أن الأصول الاجتماعية أو التراثية لاتعني « الماضي » فان الأصول المعاصرة لاتعني « الحاضر » ذلك أن « اللاوعي » و « الذاكرة » والوعي لاتشكل في المعجم الشعري عناصر الزمن ، وان شكلت عناصر الحركة في تكوين الشعر . والحركة زمانية ولكنها ليست الزمن ، فهي أيضا حركة في المكان ، والفضاء ، والطبيعة ، والانسان . والأصول المعاصرة ، أو الوعي ، في معجم الشاعر ، هي حملة الأفكار والسلوك والتصورات والفروض التي تتفاعل ابداعيا في شعره ، أي داخل حركة القصيدة .

رابعا - ويبقى عنصران هما السياق والتركيب اللذان يصوغان ، ويصوغهما النسيج اللغوي . المفردة ، الدلالة ، الرمز ، ثالوث التغيير الوزني والذهني والبصري والقيمي من شطر الى آخر ، ومن فقرة الى أخرى ، حتى اكتمال « الروح » في القصيدة ، فتولد ، وتبدأ حياتها للمرة الأولى خارج طبون الشاعر وأمانيه .

هنا أستطيع القول ان المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي « يتكون » دائما ولا « يتحول »

أبدا ، يتكون في « الموت » و « البطولة » و « الوطن » ولا يتحول في « السمر » و « التقمص » و « الحلم » .

ليس الموت والبطولة والوطن مجموعة من المحردات أو المعاني أو الرموز أو « المحاور » أو « الموصوعات » أو « القصايا » التي شُغل بها الشاعر طوال الأعوام الثلاثين الماضية ، وانما هي حصاد الأصول الاجتماعية والتراثية والمعاصرة في شعره ، أي عناصر العمل الابداعي التي تفاعل بعضها مع البعض الأخر ، اللاوعي والذاكرة والوعي . تلك هي المكونات الأساسية لمعجم الشاعر ، أما السمر والتقمص والحلم ، فهي من أدوات النسيج ، وليست خيوطه

لن نحاول هنا ادن احصاء مفردة « الموت » ومشتقاتها وظلال معانيها وانما سنحصي عدد مرات « حضور » الموت وأشكال تجليه ، وما اذا كانت ثمة علاقة تربط هذه التجليات وذلك الحضور ، بالعنصرين الآخرين البطولة والوطن أي أننا لن نبحث عن المفردات الجذرية وفروعها ، وانما سنبحث عن الجذور ذاتها ، جذور الرؤيا الشعرية

اثنتا عشرة قصيدة يتجلى فيها الموت كحضور مكثف لاكقيمة معيارية يلاحقها بعدئذ في « البطولة » و « الوطن » بمعنى الشهادة .

هذه القصائد كتبها أحمد عبدالمعطي حجازي بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٧١ ، ولكننا لسنا بحاجة لأن نؤرخ كل « موت » فيها ، وانما سنثبت عناوينها دون أن يكون للترتيب أية دلالة زمنية ، انها

١ - العام السادس عشر*
٢ - لمن تغني ؟ .
٣ - الى اللقاء
٤ - مقتل صبي
٥ - بغداد والموت
٦ - رسالة الى مدينة مجهولة
٧ - يوميات الاسكندرية .
٨ - الموت فجأة .
٩ - الوجه الضائع .
١٠ - الموت في وهران
١١ - مرثية لاعب سيرك .
١٢ - السفر

لو شئنا « المحاور » أو « الموصوعات » لتساءلنا ماذا يجمع هذه القصائد وفيها تجارب السياسة والحب ، وتأملات قد لا تشتمل على مفردة الموت أو معناه المادي المباشر ، أو حتى رموزه ، بينما يشتمل ديوان حجازي على الموت كمفردة تتكرر مترادفاتها وظلال معانيها في قصائد أخرى لم تدخل الاحصاء ، بالاضافة الى أن بين « قصائد الموت » المرصودة هنا ، ما يعكس نسبته الى عنصر البطولة أو عنصر الوطن (مثلا : بغداد والموت ، الموت في وهران)

انا في الحقيقة نبذل جهدا ضائعا اذا شئنا الاحصاء بمدلوله الكمي ، وانما نحن نبحث عن المدلول الكيفي ، أي عن الموت كأحد المكونات الأساسية في معجم الشاعر ، أو الموت كأصل اجتماعي في اللاوعي

حالات الموت

ولعل قصيدة « بغداد والموت » تعني بحثا آخر عن اشاراتها السياسية ، ولكنها تعنينا هنا لسبب آخر

« الموت ليس أن توارى في الثرى
ولا الحياة أن تسير فوقه
الزراع يبدأ الحياة في الثرى
ويبدأ الموت اذا ماشقه .
فامنح هواك للذي يحيا
وأعط للتراب ما استباحوا خنقه
فلن تموت يامسيح ! انما .
على الصليب ينتهي من رقه » .

هذا « التعريف » المدائني الجهير للموت لايعني مطلقا أن المفردة كعلامة قد أصبحت دالا ومدلولا ، بل حسبه فقط أن يشير الى الدلالة في حالة كمون قبل ممارسة الطقس (الشعري ، الشعائري) . وهي الممارسة التي ترفض نهائية الموت أو « الارادة » في اللواذ به . الموت على هذا النحو ليس قدرا خارج الارادة ، والرغبة ، والحاجة الانسانية ، والا

---

* يعتمد الباحث على « مجلد أعمال أحمد عبدالمعطي حجازي » الصادر عن دار العودة في بيروت ١٩٧٣ .

ما كانت مقاومته ممكنة ومقاومته ادن ، هي مقاومة الرعبة فيه أو الحاجة اليه ، هي مقاومة شيء ما داحل الانسان ، الموت في هدا الاطار المرجعي ليس كينونة مستقلة يدور معها الصراع ، الموت « حالة » تتحلل الأشياء والناس ولا تعتزلها انها في العصون العارية لأشجار التوت الخالية من الورق

« ونعوش النور تمشي
وهنا كلما قلت آه
كنت أهوى أن أموت
أنتهي في عامي السادس عشر »

« أصدقائي
ها هي الساعة تمضي
فاذا كنتم صغارا ، فاحلفوا ألا تموتوا
واحذروا عامكم السادس عشر »

والعام السادس عشر ـ عنوان القصيدة ـ يمكن أن يكون أي عام ، عام الحب ، أو عام الحرب ، عام الصبا ، أو عام الكهولة ، أي عام « يتحلله الموت » وكأنه عام « النهاية »أو الخاتمة التي يريدها صاحب العام أو يرعب فيها ، سواء كان هدا الصاحب فردا أو شجرة أو معنى أو وطنا ، ولدلك فحين يتساءل الشاعر « لمن تعني ؟ » ـ عنوان القصيدة ـ فانه يجيب نفسه « كي لايخف الموت انسان على هدا الوجود »

عير أن صمير المتكلم الدي ظل « يعني » كأنه يصلي حتى يخرج شيطان الموت من الجسد الدي يدفئه ، فجاءت القصائد في هدا الاتجاه كالانتهالات تستد الصدى فلا يستجيب ، سرعان ما اقتحمه الشك ، كانت أشجار التوت والزرع والتراب ، هي المادة الشيئية الخام التي « يروى عنها » ضمير المتكلم ، لأن الصمت كان المخاطب

الآن ، وقد اعتوره الشك ، لم يعد الموت مجرد ارادة أو رعبة ، وانما كائنا حقيقيا لابد أن يدور بشأنه حوار

أليمة « الى اللقاء » و « اصبحوا بخير »
وكل الفاظ الوداع مرّة
والموت مرّ
وكل شيء يسرق الانسان من انسان »
(مطلع قصيدة « الى اللقاء ») .

يصبح الوداع المؤقت تدكيرا بوداع آخر لايفلت منه أحد ، بل هو يسرق الآحاد من بعضهم البعض ، وطالما أصبح الموت كائنا مستقلا ـ وليس ارادة انسانية ـ فان ارتباط الذات بالآخر يحقق الحوار المستحيل بين الغائب والمخاطب ، وتنشأ مبكرا بداية الحكاية الدرامية في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي ، فهي الأقدر على تشخيص هذا الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، ومطاردته الى لحظة التحقيق . لايهرب المغني بل الساحر ، يتوقف الابتهال ، وننتقل من حضرة الحقول

« والبحر ألوان تموت كلما ضاق المساء
. . . . .
ونحن في المقهى نموت »

عن « يوميات الاسكندرية »

الموت المشخص ادن لايختص النوع البشري ، وانما الطبيعة الكونية داتها ، ففي صوء النهار تتعدد ألوان الماء ، تتكلم ، تحيا ، وفي المساء تتوحد ، تصمت ، تتلاشى ، تموت مثلما ونحن في « المقهى » انما نموت في الحياة كموت الألوان في الليل .

حجازي لا ينتقل بشعره من الموت كحالة الى الموت ككائن ، ولا من الأغنية الى الدراما ، انه لاينتقل من « مرحلة » الى أخرى ، وانما هو يكشف أوراق هذا « اللاوعي ـ الأصل الاجتماعي الرابض في أحشاء رؤياه ـ ورقة ورقة أو قصيدة قصيدة لدلك فما يزال الموت يتحلل الأشياء والناس كحالة « تتقمص » الشيء أو الانسان ، ويبقى الموت كائنا مستقلا دا سيادة على حركة بقية الكائنات التي يتحتم عليها « السفر » ، هذا الكائن يتوحد والارادة ، فينهي عزلة المغنى ، ويقتطع من الجوار حساسية الشك ، ويصفي عليه ألوان الأكفان والمقابر ، فاذا بها ألوان الوطن . الوطن ـ المكان ، والوطن ـ الزمان ، ومن ثم فهو الوطن ـ الصيرورة .

و « المدينة » هي المكان والزمان ، حتى لو كان الموت في غيرها ، لأنها في معجم الشاعر مدينة الموت :

« الموت في الميدان طن .
الصمت حط كالكفن
وأقبلت ذبابة خضراء .
جاءت من المقابر الريفية الحزينة .
ولولبت جناحها على صبي مات في المدينة .

فما بكت عليه عين»

(عن مقتل صبي »

انتصب الموت كالتمثال في الميدان ، والميادين في بلادنا تعرفها المدن لا القرى ، ولأن الموت وقع في هذا المكان ، فقد كان له « طين » ولكن الصمت كان عطاء الصبي الذي مات دون أن تبكيه المدينة ، وانما القرية هي التي أرسلت دبابتها الخضراء من مقابر الريف الحزينة ، هذه المقابر التي يدعوها في « رسالة الى مدينة مجهولة » بـ « مدينة الموتى » وهي قصيدة الشاعر في رثاء والده ، ومنذ البداية فلولا « المدينة لاستطاع أن يودع أباه قبيل الغياب ، ولكنه لم يستطع ، وهي مدينة « من الزجاج والحجر » لم يقع الموت هذه المرة في المدينة ، ولكن المقابر أيضا وحدت هي « مدينة » الموت ، وفي « الموت فجأة » (ص ٣٥٥) ـ كما في قصيدته « لا أحد » ـ والتي لاعلاقة لها بالموت ـ تزدحم المدينة بالبشر ، وتخلو من البشرية في آن ، في « الموت فجأة » يدفع السلب الى الاحتمال الأكثر رجحانا

« تصوروا لو أنكم لم تحضروا
ماذا يكون . ؟
أظل في ثلاجة الموتى طوال ليلتين
يهتز سلك الهاتف البارد في الليل يبدأ الرنين
بلا جواب . . مرة . . ومرتين »

نقاء المدينة والريف

وفي قصيدة « لا أحد »

« لو أنني ـ لاقدر الله ! ـ أصبت بالجنون
وسرت أبكي عاريا . . بلا حياء
فلن يرد واحد على أطراف الرداء

. . . .

هذا الزحام . . لا أحد »

ولا تصبح المدينة في هذا الاطار مدينة الموت ، بل هي الموت ، فالأم الريفية الحزينة كيف تسير وحدها في هذه « المدينة » وياليتها وشمته في احضرار « ساعده »

« حين أرى أن الحياة قد خلت من الجنون .
ورف فوق الكل طائر السكون .
أحس أني مت فعلا ، واضطجعت صامتا
أرقب هذا العالم الفاني »

من « الدبابة الخضراء » الى « الوشم الأخضر » مرورا بالاستباق المتخيل « لو أنني . . لو أنكم » الى تمثيل الموت لمراقبة « العالم الفاني » ـ هو المدينة ؟ ـ يتجلى الأصل الاجتماعي (اللاوعي) للموت كمفارقة مأسوية بين الحضور والغياب ، في كل من الريف والمدينة ، كزمان ومكان معلقين . واستدعاء الفانتازيا في حرف « لو » يخفف من غلواء الشعور ، ولكنه يزيد من درامية الحكاية الفاجعة وفي « الوجه الضائع » يبرز العنصر الحكائي فيضم « التذكر » و « البكاء » الى عناصر الأصل الاجتماعي ، حتى لتبدو الوحدة في زحام المدينة حضورا ناقصا يستلزم البحث والمعاناة .

« عدت الى بكائه وهل لذكراه .
غيري ؟ ومن بعدي سيلقاه
اذا أتى من عالم الموتى يزور الذكريات
أجيب نفسي . لا أحد »

« لا أحد » ، أو الخواء الذي يتردد صداه بين جنبات المدينة الفارغة ، رغم الزحام أو بفضله . وتبدو الأرض كما لو كانت مرادفا للقرية وحدها ، وتبدو كما لو أنها رحم الأم في شوق لاستعادة الابن الضال ، الذي لا يقل اشتياقا للعودة الى « الأصل » . هكذا يتجلى « الموت في وهران » وفي « مرثية لاعب سيرك » وفي « السفر » . حالة تتخلل الأشياء والناس ، وكائنا مستقلا متوحدا بالارادة وفيها . هذا الكائن وتلك الحالة يفرضان على معجم الشاعر كافة الأشكال اللغوية والبيانية ، ذات العلاقة بالجذر أو الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، بدءا من مجموعة الخرافات الريفية والنقوش الدينية والعادات الفكرية ، والسلوكيات العفوية الممتدة في وجدان الفلاح المصري ، وتلافيف مخيلته الجمالية ، وتصبح علاقة الزراعة أو النَّدب أو التعديد والدبابة الخضراء والوشم وقماش الكفن بالموت ، علاقة جمالية تتداخل في اختيار المفردة والوزن وتركيب الشطرة والفقرة ، ونسج ألوان الفانتازيا أو التراجيديا ، وتشكيل ايقاعات الأغنية والحكاية الدرامية . حتى اذا عاد « الابتهال » من جديد ومعه الغناء ، لايتخلى الشاعر عن رصيد الأصل الاجتماعي .

« وانتظمت أقدامهم في الذى

يسيِّر الريح ، ويسقي الزروع
ويجعل الموت أليفا كما
لو كان وجها آخر للطلوع »

. . . .

« القمر اللاهب في كفِّه
ياقوتة مسقية بالنجيع
والوقع من أقدامه غنوة
أوتارها كل الرُّبا والنجوع
والموت أن يقبل اليه انحنى
مستأذنا ، وقال آن الهجوع »

يعود « الراوي » متحدثا رسميا باسم الموت الذي يتوسل بمختلف الديكورات المنتصبة سلفا في المخيلة الابداعية ، القمر والرابية والنجع والياقوتة . تسقط أوراق الخصومة المرتبطة في اللاوعي « بالشر » ليصبح الموت أليفا متحضرا يسه السيد مستأذنا أن هجوعه قد حان ، ذروة اللقاء بين الحالة والكائن ولكن الالتحام نفسه لدرجة التوحد لايعني تسليم الطهر لحائط الاعدام . لأن ثغرة ما في جدار الصمت تظل « مفتوحة » ، خافية عن العيون ، ربما ، ولكنها باقية بقاء الموت ، وكأنها شرطه الوحيد ويمسي الموت ، على هذا النحو ، نافذة « الخلود » الوحيدة الممكنة ، أو هو « الفداء » انه الخطأ في « مرثية لاعب سيرك » : الجميل الجذاب ، الرشيق ، الخليل ، فربما كان الطاووس أو الأفعى أو النمر أو الأسد أو

« حين تدور الدائرة !
يرتبك الضوء على الجسم المهيض المرتطم
على الذراع المتهدل الكسير والقدم
وتبتسم !
كأنما عرفت أشياء .
وصدقت النبأ » .

الموت والرؤيا

أصبحى الموت جسرا الى « الجمال » و « الاكتشاف » أي الى الرؤيا ، معجم الشاعر الذي يلملم مفرداته من طرقات المدينة وساحاتها العامة ، حيث الموت هو القتل واقعا أو رححانا (مقتل صبي لا « موت » صبي ـ لاعب السيرك « قتيل » لاميتا ـ الموت في بغداد قاتل) يشتمل على وحدات الأصل الاجتماعي في اللاوعي الجمالي : المدينة الموت هي القاتل المحترف ، كنظام اجتماعي للوطن ، تقتل البراءة والجمال والاكتشاف والحس والذكرى والدموع ، تقتل حتى الذبابة الخضراء والوشم الأخضر ، تقتل الاخضرار ، تقتل أبوة الأب وبنوة الابن وأمومة الأم ، ومن هذه العلامات تنتصب في « السفر » مشانق الروح للقتلى الأحياء .

« انهم يأكلون لحم الصغار ،
ويخترعون مشانق للروح تستلها ،
ويظل القتيل يعيش ويغشى المقاهي ،
ويعشق زوجته ، وينام
ويكتب في جاره للمباحث نثرا وشعرا ،
وفي عينه جثث الأصدقاء ،
وفي فمه الكلمات القديمة »

هذا هو « كشف المسافر » وكأنه لم يسافر . الموت شرط الكشف وثمنه وأصله و « لاوعيه » .

« استرح يا طبيبي
ان دائي الاقامة
ودوائي السفر »

الارتحال على صعيد المعجم الشعري سمة جمالية ، لارمزا ، فقصيدة « الموت » في شعر حجازي ترتحل من المدينة الى المدينة كدائرة مغلقة ، من مدينة الأحياء القتلى الى مدينة الأموات الحبلى بالمقابر ، وسواء كانت القصيدة أغنية أو نشيدا أو حكاية أو دراما ، فانها دائرة نغمية وتشكيلية محكمة الاغلاق من صنع المفردات الحية الطازجة الشديدة الاستعمال في الحياة اليومية ، ومن صنع المخيلة الريفية العميقة الاستبصار بالغيب ، ومن صنع الهوية التي يخلعها الشاعر على مدينته ، نظامه الاجتماعي القاتل والقتيل .

هكذا تتجلى الأصول الاجتماعية للموت ، في الخبرة الجمالية اللاواعية ، التي تصوغ معجم الشاعر في اطار « الرفض » ، وهو الرفض الذي يلعب دورا اشكاليا ، في بناء المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي ، أعني عنصر « البطولة » ، فالرفض القاطع للمدينة ليس رفضا للموت في حد ذاته ، وانما هو رفض للبنية الاجتماعية التي أثمرت نقيضها ، البطل . فهل آن لمن يرفض المدينة أن يرفض بطلها ، أم أن بطل المدينة شيء وبطولتها شيء آخر ؟ . □



مصطلح مشتق من كلمتين (شعب وسلطة) ، ويعني به حكم الشعب ، أو كما عبر ابراهام لنكولن « حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة الشعب » أي اختيار الشعب لحكومته وغلبة السلطة الشعبية على هذه الحكومة .

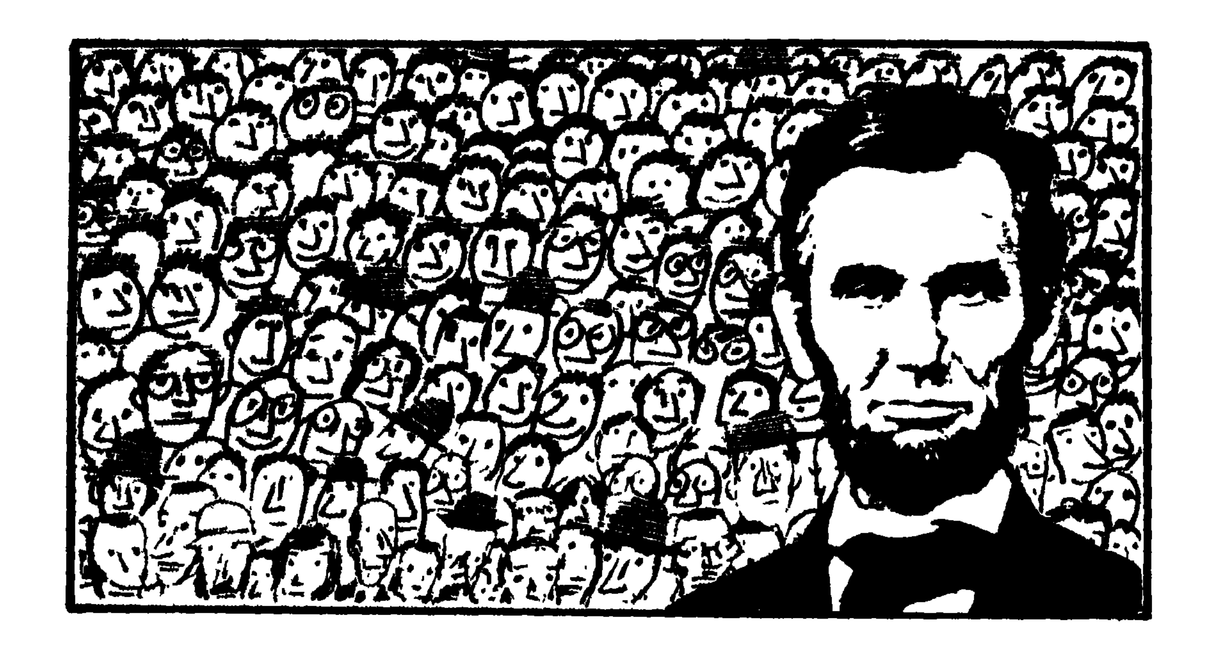
وفي الحقيقة . فإن المصطلح الآن أكثر اتساعا وشمولا من معناه الضيق الذى بدأ به ، فوفق الاشتقاق اليوناني للمصطلح وبدء تاريخه في ديمقراطية أثينا واسبرطة ، فإن المصطلح ينسحب بهذا المفهم فقط على التفسير السياسي للكلمة

وكان مونتيسكيو ، المفكر الفرنسي المعروف ، وصاحب نظرية الفصل بين السلطات الثلاث في الدولة . . هو الذى أضفى على المصطلح معناه السياسي الذى مازال موجودا حتى الآن ، فوفق ما يرى مونتيسكيو ، فإن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية ، وبالتالى فإن الحكومة مسؤولة أمام ممثلي المواطنين وهي رهن ارادتهم ، ولكن اسهامات مفكري القانون والعلوم السياسية بعد ذلك هي التي أكسبت المصطلح شموليته واتساعه ، الى أن أصبح يدل على النظام السياسي والاجتماعي الذى يضع مبدأي: المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع وصياغة التشريعات التي تنظم الحياة ـ يضع هذين المبدأين ـ أساساً للعلاقة بين أفراد المجتمع

ويرجع تعبير الديمقراطية الى نظم الحكم القديمة ، وأقدمها ديمقراطيات المدن الاغريقية ، وأشهرها ديمقراطية أثينا ، وتعرف أيضا بالديمقراطية المباشرة ، لأن المواطنين كانوا يجتمعون في مجلس واحد ، وكانوا يتشاورون في أمورهم ، ونظرا لقلة عدد المواطنين ، فقد كانوا لا يحتاجون الى اختيار نواب عنهم ، وهكذا منذ بدأ ظهور المصطلح لأول مرة في بلاد الاغريق ، فإنه ظل يخضع للتطور والاضافات ، فلم تظهر الديمقراطية بالمعنى الليبرالي الا في القرن الثامن عشر ، حين حمل المفكرون الأوروبيون لواء الدعوة الى المساواة ، وحق الشعب في اختيار حكومته ، والاشراف عليها ، وحملت دعوة المساواة في جوهرها حق مساواة المواطنين في التصويت ، اذ لم يكن كل من يعيش فوق أرض وطن ما ـ حتى ذلك التاريخ ـ يتمتع بكامل حقوق المواطنة المتعارف عليها الآن .

وتختلف المدارس الفكرية في رؤيتها للديمقراطية ، فالديمقراطية في النظام الأثيني هي ديمقراطية الأحرار ، وليست ديمقراطية العبيد ، والديمقراطية في النظام الرأسمالي هي مساواة أصحاب رؤوس الأموال في الفرصة للسيطرة على الدولة وتوجيهها لمصالحهم ، وتبتعد بهذه المصالح عن مصالح العمال والفلاحين والأجراء . .

وترى المدرسة الليبرالية أن الديمقراطية تقتضى



تعدد الأحزاب ، وكفالة الحقوق والحريات الأساسية ، ولكن فريقاً من غلاة الليبرالية يرون أن بعض النظم الديمقراطية التي تتيح تعدد الأحزاب ، وتكفل الحريات العامة ، تناقض الديمقراطية الأصلية ، لأنها بعد انتخاب النواب فإن الشعب تسلب منه سلطة مراجعة حكومته ، ويرى الاشتراكيون - أن الديمقراطية تستخدم في النظام الرأسمالي لتدعيم النظام الاقتصادي وتكريس الياته وان المصطلح ملىء بالألفاظ المطاطة . فلفظة الشعب شديدة الاتساع . وتداخل وسيطرة القوى الاقتصادية اقتصاديا واجتماعيا يجعلان تعبير الشعب ينسحب من كل المواطنين الى بعض قوى الرأسمالية

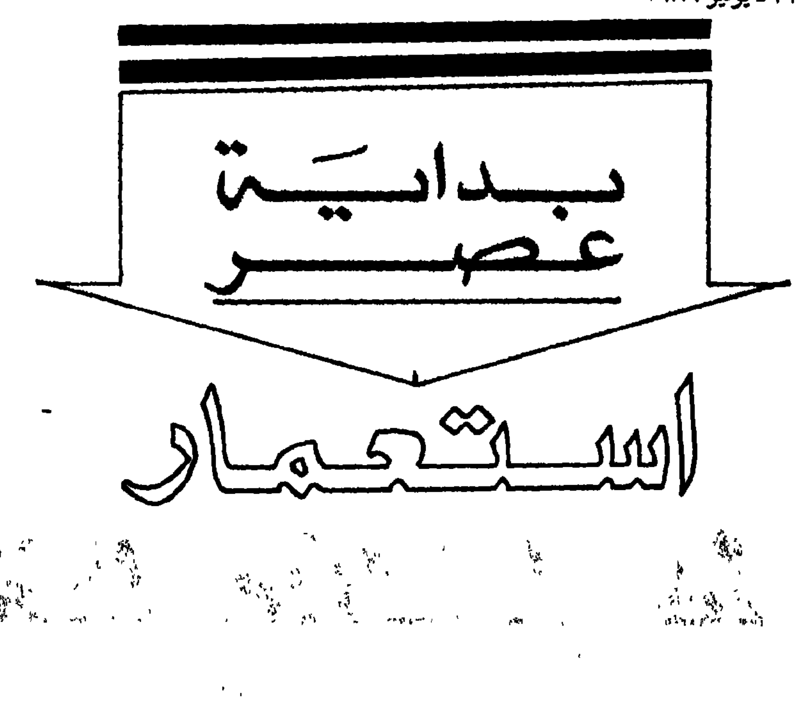
ولهارولد لاسكى رأى جدير بالالتفات توصل اليه بعد دراسة النظام الامريكى ، والديمقراطيات الرأسمالية الأوروبية ، يقول لاسكى : ان الرأسمالية لاتسمح بالديمقراطية الا اذا كانت الرأسمالية فى حالة ازدهار ونمو ، وعندئذ فانها لا تمانع فى منح بعض الحقوق السياسية الى الشعب ، ولكن اذا كانت الرأسمالية تمر بفترات انكماش وكساد ، فانها لا تتردد كما فعلت فى أزمة ١٩٢٩/ ١٩٣٠ أن تسحب تلك الحقوق الديمقراطية ، وتشهر الدكتاتورية سلاحا قاطعا فى وجه الشعب .

ومن مجموع الانتقادات التى وجهت الى الديمقراطية الليبرالية ظهرت الديمقراطية الاجتماعية ، وهى التى تطالب بحقوق المواطنين السياسية متوازنة مع تحقيق العدل الاجتماعى ، فالغاء الاستغلال والتأميم الشامل لوسائل الانتاج هو وحده الذى يكفل المساواة ، وربط أنصار هذه المدرسة بين الحرية السياسية لكل المواطنين ، وبين التقدم الاجتماعى ، وبهذا - وحده - لاتصبح الديمقراطية - كما يقول أنصار هذه المدرسة - مجرد مشهد سينمائى يؤدى مرة فى كل عملية انتخابات ، ثم تنقطع صلة المواطنين بادارة شئون حياتهم حتى موعد الاقتراع القادم . □



حكمة

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فقد جعل الله لك أذنين وفماً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول .



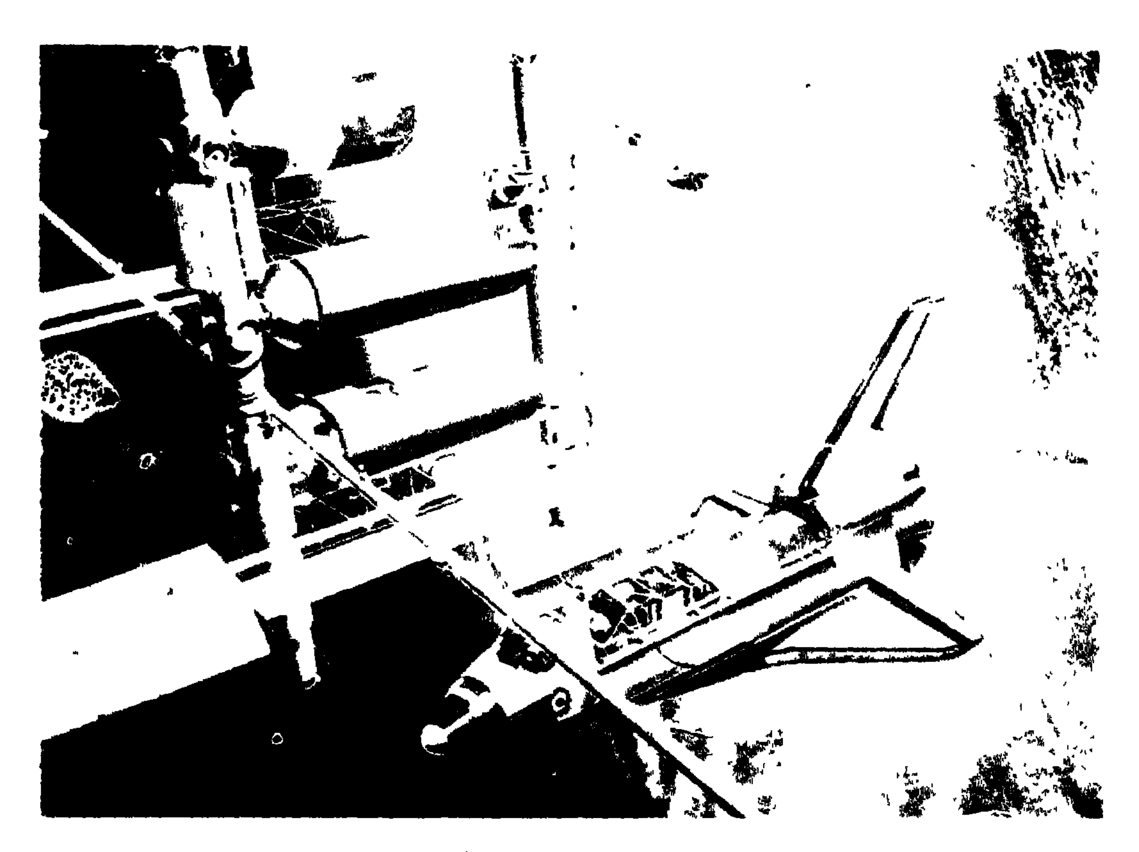
اعداد : الدكتور مازن المغربي

ان تصدير محاسن حضارتنا الى مايقرب من مائتي مليار نجم ليس بالامر الهين ، فالمسافات بين الكواكب المختلفة هائلة جدا ، وستستغرق كل رحلة باتجاه نجم ما ، عشرات بل المئات من السنين ، وهذا يعني أن الذين يسعون جاهدين الى استعمار الفضاء لن تتاح لهم الا رحلة واحدة محددة ، وستكون رحلتهم هذه بلاعودة .

بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢١ وطات أرض القمر ، أقدام ثلاثة من معاصرينا ، عندها قرر سكان الأرض من الذين انهكهم السفر في رحلات مابين الأرض والفضاء ، ايجاد موطىء قدم ثابت لهم في الفضاء .

لم تؤيد الفئات العسكرية الأمريكية هذا المشروع ، لأنها أيقنت ان مثل هذا المركز سيكون عرضة للهجمات المعادية . ولم يتم تبني هذا المشروع . الا بعد تدخل شخصي من الرئيس ريغان ، وعلى اثر ذلك تبنت السلطات العسكرية الأمريكية المختصة موضوع اقامة المحطة المدارية (بالرغم من أن ذلك يعتبر من الحلول العملية) ومن المفترض أن يتم تحقيق هذه المحطة عام ١٩٩٢ ، وذلك على بعد (٤٠٠) كم من سطح الأرض وستكون هذه المحطة عبارة عن مركز لمراقبة الكون ، ويحتوي هذا المركز على مصنع ومختبر للأبحاث ، وقاعدة لتدريب المهيئين لاستكشاف الكواكب الأخرى في المستقبل ، اضافة الى اقامة محطة لارسال

* عن مجلة العلم والحياة للكاتبة آنا آلتر



محطات فضائية تمهيدا لاستعمار المجرات

محسات داتئة الحركة ، الى محوم أحرى ، وستشكل هذه العملية الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح ، لكن هذه العملية مكلفة حدا ، اد ستصل نفقاتها الى مايقرب من ثمانية مليارات من الدولارات ، ويضاف الى هدا المبلغ نفقات الصيانة ، وهذا يعني رصد اعتمادات سنوية تقدر بمئات الملايين ، ولمدة لاتقل عن عشر سنوات

التعاون مع الحلفاء

كانت الولايات المتحدة تأمل الاتكون هي وحدها المسؤولة عن تمويل هذا المشروع فقد اقترحت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) مند عام ١٩٨٤ ، التعاون مع الحلفاء في الاسهام بالنفقات على ان تتحمل اليابان مبلغ مليار دولار ، وأن تتحمل دول أوروبا الغربية مليارى دولار ويبدو أنه لم يحسب ادخال السوفييت في هذه العملية . . . ! لكن الجميع يعرف ، أن السوفييت جادون في اقامة محطتهم الكونية السودجية الخاصة بهم وذلك قبل اطلالة عام ٢٠٠٠ .

لم تهدف الرحلات المطولة لساليوت (٧) ، الا الى التحضير الأرضي لانهاء صنع الصاروخ العملاق الذي سيرسل الى الفضاء . مع نماذج أكبر بكثير من الساليوت ، أظهرت اليابان حماسها للمشروع الأمريكي منذ البداية ، كذلك فعلت كندا ، الا أن دول أوروبا الغربية بقيت وحدها الجهة المتحفظة ، اذ كان لديها مشروعات أخرى ، وقد دافعت فرنسا عن البرنامج الهادف الى تحسين صاروخ اريان القادر على قذف رحال الفضاء الموجودين داخل المركبة الصغيرة هرميس

اما ألمانيا الغربية فكانت تتمنى تطوير مختبر فضائي أدبي اطلق عليه اسم (كولومبوس) وباختصار نقول : ان أوروبا الغربية تريد الاحتفاظ باستقلالها في مجال الفضاء ، ولكن ، وبعد أشهر معدودة من التفكير ، وبعد بضع صفقات ، تساهلت دول أوروبا الغربية ، وبتاريخ ١٩٨٥/٦/٣ وقعت اتفاقيات بين وكالة الفضاء الأوروبية (E.S.A) وبين (ناسا)

ونصت هذه الاتفاقيات على تكليف وكالة الفضاء الأوروبية القيام ـ وعلى نفقتها الخاصة ـ بانجاز وحدة مكيفة الضغط ، قابلة للاستعمال كمختبر فضائي ، أي المختبر (كولوموس) . وذلك اضافة الى حامل عتاد ذاتي الحركة وغير مسكون ، أي مخزن عتاد وعربة خدمة ، مع وحدة تغذية مجموع وحدات المحطة الفضائية بالطاقة (كهرباء ـ تبريد ـ محروقات) .

الميكروجاذبية

عندما تكون محركات المحطة الفضائية مطفأة ، تتصرف كجسم في حالة قصور ذاتي ، خاضع فقط الى قوة الجاذبية ، وتدور حول الأرض ، وكتلة المحطة ضئيلة جدا ، بحيث لاتشكل قوة جذب محسوسة خاصة بها ، وتسير الأمور كما لو أننا نقوم بعملية سقوط حر ، في قفص المصعد ، وتكون موجودات المحطة كمثل أشخاصها في حال انعدام الوزن .

وفي الواقع ، لاتتوازن قوى الجاذبية ، مع القصور الذاتي بشكل دقيق لأسباب عديدة ، وخاصة مايتعلق بتنقلات الركاب ، وحركة المركبة نفسها ، التي تسبب باستمرار حدوث تسارعات مشوشة ، ولهذا يفضل المختصون استعمال تعبير (ميكرو جاذبية) بدلا من تعبير (انعدام الوزن) .

وسيعمل الاشخاص الستة أو الثمانية ، الذين سيتناوبون باستمرار بالوجود في المحطة وذلك بعد اعتيادهم على الميكروجاذبية في مخبر واسع بشكل نسبي ، تحت ظلال سماء سوداء داكنة ، وفي ظروف بعيدة عن الاضطرابات الجوية .

وسيقوم الباحثون بدراسات فلكية في ظل أفضل ظروف ممكنة وسيتسنى لهم العثور على كواكب ، ان لم تكن مسكونة ، تكون على الاقل ، قابلة للسكن فيها .

ويستطيع الباحثون بعد تحررهم من الجاذبية الارضية ، مع امكانات توفر فراغ شبه كامل ، القيام بأبحاث على المعادن وفي مجال علم البلورة وفي الطب والصيدلة والبيولوجيا . . الخ . . وسيستفاد من هذه الأبحاث في الأرض ، كما سيستخدم البعض منها في ابحاث غزو الفضاء ، وتسعى كل من وكالتي الفضاء الأمريكية والفرنسية ، الى القيام بكل مايجعل الاقامة في المحطة الفضائية ممتعة للرحال والنساء الثمانية ، الذين سيشاركون في الاقامة ، وتكريس النفس للعلم والتقدم .

عادات الفضاء وعادات الارض

لكن توفير الراحة العصرية على ارتفاع (٤٠٠ كم) من سطح الأرض يطرح بعض المشكلات مثل الفروق الحرارية الكبيرة ، اضافة الى عدم وجود ليل أو نهار ولافوق أو تحت ، وأية حركة خاطئة ستقذف بمرتكبها نحو الحائط . . . ! وحتى أن مجرد الجهد المبذول خلال عملية استعمال سكين ، ستؤدي في حالة فقدان الحذر الى نتائج غير منتظرة ، كما أنه لاتوجد أية أسباب لكي يبقى الشيء الذي نضعه في مكان ثابتا في مكانه ، اضافة الى ان الأغذية ستلتصق بالشوك وستتحول السوائل الى كرات ، حتى عملية البلع ستتطلب مهارة فائقة ووفقا لتعابير رجال الفضاء ، وكأنك على الأرض تأكل ورأسك باتجاه الأسفل ، يضاف الى ذلك ضرورة العيش ضمن نطاق محصور ، والاختلاط القسري مع بقية المشاركين ، مما يؤدي الى مشكلات نفسية واجتماعية ، وتحاشي هذه المشكلات ، يرتكز على التدريب المستمر على احترام الآخرين مع محاولة الحفاظ ، قدر المستطاع ، على العادات الأرضية ، ويشمل هذا عطلة نهاية الأسبوع . وتشتمل ساعات العمل على أوقات فراغ ، وتعبأ بالتمرينات الجسدية ، وبالالعاب والقراءة ، ومشاهدة التلفزيون ولعب كرة الطاولة . الخ . ، وحتى عملية التغذية لن تكون بدون نكهة ، وسيتم الاستغناء عن الأغذية المسحوقة الموجودة في أنابيب الالمنيوم وكذلك عن الوجبات المقطعة والمغطاة بالجيلاتين .

أما وسط الحياة فسيكون قريبا من جو الأرض ، اذ ستتراوح الحرارة بين (١٦° ـ ٣٢°) ، ولتوفير الوزن سيتم نزع ماء نصف الأغذية ، مثل البيض المسحوق والهليون والدجاج الرومي ، في حين سيكون البعض الآخر من الأغذية ملفوفا بصفائح المنيوم ومحفوظا .

على سطح الأرض يبقى الدم في الأطراف السفلية بفضل الجاذبية ، وآلية توزيع الدم ، تعمد الى توزيعه على سائر الجسم بشكل متساو ، وفي غياب الجاذبية ،

تسير الأمور كما لو ان آلية التوزيع تسير بشكل غير متوازن ، وهذا يؤدي الى صعود الدم الى الرأس ، وهكذا يدفع من الدم كمية ليتر ونصف ليتر وحتى ليترين نحو قمة الجمجمة ، مما يؤدي الى ازالة التجاعيد والدقن المضاعفة - ان وجدت .

اذا كانت رائدة الفضاء شابة ، فان مظهرها لن يكون أنثويا جميلا ، اذ أن وجهها سيكون متضخما وأنفها محتقنا وجفونها ثقيلة وستصبح أطرافها المفرغة من السوائل أنحف جدا ، بحيث يصبح من الصعب عليها الوقوف ، وسيكون وجهها في استدارة البدر ، وسيقانها كأرجل الدجاج ، وعلى هذا الأساس ستفقد رائدة الفضاء كل جمالها وسحرها ، ومع ذلك تسعى الناسا الى تسهيل العلاقات المحتملة بين الرحال والنساء ، الذين يتراوح عددهم بين الستة والثمانية ، ويشكلون طاقم المحطة الفضائية ، وتقترح احصائية علم النفس ، اقامة غرفة مغلقة ومعزولة أو وضع جدار متحرك لأن نسبة الرحال والنساء لن تكون متساوية أو ثابتة ، في المحطة الفضائية ، ومثل هذا النظام يتلاءم مع الأوضاع المحتملة .

القمر أول المستعمرات

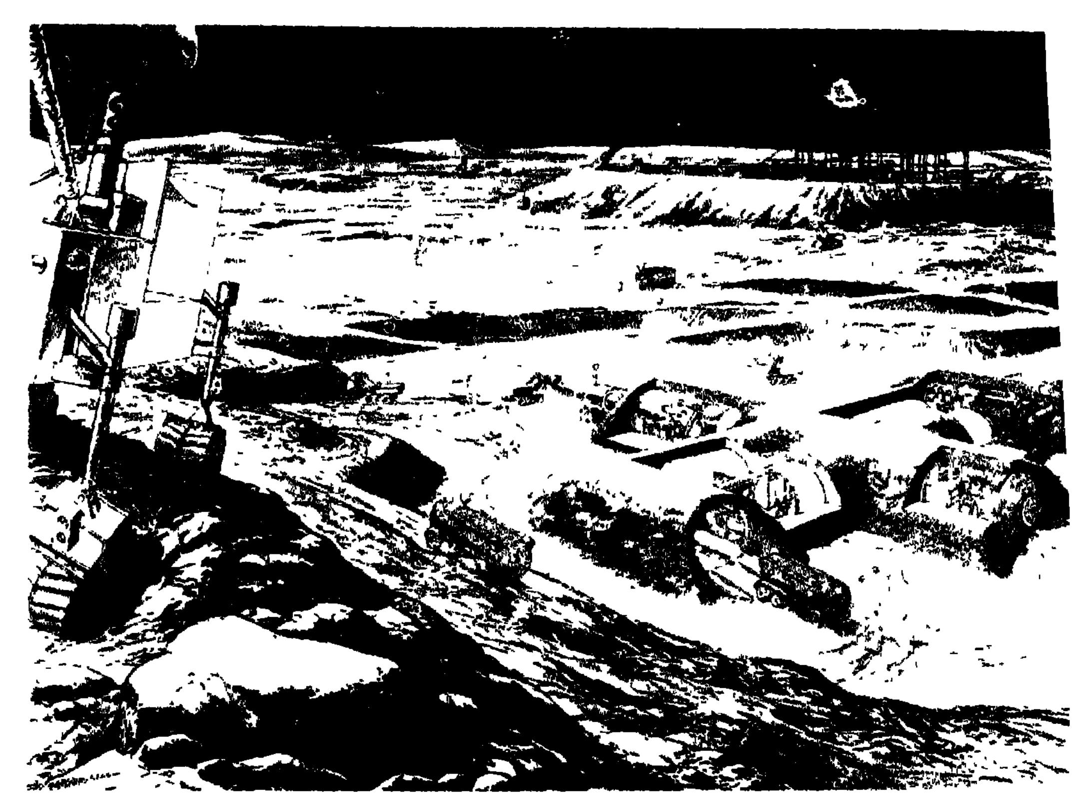
ان أرض القمر غنية خاصة بالتيتان والسيليسيوم والألمنيوم ، والأوكسجين ، اضافة الى العديد من المواد الضرورية لصنع الياف الزجاج ، والعديد من هذه المواد سيكون مفيدا جدا بالنسبة الى مستعمري الفضاء ، وذلك لعزل مساكنهم ، اذ أن وضع المنازل في الأعالي ليس بالامر السهل فعلى الارض يقوم الحقل المغناطيسي بحرق معظم الجسيمات المشحونة بالكهرباء ، التي تقصف أعالي الجو باستمرار وذلك يحمينا من الاشعاع الكوني ودون هذا كانت الجسيمات ستدمر ترتيب الجزيئات ، ويشكل ذلك الخطر الجسيم بالنسبة للأنسجة الحية ، فكل جسيم كوني يعتبر حلقة ، يشترك فيها أثر ذرة مشردة ، وتبعا لوضع هذه الذرات ، يمكن أن تكون النتيجة موت الخلية ، أو تسرطنها بسبب حدوث طفرة .

لقد تم تصور الطريقتين التاليتين للحماية من هذا الخطر في الفضاء ، وتنص الطريقة الأولى على خلق مجال جوي مغناطيسي صناعي ، من خلال توليد حقول مغناطيسية مكثفة حول المساكن الفضائية ، ولكن . . يوجد مساوىء عديدة لهذه الطريقة ، التي تتطلب تجهيزات هامة ، واستهلاكا كبيرا في الطاقة وهي غير قابلة للتحقيق ، لأنه في حالة ضعف أو قطع الحقل المغناطيسي لأي سبب من الأسباب فان الساكنين سيتعرضون للاشعاع بشكل كامل ، وذلك خلال الوقت اللازم لتحديد العطل والقيام باصلاحه .

اما الطريقة الثانية فهي بدائية ، لكنها اقتصادية وأكثر فاعلية ، وهي تنص على تغطية المساكن بمادة تمتص الاشعاع ، وذلك باستعمال طبقة ذات سماكة (٢م) من مادة قمرية تنزل الاشعاعات الى مقدار جرعاتها الأرضية ، ولايحتاج الأمر الى أية صيانة ولا الى أي استهلاك في الطاقة ، اضافة الى عدم حدوث أية أعطال . ونظرا لعدم توافر وسائل حماية بيولوجية من الاشعاع ، وهي الوسائل التي لم تتطور منذ (٣٠) عاما ، فان اللجوء الى هذه الطريقة (الطريقة الثانية) سيكون من أعمال الجهات المستعمرة للفضاء

وسيتطلب انشاء الورشات على سطح القمر بضع سنوات ، وسيصل المستعمرون الأوائل مع حاويات مليئة بالمعدات ، مثل الجرارات وأدوات استخراج المعادن ، ومفاعل نووي صغير ، وستستخدم الحاويات الفارغة كأكواخ في الورشات والمشاغل ، ولكن سيتم اخفاء هذه الحاويات اتقاء للاشعاع الكوني ، وسيبدأ استثمار الأرض فور تشغيل المفاعل وتمديد الخطوط الكهربائية ، وسيقوم العلماء بصنع الزجاج والأبيال الضوئية ، والمكونات الألكترونية ، وذلك من مادة السيليسيوم ، ويمكن توسيع المستعمرة بفضل وسائلها الذاتية ، وأن تزود نفسها بالالمنيوم والتيتان ويستعمل الأوكسجين المنتزع من التربة في خلق جو اصطناعي .

يبقي علينا ايجاد الممولين الذين يجب أن يكونوا من الأثرياء جدا ، اذ حددت لجنة الدراسات التابعة لجمعية عبر الكواكب البريطانية ، نفقات استطلاع أرض القمر بحوالي (١٦,٥) مليار دولار امريكي ، يضاف اليها مبلغ (٣٥,٦) مليار دولار لبناء القاعدة حيث يصل مجموع المبالغ اللازمة للمشروع حوالي (٥٢,١) مليار دولار أمريكي ، في حين أن هناك



القمر أول المستعمرات

تقديرات أخرى تتجاوز هذا المبلغ ، وتصل الى حدود (٧٠ ـ ٩٠) مليار دولار أمريكي .

مستعمرة المريخ

للوهلة الأولى يبدو كوكب المريخ غير مشجع ، فالحرارة فيه تتراوح بين (١٤٠°)و (٢٧°) وتقترب درجة الحرارة المتوسطة عليه من (١٠٠°) عند القطب و (ـ و ٢٠٠°) عند خط الاستواء ، او (ـ , ٤٠°) في المناطق الوسطى ، والجو خانق ـ اذ يتكون من ٩٥٪ من غاز الفحم المشبع بالرطوبة ، والتراب جاف بشكل كامل ، ومع ذلك فان جو الكواكب بحد ذاته ، هو منجم ، ويكفينا أن نعرف كيفية استغلاله . ويدعم السيد توماس ماير ـ وهو كيميائي من فريق دراسة كوكب المريخ الموجود في جامعة كولورادو ـ المعلومات التي جلبتها المركبة الفضائية فايكنج .

ووفقا لهذه المعلومات ، فان بالامكان الحصول على (٥٠٠ ع) من الماء ، من خلال القيام بضح (٩٠٠م ٣) من هواء المريخ ، أما التكاليف ، فلا تتجاوز ثمن زجاجة ماء معدني على الارض ، ولا يحتاج الأمر الى آلات معقدة ، بل يحتاج الى توربين يعمل بالطاقة الشمسية ، تتوافر فيه القدرة على العمل ، ضمن ضغط منخفض والنقطة السوداء الوحيدة في هذا الاقتراح ـ هي أن المهندس لم يقدم بعد الرسوم التفصيلية لهذه الآلة .

أما العثور على هواء يمكن تنفسه والأغذية التي يمكن الاستفادة منها ، ويمكن حل هذين الأمرين ، من خلال ضغط هواء المريخ ، وسحب غاز الفحم منه ، نحصل على خليط من الأرغون والأزوت ، مع آثار من الأوكسجين ومن غاز الفحم ، وهذا الخليط ليس سليما بشكل فعلي ، لكنه ليس ساما ، ويمكن استخدامه كحاجز بين هواء السكن وبين الجو السام ، ويمكن الحصول على الاوكسجين من خلال تحطيم جزيئات غاز الفحم ، بطريقة (ساباتيه ـ ساندر) التي تعتمد على مجموعة تفاعلات كيميائية متسلسلة ، فثاني أوكسيد الكربون

عند تفاعله مع الهيدروجين يعطي أوكسيد الكربون والماء ، ويمكن أن نحصل على الأوكسجين من تحليل الماء كهربائيا ، في حين نعيد الهيدروجين الناتج الى نقطة البداية ، ليتفاعل مع غاز الفحم ، وهكذا دواليك

مجتمع الفضاء

يتم في المرحلة الأولى جلب الطحالب ، ومستعمرات باكتيريات نبذرها في الكوكب . واذا لم تنم فيمكننا حينئذ اطعامها للقادمين الأوائل بانتظار أيام أفضل

ويتم في المرحلة الثانية ، نصب بيوت قابلة للنفخ تحت الضغط البسيط ، يقوم الرواد الذين أنهكتهم وجبات الطحالب والباكتيريات ، باستعمالها في زراعة الحصار ، والاستفادة من رطوبة جو المريخ ، ويمكن للخيمة البلاستيكية المنصوبة فوق حفرة طبيعية بشكل يسمح لها بالحفاظ على ضغط متوسط بين سطح الكوكب ، وضغطه المنخفض والمساكن مكيفة الضغط ، القيام بدور الحقل

وفي المرحلة الأخيرة يتم اقامة نظام اقتصادي مصغر مع الهيئات المناسبة ولكن ، بما أن تربة المريخ ليست مثالية للزراعة ، يتوجب علينا القيام بغسلها من المواد السامة التي تحتويها وهذه المواد يمكن أن تكون مفيدة لانتاج حمض الكبريت ، والاسمنت والجبس ، والزجاج الخ وهي المواد الضرورية للرواد

وفي الواقع ، نستطيع انشاء صناعة صغيرة ، بالاعتماد على المواد السامة فقط ، وذلك باستخدام الكاربون المستخلص من غاز الفحم ومن المواد الكيميائية الاخرى ، نستطيع صنع الورق والبلاستيك والمطاط والصمغ والمتفجرات .

موجات الهجرة نحو الفضاء

من المقرر اجراء تجربة طيران بين عام ٢٠٤٥ وعام ٢٠٦٠ ، ولن تكون المركبة مسكونة ، وستتم الرحلة في العالم وفقا لبرنامج (B. I .S . M.A) الذي وضعته مؤسسة (B . I . S. M . A.) وقد تم حساب كل شيء ، والهدف هو نجمة برنار الصغير ، والأضعف من الشمس بـ (٢٣٠٠) مرة ، وميزتها الوحيدة كونها تتبع خطا غير منتظم ، كما لو أن الكواكب تتجاذبها ، ونحن لم نشاهد هذه الكواكب بشكل مباشر . وهناك شك قوي في وجودها ، وهذه واحدة من الدوافع الكافية لمحاولة استطلاعها

تستمر الرحلة حوالي (٥٠) عاما ، مع الهبوط لمرة واحدة ، بغية التزود بالوقود . الوقود هو من نوع الهليوم ، الذي يقدم الطاقة اللازمة للصاروخ ، ليندفع في الفراغ بين الفلكين

ونتصور أن أولى موجات الهجرة ستكون حوالي عام ٢٢٦٠ ، لأن الاستطلاعات ستؤدي حتما الى العثور على كواكب تكون مواردها وموادها ومصادر الطاقة فيها سهلة الاستخراج ، وسيقرر البعض ترك أولادهم فيها ، وسيغادر أسطول من المركبات الفضائية النظام الشمسي ، وستتابع الأجيال القادمة من البشر ، خلال مئات السنين ، اجتياز الصحراء الكونية ، وخلال رحلتهم ، سيتسنى لهم رؤية نجوم جديدة ، تظهر من اللانهاية .

وفي يوم جميل سيصلون الى العالم الجديد ، حيث سيتم لهم تأسيس أول المستعمرات في المجرة ، وسينتشر الجنس البشري ، وسيتكاثر ، وستقوم الأجيال الجديدة ، باستعمار نجوم جديدة ، وخلال (٣٠) مليون سنة ، ستكون المجرة مسكونة بالبشر

ومن المؤكد انه خلال قرن من الآن ستعيش مجموعات بشرية على كواكب أخرى ، بعيدة عن الأرض ، أو ضمن مستعمرات فضائية ، وستقام هذه المستعمرات على النيازك ، أو حول القمر ، وفي كل مكان تكون فيه المواد الأولية سهلة الاستخراج ، وخلال عدة قرون نكون قد استثمرنا المجموعة الشمسية ، وستكون مزروعاتها ملكا لنا ، وسيتعلم الانسان كيف يتدبر أمره بعيدا عن الكوكب الأم وقد يضعف ارتباطه العاطفي بالأرض ولن يهمه مكان موطنه الجديد ، وهكذا يكون الانسان قد نضج للرحلات بين مجرات الفضاء . □

رؤية لقصيدة



للشاعر الألماني : فريدريش هيلد رلين

بقلم : الدكتور عبدالغفار مكاوي

وهب الشعر كل شيء ، فأعطاه بعض أسراره الغامضة .

ثم لاح له الحب . . . فغرق فيه حتى الوهم . . . ثم الجنون . . . !

انه الشاعر الألماني فريدريش هيلدرلين وهذه دراسة لجانب من أشعاره وحياته .

أمضي كل الأيام على درب غير الدرب ،
حينًا للشجر الأخضر في الغابة ،
حينا آخر للنبع ،
للصخرة حيث الأزهار مفتحة الأكمام ،
أنظر من فوق التل إلى السهل ،
لكني لاأجدك أبدا ياحبي ،
في أي مكان لاأجدك أبدا في النور ،
تتطاير مني الكلمات وتذروها الأنسام ،
كلماتي الطيبة وكانت فيما مر من الأيام . .
حقًا ، أنت بعيد ، ناءٍ ياوجه النعمة
يخبو نغم حياتك
وأنا لاأملك أن أنصت . .

يا أيتها الألحان الساحرة الصوت ،
يامن أفرغتِ على قلبي الراحةَ من نبع الخُلْد
طال العهد وغاب . شب الولد وشاب .
حتى الأرض - وقد كانت تبسم لي -
عابسة الوجه .
الآن أقول وداعا ، عِيشي في خير .
روحي كل نهار ترحل عنك ، تعود إليك ،
عيني تبكيك ، تريق الدمع
تتمنى يوما أن تَصْفُوَ كي ترنو لك
فتراك هناك وتهنأ بك . .

* * * *

هده أعيـة لم تتم فقد احتنقت في صـدر الشاعر مع غُصَّة الفـراق ، إنه يلفت نقلـه وعيبه إلى حيث تقيم المحبوبة ، ولكنه لايستطيع أن يخدع قلبه ولا عيبـه عن نُعد الشـاطىء واستحالـة اللقاء ، ومع دلك فهو لايرال يناجيها ويتعلق بها كما يتعلق الغريق بطوق النجاة وكيف يصدق أن حبيته « ديوتيما » التي جسدت حلم حياته بالجمال الاغريقي وعالم النورانيين ، بل أوشكت أن تتمثل أمامه واحدة من تلك القوى العلوية التي طالما حنّ إليها وناشدها العودة إلى الأرض المجدبة والبشر الفاني ـ كيف يصدق أنه حُرِم منها الى الأبد ، وأنه سيهيمُ بعدها كما تهيم الظلال

أنت يامن أشرت لي قديما وأنا على مفترق الطرق
يامن علمتني بصمتك وأوحيت لي في هدوء
أن أرى العظمة
هل تتجلين لي وتحييني كما كنت تفعلين ،
وهل تلهمينني الحياة والسلام من جديد ؟

هل ستفعل « ديوتيما » ذلك حقا ، فتدب فيه الحياة ، ويحلق جناحاه ، ويهتف بفرحته لعودة الربيع واخضرار الأرض ، أو تتركه في يأسه وحيرتـه ، يحاصره شتاء الاكتئاب ، وتُطبق عليه جدرانه المظلمة الخرساء ، في سجن الجنون الذي سيبقى فيه طوال الأربعين سنة الأخيرة من عمره ؟

لكن من هده المحبوبة التي أطلق عليها الشاعر اسم الكاهنة الاغـريقية القـديمة « ديـوتيما » التي أجْـرى أفلاطون الحكمـة على لسانها في محاورة « المأدبة » وجعلها تعلّم سقراط ما لم يكن يعلم من أسرار الحب الفلسفي ؟ ومن هدا الشاعر الذي ساقه القـدر إلى طريقها كما يساق الحالم في النوم ، واندفع اليها حين تصور أن الرؤ يا والنبوءة تتحققان .

إنه فريدريش هلدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) الذي وهب الشعـر كـل شيء ، فـأعـطاه بعض أسـراره الغامضة ، شاعر الغربة الذي عاش غريبا في عصره وبين أهله

تلاقي الفلاسفة

ولد هيلدرلين في العشرين من شهر مارس سنة ١٧٧٠ م في بلدة « لاوفن » على نهر النيكر في منطقة « أشفابن » المعروفة بغاباتها وجبالها الغـامضة التي غرست في سكانها حب الوطن والحنين الدائم إليه مثل حنينهم الصوفي إلى عالم مثالي موغل في البعد والخفاء والطموح

مات أبوه وهو طفل صغير ، وتردد عـلى مدارس الأديـرة قبـل أن يـدخـل المعهـد الـديني في مـدينـة « توبنجن » تحقيقا لرغبة أمه الطيبة المسكينة واحتمل مرارة الحياة الخشنة الصارمة بين جدران هده الزنزانة اللاهوتية التي تعرَّف فيها على صديقي صباه وفيلسوفي المثالية الالمانية الكبيرين « هيجل وشيلنـج » . . ولم تلبث الصداقة والمحنة أن جمعت بين الثلاثة كما جمع بينهم الطموح الى عالم مثالي تتحقق فيه الحـرية ويتم الخلاص من الظلم والركود والاستبداد الجاثم عـلى صدور أبنـاء شعبهم وصدورهم واشتـرك الأصدقاء في قراءة أفلاطون وروسو وشيلي واسبينوزا الـذي عبَّرتْ الكلمـة اليونـانية القـديمة « الـواحـد والكل » عن مذهبه في وحدة الوجود ، وأثَّـرت بعد ذلك على حياة هيلدرلين ، وكان من الطبيعي أن يتأثر الشاعر مع شباب جيله بالثورة الفرنسية التي تأججت نيرانها فجأة فبدت كأنها فجـر الخلاص والأمـل في الحرية والتقدم والكرامة ، وأن يتأثر كذلك بحركـة بعث الروح الاغريقية ومحاكاة روائعها محاكاة خلاقة ، وكان مؤ رخ الفن القديم « فنكلمان » هو باعث هذه الـروح التي تمثلت فيها « البسـاطة النبيلة والعـظمة الساكنة . » ، ثم ازدهر الأدب والفلسفة الألمـانية على يد « ليسنـج » و هيردر » وكـانط وجوتـه وشيلر فأمدتها بدمـاء جديـدة وأكدت مثلَهـا الأعلى الـذي تـراءى لعيـون هـذا الجيـل ، وهـو الانسـان الحـر الجميل ، المتحد بالطبيعة والأبطال الأسـطوريين في وحدة حية متجانسـة لم تجرب التمزق والتصدع الذي كانوا يعانونه . وقد كـان هلدرلين أكـثر أبناء جيله انفعالا بهذا العالم المقدس الرائع وأشدهم حنينا اليه في كـل أناشيـده وأغانيـه . . تغلغلت هذه الـرؤ ية الدينية والكـونية في أعمـاقه يـوما بعـد يوم ، وراح يغوص في متاهتها الباطنة ويستغرق في أسرارها مع كل تجربـة جديـدة تؤ كد عجـزه واخفاقـه في الحب والحيـاة ومع كـل يوم يـزداد بعدا عن الـوعي وعن الناس ، ومع كل عذاب تزداد لغته تكثفا وغموضا ، وتشتد قسوة قدرة المعذب الوحيد فينحني لـه راضيا

ومطمئنا ، وتستجيب لـه نفسه الـوادعة في خشـوع وانكسـار « أيتهـا الـروح . أيتهـا الـروح أنت يا جمال العـالم . يامن لا تتحـطمين أيتهـا الساحـرة الفاتنة بشبابك الأبدي : أنت حية باقية ، وما الموت وكل عذاب البشـر اذا قورن بـك ؟ آه كثيرة هي الكلمات الجوفاء التي صنعها هؤلاء المدهشون ، ومع ذلـك فكـل شيء يصـدر عن الفـرح وينتهي الى السلام وما مظاهر الشدود في العالم الا كالخلاف بين الأحبـاب ، إن الصلح قـائم في قـلب التـشاجر والشقـاق ، وكـل مـا تفـرق سيلتقي من جـديـد والشرايين تتشعب ثم تعود فتصب في القلب ، وتظل الحياة الواحدة الخالدة المتوهجة هي الكل » .

بين المهانة والصبر

تخرج هلدرلين من المعهد الديني سنة ١٧٩٣ وقرر أن ينفض عنه أعلال اللاهوت والوظائف الكنسيـة ليتفرغ لموهبته الشعرية واضطره ذلك أن يعيش عشر سنوات مليئة بالحرمان والسعي الخائب من بيت الى بيت في سبيـل لقمة العيش ، وكـانت مهنة التعليم وإعطاء الدروس الخـاصة لأبنـاء الأسر الثـرية هي الباب الوحيد الذي يمكن أن يطرقه المثقفون والأدباء الـذين يعز عليهم في كثير من الأحيان أن يتحملوا المهانة والهوان ، ويعاملوا معـاملة الخدم والأتبـاع . وتـوسط له الشـاعر « شيلر » للعمـل في أحد هـذه البيوت المرموقة التي كانت على صلة بالحياة الأدبية . ولكنه أخفق في مهمته التربوية ، وتأكد له اخفاقه في الحياة العملية عندما حـاول بعد ذلـك أن يستقر في مدينة « يينا » ويعمل بتدريس الفلسفة في جامعتها . وتبين له عجزه عندما سعى للاتصال « بفحتة » رائد المثالية وباعث القومية ـ والتقرب من « جوته » أمـير الشعر وعملاق الأدب ـ فتجاهله الفيلسوف وأعرض عنه الشاعر الأكبر ولم يستـطع أن يقدر مـوهبته التي اتهمهـا بالغمـوض والاضطراب . ولم يبق لـه غـير مـواطنه شيلر الـذي كان مثله الانسـاني والشعـري الأعلى . وقد أشفق عليه الشاعر في البداية ورعاه ، ونشر له الصيغة الأولى من روايته « هيبريون » في مجلة « ثاليا » التي كان يصدرها ولكنه لم يلبث أن ضاق به وانصرف عنه ، وكانت هذه التجربة من أمرّ التجارب التي ذاقها في حياته ، وعاد يجرب حظ المعلم الحاضر البائس فالتحق سنة ١٧٩٦ ببيت رجل من رجال المال والأعمـال والبـنوك يـدعى « جـونتـار » في مـدينة فرانكفورت .هنالك لقي من المهانة ما لم تحتمله نفسه الحييّة الوديعة ، فصبر ثـلاث سنوات عـلى التزييف المستمر من جرح الكبرياء ، وقد عوضـه القدر عن ذلك بالنعمة الوحيدة التي عرفها في حياته البائسة . فأحب ربة البيت « سوديته جونتار » وبادلته السيدة الرقيقة حبه ، ومدت يدها الحنون الى روحه الغريقة في ظلمات الاكتئاب ، ووجد فيها مثـال الانسانية الجميلة الطاهرة

كانت « سوديته » مثال الجمال والانسجام والحكمة الذي طالما داعب أحلامه ورؤ اه ، وكانت هي الروح الاغريقية نفسهـا التي اشتاق اليهـا وانتظر ميـلادها وتعزّى بها عن محنة وجوده وسط غابة الظلم والتجاهل والفساد والطغيـان ، ولكنه اضـطر أن يغادر البيت الذي تحققت فيه الرؤ يا ، غادره مهانـا مدحـورا ، وافترق عن المحبوبة التي لم تجد حيلة في الفـراق ، فحبست حبهـا في صدرٍ عشّش فيـه السل وافتـرس حياتها بعد ذلك بسنوات قليله . ها هو ذا يناجيها بعد رحيله عنها في قصيدة عنوانها « ديوتيما »

تسكتين وتصبرين ، وهم لايفهمونك
يا أيتها الحياة الغالية
تذبلين في صمت لأنك واحسرتاه
تبحثين عبثا بين البرابرة
عن أهلك في نور الشمس ،
عن تلك الأرواح النبيلة الحانية ،
التي ما عاد لها وجود
غير أن الزمن يسرع الخطا ،
ولا زالت أغنيتي الفانية ترى اليوم
الذي تسميك فيه ، يا ديوتيما ،

لكن ديوتيما قد غابت عنه الى غير رجعة ، و الفراق عنها هو مأساة وجوده كله :

آه : أين أنت الآن ياحبيبة ؟
أخذوا مني عيني ، وقلبي فقدته بفقدها
لهذا أهيم هنا وهناك ،
مَقْضِيًا على أن أعيش كما تعيش الظلال
وكل شيء يبدو بلا معنى . .

* * * *

طريق العذاب

بدا الشاعر طريق العذاب ، لم يُعرِّهِ قليلا في فراقه عن حبيبته ، الا قدرته على الحب والأمل والعرفان ، أي قدرته على قول الشعر . ففي هذه الفترة التي امتدت من سنة ١٧٩٨ حتى حوالى سنة ١٨٠٤ ـ ولم تكد تزيد على خمس سنوات ـ كتب عددا كبيرا من القصائد العظيمة الكبرى ، واتم روايته الوحيدة « هيبريون » وترجم مسرحيتي سوفوكليس أوديب ملكا وانتيجونا وعددا من قصائد « بندار » الأولمبية . وجد الشاعر وقته كله عاكفا على مسرحيته الشعرية « موت انبادوقليس » والواقع أنها ليست مسرحية صالحة للتمثيل ، بل هي قصيدة درامية عن ذلك الفيلسوف الطبيعي والكاهن والساحر والطبيب والمعالج [illegible] الذي ولد في مدينة أجريجنت عاصمة صقلية حوالى سنة ٤٩٠ قبل الميلاد ثم طرده أهلها بعد أن أوشكوا أن يؤلهوه ويتوجوه على عرش مدينتهم ونسجوا عن موته تلك الحكاية العجيبة التي ألهمت العديد من الشعراء

فقد رووا عنه أنه ألقى بنفسه في فوهة بركان « أتنا » وترك حذاءه بجانبها ليدل على موته أو انتحاره الأعجب . هل استجاب الفيلسوف لنداء الأرض الأم ، أم لجأ الى حيلة ماكرة أراد منها تخليد اسمه وذكره ؟

لقد كتب عنه هلدرلين إحدى قصائده قبل أن يكتب المسرحية ، وهو يمجده فيها ويتمنى لو يتبعه إلى أعماق الأرض لولا أن قوة الحب تمنعه ·

أنت تبحث عن الحياة ، تبحث عنها فتنبثق وتلمع
نار الهية من أعماق الأرض ،
وأنت بالشوق الواجب
تلقي بنفسك في لهيب « أتنا »
لكنك مع هذا مقدس عندي ،
مثل قوة الأرض التي اختطفتك ،
أنت أيها المقتول الجسور ،
ولكم تمنيت أن أتبع البطل الى الاعماق
لولا أن الحب يمنعني .

* * * *

لكن الحب ومعه الرؤ يا والتجربة الكبرى أسلماه للانتحار البطيء بسم الاكتئاب ، يفترسه ليل نهار ، وبعد أن كان هبوط الفيلسوف القديم في فوهة البركان تكفيرا عن ذنبه عندما وضع نفسه في مصاف الآلهة : أصبح في الصياغة المتأخرة للمسرحية تعبيرا عن شوق صوفي الى رحم الأرض وحنينا الى أحضان الطبيعة المباركة والأصل المقدس

● أمضى كل الايام

عندما ينوح الآن قلب الأم ،
في وحدته الأليمة ،
وتنشر الأم المظلمة
ـ وهي تذكر الاتحاد القديم ـ
ذراعيها النارية للأثير ،
ويأتي ملك الشمس في هالة اشعاعه
هنالك نغوص في اللهب المقدس
علامة على قرابتنا له

وبدأ هلدرلين يغوص في هاوية اللهب الأسود المقدس وراح الاكتئاب المميت يحاصره من كل ناحية ويضطره للتسليم . ولكم حاول أن يتشبث بذكرى الحب ورؤ ياه الشعرية لتحميه من السقوط . وأخذ يناجي القوى السماوية ويستنجد بها من لعنة الوحدة التي تطبق عليه ·

بلا قدر ، كالرضيع النائم
يتنفس المخلصون
أعفَّاء مصُونين
في البرعم الطيب .
تزدهر أرواحهم أبدا
وعيونهم المباركة
تظل في هدوء وصفاء خالد
أما نحن فكتب علينا
ألَّا نهدأ في موضع
والبشر المعذبون
يتلاشوْن ، يسقطون
كالعميان من ساعة لأخرى
كما تندفع المياه على مر السنين
من صخرة لصخرة
الى الهاوية الغامضة . .

الطريق الى الهاوية

أخذ الشاعر يندفع الى الهاوية الغامضة التي لن

يحرج منها . وبدأت ظلال الحنون تلتف حوله يوما بعد يوم . وعاد يهيم في البلاد بحثا عن لقمة العيش فعمل فترة قصيرة في سويسرا ثم هجرها وقام برحلته الأخيرة الى مدينة « بوردو » الفرنسية ليتولى تعليم أبناء القنصل الألماني المقيم فيها . ولكنه لم يلبث أن ترك عمله وعبر الحدود على قدميه حتى وصل الى وطنه وقد ظهرت عليه امارات الاضطراب النفسي والعقلي .

هل انفجر فيه جرح الحب الذي ظل سنوات ينزف في صمت ؟ وهل تأكد له أن العالم الذي يحيا فيه قد صار حطاما لاموضع فيه للتجانس والجمال ، لقد صور له الأمل أو الشعر أنه يمكن أن يحلم على الرغم من قسوة الواقع ، وأن يتحدى القبح المتفشي من حوله .

ولهذا يسأل ولم الشعراء في الزمن العصيب ؟ وكأنه قد تشكك في جدوى الشعر والشعراء في زمن المحنة ، بعد أن آمن بهما من قبل وقال بيته المشهور :

وما يبقى يؤسسه الشعراء . .

*** * * ***

لا لم يعد في طاقته أن يأمل أو يتشبث برؤياه ، فقد حاصره الشتاء وهاهو ذا يعلن صرخته للريح .

ويْلي لو جاء شتاء
أينَ سأقطف أزهـــاري
وألاقي نور الشمس
وظل الارض ؟
تبدو الجدران أمامي
باردة خرساء
والرايات ترفرف في الريح

كان المريض الذي عبر جبال الألب على قدميه قد لجأ الى أمه وعاش معها في بلدته الصغيرة « نورتنجن » حتى سنة ١٨٠٤ لكن المرض ألحّ عليه فغادر البيت وعاد يتنقل بين البلاد حتى استقر في مصحة الأمراض العقلية في مدينة « توبنجن » ، ولم ييأس الطب من شفائه تسلمه نجار طيب يدعى « تسيمر » وآواه في بيته فعاش فيه نصف عمره الأخير أشبه بالطل الهادىء والشبح الهائم في الليل الطويل

ما عاد صوت يتردد من أجلك
أنت أيها الرائي المسكين !
عينك المشوقة تنطفىء
والنعاس يجرفك الى الأعماق
فلا يذكرك أحد ولا يبكيك إنسان

*** * * ***

وأقبل الموت فخلصه من حلمه أو من رؤياه في اليوم السابع من شهر يونيو سنة ١٨٤٣ وتمت دورة الحياة التي غناها قبل ذلك بأكثر من أربعين عاما

تطلعت روحي الى السماء
غير أن الحب جذبها إلى الأرض
والعذاب قهرها بقوة
هكذا أعبر قوس الحياة
وأعود الى حيث جئت . . □

تحملها يا أخي

جاء رجل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته السيء، فسمع الرجل امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها ، وعمر ساكت ، فانصرف الرجل لما وجد هذا التطاول من زوجة عمر على عمر ، فناداه عمر قائلاً : « ما حاجتك يا أخي » .

فقال الرجل : جئت أشكو اليك استطالة زوجتي علي ، فسمعت زوجتك كذلك .

فقال عمر : « لقد تحملتها لحقوق لها عليّ ، فانها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ،وليس بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام » . فقال الرجل : وكذلك زوجتي فقال عمر : « فتحملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة والعهد قريب » .



قصة قصيرة بقلم : ليلى العثمان

كانت تراودها فكرة واحدة وهي تقف وسط الصحيح ، عيناها تتركزان على الطفلة ذات الشعر الناعم وهي تجلس داخل المقعد الحديدي ، وهو يحصنها بذراعه وترتمي برأسها على صدره

العالم كله يعوي بأصوات المكائن والألعاب ، وتتلاطم أصوات الناس حولها ، والعروسة تفتح أذرعها عملاقة ، يحمل ذيل فستانها المقاعد الحديدية

تتراكض الأقدام وقلبها يتراكض نحو وجه الطفلة ، يتسابقون كل يبحث عن مكان ، الكبار قبل الصغار ، ويفرحون اذ تستقر مؤخراتهم داخل المقاعد ، بينما تتحجر أو تنحدر دمعات من عيون الأطفال الذين ارتدوا خائبين وفي قلوبهم سباب مكتوم

عيناها على الطفلة ، من بين الأصوات والصخب المتناثر في المكان يرتفع صوتها عاليا :

ـ شد عليها انتبه .

يهز رأسه ويبتسم ملوحا بيده ، تفهم أنه يطمئنها ، لكن الفكرة بدأت تتوغل الى رأسها ، فتحس ضربات قلبها تتزايد .

« ماذا لو . ماذا لو . لو !! . لو !!!

الجرس يصرخ معلنا بداية الشوط ، العروسة تدور . تدور . . ذهنها يدور ولا يستقر ، والفكرة مثل نحلة مجنونة تطن في رأسها ، كلما ارتفعت مقاعد العروسة شيء يرتفع ، شيء يهبط ، الأدوار تتبادل ، وهي تتابع الفعل ، وتتلهف أن تأخذ الدائرة دورتها ، لتلمح وجه الطفلة يتلاعب مع الدوران . فوق . تحت . . فوق . . يمين . يسار . . وصراخ الفرح ممزوج بالخوف . . وصراخ الفكرة :

« ماذا . . لو . ماذا . . لو . . »

صوتها يخرج من حلقها متسائلا .

ـ لماذا يأخذون أماكن الصغار ؟

ـ وأنت ؟

جاءها سؤال لم تتوقعه ، هزت كتفها دون أن تنظر :

ـ هِهْ ! ماذا ؟

ـ ألا تحبين الركوب في دائرة العروس هذه ؟

ـ أنا ؟

انتفضت . . هي أبدا لم تحاول طوال سنوات عمرها أن تركب لعبة من الألعاب ، رغم كل اغراءاتها ، هي لاتكرر ألما جربته طفلة .

يزوغ ذهنها . . يتمرد على لحظة القلق ويسافر . . تتذكر ، كانت تحسب دائما أن الماضي يذوب مع حركة الأيام وارتجاج الليالي ، كما يذوب الملح في الماء . لكنه ها هو . . يبقى خامدا . وما ان تسنح له الفرصة حتى يستيقظ ويعيد ذكرى عام . . شهر . . أو . . يوم . .

كان ذلك نهار يوم الوقفة ، وكان الصبي مسعود

يهش الخراف ، فتندلق داخل البيت يسبقها صوته .
ـ خرفان الأصاحي . . واحد . . اثنان .
أربعة . خمسة . .
الخراف تتراكص وتتوزع في الحوش الكبير ، بعضها يلهث ، وبعضها يتبرز ، وبعضها يأكل أطراف الحُصُر وهدب السجاجيد .
ـ هش هش
أختها تهش الخراف حتى حوش المطبخ ، ومن هناك الى باب الكراج الكبير الذي نصبوا في ساحته أرجوحة الحبال ووضعوا الخيش القديم وسادة للجلوس أخوتها يتصايحون ويلاحقون الخرفان ، ويغنون أغنية الفرح بقدوم العيد
« باكر العيد ونذبح بقرة . نادوا » بوسعود كبير الحفرة » وهي تعانق الأرجوحة، تحاول أن تعتليها ، لكنها لاتجرؤ ، حتى أقبلت أختها الكبيرة ، وبابتسامة ماكرة سألتها
ـ ها تركبين « الديرفة » ؟
فرحت غير مصدقة ، أختها تعرض عليها هذا وترفعها وتجلسها على « الخيشة » ثم تبدأ تهزها . . تعلو . . تهبط . . رويدا . . رويدا . . سريعا سريعا . فوق . تحت . تطاول السماء فتخشى أن تسقط على رأسها الشمس والقمر والنجوم .
وصرخت :
ـ يكفي . . يكفي . أنا خائفة .
لكن أختها لاتولي فزعها اهتماما ، تستمر في أرجحتها ، وكان آخر ما تذكره انها كانت تطير في محيط ليس له مدى .
عندما استفاقت كان يوم العيد أمام نصرها متشحا بالسواد . . ورأسها ويدها مربوطان بأقمشة بيضاء ، وفي الكراج رأت دمها ممتزجا بدم الأضحيات .
فبكت وحيدة . . وحلفت . .
عيناها مشغولتان . . متحركتان . . دامعتان . .
والفكرة اللئيمة تطرق أبواب رأسها .
« ماذا . . لو . . ماذا لو . . »
الطفلة سعيدة . . يتطاير شعرها كما يتطاير قلبها ، وهي تتابعها كلما اقترب مقعدها من الأرض ، وحين تطير تشعر وكأن قلبها انخلع وطار معها ، وتقذف صرختها في كل مرة :
ـ انتبه . . شد عليها .

هي تدرك أن صوتها لايصل ، بل يضيع ويتعثر مع زحام الأصوات الأخرى أصوات الألعاب . والمغنين من الفرق الشعبية ، وموسيقا فرقة الجيش ومزامير الاحتفال الوطني الكبير ، وصوت السما ترسل رعودها بين لحظة وأخرى ، منذرة بهطو المطر والعروس تدور تدور . تدور شعرت بدوخة غريبة ، وأمامها تراقص شيء م كالعمامة السوداء قاومته لتركز النظرة على الطفلة . لكن أزيز الفكرة ظل يخدر جسدها « ماذا لو ماذا لو »
فجأة ! تطير الطفلة في الهواء ، تسقط على قضيب الحديد الخارج ويمفصل الرأس . فتطلق صرخة موجعة مزقت صخب المكان وتهاوى امامها كل شيء
قال لها المحقق
ـ استجوبنا الصبي فاعترف بأنه ألقى بأخته معتمدا
رفعت وجها سابحا في برك الدم ، ورفعت كفين مهزومتين ، كل شيء فيها يبكي وينزف ، والذراعان ترشحان عرقها المالح وتصرخان ·
ـ لا . . لا . لم يفعل أنتم تكذبون
ـ لقد أكّد لنا
رفست اصرارهم وصرخت .
ـ أرفض هذا . . مهما قلتم لن أصدق . . هي أخته
دنا المحقق منها . لامس كتفها علّه يوقف ثرثرة جسدها المهتز بعنف .
ـ ياسيدتي قال ان أمه قد حرضته .
ـ هذا كذب ، أمه لاتعلم أنني سآتي بهما الى حديقة الشعب .
ـ الولد قال انه يكرهها ، يغار منها .
ـ هو يكذب انه يحبها ، هو يأتي لها بالألعاب والبالونات في كل مرة يأتي لزيارتنا .
صرخ المحقق في وجهها :
ـ الولد يكرهها . وتخلص منها أليست أ من أبيه ؟
تهدج صوتها مصرا :
ـ لا . . لا مستحيل ألقت برأسها على صدره تحوم من الآلام . . ماذا تحتمل ؟

فجيعتها بموت الصغيرة ؟ أم فجيعتها في الصبي الذي تحبه ؟ هل يعقل أن يكون قد .

ذاكرتها لاتحرس والرمس البعيد نحّار عيد لايهدأ رورقه ، يأتيها عبر موج الذكريات المتلاطم ، ومعه يحمل وجه أختها من أبيها

عندما انفصل والدها عن أمها وسحبها كنعجة الى بيت زوجته القديمة وابنتها ، كانت طفلة تبحث عن محطة راحرة بالأمومة ، لكنها لم تجدها ، وظل ارتحالها عبر سنوات القهر ، والألم

« كانت تكرهني تعار مني ، حتى من جدائلي الشقراء ، لقد قصتها أكثر من مرة ولوحت بها في الهواء فتناثرت كأشعة شمس منتحرة حزينة ، كانت تعار من وجنتي المتوردتين دائما ، رغم وسائل التجويع التي تمارسها ، كانت تكويني بالنار ، وترشقني ببصاقها المر ، فيجف على وجهي البريء منه حبيبات كريهة لاأجرؤ على مسحها بكُمِّ ثوبي ، وعندما أرجحتني في « الديرفة » كانت تقصد قتلي . لقد فعلت وألقت بي من الأرجوحة الى الأرض المكتظة بالحجارة والمسامير الصدئة ، وبقايا الأثاث والأبواب القديمة ، لكن عمرا جديدا تحداها ، وعشت لأحمل جروحي وحدي ، تلك الجروح التي علمتني أن الحياة قاسية ، لايجب أن أطمئن اليها ولا آمن ، فالجرح النازف غدير لايجف . والغدر وصمة في نفوس الضعفاء ، فلم لا أصدق ان الصبي فعل مافعلته أختي بتحريض من أمه .. لم ؟ .. لم لا »



ارتعدت . . رفضت حديث النفس ، واهمار الذكريات المرة تعصر فؤادها ، وتعصر ذهنها حتى يضيق . يضيق وتسيطر عليه الفكرة العمياء . .

رفعت وجهها الى المحقق بصقت بنظرة حادة واثقة صفحة وجهه الطويل :

ـ لا هو لم يفعل . . أنت كذاب . . كذاب . كذا

امتدت يده الرفيعة الأنامل . . رشقتها بكف حارّة على وجنتها فتابعت صراخها :

ـ لايفعل . لايمكن . . لاتكن كلبا يعض في براءة صبي أحبه .

جاءتها كف أخرى أكثر حرارة . . تصدم وجنتها الثانية ،احتملتها، أحستها تشبه كف أختها الكبيرة .

« كم تلوثت وجنتاي بصفعات الكبار ، وكم دمعت عيناي ، كانت تثور غيرة أختي ـ البومة ـ فتنقض علي بمخلب من نار ، حتى يتفجر قلبي الذي مثل وردة ، لكني تحديت . . كبرت وأزهرت الصفعات وردا أحمر ، أولجت شوكة بعناد واصرار في وجه أختي الذي تـغـضن كبصقة خاثرة، ليست هذه أول كف . . ولن تكون آخرها . . الحياة مجموعة من اللطمات » .

آخ . . آخ .

أنت أنينا نازفا . . دموعها تتراكض ساحة على وجهها وحده ، صوتها كان يشع عيفا ويصمم :

ـ لا .

يتغلغل صوته اليائس الى أذنيها .

ـ اذن أنت مصرة على عدم تصديق ماأقول ؟

ـ نعم . . نعم بملء الفم والقلب . .

ـ سوف نأتي به لتسمعي بنفسك .

ـ ولن أصدقه أبدا . .

فتح الباب . . لمحت الصبي وهو يدلف دليلا يدب دبيب نملة جائعة ، حفيف خطوته يطرق سمعها الشارد يصل اليها متكاسلا ، تحس باللحظة غير المرغوب فيها تطول،تتناسل . . تلد توائم أيام عصيبة ، يقترب . . عيناها مساحتان واسعتان للدمع ، للشفقة . . للألم . . وقلبها المثقوب يكاد يفرغ دمه كله . . ستموت . . هي حتما ستموت لو أن الصبي اعترف بأنه قتل أخته . تمنته أن يستعجل . . أن ينطق . . أن يخرس ألسنة اللهيب المتدة من داخلها الى قنوات العين .

مدّت دراعيها . تصلبتا بانتظار أن يحط العصفور بداخلهما ، أن ينفض عن جناحه الخوف ، أن يفقس شيئا عبر الوجع ، أن يحرر رأسها نهائيا من سواد الفكر . ألا يغرس في جلدها حقيقة تكون بيوضا تفقس السرطانات التي لاعلاج لها سوى الموت .

صوتها المنكسر ودراعاها جسران يتوقف عليهما رمس خطوته ، وزمن اللحظة المرعبة .

ـ أنت .

حرج صوتها مجرورا من دثاره القوي ، كما الهمسة الأخيرة لحظة نزع النفس يحرج السؤال المتردد . فجأة .

رأته يهمر اليها . يدفع بدراعيها بعيدا عن الطريق يسقط على صدرها ، يحاوط عنقها المرتعد ، يصك على شرايينه المتضخمة هلعا بحرارة وحب عنيفين . ويدس وجهه فيه ويتوجع .

ـ لم أفعل . لم أفعل

ـ أعرف لقد كذبت

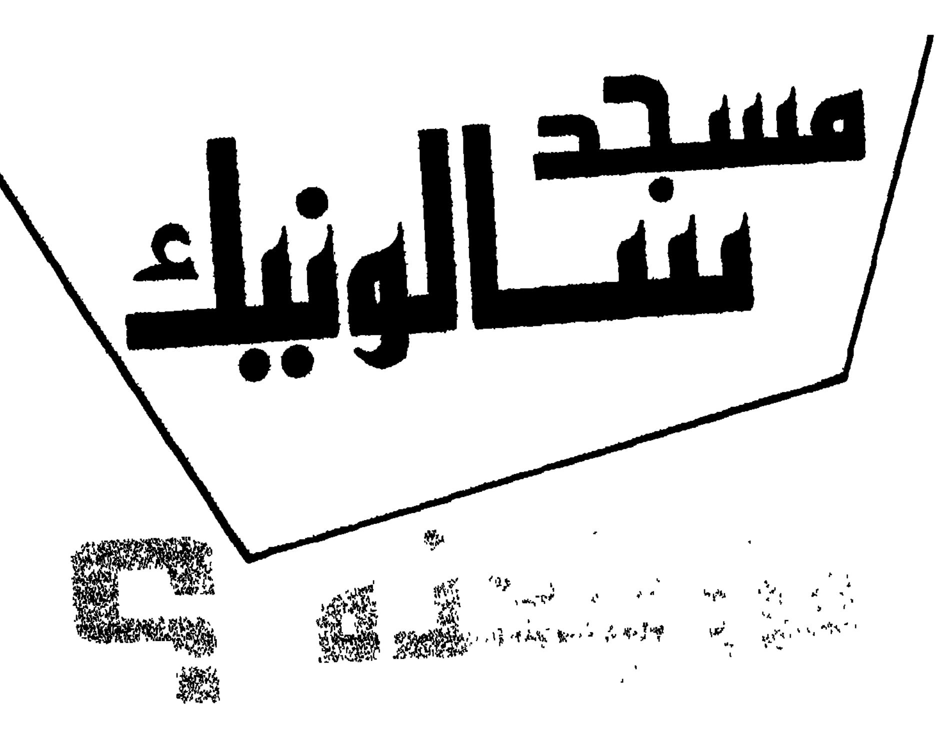
ـ أردت أن أعرف هل تصدقين هدا أم لا ، هل حبك لي حقيقة أم مجرد كدبة ؟ اني أحبك وأحبها ، لم أفعل ، لقد سقطت رغما عني

سقط عن جسدها الثقل الرازح ، شدت الصبي اليها أغمضت عينيها ودقات قلبها تعلو . تعلو بشكل أشبه بالصراخ . . صراخ . . صراح . عواء لايهدأ وتفتح عينيها لتخرس الضوضاء

ينتفض جسدها . الغمامة السوداء رحلت . هي ماتزال في موقعها واقفة بين الحشد والموسيقا والعروسة التي ماتزال تصعد وتهبط . . تصعد . ووجه الطفلة يضحك ، والصبي يشد عليها كأنها حمامة روحه يخشى أن تطير .

ارتخت عضلاتها المتصلبة ، تأوهت ، لقد كان دهنها يرحل في متاهات عجيبة ، بينما الغروب القادم مهرجان فرح يتناثر على جدائل السماء .

كل ماحولها فرح . . وعيد . . وعندما رن الجرس ، وتوقفت العروسة ، انخرطت الأجساد متلاحقة ، أقبل الصبي والصغيرة نحوها بانتشاء واضح ، ففاضت السعادة على أطراف وجنتيها ، ولفها توق لمعانقة الاثنين ، وحين فعلت كان العيد في قلبها أكبر من كل عيد .]



بقلم : الدكتور محمد موفاكو

سالونيك واحدة من المدن القديمة ، اذ يعود تاريخ تأسيسها الى سنة ٣١٤ قبل الميلاد وقد قام بانشاء هذه المدينة حينئذ الملك المقدوني كاساندوس وأطلق عليها اسم زوجته . بنت الملك فيليب المقدوني وأخت الاسكندر المقدوني .ولكن بها مسجداً يشكو المصير الذي آل اليه ، فهل من مغيث ؟ !

تميز تاريخ سالونيك بعدم الاستقرار ، نتيجة لتعرضها للغزوات العنيفة من شتى الجهات ، وللكوارث الطبيعية (الزلازل) ، وانتقال حكمها من طرف الى آخر . فخلال القرنين السادس والسابع (٥٩٧ ، ٦١٧ ، ٦٢٦ ، ٦٧٥ ، ٦٨١) تعرضت سالونيك الى غزوات عنيفة من البرابرة ، ومن الآوار والسلاف ، وفي بداية القرن العاشر (٩٠٤) قام العرب المسلمون بأول محاولة لفتح سالونيك ، وقد خرجت هذه الحملة من جزيرة كريت ، التي كانت في ذلك الحين امارة عربية ، وبعد حصار قصير تم الاستيلاء على المدينة لفترة بسيطة فقط ، وخلال القرون الثلاثة اللاحقة استقرت سالونيك تحت الحكم البيزنطي . الى ان سقطت الامبراطورية البيزنطية خلال الحروب الصليبية ، ففي عام ١٢٠٤ تأسست مملكة سالونيك اللاتينية ، الا أنها لم تستمر سوى فترة بسيطة (١٢٠٤ ـ ١٢٢٤) . ومنذ ذلك الحين بدا أن الامبراطورية البيزنطية ، التي برزت ثانية ، أصبحت عاجزة عن الدفاع عن هذه المدينة ، وخاصة أمام القوة العثمانية الجديدة . وقد قام العثمانيون بأول محاولة لفتح المدينة سنة ١٣٩١ ، ثم عادوا اليها ثانية سنة ١٣٩٥ ، ولكن دون أن يتمكنوا من الاحتفاظ بها ، وفي بداية القرن الخامس عشر ، ومع ازدياد عجز الامبراطورية البيزنطية ، قام حاكم سالونيك البيزنطي سنة ١٤٢٣ ببيع أو تسليم المدينة للبندقية ، ولكن في أواخر آذار من عام ١٤٣٠ ، وبعد أن أصيبت المدينة بزلزال مروع ، سقطت

سالونيك أخيرا في قبضة جيش السلطان مراد الثاني .

ومع الفتح العثماني دخلت سالونيك في عهد طويل من الاستقرار ، استمر حوالي خمسة قرون (١٤٣٠ - ١٩١٢) ، وأصبحت خلال هذه الفترة واحدة من أكبر المدن في الامبراطورية العثمانية ، ومن مراكز الحضارة الاسلامية في أوروبا

جوامع سالونيك

في السنة الأولى للعهد العثماني أقيم أول جامع في سالونيك ، الا وهو « جامع حمزة بك » ، الذي بقي الى اليوم في المدينة ، وبعد هذا أخذ عدد الجوامع يزداد بسرعة ، وذلك مع توسع المدينة وتضخم عدد المسلمين فيها وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الجوامع كانت كنائس في الأصل ، بينما كانت غالبية الجوامع قد بنيت من قبل المسلمين ، وفي الواقع كان من عادة العثمانيين بعد فتحهم لمدينة ما في البلقان أن يحولوا احدى الكنائس الى جامع رمزاً لانتصارهم ، بينما كانت كل الجوامع تتحول الى كنائس في المناطق الأخرى ، كما في كريت واسبانيا مثلا ومع هذا يلاحظ في سالونيك أن العثمانيين قد حولوا كنيستين في السنة الأولى الى جامعين ، وحولوا بعض الكنائس الأخرى الى جوامع خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويبدو أن السبب في هذا يعود الى التغيرات الديموغرافيةالكبيرة التي حدثت في المدينة خلال هذه الفترة ، حيث تناقص عدد المسيحيين ، وازداد عدد المسلمين بشكل واضح ، حتى أصبحت النسبة واحداً الى ثلاثة .

في نهاية العهد العثماني ، وبالتحديد في بداية القرن العشرين ، كان عدد الجوامع في سالونيك حوالي ستين جامعا ، بالاضافة الى عشرات المساجد الصغيرة . ومن هذا العدد الكبير للجوامع يمكن حصر ثلاثة عشر منها ، كانت في الأصل كنائس قديمة ، بينما تم بناء العدد الأكبر منها كجوامع على مدى عدة قرون . وكان بعض هذه يتمتع بقيمة أثرية كبيرة كـ« جامع حمزة بك » الذي بقي باعجوبة الى اليوم .

جامع حمزة بك

لقد بني هذا الجامع سنة ١٤٣١ ، أي في السنة الأولى للعهد العثماني ، واستنادا الى هذا يعتبر أحد أقدم الجوامع في أوروبا التي بقيت حتى الآن ، بل أقدم جامع بقي الى اليوم في أوروبا خارج تركيا الأوروبية واسبانيا ، وفي الواقع أن وضع هذا الجامع لا ينفصل عن المصير الذي لاقته جوامع سالونيك الأخرى بعد « تحرير » المدينة .

بعد اندلاع الحرب البلقانية الأولى ، دخلت القوات اليونانية الى المدينة أولا في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ ، وفي اليوم الثاني دخلتها القوات البلغارية أيضا ، وفي الواقع كان القائد العثماني قد وقع صك الاستسلام للقوات اليونانية التي أخذت تتصرف في المدينة على أساس أنها « أصبحت يونانية ثانية بعد حوالى ٥٠٠ سنة من الاحتلال » ، ولذلك جرى بسرعة تحويل بعض الجوامع الى كنائس ، وبالتحديد تلك التي كانت في الأصل كنائس ، ومن ناحية أخرى فقد أدى تجمع الجيشين اليوناني والبلغاري في المدينة الى استخدام الجوامع لاقامة الجنود ، وقد بقي وضع المدينة بين اليونانيين والبلغاريين على هذا النحو ، الى أن اندلعت الحرب البلقانية الثانية (حزيران ١٩١٣) التي انتصر فيها الجيش اليوناني ، ونتيجة لهذا تم ضم سالونيك ومناطق واسعة ذات وجود اسلامي الى اليونان ، وخلال الحرب العالمية الأولى أصبحت سالونيك قاعدة عسكرية ضخمة للحلفاء ، وفي عام ١٩١٧ أصيبت المدينة بأكبر كارثة ، حين شب فيها حريق هائل استمر اسبوعين (٥ - ١٩ آب) ودمر حوالي مليون متر مربع من المساحة العمرانية ، وقد التهم الحريق في ذلك الحين عدة جوامع ، كجامع الساعة مثلا ، بينما نجت من هذا المصير غالبية الجوامع الأخرى . وعلى الرغم من أن « جامع حمزة بك » كان أقرب من غيره الى دائرة الخطر ، الا أن ألسنة النيران لم تمسه بأذى

وبعد الحرب العالمية الأولى التزمت اليونان بالتوقيع على ما ورد في اتفاقية فرساي حول حماية الأقليات ، وبالتحديد المسلمين ، التي تضمنت بندا خاصا

بحمايه الجوامع ، فقد التزمت الحكومة اليونانية حسب هذه الاتفاقية بحماية الجوامع والمقابر وبقية المنشآت الاسلامية ، وتقديم كافة التسهيلات الضرورية للأوقاف الاسلامية الموجودة والمؤسسات الدينية الخيرية ، وعدم التقصير في منح التسهيلات الضرورية في حالة تشييد منشآت دينية وخيرية جديدة »

وعلى الرغم من هذا فقد ارتبط مصير الجوامع بمصير المسلمين في سالونيك ، وبشكل عام في كل المناطق الجديدة التي تم ضمها لليونان . لقد لجأت الحكومة اليونانية منذ السنوات الأولى الى ترحيل كل المسلمين بالترغيب أو الترهيب الى تركيا ، بحيث بقيت الجوامع لفترة ما مهجورة لعدم وجود مسلمين ، وهذا ما تحول أخيرا الى مبرر للتخلص منها ، وهكذا نجد أن عدد المسلمين قد انخفض فورا من حوالي أربعين الف نسمة في عام ١٩١٢ الى أربعة وعشرين الفا سنة ١٩١٣ ، ووصل سنة ١٩٢٠ الى عشرين ألفا ، بينما تلاشى المسلمون من المدينة في سنة ١٩٢٨ ، ومع هذا الوضع الجديد ، - أي وجود الجوامع دون وجود المسلمين - بدأ هدم الجوامع في سالونيك بشكل تدريجي سواء بحجة « توسيع الطرقات » أو حتى دون اي سبب ، وبالتحديد بسبب « الاستخفاف والغباء » كما يقول أحد المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وهكذا بعد عدة سنوات فقط ، حين جاء الشيخ محمد سليمان من مصر لزيارة سالونيك سنة ١٩٣٣ ، لم ير فيها جامعا للمسلمين بل وجد « ما كان أصله كنيسة قد عاد الى أصله ، وما أنشىء مسجدا ، فقد ذهب الأصل وما أنشىء له » . وهكذا بقي منذ الثلاثينيات الى اليوم عدة جوامع فقط تستخدم في أغراض مختلفة ، ومن هذه « جامع حمزة بك »

يقع هذا الجامع في شارع « أغناتيا » ، وهو الشارع الرئيسي في سالونيك ، ولا تنقصه الا المئذنة التي هدمت في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات ، ففي تلك الفترة ، وبعد ترحيل المسلمين من المدينة ، بقي الجامع مهجورا لفترة من الزمن ، الى أن بدأ استخدامه بعد ذلك في أغراض مختلفة . فقد أنشئت في جهاته الثلاث محلات تجارية مختلفة ، وتحولت قاعته الرئيسية الى دار للسينما في



جامع حمزة بك . يبدو من واجهته الجنوبية

الخمسينيات باسم « الكازار » (القصر) . ومع التطور العمراني الكبير في سالونيك ، وانشاء دور فخمة للسينما ، أصبحت هذه السينما تبدو « قديمة » و « متخلفة » ، ولذلك لجأ أصحابها في أواخر السبعينيات الى اغراء الجمهور بعرض الأفلام الجنسية فيها ، فقط على مدار النهار والليل ، وذلك مقابل بطاقة واحدة ، بحيث يمكن للمشاهد أن يدخل مقابل مبلغ بسيط الى هذه السينما في الصباح ، ويبقى فيها الى منتصف الليل ، وفي الواقع أن ما يعرض في هذه السينما ليس له علاقة بالفن السينمائي ، بل هو عبارة عن أشرطة « فيديو » قصيرة تعرض العمليات الجنسية فقط بكل تفاصيلها وآخر صرعاتها ، دون ان تكون هناك قصة أو حوار بالمعنى المتعارف عليه

لم يزل متماسكا

ان وضع هذا الجامع الآن لا بأس به ، اذا أخذنا بعين الاعتبار تعاقب القرون عليه ، والظروف التي



الاعمدة الخشبية ما تزال تسند الواجهة الجنوبية ولكن إلى متى ؟

أحاطت به وبقية الجوامع ، التي كانت كافية لاندثاره تماما ، ومن الخارج يبدو هذا الجامع متماسكا ، اذ أن الجدران مازالت قوية باستثناء الجهة الجنوبية ، حيث وضعت أعمدة خشبية لمنع الجدار من الانهيار (انظر الصورة) الا أن هذه الأعمدة لا تعتبر حلا ، نظرا لأن الجامع لا يفصله عن الشارع سوى رصيف ضيق جدا (انظر الصورة) ، وهذا الشارع يتميز بكونه من أكثر شوارع سالونيك ازدحاما ، بحركة السير ، بحيث ان الضغط المتواصل الناشىء عن مرور الباصات والسيارات أمام الجامع يهدد تلك الجهة المدعومة مؤقتا بالأعمدة الخشبية ، اما من الداخل فالجامع ما يزال في حالة جيدة ، على الرغم من استخدامه كدار للسينما خلال الفترة الماضية فالأعمدة والأقواس وحتى بعض النقوش ما تزال كما هي ، بينما جرت فيه بعض التعديلات البسيطة فقط ، ففي جهة المحراب أقيمت منصة بسيطة ، وثبتت فوقها الشاشة التي أصبحت تشغل تقريبا كل الجهة ، ووضعت مقابلها صفوف الكراسي التي تحتل تقريبا كل قاعة الجامع .

ان وضع هذا الجامع ، والظرف الذي يستخدم به الآن ، يفترض تدخلا عاجلا لانقاذ هذا الأثر الاسلامي ، فمن الناحية العمرانية يتطلب وضع الجامع تدخلا بعد هذا الاهمال الطويل الذي تعرض له والذي أصبح يهدده الآن ، ومن الناحية الحضارية الانسانية يستدعي هذا الجامع أيضا تحركا سريعا لانقاذه من الاساءة اليومية التي يتعرض لها ، وتجدر الاشارة هنا الى أن تلك الاشرطة « الجنسية » التي تعرض في الجامع لا تعرى حتى الشعب اليوناني ، كشعب متحضر من هذه الناحية ، ولذلك فان عدد المشاهدين عادة داخل الجامع لا يتجاوز ٣٠ ـ ٤٠ شخصا ، وهكذا فان هذا العدد الضئيل من المشاهدين لا يبرر استخدام هذا الأثر الاسلامي النادر لعرض هذه الاشرطة الجنسية وعلى كل حال ففي الشارع نفسه ، وعلى بعد ٥٠٠ متر من هذا الجامع ، لدينا دار أخرى للسينما تدعى « اليون » تختص أيضا بعرض هذا النوع من الأشرطة الجنسية التي تبقى معظم مقاعدها شاغرة أيضا ، ولذلك فان التوقف عن عرض الأشرطة الجنسية في جامع «حمزه بك » لن يحرم « المهتمين » من هذه العروض الجنسية طالما أن هذه تعرض في سينما أخرى مجاورة للجامع

ان التدخل لانقاذ هذا الجامع يعتبر موقفا حضاريا بالدرجة الأولى ، لأنه يمس موقعا له مكانته الأثرية التاريخية ، كأحد أقدم الجوامع التي بقيت الى الان في البلقان وفي أوروبا ، ويبدو لنا أن اليونان كبلد حضاري لن يضيق بهذه النادرة الحضارية ، التي تعني الكثير للمسلمين ، خاصة وأن الحكومة اليونانية الحالية قد سجلت في السنوات الأخيرة موقفا متقدما فيما يتعلق بالمسلمين في اليونان . وفي الواقع أن انقاذ هذا الجامع لن يسيء الى سالونيك ، لأنه قد يجعلها تفقد دارا معمورة للسينما لا تشد اليها الاعشرات المشاهدين ، ولكنها ستكتسب مقابل هذا موقعا أثريا يمكن أن يشد اليه الألاف ، ففي الاعلانات السياحية التي تنشرها اليونان في المجلات العربية لدينا ما يغري السياح بزيارة سالونيك ، ولكن يبدو لنا ان سالونيك ستكون مثيرة بوجود « جامع حمزة بك » التاريخي أكثر مما تكون بوجود دار للسينما من الدرجة الثالثة تدعى « الكازار » . وفي نهاية الأمر فان مدينة سالونيك الضخمة ، التي يتجاوز عدد سكانها المليون ، يعيش فيها الآن عدة آلاف من المسلمين دون جامع ، وهؤلاء يحتاجون الى جامع أكثر مما يحتاجون الى دار للسينما في جامع كان لهم في يوم من الأيام □



قضية

أسطورة النفوذ الصهيوني في أمريكا

بقلم : بهية مارديني

أود أن اسلط الضوء فيما أكتبه على تلك الأسطورة التى كثيرا ما تتردد ، وهى قوة النفوذ الصهيونى فى أمريكا ، من خلال عرضى لمجموعة حقائق ، وسردى لأقوال الصهاينة أنفسهم فيما يخص هذا الموضوع

ان من يروج هذه الأسطورةالتى تصور قوة يهود أمريكا وسيطرتهم عليها يدعى أولا بأن اليهود قوة اقتصادية مسيطرة متميزة ، متحكمة باقتصاد الولايات المتحدة وسياستها الداخلية والخارجية ، تسيطر على المتحكمين بالقرار السياسى ، ولا تحرك هذه القوة الا وفق ماتمليه عليها الصهيونية « علما بأن اليهود الذين يبلغ عددهم ٥,٧ ملايين نسمه ، أى ٣ / من سكان اميركا تقريبا ، لا يخضعون للسيطرة الصهيونية » ويدعى ثانيا ان هذه النسبه يمكنها ان توجه سياسة دولة امبريالية كأمريكا ، ويقول ضمنيا ان الدعم الأمريكى « لاسرائيل » هودعم آنى ومن الممكن أن يتغير مع كل انتخابات تجرى فى الولايات المتحدة ، على أساس ان المساعدات الأمريكية « لاسرائيل » لا علاقة لها بمصالح امريكا فى الشرق الاوسط

محك التجربة

لكن لناقش هذه الأقوال ، ولنضعها على محك التجربة ، وعلى محك أقوال القيادات الصهيونية ذاتها :ـ يؤكد الصهاينه على ضعف الصهيونية فى أمريكا ، وعدم مقدرتها على السيطرة حتى على اليهود . ففى عام ١٩٥٣ صدر لكاتب صهيونى عريق يدعى البعزر ليفنه كتاب . . « الدولة والشتات » ذكر فيه . « والحقيقة أنه لم توجد فى الولايات المتحدة فى أى وقت من الأوقات حركة صهيونية بالمعنى المقبول لهذه الكلمة ، فلقد كان للمنظمات الصهيونية فى أمريكا بصورة دائمة موقف مساند لاسرائيل فقط ولا شيء غير ذلك . لقد عملت هذه المنظمات ليس على ترويج فكرة المشاركة الشخصية فى بناء البلاد (يقصد اسرائيل) ولكن على ترويج فكرة التأييد السياسى والمالى لمهمة يقوم بها اخرون . ان غياب أي رد فعل ذى اهمية معاد للصهيونية فى الولايات المتحدة هو أمر فرضه غياب صهيونية حقيقية . لقد احتارت اليهودية الأمريكية

سياسة تتسم بالمراضاة فى تخليها عن كل من الصهيونية ومعاداة السهيونية . »

فهذا الكاتب كغيره من الكتاب الصهاينة يرى ان المقياس الحقيقى لمدى صهيونية أية جالية يهودية هو فى مدى مساهمة هذه الجالية فى الهجرة الى « اسرائيل » والجالية اليهودية فى الولايات المتحدة بالرغم من أنها أكبر جالية يهودية فى العالم لم تشارك اطلاقا فى الهجرة

وفى عام ١٩٥٨ صدر للكاتب الصهيونى هوارد مورلى سامر كتاب « مجرى التاريخ اليهودى المعاصر » يقول فيه « ان اليهود فى امريكا لم يكونوا دوى علاقات قوية بالصناعات الرأسمالية الأساسية ، أى الفحم والفولاذ والمصارف والنفط والسيارات والسفن ووسائل المواصلات ، وهى الصناعات التى أنتجت ثروة أمريكا المذهلة ولم يكن معظم اليهود موجودين بين الأغنياء جدا أو بين الفقراء جدا ، بل فى وسط الطبقة الوسطى » .

وفى عام ١٩٧٥ كتب يهوشع تدمور فى صحيفة دافار معلقا على مناقشات اجتماع للجنة رؤساء المنظمة اليهودية الأمريكية ، الذى عقد فى اسرائيل فى شهر آب . عرفت بأنهم « يقصد رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية » ليسوا صهاينة بالمفهوم الرسمى ، وهم يقولون ذلك صراحة ولا يعتقدون بأن اسرائيل هى الملاذ الأمين للشعب اليهودى . . كذلك لا يعتقدون بأن الحياة اليهودية الكاملة يمكن أن تكون فقط فى « اسرائيل » ، كما يزعم مبعوثون الاسرائيليون ، وهم يرون بأن هناك حياة يهودية غنية فى الولايات المتحدة ، وهم لا يرغبون بالتحدث عن الهجرة الى « اسرائيل » ، وحتى هذا الموضوع لم يطرح على جدول الأعمال . . ان أولئك الذين لا يطرحون أنفسهم كصهيونيين هم أفضل مؤيدى « اسرائيل » وأصدقائها » .

الاندماج

وفى ١٩٧٨/٢/٢٤ وأثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى التاسع والعشرين فى القدس ، أدلى الحاخام اليعزر بيرنشأين رئيس حركة المزراحى ، التى تمثل التيار الدينى فى الحركة الصهيونية ، بحديث الى صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية قال فيه . ان تأثير الصهيونية قد انحصر . . ولم يصوت فى الانتخابات للمؤتمر التاسع والعشرين فى الولايات المتحدة سوى أقل من ٢٠٠ الف يهودى ، من اصل حوالى ستة ملايين يهودى . ان القول بأن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة تضم حوالى مليون عضو هو ادعاء بعيد عن الحقيقة . . ان التضامن مع « اسرائيل » بين يهود الولايات المتحدة هو تضامن سطحى ، ولا أعرف ماالذى سيحدث فعلا لو كانت هناك خلافات بين « اسرائيل » والولايات المتحدة"

وقد كتبت هذه الصحيفة فى ١٩٧٨/٢/١٧

« ان الجالية اليهودية آخذة فى التناقص ، سائرة فى طريق الاندماج ، فان ٤٠٪ من يهود أمريكا تصرروا من الزواج المختلط ، بينما نسبة الزواج المختلط قبل عشر سنوات هى ١٠٪ فقط » .

وفى عام ١٩٧٨ أيضا كتب يوسف فى صحيفة يديعوت أحرونوت يقول « هناك ثلاثة ملايين يهودى على الأقل منفصلين تماما عن المؤسسة اليهودية فى الولايات المتحدة ، وهؤلاء فى غالبيتهم من أبناء الجيل الشاب ، ونصف الطلاب اليهود فى الجامعات يتزوجون زواجا مختلطا . . وان عشرات المنظمات الصهيونية واليهودية تتجمل بقوائم أعضاء مضخمة ، لكن هذا خيالى لدرجة كبيرة ، فمعظم الهيئات هى أطر فارغة من المضمون الحقيقى » .

وأما دان اليعزر العالم الاجتماعى اليهودى الأمريكى فيقول : . . ان اليهود الأمريكيين يعيشون فى تناقض . . فى المركز يوجد نشاط فعال كبير . . ولكن فى الأطراف يوجد تآكل وانقراض فى الشخصية اليهودية ، ويوجد اختلاط بغير اليهود » . . وهذا ما نشرته له الصحيفة الاسرائيلية هآرتس . . . .

وفى كتاب صدر للكاتبة اليهودية نعومى كوهين فى نيويورك عام ١٩٧٨ قالت « ان اليهود الأمريكيين لم يتمتعوا بقوة سياسية خاصة ، وقد بولغ كثيرا فى قوتهم الاقتصادية . . صحيح أنهم أصبحوا مجموعة ميسورة ،ولكن ذلك عائد الى تمركزهم فى المدن ، وانتمائهم الى فئة أصحاب الياقات البيضاء ، وقد وفر لهم ذلك مستوى من الدخل أعلى من معظم المجموعات العرقية الأخرى ، هذا وقد لعبوا أدوارا هامة فى عالم الصناعات الخفيفة ، والمنتجات

والخدمات الاستهلاكية ، ولكنهم كانوا عاثين عن تطور الصناعة الثقيلة ، وحتى فترة قريبة لم يكونوا يشاهدون فى المناصب الادارية »

وبقول « صحيفة هآرتس » إن القوة اليهودية فى أمريكا هى أمر عير ملموس ، ومن الصعب حدا قياسها . .

جنرال موتورز وامريكا

وقد يثار التساؤل التالى مما أن اليهود فى أمريكا ليسوا بكتلة مترابطة مسيطرة على الاقتصاد الأمريكى فمن هو المسيطر اذن ؟

وأما الحواب فهو أن فئة البروتستانت البيض من أصل انجلوسكسون هى المسيطرة

ويطلقون عليهم فى الولايات المتحدة اسم الزنابير WASPS وهى عبارة عن الأحرف الأولى لاسمهم ، فكل الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب والاسلحة والنفط ووسائل المواصلات كالسيارات والطائرات والمناجم وتكرير البترول والكهرباء تسيطر عليها عائلات بروتستانتية ساكسونية معروفة مثل : « ديون ـ فورد ـ روكفلر ـ أكسون ـ فلا اليهود ولا الكاثوليك لهم نفوذ حقيقى يذكر ، حتى أن كل هذه الصناعات قد وضعت دعاماتها قبل هجرة اليهود الكثيفة الى أمريكا ، ولم يكن لهؤلاء اليهود المهاجرين أى نشاط فى أى فرع من فروع الصناعة ، ولكنهم بعد ذلك دخلوا بعض المجالات على نطاق محدد وضيق ، والدليل على أن فئة البروتستانت السكسونية هى التى تحدد سياسة أمريكا داخليا وخارجيا وهى التى تحدد رؤساءها حسب قول أحد مديرى شركة جنرال موتورز « ما هو جيد لجنرال الكتريك هو جيد لأمريكا »

وكما تشير الحقائق الى أنه لاصحة اطلاقا للفرضية التى توضح بأن اليهود كتلة اقتصادية موحدة ، تشير ايضاً الى أن اليهود ليسوا كتلة انتخابية مترابطة ، من الممكن أن تعطى صوتها وتأييدها لمرشح معين دون آخر ، والدليل على ذلك نتائج الانتخابات التى تؤكد أن اليهود ككل لم ينحازوا ويدلوا بصوتهم لمرشح واحد ، فلم يسبق أن كان أحد مرشحى الرئاسة مؤيدا « لاسرائيل » ، والآخر معادٍ لها ، فان كل المرشحين أصحاب مصلحة فى قيام الكيان الصهيونى ، لذلك فهم يوزعون أصواتهم وفق مصالحهم وانتماءاتهم السياسية والاقتصاديه ، ولم تكن هذه الأصوات أبدا عاملا حاسما فى تحديد نتيجة الانتخابات ، فكثير من الرؤساء الأمريكيين دخلوا البيت الأبيض ، مع أنهم لم يحصلوا الا على نسبة قليلة من أصوات الناخبين اليهود

دور الصحافة

اذن أسطورة النفوذ الصهيونى ما هى الا خرافة كما قال الكاتب الاسرائيلى ناحوم ربيع فى صحيفة هآرتس عام ١٩٧٥ . « بمساعدة الصحافة نشأت خرافة القوة اليهودية السرية القوية التى تفرض ارادتها على الولايات المتحدة ، ويعتقد عدد من اليهود بأنه حتى لو كانت هذه الأسطورة غير دقيقة ، فانها تساعد على تقوية نفوذ وتأثير اليهود ، بينما يرى آخرون فيها مصدرا للخوف وعدم الراحة ، وهى بالنسبة لهم طبقة جديدة ، وربما أكثر اعتدالا من بروتوكولات حكماء صهيون » .

فكل الوقائع والحقائق تؤكد أن الامبريالية الأمريكية هى التى تصنع التأييد اليهودى الأمريكى والصهيونى والامريكى « لاسرائيل » ، وهي التى تحركه حسب كل مرحلة ، ولا ننسى أن نذكر قول موشي شاريت وزير خارجية « اسرائيل » ورئيس وزرائها السابق : « لا يمكن أن يساعد يهود الولايات المتحدة « اسرائيل » فى حالة قيام نزاع بينها وبين الولايات المتحدة ، ومعنى هذا أن مشاركة يهود الولايات المتحدة الفعالة فى بقاء دولتنا متوقفة على اندماج السياسة الخارجية « لاسرائيل » في السياسة العالمية لواشنطن ، ولن يساعدنا أخوتنا أبناء « اسرائيل » فيما وراء البحار اذا لم نخضع لرغبات حكوماتهم »

كلب حراسة

وقال اسحاق رابين عندما كان يعمل سفيرا لاسرائيل فى واشنطن فى صحيفة هآرتس ١٩٨٢ : « أعتقد أن ارتباط الشعب الأمريكى وادارته

« باسرائيل » يعوق وزن الجالية اليهودية ونفوذها ، وفي مقالة نشرها رئيس تحرير الصحيفة نفسها ويُدعى حريشوم شوكن قال : « لقد أعطيت « اسرائيل » دورا لا يختلف عن دور كلب الحراسة ، ولا داعي هناك للخشية من أن تمارس « اسرائيل » سياسة عدوانية تجاه الدول العربية ، اذا كانت هذه السياسية تتعارض مع مصلحة الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولكن اذا شاء الغرب لسبب أو لآخر أن يغمض عينيه ، فبالامكان الاعتماد على « اسرائيل » لتنزل عقابا قاسيا بتلك الدولة المجاورة التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلة أدبها تجاه العرب » .

وأما المعلق السياسي لصحيفة هآرتس يوئيل ماركوس فيقول : « بسبب أزمة الطاقة وارتباط الدول الغربية بشكل لم يسبق له مثيل بدول النفط ، يحتاج الغرب إلى « اسرائيل » مثل حاجته الى كلب حراسة ذي اسنان حادة ، مربوطة بالسلاسل الأمريكية الطويلة جداً بحيث يؤدن له بعرس أسنانه اذا تحدوه أكثر من اللازم .

إذن « فاسرائيل » هي جزء من الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ، فمصلحة الصهيونية في التوسع واقامة دولة قوية ، تخدم في نهاية الأمر اهداف الامبريالية الأمريكية ، يقول هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية السابق « ان ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط جيد « لاسرائيل » ، ومصالح الولايات المتحدة « واسرائيل » تتناسب مع بعضها ، لأن وجود « اسرائيل » قوية هو لصالح المصالح الأمريكية » .

وقد وضح اسحق رابين في صحيفة معاريف عام ١٩٧٢ مهمة « اسرائيل » بقوله « : ان « اسرائيل قد حصلت على مكانة خاصة في الوعي الأمريكي وثمة أسباب عديدة لذلك ، « فإسرائيل » تقف حجر عثرة في وجه الاتحاد السوفيتي ، وتقف كصحرة جبل طارق في وجه الوطن العربي بأسره » .

الوجود والمصلحة الامريكية

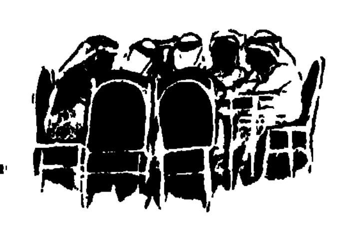
وأما صديق موشى ديان الكاتب الاسرائيلي حجاي ايشد فقد ذكر لصحيفة دافار عام ١٩٧٣ ، « أن ما هو مشترك بين « اسرائيل » والولايات المتحدة يتعلق أساسا بالمحافظة على ميزان القوى والردع بالنسبة للعرب والسوفييت ان وجود « اسرائيل » قوية سيبقى مصلحة أمريكية على الصعيد العالمي » وقال الكاتب الاسرائيلي اوري دان في صحيفة معاريف عام ١٩٧٦ : « ان شعار تنسيق المواقف بين واشنطن والقدس قد تحول إلى شعار مضحك خال من المضمون ، ذلك لأن هناك مواقف واضحة لجانب واحد فقط هو الولايات المتحدة ، ولكن ليست هناك أية سياسة واضحة « لاسرائيل » ولذا نرى أنها تتكيف على مراحل مع السياسة الأمريكية » .

فما « اسرائيل كما أوضحت كل هذه الشواهد الا أداة لأمريكا ، وما أسطورة النفوذ الصهيوني الا وهم وحكاية لا أساس لها من الصحة ، وما هي الا خرافة قدمت لنا على طبق أميركي صهيوني لتشويه الصورة الحقيقية التي لا يمكن أن تخفى على كل متأمل للأحداث والراهين . □



المال أمره عجيب

اذا كان الانسان يسعى وراء المال يقال عنه أنه مجنون مال ، واذا احتفظ بالمال فأنه رأسمالي ، واذا انفقه يقال عنه انه سفيه ، واذا لم يحصل عليه يقال عنه أنه نحس ، واذا لم يحاول الحصول عليه يقال عنه أنه ينقصه الطموح ، واذا حصل عليه دون عناء يقال له طفيلي ، واذا حصل عليه بعد كفاح مرير وقضى عمره في تحصيله يقال عنه أنه مجنون لم يحصل من الحياة على شيء .



منتدى العربي
تعقيبات

عن محدث الديار الشامية الأكبر . . .
العلامة الشيخ : بدر الدين الحسيني

جاء في العدد ٣٢٢/ من « العربي » الصادر في سبتمبر ١٩٨٥م ، في المقالة القيمة التي سطرها د. صالح الخرفي ، تحت عنوان (عروبة المغرب العربي) (وبدر الدين الحسيني ١٨٥١ - ١٩٣٥ « لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب كما قال الزركلي في الاعلام) ، ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه الاتحاديين وبطشهم ، وانما كان الأب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام».

ثلاث حقائق لم يعطها المؤرخون حقها ، تنصف العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني :

طلب جمال باشا السفاح من الشيخ بدر الدين أن يتحفه ببعض ارشاداته خطا ، يريد بذلك الحصول على شهادة تبرىء ساحته ، فأرسل اليه الشيخ بدر الدين الأستاذ الشيخ محمد يحيى المكتبي ، يحمل كتابا فيه عنف مع الحكمة

ودعم الشيخ بدر الدين الحسيني الثورة العربية الكبرى ، وحمل فيصل كتابا بذلك لأبيه الشريف حسين . ولما علمت الحكومة العثمانية بخروج الحسين عليها ، أفتت بخروجه عن الطاعة ، وطلبت مقاتلته ، وصادق أناس على هذه الفتوى ، خوفا من الشنق أو الابعاد ، أو من كليهما ، ولما انتهى دور ختمها الى الشيخ بدر الدين ، امتنع فحاولوا اقناعه بالوعد تارة ، وبالوعيد أخرى ، حتى أن جمالا الطاغية كلف تاج الدين نجل الشيخ بدر الدين أن يقنع والده بختمها فأبى ، لوقوفه رسميا مع الثورة العربية الكبرى .

لما وصل غورو الى دمشق - أوائل أغسطس (آب) ١٩٢٠ - رفض الشيخ بدر الدين مقابلته ، ومنع الناس من دفع الضرائب للفرنسيين ، أو التعامل معهم وصار في دروسه العامة تحت قبة النسر في المسجد الأموي يعلن أن الجهاد فرض على الناس .

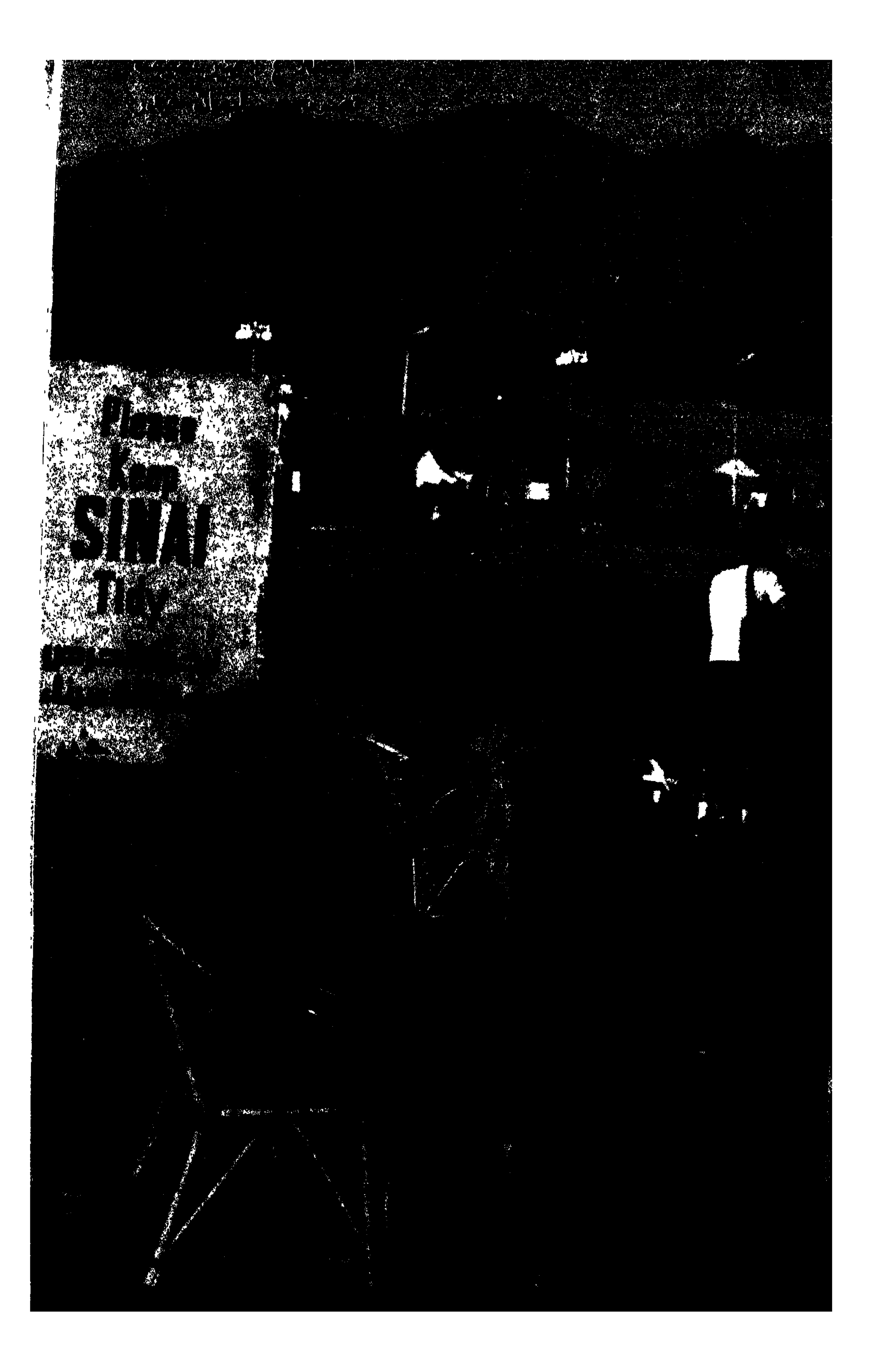
ومما يذكر ان الضابط المغربي « عطاف باشا » كان يزور المسجد الأموي بين آونة وأخرى ، ليسترق النظر الى الشيخ بدر الدين .

قال لي أبو الهدى العاني في مقابلة تمت في وزارة الاوقاف بدمشق أوائل الشهر السادس عام ١٩٧٥ : « ترصدت عطاف باشا أياما ، ولما جاء الى المسجد الأموي زائرا ، قلت له : « المجاهدون في بلدة حرستا بحاجة الى سلاح » فقال عطاف باشا : « طيب ، غدا سنخرج بحملة الى بلدة دوما ، وفي طريق العودة ستنشطر الحملة شطرين ، شطر سيرجع من الطريق الرسمي ، وشطر سينطلق من دوما عن طريق ترابي شمالي بين البساتين ، وهذا الشطر كله من المغاربة ، سنضع للمجاهدين كمية من السلاح والذخيرة في كرم الشيخ موسى بحرستا » . وفي طريق عودة الحملة وفي كرم الشيخ موسى أنزل عطاف باشا ومن معه حمولة أكثر من مئة بغل ، وكان الثوار وقائدهم أبو عمر ديبو الشيخ على بعد ٥٠٠ متر فقط ، ينظرون من خلف الأشجار ، وبعد انزال السلاح والذخيرة ، أطلق عطاف باشا سبع طلقات في الهواء اعلاما للثوار بانتهاء العملية » .

وذكر الشيخ محمد الأسمر « أن عطاف باشا ساعده وقدم له كمية جيدة من السلاح ، ولما تنبهت فرنسا الى ذلك ، كانت حياة عطاف باشا الثمن » . □

شوقي ابو خليل


جنة
بلا ناس


SINAI
Tidy

عاشت منسية مهملة لقرون طويلة رغم تاريخها الغني الحافل الموغل في القدم . وفجأة اكتشفنا هذه البقعة الخالدة من الارض العربية التي ارتوت بدماء شهدائنا . فعدنا اليها نبني ونعمر وكأننا نلتقي بها للمرة الاولى . انها قصة ارض القمر والفيروز . . انها قصة سيناء

قلت أحدث نفسى ، وأنا أرفع بصرى الى سلسلة الجبال الشاهخة التى تربض على جانبى الطريق الذى كنا ننطلق فيه بالسيارة ، فى الوادى السحيق الذى ينبسط أحيانا ويضيق أحيانا ، حتى ليخيل اليك أن هذه الصخور الهائلة التى ترتفع بهامتها توشك أن تتساقط فوق رأسك ، قلت : « أليس غريبا ان يفنى الانسان جيلاً من بعد جيل على امتداد آلاف السنين ، ويبقى الجبل شامخاً فى مكانه ، شاهدا على الأحداث التى مرت من حوله وأمامه وكأنه يختزنها فى بطنه ليوم يحكي فيه مارأى ! ولكن أى يوم ، وهل عرف البشر جبلا يتكلم ؟

فالجبال إذن شاهد حضارة . . ولكنها حضارة باقية صامتة ، وفى ذلك قال توينبى المؤرخ الانجليزى يوما : « كنت أقف أمام آثار الحضارات التى اندثرت وأبكى ، لأنها لن تعود ، كم تمنيت لو أنها بقيت صامدة صمود الجبل !

ولكن أى جبل ؟ وأى حضارة وعن ماذا نتحدث ؟ إنها شبه جزيرة سيناء ، تلك البقعة من الأرض العربية التى ورد اسمها فى القرآن وفى التوراة . . وأسموها فى التاريخ القديم والحديث أرض القمر ، وأرض الفيروز ، وأرض الشمس المشرقة ، وأرض الأنبياء وأرض الموت والجدب . . ولعل هذا الاسم الأخير هو الذى زاملها والتصق بها لسنوات عديدة ، فقد نسيها أهلها وأهملها أبناؤ ها . . الى ان ضاعت منهم ! وكما يضيع أى شىء ثمين ، فيحس أصحابه بقيمته ، بدأ اصحاب الأرض يحسون لأول مرة بقيمتها ، فلما استردوها ، أقبلوا على الأرض السليبة يبنون ويعمرون ويصنعون الحياة الجديدة على شواطئها وفى وديانها . .

لقاء خاطف

كان لقاؤ نا بها سريعا خاطفا . . أو كما قال لنا أحد الصحفيين الزملاء فى مصر : « أنتم لم تزوروا سيناء ، ولكنكم فقط زرتم الطريق المؤدى اليها ، انكم فى حاجة الى عدة أسابيع لا بضعة أيام محدودة ، تركبون فيها البر والبحر والجو . وتجوبون فيافيها وقفارها من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب . . عندئذ فقط تستطيعون أن تقولوا انكم زرتم سيناء ! »

وكان الزميل على حق . ولكن الخطأ لم يكن خطأنا ، فقد كان الحماس يملؤ نا ونحن نستعد لهذه الرحلة التى سيزور فيها« العربي »سيناء لأول مرة ، ولكن ما كدنا نبدأ حتى اصطدمنا بالمعوقات التى تصنعها البيروقراطية فى الكثير من مرافق الحياة فى وطننا العربى . .

. . وكانت النتيجة أننا لم نر من سيناء الا المحافظة الجنوبية بمدنها الأربع الرئيسية الصغيرة ، شرم الشيخ ، والطور (العاصمة) ، ودهب ، ونويبع ، أما العريش عاصمة المحافظة الشمالية وأهم مدن سيناء كلها ، حيث تجرى الآن أكبر عملية بناء تشهدها هذه المنطقة ، فلم نزرها . . رغم أنها كانت فى رأس برنامج استطلاعنا . . صحيح أنهم رحبوا بنا ودعونا الى المجىء ، ولكن الدعوة جاءت متأخرة ! فقد كانت مهمتنا محدودة لارتباطنا بأعمال أخرى .

التاريخ مر من هنا

ونعود الى حديثنا عن سيناء قبل أن نمضى فى رحلتنا القصيرة معها وفوق أرضها . . أرض التيه والرسالات التى دارت فوق رمالها عشرات المعارك . . سارت عليها جحافل جيوش الغزاة ، منذ أن عرف الانسان أول أداة من أدوات القتال . .

جيوش الهكسوس والأشوريين ، ثم جيوش الصليبيين ، وجيوش صلاح الدين الأيوبى التى ألقت بهم فى مياه البحر ، وكانت بعد ذلك مسرحا لمعارك

الجيش المصرى العربى فى عام ١٩٤٨ ، ثم فى عام ١٩٥٦ ، وفى عام النكسة ١٩٦٧ ، وأخيرا فى عام النصر ، عام ١٩٧٣ . . وكان العدو فى كل هذه المعارك واحدا . اسرائيل التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ، لتصبح سرطانا يتهدد جسم هذه الأمة !

كان لابد أن نقرأ عن سيناء قبل أن نبدأ رحلتنا اليها ، .بهذا هو لقاؤ نا الأول بهذه الأرض العربية التى وقفت صامدة تتحدى التاريخ . كنا نجهل الكثير عنها ، وما أكثر جهل المواطن العربى بأرض هذه الامة الواسعة الشاسعة التى تمتد من الخليج الى المحيط . وبدأنا نفتح الكتب ونقرأ فى سطورها . ما أعظم التاريخ الذى مرب به سيناء . . بين وديانها شق الأنبياء والقديسون طريقهم الى مدخل وادى نهر النيل العظيم ، ودخلتها جيوشْ المسلمين فى عصر عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص الى مدينة الاسكندرية،وكان طريقهم وسط جبالها هو نفس الطريق الذى سلكه المصريون القدامى (الفراعنة) . . طريق حورس ، الذى سار فيه من قبلهم ابراهيم ويعقوب ويوسف وقمبيز والاسكندر الأكبر ثم أسرة المسيح عليه السلام .

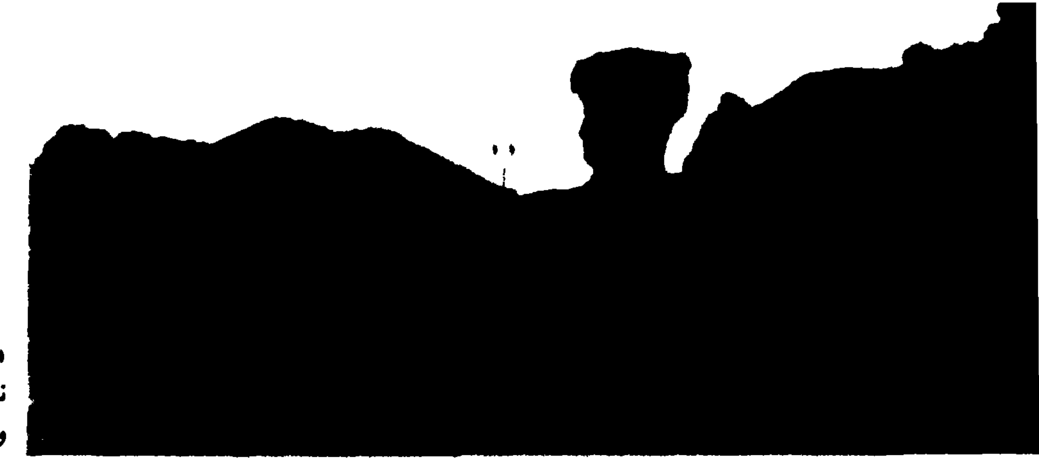
كانت سيناء ، هذه الأرض الشاسعة التى تشبه فى شكلها المثلث المقلوب الذى تستقر رأسه فى الجنوب عند رأس محمد على البحر الأحمر ، وقاعدته فى الشمال على البحر المتوسط . . من مدينة بورسعيد غربا الى مدينة رفح شرقا ، على امتداد مائتى كيلو متر تقريبا . كانت سيناء منذ فجر التاريخ قطعة من أرض مصر ، لا يفصلها عن الوطن الأم سوى ذلك العزوف من أبناء مصر عن العيش فوق هذه الأرض ، لأنها بعيدة عن النيل ومياهه التى يرتوون منها ، ويروون بها أرضهم وحيواناتهم .

الأرض المهجورة

وهكذا بقيت سيناء أرضا مهجورة إلا من أبنائها الذين نبتوا فيها ، أو رحلوا اليها من شبه الجزيرة العربية ، أو من بلاد الشام . العرب الرحل الذين ينتمون الى قبائل عدة . . . ولكنهم فى النهاية عرب . . الصحراء مأواهم وخيام الشعر بيوتهم ، والابل سفنهم ، ينتقلون بها ومعها سعيا وراء الماء والكلأ . . فهم لم يعرفوا حياة أخرى . .

محافظة جنوب سيناء

أما أبناء وادى النيل الذين أصبح هذا الشريط الضيق الأخضر على جانبى النهر يضيق بهم ويضيق عاما من بعد عام ، حتى لم يعد فيه موضع ومكان لمزيد من الأنفس التى تتضاعف على مر السنين ، أما هؤلاء الذين التصقوا بالأرض فقد كان مجرد التفكير فى الهجرة الى سيناء المقفرة التى تزيد مساحتها على واحد وستين الف كيلو متر مربع ، أى ثلاثة أمثال مساحة دلتا النيل المزدحمة المكتظة . . كان مجرد التفكير فى الانتقال الى هذه الأرض الجديدة يثير فى نفوسهم الرعب والهلع . . وبقى هذا حالها خلال الأعوام الطويلة التى سبقت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ . . وربما كان حفر قناة السويس فى عهد اسماعيل باشا ، من الأسباب التى ضاعفت من عزلتها ، فقد أصبح هناك ممر مائى يصل بين خليج السويس أحد ذراعى البحر الأحمر وبين البحر المتوسط . . وهكذا امتد الشاطىء المائى لمسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا . . وكادت هذه



« رأس كنيدى »
نحتته الطبيعة
وسط الجبال !

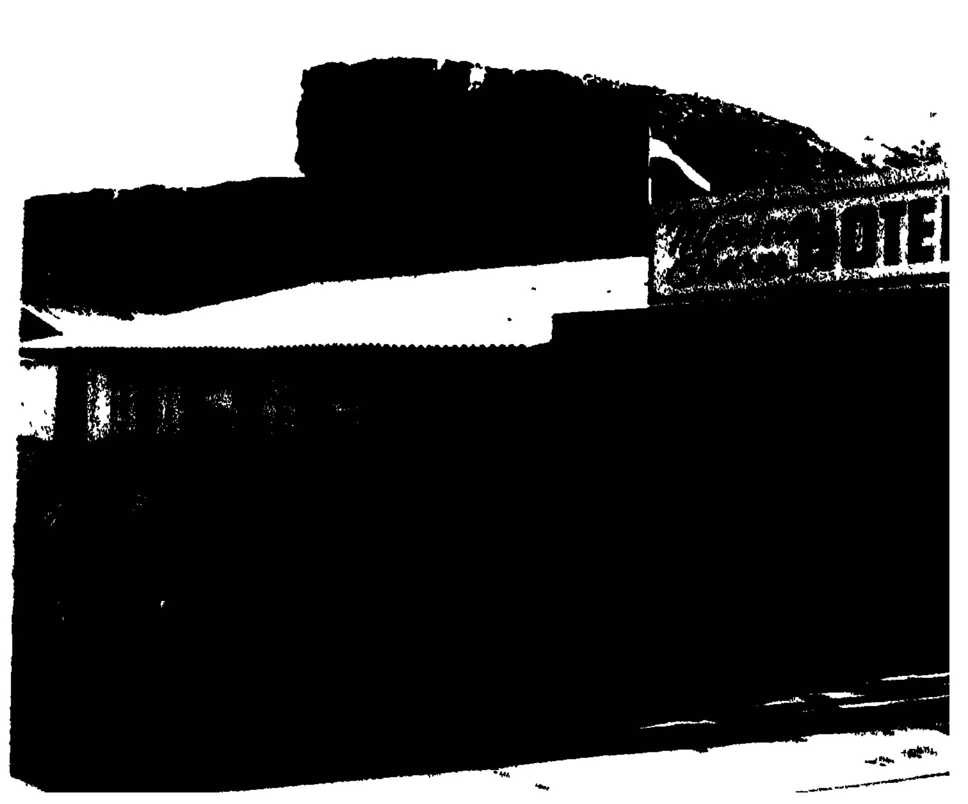


فرع لاحد
مصارف مصر
في جنوب
سيناء .



جانب من
المساكن الجديدة
التي شيدت
لأبناء سيناء
العاملين فيها

هـذه القبـاب غـرف
بكـامل مـرافقها اقيمت
عـلى شـاطىء البحـر
بجوار الفندق الـرئيسى
الـذي شيـد لاستقبال
السائحين والـزائرين في
شرم الشيخ .



العزلة تقتل سيناء بعد أن ابتعدت بها كثيرا وطويلا عن بقية أنحاء مصر . .

دبيب الحيـــاة

ثم جاءت الثورة ، وتم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة قناة السويس بالذات ، وأمم عبد الناصر القناة نفسها فى عام ١٩٥٦ . . وخلال تلك السنوات الأربع بين نشوب الثورة وتأميم القناة ، شهدت سيناء ، ولأول مرة فى تاريخها يد الاصلاح تمتد اليها لتبنى وتوفر لأبنائها حياة كريمة . . وكان التعليم أول أهداف الثورة ، وبدأ بناء المدارس التى انتشرت فى المناطق السكنية ، ولم يكن فى سيناء كلها فى ذلك الوقت سوى مدرسة واحدة فى مدينة العريش فى الشمال ، وفى الوقت ذاته بدأ الأعراب من أبناء الصحراء الجبلية القاحلة يسمعون دبيب الحياة . . انها مياه النيل التى بدأ أول مشروع لتوصيلها الى المنطقة الواقعة شرقى قناة السويس ، لرى مساحة من الأرض تزيد على العشرين ألف فدان . . كانت عيون الثورة اذن على سيناء المنسية . . على أرض المستقبل .

ولكن العدوان الثلاثى الذى أعقب تأميم قناة السويس وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل عطل اتمام المشروع ، وانقضت بعد ذلك فترة طويلة شغل فيها المسؤولون فى مصر عن سيناء وتعميرها ، بمشاكل أخرى ، وكادت السحابة تنقشع لولا العدوان الثانى فى عام ١٩٦٧ الذى أسفر عن انتكاسة مازالت الأمة العربية تعانى من آثارها حتى اليوم . . وتوقف مشروع المياه ، ولكنه أيضا كان توقفا مؤقتا . . فبعد حرب الاستنزاف التى قادت مصر الى خوض غمار أول معركة مواجهة حقيقة ضد الجيش الاسرائيلى فى عام ١٩٧٣ ، وما تلا ذلك من أحداث انتهت بعودة سيناء الى عروبتها ، عاد العمل فى المشروع الذي يستهدف انشاء ثلاثة أنفاق لتوصيل مياه النيل الى الصحراء القاحلة . .

فى انتظار مياه النيل

ان سيناء وأهلها والوافدين اليها من الوادى المزدحم ، كلهم ينتظرون الانتهاء من هذا المشروع الحيوى الذى سيعيد الحياة الى الأرض التى ظلت مهملة منسية قرونا طويلة ، بكل ما تحويه فى جوفها من ثروات ! ويوم تجرى مياه النيل فوق هذا الجدب فى هذه الأرض المترامية ، ستتحول سيناء الى أقوى منطقة جذب لهؤلاء الذين مازالوا يلتصقون بالنيل وواديه ، ويرفضون الافتراق عن البقعة التى نبتوا فيها !

ربما نكون قد أطلنا بعض الشىء فى حديثنا عن سيناء قبل أن نلتقى بها . ولكنها مقدمة كان لابد أن نسوقها ونتوقف عندها ، قبل ان نتابع رحلتنا فوق هذه الأرض . . ولقد كانت هذه هى المرة الأولى التى نرى فيها سيناء ، كما ذكرت . . وكان اللقاء بها مشوقا مفاجئا . . فقد كنا نتوقع أن نرى أى شىء فى سيناء الا هذا الذى رأيناه . . من نافذة الطائرة الصغيرة التى تقوم بأربع رحلات أسبوعيا الى شرم الشيخ ، المنطقة التى انطلقنا منها فى رحلتنا الى المدن الأربع التى ذكرتها . من النافذة رأينا الصورة . . جبال شاهقة تعلو كثيرا فوق سطح البحر ، ويخيل اليك وأنت تتطلع اليها أنها تكاد تلامس جسم الطائرة التى تحاول أن تنفذ ببصرك من وراء نافذتها المغلقة . . وهى جبال متجاورة متلاحمة وكأنها قطعة واحدة ترتفع وتنخفض ، وبين الحين والحين ترى الهوة السحيقة التى تفصل بينها . . .

عرب مغتربون

قال لنا أحد رفقاء رحلتنا ، ويبدو انه اعتاد هذا المشهد من خلال زياراته المتكررة لسيناء بحكم عمله : « أنتم غرباء عن مصر اذا لم أكن مخطئا ؟!

قلنا : « بل نحن عرب ، وما أكثر ما يشعر العربى بالاغتراب عن أرضه ووطنه ! »

قال : « نحن الآن نحلق فوق المنطقة الجنوبية من سيناء ، هنا أعلى الجبال وأكثرها انحدارا . . انهم يطلقون عليها اسم "المرتفعات الجنوبية ، وهى تقع بين خليج السويس غربا وخليج العقبة شرقا . . هنا من تحتنا مباشرة أكثر الجبال ارتفاعا فى مصر ، اذ يصل ارتفاع أعلى قمة من قمم هذه الجبال الى أكثر من ٢٦٤٠ مترا فوق سطح البحر !

كان واضحا من نظراتنا الخاطفة الي هذه المرتفعات



اللواء مجدي سليمان محافظ جنوب سيناء هدفنا في هذه المرحلة الاهتمام بالسياحة وتطوير المرافق والخدمات نحن في أنتظار وصول مياه النيل

الهائلة أننا أمام طبيعة قاسية وعرة ، أو كما يقول بعض المشتغلين بالطوبوغرافيا : « انها أعقد وحدة في تضاريسها على سطح الأرض ! »

ولكن المشهد لم يكن كله جبلا ومرتفعات ، فقد التقطت عيوننا من الارتفاع زرقة مياه البحر ، وصفرة رمال الصحراء ، في الوادي الممتد الذي يبدو أمامنا بلا حدود وبلا نهاية . .

ولكن ما أبعد الفرق بين مارأيناه من هذا الارتفاع الكبير ، وبين الذي التقينا به وجها لوجه ، عندما عدنا نضرب الأرض بأقدامنا ، بعد هبوط الطائرة في مطار شرم الشيخ .

انها الجنة

قال لي زميلي المصور ونحن نقف أمام الفندق الذي يشرف على مياه الخليج مباشرة : « لم أكن أتصور أن أرى كل هذا الجمال في هذه البقعة من الأرض . . تأمل لون المياه الزرقاء . . ثم هذه السماء الصحوة ، وتلك الشمس الدافئة المشرقة في عز الشتاء ألا ترى معي انها الجنة ؟ ! » .

ووقفنا نتأمل هذا العناق الأبدي ، بين مياه البحر والرمال الناعمة التي تغطي الشاطىء . . لوحة رائعة يأتي اليها ألوف السائحين من جميع أنحاء العالم . . ولكن أين الناس ؟ بالكاد وجدنا عددا لا يزيد على أصابع اليدين من الأجانب الذين جاءوا من المانيا وايطاليا ليسبحوا في مياه الخليج الدافئة ، ويغوصوا في أعماقه ، ليسجلوا بعدساتهم صور الشعب المرجانية والأسماك الملونة التي تشكل صورة من صور الحياة في أعماق البحر !

وأهل سيناء ؟ ان آخر الاحصائيات تقول ان عدد السكان بالنسبة لمساحة هذه الأرض الشاسعة لا يزيد على فرد واحد لكل كيلومترين ، حتى بعد السماح بالهجرة من وادي النيل الى الأرض المنسية التي عادت الى الوطن الأم بعد رحلة طويله من القهر والعذاب في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

رحلة جديدة

قبل عام ١٩٧٩ كان جنوب سيناء منطقة عسكريه ، الى أن كان يوم ١٦ نوفمبر من ذلك العام عندما انتقلت السلطات الى المحافظة ، ومع هذا الانتقال بدأت رحلة جديدة في تاريخ شبه الجزيرة . مرحلة بناء وتعمير ، لعلها الأولى من نوعها ، من أجل تعويض هذه المنطقة عن سنوات الحرمان والاهمال التي عاشتها قبل الاحتلال الصهيوني ومن بعده ، وفي ظله !

فلم يكن في سيناء أي مظهر من مظاهر التجمعات السكانية المستقرة ومن هنا كانت البداية . . وعلى الفور بدأ تنفيذ مشروعات الاسكان والطرق والمرافق الحيوية ، والمشروعات الانتاجية والأمن الغذائي . . فقد كان لابد من اقامة مجتمعات جديدة تعتمد على الامكانيات المتاحة محليا . .

وقد أخذ المسؤولون في المحافظة بزمام المبادرة ، وقاموا بالتوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية في مدينة شرم الشيخ .

في جنوب سيناء تسخو الطبيعة . . وهو سخاء بلا حدود . البحر والسهل والجبل في بقعة واحدة ، تنفرد بكل المقومات التي يبحث عنها السائح الذي ينشد الجمال والهدوء .



عربي مع ناقته .. صحبة أبديه وعراقة .



ا بنت الصحــراء   لم اعــد مهمـلة منسية » .



سائحة المانية في عباءة بدوية . !



انما نتحدث عن شيء رأيناه وواقع عشناه ، ولو لفترة قصيرة ، ولكنها كافية لأن ترى معها تلك الشواطىء الرائعة على خليج السويس غربا ، وعلى خليج العقبة شرقا انهما الذراعان اللتان تحتضنان هذه الأرض التي قدر لأبناء مصر والأمة العربية من هذا الجيل أن يشهدوا نهاية اغتراب هذه المنطقة الغالية من الأرض العربية بعد احتلال دام لأكثر من ست سنوات امتدت وكأنها دهر

شجرة النخيل !

ثم تلك الوديان الجميلة التي تحتضنها الطبيعة وما تحويه فوق رمالها ، وعند سفوح الجبال المطلة عليها من كهوف وآثار قديمة ، تحيط بها أشجار النخيل . . تلك التي عاشت تحكي قصة الحياة مع كل بقعة في قلب رمال الصحراء الساحة ، تصل اليها قطرات الماء ، حتى لو كانت في جوف الأرض . وأي حوار أجمل وأروع من هذا الذي عرفه الاعرابي في قلب الصحراء ، بينه وبين هذه الشجرة التي تمتلىء أغصانها بثمار الوفاء ، حتى أصبحت التمور ولبن الناقة أغلى وأول ما يقدمه للغريب حين يحل عليه ضيفا !

والعرب . عرب أينما حلوا بعاداتهم وتقاليدهم الأصيلة العريقة ، التي توارثوها عن الآباء والأجداد . . وبعض أهل سيناء يسكنون المدن والقرى الصغيرة المنتشرة حولها ، والبعض الآخر من البدو الرحل يعيشون في خيام لها قدر من الاستقرار طالما ان أسباب الحياة لا تضطرهم الى التنقل من واد الى آخر ، مع حيواناتهم التي لا يفترقون عنها . .

ولعل أبرز معالم تلك التقاليد الأصيلة التي يتحلون بها ، هي الفروسية التي بقيت الغالبة عند الأمم والشعوب دهورا طويلة . . وكغيرهم من الفرسان نراهم يكبرون الشجاعة ويحتقرون الجبن ، وواجبهم الأول الذي يحرصون عليه هو الدفاع عن قبيلتهم . . وهذا النزوع الى تأكيد الأمن في ديارهم جعلتهم يتصدون دوما للغريب . .

حضارة قديمة

ولم تكن سيناء يوما أرضا بلا حياة . . فقد قامت فوق رمالها حضارة صنعها أهلها ، ويقول الدكتور أحمد فخري في كتابه « سيناء تاريخها وآثارها » : « اننا اذا رجعنا الى أقدم العصور ، أو الى أيام العصر الحجري ، نجد أن من كانوا يعيشون في سيناء عرفوا كيف يستخدمون الأدوات التي صنعوها من « حجر الصوان » الذي يشبه ما كان مستخدما في شرق أفريقيا وفي غرب آسيا . . وقد تم العثور على تلك الأدوات منذ وقت قريب ، وكان أهم ما عثر عليه في السنوات الأخيرة في وادي العريش » .

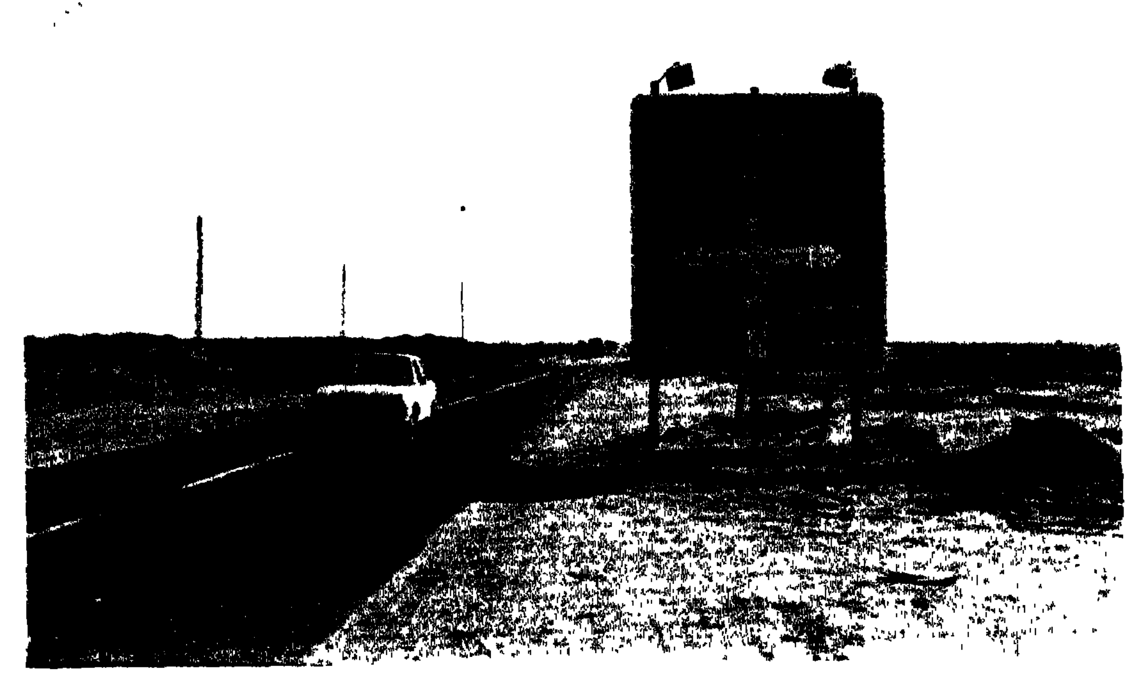
وقد عرف المصريون القدامى أو الفراعنة طريقهم الى سيناء ، بل ربما يكونون قد عرفوا كيف يستغلون هذه الأرض أكثر من المصريين المحدثين ، فمنذ أربعة آلاف وسبعمائة عام ، كانوا يوفدون جماعات منهم لاستخراج المعادن من جبال سيناء ، في الجنوب . . وكان الفيروز والنحاس أكثر ما وجدوه وحملوه معهم في رحلة العودة . . ومن هنا جاء اسمها « أرض الفيروز ! »

ولكن البدو كانوا هناك منذ هذا التاريخ البعيد ، قبل أكثر من سبعة وأربعين قرنا من الزمان ، وكان لابد أن يتحركوا ، فقد كان البدو من أهل سيناء يخرجون اليهم ويتعرضون لهؤلاء الغرباء ، ويتهددونهم ان هم بقوا فوق أرضهم !

ملاحم الأبطال

وفي العصر الاسلامي بعد مجيء عمرو بن العاص الى مصر عبر سيناء ، نقرأ الملاحم التي تحكي قصص الأبطال الذين وقفوا في وجه التتار والصليبيين ، والأدب الشعبي في مصر يحتفل بالظاهر بيبرس الذي يتصدر اسمه قائمة هؤلاء الأبطال ، فقد استطاع أن يحتل مكانا بارزا في ذاكرة الشعب ، وكانت شجاعته في الدفاع عن سيناء هي التي صنعت له هذه المكانة . . فهو الذي حقق النصر للمصريين والعرب ، وتمكن من صد المد المغولي والصليبي ، وقد ظل اسم هذا البطل يتردد على ألسنة القصاصين حتى أوائل هذا القرن .

هل نمضي في الحديث عن سيناء في التاريخ ؟ يبدو أننا ابتعدنا كثيرا عن حاضر سيناء ، وعن المستقبل الذي ينتظر هذه البقعة من الأرض العربية . . ولكنها وقفة أمام التاريخ ، كان لابد لنا أن نقفها ، لننقل



صورة لما كانت عليه الحياة في هده الارض ، ونحن نمضي في رحلتنا فوق رمالها

صحيح انه ماض . وربما كان بعضه صارما في حدود التاريخ ، بعيدا عن الواقع الذي تعيشه سيناء ولكن أليس الحاضر .. حاضر أي بلد ، هو امتداد للماضي القديم !

نقطة اللقاء الأبدي

ان أهمية سيناء على مر العصور ، كانت وما زالت تكمن في موقعها حيث تلتقي آسيا وأفريقيا برا ، وحيث يفترق البحر المتوسط والبحر الأحمر .. أما شمال شبه الجزيرة فيقع عند طرف هلال كبير ، يشمل بلاد الشام والعراق . حيث يقترب بحر ثالث من الطرف الجنوبي للعراق ، وهو الخليج العربي ..

وقد عانت سيناء لأكثر من ست سنوات في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، الى جانب معاناتها الطويلة ، كما ذكرنا ، نتيجة اهمالها ونسيانها ، حتى ان الكثيرين من أبناء مصر عاشوا ورحلوا دون أن يعرفوا أن سيناء كانت وما زالت جزءا من أرض مصر العربية .

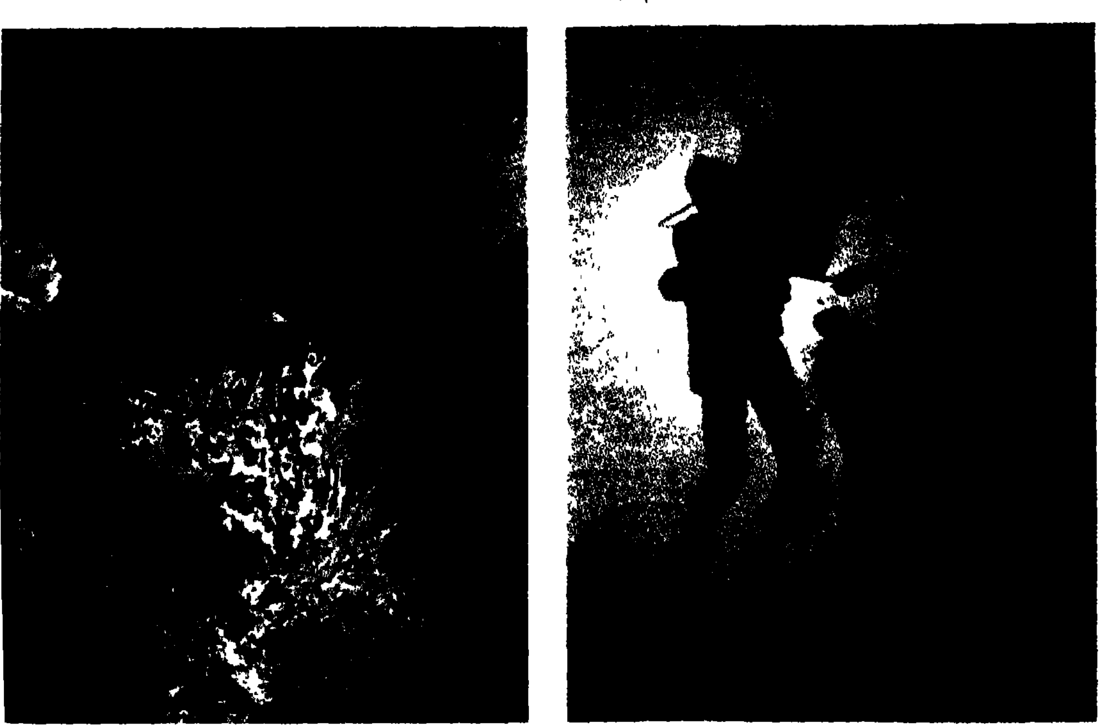
ومن هنا بدأت عملية اعادة تشكيل الحياة على هذه الأرض بعد عودتها الى الوطن الأم .

ولكن قبل أن نخوض في الحديث عن المستقبل الذي جندت الدولة كل امكانياتها لصنعه ، لابد لنا من رحلة قصيرة نمر خلالها سريعا على حاضر سيناء ، أو على الأصح محافظة جنوب سيناء التي أمضينا فيها بضعة أيام ، كان لنا فيها لقاء بالأرض والناس الذين يعيشون فوقها ..

الصورة التي طالعتنا في المدن الأربع التي زرناها ، وهي كما ذكرنا شرم الشيخ والطور (عاصمة المحافظة) ، ودهب ونويبع .. وهي صورة لمجتمعات سكنية جديدة لم يكن لها وجود قبل سنوات قليلة خلت .. عمارات حديثة في شرم الشيخ وفي دهب وفي نويبع .. ومدارس ومستشفيات ومزارع لتربية الدواجن وتسمين العجول وبحث دائب لاختيار مواقع الأراضي التي تصلح للزراعة ، بعد أن تصل اليها مياه النيل ، وبعد أن ينتهي العمل في اقامة محطات تحلية مياه البحر ، لأن نسبة الملوحة في مياه الآبار في سيناء مرتفعة .. فالأرض تختزن مياه الأمطار في جوفها ، ولكنها تختلط في آبارها غير المرئية بمعادن كثيرة تذوب فيها وتفقدها صلاحيتها للزراعة !

وفي مدينة الطور كان لنا لقاء بمحافظ جنوب سيناء اللواء مجدى سليمان الذي استقبلنا في مكتبه

المســـافـــرون يحملون امتعتهم في الطريق الى العبارة من نويبع . الى العقبة .



الغواصون في اعماق البحر الاحمر يسجلون بعدساتهم صورا للشعب المرجانيةوالاسماك الملونة . . انهم يأتون من كل انحاء العالم لرؤية هذه الحياة التي تغمرها مياه البحر .

العبارة « الحسين » تستعد للابحار عبر مياه خليج العقبة



بعيدا عن الزحام مع رائحة البحر والطبيعة التي لم تفسدها الحضارة . لم يعرف الكثيرون طريقهم اليها بعد . محافظة جنوب سيناء

بالمحافظة ، مرحبا « بالعربي » وكان أول سؤال خطر لنا أن نتوجه به اليه ، ونحن نرى من حولنا هذه الأرض الشاسعة ، التي يمكن أن تمتص الملايين من البشر الذين يزدحم بهم الوادى الأخضر الضيق الذي يمتد مع نهر النيل من الجنوب الى الشمال . . كان سؤالنا الأول : « لماذا لا تأتون ببضعة ملايين من المزارعين الى سيناء ؟ . .

وقال المحافظ . « لأن مشكلتنا في الوقت الحاضر هي المياه ، فاذا توفر الماء استطعنا ان نستصلح الأرض ، ونزرعها وعندئذ سوف ندعوهم الى المجيء ! .

السياحة والتطوير

ثم يقول المحافظ : « والى أن تصل المياه الحلوة الى سيناء ، فإن اهتمامنا كله يتركز الآن في السياحة ، وفي كيف نجعل من هذه المنطقة الجميلة بمناظرها الطبيعية ، منطقة جذب للسائحين . . ومن هنا بدأنا في تنمية وتطوير الخدمات التي يحتاج اليها السائح ، وفي مقدمتها الفنادق التي بدأنا في اقامة خمسة منها ، والعناية بالشواطىء التي يهوى السائحون قضاء معظم نهارهم فوق رمالها ، والغوص في مياه البحر والتزلج على صفحته الدافئة . . ان السياحة ثم السياحة ، هي التي تستحوذ على كل اهتمامنا الآن . . ولكن ليس معنى هذا أننا أهملنا بقية المشروعات التي سوف تسهم في تحويل سيناء الى منطقة جذب لسكان الوادى . .

« أنتم توافقون لا شك على أن التنمية الاقتصادية بمختلف جوانبها تحتاج الى مجموعة من العناصر البشرية والمواد الأولية ورأس المال وغيرها . . والمحافظة من جانبها عملت ولا تزال تعمل على اجتذاب واستقرار العنصر البشري ، عن طريق اقامة وسائل الخدمات الأساسية ، وقد بدأنا في التوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية والموانىء ، وما يتبع ذلك كله من وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية باعتبارها شرايين الحياة والتطور في عالمنا المعاصر .



عند الغروب ، قفل عائدا بقاربه وصيده الوفير ، من مياه البحر الاحمر عند ميناء نويبع

« ونحن نقوم اليوم بتوفير احتياجات المحافظة الغذائية والتموينية محليا ، حتى نستطيع أن نقول اننا حققنا الاكتفاء الذاتي ، وربما تكونون قد رأيتم بعض هذه المشروعات التي تحقق هذا الهدف خلال جولتكم في مدينة الطور !

ويمضى المحافظ : « ثم لقد دخلت الكهرباء كل مدن سيناء وقراها ، وهي كما ترون خطوة حيوية من أجل توفير حياة أفضل لسكان سيناء من ناحية ، واقامة صناعات جديدة تعتمد على الكهرباء من ناحية أخرى ! »

وهكذا بدد النور الظلام الذي عاشت فيه سيناء عبر القرون .

ثروات طبيعية

وفي سيناء ثروات طبيعية هائلة ما زالت مدفونة في جبالها وفي رمالها الناعمة وفي بحارها . فهناك الكاولين ، والرخام ، والجبس ، والمنجنيز ، والبترول ، والرمل الناعم الذي يصنع منه الزجاج !

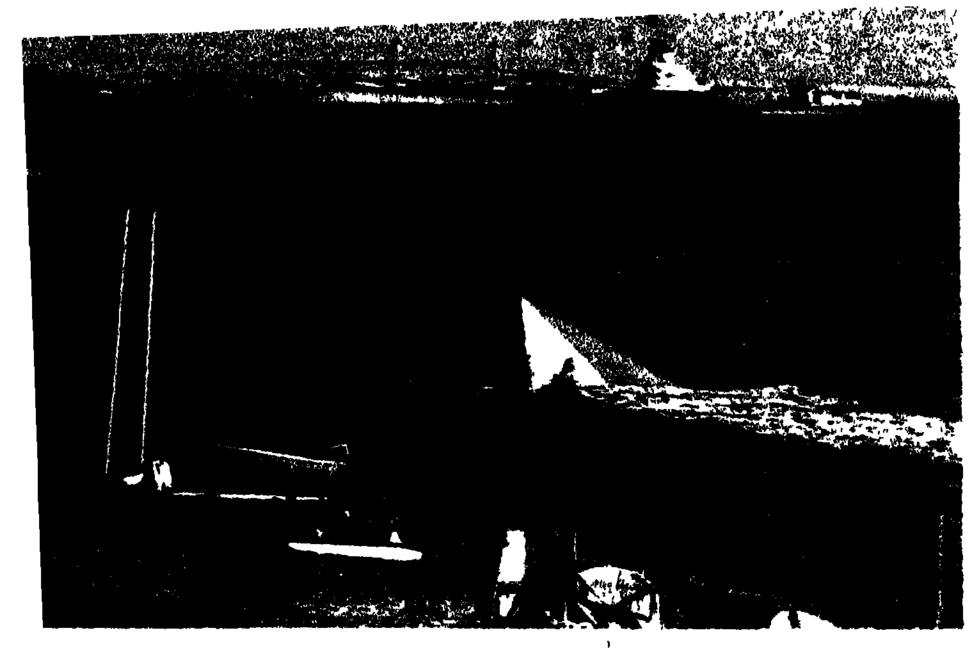
ويقول محافظ جنوب سيناء : « ان ما تم انجازه خلال الخطة الخمسية الحاليه يعتبر تمهيدا لانطلاقة كبرى في تعمير وتنمية سيناء ، وسوف تشهد شبكات الطرق ومحطات الميكرويف والطاقة والمياه والكبارى والأنفاق والموانىء والمطارات الدولية التي تربط سيناء بالعالم الخارجى قفزة كبيرة ، بهدف خلق مجتمعات عمرانية وصناعية متكاملة .

ان الخطة الخمسية الثانية تشتمل على مشروعات استغلال الثروة السمكية من مياه خليجي السويس والعقبة ، وقد بدأنا بالفعل في تطوير أساليب الصيد وتحديثها ، كما تجرى دراسات الآن لاقامة مصنع لانتاج الأدوات الصحية والقيشانى ، والعوازل التي يدخل في صناعتها خام الكاولين الذي يوجد بكميات وفيرة في أبو زنيمة وأبو رديس حيث حقول البترول .

« ولما كانت السياحة هي شغلنا الشاغل في سيناء الجديدة ، فقد بدأت المشروعات بالفعل في اقامة المزيد من القرى السياحية والفنادق المطلة على الشواطىء ، الى جانب استغلال مواقع السياحة الدينية والتاريخية . .



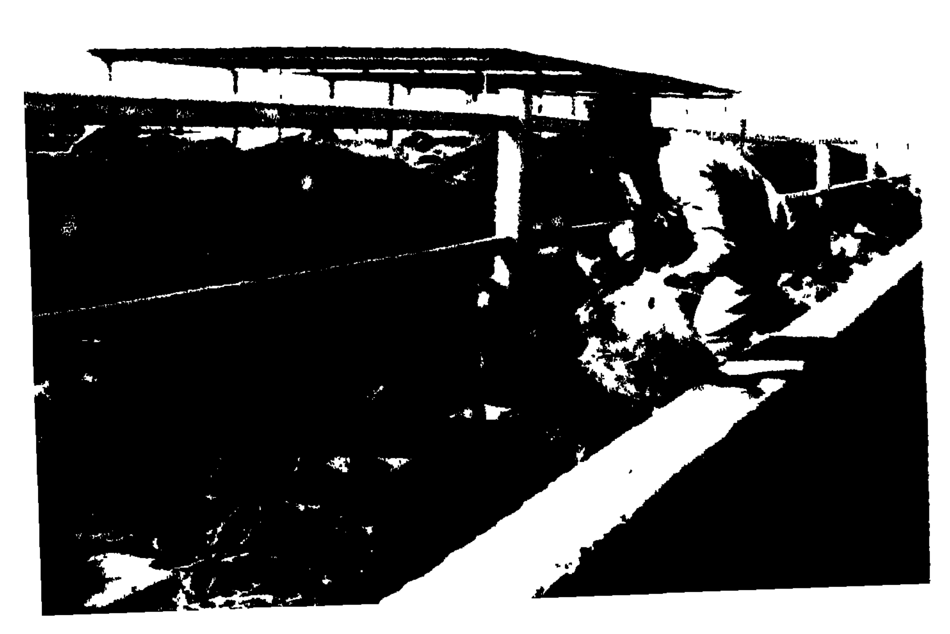
نفق الشهيد احمد حمدي (الى اليسار)، اعاد ربط سيناء ببقية ارجاء مصر، وغرفة التحكم (الى اعلى)، من خلال شاشات التلفزيون الموجودة بها يمكن رؤية جميع التحركات داخل النفق.



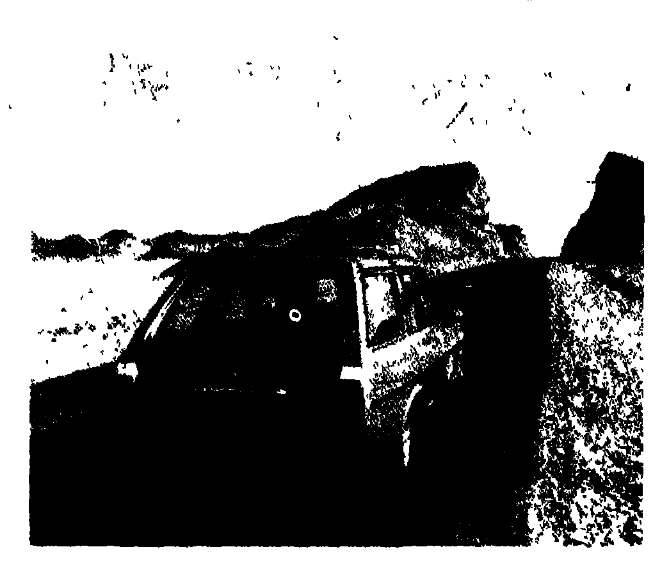
قنــاة الســويس فصلت سينــاء عــن الــوطـن الام



مزرعة الدواجن بمدينة الطور ، احدث الانجازات على طــريق تحقيق الامن الغذائي



احدى مزارع تسمين العجول لتحقيق الاكتفاء الــذاتي مــن اللحوم



في الصحراء ووسط الجبال ، شقوا الطرق التي تربط بين مدن جنوب سيناء الرئيسية ، ثم بينها وبين « الوطن الام »

ان كل احتفال بأعياد تحرير سيناء سيحمل معه مشروعا جديدا .

معابر الى المستقبل

هل انتهى الحديث عن سيناء التاريخ والحاضر والمستقبل ؟ ربما ! ولكن بعد أن نمضي في رحلة قصيرة مع المعابر التي أعادت ربط سيناء عضويا بالوطن الأم ، بل أكثر من هذا فقد أصبحت سيناء ، كما كانت قديما حلقة الاتصال بين المغرب والمشرق العربي . بين أقطار الأمة العربية كلها من أقصاها . . من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي . .

وكان المعبر الأول هو نفق الشهيد أحمد حمدى الذي يربط بين ضفتي قناة السويس الغربية والشرقية ، وهو يمتد تحت مياه القناة من نقطة تبعد بحوالى ثمانين كيلومترا عن مدينة الاسماعيلية ، في الطريق الى مدينة السويس ، وقد بدأ العمل في بنائه في أوائل عام ١٩٧٧ ، واستمر حتى عام ١٩٨٢ ، وتكلف بناؤه حوالى مائة وعشرين مليونا من الجنيهات ، ويبلغ طوله كيلومترا ونصفا ، تقطعه السيارة في دقائق معدودة . . وقد شيد على أحدث الأساليب المتبعة في تشييد الأنفاق . أما الاسم الذي يحمله هذا الشريان الحيوى الجديد فهو لنائب قائد سلاح المهندسين الذي أسهم بصورة فعالة في ازالة الساتر الترابي ، الذي أقامته قوات الاحتلال الاسرائيلي على الصفة الشرقية للقناة ، وقد استشهد في أول أيام العبور ، اليوم العاشر من رمضان السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣

بقى المعبر الثاني في مدينة نويبع على خليج العقبة الذي ربط بين مصر والأردن ودول الخليج والمشرق العربي كله ويقع ميناء نويبع على بعد ٦٥٠ كيلومترا من القاهرة ، ولو أن المسافة تختصر الى أقل من الثلثين بعد الانتهاء من شق الطريق الجديد بينها وبين قلب القاهرة خلال شهور قليلة .

وتعمل على هذا الطريق البحرى عبارتان كبيرتان ، احداها أردنية ، والأخرى مصرية ، وتقوم العبارتان برحلتين يوميا من نويبع الى العقبة وبالعكس

بقى معبر مياه النيل الذي تنتظره سيناء لتروى به الأرض العطشى .

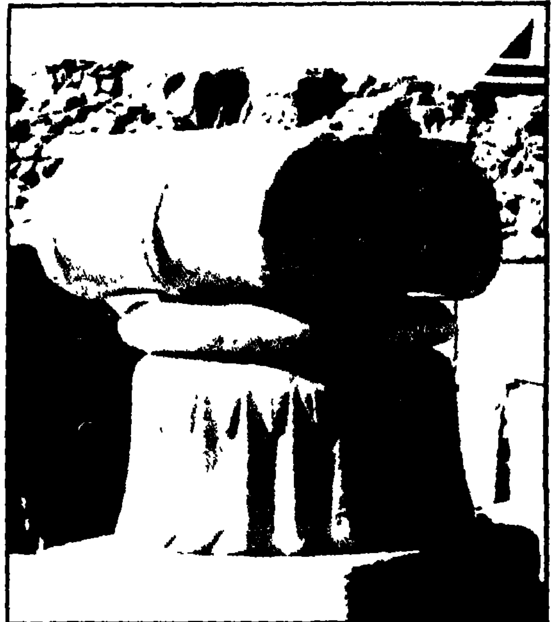
لقد عادت الحياة الى سيناء . . وهي اليوم ترسم لوحة جميلة يشارك كل أبنائها في اعدادها . انها صورة مصر الأمل . . مصر المستقبل . أو كما قال لنا الأعرابي وهو يقود ناقته عند الغروب عائدا بها الى بيته : « نحن هنا في الجنة . . ولكنها كما ترون جنة بلا بشر ! »

قالها في كلمات بسيطة ولكنها كانت معبرة عما يحمله في صدره من آمال . .

وأهل سيناء الذين لم يعرفوا حياة أخرى بعيدا عن الأرض التي نبتوا فيها ، ينتظرون اليوم الذي تحتفل فيه سيناء باستقبال الوافدين من الوادى الأخضر الى الأرض التي أمضت قرونا طويلة تنتظر مجيئهم ، من أجل بناء حياة جديدة . . حياة يشارك فيها البدو ولا يتصدون لها ! □

■ العمل يكون فارغا وبلا ثمران لم يقترن بالمحبة (جبران خليل جبران) .


صدر العدد الخامس من
مجلة
العربي الصغير
للفتيان والفتيات العرب
٦٤
صفحة
بالألوان
مع مجلة
داخلية خاصة
في ٨ صفحات للصغار
في الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة
١٠٠ جائزة
قيمة
تنتظر طفلك
شهريا في مسابقة
العربي الصغير


تاج أيوني من جزيرة فيلكا

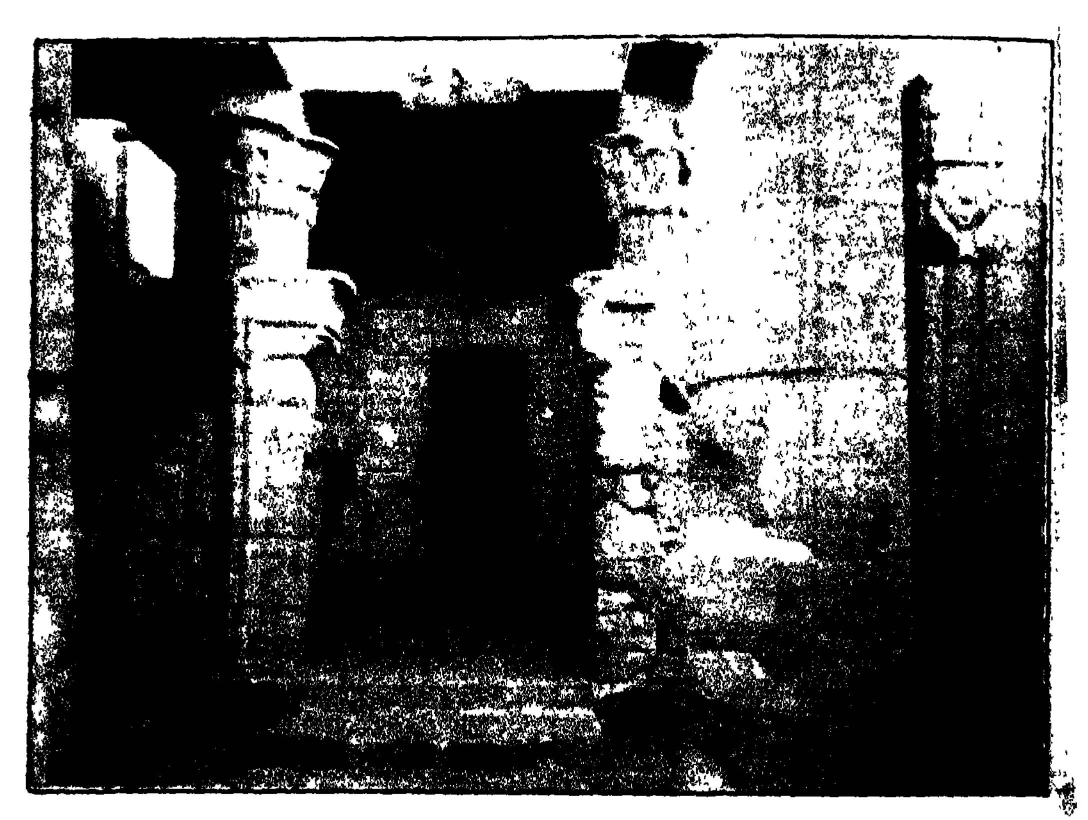
الأصول المعمارية للأعمدة عند المسلمين

بقلم : عبد الغني محمد عبدالله

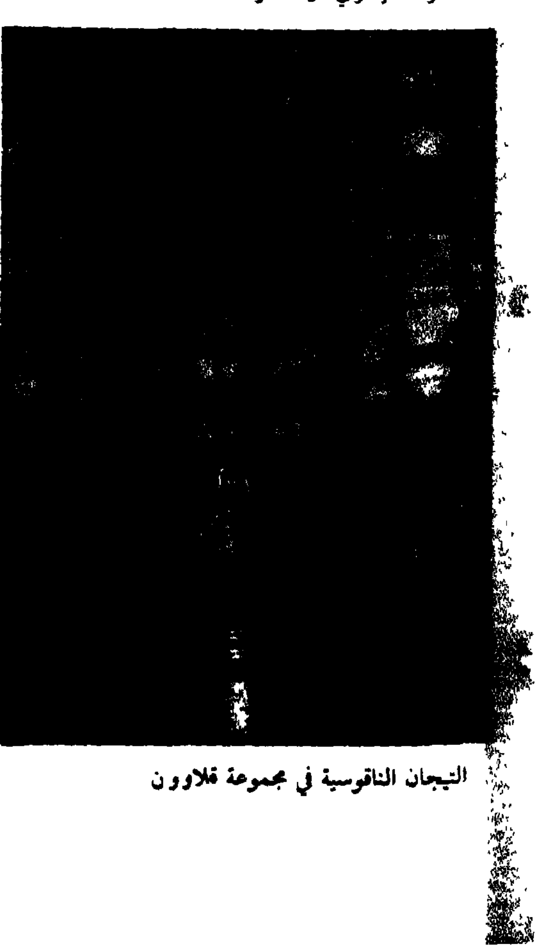
اذا كانت العمارة تقام من أجل الايواء والحكم واللهو والاجتماع والتعليم والعبادة . . أو غير ذلك من الأغراض . . فانها لكي تكتمل « قديما » كان لابد لها من حوائط حاملة أو ساترة ، وسقوف وفتحات للانارة والتهوية ،وأعمدة أو دعائم . قد لا نفطن لذلك الأمر في العصر الحديث ، بسبب استخدام الخرسانة المسلحة ، حيث حلت الكثير من المشاكل المعمارية ، الا أن هذه المشاكل لم تكن لتحل قديما الا بالأعمدة والعقود . . . وتلك قصة الأصول المعمارية من خلال ماتؤكده الآثار الاسلامية .

بدأت العمارة الاسلامية في الظهور منذ فجر الاسلام في القرن الاول الهجرى (القرن السابع الميلادي) وانتشرت في معظم البلدان مع الفتح ، ومع مرور الأيام انتشرت من الأطلسي غربا الى حدود الصين الغربية شرقا ، ومن جنوب ايطاليا شمالا حتى بلاد اليمن جنوبا . . وطبيعى أن تختلف الأساليب والوسائل والمواد والطرز المعمارية بين أجزاء الامبراطورية الاسلامية المتسعة الأرجاء فيما عرف باسم الطرز أو المدارس الفنية الاسلامية .

تميز العصر الاسلامي المبكر بالبساطة والخشونة م الجهاد والتفرغ له ، فجاءت عمارته بسيطة . . خش وخالية من التأنق والزخرفة ، بدائية في الاسالي



العمود الفرعوني دو القنوات



التيجان الناقوسية في مجموعة قلاوون



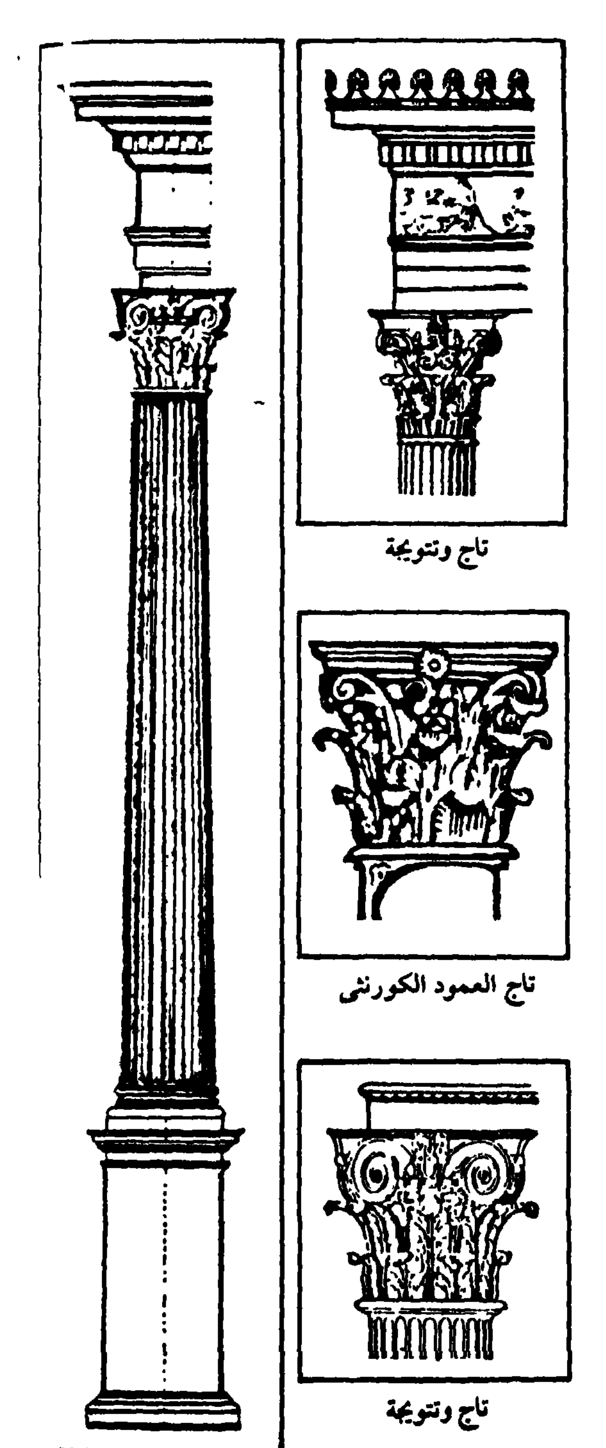
العمود الكورنثي ـ بالمسجد الأقصى

والوسائل والمواد ، ولكن بعد اتخاذ الأمويين لدمشق عاصمة للدولة ، وتلاهم العباسيون في اتخاذ بغداد حاضرة لهم ، كان ذلك سببا رئيسيا في ظهور الطرازين الأموى ثم العباسى في الفنون الاسلامية ومن بينها العمارة ، وكان لهذه الفترة الأثر العميق في تطور الفن الاسلامي ، بسبب الاتصال بثقافة وفنون وحضارات الدول والشعوب الأخرى ، سواء الدولة الرومانية البيزنطية التي كانت موجودة فى سوريا ومصر ، أو الدولة الساسانية التى كانت موجودة في العراق وايران ، وهي ثقافات وفنون وحضارات سبق أن تطورت عن حضارات سابقة ، نتيجة اختلاط حضاري ، استمر يتفاعل عبر التاريخ قبل الفتح الاسلامي . ومنذ أقدم العصور . تراث حضاري ضخم ، كان من أبرز المؤثرات فيه ذلك الأثر الاغريقي « الهيليني » القادم مع زحف الاسكندر الأكبر ، ثم الأثر الروماني الذي وفد الى نفس المنطقة مع المد الروماني الذي سيطر على المنطقة عقب ذلك .

ومن هنا يمكن القول بأن العمائر الاسلامية الأولى ، وخاصة في العصر الأموي ، قد استعان مشئوها بالأحجار والأعمدة المتخلفة من عمائر العصور السابقة على الفتح،وهي عصور اتفق على تسميتها بالعصور الرومانية مسبوقة باغريقية ، ثم تتوالى الحضارات في التقادم في كل من الشام ومصر . . أما في العراق وايران فقد سبقت عصور ساسانية وفرثية « بارزية » وأكمنية ، الا انه يجب التنبه الى أن المسلمين قد استخدموا المواد ، ولم يستخدموا الأساليب وهندسة البناء الا في القليل النادر . . فقد كانت لهم هندستهم المعمارية وفلسفتهم في فن العمارة .

العمود

والعمود ـ الجمع أعمدة وعمد بضم العين هو قائم مستدير ـ اسطواني ـ يحمل سقفا أو ثقلا ، ويعمل لصالح المبنى الذي هو جزء منه ، صنع من الحجر أو الرخام ، من قطعة واحدة أو من أحجار في شكل مداميك ، استخدمته كل الشعوب على مر التاريخ ، وفي بعض الأحيان استعيض عنه بالخشب أو جذوع النخل . . واستخدم أحيانا كعنصر زخرفي . .

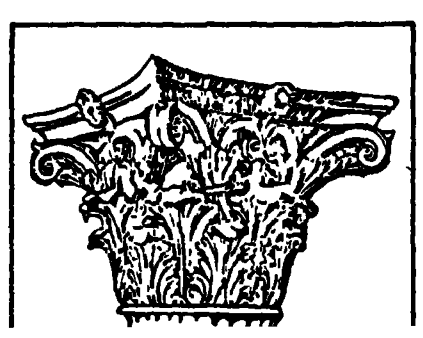


تاج وتتويجة

تاج العمود الكورنثى

تاج وتتويجة

العمود المركب ـ روماني . عمود ك



تاج العـ
الكورنثـ
روماني
النحت

قام بدور حمل السقف أو الثقل عند أهل اليونان القدامى ، أما عند الرومان ، وبعد استخدام الانشاء العقدى « من العقود وهي الأقواس » صار العمود يستخدم أحيانا في دور زخرفي ، له رأس عبارة عن تاج ، كان الاغريق أول من صمموها ، أما الدعائم فرغم قيامها بنفس عمل العمود ، الا انها مربعة ، ومن البناء « الحجر أو الآجر »

وبرغم أن المصريين والاغريق عرفوا طرق البناء بالعقود ، الا أن هذه الطريقة لم تستخدم لديهما على نطاق واسع ، استمر الأمر كذلك حتى طور الرومان هذه الطريقة المعمارية ـ طريقة البناء بالعقود ـ ليحلوا بها العديد من المشاكل المعمارية .

العقد

والحديث عن الأعمدة يجرنا للحديث عن العقد والعقود (القوس والأقواس) ، والعقد هو تنظيم بقوالب على هيئة الخاسور ، اذا ركبت بعضها مع بعض فوق فتحة ما ، أمكنها ان تتحمل ثقلا بتحاشرها حتى تتزن ، ويدفع طرفاالعقد نحو الخارج « الرفس » الى الجانبين ، الا أن الكتل الرأسية التي تسمى « الاكتاف » المتحملة للعقد تقاوم هذا الدفع أو الرفس ، بالاضافة الى الأربطة الخشبية ، وهي تلك التي نراها في المساجد ، ونتصورها انها لتعليق وسائل الانارة .

أجزاء العمود

العمود نفسه كان يتكون من عدة أجزاء تجلس فوق بعضها البعض بشكل متزن ، يعطي في النهاية شكلا متوازنا وجيلا وقويا في نفس الوقت ، ليحمل الثقل المنوط به حمله ، وهذه الأجزاء هي :

١ ـ القاعدة : وهي التي تجلس فوق الأرض .

٢ ـ البدن : ويجلس فوق القاعدة ، وهو يمثل جسد العمود .

٣ ـ التاج : وهو يوضع فوق البدن ، وهو الجزء المزخرف من أجزاء العمود ، وبواسطته يمكن تحديد نوع العمود وطرازه في أغلب الأحوال .

٤ ـ الوسادة : وهي مكعب خشبي صغير ، يجلس فوق التاج واذا كان هذا المكعب كبيرا فيطلق عليه اسم « الأورمة » .

٥ ـ التتويجة : وتجيء فوق الوسادة أو الأورمة وهي تتكون من :-

أ ـ الافريز .

ب ـ الكورنيش : وهي زخرفة تستمر فوق الأعمدة .

٦ ـ الاطار فوق الأعمدة : وهو الجزء المعماري الممتد فوق كل الأعمدة .

٧ ـ الكرسي : وهو ابتكار روماني ، وقد ظهر في العصر الروماني فقط ، وكان يوضع فوق الكرسي « بكل أجزائه » وذلك للارتفاع بالعمود ولتجميله .

وبعض الأعمدة كان لها « كرش » عند بداية البدن لخداع النظر ، وذلك حتى لايظهر البدن نحيلا من أسفل . . وفي بعض الأحيان يكون البدن مضلعا بواسطة قنوات طولية رأسية محفورة في البدن ، بلغت أحيانا ٢٤ قناة في العمود الواحد .

ويرمز الى ارتفاع العمود بالحرف اللاتيني Hاختصارا لكلمة High ويقصد بها الارتفاع من أول القاعدة حتى اسفل التاج اما القطر فيرمز اليه بالحرف dاختصارا لكلمةDiameter

الأعمدة عند الاغريق

الشعب الاعريقي كان يتكون قديما من عدة شعوب من بينهم « الدوريون » الذين سكنوا شبه الجزيرة اليونانية و « الأيونيون » وهم الذين سكنوا جزر بحر ايجة وسواحل آسيا الصغرى ، وكانت بلاد اليونان مقسمة الى ولايات صغيرة ومدن دول ، من بينها اسبرطة وأثينا والمنصورة ومقدونيا وطروادة وغير ذلك .

ويعتقد الاغريق أنهم أبناء « هيلين » الأب الذي أبحر بسفينته الى حيث موطن الاله « أبوللو » وكان له ثلاثة أولاد هم« أبو الدوريين » و « أبو الأيونيين » و « أبو اليوليين » وهي أسطورة تشبه قصة سيدنا نوح عليه السلام وأولاده سام وحام ويافث .

وقد وصل الاغريق الى مرحلة متقدمة في الفنون والثقافة ، وكانت الفنون عندهم منذ القرن الخامس تنبع من آراء الفلاسفة الذين بحثوا عن ماهية الفن وأهدافه من الناحية الفلسفية ، وقد جاءت الفنون

شديدة الاهتمام بالفرد دون العقيدة . ملامحه . عضلاته انفعالاته . « فن كلاسيكي » مماثل للطبيعة على نحو مثالي ، وهو أمر افتقدناه في فلسفة الفنون الشرق أوسطية القديمة ومن بين الفنون الاغريقية القديمة كانت العمارة ، فقد بنوا الدور والمعابد وغير ذلك ، وكان البناءون الاغريق يستخدمون الأعمدة في عمائرهم بأي شكل وأي مقاس في أول الأمر ، الا أنهم ومع مرور الزمن ، بدأوا في تثبيت نسب الأعمدة وأطوال أبدانها وأقطارها ، واستقر الأمر لديهم عند ثلاثة أنواع من الأعمدة اختلفت فيما بينها في الارتفاع وزخرفة التاج ، وأصبح كل نوع يمثل طرازا مستقلا . واستمروا في استخدام هذه الأنواع الثلاثة في عمائرهم طوال العصور القديمة في بلادهم ، وفي المناطق التي انتقلوا اليها وخاصة في ركاب الاسكندر الأكبر . وهي

١ ـ العمود الدوري

وهو أقدم طرز الأعمدة اليونانية ، وهو ينتسب الى القبائل الدورية ، وهو عمود بسيط رائع في مظهره ، ليس له قاعدة في الغالب ، حيث كان يرتكز على الأرض مباشرة ، ويضيق قطر بدنه في اتجاه القمة ، وكان بدنه مزخرفا بقنوات محفورة رأسيا ، وقد يكون بسبب تأثير من العمود الفرعوني ذي القنوات ، ولهذا العمود تاج بسيط . وأبرز استخدام لهذا العمود كان في معبد « البارثينون » الذي شيد فوق تلال (الأكروبول) للالهة « أثينا » فيما بين عامي « ٤٥٧/٤٧٠ » ق . م وعمارته ذات طراز دوري نسبة الى الأعمدة الدورية التي ارتفع سقفه عليها ، وقد صممه المهندسان « اكتينوس ، و كاليكراتيس » تحت اشراف المهندس الشهير « فيدياس » في عهد « بركليس » فترة زعامة أثينا على المدن الاغريقية» ويبلغ ارتفاع العمود فيه ١٠,٤٣ مترا . وقد انتشر هذا العمود الدوري في أجزاء أخرى كثيرة من العالم القديم وفي الكويت تم العثور على أمثلة منه في جزيرة فيلكا « التقرير الشامل لادارة الآثار والمتاحف عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا »

وقد وجد هذا العمود وراء هيكل المعبد الأول ، وعلى أحد الجدران ، وفي آثار المعبد الثاني .

٢ ـ العمود الأيوني

وقد ظهر هذا العمود لأول مرة في « أتيكا وأيونيا وتراقيا » على يد « الأيونيين » ، وقد كان له قاعدة وبدن رقيقان ، وتاج جميل ، مصمون زخرفته زخرو[illegible] حلزوني تتم رؤيته بنفس الشكل من الجانبين . و[illegible] وجد ممثلا أحسن تمثيل في معبد « الأرنختيون » وهو أيضا مشيد فوق تلال (الأكروبول) خلال السنوات ٤٠٦/٤١٢ ق م وكذلك المعبد اليوناني الذي أقيم فوق جزيرة فيلكا بالكويت ، حيث تم العثور على بعض أجزاء الأعمدة والتيجان الأيونية في المعبد القديم الذي بنيت جدرانه بأحجار مربعة يظهر الأسلوب المحلي في بنائها بسبب وضع الطين بين الحجارة الجيرية الملساء والمرجانية التركيب

٣ ـ العمود الكورنثي

وينتسب هذا العمود الى ابتكار مهندس معماري كان يعيش في مدينة كورينث وان كان يماثل العمود الأيوني الا انه يختلف في شكل التاج ، حيث أن زخارف التاج الكورنثي تتكون من أوراق « الأكنش » ثماني أوراق في كل صف ، وتتبادل الأوراق مع أوراق الصف الذي يعلوها ، ويجد هذا العمود دائما في المباني التذكارية اليونانية القديمة ، مثل نصب « ليزيكرات » في أثينا ، الذي أقيم بين عامي ٣٣٤/٣٣٥ ق م الا أنه ـ هذا العمود ـ لم يستخدم بكثرة في المعابد الاغريقية

الأعمدة عند الرومان

سكنت شبه جزيرة ايطاليا في العهود القديمة قبائل كثيرة أهمها قبائل « الاتروريون » الذين هاجروا في الأصل من ليديا بآسيا الصغرى واستقروا في الشمال « توسكانيا حاليا » أما في الجنوب فقد كان الاغريق يسكنون العديد من المستعمرات على السواحل ، وكل هذه العناصر اختلطت مع الشعوب الايطالية الأصلية وبخاصة « اللاتين » وكان نتيجة هذا الاختلاط ظهور الشعب الروماني

وقد بسط الأتروريون نفوذهم على كل ايطاليا خلال القرن السادس بما في ذلك مدينة روما التي انشئت عام ٧٥٣ ق . م الا أن أهل المدينة من الرومان طردوا هؤلاء الغزاة وأقاموا حكما جمهوريا مستقلا وارستقراطيا تحت حكم الأشراف ومجلس الشيوخ « العصر الجمهوري » واستمر النزاع

والصراع حتى سيطر الرومان على ايطاليا كلها ، واندمج الدوريون كلية في الحضارة الرومانية ، وامتدت سيطرة الرومان على حوض البحر الأبيض المتوسط عقب انتصارهم على القرطاجيين والاعريق والمصريين ، وتأسست الامبراطورية في عهد أغسطس « اكتافيوس » بعد مصرع يوليوس قيصر وانتهاء الصراع على السلطة ، وبالتالي ورث الرومان كل الحضارات السابقة ، ومن بينها حضارة الاعريق بطبيعة الحال ، وفي موصوعنا كانت الأعمدة اليونانية جزءا حضاريا معماريا من كل ما شمله ذلك الارث الصحم وكانت تلك الأعمدة تحت سمع وبصر الرومان في كل مكان ذهبوا اليه ، ولذلك فقد استفاد المعماري الروماني منها بشكل كبير

قام الرومان بتطوير الأعمدة اليونانية وخاصة في نسبها وأطوالها وزخرفة تيجانها ، وزادوا عليها نوعين جديدين ، فصارت أنواع الأعمدة الرومانية خمسة ، منها ثلاثة يونانية ولكن بنسب وأطوال جديدة ، هي « الدورى ـ الأيوني ـ الكورنثي » ، واثنان من ابتكار روماني هي . « التوسكاني ـ المركب » وقد أضاف الرومان كرسيا يحمل العمود بكل أجزائه

١ ـ العمود التوسكاني

وقد تطور انطلاقا من العمود الأترووري ، وهو عمود كان يستخدم بكثرة خلال الحضارة الأتروورية في ايطاليا قبل العصر الجمهوري ، وكان ذلك معاصرا لبداية الاعريق ، واستمر ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويتميز ذلك العمود ببدن أملس ، ويرتكز فوق قاعدة ، ويحمل فوق رأسه تاجا مثل تاج العمود الدوري عند الاغريق ، ولكنه اختلف في النسب .

٢ ـ العمود المركب

وقد استخدم هذا العمود بكثرة خلال العصر الروماني وقد سمى مركبا لأن زخارف تاجه تتكون من زخارف التاج الأيوني والتاج الكورنثى مجتمعة في تاج واحد

وفي العمارة الاسلامية

وورث المسلمون حضارات المنطقة . ومن بينها الفنون التي تطورت في جميع الميادين ومن بينها الفن المعماري وكانت الأعمدة من بين ما ورثه المعمار المسلم .. حيث استمرت لفترة .. تمثل الحامل الرئيسى لثقل أسقف بعض العمائر . وقد شكلت الأعمدة اليونانية والرومانية عنصرا أساسيا في مجال العمارة الاسلامية الاولى وخاصة خلال العصر الأموى الا أنه مع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم ذات تيجان اسلامية ناقوسية « كأسية أو رمانية » وذلك موضوع آخر الا أنه ومع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم .

نسب الاطوال والاقطار للأعمدة اليونانية والرومانية

أ ـ الأعمدة اليونانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٤ ـ ٥ مرات قطر البدن
الايوني	٩ مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠ مرات قطر البدن

قطر القاعدة = مرتين قطر البدن في كل الأحوال

ب ـ الأعمدة الرومانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٨ مرات قطر البدن
الأيوني	٩ مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠ مرات قطر البدن
التوسكاني	٧ مرات قطر البدن
المركب	١٠ مرات قطر البدن

* قطر القاعدة = مرتين قطر البدن في كل الأحوال
* الاحتلاف بين الكورنثى والمركب في شكل التاج
* طهر كرسي العمود وارتفاعه = $\frac{1}{2}$ ارتفاع العمود

ملحوظة شكل التاج في كل نوع واحد بين الاغريقي والرومانى . □





البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (كلّا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إنّ الى ربك الرجعى) « العلق ٦ ـ ٨ »

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبوجهل فقال : « ألم أنهك عن هذا ؟ فرد النبي عليه زاجرا اياه ، فقالّ أبوجهل . والله انك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني ، ثم مضى يفخر بنفوذه وغناه ، فأنزل الله هذه الآيات .

فهنا اذن حديث عن اغترار الانسان بثرائه المادي ، وقُوَّته البشرية ، اغترارا أنساه ربه ، وأنساه الحدود التي تفرضها عليه آدميته ، فقد كان تجار مكة في الجاهلية شديدي الاغترار والافتخار بانجازاتهم ، وبصيت قريش بين قبائل العرب وبما تتمتع به مدينتهم من مركز خاص في شبه الجزيرة ، وقد أدى هذا الغرور منهم الى تعاظم الميل لديهم الى الاستخفاف بسلطان الله عليهم ، والاطمئنان المطلق الى ما سيأتي به الغد ، وانكار ضعف الانسان ازاء القوى غير المتناهية التي تحكم حياته ومصيره .

وقد كان الجاهليون القرشيون في هذا أشبه مايكونون ببعض أهل زماننا هذا ، خصوصا في الغرب ، ممن يميلون الى المبالغة في تقدير قدرات الانسان على تكييف حياته ، وعلى التحكم في الطبيعة حوله وفقما يحلو له ، وهو شيءٌ يعزز من اعتقادنا ان الاسلام في هذا المجال ، كما في غيره ، بوسعه تقديم الحلول من أجل هداية البشر ـ في الشرق والغرب جميعا ـ الى سواء السبيل .

قد نرى من الغربيين من يعيب على الاسلام إغفاله وإنكاره لحرية الارادة الانسانية ، والحقيقة أن الاسلام لم يغفلها أو ينكرها ، ولا كان المسلمون الأوائل ينكرون دور الفكر والجهد البشريين ومسئولية الانسان عن عمله ، غير أن الاسلام علمهم في نفس الوقت ، إنه مهما كانت انجازات الانسان بفضل تخطيطه وعمله الجاد ، فعليه أن يدرك دائما أن هناك من القوى في هذا الكون ، ما بوسعها إحباط خطط المخططين ، وتدبير السياسيين ، وعمل العاملين .

قد أوضح الاسلام إذن أن ثمة أحداثا وتطورات

لايمكن للانسان دفعها مهما بلغت قدرته وقوته ، وأنه من صالحه ومن الأوفق له أن يعترف بأن لهذه القوة حدودا ، وأن يقمع الميل الى المبالغة فى تصويرها ، فالمبالغة فى الايمان بها تؤدى دائما الى مشاعر الاحباط والقلق ، وهى مشاعر يمكن تجنبها متى تعلمنا أن نتقبل الحتمية فى أمور لاارادة لنا فى الحياة البشرية ، بما فى ذلك حتمية الموت ، وقد عبر كثير من الغربيين عن إعجابهم وعجبهم ازاء ما لمسوه من اتقياء المسلمين ، من وقار واتزان فى مواجهتهم للمحن والشدائد ، وإزاء جهلهم بمشاعر القلق التى تفتك بالملاحدة وضعاف الايمان عندهم : فالمسلم المؤمن فى حياته أشبه براكب الطائرة ، متى أقلعت لم يعد بوسعه غير أن يسلم أمر وصوله سالما الى قائدها .

وقد كان السبب الرئيسى فى اغترار الانسان فى الغرب بقدراته وقوته ما أحرزه من انجازات رائعة فى مجال العلوم ، خصوصا منذ بداية القرن التاسع عشر ، فى حين كان المفروض أن تؤدي هذه الانجازات ذاتها وهذا التقدم الى نمو إدراكه لحدود قدراته ، وإدراكه لخضوع الحياة البشرية لسلطان القوانين الكونية .

لقد أوضحت الاكتشافات فى علوم الطبيعة والكيمياء فى القرن التاسع عشر أن جسم الانسان خاضع لتأثير القوانين المادية ، وبقى اعتقاد الانسان قائما ان روحه مستقلة الى حد كبير عن تأثير هذه القوانين ، ثم اذا بالتقدم اللاحق فى علمى النفس والاجتماع ، يؤكد خضوع كافة جوانب الحياة الداخلية فى الانسان لتأثير قوانين الطبيعة وقانون السببية ، وبذا يكون العلم الحديث قد أثبت تحكم القوانين البيولوجية والكيميائية والنفسية والاجتماعية فى تكوينه الجسمانى والروحى ، وكافة أوجه حياته ومظاهر نشاطه على سواء ، وأثبت أن الحياة البشرية تحددها قوى تعمل وفق قوانين خارجة عن إرادته ، ورغم أن الفلاسفة الغربيين قد أدركوا شيئا من هذا القبيل ، فان هذا الادراك منهم لم يؤثر الا قليلا فى مفهوم الانسان الغربى بوجه عام عن الحياة .

وفى هذا المجال يقدم الاسلام احدى القيم الخالدة باصراره على وجود درجة كبيرة من الحتمية فى الأحداث ، وعجز الانسان عن التأثير والتحكم فى هذه الحتمية ، فإن كانت الغالبية فى العالم العربى عاجزة عن هضم هذه الحقيقة ، فقد كان الجاهليون من أهل مكة فى مثل عجزهم ، وهو عجز - فى الحالتين - ناجم عن اعتزاز بالنجاح واغترار بالانجازات ، وبالثروة التي حققتها هذه الانجازات ، وقد أسمى القرآن هذا فى الآيات التى تتحدث عنها بالطغيان ، ونسب الى هذا الطغيان نسيان الانسان أن الى ربه الرجعى ، فعند الرجعى تكون محاسبة الانسان عن المفهوم الذى كونه عن الحياة على هدى تجاربه وتفكيره ، ومفهومه عن نفسه وحدود قدراته ، وعما اذا كان هذا المفهوم قد أسهم فى ادراكه لقوة الخالق وقوانينه وسننه ، أم أنه وقف حجر عثرة فى سبيل هذا الفهم والادراك .

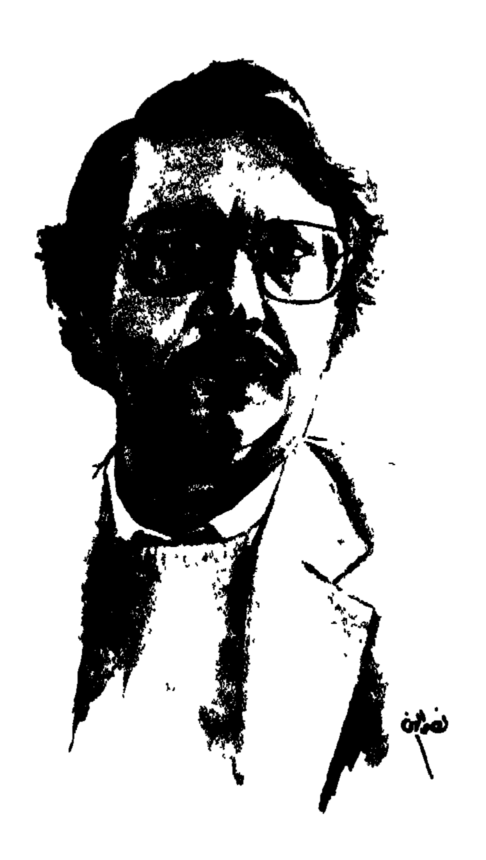
وقد حدثتنا سورة العلق عن الله تعالى ! « علّم الانسان مالم يعلم » . وأغلب ظنى أن المقصود هنا هو أنه جل جلاله علّمه أن هنالك الى جانب وجوده الانسانى المحدود الفانى ، وجودا لانهائيا سرمديا ، ثم مضت تحدثنا عن كيف أن أبا جهل (أو انسانا مثله) لم يكتف بأن كذب وتولى ، بل بلغ به الصلف أن نهى الرسول ﷺ عن الصلاة ، وعن عبادة ربه والخشوع ازاء وجوده غير النهائى ، أو قل انه بلغت به حدة الفراسة أن أدرك أن مثل هذا الموقف الجديد من النبى ، من شأنه أن يشكل إدانة دامغة لنظرته ونظرة قومه الى الحياة ، لابد أن تسفر عن عواقب وخيمة فى المستقبل ، لذا فقد هدده بأن يدعو « ناديه » حتى يجبره على العودة الى تبنى مفاهيم قومه وقيمهم ، غير أنه هيهات لمن تفتحت عيناه على الحق أن يعود الى قيم مجتمعه القديمة الخاطئة ، فاذا بالوحى ، وقد جاء النبى كى يثبت فؤاده ، ويقوى من عزمه ، على التحدى والمقاومة ، يلقى فى روعه بهذه الكلمات الكريمة فى ختام السورة :

(كلا لاتطعه واسجد واقترب) □



خفيف جداً ، منعش جداً
ورائع جداً للضيوف
شاي الصين الأخضر
اليونغ هيسون
دائم الاخضرار
قدم لضيوفك شاي مميز منعش ، شاي أخضر دائم الخضرة
من الصين ، سوف يستمتعون بطعمه الخفيف البارد ، وعبيره المنتقى بعناية
فائقة وبنكهته التي لن تنساها أبدا
خبراء الشاي معجبون بطريقته في إطفاء العطش
والمساعدة في عملية الهضم وفي تقوية معنوياتك ولايتركك
حتى تشعر بالارتياح التام
الصين من أقدم البلاد وأكثرها خبرة في زراعة
الشاي في العالم والآن الشاي الأخضر القادم من هناك
تحت اسم شاي دائم الخضرة . قدمه لضيوفك بدون حليب
أو سكر حتى يستمتعوا بالبقاء . فهو منعش بطبيعته
للمناسبات السعيدة والاحتفالات والولائم . الشاي
الأخضر من الصين هو أفضل شراب يمكنك تقديمه
دائم الخضرة
شاي أخضر من الصين
شمعي
٥٠٠ غ
يونغ هيسون
١٠٠٠ غ
يونغ هيسون
٣٠٠ غ (علبة)
الشمعي الخصوصي
١٥٠ غ (علبة)

وجهاً لوجه





عبد الرحمن منيف و جليل العطية

* لم يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية !

* لماذا يضم الوطن العربى أغنى البلدان وأفقرها أيضا ؟

* ما هو دور الوافدين العرب فى الجزيرة والخليج ؟

* لقد همشت الثروة النفطية العنصر البشرى ، وجعلت المرأة احدى مقتنيات الزينة .

* « مدن الملح » تأريخ فنى للمجتمعات النفطية .

عبد الرحمن منيف روائي عربي همه الانسان وحريته وغده . . بدءا من روايته الأولى الأشجار واغتيال مرزوق ، وانتهاءً بثلاثية « مدن الملح » ظلت هواجس هذا الروائي هي هي ! منيف رجل قانون واقتصاد وخبير نفط ، انصرف للرواية ليقدم لنا رؤيته الشخصية ، وتجربته المريرة بشيء كثير من الحدة الجارحة والصراحة المخيفة . وبمناسبة صدور « الأخدود » - الجزء الثاني من ثلاثية « مدن الملح » أجرى الكاتب العراقي جليل العطية ، الذي يعمل باحثا متفرغا في معهد البحث وتاريخ النصوص في باريس ويعد اطروحة دكتوراة تتناول تطور الصحافة السياسية في العراق بين الحربين العالميتين في جامعة السوربون الثالثة ، حوارا مع عبد الرحمن منيف ، تم في احدى مقاهي الحي اللاتيني بباريس ، تناول فيه هذه الرواية ، من حيث أبعادها الفكرية والاجتماعية واللغوية وشخوصها . . وفيما يلي نص الحوار .

التشاؤم ومدن الملح

*** مدن الملح رواية أحداث وأماكن ، وفيها اصرار على اعتبار النفط لعنةخطيرة ، وفي « الأخدود » رأينا أن الأموال قد أفسدت كل أبناء « موران » أو معظمهم . . ألا ترى أن هذه النظرة كثيرة التشاؤم ، وأن لثروات النفط ايجابياتها أيضا ؟**

- النفط بحد ذاته مادة محايدة ، كأية مادة في الطبيعة ، وتتحدد نتائجه بطريقة استعماله ، وربما هو من أكثر المواد من حيث تنوع الاستعمالات والآفاق ، ولذلك يجب أن يستثمر بشكل عقلاني ، وضمن رؤية واضحة ومخططة ، وان لا يبدد باسراف أو بسرعة .

ثم ان النفط مادةناضبة ، لا تتجدد في الطبيعة ولا تستعاد ، وهو حينما ينتهي ينتهي الى الأبد ، على العكس من المياه والأشجار ومواد أخرى يمكن تجديدها وتكرارها ، وهو بهذا المعنى فرصة أو ضربة حظ لمن يملكه ، فإذا لم نستفد منه الى أقصى حد ، ضاعت الفرصة دون عودة ، والنفط فرصة لعدد من البلدان لكي تتخفف من آثار التخلف وتلتحق بالعصر ، ولكي توفر لنفسها ولأجيالها القادمة بشكل خاص ، امكانية العيش والاستمرار ، فاذا انتهت هذه الامكانية لن تستطيع هذه البلدان أن تواجه المستقبل وصعوباته ، لأنها في الغالب تفتقر الى المواد الأخرى على العكس من بعض البلدان التي تمتلك الى جانب النفط المياه . والزراعة، والصناعة ، والتقنية . . الخ .

لهذه الأسباب كان يفترض أن يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية ، وأن يستفيدوا منه بحرص وبوعي ، لكن ما حصل هو العكس ، فهذه الصناعة لم توطن ، أي لم تتحول الى جزء من كيان صناعي ، وظلت معزولة ، ومحكومة بعوامل خارجية ، فحجم الانتاج - مثلاً - لم يتحدد على ضوء حاجة الدول المنتجة ، بل على ضوء حاجة الأسواق الخارجية بالدرجة الأولى ، ولذلك بدد جزء كبير من النفط العربي بأسعار رخيصة ، وظلت هذه الصناعة معزولة مثل - جزيرة - فلم تتفاعل ولم تتشعب ، ولم تصبح نواة لصناعات أخرى .

هذا كله في جانب ، وفي الجانب الآخر تحول النفط الى مجرد عائدات مالية ، وفي فترة لاحقة أصبحت العائدات كبيرة، وقد جاءت بسرعة ودون جهد ، فغيرت معالم الحياة وطبيعتها ، وغيرت بالتا

بطرة الكثيرين الى العمل والى الثروة
بكلمات أخرى ان التراكم الذى يحصل فى مجتمعات أخرى ، يكون نتيجة العمل ورأس المال ، ولذلك يكتسب كل منهما معنى ، ويحلو كل منهما بطره وسلوكا ينعكسان على المجتمع كله ، أما فيما يخصنا فقد طل النفط والعائدات يفتقران الى هذا المعنى ، وبالتالى طلا يفتقران الى الطره والسلوك النابع منهما ، ولهذا تم التعامل مع العائدات بطريقة تخلو ـ اغلب الأحيان ـ من الشعور بالمسؤوليه

ان بلدانا مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج والاتحاد السوفياتى ، تعد من البلدان المهمه فى انتاج النفط ، ولكن كلا منها جعل النفط جزءا من بنية اقتصاده وصناعيه موحدة ومتكامله ، فلا تنتج اى منها الا مايعتبره ملائما له ، ولا تعتمد على هذا المصدر الا لزياده قوته الاقتصادية والصناعية ، كما أن اهتمام أى من هذه البلدان لا يقتصر على هذه الصناعة ، وانما يتعداها الى الصناعات الأخرى والى الزراعه ايضا

*** السؤال يكثر من البساطة ماذا اذا ما انتهى النفط ؟ ماذا أعددنا من أجل المستقبل ؟ ومن أجل الأجيال القادمة ؟ وأكثر من ذلك كيف يمكن أن يكون بين البلدان العربية بالذات ، وفى الحقبة النفطية ، بل فى أحرج أوقات هذه الحقبة ، كيف يكون فيها أغنى البلدان وأفقرها فى العالم ، حسب احصاءات الأمم المتحدة ؟**

المعالجة الروائية

ـ فى « التيه » ثم فى « الاخدود » حاولت ان عالج ـ روائيا ـ هذه الظاهره ، أما أن أكون مستائيا فى الرواية ، فلا يعنى انى كذلك بالمطلق كل ما اردت قوله ، ولفت النظر اليه « ان الفرصة تضيع من أيدينا بسرعه ، ولذلك يجب أن نفعل شيئا وقبل فوات الأوان ، لأن الندم بعد ذلك لن يفيدنا ، والنصيحه لن تجدى »

وكلمه أخيره فى الاجابه عن هذا السؤال ان الموضوع الذى ناقشه هنا هو روايه ، وليس بحثا اقتصاديا أو سياسيا ، وأنت تعرف أن الرواية تعرض لجوانب متعددة ومختلفه من الحياة ، وتعرض بشرا ومشاكل ، دون أن تتحدث عن الحلول ، لأن من جملة هموم الروائى أن يثير الأسئلة ، ويخلق القلق ، أكثر مما يجيب عن الأسئلة ، أو يولد الطمأنينة الكاذبه

« وموران » التى تحدثت عنها فى الروايه ، كانت دائما رحيمة مع أبنائها ، وكانت تعرف كيف تتوازن مع الطبيعه ، وكيف تتعامل معها شرط أن يعرف البشر قوانين الطبيعة وأن يحترموها

الوافدون العرب

*** الحكيم وزوجته يمثلان الوافدين العرب وقد لعبا دورا قذرا في بنية السلطة وتفسخ أبنائها ، ألا تعتقد أن في هذا « الدور » الكثير من المعالجة ، فقد عرفنا أن الوافدين العرب لعبوا دورا حيدا فى توعية أبناء المنطقة ، من خلال البعثات التعليمية وغيرها ، وبالتالى فان « الحكيم » نموذج يكاد يكون استثنائيا فى السقوط والانتهازية والتفاهة الفكرية ألا ترى ذلك ؟**

ـ فى « التيه » الجزء الأول من مدن الملح ، تطرقت الى عدد من الذين وفدوا الى « حران » ولفت النظر الى أن الكثيرين جاءوا بهدف العمل الشريف والرزق الحلال ، وقد لعبوا أدوارا ايجابية فى بناء المدينة وخدمتها عدو محمد ، فران « حران » مثلا أطعم المدينة طوال سنوات من مخبزه وكذلك صاحب المقهى واللحام كانا جزءا عضويا من المدينة الجديدة واكوب السائق الارمنى عندما مات فى « حران » هبت المدينه كلها تشيعه ، بل اعطته اسمها أيضا ، وأصبح اسمه « يعقوب الحراني » وكذلك الحال لراجحى السائق الاخر ، اضافة الى معلمى المدرسه ، وعدد لا يحصى من العمال والناس المجهولين الذين لا اسماء لهم بمعنى أدق

حاولت أن أبرز المشكلة من كل وجوهها ، وان الفت النظر الى تنوع الناس واختلافهم ، بحيث

لم تنق الا فترة قصيرة للنفط ، ولذلك لا بد أن تقدم شهادة فى الوقت المناسب ، ليس المهم لمن المهم أن تقدم والعاقل من اتعظ !

*** استعمالك لهجة معينة وفولكلورها وأمثالها يثير مشكلة اللغة الا ترى أنه يمكن كتابة الرواية بلغة فصحى صافية ، فيما عدا بعض الأمثال الضرورية ؟**

وفى الرواية لهجة أخرى من منطقة مختلفة ، الا ترى أن الفصحى تبقى القاسم المشترك لجميع العرب ، وأنها يمكن أن تؤدى الغرض المطلوب ، حتى على لسان بسطاء الناس ؟

وتجربة نجيب محفوظ معروفة فى هذا الميدان فما رأيك ؟

ـ هذه هى الرواية الأولى التى الجأ فيها الى استعمال لهجة خاصة ، وهذه اللهجة فى الحوار ليست الفصحى أو العامية ، انها مزيج مركب تقريبا ، بحيث يمكن أن تفهم وأن تؤدى الغرض

فى رواياتى السابقة استعملت اللهجة الثالثة فى الحوار اذا صح التعبير ، اذ كان الذين يتحدثون يلجأون الى لغة معرّبة مع مراعاة القواعد .

فى هذه الرواية « تجرأت » فاستعملت لغة فى الحوار فيها مراعاة القواعد الصميمية ، لكن دون الحرص على الحركات ، أو بمعنى أكثر وضوحاً أقول ان اللغة المستعملة فى هذه الرواية هى فصحى مختارة ، وهى أقرب الى لغة البداوة ، دون حركات ودون تشكيل ، لكن لها جذراً يمكن معرفته ببعض الامعان .

لقد اضطررت لاستعمال هذه الطريقة فى الحوار ، لانها وحدها القادرة على التعبير عن الشخص أو الحالة بشكل دقيق وأمين ، وهى فضلا عن ذلك أكثر اقناعاً .

أنا لست من أنصار العامية ، ولكني مع لغة غير مقعرة ، لغة أقرب الى البساطة والامكان ويمكن أن تفهم وأن تؤدي غرضاً ، اللغة العربية ـ بوصفها الحالي ـ بحاجة الى جهد مستمر من أجل احيائها واغنائها ، ومن أجل أن تكون لغة استعمال يومية .

اننا فى الوقت الحاضر نفكر بلغة ، ونتكلم بأخرى ، ونكتب بثالثة ، ولذلك نجد ان الكثير من الروايات وكأنها مترجمة !

قد لا يحس الكثيرون بهذا الهم ، لكن وضع الروائيين والمسرحيين مختلف ، فهم بحاجة ماسة لأن يخلقوا كائنات حقيقية ، كائنات من لحم ودم ، تتكلم بالطريقة الحقيقية المقنعة ، وتكون هى نفسها دون أقنعة المثقفين وحذلقاتهم .

من هنا تقضى الضرورة بالتوصل الى لغة ماسة لحوار الرواية والمسرح ، اللغة الفصحى السائدة ليست هى اللغة الماسة ، وكذلك العامية المعرقة فى عاميتها ليست هى الأحرى طريقة التعبير الأدق والأشمل ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة للوصول الى لغة جديدة اذا صحَّ التعبير

لهجة البداوة ، بشكلها المحسّن ، يمكن أن تكون لغة مناسبة ، وخاصة فى الحوار ، فهى أقرب الى الفصحى ، وتخلو من القلقلات والجمود ، وأقرب الى التواصل .

والأمر لا يخلو من صعوبة وارهاق ، كما أنه ليس نتيجة فعل شخص واحد ، أو لفترة زمنية محدودة ، انه نتيجة عمل دؤوب وتراكم وتحسين مستمر ، وتقارب وجرأة .

ان ما شجعنى على استعمال هذه اللهجة هو الموضوعُ الذى يعالج البيئة التى تجرى فيها الأحداث ، والمناخ العام لهذه اللهجة ، وخاصة بعد أن تبينت لنا امكانية جذور هذه اللهجة ، والتواصل معها بجهد معقول .

أما تجربة نجيب محفوظ فى اللغة ، ورغم أهميتها ، فانها لا تكفى ، لأنها أولا وأخيرا اللغة الفصحى مع تعديلات قليلة يقتضيها الحال ، ويبدو أن نجيب محفوظ ليس لديه الهم اللغوى الموجود لدى الآخرين

أقول بايجاز : لا أتصور أن اللهجة العامية أياً كانت هذه اللهجة ، يمكن أن تحل المشكلة ، ولا أتصور بالمقابل أن الفصحى الراهنة كافية لحل المشكلة ، ولذلك فان البحث سيتواصل ، ولكن من أجل رواية عربية بالمعنى الحقيقى ، يمكن أن تُقرأ فى المغرب والخليج العربى معا . . وهذا هو التحدى □



الضوضاء مرض العصر

بقلم : الدكتور فاضل حسن أحمد

الضوضاء مرض هذا العصر . إنها مشكلة تواجه كل المجتمعات الحديثة الآخذة بأسباب التقدم . وهى فى الوقت نفسه آفة فى يدنا وحدنا أن نخلص أنفسنا منها ونحمى أعصابنا من الآثار السيئة التى تسببها لنا كيف نتخلص من الضوضاء أو كيف نخفف من تأثيرها علينا وعلى آذاننا التى يتهددها الصمم ؟

منذ عشرات السنين كانت الضوضاء محددة بالمواقع الصناعية ، أما الآن فأصبحت مشكلة كبيرة فى مناطق أخرى كالشوارع والطرق ، وحتى فى المناطق السكنية ومناطق التسلية ، بسبب ازدياد عدد الناقلات وعربات السكك والطائرات والمصانع ووسائل التكييف والسمع وغيرها . وقد وصل عدد الأشخاص الذين فقدوا السمع بشكل كامل بسبب الضوضاء فى الدول المتقدمة ٨ بالمائة لذلك صرفت مبالغ كبيرة للتقليل من تأثير الضوضاء ، وصدرت تشريعات خاصة بالضوضاء

يقول الاحصائيون ان فقدان السمع يزداد كلما ازدادت مستويات الضوضاء ، وزيادة العمران ، وأن الرجال أكثر تأثرا بالضوضاء من النساء ، وأن العوامل المؤثرة على فقدان السمع هى : « مستوى الضوضاء ، نوع الضوضاء ومدى تردده ، وفترة التعرض للضوضاء فى اليوم الواحد ».

ولو أن السمع هو التأثير الفسلجي المهم بالنسبة للضوضاء الا ان هناك تأثيرات أخرى وهي . فعالية العضلات الارادية وغير الارادية مثل رمش العين ، الشد العضلي ، التقلص في القصبات الهوائية ، التغير في معدل ضربات القلب ، وافرازات عصارة المعدة واللعاب ، تغير مستويات مركبات الدم والهرمونات وغيرها وبالاضافة الى التأثيرات الفسلجية هناك التأثيرات النفسية ، التي تختلف من شخص لآخر ، والتي تؤدي الى أمراض عصبية كالتوتر العصبي والصداع .

ان الحجب السمعي للصوت الممكن سماعه بسبب صوت آخر هو نوع من الضوضاء ، ويعتبر تداخل الكلام كالضوضاء الناتجة عن التكلم الجماعي ، وأصوات منبهات المركبات وغيرها . وتؤدي الضوضاء الى اضطراب في النوم أو النوم الخفيف ، وهو أقل فائدة من النوم العميق ، لذلك يفضل أن يكون مستوى الضوضاء أقل من ٣٥ ديسبل (الديسبل وحدة قياس الضوضاء) في غرفة النوم .

ان اضطرابات النوم تؤثر على الصحة البدنية والعقلية . وللضوضاء تأثير على كفاءة العمل ، حيث يقلل من كفاءة الأداء الشخصي ونوعية العمل ، وبالتالي التأثير على المردود الاقتصادي ، وخاصة للاشخاص العاملين داخل المصانع .

ضوضاء المصانع

تتغير الضوضاء بشكل كبير تبعا لنوعية المصنع . ورمن التعرض للضوضاء له تأثير كبير في حالة ضوضاء المصانع ، حيث ان العاملين داخل المصنع يتعرضون خلال فترة العمل التي تصل إلى ثماني ساعات يوميا الى نفس النوع من الضوضاء ، وهذا قد يؤدي الى فقدان السمع بشكل خطير ، عند عدم أخذ الاحتياطات اللازمة للتقليل من تأثير الضوضاء

ان تأثير الضوضاء يختلف حسب مصدره ، والمصادر تصنف الى ضوضاء التصادم ، كمكابس التخريم ، ومطارق السبك ، وضوضاء الميكانيكا كالمشغلات الميكانيكية ونقل الأجزاء المعدنية ، وضوضاء جريان الهواء والسوائل كالمراوح والمضخات والخطوط الهوائية ، وضوضاء الاحتراق كالأفران ، والضوضاء الكهرومغناطيسية كالمحركات .

وطرق السيطرة على الضوضاء تعتمد على مصادرها كالتقليل من الاهتزازات باستخدام أسس مخمدة ، وعزل المكائن بسطوح مانعة لنقل الصوت . وتغليف حاويات الهواء والسوائل المتحركة بمواد عازلة ، وعزل منشآت مصادر الضوضاء عن منشآت العمل قدر الامكان ، كمنشآت الطاقة في المصنع

وقد وجد أن حماية العامل ضد الضوضاء أقل كلفة من حماية مصدر الضوضاء ، وهي أساسا حماية الأذن بوضع كاتمات صوت أو سدادات للتخفيف « EAR Plugs » من تأثير الصوت ، وعموما تعتبر الكاتمات أفضل من السدادات عند استعمالها بشكل مناسب ، ولكنها غير مريحة الاستعمال .

ان الضوضاء الصناعي له تأثير مزعج على المناطق السكنية القريبة من المصانع وهناك مسافات مسموح بها بين المصانع والمناطق القريبة منها لمنع تأثير الضوضاء على القاطنين في هذه المناطق ، وتعتمد هذه المسافة على نوعية المصنع ، فمثلا المسافة في حالة مصانع مكائن الاحتراق تبلغ ٢٢٠٠ متر ، في حين تبلغ المسافة ٢٠٠ متر في حالة مصنع التعليب .

ان عدد ناقلات الطرق في تزايد مستمر ، مما يؤدي الى زيادة في التأثيرات السلبية للضوضاء . وتنبعث الضوضاء من المكنة ، والعادم ، والأدوات المساعدة ، والعجلات وحركة الهواء . ان مصادر الضوضاء تعتمد على نوعية الناقلة ، واستخداماتها وطريقة التشغيل . وتعتبر الشاحنات أكثر الناقلات تأثيرا بالنسبة للضوضاء ، حيث ان شاحنة واحدة لها تأثير مايقرب من خمس ناقلات .

لذلك فان التقليل من ضوضاء الشاحنات أكثر أهمية من تقليل ضوضاء الناقلات الأخرى وكلما انخفضت سرعة الشاحنة ازدادت ضوضاؤها ، وأصبح استخدام كاتم صوت وعادم ملائم لكل شاحنة ضروريا . وحاليا يوجد عدد كبير من الشاحنات ذات عوادم غير ملائمة . وعند السيطرة على ضوضاء العادم فان ضوضاء المروحة تصبح مسيطرة في السرعة المنخفضة . وعندما تزداد سرعة الشاحنة عن ٥٠ ميلا بالساعة ، فان ضوضاء العجلات تسيطر على ضوضاء المصادر الأخرى ،

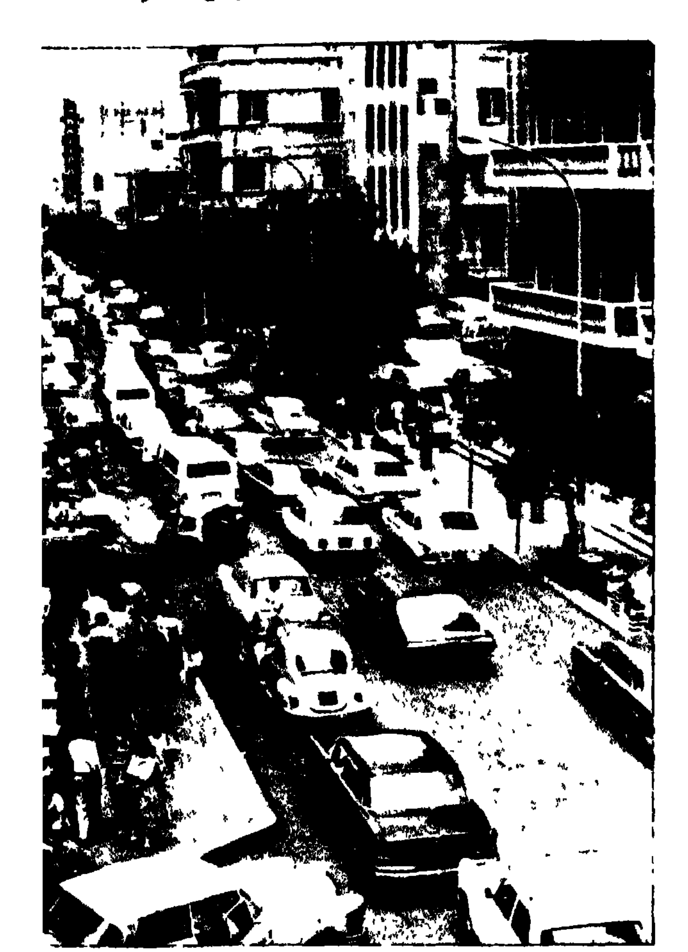
والسبب الأساسى هو المداس (السطح المحيطى للاطار)

مستويات الضوضاء تزداد بزيادة السرعة فى حالة السيارات والدراجات البخارية ، وهى أقل تأثيرا مما تحدثه الناقلات الأخرى ، الا فى حالة تسارعها ، ويعتبر العادم فى هذه الناقلات المصدر المهم للضوضاء

ان المعدات الانشائية الناقلة تسبب ضوضاء عالية وهنالك جهود للتقليل من تأثير ضوضاء هذه المعدات باستخدام تقنيات حديثة فى صنع العادم ، مروحة التبريد ومواقع التشغيل

ان ضوضاء المرور تنقسم الى ضوضاء المرور المتحرك المستمر ، كالمرور فى الطرق الخارجية ، وضوضاء المرور ذى التوقفات ، كمرور الطرق داخل المدن وتزداد الضوضاء عند التقاطعات والمرتفعات كما تزداد أيضا كلما كان الطريق اكثر صلابة فالطريق المبلط بالاسفلت أكثر ضوضاء من الطريق الترابى

وللسيطرة على ضوضاء المرور بالنسبة للأبنية والمناطق السكنية يمكن اتباع الاساليب التاليه زيادة المسافة بين الطرق والأبنية ، تركيز الأبنية فى الطرق الفرعية الخاسية ، لأن هذه الطرق أقل ضوضاء من الطرق الرئيسية ، استخدام المتسكات بين الطرق الرئيسية والأبنية ، وجعل واجهات الأبنية عاكسة للصوت



حماية المبانى من الضوضاء

ان مواقع الأبنية يجب دراستها بالنسبة لتأثير مصادر الضوضاء عليها عند مرحلة التخطيط فضوضاء المرور والمصانع ودور اللهو والتسلية وغيرها تؤخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المدن مثلا ، حيث ان الأبنية تستخدم لأغراض مختلفة كالعمارات السكنية والمدارس والمستشفيات ومكاتب الأعمال وغيرها .

هناك ، طرق عديدة تستخدم للتخفيف من الضوضاء كالحواجز أو ترك مسافات خالية أو مزروعة . فالحواجز المستخدمة بين مصدر الصوت ومن يتأثر به تحجب الصوت نتيجة لانعكاسه وامتصاصه . وهنالك مؤثرات طبيعية على هذه الحواجز مثل الريح واضطراب الهواء ، والاختلاف فى درجة الحرارة وطبيعة الأرض . فعندما يكون الصوت ضد الريح فان الموجات الصوتية تنعكس نحو الأعلى ، وعندما يكون الصوت مع الريح فان الصوت ينحرف نحو الأسفل

ان الحواجز العالية تؤدى الى خفض مستويات الصوت ويمكن عمليا استخدام السداد لحجز مصدر الصوت عن الأبنية . ويمكن استخدام أحزمة خشبية أو أشجار بعرض لايقل عن ٥٠ مترا للتخفيف من تأثير الضوضاء بين المصدر والأبنية ، ويمكن الحصول على نتيجة جيدة عندما تكون الأشجار كثيفة وعالية . وفى بعض الأحيان فان الأبنية العالية تحمى الأبنية الواطئة والمساكن من الضوضاء ، وتوضع الشبابيك والفتحات فى الواجهات المعاكسة للطرق

ان الواجهات الخلفيه يقل فيها مستوى الضوضاء عن الواجهات الأمامية المقابلة لمصادر الضوضاء ووجود الأبنية على حافتي الشوارع يؤدي الى زيادة مستوى الضوضاء بسبب ارتداد الصوت ، كما أن الطوابق العالية تزداد فيها ضوضاء المصادر الجوية كضوضاء الطائرات ، بسبب عدم امتصاص الارض لها لذلك لايحبذ أن تكون الأبنية العالية قرب المطارات

ان مصادر الضوضاء داخل المساكن لها تأثير على الساكنين ، كأدوات التنظيف ومكيفات الهواء وأدوات المطبخ وغيرها ، والتقنية الحديثة أدخلت في حسابها التقليل من تأثير ضوضاء هذه الأدوات

أما السيطرة على الضوضاء داخل الأبنية فتتم بعزل الجدران والسقوف والأرضيـة ، والأبواب والشبابيك ، ومنافذ التهوية والتبريد ومصعد البناية ، والتأسيسات الصحية ، والممرات وأسس الأبنية ويفضل أن تكون القواطع من طبقتين يفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم لمنع احداث الرنين وتعزل الشبابيك باستعمال طبقتين من الزجاج يفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم كما أن الباب الخارجي يجب أن يكون ثقيلا وسميكا متعدد الطبقات . وتعزل مكائن التهوية عن المجاري بمادة مطاطية مع تغليف المجاري نفسها بمادة عازلة ، وتعزل الأرضية بمادة عازلة كالمطاط كما تعزل الأسس بحفر خندق حول البناية يملأ بالرمل والحصى .

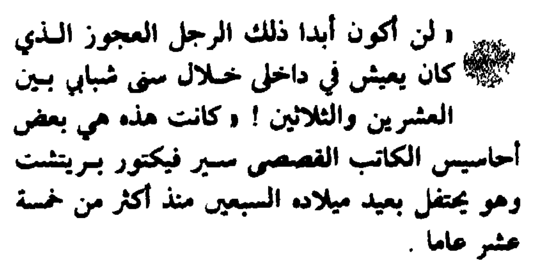
القاعات السمعية

وهي القاعات التي تتوفر فيها شروط الاستماع الملائم ، كالقاعات الدراسية ، وقاعات الاجتماعات والندوات ، ودور العبادة ، ودور العرض المختلفة كالمسارح وغيرها ، وشكل القاعة وتوزيع المادة الماصة للصوت على جدران القاعة لهما تأثير على توزيع الطاقة الصوتية . وعند اختيار المواد الماصة يراعى أن تكون خفيفة الوزن ، مسامية ، سهلة الادامه ، لاتتعرض للحشرات ، غير قابلة للاحتراق ، تقاوم الرطوبة ، ومن السهل تلوينها . أما المواد المبعثرة والناشرة للطاقة الصوتية فتستخدم للتخلص من ظاهرة تجمع الصوت وظاهرة الصدى . وشكل المواد الناشرة تختلف من سطوح محدبه أو اسطوانية أو مخروطية ، وهي التي نلاحظها في السطوح الداخلية لأقبيه المساجد

ويتم تعديل السطوح الداخلية في القاعة بشكل يخدم توزيع الطاقه الصوتية لكافة الأشخاص الموجودين داخل القاعة ويجب تعديل سقف القاعة بشكل يجعل الأمواج الصوتية الساقطة عليها تنعكس الى الأشخاص الجالسين في المقاعد الخلفية ، وذلك برفع السقف وتكسيره ويجب امالة أرضية القاعة لكي تصل الأصوات لكافة الأشخاص الجالسين ويكون الانحدار بنسبة ١ ٨ ، وهناك خصوصية بالنسبة الى المسارح ، وذلك بعدم وضع المواد الماصة على السطوح القريبة من المسرح ، ويستحسن وضع شرائط خشبية صادة على هذه السطوح ، وعدم وضع ستائر بالقرب من المسرح أو خلفه ، ووضع سطح عاكس في المسرح وتوضع المواد الماصه بشكل شرائح على حافتي السقف ، والجزء الخلفي من القاعة المقابل للمسرح ، ويستحسن امالة الجدران الجانبية لتضيق في الجزء الأمامي ، وتتسع في الجزء الخلفي ، وذلك للتخلص من الصدى المتكرر

وعموما عند تصميم القاعات السمعية تؤخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار : استعمال أقل عدد من الشبابيك ، جعل الأبواب سميكة وثقيلة ، وتغطية أرضية القاعة بمادة ماصة للصوت ، ارتفاع القاعة الكبيرة ينبغي أن يكون ثلث عرضها ، بينما ارتفاع القاعة الصغيرة ينبغي أن يكون ثلثي العرض كما ينبغي أن تكون ٧٠ بالمائة من مساحة السطوح المقعرة مغلفة بمواد ماصة ومبعثرة للصوت ، والضرورة تقتضي تجنب حدوث السقف المقعر أو الجدران المقعرة ، وعزل الأجهزة الميكانيكية عن القاعة عزلا جيدا في حالة وجود الشرفة ، فيجب تجنب أن يكون عمقها كبيرا وأن تكون الشرفة محدبة ، وفي حالة استعمال مكبرات الصوت يجب عدم وضعها بشكل متفرق ، وانما بشكل عنقودي ، وعدم وضع مكبر للصوت مقابل المسرح لأن مستوى الضوضاء المسموع في القاعة السمعية يجب أن لايزيد عن ٣٠ « ديسبل » .

ان مسئولية التقليل من تأثير الضوضاء تعتمد على المجتمع نفسه ثم المُصنع والتشريعات والمسئولين عن تطبيقها □



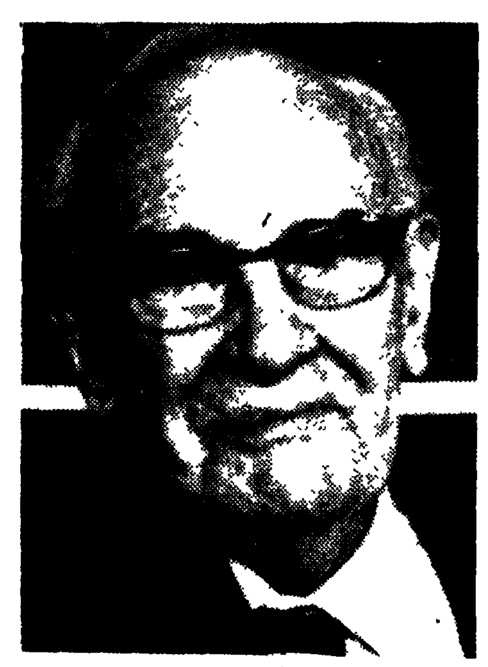
شاب في الخامسة والثمانين !

« لن أكون أبدا ذلك الرجل العجوز الذي كان يعيش في داخلي خلال سني شبابي بين العشرين والثلاثين ! » كانت هذه هي بعض أحاسيس الكاتب القصصي سير فيكتور بريتشت وهو يحتفل بعيد ميلاده السبعين منذ أكثر من خمسة عشر عاما .

ولكن لماذا الآن ؟ ما الذي دفع الصحفيين الى الحديث عن الرجل الذي أمتعهم بقصصه القصيرة في هذا الوقت بالذات .. انهم لم يعودوا الى حياته ينقلون منها صفحات فحسب ، بل راحوا يبحثون عن الكلمات التي بقيت حية على مدى تلك الأعوام التي انقضت بين بلوغه السبعين ، واحتفاله أخيرا باطفاء خمس وثمانين شمعة رصت في عناية فوق كعكة عيد ميلاده الذي احتفل به معه الملايين . . .

وكانت المفاجأة عندما وقف سير فيكتور منصوب القامة ممتلئا نشاطا وحيوية ، وراح يتحدث الى المدعوين ويتفحص وجوههم بعينيه النافذتين ، ويقول : نعم .. أليس غريبا أن أشعر بدماء الشباب تجرى في عروقي في هذه السن المتقدمة .. إن أسوأ فترة في حياتي كانت تلك التي أمضيتها مع سني المراهقة منذ أكثر من سبعين عاما مضت عندما كنت أحس بالهرم .. انني اليوم أعيش سنوات شبابي الضائع .. لاشيء يسبب لي حرجا أكثر من سماعي لحديث الناس وهم يقولون لي وقد تملكتهم الدهشة : « ياله من أمر عجيب ، أن تبلغ الخامسة والثمانين وأنت تتمتع بهذه الحيوية ! »

ولكن من هو سير فيكتور ؟ انه أعظم كتاب القصة القصيرة في بريطانيا اليوم وهو أيضا واحد من الذين يجلسون فوق قمة هرم النقد الأدبي .. وهو يقول ان سر احتفاظه بنشاطه وشبابه وحيويته انه يعيش حياة الناس وينقل صورا من معاناتهم .. انه يجد في هذه المشاركة أعظم ما يمكن أن يجده انسان وهو يغوص في أعماق النفس البشرية وينفعل مع ما يجده فيها من أحاسيس !



سير فيكتور بريتشت

وفي غرفة مكتبه في البيت الصغير الذي يعيش فيه باحدى ضواحي لندن ، يجلس سير فيكتور في صباح كل يوم مع كتبه ومع اللوحات التي رسمها الفنانون

المعاصرون من اصدقائه ، وتمثل معظمها الطبيعة التي عشقها . . إن لقاءه مع « هؤلاء الأصدقاء » كما يسميهم يبدأ في التاسعة صباحا ، عندما يصعد الى الطابق الثاني الذي يقع فيه مكتبه بعد أن ينتهي من تناول طعام الافطار مع زوجته « دوروتي » التي أهدى اليها كل قصصه . . ثم يجلس الى مكتبه ويبدأ في الكتابة بقلمه الذي رافقه رحلة عمره ويرفض أن يفترق عنه !

متى يلتقي بالناس ؟ ومتى يعيش معهم ؟ يقول سير فيكتور : « عندما أذهب الى سوق المدينة لأشترى ما نحتاج اليه في البيت من لحوم وخضراوات وفواكه . . هناك يكون دائما لقائى بهؤلاء الذين أجد في حديثهم معى أجمل صور الحياة ، حتى تلك التي قست عليها الحياة ! »

في كتابه الأخير السادس والثلاثين الذي صدر أخيرا في لندن ، قدم المؤلف دراسة عن تشيكوف ، سيد القصة القصيرة في روسيا . . ويقول سير فيكتور : « لكي أكتب عن تشيكوف ، كان لابد أن أعود الى قصصه كلها . . وعندما بدأت أقرأ ما كتبه هذا الرجل العظيم توقفت عن كتابة القصة القصيرة . . ربما أعود اليها مرة أخرى ، ولكن ليس الآن ، فلابد أن تختفى من رأسى صور أبطال قصص هذا العملاق الروسى ، حتى أستطيع أن أقدم شيئا جديدا !

تقليد عائلي !

وقف الرجل العجوز أمام محكمة (ميسور) فى الهند متهما بالتسول . وقال القاضى : « لو أنك كنت رجلا فقيرا معوزا لهان الامر . . ولكنك رجل ثرى ولست بحاجة لأن تمد يدك طالبا الاحسان . بماذا تفسر هذا المسلك الغريب من جانبك ؟ »



وقد كان المتهم بالفعل ثريا ، فهو يمتلك بيتا صغيرا ويحصل على معاش من الدولة بعد أن جاوز الستين ، وكانت ابنته تعنى به وتسهر على راحته ، وبالرغم من هذا كله كان أهالى ميسور يشاهدونه يتسول فى شوارع المدينة مرتين كل اسبوع !

ووقف الشحاذ الثرى ويدعى اديان شيلوفايا يدافع عن نفسه ويروى للقاضى الاسباب التى تدفعه الى ممارسة التسول ، قال : « انها تقليد عائلى يا سيدى . فقد كان والدى شحاذا وقد وعدته قبل أن يموت بأن امارس نفس المهنة التى كان يجيدها ، وكانت تدر عليه ارباحا طائلة . . ولكننى اكتفيت بالخروج الى الشارع للاستجداء مرتين فقط كل اسبوع كما ترى . . انه عهد قطعته على نفسى ولا استطيع أن انقضه !

وعندما خيره القاضى بين التوقف عن ممارسة هذه « العادة » أو دخول السجن ، لم يتردد اديان فى قبول العقوبة التى حكم عليه بها ، وقال : « لعلها تكون الطريق الوحيد الذى يمكن أن يمنعنى من أن أمد يدى الى الناس طالبا الاحسان ! »

الضحية البريئة !

عندما ترك الأب بيته في ثورة عاصفة على أثر مشاجرةعنيفه مع زوجته ، أحس بقلبه يئن ويتوجع ، فقد ترك وراءه طفلته الصغيرة الوحيدة التي لم تتجاوز الخامسة ، وهو يعلم أن أمها سوف تتمسك ببقائها معها ولن تسمح له بلقائها بعد اليوم !

ولكن الأب لم يحتمل فراق طفلته ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين . . الزوج الذي أعماه الغضب « ادوارد ميلز » والزوجة « ميلودى » التي

رفضت بعناد أن تفترق عن طفلتها « سمانثا » ، وانتهى الحوار الطويل بينهما على اتفاق باللقاء في موقف عام للسيارات بمدينة ستوكتون بولاية كاليفورنيا ، قريبا من البيت الصغير الذي كان يضم هذه الأسرة الصغيرة السعيدة قبل أن تعصف بها رياح الحياة !

وتم اللقاء بالفعل ، ولكن ما كاد الحديث يبدأ بين الأبوين حتى تطور الى حوار عنيف ، لم تجد الزوجة وسيلة لانهائه الا أن تحمل طفلتها وتعود بها الى حيث تركت سيارتها . . ولكنها ما كادت تفعل حتى استبد الغضب بالزوج الذي لحق بهما ، وأسرع يختطف الطفلة من مقعدها في السيارة قبل أن تتحرك عائدة بها الى البيت !

وأسرعت الأم بدورها تدير محرك سيارتها لتلحق بالأب قبل أن يتمكن من حمل طفلته معه في سيارته والانطلاق بها . . ولكن محاولتها فشلت ، فقد تمكن الأب بالفعل من الوصول الى سيارته التي وضع طفلته فيها بجانبه ، وانطلق بأقصى سرعة في الطريق السريع حيث لايدرى أحد الى أي مكان سوف يذهب بها .

وبدأت المطاردة . . سيارة الأب ومعه الطفلة الصغيرة التي استبد بها الهلع ، فراحت تبكي فزعا ، في المقدمة ، ومن ورائها سيارة الأم التي تمكنت من اللحاق بها ، فراحت تحاول ارغام الأب على تغيير مسار سيارته والخروج عن الطريق السريع . .

ويبدو انها نجحت ولكنها فشلت في السيطرة على عجلة القيادة فاصطدمت بالسيارة التي تقل طفلتها وانقلبت فى حفرة عميقة ، ثم مالبثت أن تبعتها سيارة الأب التي انقلبت بدورها بعد أن قذفت الصدمة القوية بالطفلة ووالدها خارج السيارة !

ونقل الثلاثة الى المستشفى . . الأم والأب والطفلة الصغيرة . . وأجريت الاسعافات العاجلة للمصابين ، وخرج الأبوان في نفس اليوم . . ولكنهما بقيا ينتظران ابنتهما التي قرر الأطباء نقلها الى غرفة العناية المركزة ، فقد كانت مازالت في غيبوبة لم تفق منها الا في صباح اليوم التالي ، عندما فتحت عينيها الصغيرتين للحظات ، ثم عادت تغلقهما . . لقد ماتت الطفلة « سمانثا » نتيجة لاصابتها بارتجاج شديد في المخ . .

وقدم الوالدان للمحاكمة ، وقال ممثل النيابة وهو يعرض ظروف القضية : « مسكينة هذه الطفلة الصغيرة البريئة فقد ذهبت ضحية صراع بين أبوين أصابهما مس من الجنون .

حدث في الصين

كانت العروس تخطر في فستانها الأبيض الجميل ، وهى تتجه في الطريق الى السيارة الأنيقة التى تقف أمام باب بيتها في انتظار وصولها ، ومن ورائها قافلة من السيارات التى اردحمت بالمدعوين الى حفل الزفاف . .

أكثر من ألف مدعو امتلأت بهم قاعة الاحتفالات ، وسط ألحان الموسيقا التى شاركت فرقتان في عزفها ، قبل أن يتجه المدعوون الى قاعة أخرى ، امتلأت بالموائد التى حفلت بأشهى أطباق الأطعمة التى اشترك في اعدادها ستة من أكبر وأشهر الطهاة . !

فلما انتهى المدعوون من تناول طعام العشاء ، راحت الهدايا الفاخرة تنهال على العروسين اللذين وقفا يتقبلان التهانى . . بينما احتشدت الألوف من



جماهير الشعب على الجانب الاخر من الشارع خارج قاعة الاحتفالات ، وكل واحد منهم يمنى نفسه بالفوز بنظرة خاطفة الى ما يحدث وراء جدران القاعة العالية .

ولكن أين كان هذا الحفل ، وأى زواج هذا الذى طل حديث الناس أسابيع وشهورا طويلة .

ان العروسين ليسا من أهل هوليود ، ولا الريفيرا . . ولكنهما من سكان مدينة وايان في الصين الشعبية !!

أما والد العريس حاو ياوهنج ، فلم يسعد طويلا بالحفل الكبير الذى أقامه لابنه ليلة زفافه ، فقد تلقى لوما شديد اللهجة من المسئولين ، لعودته الى هذه الأساليب المستهجنة ، وخصوصاً لأنه تلقى تحذيرا من عمدة المدينة قبل الاحتفال بزواج ابنه ، يرجوه فيه أن يحرص على أن يكون الحفل بسيطا !

ولم يكتف المسؤولون باللوم ، فقد أصدروا أمرا بوقف الأب الذى يعمل رئيسا لمكتب العمل بالمدينة ، عن تأدية مهام منصبه ، توطئة لاتخاذ مايرونه من اجراءات ضده !

قال أحد المسؤولين مفسرا : « نحن لانمنع الشعب من التعبير عن أفراحه ، ولكننا فقط نستنكر الاسراف المادى في هذا التعبير ، فيجب الا ننسى أننا نعيش في بلد لايزيد متوسط دخل الفرد فيه عن مايوازى ثلاثمائة وخمسين جنيها استرلينيا في العام كله

الذئب الطفل !

شهدت احدى القرى الجميلة الصغيرة في اليونان أغرب « قصة حب » بطلاها سيدة في الرابعة والخمسين تدعى ايفانجليا فراكا وذئب متوحش عمره عشر سنوات .

وتبدأ هذه القصة الغريبة في عام ١٩٧٦ ، عندما عثرت السيدة على ذئب صغير مصاب ، تركته أمه في الغابة القريبة من القرية التى تعيش فيها ورق قلب ايفانجليا للحيوان الصغير ، فما كان منها إلا أن حملته وعادت به الى البيت الذى تعيش فيه ، عند سفح الجبل بقرية لانجاديا .

وفي البيت راحت السيدة تعنى بالذئب الصغير وتقدم له الطعام ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت القرية كلها تتحدث عن الذئب الصغير الأليف الذى يحرص الأطفال على زيارته واللعب معه !

ومرت الشهور والأعوام ، وبدأ الذئب الصغير يكبر ، وبدأت الشراسة تظهر في عينيه ، وفي عوائه المخيف بالليل ، وأسرع أهل القرية الى صاحبته ينصحونها بأن تعيده الى الغابة ، حيث يجب أن يكون ، حتى لايصبح خطرا يتهدد الأطفال الذين يأتون للعب معه !

ولكن السيدة كانت تفزع لمجرد التفكير في أنها سوف تفقد ذئبها المدلل الذي قضت سنوات طويلة وهى تعنى به وتربيه ، وشيئا فشيئا بدأ الناس يبتعدون عن « بيت الذئب » حتى أصبحت السيدة تعيش في عزلة تامة مع هذا الوحش المدلل !

الى أن كانت احدى الأمسيات ، عندما ذهبت ايفانجليا تقدم للذئب طعامه ، فهاجمها ، وأحدث اصابات بالغة في جميع أجزاء جسمها !

ونقلوها الى المستشفى للعلاج . . وقال أهل القرية « لابد انها اقتنعت الآن بضرورة التخلص من هذا الصديق المتوحش ، ولكنهم فوجئوا بها عندما ذهبوا لزيارتها وقد رقدت على فراشها تبكى !

فقد كانت ايفانجليا تتوسل الى الأطباء والمسؤولين بألا يتعرضوا للذئب بالأذى . . قالت وهى تمسح دموعها : « لقد أخطأت . فهو حيوان ذكى ، ولابد أنه سمع جيرانى وأصدقائى وهم يطلبون اليَّ التخلص منه !!

الغريب أن أحد الخبراء في سلوك الحيوانات أيد كلام السيدة ، قال : « ان الذئب حيوان غير مستأنس ، ولكنه ذكي ، وربما يكون قد أحس بأن صاحبته تفكر في التخلص منه ، فأراد أن يعاقبها ! »

تقول ايفانجليا التى لم تتزوج ، ولم تكن لديها خبرة بتربية الأطفال : « لا تنتزعوه منى ، فقد أصبح بالنسبة لى إبنا تعبت كثيرا من أجل تربيته ! وأعدكم أننى سأكون أكثر حرصا في المرة القادمة ! ☐

محمود المسعدى

و« السد » الشهير

بين فلسفة الإبداع وإبداع الفلسفة

بقلم : محمد الحبيب براهم

أكرمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « اليكسو » منذ أشهر قطبين من رحاب الفكر العربي المعاصر هما محمود المسعدى من تونس وزكي نجيب محمود من مصر . وتعميقا لأواصر الترابط الروحي والفكري بين المشرق والمغرب على جسر « العربي » الغراء ، تنهض الهمة في هذا المقال التحليلي الى الجوس في مكنون مظاهر الابداع الفكري عند الأديب محمود المسعدى ، من خلال أثر عجيب في مضمونه وأسلوبه هو كتاب « السد » الشهير

ملامح شخصيـــة

ولد الأستاذ محمود المسعدى في ٢٣ / ١ / ١٩١١ بتاركة ، وهي قرية من ولاية الوطن القبلي بالشمال في الجمهورية التونسية ، وزاول تعلمه بتونس ، وواصل تخصصه الجامعي بكلية الآداب في السوربون بباريس . وتقلد اثر عودته عدة مناصب سامية ، أهمها وزارة التربية القومية سنوات عديدة ، تولى خلالها تنفيذ برنامج الاصلاح التعليمي بتونس غداة الاستقلال ، وهو حاليا رئيس مجلس النواب (البرلمان) ، اضافة الى مهام متنوعة في الحقلين السياسي والثقافي عربيا ودوليا ، زخرت بها حياته المليئة . اسهاما وابداعا ، وقد أحرز عدة أوسمة عليا من تونس ومن خارجها

ومن مؤلفاته رواية « السد » (١٩٥٥) و « حدّث أبو هريرة قال » (١٩٧٣) و « مولد النسيان » (١٩٧٤) ، و « تأصيلا لكيان » (١٩٧٩) ، و « الايقاع في السجع العربي » وهي اطروحة دكتوراه صدرت سنة ١٩٨١

ولئن كانت وجوه التعريف بهذا الأديب الذي يدرج في حلقات اشعاعات الزمان العربي المدة عريزة ، فإن أهم ما بقي منذ ثلث قرن يشد اليه الأنظار والأقلام هو أنه صاحب « السد » .

رواية « السـد »

هي رواية ذات طابع فلسفي ، وأبعاد قابلة لاستيعاب مفاهيم حافلة حبلى ، صدرت سنة ١٩٥٥ ، وطبعت ثانية سنة ١٩٧٤ ، ونقلت الى الفرنسية من قبل منظمة اليونسكو ، في اطار برامجها للنهوض بالكتاب والتبادل الثقافي الدولي ، وكان ذلك سنة ١٩٨١

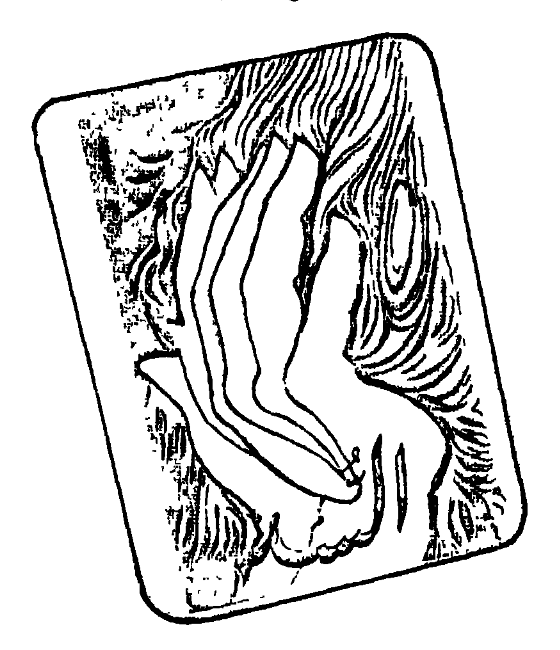
تقع الرواية في ثمانية مناظر تترى في قالب لوحات متسلسلة الخيط ، مفعمة بأحداث متلاحقة نابعة من الواقع ، الا أنها غريبة الملامح عجيبة الأحواء ، يمترح فيها عن عوالم غريرة الروافد والصور والايحاءات

فهذا بطل الأحداث « غيلان » يحدث زوجته « ميمونة » عن حلم يراوده ويبتغي تجسيده واقعا حيا ، في دنيا سكان القرية النائمة المتواكلة ، في سفح هذا الجبل الأغبر ، الذي ينفض قتامة الجفاف والقحط والجوع والعراء والمرض على من حوله ، انه يحلم بسد شامخ منيع يحمي من الأخطار ، ويحفظ الماء المُهْدر من عين الجبل ، ويغير وجه الأرض ووجوه الناس ، وحال القرية وأحوال القوم . وتفزع ميمونة من حلم زوجها ، فهو بمثابة التحدي لآلهة القحط التي يطيعها السكان « صاهبّاء » وهو كذلك تمرد على الطبيعة وقانون الوجود ، وتحاول بشتى الوسائل أن تثنيه عن عزمه ، الا أنه يتقد حماسا لفكرته وشوقا لمشروعه

ويجمع غيلان شتات العمال ، ويتعالى البناء رويدا رويدا ، يتحدى من بقي من القوم حاملا يلعق عسر واقعه ، ويتطهر في ركبه بالشمس ، مستحيا في معتقده الخاطىء لعويل ذئب سائح ، وطلل مخوف مهدَّد ، وأصوات جلية خفية ، منذرة متوعدة ، وآلهة يحكون عنها ولا تظهر ، تحطم وتثور على السنتهم ، فتتوالى المصائب على غيلان من مرض يلم به ، وهلاك للعمال ، وحريق في مكان الاشتغال ، ويراها الجميع لعنة ، وفأل شر مستطير ، في حين يستمد منها غيلان مزيد حماس واندفاع وشجاعة لتحقيق هدفه

وللنفس لحظات ضعف ، وفي احداها عند غيلان والاحباط يملأ عليه المنافذ ، والضياع يحفه ، تبرز له من الوادي السحيق « ميارى » وهي طيف نوراني ، يخاطبه فيلهب فيه جذوة الأمل ، وتغار ميمونة وتصرخ وتبكي ، وتظل مع تثبيطها لعزمه ملتصقة به ، تبث فيه بوارع الخوف والقنوط

ويتواصل العمل الملحمي في بناء السد ، ويحبس الكون أنفاسه ليلة موعد انهائه ، ويتطلع الجميع الى آخر حجر يوضع ، ليتحقق الحلم ويحبر الفعل البشري العظيم وفي اللحظة الموعودة يفجر الكون عاصفة لا تبقي ولا تذر ، تندفع نحو السد الشامخ فتقوضه ، وتجرف كل شيء في عصبة عارمة لا يلوح إثرها الا شعاع ضوء خافت ، يلمحه غيلان من بعيد ، في حين تهرب الأرض من تحت أقدام ميمونة ، ويشهق النعل ، ويعوي الذئب ، ويبتسم البطل لسده المتناثر اشلاء ، ويطير في الفضاء وفي أعماقه حدوة لا تخب وأمل لم يقبر



الاسلوب الفني

يتراوح الاسلوب الفنى المستعمل فى صوغ هذه الاحداث بين التشكل المسرحى على النمط الاعريقى اليونانى ، وما أفرزه بعد ذلك لدى عباقرة المسرح الفرنسى التراجيدى بالخصوص ، وبين الحوار القصصى المتسلسل على نمط القصص القرآنى ، وما تولد عنه من تطور روائى نثرى ، وبين المحادثة الحسية والفلسفية القائمة على الاستقراء الباطنى والايحاء الخارجى ، مع لمسة وجودية حادة النبرة

وقد واكب هذا المد والجزر فى الأحداث تلوين فنى عجيب فى العبارة المستعمله واللفظة المرنة كالصخر المنحوت فى قوالب صُبَّتْ صبًّا يتحدث عيلان فاذا اللفظة نشيد ملحمي

« وانى لأرى سدّي بين يدى ، وأرى المحارى ، وأرى الأنابيب ممتدة فوق الهاوية جسر حديدا يهوى من الهاوية متدافعا الى الوهاد ، وانى لأرى المياه متدفقة عالية قاهرة وليكن الخلق ولتكثر الولادة هذه الأرض المتجعدة المعبار كالعجوز الساحره لأحبلنها ماء فأملأن بطنها فأحرجن حياة »

وتتحدث ميمونة فاذا اللفظة مساحة استحداء ، وعرافة منفرة ، وعلى لسانها يتقمص نبى الوادى وآلهته وشره المستطير .

« هلهما هلهما »

سَيَحت صاهباء .

ربة اليبس ، ربة القحط ، تسكن الجبال الصخرة الربة ، هلهماء هلهماء سيحت صاهباء ، وتهمس ميارى فاذا الكلمه انسياب شاعري حالم ، يوازن فى مراوحة دقيقة،صلابة ونتوءات غيرها فى سياق الأحداث :

وقفتَ خلفى إليَّ وأنا اليك ، وجعلت رأسك على كتفى وشعرى ، وطوقت رأسك بذراعى ، فاذا أنا حاملة اناء خمر وصنماً معبودا ، وعالما حيا فاذا نحن احسن الحسن واذا حسننا نعى لكل شئ سوانا .

حنت مطرتك ونطرت ، فاذا نور الشمس خيوط أو بيوت عنكبوت يلمع لعينى ، فنفضته وعرفت وجه فرحى بوجهك . . وها قد جاءت ساعة السير العظيم والخلق المتين والفعل .

ويثور الجبل ويتحطم السد ، فاذا الجملة شواظ نار وبركان حمم.« ينشأ الظلام فجأة فينتشر ، وتعصف ريح من الشيطان كأنفاس الربانية أو كالدم والاثم ويظهر الجبل فى ضوء البرق متضاحكا قائم الصدر وتبرز من الغيب سواعد وايد كقطع الجبال فتدك السماء والأرض والنجوم والأجيال وتقوم فى الكون جميعا ثورة شعواء حمراء صلبة ، وكأن صوتا همهمة يرتل : وأمرنا العواصف والرعد والسحاب والبرق والزلازل ، فانطلقت جميعا ودوت دويا ، وارسلنا الصاعقة فشقت وأودعت حياة حية » ٩



محمود المسعدي

الأبعاد القزحية

يتراءى للمتأمل للوهلة الأولى أن هذا الأثر موغل فى المأساة ، تأثر صاحبه بحكم مشربه الثقافى الانسانى بالتيارات الوجودية التى عايشها ، وميزت طابع البيئة التى احتلط بها فى « باريس سارتر وكامو وسيمون دوبوفوار » ، أو عمّقها فيه احساس الغربة اليائسة والانبتات الحضارى الموجع فى فترة بحث المثقف والسياسى والمناضل التونسى ، وهى جميعها صفات

هـذا المفكر عن هـويته في وطن كبله الاستعمـار ، ومجتمع نخره التخلف ، الا أن الحقيقه أن « السد » ذو أبعاد أعمق ، يمترج فيها طابع الفلسفه بـرائحة النضال ، ويتعانق في طياتها الرافد الذهني بالرافدين الاجتماعي والوطني ، ليلامس الذروة الانسانية في نسيج فني مبدع ومضمون فكري خلاق الآفاق

يعتبر موضوع الخلود وقضية الكمال قضيه الانسان الجوهرية منذ الأزل والى الأبد

وقد حاول الفلاسفة والعلماء والأدباء تجاوز هذه القضية كل بطريقته الخاصة ، وبوسائل الابداع التي يتميز بها وأفرزت المسيرة حلولا طريفة في التحاور من التحيط عنـد الفراعنـة الى الانتحار لـدى الوجوديين ، الا انها في جميعها لم تصف الا شعـورا بالهرب أو الاحبـاط ، وهو مـاصورة الـبير كامـو في أسطورة سيزيف ، مما يجسم حرقة المأساة في العجز البشري الذي يدور في حلقة مفرغة

الا ان المسعدي من منطلق جذور الايمان في أعماقه العربية الاسلامية ، يلون هذه المأساة الانسانية ، التي وعاها عقله المتفتح للثقافات المتنوعة ، ولاحظها حسه المرهف الدقيق كمفكر قلق لمشكلات الوجود تلوينا خاصا ، فتنصهر هذه المؤثرات في باطنـه ، وتمـرح لتتبلور في ابعـاد ذهنية ذات نكهـة خاصـة ، تصور معاناة الانسان الواعي في الكـون ، وفشله الذريـع المؤقت ، الا أنه لا يأس مع الحياة مادام في الانسان نبض وفي الحياة أمل . ألم تتحـدث ميارى في آخـر أطوار السد المتناثر أشلاء عن نور في آخر العاب يناعي النفس ، ويبقى للقيم معنى ، في حين أن خـاتمـة المطاف للوجوديين كانت الحث على العدم والانتحار ؟

انها « الوجودية المؤمنة » ينشها المسعدي فيضيف من خلالها الى تيارات التفكير الأدبي الذهني المعاصر لونا عميقا ثري الأبعاد ، وهو يلتقي في هذا السياق مع توفيق الحكيم في مسرحياته الذهنية

سـاعد الأسلوب الـرمزي محمـود المسعدي عـلى اضفاء ابعاد متنوعة على مضمون هذا الأثر الأدبي

فهي حين يصطبغ محـواره بـالنكهـة الفلسفيـة الخالصة ، تتمطى في ثنايا السطور مفاهيم اجتماعية تصل الى درجة الوطنية الطلائعية الثوريه

فغيلان نموذج الزعيم الثائر على خنوع الشعب في قريته ، والمصلح الذي يسعى هدم الخرافات البالية ، وتنديد بنفسية التواكـل والاستسلام ، والـدعوة الى الثقة في الهوية ، واستقصاء المنبع ، والحفاظ عـلى الجذور الأصيلة والابداع الجديد في كل وجوهه

انها صرخة ضـد التخلف والجهل ، وثـورة على الاستعمار في تلك الفترة التي تمثلهـا مرحلة مـا بعد الحـرب العـالميـة الثـانيـه ، عـلى الشعب العـربي المنكوب ، وقبيل المد التحريـري في الخمسينيات ، وقد ارتفع المسعدي في تحليله لهذه الظاهرة الحضاريه المؤذيه بـالانعتـاق الى مـرتبـة المفكر المستقـرئ للمستقبل ، المتبسم لخفاياه ، والمتكهن بتطوراتـه ، دون أن ينزلق في تدقيق مكاني أو زماني ، يجعل أثره الأدبي هذا أثرا محليا في مضمونه أو حدوده ، بل هي قضية الانسان يجاهد للتحرر عموما ، تماما مثلما كان الأمـر مـع أبي القـاسم الشـابي في أغلب قصـائـده الشعرية ، ذات الطابع الاجتماعي والوطني ، فهي تعانق قضية الانسـان بآفـاقها الـرحبة في كـل زمان ومكان

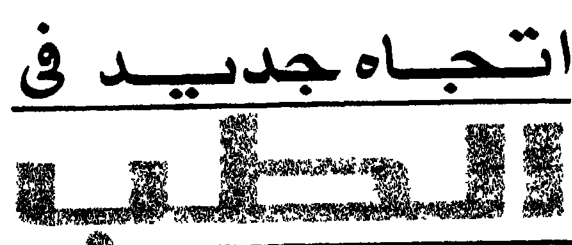
وبعد

ان هـذه الأبعاد الحـق التي اكتنز بهـا « السـد » لمحمود المسعدي تذكرنا بقوس قزح الطبيعة في الوانه العديدة المتباعدة والمتناغمة في آن واحد ، ولعل هذا الثراء العجيب في روايتنا هو الذي حدا بالنقـاد الى اتساع مضمونها واسلوبها تحليلا وتـدقيقا ومقـارنة ، وهي رغم ذلك كله مازالت كالعين التي لا تنضب ، محطة اطروحات ومقالات تتوالد باستمرار ، وذلـك لتمثيلهـا عـلامـة مضيئـة في درب التـأليف الأدبي المعاصر . □

■ **أكثر الناس جرأة على الأسد أكثرهم رؤية له ! (عبدالله بن المقفع)**

■ **الخير في الناس مصنوع اذا جبروا ، والشر في الناس لا يفنى وان قبروا (جبران خليل جبران)**

العلاج الجماعي..



بقلم : الدكتور منصف المرزوقي *

الطبّ المعاصر يتقدّم بخطاً حثيثة في تعامله مع كثير من الأمراض كالسرطان والذبحة الصدرية . وهي الأمراض التي تسلّط عليها أجهزة الاعلام أضواءها ، الا أنه يعرف اليوم في كل بلدان العالم منعرجا جديدا ، قلما يعي الناس أهميته تصور وممارسة جديدة تشكل ما يسمى بالطب الجماعي الذي يختلف في كثير من مفاهيمه ووسائله عن الطب التقليدي . فما هو هذا الطب ؟

يشترك حل الأضباء والمرصى ، وبصفة عامة كل من يسهر على مقاديرالصحة في الايمان ببعض البديهيات التي تشكل ما يمكن تسميته بالفلسفة الضمنية للعمل الطبي ، الا وهي أننا نستطيع القضاء على أي داء اذا ما توفرت الشروط الآتية .

١ ـ تحديد المرض بدقة ، أي فرزه وانتشاله من خضم الأمراض السارية والمشابهة في بعض الأحيان

٢ ـ معرفة أسبابه وعوامله داخلية كانت أم خارجية

٣ ـ اكتشاف دواء مضاد يمكن من شل المفعول المرضي لهذه الأسباب

٤ ـ توفير جهاز صحي يشمل امكانيات بشرية ، من أطباء وممرضين وتقنيين ، وامكانيات مادية من أجهزة وآلات ومستشفيات لتشخيص المرض وعلاجه

ولنحاول تطبيق هذا النموذج النظري على مرض من أخطر الأمراض وأكثرها انتشارا في العالم اسهال الرضيع ، وسنرى أن ابسط البديهيات قد تكون بحاجة في بعض الأحيان الى المراجعة

* استاذ بكلية ـ ابن الجزار ـ سوسة ـ بتونس رئيس قسم الطب الجماعي

مرحلة التحديد :

عرف اسهال الرضيع كمرض قائم الـ... القدم ، وقد وصفه الأطباء المسلمون في الكثير من كتاباتهم .

فللرازي وصف دقيق يقول فيه (رسالة من أمراض الأطفال)

« يعرض الاختلاف (الاسهال) في الصبيان على الوجه الأكثر عند قرب نبات الأسنان ، كما ذكرنا سابقا ، أو من سبب البرد عند لفه بالقماط ، أو من سبب تعفن الحليب من الصفراء أو البلغم ، علامة كونه من الصفراء هو اذا كان لون براز الطفل ليمونياً ذا رائحة حادة ، ويخرج بدون توقف ، وعلامة كونه من البرد والبلغم أن يكون البراز يأتي سريعا

أما العلاج فهو أن يسقى الطفل شراب الورد أو عصير التفاح أو الرمان مع النعناع » .

بقيت امكانيات الوقاية والعلاج رغم ان معرفتنا للمرض محدودة ، وذلك لجهلنا بالأسباب الموضوعية المؤدية الى الاسهال ، وعلى رأسها تلوث الماء بالجراثيم والحمات والطفيليات ، لكن الطب استطاع بداية من اكتشافات باستور في أواخر القرن التاسع عشر ، تجاوز هذه المرحلة ، وتحديد دور هذه الكائنات الحية ، ووصفها بمنتهى الدقة ، ومن ثمة اتضحت معالم سياسة وقائية ناجحة تقوم أساسا على محاربة الجراثيم بتعقيم الماء والحليب مثلا ، وبقيت طيلة النصف الأول من هذا القرن مشكلة العلاج الفردي قائمة بلا حل ، لعدم توفرنا على أدوية فعالة ضد هذه الكائنات الممرضة .

وقد شكل اكتشاف دواء السلفاميد في أواخر الثلاثينيات والصادّات الحيوية المهمة في أواخر الأربعينيات المنعطف الخطير في تاريخ مشكلتنا ، اذ *أصبحنا نتوفر على جملة من الأدوية ، تستطيع القضاء على جل الجراثيم والطفيليات ، ولم تبق الا مشكلة الحمات .*

الاسهال اذن وبصفة خاصة اسهال الرضيع مرض معرّف سريريا منذ القدم ، اكتشف الطب أسبابه ، واخترع لمحاربته أدوية فعالة ، متواجدة بوفرة في كل بقاع الدنيا

والحاصل · هل اختفى المرض ؟

أول ما يتبادر الى الدهن هو أنه انقرض ، أو ... وشك الانقراض ، فنحن قد وفينا بكل الشروط النظرية المطلوبة للقضاء على أي آفة ، لكن للواقع رأياً آخر .

أبعاد الكارثة

تقول احصائيات المنظمة العالمية للصحة ·

- ان معدل حالات الاسهال في العالم ... السعيبات حوالي سعمائة مليون حالة سنويا .
- ان اسهال الرضيع هو أول سبب للوفيات في بلدان العالم الثالث ، ويتدحل بنسبة الربع فيها .

لنترجم هده الحقائق المخيفة الى أرقام

- سنويا يقضي اسهال الرضيع على عشرين مليون طفل وذلك قبل بلوغ السنة الأولى من عمرهم القصير .
- نسبة وفيات الأطفال في البلدان العربية تتراوح ما بين ستين في الألف ومائتين وخمسين في الألف ، وتقدر النسبة في تونس بثمانين في الألف ، اذا علمنا أن عدد الولادات سنويا هو مائتا ألف . فاننا نستطيع بعملية حسابية بسيطة أن نقدر عدد الموتى بالاسهال سنويا من كل جيل جديد بأربعة آلاف طفل في تونس ، ويرتفع هذا الرقم بالطبع الى نسب أعلى في بلدان أخرى كالسودان والصومال .

لماذا يموت لنا سنويا أربعة آلاف طفل ، بمرض نعرف أعراضه وأسبابه ، ونتوفر على أمضى الأسلحة لمكافحته ؟ ويتطور السؤال من المهم الى الأهم · كيف نستطيع أن نوفر هذه الآلاف من الأرواح البريئة ؟

أول ما يتبادر الى الذهن أن النقص في الأطباء والمستشفيات هو السبب ، وبخاصة أن النظرة الطبية الكلاسيكية للاسهال تقرر أنه يجب علاج الطفل في المستشفى ، *باعطائه الصادات وحقنه بالسوائل ، لتعويض ما يفقد من الماء والأملاح المعدنية التي ... ضياعها بالاسهال الى الموت ، لكن التجربة ... تفند هذا الراي ، فنحن نلاحظ مثـ... كتونس ، نظرا لتواضع مساحته ، وكـ...*

على الحد الأدنى من الامكانيات البشرية والمادية ، ومع هذا فان ارتفاع التأطير الصحي لم يؤد الى احتفاء أو حتى تناقص مهم في حالات الاسهال

فمن طبيعة التفكير العلمي الصحيح ، أن يجبرنا على اعادة صياغة مفاهيمنا وطرق عملنا ، كلما اكتشفنا فشلا في مهمتنا ، ومن ثمة كانت اعادة صياغة السؤال كالآتي :

ما هي العوامل التي لم نحسب لها حسابا في اطار نظرتنا الكلاسيكية ، للتعامل مع مشكلة الاسهال التي تجعل معرفتنا للمرض ، لأسبابه ولأدويته غير كافية لحله ؟

وكيف يمكن ايجاد حل في اطار الظروف الموضوعية الصعبة لبلدان العالم الثالث ، من نقص في الأطر والمستشفيات ؟

المستوى الجماعي :

من البديهي أننا لا نستطيع التعامل مع مرض يتسبب في موت عشرين مليون طفل سنويا في العالم ، بنفس الكيفية التي نتعامل بها مع مرض آخر كالزائدة الدودية مثلا ، ففي الحالة الأولى نحن نواجه آفة جماعية تشكل وباء أو جائحة ، ومن ثمة فان الحل لايمكن أن يكون مثلما هو الحال في المثال الثاني فرديا .

فمن غير الممكن حتى لبلد له امكانيات هائلة ، معالجة كل حالات الاسهال بصفة فردية ، وذلك للثمن الانساني والاقتصادي الباهظ

ومن الأنجع التعامل مع المرض كمشكلة جماعية ، تتطلب حلا جماعيا ، يخرج عن نطاق المعادلة الطبية الكلاسيكية ، مرض ، فتشخيص ، فعلاج فردي ، لكن أي حل ؟

وتتبادر الاجابة الى الذهن : الوقاية طبعا ، لكن المشكلة ليست بالبساطة التي نخالها ، ذلك لأن المعضلة لا تختفي بمجرد اشهار شعار جذاب ، ولكنه طالما كان ولا يزال مجرد شعار .

المطلوب اذن من البحث العلمي « فك » المفهوم وتفصيله الى أدق جزئياته ، لمعرفة أي وقاية نعتمدها لمكافحة المرض .

لاحظنا أن الرازي انتبه الى دور تعفن الطعام في حدوث الاسهال ، لكن اكتشافه هذا لم يؤد به الى استخلاص كل النتائج ، وذلك لجهله بالعوامل المتسببة في التعفن أي الجراثيم .

وهكذا بقيت معالم الوقاية مجهولة الى بداية القرن التاسع عشر ، أي الى أن أثبت الانجليزي ادوين شادويك دور تلوث الماء في حدوث الكوليرا ، وهو أول من أصاب في فهم دور الماء الصالح للشراب في الوقاية من أمراض الجهاز الهضمي الانتانية .

وباكتشاف باستور للجراثيم عمم الطب مفهوم التلوث بالكائنات الحية الدقيقة الى كل غذاء وعلى رأسه الحليب ، وهكذا أدى فرض تعقيم الحليب سنة ١٩٢٤ بفرنسا الى انهيار نسبة وفيات الأطفال ، بكيفية لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، كما اتضحت كل معالم الوقاية ابتداء من هذه الفترة ، وتتلخص في توفير الماء العذب النقي ، والغذاء الخالي من أي تلوث مهما كان مصدره

لكن هذه الاكتشافات لم تؤد في العالم الثالث الى نتيجة على الصعيد العملي ، ذلك لأن توفير الطعام النظيف والماء الصالح للشراب أمران مرتبطان بالتقدم الاقتصادي للمجموعة البشرية المعنية بالأمر وبالتالي نحن مهددون بالدوران في حلقة مفرغة ، اذا قررنا أن الوقاية من الاسهال لا تكون الا بالتقدم الاقتصادي ، فالفقر يولد المرض ، والمرض يولد الفقر ، ونحن مطالبون بكسر الحلقة المفرغة ، لا بالدوران في داخلها ، الى ما لا نهاية ، **أي أننا مطالبون بايجاد حل لمشكلة الاسهال ، في اطار الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية ، والمتسمة بصعوبة ـ ان لم يكن استحالة ـ توفير الماء النقي والغذاء السليم من التلوث .**

وباستحالة علاج كل حالات الاسهال فرديا داخل مستشفيات نعاني من اكتظاظ رهيب .

وهذه الخصائص هي بالطبع خصائص المجتمعات التي تعاني من الجائحة ، أي المجتمعات الفقيرة والمتخلفة التي تنتمي اليها جل المجتمعات العربية والاسلامية .

التربية الصحية أو البديل الممكن

لعل طرح الأسئلة علنا يهتدي الى حل يخرجنا من الحلقة المفرغة

١ ـ لماذا يموت الطفل ؟ على وجه التدقيق ؟ هل موته نتيجة التوغل الجرثومي أو الحموي ؟ وهل لا بد من القضاء على هذه العوامل لانقاذ حياته ؟

٢ ـ هل يمكن علاج الطفل خارج المستشفيات وبأرخص تكلفة وكيف ؟

وكان الرد على السؤال الأول بسيطا ، فالطفل يموت نتيجة فقدان الماء والملح ، مما يؤدي الى جفاف الجسم ، وهي الحالة التي نسميها « نقص التميُّه الحادّ » وعندما لا يؤدي هذا النقص الى الموت ، فانه يترك مضاعفات خطيرة كالتخلف الذهني باصابة المخ

المهم أن أغلب حالات الاسهال مع خطر نقص التمية الحاد عند الرضيع ، هي نتيجة أغلاط في تغذيته ، كالانقطاع عن الرضاعة الطبيعية ، وتلوث ماء الشرب والحليب وسائر الأطعمة بالحمات خاصة

هذا لا يعني أن الجراثيم والطفيليات لا تتدخل ، لكن دورها متواضع نسبيا اذا قيس بدور الحمات ، ولهذا الاكتشاف بعد عملي هائل ، فنحن لا نستطيع التأثير بأي دواء حالي على الحمات ، يضاف الى هذا أنها لا تقتل مباشرة ، اذ يستطيع الجسم التخلص منها بعد أيام ، لكنها تقتل بتضييع الطفل للماء والأملاح المعدنية الضرورية عن طريق الاسهال ، إبان الهجوم الحمي ، ومن ثم أصبح السؤال . كيف نعوض للطفل ما فقده من ماء وأملاح معدنية ، بانتظار تغلب الجسم على الحمات المتسببة في الاسهال .

نتذكر هنا أن رأي الطب الكلاسيكي يقضي بادخال الطفل الى المستشفى . وحقنه بالسوائل المعدنية ، ونتذكر استحالة تعميم هذه الطريقة نظرا لعدد المرضى واكتظاظ المستشفيات .

هنا تولدت الفكرة : لماذا لا نعطي الماء والأملاح المعدنية عن طريق الفم ؟ ولماذا لا نكلف الأم نفسها بعلاج طفلها ووقايته من خطر نقص التميه الحاد ، وقد أثبتت مئات التجارب صحة هذه النظرية ، أي امكانية اعادة التميه عن طريق الفم ، وذلك باستعمال مسحوق الأوراليت التي تصنعه المنظمة العالمية للصحة بسعر زهيد ، ومزجه بالماء المغلي ، أو اذا لم يوجد هذا المسحوق يمكننا استعمال الملح والسكر وفق طريقة معينة وقد قررت أكثر من سبعين دولة في العالم اعتماد هذه الفكرة البسيطة ، لبناء برامج وقائية لمحاربة اسهال الرضيع ، بصنع هذه المادة وتعميمها وتثقيف الامهات

نلاحظ اذن هنا من جديد تغير طبيعة المشكلة اذ يمكن تلخيصها الان كالتالي

لو استطعنا أن نعلم كل الأمهات (وخاصة الريفيات) انه يمكن وقاية الطفل من مضاعفات الاسهال ومن الموت ، بتشجيع الرضاعة الطبيعية ، أي بخلط مسحوق الأوراليت الذي توفره المنظمة العالمية للصحة ، المحتوى على ملح وسكر في لتر ماء مغلي ، وفي حالة عدم وجوده ، نوضع ملعقة من ملح وعشر قطع من السكر في لتر ماء بعد غليه وتبريده ، واعطاء الطفل بعد كل تبرز مقدار كأس صغير منه ، لتفادي حالات نقص التمية ولو فعلت الامهات هكذا لانخفضت نسبة الوفيات بنسبة ثمانين في المائة

نرى اذن أننا نستطيع الخروج من الحلقة المفرغة المميتة ، فلا نحن بحاجة الى كميات هائلة من الأسِرّة والأطباء ولا الى انتظار اقلاع اقتصادي قد يكون وقد لا يأتي ، لكن على شرط أن نعمم هذه المعرفة للقضاء على الداء ويصبح السؤال اذن كيف ؟ وبأي وسيلة ؟ بالتثقيف الصحي طبعا ، وبتثقيف صحي حقيقي فعّال ، يرتكز على قواعد علمية مضبوطة بطبيعة الحال اسهال الرضيع الذي اخترناه للتدليل على أن المعلومات ليست زينة الفكر وانما الصحة والحياة ، هو مثال من بين أمثلة هي كثيرة لنعدد بعضها .

ـ سرطان الرحم : هو أخطر سرطان عند المرأة ، ويموت به الآلاف من زوجاتنا وبناتنا وأمهاتنا ، والحال أننا نستطيع انقاذ حياتهن لو توصلنا الى اقناعهن ، بأنه يجب ـ ابتداء من الخامسة والثلاثين ـ استشارة طبيب مختص في حالة فقدان الدم في غير أوقات الحيض ، الشيء الذي يمكن من تشخيص المرض في طوره الأول ، والقيام بعملية بسيطة قبل استشراء الداء ، وهو الأمر المعهود حاليا ، فأغلب حالات السرطان

التي تشخص عند المرأة العربية ، تكتشف مؤخرا ، ويستحيل عادة انقاذ المصابة (هذا يتطلب طبعا توفر الاحصائيين والمعدات)

- الاعاقة أثبتنا في دراسة سابقة أن الحصبة من أهم أسباب الاعاقة الدماغية عند الطفل في بلدانا ، وأثبت أن التثقيف الصحي ، أي توعية الناس بوجوب التلقيح ، هو العامل الأول للحد من مضاعفات هذه الآفة الاجتماعية

- التدخين سرطان الرئة في تصاعد رهيب في كل بلدان الدنيا ، بسبب استشراء التدخين ، والحل الأوحد هو تعميم التثقيف الصحي للكف أو التقليل من التدخين ، خصوصا وأننا لا نستطيع حاليا علاجه

نلاحظ هنا أهمية التحول المنهجي ويقع على ثلاثة مستويات

الخدمة الطبية :

عودنا النموذج التقليدي للفكر والعمل الطبي على ان ننتظر من الطبيب خدمات محدده أهمها التشخيص ، العلاج بالأدوية ، وبالأشعه والجراحة الخ

لكننا نواجه هنا حالة جديدة وهي ان العلاج والوقاية لا يكونان بتدخل مادي ، وانما بوضع معلومات علمية تحت تصرف أكبر عدد ممكن من الناس ، كما تتضح هنا فكرة مهمه الا وهي أن هناك ميادين معينة لا ترتبط فيها بحاجة التطبيب الا بنشر المعلومات ، حقا هذا العامل غير وارد في ميدان العلاج الرائدة الدودية ، لكننا رأينا أنه يكاد يكون العامل الأول في حل مشكلة الاسهال ، وهناك العديد من الميادين التي يتدخل فيها عامل نشر المعلومات أو التثقيف الصحي للحد من مضاعفات الأمراض الأكثر انتشارا

البحث الطبي :

من البديهي أنه اذا تم اعتبار نشر المعلومات خدمة صحية في حد ذاتها ، مثل الجراحة والترويض ، فاننا سنطالب بسرعة بتطبيق المنهجية العلمية على هذه الخدمة ، لنكفل لها أقصى ما يمكن من النجاعة ، فكل الخدمات الطبية مرت تاريخيا بمراحل متعددة ، المرحلة السحرية ، الميتافيزيقيه، المرحله التجريبية البراغماتة ، المرحلة العلميه والتثقيف الصحي هو الاخر يمر بهذه المراحل ، مع العلم بأنه حي ولا يزال في بلداننا العربية في المرحله التجريبية،معنى هذا أننا مطالبون أكثر من أي وقت مضى ، نظرا لما اتضح من أهمية التثقيف الصحي ، بتطبيق المنهجية العلمية الصارمة ، أي بالتساؤل كيف ولمن ومتى وعن أي طريق ووفق اي مقاييس ، يكون التثقيف الصحي وكيف نستطيع تقييم مفعوله ؟

قيمة المعلومات

رأينا أن توفير كمية معينة من المعلومات عن الاسهال لأكبر عدد ممكن من الناس ، يمكن أن توفر حياة الملايين من الأطفال ، ومبالغ باهظة للدولة ، معنى هذا أن المعلومات ليست خدمه طبية بحسبها بالبحث فحسب ، لكنها ثروة لا تقدر بثمن ، وهو ما أصبحنا اليوم نعي به ونتنبه اليه

ولا غرابة في هذا ، فنحن ندخل عصر المعلومات ، وعلينا نحن العرب أن نعي أهمية هذه الثورة الحضارية والعلمية التي يجب أن نكون من روادها ، بعد أن فاتنا ركب الثورة العلميه للقرن السابق

فقد كان القرن التاسع عشر عصر المادة والطاقة ، لكن القرن المقبل سيكون عصر المعلومات ، والمواضيع المطروحة حاليا في هذه القطاعات المتقدمة من العلوم هي :

كيف نجمع
كيف نصنف
كيف نخزن
كيف نوزع

هذه المعلومات ؟

تكون اذن الدعامات الثلاث التي تبني عليها الحضارة مستقبلا المادة ، الطاقة ، المعلومات (بشتى أصنافها)

وانتباهنا في الطب الى أهميه جمع المعلومات وتبويبها ونشر المتصل منها بالتثقيف الصحي انما يدخل في اطار هذه الثورة الشاملة التي أصبحت فيها المعلومات مادة كسائر المواد الأخرى ، تكفل بصفة مغايرة الثروة والصحة والمناعة للأفراد والشعوب ☐

تشيخوف والضحك من خلال الدموع

بقلم الدكتور : أحمد النعمان

سماه البعض « الفنان البخيل » لأنه لا يكتب كلمة واحدة في غير محلها ، وقال البعض أنه « شاعر الأصيل » لرقته وشفافية نظرته الى الحياة ، وسماه آخرون « ضحية الزمن » فقد ذهبوا الى القول : أنه عاش سابقا لعصره ، ولقبه فريق آخر بـ « الانطباعى الروسي » فماذا عن تشيخوف بعد أكثر من ١٢٥ سنة على مولده ؟

عندما ولد أنطون تشيخوف عام ١٨٦٠ ، كانت المدرسة الكلاسيكية قد أكملت كيانها ، وأرست تقاليدها التي ولدت في القرن الثامن عشر ، سواء في الفن أو الأدب على حد سواء ، وعندما بدأ الصبي الموهوب (أنتوشا جيخانتي) -الاسم الذى كان يوقع به كتاباته وقصصه الساخرة الاولى - رحلته الأدبية ، كانت روسيا قد أعطت للأدب الكلاسيكي العالمي الكثير من أدبائها ، كان ليون تولستوي يتربع على عرش الادب الروسي بل العالمي آنذاك ، وكان فيلسوف النفس البشرية دوستويفسكي وبوشكين وليرمونتوف وغوغول وتورغينيف وعشرات من هؤلاء العباقرة قد أعلنوا للعالم أجمع « أن روسيا الأدبية قد قالت كلمتها فهل من جديد ؟ » .

الانطباعية الفرنسية :

جاء صدى الجواب هذه المرة من فرنسا ، ولكن في الفن التشكيلي ، في هذا الوقت كان فنانوها وعلى رأسهم - بول سيزان - وفيما بعد مونيه ، ومانيه ، وبيسارو ، وتولوز يتعاملون مع اللون (والتون) - درجة اللون - والضوء بشكل انطباعي ، حطموا فيه بجرأة لأول مرة أغلال قيود المدرسة الكلاسيكية الصارمة ، التي كانت حتى ذلك الوقت قلعة امبراطورية لاتطال .

أما أنطون تشيخوف الطبيب واسع الاطلاع والثقافة ، فقد بهرته هذه المحاولات الانطباعية ، فخاض تجاربه الذاتية فيها لا بالفرشاة كما فعل الفرنسيون ، بل (بالقلم) .

وكما قلنا . فبينما كانت « فرنسا الانطباعية » تخوض تجربة اللون ، كانت « روسيا الانطباعية » تخوضها بالقلم ، الانطباعية الفرنسية صبت كل اهتماماتها على تحليل اللون والضوء وتفسيره ، واستخلاص الرمز منه ، تاركة (الخط) دون مساس ، فقام في روسيا في اواخر القرن التاسع عشر الرسام « فالك » ليعطي الانطباعية بُعداً تخطيطيا يكمل به الانطباعية الفرنسية ، أما تشيخوف الذي كان قد قرأ واستوعب التراث الكلاسيكي في الأدب ، ولا سيما الأدب الروسي ، فانه دخل عالم الأدب عن طريقه الانطباعية بقلمه ، ولا نعرف ان كانت ثمة علاقة أو تأثير متبادل بين فالك وتشيخوف ، ولكن يمكن القول ان الانطباعيه الجديدة حدثت عند الاثنين في آن واحد دون أدنى شك

حكاية نملة عام ١٨٨٩ :

اذا كان ليون تولستوي قد نهل موضوعاته من الأمة الروسية كلها ، وغار ديستويفسكي أعماق النفس البشرية ، وكرس تورغينيف جل أعماله للفلاحين ، فان أنطون تشيخوف كرس تجاربه الانطباعية الأولى منذ عمله الأدبي الأول « حكاية نملة عام ١٨٨٩ « للانتليجنتسيا » الروسية ، وأخذ عن البحث في حياتهم اليومية البسيطة وتفاصيلها التي تبدو عادية ومتكررة ـ كالزواج ـ اللعب ـ الأكل ـ التنزه . يعطي انطباعه وحكمه على العالم الداخلي ، لافراد هذه الطبقة المثقفة التي دخلها ديستويفسكي منقبا وكاشفا

وكان هدف الأديب الأساسي · دعوة الناس للسير وراء « مزماره السحري » ليخلصهم من السلبية للتسليم غير المشروط أمام عالم (الخديعة والكذب والاحتيال والنفاق) .

كان تشيخوف ينظر الى حياة المثقفين الروس العاديين في زمنه الذي سماه بالزمن « الرخو والحامض والممل » ، متابعا التطورات الدرامية المحزنة لأولئك الذين يستسلمون ويرضون « بحقارة ورتابة الحياة » كما في قصة « رجل الغلاف » حيث يجسد الرعب من الواقع في أقصى درجاته ، و (الغلاف) هو عند



أنطون تشيخوف
آخر العمالقة في الأدب الروسي قبل الثورة

بيليكوف بطل القصة وأستاذ اللغة اليونانية القديمة . الملجأ الاخير لهذا المدرس الذي يحمل مظلته فوق رأسه حتى عندما لا يستدعي الطقس ذلك ، فاستسلم الى عالم ممل ورتيب يتكرر كل يوم ، حتى هرب الغلاف ـ غلاف كتابه ـ ليختفي . . أي حكم على نفسه بالانتحار والاعدام كانسان مبدع

لقد استنتج أنطون تشيخوف بانطباعيته الحادة ، بأن هذا العقد من الزمن (١٨٩٠ ـ ١٩٠٠) هو عقد « داء الحنين » ، الحنين الى العمل لتغيير رتابة الحياة . لذا فعندما قال الطبيب « استروف » في مسرحية الخال فانيا : (ان حياة الخمول لا يمكن أن تكون نظيفة) ، كرر مضمونها الكثيرون من أبطال الكاتب ، فالعمل عند تشيخوف هو تعميد النفس البشرية من خطأ الماضي من الذنب التاريخي بحق الشعب ، انه واجب أخلاقي على عاتق كل انسان ، وتكررت هذه الفكرة في « بستان الكرز » و « الشقيقات الثلاث » و

« حالة من الممارسة » و « حياتي » وغيرها من الأعمال

يقول تشيخوف على لسان أيونيا في « التشقيقات الثلاث » (ما أحلى أن يكون الانسان عاملا ينهض مع الفجر أو راعيا أو معلما أو سائق قطار)

ويقول تشيخوف نفسه « على الانسان أن يكدح ويعيش من عرق جبينه كائنا من كان ، ففي ذلك يكمن مغزى وغاية حياته وسعادته وابتهاجه

الانطباعية والواقعية :

الانطباعية ليست الواقعية ، انها الانطباع عن الواقع اذا ما بسطنا هذا المفهوم ، أي تفسير المبدع الذاتي للواقع المحيط به يحدث ذلك بالعاطفة وليس بالعقل ، بالحس والوجدان وليس بالمنطق الرياضي ، وهذه النظرة تقود الى التفكير والتحليل ورؤية جوهر الأشياء لا ظواهرها الخادعة

يقول تشيخوف

« الكذب يهين السامع ويحط من قدر الكاذب » ومن هنا فان انطباعية تشيخوف هي أحد أشكال الحقيقة النافذة الى جوهر الأشياء ويبقى ما يؤخذ على الكلاسيكية مع كل عظمتها وقوتها ، أنها قدمت الانسان برؤيتها الكمالية المثالية . لذا فان « داهد لمايكل انجلو يبقى ملاكا ، أو شيئا أشبه بالملاك . وليس انسانا يضحك ويبكي ، يضعف ويقوى . ثم أن كاتدرائية فلورنسا تبقى في نهاية المطاف مجرد ابداعية لفن « الباريكو » وليس للصلاة فحسب .

وبالمثل فان أبطال تشيخوف أناس يعيشون معنا هم نحن ! ، لذا فان أديبنا أمسك بيد « انسان » ليأخذه الى حياة أفضل ، ليساعده على معرفة نفسه قبل (رسم لوحة مستقبله) ، وأبطاله كانوا مستمدين من روسيا نفسها ، وليسوا نسج خيال الكاتب الكبير

مع غوركي وتولستوى :

كان تشيخوف أكبر من غوركي عمرا وأصغر من تولستوي ، فكيف نظر اليه هذان العملاقان ؟

كان تولستوي يعتبره « فنانا لا يقارن بأحد » وفضله حتى على تورغينيف ودوستويفسكي وعلى نفسه ، وقال تولستوي في انطباعية هذا الأديب « ان تشيخوف أوجد أشكالا للكتابة لم أجد لها مثيلا في أي مكان ان لغته لمدهشة حقا »

أما مكسيم غوركي فقد رآه « فنانا متعدد الألوان لايترك حديثا صغيرا الا ويتأثر به . يحلله ويقدمه بابداع في رائع ونظرة جديدة » وهذا يؤكد مرة أخرى (انطباعية) تشيخوف التي سماها الكاتب كريليكر « مافوق الواقع » أما تشيخوف ، فكان يحب ويحترم تولستوي ، بل يخشاه ، في كل شيء ، وعندما كان يستعد لمقابلة تولستوي كان يبدل ملابسه عدة مرات ، ويقف وقتا طويلا أمام المرآة قائلا : « لا لا . ان أردت ، أم لا ، فهذا البنطلون ضيق جدا . سيقول (الحوت) - يقصد تولستوي - وهذا عريض جدا . كالبحر الاسود . . سيقول (الداهية) » !!

بالطبع ما كان تولستوي ليقول شيئا من ذلك . لانه أحب تشيخوف كثيرا ، فكان يمازحه قائلا « أنت مروع من رحمة الله ولكنك طيب !! »

ومن المواقف الجريئة التي سجلت في تاريخ تشيخوف رفضه الرسمي عام ١٩٠٢ لقب « الأكاديمي » احتجاجا على فصل مكسيم غوركي من



ليون تولستوي مع انطون تشيخوف
مصيف غاسبرا عام ١٩٠٢

نوف الاكاديميين ، بسبب نشاطه السياسي ، وقبل ث سافر تشيخوف في رحلة استقصاء متعبة الى ـريرة (ساخالين) النائية عام ١٨٩٠ ، لدراسة حياة سفيين والمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، فأصدر بعد دلك كتابا وثائقيا عن ساحالين

وهـدا بالـطبع لا يجعـل من أديبا ثـوريا وبـطلا سياسيا ، فهو لايحتاج لدلك ، ولكنـه يؤكد وفـاءه وصدقه مع قلمه ونفسه ، هدا الصدق الدى هو أحد المؤشرات الأساسية في أصالـة الفن الذى يفتقـده الكثيرون من الصابين والمدعين

يرى الداخل الى المتحف المقام في الدار التي سكنها تشيحـوف بين عـامي ١٨٨٦ و ١٨٩٠ ، في شـارع كودرين في موسكو ، غرفـة خاصـة (عيادة) كـان يستقبل فيها المرضى الفقراء ، وهـدا أحد جـوانب انسانيته وحبـه لـلاخـرين . ولكن (تشيحـوف الأديب) تغلب على (تشيحوف الطبيب) فاعتـزل الـطب فيما بعـد ، وكرس كـل مـابقى من حيـاتـه للأدب ، هدا الأدب الذى أصبح فيما بعد سـلاحا لدى كل متقف يعبيه على رؤية الحياة ، بعيـدا عن الـرياء والمحـاباة التي تقـود دائما الى العـودة به بكـل أشكالها الطاهرة منها (والروحانية)

يالطة الأخرى :

يتحـدث العالم كله الآن تحت رحمـة الصواريـخ المجنحة ، والخوف النووي عن يالطة ، وعن القصر الذي جمع الكبـار الثلاثـة . ستالـين ، روزفلت ، وتشرتشل

لكن هـناك يالـطة أخرى وقصراً آخر وعـظيما واحدا ، هو أنطون تشيحوف لقد عاش الأديب في الدار الريفية البيضاء أواخر سنوات حياته ، يعاني من مرض « السل » الذي استفحل به وأوقعه في دوامة من السعال المستديم .

وفي بداية هذا القرن جاء الى يالطة من هلسنكي الصحفي الفنلندي « هاغيلستام » . وزار تشيحوف تحدث مع تولستوي الـذي كان يـأخد العـلاج هو الاخر في مصح « عـاسبرا » بـالقرب من يـالطة ، دهش الصحفي الفنلنـدي حيث وجـد تشيحـوف الذي عزله المرض عن العالم ملما إلماما رائعا بالأدب الاسكـندنافي ، وتقـاليد وتـراث الشعـب الفنلـدي بالذات

كان دلك في يالطة أيضا عام ١٨٩٨ ، حينما وصل اليها المغني الروسي الكبير شاليـابين ، وأحيـا حفله حتى الفجر في الدار البيضاء للأديب ، اجتمع فيها كبار الشعراء والفنانين والنقاد ، وكان يرافق شاليابين في العزف على البيانو « رحمانسوف » الـذي لم يكن آنذاك معروفا كموسيقي كبير ، وهنا قال شاليابين « يجب أن يسمعنى الناس وليس في المسرح » ، وتقدم تشيحوف من رحمانيبوف وصافحه قائلا « ستصبح مـوسيقيا دا شـأن كبير » ومعـرـ السـنون فصدقت النبوءة ، وأصبح رحمانسوف مـوسيقيا معـروفا ليس فقط في بلاده ، بل في العالم أجمع

وقد كانت الطبيعة دائما ملاذا لكل الانطباعيين ، ومعينا لا ينتهي من الجمال ، وعينـا لاتجف ، تعين الفنانين على الابداع ، ولا عجب أن نجد تشيحوف يحب الطبيعة ، ويزرع بنفسه ويعتني بحديقة منزله ، ومرة قال مكسيم غوركى عن صاحب الدار الريفية البيضاء في يالطة

« كان يجب أن يبني وينشيء الحدائق والبساتين ، وأن يزين الأرض » كما بقيت في ذاكرة غوركي كلمات تشيحوف « لو أن كل انسان بذل كل ما في وسعه على قطعة الأرض الخاصة به لأصبحت ارضنا رائعة جدا »

لم تكن الأسطر الأخيرة فيـما كتبنـاه عن الأديب بعيـدة عن مـوضـوعـنا الأسـاسي (تشيخـوف انطباعيا) فهو كما فعل من أجل الدخول الى حياتنا الأعمق من خلال حياتنا « اليومية » حاولنا الدخول الى حياته ، وهكذا فان المرحلة الأولى ترتبط بالفترة المبكرة من ابداع الاديب التي كتب فيها قصصا قصيرة سحـرية وتهكم مثـل المبارزة ، المنزل دو العلية ، القرويون ، أيونيج ، وعنبر رقم ٦ ، وغيرها ، كما أن قصصه . الفيلا ، الجريمة ، عيد الميلاد ، تتميز بالسخرية من التقاليع الأدبية التي كـانت سائـدة في الصحافة آنذاك . ولم يكتف بما هو مضحك في هده الأساليب ، بل نقب عما هو « مضحك » في الحياة كادعاء الثقـافة مـع الجهل المطبق ، والتكيف مع الظروف كما في قصصه . البدين والنحيف ، وموت موظف ، والحرباء ، والقناع والفرحة . حتى كـاد

بانطباعيته الجميلة يكشف الحالات الحياتية العادية ، شكل مضحك يكشف عن أخلاقيات سايكولوجية « العبودية » .

الضحك من خلال الدموع :

كانت الروح الكوميدية هي الغالبة في قصص الأديب في المرحلة الأولى ، لكنها لم تكن الوحيدة ، فقد جعل قصصه التي تشوبها مسحة من الحزن والشاعرية « كجسر » نحو مرحلة ابداعه الثانية ، ففي قصته (الكآبة) يحاول الحوذي المسكين الذي مات ابنه الوحيد أن يجد من يقاسمه الهموم ، ولكن الركاب غير المبالين لا ينصتون الى اختلاج صوته بالبكاء ، فلا يجد من يبوح له بمكنونات قلبه الحزين الا حصانه الذي يشكو اليه الهموم

في المرحلة الثانية من أدب تشيخوف كتب الأديب الكبير مسرحيات « النورس ، الخال فانيا ، وبستان الكرز ، وأخيرا ، الشقيقات الثلاث » .

في هذه الأعمال تنضج انطباعية تشيخوف لتصبح في قمتها ، وأصبح الضحك لديه من خلال الدموع ، وأصبح الفرح لديه اطارا شكليا للحزن والكآبة ، وهنا نال اعجاب الكثيرين من عمالقة الأدب ، أمثال برناردشو وايرنست همنجواي ، وجون بريستلي ، وتوماس مان وآخرين .

أما هو فقد أصبح ينظر الى أعماله في الفترة الأخيرة من حياته نظرة الشكوك . كأي مبدع كبير ، كما أنه ترقب أن يأتي اليه الموت سريعا لا محالة ، فكتب يقول : « لا أستطيع التفكير بعمل جدي لأنني على يقين بأن حياتي سوف لن تستمر طويلا » . وحفظ لنا بونين مخطوطة يقول فيها الأديب : « سيقرأني الناس لفترة طويلة . . سبع سنوات ، أما أنا فسوف أعيش أقل من ذلك . . . ست سنوات » كان ذلك عام ١٩٠١ ، لكنه لم يعش أكثر من نصف ما كان يتوقع ، ثلاث سنوات أخرى ، أما الآن وكلما مرت السنون تتعزز مكانته الأدبية ، ليس فقط في الأدب الروسي ، بل وفي الأدب العالمي أيضا ، وتقدم مسرحياته في طوكيو وموسكو وباريس ولندن والقاهرة وبكين وغيرها من عواصم العالم وحواضره ، حيث تقدم مسرحياته كل المسارح الجادة والمحترفة في العالم ، أما



مكسيم غوركي مع انطون تشيخوف
مصيف يالطة عام ١٩٠٠

كتبه فطبعت بملايين النسخ ومئات الطبعات ، بـ ٩٢ لغة من لغات الاتحاد السوفيتي والشعوب الأخرى .

في أغسطس ١٩٠١ كتب أنطون تشيخوف رسالة الى شقيقته ماشا قال فيها . « عزيزتي ماشا ، معينتي الدائمة ، أكتب باسمك الدار الريفية البيضاء في يالطة ، وكذلك كل العائدات التي تأتيني من الأعمال المسرحية ، ومن اعادة طبع الكتب على مدى الحياة

وذيل رسالته قبل التوقيع : عيشوا بسلام أنطون تشيخوف » .

غير أن هذه الرسالة لم تقرأ الا بعد أكثر من ثلاثة أعوام ، وحملتها زوجته الممثلة الحسناء أولغا تشيخوف التي تزوجها قبل أن يموت بسنتين فقط ، غير أنهما لم يعيشا كثيرا معا لانها كانت مشغولة في المسرح .

يقول تشيخوف في « الشقيقات الثلاث » على لسان توزنباخ : « جاء الوقت ! يتقدم نحونا جميعا ، شيء ضخم هائل ، تتهيأ عاصفة صحية قوية للقدوم ، بل أصبحت قريبة ، ولن يمض وقت قليل حتى يكتسح مجتمعنا الكسل واللامبالاة ، والفكرة السيئة عن العمل والكآبة العفنة . . . » .

يقول الحارس البستاني الخاص بالبيت الريفي في يالطة : « كان السعال لا يتركه لحظة لينام في أيامه الأخيرة حتى توقف قلبه عن الخفقان ، كان ذلك عام ١٩٠٤ » . لقد أخطأ الأديب الكبير حين اعتقد أننا سنقرؤه لسبع سنوات بعد موته ، فها نحن نقرؤه في الذكرى ١٢٥ لميلاده ، وستقرؤه الأجيال القادمة لوقت طويل . □



أنتِ

شعر : يعقوب السبيعي

لَسْتِ لي أنْتِ ، وَلاَ حُبُّكِ لي ... أنْتِ لِلْوَهْمِ الَّذي لا يَنْجَلي

أنتِ للبَهْرجِ واللَّهْوِ الَّذي ... يُتْقِنُ الحِيلَةَ حَتَّى ... تَنْطَلي

أَنْتِ وَرْدٌ ما بِهِ ... رائِحَةٌ ... لَوْنُهُ الأحْمَرُ يُدمي مُقَلي

أَنْتِ كَنْزٌ ... ليس يُثْرِي أَحَداً ... وَدَوَاءٌ ... لَيْسَ يَشْفي عِلَلي

يا آرْتِعاشاتِ شُمُوعٍ .. لَمْ تُنِرْ ... غَيْرَ وَاهي خَطْوي أو زَلَلي

كُلَّما انسْتِ مِنِّي لَهْفَةً ... قُلْتِ : يالَهْفَةُ كُفِّي واخْجَلي

يا هُروبَ الظِّلِّ في هاجِرَةٍ ... كُلُّ شَيءٍ مِن لَظَاها يَغْتَلي

أَنْتِ (في الحُبِّ) مشاريعُ هَوى ... دون أن تُنْجَزَ ... أَلْقى أَجَلي

كَمْ قَدِ احْتَلْتُ بِخَيْرٍ كَيْ أَرَى ... مِنْكِ مَا أَهْوَى ... وأَعْيَتْ حِيَلي

هَكَذَا حَالي ... ضَياعٌ .. آهِ مَا ... عُدْتُ أَدْرِي آخِرِي مِنْ أَوَّلي

آه ما أَبْعَدَنَا في قُرْبِنَا ... أَيْنَ هذا الصَّبُّ مِنْ ذَاكَ الخَلِي

يا ارْتِفاعاتِ سَحَابٍ خُلَّبٍ ... عَجِّلي بالمَكْرِ .. فينا .. عَجِّلي

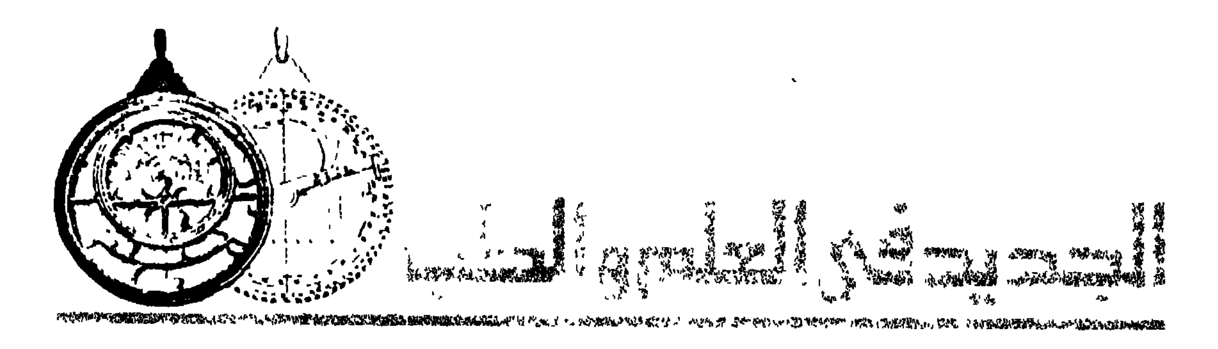
واجْمَعِي ظِلَّكِ عَنْ عَيْنِي لِكَيْ ... أُبْصِرَ الشَّمْسَ بها .. ثمّ ارْحَلي

واتركي لي .. عَثْرَةَ الماضي الَّتي ... لَوَّنَ الحُزْنُ بها مُسْتَقْبَلي

لستِ لي أنْتِ ، وَلاَ كانَ الَّذي ... بَيْنَنَا حُبٌّ .. ، وَلاَ حُبُّكِ لي

قَدْ تَعالى بي هَوىً يَجْعلُني ... أَعْتَلي الخِدْعَةَ فيها .. أَعْتَلي

غَيْرَ مأسوفٍ عَلَيْنا .. نَنْتَهي ... وَسَيَنْسَى المُبْتَلَى ... وَالْمُبْتَلِي



جاليليو ونيوتن كانا على خطأ !

قوى الطبيعة في نظر جاليليو ونيوتن وسائر العلماء كانت حتى الآن أربعة .. أولاها وأضعفها قوة الجاذبية ، وهي التي تشد الكتل أو الأجسام بعضها الى بعض ، والقوة الكهرومغناطيسية وهي التي لا تخلو منها عملية من العمليات الكيماوية .. والقوتان الكامنتّان في الذّرّة : القوة الضعيفة وهي التي يصدُر عنها بعض النشاط الاشعاعي . والقوة الشديدة وهي التي تشد مكونات الذرة بل نواتها بالتحديد بعضها الى بعض ..

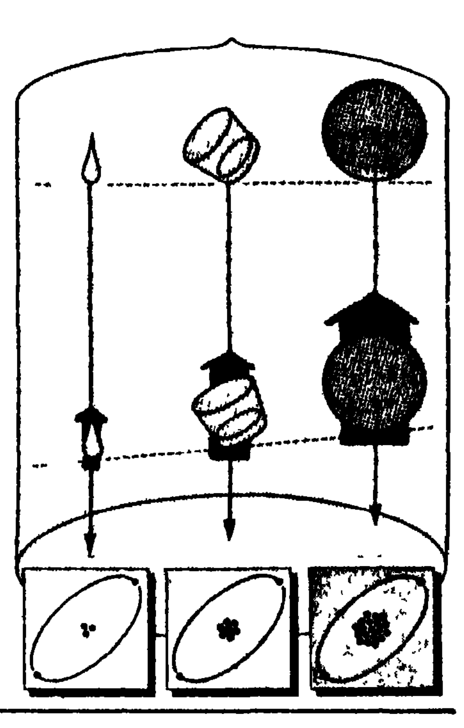
ولكن فريق علماء جامعة بوردو الأمريكية برئاسة افرايم فشباخ .. وهو الفريق الذي أجرى البحث السالف الذكر ، وجد تفاوتا بين الجاذبية على سطح الأرض .. وفي أعماق المناجم في اوستراليا .. ولاحظوا أيضا ما يلفت النظر في مقومات نواة الذرة .. ولم يجدوا تفسيرا لتلك الظواهر خيرا من النظرية التي قال بها العالم المنغاري (رولاند فون ايونفوس) سنة ١٩٠٩ التي تناولت المقارنة أو المفارقة بين أجسام مختلفة التركيب من حيث انجذابها الى الأرض ...

ووجد الفريق في هذه المفارقة ما غفل عنه العالم المنغاري .. وجدوا أن في الطبيعة قوة خامسة أسموها hypercharge . ومع ان هذه القوة أضعف من قوة الجاذبية . ولا يمتد أثرها أكثر من ٦٠٠ قدم ، الا أنها تستطيع اعتراضها قليلا أو العبث بها .. فهي تعمل على التنفير بين البروتونات والنيترونات التي توجد في جسم ما ، وبين تلك التي توجد في جسم آخر .. بحيث يزداد هذا التنفير حيث تكثر البروتونات والنيترونات .. فالحديد مثلا يحتوي على كمية أكبر من البروتونات والنيترونات بالمقارنة مع الماء .. لذلك يلقى الحديد من تنفير الأرض اكثر مما يلقاه الماء . ولذلك أيضا يصل الماء الى سطح الأرض بأسرع مما يصل الحديد (كما يوضح الرسم المرافق) .

ويسوي العلماء المعنيون اجراء نفس التجارب التي أجراها جاليليو ، ولكن بواسطة الأجهزة الحديثة المتطورة .. قبل الجزم نهائيا بصحة نظرياتهم الجديدة .

ما أكثر الاحتراعات في هذه الأيام .. لا يكاد يخلو منها ميدان من ميادين العلم والتقنية ، ولا يكاد يمر يوم دون أن تردنا أخبار وفرة كبيرة ومتنوعة منها .. وبالمقابل : ما أقل الاكتشافات .. الاكتشافات العلمية النظرية ، وخاصة تلك التي تنفي أو تطعن في صحة نظريات توصل اليها فحول العلماء أمثال جاليليو ونيوتن .. واتخذها كافة العلماء على مدى القرون اساسا لأبحاثهم وتجاربهم .

من هنا كانت الأهمية البالغة التي اتصف بها البحث الجديد الذي نشرته



يبين الرسم ثلاثة أجسام مختلفة قطرة ماء وسطل مجوف وكرة من حديد ويبينها وهي تسقط إلى الأرض داخل غرفة مفرغة من الهواء

١ ـ جاذبية الأرض تشد الأجسام الثلاثة إليها شدا متساويا

٢ ـ القوة الخامسة المضادة لجاذبية الأرض تعيق شد هذه الجاذبية بحيث تسقط الأجسام المختلفة بسرعات متفاوتة

٣ ـ قطرة الماء تسبق الجسمين الآخرين في الوصول الى سطح الأرض يتبعها السطل المجوف وتأتي الكرة الحديدية في المرتبة الثالثة السبب عدد البـ وتـونـات والنيوترونات في درة كل من الأجسام الثلاثة فهو أقل من درة قطرة الماء ويزداد قليلا في درة السطل المجوّف ويتضاعف كثيرا في درّة الكرة الحديدية

مجلة بحـوث ومـراجعـات فيـزيـائيـة أسـمـهـا (physical review letters) في مطلع هذه السنة (١٩٨٦) فهو يشير الى احتمال وجود قوة أخرى في الطبيعة لم تكن معـروفـة حتى الآن . ويشير بالتالي الى احتمال الخطأ الذي يمكن أن يكون قد وقع فيه جاليليو ونيوتن من بعـده . . وكـافـة علماء الفلك والفضـاء الذين اتخذوا من نظريتها أساسا لأبحاثهم وحسـابـاتهم الخـاصـة ، بـإطـلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية الخ . .

والنظرية المقصـودة هنا هي تلك التي صاغها جاليليو ، التي تقول لولا مقـاومة الهواء لكانت الأجسام جميعا . . كبيـرهـا وصغيـرهـا . . ـ بصـرف النـظر عن تركيبها ـ . . لكانت هذه الاجسام تسقط الى الأرض بنفس السـرعة والتسـارع ، وتصل الى سطحها في نفس اللحظة . . وتذكر كتب التاريخ كيف قـام جاليليـو بتجـاربه عـلى شتى المـواد الخفيفـة منهـا والثقيلة ، من فوق برج بيزا المائل . . وقد طعن الكثيرون في صحة تلك الرواية ، وشككوا في أن يكون جاليليو قد قام بتلك التجارب بالفعل ، وسواء صدقت الرواية أو لم تصدق ، فقد ظهر الآن من يطعن في صحـة النظريـة التي توصلت اليهـا تلك التجارب . . نظرية وصول كافة الاجسام السـاقـطة الى سـطح الأرض في وقت واحد .

تكرير الدم

ثمة أسلوب حديد لتكرير الدم ، بل استخلاص العناصر المسؤولة عن النـوبات القلبيـة من مجراه ، وهـذا الأسلوب الحديث متعدد المراحل ، وهو موضع تجارب عديـدة في مراكـز طبية في نيويورك وموسكو وكولونيا ، وأوزاك في اليابان .

وقد دلت التجارب الأولية على نجاح هذا الأسلوب الذي تبلغ تكاليف المعالجة به (في دوره التجريبي الحالي) نحوا من ٢٠,٠٠٠ دولار سنويا .

مكتشفون ومخترعون

ماركونى مخترع التلغراف اللاسلكى ١٨٧٤ - ١٩٣٧ م

ينفرد القرن العشرون بسمات مميزة .. ترك بعضها مخترعو وسائط النقل : السيارة ، والطائرة ، والقطار ، والسفينة .. الخ .. وترك بعضها الآخر مخترعو وسائل الاتصال : التلغراف ، والراديو ، والتلفون ، والتلفاز .. الخ .. من هذا المنطلق كان لامفر من اعتبار ماركونى ركنا مهما من الأركان القليلة التى تقوم عليها حضارة هذا القرن .

ولد جوجليلمو ماركونى في بلدة بولونيا في ايطاليا ، في ١٨٧٤/٤/٢٥ ، لأب ايطالى وأم إرلندية .. ودخل المدرسة في بلدته ، ثم في فلورنسا القريبة ، الى أن التحق بالمدرسة التكنية في ليجهورن في ايطاليا أيضا .. حيث درس الفيزياء ، وحيث اتيحت له الفرصة للالمام بالابحاث التى قام بها قبله العالمان جيمس ماكسويل (Maxzell) وهينريش هرتس (Hertz) ، وكانت الموجات الكهرومغناطيسية - أو موجات الراديو - هى محور تلك الأبحاث ... والمثال الذى استأثر بكل اهتمام ماركونى .. أو بأكثره ، ذلك أنه شغف بالأبحاث والتجارب التى سبق أن قام بها السير أوليفر لودج في مجال البرق والكهرباء ..

وتشير المراجع الى أن ماركونى لقى من أمه تشجيعا لم يلقه من أبيه .. فقد كانت صاحبة فضل في حثه على مواصلة أبحاثه وتجاربه ... وأيدته حيث تعثرت مساعيه ، أو تنكرت لمنجزاته السلطات .. وكان لماركونى في سيرة بنيامين فرانكلين ، التى اطلع عليها مبكرا ، خير باعث على القيام بما قام به من تجارب علمية في المجالات التى ذكرنا ... وقد قام بأولى تلك التجارب وهو في السادسة عشرة من عمره .. أجراها في احدى الغرف الملحقة بالسطح من بيت أبيه .. الغرفة التى استعملها أبوه لحفظ أطباق دودة الحرير .. لاعجب اذن أن تنكر أبوه لتجاربه .. وعمل على تثبيط عزيمته .. أكثر من ذى قبل .

ولكن موقف الأب هذا لم يفل من همة ابنه العلمية ابنه المفطور على حب العلم والموهوب للاشتغال فيه .. فقد واصل اجراء تجاربه في عام ١٨٩٥ ، حتى اذا استكملها تقدم باختراعه الى وزارة البريد والتلغراف الايطالية سنة ١٨٩٦ ، ولكن السلطات الايطالية لم تجد في اختراعه مايستحق الاهتمام والرعاية .. فالتلغراف الكهربائى السلكى كان قائما وناجحا في نظر المسؤولين الطليان .. ولم يكن ثمة مايبرر التفكير في استبداله بالتلغراف اللاسلكى الذى تقدم ماركونى باختراعه على نحو بدائى .. فبينما حمل التلغراف السلكى آنذاك آلاف الرسائل عبر المحيطات وبين مختلف الدول وشتى القارات .. لم يستطع تلغراف ماركونى اللاسلكى أن يجتاز برسائله أو اشاراته أكثر من ١,٥ ميل ...

وما أسرع ماهجر العالم الايطالى بلده وتوجه الى لندن .. هو وأمه ... ولم يكد يمضى على وصوله العاصمة البريطانية بضعة شهور ، حتى سجل فيها الاختراع الذى تنكرت له بلده .. ثم أقام في تلك السنة نفسها (١٨٩٦) عرضا لاختراعه أمام سلطات البريد والتلغراف البريطانية .. ومالبث أن حسن اختراعه ، فوسع مداه حتى بلغ ٩ أميال ، ثم ١٢ ميلا (سنة ١٨٩٧) و ٣١ ميلا سنة ١٨٩٩ ...

وتجدر الاشارة الى كبير مهندسى دائرة البريد في لندن السير وليام بريس Preece فقد بلغ من تقديره لماركونى ولاختراعه أنه شمله برعاية خاصة ، كان لها أثرها في نجاح ماركونى السريع في السنوات القليلة التالية .

وجهز ماركونى سنة ١٨٩٩ سفينتين أمريكيتين بتلغرافه اللاسلكى .. وذلك من أجل نقل أخبار سباق القوارب .. على أن اهتمام ماركونى انصب



على الحاسب التلغرافى من أداء جهاره . لا الحاسب الاذاعى . وآثر التقدم في بث الرسائل التلغرافية للأعراض التحارية والحكومية والانسانية وغيرها . على العمل من أحل تطوير أداء جهاره لبث البرامج الاداعية

وحاءت سنة ١٩٠١ لتشهد القمرة الكبيرة الحاسمة التى قمزها اختر ع ماركونى ، فقد نجح في ارسال اشاراته اللاسلكية عبر المحيط الأطلسى من أوروبا الى أمريكا ، وبالعكس .. وبذلك أصبح في العالم أسلوبان للاتصال التلغراق . الأسلوب السلكي الذى يعود طهوره وانتشاره الى منتصف القرن التاسع عشر ، وأسلوب ماركونى اللاسلكى الذى كان ظهوره بحكم المؤشر لحلول القرن العشرين . على ان النجاح العلمى الذى حققه ماركونى كان بحاجة الى حافر يحوله الى نجاح تجارى .. فقد بقى التلغراف اللاسلكى محصورا بجدران المختبرات الجامعية .. حتى كانت الكارثة الكبرى ، غرق سفينة التيتانيك، سنة ١٩١٢ ... فقد غرقت السفينة التى لاتغرق ، وغرق معها نحو ١٥٠٠ نسمة ، كان بينهم كثيرون من الوجهاء والأغنياء .. ولو كان جهاز ماركونى اللاسلكى موضع الاهتمام والاستعمال الجدى ، لكان في الامكان انقاذ ضحايا التيتانيك جميعا .. لذلك كان قرار تعميم استعمال التلغراف اللاسلكى على السفن في طليعة القرارات التى اتخذها مؤتمر لندن آنذاك . وأعقب ذلك انتشار التلغراف اللاسلكى في مشارق الأرض ومغاربها

ومن طريف مايذكر أن جائزة نوبل التى منحت الى ماركونى سنة ١٩٠٩ ، انما منحت له ولرجل آخر اسمه كارل فرديناند براون .. فقد اعتبر هذا الرجل شريكا لماركونى في اختراعه ، بالرغم من أن الناس جميعا اعتبروا القسمة مجحفة بحق ماركونى ، حتى براون نفسه لم يتردد في الاعتذار لماركونى يوم توزيع جوائز نوبل . والاعراب له عن أسفه لحصوله على نصف مكاسبه دون حق أو مبرر

ولاندرى كم بلغت المكافأة المادية التى صحبت جائزة نوبل آنذاك ... اذ لم يكن الأمر يعنى ماركونى من قريب أو من بعيد ، وقد أصبح مليونيرا . ذلك أن تركته بعد موته (سنة ١٩٣٧) بلغت ٢٥ مليون دولار ... وهبها كلها تقريبا لابنته من زوجته الثانية .. أما زوجته هذه وأبناؤه الثلاثة من زوجته الأولى ، وكذلك هذه الزوجة التى عاشت مع ماركونى ٢٢ سنة .. فلم يحصلوا على أكثر من الحد الأدنى الذى نصت عليه القوانين الايطالية .

بقى أن نذكر أن ماركونى فقد احدى عينيه في حادث سيارة سنة ١٩١٠ ، وحضر مؤتمر السلام العالمى في فرساي ، ووقع معاهدة فرساي ووثائقها ، بصفته مندوبا عن ايطاليا سنة ١٩١٩ . □



نهضة زراعية مباركة في المملكة العربية السعودية

يأخذ علينا الأجانب أننا كثيرو الأقوال قليلو الأعمال . . ويزعمون أننا نحيد تحويل الحدائق الغناء الى صحراء ويضربون مثلا بالتنمية الاقتصادية فلطالما تغنينا بهذه التنمية . ولكننا لم نفعل شيئا يذكر حيالها ، وبقينا على تخلفنا الاقتصادي الذي عشنا في ظله أيام الاستعمار الأجنبي والانتداب . ويسخر الأجانب منا - فوق ذلك - بأننا أثرينا من البترول كثيرا ، ولكن ثروتنا البترولية لم تساعدنا على تحقيق التنمية والتصنيع . وكان في استطاعتها أن تحقق ذلك ، وتحقق أيضا كل ما نصبو اليه من نهضة علمية وصحية . . بالاضافة الى النهضة العمرانية . ويستشهدون على ذلك بدول شرق وجنوب شرق آسيا . . وقد حققت التنمية الاقتصادية في غضون العشرين سنة الماضية ، وبدأت الاقلاع نحو التقدم بكافة أبعاده . . هذا بالرغم من أنها لم تعثر على بترول ، ولم تتراكم لديها أية ثروة بترولية . .

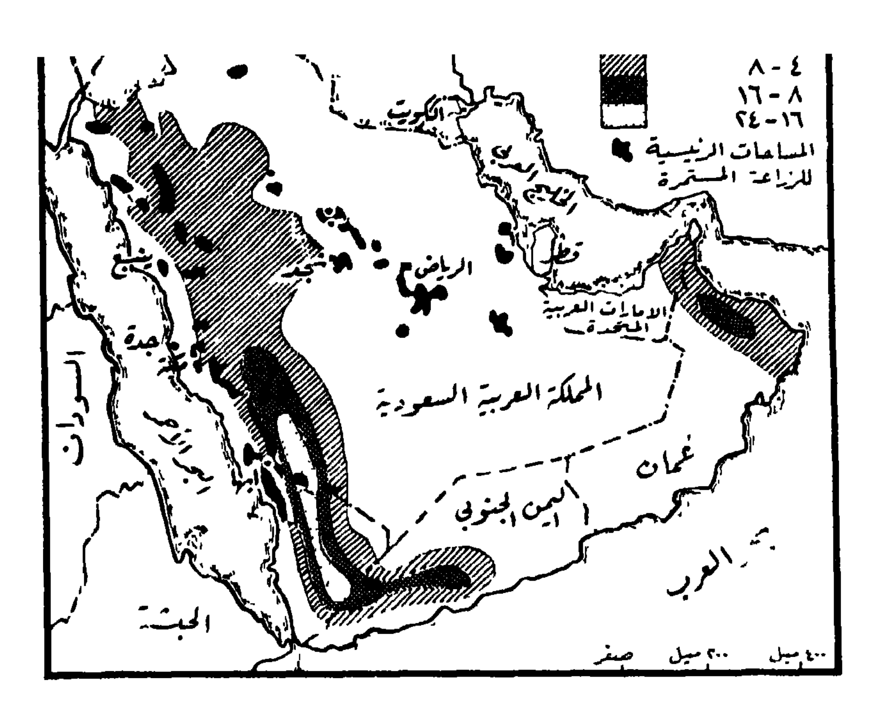
على أن هذا النقد ليس نزيها . . ولا يتصف بالدقة والموضوعية ، ولا يعتمد على أية دراسة لواقع الدول العربية منفردة أو مجتمعة ، ولو كان كذلك لما غفل عن ذكر الدول العربية التي حققت قدرا من التنمية في بعض الميادين . . ولما غفل عن ذكر المملكة العربية السعودية بالذات التي قفزت قفزات هامة في ميدان التنمية الزراعية ، سواء في مجال الزراعة الواسعة ، أو في مجال تربية الدواجن . وحسبنا الرجوع الى مجلة الايكونومست ، والى عددها الصادر في السادس من شهر ابريل سنة ١٩٨٥ ، لنفند مزاعم الناقدين المتحاملين بما ذكرته تلك المجلة الأجنبية . مرددين الآية الكريمة (وشهد شاهد من أهلها .)

تقول المجلة . لقد حولوا الصحراء الى حقول خضراء في المملكة السعودية ، وأصبح القمح يزرع على نطاق واسع في اقليم قاحل جاف ، يقع في نجد الى الجنوب من الرياض . حول حرج بني قاسم وحايل فهذا الاقليم لا يحظى بأكثر من أربع بوصات من المطر سنويا . فهو بحق في طليعة اقاليم العالم جفافا . وأدّى هذا النجاح الذي أحرزته السلطات السعودية الى اثراء مناطق نائية . كانت فقيرة وقاحلة ، وأدىّ الى ما هو أخطر من ذلك . الى كبح التيار الذي جرف الناس من الريف الى المدن .

وتضيف مجلة الأيكونومست . لقد بلغت الزراعة في المملكة السعودية درجة عالية من الانتاجية . تفوق الدرجة التي بلغتها أمريكا الشمالية وتضاهي الدرجة التي حققتها السوق الأوروبية المشتركة . .

وهكذا أصبحت المملكة دولة مصدرة للقمح ، وقد بلغت صادراتها منه سنة ١٩٨٣/ ٨٤ نحو ٣ , ١ مليون طن . . وتذكرنا المجلة بأن السعودية كانت مستوردة للقمح في الأمس القريب في سنة ١٩٧٩ بالذات وقد بلغ ما استوردته فيها من القمح ومن الولايات المتحدةفحسب ، نحو ٥ , ١ مليون طن .

وشملت النهضة السعودية تربية الدواجن ، بالاضافة الى زراعة القمح . . وقد بلغ تعداد الدجاج



الذي ربوه فيها ما يزيد على ٢٥٠ مليون دجاجة في سنة ١٩٨٤ .. أي أربعة أضعاف ما ربوه سنة ١٩٨١ .. وبلغ مجموع البيض الناتج ٢٠٠٠ مليون بيضة .. فهل من عجب بعد هذا أن أصبحت المملكة السعودية تصدر الدجاج والبيض الى الأسواق القريبة .. وأصبح أهلها يفوقون سائر الشعوب من حيث متوسط استهلاك الفرد للدجاج ..

وتحلل مجلة الأيكونومست شتى العوامل التي مكنت المملكة السعودية من تحقيق هذه النهضة .. فتذكر التخطيط .. فقد وضعت الخطط الخمسية .. وبدأت ثالثتها مع بداية سنة ١٩٨٠ .. ولعل من البديهي أن التخطيط الدقيق المسؤول هو الشرط الأساسي لأي عمل تقوم به الدول ، ناهيك ببرنامج متكامل للاصلاح الزراعي ..

وتذكر أيضا المساعدات التي قدمتها الدولة للمزارعين ، وهي عينية أكثر منها نقدية .. شملت فيها شملت شراء محصول القمح من المزارع بسعر مرتفع نسبيا .. بلغ ١٠٠٠ دولار للطن الواحد قبل سنة ١٩٨٤ ، ثم هبط الى ٧٥٠ دولار بعدها .. وقد حقق هذا التخفيض وفرا بلغ حوالي ٥٠٠ مليون دولار في ميزانية سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ، البالغة ٥٧٠٠٠ مليون دولار ، وتشيد مجلة الأيكونومست بشبكات الري الزراعية التي أخذت بها السعودية وطبقتها في المناطق التي لا أمطار تذكر فيها .. فذراع السقي في هذه الشبكات يبلغ طوله ٤٠٠ - ٥٠٠ متر ، والشبكة الواحدة منها تفي بحاجة ١٣٠ - ٢٠٠ فدان ، انها شبكات الرى الشهيرة باسم Certre – pivot Irrigation

ضفدع استراليا تختفي :

■ اكتشف العلماء قبل بضع سنين ضفدعة عجيبة ، تحمل بيوضها في معدتها حتى اذا حان وقت فقس البيوض .. لفظت الضفدع الأم صغارها من فمها .. ولكن هذه الضفدع مالبثت ان اختفت .

وقل مثل ذلك في ضفدعة أخرى شبيهة اكتشفها العلماء سنة ١٩٧٤ ثم اختفت سنة ١٩٧٩ ..



المورو

ثورة في أعماق

الأدغال

استطلاع :
سليمان مظهر



* طابور من مقاتلي جبهة تحرير مورو اثناء التدريب وهم يحملون السلاح وإطلالة صغيرة الى المستقبل المجهول..؟

عندما انطلقنا الى منديناو . . اكبر الجزر في الجنوب الفلبيني . . لم نكن ندري أننا سنخوض مغامرة غير محسوبة العواقب . . ولم نتصور أبدا مدى المعاناة التي يعيشها المسلمون على أرض الجزيرة المتخمة بالثراء الطبيعي الذي منحه لها الله . . ليكون نهبا لأصحاب الملايين وعملاء الاحتكارات وسماسرة الحكم ، الذين عملوا على استغلاله واستلابه وحرموا منه أصحاب الارض لتتخم به أرصدتهم في مصارف الغرباء طوال عهد ماركوس وحتى سقوطه وانهيار حكم الطغيان .

وكان لابد للرحلة أن تكون ذات شقين : أولهما في العلن مع مرافقينا الرسميين لنشهد المعالم التي خططوا لها . . وثانيهما في الخفاء لنعيش مع المجاهدين الذين يقضون النهار والليل في اعماق الاحراش والادغال . . حاملين السلاح . . !

كانت بداية لقائنا مع مسلمي الجنوب في « مهرجان اسبوع مندناو » الذي يقام في فندق « مايلا جاردن » .

كان المهرجان ميدانا لعرض نماذج من الفنون الشعبية والصناعات اليدوية والمظاهر الثقافية ، وألوان من الرقص والغناء والموسيقا ، وعروض للأزياء الوطنية لقبائل المسلمين في جنوب الفلبين .

كان واضحا ان الانتاج اليدوي الشعبي يتميز ببراعة ودقة ومهارة في الصنع ، بالاضافة الى التمسك بمظاهر الفنون التراثية الاسلامية . . وكان من اروع اللوحات المعلقة على جوانب القاعة الكبرى لوحة للبراق ولوحة طرزت عليها بحروف من اسلاك الذهب آيات من القرآن الكريم مطرزة بشكل يؤكد براعة الفنانات والفنانين المسلمين . . وهو نفس التميز الذي بدا ظاهرا في المنحوتات الخشبية والملابس الشعبية التقليدية والرسوم الزاهية الالوان للمظاهر الطبيعية والاساطير الشعبية التي يتناقلها الأبناء عن الاباء والتي تبرز التراث الثقافي القبلي في المجتمعات الاسلامية .

لقد كان المهرجان صورة زاهية ، ولكنها صورة بعيدة كل البعد عن حقيقة ما شاهدناه على ارض الواقع ، من مظاهر الحياة تحت مستوى الفقر الذي يعانيه الصيادون والمسلمون الفقراء في القرى المائية في زامبونجا والمناطق المختلفة في مندناو .

ذهبنا الى زامبونجا لتكون منطلقا لنا للخوض في غمار حياة المسلمين في جزر مندناو وسولو وقرى ريوهوندو والكامبو .

أرض الزهور

كانت منديناو أغنى جزر الارخبيل الفلبيني ـ وثاني اكبر الجزر بعد لوزون ـ تتصل في القديم بجزيرة بورنيو وسولاوسي من جزر السيليبز بجسور ارضية ، الآن فان بقايا هذه الجسور تبدو وكأنها جزر قزمية متناثرة . . ومن بين الجماعات التي كانت تعيش في منديناو ، مازال هناك حوالى ثلاث عشرة قبيلة اكثر عددا مما في أي جزيرة اخرى . هذه القبائل اللادينية ماتزال مرتبطة بحياتها القبلية وعاداتها القديمة . اما على السواحل فتوجد جماعات تدين بالاسلام اغلبها من الصيادين الذين مازالوا ثابتين على عقيدتهم بحزم ، وهم يتركزون في الغالب في شبه جزيرة مندناو وفي جزر سولو بين منديناو وبورنيو .

اما الجانب الغربي الضيق من جزيرة منديناو ، فيشبه في شكله خرطوم الفيل . وعلى طرف الخرطوم تقع مدينة زامبونجا اكبر المدن واكثر الموانىء اهمية وأزدحاما وامتلاء بالسفن والقوارب المزدانة بالاعلام الملونة التي تسمى « فينتا » .

وكانت زامبونجا تحمل ايضا اسم « جامبانجا »

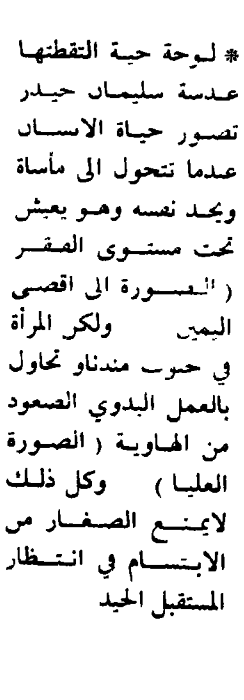
وهي تعني في اللغة المالوية « ارض الزهور » ، حيث تزخر المنطقة بآلاف الانواع من الازهار الاستوائية بالاضافة الى الاصداف الرائعة الالوان والاشكال .
وقبل وصول الاسبان كانت زامبونجا ميناء مهما يربط جزر الفلبين بالقارة الآسيوية . وفي عام ١٦٣٥ - بعد ٦٠ عاما من انشاء مانيلا - جاءت بعثات الجيزويت التبشيرية الى زامبونجا وشيدت قلعة سموها قلعة « سان جوزيه » ليحموا انفسهم من هجمات المسلمين . وتغير الاسم خلال الغزو الامريكي الى « قلعة بيلار » وتعرضت القلعة للهجوم الهولندي والانجليزي الى جانب الهجمات التي كان يقوم بها المسلمون القادمون من جزر سولو في أواسط القرن الثامن عشر .

شعب المعاناة

ولكن . . ماذا عن مشاكل الحياة التي يعيشها شعب المورو في معاناة كما شهدنا في زامبونجا ، وكل جز أرخبيل سولو ومندناو . . حيث الاقلية الاسلامية التي تشكل أغلبية السكان في القسم الجنوبي من الفلبين ؟
الذي لاشك فيه أن جزيرة مندناو تتميز بميزات خاصة لها أهميتها . . فقد أتاح لها شكلها التضاريسي غير المنتظم اتساعا وطولا في السواحل المطلة على البحر ، كما منحتها الطبيعة مجموعة وافرة من الأنهار والبحيرات والشلالات والغابات والأحراش تشكل حوالي ٦٧٪ من مساحتها .
وتتمتع الجزيرة بثروة معدنية زاخرة ، ففيها ٧٨٪ من احتياطي الدولة من الحديد ، كما يوجد ١٠٠٪ من معدن النيكل في منطقة سيرجاو ، بالاضافه الى معادن النحاس والفضة والذهب وحجر الكلس ، الى جانب ٣٠٪ من احتياطي الفحم ، مع توقعات مبشرة بوجود النفط بكميات جيدة في باطن الارض .
اما الثروة الزراعية فان مندناو تنتج ٧٢٪ من مجموع الانتاج القومي من الاناناس ، و ٥٩٪ من القمح ، و ٥٥٪ من البن ، و ٥٠٪ من جوز الهند ، و٤٢٪ من الكاكاو و ٣٨٪ من القنب . . كما أن المياه التي تسبح فيها الجزيرة غنية بالأصداف والمحارات والشعاب المرجانية المختلفة الاشكال والالوان ، مع ثروة هائلة من الاسماك الكبيرة الزاهية . .

أما أجواؤ ها فتزخر بمختلف أنواع الطيور النادرة وخاصة النسور من آكلات القرود .
كل ذلك ذكرته لنا مرافقتنا مارينا لابيلانو مديرة قسم السياحة في زامبونجا ، خلال حديثها معنا ، ونحن وقوف عند شرفة فندق لانتاكا المطلة على البحر .
وأضافت في مباهاة :
- ليس كل ذلك هو ماتتميز به مندناو ، فهنا في زامبونجا ثروة رائعة من ثروات البحر لاتشهد مثلها عين . . أنظروا الى هذه القوارب ذات الاجنحة التي ترسو على طول الساحل . . ان هذه القوارب تسمى « فينتاس » ورجالها من قبائل الباجاو المسلمين المعروفين بغجر البحر . . ومن الصيادين من قبائل السامال . . وأغلبهم كما ترون من الصبية ولكنهم يملكون أعظم ثروة بحرية
ونطل الى القوارب وما تحمله . . كل قارب له جناحان بطول القارب وهو عبارة عن معرض متنقل لأروع أصناف الشعب المرجانية الضخمة ذات اللون الابيض والاحمر والاسود . . بالاضافة الى أصداف مخروطية ومحارات ورخويات يندر وجود مثلها في أي مكان اخر وبهذه الاحجام الضخمة . . وبعض القوارب تبدو كأنها واجهات محلات الزينة والمجوهرات ، مليئة بعقود مرجانية مختلفة الالوان ، الى جانب كل أنواع الاكسسوار النسائي من عقود وأساور ومعلقات من الاصداف والمحارات واصداف السلاحف ، هذه القوارب تقف جنبا الى جنب مع قوارب أخرى تعرض لوحات فنية مصنوعة من الحصير المجدول بالوان أرجوانية وبنفسجية زاهية . . تبرع في صناعتها نساء الباجاو ، وتعتبر من أجمل صادرات الفلبين .
وبين القوارب المستلقية بهدوء تتدافع زوارق خفيفة لايزيد طول كل منها عن متر واحد ، يستقله ثلاثة أو اربعة أطفال تتراوح أعمارهم بين السنتين والخمس سنوات ، وفي لحظات تجدهم يقفزون ويسبحون في الماء بكل مهارة وحذق .
وتقول مرافقتنا : ان الباجاو لايخشون على اطفالهم من البحر ، فهم يلقون بهم في الماء وهم لايتجاوزن ثلاثة شهور ويتركونهم ليسبحوا . . ومن لايحسن السباحة فانه يترك للغرق . . لانه لايستحق البقاء





* لوحة حية التقطتها عدسة سليمان حيدر تصور حياة الانسان عندما تتحول الى مأساة ويجد نفسه وهو يعيش تحت مستوى الفقر (الصورة الى اقصى اليمين ولكن المرأة في حرب مندناو تحاول بالعمل اليدوي الصعود من الهاوية (الصورة العليا) وكل ذلك لايمنع الصغار من الابتسام في انتظار المستقبل الجيد

ولاقيمة له . . مادام لايكافح ويناضل من اجل الحياة . . !

ان حياة البحر هي كل شيء عند الباجاو والسامال من الصيادين ورجال البحر المسلمين الذين يقيمون في القرى المائية على طول سواحل البحار والانهار .

قرية ريوهوندو

وقفنا فوق جسر زامبونجا نطل على قرية الصيادين في « ريو هوندو » . . مئات من الاكواخ الخشبية القائمة على أعمدة ترتفع بضعة أمتار فوق سطح الماء . . ولا وسيلة للانتقال بينها الا بالقوارب والزوارق الصغيرة التي يجيد التجديف عليها النساء والصغار وهم يلقون شباك الصيد في الماء ببراعة وثقة . .

انها واحدة من الصور المتماثلة التي تشغل اكبر مساحة من جزر جنوب الفلبين . . حيث تعيش الغالبية العظمى من المسلمين من صيادين ومزارعين وعمال .

هنا تبدو المعاناة واضحة المعالم على وجوه السكان الذين يشقون من أجل لقمة عيش تأتي لهم بها مياه البحر أو زرع الأرض بينما الرعاية الصحية معدومة والاهتمام بالرعاية الاجتماعية لاوجود له . . مجتمع يعيش المأساة بكل صورها . . وابدا لم نجد دليلا واحدا يؤكد تلك الدعاية التي سمعناها في مانيلا عندما كانت اميلدا ماركوس وزيرة المستوطنات وتدعى اهتماما بهذه المجتمعات في الجنوب . فقد كان الادعاء هو أن « السيدة الاولى » تشرف على خطة رئيسية تقوم على توجيه النمو الحضري لانماط عمران شعاعية من شأنها تشجيع الانتاج الاقتصادي والرعاية الاجتماعية وخاصة لأهالي الجنوب . . وقيل انها تأخذ في اعتبارها حاجات الانسان الشخصية والاجتماعية والمعاشية ، وأنها أنشأت جمعيات نموذجية في هذه المناطق تعمل على النهوض بالبيئة ، مع اقامة مراكز مخصصة للرفاه العام والاجتماعي يتناول قضايا التغذية والتعليم وتنظيم الاسكان والصحة والتدريب المهني . .

لكن . . اين كل هذه الدعاية مما شهدناه بأنفسنا في مجتمعات الصيادين المسلمين في القرى المائية في مندناو ، وفي مجتمعات الفلاحين العمال في المزارع والحقول ؟ ولكن لم لا . . ؟ ألم تأخذنا مرافقتنا وكان ذلك قبل سقوط ماركوس لنشهد ذلك المشروع العظيم الذي أقامته السيدة الاولى في زامبونجا حيث أقيمت أكواخ سكنية مخصصة للعرسان . . لقضاء شهر العسل فوق الاشجار ؟ !

لقد شهدنا اكواخ شهر العسل . . الكوخ مقام على ارتفاع ١٢ مترا على شجرة ضخمة من أشجار السنط . . ويصعد اليه درج يمكن رفعه في الليل عند النوم . وهو يحتوي على غرفة واحدة تضم كل وسائل الاعاشة ، فالسرير المزدوج يطوي ليدخل في فراغ الجدار ، بينما يسحب من فراغ آخر مائدة حولها مقعدان خشبيان . وعلى احد الجوانب يوجد فريجيدير وجهاز تليفون وحوض ومرآة للحلاقة . وفي الجانب الآخر يوجد موقد للطهي مع كل أدوات الطعام . كما يوجد حمام مزود بالماء البارد والساخن . . كل شيء مجهز برعاية كاملة . . ولكنها الرعاية لأغنياء زامبونجا دون فقرائها الذين يستمتعون ايضا بمدينة ملاهي باسونانكا التي أقيمت على مساحة ٥٧ هكتارا ، واحتوت على كل أنواع ألعاب التسلية الالكترونية ، وغير بعيد منها ساحة واسعة لمخيمات الكشافة للفتيان والفتيات مزودة بكل مايلزمها من معدات لاقامة المعسكرات . . وتلك هي كل الرعاية الاجتماعية التي أقيمت لخدمة الاهالي في زامبونجا . . ولكن لغير الفقراء الصيادين والمزارعين المسلمين . . . . « المورو » . . . !

من هم المورو ؟

خلال النصف الاول من القرن السابع عشر ، عندما بدأت البعثات الكاثوليكية التبشيرية محاولاتها لنشر عقائدها ، واجهتها مقاومة اسلامية عنيفة . واطلق الاسبان على المسلمين اسم « المورو » وهو التعبير الاسباني للكلمة الانجليزية « مور » التي كانوا يطلقونها على المغاربة (المراكشيين) في الشمال الافريقي . ويشتهر المورو بشجاعتهم تماما الى جانب شهرتهم كبحارة وصيادين نشطين حتى ان الاسبان والامريكيين من بعدهم عجزوا عن اخضاعهم والسيطرة على ارضهم .

واذا كانت مدينة زامبونجا ذات اغلبية كاثوليكية ،

إلا ان هناك قرى مسلمة في جزيرة سانتا كروز على بعد عشرين دقيقة بالقارب البخاري حيث تبدو حياة السكان متباينة تماما عن حياة سكان المدينة .

ومعظم القرى التي تتمثل فيها اغلبية المسلمين لاتختلف عن قرى الريوهوندو والكاميو . والبيوت في ريوهوندو تقوم على اعمدة تماما كما في بروناي وصباح وسرواك . وينتقل الاطفال الصغار الذين قد لايتجاوزون الخامسة أو السادسة بين البيوت في قوارب صغيرة ذات مجاديف يبرعون في التنقل بها . وهناك بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف من السكان على الاقل يقيمون في هذه البيوت القائمة على سطح الماء ، كما يقيم بينهم ما لايقل عن الالف من المسلمين من ارخبيل سولو .

والمورو مسلمون اولا ثم فلبينيون . وهذه الحقيقة تبدو اكثر وضوحا كلما اقترب الانسان من جزر سولو . وبعد استقرار السلام بين المسلمين والمسيحيين خلال السنوات الاخيرة الماضية ، أقام السكان في وسط أكبر ميدان في المدينة برجا ابيض يعلو قمته الهلال الاسلامي يحتضن الصليب رمزا للوفاق والتعاون القائم بين الكاثوليك والمسلمين .

وقد ابتدع المسلمون في جزر سولو فنا شعبيا يختلف كثيرا عن فنون بقية الفلبينيين ، يتميز بتأثيرات الفن الحاوي الاسلامي

ومن اكثر المشاهد جاذبية تلك التعليقات الملونة التي تزخر بها جوانب سيارات الجيبني في زامبونجا . . فتستطيع ان تقرأ عبارات كثيرة تقول :

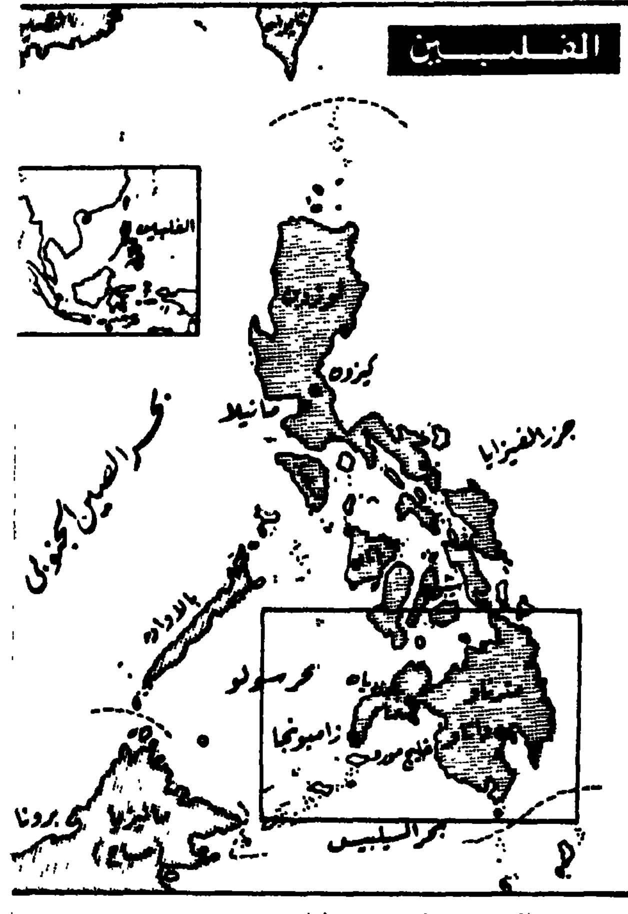
« لاتنسنا أبدا » و « ارجع الينا مرة أخرى » و« ياسمين » و « الطفل المحظوظ » و « بغداد »

وهي نفس التعبيرات التي تقرؤها على جوانب القوارب البخارية التي تحمل السياح في جولاتهم بين الجزر . .

جبهة تحرير مورو

والآن . . عودة الى الاحداث التاريخية التي ادت الى الغضبة الاسلامية في جنوب الفلبين ، والتي مهدت لقيام « الجبهة الوطنية لتحرير مورو » .

ان السنوات الست الأخيرة من الحكم الاقليمي الذاتي في المقاطعات الاسلامية في جنوب الفلبين ـ وان كانت قاسية خشنة ـ إلا انها تتميز أيضا بأنها كانت فترة انتصار . وروعة هذه الفترة من الحكم الذاتي تستمد نهضتها وروحها من جوهر كفاح الماضي



* خريطة تبين موقع جزر الفلبين . . وجزيرة مندناو ومدينة زامبونجا

وماتبعه من نضال واحداث وظروف ، استطاعت في النهاية تحقيق قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، هذا النظام الحديث للحكم الذاتي الذي استند الى حقائق معاصرة .

الاستقلال الذاتي الاقليمي هو ماأمكن تحقيقه بعد صراع طويل خاصته المجتمعات الاسلامية في منديناو .

ولكن هذه الاحداث نفسها كانت وراء حصولهم على حقوقهم ! وان كان ذلك قد تم على أجساد الآلاف من الضحايا . . . . واحداث عقد السبعينيات تسطر في صفحات التاريخ على انها فترة الثورة الضارية التي قام بها مسلمو ميندناو ضد الحكومة الفلبينية لاسترداد حقوقهم السياسية والاقتصادية ، واستعادة امتيازاتهم المدنية التي ضاعت خلال الفساد الاستعماري والاهمال الحكومي للجنوب ، مما جعل الفقر



* لقطة من فوق الجسر بين زامبونجا والقرية المائية للصيادين . ويبدو المسجد وقد توسط اكواخ القرية
والى اليسار مجموعة من الطالبات في زيهن الاسلامي في الطريق الى المدرسة .







* الـزي الـشـعـبـي للمسلمـين في جنـوب الفلبين كما برز بكل تفاصيله خلال مهرجان اسبوع مندناو حيث عرضت لوحات رائعة من الفنون الشعبية التي تميزت بها القبائل في الجنوب

والتخلف صاحب السيطرة الاولى على مقدرات المسلمين في منديناو .

ولابد من عودة الى تاريخ المقاومة العنيفة الرائدة لمسلمي جنوب الفلبين ضد السيطرة والهيمنة .

فقد بدأ الغزو الاسباني للفلبين مع وصول لويز ديلجاسبي الذي اوقف على الفور الهجرات النازحة من بورنيو الى البلاد ، وقصر النشاط التجاري مع بورنيو على لوزون وجزر الفيزايا بين عامي ١٥٣٥ و ١٦٧١ .

ومنذ ذلك الوقت اشتعلت حروب المورو التي صورها الاسبان على انها عدوان إسلامي يقوم به اللصوص والمهربون ضد القوات الاسبانية في جزر الفيزايا وجزيرة منديناو .

وبقوة السلاح عمل الاسبان على « تنصير » سكان منديناو في الاماكن التي استطاعوا ان يضعوا اقدامهم فيها مثل مدينة زامبونجا .

واستمرت محاولات التنصير واتسعت بين بعض قبائل الارخبيل حتى استطاع المسلمون الوقوف في وجهها في وسط منديناو وسولو ، معتمدين على ماتنفثه فيهم عقيدتهم من روح الجهاد والنضال في سبيل الدفاع عن الارض والوطن .

وتحولت مظاهر المقاومة ضد المستعمرين الاسبان الى نوع من العداء بين المواطنين المسلمين والمسيحيين . فبعد ان عجز الاسبان عن اخضاع المسلمين تحولوا ليغرسوا بذور العداء بين اتباع العقيدتين مستغلين الاختلافات العقائدية بينهما .

واستمر ذلك حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٩٨ التي سلم الاسبان بموجبها جزر الفلبين للامريكيين عقب انتهاء الحرب الاسبانية الامريكية .

كانت المحاولات الامريكية لاستعمار الجنوب الاسلامى تقوم أول الامر على سياسة الاستيعاب بلطف، ثم استبدلتها بابتداع خطط الدمج . ووجد المسلمون انفسهم مرة اخرى فى مواجهة اعداء جدد . .

وبينما كان المسيحيون يسايرون الاتجاهات الامريكية ، فإن المسلمين وجدوا انفسهم وقد اتسعت شقة الخلاف مرة أخرى بينهم وبين المسيحيين . وكان لابد للسياسات الاستعمارية الامريكية ان تواجه بمعارضة عنيفة عندما اتجهت الى مزيد من فرض الضرائب والى فرض التجنيد الاجباري . واتسع نطاق الثورة ضد الاستعمار الامريكي الجديد . واستبسل المسلمون في النضال والمقاومة . ولما ادرك الامريكيون ان القوة لم تعد تجدي مع المسلمين بل تزيدهم استبسالا وتضامنا واندفاعا للاستشهاد غيروا اساليبهم وأخذوا في استمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنحوهم قسطا من الحرية في حياتهم العامة للتخفيف من نقمتهم ومقاومتهم .

استمر ذلك الوضع محققا نجاحا محدودا لدى المسلمين حتى بعد ان تولت الحكومة المدنية الحكم بعد عام ١٩١٣ ، وحين تمهد الطريق لنيل الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ فقد نشط المسلمون للنهوض بأنفسهم بعد ان حصلوا على درجة لابأس بها من ممارسة الحكم الذاتي ، وقامت جماعات منهم بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس ، وكان من أشهرها جمعية « إقامة الاسلام » التي وضعت من اهدافها القيام بتعليم اللغة العربية وفهم معاني القرآن والحديث والسعى لتوحيد كلمة المسلمين في البلاد وتبليغ الدعوة الاسلامية وشرح مبادئها والرد على مفتريات اعدائها . ولكن المشكلة التي كانت تعترض مشاريع الجمعية ومثيلاتها هي عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلا كافيا للنهوض بمهماتها . .

ولكن ذلك كله لم يمنع من اشتعال شرارات اخرى للمقاومة الدموية بين الحين والآخر كرد فعل للرسوم الجمركية والزحف المسيحي الى منديناو وسولو وانتزاع اراضي المسلمين والاستيلاء عليها ونزع سلاح المورو وفرض ضرائب على ملكية الأرض ، ووقف المسلمون في وجه زيادة عدد الموظفين الرسميين في الوظائف والاعمال المدنية المحلية . لهذا فعندما اصبح الاستقلال الوطني في حكم المقرر اعلن القادة المسلمون مطالبتهم بعدم إلحاق منديناو وسولو بالجمهورية الجديدة .

ومنذ سنة ١٩٤٦ وهو العام الذي منحت فيه الفلبين استقلالها وحتى سنوات قليلة تالية ، فإن الحكومة الجديدة ، أرهقتها مشكلة المحافظة على الامن والنظام في سولو .

ثورة الجنوب

كان سكان سولو خلال الحرب العظمى الثانية وبعدها بقليل ، قد استطاعوا تخزين كميات كبيرة من السلاح والذخيرة من كل من اليابانيين الغزاة والامريكيين الراحلين . وصرف المسئولون الحكوميون جهودهم للبحث عن السلاح والقبض

على المسلحين ، مهملين في الوقت نفسه الامور الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، واتجهت الحكومة للحصول على اصوات الناخبين والاهتمام الزائد بالمناطق الشمالية الغنية مثل لوزون والفيزايا لرفع مستوى الحياة بين سكانها مع اهمال كل رعاية واهتمام بسكان الجنوب ، لما كانوا يقومون به من حركات مناهضة للحكم . وساعدت وسائل المواصلات الحديثة في الاسراع بالنهوض بالمناطق الشمالية وتوسيع الفروق بين الشمال والجنوب .

أدت احداث الصدامات في سولو عام ١٩٥١ ومساعده الحكومة لرجال العصابات ضد سكان الجنوب ، الى مزيد من الغضب والثورة بين المسلمين ، وقادت الى انشاء مكتب الدمج الوطني عام ١٩٥٨ ، وبالتالي الى اشتعال الاحداث وانفجار الغليان الشعبي الذى قادته « الجبهة الوطنية لتحرير مورو . . » التي بدأ مولدها في اوساط الطلاب المسلمين كتيار سياسي مالبث ان اتخذ أبعادا وطنية عندما بدأ يطالب باستقلال ذاتي للمناطق الاسلامية في جزيرة منديناو . وكانت قيادة الجبهة تتمثل في ذلك الوقت في « نورميسوارى » وهو سياسي واقعي كان استاذا جامعيا للعلوم السياسية .

الاحداث التي مهدت لقيام جبهة التحرير كثيرة حدثنا عن تفاصيلها كثيرون من سكان الجنوب الذين خاضوا غمار هذه الاحداث .

قال لنا صالح بدر الدين من جمعية النهضة الاسلامية : انه كان من نتيجة انهماك أهل الجنوب في مقاومة الغزو الاجنبي الاسباني ثم الامريكي ، ان تخلفوا وتأخروا عن سواهم من سكان الفلبين ، بينما كانت بعثات التبشير تنشط لتحويل العدد الاكبر من اللادينيين وحتى المسلمين الى النصرانية ، حتى تعذر على الثقافة الاسلامية أن تتابع مسيرتها في ظل النشاط التبشيري والاستعماري .

وفي ظل السلطة الحاكمة التي تساندها البعثات التبشيرية والقوى الاستعمارية ، بذلت جهود كثيرة مخططة لانشاء مستعمرات مسيحية في منديناو . وتدفق القادمون من الشمال لشراء الاراضي واحتلالها في مناطق المسلمين بهدف زيادة نسبة الكثافة السكانية غير الاسلامية في منديناو وإدماجها في اطار أكبر للمجال السياسي والقيادي الديني

ولعل الهدف لم يكن دينيا فحسب ، فقد كانت كثرة المعادن التي تزخر بها المناطق الجنوبية هي مايسعى اليه الرأسماليون الذين ساندتهم التشريعات الحكومية القانونية التي اعتبرت العدوان على اراضي المسلمين عملا مشروعا .

أحداث الصراع مع العصابات

هنا بدأت الاحداث التي يحكيها لنا المجاهدون الشبان من جبهة تحرير مورو ، خلال حوار ضم عددا منهم في بيت احد الزعماء الذين مازالوا ثابتين على موقفهم .

قال أحدهم : « عصابة الألاجا » وهي تشبه عصابة « كوكلوكس كلان » التي تحارب السود في امريكا ، أنشئت لتكون أداة لسحق السكان المسلمين والقضاء عليهم ، وقد ارتكبت العديد من المذابح التي استنكرها حتى بعض رجال الكنيسة . وحين احتج أحد القسس الطيبين على تلك الاعتداءات واستنكر بشدة ما تقوم به الألاجا ، تلقى من زعامته العليا توبيخا شديد اللهجة لالتزامه جانب العدل ! »

وقال مجاهد آخر في سنة ١٩٦٨ حدثت مذبحة « كوريجيدور » وذهب ضحيتها عدد من المسلمين المتطوعين في جيش البلاد ، واستخدمت معهم الاساليب التي استعملت في مذبحة « بفكاوانات » التي ذهب ضحيتها اكثر من ستمائة فرد من الاطفال والنساء والشيوخ . وكانت هذه المذابح تجري على يد عصابات إرهابية مسلحة تضم أغنياء النصارى في الجنوب وموظفي الحكومة ورجال الجيش ، وكانت تستهدف اشاعة الرعب والفزع بين المسلمين وحملهم على ترك اراضيهم ، ولاتنس ان مستشار الرئيس ماركوس الخاص يهودي صهيوني معروف . . !

وقد حدث في صباح ١٩ يونيو ١٩٧١ ، ان هاجم المرتزقة بقيادة بعض ضباط الشرطة النظاميين ، قرية مانيلي في مقاطعة كوناباتو ، وطوقوا اهل القرية وجمعوهم داخل المسجد بحجة انهم يريدون اقامة مؤتمر للسلام . وفي المسجد انقضوا عليهم بالقنابل والرصاص حتى قتلوا منهم ٦٤ مسلما وأصابوا أكثر من مائتين بجراح خطيرة . واتبعت الطريقة ذاتها مع آخرين في مدرسة عامة قريبة من ذلك المكان ، حيث استشهد عشرات من المسلمين .

كان من بين الحضور رئيس حركة استقلال منديناو ، وكانت الحكومة قد اتهمت حركته بأنها كونت قوة عسكرية عرفت باسم « ذوي القمصان

* في وسط الساحة الشعبية في حي المسلمين برامبونجا وقفت تقدم لوحة راقصة بينما زميلها يقدم لوحة اخرى تمثل رقصة الحرب



* ترحر شواطىء جرر الحنوب بأنواع متباينة مں المحارات والأصداف والشعب المرحانية



* كــوح شهــر العســل فــوق شجــرة البلوط في وسط الغابة بمدينة رامبونجا



* لاتخلو قرية من قرى الحنوب من مسجد يتوسط مساحتها وهي مساجد تتبع في عمارتها أصول الفن الجاوي الاسلامي (والى اليمين) ثمار المانجو والاناناس بأحجامها الكبيرة

السوداء » وانها مسئولة عن الاضطرابات التي انفجرت بشكل اعنف والتي ادت الى اعلان الاحكام العرفية في البلاد .

قال لنا : « لم يكن هناك وجود لما يسمى بذوي القمصان السوداء . ولاظل في الحقيقة لكل مايقال من اتهامات للمسلمين بانهم يريدون الانفصال عن الجمهورية وإنشاء دولة مستقلة من مندناو وسولو ، ان كل ما اريده هو السلام ، ولا أريد القلاقل مالم تجر محاولات لاثارتنا . وكل ماتفعله الحركة هو إصدار منشورات تعبر عن اعتراضنا على مايجري من اهمال لحقوق المسلمين . فماذا يخيفهم من ذلك ؟ انني اريد ان يكون المسلمون والنصارى على مودة وان يعيشوا في تآلف وانسجام مادمت زعيما للمسلمين والنصارى في الوادي الاعلى » .

حين تحركت جبهة تحرير مورو لاعلان مطالبها اعتبرت الحكومة انها ثورة للمسلمين في الجنوب ، وقررت مواجهتها بكل عنف واعلنت الاحكام العرفية بموجب قانون الطوارىء منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٢ .

وهنا . . نعود الى وثائق التاريخ لنقرأ صفحات من كتاب « البلدان الاسلامية والأقليات في العالم المعاصر » الذي اصدرته جامعة محمد بن سعود بالرياض . .

« كانت قوات الحكومة تؤازرها القوى والعصابات المضادة للمسلمين والمدعومة من الدول الاجنبية اقوى بكثير من الثوار المسلمين . وبلغ تعداد جيش الحكومة في المناطق الجنوبية ربع مليون جندي . . وارتكبت افظع الجرائم ضد المسلمين من قتل جماعي ، وإحراق للمزارع ، وتهديم للمساجد فوق المصلين ، وللمنازل فوق السكان ، واحراق للبشر أحياء ، وإنتهاك الاعراض والحرمات . وصمد المسلمون بقوة في وجه هذه الفظائع ، وأبدوا من الشجاعة ما كبد عدوهم خسائر فادحة ، وتحصنوا في الغابات والجبال ، ونال بعضهم قسطا من التدريب في معسكرات خارج البلاد . وكان الشعب خير ظهير لهم في كمائنهم وهجماتهم الخاطفة ، ويقدر جيشهم بثلاثين الف مقاتل . وكلما خشيت الحكومة الدول الاسلامية وتأييدها لمسلمي الفلبين ، اصدرت تصريحا بأنها ستمنح للمسلمين حكما ذاتيا ، وان جيشها سينسحب من المناطق الاسلامية ، ثم لاتلبث ان تنكشف الحقيقة المناقضة لهذه الدعاوي » .

اتفاق طرابلس والحكم الذاتي

على ان سياسة القوة قد فشلت ازاء صمود المسلمين ، واضطرت الحكومة الفلبينية للموافقة على مفاوضة المسلمين حيث تم في ديسمبر ١٩٧٦ في طرابلس بالجماهيرية الليبية التوقيع على اتفاق وقف اطلاق النار ، ووقع عن الحكومة وكيل وزارة الدفاع الفلبيني كارميلو بربيرو ، كما وقع عن المسلمين زعيم الجبهة الوطنية لتحرير المورو نورميسوارى .

ووافقت الحكومة بموجب الاتفاق على اعطاء المناطق الاسلامية الثلاث عشرة في جنوب البلاد حكما ذاتيا ، وان يكون لها حكومة واحدة ومجلس نيابي واحد ، ومحاكم ومدارس وجامعات مستقلة ، وان يجري فيها الاقتراع لاستفتاء عام . وتؤلف لجنة لتنفيذ الاتفاقية من مندوبين عن المؤتمر الاسلامي الذي عقد في كوالمبور عاصمة ماليزيا عام ١٩٧٤ ، وعن جيش المورو ، وعن الحكومة الفلبينية . ولكن تعددت تصرفات الحكومة التي تعتبر خرقا للاتفاقية على الرغم من اصدارها قرارا بتعيين « نورميسوارى » عام ١٩٧٧ حاكما عاما للمناطق الاسلامية .

ولكن . . ماذا حدث بعد ؟

الواقع ان الكفاح المسلح الذي قامت به جبهة تحرير مورو برغم الانقسامات التي حلت بها بعد ذلك ، والنضال الشعبي الذي واجه به المسلمون في الجنوب كل محاولات الضغط والارهاب ، كان لابد ان تؤدي في النهاية الى مكاسب كثيرة في اتجاه الحكم الذاتي للمسلمين . .

مع رئيس المجلس التنفيذي

هذه الصورة الجديدة شهدناها وسمعنا بعض تفصيلاتها عندما التقينا بالحاج صالح والى أحد قادة جبهة تحرير مورو الرئيس الحالي للمجلس التنفيذي للحكومة المستقلة للاقليم التاسع بمقر المجلس في زامبونجا قال : « لايستطيع أحد ان ينكر ان الحكم الذاتي الذي نتمتع به الآن هو ثمرة نضال طويل خاضه المسلمون في جميع مناطق الجنوب ، وان جبهة تحرير مورو كان لها الدور الرئيسي في هذا الجهد الكبير الذي تكلل اخيرا بالنجاح ، وقيام الحكومة الاقليمية في جنوب الفلبين .

فتنفيذا لاتفاقية طرابلس تقرر قيام حكم ذاتي في

أربعة اقاليم هي الاقليم التاسع في غرب مندناو ويضم خمس مقاطعات هي زامبونجا الشمالية وزامبونجا الجنوبية وجزر سولو وباسيلان وتاوى تاوى وعاصمته زامبونجا ، والاقليم الثاني عشر في وسط مندناو ، ويضم مقاطعات لاناو الشمالية والجنوبية وماجينداناو وسلطنة كودرات وعاصمته كاتاباتو ، وذلك بالاضافة الى بالاوان في الاقليم الرابع ودافاو الجنوبية وكاتوباتو الجنوبية في الاقليم الحادي عشر .

ويبلغ عدد المسلمين في مندناو الغربية والوسطى حسب تعداد ١٩٨٤ حوالي مليونين و٥٢٨ الف مسلم ، بينما عدد غير المسلمين حوالي مليون و٨٠٠ الف . . وكلهم يعيشون في ظل الحكومة الاقليمية المستقلة ذاتيا التي اعلن قيامها في مارس عام ١٩٧٧ وتشكلت من سبعة اعضاء يعينهم رئيس الجمهورية وعضوين من قيادات جبهة تحرير مورو، وعضو تختاره جبهات التحرير في كل من المقاطعات الثلاث عشرة التي تتمتع بالحكم الذاتي .

ان خطة الحكومة لاعادة الوئام والتهدئة تضع على عاتقها مساعدة المسلمين الفلبينيين برفع مستوى التأهيل التعليمي وخاصة بين اعضاء جبهة تحرير مورو العائدين والذين فقدوا فرص التعليم خلال مشاركتهم في اعمال المقاومة ، وتوجيههم الى الاعمال والوظائف المدنية والحكم المحلي ، وفتح مجالات التجارة بين مندناو الغربية وجاراتها وانشاء الجامعات ودعم المدارس بالمدرسين المؤهلين . . .

والى جانب ذلك انشئت « وزارة الشئون الاسلامية » في الحكومة المركزية ، كما تم الاعتراف بقوانين الاحوال الشخصية الاسلامية ، وانشئت المحكمة الشرعية ، وصدرت قوانين لاعادة الاراضي المستولى عليها الى أصحابها الاصليين ، ورصدت مئات الملايين من البيزو (العملة الفلبينية) لتطوير الخدمات الاجتماعية والاسكانية للثوار العائدين .

ولكن ماذا عن مظاهر الفقر والتخلف التي مايزال قائما وشهدناه في كل مكان زرناه في منديناو ، وبخاصة القرى المتناثرة وبينها قرى الصيادين ؟

يقول الحاج صالح والى : لاشك ان الفترة الماضية التي انتهت الآن بقيام الحكومة الاقليمية قبل ستة أعوام ، كانت فترة عصيبة شغل فيها السكان المسلمون بالمقاومة والتصدي للهجمات المستمرة من العصابات والقوى الأخرى ، مما أدى الى انهيار اقتصادياتهم ، رغم أن مندناو أغنى الاقاليم في البلاد . ولكن التغير الذي جرى في السنوات الأخيرة اعطى الفرصة لبدء التطوير والنهوض بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ، ويبدو ذلك واضحا من خلال التنفيذ الفعلي للأسس التي أعلن بموجبها قيام الحكومة الاقليمية المستقلة التي حددت أربعة أهداف رئيسية هي : اعادة إسكان الثوار العائدين ، والاهتمام بالثقافة والتعليم ، وضمان الامن والاستقرار ، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي في المقاطعات الاسلامية . وتتولى الحكومة الاقليمية والمجالس التنفيذية بنفسها شئون تطوير التعليم والاقتصاد ، كما تتولى ادارة الامور المالية والعلاقات الاقتصادية والتجارية والمصرفية مع الدول الأخرى ، بالاضافة الى توليها الاشراف على المصادر الطبيعية وشئون الهجرة والابعاد والمواطنة والتجنيس والمنافع والخدمات العامة والجمارك والمراقبة والحجر الصحي .

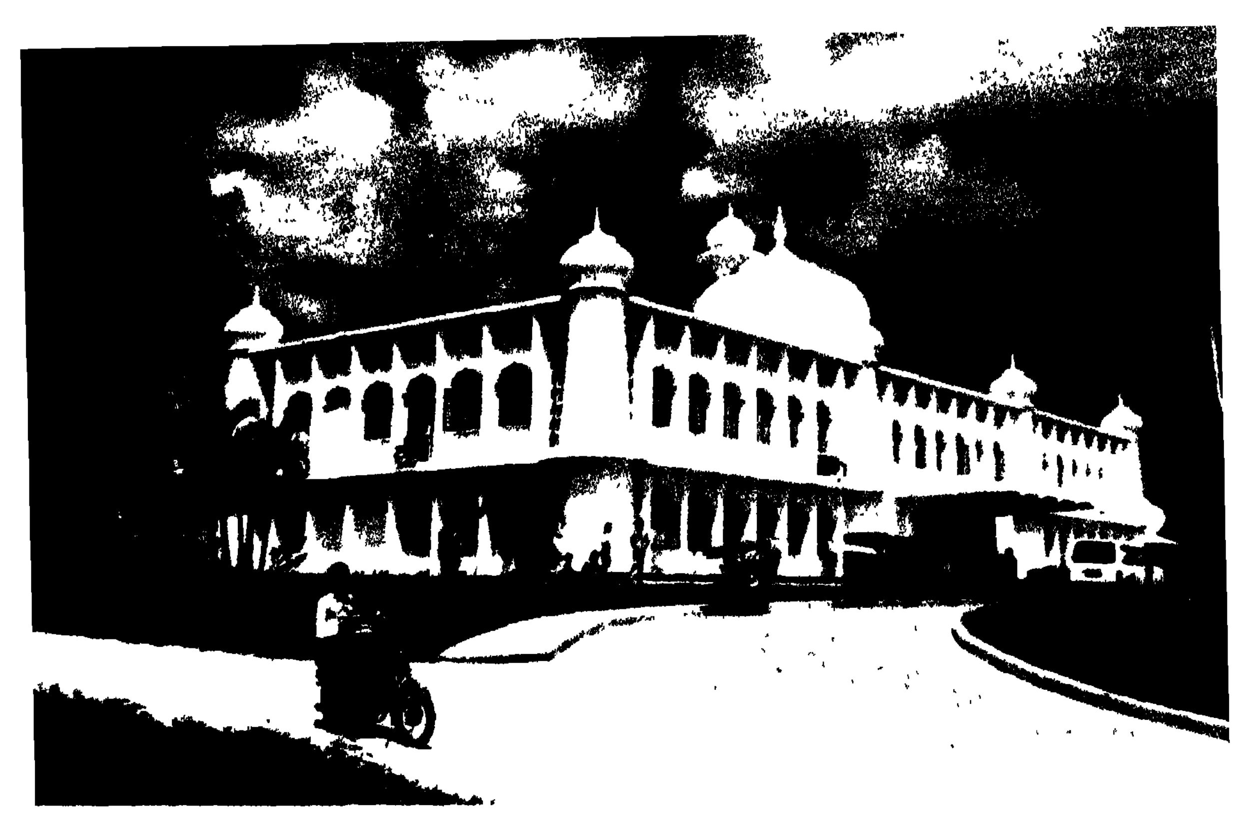
الواقع الجديد

● ثم ماذا عن مقاتلي جبهة تحرير مورو ؟ وماهي الاسس التي عاد بها هؤلاء الى الحياة المدنية ؟ وهل انضم الجميع الى الركب ام ان هناك من لايزال يشارك في النضال من اجل التحرير الكامل


وحه من مندناو .







مقر المجلس التنفيذى للحكومة الاقليمية فى زامبونجا والذى يشرف على شئون المسلمين فى الاقليم التاسع فى الجنوب الفلبينى



بعض الشباب المسلحين من جبهة تحرير المورو فى احد المعسكرات فى منطقة مندناو



الصغار يسبحون بمهارة في مياه قرية ريوهوندو . ويلقى الصغير في الماء ليسبح وهو لايزال في عمر الزهور .

والاعتراف بدولة اسلامية مستقلة في الجنوب ؟

الاجابة نسمعها من اكثر من طرف ، سواء ممن ألقوا السلاح أو ممن لايزالون يحملونه . . ونخرج من هذه الاجابات بواقع جديد مايزال قائما في جنوب الفلبين .

الكثيرون من مقاتلي الجبهة لم يطمئنوا الى وعود ماركوس وقراراته حيث كان قد تجاهل طوال فترة رئاسته وحتى سقوطه الكثير مما اتفق عليه في اتفاقيات طرابلس أو ما بقي معلقا بحجة المزيد من الدراسة ، ويقال ان ما شجع ماركوس للتنكر لما بقى من بنود الاتفاق هو تراجع الزعامات التقليدية للمورو خشية ان تفقد امتيازاتها مع ازدياد نفوذ الشبان الراديكاليين .

ولكن الذي لاشك فيه هو ان هناك خلافات تراكمت بين قادة الجبهة وخاصة بين زعيمها السياسي نورميسواري ورجل الدين هاشم سلامات في اعقاب قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، والتناحر الذي شب بين مختلف القيادات والمقاتلين عند اجراء الانتخابات في المناطق الاسلامية لتشكيل المجالس التنفيذية والبرلمانية ، خاصة بعد ان قرر الكثيرون الانضمام الى السلطة الجديدة ، والاستفادة من القرارات الخاصة بإعادة اسكانهم وعائلاتهم ، ورعايتهم اجتماعيا واقتصاديا ، وأغلب هؤلاء استبدلوا بالقتال المسلح اعطاء الاولوية للتربية وتحويل المدارس الى مراكز قومية للتوعية . كما اقاموا وشاركوا في مراكز الابحاث والجمعيات الثقافية والاقتصادية والمجالس الاقليمية للعلماء كما حدث في زامبونجا ، كما اتجه بعضهم للعمل في اطار التحالف الاسلامي من اجل الحفاظ على هوية المورو وتعميقها في النفوس .

ولكن عددا آخر ممن فقدوا الثقة بالحكومة المركزية في مانيلا مازالوا يحملون السلاح يقاتلون بين حين وآخر ، دون خطة أو هدف محدد ، بينما تشهد بعض مناطق « لاناو » قيام جبهة جديدة من المقاتلين الذين تدربوا في ماليزيا أو باكستان الى جانب الثوار الافغان ، إلا ان إمكاناتهم العسكرية ماتزال محدودة . ومن بين هؤلاء من استطاعوا في صيف ١٩٨٤ خوض معركة ضد الجيش استمرت شهرين

ولم تتوقف إلا بعد أن لجأت القوات الحكومية الى استخدام الاسلحة الكيماوية .

في قواعد المجاهدين

كل ذلك كان لابد ان نستمع الى تفاصيله ونحن نتنقل في جولتنا بعيدا عن صحبة الرسميين الى مناطق الثوار داخل الغابات والاحراش

فهناك سنلتقي بالمجاهدين المسلمين في قواعدهم العسكرية في لاناو . . تماما كما سنلتقي بمجموعات أخرى من ثوار جبهة تحرير مورو القابعين في قلب جزيرة مندناو .

المغامرة كان لابد منها لاجتياز عدة نقاط تفتيش عسكرية ، وبصحبتنا شاب من المجاهدين المسلمين ترك أسرته في القرية لينضم الى القاعدة السرية للثوار . وكان الوصول الى القاعدة محفوفا بالأخطار ونحن نسير عبر مجموعة من القرى وعشرات من حواجز التفتيش دون أن تكشفنا عيون قوات الحكومة . .

المهم أننا وصلنا بعد ان اخترقنا الحصار . وكان واضحا ان الفتيان الذين يشكلون هذه المجموعات من المناضلين اغلبهم بعمر الزهور ، وان كان قادتهم ومدربوهم رجالا تمرسوا طويلا على حرب العصابات التي لاتختلف عن الحرب النظامية من حيث التنظيم والتدريب والتسلح .

وحين جلسنا الى قائد القاعدة وقد أحاط بنا عدد من المجاهدين أحسسنا انهم قد أحسن تدريبهم روحيا ونفسيا وتعليميا وعسكريا . . وكان الايمان يعمر قلوبهم كما كانوا يدركون قيمة الجهاد في سبيل الاسلام والوقوف في وجه الطغيان لاستخلاص حقوقهم المشروعة في ارض الاجداد .

قال لنا قائد القاعدة :

ـ بعض هؤلاء هم اخوة وأبناء لشهداء ناضلوا في صفوف جبهة تحرير مورو . . وحققوا الكثير من الانتصارات على قوات الحكومة خلال معارك ماقبل اتفاقية طرابلس . وكانت هذه الاتفاقية نتيجة لضراوة المعارك التي أرغمت ماركوس على أن يحني رأسه . . وان كان قد عاود مرة اخرى التراجع عما تم الاتفاق عليه . وقد كان هذا التراجع مع عدم اطمئناننا الى وعوده سببا في عودتنا الى تنظيم صفوفنا .

وقلنا له :

ـ ولكننا شهدنا بعض مظاهر الحكم الذاتي وزرنا المجلس التنفيذي للاقليم التاسع . . وقال لنا الحاج صالح والى انهم يمارسون الاستقلال الذاتي بكل مايحمل الاستقلال من معنى .

قال صاحبنا في ابتسامة ساخرة :

ـ لاتخدعكم مظاهر مايسمى بالحكم الاقليمي الذاتي فقد انخدع ايضا عدد من قادة الجبهة وانضموا الى السلطة ، وشاركوا في المجالس التنفيذية . ولكن هذه المجالس لاتملك من السلطة الا القليل ، وهي تأتمر بأوامر الحكومة المركزية التي لاتمنحها حتى المال اللازم لتنفيذ المشروعات المطلوبة . ولكنهم سيكتشفون في القريب انهم مخطئون وان الحق لايمكن ان يؤخذ الا بالقوة .

وتدخل احد الشبان وهو يشير الى مجموعات الاسلحة المتباينة الاحجام والانواع :

ـ ان بعض هذه الاسلحة هو حصيلة ماغنمناه بالقوة خلال معاركنا مع قوات الحكومة ، وان كان البعض الأخر قد حصلنا عليه لقاء مقابل مادي من أفراد الجيش الذين يهربونه من المعسكرات ويبيعونه لنا فهؤلاء الجنود أيضا فلبينيون ، ويدركون أننا نناضل من اجل الحق والعدل . وهم يعلمون ان السلاح الامريكي الذي زودت به قواتهم انما هو عصير دم الشعب الذي اعتصره الامريكيون وعملاؤهم من رجال السلطة . وقال القائد :

ـ انها أموالنا ردت الينا . . والسلاح سلاحنا . . ولن نلقيه إلا بعد ان يتحقق لنا النصر .

وعاد رئيس المجموعة يقول :

مع كل ذلك . . فان هناك آمالا كبيرة نعقدها على نظام الحكم الجديد بعد ان أقدمت كورازون أكينو رئيسة الجمهورية على مفاوضة جبهة تحرير مورو لتطبيق الحكم الذاتي بالشكل السليم ، استنادا الى ما اتفق عليه في اتفاقية طرابلس التي تلاعب الرئيس السابق ماركوس في تنفيذها . .

ولكننا مع ذلك سنظل واقفين بالمرصاد والسلاح في أيدينا ، حتى نحس ان الحكومة الجديدة يمكن أن تستجيب لمطالبنا . . وان كانت البشائر لم تظهر بعد . . . ! □

قصة قصيرة

وجهها خلف الجدار

بقلم : فردوس فتحى ندا

أي قلق هـذا الـذي راحت تتهـاوى تحته ابتسامتك الرقيقة . . وأي خطر استشعره حسك الطفولي من ابتسامة صفراء لاذ بها الغريب الجالس في صدر المكان يتأملك . ممدودة لك يده عبثا وفيها قطعة حلوى عبرتها نظراتك بلا اهتمام ، ثم استقرت على وجهه طويلا تستشف كنه هذا الغريب الذي راح في عداء خفي يحاصرك بنظراته . فأي خوف هذا الذي جعلك تنفر منه وتخشاه وتنسحب إلى حيث تقف أمـك تعـد الشـاي ، وأنت تلف ذراعيك حول ركبتيها تحتمي بها حتى كادت أن تتعثر وتسقط منها صينية الشاي فوق رأسك أي قلق هذا الذي راح يملأ نفسك ويحاصر اطمئنانك كلما جاء الغريب ، وكيف راح نفـورك منه يـزداد كلما أسرف في محاولات التودد اليك .

يوما ما امتلأ البيت بالناس وانطلقت الـزغاريـد وأكلت كثيرا من الحلوى . . . وفي المساء اصطحبتك جدتك الى بيتها على غير رغبة منك . . . فارقت في هذا المساء ولأول مرة فراش أمك . . وقمت في الليل تبكي وترجو الجدة أن تأخذك اليها . . وتمر أيام وأيام قبـل أن تعيدك اليهـا . . شاكيـة من بكائـك الذي لاينـقـطع (وتـبـولـك عـلى غـير الـعـادة في الفراش) . . . . هناك كان الغريب في فراش أمك يرقد مسترخيا . ولأول مرة تجاهلك تماما . لكن هذا القلق عاد يحاصر قلبك وحين رفعتك أمك الى صدرها وراحت تضمك اليها اختلست عيناك من فـوق كتفيهـا نـظرة إليه . . كـانت عينـاه ، في انتظارك . راح يسدد لك نظرات كراهية مخيفة كان أبدا حريصا ألا يراها أحد غيرك .

أخرجت له لسانك،أرعبك ثبات نظراته والبغض الكـامن فيها أخفيت وجهـك في كتف أمـك وضعتك على الأرض . . جريت نحوه رفست ساقيه بقـدمك نهرتـك الجدة . لاكت أصـابع





الرَّجل بقسوة وجنتك . . نظرت أمك له في عتاب حملتك إلى صدرها وراحت تكفكف دموعك . . زعق الرجل يأمرها أن تعد العشاء . . انسحبت وفي عينيها حزن . . ماتت دهشتك تحت أمر صارم منه أن تجلس ولا تتبعها . . إنزويت في ركن بالغرفة حاصرتك فيه نظراته المخيفة . . إشتد خوفك . تدلى رأسك . . الدموع تتجمع في عينيك المثبتة نظراتها على الأرض . . شعورك بالحصار إشتد . تناديها بصوت متهدج (ماما) .

عيناك تجوب سقف الغرفة . . تتفادى الخوف القادم من عيني الرجل . . عاودت « وقد اشتد رعبك » النداء عليها . . الرجل لايبدى حراكا ولايصدر صوتا . . إختلست في رعب نظرة اليه .

عيناه أبداً في إنتظار عينيك . أجهشت بالبكاء . . الخوف قيدك إلى الأرض . . زعق الرجل يأمرك بالسكوت يا . . نعتك بلقب يشير الى ابتلال ملابسك . . الجدة جاءت واستأذنت الرجل في الانصراف وأمك اقبلت . قمت إليها بلهفة أمسكت بيدها . . نظرتما معا إلى الرجل . . الرجل يأمرك في « ثبات مرعب » أن تذهب مع جدتك . رفعت بصرك لأمك في رجاء . بدت بلا حول ولاقوة . . إنحنت تقبلك والدمع في عينيها . . إشتد رعبك صرخت وبكيت . . قاومت الجدة كثيرا وتشبثت قدماك الصغيرتان بالأرض حتى كدت أن تنزلق من ثيابك . . دفعك الرجل بقسوة إلى جدتك . إنصفق الباب . . بكاؤك يتحول إلى شهقات . . شيءماراح يعلو بينك وبين أمك . . وجهها يبدو من خلف هذاالشيءحزينا وعيناها ترنو في حنان اليك . . . . . . هدهدة واهتزاز رتيب ودعوات من الجدة بأن تنام . . تقطعها شهقاتك المتتابعة . .

في الصباح التالي كان هناك شيء مؤكد قد إستقر في عقلك الحائر . . وحزن عميق جثم داخل قلبك الصغير . . وراحت عيناك تبحثان في الفضاء عنها . . وجهها الحزين يتراءى من خلف جدار . . رحت تناجيها هامسا لنفسك في أسى (ماما) . دموعك تتتابع فوق وجنتيك الباهتين وبين الحين والحين تغمغم في حزن (ماما) . . .

هززت رأسك ترفض الطعام ، ورحت ساهما ترقب جدتك وهي تضع الطعام في فمها الأجوف . .

تذكرت أمك أيام كنت تمتطي ركبتيها تهتز وتضحك وتنصت في شغف لدقات قلبها الرتيبة الهادئة تهدهد أذنيك . . وكفك الناعمة الدقيقة تتحسس (الثدى) في حنين ورضا . . جدتك شغلت عنك بأعمال البيت . . مازلت تحملق في الفراغ ساهما . . وجه أمك مابرح يتراءى من خلف الجدار جاثما على الارض ، راسك فوق ذراعيك الضعيفتين طاويا ساقيك تحتك . تموء كجرو صغير ، قلبك ما فتىء ينتفض ملتاعا والحزن يحفر فيه بقسوة أخدودا . يحف بك الذباب ، يمتص دموعك . . لاتشعر به ، ساهما « رحت تتأمل في حنين أليم وجهها » . الأيام تمضي وعودك يهزل وعيونك يزداد اتساعها وانجذاب نظراتها إلى الجدار الذي مابرح وجه أمك يلوح من خلفه .

يوما ما دق قلبك في لهفة عندما قالت الجدة إنك سوف تصحبها الى أمك . وجهها الآن لايقف بينك وبينه شيء،رفعتك إلى صدرها . راحت تضمك وتقبلك في لهفة . . لم تطمئن . . تهمس لها ترجوها أن تبقيك معها . الحزن في عينيها يطعن قلبك بقسوة . . . تمشى خلفها في البيت تتوسل اليها أن تبقيك . سمعت خطواته داهمك الرعب غاض الدم من وجهك ، جمدت في مكانك ، « أحيط بك » . الرجل قبالتك . حريص أنت ألا تلتقي عيناك بالرعب القادم من عينيه . . رأسك انحنى . حدست أنه يملك أن يبقيك معها . رجوته بصوت متلعثم أن يسمح لك بالبقاء « وأنك لن تبول في الفراش » . . لاذ بالصمت ونظراته مسددة تثقب راسك . . إبتدر أمك ، لماذا لاتتركك تقيم مع أبيك ؟ أنت لاتعرف لك أبا سواها ولاتريد غيرها . . بدت وجلة قلقة وهي تحدثه عن وحدة جدتك وحاجتها الى من يؤنس وحدتها . . وعمرك الذي مازال بعيدا عن حضانة أبيك . . وأشياء أخرى لم تفهم منها أو تدرك إلا شيئا واحدا . . هو أنك لن تستطيع أن تعيش معها كما كنت تعيش فيما مضى . .

إنزويت في أحد الأركان وعلى وجهك الصغير ارتسمت أحزان الكبار وعذاباتهم ، نظراتك تمسح الأرض بقلق ، المرة تلو المرة حريص الا تلتقي عيناك بعينيه ، تعلم أن عينيه أبدا في انتظار عينيك جاءت

أمك بالطعام ورحت في حضورها تختلس النظر اليه .. بدا كريها بغيضا ، وتألقت سعادة خبيثة في عينيه حين وضعت أمك في فمه شيئا ..

برقت عينه حين ألقمتك مثله شيئا . أرخيت بصرك تلوك الطعام بلا شهية وامتلأت عيناك بالدمع وترددت طويلا قبل أن تستسلم للجدة وتعود معها

في الليل رحت « حانقا » عليها تدير وجهك عن وجهها الذي يرمقك بحنان من خلف الجدار

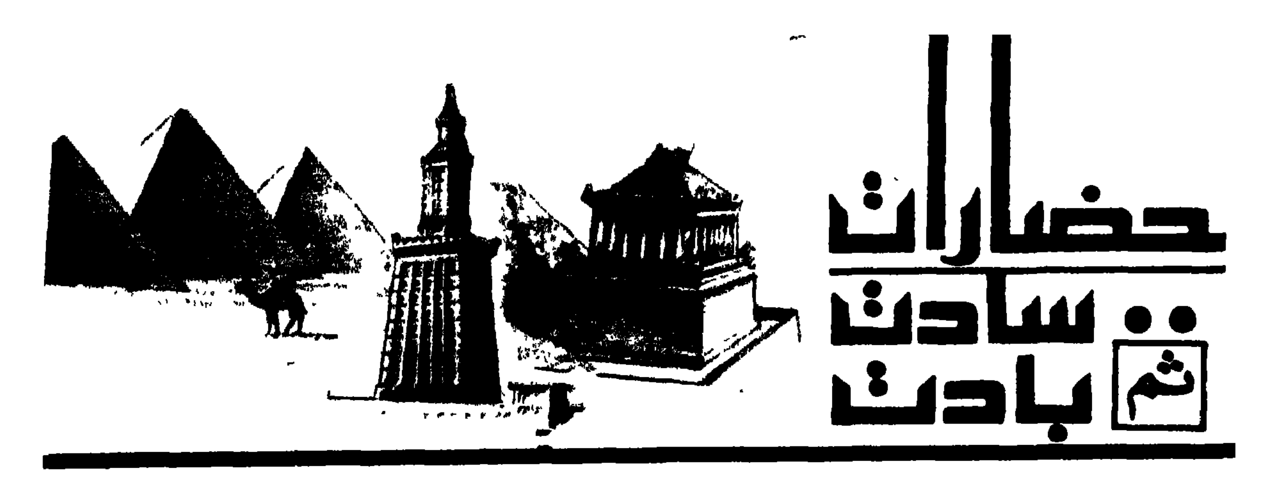
الأيام تمضي كأنها يوم واحد يتخلله الليل والنهار على التوالي الحنين اليها يذيبك وأخدود الحزن يزداد عمقا في قلبك صامتا معظم الوقت لاتتكلم

الجدار « مازال وجه أمك الحزين » يتراءي ابدا من خلفه يطل عليك . أشرقت السعادة في وجهك وأنت تدلف الى غرفتها في زيارة أخرى كانت في الفراش على غير العادة .. كان هناك طفل آخر يموء كجرو صغير .. احتضنته أمك . يلتقم الثدي في نهم . هذا الثدى ملك لك وحدك . إشتعل اخدود الحزن غضبا وغيرة .. إرتقيت الفراش في عجلة . دفعته بقوة عن صدرها ، شهقت ، سألتك عما أصابك ؟ . زعقت الجدة وأزاحتك بعيدا . قالت أمك أنه أخوك .. وانك يجب أن تحبه .. تحبه ؟ كلا ، لن تحبه ، ولن تحب أحدا .. قالت أمك « ستبقي اليوم معنا » ورحت « ساخطا » تنصت إلى موائه ، وترمق الثياب التي لوثها في « احتقار وتشفٍ » والجدة تنظفها .. وتسائل نفسك في غضب ودهشة لماذا يحبه الجميع برغم « قذارته » حتى هذا الرجل تنفرج أساريره ويروح يتأمله سعيدا ويرجو أمك أن تعطيه له ، ثم يقبله في سرور . تمنيت أن يموتوا جميعا ولايبقي الا أمك فقط . تظاهرت متعمدا السقوط من فوق السرير آملا أن يهتم بك أحد ممن أحاطوا (بالجرو) كما سميته بينك وبين نفسك غير ان الرجل سخر منك وامرتك الجدة بالتعقل والهدوء من اجل الصغير . لا أحد يهتم بغير (الجرو) وفي غفلة منهم ، رحت تحاول أن تدس أصبعك في عينيه التي تشبه عيني الرجل شهقت أمك سددت لك نظرة قاسية تصدع لها قلبك وفي المساء عدت مع جدتك مقهورا تتساءل في غضب : لماذا يبقي هذا « الجرو » مع أمك دونك

كم تشعر بالبغض له وكم تكره نظراته وشراهته وهو يلتقم ثدي أمك .. « دائما يصرخ يريد أن يهتم به الجميع » . (هذا القذر) كم حلمت بموته لكنه لايموت . وتحرص في كل زيارة على تحسس فراشه المبتل (وتنعته هامسا في شماته ، بلقب يشير لابتلال ثيابه .. وتروح ترقبه في غيظ وكمد وتتمنى أن يموت ، وأن تحملك أمك بدلا منه على صدرها .. الحنين يقتلك شوقا إليه والأيام تمضي (والجرو) يحبو . يجلس .. يشيح بيده الصغيرة في وجهك الرغبة في موته تملا قلبك . يمتلىء فراشه باللعب هناك دمية كانت لك فيا مضى وهي الآن بين اللعب فوق فراشه .. تحاول أخذها يصرخ ، تستدير اليه ينفجر غضبك منه ، تلقيه على ظهره وتجثم فوقه ، تختنق صرخاته ، تروح بكلتا يديك تضربه .. عيناه الشبيهة بعيني أبيه أمامك .. تحاول أن تغرس أصابعك فيها .. يعلو صراخه»الرجل ينهال عليك ضربا وركلا أمك تصرخ تتلقى ضربات الرجل عنك،الجدة تحمل الطفل وترقب ثورة الرجل في فزع اختطف الرجل الطفل منها ودفع بك خارج الباب وهو يصرخ في عصبية انه لايريد أن يراك بعد الآن في بيته هو بيته إذن .. لماذا تقيم أمك في بيته ؟ . الجدة غاضبة لاتكف عن تأنيبك وصرخات أمك مازالت تملأ أذنيك »

الأيام تمضي والحنين لايشبعه وجهها الذي يتراءى حزينا من خلف الجدار . يرقبك في أسى وتروح تحدق فيه لاتريم ، كم أنت مشوق لرؤيتها ، لدفء صدرها لرائحتها وابتساماتها . الجدة ترفض ان تأخذك لتراها الجدة الآن بالخارج . تستطيع أن تذهب وحدك لتراها وتعود سريعا تعرف الطريق .. فتحت الباب . رحت تمشى تائها ذاهلا .. الشوارع لاتنتهي . البيوت عالية الناس لاتتوقف .. سألت رجلا هل يمكن أن يأخذك إلى امك وصفت له الطريق ابتسم . مددت له يدك مستسلما .

الأيام تمضي . والجدة تسأل كل من تراه عنك والدموع أبدا في عيني أمك الذاهلة وجهك لايتراءى لها من خلف جدار ... وجهك ملأ الآن كل شيء حولها . □



اعداد : يوسف زعبلاوى

من حضارات جزيرة جاوة قبل الإسلام

معبد بوروبودور

نتناول اليوم الحضارة التى سادت فى جاوة قبل وصول الاسلام اليها بعدة قرون . والتى اندثرت فى الجزيرة الأندونيسية ، ولم يبق منها أثر باستثناء معبد بوروبودور . . وهو من أكبر معابد الديانة البوذية وأشهرها فى العالم كله . . فالحضارة التى نحن بصددها اذن حضارة بودية . . والحديث عنها يستوجب الحديث عن معبد بوروبودور لاباعتباره القمة التى بلغتها تلك الحضارة فحسب ، ولكن باعتباره الأثر أو المرجع الوحيد الذى لولاه لما عرفنا عن تلك الحضارة الا النزر اليسير . . من مراجع أخرى خارجية ، كمبودية وصينية . . وذلك أن مبانى تلك الحضارة كانت كلها من خشب . . . باستثناء معبد بوروبودور الذى كان من حجر .

والغريب أن هذه المراجع جميعها لا تحدثنا عن الملوك الذين رعوا تلك الحضارة الا قليلا . . وتحدثنا عن رعيتهم بتفصيل . . ولا يخفى أن هذه ظاهرة فريدة فى التاريخ . فالغموض اذن يكتنف حياة أولئك الملوك الذين لااسم لهم ويعرفون باسم ملوك الجبل Shailendra Kings فحسب . . . .

لقد حكموا أواسط جاوة فيما بين سنة ٧٤٠م والنصف الثانى من القرن التاسع ـ أى طوال قرن أو يزيد قليلا . . وكانوا من أصل أندونيسى . . وقد ضمت مملكتهم فيما ضمت سومطرة . . وليس معنى هذا أنهم اعتمدوا القوة الغاشمة ، وعمدوا الى غزو جيرانهم وفرض سيطرتهم ، أو ان شئت استعمارهم ، على ما دنا من البلدان وما بعد فالنقيض هو الصحيح . .

ذلك أن ملوك الجبل امتازوا على أقرانهم من حكام الدويلات الأخرى فى جاوة وأندونيسيا بأنهم كانوا مسالمين فى الداخل والخارج . . . فبينما قامت الدويلات المجاورة بغزوات بحرية متكررة . . . على فتنام وكمبوديا وغيرهما . . ونهبت وعاثت فسادا واحتلت ما احتلت من الأراضى . . لم يعرف عن ملوك الجبل شىء من هذا على الاطلاق .

فقد حرصوا على السلام فى الخارج وفى الداخل . . وبدوا أنهم ظهروا على مسرح التاريخ لا لغرض الا لتشييد معبد بوروبودور العظيم . . .

لقد بدءوا أعمال بنائه حوالى سنة ٨٠٠ ميلادية . . وقامت بتلك الأعمال جموع كبيرة من



منظر عام لمعبد بوروبودور ، وتظهر فيه المصطبات الأربع العلوية الدائرية الشكل

الرعية . ولولا دلك لما أمكن اكمال تلك الأعمال في تلك الفترة المحدودة من الزمن (٦٠ - ٧٠ سنة) والصرح الذى تمخضت عنه جهود تلك الجموع صرح عملاق بحجمه ، رائع بتماثيله ونقوشه ويعجب المرء أكثر ما يعجب لقيام تلك الجموع ببناء هذا المعبد طواعية ، وبدافع من أنفسهم ، أى أن أعمال السّخرة لم يكن لها أى وجود في تشييد معبد بوروبودور . . ولا ندرى ان كان ثمة معبد آخر في أى بقعة من بقاع العالم . تم بناؤه تبرعا ، وبدافع من المشاعر الدينية فحسب . . دون أى ضغط من الحكام ، ودون طمع في أجرة أو مكافأة . .

المملكة الخيّرة والدين :

فالمشاعر الدينية التى عمرت قلوب حكام الجبل غمرت قلوب رعاياهم أيضا فكانت حياة الجموحة والسعادة التى نعموا بها وكان المجتمع المتّحد والموحّد ، وكانت الجهود المتواصلة وأعمال البناء المرهقة . كل ذلك بدافع من المعتقدات والمشاعر الدينية .

بيد أن النزعة الدينية في جاوة اختلفت عما سواها ، في أن ملوك الجبل لم يحكموا باعتبارهم آلهة أو الورثة الشرعيين للحكم الالهى . . وانما تبعا لرصانة

حلقهم وسمو مبادئهم أى أن الفضيلة - لا القوة - هى التى بعثت على تأليههم من قبل رعاياهم ، فأسياد الحل كانوا رهبانا - فى نظر رعاياهم - قبل أن يصبحوا ملوكا وآلهة . .

الحياة اليومية والثروة :

ولعل لثروات حاوة الطبيعية أثرا كبيرا فى تلك الحياة الهانئة التى عاشها أهلها فى ظل ملوك الحل فقد أنتجت الذهب والفضة ، وترس السلحفاء العظيم ، والعاج ، وقرون وحيد القرن وهى التى أقبل على الافادة منها الرحال باعتبارها مقوما جسيا . .

على أن غنى حاوة هذا لم يغير من واقع بيئتها فى شىء . . فقد كثرت فيها الغابات والأحراج ، وبالتالى الأخشاب ، فكانت منازل أهلها خشبية حقا كانت كبيرة كالحصون ولكنها بنيت من خشب - لا من حجر - باستثناء المعبد الكبير .

فهو الصرح الوحيد الذى بنى من حجر وهو الأثر الوحيد الذى بقى ليحدثنا عن حضارة سادت ثم بادت . .

وكانت سطوح المنازل الخشبية من أغصان الشجر وأوراقه . سعف النخيل بخاصة ، ومن طريف ما يذكر هنا أنهم كانوا يحفظون طعامهم فى السقوف وذلك بقصد وقايته من الفئران والحشرات ومعنى هذا أنهم أكثروا من استعمال السلالم الخشبية . اذ لم يكن لهم غنى عنها . لا قبيل تناول الوجبات ولا بعدها هذا بالاضافة الى استعمالاتها الأخرى العديدة

وقد عرف أهل حاوة (قبل حوالى ١٠٠٠ عام أو يزيد) القراءة والكتابة وكان لهم إلمام بعلم الفلك والهندسة والبناء والفنون عامة والزخرفة بخاصة . الا أن آثارهم المدونة بادت هى الأخرى ما خلا جدران معبد بوروبودور الحافلة بمختلف السجلات والمعلومات

وكان لبيئة حاوة أثرها فى طرقها ووسائط نقلها . فهى بيئة بركانية ، يبلغ عدد براكينها النشطة ١٠٠ أو يزيد . . أما الخامدة فحدث ولا حرج ، ولا يخفى أن مهمة انشاء الطرق فى بيئة بركانية صخرية كهذه مهمة عسيرة للغاية ، لا عجب اذن ان كانت طرقا



خريطة تبين موقع بوروبودور فى حاوة

بدائية . وكذلك وسائط النقل التى استعملت تلك الطرق

من تلك الوسائط العربات التى سارت على ٤ دواليب وجرتها الجواميس وكانت خاصة بالشحن شحن مواد البناء والمواد الغذائية فى العالم ، ويشهد السياح من أهل الصين الذين زاروا جاوة فى تلك الأيام أن الحمولة التى حملتها تلك الطرق كانت كبيرة جدا وكفيلة باتلاف تلك الطرق حتى لو كانت جيدة أصلا !

معبد بوروبودور (الصرح العظيم)

يقع فى سهل كيرو فى جنوب الجزيرة وأواسطها ولا يبعد أكثر من ٣٢ كيلو مترا عن جبل ميروبى ، البركان النشط الذى لا يقل ارتفاعه عن ٢٩١٢ مترا

وكتلة المعبد ضخمة ، وتبلغ ٥٦٦٤٠ مترا مكعبا من الحجارة وقد أقاموه على تل طبيعى سهل معه جعل المعبد كالهرم الذى تلفه المصاطب ، والشكل مربع عند القاعدة ، يبلغ الضلع الواحد منه ١٢٣ مترا ، ويصعد عند منتصف كل ضلع درج يقطع فى طريقه المصطبات الأفقية ، ويظل شاقا طريقه حتى يبلغ الذروة على ارتفاع ٣١ مترا .



نقش آخر من نقوش المعبد الضامرة وهو يصور القرويين من أهل جاوة ، وهم يتقدمون من أحد الرهبان بهداياهم

ويحفل المعبد بالتماثيل ، ٤٤٠ تمثالا بالتحديد ، أكثرها لبوذا .. وتحتشد جدرانه بالنقوش القليلة البروز .. وهي تشغل ما لايقل عن ٢٥٠٨ أمتار مربعة من تلك الجدران . هذا الى جانب الألواح الحجرية ، أو إن شئت السجلات والكتب المقدسة ولا يقل عددها عن ١٨٠٠ لوح ، ويزدان البناء بما يشبه الأجراس Stupas ويتوجه على القمة الجرس الأكبر (انظر الرسوم) على أن الصرح ليس بيانا فحسب ، وانما هو قصيدة ألفية .. أو ملحمة تذكر وتفصل المعتقدات البودية ..

والجدير بالذكر أن هذه المعتقدات أقرب الى الأخلاق وصقل النفوس والسعى الى الفضيلة منها الى الدين بمعناه الدقيق .. وهى تحث اتباعها على طلب التنور اسوة ببوذا .. الذي لا يعى اسمه سوى المستنير .. والسعى الى التنور هذا يقوم على ٤ حقائق ..

الأولى : ان الألم أو المرض قائم لا شك فيه . والحقيقة الثانية هى ان لهذا المرض سببا .. وان فى الامكان الشفاء منه .. وتلك هى الحقيقة الثالثة أما الحقيقة الرابعة فهى السبيل الى التنور .. وقوامه ثمانية مبادىء ، وهو كفيل بايصال المرء الى (النرفانا) حيث تبلغ النفس أقصى الطمأنينة ، والحالة المثالية التى تنشدها البوذية ..

وما المصطبات التى تلف المعبد الا المراحل التى يجتازها البوذى فى طريقه الى التنور ثم النرفانا .. حيث يتحرر المرء من جسده وتتحد نفسه ببوذا .. ويبلغ عدد المصطبات عشرة .. الست الأولى تحضيرية أو اختيارية ، يثبت البوذى باختيارها فى أهليته للتقدم والارتقاء فوقها والسير على صراط النبل الثمانى المعالم .. حتى يصل الى مرحلة التنور .. وحسبنا بتسمية هذه المعالم الثمانية ، فاسماؤها تدل على معانيها .

* معرفة سوية ، * نطق سوى ، * أسباب لطلب الرزق سوية ، * تحكم بالفعل السوى ، * تفكير سوى ، * سلوك سوى ، * مجهود سوى ، * وتأمل سوى .

أما المصطبات الست الأولى فذات شكل مربع .. وتمثل المراحل التى يمر فيها البوذى ليتخطى جسمه وما فطر عليه من رغبات وغرائز ...

وأما المصطبات الأربع العلوية وشكلها دائرى ، فتمثل مضيّ البوذى فى التجرد المتزايد عن المادة ، وانسحابه المتزايد أيضا فى العالم المحسوس ، وخلاصه من اللذة والألم وباختصار فهي تمثل دخوله الروح بالتدريج . ولا يبلغ البوذى مرحلة التنوّر الا فى المرحلة (أو المصطبة) الرابعة ... ولا يتسنى له المزيد من طهر وتوطيد الا فى المرحلتين (او المصطبتين) الثامنة والتاسعة .. وتأتى المصطبة العاشرة فوقها جميعاً .. فهى المصطبة الرئيسية التى تضمن للبوذى الاتحاد مع فكرة الألوهية فى سكونها الأبدى . .

ولعل من الواضح أن الطريق الى التنوّر ومن ثم النرفانا غير محدد المعالم فى المذهب البوذي على الأقل .. المذهب الجاوىّ من البوذية ، فالأمر متروك الى الأفراد ، ولكل فرد أن يشق طريقه بنفسه وباجتهاده . من ثم كان مصير الفرد مسؤليته وحده .. وكانت النرفانا حالة نفسية فردية كادت أن تكون اعتباطية ..

فهذا التعدد .. وهذه التجزئة فى المثل العليا الدينية ، هى التى أدت مع الأيام الى التجزئة السياسية . وانهيار حكم ملوك الجبل . وهكذا بادت حضارتهم من بعد أن سادت .. ولم يبق من أثر لها سوى المعبد العظيم (بوروبودور) □

إسمعها

أكثر نقاءً مع توشيبا

صنع باليابان
TOSHIBA

RT SX35

RT SF75

BOMBEAT SX35

BOMBEAT SF75

RT SX55

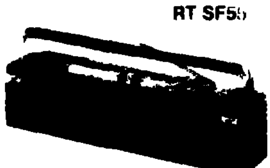
RT SF55

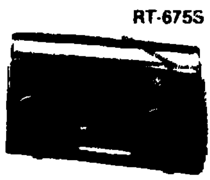
RT-675S

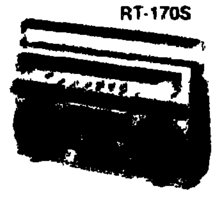
RT-170S

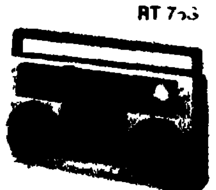
RT 755











BOMBEAT SX55

● مكبرات صوت مزدوجة قابلة للفصل ● دبلجة سريعة وتشغيل بواسطة المرحل ● دلك نطام تحكم مزدوج ● تحكم منطقي IC بمحركين ● عرافيك أكواليزر ٥ موجات ● قوة بث ٥٠ واط (P M P O)

BOMBEAT SF55

● كاسيت مزدوج موديل مبدي ● ٤ مكبرات صوت باتجاهين ● نظام دبلجة سريعة ● دبلجة بلمسة واحدة ● قوة بث ١٨ واط (P M P O)

BOMBEAT 675
AUTO REVERSE

● إعادة بث وتوماتيكية ● ٤ مكبرات صوت باتجاهين ● قوة بث ١٣ واط (P M P O)

BOMBEAT 170
AUTO REVERSE

● تسجيل وإعادة بث أوتوماتيكي ● ٤ مكبرات صوت باتجاهين ● قوة بث ٢٠ واط (P M P O)

BOMBEAT 75

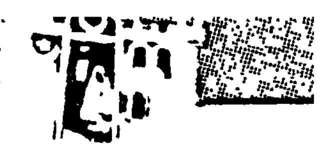
● تسجيل بلمسة زر واحدة ● مكبرات صوت قوية (١٢ ملم) ● قوة بث ١١ واط (P M P O)

● كلها متوفرة مع راديو ٤ موجات (MW 'SW1/SW2 'FM) ونظام فولتاج مزدوج ● دولبي هي علامة تجارية مسجلة لمختبرات دولبي

TOSHIBA TOKYO, JAPAN




مجلة الأسرة والمجتمع
الإجازة
فرصة
لاكتشاف
أطفالنا





الإجازة

فرصة لاكتشاف أطفالنا



بقلم : زينب الكردى

« بدأت الاجازات . . وأطل الصيف برأسه ، وامتلأت بيوتنا بكل متاعب

الاجازات ومشاكلها . . ماذا نفعل مع أبنائنا . . صغارا وكبارا ؟

وكيف تتحول الاجازة الى حلقة من حلقات التربية والتوجيه والرعاية ؟

هذه محاولة للاسهام بتصور عن هذا الدور المهم .

تعد الاجازة - بالنسبة لمعظم الامهات - مطباً سنوياً لابد منه ، مطب يأتى بالراحة الكاملة الى حد الملل أحيانا لكل فرد في الاسرة ، وبالارهاق والقلق والصداع بالنسبة للأم ، فهى لاتكف طوال النهار وجزءا كبيرا من الليل عن الصراخ في وجه هؤلاء « القردة » الصغار . . . والصغار بدورهم معذورون ، ففي داخلهم طاقاتٌ تبحث لها عن مخرج ومتنفس ، فاذا ماعجزت عن ايجاده بسبب الأوامر والنواهى المستمرة ، أو الانغلاق طول الوقت داخل الغرف الاسمنتية ، كان لابد أن تعبر عن وجودها من آن لآخر بافعال متسيبة نراها نحن الكبار غير معقولة أو محتملة . . طبيعى جدا أن يتشاجر بعضهم مع بعض معظم الوقت . . وأن يقلبوا البيت رأسا على عقب . . وأن تعلو أصواتهم . . وأن . . وأن . . وأن . . .

والسؤال هو : ماهى الطريقة المثلى التى تتيح لهؤلاء

الصغار التنفيس عن طاقاتهم المخزونة بشكل ايجابي وبنّاء ؟ . كيف نملأ أوقات فراغهم ، ونحميهم من الضياع والتسكع في الطرقات بلاهدف ، وقد ينحرفون بعيدا عن عيون الأباء والأمهات الى طريق لم يخطر لهم أبدا امكانيه الانجراف اليه ؟

مكان خاص

والاجابة ليست سهلة ، فهى تحتاج أولاً لأبوين يتمتعان بقدر كبير من الوعى والثقافة ، والأهم من هذا وذاك أن تكون لديهما القدرة الكافية على الصبر والتصرف بذكاء

اذا كان لديك ياسيدتى الأم أطفال صغار تتراوح أعمارهم مابين الخامسة والعاشرة ، فاعتقد أن مهمتك ستكون صعبة الى حد ما ، فالطفل في هذه المرحلة يصعب عليه الانصياع الكامل للأوامر ، بل يضيق بها لأبعد حد في فترة الاجازة اذ يرى أن من حقه أن يستمتع بها لأبعد مدى ، فهو يريد تنفيذ طلباته حالا ، ولا يهمه ان كانت الظروف تسمح أم لا . . وحتى لو حاولت أن تشرحى له فلن يفهم ، الا انه يريد ان يذهب الأن وفورا ، وقد يلجأ للبكاء من باب الضغط حتى تذعنى لطلبه

وبينما يسهل على الأم تكليف ابنها البالغ بعمل شيء ما ، يصعب عليها أن تفعل نفس الشيء مع طفلها الصغير ، فهو سرعان ما يمل ، ويبحث عن شيء جديد يزاوله . . وفي الوقت الذى تنشغل فيه الفتاة البالغة في قراءة قصة أو رواية ، أو حتى في مساعدة أمها ، لاتجد الصغيرة ما تفعله لقد مشطت شعر دميتها أكثر من ثلاث أو أربع مرات ، وهاهى الآن لاتجد ما تفعله ، الا « مناكفة » الأم بأسئلتها الكثيرة وطلباتها التى لاتنتهى . . ماالعمل ؟ . .

الأطفال في مثل هذه السن ينبغى أولاً وقبل أن نشكو منهم أن نخصص لهم غرفة خاصة لألعابهم ومتعتهم البريئة . غرفة بسيطة الأثاث مليئة بالألعاب المسلية . .

. . من الممكن أن تكلفى أكبر أطفالك سناً برعاية اخوته الصغار ، وتشجعيه على ذلك بقولك مثلا : انت الآن ستقوم بدور«بابا» . ستلاعبه ،تحنو عليه وتسير له القطار ، لأنك اكثر خبرة منه في مثل هذه المسائل . انها فرصتك لتشعريه بالمسئولية تجاه من يصغرونه ، وتأكدي أنه سيحاول - بكل طاقته - أن يؤدى دور أبيه على أكمل وجه ، لينال رضاك ورضا أبيه ، وياحبذا لو أشرت لهذا في جلساتك العائلية الضيقة ، أعنى عن حنانه وأبوته الروحية لاخوته

كل المطلوب منك أن تتأكدى من عدم وجود مواد قابلة للكسر أو الاشتعال بالغرفة وأن تصمى أن لايتسلق أحدهم ليصل الى مكان مرتفع قد يشكل خطورة عليه لو انه - لاقدر الله - سقط منه ، وهذا يعنى أن تغلقى النوافذ والشرفات بحيث تحتفظ الغرفة باضاءتها الطبيعية ، أما اذا كانت ابنتك هى أكبر أولادك فسترحب بهذا التكليف ، وتسعد به وتؤديه أكثر مما تصورت ، ففي داخل كل طفلة أم صغيرة دائما .

لكن هذا لايعني أن تسجنيهم داخل جدران غرفتهم بحجة الانشغال الدائم . لابد أن تأخذيهم من وقت لآخر في جولة على الشاطىء . الى النادى حديقة الحيوان أو حتى مجرد المشى العادى في الأسواق القريبة من البيت ، فمن المهم جدا أن يعيشوا طفولتهم بانطلاق ، وأن يحتكوا بالعالم الخارجي الذى سيصبحون جزءاً من نسيجه مع الأيام

تذكرى ياسيدتى الأم أن تخصيص غرفة خاصة للعب الأطفال مسألة ضرورية جدا ، فهى أولا ستتيح للطفل أن يلهو بانطلاق ، بعيدا عن نواهى وتدخلات الكبار ، كما ستتيح للأم أن تنصرف لأعمالها البيتية بهدوء ، مع ضمان عدم الجهد المتصل بترتيب حجرات البيت الأخرى ، ثم انك لن تكونى ملزمة بترتيب غرفتهم تلك ، فهى مسئوليتهم وحدهم التى يجب أن تدربيهم على تحملها ، بدون ضغط في البداية ، حتى يعتادوا على ذلك ، وتصبح جزءا من سلوكهم اليومى العادى ، واياك أن تسمحى لهم بالنزول مع أولاد الجيران للهو أسفل البناية،خصوصا اذا لم تكن البناية محاطة بسياج يحميهم من مخاطر الطريق ، طبعا اذا كانت هناك حديقة

ملحقة بالمنزل سيكون الأمر سهلا وممتعا لكل الأطراف ، فأنت لن تشعرى بالخوف عليهم ، وهم سيتاح لهم اللعب في ظل مناخ صحى متجددا لهواء ، بالاضافة الى امكانية ممارستهم العابا يصعب عليهم ممارستها داخل البيوت أو في الشارع ، ككرة القدم ، وبناء البيوت بالمكعبات الخشبية ، والاهتمام بنباتات الحديقة وأزهارها مما يجعلهم يلتصقون بالطبيعة ويحترموها ، ويتيح لهم تنمية عضلاتهم الحركية التى تحتاج للنمو في هذه المرحلة .

عزلة الكبار

أما البالغون حتى من الذكور فأمرهم سهل ، فهؤلاء يمكن التعرف على اتجاهاتهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم . . صحيح أن بعضهم يتقوقع على نفسه ، ويحاول أن يحمى عواطفه ، الا أن الأم الواعية التى عودت أولادها على أن تكون صديقة لهم قبل أن تكون أما ، يمكنها أن تسبر غور المراهق والمراهقة دون عناء كبير وقد تقولين . مالعمل وأنا أجد صعوبة في اجبار ابنى على ملازمة البيت ؟

وأقول لك ولماذا تلزمينه بهذا ؟ صحيح انك لاتعرفين نوعية صداقاته ، وصحيح أيضا انه كمراهق يحاول تأكيد ذاته ، يرد عليك اما بعنف او بالتواء لو حاولت منعه من صداقاته التى لاتعجبك ، لكنك كأم لايزال بيدك أن تفعلى الكثير ، المهم أن لاتثيرى رغبته في التحدى ، لأن المراهق اذا نجح في تحديه مرة واحدة لن تردعه أى قوة أو نصيحة بعد ذلك ، وستمادى أكثر وأكثر . لذا عليك أن تحاولى معه بعوبة

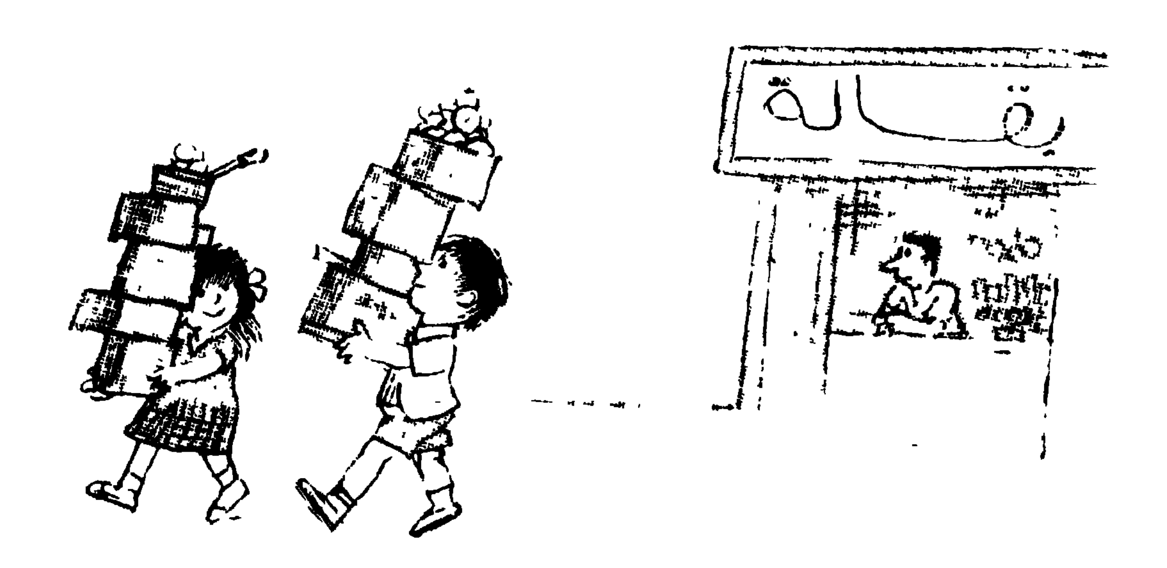
دعى والده يشركه معه في أعماله ، فاذا كان تاجرا قال له على انفراد وبصداقة مشوبة بالثقة : ستشرف أنت على أعمالى ، وستساعدنى ، فأنا أحتاجك . . انا واثق انك وحدك من أعتمد عليه في تسيير الأمور ، بالشكل الذى يساهم في تطوير العمل.. ومن الممكن أن تشغليه بالتدريب على القيادة ، فإذا كان يجيدها فكلفيه أن يؤدى لك بعض الأعمال بالنيابة عن أبيه ، أو أن تشركيه في حل بعض مشاكلك البيتية البسيطة التى تعلمين سلفا انه يمكنه القيام بها ، لأنها في حدود تجاربه وامكانياته ، حتى لايشعر بالفشل والاحباط . . ممكن أيضا أن يطلب منه الوالد وضع الخطوط الأساسية لرحلة الى مكان ما ، على أن يستشير معه اخوته . أن يقول له ان ظروف عمله لن تسمح له بأن يفعل ذلك ، وعليه أن يفعل بالنيابة عنه . . يمكن تشجيعه على القراءة بترك نوعية من الكتب ، تتناول موضوعات يحبها في طريقه ، أو اشراكه بأحد النوادى ليمارس رياضته المفضلة أو هوايته التى يحبها . . لو كان يحب العزف على آلة معينة اشتريها له ، واذا كان يحب الرسم وفرى له الألوان والفرش . . المهم أن توفرى له كل الامكانيات التى يحتاجها ، ليقضى اجازة سعيدة ومفيدة في نفس الوقت .

لكن . . ماالعمل اذا اكتشفت أن ابنك قد تورط فعلا في علاقات وخيمة مع بعض أصدقاء السوء . . هنا انبهك الى خطأ يقع فيه معظم الآباء والأمهات ، وهو أسلوب المنع بالقوة ، العنف في حالته لن يفيد ، فهو ربما يكون قد جرب الغواية فعلا وذاق متعتها المضللة سيزيد موقفكم السلطوى عناده ، وتمسكا بهم ، فنظرته للأمور تختلف عن نظرتكم ، والا ماكان قد تورط . ان ثمة شيئا فيهم يبهره ويراهم أناسا مختلفين ، وقد يدرك بينه وبين نفسه أنهم على خطأ ، لكن شيئا خفيا داخله يجعله مبهورا بقدرتهم على التحدى السافر لكل القوانين والأعراف ، فإذا ماقسوت عليه ستسلمينه لهم لقمة سائغة . . المفروض ـ بمجرد أن تكتشفى حقيقة علاقاته ـ أن تصارحى أباه ، وتضعا معا خطة موحدة تبعده عنهم دون أن يشعر . . ضعى مثلا في طريقه كتبا تتناول سير العظماء والخالدين ، مكتوبة بأسلوب شيق وبسيط . تظاهرى دائما أنك في حاجة لخدماته أثناء غيبة أبيه . أعطيه الثقة ، ودعيه يدرك أنه يمثل بالنسبة اليكما دعامة حقيقية من دعامات الأسرة ، وانك تعتبرينه الرجل الثانى بعد أبيه . . تحدثى في وجوده مع أصدقائك عنه باعزاز . . اشغليه في أى مجال يحبه ويهواه ، المهم أن لايشعر أبدا أنك تخططين لابعاده عن رفاق السوء ، بل ينبغى أن لاتثيرى لهذا

الموضوع من قريب أو بعيد ، ولعل هؤلاء الدين كانوا يعطون أبناءهم الذكور الحق في الخروج والتصرف بحرية خارج البيت ، يدركون الان مدى خطورة هدا الاعتقاد ، خصوصا بعد ان انتشرت المخدرات بكل أنواعها ، وأصبحت سموم الاغراء والانحراف معروسة في كل مكان تترصد أبناءنا ومستقبلهم وصحتهم ، وتندر بالدمار ، لو غفونا عنهم لحظة.

البنات حنان وإسهام أكثر

بناتك أيصا من الممكن حدا أن يقمن بدور فعال في الاحارة . دور يفيدهن كأمهات للمستقبل ، ويريحك أنت في نفس الوقت بعد عام دراسي كامل عانيت فيه كثيرا ، لذا أصبح من حقك أن تتمتعي أكثر منهن باحاره مريحة وسعيدة ، ورعى الاختصاصات عليهن ، حتى الذكور كلفيهم بعمل يتناسب مع أعمارهم وحراتهم ، فابنك الصغير مثلا كلفيه بشراء مايحتاجه البيت من البقالة القريبة،وابنتك الكبرى مكلفة بإعداد الطعام ، على أن تكون شقيقتها التي تليها في العمر مساعدة لها ، وذلك لمدة أسبوع ، على أن يتبادلا المواقع الاسبوع الذي يليه . ابنك أو ابنتك الصغيرة حدا فولى لها أنت مديرة النظافة للبيت ، وعليها أن تجمع طفايات السجاير والأكواب الفارغة لتضعها في الحوض . وحتى ابنك البالغ يمكن اقناعه بالمساهمه في اعداد المائدة ، ليبرهن لأخواته البنات أنه لايقل عنهن دوقا ومهارة . يمكنك أيضا أن تشغليهم بالاعمال البسيطة التي تحتاج لدقة ووقت ، مثلا مجموعة الصور التي كومتها في صندوقك الخشبي آن الاوان لتكلفي واحدا منهم بترتيبها في (ألبوم) خاص ، من أجل صيانتها ، ولتدريب حاسته الجمالية والتشكيلية . أوراق الأسرة الخاصه كايصالات الدفع وعقود التمليك وأقساط السيارة ، كلها أوراق في حاجة الى ترتيب وتنسيق وجمعها في(ارشيف)خاص بها . وجهيهم في البداية برفق ، ثم دعيهم يكملون العمل بأسلوبهم الخاص ، واذا كان أولادك من النوع الموصوى ، خصوصاً فيما يتعلق بحزانات الملابس ، يمكنك أن تشجيعهم على تنظيمها ، بقولك مثلا : فلنر أيكم أكثر قدرة على انجاز هدا العمل ، للدرجة التي تجعلني أقرر أن اترك له اختيار المكان الذي سنقضي فيه الاسبوع القادم ، بل ويخطط لها أيضا . . لكن قبل هدا يجب أن تكون حراتك أنت أولا منسقة ومنظمة ، فبدون القدوة لن تجدى محاولاتك أبدا . □





جلدك هو كنزك

بقلم : الدكتور نبيل سليم

للجلد فصوله المتعاقبة كتعاقب فصول السنة ، فقد يكون جافا أو دهنيا أو مزيجا بين هذا وذاك ، أو مفرطا في حساسيته . لذا فإن جلدك سيطرأ عليه تبدل موسمي ، وهذا لن يحل عليك مرة واحدة ، وانما سيحدث بصورة تدريجية

من الملاحظ أن معظم النساء لا ينتبهن الى أن جلودهن جافة كهواء الصحراء ، وهذا الجفاف غير ناشىء عن نقص في المواد الدهنية ، وانما عن نقص في رطوبة سطح الجلد ، وهي الطبقة التي تتألف من حراشف دقيقة دائمة التساقط ، كذلك فإن الجلد مغطى بغشاء حمضي ، يشكل خط الدفاع الأول ضد الجراثيم التي تهاجم الجلد باستمرار .

وعندما تقومين بغسل وجهك بالماء والصابون غسلا جيدا ، فإنك في الواقع تزيلين هذا الغشاء الواقي ، وتتركين جلدك بدون وسيلة دفاع لمدة ساعتين ، الى أن تقوم الطبيعة بنشر غشاء جديد .

ولكن مع أهمية الطبقات العليا من الجلد فإن التغذية تأتي من الطبقات الدنيا .

وعندما تصلين في عمرك الى منتصف العشرينيات تأخذ الأوعية الدموية الشعرية في الانقباض ، وهذا يعني انقاص كمية المواد المغذية التي يحملها الدم الى جلدك . . ووسائل الانقاذ في مثل هذه الحالة هي التعويض بوضع مواد الترطيب ، ومن الحقائق أن عمل الأوعية الشعرية وعامل الرطوبة يقرران ميزان الجمال . فاذا حدث نقص في الرطوبة جف الجلد وتراخى .

ولكن . . متى يشيخ الجلد الشاب ؟

في الواقع انه ليس هناك سن محددة يشيخ فيها الجلد مثل بقية أجزاء الجسم ، فهناك سيدات في الثامنة والسبعين من العمر ، ومع ذلك فان حالة الجلد عندهن حسنة ، دونما حاجة لاستخدام اكثر من العناية الطبيعية ، الأمر يعتمد اذن على طبيعة الجلد ، فالجلد الرقيق الحساس الذي لا ينتج كمية كبيرة من الدهون معرض لآفات الجو ، ومثل هذا الجلد في حاجة الى الكريمات منذ أيام الشباب ، أما الجلد العادي حتى لو كان كثير الافراز للمواد الدهنية فانه يبدأ بالجفاف مع تقدم السن ، لا سيما اذا كان كثير التعرض للشمس .

وخير ما يفيد الجلد الشاب هو الصابون والماء ساخنا وباردا ، وشيء من مواد التجميل والكريمات ، وعندما يبدأ جلدك في الجفاف عليك أن تقللي كمية الصابون ، وتزيدي الكريمات واللوسيونات ، أما بالنسبة للمناطق الشديدة الجفاف - أي تحت العينين وجانبي الوجه والعنق - عليك أن تستعملي الكريم الخفيف أو اللوسيون تحت مواد التجميل . وليكن ذلك اثناء الليل ، ان الكريمات

والدهون لا تبقى الجلد متمتعا بدهن طبيعى ، أما الماء فانه يفعل ذلك

والسيدة التى تكون حمراء البشرة وتعانى مشكلة الجلد الجاف ، فان بوسعها الوصول الى وسيلة لتنعيم جلدها باستخدام أي نوع من الكريمات

وهكذا فانها إذا ما بدأت ربيتها بغسل جلدها أولا ، فان الكريم يحل محل عملية الجفاف الاعتياديه التي يسببها الصابون الذي يصلح لغسل الوجه ، ان الجلد الجاف أو العادى يستفيد من الصابون المحتوى على المواد الدهنية ، وهناك نظرية تقول ان كثرة الاستحمام تجفف الجلد ، وتفسير ذلك هو أننا نعيش في عصر أصبحت نظافة الأجسام فيه بصورة دائمة من الامور العادية ، ومعظمنا يغتسل أو يستعمل « الحمام » يوميا ، كذلك فنحن أبناء هذا العصر معرضون لتبدلات مستمرة في درجات الحرارة والرطوبة ، لذا فإن عملية الاغسال المنتظمة ، وكثرة استعمال الصابون والهواء الساخن ، تجفف الجلد ، وأسهل وسيلة لاستعادة الدهون الى الجلد هى دهنه بملعقة كبيرة من عسل النحل ، ممزوجة بكأس من الحليب ، ومخفوقة خفقا ، ثم اضافة الماء العادي الى هذا المزيج ، ثم بعد الحمام خففي جلدك بهدوء

طبقات الجلد

ليس الجلد مجرد غطاء للجسم ، بل هو جهاز من أجهزة الجسم كبقية أجهزته الأخرى ، وله وظائف خاصة به ، وهو مرتبط بهذه الأجهزة ارتباطا وثيقا .

ويتكون الجلد من طبقتين ، البشرة ، والأدمة ، والزوائد الجلدية التي ترسو على الطبقة تحت الجلد ، وهذه الأخيرة تقوم بتثبيت الجلد وتسمح له بالتحرك لدرجة كبيرة .

والزوائد الجلدية هي الغدد العرقية ، والغدد الدهنية وبصيلات الشعر والأظافر

والأدمة هي العامل المحدد « لثخانة » بعض المناطق من الجلد مثل راحة اليد وبطن القدم .

أما « أرق » جلد هو جلد أجفان العين ، بينما يكون جلد الظهر والكتف أكثر « ثخانة » نسبيا .



ـ استعمال مساحيق الجمال
يجب أن يكون بنظام وحذر

وعموما تختلف « ثخانة » الجلد في المتوسط من نصف الى ثلاثة أو خمسة ملليمترات حسب مناطق الجسم

وتختلف البشرة عن الأدمة اختلافا واضحا فالبشرة هي الطبقة الخارجية والسطحية ، وتتكون في معظمها من الخلايا أو الابثيليا « Epithelia » الذي يرص في طبقات قشرية وقرنية ، ولها قرنين « Ceratin » وهو أساس النسيج القرني

والبشرة هي أرق طبقتي الجلد . وهي الطبقة الخارجية منه ، وتتكون من أربع صفائح ، وفي بعض المناطق تتكون من خمس ، مثل راحة اليد وبطن القدم ، وتسمى الخامسة هنا بالطبقة الصافية « الرائقة »



أشهر أمراض الجلد

في الصيف تكثر الأمراض الى حد كبير ، ولذلك يعتبر الصيف من مواسم الامراض الجلدية في البلاد العربية ، فكثرة إفراز العرق وزيادة حرارة الشمس وتجمع الناس أثناء العطلة الصيفية بالمصيف أو المعسكرات أو النوادي ، كل دلك يدعو الى زيادة الأمراض الجلدية خلال الصيف .

ومن الامراض السائدة في الصيف .

الدمامل الصيفية او العرقية

تكثر الدمامل العرقية الصيفية ، وخصوصا عند الأطفال ، وعند الصعاف من الكبار ، ومرضى البول السكري والدين يعرقون كثيرا . . ويكثر حدوث الدمامل العرقية ، في الرأس والوجه ، ولكنها قد تصيب أي مكان آخر من الجسم . وقد يكبر حجمها لدرجة أن تكون مؤلمة ، وتحدث تورما في المكان المصاب ،ويستلزم علاجها جراحيا . . وقد تتطلب مضادات حيوية وفيتامين (ب) المركب .

حرق الشمس

يكثر حدوثه صيفا ، وخصوصا في الاماكن المكشوفة ، وأثناء التعرض للشمس . ويظهر بعد قليل من التعرض للشمس في الحالات الحادة أو بعد بضع ساعات في اليوم التالي في الحالات « تحت الحادة » ويحمر الجلد . ويصاحب دلك حرقان بالجلد أو حكة . . وفي الحالات الشديدة تظهر حويصلات أو فقاقيع بها سائل رائق سرعان ما ينسكب ويتجمد في شكل قشور تخف بالتدريج وتسقط ، ثم « يتقشر » الجلد ويترك مكانه لونا غامقا ، وانصح مثل هؤلاء المرضى بعدم التعرض المفاجىء للشمس ، وخاصة في اليوم الأول ، ويكون التعرض بعد ذلك بالتدريج ، ويمكن وضع دهانات على الجلد تقي من ضرر الأشعة فوق البنفسجية ، وقد تحتوى على الاكتيول أو الكينين أو الفازلين الأصفر أو مادة حامض « بارا اميو بنزويك » بنسبة من ١٠ الى ١٥٪ في كحول أو كريم ، وذلك قبل التعرض للشمس

العناية بالجلد الجاف

مساء : ينبغي للسيدة حتى لو كانت أكثر السيدات جفافا في الجلد أن تغسل وجهها ليلا ، بالصابون المحتوى على كمية وافرة من الشحوم والماء ، وأن تجففه بعد ذلك برفق بمنشفة نظيفة وينبغي أن تتم عملية التجفيف بالتربيت لا بالمسح ، ويجب على الفور وضع مادة مرطبة خفيفة ، وبعد ذلك تضع السيدة شيئا من الكريمات الليلية حول العينين والعنق

صباحا : استعملي الكريم أو المسطحات السائلة والمرطبات ، ولزيادة الفائدة ، ضعي كمية من الكريم حول العينين قبل وضع مواد التجميل

ـ حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض لمرض اضطراب الغدد الدهنية



الجلد الدهني

هل تعرفين يا سيدتي أن كثيرا من النساء الراشدات فضلا عن الفتيات المراهقات يعانين من زيادة في المادة الدهنية في بشرتهن ؟

ان كثرة الدهون في الجلد تخلق بعض المشاكل الجلدية ، فهي تظهر الوجه حتى لو كان نظيفا ، بمظهر كريه ، وكأنه مغطى بالدهون ، ولذا فهو في حاجة دائمة الى التنظيف والترين ، فضلا عن أن الجلد الدهني كثير التعرض للاصابة بالبقع القبيحة ، واتساع المسامات وخشونة الملمس ، ولكن هنالك جوانب إيجابية في الأمر ، فإن الجلد الدهني إذا أحسنت العناية به كان أقل قابلية للتجعد ، فهو يحتفظ بمظاهر الشباب والنعومة أكثر من احتفاظ الجلد الجاف بها ، ومع أن البشرة الدهنية تحتاج الى مزيد من التنظيف ، فإن الصابون القوي ذا القدرة الكبيرة على التجفيف يجعل مثل هذه البشرة أشد تزييتا ، ان للطبيعة أساليبها في التعويض · فكلما كثر مقدار الدهن المزال عن طريق التنظيف ، ازداد عمل الغدد المفرزة للمادة الدهنية لكي تعوض النقص ، ان النساء اللواتي يكثرن من الاستعمال المنتظم للمواد القابضة للجلد مثل الكحول انما يرغمن جلدهن على ارهاق نفسه في العمل لانتاج المواد الدهنية ، كما أن للشابات مشاكلهن الخاصة التي تنشأ عن البشرة الدهنية

حب الشباب

ان نشاط الغدد والافرازات الدهنية تصل الى ذروتها أثناء المراهقة ، ثم يتناقص هذا النشاط شيئا فشيئا وتقل الافرازات تدريجيا

والاشراف الصحيح انما يتجلى في النظافة الشديدة ، وأي تقصير في هذا يصيب الشباب والشابات بمشكلة حب الشباب .

ان هناك أربعة أسس طبية لحب الشباب ، وهي الحالة الجلدية المحاطة بالشائعات والخرافات هذه الاسس هي

١ ـ العامل الوراثي ·

٢ ـ الارهاق العاطفي . حيث انه يزيد الحالة سوءا

٣ ـ الأغذية فقد تزيد أو تنقص من حب الشباب

٤ ـ العناية الطبية الفورية شيء مهم

وإياك إياك يا سيدتي أن تتولى أمر معالجة جلدك من أمراضه بنفسك . فإن الجهل بهذا الأمر قد يخلق عاهة دائمة ، استشيري طبيبا اخصائيا في الأمراض الجلدية فذلك خير لك ولجلدك

وهنا يبرز السؤال الكبير والمهم . هل البثور التي نطلق عليها اسم حب الشباب ، هي حب الشباب فعلا ؟

نقول ان هنالك اضطرابات جلدية مختلفة ، ولكن مشكلة الجلد العادية هي ما يطلق عليها حب الشباب وهو يحدث بدرجات متفاوتة ، وأسهل طريقة لمعالجة هذا الأمر هي اتباع قواعد الصحة والنظافة ، أي الغسل بالصابون مع ماء دافىء ، والتنشيف بقطعة قماش نظيفة ، واستعمال صابون يحتوي على مواد مطهرة معقمة قاتلة للجراثيم ، ثم يغسل الوجه بهذا الصابون وبعد التنظيف بالماء الدافىء ، يغسل الوجه مرة أخرى بالماء البارد ، لكي يكون ذلك عنصراً قبضياً للجلد .

واذا كان الجلد مغطى ببثور ذات رءوس سوداء ، فعليك أن تغطي المنطقة المصابة بمستحضر يحتوي على الكبريت « الريزورسين » ويكون ذا لون يشبه لون الجلد الطبيعي

حب الشباب . . ليس مرضا

حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض ينشأ عن اضطراب في عمل الغدد الدهنية ، ان هذه الغدد تفرز مواد دهنية لتطرية الوجه والظهر ، وإذا أقفلت فتحات هذه الغدد لسبب ، وتعذر وصول المادة الدهنية الى الجلد ، تكونت سدادة هي النقط السوداء التي تظهر على رؤوس البثور ، وتحدث مشكلة ثانوية عندما تتكاثر الجراثيم في الغدد المسدودة وتحدث فيها الالتهابات ، وفي الأحوال الطبيعية تفتح السدادة تلقائيا ، وتقذف بالنفايات الى الخارج □

هـو ....

أبنـاؤنـا

● لا اعرف مادا أصاب روجى على كبر ، فيبدو أد تقدم العمر سا يجعلنا أكثر تشثا بالحياة ، وتطمو فوق سطح مشاعرنا بوازع الأنانية وحب الذات ، وتختفى الاثرة والتضحية .

تروحنا مند اثنين وعشرين عاما ، وبعد تسعة أشهر وصعت أول أبنائى . . يومها دهب روجى واشترك فى نطام تامين . . وبدأ فى سداد بوليصة تأمين على الحياة ، ومرت بنا الأيام ، وأصبح لابنى الأكبر شقيقتان . روحى يعمل ليل نهار من احل أن نصمن مستقبلا أفضل لأبنائنا . وأسعدنا الله وأعطانا ، ووفق أبناءنا فى دراستهم ، والتحق الثلاثة بكلية الطب . وصار حيرانى فى البيت ينادوننى بأم الثلاثة أطباء . . ولم يقل لى أحد . . بقدر ما أدركت بفطرتى أنه من الضرورى أن نضع القرش على القرش . . وأن أدخر بقدر ما أستطيع . . ومهما بلغ بى الجهد فغدا سيحتاج أبنائى الى كل قرش . استاد على وشك الرواج والثالث يحتاج الى مطهر طيب ، وحسمت المسألة فى دهنى ليس مهما بالنسبة لى ولأبيهم الا الطعام فقط لكى نبقى ، أما ، عدا دلك فكله للأبناء ، قضيت أكثر من شتاء بفستان واحد . وطوال الصيف أبدل فى فستانين فقط . وكثيرا ما اهتاج ألم عظامي . وتصبح مراجعة الطبيب ضرورة حتمية . ولكننى استعيض بالوصفات البلدية وبعض المسكنات ، وأوفر قيمة كشف الطبيب وأجر الدواء قليل أو كثير من الألم لايهم المهم أن أوفر كى أضمن لأبنائى مستقبلا افضل قليلا من مستقبلنا وتثور الخلافات بينى وبين زوجى أقول له:أوليس هؤلاء أبناءك كما هم أبنائى ؟ أوليس المفروض فى الأباء أن يضحوا كثيرا من أجل أبنائهم ؟

انتهت مدة بوليصة التأمين ، وقبض زوجى قيمتها كاملة . . وفى جلسة عائلية ضمتنا جميعا ، طلب ابنى الأكبر سيارة ، وطلبت الفتاتان بعض الملابس . وقلت أنا : فلنشترِ لابننا سيارة . وبعض الملابس للبنتين ، ثم نقسم المبلغ الباقى ونضعه فى حساب توفير باسم الأبناء ، فاذا حان موعد زواجهم استطاعوا تأثيث بيت ، وثار زوجى . . واعترض . . وفى اليوم التالى فوجئت به عند عودته وقد اشترى لنفسه بعض البدل . . ولى كثيراً من الفساتين وبعض الحلى . . وانفجرت فى وجهه ثائرة غاضبة ، من أنانيته وتمكسه بالدنيا . . ونسيانه لأبنائنا وعدم قدرته على التضحية والحب .

هي

هي....

إفــراط

أسوأ ما يمكن أن يصيبنا في حياتنا الافراط حتى نصل الى التفريط ، وأكثر ما نقع فيه نحسس به أن نتحول الى دبة نحب فتقتل صاحبها دون قصد ولا نية

زماننا هذا غير جميل ولا نبيل زمان لم تعد قيم الأشياء فيه كما كانت ولا كما تعلمنا ونشأنا وكلما تقدمت الحياة وتطورت تغيرت فيها قيم الأشياء المادية أيضا ، فنقود الأمس غير نقود اليوم وعقارات السنين الماضية تقل في عائدها كثيرا

ولهذا فاني عندما أفكر في ماذا أترك لأبنائي ، أجد أنه لاشيء أفضل وأعظم من علم واخلاق وهذا ما أفعله ، وما تثور من اجله روحتي .

التضحية ليست تعذيبا للنفس ولا عطاء مستمرا فياضا بدون معنى وبدون حدود

أضحّي من أجل تعليم أولادي نعم أضحي من أجل تربيتهم واطعامهم ، نعم حتى لو كان هذا على حساب نفسي أنا وروحتي .لكن أن تقول لي ضحّ من أجل رفاهيه أولادك ضح من أجل أن يستمتع أبناؤك وشقى نحن فهذا نوع من السخافة

ليس منطقيا أن أشتري لابني سيارة يذهب بها الى الجامعة . وأذهب أنا الى عملي بوسائل المواصلات ليس عدلا أن يستمتع هو بسيارة ويصحب فيها اصدقاءه وزملاءه وأنا لا أملك الا بدلة واحدة للشتاء وقميصين للصيف وأمهم لاتذهب للطبيب من أجل ادخار ثمن الدواء أي تضحية هذه . وأي أبناء هؤلاء .

في تصوري اذا كنت أريد لهؤلاء الأبناء أن يصبحوا رجالا ناضجين قادرين على الاعتماد على أنفسهم قادرين على رؤية الحياة والواقع والتعامل معها بفهم ووعي اذا كنت اريد لهم هذا ، فلا بديل من الخشونة ، والاعتماد على أنفسهم ، وقديما لعن الناس جحا عندما ركب الحمار وترك ابنه يمشي . ولعنوا عقوق الابن عندما ركب وترك أباه يسير على قدميه ، ولعنوا الاثنين عندما سارا وتركا الحمار . . هذه هي الحكمة الحقيقة ان كل الاشياء تخضع للنسبية وما يقابل تضحية الآباء هو عرفان وبر الأبناء كما لانرضى جحود الابناء علينا الا نرضى بافراط الآباء . فكثير الحنان والحب يقتل تماما ككثرة الماء للزهور تخنق وتميت



هو



عندما "تصدمنا" السعادة!

ماذا يصنع بنا الشعور المفاجىء بالسعادة ؟ هل يمكن ان تصبح السعادة « صدمة » ؟ وما أثر هذه الصدمة على نفوسنا وحياتنا . . ؟ ان صدمة السعادة هي المستحيل الذي تحقق ، أو هي الأمنية التي نحلم بها ، ثم لانلبث أن نراها أمامنا !

في صباح ذلك اليوم ، حاولت الجدة العجوز أن تتذكر كم مضى عليها وهي راقدة في فراشها بلا حراك . . كانت أشعة الشمس قد بدأت تتسلل الى غرفتها الصغيرة فتشيع فيها الدفء . . والتقت عيناها فجأة بالكرسي المتحرك الذي جاءوا به اليها منذ أيام ، ورفضت أن تجلس عليه ! ولكنها ما لبثت أن قالت تحدث نفسها :

« ولم لا . . لماذا لا أجربه . . لماذا لاأنتقل معه الى مكان آخر ، بعيداً عن هذا الفراش الذي أصبحت أعيش معه طوال هذه الشهور التي انقضت منذ أن نقلوني اليه ؟ »

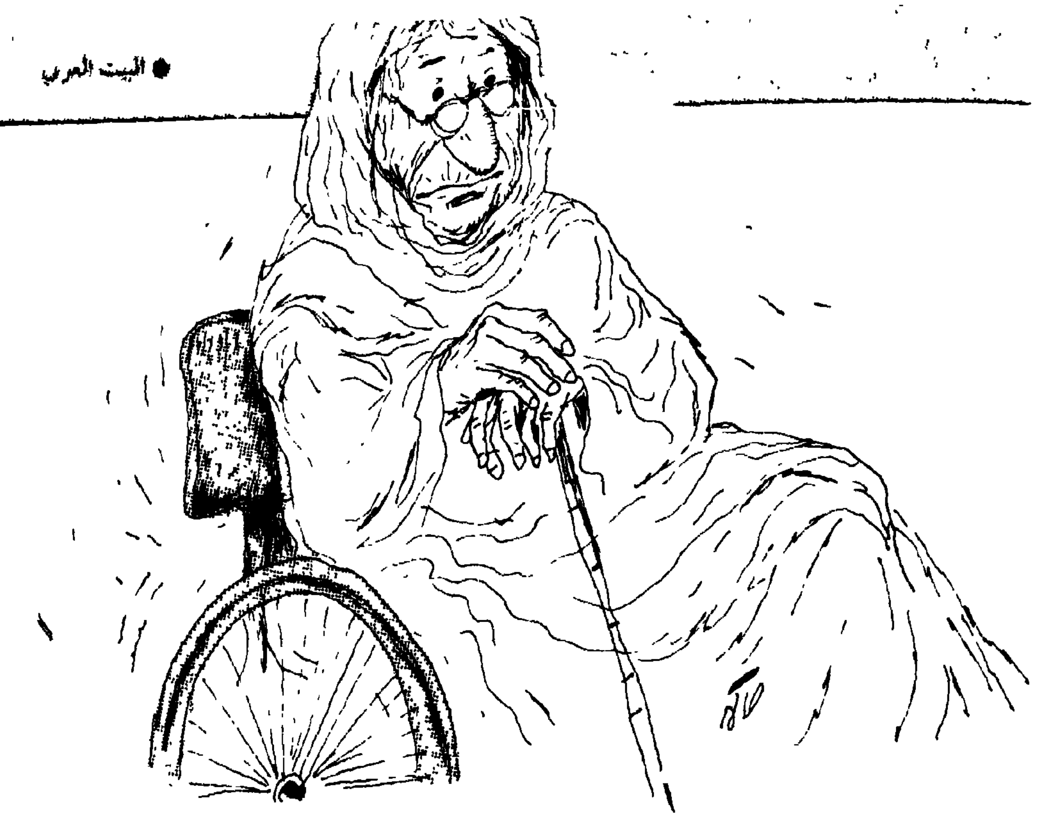
ومدت يدها تضغط على الجرس . . . وجاءت الممرضة مهرولة . . وقالت السيدة العجوز التي تقدم بها العمر : « أرجوك أن تساعديني على الجلوس فوق هذا المقعد . . إنني أريد أن أقترب من النافذة . أريد أن ألقي نظرة على الشارع الذي حرمت من رؤيته منذ دخولي الى المستشفى . أريد أن أرى الناس ، وأستمتع بصور الحياة التي ابتعدت عني طويلا ! » .

وحملوها الى المقعد ، فقد كانت ساقاها المتلولتان لا تقويان على حملها . . وجلست ، وراحت تدفع عجلتي المقعد بكلتا يديها ، حتى اقتربت من النافذة التي طالما التقت عيناها بها من بعيد ، وراحت ترقب السماء وهي تصفو وتكفهر ، وتصحو مع شمسها وتنام مع ضوء القمر !

ولكنها لم تر الشارع الذي توقعت أن تراه ، عندما استطاعت لأول مرة أن تنفذ بعينيها الذابلتين الى ماوراء هذا الحاجز الزجاجي . . . كانت هناك مفاجأة تنتظرها بعد هذه الرحلة القصيرة . فهي لم تر وجوها كما توقعت ، ولكنها رأت الطبيعة في أحلى صورها . الأشجار الباسقة ، والطيور التي كانت تغرد فرحة بقدوم هذا الصباح المشرق ، والزهور الجميلة التي امتلأت بها الحديقة الواسعة التي تحيط بالمستشفى من كل جوانبه .

****

وأحست برعشة تسرى في جسمها . . . وانتابها شعور غريب ، وهي تعود الى هذه الصور الجميله من



الحياة التي افترقت عنها منذ أكثر من أربعة اشهر عندما حملوها الى المستشفى اثر اصابتها بشلل نصفي . ولم تشعر بشيء من حولها بعد هذا اللقاء المفاجيء . فقد وجدت نفسها تعود مع ذكرياتها الى ذلك اليوم الذي كان بداية رحلتها مع المرض والألم . لقد رحل زوجها وشريك عمرها هكذا فجأة وبلا مقدمات . في المساء كانت الأسرة الصغيرة . . هي وزوجها وابنتها وحفيدتها يتناولون طعام العشاء . وقال الجد « إنني أشعر بتعب وأريد أن أذهب الى فراشي . أراكم على خير في الصباح . . واقتربوا منه يقبلونه وذهب لينام »

وكانت هذه هي آخر ليلة يرون فيها الرجل الذي أحبوه وأحبهم وأفنى عمره كله من أجل اسعادهم ولم تحتمل الجدة الصدمة ، فسقطت هي الأخرى مصابة بشلل نصفي .

مرت كل هذه الذكريات في رأسها سريعة متلاحقة ، وتمتمت في صوت خافت : « لقد كان رجلا طيبا » قالتها وهي تمسح دمعة لم تشعر بها الا وهي تجرى على وجنتيها العجوزتين

ولكن فجأة ايضا تذكرت شيئا مهما كاد يغيب عن ذهنها تماما في هذا الصباح فقط على الأقل . تذكرت حفيدتها العروس التي لم يمض على زواجها أكثر من عام واحد . انها ترقد الآن في مستشفى قريب جدا من حيث ترقد هي ، تنتظر الحدث السعيد الذي وعدت به جدتها . وهي تحتفل بزواجها من الشاب الذي رافقها وزاملها في رحلة دراستها الجامعية .

يومها قالت لها . « لاتقلقي ياجدتي . فقد قررنا ـ زوجي وأنا ـ أن نهديك حفيدا جديدا في أقرب وقت »

ووجدت الجدة نفسها تبتسم وهي تتذكر كلمات حفيدتها الصغيرة ، وكأنها تسمع صوتها . وفجأة رأته قادما . انه زوج الحفيدة الصغيرة . وكان يمشي في خطا سريعة لابد أنه قادم اليّ . انه وحده في هذه المرة . انها أول مرة يأتي فيها لزيارتها دون أن ترافقه ابنتي . ترى ماذا حدث ؟ »

ويصل الشاب أخيرا ، ويزف اليها النبأ السعيد . « لقد رزقنا الله بطفل جميل ياجدتي . حفيدتك بخير . والصغير بخير . هل تعلمين انه يشبهك تماما »



ومدت الجدة ذراعيها تختص بها الأب الشاب الذي جاء يحمل اليها أسعد نبأ سمعته في حياتها وقالت وهي تغالب دموعها - « متى أراه متى تحملونه اليّ أين ابنتي هل كانت الولادة طبيعية؟ »

- كل شيء على مايرام وسوف ترين حفيدك الصغير قريبا سنحمله اليك بمجرد أن يسمح الطبيب لأمه بمغادرة المستشفى ! »

* * * *

وفي هذا اليوم لم تغادر الجدة العجوز مكانها وراء نافذة غرفتها وبقي هذا حالها في كل صباح كانت تصحو مبكرة وتطلب الى الممرضة أن تساعدها على الجلوس فوق مقعدها ، ثم لاتلبث أن تتجه به الى مكانها الذي تعودت أن ترقب منه الزهور والأشجار ، وتستمع الى تغريد الطيور التي أصبحت تشاركها فرحتها بقدوم هذا الضيف الجديد الذي بعد الأيام والساعات الباقية على لقائها به !

وجاء اليوم أخيرا ورأتهم قادمين اليها الأم الصغيرة وهي تحمل طفلها ، وقد سار زوجها بجانبها ومن ورائهم ابنتها ووحيدتها

واستدارت بمقعدها ، وراحت تنتظر ، وأحست في تلك اللحظة أن قلبها العجوز يكاد يقفز من بين ضلوعها بعد لحظات سكون اللقاء الذي طال انتظارها له وعلى عتبة الباب ، وقف الجميع

وصاحت الأم الصغيرة : هذا هو حفيدك الجديد إنه لم يشأ أن يذهب الى البيت قبل أن يلقاك ياجدتي »

ومدت الجدة ذراعيها . ولكنها فجأة وجدت نفسها تترك المقعد ، وتقف على ساقيها المشلولين ، وتتقدم بضع خطوات الى الأمام ، وهي مازالت مادة ذراعيها ، ودموع الفرح تملأ عينيها العجوزتين ثم تحتضن الصغير وتضمه الى صدرها وتغرقه بقبلاتها

وأخرست المفاجأة الجميع لقد دبت الحياة فجأة في ساقيها المشلولتين ، ولكن أحدا منهم لم يتكلم لقد وقف الثلاثة ينظرون اليها في ذهول ، وهي واقفة في مكانها مشغولة عن كل ماحولها بهذا الصغير ، أجمل وأحلى وأثمن هدية قدمها لها أبناؤها !

وفي هدوء تسلل زوج الحفيدة الى الخارج ، وأسرع يدعو الطبيب الذي يشرف على علاج الجدة

« أرجوك تعال بسرعة لقد حدث شيء مفاجيء لقد حدثت معجزة ! »

وجاء الطبيب واقترب في هدوء من الجدة ، وقالت هي انظر كم هو جميل هذا الطفل . انه ابن حفيدتي ! ومد يديه يحمله عنها ، وقال « مارأيك لو أننا أخذناه معا في نزهة قصيرة في الحديقة »

وسار الجميع لكنه شاء أن يكون في المؤخرة ، لقد كان يريد أن يراقب تحركات ساقيها في مشيها !

ولم ينزلوا الى الحديقة ، لقد وصلوا الى نهاية الردهة ، ثم طلب اليهم أن يعودوا ، لانه على موعد مهم مع أحد مرضاه وعادوا وقال يخاطب الجدة « أرجوك ان تعودي الى فراشك الان »

وعادت ، كما يفعل أي شخص سليم وعندما اتخذت لنفسها وضعا مريحا ، طلبت اليهم أن يعيدوا اليها الطفل

وعندما قال الطبيب أنت أيضا ياسيدتي تستطيعين أن تغادري المستشفى لقد شفيت تماما ، ربما تحتاجين مستقبلا لبعض العلاج،أما الان ، فانت بخير تماما ، فقد كانت فرحتك بقدوم حفيدك الصغير ، أقوى من كل علاج جربه معك الأطباء خلال فترة وجودك بيننا

ولم تصدق الجدة ، لأنها حتى هذه اللحظة لم تكن قد أدركت بعد أنها تركت مقعدها ، ووقفت على ساقيها ، ومشت بها حتى نهاية الردهة ذهابا وعودة ، ولكن عندما سمعت حديث الطبيب ، أسرعت تحرك ساقيها وتنزل عن فراشها ثم ترتدي ملابسها تترك الغرفة التي قضت فيها شهورا طويلة ، ولكنها قبل أن تذهب اتجهت الى النافذة لتودع أشجارها وطيورها وزهورها التي عاشت معها أحزانها وآلامها

يقول ايمرسون « السعاده دواء انها تصنع المرء مايصنعه الحجر الذي يقذف به القدر ليحطم لوح الزجاج القاتم الذي لانرى من ورائه شيئا . هذا الضيص من النور الذي ينفذ من حيث تحطم الزجاج فنرى من خلاله جمال الحياه . هو السعادة بعينها »

* * * *

وفي احدى المدن الصغيره كانت ترقد طفلة لم تكمل بعد ربيعها التاسع في احدى المصحات،كانت جميلة رقيقة كالنسيم ، وكانت مصابة بداء السل الذى ينهش رئتيها الى أن كان أحد ايام الربيع ، عندما جاء أبواها يعودانها كما تعودا ان يفعلا كل يوم بعد أن ينتهيا من عملهما . ونظر الأب الى وجه ابنته الشاحب ، ولكنه لم يتوقف طويلا كما تعود أن يفعل كلما جاء لزيارتها ، حاملا اليها الهدايا التي امتلأت بها غرفتها في المستشفى لقد خرج الأب مهرولا تاركا طفلته مع أمها التي جلست تحكى لها القصة الجديده التي قرأتها بالأمس فقد كانت تحمل اليها في كل يوم قصة جديدة

والتقى الاب بالطبيب الذى يشرف على علاج طفلته ، وراح يسأله في لهفه « كيف حال ابنتي ياسيدي؟انني قلق عليها انها تزداد شحوبا يوما بعد يوم لقد مضى عليها الآن ثمانية أشهر وهي راقدة في فراشها تحت العلاج ، ولكني لاأرى أي تقدم في صحتها ! » .

وقال الطبيب « لا أخفي عنك ان حالة طفلتك غير مطمئنة . . ولولا أني أخشى أن تنتقل عدوى المرض الى أشقائها ، لنصحتك بان تعود بها الى البيت

ولم ينتظر الأب لقد عاد مسرعا الى غرفة طفلته ، وراح يجمع حاجياتها ، ولم تمض بضع دقائق حتى كان الجميع في الشارع الأب يحمل ابنته بعد أن حرص على ان يضع جسمها النحيل في ملابس ثقيلة تحميها من الهواء البارد ، والأم ممسكة بيدها الصغيرة التي كانت تلثمها بشفتيها بين الحين والحين !

وفجأة سأل الأب ابنته التي كانت تجلس فوق كتفيه مارأيك لو ركبنا تلك العربة الصغيرة التي يجرها هذا الجواد الأبيض ؟ .

وصفقت الصغيرة وكأنها كانت تتمنى لو انها ركبت هذه العربة التي كانت تمر بهم في تلك اللحظة ومضى الجودى يشق طريقه بين الحقول الخضراء كانت الشمس قد اقتربت من الغروب وبدأ هذا القرص المضيء يختفي في الأفق

وصاحت الصغيره « انظري يا أمي ان الشمس تغرق في البحر كم تمنيت لو انني رأيتها وانا نائمه في فراشي ولكن الأسوار العالية كانت تحجب عني هذا المنظر الجميل حتى عند الشروق في الصباح ، لم أكن استطع أن أراها ابدا وهي تخرج من رقادها الطويل أثناء الظلام »

كانت تتحدث بصوت حلو امتزج فيه الحب بالسعاده التي كانت تحس بها الصغيره في تلك اللحظة

ومن بعيد شاهدت الأطفال يتجمعون أمام محل لبيع الحلوى والايس كريم ، وقالت هل استطيع أن آكل بعضا منها ؟ وأجفلت الأم وقال الأب بلا تردد نعم ياصغيرتي

وأكلت ومضت العربة تشق طريقها الى المدينه ثم الى البيت ، وكان لقاء حارا بين الشقيقه العائده وأخوتها لقد رحبوا بها وغنوا لها ورقصوا معها واستها فرحتها بالعودة الى بيتها وأشقائها أن لقاءها بهم كان بلا قبلات !

ولم يمض على هذا اللقاء سوى بضعه أشهر ، عندما جاء الطبيب يعود الطفلة في البيت ، ثم نظر الى أبويها وقال « طفلتكما سوف تشفى »

هل كانت معجزة ، تلك التي حدثت مع الطفله الصغيرة التي يئس الأطباء من شفائها ؟ أبدا انها السعادة التي غمرتها انه المستحيل الذي تحقق انها الأمنيه التي كانت تصحو وتنام وهي تحلم بها ان تعود الى الدنيا والى بيتها ووالديها واشقائها

قال فرانز كافكا يوما لو عرف الناس أنهم بحاجة الى تكسير جسور الثلج التي تعشش في داخلهم ، لعاشت البشريه كلها في سعاده ليست لها حدود □



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

تسخين الطعام هل يضمن السّلامة ؟

لقد ترسب في قناعة كثير من الناس أن تسمم الطعام يأتي من تعفن عابر بعث بعضا من سمه في الطعام ، أو بالتعبير الدارج على لسان العامة أنه شم الطعام ، وقد يعمد بعض آخر الى شم الطعام لتقصي أية رائحة غريبة أو كريهة ، بل ربما استعان بحاسة التذوق لاستطلاع طعمه اذا ما طرأ عليه اختلاف أو تغيير .

والواقع قد يفجع أمثال هؤلاء ، اذا ما علموا أن سم الأفاعي لا ضرر منه اطلاقا اذا ما دخل الجوف عبر الجهاز الهضمي ، شرط أن لايكون الجهاز الهضمي مصابا بجرح أو تهتك ، لأن سموم الأفاعي زلالية (بروتينية) التركيب ، لهذا فإن عصارات المعدة والأمعاء تهضمها وتعطل طبيعتها السامة ، ولكن خطر سموم الأفاعي والثعابين تتسربها الى مجرى الدم عبر جرح ما ، غالبا ما يكون مكان وخز أنياب الثعبان السام ، مما ينتهي بتحلل كرات الدم الحمراء ، أو ربما تخثر سائل الدم ، واحيانا يؤدي الى شلل يصيب الأعصاب ، وليس في هذا أدنى شبه بصورة التسمم الغذائي المفترى عليه ، والمتمثلة بمغص شديد ، واسهال حاد ، وقيء متواصل ، أو ربما غثيان على أقل تقدير

أما الفريق الذي يعتمد على حاستي الشم والتذوق لاستكشاف فساد الطعام ، فهو لايعلم أن الطعام الملوث ليس شرطا فيه أن تتغير رائحته ويختلف طعمه ، بل هو في غالب الأمر يبدو طبيعيا جدا ، لا رائحة ولا طعم ولا لون غريب فيه

ان أغلب الناس قد يعمد الى تسخين الطعام من باب الحيطة والحذر ، وهم على قناعة تامة بأن حرارة التسخين كفيلة بالقضاء على كل الملوثات التي تفسد الطعام ، وتؤدي الى مشكلة التسمم الغذائي

والحقيقة أن التسمم الغذائي بمعناه الطبي الشامل هو تلوث الطعام بأية مادة غريبة ضارة ، سواء كانت كيميائية أو حيوية ، غير ان الاتفاق الدارج يقصر هذا الاصطلاح على التلوث الميكروبي فقط ، حتى أن التسمم الكيماوي نادر الحدوث في يومنا هذا ، ويدخل في دائرة اختصاص الطب الشرعي ، حيث انه لايصير الا بفعل فاعل ، يضع السموم في الطعام

عن سابق قصد وعن سوء نية ، وهو ما ينضوي تحت بند الجريمة .

أما التسمم الغذائي الدارج فهو التلوث الميكروبي ، وهذا يتم على ثلاثة أشكال :

أولها . المكورات

وثانيها : العصيات

وثالثها الميكروبات اللاهوائية المعروفة باسم البوتيولزم

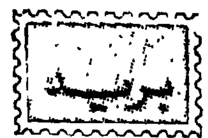
في يومنا هذا يبدو ان التسمم بالشكل الثالث (البوتيولزم) نادر الحدوث ، لأن سببه تلوث الأطعمة الجاهزة والمعلبات بميكروبات لاهوائية خطرة ، تسبب الشلل والموت العاجل ، وهذا أمر لم يعد له وجود ، بفضل الصناعة الحديثة التي يشترط فيها أن تجري تحت مظلة من النظافة والاشراف الطبي الدقيق .

والشكل الثاني هو تسمم يحدث بسبب تلوث الطعام بميكروبات عصيات السالموفيلا التي تتكاثر في الطعام ، بفضل عوامل الدفء والرطوبة والظلام ، ولكن طهو الطعام أو تسخينه كفيل بقتل هذه الميكروبات ، أما الشكل الأخطر هو الذي تسببه ميكروبات المكورات العنقودية أو المسبحية ، نسبة الى طريقة تشكلها على هيئة العنقود أو السبحة ، فهذه ميكروبات دقيقة تمرر سمومها في الطعام ، بينما هي تتوالد وتتكاثر ، فاذا ما جرى تسخين الطعام تموت هذه الميكروبات ، ولكن سمومها الفعالة لا تتأثر بالحرارة ، لأنها مواد كيماوية لا حية

ومن هنا تبقى الخطورة كامنة بالرغم من تسخين الطعام ومظهره العادي الذي يوحي بسلامته ظاهريا ، فاذا بالضحية يعاني من أعراض التسمم الحادة (اسهال ومغص وقيء) خلال ساعات معدودات من تناول الطعام ، حيث لاينفع معها علاج ، ولكن الأعراض تختفي بعد قليل مثل ما بدأت عليه ، دون أن تترك أثرا سوى الاجهاد والانهاك ، اذا لم يكن التسمم شديدا يؤدي الى وفاة الضحية المسكينة ، وبخاصة عند الأطفال وكبار السن .

قد تختلط الصورة كثيرا مع صورة الكوليرا المرضية ، ولكن الطبيب الخبير يمكنه التمييز ، بعد التقصي الدقيق والتحليل المخبري ، من الجدير بالذكر أن ميكروبات المكورات العنقودية مصدرها تلوث الطعام من يد الطباخ المهمل للنظافة ، الذي لا يتورع عن اللعب في أنفه أو شعره ، أو المهمل لعلاج جرح أو بثرة ملتهبة في يده

كما تعمل الحشرات والقوارض في هذه المأساة دور الناقل الآلي ، حيث تتردد مثل هذه المخلوقات بين دورات المياه وروث الحيوانات ، وبين الأطعمة المكشوفة ، والوقاية تتلخص في الحرص على نظافة القائمين على الطعام ، وسلامتهم من الجروح والقروح والبثور ، بالاضافة الى القضاء على الحشرات والقوارض ، كما لاننسى التأكيد على ضرورة تغطية الأطعمة وحفظها في الثلاجات ، حيث البرودة والأمان ☐



طبيب الأسرة

القولون المتوتر

● أعاني من الام حادة مبهمة تصيبني وتداهمني فجأة بين حين وآخر ، وتتركز في جانبي البطن مع معاناة من الغازات والانتفاخ .

لقد استعملت في علاج حالتي أكثر من دواء دون فائدة تذكر سوى الراحة المؤقتة،وقد قيل لي أن سببها القولون . فما هي قصة مرض القولون هذا ياترى ؟

ف س / الكويت



- ربما كان هذا المرض أكثر أمراض الجهاز الهضمي شيوعا (٥٠ - ٦٠٪) شأنه في دلك شأن نزلاب البرد بين أمراض الصدر ، وقد يطلق عليه أسماء شتى في اللغة العربية منها : القولون العصبي أو القولون الحساس ، وكانوا فيما مضى يطلونه التهابا أو عدوى مزمنة الى أن اتفقت الآراء واستقرت على رأي يقول بانه رد فعل عصبي كامن في جدار القولون .

ان الجهاز الهضمي الذي يقدر طوله فيما بين ٩ - ١٠ أمتار ينتهي عادة بالامعاء ، والامعاء بعد المعدة جزؤها الاكبر هو الأمعاء الدقيقة التي تتولى عملية هضم الطعام وامتصاصه ، وهي بطول ٧ - ٨ أمتار ، ثم تنتهي في الجانب الأيمن من أسفل البطن بمايسمى الأعور ، وهذا يعمل كحلقة وصل بين نهاية الأمعاء الدقيقة وبداية الأمعاء العليظة او مايعرف بالقولون . والقولون أربعة أجزاء تجري حول تجويف البطن : أولها القولون الصاعد الذي يبدأ من الأعور ويتجه الى أعلى داخل تجويف البطن من جهة اليمين ، حتى يصل الى اسفل الكبد ، يتجه مستعرضا تحت عضلة الحجاب الحاجز في اتجاه اليسار ، لهذا سمي بالقولون المستعرض ، وعند حدود تجويف البطن الايسر يهبط الى أسفل ، وقد اتخذ اسما جديدا هو القولون الهابط ، حتى يصل الى تجويف الحوض ، حيث ينتهي بالجزء الأخير والرابع وهو قولون الحوض . بعد ان يكون قد قطع مابين المتر والمتر والنصف طولا .

لقد وجدوا ارتباطا عصبيا في جدار القولون ، يتأثر بالانفعالات والضغوط النفسية ، مما يؤثر على توتر العضلات الصغيرة في جدار القولون الذي لامهمة له سوى الاحتفاظ بفضلات الطعام ، وامتصاص الماء منها ودفعها في اتجاه الشرج . هناك رأي بحساسية زائدة لجدار القولون ، عما فيه من أعصاب وعضلات ، لهذا فالاتفاق أن تركيب القولون عند المصاب سليم كل السلامة وانما الخلل كله في أداء وظيفته .

من هنا كانت المعاناة غير واضحة المعالم لدى مجموع المرضى حيث نجد الأكثرية تعاني من شعور بالانتفاخ والانقباض والآلام الغامضة وعدم انتظام اخراج الفضلات ، وربما عاني بعضهم من الاسهال ، بينما عاني الأخرون من الامساك ، ومن الملاحظ ان الأعراض تشتد وتزداد مع حالات التوتر النفسي والانفعالات العصبية ، لهذا يتجه الأطباء الى معالجة السبب الرئيسي للمشكلة ، بالاضافة الى مهدئات ومسكنات الآلام والانقباض .

ردود سريعة :

*** السيد يوسف - البحرين :**
- لم نفهم ماهية البقع السوداء في العين ، هل هي داخلية أم خارجية ، لهذا نعتذر عن الاجابة .

*** السيد م . ص - القاهرة :**
- النحافة لها أكثر من سبب ، ربما أهمها عدم كفاية الأكل والاجهاد والنشاط الزائد عن الحد ، كما أن العوامل النفسية قد تؤدى الى النحافة . وعلاجها هو ازالة السبب .

*** السيد ح . أ . أ . حلب - سوريا :**
- ربما كنت تعاني من أحلام اليقظة ، فهذه ليست أعراض مرض الفصام ، وهذا أمر مألوف في الشباب المراهق .

*** السيد سامر السباعي - حمص - سوريا :**
- ان مشكلتك سوف تنتهي مع انقضاء مرحلة المراهقة ، فلا تضخم معاناتك فتصبح مشكلة نفسية . ان طبيب الأمراض الجلدية لديه حلول لمشكلتك ، فاذا ترك حب الشباب أثرا فجراح التجميل كفيل بالأمر ، والعروق النافرة ربما كانت مصاحبة للنحافة فقط .

صَاحِبُ الألف وَجْه !

كان يعمل مديرا عاما لاحدى المؤسسات الكبرى وضع فيه أصحابها ثقتهم وسلموه أموالهم ومصالحهم يديرها كما يشاء ، وللحق كان مديرا ناجحا استطاع أن يحقق للمؤسسه نجاحا ضخما وازدهارا ورواجا وأن يزيد من رصيد أصحابها في البنوك وأن يدخلهم في مشروعات أكبر ، ويحقق فيها نجاحات اكبر ، ويستحق عنها عائدا أفضل كان تاجرا موهوبا بفطرته واداريا باحساسه

ولكنه كان في داخله شيطان له ألف وجه حوّل موظفيه الى عيون واذان ، كل منهم يتسمع على الاخر ويفعل له ما يقول الاخرون ويفعلونه حتى السعاه وعامل « البوفيه » كانوا يجمعون له القصاصات المهملة من فوق المكاتب ، ويتنصتون على مكالمات الهاتف

كان يستغل حاجة الناس الى العمل وجهل اكثرهم بتفاصيل القوانين ، ويضع أسوأ شروط عمل للعامل ويتفنن في سلب حقوقهم كان يفرح ويسعد بأنه استطاع أن يضحك على عامل في مائة أو مائتين من مستحقاته مثلما يسعد بالالآف

في جلساته الخاصة كانت اراؤه في العاملين ليست طيبه على الاطلاق وعند مروره بردهات المؤسسة لا يلقى تحية ولا سلاما ، ولكن اذا دخل مكانا فيه رئيس مجلس الادارة وبعض العاملين ولمح بذكائه أن الحديث يسير طيبا ، ويجد صدى لدى الرئيس ، فانه يتحول الى عامل بوفيه يطلب للبعض قهوة وللبعض شايا ذهب رئيس مجلس الادارة ذات عام للحج . فسافر في نفس العام ، وأطلق لحيته ، وأصبح وقته موزعا بين قراءة القرآن الكريم والصلاة .

هكذا رآه موظفوه والقريبون منه ، يومها تساءل الناس كيف يقبل الله عز وجل صلاته وحجه وقراءته ، ويداه آثمتان بحرمان العاملين من حقوقهم وعرقهم وأموالهم وكيف يأتمنه صاحب عمل وهو يخون أمانه الله في الأجراء والعاملين والبسطاء والموظفين الفقراء . . ولكنها اخلاق بشر . لا ترى في الكفاءة وحدها معيارا للأحقية ولكن التزلف والنفاق والرياء والقدرة على الخداع هي معايير أكثر أهمية عنده من الكفاءة ، وتصبح المسألة بذلك نظاماً كاملاً يفرز هذه الأخلاق

محمود عبد الوهاب

لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

التقويم والتقييم

جاءنا رسالة من السيد / معاولي موسى (العادلة / تيار / الجزائر) يسألنا فيها أربعة أسئلة

(١) التقويم والتقييم أيهما الفصيحة ؟

٢) لام التقوية ، لم سميت كذلك وكيف نعرفها ؟

٣) (ال) متى تكون للتعريف ومتى تكون اسما موصولا ؟

٤) كل بدل يجوز ان يكون عطف بيان إلا في حالتين ما هما ؟

ونؤثر بالاجابة هنا السؤال الأول اذ كثيرا ما سئلناه شفويا وكتابيا طيلة سنوات ، وكان اخر ذلك من فريقين رضيا تحكيمنا احدهما من موجهين للغة العربية هنا يصرون على تخطئة التقييم « بحجة انها لم ترد في نص قديم ولا في المعاجم ولأنها مخالفة للقياس والفريق الثاني من اخوانهم وبعض اساتذة الجامعة هنا يصوبون الكلمة اعتمادا على بنده (١) نشرناها في العربي / العدد ١٧٥ في يونيه / حزيران سنة ١٩٧٣ ، وأشرنا فيها الى تصويب المجمع اللغوي في القاهرة للكلمة والى حجته في أنها صواب ونعود هنا اليها لزيادة كلمات جديدة نقيسها أو نقيمها على القاعدة نفسها مثل « تدير الرحل المكان » والأصل « دور » ، ومثل « التسييس » والأصل « سوس » و « حيّب » التوب (أي اتخذ فيه جيوبا (جوب)

وحصيلة ما قلناه في تلك البنده ان الواو اذا وقعت ساكنة بعد حرف مكسور قلبت ياء لتناسب الكسرة ، فاذا صغنا مثلا - من كلمة « وزن » او « وقت » او « وعد » « كلمات على وزن مفعال » قلنا ميزان وميقات وميعاد ولا نقول موزان ولا موقات ولا موعاد.وهذه قاعدة صرفية مطردة ، ولا يستثنى منها الا ان يكون بعد الواو في الكلمة ألف ممدودة ، فإن الواو تبقى كما هي ، مثل سوار ، سواء ، حوار

نقول قام يقوم قوما ، وعاد يعود عودا ، وتبعا للقاعدة الصرفيه السابقة نقول قيمة وعيد ونجمعها على قيم وأعياد والقاعدة العامة المطردة في الاشتقاق من هذه الألفاظ ونحوها ان نعود الى أصل الحروف في الثلاثي ، فاذا اشتققنا من قيمة « عدنا الى الاصل » (قوم) ناظرين الى الواو فنقول قوّمت الشيء

ولكن لوحظ أن بعض العرب أهملوا النظر الى اصل الحرف في الجذر الثلاثي ، ونظروا الى حالته

الزاهية بعد ابداله في الكلمه . فقالوا عيّد الناس « تعني سهدوا العيد . أخذا من كلمه « عيد » ولم يقولوا « عوّد الناس » اخذا من الاصل « ع و د » دفعا لتوهم ان الفعل من العاده ، لا من العيد

ومن هذه القاعدة الخاصة اجاز المجمع اللغوي في القاهرة ان يقال قيّمت الشيء تقييما ، تعني حددت قيمته وذلك للتفرقه او ازالة اللبس بين هذا المعنى وبين « قوّمه » تعني عدلته وجعلته قويما أو مستقيما ، و « تقييم » هنا افصح من « تقويم » لان الافصاح او إزاله اللبس اهم وظائف اللغة ، ولا معنى لفصاحة الكلام الا وضوحه

والاشتقاق من كلمه كما هي في صيغها الجديده بعد تغييرها عن الأصل مثل قيمه ـ ظاهره لغويه يسميها بعض النحاة « الاشتقاق على التوهم » ، ونحن نفضل ان نسمي هذه الظاهرة « الاشتقاق من المشتق » لا من جذر الكلمه لأن من يفعل ذلك قد لا يفعله خطأ عن وهم ، بل يعمد اليه وهو عارف بالتعبير ، اما لمجرد التوسع في التعبير ، واما لاداء معنى خاص مثل « عيّد الناس » حتى يزول اللبس بين عيد وعاده

ولا تقتصر ظاهرة « الاشتقاق من المشتق » على الصيغ التي فيها حروف علة مقلبه ، بل تشمل انواعا كثيره من الصيغ تدل عليها كما مرّ اسلافنا دون ان نعي نصيغ لها قواعدها ، وتمكننا من التوسع في الكلام بصيغ جديدة فصيحه ، وهذا ما سنبسطه في صفحه اخرى بعون الله

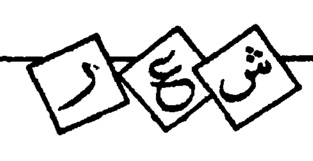
ولا ندري أول من اجتهد فاستعمل كلمة « التقييم » في عصرنا الحاضر أخذا من كلمة قيمه « على ما هي عليه ، فهي أفضل ترجمة متميزه لكلمه EVALUATION لبيان القيمه ، ونحن نبارك

هذا الاجتهاد ونستكثر منه ، حبا في لغتنا ، وترسيدا لها ، وكسرا للقيود الصدئه التي تحاول منعها من التصرف في الحركة على وفق المعاني المحدده ، فالجمود من صفات الموتى وليس من صفات الاحياء ، ولغتنا بحمد الله تتفجر بأسباب الحياة والقوة والنماء

ونحن في عصر تقدمت فيه الدراسات الاقتصادية والنفسية والفلسفيه ، فصارت الفروق واضحه بين سعر الشيء ، price وثمنه worth وقيمته value فيما هو من الأمور الماديه وغير المادية ، فقد نعتبر هذه الألفاظ مترادفه مع التساهل ، ولكننا لا نسوي بين ثمن الشيء وقيمته او سعره ولو كان ماديا ، حين نحاول تقديره ، فما يقدر عوضا في عقود البيع ، كالنقود يسمى ثمنا او سعرا لكنه لا يسمى قيمة لأن القيمه تتعلق بضروريات الانسان وحاجاته وكمالياته ، فأساسها نفسي ، وتكون اقتصاديه أو عرفيه أو جمالية أو غير ذلك ، وقيمه الشيء الذاتية غير قيمته الاعتبارية ، والمنفعة ليست أساس القيمة في كل شيء فان ألف امرأه جميله لا يعادلن امرأة واحده تفوقهن جمالا ، وكذلك الكفاية أو الكفاءة في الرجال ، ومثل ذلك يقال في الأعمال الفنية كالشعر والنحت والموسيقا والتصوير ، بل مثله يقال في الاطعمه والأشربة والأكسية والأمتعه

ولا نريد الدخول في مبحث القيم Axiology طبيعتها أو انواعها ومقاييسها ، فهذا المبحث بحر لاساحل ولا اغوار ، وهو موصول بالمنطق والاخلاقيات والالهيات والجماليات وكل ما نطلبه من أحوانا اللغويين والنحاة ان يطالعوا المعارف الحديثه ويعرفوا مضايق الكلام فيها ، فذلك اثرى لهم في عملهم وتفكيرهم بل شخصياتهم واثرى للغة ايضا

١) نشرناها ايضا في كتابنا « اضواء على لغتنا السمحة ص (٢١٢) من منشورات مجلة العربي



هكذا غنى الآباء

حربٌ أم سلام ؟

« للأستاذ عباس محمود العقاد »

لأديبنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م) أكثر من مئة كتاب في الأدب ، والنقد والفلسفة والاديان والاجتماع ، وقضايا المرأة ، ومن بين تواليفه عشرات في التراجم Biographies لأنبياء وأدباء وشعراء وعلماء وقادة وساسة من الشرق والغرب ، وأشهر هذه التراجم عبقرياته ، ونحوها .

وقد زادت شهرته بالكتابة على شهرته بالشعر حتى كادت تخفيها ، مع أنه يكاد يكون صاحب أكبر ديوان بين شعرائنا المحدثين ، استوعب في قصائده ومقطوعاته كثيرا من الموضوعات التي نظم فيها شعراؤ نا قبل ،والتي لم ينظموا . وديوانه عشرة أجزاء ، أسماؤ ها كما يأتي : يقظة الصباح ، وهج الظهيرة ، أشباح الأصيل ، أشجان الليل ، وحي الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، ما بعد البعد ، طبع أولها سنة ١٩١٦ ، أما آخرها فقد طبع بعد وفاته (١٢/٣/١٩٦٤م) ، وكان قد استخرج منها سنة ١٩٥٨ مجموعة سماها « ديوان من دواوين » وقد طبعت الأجزاء كلها أخيرا طبعتين في مجلدين .

وقصيدة « حرب أم سلام » من الجزء الرابع الذي يشمل ما نظمه بين سنتي ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٨ ، ومن يقرأ هذا الجزء ثم يقرأ قصته الوحيدة « سارة » المطبوعة سنة ١٩٣٧ ، يجد أن تجربة الحب هنا هي هناك ، قد عبر عنها هنا شعرا وهناك نثرا ، إذ كان يحب يومئذ أديبتنا الكبيرة الآنسة « مي » ، ثم غلبه حب « سارة » ، وبينما كان حبه للآنسة مي يمضي نسيماً رُخاءً ويستمر حتى فتر دون أن ينقطع بينهما الود ، كان حبه لسارة عاصفا عنيفا لاهبا حتى كاد يتلمه ، وقد انتهى بالقطيعة حين شك ثم جزم بعدم وفائها له وحده ، وفي القصة « سارة » بعض التفصيلات لتطورات هذه العلاقة وأحداثها وأزماتها من البدء حتى الختام .

والقصيدة هنا يعني أديبنا بها سارة في أخريات علاقته بها ، ننشرها في الذكرى السابعة والتسعين لميلاده ، اذ كان ميلاده في أسوان / مصر سنة ١٨٨٩ م .

ألـقـاءٌ أم لات حـينَ لـقـاء   وسـلامٌ أم تـلك حـربُ عـداء ؟
وفـراقٌ تحـدد الـعـتْـبُ فـيـه   يـوم سـحلو عـلى مـهـاد الـصـفـاء ؟
أم فـراق عـلى الحـيـاة طـويـل   كـفـراق الـردى سـغـير اسـتـنهـاء ؟
أنـا ـ مـا بـين هـاتـفِ وسـديـر ـ   داهـشُ الـسـمـع إثْـر كـلّ دعـاء
هـاتـفٌ في الـصـمـير أن لـيس هـدا   آحـر الـعهـد ، فـاعـتصمْ سـالـرحـاء
ونـذيـرٌ سـأنها عـصـةُ الـعـمْـ   ـر ، وعُـقْـبى مـودة الاصـفـيـاء
لـيـتَ عـامـا مـس الحـيـاة تـقـضّـى   لأرى في َغـد سـعـيـد الـقـصـاء
وأرى الخـير ، لا يـطـول انـتـظاري   وأرى الـشـرّ ، لا يـطولُ عـنـائـي
لا لعـمْـري ، سـل يـكـدب الحـيرُ والـ   ـشرُ ، وتـعـفـو مـعـالمُ الأنـباء[1]
ويـقـول الـزمـانُ قـولاً ، فـإبي   مُـرسـلٌ قـولـه مـع الأصـداء
أبـت لى : أنـدر الـزمـان بـشـرٍ   أم مـصـى هـاتـفـا مـع الـبـشـراء
أبـتِ لي اضْـمـرت سـيَـاتُـك حـبـاً   أم طـوت سـرَّهـا عـلى الـبـغـصـاء[2]
إنَّ لي فـيـك يـا بُـنـيَّـةُ حـقـاً   فـوق حـقِّ الهـوَى وحـقِّ الـدمـاء
مُـرجـتْ في قـرارة الحـب نـعـ   ـمانا ، وسيـطت[3] ايـامـا في وعـاء[3]
وتـراءيـتِ لي بـقـلـبٍ ولـبٍّ   مـں وراء الحـيـاء والـكـبـريـاء
مں مِنْ الـنـاس قـد تـذوّقَ منـك الـ   ـعيشَ صفـواً ، والـعيشُ جـم الشـقـاء ؟
مَنْ مِنَ الـنـاس قـد تـوسمَ فـيـك الـ   ـحُسْنَ سـوراً ، والحسـنُ مـن ظـلماءِ ؟
مَـنْ مِـنَ الـنـاس قـد أحـبـك حـبِّيـ   ـكِ ، ومـن مـنهـمْ ازدراك ازدرائي ؟
مَـنْ مِنَ الـنـاس قـد رأى خـيرَ مـا فـيـ   ـكِ ، واخْـفَـى مـا فـيـكِ مـن أدواءِ ؟[4]
مِـنْ جمـالٍ ومـن ذكـاءٍ ومـں غَـدْ   رٍ ومِـنْ صِـدقِ شـيـمـةٍ وريـاءِ
هـذه أنـت ، لاتـزالـين لى وَحْـ   ـدِي ـ جمـيـعـا ـ لاتـظهـريـں لِـرَاء
يـعـرف الـعـارفـونَ مـنـكِ لِـمـامًـا   بـعضَ مـا قـد عـرفتُ من سيـميـاءِ[5]
فـلهُـمْ مـنـكِ صـورةٌ وأحـاد   ـيثُ ، ولي مـنـك لـبُّ ذاك الـطلاءِ
هـذه انـتِ ، لا فـؤادُك خـافٍ   عـن عِـيـاني ، ولا وِدادُك نـاءِ
ان يـطلْ بـيـنـنـا الـنَّـوَى فـالـتـلاقـي   مِـن نـدائـي بمـوقِـع الاصـغـاءِ
ولـنـا في صـحـيـفـةِ الـدهـرِ غـيـبٌ   سـيُـعـيـد اسـتـهـاءنـا لابـتـداء

---

(١) تعفو الأنباء : تذهب علامات الأخبار
(٢) نياتك بتخفيف الياء هنا ، كالنيات بتشديدها
(٣) ساط : خلط
(٤) معنى الأبيات / ليس أحد عرف خير ما فيك وشر ما فيك كما عرفت أنا
(٥) لماما : قليلا ـ السيمياء والسيماء والسيمة : العلامة

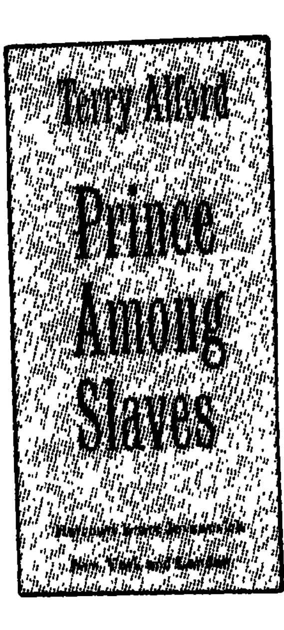
شعر : راسم المدهون

(١)
نردّ إلى النار آنية الزهرِ .
بعض حطام المراكب للبحرِ . .
أحزاننا للمغنى الضرير . .
ترابا يفر من القبضتين . .
شذا الحلم يركض . .
بعض القصائد ممهورة بالدماءِ . .
وثلج البكاءِ . .
نردّ المواسم للحربِ . .
قتلى انتصاراتنا للمساءِ . .
انكساراتنا للصباحِ . .
نرد الأسى للصديقِ المخاتل . .
نزف الأكف المدمّاة . . .
وهم الفجاءات . . . .
دهشتنا فى الصباح . .
نرد التفاصيل للمبتدى ،
ونبارك أول أحجارنا فى المدائن
ثم نلم القصائد من آخر الليلِ ،
ينطفىء اللحن فى رعشة العازفين ،
أيها الواقفون على جمرة النار . .
ردوا الى النار آنية الزهرِ
ردوا الحجارة للصّبيةِ الميتين .

(٢)
فى الصباح أغنى لها
كى يذوب عن القمح ثلج المساء . .
فى المساء أزيح البكاء . .
آخر الليل أبقى وحيدا . .
أسامر ثلجاً . .
يصير مع الفجر قمحاً وماءْ

(٣)
بيننا شوكة الآخرين . .
حزننا والجدار . .
بيننا أن نمدَّ الأصابع . . كى توقف الوقت
ـ تأكله النار ـ
ثم نردّ الحريق . .
عن اكف غفت فى الأمل
فانتهت فى العذاب

(٤)
بيتنا من زجاج
والكلام حجر
افتحى باب صمت المساء
ليمرّ المطرْ .





تأليف : تيري ألفورد

عرض وتلخيص : عثمان أحمد حسن

بينما كان مؤلف الكتاب تيري ألفورد يقلب أوراق مكتبة الكونغرس ، عثر على رسالة من وزير خارجية أمريكا في أوائل القرن الماضي ، بشأن تحرير عبد يدعى عبدالرحمن ابراهيما ، وبعد سبعة أعوام من البحث والتنقيب ، أصدر كتابه هذا عن حياة الأمير المسلم الذي وجد نفسه على ظهر سفينة رقيق ، مغادرة الى أمريكا ، وظل يكافح الغربة هناك ، حتى عاد بعد ٤٠ عاما ، ليموت فوق ثرى افريقيا .



كتاب الشهر

فولي ، قبيلة من قبائل عرب افريقيا المسلمة التي تعتمد على رعي الأبقار ، عرف أهلها بالشجاعة والجسارة ، وقيل انهم في الزمان الماضي استولوا على فوتوجالون وهي جزء من جمهورية غينيا اليوم ، وكانت للقبيلة امارة ، وبها سلطان تلك الديار قبيل الغزو الأوروبي والفولي ، قوم طوال ، وفيهم وسامة وجمال ، يرتدون الجلابيب الفضفاضة ، والعمائم الضخمة ، ويطلقون شعورهم ، ويمشطونها في جدائل ، وكان ابراهيم سوري ماودو ، أمير القبيلة وزعيمها ، وكان له أبناء كثيرون وبنات كثيرات ـ لم يحفل التاريخ الا بواحد منهم اسمه عبدالرحمن ، فقد شاءت له الأقدار حياة غريبة وتجربة فريدة ، فقد ولد الأمير عبدالرحمن هذا في عام ١٧٦٢م ، كان واحدا من أكثر من ثلاثين ولدا من صلب هذا الرجل

نشأوا مع القبيلة وفي كنفه ، ليتعلموا مع أصدقائهم ما يتعلمون من رعي وصيد وأعمال فروسية ، الى جانب حفظ القرآن وتجويده ، عرف الخيول ، وركب أجودها ، واصطاد العجول والغزلان والوحوش الكاسرة ، وتعلم ضروب الفروسية وأنواع القتال من حاشية أبيه وقادة جيشه ، وحفظ القرآن ، وتمكن من علوم الحديث ، ولكنه تاق الى الاستزادة ، فأمثاله من الأمراء لابد أن يتهيأوا لمسئوليات الحكم بتحصيل العلم وتجويده ، وتوسيع التجارب وتعميقها ، وما كان أبوه ليبخل أو يضن عليه بشيء ، فكان ان يمم شطر تمبكتو ، قلعة العلم ومنارته في غرب افريقيا ، وقضى خمسة أعوام كاملة ، ينهل من معين الفكر الاسلامي الذي لاينضب ، ويستزيد من الثقافة العربية التي لاتجف ، ودرس عبدالرحمن الجغرافيا وعلم الفلك ، وزاد من معرفته بالحساب والرياضيات ، وتبحر في علوم دينه وفي الشريعة ، ونهل من أمهات الكتب ، والتقى بضروب وأنواع من العلماء الأفذاذ ، والطلاب الذين يفدون لمدينة العلم من كل صوب ، ومن كل فج عميق ، وعاد الشاب الى بلاط أبيه يعاونه فيما يوكل اليه ، ويواصل تعلمه وتدريبه في تدبير شئون القبيلة أو المملكة

لقاء مع الأبيض

ومن أروع تجارب الشاب التي ظلت عالقة بذاكرته حتى أيام عمره الأخيرة ، هي تجربة أو لقاء له مع الانسان الأبيض ، وكان في التاسعة عشر من عمره ، وفي جمع من رفاقه يجوبون غابة من الغابات عثروا على رجل أبيض مسجى على الأرض ، يوشك أن يفارق الحياة ، فعملوا على انقاذه ، وحملوه الى بلاط أبيه حيث أكرم وفادته ، واتضح أن الرجل كان جراحا في سفينة ايرلندية ، جاءت في رحلة استكشاف لشواطىء غرب افريقيا ، وكان أن ضل الطبيب طريقه ، وما استطاع أن يعود لسفينته حتى أنقذه شباب الفولي ، وأقام دكتور كوكس ضيفا على القبيلة زمانا ليس بالقصير ، وعاد لأهله يحمل هدايا من الذهب وغيره من النفائس ، مع تمنيات ودعوات رجال أفاضل مليئة صدورهم بمحبة الانسان ، وان اختلفت سحنته وتباينت عقيدته ، ولم يعلم الدكتور كوكس ولا الأمير عبدالرحمن أن الأقدار تخبىء لهما لقاء دراميا آخر ، وانهما سيلتقيان في يوم ما في مكان ما من هذا العالم الصغير .

كانت الحروب القبلية تفتك بأهل غرب افريقيا والقارة كلها ، وزادت تجارة الرقيق من شرور تلك الحروب والفتن ، فانتشر النخاسون البيض ، وبعد أعوام سبعة من لقاء الأمير بالدكتور كوكس ، يتكرر اللقاء بين الأمير الافريقي والرجل الأبيض ، ولكنه لقاء يختلف عن سابقه الذي يحمل معاني المروءة والنبل والخلق الكريم ، فلقد وقع الأمير عبدالرحمن أسيرا في معركة من المعارك ، وحاول افتداء نفسه بالثمن

المسلمين الأفارقة الذين قادتهم الأقدار الى ذلك المصير القاتم المظلم

نهاية المطاف

وانتهى المطاف بالأمير عبدالرحمن بن ابراهيما في (ناتشز) بولاية ميسيسبي ، حيث اشتراه مزارع أبيض يملك ألف فدان من الأرض البور في تلك البقعة البعيدة البعيدة جدا عن سهول غرب افريقيا التي ألفها ذلك الأمير ، وكان توماس فوستر ، المالك الجديد ، مزارعا شابا قليل التعليم محدود الثقافة وبالرغم من قيود العبودية المهينة ، وسلاسل الاذلال التي أوثقت أطراف الأمير ، فان نفسه العزيزة لم تذل ، وكرامته لم تهن ، فبمجرد لقائه بالسيد الجديد ، ورغم جهله بالانجليزية ، قام الأمير بتعريف توماس فوستر بنفسه وشخصه في رباطة جأش ، وتماسك يسنده اليقين ، ومضى الشاب المعتد بأصله وقبيلته ودينه وحضارته يحدثه عن كرم والده الملك ، الذي بلا شك سيغمر الرجل الأبيض بسبائك الذهب ان أعاد اليه ابنه.كان المشهد مثيرا حقا ، مدهشا جدا . فلقد انبهر المزارع الأبيض بذلك العملاق الأسود المتكبر المتباهي ، ولكن ماله والفدية والذهب الموعود ؟ ان ما يهمه أولا وأخيرا هو مصالحه الشخصية والسريعة ، المتعلقة بأرضه وحيواناته ، فلا غرابة أن رفض طلب الأمير ، بل مضى في اتخاذ الاجراءات العاجلة للاستفادة منه : فزوده بسروال طويل ، وقرر حلق شعر رأسه ، ولكنه أبدى بعض المساومة ، فأبقى للفتى الأفريقي بعض المظاهر الملكية ، اذا ظل يناديه بالأمير كما سمح له بممارسة شعائر دينه الاسلامي .

وكانت حلاقة الشعر أول تجربة مريرة تقابل الأمير الأمير في موطنه الجديد ، فلقد رفض (عبدالرحمن) قص شعر رأسه : فالشعر عنوان الرجولة في تقاليد قبيلته ، ورمز المركز المتميز الممتاز عند العشيرة ، لقد كان اعتقاد الأمير أنه سيصبح كالطفل ان هو أزال شعره ، فصارع وقاوم بعنف هذه المحاولة ، مما اضطر المالك الى شد وثاقه الى شجرة ضخمة ، ليتمكن من قص شعره ، وكانت هذه بداية الاذلال وكسر النفس .



الامير عبدالرحمن ابراهيما
في صورة له عام ١٨٢٨

الغالي ، وأبى آسروه الا بيعه لتجار الرقيق المحليين الذين قايضوه للتجار البيض ، بطير بارود وتبغ ونبيذ ، وحاول ثانية العتق ، ولكن المخاسين أبوا ـ فكان أن وجد نفسه في سفينة ضخمة ، تعتزم قطع بحر الظلمات ، وما كان الأمير يعرف اليأس أو القنوط ، ولا يقبل الضيم ، فحاول ابتياع حريته ثانية . . . ولن تكون هذه الأخيرة من محاولاته .

عبرت سفينة الرقيق الضخمة المكتظة الكئيبة الأطلنطي ، تحمل فيمن تحمل ذلك الأمير الأفريقي مصفدا في الاغلال ، موثقا بالحبال . . ولم تقلل الأغلال من هيبة وجلال ذلك المحارب المقتدر ، ذي الستة والعشرين ربيعا . فانتصب الأمير عبدالرحمن كالجبل طويل القامة ، جليل الصورة ، مرفوع الرأس ، تزيده جدائل الشعر الطويلة جلالا ومهابة ، وما حلت السفينة بأرض الدنيا الجديدة ، حتى أصبح ذلك الافريقي المسلم الملكي المولد عبدا رقيقا مسترقا ، وهكذا انضم الأمير الى عالم الأرقاء في الدنيا الجديدة ، ولا أظنه أول الأمراء الذين استرقوا ، ولا أول المسلمين الذين استعبدوا ، ولا آخرهم ايضا ، وكان واحدا من آلاف الأمراء والسادة



كتاب الشهر

وصاقت نفس عبدالرحمن بتلك الحياة ، وبلغ الأمر بالامير مداه : فتسلل في ليل بهيم من سريره ، وانطلق هائما في أرض مجهولة وبلاد غير مأهولة ، لاتعرف مكانا يلتجىء اليه ، ولا صديقا يحتمى به ، وهام الأسابيع بين غابات المسيسبي ومستنقعاته وحيدا متوحدا ، لايصحبه مخلوق ، ولا يلازمه شيء سوى خوفه من المجهول ، ونفوره من واقع العبودية ودفعا ، الى جانب ذكرياته عن زوجه الشابة ، وطفله الرضيع ، وعشيرته الجسورة المقدامة

المحارب المهزوم

وفكر عبدالرحمن وقدر ، ثم عاد ذات يوم للمزرعة بعد أسابيع ، وقرع الباب ، وكانت السيدة سارة فوستر جالسة بمفردها تحيك شيئا ، فابتسمت ، ثم اقتربت منه لتصافحه ، فانبطح العملاق أرضا في اعتدال وثبات ، ثم أمسك باحدى قدميها بيده ورفعها ووضعها بنفسه على عنقه ، كان ذلك مسلك محارب مهزوم ، وتصرف مقاتل مقهور ، ولكن دونما انكسار ، والمشهد رهيب ومهيب ، فهو لايصور لحظة عابرة ، وانما تلاقى حضارات ، فلقد أدركت السيدة بفطرتها السليمة أن الأمير قد عنى بذلك المسلك الفريد المتميز والغريب - أيضا - أشياء كثيرة ، ربما عاقه حاجز اللغة عن الافصاح والتعبير عنها ، لقد كان واضحا أن الأمير قد وضع حياته رهن تلك الأسرة ، فان شاءت أزهقت روحه أو عفت عنه ، ولقد اختاروا الأخيرة ، فلم يعاقب الأمير على فعلته تلك ، ومنذ ذلك اليوم أصبح الأمير خادما مخلصا أمينا . . يتمتع بالثقة والمحبة - على حد قول أحدهم .

انغمس عبد الرحمن فى اعمال المزرعة اليومية ، يساعد فى زراعة التبغ والأرز والقطن ، وهو عمل تقوم به النساء فى وطنه ، ويرعى البقر والخيول والخنزير ، ويبيع انتاج المزرعة فى الأسواق ، ولكن التكيف مع العبودية كان عملية شاقة وقاسية ، لقد احتاج عبد الرحمن - بكبريائه ونبله - لأعوام ليتأقلم على أسلوب الحياة الجديدة بعد صدمة انتزاعه من اهله وعشيرته ، وقذفه الى أرض ظل فيها غريب الوجه واليد واللسان ، حتى بعد أن أقام فيها أربعين عاما

زوجة وأبناء

ولكن الحياة تمضي وتدور ، وتمضى الأعوام على الأمير فى تلك المزرعة الشاسعة الموحشة ، اذ لا أنيس له ولا جليس ، ولا زوجة يسكن اليها ، بل ان طيف زوجه الشابة يؤرقه ويقلقه ، وذكرى ابنه الذى تركه وقد أكمل عامه الثانى تمطر قلبه وتوجعه ، ولا يجد عونا للمكاره ، سوى ايمانه القوى ، وما بقى فى ذاكرته من آيات بينات تحمل اليقين الى قلبه والسكينة الى نفسه ، فبعد مضى ست سنوات على وصول عبد الرحمن للمزرعة تجيء ، (أزيلا) التى اشتراها السيد (فوستر) بأطفالها ليزيد من العمالة وربما تلد له عبدا آخر ، وأنس اليها الأمير ، وحسب أنها ستخفف من وحشته ، وتبعد أطياف الذكريات التعيسة التى تغشاه ، فتزوجها ، ولم يكن هذا الحدث أمرا عاديا عند عبد الرحمن ، بل لقد صار بداية لحياة شاقة وذكريات أليمة ، فقد تكون زوجه الأولى تزوجت بآخر ، وربما لا يستطيع ولده البكر تذكره ان لقيه بعد غيابه الأعوام الطويلة هذه ، ولكم كان يتوق ليوم حنانه ، ويخاله على صهوة جواد أبيض ، تلك وغيرها من الافكار ما زالت تزوره فتزيد من أوجاعه ومن وحشته وعذابه . واثمر زواجه الثانى عن طفل آخر ، ولقد أدى القدوم المبكر لهذا الطفل الى انغماس أعمق للأمير فى عالمه الجديد الغريب ، وعلى الرغم من قسوة الحياة على الأمير وظلمها له ، الا أنه أحسن الاستفادة من كل الظروف ، فلقد كبرت أسرته ، وأصبح له خمسة من الأولاد وأربع بنات ، وازدادت مسؤلياته فى المزرعة رويدا رويدا ، ثم

سُمح له بزراعة الخضراوات وتسويقها لحسابه الخاص ، فصار له دخل خاص ومستقل

في السوق المكتظ

ولكن بعض الأحداث العارضة والمؤلمة ما فتئت تذكره بين الفينة والأخرى بحياته الماضية ، فذات مرة تعرف عليه في السوق أحد رعاياه السابقين ، فلم يتمالك الرجل نفسه ، وصاح مذهولا « عبد الرحمن » ثم خر بوجهه ساجدا على الأرض ، وارتمى على الأمير

لقد أثار ماضيه المتميز هذا اهتمام الكثيرين من البيض الذين سعوا لصداقته ، وعملوا لرد حريته اليه ، ولعبت الأقدار والمصادفات دورا بارزا في اثارة الاهتمام بالأمير ، فلقد مرت تجربة بالامير تخال من الخرافة وهي صدق ، ولقد نالت ما تستحق من نشر واعلان ، ففي عام ١٨٠٧ كان عبد الرحمن يبيع شيئا من منتوجات زراعته الخاصة في السوق ، فلمح رجلا أبيض على صهوة جواد ، كان الرجل أعور ، فاقترب منه الأمير حاملا سلته ، وحدق كل منها في الاخر ، ثم بدأ الفارس في استجواب العبد الرقيق ، وسأله : أقادم انت من افريقيا ؟ فاجاب بالايجاب ثم سأله أليس اسمك عبد الرحمن ؟ قال نعم ثم سأل الرجل الابيض . أتعرفني ؟ قال بلى ، أعرفك جيدا . أنت دكتور كوكس ، وكان مشهدا مثيرا في ذلك السوق المتلىء بالزروح والعبيد الأرقاء وأسيادهم البيض ، فبعد ربع قرن من الزمان ، وعلى بعد ستة آلاف ميل من موطنه ومكان لقائه الأول بالطبيب الجراح ، يعود الدكتور كوكس ـ ثانية ـ الى حياته ، وبمحض الصدفة ، وفي هذا السوق المكتظ كان لقاء مؤثرا مفعما بالعواطف الانسانية ، وان لم يخلُ ـ ايضا ـ من مظاهر سحرية الاقدار التي تدعو للضحك ،وعلى الفور بدأ الدكتور كوكس مساعيه لشراء حرية عبد الرحمن ليعيده لأهله وذويه ، ولكن جهوده قوبلت برفض حازم من السيد فوستر ، فلقد أضحى عبدالرحمن خادمه الذي لايقدر بثمن ، اذ أصبح النموذج الأخلاقي الذي ينبغي أن يحتذيه الأرقاء لإخلاصه في العمل ، وانضباطه ، وحسن مسلكه ، وخابت مساعي الطبيب في استرداد حرية ،

الأمير المسترق ، ولكنها زادت من قصته شيوعا وانتشارا فتضاعف الاهتمام بالأمير ، وتزايد عدد من أصدقاء دعاة عتقه وعودته لوطنه ، وتوسعت دائرة أصدقائه من البيض المستنيرين ، ووجد السبيل الى لقائهم والتحدث معهم ومحادثاتهم ومحاورتهم .

الأمير طليقا

وكان من أصدقاء الامير البيض ناشر لصحيفة تصدر في (ناتشيز) وكان قد اهتم اهتماما خاصا بالأمير ، وساهم في اثارة الاهتمام بقضيته ونشرها وفي عام ١٨٢٦ أغرى ذلك الصحفي الأمير بأن يكتب خطابا للأهل ، وما اسعفه الذكاء ، بالكتابة ، فقد طال عهده بها ، وقلت ممارسته لها ، وانحصر مرانه عليها فيما ذكرنا من أمر الكتابة بالعصا على التراب ، كلما عن له أن يفعل ، ولكنه توفر على نفسه ، وجمع قدراته كلها ، مركزا على تذكر شيء يكتبه حتى تأتت له سورة من القرآن الكريم ، فرسمها رسما على صفحة من الورق وكان ذلك كل ما استطاع تذكره من الكتابة بعد اربعين عاما من العزلة الجغرافية والحضارية والوجدانية ، وأرسلت تلك الرسالة مع خطاب مرفق الى أحد أعضاء الكونغرس ، ويبدو أن الخطاب المرفق كان مضطربا وغير دقيق ، اذ أنه وصف الأمير بأن ينتمي الى الأسرة المالكة في المغرب ، وانتهى الخطابان عند القنصل الأمريكي في (طنجه) الذي قام بدوره بتسليمها للعاهل المغربي الذي اكد رغبته في عتق ذلك المسلم ، أيا كان أصله وفصله ، واحضاره للمغرب على نفقته ، وانتقلت القضية ثانية الى واشنطن ، حيث عرض الموضوع على وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية المستر (كلاي) الذي تقدم لتوه بتوصية لرئيس الجمهورية بضرورة شراء العبد وارساله الى وطنه ، وافق المستر /آدمز ، رئيس الجمهورية على ذلك ، وما كان ليستجيب لولا تعاظم وتزايد الضغط الاتحادي ، والحملة الضخمة التي شنها أصدقاء الأمير البيض ، الذي توجهوا بالالتماس الذي رفعه صديقه الصحفي ، اندروماتسوك والمحامي كريفن الى المستر كلاي وزير الخارجية ، ولقد تواكب التماس عتقه هذا مع مطلب العاهل المراكشي

كتاب الشهر

وإزاء كل هذا اضطر السيد فوستر للموافقة على عتق عبدالرحمن وترحيله الى المغرب ، بشرط ألا يكلفه هذا العتق شيئا ، والا يستمتع الأمير بنسيم الحرية في الولايات المتحدة ، واكتفى السيد فوستر ، بتوقيع وثائق العتق ، ولاشيء سوى ذلك ، ولا حتى الكتابة عن الموضوع لرئيس الجمهورية ، وتعهدت الحكومة بتحمل تكاليف ترحيل الامير على السفينة ، بينما تولت (جمعية الاستيطان الأمريكي) - وهي منظمة أهلية كانت تسعى لارجاع الزنوج إلى إفريقيا (ليبيريا) - تكلفة الاجراءات الأخرى

وبعد أربعين عاما من الاسترقاق ، وفي عام ١٨٢٨ على وجه التحديد ، أصبح (عبدالرحمن بن ابراهيما) حرا طليقا ، وفي اللحظات الأخيرة لرحيل الامير من المزرعة ، استجاب السيد فوستر لالحاح الكثيرين وضغوطهم ، وذلك بأن تغادر زوجته (ازيبلا) معه ، وكان مشهدا حزينا مؤلما ، لحظة افتراق الاسرة . . فقد وقف الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات يسطرون في أسى لوالديهما يغادران المدينة ، وقد لايعودان لها ، وقد لا يرونهما ثانية !

وفي التاسع من فبراير ١٨٢٩ - وعلى ظهر السفينة هاريت - غادر (ابراهيما) وزوجه محزنين ، الى افريقيا ، تاركين أطفالهم وأحفادهم من بعدهم ، آملين في أن يلحق بهم بعضهم على أقل تقدير . وبالفعل ذهب بعض الأبناء والأحفاد بعد عام الى افريقيا ، ولكن لم يجتمع شمل الأسرة ثانية ولم تتحقق أمنيتها في العودة للوطن الأم .

الأقدار والأمطار

وكان وصول (الامير) الى (منوروفيا) محبطا لآماله وآمال زوجه الطوال العراض ، فقد كانت خيبة *أملهما عظيمة ، إذ استولى احد رفقاء الدرب من الأرقاء المعتوقين على المنزل الذي أعدته منظمة الاستيطان الأمريكية ليقيم فيه (الأمير) ، وكان* نصيبه « راكوبة » من البامبو فقط لتقيه من المطر المنهمر ومن الشمس المحرقة ، فقد جاء المهاجرون من برد قارس بأمريكا الشمالية الى ربيع افريقي منعش ، ثم بدأوا يتساقطون موتى من جراء حمى معدية قوية لاشك أن قد عدتها التقلبات ومكنها الارهاق ، الى جانب وسائل الاعاشة السيئة على ظهر السفينة ، وكان مطر الجائر المتكرر هو نزهة المشاهد في تلك البقاع ! فقد ظلت الحمى تفتك بالعائدين وتصطادهم صباح مساء . وأملى الامير خطابا لصديق له في امريكا قال « أتوسل اليك ألا تأتي لافريقيا قط ، فعليك أن تبقى حيث أنت ، اذ أن المكان لايصلح مطلقا لأمثالك من الرجال »

ولاشك أن تلك الكلمات مؤلمة وجارحة لرجل عاش أربعين عاما يأمل ويتوق للعودة الى هذه البقعة ، ولقد خفف من حزن عبدالرحمن وربما خيبة أمله ، أنه كان يعتزم التوجه الى (فوتاجاون) - موطنه الأول - بعد انتهاء فصل الأمطار ، آملا في أن يثير اهتمام أهله وقبيلته بتنشيط التجارة بينهم وبين امريكا ، وما كان حلمه بعيدا ، فقد كانت (فوتوجالون) على بعد مسيرة خمسة عشر يوما فقط ، اذ هي على مدى ثلاثمائة ميل فقط من (منوروفيا) ، ولكن الأقدار والأمطار ، كانت للأمير بالمرصاد ، فقد تملكه الحمى ، وأخذته الى دار البقاء ، قبل أن ينعم بدفء الأهل والعشيرة ، وقبل أن يسعد بالاستمتاع الى ترتيل كتاب الله من أفواه الحفظة من أبناء جلدته . . وكانت وفاته بعد حوالي خمسة أشهر من وصوله الى القارة الأم ، فقد مات في السادس من يوليو ١٨٢٩ . . وأبى سوء الحظ الا أن يلاحقه حتى بعد وفاته ، فقد ظلت قصته نسيا منسيا حتى قبيل أعوام قليلة ، حيث توفر لها باحث من شباب أمريكا ، منقبا ودارسا وجامعا ، حتى اكتملت له الصورة ، وتبينت له القصة ، فأعاد بناءها لتروي *حكاية أمير مسلم جنى عليه الدهر ، وظلمته الأيام ، وتآمر عليه التاريخ أيضا . . وما أكثر أمثاله ممن غمرهم طوفان سير الأقزام من الرجال .* □

القدس الشريف
في تاريخ العرب والإسلام

عبداللطيف الطيباوي

١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م

.. في تاريخ العرب والإسلام

تأليف د . عبداللطيف الطيباوي
عرض وتحليل : محمود بيومي

نشر ـ هذا الكتاب ـ باللغة الانجليزية ، بمعرفة المركز الاسلامي بلندن ثم نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت بنفس اللغة . وأعادت نشره باللغة الفرنسية ، وقام مكتب جامعة الدول العربية في روما بترجمته ونشره باللغة الايطالية .

والعرض التالي يقدم تاريخ المدينة المقدسة منذ القدم وحتى عام ١٩١٧

يقع الكتاب في ١٢٦ صفحة من الحجم المتوسط . . ويتضمن ثلاثة عشر فصلا . وأضاف المؤلف بحثا جديدا لم تتضمنه الطبعات السابقة للكتاب ، سواء التي صدرت باللغة العربية ، أو التي ترجمت أو نشرت بلغات أجنبية . ويشتمل البحث على ستة فصول .

• تحدث المؤلف عن تاريخ القدس فقال : جاء في نصوص هيروغليفية وجدت في مصر . . ان « يروشالم » كانت خاضعة للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وان هذا الاسم من أصل « سامي » ومعناه « مدينة السلام » .

وفي أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد . تراخى حكم الفراعنة على أرض كنعان فدخلت بعض أجزائها من الشرق قبائل من « العبرانيين » جاءت من الصحراء ، ونزلت من البحر على سواحلها الجنوبية أفواج من الفلسطينيين فعرفت أرض كنعان باسمهم . ولكن مدينة « أورشليم » ظلت بأيدي « اليبوسيين » حتى أخذها داود عليه السلام حوالي سنة ١٠١٠ ق م ، وأسس فيها مملكة وراثية . بنى فيها ابنه سليمان الهيكل

وانقسمت المملكة ـ بعد سليمان ـ الى مملكتين متحاربتين تعرضتا للغزو من [illegible] والمصريين

تخريب الهيكل

في سنة ٥٨٦ ق . م حرب « سوخد نصر » مَلِكُ بابل . المدينة والهيكل ، وبعد تغلب الفرس على البابليين سمح لليهود بالعودة وبناء الهيكل في ظل حكم فارسي دام حتى أزاله الاسكندر المقدونى .

وتعاقب البطالسة في مصر ، والسلوقيون في سوريا على حكم اليهود . . الى أن عيّن «هيرودتس» ملكا على اليهود تحت الحكم الروماني وأعاد بناء الهيكل

وعندما ولد السيد المسيح . كان يحكم اليهود بيلاطس البطى ، ومن أهم أحداث القرن الأول الميلادي . . هدم مدينة « أورشليم » وحرق الهيكل في سنة ٧٠ ميلادية على يد «طيطس »وسحق الثورة اليهودية ، وحرث المدينة ، وانشاء مستعمرة رومانية على أنقاض « أورشليم » عرفت باسم « ايلياء » وبناء معبد « جوبتر » على أنقاض الهيكل في عام ١٣٤ ميلادية ، وحُرّم دخول المدينة على اليهود وعلب اسم « فلسطين » على البلاد مند هدا التاريخ

تحولت مدينة « ايلياء » من الوثنية الى اعتناق المسيحية بعد اعتراف الامبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية - بالدين المسيحي في عام ٣١٣ ميلادية ، وساعد ذلك على زوال الآثار اليهودية . . فأنشئت الكنائس في البلاد ، حتى تقرر اقامة بطريرك للكنيسة الأرثوذكسية في المدينة عام ٤٣١ ميلادية .

وقد تزعزع الكيان النصراني سنة ٦١٤ ميلادية ، عندما غلب الفرسُ الروم البيزنطيين ، وتطوع اليهود لمساعدة الفرس ، واشتركوا معهم في ذبح النصاري وهدم الكنائس . وبعد خمس عشرة سنة سيطر البيزنطيون على البلاد ، وهزموا الفرس وحرّموا على اليهود دخول مدينة « ايلياء » .

وقد اشار القرآن الكريم الى هده الحرب في سورة الروم يقول تعالى « الم غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . »

ينتقل بعد ذلك المؤلف لبيان العلاقات التاريخية بين القدس والعرب قبل الاسلام ، فيقول . . عرف العرب قبل الاسلام أدنى الأرض أي أقربها الى الحجاز ، وهي جنوبي سورية - فلسطين - ان بعض القبائل العربية حاربت مع الفلسطيبيين الذين هاجموا « أورشليم » في سنة ٨٥٠ ق . م ، وأن العرب اشتركوا في الدفاع عن « غزة » أمام الاسكندر المقدوني . . وأن قبيلة عربية أقامت بالقرب من « ايلياء » واعتنقت النصرانية وأصبح شيخها مطرانا .

ويقول المؤلف ان هاشما - من أجداد رسول الله ﷺ - كان في قافلة تجارية عندما توفى في « غزة » فعرفت باسمه « غزة هاشم » ، وان كثيرا من العرب عرفوا فلسطين . . فلم يكن الفتح الاسلامي بداية للوجود العربي في فلسطين بل تأكيدا له

القدس والاسلام

قبيل الفتح الاسلامي لفلسطين رفع الله شأن بيت المقدس باسراء رسول الله ﷺ اليها وعلى الرسول أنزلت الآية الوحيدة التي لم تنزل في مكة أو المدينة ، وهي قوله تعالى في سورة الزخرف « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون » وبذلك جعل الاسلام من بيت المقدس المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة . في القداسة

لقد عرف العرب فلسطين وبيت المقدس قبل الفتح الاسلامي ، وللمسجد الاقصى منزلة في نفوس المسلمين الفاتحين ، والعهد الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب لأهلها يعتبر نموذجا في التسامح في عصر اشتهر بالعنف .

لقد كتب الوثيقة أو العهد . . معاوية بن ابي سفيان ، بحضور خالد بن الوليد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، وبعد اعطاء عهد الأمان . . دخل عمر بن الخطاب مع الصحابة الى ساحة المسجد الأقصى المبارك - وقد جعله الناس من قبلهم مزبلة - فنظفوه والخليفة على رأسهم ، وأذن بلال للصلاة وصلى المسلمون في ذلك المكان

وقد أمر عمر بن الخطاب أن يقام عليه مسجد تخليدا لذكرى الاسراء والمعراج . وقد ظل هذا المسجد قائما الى ان تم بناء قبة الصخرة سنة ٧٢ هجرية ، وبناء المسجد الأقصى بعد ذلك بسنتين في خلافة عبدالملك بن مروان وهذا يبين خطأ

الأوروبيين في تسمية مسجد قبة الصخرة بجامع عمر .

ولم تفقد البلاد المقدسة ولا المدينة المقدسة مكانتها عند النصاري ، بل استمرت أفواج الحجاج تأتي اليها في حرية تامة في ظل التسامح الاسلامي

القدس في أيدي الصليبيين

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن القدس بعد سقوطها في أيدى الصليبيين سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٩ ميلادية ، فقتلوا المسلمين رجالا ونساء وأطفالا بلا رحمة قتلوا جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وأحل الصليبيون مدينة القدس من المسلمين ، وسكنوا في بيوتهم ، وحولوا مسجد قبة الصخرة الى كنيسة ، وجعلوا المسجد الأقصى ثكنة لفرسانهم واصطبلا لخيولهم والغوا البطريركية الأرثودكسية ، وأقاموا أخرى لاتينية مكانها ، اما سكان المدينة من اليهود فقد جمعهم الصليبيون في الكنيس وأحرقوها عليهم

ولما استطاع صلاح الدين الأيوبي . تخليص القدس من ايديهم - بعد تسعين عاما - من الأذى والاضطهاد عام ٥٨٣هـ لم ينتقم من الصليبيين لما ارتكبوه من الجرائم الوحشية . بل عفا وأعطاهم الأمان حتى يبلغوا مأمنهم في الساحل . وهكذا خرج الافرنج من المدينة المقدسة

وكما فعل عمر بن الخطاب من قبل ، فعل صلاح الدين . . فأخذوا يزيلون آثار النجاسة من مسجدي الصخرة والاقصى ، وأقيمت الصلاة وهكذا عادت الى المدينة صفتها الاسلامية العربية ، وأعاد الدور الى مستحقيها كما أمر بترميم المسجد الأقصى ، وتم تزويده بمنبر « لم يعمل في الاسلام مثله ، وهذا المنبر هو الذي حرق في سنة ١٩٦٩ ميلادية بمعرفة الكيان الصهيوني

حائط البراق

هاجر عدد كبير من علماء المسلمين الى فلسطين وأقاموا الى جوار المسجد الأقصى وقد أوقف المسلمون العديد من الدور والممتلكات للانفاق من ريعها على صيانة المسجد الأقصى وعلى طلاب العلم

ومن هذه الجماعات طائفة هاجرت من المغرب واستقرت بالقرب من الزاوية الجنوبية لحائط الحرم القدسي ، فعرفت بحارة المغاربة وقد أوقف الملك الأفضل - ابن صلاح الدين الأيوبي - في سنة ٥٨٩ للهجرة أرض حارة المغاربة عليهم وأنشأ في الحارة مدرسة الأفضلية ، وحدود هذه الأوقاف : من الجنوب سور المدينة ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدى الى الحرم الشريف ، ومن الغرب حارة الشرف

وأوقف في سنة ٧٠٣هـ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المصمودي أحد علماء المغاربة عدة أملاك .

وفي عام ٧٢٠هـ أوقف شعيب أيضا عدة أوقاف ، حتى صارت أوقاف حي المغاربة تعرف باسمه

ويعرف الحد الشرقي لهذه الأوقاف بحائط البراق ، ويظن اليهود أن في حائط البراق بقية من سور الهيكل الذي دمره الرومان سنة ٧٠ ميلادية وهو الذي يعتقد اليهود أنه حائط المبكى .

وقد أكدت الحفريات عدم وجود آثار للهيكل المزعوم ، لذا فان صلاة اليهود عند الحائط هي من باب التمنى لا من باب الواقع

وقد قام مجير الدين العليمى ، مؤرخ مدينة القدس وقاضيها ، بعمل احصاء للمدارس الاسلامية في القدس عام ٩٠٠ هجرية . فبلغ عددها مايزيد على الخمسين مدرسة أهمها المدرسة الصلاحية والمدرسة التنكزية والمدرسة الأشرفية

أما أول محاولة لاحصاء عدد اليهود في القدس فقد قام بها قاضي المدينة عام ٩٨٠هـ - ١٥٧٢ ميلادية فبلغ عددهم ١١٥ يهوديا ، الا أن الاحصائية قالت ان هذا عدد الذكور دون الإناث .

وبعد قرن من الزمان أي في حوالي عام ١٦٧٠ ، تم اجراء احصاء شامل لسكان المدينة وبلغ عدد السكان ٤٦ الفا معظمهم من المسلمين .

ولم يزدد عدد اليهود عن بضع مئات منذ عهد صلاح الدين الا قليلا ، لكن اخراج العرب واليهود من اسبانيا سبب زيادة طفيفة فقد وصل الى القدس بعض اليهود من طائفة « السفارديم » كما وصلت الى القدس طائفة من « الاشكنازيم » قادمة من بولونيا »

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ ابن لص ـ رواية .
المؤلف/ مانويل روخاس سيبولبدا
ترجمة/ رفعت عطفة
الناشر/ وزارة الثقافة ـ دمشق
عدد الصفحات/ ٤٩٣ من القطع الكبير

ضمن عملية الاهتمام الواسع بأدب أمريكا اللاتينية ، تأتي هذه الترجمة لرواية من الأرجنتين بعنوان ابن لص ، لتضاف الى محمل التراث الأدبي الأرجنتيني ، رغم كون المؤلف تشيليا بالأصل

وفي هذه الرواية يحكي انيثيتو آنيا حياة والده الذي كان لصا للمجوهرات ، وحياة أصدقائه ، ليرسم عالم الناس الهامشيين ، في مجتمع يعيش حياة البؤس والفقر والمطاردة في ظل نظام مستغل وقاس .

الكتاب/ صورة أب .
المؤلف/ رفعة الجادرجي .
الناشر/ مؤسسة الأبحاث العربية/ بيروت
عدد الصفحات/ ٢١٢ من القطع الكبير .

يحاول رفعة الجادرجي في هذا الكتاب رسم صورة قلمية لوالده ، السياسي العراقي كامل الجادرجي ، الذي لعب دورا مهما في حياة العراق السياسية قبل وبعد ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨ ، وفي النهاية ، فقد رسم رفعة الجادرجي صورة حقة كاملة وعنية من حياة العراق الذي كان يمور بالاتجاهات السياسية والفكرية ، وخاصة في أعقاب الحرب العالمية الثانية

الكتاب/ دفاعاً عن الاغنية العربية
المؤلف/ الياس سحاب
الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات/ ٢٧٠ من القطع الكبير

ينطلق مؤلف الكتاب من أن الأغنية العربية استطاعت في كل حالاتها أن تكون مرآة للحياة العربية في كل حالاتها ومستوياتها ، ويقول المؤلف انه اختار عنوان الكتاب الذي عرض فيه لواقع الأغنية العربية محددا سماتها ، مستعرضا نجومها ، ومحللا تطورها ، من منظور الدفاع عن الثقافة العربية التي تعتبر الأغنية أحد مكوناتها وتجلياتها

والمؤلف ، وهو كاتب سياسي بالأصل ، ينطلق من رؤية قومية واجتماعية شاملة ، رغم أن الكتاب يستعرض واقع الأغنية في بعض البلدان العربية فقط مع تركيز على مصر ولبنان .

الكتاب : الحفلة ـ مجموعة قصصية
المؤلف : عبدالله باخشوين
الناشر : نادي جازان الادبي ـ جدة
عدد الصفحات : ١١٤ من القطع المتوسط .

هذه المجموعة من القصص كتبها واحد من جيل الادباء السعوديين الشبان الذين يرسون أسس الكتابة الادبية هناك .

ويجمع الكاتب بين التجريب والسرد التقليدي لرسم صورة مدينة جدة السعودية القديمة بأزقتها الضيقة وأحيائها الشعبية النابضة بحياة بسيطة .

الكتاب/ فاطمة تذهب مبكرة الى الحقول ـ شعر
المؤلف/ يوسف أبو لوز
الناشر/ اتحاد الأدباء العرب ـ دمشق
عدد الصفحات/ ٧٧ من القطع الصغير

يتعامل الشاعر في هذا الكتاب أساسا مع اليومي والعادى والبسيط ، باحساس فائق بمأساة الحياة الفلسطينية وجمالياتها المعذبة ، وهو في محاولته يرسم صورة الحياة الفلسطينية في عريها الكاشف ، يلجأ الى أكثر من شكل من أشكال القصيدة الحديثة ، من التدوير الى الوزن الى القافية الى قصيدة النثر ، كما تتوزع قصائد الديوان على مسافة رمنية تستوعب الأسماء العادية مثل محمد وفاطمة ، الى أسماء التمرد الجاهلى كالشنفرى ، وبينها تطل حالة بيروت المحاصرة عنوانا للزمن الفلسطيني الذي يحاول الشاعر أن يرسمه

الكتاب/ الغطاوى الكويتية
المؤلف/ د محمد رجب النجار
الناشر/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت .
عدد الصفحات/ ١٨٢ من القطع الكبير

قام المؤلف في كتابه هذا بجمع وتدوين فن شعبي كويتي مهدد بالانقراض ، هو فن « الغطاوى » الذي يعني الأحاجي والألغاز ، ولم يقتصر دور المؤلف على جمع وتدوين هذه الغطاوى ، بل تجاوز ذلك الى تصنيفها ودراستها ، وابراز وظائفها الفكرية ودلالاتها الاجتماعية والفنية ، وذلك في أول دراسة من هذا النوع .

الكتاب/ مساهمة في نقد النقد الأدبي
المؤلف/ نبيل سليمان
الناشر/ دار الطليعة ـ بيروت
عدد الصفحات/ ٢١٨ من القطع الكبير

في هذا الكتاب يتجه الناقد السوري نبيل سليمان الى حقل قلت فيه الكتابة الأدبية هو حقل نقد النقد ، ويختار الكاتب عددا من أبرز الكتاب والنقاد السوريين ، ويدخل معهم في سجالات نظرية تجيب عن بعض الأسئلة ، وتطرح أسئلة اخرى ، لاغناء الحوار الأدبي في سوريا ، ويقسم نبيل سليمان كتابه الى ثلاثة فصول ، يضم الفصل الأول من يرى أن في كتاباتهم تنويعات على الشكلانية ، وفي الفصل الثاني ناقش من رأى أن كتاباتهم تمثل تنويعات على الانتقائية ، وفي الفصل الثالث ناقش التنويعات على الماركسية ، الى جانب ملحق وخاتمة ، أضافهما الى الفصول الثلاثة الأولى

الكتاب/ نقد علم الاجتماع البرجوازى المعاصر
المؤلف/ س ى بوبوف
ترجمة/ نزار عيون السود
الناشر/ دار دمشق للطباعة والنشر
عدد الصفحات/ ٢٠٠ من القطع المتوسط

في هذا الكتاب الصغير الحجم نسبيا ، يتولى الكاتب السوفيتي س ى بوبوف مهمة كبيرة ، هي الرد على بعض أهم الأفكار التي تصدر في الغرب ، موجهة نقدها الى الفكر الاشتراكي عموما والتجربة السوفيتية بوجه خاص ، ويدخل المؤلف في سجال مع هذه الأفكار وهؤلاء المفكرين ، أما حقل الصراع فهو علم الاجتماع الذي يرى الكاتب انه في الغرب « يعاني أزمة حادة ، فهو فقير بجوهره رغم تنوع الاتجاهات واختلاف المدارس فيه ، وبرغم بريقها الخارجي »

مسابقة العربي الثقافية



العدد ٣٣١
يونيو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت (مسابقة العربي الثقافية) العدد ٣٢٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا - ١٥ يوليو ١٩٨٦

١ - يقفز الكلب ٢٧ قفزة مقابل كل ٢٥ قفزة يقفزها الثعلب فكم قفزة ينبغي للكلب أن يقفز للحاق بالثعلب ولتجاوزه ؟ . اذا كان هذا الثعلب قد سبق له أن انطلق واستكمل قفز ٥٠ قفزة علما بأن قفزات الحيوانين متساوية بالطول



٢ - رسوم ولوحات رائعة وجدوها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا . . وشمال اسبانيا ترى الى أي العصور التاريخية تعود بنا هذه اللوحات ؟

* عصر النهضة الأوروبية الحديثة
* عصر الثورة الفرنسية .
* العصور الحجرية المتقدمة .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣١



٣ ـ بحيرة صغيرة مياهها ساخنة ، بل تغلي كالنافورة ، ترى أين تقع هذه البحيرة ؟ !
* عند خط الاستواء
* في القارة القطبية الجنوبية
* في سويلندة

٤ ـ هل تتزحزح الشلالات وتتحرك عن مواقعها . علما بأنها صخور تتدفق من فوقها المياه ؟

٥ ـ كتاب الجاسوس على القاموس من ألفه ؟ وما الذي قصد اليه من تأليفه إيّاه ؟

٦ ـ رجل من عظماء التاريخ ، اسمه (سيدارتا جواتاما) امتدت حياته أكثر من مائة سنة (٥٦٣ - ٤٨٣ ق م) الا انه اشتهر باسم اخر غير اسمه الحقيقي . هل تعرف من هو ؟

٧ ـ مدينة بومباى ، أكبر مدن الهند ، في غنى عن التعريف ترى أين تقع جزيرة بومباى ؟

٨ ـ من هو مخترع التلسكوب ؟
* هانس ليبرسي Lippershey صانع النظارات الهولندي وذلك سنة ١٦٠٨ .
* جاليليو الفلكي الايطالي الشهير وذلك سنة ١٦٠٩ .

٩ ـ يبلغ طول القطار ميلا واحدا وتبلغ المسافة التي يريد قطعها بين محطة (أ) ومحطة (ب) (٨) أميال . . .

فاذا ركب القطار رجل في مؤخرته (القطار) وقد بدأ يتحرك من المحطة (أ) قاصدا المحطة (ب)
واذا كان الراكب المذكور لم يبق واقفا في القطار بل سار فيه حينما كان القطار يسير بين المحطتين . فكم ميلا يكون هذا الرجل قد قطع مشيا على الاقدام ؟
وكم ميلا يكون قد قطع راكبا ؟ علما بأنه وصل القاطرة في اللحظة التي وصل فيها القطار المحطة (ب)

١٠ ـ أيها أكثر انخفاضا تحت سطح البحر البحر الميت أم بحيرة بايكال في روسيا ؟ ادعم جوابك بالأرقام .

١١ ـ لم نرى السماء زرقاء أثناء النهار ؟
* بسبب لون البحار . . فهو أزرق وينعكس على السماء
* لون السماء أبيض لا أزرق ، ولكن بصرنا يخدعنا فنراه أزرق
* لأن الأشعة الزرقاء في ضوء الشمس لاتصلنا في خط مستقيم كسائر الأشعة ، ولكنها تتغير بتأثير الهواء الجوى . فتصل الى أعيننا من كل جانب فيتغلب اللون الأزرق تبعاً لذلك

١٢ ـ ما هو الزاووق . . علما بأنه معدن كثر الحديث عنه في كتب السلف الصالح وعلماء الكيمياء منهم خاصة ؟

جبل موناكيا

جبل افرست

سطح البحر

حل مسابقة

١ ـ الشاعر الأول هو عبيد بن الأبرص
والشاعر الثاني هو امرؤ القيس

٢ ـ هذا هو صدر أحد أبيات القصيدة البائية لأبي تمام ، وهي التي نظمها بمناسبة فتح عمورية ، وظهور المذنب في تلك الأثناء

٣ ـ امرأة عقيم تجمع على نساء عقائم وعُقُم
رجل عقيم . تجمع على رجال عقماء وعقام وعقمى

٤ ـ اسم الجبل هو موناكيا ويقع في جزيرة هواي (لاهايتي كما ورد خطأ) فهذا الجبل يزيد ارتفاعه على ارتفاع جبل افرست بمقدار ٤٣٤٨ قدما ، هذا اذا قيس الارتفاع من قاعدة الجبل . وهي مغمورة في ماء البحر فيما يختص بجبل موناكيا والصورة المرفقة توضح المقصود ، ولعلها تعيد الى الجبل المغبون بعض اعتباره .

٥ ـ جزيرة ايستر (عيد الفصح) وهي جزيرة نائية منعزلة ، تقع في المحيط الهادي على بعد ٢٣٠٠ ميل من الشيلي . التي تحكمها منذ سنة ١٨٨٨ ، مساحتها ٦٤ ميلا مربعا ، وسكانها ٨٠٠ نسمة . اكتشفها الهولنديون سنة ١٧٢٢ ، وذلك في عام عيد الفصح بالذات ، ومن ثم التسمية والتماثيل التي اشتهرت بها الجزيرة ما زالت مجهولة الأصل .

٦ ـ هذه شجرة حقيقية ، وتوجد في كاليفورنيا ، وقد سموها (الجنرال شيرمان) يبلغ ارتفاعها حوالي ٩٠ مترا ، ولايزيد ارتفاع برج بيزا على ٥٥ مترا ، وهي قديمة ، أقدم من توت عنخ أمون ، ويبلغ عمرها ما بين ٣٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة

٧ ـ المكان المقصود هو قناة باناما . فالمحيط الأطلسي يقع الى شمال المضيق ، والمحيط الهادي الى جنوبه والصورة المرفقة دليل على ذلك

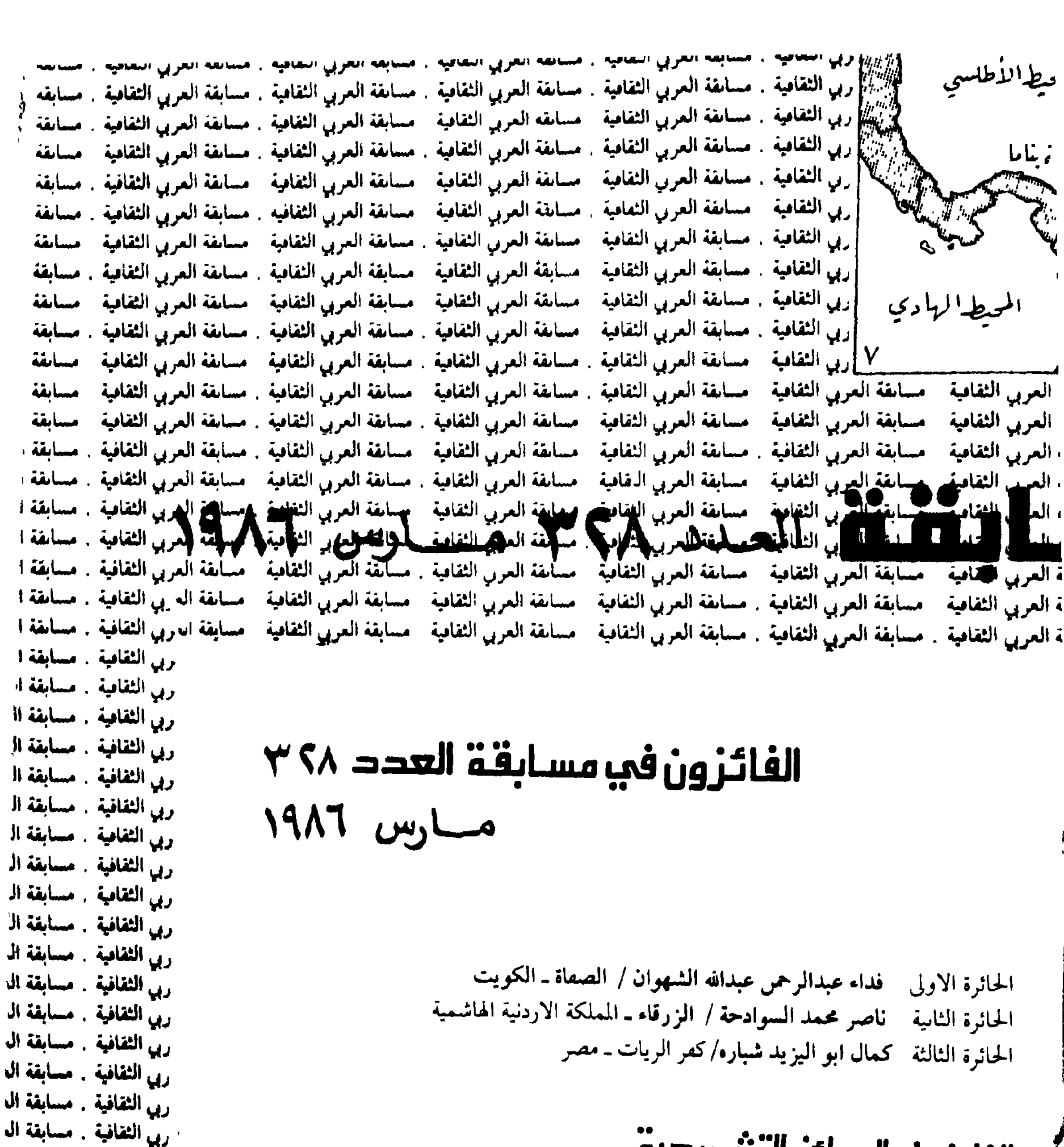
٨ ـ انه نهر الجانجس في الهند والهندوس يقدسون هذا النهر ، ويقبلون على الاستحمام فيه ، بصرف النظر عما اذا كانت مياهه ملوثة أم لا . وتجدر الاشارة الى أن هذا النهر يجري لا في الهند فحسب ، وانما في الباكستان أيضا . ويبلغ طوله ١٥٥٧ ميلا ويستفاد من النهر في الري الزراعي على نطاق واسع .

٩ ـ تحتوي المكتبة على عشر كتب (١٠ + ١٠ + ٥ + ٧ = ٣٢) .

١٠ ـ ١٣ قطارا .

١١ ـ مجموع ما يقبضه من فلسات هو :
٤٬٢٩٤٬٩٦٧٬٦٤٨

١٢ ـ السفينة الأوروبية جيوتو . . وقد وقع هذا الاقتراب أو الاقتحام بالفعل يوم الخميس في ١٩٨٦/٣/١٣ . . وكانت السفينة الروسية (فيجا) قد اقتربت من مذنب هالي الى مسافة ٨٠٠٠ كم في يوم الخميس الواقع في ٦ / ٣ / ١٩٨٦ . □



الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٨
مـارس ١٩٨٦

الجائزة الاولى فداء عبدالرحمن عبدالله الشهوان / الصفاة ـ الكويت

الجائزة الثانية ناصر محمد السوادحة / الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية

الجائزة الثالثة كمال ابو اليزيد شباره/ كفر الزيات ـ مصر

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سليمان / الظهران ـ السعودية .
٢ ـ حسن الفقيه رمضان / المهدية ـ الجمهورية التونسية
٣ ـ مبارك سلمان محمد احمد / ودمدني ـ السودان
٤ ـ الادريسي سيدي محمد / مدينة تيفلت / اقليم الخميسات ـ المملكة المغربية
٥ ـ محمد قاسم سومرو/ كمالديرو / كنديارو / سند ـ باكستان
٦ ـ رضى خليل جعفر / لبنان الجنوبي / مدينة النبطية
٧ ـ مهدي عباس هاشم / المنامة ـ دولة البحرين
٨ ـ عامر جاسم محمد / بغداد ـ العراق

معركة بلا سلاح

مباراة الثأر . . . مَتى وأين ؟

وأحيرًا . . وبعد شهور طويلة من المشاورات والمداولات والخصومات والتحديات أعلن الاتحاد الدولي للشطرنج عن موعد مباراة الثأر بين بطل العالم الحالي جاري كاسباروف ومواطنه الروسي أناتولي كاربوف بطل العالم السابق للشطرنج وسيقام النصف الأول من مباراة الثأر التي تتألف كسابقتها من ٢٤ دوراً في مدينة لندن في العاشر من شهر أغسطس الحالي وسيلتقي البطلان ثلاث مرّات في الأسبوع في أيام الاثنين والاربعاء والجمعة من الساعة الخامسة حتى العاشرة مساءً والذي يعني ان النصف الاول من مباراة الثأر سيستغرق خمسة أسابيع . أما النصف الثاني من المباراة فمن الأرجح ان يقام في مدينة لينغراد السوفييتية في موعد لم يتم تحديده حتى كتابة هذه السطور

ويضع إعلان الاتحاد الدولي لزمان ومكان مباراة الثأر حدًا للخلاف الحاد بين رئيس الاتحاد فلورنشيو كامومينز الذي كان يصرّ على أن تقوم مباراة الثأر في العاشر من فبراير الماضي وبين الفائز الجديد ببطولة العالم جاري كاسباروف الذي كان يرفض فكرة لقاء كاربوف رفضاً تامًّا متحدّياً بذلك قوانين الاتحاد ، وما في ذلك من تعريض نفسه لخسارة اللقب،وهو ما حدث للبطل الأمريكي بوبي فيشر عام ١٩٧٥ . وقد نجم عن تأخير موعد مباراة الثأر تأخير موعد التصفيات النهائية لاختيار اللاعب الذي سيلاقي البطل المهزوم في هذه المباراة حتى عام ١٩٨٧ .

وقد أسفرت التصفيات قبل النهائية بين المرشحين لملاقاة البطل المهزوم والمقامة في تيلبرغ ١٩٨٦ عن فوز البطلين السوفيتيين سوكولوف ويوسوبوف بعد أن هزم اولهما مواطنه فاحاليان (٦ ـ ٢) ، وهزم الثاني البطل الهولندي جان تيمان (٥ ـ ٣) ، وبذلك تكون بطولة العالم للشطرنج قد استقرّت في الاتحاد السوفييتي للسنوات القادمة على الأقل

وسنورد فيما يلي الدور الحاسم الذي أدّى إلى إقصاء آخر منافس غربي عن حلبة الصّراع الدولي على بطولة العالم ويعتبر هذا الدور من أقصر وأسرع الأدوار بين مرشحي التصفيات النهائية في تاريخ اللعبة وتعرف الافتتاحية بدفاع جرونفيلد

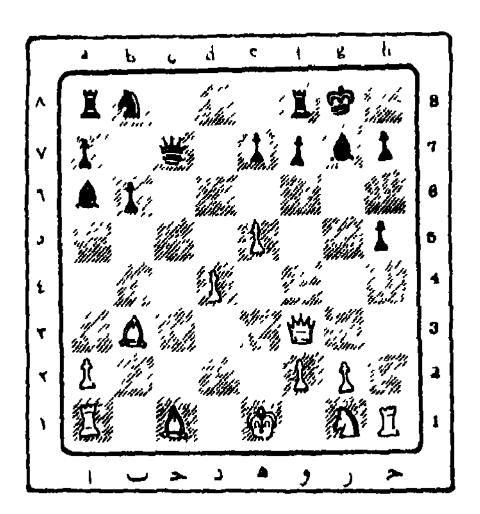
أ . يوسوبوف	ح . تيمان
١ . د ٤	ح - و٦
٢ . حـ ٤	ز٦
٣ . ح - حـ ٣	د٥
٤ حـ×د٥	ح×د٥
٥ هـ ٤	ح×حـ ٣
٦ . ب×جـ ٣	ف-ز٧
٧ . ف- جـ ٤	ب٦ ؟؟

كان التبييت أفضل فالنقلة الحالية تسمح للابيض بالانقضاض على تحصينات ملك الأسود الهشة .

٨ وزير - و٣	ت
٩ . هـ ٥	ف-أ٦

لاغراء الأبيض بأخذ الرخ بدلاً من الفيل والحصول على موقف هجومي جيد

١٠	ف د٥	حـ ٦
١١	ف-ب٣	و-حـ ٧
١٢	حـ ٤	حـ ٥
١٣	حـ ٥	حـ ×د٤
١٤	حـ ×د٤	ر×حـ ٥(الشكل)



مُعرياً ملكه اكثر من دي قبل ولكن ما باليد من حيلة

١٥	ر×حـ ٥	ف-ب٧
١٦	و-د٣	ر-د٨
١٧	. و×حـ ٧+	م-و٨
١٨	ح-هـ ٢	ر×د٤

ملقيا بآخر سهم في جعبته .

لو ١٩ . ح×د٤ لكش ملك الابيض في جـ ٣

١٩ . ف-حـ ٦ يستسلم

حل المسألة (٤٠)
عدد ابريل ١٩٨٦

١	و- ز٤+	ف×ز٤
٢	. ر×حـ ٦+	ز×حـ ٦
٣	. فـ ـ و ٧ كش مات	

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٩)

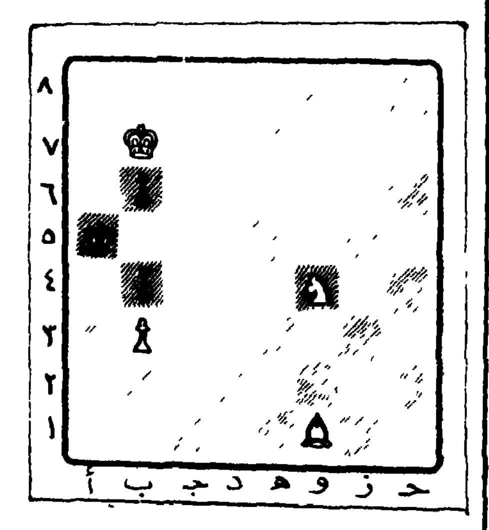
عن شهر مارس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة .

١ ـ الموغازلي يوسف ـ مراكش/ المغرب
٢ ـ عصام السكري ـ الغربية/ ج م ع
٣ ـ فوزي البكوري ـ طرابلس/ ليبيا
٤ ـ خالد سعد ـ بيروت/ لبنان
٥ ـ محمد النسعة ـ روى/ عمان

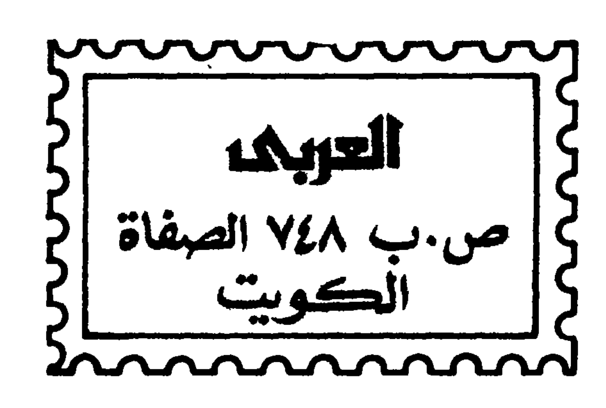
الفائزون باشتراك ستة أشهر .

١ ـ ياسر ابراهيم ـ البحيرة/ ج م ع
٢ ـ عبدالمجيد الهوليلي ـ خريبعة/ المغرب
٣ ـ ممدوح عبدالناظر ـ صفاقس/ تونس
٤ ـ قيس حبرائيل ـ السويد
٥ ـ محمد صوانه ـ أربد/ الاردن



مسألة العدد
رقم (٤٢)
مات ٤

مهداة من القارىء محمد مهدي السعه



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

تحيات كريمة للكويت في عيدها

● الى أسرة تحرير مجلة العربي
وددت أن أعبر لكم عن اعجابي بمجلتكم الجيدة ، واني أتمنى أن تكون جميع المجلات التي تصدر في الوطن العربي بهذا المستوى الجيد ، وأرجو لكم التوفيق والنجاح في مهمتكم الكبيرة
وبهذه المناسبة أتوجه بالتهنئة اليكم والى الشعب الكويتي الشقيق ، بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين للاستقلال ، وأتمنى للشعب الكويتي التقدم والنجاح والازدهار .

حسام نعمه/دمشق /شارع بغداد

أحيانا تصلنا رسائل عديدة تعبر عن مشاعر القراء الكريمة حيال مجلتهم العربي ، وتقديرهم لدورها ، مع اعتزازنا بما تحمله هذه الرسائل من مشاعر طيبة ، فإننا في العادة لا ننشر هذا النوع من الرسائل ما دام لايتضمن سؤالا أو تعليقا ، أو وجهة نظر في قضية من القضايا التي تنشر في العربي ، ولكن رسائل عديدة في هذا الشهر وصلتنا ، تحمل الى جوار التحيات الطيبة أرق التهاني للكويت وشعبها الكريم ، بمناسبة العيد الوطني الخامس والعشرين ، وقد اخترنا من بينها هذه الرسالة الموجزة في كلماتها الكبيرة بما تعبر عنه ، ولا شك أنها بادرة طيبة من الاخوة القراء ، ولفتة كريمة يسعدنا أن ننقلها هنا لشعب الكويت العزيز ، ولكاتب الرسالة المنشورة ، ولكل الاخوة الذين كتبوا بهذه المناسبة الكريمة التحية والشكر

حول المدفئة

● في افتتاحية مجلة العربي ، حدثت الشهر للدكتور محمد الرميحي ، عدد يناير سنة ١٩٨٦ ، وردت تسمية القمة المعقدة في جنيف بين ريجان وجورباتشيف ، في شهر نوفمبر الماضي باسم « مدفأة النار » فما سبب هذه التسمية مع تشكري الجزيل

عيسى عبدالله بغداد / جسر ديالى القديم

الصحافة هي التي أطلقت هذه التسمية ، ولعلها تشير الى أن محادثات هذه القمة كانت نوعا من الحوار حول المدفئة ، وهو حوار يهدف الى مزيد من التعارف والتقارب ، ولا يتوقع أحد منه نتائج حاسمة .

لقاء مع محمود درويش

● تحية عربية صادقة لكل العاملين في مجلة العربي .
أبدأ مباشرة بتقديم اقتراحي ، بأن تقدم المجلة في باب « وجها لوجه » لقاء مع الشاعر الفلسطيني

« محمود درويش » يكشف فيه عن جوانب من حياته وفكره وآرائه في القضايا القومية والسياسية والفنية ، واعتقد أني بذلك الاقتراح أعبر عن رغبات العديد من القراء الذين هم يتشوق لمزيد من التعرف على الشعراء أمثال محمود درويش ، هؤلاء الشعراء الذين نضع « قصائدهم شعارات على دفاترنا ، ومن خلال مجلتكم أحب أن أقدم تحيتي الى الشاعر الكبير محمود درويش وأقول أين أنت ؟

وهناك سؤال آخر اتمنى أن تجيبوا عنه في باب « حوار القراء » وهو كيف أستطيع الحصول على كتب سلسلة من المسرح العالمي ، لأني لا أجدها في مكتبات بلدي ولكم الشكر

سناء الاسماعيلي
سوريا / حمص

نشكر للقارئة اهتمامها ، ونود أن نبلغها ان اعداد حوار مع الشاعر الكبير « محمود درويش » هو ضمن تخطيطنا لباب « وجها لوجه » وهو أمر نعتز به ونحرص عليه ، ونأمل أن يتحقق ذلك في فرصة مناسبة قريبة ، وبالنسبة للحصول على سلسلة كتب المسرح العالمي فيمكن للقارئة أن تكتب طلبا تحدد فيه ما تريده من هذه السلسلة الى وزارة الاعلام بالكويت ، باسم السيد الوكيل المساعد لوزارة الاعلام .

حول أشعة الليزر

● في العدد ٣٢٠ من مجلة العربي نشرتم موضوعا عن « أشعة الليزر » للأستاذ رؤوف وصفي ، وقد قرأت الموضوع بشغف واهتمام ، وشعرت برغبة قوية في صنع جهاز لاصدار اشعة الليزر (أشعة المستقبل) وقد بدأت فعلا بالبحث عن الأدوات اللازمة لصناعة هذا الجهاز وهي :

١ ـ مرآتان . احداهما عاكسة والأخرى متنصف عاكسة .
٢ ـ مادة النيوديوم المذابة في أكسيد كلوريد الصوديوم.
٣ ـ اسطوانة من الياقوت الصناعي

لكني لم أجد في بلدي ـ سوريا / حلب ـ هذه المواد ، فهل تتوفر مثل هذه المواد في الكويت ؟ أو هل يمكنكم ارسال عنوان كاتب هذه الموضوع لسؤاله عن كيفية توفير هذه المواد والأجهزة ، وعن بعض المراجع عن أشعة الليزر .

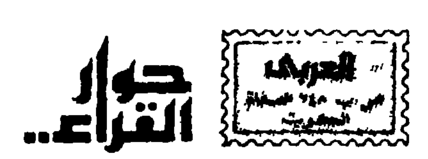
آمل أن تردوا على رسالتي هذه في باب حوار القراء وشكرا

يوسف حصرو/سوريا / حلب

تهدف العربي من نشر هذه الموضوعات الى تبسيط العلوم للقارىء ، وتعريفه بالتطورات الكبيرة في تطبيقاتها ، وما يعنيه ذلك من بعث الاتجاهات العلمية ، وطرق التفكير العلمي لدى القراء ، ولكن صناعة جهاز لاصدار أشعة الليزر فلعله أمر يخرج عن نطاق جهود فرد ، وبشكل عام فان المواد والأجهزة التي يسأل عنها القارىء الكريم ، يمكن أن تتوفر في كلية العلوم ، قسم الفيزياء ، بالجامعة السورية ، أو بعض النوادي العلمية التي قد تكون موجودة في دمشق
وبالنسبة لعنوان الأستاذ رؤوف وصفي كاتب المقال ، فهو الكويت الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، ص ب ٢٣١٦٧ الصفاة

مجرد استفسار

● نشرتم في مجلة العربي الغراء العدد ٣٢٧ ، موضوعا علميا شيقا تحت عنوان « وهم بالبوصلة في حياتهم مهتدون » للدكتور عبدالمحسن صالح ، وكان الكاتب الكبير يقف عند كل فكرة علمية جديدة



حوار القراء..

بالشرح والتحليل لأسبابها وغاياتها باستثناء فكرة واحدة، وهي انه عندما عرفنا بتلك الحجارة الموضوعة وسط العانة في أول المقال والتي يبلغ سمكها الضيق ثماني سنتيمترا ، وسمكها العريض ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ما بين أربعة وخمسة أمتار ، ثم أخبرنا الدكتور بأن مشيدي هذه الأحجار الضخمة ليست الا حشرات ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن ، ونرجو من الدكتور توضيحه هو : ما نوع هذه الحشرات ؟ وكيف تمكنت من تشييد حجارة بذلك الحجم ؟؟

مجاهد بن عبدالرحمن الدار البيضاء / المغرب

لعلنا بنشر هذه الرسالة نتيح الفرصة للدكتور عبدالمحسن صالح أن يطلع عليها ويرد على القارىء الكريم في هذا الباب أو يستكمل ايضاح هذه النقطة في بعض مقالاته الممتعة القادمة .

حوار القراء .. دوره ومكانه

باب حوار القراء هو حلقه الاتصال بين القارىء والمجلة وبين القراء وبعضهم .

واني اذا أشكر للمجلة ما تنشره من ملاحظات وتعليقات وآراء لقرائها فى هذا الباب ، فانني أتساءل : لماذا يأتى باب حوار القراء فى آخر صفحات المجلة ، ويكاد يضيع بين الاعلانات وبين صفحات مسابقة العربى الثقافية ، واذا كان هذا الباب له هذه الأهمية فلماذا لا يحتل مكانا فى الصفحات الأولى للمجلة ؟

أرجو أن تنشر ملاحظتى فى باب حوار القراء مع شكرى الجزيل والعميق للدكتور محمد الرميحى ، ولكل من يسهم فى اعداد هذه المجلة ، لكى تظهر بهذا المظهر اللائق . .

معتز الأسعد - سوريا / ادلب

نشكر للقارىء العزيز اهتمامه وملاحظته ، وفى الواقع أن قيمة أى مادة منشورة لاتتحدد بالمكان الذى تنشر فيه بالمجلة ، فهناك أسباب عديدة لتحديد مكان النشر ، ليس من بينها قيمة المقال . . .

فقيمة أى موضوع فيما يتضمنه ، وعلى كل حال سوف تكون ملاحظة القارىء موضع الاعتبار والبحث من مجلس التحرير بالمجلة . □

تنويه

● جاءنا من الدكتور محمد عبدالله المشاري تنويه يفيد فيه بأن كلام الصور المنشور في صفحتي (١٢١) و (١٢٢) من العدد رقم (٣٢٩) ابريل - نيسان ١٩٨٦ من المجلة قد حدث فيه شيء من الخلط ، فكلام الصورة ص (١٢١) هو مرض الصدفية وليس فطريات حلقية ، وكلام الصورة ص (١٢٢) هو فطريات حلقية وليس مرض الصدفية .

وبالعودة الى اصول الصور وجدنا أن ملاحظة الدكتور صحيحة ، وأن الخلط وقع عند تركيب الصور ، فشكرا للدكتور على ملاحظته . . وبذا لزم التنوية .

والدكتور محمد عبدالله المشاري حاصل على دكتوراه ، واستشاري في الأمراض الجلدية والتناسلية .



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يونيو ١٩٨٦ م

الشخصية الإسرائيلية
والروح العدوانية

تأليف : الدكتور رشاد الشامي

الكتاب الثاني بعد المئة



المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

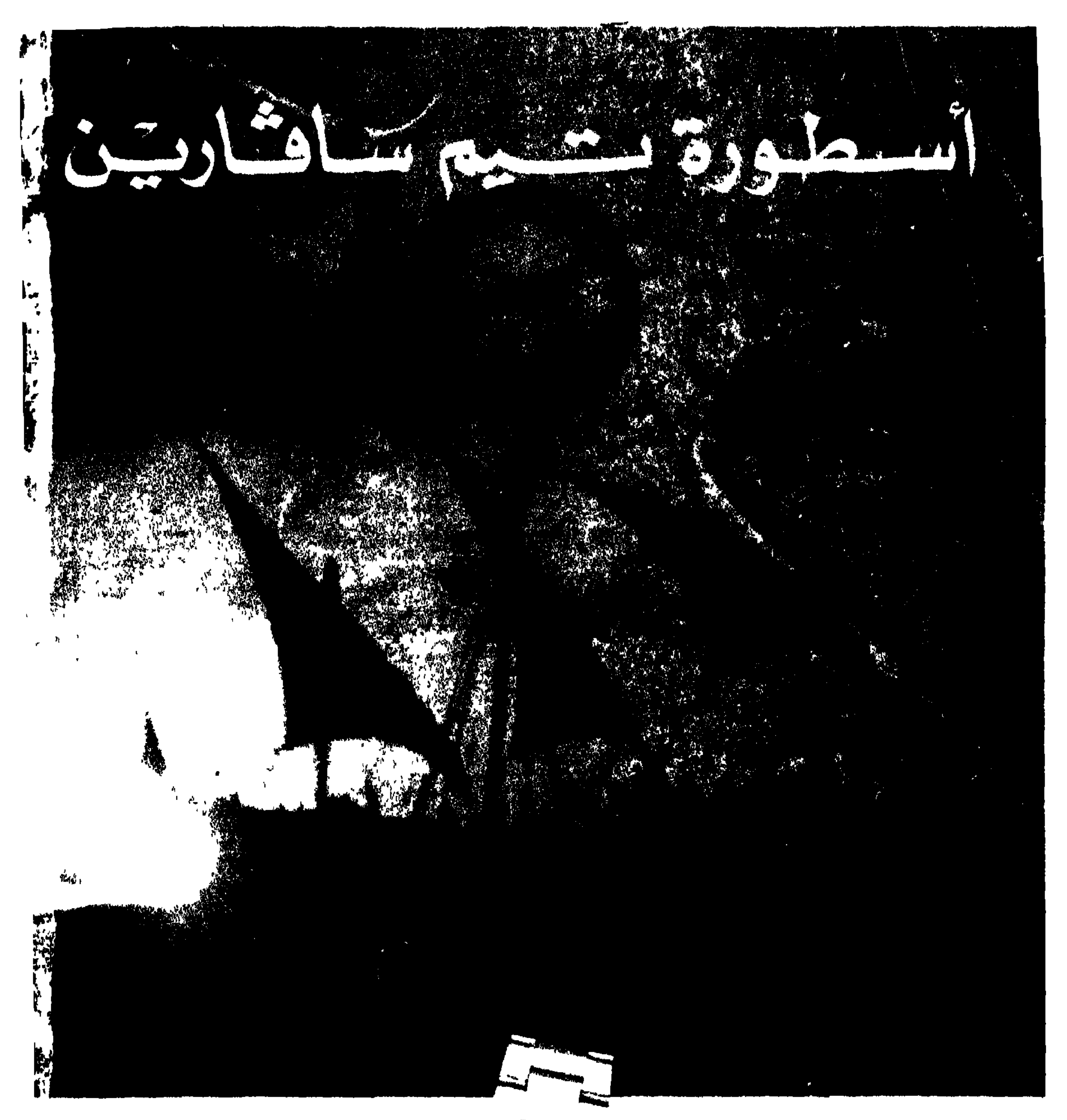
٢٠١ أول يونيو ١٩٨٦

من الأعمال المختارة

هنريك إبسن - ١

الأشباح

ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ
مراجعة : د. نور شريف


أسطورة تيم سافارين